

الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me. année No 992

Le Caire 6 — 7 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٢ «القاهرة في يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٧١ — ٧ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

الامبراطورية ذات سبعة الارواح

للدكتور عمر حليق

حرب مستعرة في الهند الصينية الفرنسية، وثورات عنيفة في تونس، وغضبة تحمل في ثناياها الدم والنار في مرا كش والجزائر، وتيارات قومية تجتاح مدغشقر وممتلكات فرنسا الأفريقية، وأعباء عسكرية ترهق كاهل الميزانية الفرنسية الآن، وقد جاء البعث الألماني بظله المخيف على حدود فرنسا، وضائقات اقتصادية زعزعت كيان «الفرنك» وأخلت بميزان فرنسا التجاري والنقدي، فزادت من حدة التوتر الداخلي بين هذه الأحزاب السياسية الكثيرة التي تؤلف البرلمان الفرنسي وتجعل الوزارة الفرنسية أضحوكة الأندية والمحافل السياسية. ويعجبني هذا العنوان الفكه الذي صدرت به إحدى الجرائد الدامركية أنباء القلاقل في تونس في الآنة التي سقطت بها الوزارة الفرنسية سقطات متتابعة خلال بضعة أسابيع، فقد كان العنوان على النحو التالي:

تونس تشتكي من أن الحالة الداخلية في فرنسا متوترة

هذه المشكلات والأزمات والضائقات التي تواجه فرنسا اليوم، تدفع المرء إلى أن يتساءل: هل الإمبراطورية الفرنسية في طريق الزوال؟

لقد استمع الناس إلى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا، يستجمع كل ما لديه من ظرف ولباقة فرنسية ويناشد الجمعية العامة لهيئة الأمم في جلسة باريس، بأن تتريث قليلا قبل أن تدين فرنسا بالعبث بحقوق المراكشيين. ففي جعبة فرنسا خطوط جديدة لسياسة مثالية، لا لمراكش فحسب، بل لجميع هذه الشعوب التي تعيش في ظل العلم الفرنسي

ثم استمع الناس مؤخرا إلي مندوب فرنسا في مجلس الأمن يعد العرب والآسيويين الذين تبنوا قضية تونس في مجلس الأمن، بأن في حافظة وزارة الخارجية الفرنسية مشروعات مثالية لحل المشكلة التونسية. وكل ما تطلبه فرنسا فترة معقولة من الزمن، تعد فيه الأمر وتنشر على الناس ما أعدته من أسس جديدة لعلاقة فرنسا بالشعوب الآسيوية والافريقية الخاضعة لها

وقد كان كاتب هذه السطور في إحدى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بتونس، يتحدث إلى صديق من أحد وفود أمريكا اللاتينية (وهي منطقة تربطها بفرنسا روابط روحية وثقافية متينة) وذلك خلال الدفاع البليغ الذي كان مندوب الباكستان في مجلس الأمن السيد أحمد بخاري يفند فيه مزاعم فرنسا وتأويلاتها عن القضية التونسية، قال الدبلوماسي اللاتيني وقد تأثر من بلاغة البخاري: «أنتم أيها

العرب والآسيويون على حق فى مؤازرة تونس ، ولكن لم لا تمطون فرنسا الفرصة الكافية لإصلاح ما أفسده استعمارها القديم على ضوء ما وضعته اليوم من سياسة تقدمية تثبت علاقات فرنسا مع مستعمراتها على أساس جديد نبراسه التعاون الصادق والشركة الأمينة فى إطار « الاتحاد الفرنسى » على نحو ما انتهجته بريطانيا فى « الكومنويلث » وحلت به أزماتها مع الهند والباكستان والمناطق الأخرى التى كانت ملكا للتاج البريطانى ؟ ويبدو أن « لاتينية » صديق الدبلوماسى كانت أشد من نظارته السياسية ، فقد ساررنى محذرا : لا تخطئوا فى قوة الامبراطورية الفرنسية برغم ما أثخنت به من جراح . فهذه الامبراطورية الفرنسية كالقطط لها سبعة أرواح

والواقع أن قسما من الرأى العام فى أوربا وأمريكا يشاطر هذا الدبلوماسى رأيه فى هذه الأرواح المتعددة التى تكمن فى الامبراطورية الفرنسية ! وليس من الصعب أن ندرك سر هذه النظرة إلى حاضر فرنسا . فصناع السياسة الفرنسيين يجندون كل ما توفره لهم ثقافتهم من ظرف ولباقة ومرونة لغوية ومنطقية ، لاقناع الناس بأن فى جعبة وزارة الخارجية الفرنسية حلا جديدا لهذه الأزمات والضائقات التى تعانيها فرنسا فى آسيا وإفريقيا ، فيما تنشره فى الملأ العالمى من تفاصيل « الاتحاد الفرنسى » الذى تطمح فرنسا بواسطته أن توازى فى الحقوق والواجبات بين سكان فرنسا وسكان المستعمرات والمحميات الخاضعة للفرنسيين

ترى ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء وما حظ هذا « الحل » الفرنسى من النجاح ؟ وهل حقا أن الامبراطورية الفرنسية ذات سبعة أرواح ، أم أنها تمر الآن فى مثل ما مرت به الامبراطوريات فى التاريخ القديم والحديث من رقى وانحطاط

وحقيقة الأمر أن نعرف اليوم أنها أكبر إمبراطورية معاصرة بعد أن تضاءلت ممتلكات بريطانيا فى عالم ما بعد الحرب . فلفرنسا اليوم سيطرة مباشرة على حوالى ٧٧ مليونا من البشر يعيشون فى فسحة من الأرض مساحتها تزيد على ٤ ملايين ميل مربع ونصف ميل ، موزعة على القارات الخمس ، بحيث لا تغيب الشمس عنها . وهذه المساحات الشاسعة مرتبطة بفرنسا بخطوط أصبحت من الوهن بحيث لا يدعمها اليوم إلا الحديد والنار ، سواء فى الهند الصينية الفرنسية أم فى شمال إفريقيا العربية . وفرنسا اليوم برغم لباقتها فى إقناع الناس بأن الاتحاد الفرنسى فى صيغته النهائية سيحل محل الحديد والنار ، كدعامة للروابط الودية بين فرنسا ومستعمراتها ومحمياتها ، إلا أن خبراء الشؤون الفرنسية لا يؤمنون بذلك ، ويصرون على أن جوهر سياسة فرنسا الاستعمارية اليوم ، يهدف إلى التخلص والتملص من المستعمرات فى آسيا والمحيط الباسفيكى ، وتركيز الجهد فى شمالى إفريقيا العربية ، وجعلها « امتدادا » جغرافيا للوطن الفرنسى ، وتحويل هذه المنطقة العربية إلى حصن منيع للثقافة والحضارة الغربية ، تحيى فرنسا فيه موات ثقافتها اللاتينية فى أمن ورخاء لا توفرهما لها اليوم الأرض الفرنسية وما يحيط بها من أخطار الهجوم الألمانى والسيطرة الشيوعية » على حد قول كاتب أمريكى خبير بالشؤون الفرنسية فى العدد الأخير من مجلة « عالم الأمم المتحدة »

ولعل هذا يفسر لنا سر هذا التعنت الشديد ، والتحرش الصاخب الذى تعالج به فرنسا مشكلة تونس والجزائر ومراكش ، والقسوة الدبلوماسية العنيفة التى لجأت إليها فرنسا فى مواجهة الدول العربية والآسيوية التى تبنت قضية شمالى إفريقيا أمام الأمم المتحدة

إذن فخرافة « الحل » الفرنسى وفكرة « الاتحاد الفرنسى » وأسطورة الامبراطورية ذات السبعة أرواح ، ليس إلا رمادا تذره فرنسا فى عيون الناس ، لتعميهم عن حقيقة الهدف الذى تطمح فرنسا فى أن تعالج به مآزقها الامبراطورية ، وهو هدف واقعى يعترف بأن الامبراطورية الفرنسية لن تستطيع العيش حتى بسبعة أرواح ، وأنها اختارت أن تقصر قبضتها الشديدة القاسية على أقرب المناطق لها ، وهى شمالى إفريقيا العربية

وإذن فالامبراطورية الفرنسية فى تفكك وانحلال . وعلماء النفس يقولون لك إن المرء حين يعتريه نوع من التفكك والانحلال يميل إلى العنف والقسوة فى أغلب الحالات . ولعل هذا يفسر هذه القسوة العنيفة الشريرة التى تمارسها فرنسا ضد إخواننا المغاربة ، قسوة لا حدود لها ، فقد أهلكت الحراب

الفرنسية فى الجزائر منذ سنوات قليلة ٤٠ ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، فى حملة « تأديب » واحدة . وحوادث تونس اليوم مثل واضح على هذه القسوة الفرنسية . ألوف من الفرنسيين ، قادة ورعايا قابعون فى غياهب السجن وقيود الاعتقال ، وحراب سنغالية سوداء تفتك بالنساء والأطفال والرجال ، وكلها تشهد بذلك حوادث « كاب بون » الأخيرة ، واضطهاد مرير بمانيه المراكشيون ، اضطهاد ومذلة تشهد بها مواخير منطقة « القصبة » فى الدار البيضاء ، حيث يعمرها بنات السادة والأشراف اللاتى شردهن الفرنسيون من جبال الأطلس والمدن المراكشية بعد ثورة الريف والثورات العديدة التى أتت فى أعقابها ولا تزال

ويحب كاتب هذه السطور أن يروى على سبيل المثال حادثة واحدة تشهد على « فضائل » الحضارة الغربية التى تنوى فرنسا أن تجعل إفريقيا العربية حصنا منيعا لها . فقد زرت مدريد منذ بضعة أشهر ، وأثار تطفلى أحد خدم فندق «ريتز» الذى كنت أقيم فيه ؛ فقد كان شيخا وقورا محنى الظهر ، فى عينيه مذلة وانكسار تبعث فى النفس الحنان له والرغبة فى مؤاساته . ولم يكن يعرف أننى عربى ، ولم أكن أعلم أنه من سادة قبيلة جليلة القدر فى جبال الأطلس المراكشية . ولما تم تعارفنا وأنفقنا الساعات يسرد على فيها مأساته السياسية ، وقسوة النفى والتشرد على كرامته وشيخوخته ، لمحت أنه يخفى سرا لم أستطع استدراجه إلى الحديث عنه فى جلستنا الأولى ، فقد كانت كرامة الرجل وطيب محتده أعظم وأرفع من أن يعترف بسره الدامى إلى صديق عابر

سر وأى سر ! سيد فى قومه يوثق بالقيود ، ويشاهد الضباط الفرنسيين يفتكون بعرض بنته الصغرى ، ويتناولونها الواحد بعد الآخر ، ثم يرمونها كما لو كانت قطعة من العظم إلى الجنود السنغاليين، الذين كانوا يفتكون بامرأته فى حظيرة الدار . وقد وجد الرجل فى (مدريد) مصدرا للعيش ، ولكنه فيش ذليل ، يزداد مذلة كلما تذكر الرجل أن ابنته الآن عاهر فى ماخور ملحق بمعسكر فرنسى فى الساحل المراكشى . ولولا أن الانتحار محرم على المسلمين لما فضل هذا السيد الوقور الحياة يوما واحدا

ومع ذلك فدعوة فرنسا إلى جعل إفريقيا الشمالية حصنا منيعا للحضارة الغربية تجد — مع الأسف المرير — فى أوربا وأمريكا بعض الآذان الصاغية

وعلى قدر هذه الشناعة الفرنسية يتأجج حماس المغاربة العرب فى تحقيق السيادة القومية والتخلص من الاستعمار الفرنسى . ولذلك فإن كل ما يعترض هذه الحركات الوطنية فى تونس ومراكش والجزائر من عقبات ومصاعب ، لن تقوى على جعلهم حصنا للحضارة الغربية ، فالمسألة ليست مقصورة على كف أعزل يلاطم حربة حادة الرأس، فجوهر الصراع فى المغرب العربى يستند إلى أعمق ما فى المبادئ من معتقدات خلقية ودينية بالاضافة إلى المبادئ السياسية والاقتصادية . ويبدو أن الامبراطورية الفرنسية قد أخطأت اختيار المكان والزمان لتحويل هذه المنطقة العربية الإسلامية إلى حصن منيع للحضارة الغربية .. فليست هذه هى المرة الأولى التى تواجه فيها العروبة والاسلام هذا النوع من الصراع الخلقى والدينى

ومادامت العروبة والاسلام راسخين فى بلاد المغرب، ومادام الزمن يخدم الآن الشعوب العربية والاسلامية فى المعترك الدولى ، ومادامت دعائم « الحضارة الغربية » قد طوحت أو كادت تطوح بالوطن الفرنسى نفسه .. فإن زوال الامبراطورية الفرنسية أمر لا مفر منه حتى لو كان لهذه الامبراطورية سبعة أرواح. فروح واحدة شريفة المبدأ .. صقلتها الآلام والتجارب.. كفيلة بأن تدمر وتشهد هلاك هذه الأرواح السبعة

بقى أن يشارك العرب والمسلمون إخوانهم المغاربة فى هذا النوع من الصراع «الإمبراطورى» اللامين مشاركة جدية

نيويورك

عمر حليق

٣ — إندونيسيا

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

جنة المأوى :

الله فى حسناء ذات عذار   (جاوا) وربك جنة الأبرار
هذى الطبيعة قد بدت فى قاعها   للقلب فاتنة وللانظار
جمت فأوعت من بدائع آيها   سورا مفصلة وغير قصار
الله أكبر كم وراء جمالها   أفق من السحر الحلال السارى
الله أكبر إنها من جنة الـ   ـخلد التى وعد العباد البارى

هذه أبيات من قصيدة يتغنى فيها أحد الشعراء بجمال جاوة وسحرها ، وفيما يلى وصف لأشهر الجزائر الإندونيسية

جاوة أكثر الجزائر الإندونيسية عمرانا وسكانا وإن لم تكن أكبر مساحة . على أنه ليس معنى ذلك أنها جزيرة صغيرة جدا إذ تبلغ مساحتها ١٣٢٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ خمسين مليونا من الأنفس وهو عدد ليس بالقليل. فسكان مصر عشرون مليونا ، وسكان بريطانيا بأسرها أقل من عدد سكان جاوة وحدها

ويلاحظ أن هذا العدد من السكان جعل جاوة من أكثر جهات العالم ازدحاما بالسكان، فإن نسبتهم تقدر بنحو ألف شخص فى الميل المربع . وأنا أريد أن أصل إلى شئ آخر ، ذلك الشئ هو أن جاوة جزيرة غنية وفيرة الموارد كثيرة الخيرات .. وإلا ما استطاع هذا العدد الضخم من السكان أن يعيشوا فيها ، ذلك لأن الإنسان لا يعيش إلا حيث تتوافر له سبل الحياة من مسكن وغذاء.. وهى جميعا موفورة فى جاوة

وجاوة جزيرة مستطيلة تقع عند خط الاستواء، وتتوسطها سلاسل من الجبال، وتمتد على سواحلها الشمالية والجنوبية سهول خصبة يجرى بها عدد كبير من الأنهار، يتجه بعضها إلى الجنوب حيث يصب فى المحيط الهندى ، ويتجه بعضها شمالا حيث يصب فى بحر جاوة

والجبال فى جاوة جبال بركانية مما جعل تربتها غنية خصبة ، وقد ساعدت خصوبة التربة وغزارة الأمطار على وفرة الإنبات مما جعل جاوة من أغنى مناطق الإنتاج الزراعى فى العالم

ومناخ جاوة والجزائر الإندونيسية لطيف معتدل برغم وقوعها عند خط الاستواء ، ويرجع السبب فى ذلك إلى ارتفاع سطح الجزائر وإلى إحاطة البحر بها.. فقد خفف هذان العاملان من حدة الحرارة وجعلا المناخ لطيفا معتدلا

وجاكرتا عاصمة الجمهورية الإندونيسية وعاصمة جاوة، ويمكن أن تسمى قاهرة الشرق الأقصى ، فهى تشبه القاهرة إلى حد بعيد ؛ فسكانها تأخذ بأسباب المدنية الحديثة : عمارات شاهقة ، وسيارات فاخرة، وشوارع مزدحمة، ومحال تجارية كبيرة، ورجال ونساء يأخذون بأسباب المدنية الحديثة فى حياتهم وأزيائهم

وقد نمت جاكرتا كثيرا بعد الاستقلال وتزايد عدد سكانها واتسعت رقعتها ، وتعتبر مركزا هاما للطيران ، وهى سهلة الاتصال بباقى أنحاء جاوة وبباقى جزائر الإندونيسية والعالم، سواء بطريق البحر أم بطريق الجو

وفى جاكرتا فنادق ودور سينما ومطاعم من الدرجة الأولى، وفيها حديقة للحيوان وأحواض لأنواع السمك المختلفة وأماكن للألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها

وفى جاكرتا مدارس ابتدائية وثانوية وعالية وعدة كليات للجامعة الإندونيسية ، منها كلية الطب والحقوق ، وفيها متحف ومرصد يعتبر من أقدم المؤسسات العلمية فى جنوب شرق آسيا إذ يرجع تاريخ تأسيسه إلى ١٨٥٨

ومحطة الإذاعة بجاكرتا تملك أقوى أجهزة للارسال والاستقبال فى جنوب شرق آسيا ، وتذيع يوميا بسبع لغات

ويبلغ عدد سكان جاكرتا مليونين من الأنفس

سومطرا:

إحدى الجزر الكبرى.. ويفصلها من شبه جزيرة الملايو مضيق ملقا. وتبلغ مساحتها ٤٧٣٦٥٩ كيلومترامربعا وسطحها جبلى، وفيها بحيرات وأنهار كبيرة تصلح للملاحة ، وبها مزارع كبيرة للمطاط والتبغ والشاى ، وبها معمل لتجفيف الشاى يعد أكبر معامل الشاى فى العالم على الاطلاق

ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، وعاصمتها ميدان دبلن وقد كانت هذه الجزيرة أول مهد الإسلام فى إندونيسيا

بورنيو :

أكبر الجزائر الإندونيسية بعد غينيا الجديدة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٣٩٤٦٠ كيلو مترا مربعا، ويتبع ثلثها الشمالى لبريطانيا، أما الثلثان الباقيان فقد كانا تابعين لهولندا ، وبعد الاستقلال أصبحا جزءا من الجمهورية الإندونيسية . ويبلغ عدد سكانها حوالى مليونين ونصف تقريبا ويشتغلون بالتجارة والزراعة والصناعة وصيد السمك ، وعاصمتها بانجارماسين

جزيرة بالى :

وتقع شرق جاوة ويفصلها عنها بوغاز بالى ، وهى جزيرة صغيرة ، إذ تبلغ مساحتها ٥٤٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويبلغ عدد سكانها ١٫٣٦٢٫٢٥٠ نسمة ومعظمهم وثنيون

وهذه الجزيرة مشهورة بطبيعتها الجيلة وفنونها وآثارها التى تجذب السياح إليها من جميع بقاع الأرض ، وممن زارها شارلى شابلن وبرنارد شو وويلز

ويعنى أهلها بالرقص بنوع خاص ، إذ يعتبر الرقص فى نظر سكانها جزءا ضروريا لحياتهم ولا عجب فى ذلك ، إذ أنهم يعتبرونه طقسا من الطقوس الدينية . والقرية التى لا تملك جوقة موسيقية أو فرقة راقصة تفقد احترامها وقيمتها فى عين السكان فيبادرون إلى تلافى هذا النقص ورفع هذا العار

هذا وصف مختصر للجزر الإندونيسية العامة

إندونيسيا رايا :

قامت فى السنوات الأخيرة محاولات لإقامة إندونيسيا العظمى ، وهى تهدف إلى جمع جميع الجزائر الإندونيسية تحت راية واحدة، أو بعبارة أخرى أن تكون الملايو والفلبين والجزر الإندونيسية الحالية دولة واحدة ، وبهذا التوحيد تبلغ مساحة إندونيسيا رايا ٩١٠٫٥٦٢ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٩٣٫٧٨٠٫٨٣٣ نسمة ، ٩٠ ٪ منهم مسلمون . حقق الله الآمال

الحياة الاجتماعية :

تمتاز الحياة الاجتماعية فى إندونيسيا بأنها حياة شرقية إسلامية ، فالعلاقة بين أفراد الأسرة متينة، والتعاون بين السكان سواء فى القرية أو فى المدينة قائم . هذا وحياة إندونيسيا الاجتماعية مصبوغة بالصبغة الإسلامية إلى حد بعيد ، فالأخلاق الإسلامية تتغلغل فى نفوس الإندونيسيين تغلغلا عميقا ، فتراهم يكرهون الرياء والتظاهر ، ويتمسكون بالدين تماما

وفى أوائل القرن العشرين كانت الحياة العامة فى إندونيسيا من فكرية واجتماعية وسياسية فى حالة خمول وركود ، وما لبث الإندونيسيون أن تنبهوا إلى حقيقة مركزهم، فتكونت الجمعيات التى تهدف إلى الاصلاح، وكان فى مقدمتها الجمعية المحمدية وقسمها الخاص بالنساء المسمى بالعائشية ، وكان شعارها « قليل الكلام كثير العمل » وكانت ترفض الاعتراف بفرع لها إلا إذا قام بعمل اجتماعى ملموس مثل إنشاء جامع أو مسجد الخ

وبفضل نشاط المصلحين والجمعيات تنبه الوعى القومى فى إندونيسيا حتى حقق الله لها الاستقلال

والمرأة الإندونيسية لم تعرف الحجاب ولكنها كذلك لم تعرف الابتذال ولا الاختلاط المزرى، فلم تدخل حماما مختلطا ولا مرقصا ، ولم يستطع المستعمرون أن يفتحوا ماخورا واحدا فى البلاد !!

من أجل هذا أقبل الإندونيسيون على أفلام مصر السينمائية أول الأمر لأنهم يحبون مصر ، ولكن لما وجدوا فى الأفلام المصرية من ابتذال انصرفوا عنها وقاطعوها. وهكذا أضر مخرجو السينما بسمعة مصر وبمركزها !!

وقد قامت المرأة الإندونيسية بنصيبها فى ميادين النشاط الاجتماعى ، وكانت ما تزال مثلا كريما للمرأة الكريمة . ومن أعظم نساء إندونيسيا المرحومة رادين كارتينى ، فقد تزعمت حركة الإصلاح الاجتماعى ورسمت فى رسائلها «من الظلمات إلى النور» الخطة المثلى التى تسير عليها المرأة الإندونيسية فى جهادها الإصلاحى . وبفضل تعاون الإندونيسيين رجالا ونساء تحقق استقلالهم

للكلام صلة

أبو الفتوح عطيفة

حول قبر الاسكندر

للأستاذ عبد المنعم مختار

« يقول المعاصرون بأن قبر الإسكندر نفس مسجد النبي دانيال نفسه إن لم يكن تحته والذى كان يدعى منذ القرن السابع عشر باسم مسجد سيدى الاسكندر »

رأى القدماء

إن المصادر القديمة تحدثنا بأن الإسكندر أوصى قبل وفاته بأن يدفن بواحة الإله آمون (سيوة) ولكن بطليموس سوتير عمل على دفنه بمدينة ممفيس حسب عادة المقدونيين فى الدفن . وجاء بطليموس الثانى الفيلادلفي بعد والده ونقل الجثة إلى الاسكندرية ، وأخبرنا بوزنياس عن ثورة الرأى العام عليه واعتبر نقله إلى الإسكندرية إجراما وشناعة أكثر مما فعله بتزوجه بأخته أرسنيوى — لإقلاقه راحة البطل العظيم فى مضجعه الأخير — وكذلك لم يلق من بلاطه وأعوانه أى استحسان لهذا النقل لجدث ملك عظيم اعتبر فى مصاف الآلهة . وابتنى له قبراً فى غاية الفخامة والإبداع ، وكان الضريح داخل الأرض ، أما البناء الذى أقيم فوقه فكان يشتمل على سلم الدخول كعادة المدافن والمعابد الإغريقية ، ثم فناء مربع هو الناووس (اوبيستودوم) ثم ممر طويل يصل إلى الضريح الموجود به النعش وقد ألحق به معبداً للكهنة القائمين بإجراء الطقوس الدينية : ثم تطوق المعبد أروقة دائرية شيدت فى عصور متأخرة

ولما كان الاسكندر مؤسس الدولة الإغريقية فقد اتخذ الملوك مدافنهم حول قبره بعد حرق جثثهم كما حدثنا بوليب بالتفصيل ، وقد شيد فيلادلفيوس مدفنا لوالده سوتير ، ولنفسه ولزوجته . ويحدثنا كورعون عضو متحف الاسكندرية فى سنة ٨٠ بعد الميلاد عن القبر بمخطوطه الذى نشره الدكتور بوتى ... أما قبره هناك فكان مزينا بالرخام وهو مضجع فى ناووس محفور اسمه على غطائه ، وحول نعشه قبور من الحجر السماق أقل فخامة من قبره هي قبور الملوك السبعة وزعيمهم بطليموس سوتير ...

وتخرج بنتيجة هامة حققها ودرسها كل من الدكتور بوتى والأب [1] لويس ملحة فى أن القبر [2] كان فى منطقة صارت مدفنا ملكيا بوسط المدينة

الآراء الحديثة

وجاءت الآراء الحديثة بجديد عن قبر الإسكندر كذب البعض دفنه بالاسكندرية والبقية التى حبذتها انقسمت على أنفسها إلى ثلاث فرق : الأولى فى أن القبر تحت مسجد النبى دانيال وهذا ما سأناقشه تفصيلا ، والآخر فى منطقة المقبرة الشرقية ، ورأى آخر بعيد الاحتمال هو بالمقبرة الغربية

وإنى أتقدم برأيى المتواضع وقد يكون على خطأ وقد يكون صائباً .. وإن كان فيه مسحة من الصواب فإنه ليقارب الآراء الأخرى البعيدة الاحتمال والتصديق

قيل بأن قبر الإسكندر كان فى [3] منطقة طريق السما المتقاطع [4] مع شارع كانوب (النبى دانيال وفؤاد الأول) وهو يمتد من بحيرة مريوط جنوبا إلى شاطئ البحر الأبيض شمالا بالقرب من شبه جزيرة ممزل تيمونيوم والمكتبة ودار الحكم والسوق والجنازيوم .. وقد ورد بأشعار هيرونداس وآراء الدكتور برتشيا بأن معبد السرابيوم ومسلات كليوباترة الشهيرة كانت بأول الطريق ، وإن بنهايته يوجد منتزه بيوم . إذاً فقبر الإسكندر إن وجد فمن البداهة أن يطل على الميدان والمنتزة لكى تظهر روعته ، وإن كان على الميدان فهل هو عن يمين أو يسار الشارع ؟ يقول استرابون لوصفه القبر بأنه كان عن يمينه عند دخوله الإسكندرية . فهل دخل الاسكندرية عن طريق شارع السما من جهة البحر ؟ أم عن طريق الميناء الداخلى بمريوط ؟ إنه قد دخل بطبيعة الحال عن طريق السما ومنه [5] فإن القبر عن يمينه أى يمين الشارع . والذى أراه عند تطبيق

(١) مجلة الجمعية الأثرية بالاسكندرية عدد ٢١ سنة ٢٥

(٢) مجلة كلية الآداب بالاسكندرية عدد ٤ ص ١٢٩ الأستاذ زكى على ، تاريخ مصر الأستاذ إبراهيم نصحى

(٣) فؤاد فرج — الاسكندرية ص ١٧

(٤) Zoghed Etuds sur l'art Alexandrie

(٥) مجلة كلية الآداب عدد ٢ ص ١٦٢

مبادئ هندسة تخطيط المدن القديمة والرجوع إلى تخطيط (٦) المدن القديمة كمدينة صور مثلا نجد أن القبر يوجد على الجهة اليمنى لوجود كثير من المخلفات ، منها مخلفات معبد على الطراز الدورى وأعمدة كورنثية بالجهة اليمنى من الشارع ، ولما توسع الملوك بنوا مقابرهم حول هذا الضريح كما يجزم الأستاذ زكى على ببحث له بمجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الثانى ، والدليل على ذلك وجود أعمدة بجوار مسجد سيدى عبد الرازق فى نفس الشارع وهى ولا شك معابد تكميلية لقبر الاسكندر أو المعبد ذو الأروقة الدائرية التى بجوار القبر . والذى يرجح هذا الرأى وجود بقايا مقابر ملكية اكتشفتها البعثة الفرنسية بالقرب من ذلك المكان (مسجد العطارين — وشارع محطة مصر القديمة) والعثور على ناووس ينسب إلى الاسكندر والذى أدى إلى رأى الأستاذ إن ويس (٧) المشهور عن عصر الاسكندر ودفنه فى تابوت نقل من قبر أمير فرعونى من الأسرة الثلاثين

معبد ومقبرة الاسكندر



رسم تخيلى للقبر

الفرض السادس عشر

ذكر الرحالة مارمول بأن قبر الملك إسكندر يقع على (٨) بعد ٣٠٠ متر من كنيسة القديس مرقص الموجودة بشارع النبى دانيال ، وعند التطبيق نجد أنه لا ينطبق قياسيا على مسجد النبى دانيال، ثم إن المقياس إن عين مكانا وكان صحيحا فى تعيينه مكان القبر فهو لم يذكر هل المكان يوجد عن يمين أو يسار المكان المتخذ مبدأ للقياس . واستنادا (٩) على رأى الدكتور بونى فى أن القبر يوجد بالجهة اليمنى وبوسط المدينة ، ومن الحفريات التى أجراها الأستاذ (١٠) حسن عبد الوهاب بمنطقة المسجد ، وبالرجوع إلى أبحاث كل من الأستاذ(١١) أرثرإين أمين متحف فيكتوريا وابرت الدكتور (١٢) إن ويس المنشورة بنفس المجلة يتضح بأن منطقة القبر والمسجد والقبر هى من بقايا العصور العربية القديمة..وقد فصل الأستاذ حسن عبد الوهاب فى المسألة بأن القبر ليس موجوداً بتاتاً بهذا المكان وخرج إلى التأكيد بأن منطقة كوم الديماس (كوم الدكة الحالية) كانت مقبرة إسلامية منذ القرن الثالث الميلادى

هل كان قبر الاسكندر معروفا فى العصور القديمة ؟

إن يد التخريب قد أحدثت بهذا الهيكل كثيرا من الآثار ، فقد سلب بطليموس الحادى عشر تابوت الإسكندر الذهبى وبدله بآخر من مادة زجاجية (وقيل من نوع(١٣) من الرخام الشفاف جدا) كما زادت كليوباترة الأخيرة على فعل سلفها بأن سلبت المقبرة كل ما هو ثمين . ولم يقتصر الغزو الأجنبى على فتح وتدمير البلاد، بل عمل على سلب محتويات المقابر . وفى القرن الثالث انقادت الثورات بالحروب الدينية ضد الوثنية والحرب العامة لتفكك الامبراطورية الرومانية فنالت الاسكندرية منه الأهوال ومنها المقابر الملكية التى أصبحت أثرا بعد عين (لما هو معروف عن تعصب المسيحيين الأوائل ضد كل ما هو وثنى) حتى لنجد القديس (١٤) يوحنا فى خطبة ألقاها فى ختام القرن الرابع يتساءل « خبرونى أين يوجد قبر الاسكندر »

---

(٦) كتيب مدينة تدمر (وزارة المعارف السورية)
Gardiner objmpio. oxford 1925 delphes. pierre de la coste. Menetiere Picard la saulfture Antique de Flndies, Paris 1943

(٧) س ٤ مجلة كلية (لارب بالإسكندرية عدد ٤)

(٨) الأب لوس جلوب . مجلة الجمعية الأثرية عدد ٢ الإسكندرية فؤاد فرج س ٧٠

(٩) مجلة كلية الآداب عدد ٢ س ١٦٢ . حولية المتحف الرومانى

(١٠) تاريخ المساجد الأثرية . ١٩٤٦

(١١) مجلة كلية الآداب عدد ٥ س ١٤٣ ، ١٤٤

(١٢) نفس المجلة عدد ٤ س ١٠

(١٣) نفس المجلة عدد ٢ س ١٦٢ الأستاذ زكى على

(١٤) تاريخ الأمة القبطية . ال نفر ١٩٠١ ميلادية مجلة الجمعية الأثرية الملكية

وهناك مصدر آخر هام وهو كتاب جغرافية مصر (١٥) لأميلينو يقول ... إنهم عند ما كانوا ينزعون الأنقاض من المكان المسمى بكوم الديماس (كوم الدكة) عثروا على أدوات من الذهب يرتقى عهدها إلى عهد الاسكندر وذلك عند بناء كنيسة هناك باسم النبي إيليا ويوحنا فى زمن توفيل بطريق الاسكندرية فى القرن الرابع ... ومن قوله يتضح بأن بقايا القبر كانت موجودة بكوم الديماس ، فهل نزعت تلك الأنقاض من تحت التل — الذى نشأ فى عصور تلت بناء المقبرة فغطاها — لبناء تلك الكنيسة وهى التى تكبد مجهوداً جباراً فى إزالة الأتربة للوصول إلى تلك الأنقاض فى مستوى المدينة القديمة .

هل القبر تحت مسجد النبي دانيال ؟

اتضح من البحث أنه لا أصل لتسمية المسجد باسم النبي دانيال لأن هذا النبي الكريم دفن ببلاد العيلام بمدينة السويس كما هو وارد فى الكتب المقدسة وطبقاً لتحقيقات كثيرة تفيد ذلك ، منها رأى فضيلة الأستاذ بشير الشندى المسهب . وهذا المسجد لم يظهر للوجود إلا فى خلال القرن السادس عشر تقريباً . ولم يذكره أحد من المؤرخين والرحالة من العرب قبل ذلك التاريخ علما وهم معروفون بذكر التفاصيل والاطناب وذكر الروايات المتعددة والمصادر المتضادة . فلم يتعرضوا لهذا

الاسكندرية فى عصر استرابون

ومن هذا نخرج بنتيجة هامة وهى أن المؤرخ لم يكن له قصد معين فى تعيين مكان رفع الأنقاض والتى ولا شك انتزعت من المكان القريب جداً ، الذى يكاد يقارب بناء الكنيسة الموجودة على التل والتى بنيت عليه ثم قام على أسسها على مر الزمان مسجد يعرف باسم النبي والملك اسكندر ، ولقربه من قبر الاسكندر سمى بهذا الاسم

المسجد ولو بإشارة بسيطة مما يدل على عدم وجوده فى تلك الفترة من الزمن — فالحافظ السلفى وصف كوم الديماس بأنه مقبرة إسلامية ، وجاء البلوى فى القرن السادس الهجرى فوصف المدينة وآثارها والفنار ولم يتعرض لذكر المسجد . ثم تلاه ابن جبير (١٦) والبغدادى (١٧) اللذان وصفا كل آثار الاسكندرية

(١٥) جغرافية مصر

(١٦) رحلة ابن جبر

(١٧) كتاب الإفادة والاعتبار

عدا المسجد وكان يستحق بعض عنايتهم إن وجد. ثم جاء بعدهم مؤرخو القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي مثل ياقوت [18] والمقريزي [19] والسخاوي [20] وغيرهم وكانت أخبارهم سلبية عن المسجد. حتى إن الرحالة الأجانب في تلك الفترة الذين وصفوا دقائق المدينة وخباياها لم يتعرضوا بأي إشارة عن المسجد والقبر مثل سبرباك دي إنكوناه، وليون الافريقي. ثم جاء الرحالة مارمول في منتصف القرن السادس عشر فذكر أن قبر النبي إسكندر كان في وسط المدينة بين الخرائب قريبا من الكنيسة المرقصية المجاورة لمسجد النبي دانيال والمسافة بينهما ٣٠٠ متر أي أن هناك قبر الملك والنبي إسكندر وقبر النبي دانيال. وهذا دليل على أن القبر ليس بمسجد النبي دانيال

ومن الوقائع السالفة نخرج بنتيجة هامة جدا وهي أن القبر زال من الوجود منذ القرن الرابع الميلادي. ثم إن المؤرخين العرب لم يتعرضوا لشيء غير موجود حتى ظهر أخيرا بعد أحد عشر قرنا باسم النبي اسكندر في عصر المماليك. فليس من المعقول إن كان المسجد موجودا أن يتجاهله القوم أحد عشر قرنا من الزمان لم يتعرض له في خلالها أي مؤرخ

في العصر الحديث:

وفي القرن الماضي ادعى أحد تراجمة القنصلية الروسية أنه وجد سردابا تحت مسجد النبي دنيال ومنه شاهد ناووس الملك الزجاجي وحوله قراطيس وكتب من البردي. والظاهر أنه قد قرأ قول استرابون في وصف المقبرة، حتى إن محمود الفلكي باشا عند ما عين المكان وجد أنه مملوء بالحجارة وقطع الرخام علاوة على الرطوبة التي تتلف الكتب (وهذا المكان هو قباب وصهاريج ماء رومانية) ثم إن هناك رأيا آخر في أن التابوت من مادة رخامية شفافة جدا وليس بزجاج فكيف ادعى الترجمان بأنه من الزجاج؟ جاء الأستاذ حسن عبد الوهاب وأجرى حفرياته عند ترميم المسجد فوجد صهريج ماء ملاصقا للايوان العربي

(١٨) معجم البلدان
(١٩) المواعظ والاعتبار
(٢٠) تحفة الأحباب

المسجد وأجرى فيه وفي منطقة حفريات (الصهريج وطابقيه ومسارب مائه الثلاثة) فظهر بأن تلك المنطقة مقامة على مقبرة إسلامية ثم وصل إلى مستوى المدينة القديمة فلم يجد أي دليل على وجود ما ينم عن وجود مباني إغريقية حتى ولا بقايا كنيسة النبي إيليا التي بنيت بالقرن الرابع في نفس المكان. والظاهر بأن هذا الترجمان قد وجد ممرا ولكنه غير قبر الاسكندر وربما كان أحدى هذه الصهاريج المنتشرة بهذا المكان

خريطة لموقع المنطقة الأثرية التي يدور حولها البحث

خريطة تفصيلية عن منطقة القبر

ويتضح بأن قبر الاسكندر موجود بمنطقة السيما ولكنه

ليس تحت المسجد لأن المسجد وأساسه وطراز مبانيه إسلامية ، وبرغم أن شكل المقبرة والمسجد قريب من الطراز الاسلامى فالدكتور ريشيا يرجع أصل المسجد إلى تلك الكنيسة الرومانية القديمة، ولذا كانت مؤثرات المسجد المعمارية غريبة عن الفن الاسلامى

أين مكان القبر الاول بالضبط ؟

بالرجوع إلى أصول (٢١) تخطيط مدينة الاسكندرية الذى أجراه دينوكرات والمقارنة بآراء المهندس هيبوداموس فى ذلك الفن ومن التطبيقات والآراء التى (٢٢) بحثها الأثريون عن احتمال وجود المقبرة فى مركز المدينة — نجد أن الإسكندر دفن فى منتصف المربع الذى يطل على منتزه بيبوم من الجهة اليمنى — ومكان القبر حاليا المربع الذى تدخل فيه الحديقة الصغيرة التى بآخر شارع النبى دانيال وجزء من الشارع وشارع كنج عثمان حتى مبانى مصلحة التليفونات ثم منطقة شارع عبد المنعم وما وراءها . ومن الاستناد إلى الآثار وبقايا المبانى التى عثر عليها عند تخطيط ميدان المحطة والميدان والباقى جزء منها — بقايا أعمدة تحت تلك الحديقة — يتضح بأن واجهة المعبد كانت منتزه وميدان محطة مصر التى هى منتزه بيبوم . أما مجموعة الأعمدة التى بجوار مسجد سيدى عبد القادر فإنها تكون (أوبيستودوم) Opistodome الذى كان يقام به الطقوس الدينية ، ومن المحتمل أن تكون جزءا من البهو والأروقة الدائرية التى كانت حول المقبرة . (والتى كان يقوم بها الكهنة الذين يخدمون المقابر الملكية) والبقايا الموجودة على يمين المقبرة بالمطازين وشارع محطة مصر القديمة وشريف على بقايا مقابر الملوك السبعة

ومن وصف المقبرة الذى أوضحه استرابون يتضح بأن الضريح والمعبد يقارب طراز (٢٣) معبد البارثينون من حيث الفناء المربع وأن السلم المرتفع الذى يتبعه البهو مباشرة يشابه معبد la fortune virile theseion فى طرزه

هذا هو رأيى وقد يكون على خطأ ولكن فيه أجزاء كثيرة على صورة صحيحة

وهناك رأى له وجاهته اضطررت إلى التحقق من مناهج بحثه ودراسته ويقدمه المهندس السكندرى جان نيقولا بيدس، وهو « أن قبر الإسكندر ليس فى منطقة السيما إذ ليس من المعقول وجود مقابر الملوك فى حى الأعمال بالقرب من التياترو والسوق والمكتبة والجنازيوم بل هو فى حى الدلتا (حى الدلتا) الشرق بالقرب من الباب السكانوبى حيث معابد إيزيس وضريح مثلا رنيوتيس وتميزيس حيث المقبرة الشرقية المشهورة بالقرب من قبر كليوباترة وأنطونيوس كما يذكرنا به ديوكاسيوس »

وقد استند المهندس على أدلة فى تاريخ هندسته ومن تاريخ تخطيط المدن القديمة بعد دراسة عشرين عاما وقد استعان بقول استرابون السالف الذكر « أن قبر الإسكندر على يمينى عند دخولى المدينة» والذى يعضد رأيه أن المصادر التى استعان بها تذكر لنا أن القبر بالقرب من قبرى كليوباترة وأنطونيوس القريبة من معبد إيزيس الموجود برأس لوكياس (السلسلة حاليا) حيث مقابر ضاحية اليوسيس والحى اللوكى وحيث مقابر الأكابر والعظماء . فهل من المعقول دفن الإسكندر فى منطقة السيما البعيدة فى داخل البلاد بالقرب من السوق ؟ أم بالقرب من مدخل المدينة الا وهو الساحل

وإن رأيه فى قول استرابون يمكن تطبيقه على مكان القبر بالقرب من مدخل المدينة من الجهة اليمنى إن دخل عن طريق البر، والمعروف عنه أنه دخل عن طريق البحر لاستعماله فى الوصف.. البحر جدا شماليا لها . وقد عين المهندس مكان المقبرة بالشارع الذى يفصل مقابر الكاثوليك عن الأروام بالشاطبي

وإن العثور على قبر صديق للاسكندر وقائد من قواده بتلك المنطقة والعثور على مقابر فى سنة ١٨٦٦ بالقرب من الباب الكانوبى الملاصق لسور المدينة القديمة فى الشمال الشرقى حيث معابد ديميتر الذى بناها بطليموس الثانى والتى تخص المبموثين الدينيين واكتشاف مقابر لأكابر الجند فى نفس المنطقة محفورة فى الصخور ومكتشفها هومارت دينيسيون ١٨٩٤ والكونت دى زغيب ١٨٩٢ تؤيد قول الأستاذ نيقولا بيدس — وإن كان لم يعتمد على تلك المراجع — من أن المقبرة الشرقية جزء من مدافن العظماء لأنها المكان القانونى للدفن حسب الطقوس والتقاليد اليونانية .

---

21. Suard Essais sur l'Indendification des monuments d'— Alexandrie 1895

22. Gauthier un nouveau decret *trilingue* *stalémaque* paris 1932 Gardiner obymfia oxford 1925

وهذه الآراء تؤيد رأيه نظريا ولكنها ليست أدلة يقينية واضحة بل نظريات هندسية استنتاجية ، فإن كانت تتطابق في مدن أخرى .

فإن ظروف مدينة الإسكندرية من حيث الظواهر الطبيعية تخالف ذلك . فأرض المدينة رملية — فأنى للبنائين القدماء حفر تلك المقابر العظيمة في باطن الأرض والتي أصبحت من الشروط الأساسية في طقوس الدفن عند البطالسة والرومان

وهناك رأى آخر لا أجد بدا من سرده ، هو أن المستر ألن رو مدير متحف البلدية سابقا يرى أن الاسكندر دفن بالمقبرة الغربية حيث المدينة الرومانية، وقد أخبرنا استرابون بأن تلك المنطقة كانت مروجا ترعى فيها القطعان. وأظن أنه ليس هناك أدلة منطقية تعضد هذا الرأى. والأمر الطريف أن الأستاذ ألن ويس يقول إن الإسكندر دفن في منطقة مسجد العطارين واستشهد بالعثور على تابوت منهوب) ولم أجد عبارة أخرى مخففة أقدمها للقارئ) ومسروق من إحدى مقابر ملوك الأسرى الثلاثين ودفن به فكأن الإسكندر ذلك الغازى الجبار افتقر إلى تابوت من الحجر فما بالك بتابوت من الذهب

هذا هو مجمل الآراء التي قدمتها ومن ضمنها رأيي . وعساى أن أكون قد وفقت في المساهمة في كشف النقاب عن قصة قبر الإسكندر ، تلك الألغاز المجهولة لمؤسس مدينتنا المحبوبة الاسكندرية . ثم هذه هي مشكلة قبره الذي أبى علينا الزمان التشرف بمعرفة أخباره فما بالك برؤيته

المراجع الفنية

(١) مجموعة كبيرة من الخرائط عن المدينة القديمة من ممتلكات قسم الخرائط بمكتبة الفنون الجميلة بمتحف فاروق الأول للفنون الجميلة المتحف الروماني

(٢) الحفريات التي أجريت بالمدينة منذ ١٨٥٠

عبد المنعم مختار

هلن كلر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحداد

حقا أن هلن كلرن الدكتورة في العلم والفلسفة أعجوبة أمريكية تفوق جميع عجائب أميركا التي هي مجموعة عجائب العالم في هذا العصر

هذه مرأة مرضت في النصف الأول من عامها الثاني ففقدت جهازي عصبها البصري والسمعي فأصبحت عمياء صماء بكماء. بكماء لأن الإنسان لا يمكن أن يتكلم إذا لم يسمع ، يعني أنها فقدت الحاستين الرئيسيتين من حواسها الخمس ، فلم يبق لها إلا الذوق وهو حاسة يندر أن تستفيد منها في التفاهم ، وحاسة الشم وقد تستفيد منها جزءاً يسيراً جدا من الفهم والتفاهم . وحاسة اللمس أو حاسة التحسس في أناملها وكفها وظاهر جسمها . ولذلك انتقلت حاستا البصر والسمع إلى أناملها وكفها وسائر بشرتها ثم إلى جميع بدنها . فأصبح التحسس هو الشعور الرئيسي عندها ، وإنما كان لها من قوة العقل وشدة الذكاء ما يمكنها أن تقرأ وتكتب (بقلم الرصاص) ، وأن تقرأ في كتب العميان بلمس الحروف الناتئة، وأن تقرأ تقرأ من أصابع معلمتها وسائر أهلها وذويها ، وتخاطبهم بحركات أناملها على أكفهم . وأخيرا تعلمت أن تلفظ الكلمات التي يفهمها الذين يلازمونها ويعاشرونها

هذا ما يدهش له الناس في الغرب والشرق ويعجب به الأميركان وهم منشئو أميركا الحديثة أم العجائب ، فلا بدع إذن أن ندهش نحن إذ نرى هذه المرأة وهي تخاطبنا عن يد سكرتيرتها وأن لا يصدق بعضنا أنها عمياء صماء ، وأن يظنوا أنها ألعوبة أميركية للدعاية ، وليس في الدنيا فكرة أسخف من هذه الفكرة

أجل هي أعجوبة الزمان ، وربما كان أعجب منها أو مثلها عجباً معلمتها السيدة سوليفان التي لازمتها ١٦ سنة إلى أن أخذت درجاتها العلمية العالية

مس سوليفان مولودة فى سبرنفيلد من ولاية كاستشوتس التى فيها مدينة بوسطن المشتملة على جامعة هرفرد المشهورة . وهذه السيدة فى أول عمرها أصيبت بمرض أفقدها بصرها ، ولكنها لم تدخل معهد العميان إلا فى الرابعة عشرة من عمرها . وبعد حين عاد إليها بعض بصرها ، وبقيت فى المعهد إلى أن أتمت علومها وبدا منها ذكاء حاد باهر ، وقدرة فائقة على التعلم والتعليم ، وبعد نهاية دراستها اتفق أن طلب الكبتن أرثر كلر أبو هلن إلى الأستاذ أجنوس رئيس هذا المعهد يرجو منه أن يرشده إلى معلمة لابنته ، فأرشده إلى مس سوليفان هذه

والكبتن آرثر كلر من قرية توسكومبيا من ولاية آلاباما وله هناك أملاك واسعة يستغلها . وله غير هلن ابن يدعى نجاعيس وابنة صغرى تدعى ميلرد . وزوجة تدعى كايت أدمس وقد تزوجها أرملا وهو أكبر منها سنا

ورحبت أسرة كلر بسوليفان ترحابا حارا . وكانت هلن بين الخامسة والسادسة من عمرها ، فرأتها مس سوليفان طفلة مملوءة حياة وعافية ، جميلة الطلعة مشرقة المحيا ، ولها عينان كأنهما زرجستان، ليس فيهما عيب (لأن العيب فى المركز البصرى فى الدماغ) ورأت أنها كثيرة الحركة تجرى من مكان إلى مكان بلا انقطاع . وتلمس كل شىء ولا يندر أن تكسر الآنية التى تعبث بها أو تتلف المتاع الذى تمسكه

فى أول الأمر تهيبت مس سوليفان تربية هذه الطفلة وتعليمها . ولكن لما لها من دراية بهذا الصنف من الناس الناقص الحواس وما لها من الحذق فى تربيته ، وما استشفته من الذكاء فى هلن عزمت على أن تجعل منها إنسانا فائق الخواص والصفات ، وقد جملت

رأت أنها صعبة المراس جدا شديدة القدرة بالغة النشاط ، وأنها ما دامت بين أهلها يصعب ترويضها وتدميثها ، فانتقلت بها إلى منزل صغير لأهلها فى أرض لهم لا تبعد أكثر من ميلين عن توسكومبيا ، وأقامتا وحدهما هناك ، وكان الطعام يرسل إليهما من البيت كل يوم ، ولكنهما ما لبثتا هناك أكثر من أسبوعين فعادتا إلى البيت

ورأت سولفيان أن تطويعها بالقوة والعنت يزيدها شكاسة وعنادا وشراسة فقررت أن تملكها بالمحبة ، فكانت تهبها كل يوم ما توده من كعك وفاكهة ولعب أطفال ، وكان أهلها يتفاهمون معها بإشارات تمودوها ، فتحسنت عشرتها قليلا . وقررت المعلمة أن تعلمها الحروف الأبجدية بكتابتها على كفها بأصابعها ، وأول كلة أدخلتها فى عقلها بالكتابة كلة لعبة doll إذ رسمت الحروف على كفها ثم أعطتها اللعبة . ثم أخذت اللعبة منها وجعلتها تطلبها بكتابة الحروف على كفها (كف المعلمة) ثم كتبت المعلمة بأصابعها على كف هلن كلة « كعك » وأعطتها كعكة ، وهكذا فعلت فى إعطائها اللبن ووعاء اللبن الخ

وكان لهلن ذكاء عجيب فما علمت كلمة إلا حفظتها حالا ولا تنساها ، الأمر الذى سهل على المعلمة مهمتها جدا . وبدأت هلن تفهم أن لكل شىء اسما يرسم على كفها . ثم شرعت تعلمها الأفعال مثلا : شرب ، أكل ، جاء ، راح ، فكانت إذا جاءت ترسم على كف معلمتها كلمتى : « لبن . هلن » فتصحح المعلمة الجملة هكذا : « هلن تريد لبنا » ثم « هلن تريد أن تشرب لبنا »

على هذا النحو نجحت المعلمة فى تعليمها فى شهر واحد مئة كلة ، وما وجدت صعوبة إلا فى تعليمها الأسماء المجردة عن المادة كالحب أو الشر أو الطيب أو السرور . وفى آخر السنة كان رأس مالها تسعمائة كلة ، وهو قدر كاف للتفاهم والتدرج فى كسب كلات أخرى

وعلمتها فى خلال ذلك قراءة كتب العميان الابتدائية ثم الكتب الأخرى فنجحت بسرعة فائقة حتى صارت تقرأ الكتب الراقية . ثم علمتها أن تكتب حروف العميان بواسطة الآلة الكاتبة للعميان فبرعت عاجلا وصارت تكتب بها ما تريد أن تقوله

وماذا يمنع أن تستعمل الآلة الكاتبة التى يستعملها المبصرون ، فما لبثت أن صارت تكتب بها ما كانت تكتبه على الكف ، صار هذا بعد أن دخلت معهد بركنز للعميان

أما كيف صارت تكتب بيدها بقلم الرصاص الكتابة التى يكتبها الناس فأنقل رسالتها بهذا الصدد إلى مجلة سنت نيكولاس فى يونيو سنة ١٨٩٢ وكان عمرها حينئذ ١٢ سنة

« عزيزى محرر مجلة سنت نيكولاس

« يسرنى جدا أن أرسل إليك خط يدى لأنى أود أن يعرف الصبيان والبنات المبصرون الذين يقرأون مجلة سنت نيكولاس

كيف يكتب العميان . وأظن أن بعضهم يستغربون كيف نكتب السطر معتدلا لا اعوجاج فيه . عندنا لوحة مسطرة سطورا منخفضة قليلا نضعها بين الصفحات حين نكتب . فالخطوط المتوازية فى اللوحة تجرى عليها السطور . فحين نضغط بقلم الرصاص على السطر المنخفض يبقى السطر معتدلا . فنرسم الأحرف الصغرى فى القلم المنخفض والأخرى المرتفعة ترتفع إلى فوق القلم والأخرى ذات الذيول إلى تحت القلم . نمسك القلم باليد اليمنى ونرشدها بإبهام اليد اليسرى لكى نعلم أننا نرسم الحروف فى مواقعها بلا ضلال . فى بادئ الأمر تصعب الكتابة جدا على هذا النحو ، ولكن بالممارسة والمواظبة تصير سهلة جدا ، وحينئذ يمكننا أن نكتب رسائلنا إلى ذوينا وأصحابنا . إن الذين يزوروننا يودون أن يروا الطلبة العمى كيف يكتبون »

وقد نشرت مجلة آخر ساعة نموذجا من خط هلن فكان آية فى الإتقان والجمال واعتدال السطر

ولم تدع المعلمة سوليفان وسيلة للتفاهم إلا علمتها إياها . ومن ذلك أنها علمتها نطق الكلمات وإن كانت لم تسمعها ، وطريقتها أنها تضع أصابعها على فم المتكلم وإبهامها على حنجرته وتجتهد بعد ذلك أن تقلد حركات فمه وحنجرته فتصدر اللفظ مشابها لصوت المتكلم ولكن ليس بوضوح تام . وهذا يستلزم أن تعرف كل كلمة صوتية تقابل الكلمة المخطوطة بحروف العميان أو المنقورة على كفها بأصابع معلمتها ، ولا يخفى ما فى هذا من العنت والصعوبة ، ولكنه يقضى حاجة أحيانا . فأحيانا تتكلم هلن جملة لا يفهمها السامعون ولكن معلمتها أو سكرتيرتها تفهمها وتقولها للسامعين . وقد تعلمت هنا فى مصر أن تلفظ جملة « السلام عليكم »

قرأت كتابها « قصة حياتى » ، وهو يشتمل على ثلاثة أقسام : —

الأول تاريخ حياتها ، والثانى معظم رسائلها التى أرسلتها لأساتذتها وصواحبها وذويها بخط يدها بالحروف المعروفة على الطريقة المشروحة آنفا . والقسم الثالث تقارير المعلمة مس سوليفان التى كانت ترسلها كل حين بعد آخر إلى مس صوفيا هوبكنز الموظفة فى معهد العميان ومنها تتصل بالأستاذ أنا كنوز مدير المعهد . وهذا القسم هو أقصر الأقسام الثلاثة ولكنه أهمها ؛ لأنه تبسيط لكيفية تعليم هلن ووصف لسلوكها وأعمالها

ولما نجحت مس سوليفان فى التفاهم معها بالأصابع وبالكتابة وبالضرب على الآلة الكاتبة للعميان أدخلتها إلى معهد بركنز للعميان . وبقيت تلازمها حتى انتهت من العلم هناك . وإذا كانت تضرب الكلام على آلة العميان الكاتبة فلا مانع من أن تضرب الكلام بالكتابة العادية على التيب ريتر الذى نستعمله نحن

نعم إن هلن محرومة حاسة السمع ولكن جسمها يحس باهتزازات الأصوات وبارتجاجات الدوى فهى من هذا القبيل أرهف إحساسا من السامعين والمبصرين

فى ذات يوم حضرت سباق كرة القدم بين جامعتى هرفرد وبابيل ، وتقول فى إحدى رسائلها إنه كان فى ذلك المكان نحو ٢٥ ألف نفس . وكانت تحس بدوى التصفيق الهائل . قالت كدنا نخرج من جلدنا لشدة وقع الدوى علينا . وكنا نظن أننا فى ساحة حرب

وفى يوم أحد كانت هلن ومعلمتها فى نيويورك وحضرتا الصلاة فى كنيسة القديس برتولوميوس . وكان الواعظ دكتور جرز يتكلم ببطء وكانت سوليفان تنقل إليها كل كلمة تقريبا . وبعد نهاية الصلاة طلب هذا الواعظ إلى المستر ورن الذى يعزف على الأرغن أن يعزف شيئا لأجل خاطر هلن . ووقفت هلن فى وسط الكنيسة تماما حيث تكون ارتجاجات ذلك الأرغن العظيم قوية . تقول هلن : وكنت أحس أمواج صوت الأرغن تصدمنى كما تصدم أمواج البحر السفينة

ويوم كان أهل هلن ينتظرون المعلمة سوليفان كانت هلن تشعر بحركة غير اعتيادية فى البيت وأن هذه الحركة لاستقبال شخص . وإذا كان أبوها قادما فى عربته تشعر بقدومه . كان إحساسها البدنى يفوق إحساس البشر . وهنا فى مصر كانت تعرف حين يصورها المصورون لأنها كانت تشعر بصدمات النور اللامع لوجهها وبدنها ... وسئلت مرة كيف تشعر بالتصفيق الشديد فقالت أحس الأرض تميل تحت قدمى

وفى معهد بركنز استعدت هلن للدخول فى كلية ردكليف لكى تدرس بكالوريوس علوم ، فكتبت إلى رئيس الكلية أن

الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفني داود

— ٢ —

عرفنا أن الأمثال واللغة الحديث توءمان . وأن هذين التوءمين — وحدهما — استطاعا أن يسايرا الحياة على ما فيها من خير وشر ، وما فيها من فصاحة مقبولة وهجنة ممقوتة ، ثم هما استطاعا أن يكشفا عن أصول العربية الفصحى تارة ويحملا رواسب العامية الإقليمية الطارئة تارة أخرى ، ثم هما إلى جانب هذا وذاك يستجيبان للحياة ويعيشان في نفوس الناس، ويمثلان كل ما طرأ على اللغة من نماء مطرد وتطور مستمر يدل دلالة قاطعة على أن اللغة كائن حى يعيش ويتطور كغيره من الأحياء

إذا عرفنا كل ذلك فإننا بلا شك نستطيع أن نحدد موقفنا من العربية إذا أردنا أن نأخذ بزمامها ، وأن ندفعها إلى الصف الأول الذي كانت تحتله في صدر الإسلام — يوم كان القرآن وكانت الفصحى وقبل أن تختلط بالعجمي وتصاب بما أصيبت به من رواسب اللغات الإقليمية سواء في مقاطعها وإعرابها وتراكيبها

فقد هبطت اللغة العربية — بعد أن خرجت من الجزيرة — في أقاليم جديدة لم يتكلم أهلها بالعربية من قبل . وانتشرت في هذه الأقاليم بسرعة عجيبة لم يعهد تاريخ اللغات مثلها . وساعدها على هذا الانتشار أنها كانت تحمل لواء الدين الجديد في يمينها ، والانقلاب السياسي والتحول التاريخي الأكبر في يسارها . ولكن هذا الانتشار — على الرغم من كل هذه السرعة — لم يتم في يوم وليلة وإنما كان نتيجة تفاعل مستمر بين اللغتين « الغازية » و « المحلية » دام وقتا من الزمن تحققت فيه الغلبة — تارة — للغة الغازية التي فرضت نفسها في مصر وبلاد المغرب وتخوم العراق والشام ، على حين استمسكت أقاليم أخرى كالهند وبلاد فارس بلغاتها المحلية بعد أن اعتصمت بعوامل كثيرة حفظت لها طابعها القديم وأبقت عليها كيانها وثقافتها . وهي عوامل كثيرة نترك الحديث عنها إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة اللغة ومقوماتها ، ولكن الشيء الذي لابد من ذكره أن العربية استطاعت أن تترك أثرها في كلتا الحالتين لأن « الأثر » نتيجة حتمية لـ « المؤثر » مهما كان ضعيفا ، كما أن « التفاعل الكيماوي » نتيجة حتمية لـ « المواد القابلة للتفاعل » مهما اختلفت كيانها

ففي مصر تغلبت العربية على اللغة القبطية ثم تفاعلت بلغات أخرى كالفارسية والتركية . ولا زلنا نرى آثار هذه اللغات في (العامية المصرية) . أما في العراق فقد كانت رواسب الفارسية أعمق وأشد ظهورا في عاميتهم . على حين نرى شيئا من آثار التركية وقليلا من السريانية في بلاد الشام

ونحن إذا تتبعنا أقاليم الصنف الثاني التي لم تغزها اللغة العربية غزوا تاما رأينا أنها خضعت بالمثل لنظرية (المؤثر والأثر) وهذا على الرغم من قوتها السياسية ، وعلى الرغم من ابتعادها عن مركز الثقافة العربية . فأنت ترى أن اللغة الفارسية القديمة التي تسمى (الفهلوية) تتطور بسبب هذا التفاعل وتبدو في ثوب جديد هو (الفارسية الحديثة) . وقد أثبت البحث اللغوي أن ستين في المائة من ألفاظها عربي صرف . كما ترى أن اللغات الهندية التي تمت بصلة إلى الفصيلة (السنسكريتية) نالت ما نالته أختها من الأثر فظهرت إحداها في ثوب جديد هو (اللغة الأردوية) . وإن ما اشتملت عليه الأردو من ألفاظ عربية لأكبر دليل يؤيد استمرار هذا التفاعل

البقية في العدد القادم

حامد حفني داود

يسمح بحضور مس سوليفان معلمتها معها لكي تنقل إليها الكلام والأسئلة . وهي تقدم الأجوبة مكتوبة على الآلة الكاتبة . فسمح ، ولكن لما كانت تتقدم للامتحان لم يسمحوا لمس سوليفان أن تترجم لها .. بل كانوا يقدمون لها الأسئلة مكتوبة بلغة العميان على الآلة احترازا من أن تدس مس سوليفان لها بعض ملاحظات . ما دخلت هلن امتحانا إلا خرجت فائزة

البقية في العدد القادم

نقولا الحداد

وإذا كانت الأمثال — كما قدمنا في المقال السابق — تلونت بالبيئة وتطورت مع الزمن كما تلونت لغة الحديث وتطورت تماما — أدركنا بوضوح ما بين الأمثال ولغة الحديث من سمات عجيبة كشفها أمامنا الاستقراء ولم نصنعها صنعا أو نبتدعها ابتداعا، ثم إذا كانت الأمثال — وحدها من بين فنون النثر — هي التي استطاعت أن تستمر مع الزمن وتلين لهذا التفاعل الدائم كما استمرت ولانت لغة الحديث — كان خليقا بنا أن ندرك وجوه الشبه بينهما وأن نقف عندها وقفة المصلح اللغوي الذي يتلمس الطريقة المثلى في النهوض بأمر اللغة، وإن موقف المصلح اللغوي هنا يشبه تماما موقف العالم الطبيعي الذي يتوسل إلى معرفة الشيء بشبيهه. ويقيس ما غمض عليه من المسائل بما وضح أمامه منها حتى يصل من البسيط إلى المركب، أو قل هو كالطبيب المجرب الذي يستخدم دماء الأصحاء في حقن أجسام المرضى من بني الفصيلة الواحدة

والأمثال — عنده — هي النص الأدبي الحي الذي لم يعتوره الجفاف أو يلحق به الجمود أو تحجبه الصنعة أو يحول فيه التكلف والتمحل دون تذوق الناس له سواء الخاصة منهم والعامة. فما أشد حاجة ذلك المصلح إلى أن يتخذ من مادة ذلك النص المصل الواقي الذي يعيد به الحياة إلى رميم هذه الفنون اللغوية الأخرى إذا أراد أن يرفع من مستوى تعليمها ونشرها

وهكذا يصبح تعليم الأدب في مدارس المرحلة الثانية بأنواعها قاصراً عن أداء الرسالة التي ننشدها من تذوق النص الأدبي ما دمنا لا نعالجه في هذه الصورة الحية. بل إن تدريس الأدب للناشئة في صورة ما يشرح لهم من جيد الشعر والنثر يعتبر دراسة كلاسيكية تقليدية لا تصلح لهذه المرحلة من التعليم، لأن الصلة بين هذه النصوص وبين نفوس التلاميذ تكاد تكون مفقودة، بعيدة كل البعد عن متناول مداركهم. وهي صورة بتراء لا تحقق الجانب العملي المقصود في الدراسات الأدبية الحية — إلا إذا أردنا أن نخرج ناشئة يستوعبون ولا يتذوقون، ويفهمون الفكرة فهما عابراً ولا يمارسونها ممارسة عملية. إن مثل هذه الدراسات لا يمكن بحال أن تخرج أديبا إنشائيا يعالج الفكرة الأدبية ويواجهها في حيز حياته وبيئته؛ ولكنها تخرج ببغاء يردد ما لا يفهم وإن فهم شيئا أو عالجه فهو بالغراب أو بالكبريت الأحمر أشبه

***

وهنا يحق لك أن تسألني : وما علاقة تدريس الأدب بالأمثال في حياة اللغة ؟ وكيف تستغل هذا الفن في تدريس الأدب لتلاميذ هذه المرحلة — إن كانت هناك علاقة

أما عن علاقة الأمثال بفنون اللغة وآدابها فلا سبيل إلى تكراره بعد الذي ذكرته لك من صلات وطيدة بين لغة الحديث والأمثال والحياة. بينما تحس بخطورة البحث وأهمية التطبيق حين تفكر في هذا الفن وتبحث فيه على أنه وسيلة من وسائل إصلاح اللغة والنهوض بآدابها . وهي في المدرسة غير المجتمع العام

ففي المدرسة أرى أن تستغل دراسة الأمثال العربية الأصيلة في الفصول الأولى من مدارس هذه المرحلة. ويرجع المدرس في ذلك إلى الكتب المعتمدة في هذا الباب ككتاب الأمثال للميداني. ويلتقط منها بقدر الطاقة ما يقابل الأمثال العامية في معناها ومبناها ومرماها. ويستطيع المربي الحصيف أن ينجح في تدريس الأدب العربي في هذه الصورة نجاحا محققا؛ وأن ينهض بالثروة اللغوية والأدبية للأسباب الآتية :

١ — أن نصوص الأمثال في ذاتها سهلة ميسورة مهما التوت مفرداتها اللغوية؛ لاتساع معناها وجرس مبناها، ولأن لها في الغالب ما يقابلها من الأمثال العامية ولو من ناحية المعنى والمرمى

٢ — أن الناشئة في هذا المقام يحاطون بجو عربي خالص، وذلك حين يعرض المدرس إلى دراسة ما حول « المثل » من تاريخ وأحداث طريفة دعت العربي إلى إرساله في هذه الصورة وهو في بيئته العربية

٣ — وبقدر ما يكون الحديث عن الأمثال وأسباب إرسالها قريبا من جو القصة — يكون نجاح المدرس في دراسة نصوصها، لأن التلاميذ في هذا الدور حديثو عهد بدراسة

القصص فى مدارس المرحلة الأولى . وطبيعة الأمثال وانتشارها فى بيئتهم تغريهم بحفظها واستعمالها فى مواضعها من الكلام ، وتحملهم على تتبع مايقوله المدرس وما يستطنه من إثارة المشكلات خلال هذه الدراسة . وفى ذلك نجاح كبير وتحقيق الأهداف التى تدعو إليها التربية الحديثة . وهو علاج الفكرة فى حيز الحياة نفسها !

٤ — وأخيراً يستطيع المدرس فى دراسة نصوص الأمثال على الرغم من ضآلة طولها أن يحقق من الفائدة مالا يستطيعه فى تدريس درس من الشعر أو فن من فنون النثر الأخرى ، لأن هذه الأمثال تعتبر درساً فى الحياة الاجتماعية عند العرب ودرساً فى التاريخ ودرساً فى الأساليب العربية ودرساً فى مفردات اللغة — بالإضافة إلى إحياء تراثنا الأدبى القديم

وإذا زود التلاميذ بدراسة النصوص الأدبية فى هذه الصورة ومرنوا على هذا النوع من التذوق سهل عليهم أن يتذوقوا نصوصاً من الشعر والنثر فى السنوات المقبلة . كما يستطيعون بعد ذلك أن يزودوا بمجالة من النصوص تمثل تطور التاريخ الأدبى فى كل عصر . وعند ذلك يتحقق الغرض المقصود من تدريس الأدب فى هذه المرحلة — الذى يهدف إلى التذوق ومتابعة البحث

•••

ذلك فى المدرسة . . أما فى المجتمع فيتسع مجال الإصلاح ويتضاعف واجبنا فى النهوض بحياة إخواننا العامة : الفكرية والأدبية . ولدينا من إقبال عامة المثقفين على القصص وكتب الأدب ما يشجع على رفع مستوى العامية وينهض بها حتى تصبح أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه بالأمس القريب . ولن يكون ذلك إلا بعلاج لغة الحديث من الطريق الحساس الذى يميل إليه العامة وتألفه نفوسهم .. ألا وهو «الأمثال العامية» فنقدم إليهم قصصاً مبسطة يزودون فيها بهذه الأمثال . والكاتب البارع هو الذى يستطيع بلباقته أن يصل بين حاضر الأمثال العامية وغابرها ، وأن يقرب أذهان القارئين من أصولها الفصحى حتى إذا حقق هذا الغرض أخذ بأيديهم إلى متابعتها فى كتب الأدب . وهذا واجب كتاب القصة فى مصر وواجب الناقدين من علماء النفس

ومن هنا تتقارب الخطى وتسد الثغور وترمم الثلمات ويرأب الصدع ونقف من الطبيعة موقف الحكيم المتفنن الذى يستطيع بلباقته أن يتحكم فيها وأن يوجهها توجيهاً علمياً لا يتنافى مع قوانينها . أريد أن أقول : إننا بهذا القدر نستطيع أن نوجه النماء المطرد فى اللغة العربية ككائن حى ، وأن نقوم من اعوجاجها فى نفوسنا — لا فى ذاتها — وذلك العمل جدير بالتنفيذ ، وهو أعظم مما نقوم به اليوم من تعريب وتصويب

حامد حفنى داود

أستاذ اللغة العربية والتربية بمدارس المعلمين

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

— ١ —

توطئة

يعلم قراء «الرسالة» الزاهرة مدى إعجابى بشعر أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك، ويعلم القراء الكرام أيضا تعصبى له وتفضيلى شعره على شعر غيره من الفحول الكبار، ومن تحصيل الحاصل قولى أن نهضة مصر الأدبية الحديثة قامت على أكتاف ثلة نادرة من أفذاذ الرجال، كان على رأسهم شوقى الذى استطاع بما وهبه الله من عبقرية ملهمة وقريحة وقادة وعلم غزير، أن يثب بالشعر العربى إلى قمة الإبداع، بعد أن كان محنطا بقوالب من المحسنات اللفظية السخيفة، فهو بحق الحد الفاصل بين موت الشعر وحياته، لأنه رحمه الله لم يكن كغيره من شعراء القريحة، أمثال الرصافى وحافظ، يعتمد على محصوله اللغوى من الألفاظ والمرادفات، ومحفوظه من عيون شعر من سبقوه من الأفذاذ، كزميله سامى البارودى، بل كان نسيج وحده، وطرازا لا شبيه له، لأنه كان يغترف من بحر خضم متلاطم الأمواج، هو بحر العبقرية والإلهام والنبوغ. ولو لم يكن كذلك لما تقدم شاعر النيل لمبايعته هاتفا:

أمير القوافى قد أتيت مبايعا　　وهذى وفود الشعر قد بايعت معى

ولا أجد فى معرض الحديث عنه وعن شعره أصدق ولا أكمل من قول المرحوم الرافعى؛ إذ قال فيه: (١)

« هذا الرجل انفلت من تاريخ الأدب لمصر وحدها كانفلات المطرة من سحابها المتسائر فى الجو، فأصبحت مصر به سيدة العالم العربى فى الشعر، وهى لم تذكر فى الأدب إلا بالنكتة والرقة وصناعات بديعية ملفقة، ولم يستفض لها ذكر بنابغة ولا عبقرى. ولولا البارودى وصبرى وحافظ فى المتأخرين وكلهم أصحاب دواوين صغيرة لما ذكرت مصر بشعرها فى العالم العربى. على أن كل هؤلاء لم يستطيعوا أن يضعوا تاج الشعر على مفرق مصر ووضعه شوقى وحده

كل شاعر مصرى هو عندى جزء من جزء ولكن شوقى جزء من كل. والفرق بين الجزءين أن الأخير فى قوته وعظمته وتمكنه واتساع شعره جزء عظيم كأنه بنفسه الكل. ولم يترك شاعر فى مصر قديماً وحديثاً ماترك شوقى، وقد اجتمع له مالم يجتمع لسواه، وذلك من الأدلة على أنه هو المختار لبلاده فساوى الممتازين من شعراء عصره وارتفع عليهم.. إن شوقى من النفس المصرية بمنزلة المجد المكتوب لها فى التاريخ بحرب ونصر.. الخ »

وإلا فدلونى على شاعر غير شوقى تمكن أن ينظم فى كل الفنون والأبواب فيجيد ويبدع؟ أنا أعلم أن أكثر الشعراء يجيدون فى لون من ألوان الشعر فيشتهرون به كما حدث بالفعل. فأبو نواس مثلا أجاد فى الخمريات وأبو العتاهية فى الزهديات والنابغة فى الاعتذارات والمتنبى فى الحكمة وهكذا.. أما أن يجيد الشاعر فى كل باب فهذا لم يحدث فى تاريخ الشعر العربى قط ولم يتح منذ الجاهلية حتى الآن إلا لشوقى؛ لأن شوقى لم يكن شاعر مصر فقط ولا العروبة وحدها ولا الإسلام خاصة، بل كان شاعر الشرق كله أو قل الانسانية جميعها، وهكذا يكون الشعراء العالميون الخالدون. وشوقى بعد هذا كله جمع فى رأسه ونفسه نفسيات جميع الشعراء وأفرغها بعد فحصها فى ثوب جديد خاص به، وبذلك دل على أن أسلوبه لا يجاريه أسلوب، حتى ليستطيع المتذوق لشعره أن ينسب كل ما قال من الشعر له حتى ولو خالط مدع ونسبها إلى غيره؛ لأن ألفاظه وتعبيره وديباجته تنم عليه كما ينم العطر على الوردة ولو اختفت بين الأشواك، وهذه ميزة قلما ينفرد بها أحد غير العباقرة الملهمين

وإذاً فمن تكرار القول وإعادة الحديث أن أبدى إعجابى بشوقى إلى هذه الدرجة من الإفراط والتطرف، ومن التبجح أن أذكر ذلك، ولكنى فى هذا الحديث مرغم لأنى أعجب غاية العجب من عدم عناية أدباء مصر بشعر سيد شعرائهم وخصوصاً شعره الذى لم يدرج فى كتاب ولم يضم إلى دواوينه الأربعة. ولما كنت

---

(١) حديث للمرحوم مصطفى صادق الرافعى نشر فى الجزء الرابع من المقتطف ١٩٣٢ وألحق فى الجزء الثالث من كتابه « وحى القلم »

أعتقد أن لشوق قصائد كثيرة لم تنشر أخذت أسعى بجمع أكثر القصائد التى أعثر عليها فى بطون الصحف الأدبية القديمة التى كانت تسعى إلى نشر ما يقوله أمير دولة الشعر وكرسى الأدب حتى تمكنت بعد جهد جهيد وسعي متواصل أن أحصل على عشر قصائد نشرت اثنين منها فى الرسالة الغراء قبل عام وها أنا أتبعهما الآن بقصيدتين من عيون شعره ، على أن أقدم بعد ذلك ما لدى من شعره فى كتاب صغير بعنوان « شوقيات لم تنشر » بعد أن أقدم لهذا الشعر مقدمة ضافية تليق بمكانة قائلة

عتاب لأنجاله :

لا أظن أن شاعرا فى الدنيا أحب أنجاله وأولاده بقدر ما أحب شوق عليا وحسينا ، والمتتبع لقراءة شعره يلمس حنانه لهما فى كل ما نطق به ، حنان الأبوة الصادقة والقلب العطوف ، فهل بعد ذلك الحنان بر أنجاله به ، أنا لا أريد أن أتحامل عليهما إكراما لأميرنا.. ولكنى أود أن أقول ماسبب تقاعسهما عن جمع ما لديهما من شعر فى ديوان جديد ؟ المال موجود لديهما والحمد لله ! دور النشر ما أكثرها فى مصر ! ثم ما ذنبنا نحن المعجبين بشوق وبشعره أن نحرم منه ! أين إذن مسرحية « البخيلة » ومسرحية « الست هدى » وهما تمثلان ذلك العصر أصدق تمثيل ؟!

أين شعر والدهما الباقى ؟ ! إنى أهيب بكل أديب عربى يحمل فى قلبه ذرة من الحب لشوق ولمصر أن يحث الأستاذين الكريمين وهما أكبر أنجاله على طبع روايتيه الشعريتين « البخيلة » و « الست هدى » ليسديا بذلك إلى المسرح والشعر يداً تذكر فتشكر . كما أطالب إخوانى الأدباء الذين يحرصون على قراءة شعر شوق فى ديوان جديد أن ينشروا ما لديهم من شعره المنسى على صفحات الرسالة الزاهرة أو يرسلوه إلى لأضمه إلى مجموعتى كى أستطيع أن أظهرها الموجود فى القريب العاجل إن شاء الله

الشوقية الأولى

قات إننى عثرت بعد تنقيبى وبحثى فى حنايا الصحف على بعض الشوقيات التى خلت منها دواوينه.. وأولى هذه النفحات عثرت عليها فى الصفحة « ٢٧٠ » من الجزء الرابع مجلد « ٥ » من مجلة « الزهراء » القاهرية لسنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م والتى كان يصدرها فى مصر الأستاذ محب الدين الخطيب خال صديقنا الأستاذ على الطنطاوى.. وهذه الدرة الشوقية نظمت فى تكريم الشاعر الأستاذ المرحوم عبد الحميد بك الرافعى . . وقد قدمها محرر الزهراء بهذه الديباجة :

« أقيمت فى طرابلس الشام حفلة تكريم عظيمة للشاعر الكبير الأستاذ عبد الحميد بك الرافعى فى شوال الجارى « أى سنة ١٣٤٧ م » ألقيت فيها قصيدة أمير الشعراء »

فمن هو هذا الشاعر الذى كرمه شوق ؟

لم أجد للشاعر عبد الحميد الرافعى ترجمة أعتمد عليها ولكنى وجدت فى « مختارات الزهور » (٢) كلمة عن شعره هى :

« عبد الحميد بك الرافعى من أدباء طرابلس الشام المعدودين ، وسليل أسرة عريقة فى النسب . مشهور عن أفرادها العلم والفضل . أما شعره فشعر البداوة مع مسحة حضرية ، فصيح الألفاظ ، جيد التراكيب . له ديوان حافل بغرر المنظومات .. » اهـ (٣)

ومن شعره قوله فى « الشيب (٤) »

يا شيب عجلت على لمتى ظلماً ، فيا ابن النور ما أظلمك
بدلت بالكافور مسكى وما أضواه فى عينى وما أعتمك
من يقبل الفاضح فى ساتر فهات ليلاك وخذ مريمك
فرك أن الشيب عند الورى يكرم ، هل فى الغيد من أكرمك
فليت أيام شبابى التى أرقتها غدراً ، أراقت دمك

وإلى هنا أقف عن الشرح لأقدم للقراء وخصوصاً المعجبين

---

(٢) الزهور مجلة أدبية علمية فنية كان يصدرها فى مصر المرحوم أنطوان الجميل وأمين تقى الدين ، ومختاراتها مجموعة تحوى قصائد لشعراء ذلك العصر مع صورهم . وقد طبعت المختارات بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٩١٤

(٣) لم أعثر على الديوان الذى أشارت إليه المختارات ، ومن كانت لديه ترجمة للشاعر الرافعى أرجو أن ينشرها فى الرسالة خدمة للأدب والتاريخ

(٤) ص (١٦٢) من المختارات

بمبقرية أبي على الخالد قصيدة كاملة وهى التى قالها فى تكريم الرافعى

أعرنى النجم أوهب لى يراعا يزيد « الرافعيين » ارتفاعا
مكان الشمس أضوا أن يحلى وأنبه فى البرية أن يذاعا (٥)
بنوا الشرق الكرام الوارثوه خلال البر والشرف اليفاعا (٦)
تأمل شمهم ومدى ضحاها تجد فى كل ناحية شعاعا
قد اقتسموا ممالك فكانت لهم وطنا من « الفصحى » مشاعا
هموا زادوا « القضاء » جمال وجه وزادوا غرة « الفتيا » التماعا
أبوا فى محنة « الأخلاق » إلا لياذاً فى العقيدة وامتناعا
أووا شيباً ، وشباناً إليها
نحا الحمو « الصحابة » والتباعا (٧)
إذا أسد الشرى شبعت فعفت رأيت شبابهم عفوا جياعا
فلم تر « بمصر » أصدق من « أمين »
ولا أوفى إذا ربعت دفاعا
فتى لم يعط مقوده زماناً شرى الأحرار بالدنيا وباعا
عظيم فى الخصومة ما تجنى
ولا ركب السباب ولا القذاعا (٨)
عرض بالنضال فلست تدرى أأقلاماً تناول أم نباعا (٩)
ويا ابن السابق المزرى ارتجالا رواض القصائد وابتداعا
أما يكفى أباك السبق حتى أتى بك أطول الشعراء باعا
شدا الحادى بشعرك فى الفيافى وحركت الرعاة به اليراعا
وقات الطير ألفاظاً فحامت على المعنى فصاغته صناعا
إذا حضر البلابل فيه لحن تبادرت الحمام له استماعا
مشى « لبنان » فى عرض القوافى وأقبل ربوة واختال قاعا
وهز المنكبين لمهرجان زها كالباقة الحسنى وضاعا (١٠)

وأقبلت الوفود عليه تترى
كسرب النحل فى الثمرات صاعا (١١)
فدا يزجى الركاب وراح حتى أظل « دمشق » وانتظم البقاعا
ترى نم القرائح والروابى تبارين افتناناً واختراعا
ربيع طبيعة وربيع شعر تخلل نفح طيبهما الرباعا
كأنك بالقبائل فى « عكاظ » تجاذبت المنابر والتلاعا
بنت ملكا من « الفصحى » وشادت
بوحدتها الحياة والاجتماعا
فسادت أمة عجباً وكانت رعاة الشاء والبدو والشماعا (١٢)

* * *

أمير المهرجان ، وددت أنى أرى فى مهرجانك أو أراعى (١٣)
عدت دون الخفوف له عواد تحدين المشيئة والزماعا (١٤)
وما أنا حين سار الركب إلا كباغى الحج هم فما استطاعا
أقام بغبنه لم يقض حقاً ولا بل الصبابة والنزاعا (١٥)

* * *

« طرابلس » انثنى عطفى أديم وموجى ساحلا وثنى شراعا
كسا جنباتك الماضى جلالا وراق عليه ميسمه وراعا (١٦)
وما من أمس للأقوام بد وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسقى الجهاد وتطعميه وتحمى ظهره حقباً تباعا ؟ !
شراعك فى « الفنيقيين » جلى وذكرك فى « الصليبيين » شاعا
كأن بالسفين غدت وراحت حيالك تحمل العلم المطاعا (١٧)
« صلاح الدين » يرسلها رياحاً وآونة يصففها قلاعا (١٨)
أليس البحركان لنا غديراً
وكانت فلكنا « البجع » الرتاعا (١٩)

---

٥) ذاع الخبر انتشر
٦) اليفاع . التل المشرف أو كل ما ارتفع من الأرض وهنا أراد الشرف العالى
٧) التباع . الأتباع شبههم الشاعر بأتباع الرسول وصحابته
٨) القذاع . السب الفاحش
٩) النباع « نبع ونبعة » شجر تتخذ منه السهام والقسى
١٠) ضاع . الزهر فاح نشره
١١) صاع . تتابع
١٢) الشماع : المتفرق وقيل (طارت نفسه شماعا) أى تفرقت
١٣) أراعى : أصغى وأستمع
١٤) الزماع : الاسراع
١٥) النزاع : الاشتياق
١٦) الميسم : العلامة
١٧) العلم : الراية
١٨) يقصد الشاعر بهذا البيت أن هذه السفن تذهب آونة للمتاجرة وأخرى للحرب
١٩) البجع : طائر عريض المنقار طويله واحده بجعة كناية عن عظم السفن

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— ٢ —

وتترك كارثة فلسطين لننتقل إلى أذناب المستعمرين ...

ولا تكاد تخلو إحدى قصائد الشاعر من تجريح هؤلاء الأذناب والتشهير بهم ، بل إن إنجلترا الغادرة لم تنل من الشاعر ما ناله أذنابها المتزعمون ، وللجواهري وجهة نظره الصائبة في ذلك ، فالإنجليز مهما عصفوا بالشرق والإسلام ، وناهضوا الحريات بشتى الوسائل ، فهم يخدمون وطنهم بما يرونه من الأساليب الظالمة ، أما هؤلاء الأذناب فخائنون آثمون يشنون الحرب على بلادهم ، ويصادرون حرياتها وكرامتها في غير هوادة وإشفاق ، وقد يبلغ بك الأسف أشده إذ تجد الشاعر يقارن بين عهدين، عهد برز فيه الاستعمار سافراً بوجهه الدميم، يأمروينهى ويسلب ويبتز ، وعهد رجع فيه المستعمر إلى الوراء خطوة ، ووقف خلف ستار رقيق شفاف ينظر ما ينفذه صنائعه من تعسف وبطش ، وقد أخلى الطريق أمامهم فما استثمروا عاطفة نبيلة ، أو أحسوا بواجب قومي ، بل صالوا ذئابا نهمة جشعة ، وعاثوا أضعاف ما عاث المستعمر الظالوم ، وانطلقت المطامع من مكامنها تحتجر وتدخر وكانوا ستاراً لعورات المحتل ومثالبه ! حتى فضل الناس أن يعودوا إلى العهد الأول فيقابلوا الاحتلال وجها لوجه ! ! إذ رأوا بعد التجربة الأليمة أن افتراش القتاد أهون من افتراش الجمر ، فأضحت أمنيتهم أن يضموا الصفاد بأيديهم من جديد ، وكانوا يشتكون الجدب والمحول فرأوا من هؤلاء المستوزرين جرادا يستأصل مابقي من الغصون والأوراق، بدل أن يهطلوا غماما ينعش الأرض ويسق الزرع ويضاعف الثمرا

وليس الجواهري سادرا في خياله ، بل إنه يضع في يد قارئه الحجة ، فيتساءل عن حرية النقد التي كانت تجد مجالها في عهد المستعمر، فلا يرى لها صدى يتجاوب، وينظر إلى السجون والمعتقلات ، فيراها تستقبل أضعاف من كانت تستقبلهم قبل ذاك ؟ فليذرف الشعر دمعه الغزير على الشرق الكليم، وما يوجه إليه من طعنات قاتلات :

فكم في الشرق من بلد جريح ... تشكى لا الجروح ولا الضمادا
تشكى بغي مقتاد بغيض ... تأبى أن يطاوعه انقيادا
فكانت حيلة أن يعتطيه ... رضيع لبانه فبغي وزادا
صدى للأجنبي ورب قفر ... أعاد صدى فسر بما أعادا
فكانوا منه في العورات ستراً ... وكانوا فوق جمرته رمادا
تروى من مطامعه وأبقى ... لهم من سؤر ما ورد الثمادا
وكان إذا تهضمه غريب ... أقام له القيامة والمعادا

عمرنا بالحضارة ساحليه ... فما عيا بحائطها اضطلاعا
نوارثناه أبلج عبقريا ... ذلول المتن منبسطاً وساعا
نرى حافاته انفجرت عيونا ... ورفت من جوانبه ضياعا
فازدنا الكتاب الفخم حرفاً ... ولازدنا المصور الزهر ساعا (٢٢)
فقدنا معقد الآباء منه ... فكنا البهم قدخاف السباعا (٢٣)
كأن الشمس مسلحة أصابت ... حفيفاً في طيالسه شجاعا
تحجب عن بحار الله حتى ... إذا خطرت به نضت القناعا
وما رأت العيون أجل منها ... على أجزاء هيكله اطلاعا
فما كشروقها منه نعيما ... ولا كغروبها فيه متاعا

• • •

هذه عصماء شوقي التي قالها في تكريم الشاعر الكبير المرحوم عبد الحميد بك الرافعي وهي كما يراها القارئ الكريم نفحة خالدة من نفحات شاعر الشرق الخالد الذي لم يك شاعر مصر وحدها بل شاعر الانسانية برمتها وإن حدد هو فقال :

كان شعري الغناء في فرحة الشرق وكان البكاء في أحزانه

ومثل شوقي يظل خالداً ماظلت الشموس تدور في أفلاكها . وفي العدد القادم إن شاء الله أقدم « شوقية أخرى »

٢٢) ساعا : جمع ساعة
٢٣) البهم : صغار الضأن

فأسلمه الغريب إلى قريب ... يسخره كما شــاء اضطهادا

فبئس منى لمصــفود ذليل ... لو ان يديه لم تضع الصفادا

وبئس مصير مفترشين جمرا ... عنيهم لو افترشــوا قتادا

وكانوا كالزروع شكت محولا ... فلما استمطرت قطرت جرادا

والشاعر ذو نظرة واعية فاحصة ، فهو ينظر إلى أعمال هؤلاء مدركا عللها وأسبابها ، وقد فطن إلى أن المدرسة الاستعمارية التي تخرج المستوزرين في شتى الأمم العربية مدرسة واحدة متفقة المناهج والأساتذة ، حتى لكأنها توزع من هؤلاء نسخا مطبوعة على الشرق ، وفي سطور كل نسخة وظروفها ما يتفق ومبادئ الاحتلال وأغراضه ، ويتضح هذا بجلاء في قصائد الشاعر ، فأنت ترى ما يمثل في العراق نظير ما يمثل في كل قطر شقيق . وسيعرض لنا الشاعر في فرائده رواية محبوكة الأطراف ، متسقة الفصول ، وقد استمدت أبطالها وحوادثها مما يجرى في الشرق العربي من محن وأرزاء ، وهو بعد موفق في مسرحيته ، بارع في أدواره إلى حد كبير ، وسأدير لك الشريط لتجد في الفصل الأول ما لا يغيب عن ذهنك من ألاعيب الاستعمار في كل قطر منكوب ، فأنت أمام مستوزر بغيض يعرف ما يكنه له الشعب من احتقار وازدراء ، فيقابل ذلك بالبطش المنيف ، والرقابة المليئة بالدسائس والمؤامرات ، فإذا أراد أن يختلق ما يبرر فظائعه الآثمة لجأ إلى الدستور فأخضع نصوصه الفضفاضة إلى ما يريد من تعسف وإرهاق ، وأوجد الشروح المتكلفة ، والتفاســير المموهة ، ممهورة بأسماء قانونية يغريها الذهب والمنصب والجاه ، فتحيل النهار ليلا والحق باطلا ، فإذا وجد الحجة القانونية الموهومة في يده ، لجأ إلى المجلس النيابي فبدده في طرفة عين ، وشرد أعضاءه الأحرار ، وأخذ يتحدث عن الحرية والمساواة والنزاهة ، وأجرى انتخابات باطلة زائفة ، وقد حشد لها رهطا من الأنصار والأشباه ، فإن تجاوزهم فإلى فريق وصولى تمشى يروح مع الذئاب ويغدو مع الرعاة ، وبذلك يضمن الحجة الدستورية لبقائه في المنصب ، دون أن يغفل أولياء نعمته من المستعمرين ، فيسوق إليهم ما يريدون ، وفوق ما يريدون ، وإن جر على بلده النكال والوبال ، هذا الفصل المؤسف من الرواية يمثل في كل قطر نكب بالاستعمار ، وإن الشاعر ليبرزه بوضوح إذ يقول على لسان أحد هؤلاء :

تخذت الورى بالظن أحصى خطاهمو ... ورحت لدقات القلــوب محاسبا

ولم أر للإثم الفظيع ارتكبته ... ســوى أننى أديت للحــكم واجبا

لجأت إلى الدستور في كل شــدة ... أفسر منــه ما أراه مناسبا

أكم به الأفواه حقــا وباطلا ... وأخنق أنفاســا به ومواهبا

أهدم فيه مجلســا لا أريده ... وإن ضم أحرارا فيارا أطايبا

وأبنى عليه مجلســا لى ثانيا ... أضيع الـكاكا عليه رواتبا

واحشــد فيه أصدقائى وأسرتى ... كما ضم بيت أسرة وصواحبا

فإذا أنهى الفصل الأول من المسرحية أدار الشريط مرة ثانية . فطالعك في الفصل الثاني بفريق من المستوزرين جذبهم الاستعمار إلى موائده ، وأظهر لهم العطف الزائد والحب الأكيد لبلادهم ، ورآهم أهلا لمحالفته على البأساء والضراء ، وأبرم معهم وثائق خادعة ، ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب ، فطار بها الأغراء كل مطار ، ورجعوا إلى بلادهم يتشدقون بالعزة والحرية والاستقلال ! ويدعون أنهم أنقذوا الوطن من براثن الاستعمار ، إنقاذاً مشرفا يتفق وكرامة البلاد ، فإذا حزب الأمر وتغير الوضع الدولى ، تنكر الحليف لوثائقه ، وسخر بأذنابهم وحلفائه ، وأخذ يفسر النصوص تفسيرا مجحفا ظالما وطالب بحقه كصديق محالف في الانتزاف والاستلاب ، وهنا فقط يتيقظ النائمون من رقدتهم فيردون في الوثائق أغلالا خانقة ، وقيودا ثقيلة مرهقة ، فيتنصلون مما اقترفوه ، كمولود تحدر من سفاح ، ويلصق كل فريق جريمته بأخيه ، ويعرف الجميع أن معاهدة الذئب للحمل ما كرة باغية ، ولا سبيل إلى مصادقة غريم يهدد صاحبه بالمحق الذريع ، ثم يضحك الشاعر من غفلة هؤلاء الذين لا يلمسون بدائه الأشياء فيتخبطون تخبط العشواء ، حتى يفجأهم الواقع

المريرها لا ينتظرون ، هذا هو الفصل الثاني من الرواية السياسية المؤلمة وأظن القارئ قد تشوق إلى رؤيته فلينظره في هذه الأبيات

روضع أمس كلهمو لواء | به واليوم كلهمو لواحي
تنصل منه زورا صانعوه | كمولود تحدر من سفاح
وذموا أنهم كانوا عكوفا | عليه في الغدو وفي الرواح
وتأريخ أريد لنا ارتجالا | فآب كما أريد إلى افتضاح
شحنا دفتيه بمغمضات | (كأحداق المهى مرضى صحاح)
وغلفنا مظاهره حسانا | مزخرفة على صور قباح
وأحللناه وهو ضريح شعب | محل الوحي جاء من الضراح
نجرعه زعافا ثم نضفي | عليه محاسن الشيم القراح
وربة صفقة عقدت فكانت | كتحريم الطلاق على النكاح
تدبر في العواصم من مريب | خبيث الذكر مطعون النواحي
يفوح الحر منها في اختتام | ويبدو البتر منها في افتتاح
ويسفر نصها المسود خزيا | ومظلمة عن النهد اللاح
وحاف لست أدري من ذهول | أمن جد ينفذ أم مزاح
لنا حق يرجى بالتماس | وباطلهم ينفذ بالسلاح
واست بعارف أبداً حليفاً | يهدده حليف باكتساح

ثم يدور الشريط فيعرض لك المؤلف فصله الثالث والرابع والخامس حتى تنتهي المسرحية الأليمة بانتهاء ديوانه ، ولن أجد من نفسي الرغبة في تتبع الفصول وتحليلها تحليلا يرشد إلى كوامنها السياسية ، فهذا ما لا يغني عن قراءة ديوان الشاعر ، بجزءيه الكبيرين ، وبخاصة إذا كان الحديث عن هؤلاء الأوشاب يسجل أكثر قصائد الديوان ، سواء أكانت في الرثاء أو السياسة أو الاجتماع ، فهم القاسم المشترك في كل ما يجلب الكوارث على البلاد ، وقد وصفهم الشاعر بما لا يعد مبالغاً فيه ، وصور الحقد في نفوسهم . ورسم القطوب والعبوس والانقباض ، وجميع ما يلوح في وجوههم الانفعالات والغضون ، وتهكم بثرائهم المغتصب وجاههم الزائف وشهواتهم الجامحة العاصفة ، ونظر إلى أدمغتهم اللامعة نظرات أطفأت ما بها من تألق وبريق ،

وحسبك أن يقول :

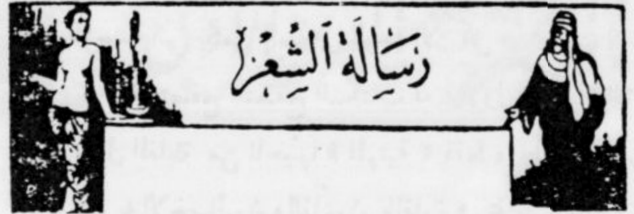
تداول هذا الحكم ناس لو انهم | أرادوه طيفا في المنام لخيبوا
ورب وسام فوق صدر لو انه | يجازى بحق كان بالنعل يضرب
نشاربه بين الخازى وراقه | وسام عليها فهو بالخزي معجب

ولن نترك ما قاله الشاعر في أعداء الشعوب دون أن نشير إلى سخريته الهازئة من أمانيهم الخادعة ، وعجبه لغفلتهم عما يتهددهم من مصير أليم ، وترقبه الساعة الفاصلة التي تستيقظ فيها الشعوب النائمة على صوت لجب صاخب يبعث بها التوثب والطموح ، فتندفع هائجة إلى فلول الخونة من الأذناب ، فتدوسهم بالنعال ، وتطؤهم بالأقدام ، وكم يؤلمك أن يتمنى الشاعر من هؤلاء أن يقتدوا بإنجلترا ! فيهادنوا المروءة والرجولة ، ويحاربوا العقائد والمذاهب ، وأنى يكون ذلك ، والشعب البريطاني يقظ متوثب ، يقدر زعماؤه كرامته وحيويته ، أما أذنابهم في الشرق فلا يعترفون بحمية وإباء ، فصادروا الحريات ، وكموا الأفواه ، فانطلق الجواهري يقض مضاجعهم ، ويكشف الأستار من مثالبهم الفاضحة إذ قال :

ولقد رأى المستعمرون فرائسا | منا وألفوا كلب صيد سائبا
فتعهدوه فراح طوع بنانهم | يبرون أنيابا له ومخالبا
مستأجرين يخربون بيوتهم | ويكافأون على الخراب رواتبا
الشاربين دم الشباب لأنه | لو نال من دمهم لكان الشاربا
والحاقدين على البلاد لأنهم | حقرتهمو حقر السليب السالبا
ولأنها أبدا تدوس أفاعيا | منهم تمج سمومها وعقاربا
شلت يد المستعمرين وفرضها | هذي الملوق على الدماء ضرائبا
ألقى إليهم وزره فتحملوا | أثقاله حمل الثياب مشاجبا
وأذابهم في الموبقات فأصبحوا | منها لجورا في لجور ذائبا
يتمهل الباغي عواقب بغيه | وتراهمو يستعجلون عواقبا
حتى كأن مصائرا محتومة | سودا تنيلهمو منى ورغائبا

يتبع

محمد رجب البيومي



حر مقيد وعبد مسيب

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

في الناس عبد قيده رهبة … أو رغبة في هذه الفانيه
يعيش هجيراه : واحسرتا … لمطمعي يا حسرتا ما ليه
يبيت موفورا ولكنه … مرزأ قد حرم العافيه
معبد إلا لدى نفسه … قد أطاقته في الخنا راضيه
يرتع في سوآته سائبا … كما تجز الكلأ الماشيه

* * *

وفيهمو حر له همة … لكل قيد في الورى قاليه
تعلو على القيد به نفسه … تطير في آفاقها العاليه
تراه من ذل الورى مطلقا … مقيدا من نفسه الآبيه
أنعم به مقيدا مطلقا … حرية بين الورى غاليه

لا يتسع وقتنا للخطب القصار

سمعت بمحفل خطبا طوالا … تصاب لها المسامع بالسقام
فقلت : عجبت للخطباء تزجى … فسيح القول في ضيق المقام
فكم وقت أضاعوا في كلام … سخيف النسج منفرط النظام
فقال محدثي : إنا سمعنا … عجيب القول عن أحد العظام:
«يضيق الوقت عن خطب قصار … فنزجي بالطويل من الكلام»

عبد الوهاب عزام

بنيتي

إذا تطلعت إلى وجهها رأيت أمي مرة ثانيه

للأستاذ أنور العطار

بنيتي عصفورة شاديه … تلعب في عش الصبا لاهيه
بنيتي لحن رقيق سرت … في مهجتي أفراحه صافيه
يهفو إليها القلب من وجده … فتنتشي أحلامه الماضيه
بنيتي شعر نفثت به … روحي في عزلتها الساجيه
بنيتي وحي تلقيته … من نفحة عطرية ساريه
من عبق الزهر سقاه الندى … خمرته المطوية الشافيه
ومن نشيد النبع في حقله … ومن صلاة الغابة الخاشيه
ومن صفاء الجدول المنتشي … ومن رؤى الأمسية الحاليه
من عودة القطعان مسحورة … تصغي إلى شبابة الراعيه
والدرب في سكرته حالم … يسبح في الأنشودة الشاكيه
والقرية السجواء في صمتها … مطلة من شوقها رانيه

...

بنيتي أمنيتي في الدنا … ومأملي والبغية الغاليه
سريرها يهتز في أضلعي … تنام في أعطافه هانيه
أيامها مشرقة بالمنى … ضاحكة بالبشر والعافيه

...

بنيتي طيف تملقته … من صفري والفتنة النائيه
صورة أمي سربت في دمي … وانبثقت من طفلتي باديه
بنامها وشوش في مسمعي … وطاف في مهجتي الصابيه
إذا تطلعت إلى وجهها … رأيت أمي مرة ثانيه

أنور العطار

* من ديوان « ظلال الأيام » .



فن المقابلة . . . مبادئه وطرقه

تأليف آنيت جاريت

للاستاذ محمد عثمان محمد

كثيرا ما يتوقف نجاح الفرد فى حياته العامة على قوة شخصيته ومدى تفهمه وإتقانه لفن المقابلة

فقد يستقبلك شخص يستحوذ عليك أدبه ورقة حديثه فتنجز له فى الحال طلبه ، وتقدم له ما استطعت من مساعدات ، وقد يستقبلك آخر بأسلوب السوقة والدهماء فتنفر منه ولا تحقق له أملا ، أو تنجز له طلبا

كما أن الإخصائى أو القائم بالمقابلة فى أية هيئة أو مؤسسة أو منظمة اجتماعية يتوقف نجاحه فى عمله إلى حد كبير على هذه الشخصية وعلى مدى تمكنه وإدراكه لهذا الفن كذلك

ولذا كان ولا يزال للمقابلة شأن عظيم فى الدوائر السياسية والمجالات الدولية وفى المنظمات الإنسانية المختلفة التى تقوم بتأدية الخدمات الاجتماعية للأفراد والجماعات وفى مكاتب الاستعلامات وفى المصالح الحكومية وفى البنوك والشركات المديدة وفى المستشفيات العامة وفى المصحات وفى عيادات الأطباء وفى مكاتب المحامين والمحاسبين وفى دور النشر والصحافة وفى غيرها وغيرها

وقد قام أخيرا المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالإسكندرية مشكورا بترجمة مؤلف قيم يدور حول هذا الموضوع إلى اللغة العربية إسمه « فن المقابلة — مبادئه وطرقه » بقلم الإخصائية الأمريكية أنيت جاريت

والكتاب من الحجم الصغير ، ويقع فى مائة وثمانى عشرة صفحة ، وقد تناولت المؤلفة فى فصوله السبعة فهم الطبيعة البشرية والحالات النفسية للقائم بالمقابلة وأغراض المقابلة وكيفية القيام بها والأشياء التى نبحث عنها فيها ، وأخيرا الظروف الضرورية للمقابلة الحسنة ، ثم اختتمت بحثها الممتع هذا بكلمة عابرة موجزة من « ثقافة الإخصائى » وما يجب أن يتزود به من معلومات عامة وخاصة حتى يقوم بما وكل إليه من عمل فى المؤسسة التى ينتمى إليها على الوجه الأكمل

وقد يتصفح المتصفح الكتاب فيرى لأول وهلة أن بحثه يدور حول المقابلة من ناحيتها « المهنية » فقط ، وأنه ما نشر إلا لينتفع به الإخصائيون والقائمون بالمقابلة فى مختلف المنظمات والمؤسسات ، ولكنه لو تفكر حقا لوجد أن كل ما جاء فى تضاعيفه ما هو إلا دراسة مستفيضة وافيــة مفيدة للجميع ، للاخصائى ولغير الإخصائى

ومن الملاحظ أن المؤلفة لا تعرض بحثها فيه عرضا سطحيا سهلا ، ولكنها تلجأ فى أسلوب سلس إلى التركيز فالمناقشة والشرح والتبيين

اسمعها حين تتكلم عن حوافز السلوك الإنسانى (ص١٧) فتقرر أن الكثير من سلوك الإنسان يصعب علينا تعليله ، وأننا « ... قد نفلح فى تقديم تبريرات بارعة ولكنها قد لا تجد القبول حتى منا أنفسنا ... » ثم تعمد إلى الشرح والإيضاح بقولها « ... أمثال ذلك كيف تستبد بنا ثورة الغضب إذا كان علينا أن ننتظر دقيقة واحدة ، على حين أننا نقف فى أوقات أخرى فى الصف ننتظر دورنا هادئين مدة نصف ساعة!؟ أو لم ننزل عقوبة صارمة بطفل ما لأنه ارتكب هفوة يسيرة على حين نتجاوز عن أخطاء له أشد شناعة!؟ »

ثم اسمعها حين تتحدث فى موضع آخر عن الصراع بين الدوافع (ص٢٨) قائلة « إننا كثيرا ما نشك فيما قد يصدر عنا من أحكام ، وكثيرا ما نعيد النظر كرات فيما اخترناه متحسرين على سابق اختيارنا الذى قد يبدو لنا أننا كنا فيه غير موفقين » ضاربة المثل بالطالب الذى يتخلى عن اخوانه فى حفل بهيج ليعود إلى استذكار دروسه استعدادا لامتحان مقبل من أنه « ... يشعر شعورا قويا أثناء الاستذكار أن هناك قوة تجذبه إلى الحفل ، وفى بعض الأحيان قد تكون هذه القوة من السلطان بحيث تغير اختياره فإذا هو مسرع إلى إخوانه ، وعندئذ فقط يشعر بصوت الضمير محاولا فى يأس إن يجذبه إلى عمله ... وأيا كانت الرغبة التى تنتصر فى النهاية والتى نفسح السبيل لها فى حياتنا .. فإن الرغبة المهزومة لا تموت ، ولكنها تثور بين وقت وآخر .. »



مفرد شمائل

جاء فى مقال شخصية الرشيد للأستاذ أنور الجندى فى العدد ٩٩١ من الرسالة الزهراء ما يأتى : وتلك شمائل الرجل الفذ : والمعروف أن مفرد شمائل شمال بالكسر بمعنى الخلق والطبع ، ولم أعثر على شميلة التى استعملها الأستاذ ، ويحضرنى قول عبد يغوث :

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل وما لومى أخى من شمالها

كما يحضرنى قول لبيد وقد جمع المفرد والجمع فى شطر واحد

وهم قومى وقد أنكرت منهم شمائل بدلوها من شمال

عبد الرازق عبد ربه

رسالة السينما فى تربية الشعوب

أن « للسينما » فى بلاد الغرب رسالات لها قدرها فى تربية الشعوب ، ولها خطرها فى النهوض بها ، وما من رواية تعرض على الشاشة فى تلك البلاد إلا ولها قصة حية ، وموضوع قوى ، ومعان عظام تأخذ بالألباب ..

إن « السينما » أصبحت هناك وسيلة إلى تربية الشعوب والنهوض بها ، وتقويم أخلاقها وبذر بذور المثل العليا فى نفوسها ودفعها إلى الأمام نحو الحياة الصحيحة لتصل إلى غاية المجد ونهاية السؤدد ، وبذلك أمكنها أن تؤدى لأوطانها خدمات كثيرة جليلة ، وأن تكون لها رسالة تنال تقدير الجميع وثقتهم .

أما هنا فى الشرق — ولا سيما فى مصر — فلم « تصبح السينما » بعد، وبكل أسف إلا عاملا من عوامل الترفيه ليس إلا ، يغزوها أفراد الشعب ليشبعوا أنظارهم من المناظر الماجنة، ويرفهوا عن أنفسهم بالنكات الفارغة — وإذا حاولت أن تجد قصة لها مغزاها الاجتماعى أو السياسى أو الخلقى فلن تجد ، وبذلك استساغت الطبقة المثقفة أن تنفر من الرواية المصرية متجهة إلى الرواية الغربية تنهل من معانيها وترتوى من مثلها

إننا لا ننكر أن بعض السينمائيين يتجهون اتجاها سليما فى التأليف والإخراج ، ويقدمون للشعب المصرى زادا طيبا يرضى منه الجميع ، ولكن هذا الزاد ضئيل الضآلة التى تجعله ضائعا بين الغث الكثير الذى لا ساحل له .

إن الألم ليملأ نفوسنا حين نجد الشوارع والميادين والصحف تغص بالاعلانات عن روايات ، . تعال سلم — ماتقولش لحد — أحبك انت — قبلنى ياأب — لهاليبو — بيت الأشباح — فى الهوى سوى .. وما إلى ذلك من الفوضى التى لا حد لها . وكم

وهكذا لا تتناول نقطة من نقاط الكتاب إلا وتستوفيها شرحا وتمحيصا ، وقد لفت نظرى واستوقفنى طويلا قولها فى صفحة ٤٦ « ... وهناك خطأ يسهل الوقوع فيه وهو أن تعرض على — عميلك — توكيدات غير حقيقية كأن تقول : أنا واثق أنك ستتحسن قريبا أو ستحصل على عمل فى القريب العاجل أو سيتهيأ كل شئ على خير ما يرام ، فثل هذه الملاحظات فضلا عن أنها لا تطمئن — العميل — فإنها تسبب له شعورا بالشك فى إمكان فهم القائم بالمقابلة للموقف وبالتالى قدرته على المساعدة »

فهل على الطبيب المعالج مثلا أن يصارح مريضه الطريح الفراش المعانى بحقيقة علته إذا كانت مستعصية ولا أمل له فى الشفاء منها ؟! أليس من الأفضل أن يتذرع بالحكمة فيطرد الوهم القاتل ما استطاع من فكره وأن يوهمه بأن علته هذه التى يشكو منها غير مزمنة ولا هى غير مستعصية . وأنه واثق الوثوق كله من ان حالته بإذن الله ستتحسن قريبا ؟ !

نعم ، ليس من الحكمة ولا من الخير أن يكون المرء فى جميع أحواله صادقا ، ولا أن يكون فى جميع ظروفه كاذبا ، ولكنه يجب أن يكون للصدق موضعه ، وأن يكون للكذب موقفه ومبرره

ورحم الله شيخ المعرة كم كان صادقا موفقا حين قال فى لزومياته :

اصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة
وبعد ذلك فاقصد كاذبا وقم

محمد عثمان محمد

كما نود من صميم أنفسنا ألا نقل عن الغرب فى هذا الجانب ، ولنا من طبيعتنا مايساعدنا على ذلك ، ولنا من أحوالنا ما يجعلنا فى مسيس الحاجة إلى القصص الحية ذات المعانى التى تنهض بنا فى كل شأن من شؤون حياتنا .!

نفيسة الشيخ

الاقتباس من القرآن

.. اعتاد الكتاب والشعراء أن يضمنوا مقالاتهم وكتبهم وأشعارهم بعض آيات من القرآن الكريم . وربما لم تكن هناك أدنى صلة بين المقال والموضوع الذى نزلت الآية من أجله . لذلك عد العلماء هذا النوع من الاقتباس من النوع المحرم الذى ينبغى أن تعاف النفوس مساغه .. وفى ذلك يقول الإمام الحجة أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية فى كتابه « كنوز العرفان فى أسرار وبلاغة القرآن » . يقول فى مبحث الاقتباس ما يأتى : — « ... وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء فى أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التى هى من جملة رسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباس من القرآن . وهذا مما قد نهى عنه جلة العلماء وأفاضل الفقهاء الأتقياء و كرهوا أن يضمن كلام الله تعالى شيئا من ذلك أو يستشهد به فى واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه — ثم جئت على قدر ياموسى — وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذى أريد به .. فمن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السرى حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه — لو قبلت هديتك نهارا لقبلتها ليلا — بل أنتم بهديتكم تفرحون — وقال لرسوله — ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون — وأوحش من ذلك وأعظم منه فى الشعر قول الشاعر : —

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله .. إقــل للذين كفروا ... إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

إلى أن قال : هذا وما أشبهه مما يعدونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغى أن تعاف النفوس مساغه وهو مندرج فى التحريم لما فيه من عدم الإجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم . وكيف يليق أن يجمع بين الحدث والقديم ؟ »

محمود حمدى زفزوق

افتراح .. ودعوة

بضعة أسابيع أخرى .. وتزف دار الرسالة العدد الألف من هذه المجلة الكريمة .

العدد الألف ! أليست تستوقف هذه الكلمة الصغيرة نظر كل قارئ وكل كاتب تصله بهذه المجلة صلة ، أى صلة ؟ أليست تشير هذه الكلمة الصغيرة إلى المنارة التى رفعتها سامقة هذه المجلة على شاطئ المفاخر العربية فى جهادها الطويل فى محيط الأدب والعلم ؟

أليست من المفاخر الخالدة فى تاريخنا الحاضر أن تواكب الحياة مجلة أدبية جدية كالرسالة كل هذا العمر المديد ؟ إن مواكبة الرسالة للحياة لم تكن نزهة خالية إلا من المرغبات والمنشطات والمبهجات ..

لقد كانت مواكبتها للحياة هذه الفترة كلها جهادا ونضالا .. كانت تحمل أمانة العلم الخالص ، وكانت تضطلع برسالة الأدب الإنسانى الحر .. وما أثقله حملا ! وأمانة العلم تبهظ أشد الكواهل ! وما أخطرها وظيفة ، ورسالة الأدب الحق تهول أثبت الأفئدة !

وكانت تخوض — بما تحمل — من ظروفها أعنف الأمواج، ويناهضها من مشاكل جهادها المنزه المجرد أضرى الأنواء .. ومع ذلك فقد أدت الرسالة أمانتها أمثل أداء .. وسمت برسالتها إلى أخلد الآفاق وأمجدها .. يقر بذلك كل قارئ ورد غديرها ، ويشهد به كل كاتب وقع على روحها !

فهل تمر بعد ذلك هذه المناسبة السعيدة — مناسبة العدد الألف — دون أن تستلفت أحدا ؟!

ألا يجدر بأبناء العربية أن يقفوا هنيهة يحيون فيها هذا



تجربة قاسية

مترجمة عن الانكليزية

إن التغيير المستمر الذى طرأ على مركز المرأة قد سبب كثيراً من مصائبنا الاجتماعية ، ولا تزال الحالة تزداد كل يوم سوءاً

وما دامت المرأة ترى واجبها فى الحياة أن تكون أما وزوجة وربة منزل فهى شريكة الرجل فى سروره وحزنه وغناه وفقره ، ولكنها متى تركت هذا المجال فلا يمكن أن تكون إلا واحدة من اثنتين : إما خادماً للرجل وإما حاكمة له ، ومن أجل ذلك كان أتعس السيدات هن نساء الطبقة التى يدعونها بالطبقة الراقية اللواتى لا يرين أنفسهن فى حاجة إلى التفكير فى قوت يومهن واللواتى يقضين أيامهن كسالى بليدات ويمهدن بكل واجب من واجباتهن إلى أخريات ، فإنهن أقل شعوراً بالسعادة من سائر النساء

ولقد كانت بطلة هذه القصة من النوع الأخير.. فإنها نشأت وظلت طول عمرها لاتقدر مسئولية لشئ ، فهى تنتقل من يد المرضعة إلى يد المربية إلى معلم الموسيقى والرقص دون أن تشعر فى هذه الأدوار إلا بأنها مخدومة ، وأن على غيرها واجبات لها وليس عليها لأى إنسان أى واجب

وتزوجت من رجل متقدم فى العمر فمات وهى لما تبلغ الخامسة والعشرين، وقد وجدت نفسها عندموته غنية ذات معجبين كثيرين بجمالها وهى حرة فى اختيار ما تريد وترك ما تشاء ، فكانت نتيجة حياتها على هذا النمط أن شعرت بالسأم وأحست بأن الحياة عبء ثقيل عليها ، فكان لذلك كل عملها أن تقتل الوقت كأنما هى لا تريد إلا التخلص من حياتها جزءاً فجزءاً

ولكنها مع هذا السأم من الحياة كانت زينة الحياة وبهجتها فى أعين كثيرين ، ومن الغلطات الشائعة أن الناس يحسبون أن جميلة العينين وسيمة الوجه تكون حتما ذات ذكاء يتناسب مع جمالها وتكون ذات روح شعرية

ولئن كان فى السيدات من تجتمع فيهن هذه الصفات فإن صاحبتنا البارونة أديل لم تكن كذلك بل كانت روحها قاتمة مظلمة

كانت متوسطة الطول نحيلة شديدة البياض بحيث يظهر فى جلدها الناصع لون عروقها الزرقاء. وهى جميلة الوجه والأنف صغيرة الفم وردية الشفتين ذهبية الشعر ، ولكن عينيها كانتا أجمل شىء فيها فقد كانت نظراتها الوسنى مثل نظرات الحالم .

وقد قضت سنوات فى الحداد على زوجها تتنقل بين البلدان فزارت إيطاليا وفرنسا الجنوبية وإسبانيا ، وكان أحب أماكن الاصطياف إليها جبال التيرول حتى لقد جمعت كل صورها ومناظرها فوضعتها فى غرفة استقبالها . وفى يوم من الأيام أرادت أن تتسلق إحدى قممها المكللة بالجليد فلبست ثوباً من الفرو وأمسكت بعصا غليظة وصعدت إلى الجبل قبيل الغروب ، فلما وصلت إلى مكان مرتفع منه كانت الشمس قد غابت . ثم وجدت أنها ضلت الطريق وأصبحت محاطة بحفائر مكدسة بالثلج بحيث لاتستطيع العودة ولا الاستمرار فى المشى .

وحاولت عبثاً أن تجد لها منفذاً ، فرأت من المستحيل أن تتقدم أو تتأخر أو تعلو أو تهبط فاستغاثت بأعلى صوتها ، ولكنها لم تسمع غير صدى صوتها فأخرجت من جيب معطفها مسدساً وأطلقته ولكنها لم تسمع غير دوى الطلقات ، فخارت

الجاهد العظيم فى هذه المناسبة العظيمة ؟

ألا يقتضينا الولاء قبل الإنصاف أن نسجل للرسالة هذا الفخر الفاخر بكلمة تكتب أو كلمة تقال ؟

إنى أقترح على راعى هذه المجلة العظيم الأستاذ الزيات بك أن يخرج من العدد الألفى عدداً ممتازاً . .

وإنى أدعو أدباء العربية أن يتبادروا المشاركة فى هذه المأثرة الأدبية النادرة — تحية الرسالة بمناسبة عددها الألفى !

محمد الأرناؤوط

قواها وجلست على صخرة بعد أن أزالت ما عليها من الجليد وظلت تبكي .

وبعد ربع ساعة مر عن كثب منها رجل يصفر فنادته وكلمته بلهجة لم تتكلم بها منذ سنوات وهي لهجة التوسل والضراعة، وطلبت إليه أن ينقذها فمشى نحوها رافعاً قبعته محيياً باحترام . وعرض عليها مساعدته فشكرته شكر الضارع الخاضع ورأت من ثيابه ومن الأسلحة التي يحملها أنه من هواة الرياضة والصيد . ودلتها هيئته على القوة والإعجاب

قال لها : « اسمحي لي أن أحملك »

فقالت : « أخشى أن أسبب لك تعباً كثيراً »

قال : « لا داعي إلى مثل هذا القول »

ثم حمل البارونة بين يديه فشعرت وهي محمولة بشعور غريب لم تجربه من قبل . وكانت أنفاسه الحارة تدفئ خديها فتسائل نفسها أي شعور هو الذي تجده في نفسها في هذا الوقت ، هل هو الحب ؟

فلما وصل بها إلى الفندق الذي تقيم فيه شكرته ودعته إلى زيارتها ووعدها بأن يرافقها في فرصة أخرى إلى جبال التيرول .. وسألته عن اسمه فقال إنه فرديك فون فاردوروف

قالت : « أنت ذلك الروسي الشهير ؟ لقد سمعت اسمك يتردد كثيراً في الأوساط العالية »

فأخبرها فاردوروف بأنه من أسرة ألمانية تنتمي إلى أصل روسي ، وأن ضياعه في كونترلاند ولكنه لم يزرها منذ سنوات لأنه كان في العهد الأخير يزور بقاعاً مختلفة من الأرض

وفي اليوم التالي زارها فاردوروف ودار الحديث عن زياراته لأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية وقرأ لها قصة أو قصتين من قصص إيفان ترجنيف . وكانت تصغي إلى حديثه متلذذة وتدعوه إلى تكرار زياراته فكررها . وسارت بعد ذلك تخرج معه إلى جبال التيرول وإلى غيرها من المتنزهات وتدعوه للعشاء كل ليلة فأخذ الناس يتحدثون عن علاقتهما وعن احتمال زواجهما قبل أن يتم التفاهم على شيء من ذلك

وفي ليلة من الليالي كانا جالسين معاً في المنزل فقالت إديل « إننا سنفترق سريعا يا فاردوروف » فقال : « لماذا ؟ »

قالت : « لأنني تغيبت عن منزلي طويلا وأريد العودة ، فهل تزورني هناك ؟ » فقال : « ما الذي تعنين ؟ هل تحبين الا أزورك ؟ »

قالت : « ما الذي تعنيه أنت ؟ إنني أتأثر كثيرا إذا ابتعدت عنك » فقال الروسي بلسان متلعثم : « هل تسمحين ؟ . . . الا يغضبك . . . ؟ »

قالت : « تكلم ! ما الذي يمنعك من الكلام » فقال : « إنني أحبك يا إديل »

فأطالت البارونة التحديق في وجهه فقال : « لا تمنعيني عن الكلام حتى أقول كل ما أريد »

قالت : (ولكنني لم أعد أومن بالحب) فقال الروسي : (أعرف ذلك ولم أعلل نفسي قط بأنك ستجازينني على حب بمثله ولكنك قلت لي مراراً إنك تعيشين بغير غرض ولا تسرين من أي بواعث السرور فعيشي معي زوجة لي وأنا الكفيل بأن ينشأ في قلبك ميل لي بعد الزواج)

فنظرت إديل نظرة شاردة من النافذة دون أن تجيبه بأي جواب وسكت الروسي لحظة ثم قال : (قرري ياسيدتي بكلمة منك إما حياتي وإما موتي)

فأجابته وهي تبتسم : (الحياة أو الموت ؟)

قال : (نعم إنني أعني ما أقول فإني أفضل الموت إذا لم تحبيني ..

فقالت المرأة التي لا قلب لها : (هذا مجرد تعبير)

قال : (كلا ولكنه الحقيقة فاختاري لي الحياة أو الموت)

فقالت (إنني سأعطيك مهلة عام فإذا لم تستطع في خلالها إقناعي بأنك تحبني حقيقة وإذا لم تستطع أن تبعث في نفسي عاطفة الحب نحوك فإني سأقضي عليك بأن تقتل نفسك)

قالت ذلك ثم بدأت تضحك ضحكا عاليا فقال الروسي وهو عابس مقطب : (إذا حكمت بعد انقضاء العام بأنه لا أمل في الحياة معك فإني أفعل كما تريدين ولكن يكون لي عندك رجاء آخر)

قالت : « ما هو ؟ » فقال : « أن تقتليني أنت »

قالت . « لك ذلك » فقال : « ولكن هل تستطيعين ؟ »

فقالت « ولم لا ؟ إنه يستوي عندي أنا أن تقتل عندي نفسك من أجلي أو أن أقتلك بيدي » فقال الروسي : « إذن فعاهديني على

أنه بعد انقضاء العام إما أن تقتلينى أو تتزوجى منى »

قال : « أعاهدك على ذلك ولكن يجب أن تتذكر أنت أيضاً تعهدك عند انقضاء العام وألا تنتظر منى رحمة »

فقال : «لا وسط بين الحالتين فإما أن تكونى لى وإما أن أموت»

ومد كلاهما يده إلى الآخر فتعاهدا على ذلك

ومضى العام وهما يعيشان معاً فى منزلهـا بفينا وكان الليل ساجياً من ليالى الربيع الجميلة وهى جالسة على نمرقة بجانب الشرفة وهو جالس عند قدميها فقالت : (هل نسيت ؟)

قال : (نسيت ماذا ؟) فقالت : (هل نسيت عهدنا ؟ إن اليوم موعده) فمرت جسم الروسى رعشة باردة وقالت له همساً : (أدن مني وأخبرنى ما هو رأيك اليوم فى تعهدك قبل أن تسمع حكمي)

قال : (إننى أرتعش ...) فقالت : (إذن فاسمع الحكم : (إنك قد أقنعتنى بأنك تحبنى فليس عندى شك فى ذلك ...)

وهنا ارتمى الروسى على قدميها ليقبلهما فقالت : (لا تتسرع فإنك لم تسمع بقية الحكم)

فقال : ما الذى تعنين ؟ فقالت : (إنك أقنعتنى بأنك تحبنى ولكنك لم تستطع أن تجعلنى أحبك)

قال : (ما أشد قسوتك يا إديل !)

فقالت : « إننى أكلمك كلاما صريحا شريفاً »

قال الروسى : « أنا عند حكمك إذن فاقتلينى »

فقالت : « هكذا سأفعل فانى ذاكرة عهدى. وروحك الآن فى يدى ولن أتركها هبة لك. إننى لا أحب ولكننى أريد أن أكون محبوبة وأن يحبنى من يحبنى فيموت تحت قدمى وأنا أنظر إليه نظرة احتقار »

قال : « هل تجدين فيما تقولين ؟ » فقالت (ألا تصدق ؟ هل حبك لنفسك أكثر من حبك لى ؟)

قال : (كلا كلا : وإنى مستعد للموت) فقامت وعادت وفى يدها زجاجة صغيرة مملوءة بسائل أســود وقالت : (اشرب هذا) .

فتناولها وقال : أشرب فى حبك ياإديل ثم قال : (ناولينى يدك فإن قواى تخوننى) .

ثم أظلمت الدنيا فى عينيه . وبعد ساعتين أفاق فوجد رأسه على حجرها وهى تنظر إليه وعلى وجهها ابتسامة دالة على السعادة

قال : (ما الذى حدث ؟) فنادته باسمة بصوت عذب فقال : (هل أنا أحلم الآن ؟ ألم أمت ؟)

قالت : (كلا وستعيش وستكون لى زوجا فإنى أحبك كما تحبنى) فقال : (وماذا كان السائل الأسود الذى فى الزجاجة ؟ ألم يكن سما ؟)

قالت (كلا ، ولكنه مخدر) فقال : (لماذا ؟)

قالت : (لكي أجربك) فوقف الروسى مسرعا وقال : تقولين إنك تحبينني؛ ولكنك مع ذلك تتركيننى أقاسى أشد الآلام بقصد اللهو والتسلية. إن المرأة التى تفعل ذلك لا تستطيع أن تملك قلبى)

قالت إديل بصوت الخائف : (ألم تعد تحبنى يا فاردوروف ؟ ما الذى جملك تتغير هذا التغير الفجائى؟ ألم تعد تحبنى ؟) فقال : (إننى لا أحبك الآن ولن أحبك فى المستقبل ، وداعاً !)

فطوقت إديل عنقه بذراعيها وقالت . (أستحلفك بحق السماء ألا تجعلنى أتمس إنسانة فى الوجود) فقال : (أنت التى أتعستنى وأتعست نفسك . وداعاً)

قال ذلك ثم تخلص منها فارتمت على قدميه ولكن ذلك لم يفد وأظهر قوة إرادته فخرج مغضبا

ولما جاءت الخادمة وجدت إديل مستلقية على الأرض جثة هامدة

ع . ن

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٣ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

20 me. année No 993

Le Caire 6 — 14 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٧١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

إلى الناعين في العالم الاسلامي

للأستاذ سيد قطب

نحن في مصر مشغولون لا نفيق ! ليس لدينا وقت للتفكير فيما يدبره لنا اليهود بمعاونة العالم الصليبي . نحن مشغولون بالانقلابات الوزارية ، مشغولون كذلك بالانتخابات : هل تكون بالقائمة أم بالوزن أم بالكيل ؟ مشغولون بحكاية الاستثناءات ، هل ترد لأصحابها أم لا ترد ؟ ومن منهم ترد إليه استثناءاته ويزاد ، ومن منهم يؤخذ منه ما معه . .

وهي أمور — كما ترى — من الأهمية بحيث لا تترك وقتا ولا جهدا للتفكير في أي شيء آخر

وفي هذا الوقت تقترب إسرائيل يوما بعد يوم من حدود سينا المصرية ، المصرية اسما وإن كانت مصر لا تعرف عنها شيئا ، لأن السياسة اليهودية الإنجليزية عزلتها عن مصر طوال فترة الاحتلال ، ولم يكن هذا العزل شيئا عارضا ولا أمرا غير مقصود ، إنما كان وفقا لسياسة بعيدة الغور ، تتفق مع أطماع اليهودية العالمية

إن شبه جزيرة سينا يشتمل على أقدس مقدسات اليهود . فمن جانب الطور الأيمن نودى موسى ، وعليه تلقى الألواح ، وبه صخرة المهد . وسينا هي أرض التيه . . لذلك كله ترف حول سينا أطماع اليهود التاريخية ، ويربى أبناؤهم على عقيدة أن جزيرة سينا هي قلب مملكتهم الموعودة ، وما فلسطين إلا جزءا صغيرا من تلك المملكة التي تضم سينا وفلسطين وشرق الأردن وقسما من سورية والعراق حتى الرافدين

وعلى هذا الأساس هم يعملون منذ أجيال ، وفي سنة ١٩٠٦ وفدت على مصر لجنة إنجليزية يهودية قضت في سينا خمس سنوات كاملة ، تفحص عن كل شيء فيها ، وتنقب عن المياه الجوفية والأراضي الصالحة للزراعة ، والمعادن والطبيعة الجيولوجية بصفة عامة ، والمناخ والطرق والأهمية الاستراتيجية ، وعادت ومعها تقرير شامل يثبت أن سينا صالحة لإسكان مليون نفس وإعاشتهم

وقد عنى الإنجليز بعزل سينا عن كل نفوذ للحكومة المصرية ، وكان محافظ سيناء «جارفس» الإنجليزي هو حارس شبه الجزيرة أن تمتد إليها عين مصرية ؛ وأفهموا المصريين أن هذه الصحراء لا أمل فيها ولا ضرورة للاهتمام بها ، لأن المياه الجوفية فيها لا تصلح لخلق حياة مستقرة ، وكان هذا كله لحساب اليهود الذين يسيرون دفة بريطانيا

ومن المعروف أن جيش إسرائيل عندما تجاوز الحدود المصرية سنة ١٩٤٨ ، كان أول عمل لرجاله عندما وطئت أقدامهم رمال الصحراء بعد رفح أن ترجلوا جميعا ، وقبلوا تراب الأرض ، وأقاموا الصلاة ، ثم تابعوا خطواتهم في الأرض المقدسة !

أما اليوم فهم يقيمون على الحدود استحكامات قوية ،

ويسكنون في أرضها الفتيان الفدائيين بزوجاتهم وأولادهم ، يقطعونهم الأرض ، ويبنون لهم مما كنهم تحتها -- لا فوقها — ويعدونهم بالمال ليستصلحوها

وأمامهم ألوف الأميال المربعة في الشقة المصرية خلاء ! فإذا أرادوا هم أن يزحفوا فسيزحفون من استحكاماتهم على الحدود ووراءهم العمار . وإذا أردنا نحن — حتى أن ندافع — وقفت جيوشنا ووراءها هذه الألوف من الأميال القاحلة الجرداء الخاوية من السكان

لماذا ؟ لأننا نحن مشغولون . مشغولون بالانقلابات الوزارية . مشغولون بالانتخابات هل تكون بالقائمة أم بغير القائمة ؟ مشغولون بالاستثناءات ومن ترد إليهم استثناءاتهم ومن لا ترد ؛ مشغولون بهذه الأمور الكبار التي لا يجوز أن يلهينا عنها خطر اليهود أوغير اليهود، وماتكون سينا وهي صحراء جرداء إلى جانب كراسي الوزارة الفخمة ومقاعدها الوثيرة، وقاعاتها المكيفة الهواء !

وفجأة — وفي هذه الظروف — تطلع علينا نغمة لا يدرى مبعثها إلا الله ، والراسخون في العلم من اليهود والصليبيين . نغمة تحديد النسل .. لماذا ؟ لأن مصر تضيق بسكانها ، ولأن موارد الرزق لاتنمو بنسبة نمو السكان ، ولأن الأرض الزراعية محدودة

جميل ! نحن معكم في أنه حين تعجز موارد البلد عن إعالة سكانه يجب أن يقف نمو هؤلاء السكان . ولكن حين تكون في موارد هذا البلد بقية فيجب أن يستمر سكانه في التزايد ، لأن نمو السكان في هذه الحالة ضمانة من ضمانات البقاء أمام تكتل الأعداء . وضمانة من ضمانات القوة في المجال الدولي . لأن الأمم التي تريد أن يكون لها وزن في الكتلة الدولية تحاول كلها زيادة سكانها . وأمامنا ألمانيا وإيطاليا وروسيا واليابان . بل أمامنا إسرائيل الصغيرة وهي تحاول مضاعفة سكانها على الرغم من كل ما يشاع من الأزمة الاقتصادية الممسكة فيها بالخناق !

فهل استنفدت مصر وسائلها لزيادة مرافقها ؟ إن في مصر من الموارد والمرافق ما يكفي لإعاشة ضعف سكانها كما يقول بعض الخبراء ، وأمامنا مثل واحد في سينا ، فهي كافية لإعاشة مليون من الناس ، لو وجدت من يعمرها ويرد إليها الحياة

فلماذا يتجه التفكير أول ما يتجه إلى وقف نمو السكان ؟

ومرة أخرى نكرر ، أننا لا نعارض — بل نحتم — وقف نمو السكان حين يثبت أن مرافق البلاد غير قابلة للنماء . أما حين يثبت أنها قابلة لأن تتضاعف ، فإنه يكون من الحق ، أو الاتجاه المريب ، أن تثور مثل هذه النغمة . لأن معناها وقف نمو البلاد لامن ناحية تعدادها فحسب ، ولكن كذلك من ناحية مرافقها . فضغط السكان قد ينبه الغافلين إلى محاولة الاستغلال الكامل لمرافق البلاد

على أن حكاية تحديد النسل أو زيادته لا تخضع لحسن الحظ ، لهذه الأفكار السطحية التي لا تحاول التعمق في دراسة الأمور . إن الحرص على زيادة النسل في الريف ضرورة اقتصادية وضرورة اجتماعية . ولا عبرة بالمدن لأنها على هامش حياة الوطن !

إن الذي لا أولاد له في الريف يعيش في مستوى اقتصادي أقل من مستوى أبي الأولاد . كما أنه أقل هيبة وحصانة على الاعتداء ! وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية من القوة بحيث لاتستمع لنصائح السطحيين !

ولن يتغير حكم هذه العوامل ويخف ضغطها إلا حين ينتشر التعليم ، ويصبح هناك مورد آخر للرزق غير العمل في الأرض ، وقوة أخرى للحماية غير قوة العضلات ! وعندئذ فقط يستطيع الشعب كذلك أن يستعيض من قوة العدد قوة العقل ، ليقف في وجوه أعدائه المحيطين به

إن الفطرة تتصرف في هذا أحكم مما يتصرف السطحيون الذين يحسبون أنفسهم « مثقفين ! » فإذا عز على حضراتهم أن يدرسوا الأمور دراسة حقيقية ، فلا أقل من أن يدعوا الفطرة تعمل بحكمتها ويعفونا عن حكمتهم الذهبية ، المستمدة من الدسائس اليهودية والصليبية !

وبعد فنعود إلى استصراخ النائمين في العالم الإسلامي ليصحوا على مطامع الصهيونيين في سيناء . فإن مصر مشغولة الآن ، مشغولة بالانقلابات الوزارية . مشغولة بالانتخابات وهل تكون بالقائمة أو بالوزن والكيل . مشغولة بالاستثناءات وغير الاستثناءات . وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . والأمر بقدم . ولا حول ولا قوة إلا بالله

سيد قطب

تبعات السينما

فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ أنور الجندى

استفاضت المجلات الأوربية فى الأسابيع الأخيرة فى الحديث عن السينما والأفلام التى تعرضها ، وكان الحديث هذه المرة جد غاية الجد ، انطوى على تقدير ومراجعة العوامل التى تصيب المجتمع نتيجة لموضوعات هذه الأفلام

وكانت الصحف الفرنسية الأسبوعية أكثر الصحف شغلا بهذه الآثار الاجتماعية والأخلاقية ، وتطرق الحديث إلى الشباب والشابات قبل سن المراهقة وإبانها ، ومدى أثر الأفلام وموضوعاتها فى شخصيته وكيانه ، والنتائج الهامة المترتبة على ذلك فى محيط الحياة العامة

وكانت إحدى المجلات الفرنسية قد قامت باستفتاء ضخم منذ عدة شهور فى موضوع « السينما والشباب » ، وهل تدفع إلى المعصية والخطيئة والإجرام

وقدمت صحف أخرى إحصاءات ظهر منها أن ٩٠٪ من الأفلام المعروضة تنطوى قصصها على القتل والإجرام والاختلاس والإغواء والزنا والنصب والاحتيال

وبذلك أصبح موضوع النتائج الاجتماعية للسينما والأفلام من الموضوعات الجديرة بالاهتمام فى مصر ، بعد أن لقيت مثل هذه الرعاية فى البلاد الأوربية التى ابتدعت هذا الفن

ولا شك أننا فى الشرق قد بدأنا نحس مدى الخطر الضخم الذى يجتاح المجتمع نتيجة للأفلام المعروضة ، والتى لاهدف لها ولا سياسة ثابتة توجهها

وكان من الضرورى — والفيلم جزء من الثقافة العالمية — أن يشغل أمره بال المصلحين والكتاب والباحثين

ولست أشك لحظة فى أن عنصر التسلية والمتعة ، والخروج من النفس والجد ، هو أبرز ما يهدف إليه القائمون على العمل السينمائى ، غير أن ذلك لا يحول مطلقا دون تقدير المدى الذى تستطيع أن تهضمه عقليات المراهقين والشبان والفتيات ، مما له أبعد الأثر فى تكوين السلوك الفردى والعقد النفسية

وإذا كانت الشاشة تستجيب لرغبات الجماهير — فى أغلب الأحيان — إلا أنه من الممكن اليسير أن يحاط ذلك بقيود تهدف إلى المحافظة على قواعد الخلق وتقاليد المجتمع

ولسنا نطمع فى أن تكون الشاشة موجهة مؤثرة منافحة عن المثل العليا فى الخلق ، أو من الأمجاد الرفيعة المستمدة من التاريخ والماضى ، ولكننا نريدها على أقل تقدير كريمة وطنية بحيث لا تطغى عليها الناحية المادية التجارية التى يحرص عليها المولون ، فتكون هدفها الأول والأخير

ويقينى أن كتابة القصة السينمائية وحبكتها الفنية ، وبراعة عرضها ، كل هذا كفيل بأن يكسبها أكبر عدد من المعجبين ، ويدر على أصحابها الربح بصرف النظر عن العوامل المصطنعة التى يغرى بها فريق قليل من النظارة

وإنا لنرجو أن تنال هـذه الصيحات الأوربية اهتمام المشرفين على السينما فى مصر فيحرصوا على أن يتفادوا الآثار النفسية الإجرامية أو الآثمة ، وأن يحولوا دون كل ما من شأنه إبراز معنى الغواية ، وهى خطيرة الأثر على الشاب والشابة المراهقين

وإنا لنرجو أن يتسع الميدان أمام العاملين ، فلا يقصر عن المعانى الضيقة والأوهام والشهوات بعد أن خطت الأفلام الغربية خطوات واسعة فى مضمار الثقافة والتوجيه ، وعرفت بأنها جميعها بلا استثناء تحمل فكرة معينة مدروسة

وإذا كان الأوربيون اليوم يدرسون تبعات السينما وآثارها الخطيرة فى المجتمع ، فنحن أولى — ونحن نجرى وراءهم دائما — أن نأخذ منهم هـذه الخطوة دون أن نخشى أن نتهم بالرجعية أو القصور

والسينمائى الناجح كالطبيب الماهر ، يعرض الداء ويصف الدواء ، ويستطيع أن يحشد عوامل الإيحاء والسيكولوجيا والفن فى تحويل نفسية المريض وإقناعه

ولا أظن أننا فى كبير حاجة إلى هذه الاستعراضات الراقصة

التي يتمسك بها المنتجون ، وقد ظهرت أفلام دون أن تحشر هذه المناظر المبتذلة ، فنجحت نجاحا منقطع النظير ، وقيل عنها في الخارج إنها رفعت رأس مصر عاليا ، بعد أن كانت مصر متهمة بإنتاج الألوان الغثة وحدها

وجدير بالشاشة في مصر والشرق أن تحرص على عرض أمجاد الشرق ومحاسنه ، ليكون ذلك — على الأقل — ردا على ما تحرص عليه الأفلام الغربية من تشويه تاريخ الشرق ومسخه ، ووضعه في صورة من ألف ليلة وليلة . .

فلطالما عرضت الأفلام الغربية للشرق على نحو من التعصب والهوى ، وهى بما لها من قوة التوزيع والانتشار استطاعت أن تقنع الكثيرين بأن هذه هي حقيقة الشرق، ونحن نستطيع — وفي أيدينا الوسائل ميسرة — أن نواجه هذه الحملة بتصوير صحيح لأمجادنا وقضايانا ، من شأنه أن يضع الحقائق في نصابها

ومما هو جدير بالذكر أن الأمم المتحدة كانت قد طلبت من مصر في العام الماضي موافاتها ببيانات عن أفلام تنتفع بها لجنة التربية والعلوم الثقافية للهيئة ، لتوزيعها بعد اعتمادها على سائر الدول الأعضاء في العالم كله.

وقد حدد هذا الطلب بأفلام تصلح للعرض على الطلبة في المدارس ، وعلى الجمهور المثقف ، مما يعالج المشكلات العالمية ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، ومن موضوعات صحية ، وأساليب وقائية ، ومن رعاية للطفل إلى نظام المنزل ، إلى مزارع نموذجية لتربية الحيوانات ، إلى مصايد الأسماك ، ثم في مسائل التغذية واختيار الأطعمة ، وطريقة تحضيرها وحفظها . . الخ

ومع الأسف الشديد أن السينما المصرية لم تجد ما تقدمه لهذه اللجنة ، لأننا لازلنا قاصرين عن بلوغ هذا الشوط . .

فالسينما هي إحدى المدارس الثلاث الخطيرة الأثر ، البعيدة المدى في حياة الشعوب ، وهى لذلك جديرة بأن تحاط بالكثير من العناية ، وعن طريقها يمكن إصلاح المجتمع وتوجيهه خير وجهة ؛ بعد أن تغلغلت دور السينما في الأحياء وفي البلاد وفي القرى ، حتى يمكن القول بأن ٩٠٪ من السكان يحضرونها ، ومعنى هذا أن جزءاً ضخما من مواردنا المالية ، وخاصة موارد العمال والطبقات الوسطى ، وهى موارد محدودة جدا تذهب إلى هذا الباب ، ولما كنا نقاسي في حياتنا العاملة العامة ضغطا وضيقا ، فإننا نجد في السينما بابا من أبواب التسلية ، وفرجة من فرج تصريف العوامل النفسية المكبوتة ، ولذلك فنحن في مثل هذه الحالة من الاستعداد للتلقي ، نتأثر إلى أبعد حد بما يقدم لنا لاسيما الفتيات في سن مبكرة ، والأطفال والشباب إبان المراهقة ، ولعلنا نلاحظ بوضوح تلك الحركات التقليدية الواضحة في تصرفات النشء الصغار ، والتي هي منقولة نقلا كاملا عن حركات الممثلين والممثلات

ولهذه العوامل مجتمعة كان من حقنا على المصلحين أن يولوا مدرسة السينما عناية كبرى بحيث لا يقضي جانب التسلية والترفيه على روحنا المعنوية أو شخصيتنا الحقيقية

أنور الجندي

٤ـ إندونيسيا

الحياة الاقتصادية

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

الاقتصاد والاستعمار :

لاشك ان الدافع الأول إلى الاستعمار هو العامل الاقتصادى. فالدول الاستعمارية إنما تقصد بوضع يدها على المستعمرات إلى أن تضمن لنفسها إنتاج هذه البلاد سواء أكان زراعيا أم حيوانيا أم معدنيا ، كما أنها تضمن أن تكون هذه المستعمرات أسواقا لتصريف مصنوعاتها . وكل هذا يحقق رفاهية الشعب المستعمر ورخاءه ، وهكذا يسعد بعض الشعوب ويشقى البعض الآخر

تلك هى قصة الاستعمار منذ نشأته ، وستظل كذلك ما بقى ! إنه الدليل الحى على ظلم الإنسان للانسان وجشعه وطمعه وأنانيته .

ولم تختلف قصة الاستعمار الهولندى لإندونيسيا عن غيرها من القصص ، فقد ظل الهولنديون يدأبون على وضع يدهم على منتجات إندونيسيا وخيراتها وأرضها وعلى تسخير الإندونيسيين فى العمل والإنتاج حتى تم لهم ذلك ، فأصبحوا يسيطرون تماما على الاقتصاد الإندونيسى وجنت هولندا « بقالة أوربا » وشعبها من وراء ذلك أرباحا طائلة وسعد الهولنديون بينما كان الإندونيسيون لايجدون القوت ! وكثيرا ما استخدم الهولنديون القسوة فى دفع الإندونيسيين إلى العمل ، ولما وجه إليهم اللوم قالوا إنا نفعل ذلك لأن فيه صلاح الإندونيسيين ! وهذا هو الاستعمار : شر وبلاء وفقر ومذلة !

وقد كانت الشركة الهولندية الشرقية أول محتكر لإندونيسيا ولكن منذ ١٨٧٠ سمح للرأسماليين الهولنديين باستثمار أموالهم فى إندونيسيا فامتلأت البلاد بشركاتهم ومؤسساتهم ، وعاد الربح الوفير على الشركات الهولندية والهولنديين

راع الدول الكبرى ماتجنيه هولندا من أرباح فطالبت أن يسمح لرعاياها باستثمار رؤوس أموالهم فى إندونيسيا ، واضطرت هولندا إلى اتباع سياسة « الباب المفتوح » فتدفقت رءوس الأموال الأجنبية من هولندية وإنجليزية وأمريكية وفرنسية وألمانية ويابانية على إندونيسيا .

وقال المستعمرون إنهم يعملون على إغناء ثروة إندونيسيا . ربما كان صحيحا ، ولكن هل أدى ذلك إلى تحسين حال الإندونيسيين ورفاهيتهم ؟ والجواب على ذلك : لا

صحيح أن إندونيسيا قد أصبحت قطرا غنيا عظيم الإنتاج يمج بالمصانع والبنوك ، وتنتشر فيه الطرق الحديدية والسيارات ، وتكثر بموانيه السفن والبواخر ، ولكن الشعب الإندونيسى كان ينظر إلى تلك الثروة بكل حسرة لما أصابه من الحرمان والفقر المدقع . يقول الأستاذ «هلفرسن» الهولندى عندما ودع إندونيسيا : آه يا إندونيسيا الغنية ... ولكن شعبك فى عوز وفقر مدقع ! ويقول الدكتور ليفرت « إن الأجور التى يتقاضاها العمال الإندونيسيون لاتزيد عما يسد الرمق » .

على أن هذا البؤس كان مما دفع الإندونيسيين إلى أن ينهضوا وإلى أن يحاولوا رفع هذا الضغط الاقتصادى عن كاهلهم وإلى أن يعملوا على تحسين حالتهم الاقتصادية، وفى النهاية إلى أن يعملوا على تحرير وطنهم من ربقة المستعمر وإعادة الاستقلال إليه . وهكذا استيقظت إندونيسيا من سباتها

وكانت الشركة التجارية الإندونيسية التى تأسست ١٩٠٩ أول حجر فى هذا البناء الشامخ وأصبحت الجمعيات والأحزاب الإندونيسية تمنى بالتحرر الاقتصادى للاندونيسيين كما تمنى بالتحرر السياسى ومن ثم كثرت الشركات الوطنية التجارية والصناعية وفى ١٩٣٨ تأسست شركة « الملاحة والتجارة » للجمعية المحمدية . وقد كانت تهتم بتيسير نقل الحجاج إلى مكة ، وساعدت كثيراً على تقدم حركة النقل التجارى الإندونيسية .

ثم أنشيء « البنك الإسلامى » تحت إشراف الجمعية المحمدية وبجهود المرحوم الدكتور ستدمو قام فى سورابايا « البنك الإندونيسى الوطنى » .

وهكذا سارت حركة التحرير الاقتصادى جنبا إلى جنب

مع حركة التحرير السياسى ، وفى ١٩٤٥ تحقق استقلال إندونيسيا ونحن نرجو لشعبها الرفاهية والقوة فى ظل الاستقلال

قصة جوز الهند :

شجرة جوز الهندى زينة المناطق الحارة وحلية المناظر الطبيعية فى الغابة ، تمتاز بارتفاع هامتها وباعتدال جذعها النحيل وبتجرد ساقها من كل فرع أو غصن ، وتتوج هامتها أوراقها الوارفة تتموج وتتمايل فى الفضاء تحت ضربات الرياح فيسمع لحركاتها صوت يشبه حفيف أجنحة الحائم الطائرة .

وإندونيسيا من أكثر الدول إنتاجا لجوز الهند فهى تنتج ٢٥٪ من المحصول العالمى وتصدر منه مايزيد على ٥٠٠ر٥٠٠ طن سنويا .

وللجوز الهندى منافع جمة : فبداخله شراب لذيذ الطعم ويحيط به لب ناصع البياض هو غذاء شهى . وللجوز الهندى غلاف صلب يمكن استخدامه كوعاء وتغطيه ألياف يمكن صناعة الحبال منها وكذلك تستخدم فى صباغة الأكلة والمكانس أما السعف والأوراق فتستخدم وقودا وأما الجذع فيعتبر من أقوى خشب العمارة ويتخذ لبناء البيوت والجسور .

وللشجرة جوز الهند قصة طريفة ترويها الأساطير الإندونيسية .

زعموا أنه كان يعيش فى إندونيسيا فى قديم الزمان ملك عظيم الشأن يخضع لسلطانه جميع الملوك المعاصرين . وكان لهذا الملك طاهية قديرة تتفنن فى صناعة الأطعمة الشهية والمأكولات اللذيذة ولا يفوقها أحد فى براعتها أو مهارتها . وكان الملك فخورا بها مزهوا ببراعتها ويشملها دائما بعطفه ورعايته وهداياه وجوائزه .

ولقدرتها الفائقة بعث الملوك بطهاتهم إلى قصر الملك ليأخذوا من الطاهية فنها ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى السر وظل فنها قاصرا عليها

وذات يوم كانت الطاهية مشغولة بإعداد طعام الملك فغافلها أحد ندمائه ودخل المطبخ خلسة واختفى فى ركن من أركانه ، وظل يراقبها لكى يقف على سرها

وكانت الطاهية تحمل على ذراعها طفلها الرضيع ، وسرعان ما وقف النديم مبهوتا مدهوشا . لقد رأى الطاهية تحلب من ثديها لبنا صبته فى الإناء الذى يفور فيه الطعام المهيأ للملك . عرف النديم السر فتسلل من مخبئه وذهب توا إلى الملك وأوقفه على الأمر

ثار الملك وغضب على طاهيته التى تجرأت على أن تطعمه من لبن ثديها القذر ، ولم ير سوى الموت عقابا لها على جريمتها ، وأمر بتنفيذ حكم الإعدام فورا ولم يشفع لديه بكاؤها ولا توسلاتها

عرفت المسكينة أنها هالكة لامحالة فدعت الإله فى ضراعة أن يحمى طفلها الوحيد بعد موتها وسألته أن يرد جسمها بعد دفنه إلى شيء يستطيع أن يقوم لابنها ولأعقابه بأجل الخدمات ودفنت جثتها فى موضع بداخل الغابة ، ولم تمض أيام على موت الطاهية حتى شوهد فوق قبرها نبات ينمو ويترعرع فى سرعة مدهشة، ومالبث أن أصبح شجرة عالية ذات ثمار كبيرة مستديرة ! إن الوجود قد انشق عن أول شجرة للجوز الهندى أو النارجيل

لقد تحقق جميع ما طلبته الطاهية : إن جسمها قد تحول إلى شجرة جمة المنافع ، فثمرتها عظيمة ، فى جوفها ماء ليس كالمياه! تجده نقيا صافيا فيه حلاوة الرحيق وأنفاس النبيذ لذة للشاربين ومطفئا لأوار الظامئين . كم من مسافر أطفأ ظمأه شراب جوز الهند !

وكم من جائع ناله الشبع من لب جوز الهند ! .

وكم للجوز الهندى من فوائد (راجع ماسبق) !

وهكذا استجاب الإله لدعاء الطاهية فصنع من جسمها شجرة عظيمة النفع لأبنائها وأحفادها .

وتمضى الأسطورة فتقول : إن روح الطاهية تطوف بأشجار النارجيل ليلا تودع أحفادها وكأنها تقول

نم أيها الطفل الحبيب نم

فإن أعمالى قد انتهت

وقد أجهدت أنت نفسك كثيراً فى اللعب

والنهار قد ولى وبلغ نهايته

هلن كلـــــر

العمياء الصماء البكماء

للأستاذ نقولا الحــــداد

بقية ما نشر في العدد الماضي

قالت مس سوليفان في أحد تقاريرها . إن لهلن ذا كرة عجيبة لا تصدق . كنا ذات يوم في فندق في بلدة تدعى هوسفيل وبجمع النزول حولنا لـكي يروا تلك المرأة العجيبة . كانوا نحو عشرين شخصاً . فقدموا لهلن هدايا مختلفة . وقدموا أنفسهم إليها بأسمائهم . وكانت تصافح كل واحد منهم وكنت أنقل لها اسمه على كفها . وفي اليوم التالي تجمعوا حولها . وكانت تصافح كل واحد منهم وتذكر لي اسمه على كـفي

هذا هو العجب العجاب ! من يصدق ؟ المعلمة لا تـكذب إذ لا غرض لها من الكذب في تقريرها . وكان كل واحد من نزلاء الفندق يقول كلمة من إعجابه . فقال أحدهم : ما رأيت في حياتي وجهاً يشع بهاء كهذا الوجه كأنها ليست عمياء أو خرساء وقال آخر : أود أن أهب كل ما أملك وأن تـكون هـذه الفتاة دائمـاً إلى جانبي »

والليل قد أرخى سدوله

فنم أيها الطفل العزيز نم

وأغمض جفونك أيها الحبيب

وخذ قسطك من الراحة

كيما تشب قويا مفتولا

واتخذ من صدري فراشا وثيرا

وأغمض جفونك أيها الحبيب

للبحث بقية

أبو الفتوح عطيفة

روت مس سوليفان في أحد تقاريرها أن هلن كانت شديدة الإحساس العقلي لدرجة لا تتصور . كانت تدرك عاطفة كل شخص تلمسه أو تلمس يده أو تتصل به بأية طريقة . فتعلم هل هو مرح أو غاضب أو مستاء أو يائس أو آمل . في ذات يوم رى ولد « فرقيعة » صغيرة أمام أمها فا جفلت فسألتهـا هلن في الحال « مم خفت » ؟ (ألا يخفى أنها كانت قابضة على يد أمها كعادتها حين تسير مع أي شخص) . وفي ذات يوم كانت هلن ومعلمتها سائرتين في الشارع ، فرأت المعلمة شرطيا قابضاً على غلام يمضى به إلى دائرة البوليس ، فقالت لها هلن : « ماذا تشاهدين ؟ » كأنها أحست أن المعلمة أشفقت على الغلام

وفي ذات يوم دعا داع أن تدخلا إلى مقبرة . قالت سوليفان رأيت هلن قد انقبضت كأنها أحست بشيء كئيب مع أنها حتى ذلك الحين لم تـكن تعرف شيئاً عن الموت ، بل عرفته لأنهـا في ذات يوم عرفت أن حصاناً انكسرت رجله في حادث . فـكانت تريد أن تزوره كل يوم . وكانت تشعر أنه يئن من الألم، وفي ذات يوم ألحت في الذهاب إليه فقالت لها إنه مات ودفن تحت التراب . فسألت : كيف مات ؟ هل مات كما تموت البطة التي يصطادها أبوها بالبندقية ؟ وكانت تمسك البطة الميتة وهي تعرف كيف تـكون البطة الحية . فقالت لها المعلمة : نعم وقد رموه بالرصاص كي يخلصوه من الألم إذ لم يبق أمل بشفائه . وهكذا عرفت الموت

وفيما كانت في المقبرة كانت تتحسس كل حجر وكل رخامة إلى أن صادفت اسم فلورنس محفوراً على رخامة قبر . فسألت : « أين فلورنس الآن ؟ هل بكيت عليها ؟ من وضعها في الحفرة الـكبيرة ؟ أظنها ماتت جدا . وكانت المعلمة تتجنب أن تجاوب على أسئلتها. وإنما أفهمتها معنى الموت

وكانت هلن في حداثتها رقيقة الشعور جدا . فني ذات يوم ألبستها أمها معطفاً أنيقاً ، وكانت فرحة به جداً، وقالت لها أمها « يوجد غلام أعمى فقير ليس له مثل هذا المعطف . فما قولك ؟ فما كان منها إلا أن جعلت تخلع المعطف لـكي تعطيه للغلام .. فردته أمها عليها وقالت سأصنع معطفا غيره للغلام

وكانت رقيقة الإحساس نحو جميع الأحياء الذين حولها .
وكانت إذا ركبت المركبة إلى جنب السائق ترجو منه أن لا يقرع الحصان بالقرعة فتقول له بلغتها . « حرام ! الحصان يبكي » .

كانت في أوقات الفراغ تخيط أو تطرز . ولكنها كانت تقرأ كثيراً ، وفي قراءتها تمر أصابع يسراها على الخط العمياني وبأصابع اليمنى تتهجى الكلمات ، وحركات يدها سريعة جداً

وفي ذات يوم علمها ابن عمها أبجدية التلغراف فتعلمتها بسرعة وكانت تخاطب بها كل من يعرفها بنقر أصابعها على كفه . عجيب أنها تفهم بسرعة ولا تنسى ما تعرفه

والغريب أنها تعلمت السباحة والغوص ، وكانت تسوق المركبة ذات الحصانين . وبالطبع كانت معلمتها إلى جنبها اتقيها من الزيغان والحصان يقيها منه لأنه يرى الطريق وهي تلق له اللجام على الغارب

وكانت كل أمنيتها أن تدخل كلية ردكليف اتدرس مع المبصرين والسامعين العلوم العليا ، ولما دخلت الكلية انتخبها الصف الأول نائبة رئيس الصف ! والصف أربع سنين دراسة أعلاها الرابع

جميع كتب الدراسة والتعليم مكتوبة للعميان بالحروف البارزة . وللعميان آلات كتابية (تيب ريتر) يستعملونها . وكان لهلن جميع الكتب العميانية ولها آلة كاتبة خاصة . ومس سوليفان لا تفارقها فتساعدها في كل ظرف من ظروف دراستها

ففي الكلية درست النحو وآداب اللغة الإنكليزية . ودرست اللغة الألمانية واللغة الفرنسية واللغة اللاتينية واليونانية . ولما كان للعميان جميع الكتب المهمة في هذه اللغات بالحروف تيسر لهلن أن تقرأ بعض إلياذة هوميروس وبعض شكسبير . وأهم مؤلفات الألمان والفرنسيين

والغريب أنها وهي في الكلية كانت تهتم بإنشاء كلية لتعليم العمي والبكم . وبذلت جهداً في هذا السبيل وألفت لجنة لهذا الغرض منها معلمتها وأمها وبعض موظفي مدرسة العميان التي درست فيها ، وهي تعترف دائماً بأن مس سوليفان صاحبة الفضل الأعظم عليها وأنها أمها الثانية ، ثم إنها جمعت لسعي لتحويل هذا المشروع فكتبت للكثيرين أن يمدوه بالمال . فلا بدع أن نراها وهي في سياحتها في الشرق توجه كل اهتمامها إلى مدارس العميان والسمى لمساعدتها

وانتهت هلن من كلية ردكليف بنجاح فائق وأخذت مع المبصرين والسامعين درجة بكالوريوس علوم . وما قنعت بهذا بل طمحت إلى الجامعة لكي تحصل على دكتوراه في العلوم ثم دكتوراه في الفلسفة

ولما بلغت العشرين من العمر وكانت قد انتهت من الدرس شرعت تكتب تاريخ حياتها الذي طبع في سنة ١٩٠٣ أول مرة ثم طبع سنة ١٩٣٢ مرة ثانية

وكانت مجلة السيدات ladies home Journal تنشر مقالاتها وجميع أخبارها وأخبار مس سوليفان عنها

وبكل أسف ليس في كتاب تاريخ حياتها الذي نحن بصدده شيء عن حياتها بعد كتابة كتابها الأول . وإنما هناك كتاب آخر بعنوان Mid Sheom يستوفي بقية حياتها في الجامعة وبعدها . وأنا أسف أنه لم يتيسر لي الحصول عليه

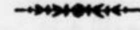
ولمس سوليفان فصل طويل في مسائل هلن عن الوجود والله والطبيعة ، فكانت مس سوليفان تسوف الأجوبة على هذه الأسئلة إلى أن تنتهي هلن من الجامعة ودرس الفلسفة

هذه هي هلن كلر التي هي كتلة عقل في دماغ طري مرن ، وكتلة أعصاب في بدن شديدة الحساسة ما عدا أعصاب السمع والبصر . والذين رأوها في مصر دهشوا من مقدرتها في التعبير عن نفسها وأفكارها . ومنهم كثيرون لم يصدقوا هذه المقدرة لأنهم رأوا وجهها يشع جمالاً وليس في عينيها ما يدل على عمى ، وما فهموا أن العيب ليس في عينيها ولا في أذنيها ، وإنما هو في مراكز السمع والبصر في الدماغ

فسبحان من منع ثم منح

جحا القاضى

للاستاذ عطا الله ترزى باشى



اشتهر من بين المستظرفين فى الشرق رجلان سميا بجحا ، أحدهما عربى ، هو أبو الغصن بن رجين بن ثابت الذى عاش بمدينة الكوفة فى القرن الثانى من الهجرة ، والآخر تركى يعرف بجحا الرومى ، وهو الخوجة نصر الدين الفيكهان(١) العالمى المعروف

ونريد فى هذا المقال أن نتكلم عن الثانى على أن نحصر الكلام فى ناحية هامة من نواحى حياته ، ونعنى بها جانب القضاء ، وأن نتطرق كذلك بإيجاز إلى جوانب حياته الأخرى كلما مست بنا حاجة أو دعت إلينا ضرورة

ولد جحا بمدينة (سيورى حصار) من ولايات الأناضول وتلقى علومه الابتدائية فى مدينتى (آق شهر) و (قونيه) . وعين بعد ذلك إماماً فى بعض المساجد فدرساً . وقد اشتهر بالوعظ والخطابة ، وشغل منصب القضاء مدة غير قليلة فى نواحى قونية . وتوفى سنة ٦٨٣ هـ عن عمر يناهز الستين . وقد ثبت تاريخ وفاته فى مرقده بترتيب عكسى لأرقام السنين ، فكتب تاريخ ٣٨٦ هـ بدلا من ٦٨٣ . وهذا الأخير مشكوك فيه أيضا

لقد كان جحا الرجل الفذ المعروف بحضور بداهته وقدرته على إبداع النكات بما لا يضارعه فى ذلك أحد من المستظرفين . ولئن كان جحا ضحكة (٢) بين الناس فإنه لم يكن صاغراً أو مهاناً راضيا بالخل والضيم .. فقد كان شيخاً كريما وأديباً ممتازا جمع بين الجد والهزل بشكل لا يجاريه فيه أحد من الأدباء ، وعالماً فاهما يفحم فطاحل العلماء بأجوبته المسكتة وأدلته المقنعة . وهو يعد بلا شك برناردشو زمانه ، والواقع أنه كان أذكى وأعقل .. ومن درس حياته دراسة عميقة توسم فيه أدباً رفيعا بعيدا عن المهازل المبتذلة .. ورأى من وراء سفاسفه فلسفة مثلى .. والمطلعون على نكاته — باختلاف طبقاتهم واختلاف ألوانها — نراهم يستمتعون بلذاتها أبد الدهر . فهو يتمثل فى مخيلة كل قارئ شخصاً يتغير وصفه بتغير حال المخيل ، فيتصوره الصغير رجلا طاعنا فى السن وعصاه فى يده يسوق بها حماره الذى يلازمه فى أكثر نكاته . ويتخيله الجاهلون من طبقة العوام رجلا ذاجنة فيهرفون فى الضحك به ، ويعتبرون نوادره لونا من الهزل الرخيص . وهو فى الواقع رجل عظيم كما ذكرنا ، حكيم رزين ، وعالم متزن متحل بمزايا الإنسان الكريم . أما نكاته فهى مرآة صافية تتمثل فيها جوانب شخصيته الممتازة . وقد ترجم أغلب نوادره إلى اللغات العربية والفارسية والهندية فضلا عن أنها ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية الحديثة . وقيل إن أحد الإنكليز المغرمين بنوادر جحا كان يقتنى كل نادرة غير موجودة فى مجموعته بجنيه استرليني ، حتى تمكن من الحصول على عدد غير قليل من نوادره ..

كان جحا يجالس العلماء البارزين ويتحداهم فى كثير من المسائل ، وكان يصاحب رجال الدولة وخاصة القضاة منهم ، فيستشيرونه فى كثير من الأمور فيرشدهم إلى أسلم الحلول . وكان الأفراد ، صغيرهم وكبيرهم ، يحتكمون إليه فتراه يحل مشاكلهم بفطنته ويقطع بينهم دابر الفساد بدرايته . فيرضى بحكمه الصغير ويقنع برأيه الكبير .. يحسم النزاع بشكل لا يدع فيه للاعتراض مجالا ولا يترك للمناقشة بابا . يعبر عن غاياته بتعابير شيقة توافق مقتضى الحال . فيعرف كيف يخاطب الصغير ويجارى الجاهل الغرير(٣) وهو يعرف كيف يوازى الحكيم الحكم ويوازن الشيخ الكريم ...

أدرك جحا عصر تيمورلنك (٤) الملك الجبار وأنس بمجلسه . وكان يواجهه فى كل حين مواجهة صديق لصديقه ، لا يأخذه منه روع أو جزع ..

دخل تيمور بلدة جحا مظفراً منتصرا على العثمانيين . فخاف الناس أن يصيبهم منه أذى حتى أقدم جحا على زيارته

(١) يعنى الفاكه

(٢) وهو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه

(٣) يعنى الغر بكسر الغين

(٤) وإن يرى بعضهم خلاف ذلك ..

وأبدى جسارة فى الجلوس بجانبه . ولما رآه وقد مد إحدى رجليه (٥) أراد أن يضحك منه ؛ فد هو رجله من ساعته . فاستشاط تيمور غضباً وقال له : لقد سمعت عنك أنك ظريف حكيم ولكن تبين لى أنك حمار ! فتبسم جحا ضاحكا وقال له : أجل ! إنه ليس بينى وبين الحمار فرق سوى ذراع أو ذراعين (٦) ! فتعجب تيمور من هذا الجواب فأمر بالإنعام عليه وجعله من المقربين

ويروى عنهما نكات كثيرة ، نخص بالذكر هنا إحداها وقد عبزت بطابع القضاء الذى جعلنا المقال يدور حوله

ارتجل (٧) جحا يوماً أوزة وجاء يقدمها إلى تيمور . فغلب عليه الشوق إلى أكل شريحة منها ، فعالجها لاختيار الموضع الذى يأكل منه حتى تناول إحدى رجليها (٨) . . ففطن السلطان للمسألة ، فسأله بغضب عن علتها فأجاب جحا قائلا :

— إن الإوز فى هذه البلاد — يا سيدى — له رجل واحدة ! وأشار إلى الإوز فى الحديقة وهى واقفة على رجل واحدة (٩) .. وعندها قام تيمورلنك فضرب الإوز بعصاه حتى تولت برجليها مسرعة . . قال له جحا : لئن ضربناك بهذه العصا لرأيناك تركض بأربع أرجل ! وكان ذلك جواباً مفحما ابتغى من ورائه الإشارة إلى الآثار السيئة التى تنجم عن التعذيب فى المجتمع

* * *

لقد زادت قيمة جحا وعلت منزلته بين الناس بمر الأيام وكر الأعوام حتى تكون له مركز ممتاز فى المجتمع . وقد ذاع صيته فى أطراف البلاد ، فاهتمت به الأوساط الأدبية وعنت المجالس الثقافية بجمع نوادره الرائعة .. وأحبه الناس حبا جما فكانوا يكرمون وفادته فى كل مكان . وكان رجال العلم وأكابر القوم وولاة المملكة وقضاتها لا ينقطعون عن مجالسه ولا يدعونه ينقطع عن مجالسهم

يروى أن أحد القضاة أراد يوماً أن يستهزئ بجحا فى مجلس ضم جمعا غفيرا من علية القوم ، وكان يقربه فى ذلك أحد التجار ، قال :

— لا غرو أن كثرة الكلام داعية للخطأ ، فهل صادف أن سبقت لكم القرنوة خطأ ؟

قال جحا : نعم . وكان ذلك فى موضعين : أحدهما فى جملة « وقاضيان فى النار » فقد قرأتها خطأ « وقاض فى النار » وثانيهما فى آية « إن الفجار لفى جحيم » إذ قرأتها « إن التجار ... »

ويروى له مع هذا القاضى نادرة أخرى أطرف من سابقتها وهى أن جحا كان يوما جالسا مع صديقه القاضى فى قاعة المرافعة ، فجاء رجلان يتخاصمان على رفع جيفة كلب ملقاة فى الطريق بين داريهما ، يطلب كل منهما إلزام الآخر برفعها رأى القاضى أن يحيل المسألة على جحا فيحسم النزاع وكان يروم الاستهزاء به . فما كان من جحا إلا أنه اعتلى منصة القضاء وأصدر حكما يتضمن أن الأفراد غير ملزمين بإزالة الجثث من الطريق العام ، وإنما المختص بهذا العمل هو حضرة القاضى الذى يمثل المصلحة العامة (١٠)

وهكذا حسم الدعوى حسما موافقاً لمقتضى القانون والعدالة ، منتقما من القاضى الذى أراد الاستهزاء به ..

ويعبر جحا بنكاته البديعة عن واقع الحالى تعبيراً صادقا ، ويصور بها الأوضاع السيئة فى عصره خير تصوير . فانظر إلى فكاهته هذه كيف يوضح بها سوء القضاء وتفشى الرشوة بين الحكام :

حكى أن ثريا قال لجحا : إن تبصق على وجه فلان ، وهو

---

(٥) لعلة فى رجله

(٦) وكان يبعد عن تيمورلنك فى المجلس بهذه المسافة

(٧) بمعنى طبخ فى المرجل

(٨) فأشار بذلك إلى عرجة تيمور

(٩) والمعروف عن هذا الطير أنه يقضى معظم أوقاته واقفاً على الرجل الواحدة

(١٠) وفى التعبير التركى الذى استعمله جحا تورية تعنى أن جيفة الكلب هى حصة القاضى .

عدو لى ، فلك منى دراهم كذا .. وافق جحا على ذلك .. فرفع المشتكى أمره إلى القاضى ولدى السؤال أجاب جحا قائلا . إن لدى فرمانا (١١) يخول لى الحق فى ذلك ..

فاستغرب القاضى من ذلك وقال له أرنى هـذا الفرمان . فإذا بجحا يدفع كيساً إليه وفيه نصف المبلغ الذى أخذه من صاحبه التاجر . وما أن أخذ القاضى الدراهم حتى ولى وجهه إلى المشتكى وقال :

— حقا لقد أبرز خصمك فرمانا يخول له الحق أن يبصق على وجهك وعلى وجوه الناس بل وعلى وجهى كذلك !..

وتقلد جحا منصب القضاء مدة طويلة كان خـلالها مثال الحاكم العادل الذى لا يقربه الطمع والحكيم المجرب الذى لا يغويه الفساد . فكان حازما فى رأيه صريحا فى نطقه ، قوى الحجة كثير البلاغة ، ذكيا ذا فطنة لا تخدعه خديعة الماكرين ولا يجترفه عن الصواب مكر الماجنين .

حكى أن أحد الماكرين أراد أن يحتال على كسار خشب ، فادعى أن له بذمته مبلغا نشأ عن حثه المدعى عليه على كسر الحطب بترديده كلمات « هينغ .. هينغ » حيث سهل أمر الكسر ، ولذا فإنه يطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بالمبلغ المدعى به وهو أجر قوله ...

تأمل القاضى — وكان جحا — فى المسألة ثم قال للمدعى عليه : هات المبلغ المدعى به ! وما أن أخذ الدراهم حتى رنها وأعادها إلى صاحبها المدعى عليه قائلا :

— إياك الدراهم .. وأنت يا مدعى قد انتفعت بصوتها فهو أجر قولك !

ويروى من جحا فى هذا الموضوع نوادر شتى ، منها : المدعى (مشيراً إلى المدعى عليه) لقد كان هذا يحمل ثقلا فوقع من ظهره ، وطلب إلى أن أعاونه، فسألته عما يعطينيه قال « لاشئ » فرضيت بها وحملته الثقل ... ولذا فإنى أطلب من المحكمة إلزام المدعى عليه بتأدية « لا شئ » لى

جحا (وهو القاضى) — دعواك صحيحة يابنى ! .. تقرب منى وارفع هذا الكتاب .. ماذا تجد فى أسفله ؟

المدعى — لا شئ ..

جحا — فخذها إذن وانصرف !

ويلاحظ أن القرارات التى كان يصدرها جحا لم تكن من نوع القرارات القراقوشية التى لا تتفق مع قواعد العدالة .. ولئن كان ظاهرها موصوفا بطابع الهزل فإن باطنها كان محبوكا بأنسجة الحق والصدق .. فلم يكن جحا ليمزج الحق بالباطل أو يخرج الصدق بالمين إلا على سبيل الملاطفة .. جاءه يوماً رجل وقال له :

— إن ثوركم نطح ثورى فهلك ! فهل يلزم الضمان ؟

فقال جحا : كلا ! فإن دم العجماء جبار ...

فقال صاحب الثور: عذرا لقد أخطأت، فإن ثورى هو الذى نطح ثوركم !

وعندها قام جحا منزعجا وقال :

— هات لى الكتاب الفلانى ، فقد تغير وجه الادعاء

وأبدع جحا مرة فى الإجابة عن بعض الادعاءات المتناقضة بقول حاسم جميل، لقد جاءه أحد المتخاصمين يبسط له النزاع ويبرئ نفسه ويدين خصمه . فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، وبعـد قليل جاء المتخاصم الثانى وبدأ يشرح له الأسباب ، فقال له جحا : « نعم إنك على حق » ، فاستغربت امرأته من ذلك وقالت له : لقد جاءك المتخاصمان فقلت لكل منهما إنك على حق ! ولئن كان أحدهما محقا فى دعواه، فإن الآخر ولاشك غير محق فيها ، فالتفت إليها جحا وقد تدارك الجواب :

« نعم ولإنك على حق »

كركوك عطا الله رمزى باشى

---

(١١) الفرمان هو الارادة السنية التى كان يصدرها السلاطين العثمانيون فى أمر تولية بعض المهام الرسمية

زعماء التاريخ

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسين

« لم يكن مصطفى كمال رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه إلى البطولة خلو الميدان .. ويدفعه إلى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل .. والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت . » الزيات بك

— ٦ —

انتهى الكفاح المسلح ... وخرجت تركيا من الحرب منتصرة ظافرة .. وبذلك بدأت الحياة تدب فى قلب الوطن التركى من جديد . واضطر الحلفاء أن يعترفوا باستقلال الأتراك .. ويعيدوا إليهم حريتهم المسلوبة .. وأراضيهم المحتلة

(١) ومن عجيب المتناقضات .. أن هول هذه النكبة التى حاقت باليونانيين .. كانت أكبر سبب فى إزالة العداء بينهم وبين الأتراك .. وإنشاء علاقات ودية بين حكومتى أنقرة وأثينا .. وهكذا نفذ مبدأ تقرير المصير عن طريق السيف والنار..والذبح والتدمير !

وإن الباحث فى تاريخ الحركة الكمالية يرى أن هناك ظروفا — لم تخل من مزايا — ساعدت مصطفى كمال وأتباعه .. على الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة .. التى لم يكن يتوقعها الأتراك أنفسهم

وهذه المزايا يمكن تلخيصها فيما يلى :

(٢) أولا : نجد الترك فى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ قد تخلصوا — إن طوعا وإن كرها — من عبء إمبراطوريتهم .. وكانت عبئا أثبتت الحوادث أنه لم يكن لهم طاقة بحمله

ثانيا : فى الحروب الماضية لم تنفذ الأطماع الأوربية إلى أرض الوطن التركى نفسه . أما عند نهاية الحرب العالمية .. فقد قسمت تركيا إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى .. فكان لذلك أثر كبير . إذ دبت فى صدور الأتراك عاطفة وطنية قومية .. تهدف إلى استقلال الوطن .. لا إلى استعباد الغير ..

ثالثا : انهكت الحرب العالمية قوى المتحاربين جميعا لا فرق فى ذلك بين المنتصرين والمنهزمين .. ولذلك لم يعبأ الرأى العام فى الغرب بغضب رجال السياسة .. ولم ينل اليونانيون مساعدة جدية .. من جانب الحلفاء ... مما ساعد الكماليين فى حركتهم القومية

رابعا : عملت الحكومة البلشفية فى روسيا على تشجيع الكماليين ومساعدتهم .. علهم يتمكنون من إجلاء الحلفاء عن القسطنطينية .. وسد المنافذ للبحر الأسود

ويرى الأستاذ محمد شفيق غربال .. أن هذه المزايا الأربع .. كانت عظيمة الأثر .. كبيرة الخطر .. ولكن لا يقلل هذا من عظمة مصطفى كمال .. وحسن بلاء أتباعه .. إذ لم تكن إذ ذاك واضحة وضوحها لنا الآن .. وكان قيامه بالحركة كله جرأة وإقدام وبعد نظر

وإذا أردنا أن ندرك عظمة الجهود التى قام بها مصطفى كمال .. فلنرجع إلى خطابه الذى ألقاه أمام حزب الشعب سنة ١٩٢٧ م .. والذى جاء فيه .. « وهناك أمران مهمان فى صدد هذه الفترة .. أولها : أنه كان يسود فى الأذهان فكرة وجوب عدم إغضاب الدول الكبرى المنتصرة . أثناء البحث فى وسائل الخلاص .. وكانت فكرة عجز الأمة عن الوقوف أمام واحدة منها ... فضلا عن الجميع ... راسخة رسوخا قويا فى الأذهان .. ولم يعد منه شئ أبعد عن المنطق والعقل فى نظر الناس من الوقوف فى وجه قوى الحلفاء

أما ثانيهما : فهو الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقا وراء التقاليد الدينية والوطنية التى مرت عليها الأجيال .. ولم يكن أحد قادرا على فهم معنى الخلاص من غير الخليفة .. وكان من يشذ عن هذا المفهوم .. يتهم باللادينية.. واللاوطنية.. والخيانة ... »

ومع هذا الفساد فى الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم القاتم .. وفقدان الثقة بعظمة الأمة التركية وحيويتها .. كانت خطب الزعيم مصطفى كمال .. وأقواله المأثورة منذ أوائل الحركة

(١) هـ فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث : ص ٥٨٤

(٢) محمد شفيق غربال بك : دائرة المعارف الاسلامية المجلد ٥ تركيا

النضالية وفى أثنائها . . وبعدها . . تدل على أن ما صدر عنه من توجيهات . . وأعمال نضالية . . وسياسية . . وانقلابيـة . . وإصلاحية . . فى مختلف النواحى . لم يكن مرتجلا ، وإنما كان يدل على عظمة حقيقية

بعد أن انتهى مصطفى كمال من تحقيق غرضه الأول . . وهو الحصول على استقلال الوطن التركى . . بدأ ينظر فى حالة البلاد الداخلية . . فكان أول عمل قام به هـو الفصل بين السلطنـة والخلافة . . وإلغاء السلطنة نهائيا من البلاد

أخذ يخطب فى المؤتمر الوطنى . . وقال للنواب : « إن السلطنة شئ . . والخلافة شئ آخر . . ولا بد من الفصل بينهما وإلغاء الأولى . . »

وحينما طـال الاجتماع — وكثرت المناقشات . . ضجر مصطفى كمال من طول الانتظار . . فاقتحم القاعة وقال . « لقد اغتصبت السلطنة العثمانية السلطة من الشعب . . ومن حق الشعب أن يستردها . . ويفصل بين السلطنة والخلافة . . ويجب عليكم أن توافقوا على هذا القرار . . وإلا كلفتكم المعارضة ثمنا غاليـا هـو ... رؤوسكم . . » وما أسرع ما وافق الأعضاء . . وألغيت السلطنة . . وعزل السلطان وحيد الدين . . ونصب مكانه عبد المجيد خليفة للمسلمين . . دون أن تكون له صفة سياسية . . وبعـد فترة قصيرة . . أعلنت الجمهورية . . وأصبح مصطفى كمال رئيسا لهـا . . ورئيسا لأركان حرب الجيش . . ورئيسا لحزب الشعب ... »

نظر مصطفى كمال بعـد ذلك إلى منصب الخلافة . . وكان يعتقد بعبث وجوده . . خصوصا وأن زعماء المعارضة بدأوا يتخذونه محورا لحركاتهم . وعملوا على تقويته بمختلف الوسائل ، وكانت خطتهم تقضى بإعادة السلطة الزمنية للخليفة ، وجعله سلطانا على الأتراك ، وفى سنة ١٩٢٤ ، قرر المؤتمر إلغاء الخلافة وحرمان الخليفة المخلوع ، وأفراد العائلة العثمانية ذكورا وإناثا ، من الإقامة داخل حدود الجمهورية إلى الأبد

عمل مصطفى كمال بعد ذلك على إلغاء الطرق الصوفية ، لأنه رأى ما لمشايخ الطرق من تأثير على الجمعيات والاجتماعات السرية ، والدعـوة إلى المظاهرات ، وإثارة العصبية الدينية ضـد العهد الجديد ، وفى سنة ١٩٢٥ ، صدر قانون بإلغاء الطرق ، وإغلاق الزوايا ، ومما قاله مصطفى كمال فى ذلك ، « إن هذا الظرف كان من خير الظروف للقضاء على هذه الخلافات البغيضة التى شوهت الدين ومبادئه ، وجعلت أماكنه أوكار جهل وعبث وفساد ... »

كما أصدر تشريعا يقضى بمنع الإسراف فى الأعراس ، ومما جاء فى هذا التشريع ، « منع إقامة الأفراح لأكثر من يوم واحد ، ومنع إقامة مآدب أفراح عامة ، ومنع إهداء العروس أكثر من ثوبين ... »

وعمل أيضا على منع تعدد الزوجات ، وتعليم البنات ، وقد نص الدستور على التعليم الإجبارى للأنثى كالذكر تعليما ابتدائيا ، ويعتبر هذا التشريع خطوة كبرى أدت إلى سفور المرأة التركية ، وخروجها إلى ميدان الحياة ، ولم يقتصر على ذلك ، بل نادى بتغيير الزى بما يتناسب وروح العصر ، وجعل القبعة غطاء الرأس لجميع أفراد الشعب التركى . . كما أصدر قانونا بإلغاء الرتب والألقاب ، واكتفى بأن جعل لكل عائلة لقبا تعرف به ، وبذلك عرف باسم « أتاتورك » أى والد تركيا

حقا : لقد كان مصطفى كمال ، والد تركيا ، وزعيمها الأكبر ، فإليه يرجع الفضل فى نهضتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهو الذى جدد معالمها ، وخلقها خلقا آخر ، وجعلها من أقوى الدول الشرقية

ومما عرف عنه ، أنه كان يكره أن يعزى إليه كل الفضل فى بناء صرح النظام الجديد ، بل يعزو نجاحـه إلى وطنية الشعب التركى ، وإخلاص رفاقه القائمين معه بأعباء الدولة ، وكان يكره أيضـا أن يوصف عهده « بالكمالى » ، أو أن يقال إن الشعب التركى ينتمى إلى الحزب الكمالى ، وذلك لأنه يعتقد أن ليس فى البلاد حزب كمالى ، وحزب غير كمالى ، لأن الشعب كله حزب واحـــد ، هو حزب الوطن ، يسعى لخير الأمة ، ويعمل على رفع منارها

ولقد كان للأتراك فى مصطفى كمال ثقة عمياء ، وقد سئل أحدهم عنه مرة فقال « إنه صفوة الرجولة التركيـة ، ونموذجها

مجال الدعوة الاسلامية

يجب أن يشمل المجموعة البشرية

للاستاذ أحمد عوض

مهداة إلى الأستاذ سيد قطب

كان من أثر الاستعمار فى البلاد الإسلامية أن سلبها حريتها ، وألزمها خطة الانطواء على النفس ، وركز فيها سوء الظن ، وحرمها مزية التعاون ، وكفها عن نشر دعوة ألزمهم دينهم نشرها ؛ هى دعوة الإسلام

والإسلام دين لم يخص من الناس فريقا دون فريق ، ولا عنى بطائفة دون أخرى ، وإنما أنزل على قوم كلفوا بأن يوسعوا مجاله بنشر تعاليمه حتى تشمل الكافة . وعلى كل من ينضم إليه أن يشارك السابقين إليه فى الدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالجدل بالتى هى أحسن

لكن الدعوة إلى تعاليم عالية تستلزم أول ما تستلزم ضروبا من الحريات ، منها حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، وحرية العقيدة

وهذه الحريات جميعا وسائر الحريات كبحها الاستعمار وبخاصة ما كان منها مؤديا إلى دعوة عالية ، فالاستعمار منفعة خاصة أساسها أنانية المستعمرين على حساب حريات الإنسانية العامة .

وفرط المسلمون فى حق أنفسهم وحق دينهم عندما أعوزهم من التسلح بكافة الأسلحة ، معنويها وماديها ، فغلبهم المستعمرون على أمرهم ، وكبتوا مشاعرهم ذلك الكبت الذى لم يصل وإن يصل إلى أصل العقيدة ، ولكنه وصل إلى وسائل نشرها ، فلم يقو الاستعمار على رغم بطشه وظلمه على انتزاع الاسلام من الصدور ، ولكن قوته كانت كافية لمنع المسلمين من توسيع مجال الدعوة إليه ، وهذا ركن أساسى فيه

واكتفى المسلمون قرونا بالتحدث عن مزايا الاسلام بين المسلمين ، حديثنا ما دام بين مسلم ومسلم ، فهو لا يشرح العقيدة المفروغ بين المسلمين من اعتقادها ، وإنما يشرح الطقوس والشكليات ، لأن هذه هى التى يحتاج المفروغ من أمر عقيدته الاسلامية إلى الاستزادة من معرفتها . وبذلك أصبحت الدعوة بين المسلمين قاصرة على العبادات والمعاملات ، وهى عظيمة الشأن ما فى ذلك من شك ، ولكن روح الاسلام وأهدافه الجامعية — وهى التى من أجلها أنزل — أصبحت مهملة ، لأن الكلام فى الدين أصبح بين مفروض فيهم التمتع بها ، بتلك الروح والمعرفة بهذه الأهداف

لكن لا هذه ولا تلك ولا المعاملات ولا العبادات ولا أى شئ فى الحياة يمكن أن يصل إلى كماله أمام العقبات التى أوجدها الاستعمار من كبت الحريات ، ومن نشر الجهل والمرض والفقر

والآن وقد أكلت النار نفسها حين لم تجد ما تأكله ، وتناقصت قوى الغرب المستعمر بما تناقص إيمانه بالله وتمسكه بالفضائل ، فأصبح لا يكاد يستقر فى حكم نفسه حتى يستقر فى حكم المستعمرات . والآن وقد أحس المفكرون فى الغرب بأن الحضارة التى أقاموها على الماديات توشك أن تنهار ، فقد انتقمت الفضائل المهملة لنفسها ، وتزعزعت عقائد الماديين بالمادة ، وبشر الاسلام بنفسه حين أكره المسلمون على الكف عن التبشير له

والآن وقد بدأ المسلمون يستروحون نسيم الحرية بما أضعف خصومهم ، فانصدعت قيودهم ، واتسعت حدودهم ، فإنهم يجدون فى الغرب عقائد دينهم تمشى على أقدامها هى لا على أقدام المسلمين . وللفكرة أقدام وأيد ولها أيضا أجنحة ، ولكن

المعصوم عن كل خطأ » لقد كان مصطفى كامل زعيما وطنيا مخلصا ، أحيا وجاهد ، وأصلح وشرع ... » ولم يكن رجلا من رجال المصادفة والحظ ، رفعه إلى البطولة خلو الميدان ، ودفعه إلى الزعامة غباء الأمة ، وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يرشك أن يضل ، والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت ... »

الاسكندرية — عبد الباسط محمد حسن

أهملنا أن نعطى من مزايا الاسلام ، فقد أكره الغرب وإن لم نعطه منها على أن يأخذ هو ، وشتان بين أخذه من ماديتنا ذلك الأخذ الذى ينتقص من تلك الماديات ، وبين أخذه من معنوياتها ذلك الأخذ الذى يزيدها ويباركها ، والدين كالعلم يزيد مع كثرة الإنفاق ، والآن أمام هذا كله أصبح فى الغرب من يبشرون بالاسلام ، أو بركن من أهم أركان الاسلام ، هو نواحيه الخلقية ، ودائرته الجامعية ومساواته بين الخلق كافة فى الحقوق والواجبات ، ودعوته إلى السلام ، وتحريمه الحرب إلا دفاعا

بدأنا نتحرر ، وبدأنا نستطيع استئناف ما وجب علينا ، ولا يزال مستمر الوجوب من الدعوة إليه ، فهل يقضى المنطق بأن نصحح أخطاء الداعين دعوتنا ، ونكمل النقص إذا كان هناك ثمة خطأ أو نقص ، أم نظل نحن المنوطة بنا رسالة الدين من بين المدعوين المستمعين ، أم نظل مقتصرين على الدعوة للاسلام بين المسلمين ؟

ماذا يجب على المفكر المسلم الملم بلغات الغرب حين يقرأ فى تلك اللغات دعوة إلى مبادئ دينه ؟ أيناهضها لأنها « من الخارج » أم يدعو الداعين ويجادلهم بالتى هى أحسن

ليس هناك إسلام أجنبى ، بل ولا إسلام عربى ، وإنما هناك رسول عربى بكتاب عربى من عند « الله » ، كلف المسلمون أن ينشروا تعاليمه فى أرجاء العالم الفسيح، ومن أركان الإسلام : الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا

نعم ونعم هى ، ولكن الاسلام الذى هذه أركانه والذى كتابه قرآنه ، قد نص على سبب نزوله ، وهو الهدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ونبيه المبعوث بين سبب بعثته بأنها إتمام مكارم الأخلاق

وبعد فالحركات القائمة فى أوربا وأمريكا لنشر فضائل الدين الاسلامى ، لا تهدف إلى مزاحمة ديننا ، وليست مذهبا فى هذا الدين ، وهى لا تزيد فيه ولا تنقص منه ولا تبتغى التأويل ، وإنما القوم قد أسرفوا فى مادياتهم واستمزوا بها ، ومن استمز بشئ أورثه الله ذله ، فاتجهوا إلى الدين ، إلى دينهم أولا فوجدوا من الهداية بالمحبة والتسامح والتضحية ، ولكنهم فطنوا بعد ذلك إلى أمور نص الاسلام فيها أصرح وأوضح ، فالاصلاح المنشود سبيله فى الاسلام التغيير . تغيير المرء ما بنفسه حتى يغير الله ما به . ولئن دعاهم السيد المسيح فيما ينص عليه إنجيلهم أن على الذى يحبه أن يحمل صليبه ويتبعه ، فإن القوم قد لمجوا بالآية القرآنية

ولئن فطن القوم إلى أن علة شقائهم هى التنازع فيما بينهم على المستعمرات ، والعداوة التى وجهها العالم إليهم سببها التنازع بين الطبقات وبين الألوان وبين الأديان ، فقد لهجوا بما نص عليه القرآن من أن أفضلكم عند الله أتقاكم ، وما نص عليه مبعوث هذا الدين من أنه لا فضل لحر قرشى على عبد حبشى إلا بالتقوى وقام فيهم من يدعو ، لا إلى اعتناق الاسلام على صورة غير صورته ، ولا إلى نسبة شئ إلى الاسلام ليس فيه ، ولا إلى إخراج لفظ فى الاسلام عن معناه ، بل إلى روح الدين وإلى الفضائل الشائعة بينه وبين سائر الأديان

ولكنهم أخذوا بعضه ، فهل ندلهم على باقيه ؟ أم لا نزال بأنفسنا من أثر الاستعمار بقية تلزمنا الانطواء على النفس ؟

إنهم يريدون محاربة الشر بمثل سلاحنا ، بسلاح الخلق . فهل نحارب الشر معهم به ؟ قبل أن ننطق بالجواب يجب أن نسائل أنفسنا ، أين منا موضع الدعوة ومن الذى ندعوه وكيف ندعوه ؟

ليس فى أمريكا ولا أوربا إسلام أمريكانى ولا أوربى ، وإنما فيها اليوم أكثر من دعوة لنشر فضائل الدين الاسلامى ولكن فى مصر وفى سائر البلاد الاسلامية من يهملون الدعوة إلى الاسلام تاركين هذا الواجب لدخلاء عليه مستغلين له مسخرين لغايات استعمارية ابتغاء منفعة شخصية كما قال بحق الأستاذ سيد قطب فى افتتاحية العدد الأخير من الرسالة

هؤلاء يجب أن يحاربوا ولكن يجب أن نفرق بين هؤلاء وبين الداعين مخلصين لمبادئ إسلامية لم يجدوا غيرها وسيلة لمحاربة المادية ، استعمارية كانت أو شيوعية ، ولانتشال المدنية مما جنى عليها من المطامع الأشعبية

أحمد عوضه

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— ٣ —

أما الأوضاع الاجتماعية فى الشرق العربى فقد شغلت الشاعر شغلا عنيفا حتى أتعبته ، فقد دار بعينيه فيما حوله فوجد العطب يدب فى كل مكان ، والظلم يخنق الرقاب بقيد حديدى ثقيل ، وقد تعددت مظاهر الفساد ، فلم تقتصر على شكل واحد ، واختلفت أماكن الداء فلم تخيم فى بقعة واحدة ، ولكنها سلاسل ممتدة مشدودة ، لا تجد الرقاب والأيدى والأرجل منها بعض الفكاك ، والجواهرى لا يفرد النواحى الاجتماعية بقصائد خاصة تكشف عن مساوئها الخاطئة ، بل يقرن الشغب السياسى بالفوضى الاجتماعية فى قصائده الملتهبة ، فلولا الانحطاط الاجتماعى الشائن فى الشعوب المحتلة ، ما وجد المستعمرون وأذنابهم ماء عكرا للصيد ، ولولا فساد الساسة وأنانية القادة ما رزحت الدول تحت كابوس ثقيل من الجهل والمرض والحرمان ! وكان شاعر الفرات يتأوه تأوها مريرا لما تقابل به صيحاته من دس واتهام ، فقد علم المستعمر أذنابه أن يقاوموا حركات الإصلاح فى كل شعب ، فكل ناصح مخلص ثائر مخرب ، وكل مدافع عن دينه ووطنه هدام ثورى يدين بالمبادئ الخطيرة المتطرفة ، حتى التبس الأمر على السواد ، ودفعهم الجهل إلى التردد فى قبول النصائح وإحلالها محلها اللائق من القبول والانصياع .

فالوعى بغى والتحرر سبة والهمس جرم والكلام حرام
ومدافع عما يدين مخرب ومطالب بحقوقه هدام

وقد كانت الشيوعية — ولا زالت — أقرب تهمة وأيسرها على المحتلين وأشياعهم ، فما يكاد أحد فى الشرق العربى ينطق بكلمة فى الإصلاح ، حتى يتهم اتهاما خطيرا بما لا يقصد إليه بحال ، واضطر الساسة جريا وراء مآربهم الذاتية أن يربطوا عجلاتهم الضعيفة الوانية ، بعجلة إنجلترا القوية السريعة ، ووقف الدب الروسى رمزا للخوف والهلع والإزعاج ، كأن الأسد البريطانى المتوحش لا يؤذى أحدا من الضعفاء مع أن ضحاياه فى الشرق من تسعين عاما قد ملأت المقابر بالأشلاء ، والطرق بالدماء . ولا يزال المغرضون يفيئون إلى حنانه الكاذب وعطفه المزعوم .

شدوا بذيل غراب أمة ظلمت
تطير إن طار ، أو تهوى إذا وقعا
وخوفوها بدب سوف يأكلها
فى حين تسعين عاما تألف السبعا
وضيقوا أفق الدنيا بأعينها
بما استجدوه من بغى وما ابتدعا
وذاك معناه أن يبعوا كرامتكم بيع العبيد بتشريع الحكم شرعا

ورغم هذه التهم الكاذبة شق الشاعر طريق الإصلاح فى صلابة وإيمان ، وقد حارب ببراعة المكافح فى جبهات متعددة ، وحمل المشعل فى يده يطارد الظلام فى كل مكان ساخرا بالعواصف ، متحديا جميع الصعاب !

ففى جبهة أولى يقف أمام الفقر فيحلل أسبابه ، ويكشف عن علله ، ويرمى بنظره فى هذه الكتل المتراصة فى الشوارع وقد كساها الجوع لباسا أصفر شاحبا هزيلا تمد الأيدى السائلة وتتبع الفتات فى القمامات كما تتبعه الحيوانات ، وتقف أمام القصور الشامخة منحنية ذليلة تتطلب الكفاف مما يرمى إلى الكلاب المدللة !! وقد مسح الفقر من نفوسها معانى الكرامة والعزة والإباء ، وفى داخل القصور المردة نفوس تبترد بالخمور ، وتتجمل بالحلى والعطور ، وأخونة تمتد بالطيبات من المطاعم ، وليالى حمراء مرنة بالقصف والرقص ، مفردة بألحان الفتيان ، مضيئة بوجوه الكواكب الحسان ! فشتان بين أولئك وهؤلاء

عجبت لخلق فى المقادم رازح يقدم ما تجنى يداه لغانم
وأنكأ من هذا التفاوت قرحة غباوة مخدوم وفطنة خادم
لو اطلعت عيناك أبصرت مأتما أقيم على الأحياء قبل المآتم

إذا أقبل الشيخ الطاع وخلفه
من الزارعين الأرض مثل السوائم
قياما على أعتابه يعطرونهـا خنوعا وذلا بالشفاه اللوائم
حنايا من الأكداح تلق ظلالها
على مثل جب باهت النور قاتم
أمبتردات بالخمور تثلجت وبالماء يغلى بالعطور الفواغم
ومفترشات فضلة فى زرائب يوسدها ما حولها من ركائم
أمن كدح آلاف نفيض تماسة يتم فرد بالنعيم الملازم
سياسة إقفار، وتجويع أمة وتسليط أفراد جناة غواشم

وفى جهة ثانية يحارب الجهل فيعلن أنه أس المصائب وشر لحن، فلولاه مانهش الجوع نهشا فى النفوس الكادحة، ولولاه ما حيكت الدسائس والمؤامرات للشعوب فى ظل من الخداع والابتسام، ولولاه ما وطد المستعمر قلاعه وأقام بناءه الراسخ، ولولاه ماأقفلت المصانع والمتاجر وأصبحت الوظيفة الحكومية مناط الآمال ومبعث الرجاء، ولولاه ماقيدت الجوع اللاغية حفاة عراة لراكب، ولولاه ماحاز أشباه الجهلة من المتعالمين أسمى المناصب، وأعظم الألقاب، ولولاه ما كمت الأفواه الناطقة، واحتجزت الألسنة الصارخة عن كشف المثالب والهنات !! وأخيراً لولاه ماتدهورت الشعوب العربية إلى ما انحدرت إليه من ذلة وهوان

غزا الجهل أرض الرافدين لخلها
كثير السرايا مستجاش الكتائب
طليعة جيش للمصائب هددت كرامته، والجهل أم المصائب
وما خير شعب لست تعثر بينه على قارئ من كل ألف وكاتب
مشى بجر الفقـــر ردفا وراءه
وأتمس بمصحوب وأتمس بصاحب
فكان لزاما أن تحوز عصابة تزبت بزى العلم أعلى الرواتب
وكان لزاما أن تتم سيادة عليه لأبناء الذوات الأطايب
وكان لزاما أن تعطل صنعـــة
وأن يصبح التوظيف أعلى المكاسب
وكان لزاما أن تقاد جموعه حفاة عراة موطئين لراكب
وأوجع ما يصمى الغيور مقاصر
أطلت على محجورة فى الزرائب

يبين على الحيطان شرح نعيمها وتغمرها اللذات من كل جانب
وتحيا ليالى الرقص فيها خليعة
تكشف عن سوق الحسان الكواعب
وتلك من الإدقاع تتسد الثرى يلاعب جنبيها دبيب العقارب

والجواهرى قد حارب الجهل كما تقدم محاربة عنيفة، يحمل سوطه فى يده ويهوى به على النشء المثقف من المتعلمين! فيعجب القارئ بادئ ذى بدء لهذا الثائر الذى لا يرضى عن أحد، ولكنه ينصت للشاعر فيجده صاحب حق فى جميع أقواله، فلاتناقض بين ما يقوله فى شىء، إذ أن النشء المثقف فى العراق وغيرها لم يحققوا الآمال المعقودة عليهم فقد رأوا كثيرا من الخرافات فلم يجلوا ظلامها الحالك عن النفوس، وشهدوا الأوضاع الطالة — فى عالم السياسة والاجتماع — فلم يحاولوا أن يقفوا أمامها وقوفا ينذرها بالتصدع والانهيار، بل ربما ساروا فى ركابها سيرا مشينا، وقذفهم التيار إلى لججها الزاخرة، فهزوا مع الغواة وأساموا سروح اللهو حيث أساموه، والشاعر يرجع ذلك كله إلى التربية نشأ عليها التلميذ فى مدرسته، فقد وجد من الأساتذة من لا ينير طريقه ويكشف ليله، ومن المناهج قشورا بالية يمنى وضعها المستعمر، فليست تقوم خلقا أو تحيى كرامة، بل تخلق فتى مائعا يعنى بهندامه كملبسه، ويتشبه بالنساء فى عطوره وزينته، ويمشى متخاذلا مدلا تغمره الأحاسيس الناعمة. وتقوده العواطف الرقيقة وقد يتناسى رجولته فيلجأ إلى التخنث والتبذل والعربدة، لخطرات النسيم تجرحه، ولمس الحرير يكلم راحته، وقد مات شعوره فلم يفكر فى ضحايا قومه، وصرعى معشره، كأنه ليس منهم وليسوا منه! فيصير هؤلاء الماسيخ المشوهون خلقا وعقلا معقد آمال ومبعث حياة، أم يسيرون بأمتهم إلى الوراء مئات الأميال، ويهوون بها إلى الحضيض السحيق فى أغوار الظلام!

هلمو إلى النشء المثقف واكشفوا
حجابا يغطى نفســـه وقناعا
تروا كل مفتول الذراعين ناهدا قصيرا إذا جد النضال ذراعا
وكل أنيق الثوب شد رباطه إلى عنق يمشى العيون لماعا
يموع إذا مس الهجير رداءه كما انحل شمع بالصلاء فماعا

تراه خلى البال أن راح داهنا   وأن قد ذكا منه الأريج وضاعا
وليس عليه ما تكامل زيه   إذا عرى الخلق الكثير وجاعا
وأن راح سوط الذل يلهب أمة   كراهيـة يستاقها وطواعا
ولم تشجه رأيا وسمعا قوارع   يسوء عيانا وقعها وسماعا
ورب رءوس برزة عششت بها   خرافات جهل فاشتكين صداعا
بهـا نومتنا الأمهات تخوفا   وما أيقظتنا الحادثات تباعا

وكما حنق الجواهري على المتقفين من بنى وطنه ، حنق على بعض رجال الدين من ذوى العثانين الممتدة ، والعذبات الطويلة ، إذ أن رجل الدين الصادق فى رأيه هو الذى يغير المنكر بيده ولسانه وقلبه ، فيكون ثائرا إن دعا الأمر للثورة ، وصائلا حين يتحتم الصيال ، وقد تزيى بلباس الدين أقوام من مشايخ الطرق وأصحاب الأذكار والأوراد ، وهم لا يفهمون قليلا عن روح الشريعة ولباب الإسلام ، وصادفوا من العامة ثقة غالية ومنزلة رفيعة فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وابتدعوا البدع ابتداعا ، وجسموا الأوهام تجسيما يدعو إلى الذعر والهلع ، ومسخوا روح الدين من النفوس ، وساعدوا الطغاة والآثمين ، فكانوا مطاياهم السريعة فى التنويم والتخدير ، وزاد الكارثة هولا أن هؤلاء الأدعياء لا يتورعون عن الآثام فى حقير أو جليل ، فهم يقترفون الموبقات ، وينتهكون المحارم ! ويتصيدون الرشى والأموال من سبل مريبة ، حتى فاح النتن الآسن منهم على الناس ، ولابد لهذه الشرذمة من نقد عاصف يكشف زيفها الخاتل ، ويطمس بريقها الأخاذ ، فاندفع الجواهرى يندد بهم فى قصائده الثائرة كأن يقول

تحكم باسم الدين كل مذمم   ومرتكب حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلة يشهرونها   إلى غرض يقضونه وأداة
وخلفهمو الأسباط تترى ومنهمو   لصوص ومنهم لاطة وزناة
وما كان هذا الدين لولا ادعاؤهم   لتمتاز فى أحكامه الطبقات
أيجبى ملايين لفرد وحوله   ألوف عليهم حلت الصدقات
وأعجب منها أنهم ينكرونها   عليهم وهم لو ينصفون جباة

والشاعر لا يترك سبيلا للتنديد بهم إلا سلكه وأوغل فيه ، ولو لم تكن مناسبة الكلام قوية ملحة ، فعندما احتفلت البلاد بالذكرى الألفية لأبى العلاء المعرى ، وذهب الشاعر إلى دمشق ليلقى قصيدته باسم العراق ، لم يشأ أن يقصر الحديث على روائع الفيلسوف وآثاره ، بل حلل آراءه الاجتماعية تحليلا شعريا يمس اللباب الخالص ، ويشع مومضا بمختلف الإيحاء والإيماء ، وكأن شاعر الفرات يجد الراحة الهانئة فى التنفيس عن مشاعره الممتزجة بشاعر أبى العلاء ، والناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فما أغضب المعرى من أوضاعهم الشائنة قد أغضب الجواهرى بعد ألف عام !! وكأن لأدعياء الدين نصيبهم الوافر من النقد والتجريح ، فخفقت قصيدة الجواهرى بقوارص لاذعة تسيل دماءهم وتحطم كبرياءهم ، وتوغر صدورهم ، وما عليه وقد وافق أبا العلاء فى رأيه ، وجرى معه فى سنن واحد حين أهدى إلى روحه هذه الأبيات

وهؤلاء الدعاة العاكفون على   أوهامهم صنما يهدونه القربا
الحابطون حياة الناس قد مسخوا   ما سن شرع وما بالفطرة اكتسبا
والفاتلون عثانينا مهرأة   ساءت لمحتطب مرعى ومحتطبا
والملصقون بعرش الله ما نسجت   أطماعهم بدع الأهواء والريبا
والحاكمون بما توحى مطامعهم   مؤولين عليها الجد واللعبا
على الجلود من التدليس مدرعة   وفى العيون بريق يخطف الذهبا
أوسعتهم قارصات النقد لاذعة   وقلت فيهم مقالا صادقا عجبا
صاح الغراب وصاح الشيخ فالتبست   مسالك الأمرين منهما نعبا

يتبع

محمد رجب البيومى

شوقيتان لم تنشرا فى الديوان

للأستاذ عبدالقادر رشيد الناصرى

— ٢ —

اطلع القراء فى العدد السابق من الرسالة الغراء على درة من درر شوقى التى تجمع إلى أخواتها فى دواوينه الأربعة المطبوعة ولم تضم إلى شعره المتداول بين أيدى القراء فى جميع البلدان الناطقة بالضاد ، وكنت وعدتهم فى ذيل مقالى السالف أن أقدم لهم فى هذا العدد شوقية أخرى من تلك الشوقيات الفذة التى لم تتفتح عنها غير قريحة أبى على ، وهذه القصيدة الجديدة عثرت عليها فى مجلة أدبية قديمة يرجع تاريخ صدورها إلى سنة ١٩٢٨ أيضاً. أما اسم المجلة فلا أعرفه لأن أكثر صفحاتها الأولى والأخيرة كانت ممزقة ، وأما كيف عثرت عليها فتفصيل الخبر أنى كنت فى يوم من الأيام فى سوق الوراقين ببغداد أنقب بين الصحف القديمة التى تعرض للبيع بالأكوام فلفت نظرى صديق إلى مجلة ممزقة كانت بين يديه وهو يشير إلى بعض بحوثها فلما أخذتها منه وتصفحتها عثرت فيها على قصيدة أميرنا مدرجة . وكم كان سرورى عظيما عندما راجعت دواوينه فلم أعثر لها على ذكر ! فقلت فى نفسى هذه هدية قيمة لا تستحقها إلا مجلة الأدب الرفيع والشعر الخالد حيث تقدمها إلى أبناء العروبة

والقصيدة كما يراها القراء لا تختلف فى كثير أو قليل عن شعر شوقى من جميع النواحى ، فالديباجة ديباجته ، والأسلوب أسلوبه ، والنفس واحد ، والصور والتراكيب والتعابير والموسيقى اللفظية واللفتة الشعرية البارعة كلها له ، وهى فوق كل هذا قصيدة عالية مشرقة بالرغم من أنها من بحر الرمل ، ذلك البحر الذى لا يجيد فيه من حيث متانة تركيب الأبيات إلا القادر من فحول الشعراء . ولا أذكر أنى – على كثرة قراءاتى للشعر – وفقت إلى شاعر نظم قصيدة من بحر الرمل وأجاد فيها أو أظهرها بديباجة متينة اللهم إلا شوقى ، لأن هذا البحر على الرغم من سهولة النظم فيه لابد أن تأتى القصيدة فيه ركيكة مهلهلة الأبيات كما يحدث عند الكثير من الشعراء . لذلك يتجنب الفحول النظم فيه على العكس من البحور الأخرى كالكامل والوافر والبسيط حيث تأتى الأبيات قوية التركيب متينة الأبيات كأنها البنيان المرصوص . وأذكر أنى فى بدء نظمى الشعر كنت لا أقوله إلا على بحر الرمل لسهولته، ولكننى تركته بعد ذلك ولم أعد ألجأ إلى النظم فيه إلا ما ندر ؛ حتى الموشحات الغنائية التى أكثر من النظم فيها فإننى أترك الرمل وألتزم مجزوءه – نظرا للإيقاع الموسيقى الذى فيه والجرس الراقص، أما شوقى فهو حتى فى هذا البحر يبدع ويجيد – خذ مثلا قوله

ارفعى الستر وحيى بالجبين   وأرينا فلق الصبح المبين
واتركى فضل زماميه لنا   نتناوب نحن والروح الأمين

ألا يرى معى القارئ القوة والمتانة التى تتخلل الأبيات على سهولتها وعذب موسيقاها ؟ أيستطيع أحد مهما بلغ من المقدرة البيانية والبلاغية ومطاوعة اللغة والقوافى له أن يضع لفظة بدل أخرى ؟! أنا أشك فى ذلك لأن الفحول من الشعراء عندما ينظمون حتى على هذا الوزن لا يتركون فيما يقدمونه مغمزا لناقد فيه ! وهكذا الحال عند شوقى على خلاف غيره من شعراء عصره

قد يطول بنا القول إذا نحن قارنا بينه وبين غيره لأن المفاضلة والموازنة تحتاج إلى إيراد أمثلة تخرجنا عن الموضوع الذى نطرقه الآن ، لذلك نترك ذلك الحديث إلى مجال آخر وعسى أن يكون ذلك فى القريب

قلت فى بدء الكلام إن القراء نشقوا فى العدد الماضى عطرباقة من أزهار أبى على . ويسرنى الآن أن أتحفهم بإضمامة أخرى قطفتها لهم من روضته وهى كما يرون نفحة عبقة ككل شعره العطر الندى ، تزول جدة الدهور ولا تزول جدتها ، فإن كان الورد لا تتفتح أكمامه إلا فى الربيع ولا يبقى نشره إلا فى أيار، فإن شعر شوقى فواح الأريج فى كل الفصول . فلنستاف إذاً شذاه الموار

الشوقية الثانية

وهذه العصماء الثانية قالها شوقي في جمعية الشبان المسلمين حيث ألقيت في حفلها التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية في ١٤ شوال من عام ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

لم يضع صاحب المجلة عنواناً للقصيدة ولم يذكر المناسبة التي قيلت فيها ولكن القارئ يدرك من فحواها أنها نظمت لأجل جمع الإعانة لدار الأيتام التي قامت ببنائها الجمعية المذكورة على حد قوله :

يا شباباً حنفاء ضمهم ... منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى ... وينجيهم من المرعى الوبيل

أو قوله

رب عرس مر للبر بنا ... ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ... ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به ... وسعى المأوى لأبناء السبيل

ومن أحق بالرعاية من اليتامى وأبناء السبيل ؟ ومن غير شوقي من شعراء عصره يستطيع أن يلهب أكباد الأثرياء حماسة ويضرب على المواطن الحساسة من شعورهم فيجودوا لهذا المشروع النبيل بالمال عن طيب خاطر ؟

إذن لنستمع إلى مناجاة القرن العشرين وهو يوقع على أوتار قيثارته أغاريد الخير والحق والحنان ، في أسلوبه الموسيقي المشرق ونغماته العذاب إذ قال في ...

مهرجان اليتيم

حبذا الساحة والظل الظليل ... وثناء في فم الدار جميل (١)
لم تزل تجزى به تحت الثرى ... لجة المعروف والنيل الجزيل
صنع « إسماعيل » جلت يده ... كل بنيان على الباني دليل
أتراها سدة من بابه ... فتحت للخير جيلا بعد جيل

° ° °

ملعب الأيام ، إلا أنه ... ليس حظ الجد منه بالقليل
شهد الناس به « عائدة » ... وشجى الأجيال من « فردى » هديل (٢)
والتقينا في ذراها دولة ... ركنها السؤدد ، والمجد الأثيل
أيتمت عصراً طويلا وأتت ... دون أن تستأنف العصر الطويل
كم صفرنا الفار في محرابها ... وعقدناه لسباق أصيل
كم بدور ودعت يوم النوى ... وشموس شيعت يوم الرحيل

° ° °

رب عرس مر للبر بنا ... ماج بالخير وبالسمح النبيل
ضحك الأيتام في ليلته ... ومشى يستروح البرء العليل
والتقى البائس والنعمى به ... وسعى المأوى لأبناء السبيل
ومن الأرض جديب وند ... ومن الدور جواد وبخيل

° ° °

يا شباباً حنفاء ضمهم ... منزل ليس بمذموم النزيل
يصرف الشبان عن ورد القذى ... وينجيهم من المرعى الوبيل
اذهبوا فيه وجيئوا أخوة ... بعضهم خدن لبعض وخليل
لا يضرنكمو قلته ... كل مولود وإن جل ضئيل

° ° °

أرجفت في أمركم طائفة ... تبع الظن عن الإنصاف ميل (٣)
اجعلوا الصبر لهم حيلتكم ... قلت الحيلة في قال وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا ... رقة الدين إلى الخلق الهزيل ؟
خلت الأرض من الهدى ومن ... مرشد للنشء بالهدى كفيل
فترى الأسرة فوضى وترى ... نشأً عن سنة البر عديل
لا تكونوا السيل جهماً خشناً ... كالعباب ، وكونوا السلسبيل
رب عين سمحة خاشعة ... روت المشب، ولم تنس النخيل

° ° °

لا تماروا الناس فيما اعتقدوا ... كل نفس بكتاب وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكم ... فاطرحوا خلفكمو العبء الثقيل

° ° °

١ — الدار يقصد بها الأوبرا الملكية

٢ — عائدة — أسطورة مصرية قديمة مستقاة من تاريخ مصر وقد نظمها مسرحية غنائية ووضع ألحانها الموسيقار « فردى » الايطالي

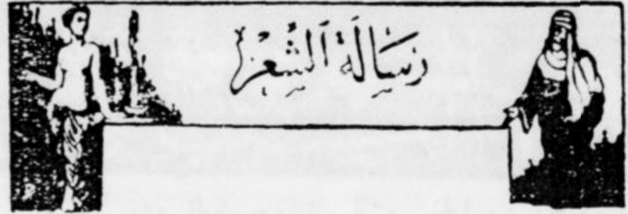
٣ — ميل = الانحراف عن جادة الصواب

إلى هنا تنتهى القصيدة ويبدو فيها شوق مرشداً ينصح شباب الجيل بعدم الطعن فى العقائد لأن الطائفية من شأنها التفرقة ، والأمة لا تستطيع الوثوب إلى الأمام ومماشاة ركب النهضة إلا بالاتحاد ، وأن الأمة التى لا تستطيع أن تهذب أبناءها وتجد لهم سبل العيش والثقافة ما هى إلا أمة مقضى عليها لا محالة وخصوصا إذا جمح أبناؤها « رقة الدين إلى الخلق المزيل » لأن « الأمم هى الأخلاق » ولله دره حين يقول :

وليس بعامر بنيان قوم   إذا أخلاقهم كانت خرابا

فشوق إذن هنا مصلح اجتماعى يلبس مسوح الوعاظ ليقدم نصائحه ، وهكذا يجب أن يكون الشاعر الإنسانى حيث يؤدى رسالته على الوجه الأكمل

عبد القادر رشيد الناصرى



الشاعر

أنت حب ورقة وحنان   ومن الحب عبقرى الغناء

« تهدى إلى الكاتب الكبير الذى أغار الشعر من النثر ، بما أراق عليه من عطر ، وأشاع فيه من سحر ، الأستاذ الجليل أحمد حسن الزيات بك » « أنور العطار »

للأستاذ أنور العطار

واهب عاش خالد الأصداء   غمر الكائنات بالنعماء

للهوى قلبه ، وللشجو عينا[illegible]ه ، وللعالمين سحر الحداء
طافت الأرض فى رؤاه تصاويـ   ـر ندايا بجدة ورواء
قيل لى صفه قلت : دنيا من الفن   وكون من روعة وازدهاء
ليس يدرى غير التسامح دينا   فهو روح السخاء رمز الفداء
صاغه الله من حنان ورفق   ودموع وصبوة ووفاء
صور الطبع خير من صور الطبـ   ـع وفى فى رقة وصفاء
يشرق البشر فى محياه نضرا   ومن البشر أنفس الشعراء
ويرف المنى النبيل على الألفا   ظ رفيف السنا على الأنداء
هو فى حالتيه قيثارة النجـ   ـوى تسامت فى ضحكها والبكاء
تذر النفس أدمعا وشعوراً   ولهيبا كوقدة الرمضاء
يا له ساحرا تمرس بالسحـ   ـر وأربى عليه فى الإفناء
إن تغنى مسترسلا ملك الأر   واح حتى تغيب فى الإصغاء
كل معنى مثل الطبيعة باق   والمعانى مناجم الحكماء

٭ ٭ ٭

ياصدى الأنفس اللهيفة باحا   مل عبء الهموم والأدواء
تنقل البرء للألى نشدوا البر   ء وفى القلب عالم من رثاء
هكذا الأنفس الكبيرة تحيا   اسواها فى فرحة واحتفاء
فإذا رمت أن تكون سعيدا   فتعهد مصائب الأشقياء
بسمات الحنان أفعل فى الأنـ   ـفس من أى نائل وعطاء
عجب الكائنات والفضل يبقى   وهو إرث العلياء للعلياء
وإذا راعك القضاء بخطب   فكن الثبت فى صروف القضاء
واحى للشعر والهوى والتمنى   واصحب العيش بالرضا والرجاء
قل إذا اهتجت فى احتدام الليالى   والتحام الأرزاء بالأرزاء :
أنا ما عدت أستسيغ بكائى   مردت مرتى على البأساء
نقيت مهجتى من الوهن الز   رى ولم تحفل الأسى حوبائى
ونفضت الإعياء عنى وصعب   أن يعيش الفتى بلا إعياء
وتهزأت بالحياة ولاقيـ   ـت الرزايا بالنظرة الشزراء
وتقحمت غايتى غير هيا   ب صراع الدجنة السوداء
وهى النفس إن تثر تركب الصعـ   ـب وتزحم مناكب الجوزاء
فاعصفى يارياح ، هامتى اليو   م تمرت عن صخرة صلداء
واصخبى واصرخى فلن تثلم الدهـ   ـر اعتزامى ولن تفل مضائى

من هبوب السموم أنفاسي السحـ ... م ومن شعلة الشموس ردائي
ما أبالي الرمضاء وهي تلظى ... باللهيب يفري حشا الغبراء
أنا من زأرة الأسود أناشيـ ... دي ومن جأرة الرياح ندائي
أنا هذي الصحراء في قلبها النبـ ... ت وفي هزّها من اللأواء
أنا دنيا من المهابة والعز ... م وكون يضج بالأنباء
لست أختار أن أكون نبيهاً ... أنا أسمى والمجد يسمى ورائي
هربي النجار من ذروة الحز ... م ومن قمة العلى والإباء
يا دموع الضعاف، خير وأبقى ... من شجا الدمع بسمة الأقوياء
ونعيم الحياة ملك الأشدا ... ء نواها لمعشر الضعفاء

° ° °

فن يا ابن الغمام والجبل الثلـ ... م والظل والشذا والماء
فن يا ابن الليل الموشح بالنو ... ر ويا ابن الضحى ويا ابن المساء
فن يا ابن الوديان يا ابن الينابيـ ... ع ويا ابن السماء والدأماء
غن يا ابن النجوم والقمر العا ... شق والسفح والربا الشماء
غن يا ابن الفتح الذي انتظم الأر ... ض وأولى طرائف الأشياء
غن يا ابن الماضي المضمخ بالمجـ ... ـد ويا ابن العروبة العرباء
غن فالعالم الرحيب تسابيـ ... ح هيامى من نشوة الإيحاء
صور الرحمة التي تغمر الكو ... ن بفيض الأنداء والآلاء
صور الحب والحنان على الأر ... ض ونجوى الأصداء للأصداء
طف كهذا الربيع نشوان فرحا ... ن غني العبير جم البهاء
لح كهذا الصباح يختال جذلا ... ن يعم الأكوان بالأضواء
بأبي القلب سامياً بالمزايا ... بأبي الوجه طافحاً بالحياء
بأبي العبقرية الفذة البكـ ... ـر تلف الحياء بالكبرياء

° ° °

أنا نشوان من نشيدك هيما ... ن فهات اسقني وزدني انتشائي
هدهد القلب والهوى والأماني ... بغنـاء باق على الآناء
وطن أنت ظاعناً ومقيماً ... لست والله بالغريب النائي
إنما الغربة التي تقضي ... غربة الفكر والندى والملاء
شاعر الخلد يا نشيد الأناشيـ ... ـد ويا روعة الأماني الوضاء
لك لحن جم النغائم فيه ... راحة النفس والقلوب الظماء

هو فيض العقول والفطرة السمحـ ... ـة وابن الطبيعة العجواء
لا يغني سوى الجمال ولا يعـ ... ـرف غير الحقيقة الغراء
خيره كالربيع صاف شهي ... طافح بالطيوب والأشذاء
لم يزل ينشد الوضوح ويبقى ... الشعر خلواً من زخرف وطلاء
لك من روضه الظليل المندى ... مثل ما للربيع من أفياء
عبق يغمر السموات والأر ... ض ويزهى بعطره وشذاء
حافل بالعبير آذار ندا ... ه وأغفى على البطاح الرواء
كل زهر في الكون يذوي ويفنى ... غير زهر القريحة الغناء
درج الليل والنهار حثيثيـ ... ـن وملامن روحة واغتداء
وأصاب الحياة عادي المنايا ... فتوارت عن نفسها بخباء
وأطل البيان من رفرف الخـ ... ـلد عتياً على الردى والعفاء
لم يزل عطره يروح ويغدو ... وهو زاد الحياة والأحياء
هو باق على امتداد الليالي ... والليالي هوالك ونوائي
هات يا شاعر الهوى نبه القو ... م وحدث بالدمعة الحمراء
شاعر الحب شد قيثارة الشعـ ... ـر وغن الحمى لحون السماء
أيها الموقظ النفوس من الضيـ ... ـم ومردي جحافل البغضاء
انفح الكون بالمطامح تترى ... فالمطامح نفحة العظماء

° ° °

أيها العبقري يا روعة الفكـ ... ـر ويا رفرف السنا والسناء
أنت حب ورقة وحنان ... ومن الحب عبقري الغناء
خالد أنت والعوالم تفنى ... لا يذوق الخلود طعم الفناء
أيها الشاعر الذي عاش لحناً ... وسرى كالعبير في الأرجاء
زهر أنت يغمر الكون بالعطـ ... ـر وحلم موشح بالضياء
يا نجي القلوب يا جدول البشـ ... ـر بسفح الخميلة الفيحاء
منك صفت القريض لحناً شجياً ... وتفردت في بديع أدائي
كرمتك الأجيال يا رفة الخـ ... ـلد وأولتك روضة من ثناء
فلئن صاغت القريض عقوداً ... فبما صغت يا شماع البقاء

* * *

هات منك البيان سمحاً طروبا ... خيراً نيراً كقباب الفضاء
لا يوفى القصيد مهما تغنى ... ما دناني تكفي ولا صهبائي

أنور العطار



دواوين الشعراء الستة الجاهليين

شرح الأستاذ عبد المتعال الصعيدي وتنسيقه

نشر مكتبة القاهرة سنة ١٩٥٢ . ص ٣٧٦ من القطع المتوسط

الدكتور زكى المحاسنى



عناية الأدباء المحدثين بأدب لغتهم القديم دليل على أصالة ذلك الأدب . وإنما أمة اطرحت أصول أدبها فإنما هى قد جزت جذورها ، وأنكرت أنسابها ، فضاعت بين سمع الأرض وبصرها . وما شئ كان أجدر بالعناية فى أدبنا العربى من الشعر الجاهلى ، لأن فيه نبعة التراث الروحى لأدب الأمة العربية . وهذا سر عكوف الأقدمين على دراسة هذا الشعر يجمعونه ويحصون فيه ، ويروون قصائده ، ويروقون رواياتها . ولقد عاق التلهف على دراسة الشعر الجاهلى فى الفترة الحديثة ما طلع به بعض الأدباء من إنكار لصحة هذا الشعر ، وما زعم الزاعمون من أن هذا الإنكار مرده دراسات لبعض المستشرقين . وإن الصواب الذى لا أرتاب فيه أن هذا الشك ذاته قد سبق الناس إليه الأصمعى وقد بان لى أن من عند الأصمعى كان مولد هذا الشك حين اختلفت لديه أبواب الرواية فى الشعر الجاهلى ، واضطراب الأسانيد فى بعض أنحائه . وقد ترك السبيل مفتوحة أمام ذوى الشك فى الأدب خلو النصوص الجاهلية للشعر من التقييد الحجرى . فلو أن شعراء المعلقات بديلا من أن تكتب لهم معلقاتهم على رقاق الغزلان بماء الذهب وتعلق على الكعبة قد نقشوها فى الحجارة ، لما تركوا سبيلا لذلك الشك والارتياب الذى كدر علينا فى فسحة من الزمن نقاء الشعر الجاهلى

إن الدكتور طه حسين حين أنكر الشعر الجاهلى سنة ١٩٢٦ كان كمن جاء إلى أسرة فيها الزوج الوقور والأم الحنون والولد المطيع ، وهم جميعا فى خير وطمأنينة ، فقال للأبوين إن ابنكما هذا مدخول النسب . فالها قولة جارفة فأتت على الأسرة مضاجعها ، وهدم بناءها . ولم تكن أداته أكثر من شك وارتياب . ومن المحمود للدكتور طه حسين بعد ذلك أنه اعتلى منبراً فى جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥ سمعته وشهدته يقول من فوقه فيدلى باعترافات أدبية جديدة فى أنساب الشعر الجاهلى الذى صح عنده أنه يمثل فى تاريخنا الأدبى أدبا كلاسيكيا قديما . وقد أمسك بيده الأستاذ الفاضل عبد الوهاب حمودة قبل أن يغادر ذلك المنبر وصاح فى الناس أيها الجامعيون إن طه حسين الذى أنكر الشعر الجاهلى يعترف به اليوم ويرد إليه اعتباره

هذه خواطر دارت بفكرى وأنا أقلب كتابا حديثا فيه دواوين الشعراء الستة الجاهليين شرحه ورتبه صديقنا الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدى . ومن المقطوع به أن يكون بدء الكلام على امرئ القيس وختامه على عنترة . وقد نسب شرح هذه الدواوين فى أصلها إلى ثلاثة من علماء الأدب القديم أشهرهم الأعلم الشنتمرى من سانتا ماريا بالأندلس . وفى عصرنا تناول هذه الدواوين بالشرح أحد فضلاء العلم فى جامعة فؤاد الأول هو الأستاذ مصطفى السقا . حتى إذا حانت عناية الأستاذ عبد المتعال الصعيدى بالشعر الجاهلى أخرج هذا الكتاب بطبعة جديدة تضم هذه الدواوين بتناول ميسور . وعنى بشرحها على صورة موجزة كثيرة الجدوى . فهو يعطيك فى معنى البيت على استغلاق وجهه وغرابة لفظه ، شرحا موفيا للغرض من أقرب سبيل . وقد قدم لكل شاعر من هؤلاء الستة وهم امرؤ القيس فعلقمة فطرفة فالنابغة الذبيانى فزهير فعنترة بنبذ يسيرة مكثفة ، ألم فيها بتاريخ الحياة ثم بلمحات ثابتة فى دراسة الشعر وتحقيق الرواية . والذى كنت أتمناه عليه ، وقد يكون مطلوبا منه صنعه ، أن يكون قد كتب لهذه الدواوين مقدمة ، وإنما كتب تقديما فى سطور . فهو لم يذكر رأيه فى الشعر الجاهلى ، ولم يتناول قضية هذا الشعر ، وقد شغلت الناس زمنا فى القديم وفى الحديث . كما لم يفضل شاعرا على شاعر وإنما قصر همه على الشرح وحده . وذلك ضرب من ضروب التأليف الذى عرف فى عصرنا الحديث ولدى الأقدمين ، وقل شبيهه فى الأدب عند الغربيين . فليس شائعا



المدرسة الصلاحية

حمل إلى بريد الكنانة الأخير هدية غالية من هدايا صديقنا الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول وهى الجزء الأول من مؤلفه القيم « الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ولا أريد فى هذه الكلمة أن أذكر قيمة الكتاب من الناحية التاريخية لأن مثل هذا المؤلف الضخم الذى اعتمد علامتنا البدوى على أكثر من « ٢٠٢ » مرجع فى تأليفه يحتاج إلى دراسة طويلة وقراءة متقنة؛ وخاصة أن لهذا الجزء بقايا تحت الطبع، كما أننى لا أريد أن أعرف الأستاذ البدوى فهو غنى عن التعريف بمؤلفاته ومترجماته وبحوثه النادرة التى نشرها وما زال ينشرها فى الصحف ويذيعها على الناس. وقراء « الرسالة » الزاهرة لا شك يعرفونه جيداً ولكنى أحببت وأنا أقرأ كلامه عن المدرسة الصلاحية المنشور فى الصفحة (٤٣) من كتابه النفيس أن أضيف إليها هذه النبذة الموجزة التى نشرتها مجلة « الزهراء » فى الجزء السادس سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م وهى :

« هى مدرسة إسلامية أقامها السلطان صلاح الدين الأيوبى لفقهاء الشافعية منذ القرن السادس الهجرى وقد زارها رصيفنا السيد عمر الطيبى وقرأ على بابها الكبير منقوشاً فى الحجر السطور الخمسة الآتية

(١) — بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله

(٢) — هذه المدرسة المباركة أوقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام

(٣) — والمسلمين أبى المظفر يوسف ابن أيوب بن شاذى محيى دولة أمير المؤمنين أعز الله

(٤) — أنصاره وجمع له خير الدنيا والآخرة على الفقهاء من أصحاب الإمام أبى عبد الله

(٥) محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه . فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

واستمرت هذه المدرسة إسلامية سبعمائة سنة ، ثم سعى الفرنسيون سنة ١٨٥٦ م لدى السلطان عبد الحميد بانتزاعها من أيدى المسلمين بحجة أنها كانت فى الأزمان القديمة كنيسة على اسم حنه أم سيدتنا مريم عليها السلام ، فأذن لهم السلطان عبد الحميد بأخذها ، وجعلها هدية منه إلى نابليون الثالث ، فاتخذها الفرنسيون داراً للتبشير بالمذهب الكاثوليكى

ولما أعلنت الحرب العظمى ووضع الترك أيديهم على ما

عندهم نشر ديوان لشعر مقصور على الشرح لألفاظه ، وإنما لديهم الناشرون من الأدباء الذين يكثر تناولهم الدواوين بالدراسة والتعليق مع الشرح والتفسير ، وقد نعذر الأقدمين منا والمحدثين فى هذا الضرب من التأليف إذ المعول فيه على إبراز النصوص القديمة كما جاءت دون التقول فيها . وهذا مذهب أدبى له دعاته . فالنصوص القديمة حرمة لا ينبغى أن تمس بتقويل

والقصد الذى ينبغى أن يدركه دارسو هذه الدواوين هو الوقوف على صحيح معانيها لتمثل الشعر الجاهلى واهتضامه فى الفكر والإحساس . وحين يقتنع المتأدبون المحدثون أن الرجعة إلى الشعر الجاهلى هى قوام الأدب العربى كله ، وأن صفاء ذلك الشعر ونقاء معانيه هو الشعاع الأول الذى ينبغى أن تستمد منه كل روح فى كل شعر عربى ؛ فقد حملوا رسالة الأدب لا فى العصر الحديث فحسب؛ وإنما فى سائر العصور الأدبية التى توالت على العرب . وإنى لأعد الشعر الجاهلى ضمان لغة العرب فى الشعر ،وناظم روحها الأصيلة مهما تجدد الأدب ، وتطور الشعر

والأستاذ الكبير عبد المتعال الصعيدى إلى إكبابه على التأليف فى الموضوعات الدينية والأدبية التى اتسمت بالدقة والإحكام جدير بالثناء على جهده الذى بذله فى شرح دواوين الشعراء الجاهليين وعنايته بتبسيط المعانى للطلاب خاصة وللقراء عامة

زكى المحاسنى

لرعايا دول الحلفاء من مدارس ومعاهد أعادوا هـذا البناء إلى تصرف المسلمين وجعلوا فيه « الـكلية الصلاحية » التى كان يديرها الأستاذ الشيخ عبد العزيز شاويش . فلمـا انتهت الحرب العظمى بانكسـار الترك واسـتيلاء الإنكليز على القدس أعطى الإنكليز هذه الدار إلى البعثة الفرنسية وهى الآن مدرسة لتخريج الرهبان الـكاثوليك

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

المعرى لا المتنبى

أورد الأستاذ أحمد الشرباصى هذا البيت :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

منسوبا إلى المتنبى والصواب أنه لأبى العـلاء المعرى من قصيدته المشهورة التى مطلعها :ـ (الا فى سبيل المجد ماأنافاعل) ومثل الشرباصى فى فضله وعلمه لايفوته ذلك ولابد أنه سبق قلم سببه تأثر الأستاذ أثناء رده .وقد انتظرت حتى صدر العددالتالى ٩٩٠ومابعده لعل الأستاذ يصحح هذا الوهم .فلما لم أجد ماتوقعته بكتابة هذا راجيا نشره مع خالص الشكر .

عبد السلام النجار

تصحيح

طالعت فى العدد ٩٨٦ من الرسالة مقال الدكتور الكفراوى من أبي العتاهية فاسترعى انتباهى قوله فى آخر المقـال : قال الشاعر مشيرا إلى جوارى المهدى

رحن فى الوشى وأصبحن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوما نطوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمرت ما عمر نوح

والذى نعرفه أن أبا العتاهية قال هـذه القصيدة وهو فى السجن لما آلم لحن الملاحين فى دجلة الخليفة الرشيد فأرسل إليه أن يصنع لهم شعرا سـهلا يتغنون به فغاظه أن يطلب إليه ذلك ولم يأمر بإطلاقه فصنع هذه القصيدة لينغص عليه عيشه ومطلعها

خانك الطرف الطموح أيهـا القلب الجموح

هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح

فمن هنا نعلم أن القصيدة قيلت فى عهد الرشيد لا المهدى كما يقول الدكتور وأن الإشارة إلى جوارى الرشيد

محمد ابراهيم الجيوشى

دار العلوم

أشكر الأستاذ الشاعر أحمدالعجمى عنايته بشعراء الشبـاب وأتوقع لها أثرا طيباوإن كانقد ذكر فى العدد «٩٨٧»من الرسالة الغراء أن فى الاستطاعة أن يحصى الناقد خمسة عشر شاعرا من دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية فلا يستطيع أحد أن يحصى شاعرا أو اثنين ، فيسره أن يعرف أن السبب فى ذلك هو أن الفترةالتى قضتها دار العلوم وهى مدرسة فترة طويلة جدا كفيلة بأن تنجب فيها ما تشاء من الشعراء ، أما الفترةالتى قضتها وهى كلية جامعيةفهىفترة وجيزة لا تكفى لإشهار شعراء يعدون ويحصون

على أننى أرى أن هناك أزمة شعرية فى هذه الأيام الأخيرة فى جميع المعاهد الأدبية ، ومرد ذلك — فيما أعتقد — إلى أن الصحافة وهى المنبر الذى يذيع عليه الشعراء الناشئون أشعارهم أصبحت بضيق صدرها بالشعر والشعراء ولا سيما الناشئين منهم ، فبعض الصحف تنشر القصائد فى صفحة الغلاف بشكل يوحى بالإهمال ، والبعض الآخر يفرد لها حيزا محدودا جدا يستوعبه فى الغالب من اشتهر من الشعراء ! بربك ماذا يفعل الشعراء الذين يريدون أن يظهروا ؟

أيلجأون إلى طبع أشعارهم فى دواوين وهم فى الغالب لايملكون من المال والشهرة ما يساعد على ذلك ؟ !

أم ينطوون على أنفسهم يقولون الشعر لا يسمعه أحد حتى علوا هذا الوضع فيطمر ينبوع الشعر فى نفوسهم ؟

إننا نرى كل فن من فنون الأدب قد خدم الخدمة اللائقة به ، فالمقالة تعج بها معظم الصحف ، والقصة أفردت لها صحف خاصة ، بقى الشعر والشعراء المساكين

إنى لأذكر بالخير ذلك العهد الذى كانت تقوم فيه مجلة « أبولو » على خدمة الشعر الحي . وأعتقد أنها أفسحت لكثير من الشعراء الناشئين طريقهم حتى برزوا وجلوا فى ميدان الشعر. فهل إلى بعث هذه المجلة أو ما يشبهها من سبيل حتى تتفتح براعم من شعراء الشباب أوشكت أن تموت ؟

محمد على . محمد الشايب

أدب ولغة

١ — كسول : صنيع اللغويين يشعر بأن كسولا من الأوصاف المختصة بالإناث ، قال جار الله فى الأساس — كسل : وامرأة كسلى ، وهي مكسال وكسول ونحوه فى المختار والمصباح والتاج والقاموس واللسان وأكثر المعاجم التى رجعت إليها ، ومن ثم ذهب كثير من الخاصة إلى تخطئة مثل هذا التعبير (تلميذ كسول)

بيد أنى وقفت فى لسان العرب مادة ـ زمل ـ على هذا البيت:

فلا وأبيك ما يغنى غنائى   من الفتيان زميل كسول

وهذا نص لا يحتمل التأويل ينادى بصحة ما خطأه بعض الباحثين . ولعل من يتتبع كلام العرب يقف على أكثر من شاهد لهذا الاستعمال . ولا يعزبن عن البال أن كتب اللغة لم تلتزم الإحاطة بكل ما نطقت به العرب ، فدون هذا خرط القتاد كما يقولون . على أنه يمكن أن نتلمس عذرا لصنيع اللغويين فى أن النص على — امرأة كسول — من قبيل النص على البعيد المتوهم — لا من قبيل البيان لما يجوز حتى يمنع ما عداه ، وعلى هذا أرى أن لفظة — كسول — مما يوصف بها المذكر والمؤنث على السواء ، وليست مختصة بأحدها

٢ — كسلان : أما كلمة — كسلان — فقد يتبادر إلى الذهن بادى الرأى أنها عامية أو خاطئة وإن هى إلا فصيحة ، وقد وردت فى تضاعيف قصة أدبية نرويها لقراء الرسالة لطرافتها ولما فيها من جمال وإبداع

روى المبرد أن عمر الوادى سمع عبداً أسود يغنى ، فأعجب به ، وطلب إليه أن يعيد عليه ما سمع ، فقال العبد: والله لو كان عندى قرى أقريك ما فعلت ، ولكنى أجعله قراك ، فإنى ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع ، وربما غنيته — وأنا كسلان — فأنشط ، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ، ثم انبرى يغنى :

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها
أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها   إذا ما قضت أحدوثة لو تعيدها
تحلل أحقادى إذا ما لقيتها   وتبقى بلا ذنب على حقودها
وكيف يحب القلب من لا يحبه   بلى قد تريد النفس من لا يريدها

٣ — نسوان : وقد وردت هذه الكلمة التى تتردد على ألسنة العامة — وقد تنفر الأسماع منها — فى شعر يسحر اللب ويأخذ بمجامع القلوب ، قال كلثوم العتابى ·

تلوم على ترك الغنى باهلية   لوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها ـ النسوان ـ يرفلن فى الكسا
مقلدة أجيادها بالقلائد

العقد ج ٣ ص ١٥٩

وقال الحكم بن معمر — عاصر ابن ميادة — :

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة
وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

فساهم ثوباها ، فنى الدرع غادة   وفى المرط لفاوان ردفاهما عبل
الأغانى ج ٢ ص ٢٨٦

وقال الهمدانى (الأجدع أبو مسروق بن الأجدع الفقيه)

لقد علمت نسوان همدان أننى   لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل فى الهيجاء وجهى وإننى   له فى سوى الهيجاء غير بذول
(تهذيب الكامل ج ٢ ص ٩٣

وقال ابن مقبل :

(١) أصوات نسوان أنباط بمصنعة   بجدن للنوح واجتبن التبابينا
(الأساس — صنم)

(١) المصنعة ـ المدينة والقرية ـ بجدن ـ لبسن البجد ـ التبابين ـ جمع تبان السراويل الصغيرة

رياض عباس



الخـــادم

للكاتب العظيم ـ بونوف

عاد جيرازيم إلى موسكو حين كان يتعذر الحصول على عمل فيها ، وذلك قبل عيد الميلاد بأيام قلائل . وفى هذه الفترة كان كل عامل يتمسك بعمله مهما كان حقيراً ، طمعاً فى الحصول على هدية من مخدومه . وهكذا قضى الشاب الفلاح ثلاثة أسابيع دائباً فى البحث عن مهنة ولكنه لم يوفق

وكان يعيش مع أقاربه وأصدقائه الذين نزحوا من قريته . ولم يكن فى فقر مدقع ، ولكنه يغتم لرؤية شاب قوى مثله يحيا بغير عمل

وقد عاش جيرازيم فى موسكو منذ حداثته . وعند ما كان طفلا كان يشتغل بغسل الأوانى فى معمل من معامل البيرة ، ثم اشتغل بعد ذلك خادماً فى أحد المنازل . وفى السنتين الأخيرتين كان يعاون أحد التجار ، ولولا أنه دعى إلى قريته لسبب يتعلق بالخدمة العسكرية لبقى حيث كان إلى الآن . ولسبب مالم يقبل جيرازيم جندياً . ولما لم يكن معتاداً حياة الريف فقد بدت القرية لعينيه فى حلة من الكآبة، وصمم على الرجوع إلى موسكو مهما كانت النتائج

وكل دقيقة تمر كانت تزيد ملله من جوب الطرقات فى فراغ وبطالة . ولم يترك جيرازيم أى سبيل للعمل إلا طرقها . ولقد ضايق جميع معارفه بالحافه ، وأحياناً كان يتصدى المارة ويسألهم إذا كانوا يعرفون سبيلا إلى عمل خال

ولم يعد يحتمل جيرازيم أن يكون عالة على الناس . وقد أصبح وجوده يغيظ بعض مضيفيه . وتعرض بعض الخدم الذين كان ينزل عليهم لتأنيب مخدوميهم إياه بسببه . لقد كان فى حيرة تامة لا يدرى ماذا يفعل . وأحياناً كان يجوب الطرقات النهار كله دون أن يتناول طعاماً

وفى أحد الأيام ذهب جيرازيم إلى صديق له من أبناء قريته ، يعيش على حدود موسكو . وكان هذا الصديق حوذياً عند رجل يدعى شاروف ، وقد مضى عليه أعوام كثيرة فى خدمة شاروف وقد أفلح فى أن يستحوذ على محبة سيده فأصبح يأمنه على كل شئ ويبدى له دلائل الرضا . ولعل لسانه الفتيق هو الذى كسب له ثقة سيده فقد كان يشى بكل الخدم ، وكان شاروف يقدره من أجل ذلك

وتقدم جيرازيم وحياه ؛ واستقبل الحوذى صديقه استقبالا مناسبا وقدم إليه شاياً وبعض الطعام ثم سأله عما يفعله فأجابه :

— فى أسوإ الأحوال يا يجور. إنى أعيش بدون عمل منذ أسابيع

ألم تسأل مخدومك القديم أن يستعيدك إليه ؟

— لقد سألته

— أو لم يقبل ؟

— هناك من حل محلى

آه ... هذا هو السبب . تلك هي خطتكم أيها الشبان . تخدمون رؤساءكم حيثما اتفق ، فإذا تركتم مهنتكم تكونون قد سددتم طريق الرجوع إليها بالأوحال . ألا يجب أن تقوموا بواجباتكم بحيث تنالون التقدير الحسن ، فإذا رجعتم إلى مخدوميكم لا يهملونكم — بل يخرجون من حل محلكم ...

— وكيف يكون ذلك ؟ إنك لا تجد مخدومين على هذه الشاكلة فى هذه الأيام كما أننا لسنا ملائكة !

— وما فائدة الكلام ؟ ! إنى أريد أن أحدثك عن نفسى : إذا حدث أنى تركت عملى لسبب من الأسباب ورجعت إلى منزلى ، فالسيد شاروف يقبلنى عندما أرجع ويكون سعيداً بقبولى

وجلس جيرازيم محزوناً . لقد لاحظ أن صديقه يباهى بنفسه ورأى أن يسايره فقال :

— إنى أعرف ذلك ولكن من العسير وجود رجل مثلك يا يجور . ولم لو تكن من أجود الخدم ما أبقاك سيدك فى خدمته اثنى عشر عاما

فابتسم يجور لأنه كان يحب المدح وقال :

— ذلك هو الواقع . لو أنك اتبعت نظامى فى الحياة والعمل ما وجدت نفسك عاطلا شهراً بعد شهر

ونادى شاروف حوذيه فخرج وهو يقول :

— انتظر برهة .. سأرجع حالا

— حسن جدا

عاد يجور وأخبر صديقه أن عليه في خلال نصف ساعة أن يعد العربة ويسرج الخيل ويستعد لحمل سيده إلى المدينة . واشمل يجور بيبته وأخذ يذرع أرض الغرفة ثم وقف فجـــأة أمام جيرازيم وقال :

— استمع يابني، إذا رغبت أن أحدث السيد شاروف عنك فلا بأس

— وهل هو في حاجة إلى خادم؟

— لدينا خادم غير كفء تقدم به العمر ومن المتعذر عليه القيام بالخدمة . ومن حسن الحظ أن هـــذه الضاحية غير مأهولة — كما أن رجال البوليس لايدققون كثيرا ، وإلا لما استطاع الخادم الشيخ أن يحتفظ بالمكان على حالة من النظافة ترضيهم

— آه .. لو أمكنك ، حدثه عني يايجور — إني سأدعو لك طول حياتي .. لم أعد أحتمل العيش بدون عمل

— حسن . سأحدثه عنك . تعال غدا . والآن يحسن أن تأخذ هذه الدريهمات

— شكراً يايجور . هل ستحدثه عني ؟ قم بهـــذا الجميل من أجلي

— حسن . سأحاول

وانصرف جيرازيم وأعد يجور العربة وارتدى ملابسه الخاصة بمهنته وقاد العربة إلى الباب الرئيسي المنزل حيث ركب شاروف ثم آب إلى منزله . ولاحظ يجور أن سيده على شيء من البشاشة فبدأ حديثه معه

— هل لي أن أسألك معروفاً ؟

— وماذا تطلب ؟

— شاب من قريتي ، شاب طيب . . . ليس لديه عمل

— حسن !

— ألا تلحقه بخدمتك ؟

— وهل أنا في حاجة إلى خادم ؟

— ألحقه على أن يقوم بأي خدمة تطلب منه

— وماذا يعمل بوليـكار ؟

— وما فائدة بوليـكار ؟؟ لقد حان أوان فصله

— ليس من العدل فصله . لقد خدمنا سنوات . فلا أستطيع طرده بدون سبب

— ولنفرض أنه اشتغل بخدمتك سنوات ، إنه لم يخدمك بغير أجر . لقد كان يتناول مرتباً ، ومن المؤكد أنه ادخر بعض المال لسني شيخوخته

— ادخر ؟ كيف كان يمكنه ذلك ، إنه ليس وحيداً في الدنيا : لديه زوجة يعولها وهذه مضطرة أن تأكل وتشرب أيضا

— إن زوجته تكسب أيضاً . إنها أجيرة باليومية ، ولم تهمني بوليـكار وزوجته اهتماماً ؟ حقا إنه خادم فقير ؛ ولكن لم تبعثر أموالك ؟ إنه لايؤدي عمله كما يجب . وعندما تحين نوبته في حراسة المنزل يترك مكان الحراسة أكثر من عشر مرات أثناء الليل . لم يعد يحتمل البرد وقد يدركك البوليس بسببه يوماً . قد يهبط المفتش علينا يوماً ، وعندئذ لن يسرك أن تكون مسئولا عن نتائج إهمال بوليـكار

— ومع ذلك ففصله قسوة واستهتار . لقد خدمنا خمسة عشر عاما ، وبعد هذه المدة نعامله هذه المعاملة النذلة في شيخوخته . إنها الخطيئة

— خطيئة ؟ هل يصيبه منك ضرر ؟ إنه لن يموت جوعا بل سيذهب إلى ملجأ الفقراء . وهذا أجدى عليه . هناك يقضي شيخوخته في سلام

وأخذ شاروف يفكر في المشكلة ثم قال .

— حسن . دع صديقك يحضر غدا . وسأرى ما يمكنني أن أفعل له

— أرجو يامولاي أن تلحقه بخدمتك . كم أنا حزين له ! ياله من شاب خير ! ومع ذلك فهو عاطل منذ أمد طويل . إنه سيؤدي واجبه على أكمل وجه وسيخدمك بإخلاص : لقد ترك عمله الأول بسبب الخدمـــة العسكرية ولولا ذلك ما تركه مخدومه الأول

عاد جيرازيم في المساء التالي وسأل صديقه :

هل أمكنك أن تقوم بشيء في سبيلي ؟

— نعم ... على ما أعتقد : دعنا نتناول بعض الشاي أولا ، وبعد ذلك نذهب لمقابلة سيدي

ولم يكن جيرازيم بالراغب فى شرب الشاى : لقد كان مشوقا إلى معرفة ما قر عليه أمره ولكن مقتضيات الواجب واللياقة نحو صديقة أجبرته أن يشرب قدحين من الشاى ، أخذه بعدها صديقه إلى رب الدار

وسأل شاروف جيرازيم عن مكان مسكنه وعن مخدوميه السابقين ، ثم أخبره بعد ذلك باستعداده لقبوله خادماً عاما يؤدى كل مايطلب منه وأن عليه أن يأتى صباح اليوم التالى ليبتدىء عمله . وأذهل جيرازيم هـذا الحظ الفاجىء وكان فرحه عظيما حتى أن قدميه لم تقويا على حمله ، وبعد برهـة رجع جيرازيم إلى غرفة الحوذى

وقال له الحوذى : « حسن يا بنى يجب أن تمنى بأن تؤدى واجبك على الوجه الأكمل حتى لا أضطر يوما إلى الخجل بسببك ، أنت تعرف من هم السادة إذا قصرت مرة تعقبوك دائما بالبحث عن أغلاطك ولن يدعوك فى سلام أبدا

— كن مطمئنا يا يجور

وانصرف جيرازيم وعبر فى طريقه فنـاء المنزل ، وكانت غرفة بوليكار تطل على هذا الفناء وكان ينبعث منها نور ضئيل يضىء طريق جيرازيم الذى شعر بالشوق إلى رؤية الغرفة التى ستخصص له ، ولكن زجاج النافذة كان مغطى بالصقيع بحيث يتعذر رؤية أى شىء خلاله . وسمع جيرازيم أصواتا تنبعث من الغرفة فوقف يتسمع . سمع صـوتا نسائيا يقول « ماذا نفعـل الآن ؟ » فأجاب رجل — وكان بوليكار لا شك :

— لست أدرى .. لست أدرى نطوف الشوارع مستجدين ،

— هذا كل ما بقى لنا . وما من حيلة أخرى . بالله لنا ، نحن الفقراء ! أى حياة تعسة نحيـاها ؟ نكد ونكدح من الصبـاح الباكر حتى الليل يوما بعد يوم وعاما بعد عام ، وعندما تتقدم بنا السن نتضور جوعا

— ماذا نفعل ؟ إن سيدنا ليس من طبقتنا ، ولا جدوى فى الذهاب والتحدث إليه . إنه لا يهتم إلا بمصلحته

— كل السادة على مثل هذه الحالة . إنهم لا يهتمون إلا بأنفسهم ، لا يخطر ببالهم أننـا نعمل بشرف وإخـلاص مدى سنوات ، نفنى زهرة قوانا فى القيـام بخدمتهم ثم يخشـون أن يبقونا عاما آخر ، حتى ولو كانت لدينا القوة للقيام بواجباتهم .

فإذا عجزنا تماماً وجب علينا أن ننصرف من تلقاء أنفسنا

— إن شـاروف لا يلام بقـدر ما يلام حوذيه الذى يود الحصول على مهنة لصديقه

— نعم ... يا له من ثعبـان ! إنه يعرف كيف يتشدق بلسانه ... وأنت يا يجور أيها الحيوان القذر اللسان ... انتظر ، سأنتقم منك ، إنى سـأذهب إلى السيد وأخبره كيف كان هذا الوغد يغشه وكيف يسرق التبن والعلف . وسأقنع السيد أن هذا الوغد يكذب فى كل ما ينقله عنا

— لا لا : أيتها المرأة لا ترتكبى خطيئة

أية خطيئة ؟ أو ليس حقا ما أقوله ؟ إننى أعرف صـدق ما سأتحدث به وسأفضى بكل شىء للسيد . ولم لا ؟ ماذا نفعل الآن ؟ أين نذهب ؟ لقد حطمنا ، وانفجرت المرأة باكية متأوهة

سمع جيرازيم الحديث كله وكأن خنجرا نفذ فى أوصاله . لقد تحقق أى بلاء كان يجره إلى هذين الشيخين وشعر أن قلبه يتمزق وقف حيث كان زمنا طويلا محزونا غارقاً فى الفـكر ، ثم دار على عقبيه وذهب ثانية إلى غرفة الحوذى الذى سأله عندما رآه

— هل نسيت شيئاً

وأجاب جيرازيم متلعثما : لا ... لقد أتيت ... استمع إلى ... أود أن أشكرك كثيراً على حسن استقبالك إياى ، وكل ما عانيته من أجلى .. ولكنى لا أقبل العمل هنا

— ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

لا شىء . لا أرغب فى العمل هنا ، سأبحث عن عمل آخر .

وانقلبت يجور حدة غضب وقال :

— هل تعنى أن تجعلنى مجنونا فى رأى سيدى ؟ هل تعنى ذلك أيها الأبله ؟ لقد أتيت تتضرع فى وداعة وترجو المساعدة . والآن ترفض العمل . أيها الوغد لقد أخزيتنى !

وصعد الدم إلى وجه جيرازيم وخفض عينيه ولكنه لم ينبس ببنت شفة

وأدار يجور ظهره فى احتقار وكف عن الكلام وعندئذ التقط جيرازيم قبعته بهدوء وترك غرفة الحوذى وعبر الفنـاء مسرعا ثم اجتاز باب المنزل وابتعد عن الدار مهرولا وكان يشعر بالسعادة والفرح ...

م . ع . م

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٤ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٥

20 me. année No 994

Le Caire 21 -6- 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٤ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٧١ — ٢١ يوليه سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

علمـــاء!

من مفاليك العامة جماعة انتسبوا إلى علماء الدين كما ينتسب الزوان إلى الحنطة. نالوا شهادة العلم بالغش، وابتزوا شارة الدين بالباطل، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق؛ ثم اندسوا في المجتمع اندساس الإثم في الضمير، أو الداء في البدن، فكانوا في الوحدة مظهر تفريق، وفي النهضة مصدر تعويق، وفي العقيدة مثار شبهة. ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب، ومن ندواتهم وسائل لترويج الشوائع! يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا، ويثيرون الريبة في الذين عملوا، ويقعدون من حركات الاصلاح مقاعد للتربص والتلصص؛ فإذا دعاهم المصلح هبوا في وجهه هبة الريح العاتية على المصباح الهادى؛ وإذا دعاهم المفسد نفحوا قلبه الوارى نفح النسيم الرخى للنار المشتعلة! ذلك لأنهم لا يختلون فرائسهم إلا في الظلام، ولا يشوون ذبائحهم إلا في الحريق. ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين! أما الروح، وأما الدين، وأما الخلق، وأما الأدب، فهي ألفاظ شأنها في صدورهم كشأنها في المعجم: صفات لا تدل على موصوف، وكلمات لا تزيد على أنها حروف!

المادة في حياتهم الفارغة هي كل شيء. غلـفوا بها قلوبهم حتى صدئت منهم النفوس، وأفعموا بها أفواههم حتى نتنت منهم الأنفاس. ثم جعلوها قياساً لكل قضية، وسبباً لكل حكم، وأساساً لكل نقد، وغرضاً من كل عهد؛ فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون!

وقد تسول لهم النفس الغرور أن يلوثوا وجوه الصحف بما يكظ بطونهم من أخلاط الحقد على المصلحين والعاملين فيكشفوا من سوءاتهم ثم يدعوها تزكم الأنوف بالنتن الوبيء، وتؤذى الآذان بالصوت الكريه!

إن من أول وسائل الاصلاح للدين والدنيا أن يُكسح هؤلاء من معاهد العلم ومقاعد التعليم كما تكسح الأوحال من الطريق. فإن الباني لا يبنى وفي يده مسطرين وفي أيديهم معول. وإن الغارس لا يغرس وفي يده مشتل وفي أيديهم منجل. ولولا أبو جهل وابن سلول وشيعتهما من عدو الله لما قال الرسول الصادق الصابر الشجاع وهو يلوذ بأحد الجدر: اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس!

وأفظع الأمر أن أولئك كانوا يحاربون الله وهم يقولون: كذَب؛ وهؤلاء يحاربونه وهم يقولون: صدق! وإن الكفر خير من النفاق. وإن المداورة أفضل من الخديعة. وإن الصراحة على كل حال عظمة، وإن المراءاة على أي وجه حقارة!

(حسان)

التصوف على « البلاج »

للأستاذ أنور الجندى

من أعجب المفارقات أن يذكرنى « البلاج » بالتصوف بل لعل غاية العجب أن أكتب هذا الفصل أمام إحدى « كبائن » ستانلى باى . .

ولست هذه هى المرة الأولى فيما أعتقد، التى تدعو المفارقات فيها مثل هذه الدعوة . .

إننا لاشك نمر بمحنة عنيفة ، تبدأ أطرافها الأولى هنا على البحر ، وتنتهى هناك فى معترك الحرية واستخلاص الحقوق ، وإقامة المجتمع الصالح . .

وليس فى الإمكان أن يجتمع الخير والإثم معا ، ولا أن يشترك الحق والباطل ، ولا يمكن أن نواجه المستقبل إلا بنفوس مفطومة من الشهوات وأوضار اللذات . . فإذا لم نستطع أن نصوغ هذه النفوس ، كنا أعجز من أن نحقق لوطننا أو لبلادنا ما تبتغيه من مجد

ولا عبرة بما يقوله البعض ، من أن النفس الإنسانية تستطيع أن تجمع بين الجهاد واللذة ، أو أن بعض المكافحين والمناضلين كانوا فى حياتهم الخاصة على غير الصورة المثالية التى كانوا يدعون إليها . .

إن « البلاج » الآن مدرسة ضخمة من مدارس الرخاوة والميوعة والانطلاق ، يتلقى فيها الآباء والأمهات والشبان والفتيات والأطفال دروسا على جانب كبير من الخطورة ، إنها أبعد أثرا فى مستقبل هذا الوطن من مدرسة السينما ، أو قل إنها التطبيق العملى لتلك الصور المتحركة

إننى أشك كثيرا فى قدرة الشباب الذى اعتاد أن يقضى بضعة شهور من العام فى محيط ينضح بالإغراء ، واشترك إلى حد كبير فى تلك المناورات التى تقوم على الشاطئ وفى الأمواج ، وفى الكابينات ، أشك كثيرا فى أنه يستطيع الصمود يوما لمركة فاصلة فى سبيل الحرية أو الإصلاح . .

وهذه الفتاة وهى النصف الثانى من الأمة ، هى الجزء البعيد الأثر فى رعاية الزوج وتنشئة الابن ، كيف يمكن أن يعتمد عليها ، وهى على هذه الصورة من الاندفاع فى العباب المنيف

أنا أومن كل الإيمان بحق الجسم فى الرياضة والهواء والماء ولكن ليس على هذه الصورة المزعجة القاسية ، التى لا يمكن أن تحتملها نفسية الشباب المراهق ، دون أن تدفعه دفعا إلى اتجاه قد يكون بعيد الأثر فى حاضره ومستقبله . .

فى الإمكان أن يتاح للأسر وللشباب وللفتيات أن يحققوا جميعا غاياتهم من الاستفادة من الهواء والماء ، بطريقة أو بأخرى، أما على هذه الصورة ، فليس الأمر أمر صحة أو راحة أو إجازة ، فإن الحياة فوق البلاج ليست باليسيرة على النفوس التى تعيشها ، وليست مؤدية بأى حال إلى ذلك السلام أو الاستجمام المنشود . .

وإنما هذا «سوق» يقام ، فيه كل أنواع الصراع والصياح والضجيج ، وفيه قسوة النزاع النفسى الداخلى ، وأسباب الإغراء ، ووسائل المتاع الجسدى ، واستفزاز الشهوات ، وتدفقها واندفاعها . .

إن الحياة فى القاهرة طوال العام ليست إلا مقدمات أو نتائج لهذه الفترة التى يقضيها الفتى أو الفتاة على البلاج . إنها فترة التحضير والأحلام بالأجساد العارية ، والجلسات المائلة والنظرات الباسمة ، أو هى النتائج القاسية للحظات التى استحكم فيها الشيطان ، أو تطامنت فيها الغريزة . .

إن « الحرية » التى يتمتع بها الناس على البلاج «ضريبة» قاسية تدفع من الأجساد ومن النفوس ومن الأرواح ، تدفع من حساب هذا الوطن ، ولا يستفيد بها إلا خصومه ، فهى

تؤخر نهضته أعواما ، بل أجيالا .. وهى لا تفسد نفوس الجيل الحاضر فحسب ، بل تترك جراثيم المرض لتنمو فى أجساد أخرى ، ما زالت يافعة نضرة ، فإذا استوت كانت أعجز من أن تقاوم التيار أو تواجه الحقائق .. فإذا ما اصطدمت فى «معركة» خرت كايلة واهية

إن الأمم التى أطلقت لنفسها العنان فى ميدان اللهو كانت قد تحررت أولا ونضجت ، واستحصدت شخصيتها .. فكان عليها بعد ذلك أن تلهو .. أما «نحن» الذين ما زلنا نكافح ونجاهد ونصارع فى سبيل الوجود الذاتى ، وفى سبيل تحرير أوطاننا ، وإقامة دعائم مجتمع كامل ، فإننا فى حاجة إلى سواعد قوية مفتولة ، ونفسيات قد بلغت غاية السمو والكرامة والعزة ، نفوس قد فطمت عن الشهوات ، وترفعت من الصغائر ، وتسامت عن النزوات ، فحفظت كيانها الروحى والنفسى والعقلى قويا عاليا . . ولا شك أن مدرسة «البلاج» تتعارض مع هذا النوع من الشباب تعارضا كاملا ، بل إنها من أسباب القضاء عليه .. إنها تمده بالمادة السامة التى تحطم البقية الباقية فيه .. فلا تدعه يسطع يوما ، أو يقف موقفا حاسما ، أو يصمد فى جولة حامية

ولعل هذه المعانى هى التى جعلتنى أفكر فى «التصوف» .. التصوف المستنير الذى عرفه عمر وعلى والحسن البصرى والجنيد ..

هذا الذى يرتبط فيه الزهد فى مغريات الدنيا بالقدرة على مواجهة الحقائق ..

فليس شك أن الرجل «الجنتيل» الذى لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق ، هو فى الأغلب رجل غلبت عليه المطامع الدنيوية ، فهو يجامل ويتملق ، ويسمع مايكره ، ويخفى آراءه الخاصة ، حتى لا تنشأ خصومة مع فلان أو فلان ، ممن قد تضطره الحياة يوما إلى أن يلجأ إليه . . وهذا يظل إمعة ، ومصدر هذا أن متاع الحياة قد وقذه ، فمات فى نفسه روح الجرأة والشجاعة الأدبية

أما الصوفى الزاهد الذى استهان بالدنيا واحتقرها ، فهو أجرأ الناس فى قول كلمة الحق ، ونقد ما يراه . .

ولذلك عرف المتصوفة بالجرأة على الزعماء والأمراء والحكام يجبهونهم بكلمة الحق ، ويقولونها سافرة جريئة ولا يبالون . . لأن الحياة هانت عليهم فلم يعد يخيفهم الحرمان منها ، ولأنهم قد استخفوا بزخرفها ، وامحت من قلوبهم مطامعها ، فأصبحوا يرددون مع الصوفى القديم «إن قتلى شهادة ، وسجنى خلوة ، وتغريبى سياحة»

والتاريخ يذكر شميطا والفضيل بن عياض وعطاء وأبى حازم وابن السماك وعمارة بن حمزة والأوزاعى ، بأنهم كانوا زهادا صوفية ، وقفوا مواقف الجرأة فى تذكير الخلفاء بعيوبهم وأخطائهم ، ورفضوا ما يقدم لهم من أعطيات أو هدايا ، وكان الخلفاء من سليمان إلى المنصور إلى الرشيد إلى المهدى يسمعون نصحهم بقلوب واجفة ، ونفوس متأهبة لقبول النصح

وعندما وضع الغزالى أصول التصوف ، نصح الصوفية باعتزال الأمراء والحكام ، والانصراف عن موائدهم ، حتى يكون لديهم من الشجاعة ما يكفيهم لأداء رسالتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

* * *

ونحن فى حاجة إلى موجة من التصوف ، حتى نوازن ذلك الخطر «البلاجى» ، وقديما كان التصوف يغزو ميادين الحياة عندما يجنح الناس إلى الترف والغنى ، وينصرفون إلى الأمصار ويكونون الثروات ، فكان بذلك عامل «سد الفراغ» كما يقول المحدثون

ويرمى التصوف فى صميمه إلى القناعة ونفض اليد من البريق ، وشغل القلب عن المتاع ، والانصراف عن زخرف المال والنضار إلى ما هو أسمى منه ..

والتصوف فى غايته يدعو إلى القصد من متاع الدنيا ، رجاء

متاع الآخرة ، والانصراف عن كثير من حلال المتاع خوف الوقوع فى حرامه ، ويهدف إلى حرمان النفس مما تتطلع إليه مما فى أيدى الناس

وكان هؤلاء الصوفية أنفسهم يحملون السيف إبان الغزو ، فإذا انتهى الجهاد بالسيف عادوا إلى جهاد النفس وإخلاص النية لله

وليس شك أن انصراف النفس الإنسانية فى بعض العهود من التصوف هو الذى أرخى العنان لهجمات التتار والصليبيين ، وكان عاملا فعالا من عوامل الهزيمة ، إذا واجهت هذه القوات التى كانت تحمل فكرة معينة ، جيلا مريضا رخوا قد أضرت به الرغبات وقتلت قوته وصلابته ، فلم يستطع أن يقف أمام الجحافل المغيرة أو يردها ، فلما برز مرة أخرى الرجال الذين أشربوا روح الصوفية الحقة أمثال الشهيد نور الدين زنكى وغيرهم أمكن مقاومة الغزاة وسحقهم ، واستعادة مجد البلاد

هى الصوفية الناصعة الصافية التى كانت تمتصم باحتقار المغانم والأموال والجاه ، فى سبيل الله ، وترى رحالها فوق سروج الخيل ، وأطباق الماء ، وأعماق الصحراء

إن نظام الفروسية فى ذاتها الذى اقتبسه الأوربيون ، نظام صوفى ، ونظام الصفوة القائم على الكرم والسخاء والشجاعة والمروءة نظام صوفى ، وهى تهدف فى جملتها إلى أن يجرد الفرد نفسه للأمة ، فيعيش للجماعة ويعيش للفكرة ، ويعيش للمثل الأعلى

ولا شك أن روح الصوفية الخالصة هى التى دفعت أبى حنيفة عن أن يقبل القضاء ، وهى التى أدت إلى أن يجلد مالك ويعذب أحمد بن حنبل

فلست أقصد بالتصوف ، ذلك الزهد والاعتدال والاعتكاف ، فليس هذا من الإسلام فى شئ . إننا نمر بمرحلة « الضرورة » من تاريخ الوطن ، وهى تقتضينا أن نكون جميعا جنوداً ، قد أعدوا أنفسهم لاحتمال أعباء كفاح ضخم طويل المدى ، من شأن هذا الكفاح أن نعد له أنفسنا بالتربية الروحية ، هذه التربية التى تستدعى صلابة النفس وقوة الاحتمال والقدرة على مواجهة الخطوب

ولن يتيسر هذا للشباب الذى يئد شبابه ورجولته ووقته ، ويصرفها على غير وجهها

نريد ذلك « التصوف » الذى نحس النفس فيه بالقوة أمام نزوات الإغراء ، والاستعلاء أمام الملذات والشهوات ، هذا التصوف الذى يدفعنا فى الحياة كراما ، نعمل ونجاهد ونواجه الخطوب ، فنصبر لها ونقاومها ، ولا ننهزم أمامها ولا ننهار

استانلى باى أنور الجندى

أضواء على بلاد

الاستعمار البريطاني في الملايو

عرض وتحليل

للأستاذ محمد جنيدي

هناك في الشرق الأقصى على بعد آلاف الأميال من قلب العالم الإسلامي يربض شبه جزيرة الملايو ربضة الأسد المتحفز للوثبة الكبرى للتحرر من قيود الذل والاستعباد

هناك وعى قوى منبعث من النفوس الحرة، تثار على الأوضاع الاستعمارية. يمثل القوى القومية الناهضة للقوى الاستعمارية. يضع الخطوط الرئيسية الأولى لبرنامج قوى لإعداد قوى الأمة لجهاد طويل مرير، وكفاح شاق عنيف. تسفك خلاله دماء زكية، وتبذل أموال طائلة، حتى يتحقق الأمل القومى المنشود

لقد انقضى أكثر من ثلاثة قرون للحكم البريطاني في الملايو تخللتها تطورات في أنظمة الحكم، وتغييرات في شؤون المال والاقتصاد. ولا يزال الحكم البريطاني فارضا سلطته على الشعب الملايوى مستغلا جهوده. وملايا قطر شرق يقع في جنوب شرق آسيا، يطل على المحيط الهندى. اشتهر في العصر الحديث بإنتاجه الزاخر من المطاط والقصدير، وبقاعدته الحربية (سنغافورة) وأهم إنتاجه المعدنى القصدير. وفي جزيرة سنغافورة القاعدة الحربية البريطانية أكبر مصفاة لتصفية القصدير الخام في العالم تملكها الشركات البريطانية. يرد القصدير الخام على الناقلات البحرية من سائر أنحاء العالم لتصفيته ثم تصديره إلى الأسواق العالمية. وأما أهم إنتاج ملايا الزراعى فهو الأرز. وتنتج غاباتها الكثيفة أنواعا مختلفة من الأخشاب. ويصدر المطاط والقصدير والأخشاب وزيت جوز الهند والأناناس والكوبرا إلى البلدان الأجنبية. وتستغل الشركات البريطانية والأوربية والصينية المزارع الواسعة التي تفيض بأحسن المنتوجات. ويتحكم البريطانيون في إنتاج المطاط وفي تقرير سعره. والمطاط هو الدافع المظهر لبقاء بريطانيا في الملايو. فقد تخلت عن بعض مستعمراتها في الهند الشرقية لهولاندا إزاء تنازل هولندا عن بعض مستعمراتها في الملايو... ففي عام ١٨٢٤ تنازلت بريطانيا عن ولاية (Bankulen) في جزيرة سومطرا لهولندا. وتخلت هولندا لها عن مقاطعة (Malacca) في الملايو. ويظهر لنا من خلال هذا التبادل مدى اتحاد الحكومات الغربية في سبيل استعباد الشعوب الشرقية الضعيفة. وفي سبيل الاستعمار والاستغلال تأتلف القوى الغربية الحديثة وتقف جبهة متحدة أمام القوى المناوئة لها. وأبرز مظاهر التعاون الاستعمارى الغربى الحديث: الحرب الكورية والقتال في الهند الصينية والحركات العسكرية في الملايو. فقد اتحدت الدول الاستعمارية الكبرى على القضاء على الحركات التحريرية المنبعثة من البلدان الشرقية التي لا تزال تتجرع علاقم الاستعمار الغربى. كما تعاونت تعاونا تاما فيما بينها على أحسن الطرق التي يجب على كل منها أن تتبعها إزاء ثورات الأفكار الحرة التي تطالب بالحرية والاستقلال ولا تزال نيران المعارك التحررية متأججة في أنحاء الشرق للقضاء على الاستعمار الغربى

بدأ الاستعمار البريطاني في القرن السابع عشر يبسط نفوذه على الملايو. فقد مهدت (شركة الهند الشرقية) البريطانية السبل أمام الحكومة البريطانية لاستعمار الملايو. والاستعمار البريطاني الملايو بدأ أولا عن طريق الفتح الاقتصادى حيث تغلغلت شركة الهند الشرقية البريطانية في حياة الشعب الملايوى الاقتصادية. وغدت المرافق العامة في قبضتها، واستغلت جهود الشعب الملايوى في الإنتاج، كما استغلت سوء الحكم الإقطاعى الذي تميز به ذلك العصر في ضم الحكام البريطانيين إليها. حتى تركزت قدمها وانتشر نفوذها. وغدت الحياة الملايوية الاقتصادية تحت إشرافها. فرجال الاستعمار البريطانيون رجال ذوو خبرة وكفاءة ممتازة في أعمالهم، وذوو معرفة بعلم النفس استعملوا كل وسائل الإغراء والنفاق في جذب النفوس واستمالتها، والوسائل الاستعمارية البريطانية قد وضحت لدى الشعوب الشرقية، ورغم معرفتها لها، فإن التدخل البريطاني في شؤون الشرق

لا يزال مستمراً ، وإذا حققنا الأسباب التي جعلت بريطانيا تتدخل في شؤون الشرق منذ ثلاثة قرون إلى اليوم ، برزت لنا من خلال هذه القرون الطويلة مآس دامية طوحت بالمثل الإنسانية العليا وبالكرامة والشرف ، وصفاء القلب ، ونقاء النفس ، ونزاهة العمل ، مفقودة عن بعض الزعماء الشرقيين الذين نصبوا أنفسهم زعماء على شعوبهم ، فأصيبت بلادهم وشعوبهم بالخسران المبين جزاء لما اقترفوه من إثم . ثم كانت الطامة الكبرى ، والبلية العظمى ، بلية الاستعمار والاستعباد . ولم يدر بخلد الزعماء الشرقيين أن يدرسوا حياة القادة الأوائل الذين أقاموا صروح المدنية الشرقية التي غايتها سعادة الإنسانية وخدمة البشرية ، فاحتفظوا بحرية أوطانهم قروناً عديدة ، حتى انهارت ممالكهم بخروج خلفهم عن السياسة المرسومة التي وضعت لحفظ تراث المدنية الشرقية ، أو يدرسوا حياة القادة الغربيين الذين فرضوا نفوذ حكوماتهم على الشرق ، وكيف كانت نفوسهم تسمو على الصغائر . . لكي تصفو قلوبهم ، وتنقى نفوسهم من أدران الحكم . فيسموا متحدين لخلق قوة شعبية تناصرهم في منع التدخل الأجنبي في شؤون أوطانهم . وهذه الأمور المنوية هي السبب الذي أوقع البلاد الشرقية تحت الاستعمار الغربي .

وأوقع الملايو ضمنها . وملايا — كما عرفناها — قطر صغير مقسم إلى عدة أقسام يشرف على كل منها حاكم يلقب بالسلطان كان يحكم بلاده حكماً إقطاعياً . وقد زال هذا الحكم بانتشار الوعي القومي بين الشعب الملايوي ، وبانتشار النفوذ البريطاني في مصالح الدولة

أوجد الاستعمار البريطاني في الملايو إصلاحاً عمرانياً . فقد جيش الوطنيين في إصلاح الطرق وإنشاء الكباري . واستغل جهودهم في التعمير والبناء . فخطوط السكك الحديدية تقطع ملايا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ، وغدت بعض بلدانها مراكز هامة للتجارة الدولية . وقد اشتهرت (سنغافورة) خلال القرن الرابع عشر بمركزها التجاري للشعوب القاطنة على سواحل المحيط الهادي والهندي . واستمرت شهرتها التجارية حتى الآن ، كما اشتهرت بمركزها الاستراتيجي . وفي سنغافورة جاليات أجنبية كثيرة من شعوب مختلفة . هاجرت إليها ابتغاء المعيشة . وفتحت بريطانيا أبوابها أمام شعوب العالم لتغدو مدينة تجارية حرة في الشرق الأقصى . ثم اشتهرت بعد سنغافورة (ملقا) في القرن السادس عشر ، وأصبحت مركزاً تجارياً دولياً . وخشيت بريطانيا أن تنافس ملقا جزيرة سنغافورة من ناحيتها التجارية فأغلقت أبوابها أمام التجارة الدولية . وأمست ذات مركز تجاري ثانوي . . ولا نغمط الاستعمار فضله في إنشاء ملايا وتعميرها ؛ فقد كانت قبل الاستعمار الأوربي قطعة أرض لم تمسها يد الإصلاح . ولما دخلت في عهد الاستعمار الغربي أحالها إلى قطعة جميلة توفرت فيها وسائل الترفيه والكمال . وغدت مدنها الكبرى في مستوى البلدان الراقية في الشرق . ولم يعمل الحكم البريطاني على نشر الثقافة والتعليم بين الشعب الملايوي . ويعلم القارئ الكريم أن من مبادئ السياسة الاستعمارية الغربية في الشرق عدم نشر التعليم بين المستعمرين ؛ لأن العلم والاستعمار لا يتفقان . وأما التعليم الذي نشره الاستعمار البريطاني في ملايا فهو تعليم بسيط لفئة قليلة من الوطنيين لخدمة الحكم البريطاني في مصالح الدولة . وسنتكلم في نهاية البحث عن الثقافة في الملايو منذ بدأ الحكم البريطاني فيها . ومن جهود الوطنيين في نشر التربية الوطنية والثقافة بين مواطنيهم

تنقسم ملايا طبيعياً إلى إحدى عشرة ولاية ومقاطعة ، وهي :

١ — سنغافورة ٢ — ملقا ٣ — بيراك ٤ — سيلانجور ٥ — نجرى سمبيلان ٦ — قاهانج ٧ — كده ٨ — بيرليس ٩ — كلانتان ١٠ — ترنجانو ١١ — جوهور

وقد قسمتها الحكومة البريطانية إلى ثلاث وحدات سياسية ، كل وحدة منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولكل منها حكومة محلية يشرف عليها مستشار بريطاني يتصل بالمندوب السامي البريطاني . وهذا يتصل بوزارة المستعمرات البريطانية ، وهذه الوحدات هي :

١ — مستعمرات البوغاز (Straits Settlements) وتتكون من ثلاث مقاطعات هي : (١) سنغافوره (٢) فينانج (٣) ملقا وهذه المستعمرات ليس عليها سلطان وطني . لذلك اعتبرتها بريطانيا فيما بعد من ممتلكاتها فيما وراء البحار

وهذه المستعمرات متقاربة فيما بينها ، والحركات التجارية فيها عظيمة ، ويمكن اعتبارها من البلدان التجارية الهامة في جنوب شرق آسيا ، وقد جعلها الاستعمار البريطاني مراكز دولية في الشرق الأقصى ، ففيها جاليات أجنبية كبيرة ، وفيها مؤسساتها الثقافية والاقتصادية ، والحياة فيها تقوم على شؤون التجارة الدولية

٢ — ولايات ملايا المتحدة (Federalde Malay States) وتتشكل من أربع ولايات كبيرة هي : (١) بيراك (٢) سلانجور (٣) نجرى سبيلان (٤) فاهانج ، والرئيس الوطني لكل ولاية هو السلطان ، وفي عام ١٩٠٩ — أنشأت الحكومة البريطانية لهذه الولايات مجلساً اتحادياً (Federal Council) للإشراف على شؤون الولايات العليا ، ويرأسه المندوب السامي البريطاني ، وقد اختير أعضاؤه من سلاطين الولايات الأربعة المتحدة ، ومن كبار الأعيان فيها ، ومن البريطانيين والصينيين الذين ليسوا في خدمة الحكومة المحلية ، وقد أظهر سير الحياة في الملايو أن هذا المجلس ما هو إلا صورة خيالية أرادت به بريطانيا أن تظهر الملايويين مسايرتها للتطور الذي يحدث في ملايا

٣ — ولايات ملايا اللامتحدة (Unfederated Malay States) وتتكون من أربع ولايات هي . (١) كده (٢) برليس (٣) كلانتان (٤) ترنجانو ، ولكل ولاية من هذه الولايات سلطان وطني عليها . ويذكر التاريخ الحديث أن ولايات (كده وكلانتان وترنجانو) كانت خاضعة لمملكة سيام البوذية ، وفي عام ١٩٠٩ عقدت بريطانيا وسيام اتفاقية بمقتضاها انضمت هذه الولايات الثلاث تحت علم الاتحاد البريطاني (Union Jack) وأمست خاضعة للحكم البريطاني ، وسميت بولايات ملايا اللامتحدة ، ثم في عام ١٩١٤ — انضمت ولاية (جوهور) إلى الولايات الملايوية اللا متحدة ، وقبلت مستشاراً بريطانياً لها ، وهذه الولاية في مقدمة الولايات الملايوية تقدماً وعمراناً

لنلق نظرة خاطفة على التقسيمات الإدارية التي أجرتها بريطانيا في ملايا لنستشف من ورائها ما تخبئه السياسة الاستعمارية البريطانية من غايتها تقسيم ملايا إلى ثلاث وحدات سياسية ، لكل منها أسلوبها الخاص في سياسة الحكم

إن سياسة فرق تسد لا تزال الحكومة البريطانية تتبعها في مستعمراتها ، فهذه التقسيمات الحكومية لملايا حاجز منيع أرادت به بريطانيا أن تضع ستاراً بين كل ولاية وأخرى يضعف العلاقات القومية بين كل منها . فتصبح الولاية غريبة عن الثانية . ليس هناك عامل قومي يربط بين سكانها ، وأوجدت السياسة الاستعمارية البريطانية بجانب هذه التقسيمات الإدارية حصاراً شديداً على الملايويين منعهم عن مباشرة حقوقهم الشرعية في إنشاء المؤسسات السياسية والثقافية التي تهيئ الشعب لحياة الحرية والاستقلال، فمنذ بدأ الحكم البريطاني للملايو إلى أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها كان الاشتغال بالسياسة محرماً على الشعب الملايوي . ولما بدأ الاحتلال الياباني الملايو في فبراير عام ١٩٤٢ نفخ اليابانيون في أبواق الدعاية اليابانية (آسيا العظمى) و (الرخاء الآسيوي) فدب النشاط الفكري في المجتمعات الملايوية : وأقبل اليابانيون على تدريب الشبان الملايويين على الأعمال العسكرية : فشعر الملايويون بحياة جديدة أساسها التقشف والخضوع

لقد نهجت الحكومة البريطانية هذه السياسة في إدارة شؤون الملايو . وهي سياسة استعمارية بحتة تتنافى مع الحياة في عصر النور

كنا في ديسمبر عام ١٩٤١ والقوات اليابانية تكتسح القوات الاستعمارية في الشرق الأقصى وتطردها عن هذه البقعة التي يسيطر عليها الاستعمار الأوربي منذ ثلاثة قرون . فالقوات اليابانية الصفراء تنتقل من نصر إلى نصر في معاركها ضد القوات المتحالفة في الباسفيك وفي جنوب شرق آسيا . وفي ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ قذفت القوات اليابانية السائرة نحو جنوب آسيا أول قنبلة على (سنغافورة) ثم تابعت سيرها على الملايو لإقصاء القوات البريطانية عنها . وفي ١٥ فبراير عام ١٩٤٢: وهو يوم تاريخي في حياة الاستعمار البريطاني في الشرق الأقصى عقدت وثيقة تسليم سنغافورة إلى القوات اليابانية حيث اجتمع الجنرال (Percival) مع الجنرال (Yamashita) الأول ممثل من

الحكومة البريطانية . والثانى عن الحكومة اليابانية فى (Ford Factory) ووقعا على وثيقة تسليم ملايا إلى القوات اليابانية وغدت ملايا محتلة يابانية .

لقد دخلت ملايا فى عهد جديد من حياتها العامة . فالسلطات اليابانية المحتلة فرضت نظامها العسكرى على الشعب الملايوى . ذلك النظام الذى أحال الحياة فى الملايو إلى جحيم

ضمت الحكومة اليابانية الملايو إلى جزيرة سومطرة . وكونت منهما دائرة واحدة لها حكومة خاصة تحت إشراف قائد عسكرى . ولما صفيت الملايو من القوات البريطانية ، وانتشى اليابانيون بخمرة النصر ، وأصبحوا سادة الشرق الأقصى قدموا بعض الولايات الملايوية هدية إلى مملكة سيام البوذية جزاء للأعمال الجليلة التى قامت بها سيام نحو القوات اليابانية خلال زحفها إلى الملايو . فعندما كانت المعارك الطاحنة تدور بين القوات اليابانية والقوات البريطانية خلال الحرب الأخيرة فى الشرق الأقصى لم تجد القوات اليابانية منفذاً لها لاكتساح الملايو . فأفسحت سيام المجال أمامها بالدخول من أراضيها والتغلغل فى الأراضى الملايوية . وجزاء لهذه الخدمة الحربية التى قدمتها سيام لليابان سلمت الحكومة اليابانية ولايات (كده . برليس . كلانتان . ترنجانو) الملايوية إلى حكومة سيام لتستعمرها وتستعبد أهلها ...

دار الزمن دورته ، ودارت عجلات الحياة فى الملايو تحت احتلالها . فقد قامت بأعمال تتضاءل أمامها أعمال الشياطين ... وفى ١٠ أغسطس عام ١٩٤٥ ترنح ذلك القزم الشرقى الجبار تحت تأثير قنبلتين ذريتين ألقيتا عليه واستسلم للقوات المتحالفة . وهنا تتحرك السياسة الاستعمارية البريطانية لوضع نظام الحكم الجديد الملايو . ففى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٥ بسطت السلطة العسكرية البريطانية نفوذها على الملايو . وعاد الشعب الملايوى تحت الاستعمار البريطانى مرة ثانية ...

وهنا نتساءل لماذا خضع الشعب الملايوى للاستعمار البريطانى مرة ثانية ؟

هناك عدة أسباب هامة أجبرت الشعب الملايوى على قبول الأمر الواقع . بوقوع بلاده مرة ثانية تحت النفوذ البريطانى . ونتلخص هذه الأسباب فيما يلى :

١ — أن الجيش البريطانى قد بدأ بغزو الملايو قبل التسليم اليابانى ، وأنه تمكن من احتلال بعض مناطقها وفرض سلطته عليها

٢ — أن الشعب الملايوى فقير فى الرجال والقادة الذين يثبتون أمام الكوارث والخطوب . يقودون أممهم لخوض غمار معارك التحرير ، ويقفون أمام المستعمرين بنضالهم وبكفاحهم فى ميدان السياسة والاقتصاد .

٣ — أن الجيش اليابانى لم يترك سلاحه فى الملايو كتركه فى بعض البلاد التى احتلها . فأصبح الشعب الملايوى أعزل من السلاح

٤ — أن فى الملايو أكثر من مليون صينى . وهؤلاء يكونون جبهة متحدة للمطالبة بسيادتهم على الملايو . وهم رجال تجارة وأعمال .

٥ — أن الشعب الملايوى تنقصه الدعاية الخارجية لعرض قضيته أمام العالم الحر ، وجذب عطف الشعوب المحبة للحرية إلى جانبه .

٦ — أن القيادة الداخلية للحركات التحريرية لم توسع نطاق أعمالها فى جميع أنحاء الملايو لكى ينصف الشعب الملايوى فى وطنه الذى لاقى الأمرين من الاستعمار الغربى ، وأن الدعاية الوطنية لم تنتشر الانتشار المطلوب بين الملايويين ليشعروا بواجباتهم الوطنية نحو وطنهم

فهذه الأسباب التى أمكننا استنتاجها من الحياة الملايوية هى بعض من أسباب كثيرة جعلت الشعب الملايوى يخضع للأمر الواقع

رسم الساسة البريطانيون القابعون فى مكاتب وزارة المستعمرات البريطانية بلندن السياسة الجديدة التى ستتبعها الحكومة البريطانية فى الملايو بعد أن تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها . فأصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الأبيض)

وفيه المنهاج الجديد لنظام الحكم فى الملايو . وفى أكتوبر عام ١٩٤٥ وصل السير هارولد مكميل من رجال وزارة المستعمرات البريطانية إلى الملايو . وقدم مذكرة إلى سلاطين ملايا ليوقعوها . وتنص هذه المذكرة بإقرار الموقعين عليها تسليم سلطانهم إلى ملك إنكلترا . . ثم فى أول إبريل عام ١٩٤٦ ظهرت على مسرح الحياة فى الملايو الحكومة الجديدة التى أوضحت فى الكتاب الأبيض . وهى حكومة (ملايا المتحدة) (Malayan Union) شملت جميع الولايات والمقاطعات الملايوية وهى حكومة مركزية تولى رئاستها حاكم بريطاني هو السير ادوارد جنت . ويستمد سلطته من حكومة لندن . وبظهور هذه الحكومة توحدت أجزاء ملايا . وأصبح لملايا حكومة واحدة لا ثلاث حكومات كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، وخسر سلاطين ملايا مركزهم العالى وهو سلطانهم .

أنشأت حكومة ملايا المتحدة مجلساً تنفيذيا وآخر تشريعيا يعاونان الحاكم البريطانى فى إدارة شؤون الدولة . وانتخب أعضاؤها من البريطانيين ذوى المراكز العالية فى الحكومة الجديدة ومن ممثلى طبقات الشعب . وأنشأت أيضا مجلسا تنفيذيا لمقاطعة سنغافورة وآخر تشريعيا . وانتخب أعضاؤها من اثنين وعشرين عضوا نصفهم ينتخبه الحاكم من أعضاء الحكومة البارزين ، والنصف الآخر من ممثلى الأحزاب السياسية ويشترط فيهم أن يكونوا من رعايا بريطانيا ومولودين فى المستعمرات الجديدة . وقد قامت حركات وطنية ضد الحاكم الجديد ، وقامت الأحزاب السياسية بتنوير أذهان الشعب حول الحكم الجديد ومايخبئه لمستقبله . واتحدت كلمة الشعب الملايوى على رفض النظام الجديد الذى سلب كل حق كان يتمتع به سلاطينه .

مضى النظام الجديد فى عمله مايقرب من عام واحد وهو يترنح تحت ضغط الشعور القومى الملايوى الذى ناصبه العداء منذ مولده . وقد كان هذا النظام تجربة استعمارية لمعرفة مدى قبول الشعب الملايوى الاستعمار البريطانى فى وضعه الجديد وقد باءت بالفشل . فالشعب الملايوى التف حول زعمائه لدفع الحكم الجديد الذى أظهر مناوأته للحياة الملايوية الجديدة الرامية إلى مقاومة الاستعمار وإزالته من ملايا . وفى أول فبراير عام ١٩٤٧ شيع الحكم الجديد إلى مقبرته . وظهر بعده حكم آخر أساسه الاتحاد . فقد استبدل الاستعمار البريطانى حكومة ملايا المتحدة بحكومة أخرى هى حكومة الاتحاد الملايوى (Federation of Malay) وضمت كافة الولايات الملايوية عدا مقاطعة سنغافورة . فإنها بقيت خارج الاتحاد . حيث أعتبرت تحت التاج البريطانى .

فما هو الجديد فى الحكومة الجديدة ؟

لقد أعاد الحكم الجديد إلى سلاطين ملايا نفوذهم بعد ماسلبته الحكومة السابقة . وصاروا يتمتعون بسلطانهم كما كانوا قبل الحرب العالمية الأخيرة . وأفسح الحكم الجديد المجال لممثل الشعب الملايوى بإيجاد مقاعد لهم فى مجلس التنفيذ والتشريع الجديدين . وتولى بعض الوطنيين مناصب الوزارة . وإذا دققنا النظر فى الحكومة الجديدة يظهر لنا أنها حكومة استعمارية ، فقد ترأسها حاكم بريطانى برتبة مندوب سام واشترك الأجانب فى التمثيل . فمجلسا التنفيذ والتشريع مكون من خمسة وسبعين عضوا منهم أربعة وعشرون عضوا من موظفى الحكومة ذوى المناصب العالية ، وتسعة وزراء ممثلون عن مجالس الولايات التى شكلت الحكومة الاتحادية وعضوان عن مقاطعة فينانج وملقا ، وخمسون عضوا ، ، منهم اثنان وعشرون من الوطنيين ، وأربعة عشر من الصينيين وخمسة من الهنود وسبعة من الأوربيين ، وعضو واحد عن السيلانيين ، وعضو واحد أيضا عن الولدين

هذه هى تشكيلات الحكومة الجديدة ، وقد قبلها الشعب الملايوى مكرها . وخلال هذه التطورات السياسية فى أنظمة الحكم نشطت الحركات القومية التحريرية فى جميع أنحاء ملايا لمقاومة الاستعمار البريطانى فى ثوبه الجديد

أنشأ الأحرار الوطنيون الأحزاب السياسية للسعى لاستقلال الملايو ، وهى أول خطوة سياسية فعالة فى سبيل الاستقلال ، والأحزاب السياسية كالماء والهواء للشعوب المستعبدة لا تستطيع الاستغناء عنها فهى التى تكافح الاستعمار وتنشر الروح الوطنية وتلهب المشاعر والإحساسات القومية ، وتجعلها شعلة نار متوقدة ، وأهم الأحزاب السياسية الملايوية هى :

١ — حزب الاستقلال الملايوى ، ٢ — الهيئة الشعبية الملايوية المتحدة ، ٣ — حزب العمال، ولكل من هذه الأحزاب برامجها الخاصة فى الكفاح والنضال لتحرير ملايا من الاستعمار ، وأقوى الأحزاب وأعظمها نفوذا هى (الهيئة الشعبية) فهى التى تقف أمام الحكومة الاستعمارية لتدافع عن حقوق الشعب المهضومة ، وتطالب الحكومة البريطانية باستقلال ملايو ، وتنتشر فروعها فى جميع أنحاء ملايا ، ولها منظمات كثيرة للشبان فهم سواعدها فى الكفاح والجهاد ، ويؤيد الطلبة الملايويون المنتشرون فى الشرق الأوسط والأدنى الهيئة الشعبية فى مطالبها الوطنيه وجهادها المقدس . وهؤلاء هم طلائع الدعاية الوطنية الملايويه فى أنحاء الشرق . وقد بعثوا بمذكرات إلى الحكومة البريطانية يؤيدون فيها مطالب وطنهم ، ويطالبون الحكومة البريطانية بتسليم السلطة فى ملايا إلى الوطنيين . وتدل الحياة اليوم فى الملايو على نشاط الأحزاب السياسيه الملايوية فى حركاتهـا التحررية ، وهو نشاط ينبئ بالنجاح فى تحقيق الحرية والاستقلال لملايا. إن أمام الملايويين الاحرار مشاكل ومصاعب شتى تعترض سبلهم لتحقيق استقلال ملايا فى زمن قصير ، وتتطلب هذه المشاكل رؤوسا مفكرة عاملة لحلها ، وقد أبرزت الحياة الملايوية الحديثة زعماء ومفكرين يعملون فى الحقل الوطنى ، وأنتجت أعمالهم شعور الطبقة المتعلمة من الشعب الملايوى بالواجبات الملقاة على عواتقها نحو وطنها . وتكونت منها دعامة قوية من دعائم الاستقلال ، تقوم عليها ملايا فى بناء حياتها الحديثة . والبناء هو أول ماتطلبه ملايا — اليوم — فى حياتها الجديدة ، وهو شامل لكل مناحى الحياة لشعب اعترض سبيله الاستعمار قرونا لكى ينهض ويسير فى ركاب الحياة ، ونشر التعليم بكل وسائله المعروفة يؤدى إلى فتح آفاق واسعة من المعرفة بين جمهور الشعب، وقد كان الاستعمار خلال عهده الطويل فى الملايو مبعدا الشعب الملايوى عن مناهل العلم ، فخلال الحكم البريطانى الطويل استمر ثلاثة قرون حتى أوائل الحرب العالمية الثانية لم تخرج المدارس الحكومية فى الملايو مهندسا أو محاميا أو طبيبا . فما معنى ذلك ؟

لست أجيب القارئ عن هذا السؤال فهو أعلم بأسبابه منى لقد قامت الهيئات التبشيرية والأوربية والأمريكية فى الملايو بفتح المدارس والمعاهد ، كما قامت الهيئات والمنظمات الصينية أيضا بفتح المدارس لأبنائهـا . وأنشأ الملايويون فى الأيام الأخيرة مدارس لتثقيف أبنائهم بالثقافة الوطنية التى ترتكز على حب الوطن وحب العلم والمعرفة . وفى الملايو اليوم مدارس ثانوية وعالية تابعة للحكومة المستعمرة وللجاليات الأجنبية وللوطنيين وأشهرها كلية السلطان إدريس للمعلمين، وكلية البنات الملايوية، ومدرسة الهندسة بكوالا لمفور : ومدرسة الزراعة بسلانجور ، وكلية رافلس للمعلمين والإداريين. وكلية الطب ، وهاتان الكليتان هما نواة للجامعة الملايوية . هذه هى المدارس الثانوية والعالية فى قطر يزيد عدد سكانه على خمسة ملايين نسمة ، نصفهم من الوطنيين ، والنصف الآخر من الأجانب . وفى البلدان الشرقية طلاب ملايويون منتسبون لمعاهدها العالية وجامعاتها ، وهم النواة الأولى للطلبة الملايويين الذين سيحملون مشاعل الحرية إلى وطنهم ليقيموا له حياته الجديدة على أساس العلم والمعرفة

محمد جنبرى

اتجاه الأدب الحديث

إلى الطبيعة

للأستاذ أنيس المقدسي

الطبيعة

إذا كان الأدب القروي يعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فإن أدب الطبيعة يعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الإنسان. وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفته جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها

والوصف الطبيعي القديم وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك. وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات؛ فإذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلا أو كالحمار الوحشي صور لك أعضاءه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع، فهو عموماً عرض واقعي لا يعمد إلى الزخرف اللفظي والتأنق الصناعي الذي نراه هائما في عصور الحضارة. يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلغة قد نراها اليوم غريبة ولكنها جارية مع سجيته منبعثة عن طبيعة بيئته

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والأندلس فتطور معها الشعر الوصفي، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومتنزهات وفواكه ورياحين ومجاري مياه وما إلى ذلك من ظواهر الحياة المدنية. ولا بد لنا هنا من التنبيه إلى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد. ففي الأول كما ذكرنا آنفا يغلب الصدق والبساطة في التصوير. وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتحرى إلباس الموصوف برداً قشيبا من الخيال. ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الأحيان وسيلة لإظهار براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد

على أننا إذا أنعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما استجد في أدبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجده بين الشعر القديم أو الجاهلي والشعر المولد في العهد العباسي والأندلسي. فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصا وإنما كان الشعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل أو المديح أو الفخر، وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الأفق الحسي الشاهد إلى ما هو أبعد وأعمق. وبكلمة أخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي إليه المعاني الخالدة والأفكار السامية، ولم يتغير الموقف في الشعر المولد تغيراً يصح أن يسمى اتجاها عاما، فظلت الطبيعة عند المولدين وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لإيحاءات روحية. أما الأدب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاها عاما إلى ما للطبيعة من وجود معنوي يلذ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر أن يسمو إليه

ولهذا النظر الحديث إلى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي:

قد يقال إن الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كانحناء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر أوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي أمها وتجاوب الأجراس في الوادي ولون العشب الذاوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة، وإنه يرتاح إلى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المنمقة. فهو يؤثر الغاب على البستان، وشواهق الصخور على أسوار الحصون، وبحيرات الجبال على برك القصور. ورمال الشواطئ والصحاري على الساحات المعبدة في المدن أو النوادي، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع. بل إنه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السيول وانقضاض الشلالات ووصف الرعود وتجهم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللجج وما أشبه. وفي هذا القول شيء كثير من الصحة، على أن ذلك عند التحقيق ليس

الفارق الرئيسي الذي يميز أدب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة، وإنما عبرت بما تقدمت الإشارة إليه من أن الأدب الحديث ينظر إلى الطبيعة نظراً معنويا يتجاوز أفق المشاهدات

ومما لا شك فيه أن التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو أقوى وأعم في أدبنا الحديث منه في أي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور أو النظر المعنوي نزعات نجملها في النزعتين التاليتين :

النزعة الحيوية :

وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الأفكار والعواطف

وليس من الصواب القول أن الأدب القديم خلو من مثل هذا النظر أو الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبثوا لها أشواقهم وسألوها عن أحبابهم، وإنما فعلوا ذلك في الأغلب عهيداً لبعض أغراضهم وجريا على انواع السنة الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من أنطق الطبيعة ونسب إليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة يصف جبلا فيقول فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب

على أننا نعيد القول أن ما نجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ أن يكون اتجاها عاما أو بابا مستقلا يلجه الأدباء ليتصلوا بالطبيعة فيسجدوا في هيكلها ويحملوا إلينا منه ما توحيه من جمالها وأسرارها ، أو على الأقل لم يبلغوا في هذا السبيل شأن زملائهم في القرن العشرين

إن الطبيعة في الأدب الحديث « حيوية » عاقلة تحس بضربات فؤادها ويسمع رخم إنشادها ويلذ له التحدث إلى أنهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . ويمثل لك ذلك جبران جبران إذ يقف أمام « الأرض » مقابلا محاسنها بقبائح الإنسان فيقول « ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك . ما أتم امتثالك للنور وأنبل خضوعك للشمس . ما أظرفك متشحة بالظل وما أملح وجهك مقنعا بالدجى . ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ! نحن نضج وأنت تضحكين . نحن نذنب وأنت تكفرين . نحن نجدف وأنت تباركين . نحن نتجس وأنت تقدسين . نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلا منا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وأنت تملأين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق ! »

والشاكر الله الجر قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي أيضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن أدوارها :

صلت عائك عيني وعدت فأبصرت ما الناس لا تبصر
فبالله قل لي إلام تظل كذلك تجتاحك الأعصر
وأنت تكر كرور الزمان فلا تستقر ولا تفتر
وهذا الوجود كما كان قبل شعوب تجيء وأخرى تروح
ودنيا تضج بسكانها فهذا يغني وهذا ينوح
وذلك مستسلم للقدر

وكثيرة هي وقفات الأدب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال وأودية وأنهار وبحار ونجوم ورياح وبحار حتى ليتعذر حصرها

وكما شغف الأدب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحياها وجعلها ذات شعور وإدراك ، ونظر مستوحياً منها الأفكار والخواطر والعبر ، شغف أيضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضعاً لتخيلاته وتأملاته ، ووسيلة للتحدث عما يتجلى له في حياته

ففي عالم النبات مثلا يقص علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح أن تكون وردة

وممن استخلص من البنفسجة موضوعاً إنسانيا خليل شيبوب إذ وصف جمالها وتواضعها فقال

قد التحفت أوراقها وتطامنت على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الأجفان يقضي حياؤها عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة للمومة في ثوبها المتواضع

وفي غابة من غابات البرازيل يمر الشاعر القروي مرة فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الأرض يد الإنسان فيحدثنا حديث

تلك « الدوحة الساقطة » وشكواها من جور الإنسان . وفي هذا الحديث تذكرنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى أصبحت كثيرة الأغصان وارفة الظلال تأوي إليها الطيور ويقصد ظلالها طلاب الراحة . ثم تصف عالم النبات وأنه هو موطن المساواة والخير، لا عالم الإنسان الموبوء بالطمع والفساد، القائم على التعدي والتدمير . وبعد أن تنعى نفسها إلى أشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً إلى وصف الدوحات البشرية (أي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء .

ومن الشعر التأملي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة » لرشيد أيوب .. يرى الشاعر ورقة من أوراق الخريف فتثير فيه — وقد دنت شمسه المغيب — خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

أينت الربيع استريحي غداً ... فـكل الهناء لمن لا يعي
قضيت الربيع وكل الحيا ... ة زمان الربيع فلا تجزعي
فماذا أقول أنا في الشتاء ... وصوت العواصف في مسمعي
أبيت الليالي أرعى النجوم ... وإن نمت نامت همومي معي

* * *

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى من الطبيعة الحيوانية عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . وإليك منه بعض الأمثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن إسماعيل إلى الغراب وهو واقف على غصن شجرة من أشجار النخيل ، فيتصوره «راهباً» كبير السن واسع الاختبار وعوضاً عن أن يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطف في الاقتراب إليه ثم يلقي عليه أسئلة عما لم يستطع فهمه من أسرار الحياة راجياً منه أن يجلو له أسرارها ويكشف أستارها . وهـذه الأسئلة ليست في الحقيقة إلا ما يساور نفس السائل لدى تأمله في حياة الناس وأحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها والتعبير عن رأيه فيها

وفي الخريف يرى إيليا أبو ماضي فراشة وقد دنا أجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته « الفراشة المحتضرة » ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة :

فالزهر في الحقل أشلاء مبعثرة ... والطير — لا طار إلا جناحاك
يا روضة في سماء الأرض طائرة ... وطائراً كالأقاحي ذا شذاً زاك
مضى مع الصيف عهد كنت لاهية ... على بساط من الأحلام ضحاك
عبين عند مجاري الماء نائمة ... والأزاهر والأعشاب مفداك
بالنغمة تتلاشى كلما بعدت ... إن غبت عن مسمعي ما غاب مغناك

ويسمع أحمد رامي طائراً يغرد تغريداً شجياً وهو ينتقل من غصن إلى غصن فيغبطه لأنه بعيد عن الناس ويقول له :

واصدح فصوتك في الفؤاد صدى ... للغابر المدفون من زمني
لك أنة في الليـــل خافتة ... تسري إلى قلبي بلا أذن
هبني جناحك كي أطير به ... وأحط فوق شواهق القنن
وأطل فوق الكون مبتهجاً ... بجماله المتناثر الحسن

ومن هـذا القبيل موشح للشاعر العراقي محمود الحبوبي استوحاه من تغريد طائر على شجرة فحداه ذلك إلى وصف الحياة والناس ، متمنياً لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرحة الوديعة لعلهم يرجعون إلى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم

ولو أردنا أن نعدد الأمثلة على شعر الطبيعة الحية من أثر في أدبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام

النزعة التاريخية :

ولم يكتف أدباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبثها ما يشعرون به ، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها إلى التاريخ حيث يتجلى لهم جلال القدم وحوادث الزمان . والذي يلاحظ أن هذه النزعة تـكاد تكون مفقودة في أدبنا الماضي . ومن أمثلتها قصيدة أحمد شوقي « أيها النيل » ومطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل مسهباً ذاكراً ما قام على ضفافه من ممالك وأديان، ومن مشى عليها من أنبياء وفاتحين، وأنه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور

ومن الأنهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والأردن والعاصي وبردى واليرموك ونهر الـكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات طبريا والبحر الميت

طبيعة الحج في الاسلام

للأستاذ محمد فياض

« مهداة إلى الأستاذ الكبير سيد قطب »

الحج في إسلاميته الخالصة، ركن عبادي حين يتصل بالله في مناسكه وشعائره، وأقواله وأفعاله؛ وأساس اجتماعي حين يتجه بالجموعة الإسلامية، في مؤتمره السنوي العام، إلى التنظيم والتعارف، وإلى توحيد القوى الفردية والجماعية، والتوجه بها شطر قبلة واحدة: عن صاحبها صدر الخلق ووجدت الحياة، وإليه تتجه حياتنا كلها، بما فيها من نشاط واتجاه وأهداف

وبهذه الصورة الإسلامية للحج، تتحدد وتتأصر، ضمن ماتتحدد به وتتأصر في الإسلام علاقة الفرد بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالفرد، وعلاقة كليهما بالله الذي منحهما الوجود والحياة. علاقة لايختلف فيها باطن مع مظهر، ولا كيف مع مقدار،

ومن أجل هذه العلاقات، تقوم دعائم الحج في الإسلام، منسقة منسجمة: في استعراض عام، حيث يشهد الله مالك الكون، وفي توجيه عملي حار، يرشد الفرد ويوجه الجماعة، إلى حقيقة العلاقة بينهما، وإلى حقيقتها بعد مع الله، وفي وحدة عامة، تصل السماء بالأرض، والإنسانية بالكون، والعباد بالله:

والحجاز من وجهة النظر إليه، كرقعة تؤدي على ثراها شعائر الحج، ماموقف الإسلام منه؟ إنه ميدان الاستعراض العام، وقاعة المؤتمر السنوي، ومحراب التوجيه الوجداني، ومدرسة التربية الاجتماعية. إنه الأرض التي انبثق منها روح الاسلام الأول وبقيت على أرضه « الكعبة » قبلة للانسانية الراشدة، رمزية محسوسة بين العباد والرب، ومنارة معنوية للاسلام في الأرض. إنه معسكر التدريب الذي يعود منه رائده، وفي قلبه حرارة وانفعال، وأمامه ثلة من المشاعر والأحاسيس، بها علك شحنات من التجاوب: على نهجها يسير، وعلى أضوائها يهتدي، في فيافي الحياة، المضللة المعقدة المختلطة المتشابكة حين يعود؛ إنه كل ذلك وأكثر منه! فما فكرة الاسلام منه[1] ؟ لا: بل ماالقواعد الكلية التي تركها فكرة الإسلام، لتحدد طبيعة الحج، وتتمكن عليها أهدافه؟ بل ما الوسائل التي تقر هذه الطبيعة، وتلك القواعد، وتحفظ لها وجودها وكيانها، حيا، منتجا، محقق الأهداف، يلمسه الناس ويؤمنون بجدواه؟

تبدأ النظرة الإسلامية إلى الحج أول ماتبدأ، بتقرير القاعدة الكلية الأولى، في النقطة الرمزية المحسوسة التي يتوقف عليها اتصال الناس بالله، ووحدة الاتجاه الإنساني، فتقرر هذه القاعدة أن البيت الحرام هو الملك المختار لله في الأرض، والمقصود لتوحيد الاتجاه: لاشبر فيه ولا فتر لمخلوق، ولا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الله وأحكامه، لأنه حلقة الاتصال بين الناس والله. ومن الصالح الإنساني أن يكون كذلك، مادام قد قدر له ذلك الشرف الإلهي الخاص « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود »: نعم،

(١) هنا موضوع آخر: نرجو أن نوفق للكتابة فيه بعد استكمال خيوطه

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الأنهار والبحيرات، بل تتناول أيضاً الجبال والأودية كجبل الشيخ والكرمل وطور سينا ووادي موسى وسواها

وكما يتأثر الأدب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية. وقد نشر الشاعر محمد عبد الغني كلمة في مجلة الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة الغربية » ذكر فيها أن كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية تغنوا بمحاسن الطبيعة هناك ومنهم إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمه وشكر الله الجر وبشر فارس والشاعر القروي ونخري أبو السعود وأشار إلى بعض قصائد له نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٣٥، وإننا نضيف إلى ما ذكر الوقفتين التاليتين: « على نهر التامس » في لندن و « على نهر السين » في باريس

وفي أدب المهاجرين وغير المهاجرين أقوال كثيرة من هذا القبيل

أنيس المقدسي

بهذه الإضافة بين الياء والبيت ؛ تقررت هذه الملكية ، وهذه القاعدة

وحين نتأكد فى عقولنا هذه الأولى ، فإن هناك قاعدة كلية ثانية تقرر أن البيت ، أو المسجد الحرام ، بل الحرم الأرضى الإلهى كله آمن بطبيعة الخلق التى أوجده الله عليها ، آمن بطبيعة التشريع الإلهى للحج ، آمن لا يجب أن يخشى فيه مسلم شيئا ، أو يخاف كائنا سوى الله ، آمن يلجأ إليه أيضا من يضطهد فى دينه من سائر البقاع ، أو من يظلم فى نفسه أو عرضه أو ماله أو أهله ، لو شاء ؛ بل لقد أمن ذلك الحرم المقدس فى أعرق عهود الجاهلية ، وأشدها فتنا ووحشية ، بل لقد أمنت حتى الحيوانات والطيور فى ذلك الحرم الإلهى من اعتداء الناس ، « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ، « ومن دخله كان آمنا » ، « أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم » ، « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، « وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما »

وإذا ماقرت فى الأذهان هاتان القاعدتان ، فنحن فى حل ، لنأخذ بالقاعدة الكلية الثالثة التى تحدد علاقة المسلمين بالمسجد الحرام ، وتكشف عن سر وجوده ، فتنص على أن هذا البيت ، قد جعله الله ليكون بيتا للجميع من المسلمين ، يرجعون إليه رجوع الزائر القاصد لا المالك ، لتستقر فى أذهانهم وفى قلوبهم ، وتسيطر على أرواحهم ونفوسهم اتجاهات الإسلام ، وعلاقاته وأهدافه ، ثم ليعقلوا جيدا ، معنى الوحدة الإسلامية ، ومعنى الاتجاه إلى البيت كقبلة ، وكرمز معنوى محسوس « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة »

وحين تتقرر هذه الأخرى فى عقائدنا ، ضمن ما نحسبه من اتجاهاتنا وأهدافنا ، فإن هناك قاعدة كلية رابعة بها تتقرر المساواة التامة بين سائر الأفراد والجماعات ، أحمرهم وأصفرهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ساميهم وآريهم ، لا فرق ، لا فرق بين فقير وغنى ، وحتى بين عبقرى وعادى ... مادامت تجمعهم كلمة الاسلام . ولكن أية مساواة ؟ إنها المساواة الكلية المطلقة ، لا مساواة الصلاة الجزئية المحدودة ، إنها مساواة الوحدة العامة ، مساواة مندوبى العالم ، لمن شاء أن يكون مندوبا لقومه وجماعته ونفسه ، دون أفضلية أو اختيار ، إنها مساواة التجمع حول بين الله فى التوجه والاستهداء ، واستشفاف النفس ، لمانى العلاقات الفردية والجماعية والإلهية ، من مظاهر الحج وشعائره بما فيها من مظاهر وجموع ، كل نفس بما تقدر ، وعلى حد ماتستطيع بذله من أفهام ونظرات . إنها أيضا المساواة التى لا تفضل دولة على دولة ، ولا أسرة على أسرة ، ولا لونا على لون ، ولا فردا على فرد ، بالقرب أو بالبعد « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » « والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد »

وبعد أن يفهم الناس هذه القواعد الأربع عن الحرم ، ومن ملكيته ، وعن حكمة وجوده ؛ وبعد أن تستقر فى الأذهان ، وتطمئن إليها الوجدانات والعواطف .. بعد ذلك كله تلوح فى أفق فكرة الإسلام القاعدة الخامسة التى من أجلها وجدت القواعد الأربعة السالفة ، حتى لا يكون وجودها عبثا ضائع الهدف بدون هذه القواعد الأربع الكلية . تلوح هذه القاعدة كالسقف مستندة على أربعة أركان لتقرر أن الناس جميعا مفروض عليهم واحدا واحدا الحج إلى قبلته التى يتوجه إليها ، حجة محسوسة ملموسة ، متنقلة متحركة ؛ مرة فى عمره — فمن شاء أن يستزيد فهذا موكول لحريته الذاتية — ما دام قد اعتنق شرعة الإسلام . الناس جميعا ، بلا تفريق ولا تمييز ، ولا تفضيل ولا اختيار بين واحد وواحد ، وجماعة وجماعة ، فى اللون أو المكان ، فى القرب أو البعد ، فى الزمان أو المكان ؛ الناس جميعا مفروض عليهم الحج ، واحدا واحدا ، ما دام مسلما ، وما دام قادرا على إحداثها فى عالم الواقع ، قادرا على تحمل نفقات الحج وتبعاته . « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » وإلا ، ف « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »

ومن هذه القواعد الكلية تتبين طبيعة الحج فى الإسلام ، وتتركز تلك الطبيعة هناك ، فى الحرم الإلهى المقدس ، حيث لا تكاليف على الحاج ، ولا شواغل سوى عبادة الله . بالإيمان والصلوات ، والقربات والحج ؛ وسوى الاستغراق فى الاتصال بينه وبين الله ؛ وسوى التسامى بالروح والأشواق ، والانفعالات والوجدانات ، المتطلعة إلى السماء ؛ وسوى التطهر جهد الطاقة من النزعات الجسدية والمادية اللاصقة بالأرض ... هناك فى ذلك

الفردوس الروحى فى عالم من التحرر الوجدانى ؛ تتركز طبيعة الحج فى الإسلام ، فى . وحدة الاتجاه الفردى والجماعى .. إلى الله صاحب القبلة والبيت ، والمسجد والحرم ؛ وفى وحدة المساواة الكلية المطلقة ، المتجردة بين سائر أفراد المسلمين . من أى لون ، ومن أى شعب ، وعلى أى درجة من الوعى والاستعداد والعلم

وعلى هاتين الوحدتين تتحدد وتتآصر علاقة الفرد بالجماعة وبالعكس ، وعلاقة (٢) كليهما بالله ، ضمن ما تتحدد به وتتآصر فى قواعد الإسلام ؛ ولكن هذا التحديد وذلك التآصر ؛ يبدو فى طبيعة الحج عمليا ، على أرحب مايقدمه ركن إسلامى ، وعلى أكل ما يشمله من أفراد ؛ بل إنه الركن الوحيد الذى يجمع مسلمى العالم فى مندوبيهم ، فى ساحة واحدة ، ليلقنهم درسا واحدا ، هو المقصود من الحج ، هو الوحدة ، وحدة الاتجاه ، ووحدة المساواة . وبهذا وحده تقوم وحدة العالم الإسلامى ، متسقة الأفراد ، منسجمة الشعوب والجماعات ، محفوظة من الأحداث ، والتقلبات ، والخلوف ، متجهة فى وحدة ، وفى مساواة ، إلى الله صاحب الكون ، وواهب الحياة

ولكن هل تعيش تلك القواعد الكلية وحدها ؟ هل تحفظ طبيعة الحج ، حية منتجة ، محققة الأهداف ، دون وسائل وأسباب ، تحفظ عليها كيانها المقصود ؟ اللهم لا ، إنها وحدها لا تعيش !!

ومرة أخرى ؛ تتقدم الفكرة الإسلامية ، بالوسائل التى تقر فريضة الحج ، ثابتة لا يعتريها تفكك أو تحلحل ؛ تتقدم بما يحافظ على طبيعة الحج ، حية ، منتجة محققة الأهداف ؛ تتقدم بما يقى هذه الفريضة وتلك القواعد وهذه الطبيعة ، شرور الفساد والنقص والاضطراب ؛ تتقدم الفكرة بنفسها ، ثم . بوسائلها ثانية ، لتهدم مظاهر الفساد ومنابع الظلم التى يخشى منها عادة على فريضة الحج وقواعده وطبيعته ؛ وهذه المصادر ، وتلك المنابع ؛ تكمن عادة ، فى الاستبداد من فرد ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد ؛ وتكمن فى الاستغلال الاقتصادى ، المقصور على فرد أو أفراد ، وتكمن فى أخطار التاريخ وتقلبات الزمن ، من دولة قريبة أو بعيدة ، أو من مبدأ مناهض يغاير

(٢) سوف نتحدث فى فترة أخرى عن «طبيعة العلاقات فى الإسلام»

طبيعة الإسلام ، فى كثير أو قليل ؛ وتكمن أخيراً فى التعطيل بواحد من هذه الثلاثة ، أو بعضها ، أو كلها مجتمعة ، لمظاهر من مظاهر الحج ، أو جزء من كيانه ، أو تقليد من تقاليده ، أو سبيل من سبله ، أو تيسير من تيسيراته

... تتقدم الفكرة بنفسها أولا ، ثم بوسائلها ثانية ، على طريقتها المتميزة ، فى أى حقل من حقولها ، فى مخاطبة ، العقل أو العاطفة ، والضمير أو خارجه ، والفرد أو جماعته ، والسلوك أو العمل ، بالتوجيه تارة ، والتشريع أخرى ، وقد تزاوج بينهما ، ومن مصدرين متجاورين : الكتاب والسنة ...

... فتتقدم الفكرة بنفسها ، وتقيم ما يشبه القاعدة ، أو قل قاعدة مساعدة ، أو وسيلة كلية جامعة ؛ لتقاوم بطريقتها المتميزة التعطيل أيا كان مصدره ؛ فتقرر أن المعطل ، كافر ، كافر بنص القرآن « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .. ؛ بل إنها لتعتبره إلى جوار ما بهذه الآية من صراحة ومخاطبة بالتوجيه وبالتشريع — ملحدا ، « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » ، وبنفس ما بسابقتها من صراحة ومخاطبة قد صيغت هى الأخرى ، مع زائدة ثالثة ، هى فى تلك الشاعية المطلقة ، فى تنكير كلمة الظلم فيها ؛ تلك الشاعية التى دفعت بعض المفسرين ليقولوا المعصية فى الحرم سيئة مضاعفة . مع أن الحقيقة أن هناك حد من السنة ، يفسر نوع الظلم فى الحرم بأنه الاستغلال ، كما سيأتى بعد سطور. وإن كنا نرى أن هذا التشريع المفسر لا يمنع مطلقا من شمول الظلم فى الآية لسائر مصادر التعطيل من المسجد الحرام، خاصة وفى الآية هذه الشاعية ، المتكئة فى تحديدها على آية ثالثة « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ؛ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ؛ لهم فى الدنيا خزى » هكذا بلفظة المنع وتعبير فنى ، «سعى فى خرابها »

ثم تتقدم الفكرة الإسلامية بوسائلها ثانية ؛ . لتقيم الحواجز والسدود . . فتتقدم وسيلة أولى ، مساعدة للوسيلة الكلية الجامعة ، وتقوم عليها الوسائل اللاحقة ؛ بها تقرر الفكرة وتفرض على الناس ؛ وجوب تطهير بيت الله « وعهدنا

إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » فى غير موضع من القرآن .. وبدهى أن الأمر بالتطهير ليس مقصورا على المأموزين وحدهما ، ولا موقوفا عليهما دون غيرهما من الناس ؛ وبدهى أيضا أن التطهير فى مثل هذا المقام ، لا يقصد منه سوى إزالة جميع مصادر التعطيل ، فى الحرم كانت ، أو فيما يؤدى إليه « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق »

وتأتى الفكرة بالوسيلة الثانية لتقر الحرم فى أمانه وعلى طبيعته ، بعيدا عن المعطلات .. عن طريق التوجيه تارة ... التوجيه الحار المجرد الذى يتسلل إلى ما وراء منافذ الشعور ، فتقرر أن الحرام حرام ، بحرمة من الله لا من إنسان « إن مكة حرام ، حرمها الله .. ولم يحرمها الناس » ثم من طريق التشريع العملى أخرى ، بأربعة أسباب :

السبب الأول : أن أرض مكة ، وهى قطب الرحى ، ومركز الدائرة فى الحج ، أرض مشاعة الملكية للمسلمين جميعا ، لأنها ملك الله ، مباحة لكل قاصد وكل مقيم ، لا ملك فيها لإنسان بعينه ، فلا بيع ولا إيجار . روى الدار قطنى عن علقمة بن نضلة « توفى رسول الله ، وما تدعى رباع مكة إلا السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن » وفى رواية « ولا تباع » وروى عن ابن عمر « إن الله حرم مكة ، فحرام بيع رباعها وأكل ثمنها » « من أكل من أجر بيوت مكة شيئا ، فإنما يأكل نارا » « مكة مناخ ، لا تباع رباعها ، ولا تؤاجر بيوتها » .. كما أن عمر بن الخطاب نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج ، فإنهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا ، كما أن عمر بن عبد العزيز عهد إلى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا ، فإنه لا يحل لهم ، وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة

السبب الثانى : تحريم الاستغلال ، من الاحتكار ، وما يشبه الاحتكار .. من تجارة السوق السوداء ، والتلاعب بالسوق التجارية ... « احتكار الطعام فى الحرم ؛ إلحاد فيه » يقول القرطبى : والعموم يأتى على هذا كله

السبب الثالث : تركة الجاهلية الضخمة التى أبقى عليها الإسلام وورثها ، فى ذلك التقليد الرائع المشهور ، فى نظام السقاية والرفادة ، والأولى معناها إسقاء الحجيج كلهم ، الماء العذب .. « مجانا » بدون مقابل . أما الثانية ، فإطعام من لم يكن له سعة فى العيش أو لا زاد معه من الحجاج .. مجانا أيضا وبدون إدانة ؛ هذا النظام التيسيرى بجانب مكافحة مصادر التعطيل قد عمل به الرسول ، وعمل به الخلفاء الراشدون .. ثم انقطع أو كاد حين تفشت الخلوف ، ولا ندرى .. متى ؟

ثم ، تتقدم الفكرة بالوسيلة الثالثة ، لتقاوم أخطار التقلبات التاريخية ، من دولة قريبة أو بعيدة . وعظم تيارات المبادئ المناهضة ، المغايرة للإسلام فى قليل أو كثير ، سماوية مضت ، أو أرضية حدثت ، فيوصى الرسول فى لحظاته الأخيرة وصية تقى فريضة الحج ، وشرور هذه الأخطار وتلك التيارات ، بل إنها لتكاد تحدد أيضا مكانة الحجاز جميعه ، من العالم الإسلامى والعوالم المناهضة : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » « أخرجوا يهود أهل الحجاز ، ونصارى نجران ، من جزيرة العرب » « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » ؛ كل هذه الأوامر قد كانت امتدادا لعزم الرسول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلما » ولكن : يبدو أن الرسول لم يجد الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة الحكيمة ، ويبدو أيضا أن أبا بكر كان مشغولا فى حروب الردة ، وتنظيم الجزيرة ، وتثبيت أقدام المسلمين بها ، فلم تتح له فرصة التنفيذ هو الآخر حتى فعلها عمر ثم هبت الخلوف ، ولا ندرى ، متى ؟

وبقيت وسيلة أخيرة ، لتقاوم الاستبداد ، من حاكم ظالم ، أو جماعة ضالة ، أو فرد متمرد .. كمصدر من مصادر التعطيل ، لم أعثر لها بعد على نص خاص . وأعتقد قبل الترجيح أن السبب فى ذلك ، هو تكفل كليات الفكرة الإسلامية مباشرة ، بمقاومة هذا المصدر ، فى نظام الحكم ، وفى تشريع الفئة الباغية ، والمحاربون الله ورسوله والساعون فى الأرض بالفساد

وبهذه الوسائل الكلية والفرعية ، والتوجيهية والتشريعية ، الفذة الواقية : لفريضة الحج وقواعده ؛ تحفظ طبيعته حية ، منتجة ، محققة الأهداف ، ذات كيان يلمسه الناس ، ويؤمنون بجدواه ، ولكن هذه الوسائل ، يتوقف تنفيذها على كل مسلم ، على وجدانه وعقله ، وعلى يقينه وعمله ، وعلى خضوعه للأمر

دراسة وتحليل

الجواهري شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومي

— تتمة —

فنه الشعري :

لا بد لنـا من كلمة عن مذهب الشاعر في فنه ، وطريقته الأدبية في بيانه ، وفيما تقدم في شعره ما يكفي لإيضاح الرأي . ويمكننا أن نلمح ميزات ثلاثا يتسم بهـا شعره ، وتظهر مشتبكة متعانقة في قريضه، فلا تتخلف واحدة عن أختيها بحال ، هذه الميزات الثلاث هي ، صدق الإحساس ، وقوة التعبير ، وواقعية التفكير

فصدق الإحساس يخلع على أدب الشاعر عاطفة قوية حارة ، تشتعل وتتقد في سطوع وبريق ، وتندفع صاحبهـا إلى الإجادة والتأثير ، كما يكون لها سـحر أخاذ في نفوس القراء ، فما يكاد القارئ يتلو إحدى القصائد حتى ينفعل بانفعال ناظمها ، ويسير في تياره حيث اتجه ، وتصل الأبيات إلى القلب فتحرك كوامنه وتهيج أحاسيسه ، وهنا يكون الأثر المنشود للأدب بوجه عام ، والشعر بوجه خاص ، بل إن الصدق ذاته يجعلك تحس في أعماق نفسك بخواطر متشابهة لما تقرأ ، وكأن الشاعر يعبر عن عواطفك أنت . فقد سلط أشعته على قلبك ، ونفـذ إلى أغوارك فرأى الخوالج المستترة ، والكوامن الموغلة ، فجمع أشـتاتها المتنافرة ، واتخذ منها مادة شهية لأدبه ، وقد تكون خواطر الشاعر الصادق بعيدة عن شعورك ونبضك ، ولكنك تجدها محببة أثيرة لديك ، وكأنك كنت تحسها قبل ذاك ! وأمامك أبيات يقولها الجواهري في رثاء بعض أصدقائه الشعراء ، تجد فيها كثيرا مما تحب أن تسمعه سواء أحسست به قبل ذلك أم بعد من إحساسك ، فهو رائع خلاب

أصخت لمن نعـاك على ذهول ... كأني قد أصخت لمن نعاني

وكنت أحس أن هناك رزءا ... وأجهـل كنهه حتى دهاني

لمنت اللفظ ، ما أقسى وأطغى ... وما أعصى على صور المعـاني

تقاضاني بيومك ترجمـــانا ... وكنت ألوذ منه بترجمان

وصدق الإحساس يلبس حلة زاهية، إذا اقترن بقوة التعبير وهي الميزة الثانية للشاعر . والناس من قوة التعبير في ليل مشكل، فقد فهمها الكثيرون على غير وجهها الصحيح ، فرأوها في ترادف الغرابة في اللفظ ، والقعقعة في الصوت ، فكل بيت يحتـاج في فهمه إلى معجم لغوي فهو قوي كمعلقة لبيد ، وكل شاعر يطحن في سمعك قرونا صلبة فهو متين رصـين كابن هانئ الأندلسي في رأي أبي العـلاء . وليست قوة التعبير لدى الجواهري من هـذا الطراز العجيب ، ولكنها تظهر في تماسـك الألفاظ ، وترابط المعاني مع الوضوح والإشراق . وهي بوضوحها لا تتنـافى مع السلاسة والسهولة ، فقد تكون القصيدة من السهل الممتنع وهي آية في قوة التعبير ، ورصـانة التركيب ، بل إن السلاسة دائما طريق الشاعر المبتدئ إلى القدرة والإبداع ، فإذا سار في ميدانه خطوات وجـد قوة التعبير تأخذ بناصره ، وتشـد أزره ، مع احتفاظه بالرونق الخالب والانسجام المترابط . وقد بدأ الجواهري قصائده سهلا رقيقا وكلف بشعراء السلاسة كلفا زائدا ، وتغنى بروائع الوليد وابن زيدون في القديم، وحافظ والرصافي في الحديث ونسج على منوالهم الرقيق المبدع في نظمه . وقد قرأت له بعض القصائد التي نظمها في صدر شبابه ، فكدت أنسبها إلى البحتري بعينه ، وأخص قصيدة « سـامرا » الرقيقة العذبة التي قالها البحتري في القرن العشرين على لسان الجواهري، ومنها :

الإلهي بالتطهير في الوسيلة الأولى ، فإذا حدث ، وتدهورت طبيعة الحج بانهيار أساس من آساسه ، أو وسيلة من وسائله ، فسببه ليست الفكرة ولا وسائلها ؛ إنما هو عدم الاستجابة بالفهم واليقين ، والسلوك والعمل . إنما هو انهيار الوسيلة الأولى المساعدة ؛ إنما هو التقاعد والتقاعس ، حبا في الحياة ، ولو ذليلة مهيضة الجناح مسلوبة القيم.. إنما هو النقص في الدين، أو الخروج عن الإسلام

محمد فباصه

إيه أحباى الذين ترعرعوا ... ما بين أوضاح الصبا وحجوله
إنى وإن غاب السلو صبابتى ... واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقنى ذكراكو ويهزنى ... طرب إلى قال الشباب وقيله
أحبابنا بين الفرات تمتعوا ... بالعيش بين مياهه ونخيله
بلد تساوى الحسن فيه، فليله ... كنهاره، وضحاؤه كأصيله
ساجى الرياح كأنما حلف الصبا ... ألا يمر عليه غير عليله
وكفاك من بلد جمالا أنه ... حدب على إنعاش قلب نزيله

وقد سار الجواهرى مع سلاسته الرقيقة عدة أشواط، حتى صاحبته القوة والتماسك. فاتفق له من ذلك كله ألحان عذبة صادحة. تختلف انخفاضا وارتفاعا باختلاف ما يعالج فى شعره من الأغراض، وقد نسمع له بعض الجلبة الصاخبة فى قصائده السياسية، وهى صدى لما يهتز فى نفسه من انفعال ثائر يأخذ مظهره فى جو من الصخب والضجيج، وفيما أسلفناه من الشعر دليل لما نقول

هذا وقد تعثر فى شعره على ألفاظ يسيرة تنكرها معاجم اللغة، أو القواعد النحوية والعروضية كقوله

ولن تجدى كبابانا نصيرا ... يدق من الأسى راحا براح

وقوله

أعقماً وأمات البلاد ولودة ... وأنك يا أم الفراتين أنجب

وقوله:

وأى زمان من مكارم أهله ... النفى والتشريد والإعدام

هذه الأبيات وأمثالها تجد نقدا صاخبا من المتتبعين للأخطاء المطبعية والهنات اللغوية — وكثير ما هم فى بريد الرسالة — ويحسبون أنهم ظفروا بصيد عين بجر إليهم نصيبا من الذيوع والحقيقة أن شاعرا كبيرا كالجواهرى ومن على شاكلته من أنداده الأفذاذ لا يجهلون قواعد النحو، ومسائل اللغة، ولكن يهملون بعض القيود التى تحدمن تدفقهم المزبد، وقد يرفضون قاعدة علمية، فيقطعون همزة الوصل، ويضمون ضمير النصب فى غير مكانه، وهم يعرفون جميع ما يقوله النحاة واللغويون، ولست أوافقهم على مذهبهم فى الاستهانة بالقواعد العلمية، ولكنى أدعو سادتنا المتعقبين الأفاضل أن يريحوا أنفسهم من النقد اللغوى المكشوف، لأن التعقيب يكون واجبا إذا جهل المنقود حقيقة خطئه؛ أما إذا كان الخطأ معروفا لطلبة المدارس الثانوية — والابتدائية أحيانا — فلماذا نشغل به الناس

ونمضى إلى ميزة الشاعر الثالثة، وهى واقعية التفكير، والشعر العربى فى شتى عصوره يصطبغ بالواقعية ويسايرها فى كل مكان وزمان، ولكن الهائمين بآداب الغرب وروائعه سنوا فى الشعر مذاهب جديدة، فأصبحنا نرى الشعر الرمزى الغامض، والخيالى الطائر المتذبذب، وصار لكل لون أبطاله ورواده، ولكن هناك حقيقة واحدة لايستطيع أن ينكرها منكر، تلك الحقيقة تنبئ أن رواد المذاهب الشعرية الحديثة لم يستطيعوا أن يفرضوا مذاهبهم على قراء الشعر العربى، وأعوزهم أن يجدوا الشاعر الوثاب الذى يجذب الأنظار إلى مذهبه، ويخلق له فريقا من الأشياع والتلاميذ، وبهذا بقيت الواقعية صفة ملازمة للشعر العربى، على أن هناك أغراضاً شعرية يتحتم على المتجه إليها من الشعراء أن يكون واقعيا، فالشعر السياسى والاجتماعى يتطلب الواقعية المحيطة الشاملة، ولاسيما إذا كان الشاعر ذا رسالة خاصة فى الإصلاح والتوجيه، فهو مضطر إلى إلهاب العواطف واستحثاث الجماهير، ولن يكون ذلك بغير الحديث الواضح المعقول! وهب أن شاعرا مصلحاً كالجواهرى لجأ إلى الرموز الغامضة، والخيالات التائهة، والأشواق البعيدة، والسبحات الحالمة، واتخذ منها مادة لرسالته فى البعث والإصلاح، أفيجد من القراء من يستجيب لصرخاته، أو يحس بإحساسه وشعوره؟ هذا ما لا يعقل بحال. ويجب ألا نغفل من حسابنا أن الشعر الرمزى يحتاج إلى عقل يغوص، وذهن يعلل، مما يجعل القصيدة شبيهة بمسألة حسابية أو معادلة جبرية، وبذلك تفقد تأثيرها الساحر، وتعجز عن أداء رسالة الشعر فى التأثير والانجذاب. وأنا لا أنكر بعض الاهتزازات الغامضة التى تختلج فى النفس حين يقرأ الإنسان بعض القطع الرمزية. ولكن هذه الاهتزازات الغريبة تخلق مزيجا غريباً من الحيرة والقنوط والتساؤل، وتغرق القارئ فى بحر لجى لاساحل له، وهيهات أن يرحب بالغرق عاقل حصيف، فمتى يجد هؤلاء الحالمون الواهمون شاعراً كبيراً يقود الأذواق إلى مذهبهم الجديد فيمهد له سبيل الذيوع

على أن الواقعية قد أصيبت بكارثة فادحة ، تحاول أن تبغضها إلى الأذواق والقلوب ، فقد دأب بعض الشاعرين أن يتخذوا من الحوادث اليومية ، والأخبار الصحفية مادة للنظم الواقعي فيصدموا القراء بما هو شبيه بقول حافظ إبراهيم

ثلاثة من رجال النيل قد وقفوا
على مدارسنا سبعين فدانا

ثم يدعون أنهم يعيشون في الحياة ، ويسيرون مع الواقع ، ويعبرون عما يجد في البيئة من شؤون . ويجب أن يفهم هؤلاء السادة أن رسالة الشاعر الواقعي ليست هي التعبير عن الأخبار الصحفية بكلمات موزونة مقفاة ، ولكنه يرى الحادثة فيتأثر بها ، وتثير في نفسه انفعالات خاصة ، وتصل إلى ذهنه فتوحي إليه فيضا من الإلهام الصادق ، ثم تجول في خاطره ثائرة حارة ، فلا ينقذه منها غير التعبير عما تخلقه من انفعالات ، وما توحي به من إلهام يبرق بالومض والالتماع . وهنا تكون الحادثة نواة صغيرة لما يدور حولها من ذبذبة وانفعال؛ أما أن تكون الحادثة وحدها مصبوبة في القوالب العروضية ؛ فالأجدر بالقارئ أن يغفلها تمام الإغفال ، مكتفيا بما قرأه عنها في الصحف والمجلات

وقد نأخذ على الجواهري إخلاله بوحدة القصيدة ، وأرى أنها تتعذر على الشاعر السياسي الذى تتعدد أمامه مظاهر الفساد فيريد أن يلم بها وينبه عليها فوق كل منبر يعتليه ، فإذا تركنا الشعر السياسي إلى غيره وجدنا الشاعر يلتزم الوحدة في أكثر ما قال ، وللقارئ أن يطالع قصائده الوصفية مثل دجلة في الخريف أو الفرات الطاغي؛ أو الأصيل في دجلة أو سامراء، فسيجد ما يرضيه من وحدة الموضوع، وترابط المعاني، وتناسق الأفكار. ويهمنا أن نشير إلى مقطوعاته الغزلية الرقيقة التى نظمها في حبيبته الباريسية « أنيت » فقد ظهر فيها الشاعر جديدا في أخيلته ومعانيه ، جديدا في أوزانه وقوافيه، جديدا في نظرته الباسمة للحياة والناس، مع أنه لم يفارق ميزانه الثلاث ، فكان صادق الإحساس ، قوى التعبير ، واضح التفكير ، فوق طرافة الابتكار ، وجدة السياق، واختلاف الإيقاع . وأرى أن أودع الشاعر — في ختام هذا البحث السريع — بأبيات من قصيدته الجميلة التى نظمها في وداع صديقته « أنيت » ليمتع القارئ ببعض غزله الرائق، ولنتصيد المناسبة الموهومة بين وداع ووداع

« أنيت » نزلنا بوادى السباع
بواد يذيب حديد الصراع
يمير فيه الجبان الشجاع
(أنيت) لقد حان يوم الوداع
إلى إلى حبيبى « أنيت »
إلى إلى بجيد وليت !
كأن عروقهما النافرات !
ضروب من الكلم الساحرات

* * *

إلى بذاك الجبين الصليت
تخافق عن جانبيه الشعر
يبث إلى أريج الزهر
سيعبق في خاطرى ما حييت
ويذكرنى صبوتى لو نسيت
إلى إلى حبيبى « أنيت »

(تم البحث) محمد رجب البيومى

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من قباء إلى المدينة

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل   يكفيك من أشواقها ما تحمل
طال التلوم(١) والقلوب خوافق   يهفو إليك بها الحنين الأطول
القوم مذ فارقت مكة أعين   تأبى الكرى وجوانح تتململ
يتطلعون إلى الفجاج وقولهم   أفما يطالعنا النبي المرسل ؟
أقبلت في بيض الثياب مباركا   يزهى البشائر وجهك المتهلل(٣)
يا طيب ما صنع الزبير وطلحة   واصنعك الأوفى أجل وأفضل
خف الرجال إليك يهتف جمعهم   وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
هي في ركابك ما بها من حاجة   إلا إليك ، ومالها متحول
هجرت منازلها بيثرب وانتحت   أخرى بمكة دورها ما تؤهل
وفدان هذا من ورائك يرتمي   عجلا وهذا من أمامك يقبل(٤)
انظر بني النجار حولك عكفا   يردون نورك حين فاض المنهل(٥)
لم ينزلوك على الخؤولة وحدها   كل المواطن للنبوة منزل
نزلوا على الإسلام عندك إنه   نسب يعم المسلمين ويشمل
ما للديار تهزها نشواتها !   أهي الأناشيد الحسان ترتل(٦)
رفت نضارتها وطاب أريجها   وترددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما في كل مغنى روضة   وكأنما في كل دار بلبل
من العذارى المؤمنات أقنه   عيدا تحييه الملائك من عل

(١) التمكث والانتظار (٢) كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة (٣) هي الثياب التي كساه إياها الزبير وطلحة في قفولها من الشام بتجارتهما (٤) يسرع (٥) كان معه في قدومه من قباء إلى المدينة ملأ من بني النجار متقلدين سيوفهم ، وهؤلاء غير الذين لقوه واحتفلوا بقدومه (٦) فرح النساء والعذارى كما فرح الرجال بقدومه ومما قيل في ذلك :

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

في موكب لله أشرق نوره   فيه وقام جلاله يتمثل
جمع «النبيين الكرام» فأخذ   بيد «الإمام» وعائذ يتوسل
يمشي به «الروح الأمين» مسلما   وجبينه بفم النبي مقبل
إيه بني النجار إن محمدا   لأشد حبا للتي هي أجمل(٧)
خلوا سبيل الله ، ما لرسوله   عما أعد من المنازل معدل
ذهبت مطيته ، فقيل لها قفي   هذا مناخك، لست ممن يجهل
الناس في طلب الحياة وها هنا   سر لها خاف ، وكنز مقفل
أعطى أبا أيوب رحلك واهتدى   من أمر ربك ما يجيء ويفعل
ودعى الزمام «لأسعد بن زرارة»   فإليه بعد الله أمرك يوكل(٨)
لما حملت الحق أجمع والهدى   أمسى بحبل الله حبلك يوصل
يتنافس الأنصار فيك وبادروا   لمن الفاز ، وأيهم هو أول
هي «كيمياء الحق» لولا أنها   تهدي العقول لخالتها لا تعقل
دنيا من العجب العجاب ودولة   يهوى النضار بها ويعلو الجندل
أرأيت أهل الكهف لولا سرها   هل كان يكرم (كلبهم) ويبجل
شكراً (أبا أيوب) فزت بنعمة   فيها لنفسك ما تريد وتسأل
ماءثل رفدك في المواطن كلها   رفد يضاعف . أو عطاء يجزل
لله دارك من محلة مؤمن   نزل الحمى فيها ، وحل الفضل
نزل النبي بها ، فحل فناءها   مجد يقيم ، وسؤدد ما يرحل
مجد (النبوة) في ضيافة ماجد   سمح القرى يسدي الجزيل ويبذل
وسمت جفان المطعمين جفانه   كرما فما يأبى ولا هي تبخل(٩)
أضفى على السعدين(١٠) بردسماحة   فاهتز جودهما وأقبل يرفل

(٧) كان صلى الله عليه وسلم كلما مر في طريقه إلى المدينة بقوم يسألونه أن ينزل فيهم فيقول : خلوا سبيلها — يعني ناقته القصواء — فإنها مأمورة، فلما بلغ دار عدي بن النجار قال له بنوه : نحن أخوالك ، لا تجاوزنا فقال : خلوا سبيلها فذهبت حتى بركت عند دار بني مالك بن النجار بمقربة من باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في محل المسجد ، واستأذن أبو أيوب النبي في حمل رحلها إلى داره فأذن له ، ونزل رسول الله ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه على أبي أيوب وقال المرء مع رحله . فمكث عنده حتى تم بناء المسجد

(٨) أخذ سعد بن زرارة رضي الله عنه ناقة النبي إلى داره (٩) كان المسلمون يتنافسون في حمل الجفان إلى دار أبي أيوب كرامة للرسول الكريم ومشاركة منهم في شرف ضيافته وكانت توافيه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة رضي الله عنهما كل يوم ، وكانت جفنة سعد بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه رضي الله عنهن

(١٠) هما سعد وأسعد على قاعدة التغليب

جذلان محتفلا بقرب منهما ... لله مايرضى وما يتقبل
جعل القرى سببا إلى رضوانه ... والبر والإيمان فيما يجعل

جفنة أم زيد بن ثابت (١١)

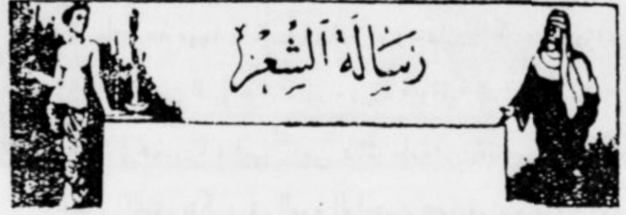
يازيد من صنع الثريد وماءمى ... ترجو بماحملت يداك وتأمل ؟
بعثتك (أمك) تبتغى فى دينها ... مايبتغى ذو الهمة المتمهل
شكر النبى لها، وأطلق دعوة ... صعدت كما شق الفضاء مجلجل
أطيب بتلك هدية يسمى بها ... فى الله ساع بالجلال مظلل
لو أنها وزنت بدنيا (قيصر) ... رجحت وأين من الخضم الجدول
هى إن عييت بوصفها مايجتنى ... من نعمة الإسلام، لامايؤكل
مافى جهادك (أم زيد) ريبة ... نار الوغى احتدمت وأنت الجحفل
شرع (١٢) سرابيل الحروب وماا كتسى ... من سابغات الخير من يتسربل

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يامعشر الأنصار هل لى عندكم ... ناد يضم النابغين ومحفل ؟
عندى لشاعركم تحية شاعر ... يسم القوافى وسمه يتنخل (١٣)
ننميه فى دنيا البيان روائع ... منها روا كدما ترنم، وجفل
الثاويات على هدى من ربها ... والسابحات السانحات الجول
شغلت بها الدنيا وماهى بالتى ... تمنى بدنيا الجاهلين وتشغل
تأبى القرار بكل وابة ممحل ... وتحل بالوادى الذى لا يمحل
(حسان) أبلغ من يقول وليس لى ... فيه إذا ادعت المصاقع مقول (١٤)
أنتم قضيتم للنبى ذمامه ... ونصرتم الحق الذى لا يخذل
وصنعتم الصنع الجميل كرامة ... لمهاجرين هم الرفيق الأمثل
فعرفت موضعكم وكيف سحابكم ... مجد لكم فى المسلمين مؤثل
وأذعته نبأ لكم ما مثله ... نبأ يذاع ولا حديث ينقل
القوم قوم الله ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (١٥)
الدين يعطف والسماحة تحتفى ... والحب يرعى، والمروءة تكفل

والله يشكر، والنبى بغبطة ... والشرك يصعق والضلالة تذهل
(دين الهدى والحق) فى أعراسه ... والجاهلية فى المآتم تعول
إن هالها الحدث الذى نكبت به ... فلسوف تنكب بالذى هو أهول
زولى معطلة العقول، فمن قضى ... أن البصائر والعقول تعطل ؟!
ألق السلاح، فما لخصمك دافع ... ودعى الكفاح، فما لجندك موئل
أزرى بك الفشل المبرح وارتمى ... بحماتك القدر الذى لا يفشل
السهل يصعب إن تواكلت القوى ... والصعب إن مضت العزائم يسهل
أرمى المعاقل مؤمن، لا نفسه ... تهفو، ولا إيمانه يتزلزل
هذا النذير فإن أبيت سوى الأذى ... فالأرض بالدم لا محالة تغسل
علقت بمقتلك السهام وما عسى ... يبقى الرمى إذا أصيب المقتل ؟
الله أكبر، كل زور ينقضى ... مر السحاب، وكل إفك يبطل

(١١) كان أول طعام أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة.. قال زيد له هذه قصعة أمى فقال: بارك الله فيها (١٢) سواء
(١٣) يختار.
(١٤) ادعت انتسبت لإظهار فضلها وشرف سابقتها، والمصاقع جمع مصقع البليغ العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه، والمقول هنا من أسماء اللسان (١٥) تفرق المهاجرون ضيوفا كراما فى دور الأنصار



خــواطر

لصاحب العزة الدكتور عبدالوهاب عزام بك

قانون البشر

يسير الناس على هذه الأرض فى سبل الحياة ، تنبهم السبل أحيانا وتظلم ، وتعترض العقبات ، وتبعد الشقة ، ولكن الأمل يحدوهم ، والوجدان يبصرهم فيهتدون ويسيرون

قيل : ليل مظلم قلت : اذكروا   فى ظلام الليل إشراق الصباح
قيل : غيم مطبق قلت : انظروا   رب نجم من وراء الغيم لاح
قيل : مهمه طامس مشتبه   قلت : لكن فيه للسفر اتضاح
قيل : لــكن برح السير بنا   قلت : بعد السير إحماد النجاح
قيل : والمنزل ما آيانه ؟   قلت : فى ممشاه للنار اقتداح(١)
قيل : هل ذاك قصارى سيرنا   قلت : بل نزل به السفر براح
قيل : فالتسيار ماغايتــه ؟   قلت : كل الدهر سير ، لابراح

لست طروبا

قال لى اللاغون : لست طروبا   لك حقــا إلى الصخور انتماء
كم تثـير الأوتار لحنــا فلحنا   ويهز الأوتار منا غنـــاء
وترى الناس ثار الموج لــكن   أنت فى الموج صــخرة صماء

* * *

وعلى البحـر والمشى صموت   غير لحن تثيره الدأماء
والهلال النحيل يلق خيـوطا   هى فى لجة الدجى أصداء
قد طربنـــا ولم يهز فؤاداً   فيك نور ولم يهز المســاء

* * *

كم رأينا الجمال قيد عيون   لك منه برغمنا إغضـــاء
تدعى الشعر والفؤاد جماد !   كيف ترضى انتسابك الشعراء
إن تكن شــاعرا فأمرك بدع   أنت فى الشــعر بيننا إقواء
حسبك الله قــد بلغت ملاما   وحباك الصواب هذا المراء (٢)
طرب الطفل وثبة وصــياح   ومن الكهل بسمة خرســاء
ومن الغصن فى الرياح اهتزاز   ومن الطود عزة شماء
ضاق قلب عن الجمال مجالا   فإذا كل سره أصداء
رب قلب وعى الجمال ولــكن   عز فيه لسره إفشـــاء
رب قلب حوى العــوالم طرا   تصغر الأرض عنــده والسماء

ماذا وراء هذى الأنجم

قال الصديق ، وقد أطال حواره :   ياصاحبى ! ماذا وراء الأنجم ؟
قد هالنى منه سؤال هائل   فأجبته بتعجب وتبسم !
ياصاح اهذى الزهر هل أدركتها   حتى تجوز إلى السـؤال المفحم ؟
ياصاح ! ماتحت النجوم ؟ أعالم   ماتحتها فى الـكون أم لم تعلم ؟
ياصاح ! أرضك هذه هل تعرفن   مافى ضمير الأرض من مستعجم ؟
بل ماعليها ؟ هل أحطت بعلمه   فى البر أو فى كل بحر خضرم
وجمـادها ونباتها والسر فى   حيوانهـا من ناطق أو أعجم
أعرفت هذا الإنس فى آحاده   ونباته فى بؤسـها والأنعم
ابدأ بنفسك فاعرفهـا جاهدا   والأرض فانفذها بعقل مقدم
واصعد بعلمك طالبا من مستوى   ما فوقه ، كالمرتقى فى الســلم
فإذا بلغت من الكواكب منزلا   فهناك فاسأل ما وراء الأنجم

(١) لايهتدى الناس الى الغاية فى هذه الحياة إلا بيصيص من الإلهام يدلهم على المنزل .

(٢) هذا البيت وما بعده جواب اللائمين

النهر الشاعر *

للاستاذ أنور العطار

نقلها الى الإنــكليزية شــعراً المستشرق البريطانى الكبير السيد « أرثور جون أربرى » أستاذ الآداب العربية فى جامعة « كامبرج » فى كتابه « أزهار الشعر »

بردى الشهى يفــكر شمرا   وهو يحيا لحنا وينساب عطرا
فى حناياه أضلع تتناجى   وقلوب من حرقة الحب حرى
خــبر العالمين جيلا فجيلا   ووعى الكائنات دهرا فدهرا
خط فى مصحف الوجود سطورا   باقيات تختال تيها وكبرا

* من كتاب « أزهار الشعر » ص ١٣ لندن — مطبعة طيلورس للكتب الأجنبية جمع ونقل : « أرثور جون أربرى »



صلاح الدين الأيوبى

مسرحية

للداعية الأستاذ عبد الرحمن البنا

للاستاذ محمد رجب البيومى

الأستاذ عبد الرحمن البنا مؤلف مسرحية « صلاح الدين الأيوبى » داعية غيور متحمس لعروبته وإسلامه ، وخطيب ساحر تعرفه منابر الإخوان المسلمين فى عواصم المديريات ومراكز القطر المصرى ، وهو — فوق ما يتمتع به من البيان الجزل ، والأدب الرصين — يستمد من إيمانه العميق ينبوعا دافقا للحديث المؤثر الخلاب ، وقبسا ساطعا للهداية الملهمة الرشيدة ، وأنت تجلس إليه فى حديث عام فتسمع كلمات : « العروبة والقرآن ومحمد » تتزاحم مطردة فى غير سأم ونشاز على لسانه ، فتدرك أن معانيها الحبيبة قد تحولت دما يجرى فى عروقه ، وعاطفة تتأجج فى جوانحه ، وعصبا تمتد شباكه فى رأسه ، ورغم دراسته المدنية ، قد حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا ، وفهم شروحه المتنوعة فهما واعيا مستنيرا ، وحفلت ذاكرته بعدد زاخر من الأحاديث النبوية المنتقاة ، ودراسة وافية لتاريخ الإسلام فى شتى عصوره ، فتهيأ له من ذلك مادة غزيرة تنصره فى ارتجاله الخطابى الذى يتكرر فى اليوم الواحد عدة مرات ، وترفعه إلى مستوى يتطلع إليه كثيرون من أصدقائه ومريديه

وقد رأى أن يخدم دعوة الإخوان (التى حمل لواءها شقيقه الإمام الشهيد رضى الله عنه) — بقلمه كما خدمها بلسانه ، فأظهر عدة روايات إسلامية تبرز العناصر الهامة فى تاريخ الدعوة المحمدية ، وتصور للقراء انتصار الفكرة الخالصة ، والعقيدة الصادقة ، وقد مثلت جميعا فى فترات متقاربة ، وحظيت بإقبال الجمهور وتزاحمه رغم بعدها الشديد عن التدجيل المسرحى الوضيع ، والذى يتملق الغرائز ويستثير العواطف ، بل قيد الكاتب نفسه فى كل كلمة وحركة بآداب الإسلام ، وتعاليمه المنتقاة ، وهذه روايته الرائعة « جميل بثينة » — مع ما يلوح من بعدها عن محيط الفكرة الإسلامية — قد حلقت فى هذا الأوج الطاهر الرفيع ، فصورت معانى الوفاء والمروءة والصدق والشرف ، ورسمت — فى فصل طويل — مناظر الحج والعمرة والطواف والسعى والاستلام ، والنسك ورمى الجمرات والأضحية والتلبية ، وقد أطال الكاتب فى ذلك إطالة ممتعة مشوقة ، يهب منها شذى إسلامى عاطر ينعش الأفئدة ويجذب الأرواح

وحين تقدمت الجيوش العربية إلى نجدة فلسطين الشقيقة رأى الأستاذ أن يهتبل الفرصة ، فيذكى الحماس ، ويثير الحمية ، فأخرج مسرحيته الموفقة عن صلاح الدين الأيوبى ، ومثلتها الفرقة الإسلامية للمسرح بدار الأوبرا الملكية إبان اشتعال المعركة منذ أعوام ، فتركت أثرها القوى فى نفوس الشبيبة الطاهرة من كتائب الإخوان ، واندفعوا إلى حومة الاستشهاد باذلين أرواحهم رخيصة فى سبيل الله ، وقد شاء المؤلف أن ينشر مسرحيته اليوم على الناس ، فأبرزها فى حلة زاهرة قشيبة ، وقد حفلت بثلاثة فصول قوية محكمة .. وإذا كان العمل الفنى يشوه بالتلخيص تشويها يذهب بأصالته وعمقه وجدته ، فنحن نكتفى بذكر العنوان الموجز لكل فصل من الفصول ، فالأول منها يصف المؤامرة

معجبات أنق من الفن لألا ء وأبهى من سطعة الملم فكرا
يتلوى زهواً كراقصة الحا ان تنزى وجداً وتقطر خمرا
مر فى الأرض كالربيع ائتلاقا وكأيامه صفاء وبشرا
وكسا جلق الأنيقة ثوبا عبقريا من نعمة الفجر أطرى

* * *

أيهذا النهر الحبيب إلى نفسـ ى وياملهمى إذا قلت شعرا
عش بقلبى لحنا على الدهر حلوا وامض فى خاطرى فنونا وسحرا

أنور العطار



المواهب المقبورة :

نشرت جريدة المصرى فى ١٢/٧/١٩٥٢ أن وكالة « تاس » للأنباء السوفيتية أذاعت بأنه منح أخيرا لقب « دكتور فى العلوم العملية » لأحد الفلاحين فى مزرعة « شوكاومكا » الجماعية وقد نال هذا اللقب دون أن يقدم بحثا فى هذا الموضوع كما هى العادة. وقالت الوكالة: « إن هذا الفلاح وصل إلى اكتشافات عظيمة تنهض بفن الزراعة إلى حد كبير . ومن هذه الوسائل العملية التى استحدثها استعمال الجير الحى بدل الجير المطفأ مما يوفر ٢٥ إلى ٣٠ ٪ من الأيدى العاملة »

قرأت بعجب هذا الخبر الذى إن انطوى على شىء فإنما ينطوى على مدى ماتعج بههاتيك البلاد من نهضة وتقدم يدل عليهما تقديرها لمواهب الناس العلمية ، ولو كان هؤلاء الناس ممن لم يتمتعوا بالمؤهلات العلمية الضخمة ، ولا بالشهادات الدراسية العالية ، ضنا بالمواهب أن تتلاشى أو تختفى ، أو يحول بينها وبين البروز الحواجز العتيقة من المؤهلات والشهادات وما إليها ..

ترى كم فى مصر والشرق من نوابغ موهوبين فى شتى العلوم والفنون ، فهل سمعت أن وزارة من وزارات المعارف تنازلت فشملت بعطفها واحدا من هؤلاء تقديرا لنبوغهم ومواهبهم ، وضاربة صفحا عن الحواجز البالية من المؤهلات والشهادات ؟

إن فى مصر والشرق شبابا وكهولا بلغوا القمة فى النبوغ والشهرة فى شتى العلوم والفنون دون أن ينالوا ذرة من تقدير وزارات المعارف ، وليس لهم من ذنب سوى أنهم — لظروف خارجة عن إرادتهم — لم ينالوا مؤهلات ولا شهادات، ولو أنهم نالوا التقدير والتشجيع لفتحوا الآفاق الفسيحة أمام مهرة الصناع ونوابغ الفنانين ...

إن إحدى جامعات أمريكا احتاجت إلى إنشاء كرسى لفن طبائع الطيور ، ولم يشغله إلا صياد له خبرة واسعة فى صيد الطيور وهذه كل مؤهلاته أما فى مصر والشرق فإن معوقات النهضة فيهما أسلوب من الأساليب البالية التى يجب أن تتلاشى إلى غير رجعة !!

رمل الإسكندرية قبيسة الشيخ

تصويب واستدراك :

السلام عليكم وبعد فقد جاء فى العدد ٩٩١ ص ٧٣٧ للأستاذ عدنان بعنوان فى مقال لعميد الأدب ذكر المؤلفات العربية التى تعنى بالنقود أخطأ فيه الأستاذ وفاتته أشياء.

فأما الخطأ فقد ذكر الرسالة المخطوطة التى أشار إليها الكرملى وهى رابع كتب النقود التى يعرفها منسوبة إلى

الخبيثة التى دبرها الفاطميون لمحق الدولة الأيوبية بمصر ، والثانى والثالث يصوران المعارك الحامية التى شنها بطل الإسلام صلاح الدين على أعداء العروبة من الصليبيين . وقد وفق الكاتب حين عمد إلى إبراز الأوضاع السياسية الغابرة التى تشترك مع أوضاعنا الراهنة فى كثير من الأمور ، فالهدنة المفقودة، ونقضها المتكرر ، وقتل النساء ، والأطفال والشيوخ ، وتحالف الدول الغربية مع الباطل أمام الحق ، وتدفق الكتائب الإسلامية من مصر وسوريا وفلسطين ... كل ذلك كان بالأمس كما هو اليوم !!
وإذا كان النصر النهائى قد حالف صلاح الدين القوى المتسامح فى وثبته الظافرة ، فما زالت معركة اليوم تتطلب فصلا أخيرا يرجع الحق إلى نصابه ، وينقشع عن فلسطين كابوس السفلة الأنذال ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فتحقق الآمال، وتتفق المركتان !!

وإنى لأهنئ الأستاذ المؤلف بجهاده وإيمانه ، وأبارك جهوده الموفقة فى سبيل دينه ووطنه ، ولا زلت أنتظر على يده السداد المأمول ، فهو صدى شقيقه الإمام ، وشعاع من شمس أنارت الظلمات ، ثم صعدت إلى ملئها الرحيب فى جنات النعيم ، راضية مرضية برضوان الله وثوابه العميم

محمد رجب البيومى

تقى الدين المقريزى والصواب أنها لمصطفى الذهبى الشافعى كما جاء فى ص ٦ من كتاب النقود العربية للكرملى

وأما ما فاته فأولا ذكر كتاب النقود لحسين عبد الرحمن باشصراف وزارة المالية المتوفى فى جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ وهو كتاب كبير حافل يقع فى أكثر من ٢٦٢ صفحة وصدر منذ أكثر من أربعة عشر عاما وفيه صور كثير من النقود من صدر الإسلام إلى الآن

وثانيا كان ينبغى للأستاذ عدنان أن يذكر أن رسالات البلاذرى والمقريزى ومصطفى الذهبى نشرها الكرملى كاملة فى صدر كتابه وصححها وعلق عليها ، فالإشارة إليها أفضل من ذكر طبعة الجوائب وغيرها

وثالثا كان ينبغى للأستاذ اعتبار كتاب الكرملى خامس الكتب العربية التى تعنى بالنقود، فإنه بعد أن نشر فى صدر كتابه الرسائل المذكورة آنفا ذكر أقوال ابن خلدون والقلقشندى وذلك لغاية ص١١٨ ومن ص١١٩ إلى آخر الكتاب تعرض لبحث النقود بعنوان علم النميات . والكتاب بفهارسه يقع فى ٢٥٩ صفحة، وإذا أضفنا إليه كتاب حسين بك عبد الرحمن تكون الكتب العربية المعروفة فى النقود ستة لا أربعة . وللأستاذ عدنان خالص التقدير ولمجلة الرسالة فائق التحية

عبد السلام النجار

النعت بالمصدر

فى العدد ٧٠٦ من الثقافة الصادر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٢ أخذ الأستاذ الفاضل محمود فتحى المحروق على زميله الشاعر الأ... كال نشأت أنه استعمل المصدر صفة فى قوله من قصيدة « بحيرة البجع »

والجناح « النصوح » فى لونه الأبيض

فلك يسير فى استبطاء

والواقع أن الوصف بالمصدر ليس محظورا فى اللغة العربية فقد قال ابن هشام الأنصارى المصرى فى كتابه «أوضح المسالك»: الرابع من الأشياء التى ينعت بها المصدر . قالوا : هذا رجل عدل ورضا وزور ، وذلك عند الكوفيين على التأويل بالمشتق أى عادل ومرضى وزائر . وعند البصريين على تقدير مضاف أى : ذو عدل ورضا وزور . ولهذا التزم إفراده وتذكيره » اه

وهناك رأى ثالث : هو أن الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة كأن الشخص المذكور هو نفس العدل والرضا والزور . كأن هذه النعوت قد تمثلت فى هذا المنعوت بشرا سويا . وفوق ذلك فإن الوصف بالمصدر شائع الاستعمال فى اللغة قرآنا وحديثا وشعرا ، فمنه فى القرآن . قول الله فى سورة الملك « الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » أى مطابقة بعضها فوق بعض ، أو ذات طباق : أو كأنها نفس الطباق ، وللأستاذين الفاضلين تحياتى

عبد الحافظ عبد المجيد كسبة

تصحيح نسبة أبيات

ذكر نباش جريدة المصرى هذه الأبيات ونسبها لعمران ابن حطان الخارجى

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع ... فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

وليست هذه الأبيات لعمران بن حطان الخارجى وإنما هى لحطان بن المعلى كما ذكر ذلك أبو تمام فى ديوان الحماسة وهى أبيات سبعة أولها

أنزلنى الدهر على حكمه ... من شامخ عال إلى خفض

وبعض الرواة ينسبها إلى المعلى الطائى أحد الشعراء الذين نزحوا إلى مصر واستقروا بها

عبد العليم على محمود

أغانى الربيع

ديوان صغير الحجم كبير المعانى للشاعر الشاب بشير حسن القطان يقع فى « ٤٧ » صفحة من القطع المتوسط طبع فى بغداد وأهداه إلى قبل أيام، ولست أريد فى هذه العجالة أن أبين للقراء ما يحوى من شعر رقيق يبشر بمستقبل زاهر لناظمه ، ولكنى



الشقي المدلل

للفيلسوف الروسي (تولستوي)

كانت تقوم على شاطئ البحر الأبيض ، وقريباً من الحدود الفرنسية الإيطالية مملكة صغيرة اسمها « مملكة مونا كو » ، ولعل الكثير من المدن أن تختال على هذه المملكة بوفرة نفوسها وازدحام سكانها ، فإن سكان هذه المملكة ما كانوا يتجاوزون سبعة آلاف ! وعلى أنه لو قسمت بينهم أراضي المملكة جماء لما أصاب المواطن الواحد منهم فداناً ! ومع ذلك كله فقد كان لهذه المملكة ملك حقيق له قصر وحاشية ووزراء ، وله أسقف وجيش وقادة

وعلى أن الجيش لم يكن بالجيش العرمرم الضخم — إذ ما كان عدد أفراده يزيد على الستين — فهو مع ذلك جيش له خطره وأهميته في المحافظة على كيان البلاد... وكان للحكومة في هذه المملكة ضرائب على الشعب تتقاضاه إياها شأن بقية الحكومات، فضريبة على التبغ وضريبة على الشراب ، وضريبة أخرى غير هاتين على الرؤوس ... ومع أن الشعب كان كعامة شعوب العالم يدمن التدخين ، ويتعاطى الخمور ، إلا أن ضرائب الحكومة من ذلك لم تكن تسد حاجات الأمير ونفقات بلاطه وجيشه ، ولم تسعفه ضريبة أخرى من مصدر جديد هو لعبة « الروليت » فكان الناس يتقاطرون من أنحاء أوربا ليقامروا هناك في دار القمار ، وسواء أربح اللاعبون أم كانوا من الخاسرين فإن لصاحب الدار حصته المعروفة من المال . وكان يجتمع له بهذا مال كثير يكون النصيب الأوفر منه للأمير .. وتضخم أرباح الأمير من هذه اللعبة مرجعه أن دار القمار هذه الوحيدة من نوعها في أرجاء أوربا كلها ؛ وإذا كان أمراء الألمان قد منعوا من إقامة أمثال هذه البيوت في بلادهم لما يقع فيها من حوادث الإجرام والأضرار الناشئة عن خسارة بعض اللاعبين ومغامراتهم ومضارباتهم وانتهائهم عند نزول الكارثة بهم إلى الانتحار بالرصاص ، وإذا كان أمير « مونا كو » غير متقيد ولا تابع لسلطة من التي يطيعها أمراء الألمان، فقد ألغيت دار القمار عند أولئك وبقيت داره هذه الوحيدة في أوربا التي لا قدرة لأحد أن يتعرض لها بشيء ، وظل هو محتكراً هذه الأرباح

وكذلك كان الناس يفدون على « مونا كو » ليقامروا ، فتارة يخسرون وأخرى يربحون ، أما الأمير فليس له في كلتا الحالتين سوى الربح ... وعلى أن أمير (مونا كو) كان عليما بالمثل القائل « ليس من نتائج أعمال النزاهة والشرف تشييد شوامخ القصور . » وعلى أنه كان عارفاً بأن الميسر ليس من مشرفات الأعمال فإنه لم يجد بداً من إبقاء نظام الميسر على وضعه ليسد حاجاته ، وليعيش عيشة يرضاها ، فكان يقيم الحفلات ويولم الولائم ، ويظهر للناس بمظاهر الأبهة التي يعهدونها في قصور الملوك . وكان يمنح المنح، ويجزل الهبات ويشكل اللجان ،

أحببت أن أنبه إلى بعض الأخطاء التي وجدتها في الديوان وهي

جاء في قصيدة « الناي الفارسي » ص (١١) هذا البيت الخارج عن وزن الأبيات الأخر

لكن النـــاي المغني قد غدا اليوم كئيبا

بينما القصيدة كلها من مجزوء الرمل ، ثم ورود لفظة عروسة كقوله في ص « ١٦ » — عروسة الشعر أنت الزنبق المعطر » وصوابها عروس المؤنث وعريس للمذكر ، ولفظة رغاب بمعنى أمنية، وقوله ص « ٤٧ » — والأنجم الزهراء والصبح الأغر بينما يجمع أفعل وفعلاء على فعل فيجب أن يقول والأنجم الزهر ، كما في القرآن الكريم « سبع سنبلات خضر » و « يلبسون ثياباً خضراً من سندس » ولم يقل خضراء ، هذه بعض المآخذ وهي لا تنقص من قيمة شعره الرقيق

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

ويشرع النظم وينشئ المحاكم . . وكان يعرض الجيش ويطوف بأنحاء المملكة ، ويفعل فعل غيره من الملوك ولكن فى صورة مصغرة كنسبة مملكته المصغرة إلى بقية الممالك !

* * *

وكان أهل (موناكو) معروفين بالمسالمة ولين العريكة ، فليس بينهم مجرم ولا سفاح ، حتى حدثت منذ سنوات جريمة قتل كانت الأولى فى تاريخ هذه المملكة ؛ فاجتمع لها القضاة فى يوم مشهود ليتداولوا فى شؤون هذه القضية وفق أصول العدل والانصاف . وكان ذلك الحفل المهيب يضم رجال القانون من محامين وقضاة ومحلفين ومدعين عامين . وقد ظلوا يتدارسون نصوص القانون ، ويؤولونها ، ويذهبون فى تفسيرها المذاهب حتى أصدروا حكم الإعدام على ذلك القاتل وفق إحدى مواد القانون ! وحمل القرار من بعد ذلك إلى الأمير ، فقرأه وأصدر الأمر بالموافقة على ما يرتأون !

على أن مشكلة واحدة بقيت لتنفيذ الحكم ، إذ لم يكن فى المملكة مقصلة ولا كان بها جلاد ! فبحث الوزراء المشكلة وقرروا أن يفاوضوا الحكومة الفرنسية فى أمر إعارتهم مقصلة وجلاداً لتنفيذ حكم الإعدام ، وطلبوا منها معرفة ما يقتضيهم ذلك من الأجور . ثم أرسلوا بالكتاب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية .

وبعد أسبوع ورد جواب الرئيس قائلا « إن تكاليف إرسال مقصلة وجلاد تبلغ ستة عشر ألفاً من الفرنكات . » وعرض هذا على الأمير فعجب من استحالة قطع رأس هذا الأثيم إلا بهذا المبلغ الجسيم الذى لا تقوم بشىء منه حياته ! ثم طلب التفتيش عن طريقة أرخص لا ترهق الأهلين بضريبة جديدة يجبرون عليها ، وربما كان من ذلك ثورة جامحة تندلع ألسنتها فتطغى على الأمن فى البلاد !

... ودعى مجلس الوزراء للبحث فى هذه المشكلة من جديد ... وعندئذ قرر المجلس إرسال طلب آخر إلى ملك إيطاليا ، ذلك بأن حكومة فرنسا جمهورية لا ترعى الود المتبادل بين الملوك وليس أمر ملك إيطاليا كذلك ، فإنه — ولا شك — سيرعى حرمة الزمالة التى تربطه بالأمير فيتساهل معه وعلى هذا فقد كتبت رسالة فى هذا الغرض وأرسلت ، فجاء الجواب : « إن من دواعى غبطة الحكومة الإيطالية تجهيز جارتها بالمقصلة والجلاد مقابل اثنى عشر ألفاً من الفرنكات ضمنها تكاليف الإرسال والإعادة » وهذا الأجر وإن كان أقل من سابقه إلا أن المجرم لا يستحق إنفاق هذا المبلغ عليه ، وتكليف الرعية بأن يدفع كل فرد منها فرنكين :

وهكذا دعى المجلس ثالثة للاجتماع فتداول أعضاؤه الأمر ، وتناقشوا فى المعضلة لعلهم يهتدون إلى طريقة رخيصة فى قتل هذا المجرم . فقال قائلهم : أو لا يمكن تكليف أحد من الجند بقطع رقبة هذا الأثيم ؟ ولكن ذلك كيفما اتفق إذ المهم أن يموت ! فدعى لذلك قائد الجيش وألقى عليه السؤال . فجمع هذا جنده وسألهم : أفى استطاعة أحدكم تنفيذ المهمة ؟ غير أنهم لم يجيبوه ولم يرتضوا ذلك منه ، وقالوا له : « إن ذلك ليس من شأننا — نحن — ولا كان مما سبق أن دربنا عليه ! »

هنالك فكر الوزراء وتذاكروا فأجمعوا أمرهم على تفويض النظر فى القضية إلى لجنتين : عليا ودنيا ، وأخيراً تم القرار على الاستعاضة عن حكم الإعدام بالسجن المؤبد والأشغال الشاقة ؛ وكان الأمير بهذا يستطيع أن يرى الرعية رأفته ورقة قلبه ، كأن تلك الطريقة كانت أرخص العقوبات جميعا ! ووافق الأمير على هذا الحكم الأخير وأوشك التنفيذ أن يتم لولا أن قامت أزمة جديدة ؛ تلك هى أزمة إيجاد سجن يقضى فيه هذا السجين حياته . على أنهم أخيراً وفقوا إلى إيجاد غرفة لاقامته ووكلوا به سجانا يتولى أمر حراسته وإطعامه من مطبخ القصر

ظل السجين فى محبسه تتعاقب عليه الشهور حتى اكتملت عليه سنة تماما ؛ ولكن بينما كان الأمير يفحص ميزانية الدولة ويقلب فيها نظره لاحظ أن فيها باباً جديدا من النفقة ؛ تلك هى نفقات سجن هذا المجرم الشقى ، ولم تكن هذه بالنفقات اليسيرة البسيطة ، ولا كانت بالسهلة القليلة ، وإنما كانت شديدة الكلفة ثقيلة الوطأة على ميزانية الدولة ! فقد كان المجرم هذا حارس يمنعه من الهرب ، ورجل غيره يتولى أمر

إطعامه ! وفي هذا السبيل صرفت ستمائة فرنك من ميزانية الدولة هذا العام ! والأدهى من ذلك أن الرجل في ميعة الشباب صحيح البدن معافى ، ولربما امتد به العمر إلى خمسين من السنين ! ولو حسب المرء المسألة هذا الحساب لم يجدها بالسهولة التي كان يتصور ... وعلى ذلك فقد جمع الأمير وزراءه وقال لهم: « إن عليكم أن تكتشفوا طريقة غير هذه تكون أخف مؤونة وأقل منها نفقة ، فهذه التي ابتدعتموها باهظة لا قبل لنا بها ! »

وتداول الوزراء الأمر بينهم حتى اهتدى أحدهم إلى فكرة فقال لاخوانه : « أيها السادة ، إن من المعقول – في نظرى – أن نفصل الحرس فنقتصد نفقاته » . غير أن وزيراً آخر اعترض عليه قائلا : « إن الرجل سيهرب إن لم يجد من يحرسه . » وهنالك رد عليه صاحبه : « إن ذلك ما يريدون إذ لا يهمهم أن يهرب »

وتم على ذلك الاتفاق . فرفعوا إلى الأمير تقريرا يشرحون له الأمر فوافقهم على ما يرتأون . وفصل الحارس عن عمله وظل جماعة الوزراء يرتقبون المآل حتى جاء موعد الغداء واشتد بالسجين الجوع ، فخرج بعد أن طال ارتقابه لحارسه حتى يئس منه – إلى مطبخ القصر وأخذ طعامه منه وعاد إلى غرفته وأغلق على نفسه الباب ! وعاد في اليوم التالي فكرر ما صنع بالأمس في الوقت المعين المحدود . وهكذا قبل السجين هذا العناء الجديد،دون أن تخطر له فكرة الهرب من هذا السجن على بال !

وإذا فماذا ترى الوزراء فاعلين ؟

هنا لك اجتمعوا وبحثوا المشكلة من جديد فقر رأيهم أن يصارحوه بعدم رغبتهم في بقائه ، فاستدعاه (وزير للعدل) إليه وسأله.

– مابالك لا تهرب وليس عليك حارس يمنعك ؟ إذهب حيث شئت فلن يعنى بذلك الأمير . فأجاب الرجل : – لعلى أستطيع أن أقول إن الأمير لا يعنيه ، ولكن أين المأوى الذى آوى إليه ؟ ولا حيلة لى في الحصول على قوتى وقد وصمتمونى بأشنع الصفات بأحكامكم التى أصدرتم على . وهؤلاء الناس لن يأتمنونى بعد الآن على شيء . ذلك إلى أنى اعتدت حياة الكسل والخمول فانحططت بالتدريج . لقد أسأتم إلى حقا ، فقد كنتم أصدرتم الحكم على بالإعدام فلم تنفذوه ، ثم استعضتم عن ذلك بحكم الأشغال المؤبدة الشاقة وعينتم لذلك حارسا كان يأتيني بطعامى ، غير أنكم – بعد برهة من الزمن – عزلتموه فاضطررت إلى الذهاب بنفسى إلى المطبخ للحصول على مايكفينى من الطعام. ثم إنكم – بعد ذلك – تريدونى على الفرار ! كلا ياسيدى ، كل شيء يصح إلا ماتريدونى عليه ! اصنعوا ما بدا لكم وافعلوا بى ما حلا لكم غير أنى لن ألوذ بالفرار !

إذاً فكيف ؟

واجتمع مجلس الوزراء يبحث المعضلة بحثاً جديا حاسماً ، ولكنهم احتاروا فيما يقررون ! وترددوا في اختيار النهج الذى يرون اتباع السير عليه .. إن الرجل لن يبرح الديار أبداً . وفكروا واحتالوا فاوجدوا غير منح الرجل (معاشا) يكفل لهم الخلاص منه ! وأنهوا الحل الأخير إلى الأمير قائلين إنه ليس من حل خير من هذا الذى ارتأوه ، وهو أن يمنح الشقى معاشاً يقيهم أذاه ، ويبعده عنهم! فأقر الأمير رأيهم مرغما وقدر للمجرم الشقى معاشا سنويا قدره (٦٠٠) فرنك فلما أخذ في ذلك رأيه أجاب

– أما الآن فقد طاب الفرار ! على أن تلزموا أنفسكم دفعه إلى بانتظام .

وهكذا حسمت المشكلة . وأخذ الشقى ثلث جرايته مقدما وغادر المملكة إلى مسيرة ربع ساعة بالقطار ! ونزل قرية ابتاع فيها أرضا بالقرب من حدود بلاده وزرعها متجرا بثمارها وغلاتها وعاش في راحة واطمئنان . وكان كلما حان موعد معاشه ذهب فاستلمه ثم اتجه إلى مائدة القمار فقامر عليها بفرنكين أو ثلاثة مكتفيا بهذا القدر اليسير ورجع إلى مهجره يستأنف حياة الدعة والراحة

ولعل من حسن طالعه أنه لم يرتكب جريمته الأولى في قطر آخر ترخص فيه أثمان قطع الرقاب وتقل فيه تكاليف الإبداع في أعماق السجون مدى الحياة !

ف . سهو

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٥ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٧

الرسالة

20 me. année No 995

Le Caire 28-7-1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٨ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نقطة البـــدء

للاستاذ سيد قطب

لقيني الأستاذ الأديب الشاعر محمد فهمي وقد قرأ مقالى الأخير فى الرسالة بعنوان : « إلى الناعين فى العالم الإسلامى » فقال فى شئ غير قليل من الحدة والضيق : لمن تكتبون هذا الكلام ؟ وما قيمة توجيهه إلى شعوب كاملة من الأميين الذين لا يقرأون ما تكتبون ؟ والقلة القليلة التى تقرأ لا علك أن تتصل بكتلة الشعوب ، لأنها شعوب جاهلة لا تدرى شيئا مما حولها ، ولا تستطيع شيئا حتى لودرت ، لأن الحياة فى هذا العصر تريد شعوبا متعلمة وإلا فالموت والذل للأميين ...

واستمعت إلى ثورته .. إن فيها كثيرا من الحق . وإن كان لهذا الحق بقية هى التى أردت أن أعرضها للناقد الثائر ، لولا أنه لم يمهلنى . لقد ارتفع صوته بالسخط ، وأنا لا أريد أن أسترسل فى مناقشة الساخطين الثائرين !

نعم . نحن فى حاجة إلى توجيه حملات ضخمة لنشر التعليم فى العالم الإسلامى كله نشرا سريعا فى خطوات جازمة حازمة ، لا تسير بخطوات السلحفاة ... نحن فى حاجة إلى توجيه هذه الحملات لا إلى اليمن مثلا حيث يحارب التعليم كما تحارب المخدرات ، أو أشد وأعنف ، لأن المخدرات هناك لا تقاوم ، ونبات (القات) المخدر يزرع فى كل مكان ، ويستعمل فى كل مكان ، ولا تفكر الدولة فى مقاومته كما تفكر فى مقاومة التعليم ، ولا تطارده كما تطارد المتعلمين !

ولا إلى الحجاز ونجد حيث لا تبلغ ميزانية التعليم كلها ربع ميزانية فرد ؛ ولا ينفق عليه عشر ما ينفق على السيارات والكماليات والعطور

ولا إلى بلاد الشمال الإفريقى حيث يقف الاستعمار سدا فى وجه الثقافة ، حتى لتعد الكتب والمجلات محظورات ، تهرب داخل طرود مهربة ، خيفة أن تثير شبهات الجمارك والبريد !

نحن فى حاجة إلى توجيه تلك الحملات لا لمثل هذه الأصقاع فى العالم الإسلامى ، بل إلى مصر التى تعد أكثر بلاد العالم الإسلامى تقدما من هذه الناحية ، إذا استثنينا لبنان ، ونسبة التعليم فيها أكثر ارتفاعا

نعم فى حاجة أن نوجه تلك الحملات إلى مصر التى تعطى وكلاء الوزارات والمديرين العامين بدل سيارات ، يتراوح شهريا بين ثلاثين وأربعين جنيها ثم تخفض ميزانية التعليم إلى الثلث بحجة التقشف ! مصر التى تبعثر معظم ما تملكه من العملة الصعبة فى شراء السيارات الفاخرة ثم لا تجد ما تشترى به مصانع أو آلات زراعية ميكانيكية أو آلات صناعية ، أو حتى أدوات

صحية ، لأن ماللديها من العملة الصعبة محدود ! مصر التى يتعطل ثلاثة أرباع سكانها عن العمل ، لأن مرافق العمل فيها محدودة ، ولا تملك توسيع مرافق العمل هذه ، لأن ميزانيتها تحوى ملايين الجنيهات لشراء أثاث فاخر ، وشراء يخوت فاخرة ، وحضور ولائم ومؤتمرات ونزهات المحظوظين !

لقد قال لى محدثى الثائر : دعوا الاستعمار . لا تحاربوه الآن . نحن لا يهمنا أن يكون فى أرضنا مليون من الجيوش الاستعمارية . إذا كان لدينا عشرة ملايين فقط من المواطنين المتعلمين . إن ألمانيا محتلة بالجيوش الروسية والأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ولكن الجميع يترضونها ، لأن الشعب الألمانى شعب متعلم ، لا يمكن أن تحكمه جيوش المستعمرين ..

وقال : دعوا الكفاح الاجتماعى لتعديل الأوضاع الاقتصادية — وحتى الدستورية — فهذه الأوضاع التى تشكون منها ستعدل نفسها بنفسها يوم يستحيل الشعب المصرى أو أى شعب عربى أو إسلامى إلى شعب متعلم ..

كنت أريد أن أفهم محدثى أن هذا كله صحيح ، ولكن هنالك أشياء أخرى يجب أن تكون فى الاعتبار . لولا أنه لم يترك لى فرصة للكلام !

نعم . إن الاستعمار لا يملك أن يعيش فى بلد متعلم .. نعم إن الحرمان لا يمكن أن يدوم فى شعب متعلم .. نعم إن الطغيان لا يمكن أن يقوم فى وطن متعلم .. نعم . كل هذا صحيح ! ولكن بقى أن نعرف : من هو الشعب المتعلم ؟ ومن هو الفرد المتعلم ؟

إننى أومن بقوة المعرفة . أومن بقوة الثقافة . ولكنى أومن أكثر بقوة التربية ...

إننى أنظر فى تاريخ الاستعمار ، فلا أكاد أجد له إسنادا إلا من المتعلمين .. كل الرجال الذين قدموا للاستعمار خدمات ضخمة . الذين مهدوا للاستعمار ومكنوا له . الذين كشفوا له من عورات البلاد ومقاتلها . الذين تولوا عنه تحطيم معنويات الوطن وقواه الكامنة . الذين جعلوا أنفسهم ستارا لمساوى الاستعمار ومخازيه .. كلهم .. كلهم كانوا من المتعلمين !

كذلك كان الذين مهدوا للطغيان وأعانوه استمرأوا سلطان الجبابرة وهم يؤدون ضريبة الذل والعبودية الذين استغلوا النفوذ للإثراء على حساب الشعب . الذين أفسدوا ضمير الشعب بالمحسوبية والرشوة والسرقة والغش . الذين خانوا الوطن والأمانة والخلق والضمير .. كلهم كانوا كذلك من المتعلمين !

نعم . إنه لو كانت الشعوب أو كثرتها من المتعلمين ما أمكن للسماسرة أن يسلموا البضاعة بهذا اليسر وهذه السهولة . هذا صحيح . ولكنه صحيح كذلك أن « الصنف » المتعلم الذى تخرجه المدارس فى بلادنا اليوم ، ليس هو الذى يقف فى وجه التيار ، وليس هو الذى يستعصى على السماسرة ، بدليل أن كثرته يجرفها تيار العبودية والذل والفساد ، دون أن ترفع رأسها ، ودون أن تدافع عن كرامتها ، بل عن إنسانيتها .. إن أنشودة « أكل العيش » هى النشيد القوى للجميع ! وأكل العيش ممكن فى ظلال الكرامة لو أرادها الجميع

إن التعليم الذى نزاوله فى مصر ، ومعظم البلاد الإسلامية ، تعليم فاشل ، بل تعليم قاتل . إنه تعليم بلا تربية ، بل تعليم يكافح التربية . إن المدارس والجامعات تخرج لهذه الأوطان فتاتا آدميا وحطاما بشريا . تخرج له عبيدا . نشيدهم القومى الخالد هو أنشودة « أكل العيش » !

لست أنكر على الشباب المتعلم أن يطلب رزقه ، فالحياة لابد أن تعاش . والمال عصب الحياة . بل لست ألوم هذا الشباب المتعلم ، فلو وجد هذا الشباب أجيالا من الأساتذة الصالحين ، وتقاليد من النظم الصالحة ، لكان أفضل شباب الأرض . ولكنى أقرر الحقيقة المؤلمة ، حقيقة أن معاهد التعليم فى مصر كلها وفى معظم البلاد الإسلامية الأخرى .. لاتخرج رجالا أحرارا بقدر ماتخرج عبيدا أرقاء . ولا تخرج شخصيات متماسكة بقدر ماتخرج فتاتا آدميا وحطاما بشريا .. إنها معاهد خاوية من الروح .. وهذا مفرق الطريق

إن نظام التعليم وخططه ومناهجه وكتبه .. وأخشى أن أقول أساتذته .. لايمكن أن تخرج رجالا أحرارا مفكرين مستنيرين . إلا الشواذ الذين يكافحون الجهاز التعليمى كله ويخرجون من براثنه سالمين

ولقد كان ذلك قائما قبل تلك الفوضى الأخيرة ، التى سميت « مجانية التعليم »

إن التعليم كان يجب أن يكون بالمجان . وكل بلاد العالم المتحضر التعليم العام فيها بالمجان . ولكن المجانية شيء والفوضى شيء آخر . والذى حدث والذى تحقق هو الفوضى . أما المجانية فليس فيها قولان فقط ، بل عدة أقاويل !

لقد كان الآباء يدفعون عشرة جنيهات المدرسة الابتدائية أو عشرين جنيها المدرسة الثانوية ؛ فتقوم عنهم بتعليم أبنائهم ، ذلك التعليم الخاوى من المثل الخاوى من الروح .. فأصبحوا اليوم مكلفين — من استطاع ذلك منهم — أن يدفعوا للدروس الخصوصية عشرين أو ثلاثين أو خمسين جنيها ليحصلوا لأبنائهم على النجاح فى الامتحانات ، لا عن طريق التعليم الخاوى من المثل الخاوى من الروح . بل من طريق اطلاعهم على أسئلة الامتحان وتيسير الغش فيه !

إنها الكارثة . الكارثة المضاعفة التى تربى على ما كنا فيه

إن التعليم الذى نزاوله ، والذى كنا نزاوله قبل حكاية المجانية الزائفة ؛ ليس هو الذى يؤدى إلى كفاح الاستعمار ، وكفاح الطغيان ، وتعديل الأوضاع الاجتماعية المخلة بكرامة الإنسان . .

إن التعليم لكى يؤدى مهمته هذه يحتاج إلى تعديله من أساسه . . ومما يؤلم النفس أن هذا التعديل لا يحتاج إلى مال غير الذى ننفقه . وقد لا يحتاج إلى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم . ولكنه يحتاج فقط إلى إيمان بهذا التعديل الشامل ، وإلى عقليات قليلة ناضجة تشرف على التنفيذ . .

أم لعلنى أمام عقدة العقد ، وأنا أحسبها من الهين اليسير ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة اللغة العربية ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٣ ففشلت . وكان الأمر يومها متروكا إلى سعادة المستشار الفنى الدكتور طه حسين ؟!

ألم أحاول مرة أن أغير نظام دراسة التاريخ ليقام على أساس سليم عام ١٩٤٧ ففشلت وكان الأمر يومها متروكا إلى معالى وزير المعارف الدكتور عبد الرازق السنهورى ؟!

ألم أحاول عشرين مرة — بعد عودتى من البعثة إلى أمريكا — أن أنشئ لوزارة المعارف أداة فنية صحيحة ، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم ، ففشلت فى هذه المرات كلها فشلا ذريعا ؛ لأن المراد فى هذه المرة كان إصلاحا فى الصميم ؟!

لقد أفلح الاستعمار فى تطعيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت . . إنه يبدو دائما فى صورة كبار موظفين !

* * *

نعم يجب أن ينتشر التعليم ؛ ولكن أى تعليم ؟ يجب أن يقوم هذا التعليم على أسس ثقافية سليمة ، وعلى أسس تربوية سليمة . نعم وينبغى أن تكون له مثل ، وأن تكون به روح .

وإلى أن يقيض الله لوزارة المعارف رجالا يؤمنون بهذا ويقدرون فى الوقت ذاته على مقاومة الميكروبات الاستعمارية الكامنة فى وزارة المعارف ، فى صورة كبار موظفين !

إلى أن يقيض الله لوزارة المعارف أولئك الرجال ، فليس أمامنا لمكافحة سموم الأجهزة التعليمية الحاضرة إلا المحاضن الخاصة ، التى تتلقف الشباب الضائع ، والحطام المفتت ، فتعيد صياغته فى قوالب جديدة سليمة ، وفى جو روحى نظيف . اترد هذا الشباب الضائع الحائر رجالا كراما على أنفسهم ، كراما على أوطانهم ، كراما على ربهم ...

وهذا ما يحاوله .. الإخوان المسلمون ..

سيد قطب

من معارك الأدب السياسي

للدكتور عمر حليق

فى الأوساط الاشتراكية فى بريطانيا هذه الأيام جدل حول تفسير المبادئ الاشتراكية التى يؤمن بها حزب العمال - أحد الحزبين الرئيسين اللذين يتنازعان الحكم هناك

ويتخذ هذا الجدل معركة فكرية سلاحها الكراريس والنشرات والمقالات التى ينشرها كهنة الحركة الاشتراكية فى مجلاتهم الأسبوعية وحلقاتهم الأدبية التى يكثر انتشارها فى مراكز النقابات العمالية وأوساط الثقافة والفن فى الجامعات ومعاهد العلم

والمحرك الأكبر لهذه المعركة الفكرية هو المستر « أورين بيفان » - قطب من أقطاب حزب العمال نبت فى « المشش » المزرية البائسة التى تتاخم مناجم الفحم فى مقاطعة ويلز ولم يتلق من التعليم المدرسى إلا مبادئه . وثقافته عصامية تتلمذ فيها على الكتب والبحوث التى توفرها للطبقات الفقيرة فى بريطانيا المكتبات الحكومية الدوارة بحيث تقدم الغذاء العقلى للباحثين عن الحقيقة من الذين حالت ظروف المعاش بينهم وبين التتلمذ على الأساتذة فى معاهد العلم الرسمية . واستطاع المستر بيفان بفضل عصاميته الثقافية أن يرتفع من أقبية المناجم ومجتمعها العليل إلى مركز مرموق فى الحركة العمالية ، ومن ثم إلى قبة البرلمان؛ فالوزارة التى استقال منها فى العام المنصرم (قبل أن تفشل وزارة العمال فى الانتخابات الأخيرة) إعلانا عن سخطه لسوء اجتهاد زملائه من أقطاب الوزارة فى تفسير وتطبيق المبادئ الاشتراكية التى يدين بها الحزب

فحزب العمال البريطانى يستند فى قوته السياسية إلى عنصرين أحدهما : نقابات العمال التى تضم ملايين الناخبين من الأيدى العاملة ، وثانيهما نفر من المثقفين لا ينتمون فى محتدهم ونشأتهم إلى طبقة العمال ؛ وإنما اعتنقوا المبادئ الاشتراكية وانضموا إلى الحزب الذى يمثلها فى الحياة السياسية البريطانية ، وهؤلاء المثقفون يشكلون الدماغ المفكر للحزب . وهم يفهمون الاشتراكية كما وضع أساسها المفكرون الإنجليز ولا يعترفون بأن تعاليم ماركس ولينين وستالين التى تطبق فى روسيا اليوم هى السبيل الوحيد لتحقيق العدالة الاجتماعية فى بريطانيا ، وهذا لا يعنى أن الاشتراكية البريطانية خالية تماما من نظريات ماركس ؛ وإنما تحرص الرؤوس المفكرة وراء الحركة الاشتراكية فى بريطانيا أن تطبعها بطابع بريطانى فتتعمد أن تعزز نظرياتها بالبحوث الاقتصادية والاجتماعية والفلسفة السياسية التى سجلها المصلحون البريطانيون فى معالجاتهم لمساوئ الثورة الصناعية التى قلبت أوضاع المجتمع البريطانى فى القرن الثانى عشر

وينفرد « أورين بيفان » من بين أقطاب حزب العمال بأنه يجمع فى شخصيته مزيجا من كلا العنصرين . فقد وفر له عمله فى المناجم وتنظيم النقابات خبرة ثمينة وفهما صادقا لعقلية العامل البريطانى وحاجاته ومطالبه وحقوقه وواجباته . وكذلك استطاع المستر بيفان بفضل دراسته العميقة للاشتراكية البريطانية أن يجارى أقرانه من المثقفين من قادة حزب العمال الذين انضموا إلى الحزب برغم أن تربيتهم الجامعية التقليدية ونشأتهم فى أوساط مترفة محافظة كانت تؤهلهم إلى غير ما اختاروه من معتقدات اشتراكية ونشاط سياسى يعنى بمشاكل الطبقات الفقيرة التى كانت تفصلهم عنها ستائر كثيفة من الفوارق الاجتماعية والفكرية والمصالح الذاتية

والمشهور عن الأدب السياسى فى بريطانيا أنه شغوف بنشر البحوث القصيرة الوجيزة لمشكلة من مشاكل الساعة فى كتيب أو كراس أو مقال مدروس يظهر فى نوع خاص من المجلات البريطانية تحرص على أن تعالج السياسة ودقائقها معالجتها لفنون الأدب وألوان الثقافة العامة

والجدل الذى يدور هذه الأيام بين أنصار المستر بيفان ومعارضيه فى حزب العمال يتبع هذا التقليد البريطانى فى الأدب السياسى . فقد أصدر الطرفان فى الأشهر الأخيرة عددا من الكراريس والنشرات والمقالات تشرح وجهات نظرها على

أرفع ما يكون الأدب السياسي من نقاوة وعمق وتدقيق

فالمستر بيفان بجاله الخاص في مجلة «تريبون» التي تحررها زوجته، وكل مقال أو كتيب ينشره هـذا القطب السياسي يولد صدى أبعد وأوسع من العدد المحدود من مبيع المجلة أو الكتيب، امتد هذا الصدى في الآونة الأخيرة إلى درجة أزعجت المستر أتلي رئيس حزب العمال وزملاءه من أدمغة الحركة الاشتراكية البريطانية الذين اتخذ المستر بيفان سياستهم وآراءهم هدفا لنقده العنيف. ولم يجد المستر أتلي وجماعته بدا من أن يواجهوا تحدى المستر بيفان بنفس السلاح فتألفت من بينهم جماعة من الكتاب السياسيين أطلقت على نفسها اسم «الاتحاد الاشتراكى» واختارت البرفسور (آلان فلاندرز) أستاذ العلاقات الصناعية في جامعة أكسفورد رئيسا لها، وأخذت تكيل المستر بيفان الصاع بالصاع. فلما أصدر المستر بيفان كتابه الهام «بدلا من الخوف» (١) أصدرت الجماعة كتيبا بعنوان «مقالات فابيانية (اشتراكية) جديدة» (٢) ولما رد عليها بيفان بمقال بليغ في مجلة «تريبون» أسرعت الجماعة فأجابت بكراس عنوانه «الاشتراكية: بيان جديد عن مبادئها» (٣) وضع مقدمته المستر أتلي رئيس حزب العمال

وقد خلق هذا الحوار لونا من المتعة العقلية للذين يتابعون الأدب السياسي في بريطانيا – وهو لون من الأدب يحرص على بلاغة التعبير ومتانة الأسلوب وروعة الفن حرصه على عمق الدراسة وقوة المنطق وسلامة التفكير

والحوار بين قادة حزب العمال ورؤوسه المفكرة لا يقتصر على السياسة الداخلية للحزب وعلى علاقة بريطانيا الخارجية مع خصومها وحلفائها، وإنما يمس نواحي هامة من تيارات الفكر السياسي في حاضر الثقافة البريطانية؛ وهي ثقافة محافظة تمر الآن في مرحلة هامة تواجه فيها لونا من التطرف الفكري يعبر عنه المستر بيفان ومشايعوه في الرأي وهم جماعة لها وزنها في الحياة السياسية وفي أوساط الأدب والفن كذلك

كتاب
1) In place of fear
2) New fabian essays
3) Sociallsm a new statement of principles

فهذا الرجل وآراؤه عنوان للتطور الفكري في عقل ثوروي يحرص على تغيير الأوضاع على أسس اشتراكية بأن العنف والثورة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة الاجتماعية

والواقع أن الحركة الاشتراكية في بريطانيا كما يؤمن بها ويعمل على تطبيق مبادئها حزب العمال تختلف في هذه الناحية اختلافا جوهريا عن الحركات الاشتراكية الأوربية، وهي حتما تختلف عن اشتراكية السوفييت والدول الشيوعية الأخرى

وهذا الطابع السلمي للاشتراكية البريطانية هو الذي مكنها من أن تكسب ثقة خصومها المحافظين الذين دعوها إلى الاشتراك في الحكم إبان الحرب العالمية الأخيرة، وأن تستخلص منهم الحكم في سنوات ما بعد الحرب، وأن تشاطرهم السلطة التشريعية في البرلمان البريطاني حتى بعد أن أفلتت من يد العمال السلطة التنفيذية (الوزارة) إثر انتخابات العام المنصرم. وقد استطاع العمال الاشتراكيون في بريطانيا أن يحققوا هذا النصر المتتابع دون أن يلجأوا إلى إراقة نقطة واحدة من الدم أو أن يعصفوا بالحياة الدستورية أو يعبثوا بالكيان الاقتصادي بالإضرابات وما إليها من الوسائل التي لجأت إليها الحركات الانقلابية الأخرى اشتراكية أم شيوعية في أوربا الغربية الشرقية

واليوم يجد نفر من أصحاب الرأي المسموع في حزب العمال البريطاني برأسهم بيفان أن هـذه الثورة السلمية التي حقق بها الاشتراكيون في بريطانيا خلال السنوات التي سيطروا فيها على الحكم جزءاً من المبادئ التي وضعوها تأسيسا للعدالة الاجتماعية. ولكن هذه الثورة السلمية لم تمكنهم من أن يحققوا الجزء الأهم من هذه المبادئ. فكيف السبيل إذن لتحقيقها الآن وقد فقدوا السلطة التنفيذية بعد أن فاز تشرتشل وحزبه المحافظ بسدة الحكم؟

وأمعن المستر بيفان النظر في صلب هذه المبادئ فوجد أن أقرانه في قيادة حزب العمال عندما كان لهم الحكم قد تساهلوا في اتباع الخطوط الجوهرية لهذه المبادئ، فساوموا المحافظين على بعضها. فبدلا من أن يصروا على توجيه الجزء الأكبر من ميزانية الدولة لتنفيذ مشاريع الضمان الاجتماعي ورفع مستوى الطبقات

العاملة ومكافحة البطالة وإعادة التبادل التجارى مع روسيا والصين الشيوعية ، وعوضا عن أن يعمنوا و تأميم الصناعات والمنشآت الاقتصادية الكبرى ويقيدوا أرباح أصحاب الدخل الواسع ، وبدلا من أن يربطوا علاقاتهم مع مناطق النفوذ البريطانى على أساس سياسى واقتصادى جديد يضمن لبريطانيا صلات اقتصادية وأسواقا تجارية سليمة، بدلا من أن يعمل المستر أتلى وجماعته على تبعيد هذه الخطوط الجوهرية امتثلوا لضغط المحافظين ومن ورائه إغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى والاقتصادى فتأثرت من جراء ذلك مشاريع الضمان الاجتماعى وبقى مستوى الطبقات العاملة على حالته الكئيبة . ولم يحرص البريطانيون (عمالا ومحافظين) على صيانة تجارتهم الخارجية إزاء المنافسة الأمريكية والألمانية واليابانية ففقدت بريطانيا كثيرا من أسواقها التقليدية . وانتقد المستر بيفان تقاعد بريطانيا عن تعزيز صداقتها مع الصين الشيوعية لتحتفظ بالسوق الصينية الكبيرة كمصرف المنتجات البريطانية وإعادة التبادل التجارى بين بريطانيا ومنطقة النفوذ السوفيتى فى أوروبا الشرقية . ووجد المستر بيفان أن هذا التصور فى مصادقة الروس وحلفائهم ، وأن انسياق بريطانيا فى الامتثال لسياسة أمريكا العدائية لروسيا السوفيتية وما خلقه من سباق التسلح . كل هذا أثر فى وضعية بريطانيا الاقتصادية والسياسية فكانت النتيجة أن ناصرت بريطانيا الفرنسيين فى حروبهم الاستعمارية فى الهند الصينية وفى المغرب العربى ، وعجزت المصانع البريطانية عن أن تجد لمنتجاتها أسواقا فعمت البطالة فى مصانع النسيج فى لانكشير ، وعجزت المنشآت الصناعية البريطانية الأخرى عن تزويد زبائنها فى آسيا وإفريقيا وأوربا اللاتينية بما يحتاجون إليه من آلات ومعدات بعد أن استأثرت برامج التسلح البريطانى بالجزء الأكبر من الحديد والمواد الخام .

وبسبب هذا التطور فى وضعية بريطانيا الاقتصادية وبفضل امتثالها لإغراء أمريكا المادى وضغطها السياسى فشلت الاشتراكية البريطانية فى تنفيذ إصلاحاتها الاجتماعية وفشلت بريطانيا فى إنقاذ نفسها من شبح الإفلاس الاقتصادى والتدهور السياسى الذى أخذت تنحدر إليه فى الآونة الأخيرة .

ولم يكتف المستر بيفان بالنقد وإنما رسم لحزبه والمجتمع البريطانى الأكبر برامج جديدة للخروج من هذه الورطة؛ فأشار فى كتابه « بدلا من الخوف » أن لا انسياق مع أمريكا فى إصرارها وعزمها على القضاء على النظام الشيوعى فى روسيا والصين ؛ وتهيئة الحرب اللازمة المعركة الفاصلة

وبيفان لا يؤمن بالشيوعية السوفيتية ولا يرغب فى أن يجعل السياسة البريطانية مرتبطة بها . ولكنه مع ذلك يعتقد بأن فى العالم مجالا واسعا لجميع الأنظمة السياسية. فهو لا يرى بأسا من أن تعيش روسيا بنظامها الشيوعى المطلق فى نفس العالم الذى تعيش فيه أمريكا بنظامها الرأسمالى وبريطانيا بنظامها الاشتراكى وإسكندنافيا بحركاتها التعاونية . وهو يعتقد أن روسيا لا ترغب فى حرب جديدة ويستشهد على هذا بأن إنتاج روسيا من الحديد (ومقداره السنوى ٣٠ ألف طن) لا يشجعها على الدخول فى حرب مع أمريكا وحلفائها ومعدل إنتاجهم من الحديد والمواد اللازمة لجهاز الحرب يفوق الإنتاج الروسى بعدة أضعاف .

وينصح بيفان قومه بأنهم إذا استقلوا فى سياستهم الخارجية عن أمريكا وضمنوا عدم اعتداء الروس على المصالح البريطانية استطاعوا أن يتفادوا برامج التسلح ونفقاته الهائلة ، وأن يحولوا الإنتاج إلى صناعة سلمية تستعبد الأسواق التقليدية فى الشرق على شرط أن تتبع بريطانيا أسلوبا جديدا فى علاقاتها مع الشعوب التى لم يكتمل نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا . وهذا الأسلوب يستند إلى مبدإ المعونة الفنية لتستطيع هذه الشعوب أن ترفع مستوى المعيشة بين سكانها ، وبذلك تزداد حاجاتها من المنتجات الصناعية التى تصدرها بريطانيا ، وهذا أسلوب باشرت حكومة العمال تنفيذه عندما كانت فى الحكم فيما يعرف الآن بمشروع كولومبو الذى منحت فيه بريطانيا الدول الآسيوية المرتبطة بنظام الكومنولث بضعة ملايين من الدولارات لتنمية المرافق الاقتصادية وزيادة قوة الشراء والتعامل التجارى بين هذه الدول وبين بريطانيا .

ويكرر المستر بيفان فى كتابه الأخير هذه النداءات فى قوة وعنف ويتهم كبار رجال الصناعة وأصحاب المصالح الذاتية فى حزب المحافظين بأنهم العقبة الكبرى فى وجه هذه الإصلاحات التى يقترحها المستر بيفان . ولذلك فهو حاقد على أقرانه فى حزب

العمال أمثال المستر أتلى لتعاونهم مع المحافظين فى السياسة الخارجية.

وفى مقالات بيفان وكتاباته نوع من الثورة ضد هذه الطبقة الصناعية التى يعتقد بأنها توجه سياسة بريطانيا لتتمشى مع السياسة الأمريكية. فهو لذلك يدعو إلى وضع تشريعات قاسية تمصر أرباح هذه الطبقة وتنتزع عن طريق التأميم المنشآت الصناعية والمالية الهامة التى يملكونها

وهذه الثورة على طبقة الصناعيين هى من أبرز النقاط التى يحاولها خصوم بيفان فى الرأى من أقرانه الاشتراكيين. فى الكراس الأخير الذى أصدره الاتحاد الاشتراكى بعنوان «الاشتراكية: بيان جديد عن مبادئها» هجوم على دعوة المستر بيفان لنصر الطبقة المترفة. ويقول واضعو هذا البحث بأن مبادىء الاشتراكية البريطانية لا تؤمن بصراع الطبقات وإنما تستند إلى أسس أخلاقية تضع الحرية الفردية فوق المساواة الاقتصادية. ويشير الكراس كذلك إلى أن بريطانيا فى ظل وزارة العمال فى الحكم وفى البرلمان قد خطت خطوات هامة فى التسوية بين طبقات المجتمع عن طريق التشريعات التى وضعتها حكومة العمال فى مجال الضرائب على الدخل والتركات وفى سياسة التأميم التى نفذت حكومة العمال جزءا منها.

ويؤكد واضعو هذا الكراس بأن سياسة التأميم لا تعنى أن على الدولة أن تملك كل مصدر من مصادر النشاط الاقتصادى فى البلد؛ فالاشتراكية يجب أن لا تفسر على أنها سياسة تأميم فحسب، فقد أثبتت تجارب وزارة العدل بأن سياسة التأميم لا تحل بصورة أتوماتيكية المشاكل الاقتصادية والآفات الاجتماعية. فإذا استبدلت بصاحب المصنع الدولة كمالك لمنشأة اقتصادية فإن العامل فى هذه المنشأة سيظل يعتقد بأنه مهضوم الحقوق. ويجب أن لا يفهم العامل أن سياسة التأميم تجعله مالكا للمصنع الذى يعمل فيه وإلا تولدت فوضى اقتصادية واجتماعية لا يقوى على ضبطها إلا نظام إدارى قاس يعصف بالحرية الشخصية ويضع العامل والمجتمع فى ظل حكم ديكتاتورى لا ترضى عنه فلسفة الاشتراكية البريطانية ومفهومها للعدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية

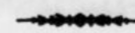
واستنادا إلى مثل هذا المنطق يبرر خصوم المستر بيفان فى الرأى تساهل حزب العمال فى سياسة التأميم وقبولها لبرامج التسلح وتحالفها مع الأمريكان فى السياسة الخارجية. فهم لا يوافقون المستر بيفان على أن روسيا السوفيتية راغبة فى السلم، وأن قصور إنتاجها من الحديد والمواد الخام عن اللحاق بإنتاج حلفاء الغرب رادع لها من الدخول فى المعركة الفاصلة. فقد دخل هتلر الحرب العالمية الأخيرة وكان إنتاج بلاده من مواد الاستعداد الحربى يقل عن إنتاج خصومه عدة مرات. ومع ذلك استطاع هتلر أن يبنى آلة حرب جبارة شغلت العالم بأسره عدة سنوات طوال

والطريف فى معركة «الكراريس» هذه أنها سجل لاتجاهين هامين فى التفكير السياسى المعاصر فى بريطانيا وفى كثير من بقاع العالم الأخرى؛ فقد رسخ فى عقلية المجتمع الإنسانى الأكبر أن كيانه الاقتصادى والسياسى والاجتماعى أصبح فى حاجة ماسة إلى أسس جديدة من العدالة الاجتماعية والمساواة فى الفرص الاقتصادية. والدعوة لهذا الإصلاح تجد صداها البعيد فى أوساط الاشتراكيين فى أوروبا الغربية وفى رجال «العهد الجديد» من أتباع الحزب الديمقراطى فى أمريكا؛ صدى يتجاوز الانفعال العاطفى ويتخذ البرامج الحزبية والسياسية العملية وسيلة لتنفيذ هذه الأسس الجديدة.

ففريق من هؤلاء الاشتراكيين لا يزال يؤمن بأن السياسة التطبيقية المبادئ الاشتراكية يجب أن تتقيد بحرفية النظريات حتى لو استلزم ذلك تقييد الحرية الخاصة لطبقة معينة من المجتمع لا تنوى لهذه المبادئ خيرا. والمستر بيفان أميل إلى هذا الفريق منه إلى الفريق الآخر الذى ينظر إلى الأمور نظرة واقعية فلا تعترف بأن أسباب الطمأنينة المادية للفرد كما تسعى لتحقيقها النظم الشيوعية المطلقة ستوفر لهذا الفرد سعادة فى المجتمع. فهناك عناصر أخرى فى السلوك الانسانى لا يمكن أن تصبح ضحية للطمأنينة المادية. من هذه العناصر حرية الفرد وما توفره

هلا قطعتم يد السارق ؟

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان



تحت هذا العنوان قالت السيدة سيزا نبراوى رئيسة الاتحاد النسائى فى مجلة المصور بتاريخ (٢٠/٦/١٩٥٢) تعليقا على فتوى الأزهر ومؤتمر الهيئات الإسلامية بشأن حقوق المرأة السياسية :

« لقد دخلنا هيئة الأمم المتحدة وتغيرت طرق الحياة ، وعلى شيوخنا أن يتطوروا ، فى تفسير القرآن فى الحياة ، وإلا فلماذا لانقطع يد السارق ، ولماذا لا يرجم الزانى والزانية ؟ لقد جعلنا قوانيننا » تعنى الوضعية « تتفق فى ذلك مع تطورات الزمن »

نحن لا نود أن نناقش اتهام هـذه السيدة الإسلام بالجمود وعدم صلاحيته لتطور الزمن ، كما تهدف إليها كلتها ، ولـكنا نود أن نناقش هـذه المعركة الهزيلة التى أشعل نيرانها الغوغاء الثرثارون من الفريقين ، والتى لانعرف لهـا ثمرا إلا الثرثرة فى غير جدوى ، ولا ندرك لها هدفا إلا تضييع الأوقات سدى وشغل الرأى العام عن مهـام الأمور ولاسيما قضية البلد التى أصابت الذروة من الفشل ، ونالت أعلى مراتب التهاون والإهمال.

إن الفريق الأول المؤيد لحقوق المرأة السياسية تتزعمه حركات نسائية هزيلة ، تلعب من ورائها أصابع الاستعمار الذى يهمه أن يظل الرأى العام مشغولا عن قضيته ، ووراء هذه الحركات الهزيلة بعض الأقلام المهينة التى من رسالتها أن تبرز فى غوغاء المعارك ، وضوضاء المناورات ، وصخب المهازل . والناظر إلى هذه الحركات فى مظهرها يعتقد أنها ستحقق للبلاد كل خير ، وتنهض بالوطن إلى القمـة ، وتدفع بالشعب إلى حيث يتربع فوق هامة المجد .

ولسنا ندرى ماذا نفعل بصـــوت المرأة فى الانتخاب إذا كان الرجل بعد لم يحسن إعطاء صوته ؟ وماذا نفعل بنيابة المرأة أو شياختها ، إذا كانت نيابة الرجل وشياخته بعد لم تنجحا تحت قبة البرلمان ، ولم تقدما ذرة من الخير لهذا البلد المنكوب ؟

إن عملية الانتخاب فى الريف لم تزل عملية آلية ، يتولى تحريـكها العصبيات وذوو البطاش وأصحاب السلطة من عمدة القرية إلى خفيرها . والفلاحون لا يفهمون من الأمر شيئا سوى أنهم يساقون يوم الانتخاب إلى الصناديق كما تساق المواشى إلى الحظائر . وأصحاب الحول والطول منهم لا يدفعهم إلى التأييد أو الخذلان سوى المنافع الشخصية ، أو الحزازات الأسرية . وإن عملية الانتخاب فى العاصمة لم تزل عملية تجارية يلعب خلالها السماسرة من رواد المقاهي وفتوات الأحياء دورا يشهد لهم بالبطولة ويقر لهم بالفروسية ؛ لأن الطبقة المثقفة فى العواصم تضن بأصواتها أن تكون وقوداً للضوضاء ودخانا للمهازل !

ثم ماذا فعل البرلمان لمصر وهى لم تزل ترسف فى قيود الذلة والاحتلال ؟ ثم ماذا فعلت أصوات الناخبين وصيحات المنتخبين ومصر لم تستطع بعد أن تسحق الاحتلال الجاثم فوق صدرها ، وتزهق روح النفوذ الأجنبي الذى يسير دفة سياستهـا ، ولا أن تظفر بالوحدة المؤكدة لشعب وادى النيل ، ولا أن تنهض بالشعب إلى المستوى الذى يليق بالآدمية فى دنيا الناس

ثم ماذا فعلت هذه الحركات النسائية ! هل استطاعت أن تعمم التعليم بين بنات جنسها ، وأن تشق جداول الثقافة لينهل منها الجميع على السواء ؟ ألا تدرى المتزعمات لهذه الحركات أن نسبة المتعلمات لم تزل تافهة لا يقام لها وزن ، وأن نسبة الجهل فى السواد الأعظم من بنات جنسهن لم تزل عالية إلى درجة الخجل

الديمقراطية الصحيحة له من ضمان وكرامة. وقد رد المستربيفان على أصحاب هذا الرأى فقال بأنهم يحملون الـكلمات أكثر مما تتحمل . فبعض حقائق الحياة القاسية تهزأ فى كثير من الحالات بهذه التعابير اللطيفة « كالطمأنينة المادية » و « الحرية الفردية » و « الديمقراطية الصحيحة » و « الـكرامة » وما شاكلها .

ولكن أليست صناعة الأدب تفرض تحميل الـكلام أكثر مما يتحمل ؟ والأدب السياسي أدب فوق أنه سياسة

نيويورك عمر حليق

فلتـهم هذه الحركات النسائية - إن كانت صادقة فى جهودها - فى تحقيق الوحدة والجلاء . ولتسهم بجانب هذا فى النهوض بالمرأة ثقافيا واجتماعيا وعلميا ، بحيث تشمل نهضتهـا المدن والقرى والكفور ، وليكن للمرأة بعدئذ ما أرادت من حقوقها السياسية والاجتماعية

أما الفريق الآخر : وهو الفريق الناهض للحركات النسائية فتتزعمه الهيئات الإسلامية الراكدة وبعض رجال الدين المحسوبين على الدين ظلما . والواقع أنه ليس لهؤلاء الناس أهداف حية رغبون فى تحقيقهـا حتى يملوا فهم يتصيدون المعارك الجدلية والميادين الفارغة ليثبتوا وجودهم . وهم يحاولون أن يجعلوا للاسلام سلطة فى توافه المسائل ولو ظل مسلوب السلطة فى مهام الأمور . ويؤولون فى كتاب الله تأويلا فاسدا يتفق وضآلة الحجة وتفاهة البرهان

ولسنا ندرى ماذا فعل هؤلاء الناس للاسلام حتى يخشوا الخروج عليه ، ويتصنموا الدفاع عنه ! إن الإسلام لم يزل غريبا فى مصر وفى كل بلد إسلامى ، وإن شعوبه لم تزل رازحة تحت نير الاستعمار دون أن تقوى على تحطيمه ، وإن قانون السماء لم يزل مبعدا لا ينظر إليه ، ولا يكترث لوجوده ، وإن شريعة الله لم تزل مضطهدة فى كل رقعة إسلامية لا يعترف بقدرها ، ولا يسأل عن كيانها

ولسنا ندرى ماذا يضير الإســلام أن يكون للمرأة صوت انتخابى ، وأن تدخل تحت قبة البرلمان وهو الذى أقر كتابه تلك المرأة التى تحكم حكما ديمقراطيا شوريا ، وصح لها أن تناقش الخليفة فى أمور الدنيا والدين ، والتى بايعت الرسول كما بايعه الرجل سواء بسواء ، وحاربت معه فى كل ميدان ، وشاطرت الرجل الجلوس فى بيوت الله

إذا كان هؤلاء الناس يخشون على الأخلاق أن تزاحم المرأة الرجل ، وأن تمهد للسفور والاختلاط بحقوق السياسة ، فالملاهى والمراقص والحانات ودور اللهو والعبث أصبحت مجالا فسيحا للمزاحمة والاختلاط والسفور

أليس من العار أن يتحدى الهيئات الإسلامية « شرذمة النساء » وتعقد من أجلها المؤتمرات ، ويبعثر المال فى النشرات ورقيات الاستنكار والاجتماع ؟ بل أليس من العار أن يتحدى هذه الشرذمة أيضا رجال الدين فيصدرون الفتوى تلو الفتوى كأن لهم مصنعا من الفتاوى يخرج المنشرات فى كل لحظة ؟

إننا نود أن نقول للفريقين رويدكم فإنكم تناضلون فى ميدان لا بركة فيه ولا خير يرجى من ورائه . إنكم توهمون أنفسكم بأنكم تناضلون فى سبيل الوطن والدين ؛ وتزعمون أنكم تجاهدون فى سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، ولو صدقتم فى نضالكم وجهادكم لحققتم أمانى الوطن وأعززتم الإسلام بتحقيق مطالبه . ولكن . . وما أمر ولكن على من ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

محمد عبد الله السمان

---

٥ - إندونيسيا
الحالة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الزراعة :

إندونيسيا أمة زراعية وما تزال الزراعة هي المصدر الرئيسي لثروتها

ويعتبر المطاط أهم حاصلات إندونيسيا، فهو يكون ٤١٫٨ ٪ من قيمة الصادرات ، وذلك بحسب إحصاء ١٩٥٠ حيث بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٤٦ ر ١ روبية

ويلي المطاط أهمية سكر القصب ، فإندونيسيا تمتاز بزراعة أنواع ممتازة من قصب السكر ، ولما أصبحت مصر دولة منتجة لسكر القصب استخدمت تلك الأنواع الممتازة في زراعتها مما عاد عليها بخير عميم

وأما جوز الهند فيزرع في جميع أنحاء إندونيسيا ولكن الجهات الشرقية منها تنتج أكثر الكميات ، وقد بلغت قيمة ما صدر من جوز الهند المجفف ١٩٥٠ ... ر ... ر ٢١١ روبية

وتجود زراعة الشاي فوق المرتفعات في جاوا وفي شمال سومطرا حيث يجفف الشاي ويعد للتصدير ، وفي ١٩٥٠ بلغت قيمة ما صدر منه ... ر ... ر ١٠١ روبية

والفلفل الأسود والأبيض من أهم حاصلات إندونيسيا وصادراتها وبلغت قيمة ماصدر منه ١٩٥٠ ... ر ... ر ٨٠ روبية

والطباق والبن وزيت النخيل من أهم الحاصلات والصادرات ، والأرز يزرع بوفرة وهو الغذاء الرئيسي للسكان . وتنمو الغابات وكثير من أشجارها يؤخذ منه الخشب النافع الصالح لصناعة الأثاث وغيره

وهناك حرفة أخرى متصلة بالزراعة اتصالا وثيقا وقد بدأت تحتل مكانا هاما في حياتها الاقتصادية وتلك هي تربية الماشية . ذلك أن الفلاح الإندونيسي كان يهتم بالزراعة كل الاهتمام، وكانت تربية الماشية بالنسبة له عملا إضافيا لازما للزراعة ، ولكن بعد عصر الاستقلال بدأت تربية الماشية واعتبارها موردا من موارد الثروة القومية تحتل مكانا هاما لدى حكومة الجمهورية فافتتحت في ١٩٤٧ أكاديمية خاصة للطب البيطري لإعداد أطباء بيطريين للاستعانة بهم في إرشاد الفلاحين وللعمل على تنمية إنتاج المواشي وترقية نوعها وزيادة عددها حتى تصل إلى المستوى الذي تكون فيه مصدرا من مصادر ثروة الشعب وموردا هاما من موارد رزقه

وأهم الحيوانات التي تربي في إندونيسيا البقر والجاموس والأغنام والخنازير والخيل

الري :

في البلاد الغزيرة الأمطار لا توجد ضرورة لاستخدام وسائل الري الصناعي ، فالنبات يستمد حاجته إلى الماء من المطر المتساقط

وإندونيسيا تتمتع بقسط كبير من المطر لأنها واقعة عند خط الاستواء ، ولكن يجب أن نذكر أن السنة في هذه المناطق تنقسم إلى فصلين : فصل تشتد فيه الحرارة ويغزر المطر وهذا يحدث عند تعامد الشمس على خط الاستواء في شهري مارس وسبتمبر ، وفصل تقل فيه الحرارة نوعا ويقل سقوط المطر ويحدث ذلك عند تعامد الشمس على مداري السرطان والجدي

ونظرا لقلة الأمطار في الفصل الأخير رؤى أنه لا بد من تنظيم وسائل الري حتى يتوفر الإنتاج ، فمثلا الأرز يعتبر الغذاء الرئيسي للسكان ، والأرز يحتاج إلى الماء الوفير لكي يجود . من هنا عنيت إندونيسيا منذ قديم الزمان بوسائل الري . ولكنها الآن وقد تزايد عدد سكانها وزاد تبعا لذلك استهلاكها أصبحت مضطرة إلى العناية بوسائل الري حتى تضمن الغذاء لشعبها

وقد كانت حكومة إندونيسيا في عهد الاستعمار تعني بوسائل الري وذلك بسبب النظام الزراعي الإجباري الذي سارت عليه الحكومة الهولندية ، فقد كانت الحكومة تجبر السكان على زراعة أنواع مخصوصة من الغلال وفي مناطق خاصة ، وكان بعض أنواعها مثل قصب السكر والإنديجو لا يجود إلا إذا زرع

فى أرض تروى ريا كافيا . كل هذا دفع الحكومة الاستعمارية إلى العناية بوسائل الرى

وقد أقامت تلك الحكومة السدود والخزانات لحفظ المياه واستخدامها وقت الحاجة . وإلى ١٩٣٥ تم بناء خزانات كبيرة مثل خزانات بيجتان وباتشال وغيرها

ولم تكن حكومة الجمهورية الإندونيسية أقل اهتماما بالرى من الحكومة السابقة ، فقد وضعت نصب عينيها تنمية الانتاج حتى يتوفر لسكان الغذاء وحتى يمتنع حدوث المجاعات التى كانت البلاد تتعرض لها قبل الاستقلال

وقد وضعت الجمهورية الإندونيسية خططا لتجفيف مناطق المستنقعات فى بورنير وغيرها لتوفير الرخاء لشعبها

التعدين

يحتل البترول مركزا هاما فى الاقتصاد الاندونيسى ويستخرج من جاوة وسومطرا وبورنيو وإريان . وفى ١٩٥٠ بلغت الكمية التى صدرت ٥٫٩٩٤٫٤٩٧ طنا وبلغت قيمتها ٥٣٨٫٦٠٠٫٠٠٠ روبية

وتنتج إندونيسيا مقادير وفيرة من القصدير وهى من أهم دول العالم إنتاجا، وفى ١٩٥٠ صدرت ٤٤٫٣٠٨ طنا بلغت قيمتها ١٨٥٫٢٠٠٫٠٠٠ روبية

وإندونيسيا غنية بالفحم والذهب والفضة والملح

الصناعة

تعتبر الصناعة أمرا ناشئاً فى إندونيسيا ، ذلك أن الحكومة الاستعمارية كان يهمها أن تبقى إندونيسيا أمة زراعية تنتج لها ما تحتاجه من مواد أولية وتكون سوقا لتصريف مصنوعاتها، ولكن الحكومة الجمهورية عملت على النهوض بالصناعة ، فقامت صناعة النسيج وصنع الآلات الحديدية وبناء السفن وصياغة المعادن النفيسة وعمل السكر وعمل الإطارات وصنع الأكياس وصناعة الأسمنت والأسمدة الخ

ولما كانت خبرة الإندونيسيين بالصناعة بسيطة فقد سارعوا بإرسال بعثات إلى أوربا وأمريكا الأمر الذى يساعدهم على النهوض بالصناعة فى بلادهم . وإندونيسيا غنية بالمواد الخام وبالأيدى العاملة، ومن ثم فالمرجو أن تزدهر الصناعة فيها ، ونرجو أن نراها فى القريب أمة صناعية ناهضة

التجارة

نشطت تجارة إندونيسيا نشاطاً كبيرا منذ أن استقر وضعها السياسى ١٩٤٩ . ومعظم الصادرات حاصلات زراعية ومعدنية، ومعظم الواردات آلات ومواد صناعية .

ويحاول الإندونيسيون جاهدين أن يعملوا على موازنة ميزانهم التجارى ، بحيث تكون قيمة الصادرات أعلى من قيمة الواردات ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد ١٩٥٠

السياسة الاقتصادية

ترمى الحكومة الإندونيسية إلى رفع مستوى المعيشة للشعب على أساس تنمية قوتها الاقتصادية ، ويتحقق ذلك بالعمل على رفع شأن الزراعة وتحسين أحوال المزارعين والنهوض بالصناعة والتجارة وتحسين أحوال العمال وتأمين حياتهم

وجدير بى أن أذكر أن إندونيسيا قد واجهت وما تزال تواجه عدة متاعب اقتصادية أهمها : عدم وفرة المواد الغذائية فى بعض أنحائها وتأخر الصناعة بها ونقص قوتها الكهربية واضطراب الأمن وعدم استقرار العدل فى بعض جهاتها و كثرة النقود المتداولة وسوء طرق المواصلات بها

ولكن على رغم كثرة هذه المتاعب فإننا نرجو لهذه الجمهورية الناشئة مستقبلا زاهرا ، ويؤيدنا فيما نذهب إليه عظم ثروة هذه الدولة وكثرة عدد سكانها وحرص زعمائها وشعبها على أن يرفعوا من شأنها . فحيثما سرت وجدت شعبا ناهضا : مدارس تفتح ويسرع الطلاب إلى أبوابها لتلقى العلم على اختلاف أنواعه ، ومصانع تقام، ومستشفيات تنشأ، وسعى دائب لتحقيق خير الوطن وزيادة إنتاجه ورفع مستوى شعبه، وعمل مستمر على تحسين علاقاتهم واتصالهم بإخوانهم فى العالم الإسلامى ! أليس كل ذلك دليلا على نهضة حقيقية تبنى على أساس من العلم والأخلاق والدين..

ولذلك لو سألت حاجا مصريا : من كان أكثر حجاج الأمم الإسلامية عدداً ؟ لأجابك على الفور : الجاويين (الإندونيسيين)

وإنى بهذا أختتم هذا البحث داعيا الله أن يحقق لإندونيسيا مستقبلا زاهرا لتعيش أمة حرة وسط عالم حر

أبو الفتوح عطيفة

دماء الشهداء :

عروس الجنة *

للأستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

« فى تاريخنا الزاهر دماء زكية خالدة خطت آية المجد الكبرى ورسمت حدود عالم إسلامى واسع » ع

جلس «أبو عامر بن صيفى» ومن حوله فئة من شباب «الأوس» قد ملأت أكبادهم ، وقست قلوبهم ، ورسمت المعارك التى خاضوها مع أعدائهم آثارها فى وجوههم الكالحة المربدة . جلسوا مطرقين يسودهم صمت ثائر قلق ... وكانت عيونهم ترمق زعيمهم « أبا عامر » بنظرات ملؤها الإكبار والإجلال ، ولكنهم لفرط مهابتهم له ، وخضوعهم لسطوته ، لم يجدوا من أنفسهم الجرأة فى النظر إليه ، والتبسط فى الحديث معه ، بيد أنهم يعلمون أن من واجبهم أن تكون أيديهم دائماً على مقابض سيوفهم ، ليسلوها من أغمادها إذا ما بدرت من زعيمهم أى إشارة لهم

وكانت المدينة — إذ ذاك — تضج بالتكبير ، ويتعالى فى جنباتها هتاف يشق عنان السماء من هذه المواكب الفرحة التى زحفت إلى ظاهر المدينة وتسلقت أعالى النخيل، ترمق الأفق البعيد وترنو إلى قافلة النور والإيمان ... التى خرجت من مكة مهاجرة فى سبيل الله

وتناهت إلى أسماع أبى عامر وأتباعه فى مجلسهم ذاك ، أصوات ناعمة رقيقة كأنها تسبيح الملائكة فى الملأ الأعلى ... فوقف « أبو عامر » يستطلع نبأ هذه الأصوات ووقف من حوله فتيانه ينظرون ، فرأوا صبايا يثرب بأيديهم الدفوف يسرن فى موكب حافل جذلات فرحات ... وهن يرتلن نشيدهن الساحر :

طلع البـــدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعا لله داع
أيهـا المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وجلس أبو عامر وقد زادته هذه المواكب الطربة حنقاً وحقداً، ونظر إلى أتباعه وفى صدره مرجل يغلى ، ونار تشتعل ... وقال : « لقد جاء محمد إذاً ! » وصمت قليلا شأن من يفكر فى أمر خطير ثم قال : « واللات والعزى لن نتركه يجد فى يثرب الراحة والاستقرار ... » وأمن أتباعه على كلامه ، وسلوا سيوفهم ورفعوها فى الهواء ، إيذاناً بإعلان الحرب على محمد ... وانفرط عقدهم ، وانصرفوا إلى بيوتهم ... وقد بيتوا أمراً

— ٢ —

دخل « حنظلة بن أبى عامر » وكان شاباً ريق الشباب ، طرى العود ، غض الإهاب، فألفى أباه غارقاً فى تأمله ، يصعد بين فترة وأخرى زفرات حرى تنم عما يعتلج فى قلب صاحبها من هم وكمد ... وكانت أساريره تفضح ما فى نفسه من حقد وثورة ... فوقف حنظلة غير بعيد منه وألقى عليه تحية المساء ، فلم يشعر به ولم يلتفت إليه..ثم ضرب بقبضته على فخذه وصاح كالمحموم : « كلا ! كلا ! لن تكون أرض يثرب لمحمد موطئاً سهلا !! » ورفع رأسه فرأى ابنه حنظلة واقفاً ، فنظر إليه نظرات صارمة كأنها جمرات الجحيم ثم قال : —

— أهذا أنت يا حنظلة ! أين كنت وقد انفض السامر وغاب القمر !

— كنت فى دار أبى أيوب الأنصارى أستقبل محمداً وأحييه. لطالما تاقت نفسى إليه، وحنت روحى إلى لقائه.. كنت قبل أن أراه كسالك البيداء ... تحرقه شمسها ، ويلفحه غبارها، ويغمره ظلامها ، وتميه رمالها ... فلما أبصرته رأيت النور الإلهى بشراً سوياً ؛ تحف به ملائكة الله ، وترعاه عناية السماء .. وحين مددت يدى إليه وصافحته — روحى فداء له — ذهلت من نفسى ، ورأيتنى طائراً رفرف بجناحيه فى رياض الخلد ..

* قدمت لقراء الرسالة الغراء منذ عامين سلفا طاقة صغيرة عطرة من دماء هؤلاء الشهداء الأبرار.. ثم جاءت بعض متاعب الحياة تجف القلم فى يدى ويبقى الأمل فى قلبى .. الأمل فى أن أبعث هذه الدماء حية تنبض بالقوة .. وتفعم بالإيمان ... فلما انجلت الغمرة وانكشفت الغمة — عدت فألقيت بقلبى وقلمى فى فردوس هؤلاء الشهداء . يعيشان معهم ويسمعان منهم ويتحدثان عنهم .

فأوىت إلى ظل محمد .. ونسيت متاعب الصحراء

سمع أبو عامر كلام ابنه ؛ فقـام كمن يتخبطه الشيطان من المس ثم قال :

— ويل لك يا حنظلة ! أو قد صبأت ! أ كفرت بآلهتنا ؟ هل سحرك محمد فنسيتني وعصبيتي ؟ كيف ألقى بعد اليوم فتيان الأوس وقد جللني العار ؟ !

— لقد آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، منذ بعثه الله وكفرت بهذه الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني من الحق شيئاً ... لقد طهرتني رسالة السماء من الجاهلية .. وأخرجني محمد من الظلمات إلى النور ... وسكب في روحي إيمانا يشع بالخير والنقاء .. وعلمني أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. وأن المسلم في الدنيا خليفة الله في الأرض .. ينشر رسالته ويعلي كلمته ... وأنا أدعوك يا أبت إلى نبذ عبـادة الأصنام ، والإيمـان بالله الواحد القهار .. بارئنا وقيوم السماء والأرض .. وسكت أبو عامر قليلا ثم اصطكت أسنانه ، وتلاحقت زفراته وقال :

— ماذا أرى ! ماذا أسمع ؟ رحماك أيتها الآلهة ! اغرب عن وجهي يا حنظلة .. فلا أراك بعد اليوم ، وليس لي منـذ الساعة بيثرب مقام

ثم لبس رداءه ، وحمل سيفه ، وامتطى راحلته ، وصفق الباب وراءه صفقة عنيفة وانطلق (١)

— ٣ —

ومرت سنتان ونيف .. حتى كانت تلك الليلة التي استوى فيها القمر بدرا ، وملأ الكون نورا .. وقد انصرف حنظلة من المسجد فرحا يرقص قلبه طربا ، وبعد أن بارك رسول الله زواجه بفتاة من الأنصار .. سـار في أزقة المدينة ، يحيط به أترابه من الفتيان والبشر يملأ وجوههم ؛ والسعادة ترفرف عليهم .. ساروا يزفون حنظلة إلى فتاته في عرس لم تشهد المدينة له مثيلا .. فكان الفتيان يهتفون ، والنساء يزغردن ، وحلت الفرحة في كل بيت .. لأن حنظلة حبيب إلى كل قلب ، لما حباه الله من رقة في الشمائل ، وكرم في المعشر ، ونبل في الخلق .. وإذا كانت الأصـنام قد حرمته في مثل هذا اليوم حنان الأب وفرحته ، فقد حبـاه الإسلام حنان كل أب في المدينة ، وعطف كل أخ .. فلا عليه أن يهنأ ويسعد وقد غدا الإسلام له أبا وأما

زف حنظلة إلى عروسه ، وكانت فتاة صنعتها رسالة محمد ، فأقبلت عليه تتعثر في أثوابها ، نخف إليها يستقبلها ، فافتر ثغرها الحلو عن ابتسامة عذبة أسرت قلبه ، وملكت عليه لبه ؛ لأنها ابتسامتها الأولى لرجل .. فما عرفتها المدينة إلا فتاة عفة نقية ، كالزنبقة المغلقة تنشر الشذى من خلف أوراقها البيض الندية

ونام حنظلة ليلته تلك هانئا ناعم البـال .. ورأى نفسه مع بعض إخوانه في روضة جميلة ضاحكة .. موشاة بالزهر ، مضمخة بالعطر ، تجري من تحتها الأنهار .. وتخطر في ورودها الحسان ، وهن يوقعن أعذب الألحـان .. وأفاق من غفوته وقص على عروسه حلمه الجميـل ، فابتسمت له وقالت : سيتحقق حلمك ياحبيبي .. وكادت يده تلامس يدها حين سمع منادي رسول الله ينادي بالخروج إلى العدو في أحد ؛ فنظر إليها ونظرت إليه ، ثم وضع ثيابه عليه وحمل سيفه وودعها .. فانحدرت من مقلتيها دمعتان .. ولم تفارقها ابتسامتها

— ٤ —

خرج من صفوف المشركين فارس على جواد مطهم ، وبيده سيف ثقيل يهزه هزات عنيفة ، وينادي بصوت جهير .. كأنما يريد أن يجتاز به السهوب ، ويزلزل القلوب .. ليصل إلى يثرب .. بلدته التي فارقها منذ أمد بعيد ، بعد أن قطع على نفسه عهدا أشهد عليه اللات والعزى ، ألا يترك محمداً يجد في يثرب الراحة والاستقرار

نادى في المعركة : « يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر » فإذا بأصـوات المؤمنين القوية المرعدة تصك مسمعه بقوة وعنف : « لا مرحبا بك » وسمع حنظلة صوت أبيه .. ذلك المشرك الذي يحارب الله ورسوله ، ويكيد للاسـلام ، فلم يسمعه صوت أب وإنما سمعه صوت مشرك يتحدى المسلمين ، فأخذته عزة الإسلام فذهب يستأذن رسول الله في قتل أبيه فنهاه رسول الله عن ذلك .. فرجع كئيبا ينتظر

ولما انكشف المشركون رأى حنظلة أبا سـفيان قائد جيش

---

(١) خرج من المدينة ومعه خمسة عشر رجلا من الأوس ولحق بمكة

أبو هلال العسكرى

بين البلاغة والنقد

للأستاذ عبد العزيز قلقيلة

تقدمت بهذه الدراسة إلى أستاذى الفاضل الدكتور إبراهيم بك سلامة أستاذ البلاغة والنقد الأدبى بكلية دار العلوم عام ١٩٤٩ فظفرت منه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

وأنا أهديها إليه على صفحات الرسالة الغراء ، تحية تقدير ووفاء وتهنئة بظهور كتابه الجديد الخصب «تيارات أدبية بين الشرق والغرب»

ع . ق

تمهيد :

هذا بحث تكلمت فيه عن أبى هلال — فى كتابه «الصناعتين» بين النقد والبلاغة ، وكان مما وجهنى إليه وحفزنى إلى الكتابة فيه ، أنى قرأت كتاب الدكتور محمد مندور (النقد المنهجى عند العرب) . فهالنى بل روعنى أن يكون فى القرن الرابع الهجرى — وهو ألمع القرون وأحفلها بجلائل الأعمال فى جميع أنواع المعرفة عند العرب — رجل بتلك الصفات وهذه النعوت التى أضافها إليه الدكتور ، وقلت : ألا يمكن أن يكون فى العرض من جانب الدكتور لأبى هلال ظلم للرجل وتحامل عليه ؟ وعلى فرض أنه بهذا الفساد وذلك الانحراف ، ألا يمكن الاعتذار عنه !

وكان أن عولت على لقاء أبى هلال فى كتابه والاستماع إليه ثم التحدث عنه بما يثبت حكم الدكتور أو ينقضه كيما أذهب من نفسى قلقها وأردها إلى شىء من الاطمئنان

وسيستبين القارئ منهجى فى البحث : أما إجماله فهو أنى قد جمانه ثلاث مراحل : الأولى : — تمهيد للقاء أبى هلال ، وذلك أنى أحببت أو رأيت أنه لا ينبغى لمن يتصدى للقاء العظماء أن يكون جاهلا بطبيعة عملهم ونواحى العبقرية والنبوغ عند غيرهم فى هذا العمل . فكان هذا الإلمام السريع من جانبى بنشأة البلاغة والنقد وتطورهما إلى عهده . ومنه وقفت على تشابه نشأتيهما بل على وحدة الظروف التى خلقتهما ؛ وإذاً فليس من الغريب أن يلتقيا فى تطورهما أكثر من مرة على أيدى رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف فى الميل إلى أحدهما أو زيادة فى الاهتمام به . والمرحلة الثانية : هى الاختلاف إلى أبى هلال والتردد عليه ، بل مصاحبته مصاحبة شديدة فى أبواب الكتاب العشرة وفصوله الثلاثة والخمسين أستمع إليه فأفهم عنه وأعنون له . ولم أنس أنى إنما سعيت إلى لقائه لأحق حقا أو لأبطل باطلا . فلم يغب عنى وأنا فى حضرته ما قاله : صاحب (النقد المنهجى) فيه . وكثيراً ما قررت كلام صاحبى أو ترجمته موضحا عبارته ، مستخلصا فكرته ، واضعا إياها فى ميزان النقد العام فإذا بها تثقل وترجح ، بينما ميزان الدكتور قد شال بها وخف

لهذا بعد أن فرغت من لقاء أبى هلال وودعته قمت بعملية تجميع للتهم التى وجهها إليه الدكتور مندور وناقشتها واحدة واحدة وتلك كانت المرحلة الثالثة

وكانت الخاتمة ، فتنبهت إلى أن أبا هلال وإن كان قد تكلم

المشركين .. يسير مزهوا يميل برأسه تيها وكبرا . فانقض عليه وضرب بسيفه قوائم فرسه فوقع على الأرض يصيح ، وحنظلة يريد ذبحه ، ولم يكد يرفع السيف ليهوى به على هامة أبى سفيان، حتى أدركه (الأسود بن شعوب) فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ولكنه وثب كالأسد ومشى فى الرمح وقد أثبته ، فعاجله الأسود بضربة ثانية فخر صريعا

وقبل أن يغمض عينيه .. تذكر عروسه وهى تبتسم له وتقول : سيتحقق حلمك ياحبيبى . . ورآها وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان ... ولم تفارقها ابتسامتها .. ورأى رسول الله يقبل نحوه ... فتملق بالحياة وهم أن ينهض لاستقبال رسول الله ولكنه وقع على الأرض ... وقبل أن تفيض روحه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأترابه ... بصوت تقطعه الحسرات ..

« إن صاحبكم هذا تغسله الملائكة »

جبلة — سوريا **عمر عودة الخطيب**

فى البلاغة والنقد وجمعهما بل ومزجهما فى كتاب فليس هو بدعا فى هذا، لأنى تاريخ النقد العربى ولا فى تاريخ النقد العام

البلاغة والنقد ووظيفتهما

البلاغة بمعنى الكلام البليغ هى الأدب، وهى بهذا الاعتبار مادة البحث وموضوعه للبلاغة الاصطلاحية والنقد الأدبى. ولن أتعرض لها هنا من هذه الناحية، كما لن يكون من همى أن أتتبع تلك التعريفات التى أوردها أبو هلال فى صدر كتابه وعلق عليها شارحا موضحا. بل يعنينى من البلاغة ما كان يفهم قديما، وما يفهم الآن من كلمة (البلاغة). أعنى هذه القواعد وتلك التقاسيم التى كونت هذا الثالوث الضخم (المعانى والبيان والبديع). ووظيفتها: — أنها ترشدنا إلى أحسن الوسائل التى تجعل كلامنا ممتعا نافعا مؤثرا

أما النقد الأدبى فهو: «من دراسة النصوص وتمييز الأساليب» (١). ووظيفته «تقويم العمل الأدبى، وتحديد مكانه فى خط سير الأدب» (٢) فكل منهما يدور حول تحقيق الصدق والقوة والجمال فى الإنتاج الأدبى

«نشأة البلاغة وتطورها الى عهد أبى هلال

من حسن فهم أبى هلال لطبيعة الأشياء هذا النص الذى نقله عن مجموعة التحفة البهية الدكتور زكى مبارك: «البلاغة ليست مقصورة على أمة دون أمة، ولا على ملك دون سوقة، ولا على لسان دون لسان. بل هى مقسومة على أكثر الألسنة. فهى موجودة فى كلام اليونان وكلام الفرس وكلام الهند وغيرهم. ولكنها فى العرب أكثر لكثرة تصرفها فى النثر والنظم والخطب والكتب وهم أيضا متفاوتون فيها. فقد يكون العبد بليغا ولا يكون سيده، وتكون الأمة بليغة ولا تكون ربتها. فالبلاغة قد تكون فى أعراب البادية دون ملوكها وقد يحسنها الصبى والمرأة» (٣)

والبلاغة التى يقصدها أبو هلال فى هذا النص هى (الملكة) أى القدرة على تأليف الكلام البليغ. وهى قديمة جدا قدم الأدب. بل ليست هذه الآداب إلا آثارها ودلائل وجودها. ولقد وجدت الآداب منذ وجدت الجماعة. وكان لهذه الجماعة تحضر وتمدن وعقيدة

أما الاتجاه إلى دراسة هذه الآداب بقصد نقدها واستنباط قواعد البلاغة منها فهذا ما تأخر ظهوره واختلفت مظاهره عند كل أمة وفى كل أدب حسب الظروف والملابسات

أما عند العرب فقد نزل القرآن بلغتهم الأدبية وفيه كثير من الأنواع البلاغية؛ لكنهم ما كانوا يحتاجون فى فهمه وتذوقه إلى علم أو معلم لأنهم بلغاء بالطبع

لكن الدين قد انتشر ودخل فيه خلق كثير من غير العرب بدأوا يقرأون القرآن فيلقاهم منه من الكلمات والآيات ما يعجزهم فهمه ويعز عليهم تأويله. ولهذا رأينا منهم من يسعى إلى بعض علماء العربية (أبى عبيدة سنة ٢٠٦ هـ) يسأله فى معنى قول الله «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» (٤) فيجيبه بما هو من صميم العربية ومألوف استعمالها

«هذا نظير قول امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولكن هذا العالم الجليل لايدع الموضوع يمر دون التفات منه لحاجة الناس إلى بيان فيه فيؤلف كتابه (مجاز القرآن)

وتكون هناك محاولات وابتداءات تظهر فى شكل رسائل أو مقالات، وتنشط هذه الحركة وتنمو، ويزداد سلطان المعتزلة، ويترجم منطق أرسطو فيتصلون به وبالفلسفة اليونانية؛ ويعجب الفرس وغيرهم بهؤلاء المتكلمين الذين يحكمون العقل والمنطق فى جدلهم وحوارهم فينحازون لهم وينضمون إليهم

وتروج هذه الثقافة وتذيع فتزدهر البلاغة وتنمو

حتى إذا جاء القرن الثالث، عرف بجمع المادة الأدبية وعرضها فى أبواب تنقصها الطريقة العلمية ولكنها موصلة إليها فهذا «الجاحظ» (٢٥٥) يبتدئ به البيان ويكتب فيه ويجمع له مادة غزيرة، متعقبا بعضها أحيانا بنقد يعتبر أساسا للبلاغة وللنقد المنظم فهو يتحدث عن الفصيح وعن الفصاحة، ويفرق بين الفصاحة بمعنى البيان، وبين البلاغة بمعنى الوصول

(١) فى الميزان الجديد — مندور ص ١٣٢

(٢) النقد الأدبى — السيد قطب ص ٥

(٣) النثر الفنى ج ٢ ص ١٠٠ المرحوم زكى مبارك

(٤) الأدب العربى وتاريخه ج ٢ ص ١٨٧ المرحوم محمود مصطفى

إلى الغرض ؛ ثم يعرض لتعريفات عدة فى البلاغة عند العرب ، وعند غيرهم ممن لهم بالعرب اتصال جغرافى أو ثقافى

ويعمل جهده فى التدليل على أصالة البيان العربى وأنه للعرب خاصة ، ويتكلم فى الأسجاع ما يحسن وقعه منها وما يسوء مع التمثيل لهذا وذاك ، ويطوف فى بيانه وتبيانه على الشئ الكثير من الأنواع البلاغية ، وقد يؤرخ لها ويقارن بينها ضاربا الأمثال من القرآن والسنة والشعر القديم والشعر الحديث . ثم هو بعد صاحب المذهب الكلامى

ويحق ما قيل من أنه أول باحث فى البلاغة ، ولكن أبحاثه لم تكن مبوبة مرتبة ، وإنما هى معلومات عابرة فتحت مغاليق هذا العلم

وبموت الجاحظ حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى كانت البلاغة قد استقرت عند أوليات الأمور التى تبحث فيها وتقنن لها ، وقد لخصها الدكتور طه حسين باشا أو عنون لها بالأمور الآتية :

١) الكلام على صحة مخارج الحروف ، ثم على العيوب التى سببها اللسان أو الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه

٢) الكلام على سلامة اللغة ، والصلة بين الألفاظ بعضها وبعض ، والعيوب الناشئة عن تنافر الحروف

٣) الكلام على الجملة والعلاقة بين اللفظ والمعنى ، ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب ، والملاءمة بين الخطبة والسامعين لها ، والملاءمة بين الخطبة وموضوعها

٤) الكلام على الخطيب(٥)

أما النصف الثانى من القرن الثالث فقد ظهر فيه علمان من أعلام البلاغة ، ترك كل منهما فيها من الآثار ما جعلها تنقسم إلى قسمين أو تسير فى اتجاهين : أحدهما عربى صرف أو هو أقرب أن يكون عربيا صرفا ، والثانى منطقى صرف أو هو أقرب أن يكون منطقيا صرفا :

فأما أولهما : فهو عبدالله بن المعتز (٢٩٦هـ) فهم ما قاله الجاحظ واهتدى بطريقته وجمع من فكرته مع زيادة عليها ما ألفه وسماه (البديع) وجعل منها خمسة أنواع أصيلة عند العرب القدماء

٥) مقدمة نقد النثر ص ٧ ، ٨

وليست مبتكرة ، يرد بذلك على المحدثين الذين ادعوا اختراعها والسبق إليها وهى :

الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى

وتطغى هذه الأنواع على غيرها فى كتابه ، لأنه يبدأ بذكر الخاصية ثم يورد أمثلة لها من القرآن والحديث والشعر ، ويعقب على هذا بذكر ما عيب من استعمالها

ثم بعد ذلك يذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، وهى كثيرة يجتزئ منها بالآتى : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، الخروج من معنى إلى معنى ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، هزل يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الإفراط فى الصفة ، حسن التشبيه ، إعنات الشاعر نفسه بالقوافى ، حسن الابتداءات

والناظر فى موضوعات كتاب (البديع) يرى أن علوم البلاغة : (المعانى والبيان والبديع) لم تنفصل بعضها عن بعض ، ولم توضع لها حدود تميزها . فإن المؤلف ساق أبواب البيان الثلاثة وهى الاستعارة والكناية والتشبيه مساق الأنواع البديعية فى كتابه

وأما ثانيهما : فهو قدامة بن جعفر (٢٧٥ — ٣٣٧) ، كان نصرانيا ثم أسلم ، درس الفلسفة والمنطق ، وألف كتابا سماه (نقد الشعر) . يقول أستاذنا الكبير طه حسين باشا : « إن هذا الكتاب قد استغله كل مؤلف جاء بعده ، وعندما نقرأه نحس من أول فصل أننا بإزاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل » (٦)

وقد ألم قدامة فى كتابه بعشرين نوعا من أنواع البديع ، توارد مع ابن المعتز فى سبعة منها وانفرد بثلاثة عشر

ونلاحظ هنا ما لاحظناه سابقا ، وهو أن العلوم الثلاثة لا زالت مختلطة

وهنا نجد أنفسنا بصدد أبى هلال العسكرى وكتابه (الصناعتين)

فلنعد الآن من حيث أتينا ، ولنسر هذا الشوط مرة أخرى كيما نؤرخ للنقد

٦) مقدمة نقد النثر ص ١٦

يتبع

عبد العزيز قلقيلة

نظرات خاطفة

شاعر السودان*

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

وهذا شاعر آخر من السودان ، القطر الذى فتنت بنيل كرم أهله ، وسمو أخلاقهم ، وعروبتهم الأصيلة ، القطر العربى الإفريقى المصرى الذى ظلت قيود الاستعمار البغيض تمض ساقيه سنوات طوالا ، وسوطه يلهب الظهور ، ويدمى الرقاب ، وهو ثابت كالطود الأشم يكافح ويناضل فى سبيل استقلاله وحريته ، والمحافظة على لغته الأصيلة ، لغة القرآن الكريم ، دون أن يلين أو يستكين ، وبين حين وآخر يلتفت نحو منبع النور والثقافة والحرية ليهتف على لسان شبابه المتوثب :

أملى فى الزمان مصر فحيا الله مستودع الثقافة مصرا
نصر الله وجهها فهى ما تزداد إلا بعداً على وعسرا
إنما مصر والشقيق الأخ السودان كانا لخافق النيل صدرا
لا رغبنا عنها ولكن دهراً ناوأتنا صروفه كان دهرا(١)

فى هذا القطر المترامى الأطراف والجوانب ، الشاسع الحدود ، الذى يعيش فيه أهلوه وأكثر شبابه غرباء ، غرباء الروح والفكر ، يظهر بين فترة وأخرى فنان يعيش لأجل فنه يرى بعينه آلام شعبه ، فيحرق نفسه بخورا لينير لهم السبل القويمة لعله يوصلهم إلى محجة الخير والسعادة والكمال ، ومن هؤلاء الأفذاذ الذين أنجبتهم هذه الأمة الكريمة العربية المحتد والأصل شاعر عربى النزعة مصرى الهوى بدوى النفس لشعره جميع الخصائص والميزات التى يتصف بها الشعر « الكلاسيكى » الأصيل ، من جزالة فى الأسلوب ، وإشراق فى الديباجة ، وجمال فى المبنى والمعنى ، وهو الأستاذ محمد سعيد العباسى

* أشكر الأخوين الكريمين الأستاذ الفاتح على مختار وعبد الفتاح الحاج على صالح العبادى على إهدائهما « ديوان العباسى » الى

١) من شعر المرحوم التيجانى يوسف بشير الصفحة (٨٦) من ديوانه — اشراقه —

ترجمة حياته :

كتب الشاعر تاريخه بقلمه فقال : (٢)

« أنا محمد سعيد العباسى بن محمد شريف بن نور الدائم بن أحمد الطيب العباسى منشئ الطريقة السمانية بمصر والسودان ، ولدت بعز أديب ولد نور الدائم بالنيل الأبيض ٢٣ من رمضان سنة ١٢٩٨ هجرية (٣) ، ولما انتقل بى والدى فى حوادث المهدية إلى الشيخ الطيب بمديرية الخرطوم شمالا وبلغت من العمر سبع سنين أدخلنى مكتبا « خلوة » لقراءة القرآن عند عمى الزاهد الورع الشيخ زين العابدين ، ثم تنقلت فى مكاتب أخرى تبلغ العشرين عدا ، وكان والدى يأمرنى أثناء قراءة القرآن بحفظ متن الآجرومية سوره لى بنفسه مع متن الكافى فى علم العروض والقوافى ، وبعد استرجاع السودان ودخول الجيش المصرى طلب « كتشنر » من والدى إلحاق بالمدرسة الحربية المصرية فدخلتها يوم ٢٨ مارس ١٨٩٩ م وبعد سنتين استعفيت لأنى رأيت أن لا أمل لى فى الترقية وإن كنت أول الناجحين فى الامتحان »

ثم يسترسل المترجم فيذكر أساتذته الذين تأثر بهم فيقول :

« إن أولهم كان أباه الذى حثه على حفظ أشعار الفحول القدامى ثم أستاذه الجليل المرحوم الشيخ عثمان زناتى الذى كان فى طليعة الشعراء والأدباء فى زمانه ومن رثائه له يستبان لنا ذلك حيث يقول :

فيا رحمة الله حلى بعصر ضريح الزناتى عثمانيه
فذاك بآدابه يافعا وقد شادنى دون أترابيه
ويا شيبة الحمد إن القريض أعجز طوق وأعيانيه
أمرنى بيانك أسمع به الأصم ، وأنطق به الراغيه(٤)

وهذا كل ما يعلمنا عنه الشاعر من سيرته التى كتبها بقلمه ولكننا لو رجعنا إلى مقدمة الكتاب التى كتبها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك نراه يوضح المميزات الخاصة بشعر العباسى وتأثره

٢) ص (٩) من ديوان العباسى والديوان يقع فى (٢٠٤) من القطع المتوسط ، مطبعة الاعتماد ، دار الفكر العربى

٣) أى أنه مضت حتى الآن (٧٣) سنة على ولادته أمد الله فى عمره

٤) من قصيدته « رسائل الصفا » ص (٥٢) التى رضها الدكتور زكى مبارك وصدربها اهداء الديوان

بالحياة المضطربة التي عاشها في السودان والحوادث السياسية التي تعرض لها والتي صحبته في أواخر القرن المنصرم ، قال :

« فالسيد العباسي إذا صدح في شعره أحسست في موسيقاه أصداء أناشيد الشريف الرضي إذ تتردد في شعره حرارة المرارة السادة الذين يحسون مسئوليتهم في المجتمع ، وتجمع معهـا نغمة أخرى من كرامة السادة الذين يحسون قصر اليد عما يريدون

وإذا كان شعر السيد يمثل لنا ديباجة موسيقى السيد الكريم ، فإن فيه ألواناً أخرى تذكرنا بأرواح يملؤها الطموح وتتقد فيها حرارة القلب الذكي . فهو إذن رجل يجمع نفس الحر الأبي القلب القوي الذكي إلى فن الشاعر الذي يغوص إلى أعمق المعاني ويصورها في أبرع اللوحات . ثم هو في ديباجته فذ لا يكاد يجد له الناقد عديلا إلا في عباقرة الشعراء من قدماء ومحدثين (٥) »

وإذا أردنا نحن أو أراد ناقد آخر أن يكشف للقارئ عن تلك الخطوط التي أشار إليها الأستاذ أبو حديد فهل يستطيع ، أما أنا فأقول بالإيجاب ، ومن قرأ له مثل هذه الأبيات :

إلى كم أمني النفس ما لا تناله ... بجوب الفيافي وادراع الفدافد (٦)
وقد رقد السمار دوني فهل فتى ... يمير أخا البأساء أجفان راقد
فيانفس إن رمت الوصول إلى العلا ... ردي قسطل الهيجا وغمرتها ردى (٧)
أما ويمين الله وهي ألية ... تقال فتغني عن يمين وشاهد (٨)
سأصفح عن هذا الزمان وما جنى ... متى ظفرت كفاي منه بماجد
وإن ألقه بعت الحيـــاة رخيصة ... وآثرته باثنين : سيفي وساعدي (٩)

وقوله :

ما أعجب الأيام كم دفعت بنـا ... في ذى الحياة لشدة ومضيق
أنا في زمان عشت فيه بمعشر ... يجزي الجميل لديهمو بعقوق
طرحوا المهند للعصا واستبدلوا ... بالأمس تغريدي لهم بنعيق
مادمت سباقاً فليس بضائري ... أبداً مقال مدفع مسبوق (١٠)

لا يشك في أن الروح التي كانت تعتلج في أجساد الشعراء السادة الفحول من شعراء العرب وخصوصاً الفرسان هي نفسها التي كانت تضطرم بين جنبي شاعرنا العباسي إبان نظمه الأبيات الآنفة الذكر . ولا غرو فالعباسي كان من أرباب السيف والقلم ، وقد خاب في مضمار السيف فتركه ليبرع في الشعر أسوة بشاعر النيل حافظ إبراهيم ... على أن حافظاً كان رحمه الله فقيراً محتاجاً فكان يحس في أعماق نفسه بالجاعة فأراد أن يكون شاعر القصر عساه يتمتع بمباهج الحياة في ظل القصور الفارهة الناعمة ... ولما خاب أمله اتجه إلى الشعب ليسكب ثورة نفسه وألم خيبته في الشعر الذي كان يعبر به عن آمال نفسه. أما العباسي فقد كان مكتفياً وكانت المادة متوفرة لديه فلجأ إلى الشعب يخاطبه بشكل آخر ، شكل السيد الآمر ، والزعيم المضطهد ، لذلك جاءت في شعره أقباس من طموح الزعماء ، وآلام من ثورة الأحرار الذين رغم انصرافهم إلى السياسة وأمور الدنيا لم ينسوا آخرتهم ودينهم لتأثير الناحية الدينية عليهم منذ نشأتهم

البقية في العدد القادم

عبد القادر رشيد الناصري

٥) مقدمة الأستاذ أبو حديد من ص (١٣ إلى ٢٠) من الديوان
٦) الفدافد جمع فدفد وهي الفلاة
٧) قسطل الهيجاء ، غبار الحرب
٨) الألية : اليمين
٩) لقصيدته « من معالفتى » ص ـ ٤١ ـ الديوان
١٠) لقصيدته « آلام وآمال ص ـ ٩٨ ـ الديوان

الاسلام وحياتنا العامة

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

إن أمتنا أمة مسلمة . غير أنها لا تستوحى الإسلام فى تصرفاتها ونظرتها للحياة وأحداثها . ولا ترى أن من الخير الذى يعود عليها بأجزل النفع أن تنظر إلى الحياة من خلال الفكرة الإسلامية . وإن كثيرا من الكتاب يخرجون علينا بأفكار مختلفة ، منهم من يرى أن حياتنا يجب أن تنهض على الإسلام ، ومنهم من يرى أنه يجب أن ننحى الإسلام عن حياتنا هذه ، وأن نشرع فيها على أسلوب جديد يوافق روح العصر ، ويقطع كل ما يصلنا بهذا الدين العتيق

والعجيب أن أكثر هذه الكتابات التى تنادى بفصل ديننا من حياتنا إنما هى بأقلام كتاب مسلمين . والمفروض أن المسلم يكون أحرص على دينه ، وأغير عليه من أى إنسان آخر ، حتى يؤدى واجبه نحـــو نفسه ، ووطنه ، وربه ، على خير الوجوه وأكملها . وهؤلاء الكتاب بعملهم هذا ينهجون نهج أقوام آخرين لا تربطهم بالدين الإسلامى رابطة ، لا يكادون يهادونه ويدعونه يرسم صورة للحياة الناضجة القويمة ، ويقفون له بالمرصاد ينتقصونه ، ويسفهونه ، ويزرون به ، وينعون عليه أحكامه وآدابه وتوجيهاته

وإذا استوحى المسلم غير الإسلام فهو وغير المسلم سواء . وهو حرب على دينه . وهو عون لأعدائه عليه . وهـو دخيل علينا لا يجوز أن نركن إليه ، ولا نأتمنه ، ولا نهادنه . وعلينا أن نحذره ونتعرف على نياته ودخائله لأنه أخطر علينا من العدو الألد والمهاجم الصريح

ليس ما نشكوه فى هذه الحرب هو الأجانب وحدهم ، بل نشكو المسلمين أيضا ؛ هؤلاء الذين يعملون لهدف غير هدفنا ، ويسمون لمثل غير مثلنا ، ويبنون حياة لا تتفق وحياتنا . وبعد ذلك تتخذ أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام إن لم تتخذ على أنها الفكرة الإسلامية فى ذاتها . ونعانى من وراء هذا العسف الغليظ والضر الأليم . وننفق من قوانا فى جبهتين ، إحداها داخلية ، والأخرى خارجية

هذا الإسلام بعيد عنا . وكلما نادينا بالاقتراب منه ، والاسترواح فى ظله ، والاستقاء من نبعه ، خرجت علينا الذئاب العاوية اقتنص منا الفهم الشاردة ، فتفرق وحدتنا ، وتضرب فى صفوفنا ، وتزعزع إيماننا برسالتنا وديننا وأهدافنا المنيرة الحقة . ومن هنا يظل الإسلام بعيدا عنا أطول مدة ممكنة ، حتى يمتص المستعمرون وأعوانهم الثمالة الباقية من ذخائرنا ، ثم بعد ذلك نكون جسدا هامدا لا خير فيه

إذا أردنا أن يكون الإسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يكون صاحب دعوة وصاحب رسالة . عليه أن يعتقد اعتقادا جازما أن الواجب لا يتم إلا به ، فعليه جزء منه ، وعليه أن يبذل فى سبيله ، لا فرق بين رجل دين وغيره . فالإسلام ، والعمل له ، والإيمان به ، دعوة كل مسلم ورسالته . والمسلمون جميعا مسئولون عنه لا فرق بين إنسان وإنسان . أما هذا الكلام المملول فى مسؤولية المسلمين فليس من الاسلام فى شئ . ليس فى الاسلام رجل دين ورجل دنيا ، ولا رجل مسؤول ورجل غير مسئول ، ولا فرد يعمل وآخر يعتمد على عمل غيره ، إذ كل المسلمين فى نظر الاسلام سواء ، وهم مكلفون العمل له والإيمان به ، لا يغنى بعضهم عن بعض شيئا

إذا أردنا أن يكون الاسلام أسلوب حياتنا فعلى كل مسلم أن يهتدى به فى حياته ، فيحققه فى كل عمـل وقول ، ويتجه إلى وجهته ، ويشيعه فى حياته العامة والخاصة ، ويعتنقه مبدأ لا يحيد عنه ، ويشارك به فيما يرى من رأى أو يرغب من رغيبة

على كل مسلم أن يجعل حياته إسـلامية ، وأن يفيض من خيرها وبرها على الوجود من حوله ، وأن يحمل غيره على مايحبه له ولنفسه وللنـاس جميعا ، من خير لا ينقطع ، وبركة زاكية ، وحب شامل ، وإخلاص عميق فى كل ميادين الحياة ، فى التجارة والزراعة ، فى التعليم والسياسة ، فى الاجتماع والاقتصاد ، فى خاصة الرجل وخاصة المرأة وفى المشترك بينهما

ليس فى هذا مشقة على أحد . فكل إنسان يستطيع أن يرسم حياته بالطريقة التى تروقه وتحـلو له . وحياة الفرد ليست غير تحقيق عملى لعواطفه وأفـكاره . وحوافز النفس وخلجات

الضمير هي أمهات جلائل الأحداث . وتاريخ الأبطال والعظماء ماهو إلا انعكاسات القلوب الكبيرة والنفوس النبيلة

إننا ننعى على الحكومات موقفها من الإسلام . والواجب أن ننعى على أنفسنا مثل ماننعاه على هذه الحكومات ، لأننا نستطيع أن نعمل الكثير لأنفسنا وللإسلام من غير أن نلجأ إلى حكومة نسألها العون ونستجديها المطاف ، حياتنا المنزلية ، وحياتنا مع أصدقائنا ، وحياتنا في عملنا ، وسلوكنا مع الناس عامة ، وحياتنا الذاتية التي لا يطلع عليها إنسان — كل هذه مجالات مختلفة متفاوتة ، نستطيع أن نحياها صحيحة وأن نبنيها إسلامية . وذلك متى ماتصورنا حياة سهلة سائغة سمحة واتخذنا هذا التصور هدفا لنا ومثالا نسعى إليه

وقد قرأت في مجلة الثقافة مقالا لكاتب مسلم ، هو الأستاذ محمد عبد الله عنان . وقد عنون الكاتب موضوعه بهذا العنوان « المرأة والحقوق الدستورية ، لامحل للاحتكام بشأنها إلى الدين » ومن هذا العنوان وحده نستطيع أن نلمس حرص الكاتب على تخلي الدين عن حياتنا العامة . مع أنه يجب أن نحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل شؤوننا العامة والخاصة ، شؤون الفرد والجماعة ، شؤون الرجال والنساء ، شؤون الأطفال والبالغين ، في عملنا السياسي أوالاجتماعي أوالتهذيبي أو الذاتي ، في سلوكنا الظاهر وسلوكنا الخفي . نحتكم إلى الفكرة الإسلامية في كل هذا حتى نتعرف على مواضع الرشاد ومواضع الزيغ في سلوكنا ، وإذا مانادى إنسان بمثل هذه الدعوة التي نادى بها الأستاذ عنان فإننا نعتبره أحد رجلين : إما أن يكون رجلا لايعرف من أمر دينه الكثير ، وإما أن يكون رجلا يعين غيرنا علينا . وهو على كلا الحالين غير محمود ولا مشكور

يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان في مقاله هذا « ... ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع ، سواء التوكيد التحريم أوالإباحة ، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية، أوبعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين في سائر نواحي حياتها العامة . فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية . ولا يطبق في مصر شيء من أحكام الشريعة الاسلامية في العبادات أو المعاملات أو الحدود بصورة جبرية ، فلا تقطع يد السارق ، ولا يرجم الزاني ، ولا يعاقب شارب الخمر أوتارك الصلاة أومفطر رمضان ، وغير ذلك ، ولا يطبق منها إلا ما أمكن تطبيقه من شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف (القضاء الشرعي) وحتى هذا يعتبر قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام »

ويستطرد الكاتب قائلا « فإذا ماتقرر ذلك ، وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لادينية ، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة ، فلامحل إذا لأن نجعل الدين حكما في مسائل لا علاقة لها بالدين ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها ، ولا محل إذا لنرجع بمطالب المرأة السياسية والاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لاشأن لها بالعقيدة الدينية ... »

ونخرج من هذا الاقتباس بثلاث نقاط هامة مؤلمة ومؤسفة في نفس الوقت :

مصر دولة مسلمة ولكنها لادينية ، فدينها الرسمي هو الإسلام ، غير أنها لاتطبق أحكامه في حياتها العامة . والنظم والقوانين المصرية مدنية موافقة لروح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة . ومعنى هذا أن الدين وأحكامه لايوافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية الحديثة

أن الدين قدضاق مجاله ، ولم نطبق منه إلا ما أمكن تطبيقه وهو شيء يسير في شؤون الزواج والأسرة والميراث والوقف ، بحيث أصبحت هذه الأحكام اليسيرة قضاء استثنائيا بالنسبة للقضاء الوطني العام

بمثل هذا الأسلوب في الكتابة والتفكير يتناول بعض الكتاب الحديث عن دينهم وحياتهم العامة . وهم يخلطون ما يرونه في واقع حياتنا بآرائهم الخاصة ونظرياتهم في الإسلام وصلاحيته . وإذا كانت حياتنا قد انحسر ظل الإسلام عنها في كثير من نواحيها ، فليس معنى هذا أن ندع الأمور تجري إلى غايتها المشئومة ، بل علينا أن نعرف مانحن فيه وما نطمح إليه ، والأسباب التي توصلنا إلى ما نتمنى ، والأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن فيه الآن ، وأن نقرن ذلك كله بما كان لنا من ماض زاخر مجيد والأسباب التي دفعت إليه — كل ذلك لنستخلص

العبرة التى نقوم على ضوئها أسـلوب حياتنا الراهنة ، ونعالج مشاكلنا المعقدة ، وننهض من كبوتنا السياسية التى لانجد منها مقيلا

إن الأمم الغربية الاستعمارية تنتفض فزعا كلما فكرنا فى ديننا وفى إخراجه إلى مجال الوجود العملى . والسبب فى هـذا ليس خافيا على أحد . إذ أن هذه الأمم الغربية على يقين راسخ من أن ديننا ينظم حياتنا ، ويهذب نفوسنا ، ويبعث الكامن فينا من القوة الخفية ، ويوحد وجهتنا ، ويبلغنا رشدنا . وإذا كان أمرنا كذلك ، فإنها الحرب على الاستعمار والاستغلال والفساد ، وإنه البعث الجديد الذى ننشط منه إلى قيادة العالم وصدارة الأمم ، وحينئذ لا يبقى لأمم الغرب سبب واحد تطمئن إليه ، وتعتمد عليه ، فى تثبيت أقدامها فى أنحاء العالم الإســلامى لاستغلاله وتسـخيره

على أن الغريب حقا هو فزع بعض المسلمين من تطبيق مبادئ الدين . ونحن لاندرى علة لفزعهم هذا . هل نقول إنهم عملاء للمستعمرين ؟ هل نقول إنهم يجهلون من أحكام دينهم مالا يصح أن يجهلوه ؟ هل نقول إن معين ثقافتهم الذى استقوا منه يحارب الإسلام فى خفية ، ويعكر صفوه ، ويطمر موارده النقية ؟ إنهم على أى حال يعملون غير ما نعمل ، ويشخصون إلى غير أفقنا

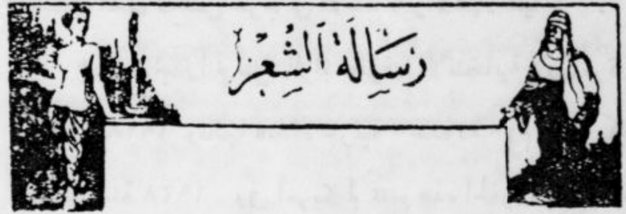
مثل واحد بسيط للدلالة على لون التفكير اللادينى الذى يسيطر على بعض المسلمين ، وهو فى الموضوع الذى أشرنا إليه من قبل واقتبسنا فقرات منه . إن الكاتب المسلم يستوحى دينه فى إعطاء المرأة حقوقا سياسية أو غيرها ، ويرجع إلى أحكامه يستفتيها ، وعليه أن يلتزم ما تفتيه به هـذه الأحكام ، فإن أفتته بالإباحة فهى الإباحة ، وإلا فالتحريم الذى لاوجه فيه لحل بعد ذلك . والكاتب اللادينى ، المسلم رسميا ، اللادينى عمليا ، يسارع إلى أمم الغرب يسألها ماذا فعلت ؟ وكيف وصلت إلى ماوصلت إليه ؟ ومن الذى أعانها ؟ وعلى خطوة أوخطوتين أوخطوات ؟ وهناك ! عند تقاليد هـذه الأمم ، وميراثها ، وشرائعها ، يجد الجواب الشافى الذى لايحس حرجا فى الأخذ به والاعتماد عليه !

« ففى إنجلترا لم تنل المرأة حقوقها الانتخابية لأول مرة إلا فى سنه ١٩١٨ ونالتها عندئذ جزئية ، محدودة ، ولم تنلها كاملة إلا فى سنة ١٩٢٨ . وفى أمريكا لم تمنح هذه الحقوق إلا فى سنة ١٩٢٠ ، وبعد محاولات عديدة متوالية شمـلت كل ولاية بمفردها ... ... والمرأة لم تحصل على حقوقها الدستورية فى بعض الدول الأوربية العريقة مثل فرنسا وإيطاليا والنمسا إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم تحصل عليها فى بلجيكا إلا فى سنة ١٩٤٨ ، وفى ألمانيا الغربية فى سنة ١٩٤٩ »

وعلى هذا فإنه لايجوز أن نحرم المرأة الحقوق السياسية مادامت هذه الدول الغربية العريقة قد أعطت المرأة هـذه الحقوق . يجب أن نعطى هـذه الحقوق ، دون نظر إلى ما يقوله ديننا فى هذا الموضوع ، لأن أحكامه عتيقة لاتوافق مقتضيات العصر ولا روح التقدم . المهم أن نكون كهذه الأمم التى قلدناها ، وقصصنا آثارها ، وأسلمنا زمامنا لآدابها وتقاليدها وروحها ... أما أثر هذا التقليد فينا . . . وأما وقوعنا فى قبضة هـذه الأمم تستغلنا . . . وأما انهيارنا الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بسبب تشربنا روح هذه الأمم وآدابها — كل هذا ليس له عندنا كبير أثر . وهو حقيق أن ينسى مادمنا ندور فى فلك هذه الأمم ولو على حساب كرامتنا ، وتقاليدنا ، وديننا ، وصالحنا السياسى والاقتصادى والاجتماعى !

إن حياتنا بنت تصورنا وتفكيرنا . فإذا كان تصورنا إسلاميا ، كانت حياتنا إسلامية . وإذا كنا لادينيين فى التصور والتفكير كانت حياتنا لادينية . وعلينا الآن أن نختار ؛ إما أن نتجه إلى الله الذى منحنا دستورا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإما أن نتجه إلى هذه الدول (العريقة !) التى أذاقتنا المر ، وألبستنا الهوان ، وباعتنا فى أسواق النخاسة الدولية — نعمل بدساتيرها ، ونحتكم إلى قوانينها

محمود عبد العزيز محرم



ديوان مجد الاسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

مسجد المدينة

المسجد الثانى يقام بيثرب و(محمد الباني) يجد ويعمل (١)
(عمار) أنت لها وليس ببالغ علياالمراتب من يكل ويكسل (٢)
إن يثقل العبء الذى حملته فلما يحمل ذو التباعة أثقل
ماذا بلغت من السناء على يد أدنى أناملها السماك الأعزل ؟
مسحته ظهرا منك طال منيفه حتى تمنى لويكونك (يذبل) (٣)
هذا «رسول الله» فى أصحابه لا يشتكى نصبا ولا يتمهل
يأتى ويذهب بينهم فلثم بالترب ، يغشى وجهه ومكلل
من كل قوام على أثقـــاله سام ، له ظهر أشم وكاكل (٤)
ما كان أحسنها مقالة زاجر لوكان يعرف حكمتها المتمثل (٥)

(١) كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن بنفسه فيدأب المسلمون ويقول قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة، وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين، فقال له الرسول الكريم : ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ فقال : لبنة عنى يارسول الله ولبنة عنك. فنفض صلى الله عليه وسلم التراب عن رأس عمار ومسح ظهره (٣) اسم جبل فى بلاد العرب (٤) الكاكل الصدر . (٥) كان عثمان بن مظعون رضى الله عنه إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب ، فإن أصابه شىء من التراب نفض ، فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وأنشد يفاكهه :

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمان وأغلظ له القول وكان معه حديدة قال : لتكفن أو لأضربنك بها

هتف الإمام بها، فراح يعيدها ثم انثنى متلطفا يتنصل
(عمار) يالك إذ تلام ، وياله من ذى محافظة يلوم ويعذل
هجت ابن مظعون فأقبل غاضبا حنقا ، يجيش كما يجيش المرجل
ولقد يحيد عن التراب إناقة من لا يحيد عن الضراب وينكل
مهلا (أبا اليقظان) (٦) قرنك (٧) باسل
وأخوك فى جـــد الوغى لا يهزل
ولئن أهاب الله (يال محمد) صونوا الحمى، لهو الأشد الأبسل
السيف يعجز أن ينال غراره (٨) ما ليس يعجز أن ينال المعول

أبو بكر يؤدى ثمن الحائط الذى أدخل فى المسجد (٩)

إيه (أبا بكر) ظفرت بصفقة يهتز مغانمها لمن يتأمل
القوم عند إبائهم وسخائهم لو يبذلون نفوسهم ، لم يحفلوا
لا يقبلون لحائط ثمنا ولا يبغونها دنيـا تذم وترذل
الله يطلبه لنصرة دينـــه والدين هم أنصاره ، مابدلوا
قالوا : أمنا يا (محمد) نبتغى ماليس يخلق بالأباة ويجمل ؟
إنا لعمر الله نعرف حقه ونعز ملته التى نتملل (١٠)
نعطى (اليتيمين) الكفاء (١١) وإن هما
أبيـــا ، ونتبع التى هى أنبـــل
خذ ما أردت فلن نبيعك مسجداً يدعوه فيــه مكبر ومهلل
هو ربنا ، إن نالنا رضوانه فلنا المثوبة والجزاء الأكمل

* * *

إيه (أبا بكر) خليلك مطرق يأبى ، وأنت بما يريد موكل

(٦) كنية عمار (٧) قرن الرجل كفؤه ، ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها (٨) غرار السيف حده (٩) أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضم إلى المسجد حائطا ليتيمين من الأنصار كانا فى كفالة سعد بن زرارة ، وقيل معاذ بن عفراء ، وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصارى أن يؤدى الثمن إليهما فأبى النبي ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبى بكر ، وقال الغلامان : نهبه لك يارسول الله ، فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن . وجاء أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأولى فى المسجد ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان ، وقيل إن المراد بذلك ترتيب الخلافة
(١٠) تملل الملة دخل فيها (١١) كفاء الشىء ما يساويه

لا بد من عَين يكون أداؤه   حكما يطاع ، وشرعة ما تهمل

لولا الرسول وما يعلم قومه   جهل المحجة ظالم لا يعدل

وإذا قضى أمراً ، فما اقضائه   رد ، ولا في غيره متعلل

الحق ما شرع (النبي) وباطل   ما يدعى المرتاب والمتأول

لا بد من عين ، ولست بواجد

في القوم من يضح(١٢) الصواب فينقل

أمر (الرسول) به فدونك أده   ولأنت صاحبه الكريم الأفضل

يا باذل الأموال ، نلت ببذلها   مالم ينل في المسلمين ممول

أتيمت نفسك ماملكت فمهجة   تنهال طيبة ، وكف تهطل

بلال يؤذن للصلاة

أذن بلال لك الولاية لم تتح   لسواك ، إذ تدعو الجموع فتقبل

الله ألبسك الكرامة واصطفى   لك ما يحب المؤمن المتوكل

يا طول ما عذبت فيه ، فلم عل   تبغى التي اتبع الغواة الميل (١٣)

(أحد)إلهك ما كذبت ومالمن   يرجو النجاة على سواه معول

أرنى يديك : أفيهما (لأمية)   ورد من الموت الزعاف منهل ؟

للسيف سيف الله أهول موقعا   من صخرة تلق ، وحبل يفتل

لك في غدٍ دمه إذا التقت الظبى   تحت العجاجة والرماح الذبل (١٤)

أذن ، فإن الدين قام عموده   ورست جوانبه ، فما يتقلقل

هبط الجزيرة فاحتوى أطرافها   وانساب في أحشائها يتغلغل

فكأنما طرد السوائم(١٥) ضيغم

وكأنما ذعر الحمائم أجدل(١٦)

---

(١٢) مضارع وضح

(١٣) كان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللآت والعزى ، فيأبى . وكانوا يدفعونه إلى الصبيان فيربطونه بحبل ، ويطوفون به شعاب مكة ، وهو يقول (أحد أحد) وقد رق له أبو بكر فاشتراه من أمية ابن خلف ثم أعتقه ، وكذلك فعل رضى الله عنه بكثيرين كانوا يعذبون في الله . (١٤) قتل بلال رضى الله عنه أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله :

هنيئا زادك الرحمن خيراً   لقد أدركت ثارك يا بلال

(١٥) شرحها الناظم ولم يثبتها ، والسوائم جمع سائمة ، الماشية تذهب في المرعى « نعم » (١٦) الأجدل الصقر

° ° °

خف الرجال إلى الصلاة وإنها   لأجل ما تصف الصفوف المثل

عنت الوجوه فراكع متخشع   يخشى الإله ، وساجد متبتل

صلوا بنى الإسلام خلف نبيكم   وخذوا بما شرع الكتاب المنزل

الله أيدكم به ، وأمدكم   منه بنور ساطع ما يأفل

آثرتم السنن السوى ، فجدكم   يعلو ، وجد ذوى الغواية يسفل

هل يستوى الجمعان هذا صاعد   يبنى ، وهذا ساقط يتهيل ؟

يتألفون على الهوى وقلوبهم   (شتى) يظل شعاعها يتزيل

نصر على نصر ، وفتح بعده   فتح يغيظ المشركين معجل

إن امرأ جمحت به أهواؤه   من بعد ما وضح الهدى لمضلل

الحق باب الله هل من داخل؟   طوبى لمن يبغى الفلاح فيدخل



في مباه القمر

أم كلثـــوم

تأليف الأستاذة نعمات أحمد فؤاد

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

الغناء روح النفس، وروح القلب، يزيل الشجو بالشدو، ويبعد الآلام بالأنغام، وإذا توائم الصوت المعبر، واللحن المصور، كان التحليق والسمو. ولعل أجل المواهب ما تعاطف «المشاركة الوجدانية» وما تؤالف النزعات الإنسانية، فالشعر، والغناء، والموسيقا، يكمل بعضها بعضا في موكب الفن الرفيع، فالموهوبون في هذه الألوان يتقمصون المشاعر، ويثار كون الأفئدة في أتجاهها الوجداني. والتعبير «فن» قبل أن يكون أداء. وقد أودع الخالق في الحواس القدرة على التذوق؛ فالأذن موصلة النغم في تأثر وانعطاف وإشباع، وهي صادقة الحكم ما دامت تتفاعل معها مثيرات الوجدان، لذلك عظم شأن التذوق وارتفع قدر اللحن. أليست اللغة في أول أمرها أصواتاً؟ أليس التعبير عن الإحساس كان مقاطع ساذجة تدل على الغرض؟

بلى، فالصوت أصل أصيل في قوة التأثير والتأثر، و «الأوتار» الواهبة جمال الصوت ثروة إلهية أودعها المبدع الأعظم لتكون نعمة من نعمه الجليلة! وإن النعمة الممنوحة للشرق المكدود ممثلة في صوت «أم كلثوم» الذي يسري عن النفوس أوجاعها، ويسري في الحنايا سريان الكهرباء؛ فيؤثر تأثير السحر... لقد تسمعت إلى الكبد الحرى التي كانت ترسل في التياع «يا آسي الحي هل فتشت في كبدي» وكنت في استهلال صبوتي أجنح بخيلي الصغير إلى عالم روحي بحت، وعشت في هذا اللحن أنهنه الأنة في صدري؛ فترسل الزفرة، وتريق العبرة، وأحسست في أعماق أن الشادية خالدة، لأن تعبيرها «فني»، لا ترسل الكلمة مرتجلة اكتفاء بالصوت العذب، والتغريد

الآمر، فكأنها تعرب ما يطرب؛ وتراعي مخارج الحروف الدقيقة مراعاة فيها العجب العجاب. وهذا هو الفرق بينها وبين سواها، وهو عينه ما دعا الأديبة «نعمات أحمد فؤاد» أن تعرض لحياة «أم كلثوم» في كتاب دقيق، أنيق، شائق، رائع

لقد تميز أسلوب هذا الكتاب بالأصالة التعبيرية الفنية؛ فليس ثمت حشو، ولا إملال ولا صنعة. بل توافق، وتساوق، واتساق، في أناقة شعرية ترف بين السطور فتلمح إلى ذوق الكاتب والكاتبة!

عرضت الأديبة حياة الفنانة المبدعة عرضاً في صدق وإخلاص وصفاء، ولهجت بوفاء «أم كلثوم» في غير موضع مما يدل على نقاء النفس، وطيب السريرة، وألمت إلى «تحفظها» واستحيائها وانطوائها؛ ثم انطلاقها، ومسارتها، وانفعالها في تحفظ وتوقر، وأناة — وقد استغرق الحديث عن هذه النواحي نصف الكتاب، ولا غرو فهو تاريخ في يستدعي الإفاضة، والاسترسال، والإيضاح

* * *

هذا النزوع الفني من الأديبة دال على تأصل في الفهم، وانفعال بالفن ومظاهره، لكنها أهدت الكتاب إلى «قيثارة الله» وهذه الإضافة لا تقع في نفسي موقع القبول، وكان في مقدور الكاتبة أن تهديه إلى «منحة السماء» أو «هبة الخالق» أو ما أشبه التسمية التي تؤدي القصد من دون تحرج ولبس. ولا يقال إن للفن تعبيره الذي لا يتقيد بقيود؛ فهو متصل بالروح المجرد، لأن الأديبة قالت في موضع آخر معبرة عن رأى «أم كلثوم» في حقيقة الفن «والفنان» فثمة تعابير «الخيام» أنه: «إذا استكشف فاعل المنكر ما وراء الأشياء، وشرب الخمر شاربها بعقيدة أنها تخلصه من عالم المادة وتساعده على النفاذ والمضي إلى ما وراءها؛ فهو ليس بآثم في نظر الفن» ثم تقول في موضع آخر ص ١٣٠: «الفنان كالصوفي لا يتحرج من الأشياء تحرجاً ظاهراً كتحرج الفقيه؛ بل الخيرية والشرية عنده تتوقف على النية» هذا كلام وقفت عنده لأنه تخريج بعد عن القصد مما يتجه إليه المذهب الصوفي في أرق مظاهره؛ فالتصوف يتجرد عن المادة ليصل إلى الذات، وما جاء مشكلا رد إلى الحقائق



١ – عقاب تذكر وتؤنث :

جاء في الصفحة « ٢٥٥ » من كتاب « من أسرار اللغة » للدكتور إبراهيم أنيس ما يلي :

لعل شوقي حين قال :

أعقاب في عنان الجو لاح ... أم سحاب فر من هوج الرياح

ولم يؤنث الفعل « لاح » رغم أن « العقاب » مؤنثة كان في ذهنه مثل هذه الظاهرة التي جاءت في شعر القدماء ويعني الدكتور قول الشاعر :

فإما تريني ولي لمة ... فإن الحوادث أودى بها

إشارة إلى تأنيث « الحوادث » وتذكير « أودى »

والحقيقة أن شوقي لم يخالف اللغة لأن العقاب كما في معاجم اللغة طائر يطلق على الذكر والأنثى . وهي من الأسماء التي يجوز فيها التذكير والتأنيث « كعقرب ، وسلاح وسكين وقفا وقيص .. الخ . » وجاء في الصفحة « ٥١٦ » من دائرة معارف القرن العشرين الطبعة الثالثة أن العقاب طائر من الجوارح يذكر ويؤنث ويجمع على أعقب وعقبان وعقابات ، وقد عرف العرب هذا الطائر واشتهر لديهم فضربوا به المثل في العز والمنعة فقالوا أمنع من عقاب الجو

قال الشاعر :

ما أنت إلا كالعقاب وأمه ... معروفة ، وله أب مجهول

فمنهم من يذكر العقاب كشوقي وكقول شاعر مجهول الاسم حيث يقول :

افدلج الخباء على جوار ... كأن عيونهن عيون عين

كأني بين خافقتي عقاب ... يريد حمامة في يوم غين

ومنهم من يؤنثها كقول المتنبي

يهز الجيش حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العقاب

كما هو في الصفحة (١٥٥ من الجزء الأول من شرح ديوانه لعبد الرحمن البرقوقي . هذا ما أردت الإشارة إليه وعند علماء اللغة الفصل اليقين ..

الجردة ، أما « النية » فقدر مشترك لا يمكن الحكم عليه حكما ذاتيا ، وإباحة الفنان المعصية باعتماده على « حسن النية » لا يخرجه عن الإثم ، فالملابسة أقوى دليل على العزم ، والعزم مظهر النية ومدلولها ، وهذا الاتجاه في فهم التصوف يتلاقى مع قول بعض المغرقين : « اعص الله لتعرف كيف تبكي وتعبده » !

على أن ذكر « الخمر » في الكلام الصوفي ليس القصد منه مادتها ؛ بل الغرض « الغفلة عن تذكر الذات العلية » ؛ ومجرد التغافل يعد إثما لدى الخواص وخواصهم من الواصلين .. ولذلك يقول « الخيام »

أسكرني « الإثم » ولكنني ... صحوت بالآمال في رحمتك

والتعبير بقوله « صحوت » يرمز إلى مدلول التطابق في « أسكرني » المعطي معنى الغفلة لا الاحتساء !!

هذه ناحية دقيقة كنا نود أن تعرض لها الأديبة عرضاً فيه إلمام وتحر للحقيقة ! ولا نشك في الإيمان العميق في قلب « أم كلثوم » إلى درجة تساميها بما تغني ، وترفعها عن سوقية الأغاني وماديتها !

أما « الإيمان الواسع الأفق الذي يتسامى عن الظهور بالتزمت والتحرج » ص ١٣٢ فلا نقر الأديبة عليه ، لأن الإيمان فيه تصديق متصل بعمل ، ولا نعرف مدى التسامي به إذا لم يترفع عن الريبة ويتحصن بالتحرج !

وبعد ؛ فإن هذا الكتاب تحفة فنية ، تدل على استعداد فطري في صفاء الأسلوب بحسن ديباجته ، وروعة أدائه ، ونقاء عباراته ، ولعل دراسة أغاني « أم كلثوم » هي اللامعة إلى مدى تمتع الأديبة بالذوق الرفيع !

أحمد عبد اللطيف بدر

٢ – زيادة في الوزن :

قرأت في العدد « ٩٨٩ » من مجلة الرسالة الغراء قصيدة عامرة الأبيات للأستاذ الشاعر حسن كامل الصيرفي بعنوان « شعلة الجد » وجدت في البيت التالي منها خروجا من الوزن بزيادة « تفعيلة » واحدة في العجز وهي من بحر « الكامل »

الشاعر الحي الشعور نشيده من قلبه ذوب ومن إيمانه الإيحاء

فما هو قول شاعرنا الرقيق ؟!

بغداد عبد القادر رشيد الناصري

توحيد مناهج التاريخ في البلاد العربية

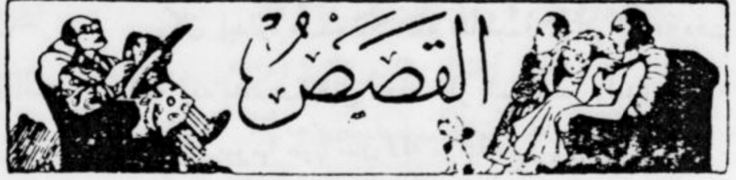
من أهم ما تسعى إلى تحقيقه الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية هو تنشئة جيل عربي يمتاز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد . ورأت أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التي تحقق هذه الأهداف ، فدعت إلى تأليف لجنة من الخبراء في التاريخ لوضع قواعد عامة يسترشد بها في تأليف كتب التاريخ المدرسية في البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة في هذه المادة في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ، وقد تألفت هذه اللجنة برئاسة حضرة صاحب السعادة الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية وعضوية حضرات الملحقين الثقافيين بالمفوضيات العربية بالقاهرة وحضرات : صاحب العزة الدكتور محمد مصطفى زيادة بك ، الدكتور إبراهيم نصحي بك ، الدكتور أحمد بدوي ، الدكتور أبو الفتوح رضوان ، الأستاذ علي إبراهيم عبده

وقد عقدت عدة اجتماعات ناقشت فيها شتى المسائل المتعلقة بكتب التاريخ المدرسية كالنظام المتبع في تأليفها واختيارها ، ومادة الكتاب المدرسي في علم التاريخ ، ونسبة الموضوعات بعضها إلى بعض ، ونصيب التاريخ القومي والتاريخ العربي والتاريخ العالمي في هذه الكتب ، والروح التي تعالج بها المسائل التاريخية ، والمصادر التي تستقى منها المعلومات وهكذا . وقد عالجت اللجنة هذه المسائل وغيرها من ناحيتين : الأولى ما يسير عليه العمل فعلا في الوقت الحاضر في البلاد العربية المختلفة ، والثانية ما يجب أن يراعى في المستقبل عند تأليف كتب التاريخ لهذه البلاد الشقيقة

ورأت اللجنة أن تقسم البحث إلى شعبتين : الأولى خاصة بكتب التاريخ المدرسية في المدارس الابتدائية والثانوية . واستندت اللجنة في هذا إلى مختلف العوامل التي تحدد الكيفية التي يكتب بها كتاب مدرسي في التاريخ وإلى اختلاف هذه العوامل في حالة كل من التعليمين الابتدائي والثانوي . إذ لاشك في أن غرض كل من التعليمين يختلف عن الغرض من الآخر ، وأن الخصائص السيكلوجية التي يتمتع بها الطفل في المدرسة الابتدائية هي غير الخصائص التي يخضع لها المراهق في المدرسة الثانوية . كما أن المادة وطرق علاجها ووسائل توضيحها وكيفية عرضها تختلف كثيرا باختلاف مراحل الدراسة ، وهو اختلاف قائم على اعتبارات اجتماعية ودراسية وسيكلوجية مقررة .

ورأت اللجنة أنه لامندوحة من إقامة بحثها وقراراتها على ضوء ما هو حاصل فعلا في هذا الميدان في البلاد العربية المختلفة . ولذا قررت أن تدرس أولا كتب التاريخ المدرسية المقررة في مختلف البلاد العربية دراسة فحص وتحليل وتقويم . فقسمت أعضاءها بحسب تخصصهم وكلفت كل مجموعة بفحص الكتب المتعلقة بموضوع تخصصها وتقديم تقرير عنها ، ثم ناقشت اللجنة مجتمعة كل هذه التقريرات مناقشة أدت إلى اتفاق الجميع على القواعد العامة والمناهج التي تقدمها اللجنة باسمها ، وقررت اللجنة أن يكون المدار في تقويم الكتب المستعملة الآن وفي تقرير القواعد العامة والمناهج التي ستتقدم بها هو ذلك التقرير القيم الذي وضعته شعبة التاريخ في المؤتمر الثقافي العربي الأول الذي انعقد في لبنان في صيف سنة ١٩٤٧ ، والذي أدرج ضمن « مقررات المؤتمر » الذي نشرته الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في القاهرة في سنة ١٩٤٨ فدرس أعضاء اللجنة فرادى ومجتمعين هذا التقرير القيم واسترشدوا به

ورأت اللجنة أيضا ضرورة الاسترشاد بتقرير لجنة الخبراء الدولية التي دعتها هيئة اليونسكو إلى الاجتماع بدار الهيئة بباريس في أكتوبر سنة ١٩٥٠ لدراسة طرق تدريس التاريخ وكتبه المدرسية والوسائل المؤدية إلى استخدام ذلك في تحقيق التفاهم



.بين الشعوب

وقد استغل كل عضو من أعضاء اللجنة ما تحت يده من الموارد الخاصة ككتب التاريخ المدرسية المقررة فى الأجزاء الأخرى من العالم كالولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا، وكتب الطرق الخاصة بتدريس التاريخ ومطبوعات هيئة اليونسكو

وفوق هذا كله استفادت اللجنة بما يعرفه كل عضو من أعضائها من حاجات الدول العربية الشقيقة فى هذه الحقبة الدقيقة من تاريخها وما تستلزمه هذه الحاجات من التعاون، ولا شك فى أن التعاون الفكرى والثقافى هو أساس كل تعاون سياسى واقتصادى، والدول العربية لها من وحدة ظروفها التاريخية ومقوماتها الروحية والثقافية واللغوية المشتركة ما يمكن أن يكون أساسا متينا للتعاون فى غير ذلك من ميادين الحياة يندر أن يوجد فى أى مجموعة أخرى من دول العالم. وعلم التاريخ هو جماع كل هذه العوامل المشتركة ومن ثم وجب أن يعتمد عليه فى هذه الأمم الشقيقة فى توطيد أواصر المودة والتفاهم بين أجيالها الناشئة

وقد انتهت هذه اللجنة من عملها وقدمت تقريرها إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية توطئة لعرضه على اللجنة الثقافية للجامعة العربية فى دورتها القادمة التى ستعقد فى عمان فى ١٦ أغسطس ١٩٥٢ لإقراره وتوصية حكومات الدول العربية بتنفيذ المقترحات الواردة به

اللص الثرثار

عن الإنكليزية

لما أضيئت الغرفة فجأة شعر اللص بالخطر، وكان هذا اللص يلقب بين أصحابه بالدوق لجرأته على اقتحام المنازل ولحسن طلعته وهيئته. وقد قضى أكثر من عشرة أعوام فى مخاطراته دون أن يعتقل مرة واحدة. لكن الخوف يعترى أجرأ اللصوص عند وقوع الخطر

وكان البيت مكونا من طابقين: أما الأول فهو إدارة جريدة، وأما الثانى فهو مسكن رجل من الأغنياء كان مسافراً وكان البيت خالياً من السكان فجاء هذا الدوق ليسرقه على هذا الاعتقاد لكنه لما دخل من النافذة وجد الغرفة مظلمة ورأى فى وسطها منضدة وشم رائحة فأدرك أن فى المنزل سكانا لأن الرائحة هى رائحة ويسكى، وكانت الزجاجة موجودة على المنضدة وبجانبها كأس وزجاجة من الصودا. ولما كانت النافذة لا تزال مفتوحة فقد تردد الدوق وهم بالعودة. ولكن فى هذه اللحظة أضيئت الغرفة ووقف عند الباب رجل فى يده مسدس وهو يقول: «من هذا؟»

فأجاب اللص: «حسن، استدع البوليس»

قال صاحب المنزل: «سأفعل» وفى نفس اللحظة دخلت سيدة فاختفت وراء صاحب المنزل وسألت: «ما هذا!؟»

فقال صاحب المنزل: «اذهبي فارتدى المعطف وعودى إذا شئت فانظرى لصا من أشهر اللصوص» وقال: «ألست الوغد الذى يدعونه بالدوق!»

فابتسم اللص وقال: «نعم أنا الدوق ولكننى لست وغدا»

وكان الدوق فى الخامسة والثلاثين مهيب الطلعة يحمل وقاره رجال البوليس على رفع أيديهم بالسلام عند مايرونه. وكانت ثيابه ثمينة وصوته ينم على السيطرة والنفوذ، وقال له صاحب المنزل: «ابق هنا» ثم مشى نحو آلة التليفون فجلس اللص أمام المنضدة ووضع رجلا على رجل كأنه جالس فى منزله أو كأنه ضيف كريم

وطلب صاحب المنزل قسم وليس «لايم ستريت» فقال اللص: «بل اطلب قسم بوليس (واردوو) فهو أقرب مكانا ونحن تابعون له»

قال صاحب المنزل: «كما تريد» وطلب القسم الذى أشار به الدوق، ثم قال فى سماعة التيفلون. «من؟ مفتش البوليس؟

أرســـل بعض جنودك الآن . أنا السير براندون برتون — شـارع كوبرى رقم ١٦٢ — هندى لص . الأمر لا يدعو إلى عجلة شديدة فإنى أستطيع الانتظار حتى يحضر الجنود »

ثم ألقى السير برتون بالسماعة والتفت إلى اللص الجـالس أمام المنضدة وقال : « مرحبا بك ! » فقال الدوق : « إننى أعلم منك بأقسام البوليس؛ وأنا فضلا عن ذلك أحب قسم واردوور فإن سجنه من السجون الجديدة النظيفة » فقال السير : « إننى لم أر لصا أود منك . مامقدار العقوبة التى تظن أنه سيحكم عليك بهـا ؟ » ففـكر الدوق لحظة ثم قال : « خمسة أعوام لأنهـم سيسجنوننى مدة سابقة بسبب حكم لم ينفذ . وقد كنت فى الواقع لا أريد دخول هذا المنزل بل المنزل المجاور وهو نادى السباق »

مضت بعد هذا فترة فى صمت ثم قال السير وهو يشير إلى زجاجة الويسكى : « اشرب كأسا إذا شئت »

فشرب وشكره ومضت فـترة صمت أخرى . ثم قال السير برتون : « ولـكن لمـــاذا كنت تريد أن تدخل فى نادى السباق ؟ »

فقال الدوق بلهجة تنم على الوثوق التام : « لقد كنت أعلم من قبل باسم الجواد الذى سـيربح فى السباق المقبل » فابتسم السير وقال : « أنا كذلك أعلم »

فهز الدوق رأسه وقال : « أنت مخطىء فقد تغير العزم على منح الجـائزة لجوادك « وبت لادى » الذى كنت تعتقد حتى هذه اللحظة أنه صاحب الجائزة »

فامتقع وجه السير لما رآه يصرح باسم الجـواد وصاحبه . وقد كانت الحقيقة أن التدبير جرى من قبل فى النادى على أن ينال هذا الجواد الجائزة

ثم قال اللص : « وكنت قد اشتريت أوراقا المراهنة على جوادك ، ولـكننى بعتها واشـتريت بمائة وخمسين جنيها أوراقا أخرى على الجواد الآخر لـكى أربح خمسة آلاف جنيه وحملت أصدقائى من اللصوص على مثل ذلك »

وكانت لهجة الثقة التى يتـكلم بها اللص داعية للسير برتون على تـكرار الابتسام وقال : « لـكنه من المحتمل أن تخسر » فقال الدوق : « إن هذا محتمل — لـكن البوليس تأخر كثيراً »

وكان إبداؤه هـذه الملاحظة بمناسبـة هى أن الساعة دقت الثانية بعد منتصف الليل . وقد نظر إليها اللص وأبدى تعجبه من ارتفاع صوتها حينما تدق دقة مزعجة مع أنها من أغلى طراز . فلم يجبه السير على هذه الملاحظة ولـكن سأله : « ما اسم الجواد الآخر ؟ »

قال الدوق : « ليس من حقى أن أخبرك لأن مصدر علمى يتعلق بحادثة غرامية بين رجل أعزب وبين امرأة متزوجة . ولو أخبرتك باسم الجواد فقد تعرف هذه المرأة . وأرى مما يتنافى مع شرف الـكبار من اللصوص أن يفعلوا ذلك . لقد كنت أسرق منزلا لأحد الأغنياء فوجدته مستيقظا ومعه امرأة فاضطررت إلى الاختباء وسمعت الحديث الذى دار بينهما وهو عن التدبير الذى تم لتغيير الجواد الرابح . وقد كان هـذا التدبير لمصلحة الرجل وبواسطة تلك المرأة

وهنا دخلت اللادى برتون وقد دهشت عندما وجدت زوجها واللص يتحادثان كأنهما صديقان ووجدت اللص جالساً مطمئنا . وزادت دهشتها عندما وقف اللص ووقف زوجهـا للترحاب بها عند الدخول . وقالت لزوجها : « ما الذى فعلت ؟ ألم تستدع البوليس ؟ »

فتناول اللص كرسيا وأشار إليها بالجلوس فجلست وهى فى غاية الدهشة مما تراه

وقال السير : « اسمعى ما يقوله الدوق . لقـد أخبرنى بأن العزم تغير فى نادى السباق ولن ينـــال الجائزة جوادنا « وايت لادى » »

فنظرت اللادى فى حيرة إلى اللص وقالت : « ما هو الجواد الأخير ؟ »

فقال : « لا تسأليني فإن القصة تمس شرف إحدى السيدات ، وقد كنت منذ أسبوع أسرق بيت رجل غنى فجلست فى غرفة الاستقبال . وكان فى غرفة النوم سيدة متزوجة تتآمر مع الرجل على موضع السباق »

ولاحظ الدوق ارتباك السيدة مما بدا فى نظراتها وصوتها . ولكن السير كان بطىء الملاحظة فلم يدرك شيئا من ذلك

وقالت اللادى : « وهل رأيت السيدة ؟ »

فقال : (لقد لمحت) فقال : السير برتون (هل هي زوجته ؟)

قال : (كلا وقد قلت الآن إنها متزوجة)

قالت اللادى : (ولماذا لم تظهر نفسك ؟) فلاحظ السير على زوجته هذه الملاحظة : (وكيف يظهر نفسه ويتعرض للاعتقال ؟)

فقالت : (إنه ما كان من الممكن أن يعتقل ما دامت المرأة التي معه متزوجة)

قال الدوق بإباء وترفع : (إنني لا أستغل الأسرار ولا أتجر بسوء السمعة)

° ° °

استمر اللص في سرد ما سمعه عن تغيير الجواد الرابع فاستثار اهتمام السير لأنه وثق من صدق ما يسمع لما فيه من التفاصيل من شؤون النادى

وفي أثناء الكلام دق الجرس فاستأذن السير من اللص وذهب إلى الباب . وفي أثناء غيبته التفتت اللادى إلى اللص وقالت : (أرجو أن تصارحني الآن ، أليس المنزل الذى سمعت فيه هذا الحديث هو منزل اللورد آرثر جريفزلى ؟)

قال : « نعم ولكن ما يدريك ذلك ؟ »

فقالت اللادى « دع هذا التجاهل فإنني السيدة التي كانت هناك . ألم تكن الليلة ليلة الأربعاء ؟ »

قال اللص : « أأنت مجنونة حتى تعترف أمامي بمثل هذا الاعتراف ؟ لكن سرك على كل حال مصون في قلب يكتم الأسرار، وقد كانت الليلة ليلة السبت وكانت المرأة امرأة غيرك »

وقد كان اللص يحسب هذا القول مطمئنا لها ولكنه أخطأ فإن هذا القول لم يزدها إلا انزعاجا . وألحت عليه أن يخبرها باسم المرأة الأخرى .

وقالت إنها لاتهتم لنفسها ولا تعبأ بالسر ولكنها تهتم لأن اللورد يدعو إلى منزله امرأة غيرها . وأخذت تلعن وتسب وتقسم أنه لن يكون بينها وبين اللورد علاقة »

وفي أثناء الحديث عاد السير برتون وقال إن الذى كان يدق الجرس هو رجل البوليس وإنه صرفه بأكذوبة اخترعها وإنه يرجو من الدوق أن يخبره باسم الجواد الآخر

قال الدوق ! « لاتتعب نفسك فإني لاأسمح بذكر حديث يؤدى إلى معرفة المرأة » فقال السير : « عجيب والله أن يأتي لص في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليلقي علينا درسا في الأخلاق . قل وسأعطيك ماتريد من المال » فأبدى اللص علائم الاشمئزاز

وقالت السيدة لزوجها : « ليس مما يتفق مع مكانتك أن تساوم مثل هذا الرجل على ما أفهمك أنه سر »

ولكنها رأت إصرار زوجها وتشبث الدوق وضاق صدرها بسرها وشعرت بأنها أحرجت فقالت : « إن الرجل الغنى الذى يتحدث عنه هو اللورد آرثر جريفزلى والجواد الرابع جواده»

وقف الدوق مغضبا وقال : « هذا سر خنته »

ولكن اللادى خرجت باكية متعثرة وقد عرتها رعشة المضطرب فتبعها زوجها . ووقف اللص وحده وهو نادم على إفشاء السر أكثر من ندمه على أنه سارق

وبعد ساعة عاد السير برتون وهو أصفر الوجه خائر القوى وقال : « إن اللادى اعترفت لي بالحقيقة كلها وهي ترجو مكافأة على إطلاق حريتك الليلة أن تسرق لها الخطابات التي كتبتها إلى اللورد آرثر »

فوعده الدوق بذلك

وفي الليلة التالية كان اللورد آرثر في حجرة مدير البوليس السرى ليساعده على استكشاف جريمة

قال المدير ! « ما هو الشيء المسروق ؟ » فقال : « رزمة من الخطابات يظهر أن اللص حسبها أوراقا مالية »

فقال مدير البوليس : « وما فائدة البحث عنها ؟ إن اللص سيمزقها كما كنت تفعل لو أعيدت إليك »

لكن مدير البوليس كان مخطئا فإن اللص أخذها ليردها إلى اللادى برتون وقد نال في مقابل ذلك جائزة هاجر بها من إنجلترا إلى أمريكا وترك مهنته الدنيئة

ع . ه

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٦ — ٤ اغسطس سنه ١٩٥٢ — السنه العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٩

20me. année No 996

Le Caire 4 - 8 - 52

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات بك

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٦ «القاهرة في يوم الاثنين ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٧١ — ٤ أغسطس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

وأخيرا ظهر القائد المنتظر!

كانت بلية مصر العظمى أن تزعمها نفر من المحامين صناعتهم الجدل، وبضاعتهم الوعود، ووسيلتهم الخطب، وغايتهم المناصب. أكثرهم يقولون الحق ويفعلون الباطل، ويذكرون الأمة ويريدون الغنيمة؛ وأقلهم يطلبون التحرير، ويرغبون الإصلاح؛ ولكن قصاراهم أن يخطبوا ما أسعفهم الريق، وأن يكتبوا ما واتاهم المداد، وأن يتظاهروا ما أمكنتهم الفرص، وأن يهتفوا ما أطاعتهم الحناجر! ثم احترف الطاعون منهم الدفاع عن القضية الكبرى لأنها أوفر ربحا وأيسر كلفة، فكان من غرضهم أن تعرض، ومن مصلحتهم أن تطول! ثم انقلب هؤلاء المحترفون صيادين في بحر زاخر بالخلاف والفساد والفوضى، بعضهم يطمع في اللآلئ، وبعضهم يقنع بالجيف؛ والشعب المظلوم المحروم يصارع الأمواج الرُّعن، ويجابه الصخور الصم، ويستغيث فلا يرى إلا الشباك الجارفة تغرق أشلاءه وتجمع أسلابه! وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ويحسب كل عامة خاصة نشّأته جدودنا العواثر تنشئة الوارث العابث المتبطل، فلم ينل ما يناله الإنسان العادي من التربية والتعليم، وإنما ثقفه الفراغ في الرأس والنفس والضمير ثقافة الفجار من أمراء بيته، فصاد الطير وقاد السيارة ولعب الورق وأطلق المسدس!

كانت غاية همه أن يغني وأن يطغى وأن يحكم. ولم تكن غايته من الغنى أن يخفف شدة الفاقة عن رعيته، ولا من الطغيان أن يكفكف شِرّة الحزبية عن أمته، ولا من الحكم أن يوجه سير النهضة في بلاده. إنما كانت غايته من هذه الرغائب الثلاث السرف والترف والفحشاء والمنكر والبغي!

تناصر هذا الملك اللاهي وأولئك الساسة المحترفون على إذلال هذه الأمة ففرقوا كلمتها، وعوقوا نهضتها، وبددوا ثروتها، وسوأوا سمعتها، ودفعوا بها إلى هوة من هُوى الفساد لا سبيل بها لنجاة، ولا بصيص فيها لأمل. فلم يكن بد من أن يظهر في مصر مصطفى كمال ليعيد الروح إلى الجسد الميت، ويرد السكون إلى النظام الفاسد! وما محمد نجيب إلا الرجل الذي ادخره الله لهذا اليوم لتنكشف به غمة، وتحيا بفضله أمة، وينصلح على يده عهد، ويبتدئ باسمه تاريخ! وإن مصر التي حلمت به كثيرا في ليلها الطويل، وانتظرته طويلا في سجنها المظلم، لترجو منه أن يكون لها ما كان كمال من تركيا: يطهر الحكم كما طهر المُلك، ويرفع الشعب كما رفع الجيش، ويقيم الدولة والحكومة والأمة على أسس جديدة من الخلق الفاضل والعدل الشامل والخير المحض والعلم الصحيح والعمل المثمر لا يثبت عليها دجل، ولا ينفق فيها غش، ولا يتطرق إليها فساد

لقد كان فرعون المطرود قادرا على أولئك كله لو أراد؛ ولكن الله الذي يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، لم يرد هذه النعمة إلا لمحمد نجيب. فلتكن إرادة الله!

احمد حسن الزيات

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

فى تراث الماضى ورواسخه ذخيرة من الطمأنينة الروحية جيلنا المثقل بالأعباء فى حاجة إليها . وفى النفس رغبة ملحة لأن تعادل فى نباهة بين ما تتشوق إليه فى الحياة اليومية من هناء وطمأنينة واستقرار ، وبين ما يكتنفها من قلق وفتنة وتشويش مبعثه تسيار الحوادث وطبيعة التيارات الفكرية التى تعصف بالمرء فى طور الفتوة العقلية فى حاضر جيل كجيلنا مشحون بشتى أنواع الصراع

فهذا الجيل عجيب بين أجيال التاريخ . ولد فى أهوال الحروب، ورضع من دم الثورات ، وشب فى عهود الفتن والانقلابات ، وفى عواصف الفوضى الثقافية والعاطفية التى تنقلها إليه مواصلات فكرية سريعة ربطت أركان المعمورة بعضها ببعض فأصبحت كالدف تنقر عليه من أى ناحية فينقل الصدى إلى السامعين

وقد فرض على هذا الجيل مسؤوليات جسام . فوجد نفسه مشوش التفكير موزع الأهواء ، فقد اتسعت مداركه بالعلم الحديث وازدادت إحساساته بالتجارب فأصبح يبحث عن استقرار وحرية وانطلاق ، لا كترف يزين به رجوته ، ولكن كمعول لتحقيق الطمأنينة فى مفاهيمها العديدة — اقتصادية وسياسية وثقافية — لعله مستطيع تلبية حاجاته ، وهى تفوق فى ماهيتها وكميتها حاجات الأجيال السابقة

وفى إبان يقظة هذا الوعى يواجه جيلنا ألوانا من المغريات فينساق معها المرة بعد المرة راميا بمسؤولياته إلى الجحيم ، ولكن سرعان ما تجذبه هذه المسؤوليات إليها فى عنف وشدة لتذكره بأن المغريات فى هذا الجيل لا تنال اختلاسا ، ولا تستطيع أن تمنح المتعة الحقة إلا إذا توافرت أسبابها الاقتصادية وأوساطها الاجتماعية ودون ذلك ستائر كثيفة نساجها من مقدمات البيئة وتركز الثروة وسوء توزيعها ، وما أولدته من أنظمة الطبقات واختلال الميزان الاجتماعى وما نتج عن ذلك من كبت للمواهب وقضاء على الفرص والإمكانيات ، وكل هذه عقبات منيعة لا مفر جيلنا المدرك لحقوقه وواجباته أن يجاهد للتغلب عليها

وفوق هذه المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مشكلة أهم يتخبط فيها جيلنا حين يحاول أن يوفر للنفس ذخيرة ثقافية تعينه على مواجهة هذا التحدى . فبين النفس واستقرارها فوضى ثقافية تسربت إلى جيلنا من بلبلة برامج التعليم وتنوع الغذاء العقلى والروحى الذى يغزونا من كل الجهات ، من تراث الماضى وقوته التى تهيمن على بيئتنا وتكويننا الخلقى ، ومن تيارات الحاضر وهى تيارات فيها من عناصر التشويش والتناقض ما يفرض على عقولنا وإحساساتنا صراعا لا رحمة فيه ، ندفع إليه مسيرين لا مخيرين رغبة منا فى أن نحقق لأنفسنا نهجا فى السلوك وسبيلا إلى الطمأنينة تتناسب مع ما تشبعت به عقولنا وعواطفنا من مبادئ وما تولد فى أنفسنا من حاجة إلى العيش الشريف فى عالم تشعبت مطالب العيش فيه وازدادت فى مجال الموازنة مع مطالب الأجيال السابقة

هذا والكثير من أشباهه بعض ما نواجهه من تحد . ومن ثم ألمت بشخصية جيلنا ألوان من القلق وضروب من المسؤوليات تفرض عليه أن يجد لمواجهتها حلولا سليمة

فمنا من ينساق إلى مغريات التطرف فيثور على النظم والمجتمع وبيئته وثقافته ، ويعتقد بأنه واجد الخلاص فى اعتناق هذه النظم والمبادئ المتطرفة التى يخيل إليه أنها ستوفر لأزمته أقرب الحلول وأقصر المسالك . وتاريخ الإنسانية ملىء بهذا النوع من أفراد المجتمع الذين يسأمون من بطء التطور ، فيلجأون إلى التغلب عليه بسلاح التطرف فى العمل والتفكير

ومنا من ينكر على جيله تعدد المطالب وتشعب المسؤولية ، فيختار العيش فى الماضى المحافظ ويمتزج امتزاجا كليا فى تقاليده وتراثه وبيئته لعله قدر على أن يحقق مطلب النفس من الطمأنينة والاستقرار الذى يبدو له أن الجيل السابق والأجيال التى أتت قبله قد استطاعت أن تنعم بها

ولكن أكثرنا لا يرضى عن هذين الاتجاهين ، فهو لا يستطيع أن يعيش فى الماضى المحافظ فى عزلة عن تيارات الفكر والتطور الذى ألم بالحياة وبالمجتمع الأكبر . فكل شىء فى الحياة

والمجتمع تلح عليه أن يواجه العصر بأسلحة العصر . ولكن أكثرنا مدرك كذلك بأن التطرف والثورة على النظم ليست كفيلة بأن توفر لهم ولقومهم ماهم في عوز إليه من عدالة واستقرار فالثورة والاندفاع المتطرف في عالم تكتنفه الذئاب لا يحقق لجيلنا مايطمحون إليه من أسس ومبادىء إلا إذا ارتضى لنفسه ولقومه أن يصبحوا فريسة لطبقة من المجتمع أو لدولة من الدول التي تتحين ميلاد الأوضاع الثائرة فتزحف لتملأ « الفراغ » بدعوى حفظ الأمن والاستقرار . ولنا في اختباراتنا واختبارات غيرنا في كوريا وغير كوريا أمثلة وافية على ذلك

وحين يحاول أكثرنا في صدق ونباهة أن يدفع عن نفسه القلق وأن يواجه مسؤولياته السياسية والاجتماعية والفكرية يجد نفسه تنزلق في مسلك وعر .

ففريق يندفع إلى الاعتقاد بأن جوهر الإشكال هو توفير الحرية الديمقراطية خالية من سيطرة الذين ورثوها مع ماورثوه من مال وعقار . ومن ثم يتجه هذا الفريق إلى النشاط الحزبي مدفوعا إلى ذلك برغبة تلح عليه في أن يصلح الأداة السياسية فيحقق لنفسه ولقومه العدالة والطمأنينة في مفاهيمها العديدة ، واثقا من أن الحرية السياسية (على نحو ماتفسرها الديمقراطيات الغربية) ستوفرها له على أتم الوجوه وأحسنها . وهذا الفريق أميل إلى تجاهل العناصر الأخرى التي تشارك الحرية السياسية في الأهمية والقوة

وفريق آخر يختار التفسير الاقتصادي لأزماته ومسؤولياته فيجد العلة الكبرى في تركز الثروة وفقدان التوازن في النظام الطبقي ويتحمس لاعتناق تعاليم « ماركس » وغيره من أبناء الشيوعية ودعاة الاشتراكية على علاتها . وهذا الفريق أميل في المراحل النهائية إلى الشك في صلاح هذا التفسير الاقتصادي منه إلى الثقة به . فأنبياء الشيوعية ودعاتها لم يتطرقوا إلا من طرف غير مباشر إلى ألوان العقد والمشاكل والمسؤوليات التي يواجهها جيلنا في مجتمع عربي إسلامي هم بحكم البيئة والتراث والمقدمات وبفضل دوافعه الروحية والمادية يختلف في أوجه عديدة هامة عن المجتمعات التي عالج مشاكلها ماركس وفلاسفة الاشتراكية الأوروبيون . ومثل هذا الفريق مثل الطبيب الذي يعالج أمراض المناطق الحارة بالأدوية والوصفات التي تعالج بها أمراض القطب المتجمد الشمالي . وهناك فريق ثالث يشارك أقرانه في مواجهة التحدي وملاقاة المسؤوليات التي فرضت عليه ولكنه لا يسمح لنفسه أن تقتنع بأي حل من الحلول التي اقتنع بصلاحها الفريقان الآخران . فهو لا يؤمن بأن الحرية السياسية كما تبشر بها ديمقراطيات الغرب كافية وحدها لبناء المجتمع الجديد . فهذه الديمقراطيات نفسها ساعية لتطعيم أنظمتها بعناصر مستجدة من تطور الفكر والوعي في الجيل الجديد . وهذا الفريق الثالث لا يستطيع كذلك أن يتجاهل العناصر التقليدية الراسخة — الدينية والثقافية والاجتماعية — التي تعيش عليها بيئته عندما يبحث عن الحلول في تعاليم الشيوعيين والمبادىء والنظم الأخرى التي وضعها المصلحون لمجتمعاتهم التي إن شابهت مجتمعنا في وجه فإنها تختلف عنها في أوجه أخرى

وفي هذا الفريق نزعة كامنة — سمها ماشئت دينية أو قومية تصر على أن يرعى تراث الماضي وذخيرته ، وهذه المقدمات والعناصر الخالدة التي تطفح بالروعة وتمتلىء بالطمأنينة والاستقرار في عالم يكتنفه التفكك والعقد والأزمات الروحية والمادية

وهذه النزعة ليست لونا من الترف العقلي أو نوعا من المخدرات الروحية التي ما أكثر مايتهم بها الراغبون في مواجهة التحدي في ترفع عن صرخات الاجتهاد الخاطىء للذين اعتقدوا بأنهم وجدوا الحلول لمسؤولية الجيل . بل الحق أن هذه النزعة ضرب من الاجتهاد الجاد للبحث عن معقل للايحاء الروحي والفكري لا ينضب معينه — وهو معقل لابد لكل من أحاطت به مسؤولية أو ألمت به أزمة من أن يلجأ إليه ليستمد منه القوة والشجاعة والرأي السديد

فجيلنا أشبه بالجيش المنهزم يواجه المعركة الفاصلة على حدود بلاده فهو لا يجد الحكمة في أن يغامر بما تبقى لديه من قوة ومناعة ليظفر بجزء من عتاد الأعداء وذخيرتهم ليتسلح بها في الموقعة الفاصلة ، بل الحصافة في أن يجمع ما استطاع جمعه من ذخيرة وقوة حماية من طول البلاد وعرضها . فيقتلع أسلاك الحدائق وبوابات القصور وقضبان النوافذ ليصهر ويصنع منها سلاحا يتحصن فيه في خندق مكين إلى أن يستعيد من بأسه ويجند قوته الكامنة في عزم شديد

وجيلنا فى عراكه مع المسؤوليات الجسام التى تتحداه لا يستطيع أن يضمن لنفسه النصر إذا اختار المغامرة فى المعركة الفاصلة فاندفع بجمع ذخيرته من فتات الآراء والمبادئ يلتقطها من أطراف الميدان الذى يسيطر عليه العدو اللاحق . بل إن طبيعة هذا العراك تفرض على جيلنا أن يختار لنفسه حصنا منيعا يجمع فيه ما استطاع اكتشافه من ذخيرة فكرية وتراث روحى من صميم المجتمع الذى نصب نفسه مدافعا عن حماه ساعيا إلى تحويله إلى مجتمع أفضل

فكما أن آلة الحرب فى أزمنة الصراع لا يمكن لها أن تقتصر فى استمدادها على ما تستورده من ذخيرة وعتاد وإنما تسعى جادة لإنشاء المصانع فى أرض الوطن بعد أن تتيقن من أصناف المواد الخام المتوفرة فى تربتها ؛ فإن عراك الجيل يجب أن لا يقتصر فى استمداده على ما يستورده من بضاعة فكرية مصادرها عديدة وإلا كان أشبه بالجيش الذى يتسلح ببندقيات بريطانية رصاصها بلجيكى وطائرات روسية لا يصلح لإدارتها ما يتوفر لهذا الجيش من غاز ممكر

فالمهم أن نعكف قبل كل شئ على إحصاء ما يتوفر لدينا من مادة خام — من بيئة ومقومات وتراث روحى — قبل أن نختار القوالب الفكرية المستوردة التى نطمح فى أن نجهز بها أنفسنا وعقولنا لمواجهة مسؤليات الجيل

فبنا حاجة ماسة إلى الجذور ؛ جذور الفكر وأحوال التراث ودعائم البيئة التى نشأنا فيها وطبيعة المقدمات الخلقية والثقافية التى يعيش عليها مجتمعنا

ومن هنا أخذ فريق منا يندفع باحثا عن همزة الوصل بين تراث الماضى وذخيرته ومسؤولية الجيل الذى نحن منه

وبفضل ذلك وجد كاتب هذه السطور نفسه راغبا فى أن يشارك قراء الرسالة فى متعة نعم بها فى مطالعته لكتاب أصدرته المطابع الغربية مؤخرا لمؤلفة فرنسية شابة كلفها رجال المقاومة السرية فى فرنسا إبان الاحتلال النازى أن تدرس الأسباب التى أدت إلى انهيار فرنسا السياسى والعسكرى وتقلص الروح المعنوية بين الكثرة الساحقة من أبنائها ، وأن تستوحى من ذلك أسس المجتمع الجديد الذى ألقيت مسؤليات تعميره على عاتق الجيل الذى هى منه

فجاء هذا الكتاب سجلا لكثير مما يسود حاضر هذا الجيل من قلق وانفعال ؛ وإيحاء صادقا لما تعتقد هذه الكاتبة القديرة بأنه عون على مواجهة مسؤولياته الجسام

وقد شغفت هذه المؤلفة سنوات طوالا بمعالجة موضوعها فلم تكترث للسل الذى كان يمتص حيويتها ولم تضع القلم إلا بعد أن أعيت البحث فتلقف الناس الكتاب وزحفت هى إلى القبر لترقد رقدتها الأخيرة

واسم المؤلفة « سيمون وايل » وقد توفيت عن (٣٣) عاما أما الكتاب فترجمة عنوانه « الحاجة إلى الجذور[1] » وهى الترجمة التى اختارها الناشر الإنجليزى

فلنصاحب هذا الكتاب فى عدد الرسالة القادم

للكلام صلة — **عمر حليق**

(1) النص الفرنسى L'Enracinement Par, Simone weil
الترجمة الانجليزية The need for Roots ترجمة Arthur wills
من منشورات دار بوتمان بلندن لعام الحالى

خروج المتنبى من مصر

القسم الثالث

لحضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد رمزى بك

سافرت فى آخر شهر أكتوبر سنة ١٩٥١ إلى خارج مصر لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة ولم أعد إلا فى النصف الأخير من شهر فبراير سنة ١٩٥٢ لذلك تأخرت فى الكتابة عن رحلة المتنبى الذى لازمنى طول مدة إقامتى بعيدا عن مصر

ذكرنا فى المقالين الماضيين كيف قطع المتنبى المسافة بين الفسطاط ونخل فى مرحلة واحدة وكيف مدح الهجن البيجاوية التى حملته هذه المسافة الطويلة بقوله :

ولـكنهن حبـال الحيـاة وكيد العداة وميط الأذى

ولم يقف أبو الطيب طويلا فى نخل (١) التى تركهـا بعد أن مر بها ونفسه مملوءة بالفخر فقال :

فمرت بنخل وفى ركبها عن العـالمين وعنه غنى

وسار من نخل حتى قرب من النقاب أو أشرف على ما نسميه اليوم رأس النقب وهو على حدود مصر الحالية . ثم نزل فى الوادى وسار شمالا فى القطاع الواقع الآن بين شرق الأردن ومصر والذى أصبح من أملاك إسرائيل . وانتهى إلى وادى تربان وهو واد ينزل من الحيمة إلى المنخفض الواقع فى هذا القطاع (٢)

ويظهر أن أبا الطيب المتنبى أخفى نيته واتجـاهه فى السفر إذ يقول :

وأمست تخيرنا بالنقـاب (٣) وادى المياه (٤) ووادى القرى (٥)

(١) ياقوت جزء ٨ صفحة ٢٧٤ يظهر أن القلعـة المبنية فى نخل أنشئت فى عهد بعد سفر المتنبى والأغلب أنه فى عهد الأيوبيين أو ابتداء دولة المماليك لا فى العهد العثمانى كما جاء فى كتاب الدكتور عباس عمار

(٢) جزء أول معجم ما استعجم صفحة ٣٠٨ ، قال أبو زياد هو واد بين مياه كثيرة وأنشد

نظرت بمفضى سيل ثربان نظرة هل الله لى قبل الممات يعيدها

وهو غير ثربان الذى قال عنه الأصمعى أنه بين مكة والمدينة

(٣) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٠٦

(٤) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٧٦

(٥) ياقوت جزء ٨ صفحة ٣٧٥ ـ صبح الأعشى جزء ٢ صفحة ٢٩٢

ويقصد بوادى المياه ووادى القرى الاتجـاه جنوبا إلى الحجاز بدلا من الاتجاه شمالا إلى الشام وأخذ طريق الـكوفة .
ويظهر أن شمـال الحجاز كان عامرا فى عصره بدليل ما جاء فى كتاب ذيل الأمالى صفحة ١٢١

ولما علوت اللابتى لشوقت قلوب إلى وادى القرى وعيون

كما جاء فى كتاب الأمالى صفحة ٢٩٩ جزء ٢ شعر جميل

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادى القرى إنى إذا لسعيد

وجاء فى صبح الأعشى جزء ٤ صفحة ٢٩٢ أنه بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف فى الآخر جمع قرية

الطريق الذى سلكه المتنبى

قال :

فى الروض المعطار : وهى مدينة كثيرة النخل والبساتين والعيون بها ناس من ولد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وهم الغالبون عليها وتعرف بالواديين ، والذى أخبرنى به أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قرى تخربت لاختلاف العرب، وهى الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز

جميعا عن الميرة من غيرها

ولما صعد المتنبي الهضبة القابلة ووصل إلى وادي تربان باح بما يجول في صدره وقال أين أرض العراق كما جاء في شعره :

وقلنا لها : أين أرض العراق؟ فقالت ونحن بتربان : ها

وجاء في ديوانه أنه حينما صعد النقب ومر بتربان وفيه ما يعرف بفرندل فسار يوما وبعض ليلة ونزل

وفرندل (٦) هي من المحطات التي قيل إن بني إسرائيل مرواتها بعد عبورهم البحر الأحمر — ذكر عنها صاحب كتاب Patesine under Muslims أنها كانت مركز أسقفية تحت اسم أرنديلة وكانت واقعة على الطريق الروماني الذي يوصل إلى ايلياء (العقبة) الحالية

ومن المدهش أنه بمجرد قيام حرب فلسطين ودولة إسرائيل انقطعت المواصلات التليفونية بين مصر وسائر البلاد العربية ثم انقطعت الطرق البرية بين مصر والحجاز وشرق الأردن حتى الطريق الذي سلكه أبو الطيب المتنبي لم يعد بوسعنا أن نسلكه فكان أن أصبحت إسرائيل في النهاية تتحكم في مواصلاتنا

وتدل الأبحاث على أن هذه المنطقة بالذات كانت مسكونة بقبائل من العرب من معن وبني فزارة وسنبس(٧)

وقبل وصوله إلى هذه المنطقة تلقاه رائد من بني سليم سار معه حتى وسط بيوتهم آخر الليل فضرب له ملاعب بن أبي النجم خيمة بيضاء وذبح له. وسار من غده فنزل بين بادية معن وسنبس وهي التي كان الوزير الناصر أبي محمد اليازوري الفاطمي يخشى قوتها وكانت تسكن حول غزة ثم انتشر نفوذها بعد ذلك وأخذت تقلق بال الفاطميين ثم انتقلت مع غيرها من بلاد الشام إلى مصر ومنها إلى المغرب. وقد ذكر الدكتور عباس مصطفى عمار أن مواطنها حول غزة. وجاء في ديوان أبي الطيب أن منطقة نفوذها امتدت إلى الجنوب فشملت الأجزاء المحيطة بالعقبة

ومن هذه المنطقة أي بين تربان وفرندل التي بجوارها أذرع والحيمة وهي مناطق معروفة بالتاريخ في القرن الأول الإسلامي وكان يسكنها طوائف من الطالبيين أبناء علي بن أبي طالب ومن العباسيين سلالة العباس طول عهد الدولة الأموية وذلك لما كانت عليه هذه المناطق من الخصب وكثرة المياه ، وليكون أبناء أبي طالب والعباس بذريتهم وتراثهم على مقربة من دمشق وبعيدين عن شيعتهم في العراق والحجاز فيسهل على الدولة مراقبتهم وتقصي أخبارهم

ويخيل إلى أن أبا الطيب كان غير مطمئن لسلامته إذا اتجه مباشرة إلى شمالي الحجاز عن طريق العقبة نظرا لما يعلمه من تحوط كافور واتصاله بعربان هذه المناطق . ويقول الديوان إنه بعد أن أمضى ليلته في هذه المنطقة من أرض الشراة اتجه إلى جبال حسمى وواجهته رياح الحجاز وقال في قصيدته :

وهبت بحسمى هبوب الدبور مستقبلات مهب الصبا

وجاء في ديوانه ذكر إرم وهو اسم علم لجبل من جبال حسمى من ديار جذام بين العقبة وتيه بني إسرائيل . وهذا الجبل عال عظيم العلو تزعم أهل البادية أن فيه كروما وصنوبرا ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد كتب إلى زعماء قبيلة جذام أن لهم جبل إرم لا يشاركهم فيه أحد ولا يحاقهم فيه غيرهم

وفي ديوان المتنبي أن امتداد جبال حسمى مسيرة ثلاثة أيام طولا في يومين عرضا ويعرفها كل من يمر بها، وقد وجد أبو الطيب في حسمى بني فزارة وفيهم أولاد لاحق بن مخلب فنزل بينهم لأن أمير فزارة حسان بن حجمة كان بينه وبينه مودة وصداقة . وبهذا تحقق ما كتبه قبل ذلك من الشعر وهو بمصر إذ قال :

إذا سرنا عن الفسطاط يوما خلفي الفوارس والرجالا

لتعلم قدر من فارقت مني وأنك رمت من ضيمي محالا

للكلام بقية

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

راجع الرسالة عددي ٩٥١

(٦) معجم البلدان ٣٩٥ جزء ٥ يقول عنها قرية في أرض الشراة

(٧) جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٨ — من طيء — سنبس بن معاوية من بني ثعل من سنبس معن بن قيس بن عائذ بن جريد رأس الخوارج يوم النهروان — السليل بن زيد غرق يوم جاز المسلمون دجلة إلى المدائن . منهم الخورجان بن مخصب دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام مخترقا بادية السماوة قبل معارك العرب ضد الفرس

هل المسيحية فى ازدهار؟

للأستاذ عبد الكبير الفاسى

هذا سؤال إذا اكتفينا فى الجواب عنه بقبول مايرد علينا فى الإحصائيات على عواهنه ، أجبنا عنه بالإيجاب ، لأن الإحصائيات تزعم أن عدد المسيحيين فى اطراد . على أنها تعتبر سكان أوربا كلهم مسيحيين كما تعتبر سكان أمريكا — جنوبا وشمالا كذلك مسيحيين . والإحصائيات لها منطوق ومفهوم وظاهر وباطن ، ومن شأنها أن تصلح دليلا للمثبت مادام لاينفيها ناف يريد أن يثبت خلاف مايدعيه المثبت .

والعبرة فى كل شىء ليست بالعدد وإنما هى بحقيقة الواقع فى الشىء المعدود؛ فإذا كانت المسيحية كثيرة الأفراد فإن المسيحيين قليلو المسيحية ، . وبعبارة أخرى فإن من يعتبرون فى عدد المسيحيين سواء فى أوربا أو فى غيرها لاتسيطر المسيحية على أكثريتهم إلا بقدر ما تسيطر عليهم التقاليد والعوائد ، بحيث أصبحت المسيحية فى كثير من الأقطار ظاهرة اجتماعية أكثر منها معتقدات فلسفية وتعاليم وأخلاقا

والناس طبقات ، وأظهر هذه الطبقات طبقة المالكين وأصحاب رؤوس الأموال وطبقة العاملين لهم وهم العمال والمأجورون

فالطبقة الأولى ، وهى طبقة رؤوس الأموال ، لا ترى فى المسيحية إلا إطارا يحسن فيه إقامة المهرجانات الاجتماعية من زواج ودفن . وتتباهى فى تلك المهرجانات ولا تتردد فى الإنفاق عليها .. ثم إنها إلى عهد قريب كانت ترى فى الدين أداة لتسكين غضب العامل والأجير والفلاح لماهم فيه من بؤس وشقاء؛ وترغيبهم فى حياة الآخرة بما فيها من نعيم يعوضهم مالم يدركوه من أنواع الخير والنعيم فى هذه الحياة الدنيا . غير أن طبقة العملة استيقظت من سباتها وأدركت أن الدين شىء ، وماهى عليه من بؤس وشقاء شىء آخر . وأن الدين ، الذى هو إيمان وسلوة ورجاء ، لا ينبغى أن يكون ذريعة لأصحاب رؤوس الأموال يتوسلون بها إلى استغلال عملهم الشاق المضنى لجمع مال وتنمية ينفقون جزءا تافها منه على تشييد الكنائس وإقامة الصلوات ويتركونهم يعيشون هم وأولادهم فى بؤرة الشقاء والمرض والبؤس

ولم تحصل هذه النتيجة فى عقول العامل والفلاح والأجير بتعاليم الاشتراكية والشيوعية طيلة القرن التاسع عشر فحسب ، بل كان الفضل فى ذلك لانتشار التعليم أولا ، ولفضائح الطبقات المالكة . ولفضائح الكنيسة الكاثوليكية الأخلاقية والمالية . بحيث أصبح العامل والقروى لايغرهما بهرجة الدعاية وجمال المظهر وحسن الهندام ، إذ يعلمون أن من يمثلون الدين لايعيشون دائما حسب تعاليمه وأن أصحاب رؤوس الأموال لا يتأثرون من الدين بشىء ، فساءت الظنون وتبع ذلك ماهو أكثر منه أى فرار أكثرية العملة من حظيرة الكنيسة .

وأحسن برهان على ذلك فقرات نسوقها للقارىء نقلا عن مجلة « إكليزيه » (Ecclesia) وهى لسان حال الكنيسة الإسبانية بقلم أسقف بلنسية جاء فيها :

« يتمنى العملة الإسبانيون استبدال الحكم فى بلادهم ، ولكنهم يجهلون بأى شىء يستبدلونه ، والعملة لايخافون الكنيسة ، وإنما يخافون رجال الجيش ويعتبرون ما يتقاضونه من الأجور لايدفع عنهم البؤس وإنما هم مرغمون على تقاضيه من طبقة المترفين . والعملة من وجهة العلائق الجنسية مع نسائهم ، ليسوا من العفة فى شىء : فالأعزب منهم لايريد الزواج ، والمتزوج منهم لايرى فى زوجه إلا أداة المتعة الجنسية ويعمل على ألا يكون له من زوجه ولد . ويلاحظ أن حديث العملة فيما بينهم أكثر مايدور حول النساء والشؤون الجنسية لا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية . »

ويختم الأسقف كلامه قائلا : « لا يتورع العملة عن سرقة مستخدميهم كلما وجدوا لذلك سبيلا ، وذلك إما بالقيام بالعمل أقل مايمكن ، وأما باختلاس بعض الأدوات . وهم إذ يتصرفون هكذا كأنهم يقولون هذه بضاعتنا ردت إلينا ! وماذلك إلا لأنهم يجهلون وجود الله أو لأنهم ملحدون »

ذلك مايخص الشعب فى أمة تعتبر أعرق الأمم فى الكاثوليكية . ولا حاجة بنا لتعليق أو شرح إذ كلام الأسقف من حيث البيان

قد بلغ الغاية القصوى . وإذا كان الأمر كذلك فى مثل هذه الأمة فاذا يكون فى غيرها من الأمم التى لعبت فى عقول أفرادها التعاليم الماركسية والماسونية التى سيطرت على التعليم فى كثير من البلاد الأوربية وفرقت بينه وبين التربية الدينية . فحالة المسيحية فى فرنسا لا تقل تحرجا عنها فى غيرها . فقد نشرت جريدة رجعية Carrefour كارفور فى عددها الصادر فى ٣٠ ابريل الأخير مقالا بقلم أحد مساعديها الاختصاصيين فى المسائل الدينية يقول فيه : « يمكن أن نؤكد من غير خشية الوقوع فى الخطأ أن فرنسا فى مجموعها تسير شيئا فشيئا فى طريق العدول عن الإيمان بالله .

وإذا كان جمهور أهل البوادى لازال يقدم أولاده لماء المعمودية ، ولا زال يتزوج ويقيم جنائز أمواته فى الكنائس ، مظهرا بذلك تشبثا ظاهرا بالكاثوليكية ؛ فإن مجموع سكان المدن إلا من شذ — وحتى أفراد الطبقة الوسطى منهم وقسط من طبقة البرجوازية العليا — كل هؤلاء أصبحوا يعتبرون الكاثوليكية كتحفة أثرية وعقيدة عتيقة دخلت فى حكم التاريخ لاحاجة بالناس لإضاعة الوقت فى مناقشاتها والجدال فيها . والخاصة فى كل وسط من الأوساط الاجتماعية هى التى عدلت عن الإيمان بالله ، وهى التى قطعت علائقها بالكنيسة الرومانية متوجهة نحو العلم والرقى العلمى ، ونحو جميع الأوثان المزيفة التى نصبها العالم الحديث ، وبذلك يحاولون تحقيق أهدافهم الإنسانية على أكمل وجوهها »

وبعد أن أطال الكاتب وأطنب فى تصوير هذه الحالة التى تعتبر من صفحات الكاثوليكية السوداء فى العصر الحاضر ، زاد قائلا :

« أخذت فرنسا تبتعد عن المسيحية منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، وقد أصبح إغراقها فى الإلحاد فى الوقت الحاضر فى أقصى درجة ممكنة ، ويشمل ذلك عددا كبيرا من الفرنسيين ، وخصوصا أفاضلهم ممن ينعتون بكونهم محافظين وممن عرفوا بانتمائهم للنظريات التقدمية

نعم إن الكاتب يقول بعد ذلك إن هناك رد فعل لانزاع فى وجوده من طرف الكاثوليكيين وخصوصا من الشباب لاسترداد ما فات الكنيسة من تأثير على النفوس ، ونحن كذلك لا نناقش فى هذا لأن الكاتب متفائل كل التفاؤل ونرجو أن يكون موفقا فى تفاؤله وأن تتوج تلك الجهود بالنجاح أو ببعض النجاح

ويختم مقاله المتشائم فى بدايته المتفائل فى نهايته بقوله : إن كنيسة فرنسا تتمتع بصحة جيدة !

ونحن لا يسعنا إلا أن نبارك هذه الصيحة ، لولا أننا فوجئنا بكتاب كتبه الراهب منتوكلار عنوانه : الحوادث والإيمان (١) ، صادرته الكنيسة الكاثوليكية بعد ظهوره وحرمت قراءته على المسيحيين نظرا للأفكار التى يتضمنها والتى تعتبرها أفكارا ثورية ، وهذا الراهب من أولئك الرهبان الأذكياء الذين عرفوا أن من بواعث انتشار الإلحاد والكفر والابتعاد عن تعاليم المسيحية ، كون من سبقوهم فيها — وخصوصاً منذ فجر النهضة الصناعية فى أوائل القرن المنصرم — لم يكونوا فى صفوف العملة والفلاحين ، بل كانوا فى جانب الرأسماليين يباركون فى تصرفاتهم فى استغلال المال والعملة ، وكانت الكنيسة الكاثوليكية كلما قام من بينها ومن بين رجال الفكر والمنتمين إليها من يندد بأعمال الرأسماليين ويدافع عن العملة مثل الأب لكوردير Lacordaire والأب لامني Lomenais وغيرهما تقاومه وتحرم النظر فى كتبه لأنها تشتمل على أفكار وآراء تعتقدها مخالفة لتعاليمها وقد قام فى فرنسا بعض صغار الرهبان ، وأغلبهم من الشعب ، وأخذوا على أنفسهم التقرب من العامل والفلاح لدرس حالته أولا وإعانته فى شدته وضيق عيشه والدعوة إلى رحمته ليخرج بذلك مما هو فيه من بؤس وشقاء . وإذا خرج من ذلك ابتعد — فى نظرهم — كل البعد عن حظيرة الشيوعية . ولقبهم مناوئهم — بالآباء الحمر — لكونهم يعيشون فى أوساط العمال ويعيشون عيشتهم ، ومنهم من يخدم فى المعامل . وإذ كان عددهم الآن قليلا جدا لكون الكنيسة لا تنظر إليهم بعين الرضا — فإن أثرهم ملموس فى أوساط العمال الذين يحسون منهم بصدق وإخلاص فى المأمورية الإنسانية التى يهدفون إليها

والعجب كل العجب أن بعض هؤلاء « الآباء الحمر » قد توصلوا فى درسهم حالة العمال إلى نتيجة هى نفسها النتيجة التى

(١) Les Evénements et la foi R P Montuclard

توصل إليها الباحثون قبلهم من أصحاب النظريات الاقتصادية في كل زمان ومكان ، وهي أن مسألة العمال والفلاحين — أو ما نسميه العدالة الاجتماعية — تحتاج إلى قلب النظام في الاستهلاك والاستغلال وإعادة النظر في توزيع الأراضي الخ — وهم بوصولهم لهذه النتيجة كأنما كانوا على موعد عندها مع مفكري الماركسية - أحبوا ذلك أم كرهوه ! ولذلك فإنهم يسخطون الكنيسة والرأسمالية على السواء غير أنهم لا يخشون في الحق لومة لائم وإن كانو منقادين لأوامر الكنيسة

ولكي نعرف رأي أحد هؤلاء « الرهبان الحر » نأتي اليك بفقرات من الكتاب المذكور، يقول صاحبه ما نصه :

« لقد قضيت أياما من فصل الربيع الأخير مع جماعة من المبشرين في بادية فرنسا في أواسطها . وقد انسلخ سكان هذه الناحية تماما عن المسيحية بحيث لم يبق عندهم من مظاهر المسيحية إلا ما علق بتقاليدهم الشعبية وما هو ممتزج بخرافاتهم وأوهامهم التي تسود فيها معتقدات هي ألصق بالسحر من غيره . وكان حاضرا معي في هذا الجمع عدد من الرهبان والخوريين يبلغ نحو العشرين ، فخصصنا يوما لدرس هذه الحالة وأمامنا سؤال واحد وهو : ما العمل لرد أهل هذه الناحية إلى حظيرة المسيحية ؟ فكان جواب الجميع أنه لا أمل لنا في ذلك قبل قلب نظام توزيع الأراضي واستغلالها ؛ وهو نظام إنساني يعيش فيه الفلاح وهو ينظر للحياة نظرات لا آفاق فيها »

ورغما من كون هذه النظريات التي تشبع بها غير ما واحد من رجال الكنيسة ، وإن لم يتوصلوا كلهم لنفس النتيجة أي قلب النظام الحالي في الامتلاك والاستهلاك ، فإن الرجعيين من الفرنسيين وخصوصا أصحاب الحزب الملكي المنتمين لأحد زعمائه وهو موراس — يقولون في حكمهم على هذه النظريات : إن هذا دين جديد ، مخالف لما كان عليه دين آبائنا لكونه لا يقر الحياة التقليدية التي عاش عليها الفلاح منذ قرون وتكونت منذ قرون ، والذي يظهر من أمر هؤلاء الحواريين الصغار أن نظرياتهم لا تستند على كاثوليكية ولا على سياسة اجتماعية رشيدة ، وإنما مبناها أقوال الماركسية !

ولا غرابة في هذا الحكم مادام مأتاه من قوم عرفوا بضيق الفكر وشذوذه في كل شيء . والعجب كل العجب أن متزعم الحركة الملكية بفرنسا يقول بخلاف ما يدعيه من يزعمون الانتساب إليه ، وقد عرف عن لو كنت دوباري أن له نظريات اجتماعية قد يرتضيها كثير من أحزاب العمال وهي مفارقة لكثير من نظريات أتباعه

ولكن الذي لا نفهمه هو أن كثيرا من المسيحيين المترددين أو المتحجرين الجامدين أمام القضايا الاجتماعية سواء في فرنسا أو في إسبانيا أو في إيطاليا — لم يعتبروا بما وقع لروسيا التي ترددت كثيرا وجمدت ما شاء لها التعصب والجمود أن تفعل طوال القرن التاسع عشر ، وعلى رأسها أرستقراطية جبارة كانت تتصرف في الأراضي وما عليها من رقاب تصرف السادات والإقطاعيين ، ولم تحاول حلا لمشاكل الاجتماعية بل لم يثبت أن قادتها أعاروا أذنا لسماع شكوى العامل والفلاح مما كانوا فيه من أنواع البؤس والشقاء . فنفس جواب الرجعيين في أوربا الغربية الآن كان يجيب به سادات روسيا العامل والفلاح ومن كان يتزعم حركتهما الإصلاحية مستندين في ذلك على سوء فهم الدين ، وعلى تخدير الأعصاب الذي كان يقوم به رجاله الأجورون . ولكن ماذا كانت النتيجة سنة ١٩١٧ ؟

إنها كانت الشيوعية التي اكتسحت نصف أوربا وبعضا من آسيا الآن ، والتي ستضطر الإنسانية لصرف جميع ما تملكه في مقاومتها مع عدم تحقق الغلبة عليها ، لأن القضاء على الخطر الروسي ليس هو القضاء على الخطر الشيوعي !

كانت الشيوعية نتيجة لتحجر المسيحية والمسيحيين ، وكانت روسيا هي أكبر الدول المسيحية مساحة وأكثرها عددا ولكن النتيجة هي ما نعلم

ولذلك لا نغتر بقول من يقول : إن المسيحية في ازدهار ، بناء على الإحصائيات

على أن ما يقال في شأن التأثر بالدين وتعاليمه والتهذب بأخلاقه ومبادئه في حق المسيحية والمسيحيين ، قد يقال مع مزيد الأسف والحسرة في حق الاسلام والمسلمين مع ما لابد منه من التفرقة التي تقتضيها الاعتبارات التاريخية والجغرافية والاجتماعية

عبد الكبير الفاسي

من آثار السيدة زبيدة

للأستاذ المغربي

قال محمد بن على العبدى للخليفة القاهر وقد سأله يوما أن يحدثه عن السيدة زبيدة : كان من فعل زبيدة وحسن سيرتها فى الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها

فأما الجد والآثار الجليلة التى لها فى المملكة فهى حفرها العين المنسوبة إليها فى الحجاز . وتمهيدها الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل ووعر من مسافة اثنى عشر ميلا ، حتى بلغت بها مكة . وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار . ولها كثير من أمثال هذا العمل العمرانى

هذا فى الجد . وأما فى الأمور التى تتباهى بها الملوك فى أعمالهم ، وينعمون بها فى أيامهم ، وتتزين بها سيرهم وأخبارهم . فهو أنها :

أول من اتخذ الآلة (أى أدوات البيت وأمتعته) من الذهب والفضة المكللة بالجوهر . وصنع لها الصناع الرفيع من الوشى حتى كلف الثوب نحو خمسين ألف دينار

وهى أول من اتخذ (الشاكرية (١)) من الخدم والجوارى . يركبون الدواب ويغدون ويروحون برسائلها وحوائجها

وأول من اتخذ القباب على الهوادج من فضة وآبنوس وصندل ، لها كلاليب من الذهب والفضة ؛ وهى ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . واتخذت النعال المرصعة بالجوهر . واصطنعت الشمع من العنبر . وقلدها أغنياء الناس فى ذلك جميعه

ولما أفضت الخلافة إلى ابنها (الأمين) قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه ، فلما رأت أمه شغفه بهؤلاء الغلمان المماليك اتخذت الجوارى الحسان المقدودات (٢) وعممت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداغ (٣) والأقفية (لعله يعنى الشعور تجمع على القفا بشكل خاص مونق) وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق (وهى من ألبسة شباب الجند وغلمان العسكر) وأرسلتهن وهن بهذا الزى إلى ابنها (الأمين) فراقه شكلهن . وأبرزهن فى مجلسه أمام الخاصة والعامة . وشاع أمر هذا الزى فى الناس فجعلوا يتخذون الجوارى الطمومات (أى المقصوصات الشعور من طم الشعر إذا جزه أو عقصه) ويلبسونهن ملابس الغلمان : من أقبية ومناطق ويسموهن (الغلاميات)

وقد أكثر شعراء ذلك الزمن من وصف هؤلاء الغلاميات وفى طليعتهم أبو نواس

ويظهر أن اتخاذ هؤلاء الجوارى الزى المذكور لم يكن بواسطة الملبوس من الثياب وطم الشعر فقط بل يتعدى إلى تصفيف الشعر كما يفعل الغلمان وإلى تخطيط شوارب من المسك والغالية والعبير على الشفة العليا تقليداً للشوارب الطبيعية . وقد أشار إلى ذلك أبو نواس بقوله

حور طلمن مؤنثا ت الدل فى زى الذكور
أصداغهن معقربا ت والشوارب من عبير

والعبير أخلاط من طيب تداف بالزعفران ، فالجارية كانت تلبس لبوس الغلام وتخط على مواضع الشوارب خطا من العبير وفى لونه شقرة فيبدو كشارب الغلام أول ما يبدو وهو بعد أشقر أو أصفر ، أما مواضع الصدغ من الجارية فلا يكون عليه شعر السالف مسترسلا أو سبلا كسوالف الجوارى وإنما هن يقصصن ذلك الشعر ويلوينه على شكل العقرب ، أو لعلهن يكون شعر الصدغ كما تكوى الشعور اليوم بحدائد خاصة . فالغلمان

(١) الشاكرية جمع (شاكرى) معرب (جاكرد) شاعت منذ العهد العباسى بمعنى الخدم ومنه اسم (الشاكرية) لضرب من الخناجر كانوا يتقلدونه

(٢) المقدود اسم مفعول من قد – قد السيف أى خلق حسن التقاطيع والمعنى أن قدود أولئك الغلمان كانت متناسبة فى الرشاقة تناسب نصال السيوف

(٣) المراد بالأصداغ شعرها . وجعلها لهن الأصداغ كناية عن عقربتها . أى لى شعرها على شكل العقرب كما فى قول أبى نواس (أصداغهن معقربات والشوارب من عبير)

درس مطالعة ..

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

كان ذلك فى الحصة السادسة وقد تسربت أذهان التلاميذ من نوافذ المدرسة وأبوابها إلى منازلهم حيث يهيأ لهم طعام الغداء وحيث ينتظرهم أهلوهم وذووهم ... وقد كانت سحابة من التعب تلوح على وجوه التلاميذ تظهر من ثناياها إشراقة خفيفة من الأمل فى الانتهاء من اليوم المدرسى وإلقاء هذا العبء الذى أثقل كواهلهم من أول النهار إلى منتصفه تقريبا ؛ فهم لذلك يستحثون عقرب الساعة كما يستحث الناس آخر يوم من رمضان. وكنت أحس أن آذان التلاميذ ظامئة إلى موسيق الجرس الآذن لهم بانتهاء اليوم ومغادرة المدرسة، ولعلهم لو فطنوا لقرأوا فى وجهى من بين ثنايا هذه القوة المقتطعة من الضعف وذلك العزم المأخوذ من الإعياء مثل ما أقرأ فى وجوههم أو بعض ما أقرأ.. ولكنه التلميذ الذى يعتقد أن مدرسه من حديد لا يلحقه الكلال أو التعب ! وأن صدر النهار وآخره عنده سواء .. وكان موضوع الدرس هو « السلع الآدمية » من كتاب « المطالعة المختارة » المدارس الثانوية . وخلاصة الموضوع — ولا أثقل عليك — أن شابين[1] إنجليزيين جلسا فى حديقة منزل بإنجلترا وسرحا بصرهما فيما حولهما فوجدا من محاسن الطبيعة ومفاتنها ما يأخذ النفس إعجابا ووجدا الطيور تنتقل من غصن إلى غصن فى حرية وانطلاق ؛ بل وجدا كل ما فى الحديقة يدعو إلى الحرية والانطلاق . تذاكر الشابان أن الحرية حق طبيعى ، ويجب أن ينعم به الناس فى الأرض كما تنعم به الطيور فى جو السماء ، وأن شقاء الإنسان مبعثه الإنسان، وما يدعيه الغربيون من مدنية وحضارة ليس إلا ستارا يحجب عن الأعين كثيرا من الرذائل والوحشية . وعرضا لما يجرى إذ ذاك من تجارة الرقيق فاعتزم

[1] كان هذا فى أوائل القرن الثامن عشر وأحد الشابين هو : « وليم بت » وقد صار رئيسا للوزارة الإنجليزية، والثانى هو . «وليم ويبرفورد» من أعضاء البرلمان الإنجليزى

كانوا يومئذ يتخذون من شعر أصداغهم كهيئة العقرب . والجوارى المتشبهات بهم كن يفعلن ذلك، فإذا نظرت إلى وجه الواحدة منهن أول ما يقع نظرك على أصداغ غلام وشوارب غلام. ومن هنا كثر فى لغة الغزل قول الشعراء معقرب الصدغ وعقرب الأصداغ ولا يكون ذلك على ما يظهر فى الغزل بالغلمان الذين لهم على أصداغهم شعر ملوى ومثنى على نفسه بحيث يمثل للرائى عقربا أسود يلسع . أما الجوارى فليس لهن عقارب أصداغ، وإنما لهن أفاعى وحيات من ذوائبهن تتلوى على ظهورهن

فلما سمع القاهر منى هذا الوصف تهلل ونادى بأعلى صوته اسقنا ياغلام على وصف (الغلاميات) فبادر إليه جوار قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والأقبية : والطرر والأقفية ، ومناطق الذهب والفضة . فأخذ الكأس بيده وجعلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ولألاء مافيه ، وحسن أولئك الجوارى الغلاميات ، ولمعان الحربة التى بجانبه . ثم التفت القاهر إلى وقال :

قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم حسبما وصفت وسرنى ماذكرت وفصلت

ثم أمر لى بجائزة أخذتها على الفور وانصرفت

هذا ما روره عن (محمد بن على العبدى) المتخصص فى علم الملوك كما شهد له بذلك المؤرخ المسعودى، وقد علمنا من مسامرته للخليفة (القاهر) وما أفاض به من وصف (الغلاميات) واسترساله فى هذا الوصف إجابة لرغبته الملحة علمنا منه أن هذا الخليفة لم يكن على ما يحبه له منصب الخلافة من عفة وصلاح وحسن سمت ووقار ؛ اللهم إلا إذا كان هذا من قبيل الدعابة التى أذن بها المأمون، فقد روى أن بعض جلسائه سأله :

هل تأذن لنا يا أمير المؤمنين بالدعابة ، فأجاب :

وهل يطيب العيش إلا بها ؟

(المغربى)

الشابان أن ينتشلا وطنهما من تلك الحمأة ويطهرا سمعة الأمة الإنجليزية من جريمة الرق المنكرة .. وقد كانت تجارة الرقيق فى ذلك العهد قائمة على قدم وساق، فقد حدث أحد السائحين أنه رأى زنجيين بصيدان السمك فى داهومى (١) وقد ملآ منه أسفاطا عدة؛ فسمعا وقع أقدام خيل مقبلة فتركا ماصاداه وفرا هاربين من تجار الرقيق الأوربيين، ولكن التجار أدركوهما وسلكوهما مع من معهم من الرقيق

وقد بر الشابان بوعدهما . ونشرا رأيهما فى بلادهما ، فصادف نفوسا تكره الظلم ، ولم يمض قليل حتى هبت الأمة الإنجليزية كلها تنادى بالقضاء على هذه التجارة الخاسرة، وكانت إنجلترا أسبق الأمم إلى هذه الدعوة الكريمة ، ولم يكتف الشعب الإنجليزى بذلك بل جاد أبناؤه بأموال طائلة لشراء وطن فى غرب إفريقية للعبيد المعتقين ثم تبعتها الأمم الأخرى فى ذلك

لم أكد أفرغ من قراءة هذه الفقرات من الدرس حتى رأيت التعب قد طار عن وجوه التلاميذ كما يطير النعاس عن عين المذعور ، وأحسست أن أعصاب التلاميذ المنهدجة من الإرهاق قد شدت من فورة الحماس وأنهم قد صبت فيهم قوة الأسد المتأهب للوثوب، وأخذت أقرأ فى وجوه التلاميذ وعيونهم الارتياب فى صحة ما ينطوى عليه هذا الكلام، وأخذوا يمطروننى بوابل من الأسئلة ؛ فمن سائل يقول :

إذا كانت إنجلترا حقا هى أول من نادى بإبطال تجارة الرقيق فلماذا هذا الاستعمار المسف ؟ وهل هناك فرق بين الاستعمار والرق فى نظر إنجلترا ؟

وتطوع تلميذ بالإجابة عن هذا السؤال قائلا : إن الاستعمار أبشع وأشنع من الرق لأن الرق استرقاق أفراد ولكن الاستعمار استرقاق شعوب ، وقد يعتمد الرقيق على سيده فى مأكله وملبسه ومطالب عيشه ولكن الاستعمار يستحوذ على أقوات الشعوب وكسائها بل يمتص دماءها . . والرقيق يشترى بثمن ولكن الاستعمار ليس كذلك .. ولكن كان محرجا حقا ذلك السؤال الآتى :

كيف يشترى الإنجليز وطنا فى غرب إفريقية للعبيد المعتقين وهم اليوم يغتصبون الأوطان من الأحرار السودين بل وقبل اليوم بمشراب السنين ؟

وما إن انتهى التلميذ من إلقاء هذا السؤال حتى رمقته بنظرة الإعجاب ونظر التلاميذ إلى ينتظرون الإجابة وعلى شفتهم ابتسامة خبيثة ، وكأنهم فهموا أن المدرس يجب عليه أن يجيب عن كل سؤال حتى ولو كان السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه البرلمان الإنجليزى ولا إيدن ولا تشرشل ... وشاءت المصادفات أن تمر فى شارع المدرسة هذه الساعة دبابتان إنجليزيتان فتفزع الشارع بصوتهما الأجش الغليظ فينسى التلاميذ الإلحاح فى طلب الإجابة، وألقيت على الدبابتين نظرة من نافذة الفصل فوجدتهما تهرولان وفيهما المدافع والجنود ؛ وقد رآهما الأطفال الذين كانوا يلعبون بجمع الحصى من الصحراء المشرفة عليها المدرسة فتسللوا إلى الحارات والبيوت هاربين؛ فحضرت فى ذهنى صورة الصيادين اللذين جمعا السمك فى أسفاط عدة فلما رأيا تجار الرقيق تركا الصيد وولیا هاربين ؛ فتبينت فى ذلك شبها بين الاسترقاق والاستعمار، وعدت ببصرى إلى الفصل فإذا هو يكاد يتميز من الغيظ ، فقد كان من أبناء الإسماعيلية الذين ذاقوا ماذاقوا، فقلت فى هدوء ورزانة المدرس التى يصطنعها أحيانا : لعل الله يبعث فى إنجلترا شابين آخرين ترتفع صيحتهما للقضاء على الاستعمار وخنق أنفاس الشعوب

ودق الجرس وانصرف التلاميذ وأنا أسأل نفسى عن هذه الضجة التى أثارها هذا الدرس وقد درسته فى العام السابق فر فى هدوء وسلام ... ولقد تمنيت لو سمع العالم كله ذلك الدرس الصاخب فقد كان درسا حقا

محمد على جمعة الشايب

(١) فى غرب إفريقيا الوسطى

آراء جون ديوي في التربية

للأستاذ حسن محمد آدم

توفى أخيراً الفيلسوف الأمريكي جون ديوى John Dewey صاحب الآراء والنظريات المشهورة فى التربية . ومن حق الرجل علينا — نحن المشتغلين بالتربية والتعليم — أن نكشف للناس عن بعض ما لهذا الفيلسوف من فضل على المناهج التربوية الحديثة فى المدارس والمعاهد وبالتالى على الجيل الجديد الذى يتربى فيها فى هذا القرن العشرين

يعتبر جون ديوى صاحب مدرسة وصاحب مذهب فى التربية وله أتباع وأنصار عديدون وآراؤه الفلسفية فى التربية تتميز بأنها عملية ترتبط بواقع الحياة وترمى إلى نفع الإنسانية منفعة مباشرة ، ولهذا أطلق على مذهبه التربوى مذهب البراجماسية. وإذا نظرنا فى هذه الآراء نجد أن ديوى يقرر أول ما يقرر أن « التربية يجب أن تهدف إلى تنظيم اشتراك الفرد فى حياة المجتمع اشتراكا إيجابيا عن وعى وقصد ، كما يجب أن تهدف إلى الإصلاح الاجتماعى الذى لا يتحقق إلا إذا وجهنا نشاط الفرد وتفكيره نحو الاشتراك فى المجتمع حتى يصبح فيه عضوا نافعا منتجا »

وكانت هذه المبادئ التى بدأ يقررها وينادى بها حدثا فى حياة التعليم التى ألفها الناس وعكفوا عليها القرون الطوال . فإن السنة التى كان الناس يجرون عليها فى تربية أبنائهم وتهذيبهم هى إرسالهم إلى المدارس بغية تلقى العلم واكتساب المعرفة عن طريق المربين الذين كانوا يتبعون طريقة واحدة هى طريقة إلقاء المعلومات وتلقينها للأطفال تلقينا نظريا حتى تمتلئ بها أذهانهم وكانت هذه هى الطريقة المثلى لازديادهم علما وخبرة ومعرفة بالحياة!

وهاجم ديوى هذه الطريقة التقليدية الجافة وبين مافيها من عقم وأوضح أنها لاتفيد الصغير بخبرات جديدة تحقق الغرض من اكتسابه لها ، لأن موقفه السلبي الذى يتمثل فى مجرد الإنصات والاستماع إلى خبرات الغير من شأنه أن يصرفه فى غالب الأحيان عن الاستفادة ؛ ومن شأنه كذلك أن يكرهه فى مادة الدرس بما تدخله فى نفسه من السآمة والملل ؛ لأن الأشياء التى يكره على تقبلها لا تتعلق بذات نفسه لافتقادها عنصر التشويق ولبعدها عن ما يوائم ميوله الفطرية ويجارى غرائزه الطبيعية فى هذه السن المبكرة .

هذا فضلاً عن أن انتفاع الطفل بما يتلقاه فى مدرسته فى حياته المنزلية والاجتماعية يكاد يكون مستحيلا لأنه لا يجد ربطا بين حياته فى المدرسة وحياته فى المنزل أو فى المجتمع ، وبذلك تكون التربية التى من هذا النوع عقيمة غير مجدية يصعب عليها أن تمد المجتمع بمواطن صالح واحد

لهذه الاعتبارات كلها رأى « ديوى » أن التربية السليمة هى التى تقوم على أساس من خلق حياة طبيعية للتلميذ فى المدرسة ، مبنية على حاجاته وميوله ونشاطه الذاتى حتى يسعى بنفسه إلى اكتساب الخبرات التى تنمى مداركه وتغذى عقله .. وبذلك نقل التلميذ من ميدان السلبية والركود إلى ميدان الإيجابية والعمل والنشاط . وبعد أن كان أساس التثقيف فى الميدان الأول التلقين النظرى الذى يأخذ فيه المدرس الجانب الأكبر من النشاط ولا يشاركه التلميذ فيه إلا بقدر ضئيل تافه ، أصبح أساسه فى الميدان الثانى التوجيه العملى الذى يندفع فيه التلميذ من تلقاء نفسه بالتعليم ، باذلاً النشاط الأكبر تحت إشراف مدرسه الذى لا تتعدى مهمته أكثر من التوجيه والإرشاد إلى خير السبل لاكتساب المعرفة وتحصيل المعلومات

وخالف « ديوى » رجال التربية التقليدية فى أن هناك أغراضاً ثابتة للتربية لا تتغير بتغير الأحوال والظروف . فكان يرى أن التربية الحقة هى عملية نمو « growth » مستمرة ومتغيرة دائما إلى ما هو أحسن بالنسبة لنوع المجتمع وظروفه ومثله العليا

ولقد فهم كثيرون فلسفة ديوى هذه فهما خاطئا . إذ توهموا أن معنى هذا هو التحلل من البرامج والمناهج التربوية . ولكن ديوى كان ينص دائما على أن عملية النمو التى يقصدها ليست نموا لا ضابط له . بل هى عملية نمو موجهة ومرغوب فيها derirable groth ومعنى هذا أنه لا ينكر المنهج . بل غاية ما يشترطه فيه هو أن يكون مرنا ملائما

المجتمع ، متنقلا لمختلف أوجه النشاط التي تمكن الصغار من اكتساب خبرات جديدة في أطوار النمو المختلفة

ثم إنه على أساس هذه الفكرة التربوية أقام نهائيا في مدارس الأحداث الأوربيـة عن طريقة التلقين القديمة ، ورسمت الطرق الحديثة في التدريس كطريقة المشروع وطريقة المشاكل وغيرها . ويعتبر « وليم كلباتريك » و « جون ستيفنسون » اللذان يذكران إذا ذكرت هذه الطرق من تلاميذ ديوى الذين تلقوا عنه في مدرسته أفكاره الرئيسية التي بنوا عليها فلسفاتهم فيما بعد

وكما كان لديوى أثره في الغرب كان له أثره أيضاً في الشرق وفي مصر خاصة . وقد بدأ المعنيون بشؤون التربية والتعليم يفتحون أذهانهم إلى هذه الفلسفة الجديدة واقتبسوا منها الشئ الكثير ، وتعتبر المدارس النموذجية إلى حد ما خير من أخذت بآراء ديوى . وهذا لا شك خطوة طيبة إلى الأمام . ونرجو أن يأتي قريبا هذا اليوم الذي تتحرر فيه المدارس المصرية من الطرق التقليدية الجافة في التربية ، وتعمم فيما بينها منهج ديوى وغيره من رجال التربية المحدثين بقدر ما تسمح به ظروف بيئتنا حتى نتخلص بذلك من الجمود والنقص المعيب الموجود في مناهجنا الحاليـة . وحتى يحين للتربيـة أن تثمر وتحقق المقصود منها

حسن محمد آدم

الولاة والعمال
في التاريخ الاسلامي

للأستاذ عواد مجيد الأعظمي

إن موضوع الولاة والعمال ، موضـوع فريد في بابه ، يستوجب البحث والعناية ، لأهميته في تبيان بعض الأسس المهمة في النظم الإدارية عند الإسـلام .. وقد لعب الولاة ، والعمال دورا فعالا في إدارة الممتلكات الإســلامية في مختلف عصور التاريخ الإسلامي ، وحاولت جهدي بيان سياستهم تجاه الأمور المالية ، والسياسيـة ، والإدارية ، والعمرانيـة ، والثقافيـة ، والقضائيـة ، وسياستهم نحو الرعية ... وقبل البحث في سياسة الولاة من الناحية العملية ، والواقعية ، أرى لزاما توضيح معنى الولاية ، والإمارة ، وتطور مفهومها ، وملاحظة أسسهما من الناحيتين النظرية والفقهية

معنى الولاية « الإمارة » وتطور مفهومها

ليست الإمارة أو الولاية إلا شكلا من أشكال الإدارة المحلية خاضعة بصورة مباشرة أو غير مباشرة للسلطة المركزية المتمثلة في السلطان أو الملك أو الخليفة . . ومنشأها يرجع إلى حاجة الأمة في إدارة البلدان التابعة لها؛ وبعبارة أخرى أن توسع الدولة وتعقد شؤونها المختلفة أدى إلى وجوب إنشاء الإمارة أو الولاية « ويراد بالولاية — الإمارة على البلاد ، فيولى السلطان ، أو الملك ، أو الخليفة من يقوم مقامه في حكومة الولايات ، وهى الأعمال في إصلاحهم .. وهذا النوع من الحكم قديم »(١) .. «وكان لكل إقليم حاكم أو عامل ، والغالب أن يكون بطريقا»(٢) « وكان أمراء الأقاليم يسمون « عمالا » ومعنى عامل يفيد أن صاحبه ليس مطلق السلطة — على أنه فيما بعد استعملت كلمة والى وهذا يشعر بالنفوذ والسلطان»(٣)

ويقول « متز » : « وبهذا الاسم كان يسمى — ولاة البلاد .. وكذلك أبناء بيت الخلافة »(٤) ومن كل هذا نرى ، أن جميع المؤرخين المحدثين ، يتفقون على مفهوم الولاية أو الإمارة في أنها — نيابة — « وال » عن الخليفة ، أو الملك أو السلطان في إدارة شؤون الولايات التابعة له

وقد تطور مفهوم هـذه الكلمة — « فأطلقت كلمة « أمير » على يزيد بن عبد الملك كما أصبحت كلمة « عامل » في عهـد بني أمية تطلق على رئيس الناحية الإدارية كالمدير الآن(٥) .. » وقد امتنع كافور بعصر من التسمى « بالإمارة » ورأى أن يجرى على رسمه في المخاطبة « بالأستاذية »(٦) ... على

(١) جرجى زيدان — تاريخ التمدن الإسلامي — ج١ ص١٢٨

(٢) البطريق — غير البطاريريك — فالأول لقب ذي منصب سياسي والآخر لقب ذي منصب ديني — كرد على الإدارة الإسلامية في عز العرب — القاهرة ١٩٣٤ ص ١٠٢

(٣) — حسن إبراهيم — النظم الاسلامية مصر ١٩٣٩ ص١٩٧

(٤) متز — الحضارة الإســلامية في القرن الرابع الهجرى — القاهرة ١٩٤٠ ج ص ٢٧

(٥) حسن إبراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ١٩٧

(٦) متز — الحضارة الاسلامية — ج ١ ص ٢٧

أنه في العصور العباسية المتأخرة اتخذت الإمارة شكل أمير الأمراء : » فقد لقب ابن رائق « أمير الأمراء » وصار بيده رئاسة الجيش وامتدت سلطته بصورة مباشرة على جباية الضرائب وعلى إدارة الحكومة المركزية ، وغدا اسمه يذكر مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة »[7] والواضح أن لقب « الأستاذية » و « أمير الأمراء » كان نتيجة لضعف مركز الخلافة العباسية وزيادة النفوذ الأجنبي وتوسع حركة انفصال الولايات عن جسم الدولة العباسية

الولاية فقهيا ونظريا

وقد صاغ الفقهاء نظرية الإمارة أو الولاية على النحو الآتي :[8]

(١) إمارة عامة (٢) إمارة خاصة

والإمارة العامة على نوعين

(١) إمارة استكفاء بعقد اختيار

(٢) إمارة استيلاء بعقد اضطرار

والإمارة عن اختيار تشتمل سبعة أمور أوردها الماوردي وهي : —

(١) النظر في تدبير الجيوش . . وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم

(٢) — النظر في الأحكام — وتقليد القضاء والحكام

(٣) — جباية الخراج — وقبض الصدقات وتقليد العمال

(٤) — حماية الدين — والذب عن الحريم — ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل

(٥) — إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين

(٦) — الإمامة في الجمع والجماعات — حتى يؤم بها أو يستخلف عنها

(٧) — تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه ومن غير أهله حتى يتوجهون معانين عليه[9]

وأما الإمارة عن اضطرار فهي[10] التي يأخذها الوالي ويقرها الخليفة ، وفيها يكون الوالي مستبدا بالسياسة أو التدبير ، ولكن في المسائل المتعلقة بالدين تكون من اختصاص الخليفة فلا يمكن أن يغض النظر عن بدعة أو إهمال[11] . . ومن ذلك يقول الماوردي : « وأما إمارة الاستيلاء التي تعقد من اضطرار فهي أن يستولي الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ، وهذا وإن خرج من عرف التقليد المطلق في شروطه وأحكامه ففيه من حفظ القوانين الشرعية وحراسة الأحكام الدينية ما لا يجوز أن يترك مختلا مدخولا ولا فاسدا معلولا ، فجاز فيه مع الاستيلاء والاضطرار ما امتنع في تقليد الاستكفاء والاختيار لوقوع الفرق بين شروط المكنة والعجز

وأما عن الإمارة الخاصة ... فيقول الماوردي « يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، وتشمل المجتمع وموضع السكان ومستقر الدعوة — والذب من الحريم — وليس له أن يتعرض للقضاء ، والأحكام والجباية ، والخراج والصدقات »

ونختم قولنا عن وظيفة العامل كما جاء في كتاب قوانين الدواوين « أن العامل هو المتولي ، ويلزمه عمل الحسابات ورفعها ، والكتابة على ما يرفعه من معاملته منها بالصحة والموافقة ، وكل من الناظر والمشارف ، إنما هو لضبطه ، والشد منه ، ويلزمه تحقيق الباقي إذا انصرف من الخدمة »[12]

هذه هي صيغة الفقهية ... لشكل الولاية ، وأقسامها ووظيفة الوالي والعامل وسنبحث في الفصول الأخرى — الناحية العملية في سياسة الولاة والعمال في مختلف عصور التاريخ الإسلامي وعلى القارئ ملاحظة مدى المطابقة والمقارنة بين الناحيتين الفقهية العملية في سياسة الولاة والعمال في مختلف شؤون الحياة

(٧) الدكتور الدوري — دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٥ ص ٢٣٦

(٨) الماوردي ـ الأحكام السلطانية ـ ص ٢٤ — ٢٩ وكتاب القاضي : ابن الفراء الحنبلي : الأحكام السلطانية : ص ١٧ : ٢٢

(٩) الأحكام للماوردي « إقترن بها ثامن ـ وهو جهاد من يليه من الأعداء »

(١٠) وتسمى « إمارة الاستيلاء » ـ الحنبلي ـ الأحكام السلطانية ص ٢١

(١١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٠٠

(١٢) : أسعد بن مماتي ـ كتاب قوانين الدواوين ـ مصر ١٩٤٣ ص ٣٠٣

بغداد ـ العراق

عواد مجيد الأعظمي

نظرات خاطفة

شاعر السودان *

الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

إذن فشعر العباسى هو شعر الفخامة والجزالة والموسيق العربية الأصيلة ذات الإيقاع الكلاسيكى والرنين البدوى المنيف الذى يعيد لنا تارة صوراً من شعراء بنى العباس وأخرى من شعراء الأمويين الذين عاصروا الخلفاء الراشدين وعمروا حتى أوائل الدولة التى اتخذت دمشق عاصمة لها

على أننى وقد قرأت الديوان بإمعان رأيت ناحيتين مهمتين تطغى على شعره وهما :

١ – حبه لمصر

عرفنا أن الشاعر جاء إلى مصر فى مطلع حيـاته ودخل المدرسة الحربية فى القاهرة ليعد نفسه حاميا لسياج الوطن، وعلمنا أيضا أنه مكث فيها مدة سنتين وكان آنذاك طرى الإهاب ، ندى العود ، فى فجر شبابه الريان ، فلذلك لم نعجب إذا ما ظل وفيا إلى الديار التى أبلى فيها بعض سنى شبابه ، ولا نستغرب منه حنينه إلى معاهد شبيبته ورفاق صباه؛ خاصة بعد ما ترك فيها أستاذه الشيخ زناتى الذى كان له الفضل الأكبر فى توجيهه وتثقيفه ، لذلك نسمعه يقول فيها :

مصر وما مصر سوى الشمس التى   بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما   أسعى لطيبة أو إلى أم القرى(١١)
وبقيت مأخوذاً ، وقيد ناظرى   هـــذا الجمال ، تلفتاً وتحيرا
ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد   كم من يد عندى له لن تكفرا(١٢)
دار درجت على ثراهـا يافعاً   ولبثت من برد الشباب الأنضرا

١١) طيبة هى المدينة المنورة وأم القرى مكة المكرمة

١٢) يشير الشاعر إلى المدارس الحربية المصرية فلقد التحق بها سنة ١٨٩٩ وقدم استقالته منها بعد سنتين

ثم يسترسل فى وصف ربى مصر ومغانيها ورياضها وطيب هوائها العليل :

فهنا يسكب الشاعر ألمه الذى يحس به منذ فارق مصر وفرحه بالعودة إلى البلد الذى أحبه وعقد عليه رجاءه ورجاء شعبه الـكريم لذلك يهتف فى مدح « ملك الوادى » من منبعه إلى مصبه

أقوى المالـكين عزيمة   وأسدهم رأيا ، وأكرم عنصرا
فأقام من صرح العروبة ركنه   مذ قام فيها منذرا ومبشرا

ثم يقول

مولاى يا زين الملوك ومن غدت   مصر به زين العواصم والقرى
علمت جاهلها وعلت فقيرها   وسقيتهمو يمنى يديك الـكوثرا
بوركت من ملك وبورك عهدك الميمون ما أبهى سناه وأبهرا
انظر إلى السودان نظرة مشفق   فلقد أمض زمانهم وتنكرا
وهمو بعرشك لائذون ومالهم   إلاك من يذر المسير ميسرا
فلذا تراهم كالعطاش تطلعوا   بالدو يرتقبون مزنا ممطرا(١٣)

ثم يصرخ صرخته الموجعة فيشرح لملك النيل حال شعبه وما فعل به المستعمر البغيض من تفرقة الصفوف وسجن الأحرار وخنق الحريات وكم الأفواه فيقول :

ضربوا بأقفاص الحديد عليهم   مثل الذى فعلوا بآساد الشرى
صبروا لما صبر الجبال رواسيا   وسروا وما ملوا مغالبة السرى(١٤)
وسهرت أحـدوهم بذكرك دائما
وحدى وأشدو بلبلا أو مزهرا(١٥)
حتى لصفت لـكل أذن منهمو   قرطا وكنت فريده المتخيرا(١٦)

وتراه فى قصيدة أخرى يتشوق فيها إلى عهد الشباب الذى قطعه فى مصر وهو ناعم البال مستريح القلب فيقول :

هل إلى مصر رجعة وبنا شرخ شباب غض وزهرة عمر
وليال قد أشرقت فى رباها   كلها فى الأقدار ليلات قدر

١٣) الدو : الأرض المفازة التى لا ماء بها ولا شجر

(١٤) السرى : السير ليلا

(١٥) يستبان من هنا أن ثقافة الشاعر الدينية هى التى جعلته يورد فى الشعر هذه اللفظة الفقهية وأعنى بها (دائما)

(١٦) من قصيدته « آمال السودان فى مليك الوادى » ص « ٢٢ » من الديوان

ومكان كأن كل نسيم ناشر فى أرجائه طيب نشر
يبهر العين منه مرأى أنيق من مروج قيد النواضر خضر
وهناك النسيم يعبث بالما ء، ويزرى والورق الهاء تنفرى
وهناك البهى من كل زهر وهناك الشجى من كل طير
بقعة شاكلت هوى كل نفس فصبا نحو حسنها كل فكر
رب هل تلك جنة الخلد أدخلنا إليها أم تلك جنة سحر
كنت فى ذلك الحمى ناعم البا ل خليا من كل قيد وأسر
فيك يا مصر لذتى وسرورى وسميرى وقت الشباب وذكرى

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن أكثر شعراء السودان لا يزالون متعلقين بمصر، يبنون عليها آمالهم وآمال شعبهم وبلادهم غير ملتفتين إلى صيحات دعاة التفرقة والاستعمار. هاتفين بالوحدة والتمسك بأهداف أمهم الحنون. وعلى رأس هذه الطبقة من الشباب المرحوم شاعر الإبداع التيجانى يوسف بشير. فهو يقول فى قصيدته «ثقافة مصر» (١٧)

عادنى اليوم من حديثك يا «مصر» رؤى وطوفت بى ذكرى(١٨)
وهفا باسمك الفؤاد ولجت بسمات على الخواطر سكرى
من أى صخرة الوجود تفرا ها وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرا رأ، روياجم الأواذى غمرا(١٩)
كلما مصر المسود منها زاد فى مجده جلالا وكبرا
كلما طوق «الكنانة» علما خولتها منه روافد تترى
هو من صاغنا على حرم النيل وشطآنه دعاء وشكرا
فجر النيل يوم نشر فى الأرض ضحاها وصاغ للناس فجرا
قال:
كن فاستجاش يقذف دفا ءا ويجرى على الشواطئ خرا

ويقول أيضاً فى قصيدته «رسل الشباب فى مصر»

وشباب من الكنانة حمس ينثرون الحماس صاعا بصاع
صرخوا بالعرين صرخة ذى مجد مذال وذى مقر مضاع
فى سبيل الجهاد من مصر بنوها بمنصل ويراع
وأرى مصر والشباب حليف مجد فرعون أو ضجيجى بقاع
مصر دين الشباب فى الحضر الرافه والبدو من قرى وبقاع
مصر أم الشعوب ماذا عراها واعترى الشرق من وجى وضياع
حبذا الموت فى سبيلك يامصر لنشء عن الحمى دفاع

* * *

قل لمصر وحيها فى شباب صيغ من جرأة ومن إزماع
شاد أركانها وشد ذراها وابتنى صرح مجدها المتداعى
فى جهاد من العقيدة صدق ونضال عن الحمى وقراع
مصر يامهبط الحضارة والنور ويامبعث الهدى كل ساع(٢٠)

وهكذا نجد أكثر أرباب الفن والقلم فى السودان لا ينكرون فضل مصر عليهم بل يتجهون دائما وأبداً صوب زعيمة النهضة وأم البلاد العربية متخذين منها قبلة يوجهون إليها صلاتهم وتسابيحهم وأناشيدهم لأنها الملجأ الوحيد والأمل الذى يخلصهم مما هم فيه، ولا غرو فمفضل أعلام مصر وأدبائها وشعرائها يستوى فيه السودانى والسورى والعراقى واللبنانى وكافة العرب فى أقطارهم..

والناحية الثانية الظاهرة فى شعر المباسمى التى تظهر واضحة جلية فى شعره هى بكاؤه على شبابه الذاهب وتذكره أيامه السالفة

٢ — ذكرى الشباب:

تطالعنا لوعة تذكره لأيام صباه فى كل قصيدة من قصائده، فهو يبكى على ساعات لهوه وسنى مراحه وذكريات أفراحه، والناظر فى ديوانه يلمس هذه الظاهرة بوضوح تام فلنستمع إليه وهو يقول:

فارقتها والشعر فى لون الدجى
واليوم عدت به صباحا مسفرا (٢١)
«سبعون» قصرت الخطى فتركننى
أمشى الهوينا ضالعا متعثرا (٢٢)
من بعد أن كنت الذى يطأ الثرى
زهواً، ويستهوى الحسان تبخترا

(١٧) ديوان إشراقة «ص٨٦»
(١٨) رؤ: المنظر
(١٩) الأواذى جم آذى وهو الموج

(٢٠) ساع: ساعة
(٢١) فارقتها أى «مصر»
(٢٢) ضالع: معوج

يامن وجدت بجيبهم ما أشتهى هل من شباب لى يباع ويشترى
ولو انهم ملكوا لما بخلوا به ولأرجعونى والزمان القهقرى
لأظل أرفل فى شباب فاتنى زمن الشباب ، وفته متحسرا

أو يقول : —

وقد قلب قد سلا نشوة الصبا وقد كان فى ريعانه جد جاهد
وهل أبقت الأيام شيئا ألذه وقد أسلمتنى للردى والشدائد
لذا بعت لذات الصبا غير نادم وعدت لشيب لم يكن خير وافد

أو يقول :

ليت الشباب عاد لى بعد المشيب والكبر
حتى أرى أين يحط الرجل من كف القدر

أو قوله :

واليوم قصر بى عما أحاوله وعاقنى عن لحاق الركب ما عاقا
وأنكر القلب لذات الصبا وسلا حتى النديمين : أقداحا وأحداقا
أحبو إلى الخمس والستين من عمرى
حبواً وأحمل أقلاما وأوراقا

أو قوله :

ماأنس لاأنس إذجاءت تعاتبنى فتانة اللحظ ذات الحاجب النونى
يا بنت عشرين والأيام مقبلة ماذا تريدين من موءود خمسين ؟

أو قوله :

ولى شبابى وانطوت أيام غصنى الندى
جادك نجاح الحيا من مبرق ومرعد
لأنت ريحان القلو ب عدت أو لم تعد

وهكذا فنحن كلما قلبنا صفحات الديوان لاتقع أعيننا إلا على ذكرى مؤلمة لشباب مضى .. فهو كلما مرت به عجلة الحياة سجل أعوامها فى شعره وهذا يرجع سببه كما يقول « علماء النفس » إلى كبت عواطفه وعدم الانسياق فى ظرف اللهو التى يزينها الشباب وعدم إطاعة نوازع الجسد فى دور الصبا ؛ وذلك لوجوده فى بيئة جامدة محافظة ووجوده بين أحضان عائلة دينية متمسكة بتقاليدها ، لذلك نجد طابع الألم مرتسما على كل بيت يذكر فيه شبابه كما يفعل اليوم أكثر الرجال الذين يحرمون فى شبابهم من متع الحياة لفقرهم أو لانصرافهم إلى العلم ولكنهم عندما تتاح لهم الفرصة ولو فى كهولتهم تراهم يركضون وراء الملذات كأنهم منطلقون من السجون ، كما حدث للشاعر الرصافى فإنه بعد أن قضى شبابه وهو منطو على نفسه رأيناه فى صدر رجولته يعب من كؤوس اللذة عبا ، دون ما وازع أو رادع

ولذلك فإن العباسى محق ببكائه على أيام شبابه لأنه حرم من لذته وهو فى كل ما قاله صادق العاطفة يحس فيه قارئه حرارة اللوعة وصدق الإيمان

إلى هنا نمسك عن الحديث لنترك المجال إلى غيرنا للكتابة عن هذا الشاعر لنعود مرة أخرى إلى تقديم نماذج جديدة من شعراء السودان الشباب فى أعداد قادمة إن شاء الله

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

ديوان مجد الاسلام

للمرحوم الشاعر أحمد محرم

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (١)

هي الأواصر أدناها الدم الجارى ... فلا محالة من حب وإيثار

الأسرة اجتمعت في الدار واحدة ... حييت من أسرة بوركت من دار

مشى بهامن (رسول الله) خير أب ... يدعو البنين ، فلبوا غير أغمار

تأكد العهد مما ضم ألفتهم ... واستحصد الحبل من شد وإمرار

كل له من سراة المسلمين أخ ... يحمى الذمار ويرعى حرمة الجار

يطوف منه بحق ليس يمنعه ... ولبس يمطيه إن أعطى بمقدار

يجود بالدم ، والآجال ذاهلة ... ويبذل المال في يسر وإعسار

هم الجماعة ، إلا أنهم برزوا ... في صورة الفرد فانظر قدرة البارى

صاح النبي بهم كونوا سواسية (٢) ... يا عصبة الله من صحب وأنصار

هذا هو الدين لا ما هاج من فتن ... بين القبائل دين الجهل والعار

ردوا الحياة، فما أشهى مواردها ... دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار

الجاهلية منهم ناقم وأذى ... تشقى النفوس بداء منه ضرار

تأهبوا ، إن دينا قام قائمه ... يومى إليكم بآمال وأوطار

أما ترون رياح الشرك عاصفة ... تطغى على أمم شتى وأقطار ؟

إن أترك الناس فوضى في عقائدهم ... وإن أسالم منهم كل جبار

أكلما ملك الأقوام مالكهم ... رمى الضعاف بأنياب وأظفار ؟

الشر غطى أديم الأرض ، فارتكست (٣) ... أقطارهم بين آثام وأوزار

أخفى محاسنها الكبرى فكيف بكم ... إذا تكشف عن وجه لها عار ؟

لأنزلن ذوى الطغيان منزلة ... تستفرغ الكبر من هام وأبصار

ظنوا الضعاف عبيدا بئسما زعموا ... هل يخلق الله قوما غير أحرار ؟

ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم ... بواحد غالب السلطان قهار ؟

يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها ... مبثوثة في جناحى عاصف ذار

بعثت بالحق ، يهدى الجامحين كما ... يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى

أدعو إلى الله بالآيات واضحة ... تهدى الغوى، وتنهى كل كفار

فمن أبى ، فدعائى كل ذى شطب (٤) ... ماضى الرسالة في الهامات بتار

الله أكبر هل في الحق منقبة ... لمستخف بعهد الله غدار ؟

ألم يكن أخذ الميثاق من قدم ... فما القيام على كفر وإنكار ؟

إن الأولى اتخذوا الأصنام آلهة ... على شفا جرف من أمرهم هار

يستكبرون على من لا شريك له ... ويسجدون على هون لأحجار

راحوا بجهلونه من سوء ما اعتقدوا ... والله أولى بإجلال وإكبار

لكل قوم إله يؤمنون به ... ما يبتغى الله من إيمان فجار ؟

النار أعظم سلطانا ومقدرة ... في رأى عبادها ، أم خالق النار ؟

سبحانه من إله شأنه جلل ... يهدى النفوس بآيات وآثار

---

(١) كانت المؤاخاة بعد بناء مسجد المدينة — وقيل وهو يبنى — وكان المراد فيها إزالة الوحشة ، وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الاسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » وكان نزول هذه الآية الشريفة في وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم من قبل »

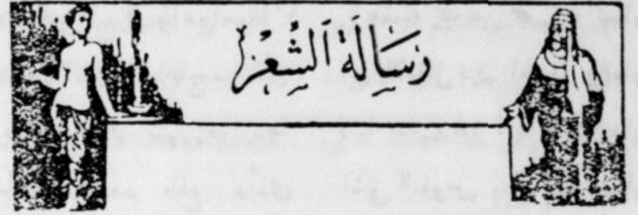
وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل غير هذا

عن زيد بن أبي اوفى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول : أين فلان ؟ أين فلان ؟ فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال : إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه ، وحدثوا به من بعدكم ، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ، ثم قرأ (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) قال : وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته ، قم يا أبا بكر ، فجثا بين يديه الشريفتين فقال : إن لك عندى يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك ، فأنت عندى بمنزلة قميصى من جسدى ، وحرك قميصه بيده . ثم قال : ادن يا عمر ، فدنا فقال : قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص ، فدعوت الله أن يعز بك الدين ، أو بأبي جهل ، ففعل الله ذلك بك ، وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة

وآخى بين المهاجرين والأنصار ، فجعلهم أخوين أخوين وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء ، وقيل كانوا تسعين ، وكانت المؤاخاة في دار أنس بن مالك، وهى دار أبي طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد بن سهل

(٢) سواء (٣) ارتكس الرجل والشئ انتكس

(٤) الطرائق في السيف



١ - إلى مجلس الدولة

للاستاذ محمد يوسف المحجوب

يا معقلا أنصف الأحزاب كلهم … ولم يجد منصفا منهم إذا حكموا
الحق رائده ... والعدل ديدنه … سيان مضطهد يشكو ومنتقم
ليت الأولى هتفوا لما نصرتهم … تذكروا صنعهم بالأمس أو ندموا
بل ليتهم فكروا في يومهم لغد … لكنها شهوات النفس تضطرم
خلف السياسة والأحزاب أفسدنا … حتى القضاء .. له كادوا وما رحموا
لكنك الطود : لم يهتز إذا عصفت … بك الرياح .. ولازالت بك القدم

* * *

لأكشفن عن الأبصار إذ عميت … ما أسبل الجهل من حجب وأستار
ما للسراحين(٥) بد من مصارعها … إذا انقضت سطوات الضيغم الضاري
ضموا القوى إنها دنيا الجهاد بدت … أشراطها وتراءى زندها الواري
لابد من غارة للحق باسلة … وجحفل من جنود الله جرار
خير الذخائر أبقاها وإن تجدوا … كالعهد يرعاه أخيار لأخيار
لا تنقضوا العهد إن الله منزله … على لسان رسول منه مختار
قالوا : عليك صلاة الله ، إن بنا … ما يعلم الله من عزم وإصرار
آخيت بين رجال يصدقون إذا … زات قوى كل خداع وختار
جنود ربك ، إن قلت اعصفوا عصفوا … يرمون في الحرب إعصارا بإعصار
من كل منغمس في النقع مرتجس(٦) … وكل منبجس(٧) باليأس فوار

يتبع — إبراهيم عبد اللطيف نعيم

(٥) السراحين الذئاب
(٦) ارتجست السماء رعدت ، والسحاب صوت
(٧) انبجس الماء ونحوه تفجر

يا موئل الدولة اضرب للحمى مثلا … عليا وبصر بني قومي فقد وهموا
كم حاولوا أن ينالوا منك وأسفوا … ماذا سيبقى إذا ما حصننا هدموا ؟
لعل فيما رأوه عبرة لهم … لو أنصفوا وقبلوا الجدران واستلموا
علمتنا أن روح العدل باقية … وأن صرح الهدى هيهات ينهدم
وأن فيك قضاة كلما جلسوا … للحكم عفوا فما جاروا ولا ظلموا
لوجه مصر وللتاريخ ما كتبوا … وللعدالة والإصلاح ما رسموا
حصن البلاد : تحياتي وتهنئتي … وما أهنئ أقواما لك احتكموا
لكن أهنئ فيك العدل مؤتلقا … فالعدل أعظم ما تحيا به الأمم

٢ - حتى النساء ..

حتى النساء وما قربن … من النيابة — بعد — قربا
أو ذقن طعما لانتخا … ب بات يشغفهن حبا
دب الخلاف بجوهن … وقام معركة وحربا
أنظر لجمعياتهن … وما حوت : طعنا وسبا
أوما ترى « الحزب النسائي » … قد غدا عشرين حزبا ؟
فصلت رئيستهن عضوات … به إربا فإربا
وفصلن منه رئيسة … فاضحك معي عجبا وعجبا
البعض يأكل بعضه … قد صار جد الأمر لعبا ..
يا برلمان : متى أراك … بجوهن ملئت صخبا ؟
وأرى معاركهن فيك … تطورت : لطما وندبا ؟
يا أطول النواب زندا … من بني جنسي وأربى
وأشدهم لسنا وأجرأهم … — لدى الميدان — قلبا
يا صاحبي : قل لي إذا … زاحمنكم جنبا لجنبا
وغدا التنافس بينهن … وبينكم دفعا وجذبا
كيف المصير متى دخلن … البرلمان ؟ وقيت ضربا
وحماك ربي يا زميل … ولا أراك الدهر غلبا
من « شبشب » ينهال إن … عارضت ثائرة وغضبى
ومن المخالب إذ ترى … أظفورها بقفاك « طبا »
ومن الدموع الزائفا … ت إذا انهزمن تفيض سكبا
ومن القرار بفصلكم … تقضيه « زنوبه » « وبنبا »

محمد يوسف المحجوب



وحدى مع الأيام

للشاعرة الآنسة فدوى طوقان

للأستاذ كامل السوافيرى

أعتقد أنى لست بحاجة إلى أن أقدم للقراء الشاعرة الآنسة فدوى طوقان صاحبة ديوان «وحدى مع الأيام» الذى أصدرته لجنة النشر للجامعيين، وهى الكوكب اللامع فى سماء الشعر، والنجم الساطع فى أفق الأدب، والبلبل الصداح فى دوح العروبة الذى غنى فأشجى القلوب، وهز النفوس

عرفت فدوى منذ فترة تزيد على عشرة أعوام مما قرأته لها من قصائد ومقطعات على صفحات الرسالة الغراء، والأديب الزاهرة، وقد اختصتهما بطائفة كبيرة من إنتاجها الشعرى، فهزنى شعرها، وأطربنى غناؤها، لا لأنه شعر نسائى ظهر فى فترة أقفر فيها الشعر الحديث منه. ولا لأن صاحبته آنسة تستحق المجاملة والتشجيع، ولكن لأنه صادر عن شعور صادق، وموهبة فطرية. وكنت أتيقن أن يوما قريبا آت تتبوأ فيه الشاعرة الناشئة مكانها فى موكب الشعر. وقد حققت الأيام ذلك وأصبحت فدوى طوقان شاعرة لا لفلسطين وحدها؛ بل لدنيا العرب والعروبة

وليس ديوان الشاعرة إلا مجموعة من القصائد المتناثرة هنا وهناك تخيرتها الشاعرة مما نظمت وضمتها إلى بعضها، لوجود وحدة نفسية بينها، فهناك شعر كثير لم يتضمنه الديوان ولعلها تنشره فى ديوان آخر

وأستميح صديق الكاتب المعروف، والناقد اللامع الأستاذ أنور المعداوى العذر إذ أنوه بإشرافه الفنى على إخراج الديوان. وأنا أعلم أنه لن يرضيه هذا التنويه. ولكنه يرضى الفن والأدب، وإلى المشرف يرجع الفضل فى الحلة الأنيقة التى ظهر بها الديوان

أهدت الشاعرة الفاضلة ديوانها إلى روح شقيقها الشاعر المرحوم إبراهيم طوقان الذى قصفت يد المنون غصنه الرطيب وهو ريان الصبا، ربق الشباب، وكان للشاعرة الأخ والوالد والأستاذ، فأحدث موته فى قلبها فاجعة لم تستطع الأيام أن تسدل عليها ستار النسيان، وشق فى فؤادها جراحا لم تندمل، وفجر فيها ينابيع الحزن والأسى، فصاغت من دموع العين، ودماء القلب، المراثى تزخر باللوعة، وتفيض بالألم، وهى فى حزنها عليه ورثائها له تلتقى بالشاعرة المخضرمة الخنساء فى بكائها على أخيها صخر، ورثائها له، ويبدو أن فجيعة فدوى بإبراهيم كانت فوق ما يحتمله قلبها، فأحالت حياتها الهانئة الوادعة إلى مأتم دائم، ودموع لا تجف وزفرات لا تنقطع، وطبعت شعرها بطابع الأسى والحزن، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائدها من الحزن الدفين، والحرقة اللاذعة

استمع إليها فى قصيدتها «حياة» ص ٣٩ من الديوان التى مطلعها

حياتى دموع
وقلب ولوع
وشوق، وديوان شعر، وعود

إذ تبكى أحباءها الراحلين إلى عالم الخلود، وتصور اللوعة على فقدهم، فتناجى روح المرحوم والدها، ثم تتجه إلى شقيقها إبراهيم الذى كان لها نبع حياة وحب، وضياء العين والقلب، وإذا رياح الموت العاتية تطفئ شعلته وتصبح الشاعرة وحيدة فى ظلام الوجود، حائرة فى قفار اليأس، لا نور يهديها ولا أمل يناغيها

وفى ليل سهدى
يحرك وجدى
أخ كان نبع حياة وحب
وكان الضياء لعينى وقلبى
وهبت رياح الردى العاتيه
وأطفأت الشعلة الغاليه

وأصبحت وحدى

ولا نور يهدى

ألجلج حيرى بهذا الوجود

ومن قصيدة « على القبر » ص ١١٥ تناجى قبره فتحس أن للقبر إشعاعا من النور ، وأنه أجمل القبور لأن دنياها فيه ، وفى قلبها مأتم دائم

آه يا قبر .. له إشـعاع نور

لا أرى أجمل منه فى القبور

فيك دنياى وفى قلبى الكسير

مأتم ما انفك مذيات لديك

قائمـا يأخذ منه بالوتين

وهنا أقف لحظة لأسجل أن فدوى قد بلغت القمة فى هذا الفن ؛ أقصد فن الرثاء من ناحية الصدق الشعورى ؛ والصدق الفنى وأقصـد به الصياغة اللفظية التى تتجلى واضحة فى شعر الشاعرة . ممـا يدل على تمكن من لغة عدنان ، وإحاطة بأسرار بيانها ، واستعمال مفرداتها . وللشاعرة فى رثاء أخيها شعر كثير لم يتضمنه الديوان

ونترك فدوى التى هدها الحزن . وأضناها الأسى على إبراهيم .. إلى فدوى الشاعرة الوطنية التى ترى بلادها المقدسة تخر صريعة أمام العدوان الاستعمارى الظالم — ولا أقول الاستعمار الصهيونى فنحن نعلم من يقف وراء الصهيونية — وتشاهد الكارثة المريعة تدمر بناء أمتها وتدك مجدها فتثور عاطفتها الوطنية ، وترسل صيحتها الشعرية تستصرخ أبطال العروبة وتستنهض همم العرب ليدفعوا عن فلسطين العدوان ويدرأوا عنها العدو ؛ فتقول من قصيدة « بعد الكارثة » ص ١٢٧

يا وطنى مالك يحنى على روحك معنى الموت معنى العدم

أمضـك الجرح الذى خانه أساته فى المأزق المحتدم

لا روح تستنهض من عزمهم ، لا نخوة تحفزهم ، لا همم

ولا يلبث الأمل أن يداعب قلب الشاعرة فتحس أن الغمرة ستنجلى ، وأن هذا الليل المظلم سيعقبه فجر مشرق ، وأن السـحاب المركوم سيتبدد عن صفحة الجو ، فلا يزال فى الأمة العربية شباب أحرار من الذين يأبون الضيم ، ويحاربون الهون

لن يقعدوا عن ثأرهم

سـتنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم

هو الشباب الحر ذخر الحمى اليقظ المسـتوفز المنتقم

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم

ولقد عاصرت فدوى مراحل جهاد العرب فى فلسطين ضد الاستعمار البريطانى والصهيونية الآثمة . وشهدت قوافل أبطال الحرية المتتابعة ، الذين قدموا أرواحهم رخيصة للدفاع عن أوطانهم منذ البطل المجـاهد المرحوم عز الدين القسام . إلى الثورة الفلسطينية الكبرى سنة ١٩٣٦ . وشهدت جبلى جرزيم وعيبال يموجان بالمجاهدين من أبطال جبل النار ، فكان كل ذلك من أكبر العوامل التى جعلت من فدوى شاعرة وطنية تؤجج فى النفوس عاطفة الدفاع عن الوطن . وتضرم فيها النخوة والحمية ، وتذكر المجاهدين العرب بصفحات البطولة اللامعة التى سطرها التاريخ لأجدادهم الغابرين

وتقع الـكارثة عام ١٩٤٨ وتهوى البلاد إلى حضيض الاستعباد وتهيم جيوش اللاجئين من أبناء فلسطين على وجوههم ، يبحثون عن المأوى فلا يجدون إلا المغاور والـكهوف والأودية والشعاب والخيام المهلهـلة التى لا ترد الحر والقر فيتخطفهم الموت زمرا لا فرادى . ويوحى هذا المنظر المريع الشعر فى قلب فدوى فتنشد من قصيدة « مع لاجئة فى العيد » ص ١٢٩

أختاه هـــذا العيد رف سناه فى روح الوجود

وأشاع فى قلب الحياة بشاشـــة الفجر السعيد

وأراك مابين الخيام قبعت تمثالا شـــقيا

متهـالـكا يطوى وراء همودة ألمـا عتيـــا

يرنو إلى اللاشئ ... منسرحا مع الأفق البعيد

وأترك هذين الفنين الشعريين من الفنون التى حلقت فيهما الشاعرة إلى الحديث عن فدوى الإنسانة التى لا تقف برسالتها الفنية عند تصوير عواطفها ، وبث آلامها وأحزانها . شأن الشعراء الذين يتحدثون عن ذواتهم ولا يحسون بإحساس أممهم ومشاكل مجتمعهم ، لأقرر أن فدوى فنانة وإنسانة تشاطر البائسين آلامهم ، وتدعو البشرية لتجفيف دموعهم . وتنادى بالعدالة الاجتماعية حتى لا يكون فى الناس جائع ولا محروم

تقول من قصيدة « مع سنابل القمح » ص ٢٦ .

كم بائس ، كم جائع كم فقير يـكدح لايجنى سوى بؤسه
ومترف يلهو بدنيا الفجور قد حصر الحيـاة فى كأسه

* * *

لم يحبس السماء رزق الفقير لـكنه فى الأرض ظلم البشر

بقى أن أقول بعد ذلك أن هناك ظاهرة واضحة تطالع النقاد فى شعر فدوى : وليست تلك الظاهرة سـوى فراغ الحياة . أوسمها إن شئت الحرمان . الحرمان من العطف والحنان. الحرمان القاتل الذى جعل الحزن يرن على نفسها ، ويستحوذ على قلبها فيشعرها بأنها تحيا غريبة فى دنيا الناس . ولعل اسم ديوانها أكبر دليل على ذلك حيث أضنتها الحيرة ، واستبد بها القلق ، فرغبت عن الحياة وتمنت أن تنطلق روحها من الأرض إلى السماء

تقول فى قصيدة « أشواق حائرة » ص ٣٢

وهناك تومى لى السماء وبى شوق إليهـا لاهف عارم
فأود لو أنى وأدمج فى عمق السماء ونورها الباسم

وقد كررت الشاعرة هـذا المعنى فى قصائد متعددة من الديوان وقد أوحى إليها هذا القلق بالتساؤل عن حقيقة الموت . والبعث والخلود

تقول من قصيدة « خريف ومساء » ص ١٢

عجبا ما قصة البعث وما لغز الخـلود ؟
هل تعود الروح للجسم الملقى فى اللحـود ؟

وأنتقل إلى شعر الطبيعة فى ديوان فدوى لأقرر أن الشاعرة قد تغنت بجمال الطبيعة فى البيئة المحيطة بها ، والشاعرة عاشت فى مدنية عريقة فى مدينة نابلس فى فلسطين حيث يحتضن جبلا جرزيم وعيبال المدينة ، وعلى سفح الجبلين تـكثر المروج التى أوحت للشاعرة بقصيدة « مع المروج » ص ٩

هذى فتاتك يامروج فهل عرفت صدى خطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو يامثـوى صباها
درجت على السفح الخضير على المنابع والظلال
روحا تفتح للطبيعـة للطـلاقة والجمال

وقد حلقت الشاعرة فى أجواء بعيدة ، وتناولت فنون الشعر المختلفة ، وبرهنت على أن طاقتها الشعرية متعددة المنافذ تغذيها ثقافة واسعة ، واطلاع دائم

ولها فى الديوان قصائد عن تجارب شعورية اجتازتها الشاعرة فكانت تعبيراً صادقا عما يختلج فى شعاب القلب ومسارب النفس ، وتبدو هذه التجارب فى القصائد الآتية من الأعماق ، غب النوى ، إلى صورة

ولا ينحدر مستوى الشاعرة فى هذه التجارب عنه فى الرثاء والوطنيات . والتأملات والنزعات الفلسفية

وبعد فأظننى قد قدمت للقراء صورة عن ديوان الشاعرة الملهمة التى قرأوها . والتى قدمها شعرها إلى القراء خير تقديم

كامل السوافيرى



رسالة فى أدب البشرى

تلقيت عن طريق صحيفة « المصرى » الغراء كتابا من الأستاذ جمال الدين الرمادى يقول فيه إنه بعد رسالة جامعية عن المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى للحصول على إجازة «الماجستير» ويستفسرنى عما نشرته قبل سنوات فى « الرسالة» عن شعر الشيخ البشرى الذى كان ينشره فى صحيفة (الظاهر) التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك

وكنت أريد أن أجيب الكاتب الفاضل برسالة خاصة لولا أنى افتقدت كتابه خلال إقامتى فى المصيف برمل الإسكندرية ، ومن ثم انبهم على عنوانه الذى طلب إلى أن أكتب إليه بوساطته

والذى سمعته من شيخنا البشرى عام ١٩٣٤ أنه كان يقول الشعر وينشره فى بعض الصحف ومنها جريدة الظاهر ، على أن ما نشره فى تلك الصحيفة لم يكن يعدو — فيما يظهر — هجاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد — رحمه الله — أيام قضية الزوجية المشهورة عام ١٩٠٤ ولو رجع الكاتب الفاضل إلى مجموعة الظاهر فى تلك السنة لوجد عندها الخبر اليقين . فإذا غم عليه الأمر فإنى أنصحه بالرجوع إلى الكاتب اللغوى الأستاذ محمد شوقى أمين المحرر فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية فهو حجة فى أدب البشرى إذ كان يملى عليه مقالاته فى أخريات أيامه

والذى أعرفه من طبيعة الشيخ البشرى أنه لم يكن يعنى بجمع ما ينشره فى الصحف الدائرة ، ولقد عهد — رحمه الله — إلى كاتب هذه السطور وبعض إخوانه فى جمع المقالات التى احتواها فيما بعد كتابه « المختار »

وبعد ، فأحب أن أشكر للأستاذ جمال الدين الرمادى حسن ظنه بصاحب هذا القلم الضعيف ، وأرجو أن يوفقه الله لنشر أدب البشرى قبل أن يعفى عليه الزمان

منصور جاب الله

نحنة طيبة

قرأت بالعدد ٩٩٣ من الرسالة الغراء بحثا موضوعه « جحا القاضى » للأستاذ عطا الله ترزى باشى جاء فيه ما يأتى : —

« ولئن كان جحا ضحكة بين الناس فإنه لم يكن صاغرا أو مهانا راضيا بالذل والضيم » وجاء الشرح بالحاشية لكلمة « ضحكة » هكذا : —

« هو من يضحك على الناس ويضحك الناس عليه »

ونحن نتساءل أيريد الأستاذ الكاتب كلمة ضحكة (بفتح الحاء المهملة أم بسكونها ؟) إن كان يريد الأولى فالشرح الذى أورده على هذا فى الحاشيه خاطئ لا يستقيم وكذلك الأمر إن أراد الثانية تقول العرب ضحكة بضم ففتح لمن يضحك على الناس . وتقول ضحكة بضم فسكون لمن يضحك عليه الناس . ويكون الأستاذ على هذا قد أتى بشرح لا يخضع تحته أحد اللفظين

قال ابن السكيت فى الإصلاح والتبريزى فى تهذيبه « إعلم أن ما جاء على فعلة بضم للفاء وفتح للعين من النموت فهو على تأويل فاعل وما جاء منه على فعلة ساكن العين فهو فى معنى المفعول » وجاء بالمقامة الثالثة والعشرين «الشعرية» للحريرى : وإنى لأكره أن تشيع فعلته بمدينة السلام . فأفتضح بين الأنام . وتحبط مكانتى عند الإمام . وأصير ضحكة بين الخاص والعام ...) أى يضحك على

خميس محمد ابراهيم

على هامش الحياة — رسالة

« وبعد » فقد حدثتنى نفسى أن أخط إليك هذه الرسالة ، وقطعت بين الإحجام والإقدام شوطا بعيداً ، وكاد يقعد بى عنها أننى كتبت إليك مثلها يوما ، فما حققت غرضاء ولا أصبت هدفا ، وواجهتني حين التقينا بالصمت ، فلم أدر مخبوء سرك ، ولم أتكشف وقعها على نفسك ، وظللت على خطتك فى الحياة ، لا تبالى نصيحة ، ولا تحفل بتسديد ، وكاد يقعد بى عنها ثانيا أن موضوع الحديث شائك ، وقد أكون فيه متهما ، وربما وصمتنى فيه بالحيف أو التحيز ، أو ما يحلو لك أن تسميه ، ويشهد الله أن باعثه هو الشعور الأخوى الذى يوحد بينى وبينك ، فرد هذه

الرسالة إلى وإن توجهت إليك . وما إخال واحداً منا يرضى أن يحايد أخاه ، أو يقنع منه باللقاء والافتراق، والتبسط فى الحديث ، والجهد فى الابتسام ، وستر الخواطر ، ولست أملك نفسى إن سلط عليك لسان أجنبى ، أو نال منك نائل حقد ممن انقطعوا دون غايتك ، وانبهروا عن اللحوق بك ، لست أملك نفسى أن أثور لك ، فأفقد أصدقائى ، وأستهدف لملام الناس وتقريعهم ، وخير لى ولك وللناس جميعا ، أن تلقى إلى سمعك ، وتبذل من وقتك بمقدار ما تنظر فى هذه الرسالة ، فلعله أن نلتقط من بينها ما يضىء لك السبيل ، فتمضى حيث يمضى الناس ، لا تخلد إلى الأرض ، أو تحيا فى السماء ، وإنه ليطغى على شعور بأنك ربما أزريت بى وبقلمى وبسائر منهجى ، فقد جلست منى يوما مجلسا فيه طائفة من الأتهام ، وكثير من الحيف ، وخشيت على نفسى أن أكون كما جردتنى من كل محمدة ، وألصقت بى كل مذمة ، وقت خزيان من ترادتك واطرادك ، ولا أبرئ نفسى من المساقط والمزالق ؟ فما فى الحياة من برئ من الذنب ، وخلص من العيب ، ولا حملت لك فى نفسى غيظا ، أو ما يشبه الغيظ ، لأنك أخى ، وما يمكن أن يريد أخى إلى إحراجى ، أو إغاظتى أو النيل منى ، أو الزراية بى ، وأنت تفهم عنى هذه الحقائق سافرة واضحة ، وربما كان هذا هو الذى دعاك إلى الثورة على بالأمس ، كما أثور أنا عليك اليوم ، ولا أحب أن أتميز عليك فى خليقة ، أو أفضلك فى مكرمة .. هى مسائل من هامش الحياة ، ولكنها ترمى إلى الصميم ، وقد تعدها أنت تافهة ، ولكنها فى اعتبارى جسيمة ، وهى لا تخصنى أنا، فمن خلق التسامح والعفو والإغضاء، ولكنها تمس أشخاصا يمتون إلى بسبب ، وهم يدققون فى مسائل الحياة ، بحالا يستوجب العتاب ، لأن ذلك منهج البشر ، وما بد من الخضوع لهذا القانون ، وقد تجنيت عليهم ، وتخدعك نفسك أن رائدك الحق ، وما سواه الباطل ، وأنا وهم وسائر الناس لا نراه إلا تعنتا وشططا ، مبعثه الخيال ، ومرده إلى الجور والتحيف .. إنها مسائل مما أراه يدنو من فهمك ، ولا تقصر عنه يدك ، ولا يعوزك أن تفهم أن سوء الظن فى أقوال الناس وأفعالهم يكاد يملك عليهم أسماعهم وأبصارهم ، ويأخذ عليهم مسالك التعقل ، فلا يدع للهدوء إلى أنفسهم طريقا ، فإن رأيت ألا تضع نفسك مواضع التهمة ، وأن تعلم أن هذا المجتمع البشرى ، يقتضيك أن تفهمه ، وتتقبل مواجبه ، ولا تشذ عنه برأى ، أو تنعزل بفكرة، فى غير ما استهانة بكرامتك ، أو امتهان لشخصيتك ، كنت قد حققت أملى فيك ، ورأيت أنى رميت إلى غاية ، وأصبت فى مسماى ، وإن تركت الثغرة تفصل بينك وبين الناس ، ورغبت عن حديثى إليك ، وبرمت بدعوتى إياك أن تجانس الناس فى اتجاهاتهم، وتتلاقى وإياهم فى أفكارهم ، فتجاملهم فى غير نفاق ، وتقدرهم بلا تكلف ، وتأتى إليهم الذى يأتونه إليك ، فلن تجد مجتمعا راقيا مهذبا يمينك على سلوكك ، ويفسح صدره لآرائك ، وما شد من عزمى فى تحرير هذه الرسالة إليك إلا أنى أعلم فيك استعداداً فطريا ، وسماحة ، وخلقا ، لا يمنعك أن تفيد من التجارب ما دامت شريفة المقصد ، نبيلة الغاية ، فاسمع يا أخى ، ولا تضق بى ، أو تمط من فك ، أو تغضن من جبينك ، فما أريد إلا الخير . واعلم أن أحدا لم يوح إلى ، أو يمل على ، وإنما أنا وحدى الذى ارتأيت كما رأيت ؛ أنا وحدى حتى لا أكون سببا فى متاعب ذهنية ، كلانا فى غنى عنها ، لأنى أحبك ، وأوثرك على سواك ، فإن تلاقى رأيانا كان ذلك لى نجاحا ، وإن رأيت أنى أبعدت فى الفهم ، وجرت فى الرأى ، فأحب شىء إلى نفسى أن تبين ما بصدق اللهجة ، ونفاذ البصيرة ، وإخلاص الدفاع ، وكل ما أهدف إليه ألا أراك موضعا لقالة ، أو ظنينا بجور ، وهذا ما يعنينى أن أتحدث معك فى أمره ، أما سائر شأنك ، فلا أدس أنفى فيه ، لأنه سلوك شخصى قد يكون لك فيه تأويل أو مساغ ، ولا أدعى لنفسى عقلا أكبر من عقلك ، على كبر فى السن ، وكثرة فى التجارب ، وهأنذا صنعت .. فهل تجد هذه الرسالة منك أذنا صاغية ، وقلبا واعيا ، فتسوى أمرك ، وتدنو من أفهام الناس ، لتتقى أذاهم ، وتكتفى من ظنونهم ؟ وإلا فأين هو السلاح الذى أشهره فى الدفاع عنك ، إن تطاير من أجلك حديث ، أو أثير حولك غبار ، وسلام عليك

محمد محمد الابشيهى

الى الأستاذ حبيب جاماتى

قرأت كتابكم الذى صدر أخيرا فى سلسلة كتب للجميع

بعنوان « أغرب ما رأيت » فعنت لى بعض خواطر أسجلها فيما يلى : —

١ — حول تجارة الرقيق :

عنى الأستاذ جامانى أن يكون تقدم الزمن منذ عام ١٩٣٠ قد خدم العبيد ضد النخاسين ولا أدرى لماذا لم يتتبع الأستاذ الفاضل أخبار تجارة الرقيق بعد هذا التاريخ !!

وبالأمس القريب وفى سنة ١٩٥٠ أتهم الكاتب الأمريكى لورنس جرسولد اليمن بتجارة الرقيق

فقد كتب مقالا عنوانه « ما زلت أستطيع أن أشترى جارية » وقد نشر هذا المقال فى إحدى المجلات الأمريكية ثم نشرته مجلة (وورلد) فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ وقد نقلت مجلة الفصول القراء المقال بأمانة تامة وقدمته إلى قرائها فى أقطار الشرق العربى . فانبرى لنقد المقال الأستاذ على بن على الأنسى اليمنى وذكر أن اليمن ليس بها أسواق للرقيق [1] . ومع احترامنا لرأيه بصدد اليمن .. وللحقيقة نقول إن كثيرا من المعلومات التى وصلت إلينا تدل على أن تجارة الرقيق لم يقض عليها القضاء الأخير . ولا يسعنا إلا أن نردد المثل العربى « وعند جهينة الخبر اليقين » ولعل تقدم الزمن كفيل بالقضاء على تلك التجارة الشائنة تماما فى المستقبل القريب

٢ — حول معجزات الهند :

سألنى صديق عزيز وهو بين مصدق ومكذب عن معجزات الهند ولا سيما معجزة الحبل الهندى فقلت له : إن معجزة الحبل رآها ابن بطوطة الرحالة العربى القديم فى القرن الرابع عشر الميلادى وعاينها بنفسه بل وذكر خبرها فى كتابه عن رحلاته المعروفة بتحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الأسفار

وبعد أفلا كان من الواجب أن يشير الأستاذ جامانى ولو بكلمة واحدة إلى ابن بطوطة وما شاهده وهو فى صدد الحديث عن الموضوع نفسه

٣ — زرافة الباشا أولا :

إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ حبيب جامانى عن المسلة المصرية التى نقلت من الأقصر وتقوم الآن فى ميدان الكونكورد بباريس قد يظن أن العلاقات لم تتوطد بين محمد على باشا عاهل مصر الكبير وبين فرنسا إلا فى سنة ١٨٣٠ وهو التاريخ الذى أهدى فيه محمد على الكبير مسلة الأقصر إلى عاهل فرنسا لويس فليب . وللحقيقة والتاريخ أقول إن العاهل الكبير تبادل الهدايا مع ملوك فرنسا قبل سنة ١٨٣٠ وأهم هذه الهدايا التى أرسلت إلى فرنسا وكان لها صداها زرافة كانت مناط إعجاب الفرنسيين وعرفت بزرافة الباشا

فحوالى عام ١٨٢٥ بسطت مصر سلطانها على الجزء الجنوبى من الوادى وخضعت لها كردفان وأمر والى هذا الإقليم — من قبل عاهل مصر — وهو إذ ذاك مختار باشا الفرسان السودانيين بصيد الزراف وقد استطاع مختار باشا أن يرسل إلى محمد على الكبير وكان بالإسكندرية فى ذلك الحين زرافتين صغيرتين على قيد الحياة

وقد استطاع دروفيتى قنصل فرنسا فى مصر بوسائله الخاصة أن يحصل على إحدى هاتين الزرافتين كهدية لفرنسا من عاهل مصر ولتكون تحت تصرف علماء متحف التاريخ الطبيعى بباريس . وقد وصلت هذه الزرافة إلى فرنسا سنة ١٨٢٧ وكانت مناط إعجاب الفرنسيين بل وتركت أثرا كبيرا فى الأدب الفرنسى فى ذلك الوقت ...

هذا وقد استفاض مسيو جبريل داردو (مدير وكالة الأنباء الفرنسية بالقاهرة الآن) فى الكلام عن رحلة زرافة الباشا وعن أثرها فى الأدب الفرنسى ودعم بحثه القيم بالوثائق والأسانيد، ويقع هذا البحث فى اثنتين وسبعين صفحة من القطع الكبير، وقد نشر هذا البحث فى عدد يناير سنة ١٩٥١ من مجلة Revue des Conferences francaises en orient

وهى المجلة التى أخذت على عاتقها ذكر وبيان شتى العلاقات التى تربط بين فرنسا والشرق وبخاصة بين فرنسا ومصر

ومن الأشياء التى أهديت إلى فرنسا كذلك عقب هذه الزرافة المعروفة بزرافة الباشا الزودياك أو دائرة البروج التى كانت بمعبد دندره .. وأخيرا تأتى مسلة الأقصر التى أهديت سنة ١٨٣٠

شفيق أحمد عبد القادر

(١) أنظر مجلة الفصول عدد نوفبر سنة ١٩٥٠



عودة الروح

للكاتب الفرنسي تيودور دى بانفيل

استكملت السيدة هورتنس دافراى فى ١٨٨٢ ربيعها العشرين ، وليس فى قولى « السيدة » تجانفا منى ولا مينا . فقد كانت هورتنس زوجة ، بل أرملة بائسة لا ولد لها يسهر عليها ولا قريب يؤويها إلا جدتها « مدام دى بريبل » .. استقدمتها تلك الجدة لتشاطرها العيش فى مسكنها بشارع ليل . وكانت هورتنس تنشق — بقرب جدتها — آخر نسمات العيشة العائلية الهادئة تهب عليها فى ونى وهدوء . قد مضى الآن حولان كاملان على وفاة جدتها الطيبة التى ماتت حزينة قلقة على مصير حفيدتها إذ تتركها وحيدة فى غياهب الفقر وأمواج الحياة . إنها عمرت ثمانين عاماً رأت فيها من تحب يتزوجون ، ومن تعرف يرحلون . ولم يبق منهم أحد تعهد إليه بحفيدتها البائسة

ولما أحست مدام دى بريبل بأجلها يقترب ، رتبت أمرها فى شهرها الأخير ، كى لا تقلق بال حفيدتها . ولقد غالت الجدة فى ذلك ، فكانت ترمى أوراقا كثيرة فى النار وتحفظ الأخرى . وكانت الجدة تحتفظ — طوال مرضها — بصندوق صغير فى دولابها الكبير . وكانت تضع مفتاحه فى خيط من الحرير تحت الوسادة الحائلة . وكثيرا ما كانت الجدة تمسك الصندوق ساعات طوالا ، كأنما تريد أن تنتهى من أمره إلى حل ، وتتخذ حيال ما فيه قراراً . ودهمتها سكرة الموت قبل أن تقرر مصيره أو تتخلص منه

واستشعرت السيدة دافراى قلقاً يساورها عندما عثرت يداها الباحثتان على الصندوق الصغير

وقررت أول الأمر أن تحرقه — أمانة منها وإخلاصا — دون أن تعرف ما فيه من أسرار . ولكنها لم تفعل ذلك خشية أن تضيع — بحرقه — أداء واجب عليها أداؤه، أو وصية لابد منها . وهكذا فتحت الصندوق وألفته مليئا برسائل جمة، لا تحمل العنوان على الأغلفة كما هى الطريقة الحديثة، ولكن تحمله على شرائح من ورق رفيع . وقد علمت — بعد أن بصرت بأول خطاب — أنها ليست رسائل جدتها مدام دى بريبل ، ولكنها رسائل أم جدتها — السيدة إيودكسى تيرين . وقد رأت هورتنس تلك الجدة العتيدة . فإنها لم تمت إلا أخيراً فى سنة ١٨٨٢ . ولها من العمر خمسة وثمانون عاماً

على أنها تستطيع أن ترى خيالها كل حين إن أرادت ، فأسرتها تحتفظ لها بصورة رسمها البارون جروس ، فى ميعة شبابها ووفرة صباها . وقد كان عن طريق غريزة ركبت فينا ، نشعر بها ولا نستطيع أن نكيفها ، أن رأت هورتنس دافراى بينها وبين صورة الجدة — التى صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون — شبها قوياً . بل لتكاد — إذ تنظر إليها — ترى وجهها فى مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها فى فترات مختلفة وفى أسرات خاصة، أن تعيد خلق وجوه درست وثوت بالتراب من أمد بعيد .. تعيد خلقها كما كانت ، كأنها مثال يأخذ عدة أشكال من قالب واحد . ولكن المرء يسائل نفسه فى تلك الأحوال : إلى أى حد يبلغ الشبه ؟ أيقتصر على الوجه والخلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ ! تلك مشكلة من مشاكل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقا واسعة غير ذات بر ولا حدود

وقبل أن تقرأ السيدة دافراى أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تتدحرج فى الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتقطتها ، وتفقدتها ، فإذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذى شعر وحف جعد ، وعينين يلمع فيهما بريق الشهامة وبأس الشباب . وجبهة قسمتها ندبة جرح طولى إلى قسمين عريضين . ينبسط أكبرهما من حجبه الأيمن إلى منبت الشعر بوسط المحيا . وجبهته عامة جبهة شجاع جسور . وأدمنت هورتنس النظر فى الصورة ، فجذبها بريق العينين ، وفتنها سحر الجمال ، وأخضعها بأس الهوى ! فستشعرت فى قلبها آلافا من المشاعر المتضاربة

المركبة . آلاف من خوف وأخرى من سرور . إنها تحب ! ولكن ويلها من تحب ! ؟ فتى مرت على وفاته حقب وأعوام ، وتوالت على قبره أجداث ورجام ! فتى دالت دولتــه ، وراحت صولته ، وقدر لها ألا تراه على الأرض حيا ! ... ولـكن كثيرا ما لعبت الجذوة التي تهيبنا بالحقائق والأفكار ! وكثيرا ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلا ، فليس ضرورة أن يكون الشيء ممكناً حتى نقول بأنه حقيقة

وإنه لمن الضلال البعيد أن نقول بأن هورتنس قد فجأها الحب ، ولكنها كانت تشعر في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ما خمد وانطفأ بل نزع من القلب والذهن انتزاعاً. ولـكنه استعر فجأة ، وقفز إلى ذهنها وقلبها معاً يعذب هذا بذكريات ، ويكوى ذاك بالشوق والألم

وتفقدت الرسائل فإذا بإمضاء واحد يذيلها جميعا . وقرأتها في شغف وجنون . ثم كانت لا تني عن القراءة والإعادة كأنها محمومة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أنجبت تلك الرسائل

تزوجت جدتها السيدة إيوودكسى تيرن من أحد متعهدى الجيوش . وكان كهلا أنانيا ، أفسدته الخلاعة ، وأضواه المجون . وقد مكنتها مهنة زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهام بحبها ملازم شاب من جند نابليون ، يدعى پول فراند وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تتشبث . فسايرت التيار في هوادة وإخلاص . فكان جميلا أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرح بهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص . فيحلمـان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما — طوال الوقت — يشعران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعمش ، ويإنسان بمسوح الردى الطخياء تهددهما بالبعد والحداد

وسرعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ! لقد فرق الدهر المشتت بينهما أيام « أوسترلتز » وإيينا وإيلو ، أيام فريدلند ووجرام ... وكانا قليلا ما يلتقيان — في تلك الأعوام العصيبة — لحظات معدودات . ولـكن فرانديير كان يختلس ما بين واقعتين أو ما بين نصرين فيسيطر لهـا — وهو أشعث أغبر — آيات الحب والهيام . ويبثها وقدة الشوق وجذوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسى وعذابا ، تقرأها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع واكف وقلب خافق ، بين صدر يعلو ويهبط كالموج ، وأنفاس حرى تذهب وتجيء . كان من أجل إيودكسى — كما كان من أجل نابليون — أن خاض فرانديير المعارك الدامية ، وشرق في البلاد وغرب ، وقاسى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر العاهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لإيودكسى عرشاً فخما

ومات في تلك الأثناء زوجها . وجن فرانديير الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن . وبينما الأمل ينمو ويوطد الجذور ، والشوق يستعر والقلب خفاق ، إذا به يقع في الميدان يتشحط في دمه المغرم ، وإذا برصاصة تخترق صدره العاشق وتسكت قلبه الخافق . فثوى في حزون سمولنسك الباردة وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقرق في المحاجر أسى عليه . ونعى فرانديير زميل ائتمنه على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير

ما في هذا الأمر من شيء غريب . ولـكن الغريب حقا أن يتراءى لهـورتنس دافراى أن التوسلات والذكريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها إيودكسى تيرن . واندفعت روحها الظامئة ناشدة ذلك الحب ، تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ، وحلقت بالغرام في الخيال غافلة عن الواقع ونظمه ، وتمادت في ذلك فاستباحت لنفسها أن تخلق المعدوم وأن توجد المستحيل ! ولم تـكتف بذلك بل وهبت نفسها لفرانديير هذا دون أن تفـكر لحظة أنه مات منذ أمد بعيد ، في تيه المجد وضجة النصر المبين . واعتقدت أنه يوماً موافيها ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصغية لحديثه الحنون ، ولم يخامرهـا في يقينهـا هذا شك ، ولا وجدت على عقيدتها غباراً ... رأت فأحبت فأغرمت فتعذبت ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لو رأى النائم المعجزات في حلمه لما استغرب ، لأن النفس تـكون متطلقة من الواقع ونظمه ، والحقيقة وأشراطها . وكذلك لم تستغرب هورتنس دافراى — حينما كانت تزور مدام دى

سيمور — أن تعلن الخادم قدوم السيد بول فراندبير !

رآه يدخل ، هو بعينه الذى أحبت وتحب : بول فراندبير ! بول فراندبير بشعره الوحف المجعد ، وعينيه السوداوين ، ثم بندبة الجرح فى جبهته العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى زى ملازم من مدفعية الفوج الإفريقى الأول ... كلا ! لم تعجب مدام دفيراى إذ تراه ، فقد كانت تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص فى حنايا صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعها بخفقه الشديد ، وودت إن لم تكن بين ذلك الجمع من الرجال المتأنقين وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلى ، فتقفز كالغزال إليه ، ثم تغيب فى أحناء صدره الرحيب قائلة « هأنا ذى » !

وانحنى فراندبير لعمته مدام دى سيمور . ثم يرى هورتنس فجأة ، فيبهت ، لا عرف لديه ولا نكر ، وغاض لونه واصفر وجهه ، واستطاع بعدلأى أن يعتمد على الحائط وأن يجر قدمه الواهنة إلى مخدع كان لحسن الحظ خاليا ، فتخاذل وارتمى على بساطه الثمين . ودهشت مدام سيمور من سلوكه الناشز عن العرف والتقليد ، فتعقبته إلى حيث تداعى يئن أنيناً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت وغاب عن الوجود

واستدعت عمـــته طبيباً مشهوراً من أضيافهـــا . ولـكنها أحست — بغريزة المرأة — أن هناك سرا لا يحسن أن تفض غلفه لأحـد غريب . فجثت على العليل تدلك رأسه وصدغيه ، وتنشقه بعضاً من ملح قوى مفيق . ثم رفعت رأسه براحتيهـا واضعة تحتها وسادة من حرير غال

ولما أن أفاق وثاب إليه الوعى ، دس يده فى جيب صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، حمله قبلات والهة ، فأراه عمته ، ثم صاح فى فرح المجنون وطرفه غريق فى الدمع الهتون : « أى بلانش ! بلانش ! إنها تحيا ! » فأجابته عمته : بلانش ! بالطبع ! إن هورتنس دافراى تحيا ، وهى فوق ذلك صديقتى . ولـكن قل لى لم تدخل فى زى الدولة الأولى ؟ على أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التى انتابتك من لحظة ؟ فقال فراندبير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولـكن روحى هامت بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حبا وعشقاً . وقد استقر حبها بين جوانحى وفؤادى ، وسرى بين لحمى وعظمى . لم يفارقنى ذلك الرسم منذ خلص إلى وتناهى من ثلاثة أعوام خلون . واصطحبنى فى الفتح والحروب ، فى النفق والخنادق ، فكان رسول السلام إلى قلبى الوله الجازع إذا ما اشتد النزال وحمى الوطيس ، وكان بشير الحصانة إذا ما رنق على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع . كان فيض الأمل ونبع الحياة ، كان كل هذا برغم ما كنت أعلم عن موت صاحبته . ولـكنى لا أملك من أمرى شيئاً . وكنت أعلل نفسى أنى ملاقيها فى جنان الرحمن حيث لا تعجز اللقيا ... ولم يكن خيالى يستبيح لنفسه — وهو الشرود الجموح — أن يتصورها حية فى عصرنا هذا . فهـو إن صورها يصورها نائمة بجلال بين الورود والزهور فى جدثها العاطر . فيطير لبى شعاعا ، وتنسرق نفسى هياما وحبا !

— هـــذا حسن ! ولـكنك لم تحدث لى من أمر الصورة ذكراً . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كان لدى أبى — فى مكتبه — مكتب مهجور . طلبته منه كى أستذكر عليه فأعطانيه ولم يمهل . وقال لى إنه من مخلفات — سميى — عمه الأكبر بول فراندبير . كان ملازما فى جيش الدولة الأولى . ومات فى سمولنسك فى السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ . وكانت مفاتيح المكتب ضائعة فاضطررت إلى كسر أغلاقه ، وفى أحد أدراجه الخفية عثرت يداى المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتها من ذلك الحين

— حقا إن فى ذلك الحادث جانباً كبيراً من الغموض والإبهام ، وعلى أية حال فأنت شاب طليق وهى فتاة حرة . فلا مانع يفصلكما من الحب ويحرمكما الزواج

ولـكن الأمانى كانت سراباً . فقد ادكر كل من بول وهورتنس صاحبه ، فتذاكرا العهود وجددا الغرام ، فنعما بجنة الحب لأمد قصير . ولـكن بول ذهب فى فوجه إلى « تونـكين » وهناك مات — بجده — برصاصة شقت الصدر وباتت فى الفؤاد ، أى بؤس وعذاب !

س . م

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٧ — ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠١١

20 me. année No 997

Le Caire 11 - 8 - 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

العبيد..

« هذا المقال منع من النشر فى عهد الطغيان . وهو اليوم هدية للأحرار الذين طهروا الوادى وكرموه »

للأستاذ سيد قطب

ليس العبيد هم الذين تقهرهم الأوضاع الاجتماعية ، والظروف الاقتصادية ، على أن يكونوا رقيقا ، يتصرف فيهم السادة كما يتصرفون فى السلع والحيوان ، إنما العبيد الذين تعفيهم الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية من الرق ، ولكنهم يتهافتون عليه طائعين !

العبيد هم الذين يملكون القصور والضياع ، وعندهم كفايتهم من المال ، ولديهم وسائلهم للعمل والإنتاج ، ولا سلطان لأحد عليهم فى أموالهم أو أرواحهم . . وهم مع ذلك يتزاحمون على أبواب السادة ، ويتهافتون على الرق والخدمة ، ويضعون بأنفسهم الأغلال فى أعناقهم ، والسلاسل فى أقدامهم ، ويلبسون شارة العبودية فى مباهاة واختيال !

العبيد هم الذين يقفون بباب السادة يتزاحمون وهم يرون بأعينهم كيف يركل السيد عبيده الأذلاء فى الداخل بكعب حذائه . كيف يطردهم من خدمته دون إنذار أو إخطار . كيف يطأطئون هاماتهم له فيصفع أقفيتهم باستهانة ، ويأمر بإلقائهم خارج الأعتاب ، ولكنهم بعد هذا كله يظلون يتزاحمون على الأبواب ، يعرضون خدماتهم بدل الخدم المطرودين ، وكلما أمعن السيد فى احتقارهم زادوا تهافتا كالذباب !

العبيد هم الذين يهربون من الحرية ، فإذا طردهم سيد بحثوا عن سيد آخر ، لأن فى نفوسهم حاجة ملحة إلى العبودية . لأن لهم حاسة سادسة . . أو سابعة ، حاسة الذل . . لابد لهم من إروائها ، فإذا لم يستعبدهم أحد أحست نفوسهم بالظمأ إلى الاستعباد ، وتراموا على الأعتاب ، يتمسحون بها ، ولا ينتظرون حتى الإشارة من إصبع السيد ، ليخروا له ساجدين !

العبيد هم الذين إذا أعتقوا وأطلقوا حسدوا الأرقاء الباقين فى الحظيرة ، لا الأحرار المطلقى السراح ، لأن الحرية تخيفهم ، والكرامة تثقل كواهلهم ، لأن حزام الخدمة فى أوساطهم هو شارة الفخر التى يعتزون بها ، ولأن القصب الذى يرصع ثياب الخدمة هو أبهى الأزياء التى يتعشقونها !

العبيد هم الذين يحسون النير لا فى الأعناق ولكن فى الأرواح ، الذين لا تلهب جلودهم سياط الجلد ، ولكن تلهب نفوسهم سياط الذل ، الذين لا يقودهم النخاس من حلقات آذانهم ، ولكنهم يقادون بلا نخاس ، لأن النخاس كامن فى دمائهم .

العبيد هم الذين لا يجدون أنفسهم إلا فى سلاسل الرقيق ، وفى حظائر النخاسين ، فإذا انطلقوا تاهوا فى خضم الحياة وضلوا فى زحمة المجتمع ، وفزعوا من مواجهة النور ، وعادوا طائعين

يدقون أبواب الحظيرة ، ويتضرعون للحراس أن يفتحوا لهم الأبواب !

***

والعبيد — مع هذا — جبارون فى الأرض ، غلاظ على الأحرار شداد ، يتطوعون للتنكيل بهم ، ويلتذون إيذاءهم وتعذيبهم ، ويتشفون فيهم تشفى الجلادين العتاة !

إنهم لا يدركون بواعث الأحرار للتحرر ، فيحسبون التحرر تمردا ، والاستعلاء شذوذا ، والعزة جريمة ، ومن ثم يصبون نقمتهم الجامحة على الأحرار المعتزين ، الذين لا يسيرون فى قافلة الرقيق !

إنهم يتسابقون إلى ابتكار وسائل التنكيل بالأحرار ، تسابقهم إلى إرضاء السادة ، ولكن السادة مع هذا يملونهم ويطردونهم من الخدمة ؛ لأن مزاج السادة يدركه السأم من تكرار اللعبة ، فيغيرون اللاعبين ويستبدلون بهم بعض الواقفين على الأبواب

***

ومع ذلك كله فالمستقبل للأحرار . المستقبل للأحرار لا للعبيد ولا للسادة الذين يتمرغ على أقدامهم العبيد . المستقبل للأحرار لأن كفاح الإنسانية كلها فى سبيل الحرية لن يضيع . لأن حظائر الرقيق التى هدمت لن تقام ، ولأن سلاسل الرقيق التى حطمت لن يعاد سبكها من جديد !

إن العبيد يتكاثرون نعم ؛ ولكن نسبة الأحرار تتضاعف والشعوب بكاملها تنضم إلى مواكب الحرية ، وتنفر من قوافل الرقيق ؛ ولو شاء العبيد لانضموا إلى مواكب الحرية ؛ لأن قبضة الجلادين لم تعد من القوة بحيث تمسك بالزمام ، ولأن حطام العبودية لم يعد من القوة بحيث يقود القافلة ؛ لولا أن العبيد كما قلت هم الذين يدقون باب الحظيرة ، ليضعوا فى أنوفهم الخطام !

ولكن مواكب الحرية تسير ؛ وفى الطريق تنضم إليها الألوف والملايين . . وعبثا يحاول الجلادون أن يعطلوا هذه المواكب أو يشتتوها بإطلاق العبيد عليها . عبثا تفلح سياط العبيد ولو مزقت جلود الأحرار . عبثا ترتد مواكب الحرية بعدما حطمت السدود ؛ ورفعت الصخور ، ولم يبق فى طريقها إلا الأشواك !

إنما هى جولة بعد جولة . وقد دلت التجارب الماضية كلها على أن النصر كان للحرية فى كل معركة نشبت بينها وبين العبودية . لقد تدمى قبضة الحرية ولكن الضربة القاضية دائما تكون لها . وتلك سنة الله فى الأرض ، لأن الحرية هى الغاية البعيدة فى قمة المستقبل ، والعبودية هى النكسة الشاذة إلى حضيض الماضى !

إن قافلة الرقيق تحاول دائما أن تعترض موكب الحرية .. ولكن هذه القافلة لم تملك أن تمزق المواكب يوم كانت تضم القطيع كله ، والموكب ليس فيه إلا الطلائع ؛ فهل تملك اليوم وهى لا تضم إلا بقايا من الأرقاء أن تعترض الموكب الذى يشمل البشرية جميعا ؟

وعلى الرغم من ثبوت هذه الحقيقة ، فإن هنالك حقيقة أخرى لا تقل عنها ثبوتا ؛ إنه لابد لموكب الحريات من ضحايا .. لابد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب . لابد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور الأحرار . لابد للحرية من تكاليف . إن للعبودية ضحاياها وهى عبودية ، أفلا يكون للحرية ضحاياها وهى الحرية ؟

هذه حقيقة وتلك حقيقة . ولكن النهاية معروفة والغاية واضحة والطريق مكشوف والتجارب كثيرة ، فلندع قافلة الرقيق وما فيها من عبيد تزين أوساطهم الأحزمة وتحلى صدورهم النصب ، ولنتطلع إلى موكب الأحرار وما فيه من رؤوس تزين هاماتها مياسم التضحية ، وتحلى صدورها أوسمة الكرامة . ولنتابع خطوات الموكب الوئيدة فى الدرب المفروش بالشوك ، ونحن على يقين من العاقبة ، والعاقبة للصابرين ..

سيد قطب

كلمـــــة صغيرة

للأستاذ (ع)

أكتب هذه الكلمة وأنا مريض فى المصيف فى (مضايا)، قد هبط معى الضغط، وضعف منى الجسم، وانقطعت عن عمل اليد وعمل الدماغ، ولذلك ما أخللت بعهدى، وكان العهد أن أكتب إلى (الرسالة) مرتين فى الشهر. ولكن أخبار مصر، ومن قبلها أخبار إيران، تطرد المرض، وتنهض الجسد، وتهز من الحماسة الجبال، وترقص الحجر، فكيف أنام اليوم واليوم عزت بالإسلام العرب والعجم. واليوم استكمل الشرق يقظته إلا بقايا فى عينيه من الكرى وأقسم أن لن ينام، واليوم أحس كل مسلم بأن الأمة التى يكون فيها من زعماء الدين أمثال حسن البنا والقاشانى، ومن زعماء الدنيا أشباه نجيب ومصدق. لم تفقد عزتها، ولم تدفن أمجادها فى قبور تاريخها، ثم تسير بلا عزة ولا مجد، بل إن لها من حاضرها أياما غرا محجلات لا يضر من رآها ألا يكون رأى تلك الأيام. لا، لا يضر من حضر الجلاء عن الشام، وإقامة إندونيسيا والباكستان، وشهد ظفر الشعب فى طهران أمس وفى مصر اليوم ألا يكون قد حضر القادسية وشهد اليرموك

لقد تتالت علينا الأفراح، وتتابعت البشائر حتى ما تستطيع أن تحتملها أعصابنا. إننا نعدو عدوا فى طريق الظفر لا نقدر أن نقف ساعة لنستريح ونلتقط أنفاسنا. هذا شعب إيران يهب هبة الرجل الواحد، يحمل معه أكفانه ليثبت للدنيا أن الكفن فى يد المستميت أمضى من المدفع فى يد من يحب الحياة ويكره الموت، وأن الرغبة الصادقة فى الموت هى أقصر طريق إلى الحياة، وأن الشعب إذا استمات لا تغلبه قوة فى الدنيا. وهل يمكن أن يباد شعب على بكرة أبيه فلا يبقى له أثر؟ هل تستطيع قوى الشر كلها التى حشدها المتمدنون ليقتلوا بها البشر باسم المدنية التى نسبح جهلا بحمدها، ونموت فى عشقها، أن تهلك أربعمئة مليون ضفدع لو هاجت بلداً من أقطاره الأربعة؟ فكيف لو هبت أربعمئة مليون إنسان، يستجيبون لصوت إيمانهم، ويغضبون لماضيهم، ويعملون لمستقبلهم؟ إن القطة إن غضبت لأولادها، كشرت عن أنيابها، وأبدت عن مخالبها، وهجمت على الذئب، فكيف إن غضب شعب كشعب إيران؟ وكيف إن كان يقوده شيخ له عزة العلم، وله قوة اليقين، كالقاشانى، ينفخ فيه من روح الدين ما يثبت للعالم أن قوة الإيمان هى أقوى القوى، وأن العدو لم يصنع بنا شيئا أضر علينا من صرفنا عن ديننا، وتعطيل هذا السلاح الماضى الذى وضعه الله فى أيدينا!

ثم جاءت أخبار مصر. مصر الدينة الصينة التى طالما احتملت الفسوق والعصيان.. وسكتت ترجو أن ينيب الفاسق، ويتوب العاصى.. مصر العزيزة الحرة التى صبرت على الطغيان والاستبداد.. مصر التى بذلت فى حرب فلسطين مالم تبذله دولة عربية، ثم ضربها فى ظهرها من كبار أبنائها من كان شرا عليها وعلى جيشها من أعداء الله والإنسانية: اليهود. مصر التى طالما زرتها وأقمت فيها الشهور الطوال فكنت أشم روائح الفساد كلما خرجت من إدارة الرسالة ومررت بالميدان الكبير. وانتشرت هذه الروائح حتى عمت مصر، ثم وصلت إلى أوربا.. وشمها أصحاب الجرائد هناك بأنوفهم الحساسة فنشروها فى كل مكان حتى بلغت الشام ودخلت كل بيت؛ لذلك كانت أخبار الانقلاب الأولى فرحة فى كل بيت.. يتباشر بها الناس. ويفتحون الراد ليسمعوها، وأزهد الناس بسماع الأخبار صار يعانق الراد فى داره ليسمع إذاعة مصر وغير مصر.. فلما أذيع أن الفاروق (الذى كان يوما الملك الصالح) قد أخرج من مصر لم يعد يستطيع الناس أن يضبطوا من الفرح أعصابهم. ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر، لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر. ولولا أنى مريض.. وأن ذهنى مكدود.. لحييت هذا اليوم العظيم التحية التى تليق به.. ولسقت له كلاما غير هذا الكلام: كلاما تثب له القلوب، وتحمى منه أقحاف الرؤوس، وترقص له من الحماسة الأعصاب، وتغلى الدماء؛ ولكنى إن عجزت اليوم عن نظم هذا الكلام.. فلقد قال هذا البطل بفعاله أكثر منه؛ وهو صامت متواضع لم يفخر ولم يتحمس. فيا أيها الرجل العظيم حقا؛ لك شكر العروبة. لك شكر الوطن. لك

الحاجة إلى الجذور

للدكتور عمر حليق

— ٢ —

لتراث الماضي في عنق الجيل المعاصر مسؤولية قدسية . فإذا انهدم الماضي فإن عودته ضرب من المحال . وإن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث . فما علينا إلا أن نجعل همنا الأكبر الاحتفاظ بالقليل الذي تبقى لنا من تراث الماضي

ليس في هذه الصرخة من البلاغة والحكمة إلا ما زكيها من تحليل دقيق وفكر عميق يطفح به هذا الكتاب النفيس(١) الذي قدمنا له في المقال السابق

ولعل بين القراء طائفة تقرأ في ثنايا هذه الصرخة « رجعية » لا ترضى عنها رغبتهم في بناء المجتمع الجديد على أنقاض الماضي وجموده

ولكن الحاجة إلى الجذور ليست نزعة عاطفية منبعها الرجعية والجمود وما يمت إليها من ألوان المحافظة والتزمت . إنما هي غريزة روحية تكمن في نفوسنا جميعا . فحين تستذكر ما يعتري الجيل من بلبلة فكرية وانفعالات نفسية حادة لا يسعك إلا أن توافق المؤلفة على أن رجل العصر إنسان اقتلعت جذوره لأنه قطع الصلة بالذخيرة الروحية التي هي جزء من تراث الماضي ومن أصوله الخالدة

ففي الثورة على الماضي دعوة إلى القطيعة الروحية بين الخالق والمخلوق ، بين الجذور والأغصان . وهذه القطيعة من أبرز العناصر التي تزيد من بلبلة الفكر وتشتت الجهد وكآبة النفس التي تشيع بين الواعين من أفراد هذا الجيل

فرجل العصر حين يقتصر في تسلحه لمواجهة مسؤولياته ومشاكله الخاصة والعامة على المعاول الحديثة المستنبطة من فنون السياسة والاقتصاد والإصلاح الاجتماعي خالية من الذخيرة

(١) L'enerinement Par Simone weil

شكر الإسلام

يا محمد نجيب . لقد نقش اسمك على محاريب القلوب مع أسماء أبطال التاريخ

***

وبعد فهذه عاقبة الفسق والفجور ، واستغلال أموال الأمة وسلطانها في إرضاء الشيطان وإرواء الشهوات ؛ فاعتبروا يامن لم تصل إليهم النوبة بعد فإنها ستنوبكم . إن الله يمهل ولا يهمل . وينسى ولا ينسى . وليعتبر الذين أنبت الله لهم من التراب ذهباً ، وأنبع لهم من الرمال دولارات ؛ فتركوا قومهم جياعا حفاة وأنفقوها على الفسوق والشهوات حتى ضجت من عجبها من فجورهم باريس مدينة الفجور .

اعتبروا فإن نعم الله لا تحفظ بالمعصية ولكن بالشكر .. وإن الأوطان لا تحمى باتباع الشهوات ، وإضاعة الأموال في البذخ والترف ؛ ولكن بتقوية الجيش وإعداد السلاح ؛ وإطاعة الله ، والعمل على إعلاء كلمة الله . وإن الملك لا يكون ليستمتع الملك ويلهو ، ويعدو هو وحاشيته على العرض وعلى الأرض . ويرفع نفسه عن النقد ؛ بل ليكون أطول الناس سهرا على مصالحهم ؛ وأكثرهم شغلابهم ، وأعظمهم تبعة ؛ وأشدهم من الله خوفا . كذلك كان الرسول صلوات الله عليه ؛ وكان أبو بكر وعمر ؛ وكان الصالحون من الملوك . وبعد فإن في كل بلد (محمد نجيب) لا تعرفونه اليوم ؛ ولكنها ستعرفه الدنيا كلها في لحظة كما عرفنا محمد نجيب ؛ وما كنا قبل دقائق قد سمعنا في الشام باسمه . وأن في كل بلد (يخت) كالمحروسة ، أو سيارة تقوم مقامها و (دار ابن لقمان على حالها) ...

***

وبعد فبارك الله في شعب مصر . وبارك الله في شعب إيران ، وبارك الله في كل شعب يأبى الدنية ويرفض العار ، ويعرف كيف يرفع رأسه ويقول : لا !

والسلام على روح حسن البنا موقظ الأرواح النائمة في مصر ؛ وعلى القاشاني ؛ وعلى مصدق ؛ وعلى البطل النجيب : محمد نجيب

دمشق (ع)

الروحية التي تكمن فى تراث الماضى — وحين يتخذ من هـذه المعاول وحدها أسلحة يواجه بها تسيار الحوادث وتيارات الفكر وانفعال المشاعر والإحساسات — لا مفر له من أن يكفر بالمجتمع والناس حين يمر بنكسة قاسية أو خذلان كبير . فهذه المعاول مجردة من الذخيرة الروحية لا تستطيع أن تبعث فى رجل العصر الإيحاء والطمأنينة الصادقة حين تحقق (هذه العوامل) فى تلبية حاجته عندما تدهمه بعض حقائق الحياة القاسية مما لا تقوى على ترويضها فنون الاقتصاد والسياسة والخدمات الاجتماعية . فهذه المعاول مجردة من العنصر الدينى والروحى العميق ليست سوى آلات ميكانيكية لا تتأثر لانفعال المرء ولا تستطيع أن تعبر عن حمايتها له وعطفها عليه حين يعتريه فى صراعه مع الحياة وقيامه بواجبات الجيل ومسؤولياته الفتور والفتنة والكآبة . فهذا النوع من الإيحاء والطمأنينه والعطف والحماية مقصور على الصلة الروحية التى تربط المرء فى جميع الأجيـال بهذه العناية الإلهية الرحيمة الرءوفة السمحة التى تعيـد إلى النفس الثقة وتبعث فى قرارتها القوة والعزم فتدفع عنها بالإيمان والاختبـار الروحى الصادق شر الفتنة ومساوئ الفتور وبلية الكآبة وأمراض القلق وعلل الشك

ومن ثم يجد الذين اقتصروا فى تسلحهم لمواجهة مسؤوليات الجيل ومشاكله على فنون الاقتصاد والسياسة والاجتماع واستمدوا من فلسفتها ذخيرتهم الروحية — يجدون أنفسهم فى حيرة شديدة .. فإذا تبين لهم أن الشيوعيـة لا يمكن أن تطبق إلا فى ظل النظام المطلق فتصبح قاسية فى حكمها على الطبيعة البشرية اتجهوا إلى الاشتراكية أو الديمقراطية كما تفسر فى أوروبا والعـالم الجديد لعلهم يجدونها أكثر سماحة فى توجيه السلوك الإنسانى فى أقرب المسالك لتحقيق مايتطلع إليه أهل الجيل من عدالة ومساواة

ولـكن طبيعة السلوك الإنسانى وتسيار الحوادث أكثر تعقدا وأشـد قساوة من أن تلين لهذه النظريات . وما أكثر ما يقف الذين اختاروا هذه المعاول « المادية » واجمين قلقين حين يعترى مسلـكهم فى التفكير والعمل نكسات تدفعهم فى ساعات التجرد والتأمل أن يكفروا بهذه المعاول أو أن ينفروا من إحداها ليلتجئوا إلى أخرى ؛ وهكذا دواليك

ويجب أن لا يساء الفهم فى هذا التحليل . فليس القصد أبدا إنكار النفع فى هذه المعاول — هذه المبادئ والنظريات اشتراكية أم ديمقراطية أو غير ذلك من الأنظمة المعاصرة فهى أيضا جزء من تراث الماضى وأسلحة لا بد للجيل من أن يلجأ إليها ليواجه مسؤولياته ويحقق مطالبه . إنما القصد بيان الدور المهم الذى يمارسه التراث الروحى (وهو الجزء الأهم من تراث الماضى) فى سلوك الناس ومبلغ الإيحاء والقوة الدافعة التى توفرها الذخيرة الروحية للذين يتسلحون بفنون العلم والنظم الحديثة ومعاولها لبناء المجتمع الجديد

وإنك لا تستطيع إلا أن تعجب لهذه البلاغة التى عبرت بها مؤلفتنا الشابة عن هذه الصلة بين فنون العلم ونظمه الحديثة وبين القوة الروحية الـكامنة فى تراث المـاضى . فهى تقول بأنها لا ترغب فى شئ أشد من رغبتها فى أن تتعمق فى عشق المجتمع وكل ما فى الـكون من جمال وقبح . فهى لا ترغب فى أن يعيش الجيل فى برج عاجى تحيط به سحب الروح وينغمر فى تراث الماضى، فهى تشارك الناس صراعهم فى الحياة اليومية (وفترة اشتراكها فى حركة المقاومة السرية الفرنسية للاحتلال النازى شـاهد على ذلك) ولـكنها شديدة الرغبة كذلك فى أن ترتفع بنفسها وبأهل الجيل عن هذه « العزلة النفسية » القاسية التى يمرون بها كما عجزت فلسفة العلم ومعاول النظم الحديثة عن أن تحل مشاكلهم وتمهد لهم طمأنينة النفس واستقرار الروح

وهذا الارتفاع لا يكون إلا بتوطيد الصلة بين الجيل الجديد وبين العناية الإلهية والذخيرة الروحـية العميقة التى خلدها تراث الماضى

فهى تستهل مؤلفها فى فصل عن « الحاجة إلى الروح » وهو مثـال طيب للمنطق الفرنسى حين يتعمد أن يضع قاعدة فكرية يؤمن بها ويدعو الناس كذلك إلى الإيمان بها

فالحاجة إلى الروح تستند إلى افتراضين :

أولهما : أن الله موجود وكل شئ فى الـكون والسـلوك الإنسانى يثبت وجوده ، فلا العلم ولا النظم الفكرية قادرة على أن تنفى هذا الوجود وحاجة النـاس إلى إدراكه واستيحاء رشـده العلى وهداه . وأن الله تعالى بصفته جوهر الـكون هو الجـذر

الأوحد لتراث الماضى والعنصر الرئيسى فى ذخيرته الروحية

وثانيهما : أن فشل العلم الحديث ومعاول النظم الاقتصادية والسياسية فى الاعتراف بحاجتها إلى هدى الله قد أوجد هذه المساوى وهذا التفكك والتشويش والقلق الذى يهيمن على أفكار أهل الجيل وسلوكهم

وقد بلغ من حماس هذه المؤلفة الفرنسية لتعزيز الحياة الروحية فى هذا العالم القلق أن دعت فى كتابها إلى سن أقسى التشريعات ضد الذين يتعمدون تشويش الحياة الروحية من المجتمع من الطامعين فى السيادة السياسية والسيطرة الاقتصادية ، وفى الكتاب والفنانين الطامحين إلى المجد الفنى مع شل الدين والقيم الروحية « الذين يبثون فى عقول الناس وأفئدتهم من الصور الفنية المشوهة ما ينحط إلى مستوى البدائية فيمكر على القيم الأخلاقية صلاحها ويدفع القيم الروحية إلى الانحطاط

والمؤلفة فى دعوتها هذه تضرب يمينا وشمالا . فتهاجم (أندريه جيد) الكاتب الفرنسى الشهير لهجومه على بعض القيم الأخلاقية ، وتنتقد (جاك ماريتان) الفيلسوف الكاثوليكى العتيد لتزمته فى تفسير صلة القيم الروحية بمسؤوليات الجيل ومشاكله

وهى لا توقر رجال الصحافة فى حملتها هذه ، فتقترح لهم العقوبة الصارمة إذا ثبت عليهم جرم تزوير الأنباء وتحريف الوقائع والاتجاهات لحاجة فى نفس يعقوب

و(سيمون وايل) فى ثورتها على « الجرائم التى تعيث فسادا فى الذخيرة الروحية » مدفوعة برغبة ملحة فى أن تثير فى أفراد المجتمع الحماس فيمن يأنس فى نفسه القدرة على أن يعين أهل هذا الجيل على مواجهة مسؤولياته بقلب آمن وفكر سليم وفتح خزائن التراث الروحى والإلهام الدينى لهم ودفع شر الذين يغلقون الأبواب فيزيدون دنيا هذا الجيل حلكة وظلاما

ففى كتاب آخر لها عنوانه « فى انتظار الله » تقول كاتبتنا إن الذين تحيق بهم الكآبة والتعاسة ليس لهم فى هذا الكون من حاجة أشد من أن يجدوا فى الناس من يوليهم لفتة مخلصة وعناية صادقة . فلا يكتفى أن تصمت إذا ألمت بجارك مصيبة وتتركه لشأنه . إن حسن الجوار يتطلب أكثر من الصمت وترك الجار وشأنه . إنه يفرض عليك أن تنشط للاتصال بجارك فى المجتمع لتضع بين يديه ما فى طبيعتك البشرية من أنس وبشر .

وفى مكان آخر من هذا الكتاب تؤكد بأن « سكوتك عن ضلال الآخرين وصمتك إزاء محنتهم وكآبتهم ومشاكلهم هو فى الواقع ضرب من الحقد عليهم والسخرية بهم، فالصمت والحالة هذه لون من الشلل النفسى وعنوان على تفاهة العيش وحيوانية السلوك »

***

وبعد فهذا استعراض متواضع لكتاب نفيس . والكتب القيمة على نوعين : كتاب يعالج فى كل فصل فكرة أو فكرتين، وآخر فى كل فقرة من فقراته حكمة ورأى سديد . وكتاب « الحاجة إلى الجذور » من النوع الأخير . فهذا الاستعراض الموجز لا ينصفه ولا يوفيه حقه

ولكنها على كل حال محاولة أحببت أن أعرضها للقارئ دلالة على أن حاجة جيلنا إلى الجذور حد وواجب ، وليس سرف عقلية أو رجعية فكرية ينفر منها بعض المثقفين الذين يعتقدون مخطئين بأن البضاعة الفكرية المستوردة من حاضر الثقافة الغربية هى فى كليتها نتاج « علمانى » صلته بالحياة والذخيرة الروحية مبتورة لا وصل لها

فأمثال (سيمون وايل) من الداعين إلى صيانة تراث الماضى وعناصره الروحية كثيرون فى حاضر الفكر الغربى

وجيلنا فى العالم العربى سعيد الحظ بأن يجد نفسه فى بيئة لا يزال فيها للقيم الروحية معاقل وحماة . فما عليه إلا أن يعير تراث الماضى قسطا وافيا من اجتهاده ، ويعزز بالذخيرة الروحية ما اختاره من معاول العلم وفنون النظم الفكرية الجديدة ليتسلح بها جميعا لمواجهة هذه المسؤوليات الجسام التى تتحداه

نيويورك

عمر حليق

من الاسكندرية إلى ديروط

للأستاذ أنور الجندى

جمعت فى خلال إجازتى بين سفرين ؛ كلاهما أبعدنى عن القاهرة . فسافرت إلى الإسكندرية ثم عدت إلى ديروط ؛ فكأنما ذهبت إلى أقصى الشمال حتى شارفت البحر الأبيض.. ثم قصدت إلى الصعيد الأوسط حيث قضيت أياما فى البلد التى ولد على ضفافها حافظ إبراهيم شاعر النيل

وفى كلتا الرحلتين متاع كبير ، ومتاعب كثيرة ...

أما فى الإسكندرية فقد التقيت بصفوة الناس . وتغلغلت فى الطبقات الميسورة التى لان لها العيش وأتيح لها أن تأخذ بأوفى حظ من المتاع .. فهجرت القاهرة والأقاليم ، وأقبلت إلى الساحل تأخذ أكبر قسط من الهواء والماء . . ومن متاع النفس والجسد

رأيت المجتمع المصرى فى صورة الحرية المطلقة . وقد تجرد الرجال والنساء على وجه أحله البحر وحرمه الدين ؛ وأعطى كل من الجنسين لنفسه الحق فى أن يذهب حيث شاء . إن شاء أمضى يومه أمام الكابين . أو تحت المظلة . أو سابحا فى الماء ...

ورأيت صورة الهدى وهى تختلط فى صورة الضلال ... فلا تكاد تفصح إحداهما عن نفسها أو تتبدى واضحة جلية ، وأشفقت من المصير الذى ينتظر هذه الجماعات وقد منحت أنفسها ما تهوى وما تحب دون أن تجعل للعرف أو للتقاليد أو للدين حسابا معلوما أو حقا مفروضا ...

ومن العجب أن تقوم مسارح الفتنة والجمال على شاطئ البحر بين مقامين كبيرين لرجلين من أعظم رجال التاريخ والتصوف هما: ابن جبير الأندلسى الرحالة الذى طاف الشرق وقدم من المغرب ومات فى الإسكندرية

وبشر الحافى الصوفى العراقى الذى أثر عنه الزهد والعلم والورع

ولكل منهما مسجده الضخم القائم فى قلب المنطقة الآهلة بالمصيفين ورواد الكابينات ؛ والذاهبين إلى البلاج والعائدين منه وبينما تذهب آثار الرجلين فى بطون التاريخ فلا يذكرهما ذاكر إلا القليل من الباحثين والعلماء ، يبسط الله فى اسميهما ؛ فيكتب فى تذاكر الأتوبيس والسيارات ، وينادى به الحاوذن والسائقون ، ويجرى على ألسنة المسافرين والعائدين ...

* * *

ثم سافرت إلى ديروط ، تلك المدينة التى كانت حديث الصحف فى الشهور الماضية ، فلقيت قوما يختلفون كل الاختلاف عمن لقيت فى الإسكندرية

لقيت قوما يكدحون فى سبيل العيش والرزق ، يعملون سحابة يومهم .. فإذا أمسى المساء التقوا على « القناطر » التى هى أبدع عمل هندسى فى الصعيد بعد خزان أسوان وقناطر أسيوط

رأيت أهل الصعيد فى نقائهم وطهرهم وبساطتهم ، يمضون فى الحياة لا يتكلفون ، قد أخذوا من الحضارة بطرف ، ولكنهم ما زالوا يضنون عليها بالعرض والشرف والخلق والتقاليد

رأيت «المئذنة» العالية وسمعت صوت النداء باسم الله ينبعث من فوقها فيهز النفس من الأعماق ، ويرسل إلى الكون كله فيضا من الحب والسلام ... هذه مئذنة الجامع الكبير ، من أعلى مآذن القطر كله ؛ قد بنيت بالقرميد الأبيض والأحمر على هيئة غاية فى الرواء والإبداع ، وكان مقامى فى بيت قريب منها على الضفة الثانية للترعة الساحلية ، فما كنت ألقى نظرى من النافذة مرة ، جالسا أو قائما ، إلا كانت تتراءى لى فتهزنى ، وتملأ نفسى بذلك الإحساس الروحى الغامر . . فإذا واجه غرفتنا المؤذن فى صلاة الفجر ، انبعث صوته رطبا نديا .. كأنما يسكب على هذا الصمت والسكون الضياء والنور ، فما ألبث أن أهتز فى مضجعى أردد اسم الله ...

ألا ما أبعد الفارق بين ما تثيره ديروط وماتثيره الإسكندرية فى النفس ؟ إن هذه تعطينى معنى الروح كاملا حيا ، أما تلك فلا تترك فى نفسى إلا متاعب الصراع بين الهوى والحق ، وبين القلب والغريزة ...

وفى ديروط كنت أطلق الطرف بعيدا فى تلك المروج الخضراء أتزود وأقتات من جمال الريف ، وهناك فى أطراف المدينة حيث تلتقى الحضارة بالريف ، والصناعة بالزراعة ... كنت أجلس

الساعات الطوال أنظر وأسبح بعيدا حتى يردنى عن أفكارى قطار « الديزل » السريع وهو ينهب الأرض فى طريقه إلى القاهرة ...

وفى المساء كنت أسير مع صديق « محمد زكى » نتحدث عن الرافعى ... إن صديقى لا يمل الحديث عنه ، إنه يحبه غاية الحب ، ويرى يومه عبثا من العبث لو انه انقضى دون أن يقرأ له فصلا أو صفحة أو كلمة أو « كليمة »

إن صديقى من أدباء الريف المغمورين ، الذين قضت عليهم ظروف الحياة أن يعيشوا هناك ، حيث لا تصفو الحياة كثيرا للأديب الذى يريد أن يصنع المجد ...

وفى ساعات الغروب على الإبراهيمية أو على اليوسفى ، تلبس ديروط حلة قشيبة من الجمال..الحزن . حيث نعود بالذاكرة إلى ما قبل عشرين عاما من العمر ، عندما كنا نخطو إلى هذه المدرسة القائمة تجاه مبنى الرى ... نتلقى أول دروس العلم ، ودروس الحياة

* * *

أما ذلك المساء ، فقد كان حزينا حقا ، بالغا غايته فى الظلمة والحزن . فقد انطلقت إلى حيث كان للقلب قصة منذ سن السابعة عشرة ، ولما مرت العربة بنا على ذلك المكان الذى يعيش فيه ذلك الروح الحزين . هتف القلب : ترفق أيها السائق ؛ فإن لنا هنا ذكرى عزيزة

كان الوجه الأول الذى لقينى بين ظلمات الأحداث ، ومتاعب الشباب الباكر ، فأحال دنياى جنة وارفة الظلال ، وأمد روحى بذلك الرحيق القدسى الذى يحسه الشباب الحدث ، الذى يتطلع إلى المجد ، حين يلتقى مصادفة بإنسان وهبه الله فيض الجمال وفرط الحسن.. وأمده بذلك الروح الشاعر الصادق ، بحيث لا يخرجه عن تقاليده وخلقه ، ولا يصرفه عن طهره ونقائه ...

ولكن الظروف تقصر ، والأقدار تأبى ، فإذا به يمضى فى طريقه وأمضى فى طريق . وأظل على الرغم من مرور بضعة عشر عاما أحس كأنما كان الأمر بالأمس ، ما زال قائما فى النفس لا يبرح ، وما تزال صورته فى الضمير لا تزول . إذا هتف الهاتف باسمه ظننت أنه هو ، وإذا خطر من يشبهه ذكرته ، وعدت بالخيال مرة أخرى إلى أيامه الحلوة ، عليها سلام الذكريات

وبالرغم من الزمن البعيد ، فهو ماثل فى القلب ، يذكرنى بالماضى البعيد ، وكأنى به أنتظره وأرقبه ؛ وأرجو على مر الزمن أن يتاح لى مرة أخرى أن ألقاه ...

كان ذلك المساء قاسيا على نفسى ، فقد كنا فى السيارة نتذاكر قصيدة الأستاذ محمود محمد شاكر « اذكرى قلبى فقد ينضرمن ذكراك عودى» .. وبينا كان صاحبنا يرددها ، كنا نمر فى نفس المكان الذى يتنسم فيه شاعرنا أنفاس الحياة

والحق أن «ديروط» أعادت إلى نفسى الذكريات التى طوتها أعباء الحياة فى القاهرة ؛ فما أظن أننى قضيت فى ديروط عشرة أيام منذ سبعة عشر عاما غير هذه المرة ...

لقيت وجوها كثيرة لم أرها منذ طويل ، وجوه كلها إلى حبيب ، ولى معها ذكريات ؛ ولكن غاب عنى وجه لطالما أحببت أن ألقاه ، ولكنه طريح فى المستشفى ، عجل الله له الشفاء وكتب له الصحة والعافية ...

أنور الجندى

حلوان المنوفية

قويسنا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مدينة حديثة.. يرجع تاريخ إنشائها إلى أوائل هذا القرن ، بلدة جميلة تمتاز بطيب هوائها واعتدال مناخها وجفافه . تلك هي حلوان المنوفية أو مدينة قويسنا

تقع هذه المدينة عند خط عرض ٣٠ ر ٣٠ شمالا وعلى خط طول ١٠ ر ٣١ شرقا وهي وبلاد مركزها تحتل الجزء الشمالي الشرقي من مديرية المنوفية

وقد بنيت هذه المدينة في عهد المرحوم عبد الرحيم باشا صبري حين كان مديرا للمنوفية ولذلك يسمى الجزء الحديث منها منشأة صبري ، وقد اختير لبنائها بقعة رملية هي جزء من جبل قويسنا ، ووجودها في هذه المنطقة الرملية هو الذي جعلها تشبه حلوان مناخا

ظهور السلحفاة

يشاهد المسافر من القاهرة إلى الإسكندرية بعد عبوره لجسر بنها وعلى مسيرة خمسة أميال من بنها عدة بقع رملية تنتشر حول مدينة قويسنا شمالا وجنوبا وشرقا ، تلك البقع أطلق عليها هيوم اسم ظهور السلحفاة، وهي بقع فريدة في بابها وغريبة في وجودها ؛ إذ أنها هي البقع الرملية الوحيدة الموجودة في الدلتا باستثناء منطقة فاقوس

ويطلق عليها الأهالي اسم جبل ، وهذا ليس من الحقيقة في شيء ؛ ولكن ندرة رؤيتهم للجبال وللبحار هي التي جعلتهم يتحدثون عن بحر النيل وبحر شبين وجبل بوغوص وجبل قويسنا وغيرها . ذلك أن هذه الجبال لا تزيد ارتفاعها في أعلى جهاتها عن سطح الأرض المجاورة بعشرة أمتار ، وهي بهذا ليست جبالا بل ولا تلالا .

وقد حاول الجغرافيون تعليل وجود هذه البقع الرملية في تلك المنطقة واختلفت آراؤهم :

ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه « الجبال » كانت جزائر رملية في وسط الخليج الذي تتكون منه الدلتا ، فلما ردم النهر بطميه ورواسبه هذا الخليج وكون الدلتا بقيت هذه المرتفعات بعيدة عن أن تغطيها رواسب النهر وظلت قائمة بشكلها الحالي ، ويؤيد هذا الرأي عدم وجود أية قواقع بحرية في تلك المنطقة . وأنا أعتقد أن هذا هو أسلم الآراء

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن هذه البقع الرملية هي من عمل النهر ، وأن النهر قد قذف بهذه الرمال في أثناء موجة شبابه الأول وتركها في مكانها الحالي

هذه هي أهم الآراء ، ولعل من الخير أن أحاول وصف هذه البقع . وهي تتكون من أربعة أجزاء أو (جبال) :

١ : جبل قويسنا

وتوجد مدينة قويسنا في شماله ويمتد جنوبا إلى بلدة كفر الشيخ إبراهيم وتبلغ مساحته ٤٩٥ فدانا . وتمتاز رماله بحسن صلاحيتها للاستخدام في البناء ، ومن هنا أخذت يد الإنسان تعتدي على تلك المنطقة مما يهدد بزوالها

وفوق ربوة عالية اختارت وزارة الدفاع مكانا أعدته ليكون معسكرا للقوات المرابطة التي يجند رجالها من أبناء مديريات المنوفية والغربية والقليوبية . ويمتاز هذا المعسكر بحسن موقعه وجودة هوائه واعتدال مناخه لولا قسوة الحر في أيام الصيف نهارا

٢ : جبل بوغوص

وهو أكبرها جميعا وأكثرها ارتفاعا ويقع شرق السكة الحديدية ويمتد من منشاة دملو إلى شرانيس إلى كفور الرمل وتبلغ مساحته ١٨٠٠ فدان

وقد جاءته هذه التسمية نسبة إلى بوغوص بك وزير التجارة في عهد محمد علي الكبير ، فقد أخذ بوغوص بك يعمل على استصلاح هذا الجبل وإعداده للزراعة ، ولكن ارتفاعه وتعذر وصول مياه النيل إليه وكثرة تكاليف الري الصناعي قد أدت إلى فشل التجربة

وقد بنيت فوق ربوة عالية دار كبيرة ما تزال قائمة وتعرف بسراي موريس

وقد اشترى هذا الجبل حديثا ملاك وطنيون أخذوا يعملون على استغلاله وأخذوا فى بيع رماله ونقلها حتى ينخفض سطحها إلى مستوى الأرض الزراعية فتزرع

٣ : جبل أبو طاقية

ويقع فى شمال شرق قويسنا بجوار قرية كفر ابنهس ومساحته ٢٦٧ فدانا

وقد اشترى جزءا من هـذا الجبل رجل فلسطينى وزرعـه فواكه فنمت أشجار البرتقال واليوسفى والليمون الحلو والأضاليا . وقد انتقى المالك بذورا ممتازة فجاءت بخير الثمار، وتنتج تلك المزرعة أنواعا ممتازة جدا من البرتقال واليوسفى والمانجو والليمون

وقد واجهت المالك مشكلة الرى ولـكنه تغلب عليها :

أولا : حفر ترعة لتصل مياه النيل إلى الجبل

ثانيا : أقام آلة لرفع المياه إلى أعلى مستوى فى الجبل حتى يمكن رى جميع جهاته فى سهولة

ثالثا : حفر لـكل شجرة حفرة كبيرة ملأها بالطمى والردم والسماد فأتاح بذلك لجذور الشجر أن تجد الغذاء الـكافى

رابعا : أنشأ مساقى صغيرة أو قنوات من الطوب الأحمر والأسمنت أومن المواسير والغاية من ذلك ألا تضيع المياه فى الرمال

وهكذا تغلب على صعوبة الرى ونمت الأشجار باسقة وجادت بخير الثمر ونجحت التجربة

وإلى الذين يدرسون مشروعات زراعة الصحراء أقـدم تلك المزرعـة كنموذج لزراعة الصحراء فعليهم بزيارتهـا والانتفاع بتلك التجربة

٤ : جبل سيدى هلال

ويقع قرب بلدة الرمالى وتعرف تلك المنطقة بمنشاة رزق الله وتبلغ مساحتها ٣٠ فدانا . وقد زال معظمها إذ استهلك الفلاحون الرمال فى زراعة القطن

هذه هى المناطق الرملية بقويسنا ، ومن العجيب أنها تخلو تماما من الآثار فليست بها آثار للمصريين القدماء ومن جاء بعدهم

تل أم حرب :

ويقع بجوار قرية مصطاى من ناحية الجنوب وتبلغ مساحته ١٠٥ فدادين . وكان يتكون من تراب كفرى ويشبه تل أتريب ببنها وتل بسطة بالزقازيق ، وهو يكون المنطقة الأثرية الوحيدة فى تلك المنطقة ، وقد زالت هذه المنطقة إذ استهلك الفلاحون ترابها الـكفرى ثم وضعوا يدهم على الأرض وزرعوها . وما تزال هناك أحجار أثرية بجوار مقام الست فاطمة أم حرب

وبهذه المنطقة جبانة لليهود ماتزال آثارها موجودة مع أن العناصر اليهودية قد انقرضت منها ، وهذا يدل على أن تلك المنطقة كانت من أقدم المناطق التى سكنت الدلتا

مدينة صبرى

بلدة جميلة تمتاز بروعة مبانيها وبساطتها وحسن تنسيق شوارعها وتخطيطها، وليس ذلك عجيبا فهى حديثة الإنشاء، ومن ثم خططت تخطيطا هندسيا فجعلت شوارعها واسـعة مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء مما نشاهده فى كثير من المدن القديمة التى تمتلئ بالأزقة الضيقة والحوارى الملتوية

ومنازلها جميلة لـكل بيت فيها حديقة ، وسر ذلك هو اتساع الأراضى وعدم صلاحيتها (فيما مضى) للزراعة

ومناخ البلدة جميل حقا ؛ فشتاؤها دفئ جاف وصيفها لطيف وليله جميل ساحر وهواؤه عليل طيب . وأمطارها قليلة وهى تسقط شتاء كما يحدث فى سائر المناطق الجنوبية من الدلتا

وقد حبب سكنى هذه المدينة إلى الناس جمال مناخها فنمت وترعرعت . ويتمنى كثير من الموظفين أن تنقل عاصمة المنوفية من شبين الـكوم إلى قويسنا ، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب :

١ : إن شبين الـكوم مدينة عتيقة يتغير الزمن ولا تتغير ، ويتقدم الدهر ولا تتقدم . وهناك قصة مصرية طريفة ملخصها أن مصريا قديما بعث وأخـذ معه دليلا ليطوف بالوجه البحرى وليشاهد ما طرأ عليه من تغيرات . وطاف المصرى القديم ودليله بلاد الوجه البحرى حتى إذا وصلا إلى شبين الـكوم وهم الدليل

ما غرض التربية فى مدارسنا ؟

للأستاذ إيليا حليم حنا

لكل أمة طابع وغرض من التربية . فما هو طابعنا الحالى ؟ وما الغرض العام المرسوم للتربية عندنا ؟ الحقيقة لا طابع ولا غرض لنا إلا إعداد أطفالنا وشبابنا للامتحانات لينجحوا ويحصلوا على الشهادة التى تمكنهم من النزول فى معترك الحياة ليرتزقوا ويعيشوا . هذه هى غاية التربية فى مدارسنا، وقد قضى هذا الهدف على كثير من شبابنا المتعلم أن يموت فكريا لأنه لا يتابع سير تفكيره بعد أن يتخرج فى معهده أو مدرسته . ونجد أن أصحاب المهن الفنية من شبابنا المثقف يعيشون بما يتعلمونه لا يسايرون الزمن فى فنهم، ولا ينتجون شيئا جديدا فى ميدان الخلق والابتكار . إننا لا نتهم ذكاءنا ولكن نتهم طرقنا التربوية التى تجعل من رؤوس المتعلمين دفاتر محشوة بالمعلومات وكتبا فياضة بالدراسات ، وأغفلت الأهداف الحقيقية التى تخلق فى الشاب قوة التفكير وتبرز فيه أهم نواحى الإبداع والابتكار . إننا فى حاجة إلى نوع العلم الذى يتيح للمواهب الفردية أن تنمو تبعا لطبيعتها ، ويكفل لكل طفل الأحوال التى تتمكن فيها فرديته من النمو إلى أكمل حد مستطاع وتزوده مع ذلك بالثقافة التى تجعله منسجما مع المجتمع . يجب أن نقلب سياسة التربية الحالية رأسا على عقب ، ونوقف نظام صب القوالب وحشو الرءوس . إننا الآن لا نراعى الفروق الفردية والميول المختلفة ؛ بل نصب أطفال الفرقة كلها فى قالب واحد

لقد بدت فى الأيام الأخيرة ظاهرة يجب أن يهتم بها رجال التربية أشد الاهتمام ، وهى تفشى داء الغش بين الطلبة والطالبات فى جميع مراحل التعليم والسبب الأول لهذا الداء الخلق الوبيل هو أن ما يتعلمه الفرد عندنا لا يناسب الميول والقوى الكامنة ، وأن الهدف الذى يهدف إليه المتعلم هو الشهادة وليس العلم لذاته ، وفى هذا أكبر دلالة على أن مناهجنا الحالية فاشلة فى توجيه أبنائنا نحو حياة اجتماعية خلقية شاملة وشخصية متكاملة

وهناك ظاهرة أخرى هى كراهية الشباب لمعاهد التعليم ،

بتعريفها أجابه المصرى القديم : إننى أعرفها .. إنها شبين الكوم

٢ : سهولة اتصال قويسنا بعاصمتى مصر القاهرة والإسكندرية، فبينها وبين القاهرة ساعة وبينها وبين الإسكندرية ساعتان تقريبا . أما شبين الكوم فهى مدينة قريبة بعيدة ، قريبة لأن المسافة بينها وبين القاهرة قصيرة ، ولكنها بعيدة لأن القطار يقطع هذه المسافة القصيرة فى ثلاث ساعات وهى مدة تكفى لانتقال الإنسان من القاهرة إلى جدة أو أثينا بالطائرة طبعا

٣ : جودة مناخ قويسنا واتساع مساحة الأراضى اللازمة للبناء؛ وقد عطف المغفور له جلالة الملك فؤاد على قويسنا ؛ فأمر أن يقف بها القطار الملكى أثناء انتقال جلالته من القاهرة إلى الإسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ والقطار الملكى يقف فى قويسنا ليتشرف مدير المنوفية وأهلها بتقديم التحية إلى الجالس على العرش

وتحقيقا لرغبة كريمة أنشأ المرحوم محمد افندى نصر مسجدا عظيما بجوار محطة السكة الحديدية

ويبلغ عدد سكان مدينة قويسنا عشرين ألفا ، وتحيط بها منطقة زراعية من أجود أراضى المنوفية

وقد قامت قويسنا دائما بنصيبها الكامل فى الحركات الوطنية، وكانت القوات الإنجليزية تعسكر فى جبل بوغوص ١٩١٩ ولكن الأهالى قاوموها وتعرضوا لكثير من البلاء، ولكن الله أنقذ المنطقة منهم ، فبفضل جهودهم وتعريضهم تلك القوات للخطر رحلت تلك القوات وطهرت البلاد

ويطيب لى أن أذكر أن سعادة محمود فوزى ممثل مصر لدى هيئة الأمم المتحدة ومستشارها السياسى والرجل الذى يعرف دقائق قضية مصر والسياسة العالمية من أبناء قويسنا

أبو الفتوح عطيفه

وللقراءة بعد التخرج . ذلك أيضا لأننا لا نراعى ميولهم التى هى النواة الحية ونقطة الابتداء والأساس لتربيتهم فى مراحل التعليم المختلفة . إن كل اهتمامنا موجه إلى ملء الإناء الفارغ ، إننا نملأ الرءوس استعدادا للامتحان ؛ المدرس يجاهد لإدخال المعلومات ؛ والطالب يكافح لإتقانها حتى يفرغها على ورقة الامتحان ويخرج وقد شعر براحة لأنه قد تخلص من عبئه الثقيل . وقراءة سطرين فى كتاب بعد تخرجه تجعله يشعر بالسأم والملل ، وهو إن أراد أن يقضى على أرقه فى إحدى الليالى فعلاجه يسير وهو قراءة بضعة أسطر فى كتاب . إننا نحن الذين غرسنا فى نفسه الكراهية للعلم، وقضينا عليه ألا يتابع التطور الفكرى ويتخلف عن قافلة الزمن ؛ هذا بجانب النسيان الذى يقضى على معلوماته المكروهة وهو يفزعه ولا يهمه أن ينسى كل ما درسه . أليست معه الشهادة تلك الوثيقة الرسمية من الدولة ؟ ماذا يهمه حتى لو أنه أصبح أميا !

إننا فى حاجة إلى سياسة محدودة مدروسة فى المراحل التعليمية المختلفة لنصل إلى الهدف التربوى الصحيح ؛ ونقضى على الركود الفكرى والأمية الفاشية بين كثير من المتعلمين منا . ففى مراحل التعليم العام يجب أن نراعى وضع البرامج التى تمكن كل فرد من أن ينمى ما تنطوى عليه نفسه ، وأن نجعل المدرسة صورة مصغرة للمجتمع الكبير حتى يتدرب النشء على الحياة نفسها . . فالتربية ليست إعدادا للحياة بل هى الحياة نفسها

أما الجامعات فى كل أقطار العالم الراقية فهى معاهد للبحث تخرج العلماء فى الفنون المختلفة ينزلون إلى الحياة وقد تدربوا على الأسلوب العلمى ؛ يمنحون الإجازات الدراسية ليبدأوا حياة البحث والاستزادة .. مستقلين معتمدين على أنفسهم يستخرجون الحقائق الجديدة من المبادئ التى درسوها وبحثوها . أما إن جعلناها معاهد للدرس لنيل الشهادة ليحصل المتعلم على درجة ممتازة فى كادر الموظفين فقد قبرنا مواهب شبابنا ، وأقصيناه عن ميادين العلم والفن وجعلنا منه آلة متحركة وعبدا للوظيفة ، وحرمنا مصر من نبوغ كامن كان يمكن استغلاله فى الاختراع والاستكشاف وكل ما يتصل بقوى الفكر . وإذا قضى على الناحية الإبداعية فى التفكير فإن الأمة تصبح جامدة متخلفة ذات رتابة مملة وشخصية مطموسة

جميل حقا أن نهتم بزيادة عدد المتعلمين وتيسير التعليم للجميع؛ وأجمل من ذلك أن نهتم بنوع العلم الذى نقدمه . لقد أولينا الكم ما فيه الكفاية وبقى أن نولى الكيف عناية أشد

إن هدف الأمم الديمقراطية فى التربية هو تدريب النشء على أن يفكر بنفسه لنفسه بتنمية قواه العقلية والنفسية والخلقية، وتغذية ميوله الكامنة ، وإعداد أصحاب النبوغ والعقليات والملكات الممتازة ليكونوا علماء الأمة وروادها فى مختلف فنون الحياة . لذا أقول لا فائدة من وضعنا سياسة تعليمية نيسر بها العلم وننشره ما لم نتجه نحو قيم جديدة نصل إليها بالأساليب التربوية الصحيحة التى تجعل النفس تبسط وتعبر عن كيانها ؛ لا عما تختزنه الحافظة محنطا دون روح ولا انسجام

ايليا حليم حنا

روح الإنسانية
يقرع باب الإسلام

لمولانا محمد على

للأستاذ على محمد سرطاوى

تمهيد :

هذا المقال القيم كتبه الزعيم الإسلامى العظيم مولانا محمد على — الذى يدلف الآن إلى السنة السبعين من عمره المجيد الذى قضاه فى خدمة الإسلام — منذ أيام فى مدينة لاهور ونشرته مجلة (ليت) الإسلامية فى عددها الصادر فى اليوم الأول من أيار ١٩٥١ باللغة الإنجليزية

لقد تفضلت الرسالة فنشرت فى أعدادها ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ قصة جهاد الحاج خواجة كمال الدين تحت راية الإسلام فى الشرق والغرب ، ولكن قصة ذلك الجهاد لا تكون تامة إلا إذا قرن بها جهاد مولانا محمد على الذى سنقدمه للقراء فى بحث مفصل حين تصل إلينا من لاهور المعلومات التى طلبتها عن طريق الصديق الباكستانى المسلم الغيور السيد تصدق حسين القادرى الذى يبذل من ماله وراحته الشئ الكثير فى صمت المؤمنين لخدمة الدين الحنيف فى عاصمة الرشيد . وأنا حين أنوه باسمه على صفحات الرسالة الغراء لا أكشف عن جندى مجهول من جنود الإسلام فحسب ؛ وإنما أعطى صورة دقيقة عن شعور كل مسلم باكستانى تحت الشمس نحو الإسلام ؛ فلقد طلب إلى أن يطبع على نفقته كتاب مولانا محمد على المشهور (نبى الإسلام) إذا أنا أقدمت على ترجمته إلى اللغة العربية حتى يكون لى نصف ثواب العمل ، فوعدته بذلك مغتبطا بعمل من هذا النوع

ولكن انتظار ذلك المقال المفصل لا يمنع من ذكر ملخص لحياة مولانا محمد على . فلقد ولد عام ١٨٧٤ فى قرية (مرار) فى إمارة (كبورتلا) من مقاطعة البنجاب من عائلة متوسطة ، ودرس فى القرية مبادئ القرآن وقواعد اللغتين الفارسية والأردية . ثم دخل معهد الإرسالية فى لاهور فقضى فيه سبع سنوات وأتقن اللغتين الإنجليزية والأردية ، ودخل بعد هذا النجاح جامعة الدولة فى لاهور وحصل على شهادتين عاليتين . وفى هذه الجامعة ظهرت اتجاهاته الدينية . وقد رغب فى ممارسة المحاماة عام ١٨٩٧ ، ولكنه بدلا من ذلك رأس تحرير المجلة الإسلامية المسماة (ريفيو أورلجن) التى كانت تصدر بالإنجليزية وبقى فى هذا العمل حتى ١٩١٤ . وبدأ بترجمة معانى القرآن الكريم عام ١٩٠٨ . وفى عام ١٩١٤ رأس الفرقة الأحمدية التى انشقت على القاديانية وجعل مقرها مدينة لاهور . ولقد كان صديقا حميما لمحمد على جناح مؤسس الدولة الباكستانية العظيمة ، يستشيره فى كل الأمور التى لها مساس بالأمور الدينية ، وله مؤلفات باللغة الانجليزية كثيرة سأذكر معظمها

ولسنا نتجنى على الحقيقة حين نزعم أننا نحن العرب المسلمين قد قصرنا فى واجب الدعاية للاسلام والتمكين له فى بقاع الأرض كما صنع المسلمون فى الباكستان

والأزهر على جلال قدره وعلو مكانته فى الحياة الإسلامية لم يساهم مساهمة فعلية فى الدعاية للاسلام فى مدة قرون عشرة من عمره السعيد

واللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية لم يكن لها نصيب فى مناهج الأزهر لإتقانها إتقانا واسعا للدعاية للاسلام عن طريقها بين الشعوب التى تتكلمها بالكتب والخطب والمجلات على طريقة الدعاية الإسلامية فى الباكستان

ولم ينحصر تقصيرنا فى الناحية الدينية معاشر العرب . وإنما تجاوزها إلى النواحى الأدبية والسياسية : فلقد امتلأت المطابع فى البلاد العربية بالصحف السياسية والمجلات الأدبية . ولكن أحدا لم يفكر فى تأسيس صحيفة سياسية قوية باللغة الانجليزية يتولى العرب أنفسهم الإشراف عليها مباشرة للدعاية للقضايا السياسية التى لا يعرف عنها الذين من إلا سمات مشوهة المعالم . حتى لم تفكر جامعة الدول العربية فى إنشاء صحيفة من هذا النوع

فنحن أحوج ما نكون إلى مجلات أدبية وصحف سياسية تصدر باللغات الأجنبية للدعاية إلى آدابنا ومشاكلنا التى لا تزال تفهم فهما مشوها والتى يشوهها خصومنا كما يشاءون فى الرأى العام الدولى كلما اقتضت مصالحهم ذلك التشويه

ويقتضيني الاعتراف بالجميل أن أنوه بفضل الدكتور صفا. خلوصي أستاذ الشرقيات بجامعة لندن بما كان يكتب عن الأدب العربي باللغة الانجليزية في مجلة (إسلامك ريفيو) من بحوث رائعة كان يتجلى فيها ذوقه الأدبي الرفيع وأسلوبه الفاتن في اللغة الانجليزية ؛ ونحن نرجو من الدكتور الملهم أن لا يقصر بحوثه الرائعة على آداب العراق في المستقبل

ونحن نرجو أن لا يبعد ذلك الوقت الذي نشاهد فيه في كل قطر عربي صحيفة سياسية ومجلة أدبية تصدران بالانجليزية وتبثان الدعاية لأدبنا وقضايانا . في الوقت الذي جعلت المواصلات الحديثة العالم بأسره بقعة واحدة وأرغمت البشر على التلاقي في صعيد واحد للتفاهم والتآلف في أجواء قد يسودها الحب والوئام إذا أشرق عليها نور الإسلام في دعاية مركزة قوية تقوم عليها قلوب مؤمنة بما في الإسلام من خير للانسانية

قال مولانا محمد علي :

تمد الإنسانية المعذبة في مشارق الأرض ومغاربها أكف الضراعة ، مستنجدة بمن ينقذها من التردي في الهاوية السحيقة التي تنحدر إلى قرارتها في سرعة جنونية . فالاعتقاد بأن التقدم المادي غير المحدود ، والسيطرة على الطبيعة بالشكل الذي لم يتوقعه الإنسان سيوصلان الإنسانية إلى السعادة والطمأنينة ، قد قضت عليه حوادث السنين السابقة ، وأضحت الإنسانية تشعر بفراغ هائل لا تستطيع ملئه غير مبادئ دين صحيح . لسنا ننكر أن التقدم المادي قد عاد على الإنسان بفوائد مادية على مقياس واسع؛ ولكنه في الوقت نفسه قد سلبه الشيء الكثير الذي يمكن أن يوصل السعادة الحقيقة إليه ، وحرمه من السكينة وراحة الضمير . إن الإنسانية تتلمس طريقها في الظلام الحالك إلى الطمأنينة التي لا يوصلها إليها غير الإيمان بالله ؛ والنظام الذي يسير عليه العالم بأسره . في حاجة ماسة إلى أن يقوم صرحه الشامخ على أسس متينة من الإيمان بالله ووحدة الإنسانية ، ولا يملك مثل هذا الأساس المتين لتثبيت صرح الإنسانية غير الإسلام

إننا نسمع هذا الصوت مدويا من ديار الغرب هاتفا : «لا يمكن لأوروبا . وهي في سبيل التحليق بحياتها العقلية في الآفاق النائية إلا الاستعانة بما في المجتمع الإسلامي من قوة وأجنحة جبارة تعين على ذلك التحليق البعيد »

ولعلها تنبعث إذ ذاك بين شعوب الشرق قوة جديدة تشيع الحياة في الإسلام ، وربما حولته إلى اتجاه جديد إذا استمرت أوربا مندفعة وراء جنونها المادي . وأي إنسان ينكر الاحتمالات التي قد يتمخض عنها تطور من هذا النوع حين يرى على سبيل المثال ما قامت به الجمعية الأحمدية ، بما تملك حركتها من قوة أخلاقية وعاطفة دينية عميقة ، من النتائج البعيدة المدى في نشر الدعوة للاسلام في المواطن البعيدة عن البلدان التي أشرق نوره عليها

إن الغرب متعطش إلى مبادئ الدين الإسلامي ، والمسلمون يتطلب منهم الإخلاص لدينهم الحنيف أن يشمروا عن ساعد الجد، ويخرجوا من عزلة الضعفاء ، ويقدموا للغرب ما هو في أشد الحاجة إليه من غذاء روحي . ولقد خطت الجمعية الإسلامية في لاهور بالباكستان الخطوة الأولى في هذا السبيل حين أسست الإرساليات الإسلامية في أوربا وأمريكا وفي أقطار الدنيا الأخرى منذ زمن بعيد . وهي بالإضافة إلى ذلك قد أصدرت سلسلة من الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية بكثرة واستعداد وإتقان لم يسبق لها مثيل ، ثم راحت تترجم هذه الكتب إلى لغات العالم المختلفة بعد أن بثت فيها مبادئ الإسلام وروح الإسلام ونبي الإسلام .. بأبرع ما يكون العرض ؛ وبأصدق ما يكون التعبير . ولعل من تمام الفائدة أن نشير إلى هذا الجهد الجبار بشيء قليل من التفصيل :

١) لقد تأسست الإرساليات الإسلاميات لبث الدين الحنيف في وكنج بإنجلترا .. وبرلين بألمانيا .. وهوج في هولندا ؛ وسان فرنسسكو في الولايات المتحدة ؛ وإلى جانب هذه المراكز الكبيرة أنشئت مراكز أخرى للغاية نفسها في نيجيريا .. وغانة الهولندية ، وغانة البريطانية ؛ وترنداد ؛ وإندونيسيا ، وسيام ، وبورما ، وأماكن متعددة أخرى في بلاد الهند

٢) لقد تم إنشاء مسجد فخم في برلين

٣) ترجمت معاني القرآن الكريم إلى تسع لغات ؛ نشرت منها فيما سبق ترجمات بالإنجليزية، والألمانية، والهولندية، والأوردية. وتمت ترجمته أيضا إلى خمس لغات أخرى هي التميلية ، والسندهية،

والجرموخية، والخاسية، والجافية، وقد تمت هذه الترجمات وأصبحت معدة للطبع الآن . وتقوم اللجان الأخرى بترجمة معانى القرآن إلى البنغالية؛ والسيامية، والبرمية؛ والهندية، والفرنسية

٤) لقد وزعت من ترجمة القرآن بالإنجليزية أكثر من ستة آلاف نسخة مجانا، وبلغ مجموع النسخ الموزعة أربعين ألفا. وتتخذ العدة الآن لطبع عشرين ألف نسخة جديدة

٥) ولقد ترجمت حياة الرسول ونشرت فى سبع عشرة لغة من لغات العالم، كالإنجليزية؛ والألمانية، والعربية؛ والألبانية .. ووزعت مجانا أكثر من عشرين ألف نسخة

٦) ويعتبر كتاب (الدين الإسلامى) الذى ألف بالإنجليزية دائرة معارف بذل فى تأليفه جهد كبير؛ وهو يتحدث عن مصادر الإسلام ومبادئه العملية، وتعاليمه . وقد تم نشره فى لغات ثلاث هى : الإنجليزية، والهولندية؛ والتركية .. وهو ينقل الآن إلى اللغة العربية

٧) ومجلة (ليت) الإسلامية الأسبوعية التى تصدر بالإنجليزية فى لاهور ويشرف على تحريرها أفراب الدين أحمد ؛ تقوم بعمل جبار فى نشر مبادئ الدين فى أنحاء الدنيا التى يتكلم الناس فيها الإنجليزية .. وهى تطفح كل أسبوع بالمواضيع الإسلامية الرائعة ويشترك فى تحريرها فطاحل الكتاب

٨) ونشرت كتب أخرى متعددة عن نواحى الإسلام فى ثلاثين لغة من لغات البشر

٩) تنشر رسالة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها بين الأمم والأفراد عن طريق إرسال الكتب الإسلامية مجانا إلى أكثر من خمسة آلاف مكتبة فى العالم من مجموعة الكتب التالية

ا) ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية مع التعليقات المطولة على الآيات الكريمة

ب) الديانة الإسلامية

ج) مختصر الأحاديث النبوية

د) محمد رسول الله

هـ) الخلافة الأولى

و) نظام العالم الجديد

ز) الأفكار الخالدة للنبى محمد

ح) تعاليم الإسلام

١٠) توزيع كتب مجانية عن نواحى الإسلام المختلفة فى عدة لغات بكميات هائلة، وهى ترسل مجانا لكل من يرى فى نفسه القدرة على توزيعها

١١) تأسيس ثلاث مدارس عليا للدراسات الإسلامية

١٢) إن الموازنة السنوية للدعاية الإسلامية تزيد على عشرة ملايين روبية أى ما يساوى أكثر من مائة ألف جنيه استرلينى . وتبلغ ممتلكات الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور أكثر من خمسين مليونا من الروبيات

وتغتبط هذه الجمعية بقبول التبرعات من جميع المسلمين الذين يسرهم أن يروا نور الإسلام مشرقا فى ظلام الدنيا، فالزكاة والربح الذى تدفعه المصارف على الأموال المودعة لديها، والصدقات الأخرى .. هى موارد إسلامية ينبغى أن تصرف لهدف عظيم من هذا النوع يخدم مبادئ الإسلام . والذين تهزهم الأريحية ويجدون لديهم الرغبة فى إرسال شئ، فليوجهوا مشكورين ما يرسلون إلى أمين سر الجمعية الإسلامية الأحمدية فى لاهور بالباكستان

بغداد — أعظمية — علي محمد سرطاوى

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

ينهض الأدب واللغة تبعا لنهوض الدولة وامتداد سلطانها ، ويقوى ساعداهما بالقياس إلى قوة ساعد الدولة أيضا . هكذا يقول بعض الباحثين ومؤرخى الآداب والفنون . وقد يكون هذا أو بعضه حقا ؛ ولكن من الحق أيضا أن ليس الأمر مقصورا على اللغة أو الأدب أو الفن ، وإنما هو ينسحب على سائر مرافق الدولة ، وعناصر الحياة فيها ، وكل ما من شأنه أن يكون من مقوماتها . ولكنها تختلف ويسبق بعضها بعضا إلى الوجود بحسب الحاجة إليها ، والباعث عليها ، وبحسب ما يكتنفها من صعاب وعقاب . وأخيرا بحسب قدرة الدولة على الخلق والإيجاد ، أو البعث والإحياء . وإنما كان الأدب أسبقها جميعا إلى النمو والازدهار لأنه وليد الفطرة لا يحتاج إليه سائر العناصر والمرافق والمقومات.. ولأمر ما أجاد الجاهليون الشعر

وقد عجب بعض البحاث من العربية حين قويت واشتد ساعدها فى مدى العصر العباسى كله ؛ لأنها لم تأبه لما منيت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى . ثم عللوا ذلك بأن الفاتحين لم تكن لهم لغة جديرة بالإحياء . ولأنهم كانوا يتخذون الشعر دعاية لدولهم الناشئة . ولأنهم مع هذا كان لهم تمكن فى الأدب ومشاركة فى فنونه »

ولعل هذا أو بعضه أن يكون حقا . ولكن يجدر بنا أن نلاحظ مع هذا أن الأدب كائن حى كسائر الكائنات الحية . فمنذ أن نمته الدولة بعد الجاهلية ، وأصبح يتلقى المؤثرات التى جاءت نتيجة للصراع السياسى وما إليه ، صار له من الأغراض والأهداف مالم يكن له من قبل . وما هى إلا أن اتسعت هذه الأغراض وامتدت على مدى الأيام . وأصبح كثير من الشعراء يطرقونها لا لشئ إلا أنها موضع للاجادة والتفوق والتبريز .

وبعبارة أخرى أصبحت ضرورة فنية دون أن يكون لها من الحياة ما يوحى بها أو يحمل عليها . وإنما يوحى بها ما سبقها من آثار جاءت فى أول الأمر نتيجة لمؤثرات الحياة الواقعة ، وما تمخض عنه من أحداث . ثم أصبحت هذه الآثار تؤثر بدورها كالحياة الواقعة فى الشعراء وأرباب البيان . ومن ثم فقد صار للأدب حياة قادرة على أن توحى وتلهم ، وعلى أن تمس النفوس فتفجرها أريحة واهتزازا وطربا ، وعلى أن تأخذ بالعقول إلى حيث تفكر وتقدر . وقليل أولئك الذين يفرضون أنفسهم وأدبهم عليها وعلى الأدب فرضا . وهم مع ذلك لا يكاد يخلو الأمر من أن يكونوا متأثرين تارة ومؤثرين أخرى . وإلى هذا فإن حياة الأدب ككل حياة يختلف عليها ما يختلف على سائر الكائنات الحية من قوة وضعف وتطور فى الغرض والوسيلة والاتجاه . إلى غير ذلك من ملابسة الزمن ومخالطة الحضارة التى يستمد الأدب جدته منها ، والتى تسمه آخر الأمر بميسمها فى اللفظ والمعنى والهدف والأداء . وإذا جاز لنا أن نشبه الأدب بالإنسان قلنا إنه يلابس الأدوار التى يلابسها الإنسان من طفولة فصبا فشباب فكهولة فشيخوخة فموت . ولسنا نريد أن نقول إن الأدب عابث لاغ فى طفولته كالطفل . أو أنه قوى طاغ فى شبيبته كالشباب ، وإنما نريد أن نقول إن الأدب كائن حى نام يحمل فى أدوار نموه عناصر الموت والفناء . وقد تطول أو تقصر إحدى هذه المراحل أو كلها مجتمعة بالنسبة إلى عوامل حضارية وأخرى ثقافية واجتماعية ، وإن كان لا تخلو كل مرحلة من آحاد يعيشون بأذواقهم وعقولهم فى بيئات سلفية أو مستقبلية . ففى عهد الطفولة تظهر الفطرة بجميع مميزاتها من حسنات وسيئات . لا تكاد ترتفع ببصرها إلى السماء ولا تهبط إلى الأغوار ، وإنما تتخذ ما يحيط بها من حيوان ونبات وجماد موضوعا للقول وأداة للتمثيل والتخييل . وهى لا تنزع إلى غايات اجتماعية أو إنسانية . ولا يعدو بصرها إذا امتد شؤون القبيلة وما هو من ذلك بسبيل . تؤثر الكرم والوفاء ؛ وتأنف أن تتقيد بشئ إلا ما يقيد به نفسه الرجل الحر . وأنت لا ترى عندها فرقا كبيرا بين الإباء والجماح . أو بين الكرم والتضحية . أو بين الوفاء والفداء . أو بين الشجاعة والتهور . أو بين الصراحة والغلظة

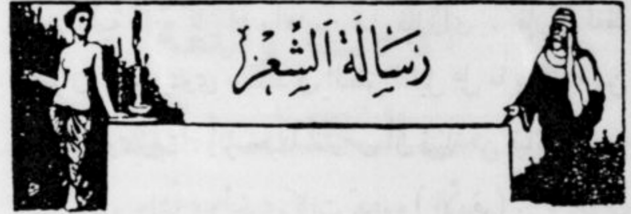
والفظاظة . وبالتالى فهى تتسم بالصدق ودقة الملاحظة وحرارة الإحساس ومعاطفة اللغة عطافا قلما نشعر بمثله نحن الآن . وهى نحن حنينا قويا إلى تحقيق قول القائل

أطيب الطيبات قتل الأعادى ... واختيال على متون الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب ... وحبيب يأتى بلا ميعاد

ثم إن شعر الرثاء فيها لا نكاد نجد له مثيلا فى الصدق والحرارة فى سائر المراحل والعهود التى تليها جميعا . وهى جامدة لا تكاد تتطور إلا بحدث يهزها هزا عنيفا ، وينال منها ومن تقاليدها وعرفها نيلا شديدا . ولكنها تقاومه أحيانا وتذعن له حينا . يظهر ذلك فى حياة الأدب عامة . وفى حياة المعنيين بالإذعان والمقاومة على وجه خاص . ومن ثم فقد ظفرت حياة الأدب بشئ من التطور والانتقال ، ووسعت أغراضا جديدة ، وأحيت مثليات قديمة . وأصبحت فى صبا غض تتفتح فيه المدارك وتتهيأ لما عسى أن يتكشف عنه عهد الشباب من دوافع البعث والإيقاظ . وإذن فقد صار لها امتداد مكفول يأتيها من نفسها حينا ، ومما حولها حينا آخر . ونحن حين ننظر إلى عهود الخلفاء الراشدين بحسبانها امتداداً لعهد النبوة . كذلك نرى الأدب فى ظلها امتدادا لذلك العهد أيضا . ولا نكاد ندع هذه العهود إلى عصر بنى أمية حتى يدخل الأدب مرحلة الشباب من حياته. وهنا يقوى حقا قوة لم نر مايقرب منها فى سائر المراحل والعهود. وإن لم يسع من الأغراض ما وسعه فى العصر العباسى بعهديه أوله وثانيه . فالسلائق كعهدها من قبل غنائية لم تتغذ بضروب الثقافات ، ولم تصبح رواسب عقلية كما سنرى فيما بعد . ولكنها تصدر عن تلك النفس العربية السمحة الكريمة، نازعة إلى مثل عليا هى جماع الخلال الرفيعة للعربى فى الحب والأدب والسياسة والاجتماع

أما اللغة فقد نالها غير قليل من التطور والصقل والمرونة . ذلك لأن العربى فى عهود اللغة الأولى كان يحس فى اللفظة الواحدة شحنة عاطفية وجدانية . وكانت صوتية اللغة تصور له المدلولات تصويراً ليس إلى مثله من سبيل فى زمننا هذا إلا بالجمل الفضفاضة والعبارات، فلو أن عربيا رأى حية ولم يكن عرف اسمها من قبل، ثم ذكرت له لفظة الأفعوان وهو جاهل بها أيضا لوثبت إلى ذهنه صورة الحية التى كان قد رآها من قبل فيما رأى . فإن فى لفظ الأفعوان وهو يتلوى ويمتد فى النطق لدليل على ما يمتاز به من خصائص ومميزات . ولو ذهبنا نفترض أن قبيلة من قبائل العرب كانت تدعوه حنشاً ، وأخرى كانت تدعوه (الأرقم) . ثم عرض لفظ الحنش للأخرى فلا تلبث أن تدرك على نحو ما يراد بهذا اللفظ من مدلول . ذلك لأنه مصور لخصائص عديدة فيه . فاللفظ فى جملته مصور له وهو ممدود على النحو المعروف . أما الحاء فهى منه بمثابة الرأس . وأما النون تفيدنا دقة جسمه بحركتها المفتوحة وهى خارجة فى النطق مع أخويها الحاء والشين هوائية هكذا . وكذلك الشين فهى ربما أعطتنا منازلة الشمس لجلده وهو يتألق ومضا ولمعانا

للكلام بقية — محمد عثمان المصرى



الشـــاعر

للأستاذ حسين محمود البشبيشى

شف روحاً وراق فيض جنان   وارتوى من منابع الرحمن !
أطلق الله روحه فتجلى   شاعرا واستوى نبى معان !

وتلك أيضا تهدى كأختها قصيدة شقيق الروح
الأستاذ الملهم الشاعر أنور العطار .. الى مهذب الروح ،
ومثقف العقل .. من كان له فضل تفجير ينابيع نفسى ..
أستاذى الجليل «الزيات» حسين

شف روحاً وراق فيض جنان   وارتوى من منابع الرحمن
زخرت مقلتاه بالنور والا   ظل ففاضت من ناظريه المعانى
غمرته الحياة .. فهو حياة   ورعاه النشيد فهو أغان
فى حساب الزمان سار خلوداً   وبعرف المكان فوق المكان
جمع العالم الوسيع بروح   يسع الكون فى شفيف كيان!
كان معنى فى خاطر الأكوان   يتهادى رؤى وراء الزمان
أطلق الله روحه فتجلى   شاعراً واستوى نبى معان !

* * *

ياله شاعراً يكاد من الفـ   ـن يذيب الفؤاد فى الألحان
رجع حنانه ترانيم خلد   وصدى قلبه نشيد حنان
الخيالات بين جنبيه نشوى   من رحيق مقدس روحانى
تترسلن أغنيات بقلب   عبقرى الإغفاء والثوران
ملهم ظامئ الشاعر لهفا   ن لخمر الحياة فى كل آن
فاض من حوله الخيال وشاع الـ   ـفن .. يا للمغرد الفنان

* * *

أيها الشاعر المفيض على الكو   ن بمن روحه فيوض البيان
إنما أنت ملهم عبقرى   دينه الفن جل فى الأديان !
رب شعر مقدس روحانى   من فؤاد مقدس ريان
ومعان تنساب إثر معان   حيوات مفجرات الحنان
طهرت لحنها أكف قدا   سات ففاض القيثار بالإيمان
أنبياء الفنون إشراقة الله   بأرض السراب والبهتان
نبضة الطهر فى حنايا وجود   دنسته غرائز الإنسان

* * *

يابنى الترب .. إن روحا من الخلـ   ـد تجلى بسحره النورانى
لاح فى جدبكم ربيع قلوب   وسرى بينكم بشير أمان
شاعراً ينبض الخيال بكفيـ   ـه كنبض القلوب فى الأبدان
ساخراً يقهر الحياة بروح   سخرت من ضلالة الطغيان
خالقاً للجمال فى كل آن   عابداً للجمال فى كل آن
ملهما يعبد الحقيقة فى الكو   ن ويطوى متاهة الأزمان
كلما شاقه فراق ربيع   سبق العمر للربيع الثانى
يا له شاعراً يحدثه الفجـ   ـر حديث المتيم الولهان
وحفيف الأنسام قبل عطفيـ   ـه ففاضت نسائم الوجدان !
وطيوف الوجود أوحت إليه   كل سر جرى وراء العيان

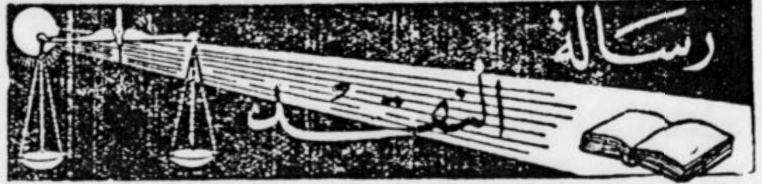
* * *

إنه الشعر كالغوانى جمالا   هل رأيت القصيد مثل الغوانى
كل بيت حسناء أبدعها الله   بحسن يسمو على الإحسان
فتن كالسنا الأغر محلاة   بإشراقة من الألوان
يدفق الشعر من براعم نجواها   ويفتر عن معان حسان
ما تراها كأن خفق صداها   همسات التحنان للتحنان
تملك الروح آسرات وتشتق   طريق الإلهام للفنان
دفقات من الشاعر تنساب   خيالا منغم الأوزان
سلست منطقا وراقت رويا   واستوت صورة وصدق بيان
إن ألفاظها تشف عن المعـ   ـنى كما شفت القلوب الحوانى
فهى روح من روحه قد تسامت   عن قيود الإبهام والإدجان
وضحت كالندى وقد قبل الزهـ   ـر بفجر معطر نديان

* * *

يا ضمير الوجود ما أنا إلا   شاعر هائم وراء المعانى
لى قلب أرق من نسمة الفجـ   ـر وأصفى من عطرها الريان
أعبد الفن فى الحياة وأحيا   عابداً للجمال فى كل آن
كلما شاقنى فراق ربيع   أسبق العمر للربيع الثانى

حسين محمود البشبيشى



مناقشة هادئة مع الأستاذ الناعوري

القيم الفنية في الشعر المتطلق

للأستاذ سليم غاوي عبد الجبار

أصدر الشاعر العراقي بدر شاكر السياب ديوانه الأول (أزهار ذابلة) عام ١٩٤٨ ، وقد تفردت قصيدة (هل كان حبا) من بين قصائد الديوان بطريقتها التعبيرية الجديدة ، هذه الطريقة التي آن للشعر العربي أن يدركها . وبعد صدور الديوان استرسل بدر في نظم قصائده ، وفقا لطريقته الجديدة ، وقد جمعها فيما بعد في ديوانه الثاني (أساطير)

وقرأت الشاعرة العراقية المبدعة نازك الملائكة ، هذه القصائد ، — كما قرأها آخرون يهمنا منهم الآن صالح جواد الطعمة ـ فصادفت عندها قبولا ومن ثم حاولت مجاراة الشاعر ـ في موسيقاه — فنظمت أغلب قصائد ديوانها الثاني — شظايا ورماد — وهي تتأثر خطى بدر . وفعل صالح كذلك ، فنظم بعض قصائد (ظلال الغيوم — و — والربيع المحتضر) على هذا المنوال

وقد كتب بدر ، ونازك ، عن هذه الطريقة ، أما بدر فقد اكتفى بإشارة تهدي السارين ، ولم يسهب . وأما نازك فقد أفاضت بالكلام .. ولكن عن القيم (العروضية) فقط ، مما يدلنا ، دلالة واضحة ، على أنها لم تفطن للقيم الأخرى ولم تتحسس بها ، وليست ملومة على ذلك ، فلا يطلب من الشاعر ، ما هو من حصة النقاد

ولكن النقاد لم يتصدوا لهذه الطريقة ، ولم يدرسوها ، دراسة موضوعية شاملة غرضها الأصيل ، توضيح القيم ، وتثبيتها للاخرين ، فمثل هذه الدراسة تحتاج إلى جهد مضن ، مما قد يتمهل عن مثله النقاد العجالى

على أن أمامي الآن عددين من أعداد مجلة الأديب البيروتية[1] ، وفيهما مقالات للناقد الأردني الأستاذ عيسى إبراهيم الناعوري ، حاول فيهما مثل تلك الدراسة ؛ ولكننا رأيناهما بعيدين عن الروح العلمية ، هذه الروح التي تحتم على كل ذي مقال نقدي أن يلتجئ إليها ، وإلى الذوق المرهف الحساس ،

وكان من الطبيعي وقد تناءى الأستاذ عن ذلك ، أن يتورط في أخطاء علمية بارزة ، وأخطاء ذوقية وعرة ، لا يرتضيها الواقع الشعري ، ولهذا وددنا قبل أن ننطلق في تثمين هذا الإنتاج ، أن نقف قليلا ، ونناقشها ، مناقشة علمية هادئة ، بدون تحيز إلا للعلم ، وبدون خضوع إلا للذوق

قال الأستاذ — وهو بصدد الأسلوب التعبيري الجديد[2]

« ولكنه جاء يشبه النثر بتفعيلاته غير المتجانسة ، وغير المنضبطة في نظام موسيقي »

لابد وأن الأستاذ — مع احترامنا الوافر له — لم يقرأ مقدمة شظايا ورماد وإلا لأدرك أن التفعيلات ليست متجانسة فقط ، وإنما هي (متطابقة) . وأزيد للتوضيح فأقول إنها عبارة عن تفعيلة واحدة مكررة — في كل بيت — عدداً من المرات يتغاير — عدديا — مع البيت الذي يليه أو يسبقه تغايرا يشاؤه الشاعر أو بالأحرى كما يتطلبه المعنى ، وذلك لأن هذا الشعر يعتمد على (الأبحر الكاملة) المتساوية التفاعيل

ثم ... ما الذي يقصده الكاتب بجملته (وغير منضبطة في نظام موسيقي) إذا كان ما يقصده بالنظام الموسيقي هو الطريقة السلفية — الكلاسية — فالشعر الغربي منذ هوميروس وإلى الآن غير منضبط في نظام موسيقي ، وهذا مالم يقله أحد

هذا وقد أحس الشاعر العربي منذ القدم بقساوة هذا النظام — نظام الشطرين المتوازنين — والتفاعيل الثمان — فحاول الانفلات منه ، فابتدع المجزوء ، والمشطور ، والمنهوك ، وتوج ابتداعه (بالموشح) ، ولم أقرأ مقالا لناقد عربي أو غربي يتهم هذه الفروع الشعرية — وخاصة الموشح — بالخروج على النظام الموسيقي !!

إن النظام الموسيقي للشعر العربي (أو الغربي) لا يحدد

(١) العدد ٣ ، ٧ — ١٩٥٢

(٢) العدد الثالث ـ الشاعرة العراقية نازك الملائكة ص ٢٤

يا أستاذ بنظام الشطرين — الأبحر — بقدر ما يحدد بالتفعيلة الواحدة ، أو التفعيلتين ! (٣) راجع أوزان الشعر للدكتور محمد مندور . في الميزان الجديد

ثم يقول الأستاذ في مكان آخر من مقاله الأول (العدد الثالث)

« ولكننا لا نظلم الشاعرة إذا قلنا إن طريقة النظم فيها (٤) لم تعرف الرحمة بآذان القراء وأذواقهم الشعرية »

أرأيت ـ طريقة النظم ـ وليس نظم الشاعرة ، إن الأستاذ هنا (يحابي) الشاعرة ـ ومعذرة من الصراحة ـ فلا ينسب الفشل إليها ، بل يرجعه إلى (طريقة النظم !) فشأن الأستاذ كشأن ذاك التلميذ الذي تستعصي عليه مسألة رياضية فلا يستطيع حلها ، ولا يستطيع اتهام أستاذه بقدرته على التفهيم ، فيلقي القلم — مرتاحا — ليقول « إن المسألة مغلوطة !! »

ما ذنب (طريقة النظم) إذا فشل الشاعر في التعبير بواسطتها ؟ وهب أن قارئا — مثلي — استطاع البرهنة على صلاحية (طريقة النظم) وعدم تخديشها لآذان القراء ! وأذواقهم الشعرية ، فما يكون موقف (طريقة النظم) آنذاك ؟ أتكون تعرف الرحمة ولا تعرف ، في آن واحد !

ثم من الذي أخبر الأستاذ بآذان القراء وأذواقهم الشعرية ! هل استفتى القراء — والعصر عصر التجريب — أم اعتمد على رأي موثوق بصحته له أثره التوجيهي في تاريخنا النقدي !

ألا يجوز اعتبار تنادي شعراء العراق للتعبير وفقاً لهذه الطريقة دليلا على رحمتها آذان القراء ، والشعراء (وهم من أدق القراء إحساسا) فما إن ابتدع بدر هذه الطريقة حتى تصايح الشعراء العراقيون ، ونسجوا أشعارهم على تلك الطريقة؟ أذكر منهم نازك ، صالح ، بلند الحيدري ، عبد الوهاب البياتي ، شاذل جاسم طاقه ، عبد الرزاق عبد الواحد

ثم إن الكاتب احترس فحدد تذوق القراء بالنسبة لقصائد ثلاث من قصائد الشاعرة ، فما الرأي في القصائد الأخرى المنظومة بنفس (طريقة النظم) لماذا لم يشر الكاتب إلى طريقة النظم فيها؟

إذا ما أراد الأستاذ أن يصدر هذا الرأي — الذي كاد يكون حكماً — من وجهته الذاتية فله كل الحق أن يتحدث عن نفسه ، أما أن يشرك آذان القراء وأذواقهم الشعرية ، فهذا ما هو بعيد عن الحياد العلمي

ولكن لماذا لم تعرف طريقة النظم فيها — كما يقول الأستاذ — الرحمة بآذان القراء ، وأذواقهم الشعرية . لابد من سبب ، والأستاذ ماهر ، لا يعوزه ذلك فاسمعه متمماً جملته السالفة

« فقد ألف القراء في الشعر العربي إيقاعا موسيقيا متجانسا ، فوجدوا هنا نظماً غريباً مقلقاً يصدم الأذن بشكل عنيف »

والمطلوب من الأستاذ أن يعرف — لنا الإيقاع — تعريفاً علميا ، فالذي أفهمه أنا من الإيقاع ، التعريف الذي جاء به مندور إذ يقول

« نعرف الإيقاع ؟ ! فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة »

فمن تعريف مندور يتراءى لنا أن الإيقاع لا علاقة له بنظام الشطرين . لا علاقة له مطلقاً ، هذا وليس هناك إيقاع (غير متجانس)

« فأنت — والكلام لمندور — إذا نقرت ثلاث نقرات ، ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة ، وكررت عملك هذا ، تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد كل ثلاث نقرات »

ومن هذا التبسيط الأخير يلزم وجود الإيقاع المتجانس (وكل إيقاع متجانس) في الشعر الجديد كما في الشعر القديم

وما دام النقد هو فن دراسة النصوص — كما يقولون — فلم يعد بالإمكان الرضوخ والقنوع بمثل قول الأستاذ « فوجدوا هنا نظما ... » إذ أصبح من اللازم أن يقوم الناقد — بوضع خطوط سوداء — ! تحت استنباطاته كأن يبين أثر هذا اللفظ ، أو ذاك ، وأثر هذه التفعيلة أو تلك ، أما أن يرسل (نذوقه) إرسالا مطلقاً ، فهذا ما لا نقره عليه (٥)

(٣) تفعلة واحدة إذ كانت الأبحر متساوية التفعيلات — كاملة — وتفعلتان في الأبحر المتجاوبة التفاعيل

(٤) يعود الضمير على قصائد ثلاث ذكرها الشاعر في مقاله

(٥) وعلى سبيل المثال نستشهد بمقالات الشعر المهموس لمندور ومقال الشاعر أبو ريشة بنقد نفسه للأستاذ الحازم إبراهيم العريض ، الأديب العدد الخامس السنة الثامنة (٤٨)

ثم تابع الأستاذ

« والحقيقة أن القارئ يسير مع الشاعرة في هذه القصائد وأمثالها (!) لاهثاً من التعب .. فهناك بيت طويل ، وآخر قد لايزيد على لفظة واحدة »

ماذا نقول للأستاذ ! أيصح لدينا أن ننبذ هذا اللون من الشعر لمجرد أن هناك بيتاً طويلا . وآخر قد لايزيد على لفظة واحدة ، أم يتحتم علينا — كنقاد — أن نقف باستغراق وعمق إزاء هذا الإنتاج ، وكل إنتاج ، فنتساءل — مادام الشاعر قد ارتضاه — عن مدى ما فيه من طاقة ، ونستقرئه استقراء دقيقاً شاملا ، ونحلله تحليلا جزئيا ، ومن بعد نصدر حكمنا القاطع عليه

لا عليك — يا أستاذنا — من الرتابة التقليدية ، فإنها أصبحت لا تثير ولا توحي ، عليك أن تنظر إلى المعنى ! فاذا كان القصر أو الطول مما يقتضيه المعنى ليستثير الخيال والعاطفة ، رحب به ، وافسح له صدرك

هل يجوز لنا أن ننتقد — رساماً لاشيء إلا لأنه يستعمل لوناً واحداً أو لونين في صورته — راجع المدرسة الثانوية في الرسم — (الأديب ت ١٩٥١)

ألم تلاحظ يا أستاذ أن غرض الشاعر هو الخروج عن ذلك التوازن الهندسي !

هذا ما جاء في مقال الأستاذ الأول ، ولم يزد في مقاله الثاني — الأديب العدد السابع ١٩٥٢ على ترديد ما سلف قوله فاسمعه (٦)

« إلا أن تشكيلة تفعيلاته غير المتجانسة تمنع من رؤية الجمال والحيوية فيه » وقوله « فلو جاءت هذه القصائد على أوزان وتقطيعات متناسبة متناغمة ، لكانت أجمل وألطف وقعاً في النفس ففيها معان جميلة ولكنها ضاعت بالصياغة »

أما عن جملته الأولى فقد ناقشناها من قبل ، وأما عن جملته الثانية فقراء عبد القاهر الجرجاني ، يدركون مقدار ما فيها من التواء ، فالمعنى لا كيان له — إلا ظلا ضئيلا لا يعبأ به — خارج الصياغة ، وليس لنا أن نتساءل عما يصبح عليه المعنى إذا ما تبدلت الصياغة تبدلا جوهريا ، فعلينا تقبله أورفضه ضمن الصياغـــة

ولا أفهم أكثر تناسقا وتناغما من سيطرة تفعيلة واحدة على كافة أبيات القصيدة

على الأستاذ الماهر أن يتحرز من استعمال كلمة خارج دلالاتها العلمية المتفق عليها (وسك الأفكار — كما يقول جورج ديهاميل — مجازفة خطرة) . مما سبق يتضح لنا بجلاء أن الكاتب الأردني لم (يحاول) أن يسير وفق المنهج العلمي للنقد ، ولم يختط له خطة مثلى ، تعينه على اجتياز مشاق الطريق . وعلى ثغره ابتسامة ناضرة

ولو درس الكاتب الشعر العراقي — الجديد — دراسة موازنة ، وراجع شعر بدر ، والآخرين ، لما تورط

(وموعدنا في عدد قادم)

العراق — العمارة   سليم غاوي عبد الجبار

(٦) الشاعر العراقي صباغ جـواد الطعمة ، الأديب يونيو ص ٤٤ سنة ١٩٥٢



الفلسفة الصحية في الاسلام

تأليف الشيخ جلال الحنفي
للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن

هـذا الكتاب الصغير أصدره فضيلة الشيخ جلال الحنفي رئيس جمعيـة الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق ، وبالرغم من أن هـذا الكتاب يغلب عليه الطابع العلمي إلا أن أسلوبه كان رائعاً حقا ، فالشيخ الحنفي من المتأثرين إلى حد بعيـد بأسلوب أستاذنا الزيات صاحب الرسالة ، فهو يقتفي آثاره ويترسم خطاه ، ولا أدل على ذلك مما جاء في العدد الأخير الصادر بتاريخ ٨ تموز سنة ٩٥٢ من الصحيفة التي تصدرها الجمعية التي يرأسها الحنفي حيث يقول : (... واحترامنا الفائق للأسـتاذ الزيات وإعجابنـا بأسلوبه الجميـل وبلاغته المشهودة ... الخ) ، والأستاذ الحنفي لا يترك فرصـة تفلت من يده دون أن يشـيد بأسلوب الزيات الرائع ، وديباجته الساحرة ، وفنه اللامع

والحنفي في كتابه هذا يعالج مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية التي عالجها الإسلام ، فكتابه هذا لم يكن بالكتاب العادي ، فهو غير عادي في دروسه وأحكامه ، لمـا يتناول من القضايا التي تهم جزءاً كبيراً من البشرية في حياتها كل يوم

يقول في فصل (الحياة كفاح) لا نغلو إذا قلنا إن الإسلام كان أول دين سماوي عني — بصورة دقيقة — بمثل هذه النواحي الحيوية ، وذلك لأن الإسلام قام على فلسفة عميقـة في توجيه الإنسان إلى فهم الحياة . فالحياة في الإسـلام كفاح في سبيـل تثبيت دعائم السلام والفضيلة والإنسانية ، وهذه الأقانيم العظيمة لا تستقر إذا كان الدعاة إليهـا مرضى ، ولا تسـتمر إذا كان العاملون عليهـا يلتحفون ملاحف الهزال والضنى والعـلة ، إلى آخر هذه الكلمات التي تفيض بالحكمة وتحض الناس على التمسك بالصحة وفهم الدين على وجهه الصحيح

والواقع أن هذا الكتاب من الكتب التي يعتز بها ، ولست أشك أبداً في أنه إذا ما انتشر في البيئات الإسلامية حق الانتشار خليق بأن يوقظها على آفاق جديدة ، وأن يحـدث في جنباتها دويا فكريا

جاء في فصل (فوائد الاعتدال وأضرار الشراهة) ما يلي : من القواعد الصحية السديدة التي وضعها الإسلام قاعدة الاعتدال وعدم الإسراف ، ففيما يتعلق بتناول الطعام مثلا نقرأ في القرآن الـكريم : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ، ونجـد في الحديث النبوي : (إن المؤمن ليأكل في معى واحدة وإن الكافر ليأكل في سبعة أمعاء) [1] فالاعتدال في الطعام والشراب طريق من الطرق الموصلة إلى سلامة الإنسان من الأسقام ، وقد كان هذا الموضوع من الموضوعات التي تردد عليهـا الكلام في الآيات الكريمة والحديث النبوي الشريف ، لأن الاعتدال أصل مهم في الصحة ، وقد استشهد المؤلف بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت ما ادعاه . فمن الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولابد فثلث للأكل وثلث للشرب وثلث للنفس) . وقد وصف الله ذوي الشراهة في التهام الأطعمة بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام ، وهذا وصف أراد الله تعالى به أن يذكر الناس بمصير من يأكل كما تأكل الأنعام وهو الغباء والغفلة والحرمان من فهم حقيقة الحياة

وجاء في فصل (الحجر الصحي) والإسلام أول دين سماوي وضع نظام الحجر الصحي عند حدوث أوبئة عامة ، فقد جاء في الحديث النبوي النهي عن الدخول في أرض أصابها الطاعون ، وكذلك النهي عن الخروج منهـا ، وقد كان لهـذا الابتكار الصحي العظيم أثر ملحوظ في حماية البشرية من الموت بالجملة ، أما ما كان يحـدث في بعض فترات التاريخ من الأوبئة الماحقة التي كانت تفتك بالنـاس في عواصم الإسـلام خلال العهود الأخيرة فما كان ذلك إلا من جراء الغفلة عن الأخذ بهذا النظام الصحي الدقيق

وقد حث النبي أيضاً على اجتناب الموبوئين بالأمراض المعدية

(١) المراد بالكافر هنا الوثني الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا ما يشدد غريزة الجشع في نفسه فيجعله مفرطاً في ملاذه

فقال : (فر من المجذوم فرارك من الأسد) والغرض من ذلك حماية الصحة أولا ولفت أنظار الهيئة الاجتماعية إلى عدم الاستهانة بالأمراض المعدية ووجوب معالجة المصابين بها

وقد أمر النبي بغسل الإناء إذا ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب لما ينقله لعاب الكلب من الأمراض

ومما يؤخذ على الشيخ الحنفي الاستشهاد ببعض الحكم الدينية القديمة بينما الكتاب يبحث عن الصحة في الإسلام ، فمن ذلك قوله : (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان) ، واستشهاده أيضاً بالحكمة القديمة القائلة : (إذا امتلأت المعدة فسدت الفكرة) وعلى كل فإن هذه الهنات الهينات ، لا تحط من قدر هذا الكتاب المفيد

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

النقد الأدبي

للدكتور أحمد أمين

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

حسب القارئ الذي يطلب خلاصة مركزة مهضومة سهلة التناول في النقد الأدبي ؛ أصوله ؛ وتاريخه ؛ هذا الكتاب الذي يقدمه أستاذنا لطلاب الثقافة الأدبية ؛ النقدية؛ فهو يعد أوفى كتاب في اللغة العربية في باب النقد وتاريخه ؛ فليس يغني غيره عنه . وقد يغني هو عن كثير من الكتب في هذا الباب . ولكن ما خصائص أسلوب هذا البحث القيم الفكري والفني ؟ أما عن أسلوبه الفكري أي مادته العلمية فهي تتسم بالإحاطة والشمول بكل ما قيل بصدد المسائل التي يتعرض لها في اللغة العربية واللغات الحية ؛ ثم موازنة ؛ وهضم هذه الأفكار ؛ ثم مزجها مزجا فنيا ، وتقديمها بأسلوب أستاذنا الهادئ ، الطيع ، السلس ، المبين ، حتى تشعر أنك قد ألمت بعصارة الآراء مبلورة في رأي المؤلف . ثم ينتقل بك من موضوع إلى موضوع في رفق ، وأين ، واتزان منطق . أرأيت أسلوب فجر الإسلام ، وضحاه ، وكيف قدم إليك هذه المادة العلمية في ذلك الأسلوب الأدبي مما جعلك تشعر أن الدكتور قد أدب العلم بعرضه وفنه . فأنت أيضا في هذا الكتاب لا تطالع مادة عقلية ، منطقية ، جافة ، ثقيلة ، بل مادة موشاة بألوان الفن مما جعلها أقرب إلى القلب ، وأعلق بالنفس ، وهذا هو سر حياة كتبه ، وتجدد طبعاتها . ومما يزيد هذا الكتاب اتزانا في البحث ، وسلامة في المنطق ، ووضوحا في العرض ، هو تحضير مادته في هدوء ، وعلى مهل ، فلا عجلة ، ولا اضطراب ثم بعد أن تحضر هذه المادة تدرس لطلاب الجامعة . فيزيدها هذا تركيزا ، واستجلاء وتقويما ، لأن في عرضها إشاعة الضوء في كثير من جوانبها ، واستبانة مادق على النظر عند تحضيرها، فإذا ما انتهت من عمل المؤلف واجتازت بوتقة الدرس فقد وصلت مبرأة من المآخذ ، خالية من الشوائب . وهذا ما يحسه القارئ في كل مبحث من مباحثه وباب من أبوابه . فهو يتناول النقد الأدبي وعناصر الأدب والشعر والنثر . ودراسة العناصر الأساسية للأسلوب ؛ والرواية، ثم نظرة عامة في النقد ، والنواحي التاريخية ، ثم تطبيقات وملاحظات عامة، ثم تاريخ النقد عند الأفرنج ، وعوامل انحلال الكلاسيكية الحديثة ، ثم يتناول النقد عند العرب في الجاهلية ، والعصر الأموي . والنقد في العراق ، والشام ، والعصر العباسي ، إلى آخر ما يتعلق بهذا الموضوع

هذه هي بعض المباحث التي يضمها هذا الكتاب القيم الذي يجمع دقة البحث العلمي وجمال العرض الفني . ومن المباحث الجيدة في الكتاب ذلك البحث الذي تناول فيه الدكتور الرواية ، وتتبع نشأتها، وأنواعها، وعناصر كل منها، وأيضاً البحث الذي تناول فيه النقد، والنقد كأدب، ومهمة النقد، والنقد الاستدلالي، والنقد الحكمي ، ومؤهلات الناقد ، وذخيرة الناقد كل هذه

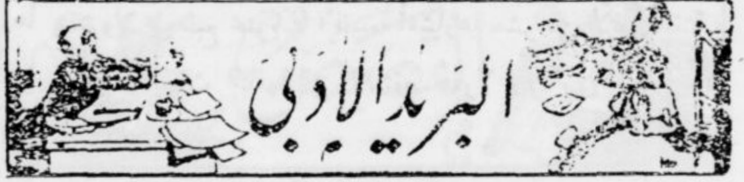
ديوان ابن أبي ربيعة

نشره فضيلة الأستاذ الشيخ محي الدين عبد الحميد

شخصية ابن أبي ربيعة من الشخصيات التي كانت ولا زالت محورا لكثير من الدراسات التي تناولت سمات فنه الشعري ، وحاولت أن تبرز ملامح شخصيته الأدبية ؛ وأن تضع آرائه في ميزان النقد ، وأن تفسر تلك الألوان التي تطبع شعره ، والتي يتفرد بها ابن أبي ربيعة بين شعراء جيله . وهي ذلك الولع بالحديث عن المرأة ، وتلك الأحاديث الشعرية التي يقصها الشاعر عن مغامراته . وغرامياته في ميدان الهوى ؛ ومسارح الصبابة ؛ ومقدار ما فيها من صدق فني ونفسي وتاريخي ؛ وهل كان صادق العاطفة يصدر في شعره عن بواعث نفسية ؟ كل هذه قضايا طال تجاذب الرأي فيها . وبرغم كل هذا فشخصية ابن أبي ربيعة من شخصياتنا الأدبية التي استطاعت أن تشغل كثيرا من الأقلام في سبيل استجلائها فنيا ونفسيا ، غير أن هذه الدراسات التي قامت حوله على تطاول العصور ؛ لم تنسق وتنشر نشرا علميا ، بحيث تكون بين يدي الباحث الأدبي والتاريخي والنفسي وثائق يستطيع أن يصدر حكمه على ضوئها . هذا ما يتعلق بالدراسات التي قامت حوله . وشعر ابن أبي ربيعة أيضا في حاجة قوية إلى بذل المجهود اللغوي الذي يتصل بضبط ألفاظه وشرحها ، لتصبح سهلة التناول ميسرة السبل على الباحث

وقد تمكن الأستاذ الجليل الشيخ محيي الدين أن يجمع كل ما قيل حول هذا الشاعر ، وأن يتولى ضبط ألفاظ الديوان ، وشرحها شرحا لغويا أولا ، ثم شرحا أدبيا ثانيا لجهد على قدر الإمكان السبيل أمام القارئ ليتذوق ويدرس ، ثم عمد إلى ما امتازت به صناعة ابن أبي ربيعة من حيث استعمال بعض التراكيب التي خرج بها عن لغة قريش ، فعرض هذه المسائل مع استشهاده لذلك ، ثم تتبع الألفاظ التي استعملها عمر جانب فيها معاجم اللغة ، ثم ختم الكتاب ببيان الشعر الذي نسب إلى عمر في بعض كتب الأدب وليس من شعره . وقد أنفق في هذا العمل عامين كاملين بجمع النصوص ويقارنها ويصححها ، ويقوم بضبطها وشرحها ، حتى تهيأ له أن يخرج هذا الكتاب الذي نيف على الخمسمائة صفحة من القطع الكبير . وقد قسمه إلى أربعة أقسام : الأول يشمل أخبار عمر ، والثاني آراء العلماء فيه ، والثالث يشمل الديوان ، والرابع الشعر الذي نسب إلى عمر وليس له . ولا شك أن هذا العمل يعد مساهمة جديدة للشيخ محيي في نشر ذخائرنا الأدبية

محمد عبد الحليم أبو زيد



بين الإسلام وحركة التسلح الخلقي

نشرت مجلة « الأزهر » الغراء كلة تحت هـذا العنوان في جزئها الماشر لسنة ١٩٥٠ أشارت فيهـــا إلى المصلح الاجتماعي الدكتور فرانك بـكمان فوصفته بأنه قصد إلى تغيير المجتمع بتغيير أفراده ووسيلته أن يتسلح كل فرد بمبادئ يأخذ بها نفسه في غير تساهل ، ومن هـذه المبادئ الاتجاه إلى الله والاصغاء إلى أوامره وطاعته ، وأن يحاسب المرء نفسه كلما أذنب مصمما على أن يتجنب الرذائل ، وأن يتعاون الأفراد على تحقيق هذه المبادئ كي تسود في المجتمع « فالانقسام من علامات عصرنا ... والاتحاد مطلبنا العاجل . والانقسام نتيجة التـكبر والحقد والشهوة والخوف والطمع وهو من صنع المـادية وهو العلامة التي عيز بضاعتها »

وهذا تلخيص موجز بليغ لحركة التسلح الخلقي .. وقد أشارت المجلة أيضا إلى فصل عقده أحد الـكتاب في المجلة الإسلامية التي تصدر باللغة الإنـكليزية في ووكنج بانجلترا مقارنا فيه مقارنة طريفة بين مبادئ الإسـلام الخلقية وبين ماتدعو إليه حركة التسلح الخلقي . ومما قاله هـذا الـكاتب وهو هولاندي يدعى فرانز ستال أن التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد وهي سلاح خلقي عظيم

وقد أحسنت مجلة الأزهر بإيرادها الإشارة إلى رأيه في المقارنة بين الآداب الخلقية في الإسلام وبين حركة التسلح الخلقي بعد تلخيصه مبادئ تلك الحركة

وبقى أن يلم القارئ إلمـامة سريعة بالأسباب وبالظروف التي دعت إلى نشأة هذه الحركة ، ولما كان كاتب هذه السطور أحد الذين اتصلوا بهذه الحركة الخلقية وحضروا بعض المؤتمرات التي دعت إليها جماعة التسلح الخلقي في سويسرا وخطب في تلك المؤتمرات مقارنا بين مبادئ الإسلام وبين أهداف هذه الحركة؛ فمن واجبه أن يتحدث عما رآه وماعرفه عنها

كان الدكتور بوكمان يعمل سنة ١٩٢١ مدرسا في مدرسة أمريكية وكان منهجه في الحياة أن يقضي في التدريس نصف العام ويقوم برحلات في أرجاء العالم المختلفة في النصف الآخر وفي خلال سنة ١٩٢١ دعي لحضور مؤتمر (نزع السلاح) في واشنطن وكان السفر إلى تلك المدينة يستدعي بيت ليلة في عربة النوم بالقطار — وقد سافر ولـكنه لم ينم الليلة وانحصر تفكيره في (نزع السلاح) وفي الأسباب التي دعت إليه . ووصل التفكير إلى أن السلاح الذي لاينزع والذي لاخطر على الخير في استعماله وفيه على الشر الخطر الأكبر هو سلاح الخلق

في هذه اللحظة كان مولد فكرة التسلح الخلقي وقد كان من بين ما فكر فيه أن الحرب الـكبرى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التي أدت إلى مؤتمر نزع السلاح لم تحدث (تغييرا) في العالم ولم تفرق بين ماقبلها ومابعدها ؛ وفكر بمثل المعنى الـكريم الذي تضمنته الآية

« إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » ـ فجعل وسيلته لنشر مبادئ التسلح الخلقي في الدعـــوة إلى التقوى وفسرها بأنها الاصغاء لصوت الله وطلب الوقاية منه دون غيره ، وقال في نفسه إن الله لن يحدث تغييرا في الناس حتى يحدث التغيير لما في أنفسهم ، فقرر أن يستقيل من عمله وأن يتفرغ لدعوته؛ فالدعوة وفقا لنشأتها كانت رد فعل لويلات عالمية ، واستجابة لدعوة بنزع السلاح تجنبا لتـكرار المأساة الدامية ، وصراعا مع العوامل التي كانت تهب لتصل إلى الحرب العالمية الثانية

وقد حدثت تلك الحرب وكان من بين آثارها تعليم الناس أن ميدان القتال ليس هو وحده مجال الحروب ، فالحرب في المجال الاقتصادي وفي ميادين العمل وفي الأسرة وفي كل مكان سببها التكالب على المادة ولاسبيل إلى وضع حد لها إلا التمسك بالخلق بمحاربة الأنانية

وكما نشأت الحركة في أعقاب حرب فقد زاد نشاطها وكثر عدد المؤمنين بها بعد الحرب العالمية الثانية وكان هذا رد فعل لها وصراعا للعوامل التي لاتزال تدب لتصل بالدنيا إلى حرب عالمية ثالثة

وكلما خطت هـــذه الحركة خطوة في سبيل توحيد الناس بالتمسك بما لاخلاف عليه بين أديانهم ومصالحهم وعرفهم ـ خطت هذه الحركة خطوة في هذا السبيل تبين أنها تتأثر الاسلام وتصاحبه قاصدة إلى أهدافه

وليست هـذه الحركة ذات عصبية فهي ليست بالهيئة التي

تدعو إلى الانضمام إليها ولكنها فكرة يعاش بها وشعارها « أن في العالم من الخيرات مايكفي حاجة كل إنسان ولكن ليس فيه ما يكفي مطامعه »

وقد كان لي في أحد المؤتمرات في سويسرا شرف الموازنة بين الاسلام وبين مبادئ هذه الحركة ؛ كما خطب فيها من المسلمين من شهدوا بأنها تتآلف مع ديننا الحنيف وتتمشى معه رجال مسؤولون من بينهم سعادة محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وسعادة عبد الرحمن عزام الذي أكد « أنه يعضدها على اعتبار أنها تتوافق كل التوافق مع العقيدة الاسلامية »

الاسكندرية — أحمد عوضه

براعم شعراء الشباب

لا خوف على براعم شعراء الشباب في مصر وفي البلاد العربية مهما قست الظروف وضاق نطاق الصحف والمجلات وعجز الشعراء عن طبع دواوينهم لسبب من الأسباب .. لا خوف على هؤلاء الشعراء ما تذرعوا بالصبر، وتدرعوا بالجهاد ، وأقبلوا على نظم الشعر برغبة حارة وقوة دائبة وشعور لا يغيض

هكذا قلت لنفسي حين قرأت الكلمة التي تفضل بتوجيهها إلى مشكورا — الأستاذ محمد علي جمعة الشايب في العدد ٩٩٣ من الرسالة ، وهو يبدي مخاوفه من هذه الأزمة الشعرية لدى الشعراء الناشئين الذين تمرض الصحف والمجلات عن نشر أشعارهم وأكثرهم ما يزال في دور البدء والتكوين ، وإنما المهم دائما الإقبال على النظم وإمعان النظر وإدامة الفكر فيما ينبغي أن يقال على نهج جديد ، وروح جديد . وسيأتي يوم لكل مغمور فيشهر ، ولكل مجهول فيعرف ، ولكل مظلوم فينال حقه المهضوم ... وخير للشاعر أن يظهر أمام الناس قمة عالية تتطلع إليها الأنظار ، من أن يبدو وهدة سحيقة تتخطاها العيون وتدوسها الأقدام

أحمد أحمد العجمي

اذاعتنا الفقراء

لست أجانب الحقيقة لو قلت : إن إذاعتنا المصرية (الفقراء) أوشكت أن تعلن إفلاسها ، وتثبت أنها عاجزة عن مسايرة أهزل إذاعات العالم جميعها ..

إن برامج إذاعتنا الفقراء لا تشجع مطلقا على الإقبال عليها، ولا على تتبع محتوياتها ، فتسعة أعشارها حشو من الأغاني الفثة ، والتمثيليات التافهة التي لا تثقف عقولا ولا ترقي أفكارا ولا تنهض بشعب

لا تسل عن ركن الأطفال الذي هو مزيج من الأناشيد المكررة ، والقصص المفزعة ، والأصوات المنكرة ، ولا تسل عن ركن المرأة الذي لا يتصل برسالة المرأة في الحياة إلا من جانب الكماليات الأرستقراطية . ولا تسل عن ركن الريف الذي هو خلو مما يفيد الريف ويوضح آلامه ويحل مشكلاته وينهض بأهله .. لا تسل عن ركن من هذه الأركان أو غيرها حتى لا تتميز من الغيظ حسرة وأسفا على إذاعتنا الفقراء ..

لملك اضطررت اضطرارا ليلة تأليف الوزارة الهلالية الثانية إلى تتبع برامج الإذاعة لملك تستريح إليها ولو خلال لحظات ، ولعلها تنال منك ولو ذرة واحدة من رضاك ، فاذا سمعت في تلك الليلة المشهودة التي تستمع فيها بلاد العالم إلى إذاعة مصر ، فتقف على حقيقة الأحوال فيها ، والتقلبات السياسية المفاجئة . إن إذاعتنا لم تكن — بالطبع — مستعدة لتسترنا في مثل هذه الليلة ، فأبت أن ترحمنا من أغاني فيلم (في الهوا سوا) وفيلم (من القلب للقلب) ، وكل ما تكرمت به علينا أن أذاعت علينا وثائق استقالة الوزارة السابقة ، وتأليف الوزارة اللاحقة ، دون أن تتكرم ولو بتعليق واحد سياسي على تقلبات السياسة في مصر ، وهل هي في مصلحتها أم في غير مصلحتها ..

أما بقية الليلة فقد قضاها (ميكرفون) الإذاعة الفقراء بالجمالية بالقاهرة ليذاع علينا من هناك الاحتفال بمولد العارف بالله (سيدي) مرزوق الأحمدي ، وواصل الشعب المصري الكريم السهر إلى قبيل الساعة الواحدة صباحا يستمع إلى (أبيض الوجه ، وجميل القد ، وأحمر الوجنتين ، وأكحل العينين) من قصائد وتواشيح الشيخ طه الفشني . !

وبعد فإن المذياع ليعتبر من أهم وسائل النهوض بالشعوب والتقدم بها ، والعمل على رقيها ورفع مستواها الثقافي . ولكن يظهر أن مصر هي البلد الوحيد الذي كفر بهذا الاعتبار وتنكر له وسخر منه ؛ لأنها نكبت بإذاعة لا تتساوى مع إذاعات العالم إلا في الاسم وكفاها بهذا فخرا !

نفيسة الشيخ



الوطنيـــــة

مترجمة عن الانجليزية

تزوجت من (هانز) — وهو أحد الجنود الألمانيين — لعام واحد قبل الحرب العالمية الضروس التي أهلكت كل حي ودمرت كل شيء، بالرغم من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكان أول عهدي به أن لاقيته في معرض من معارض الفنون في (باريس) — وكان قد ذهب إليه زائرا — فلما سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه، فلكني حديثه العذب الفكه، وأسرني غزله المرح الرقيق، فكان ما كان، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل

وتركت وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز) في قرية صغيرة من قرى ألمانيا. وعشت بين أحضان عائلته في سعادة ورفاهية، ورغد وبلهنية. وصار أصدقاؤه مع مضي الزمن أصدقائي، وخلصاؤه خلصائي، وأقاربه أقاربي! وما مضى على وجودي بينهم غير قليل حتى تعلمت كيف أتكلم الألمانية، وحتى كدت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة في يوم من الأيام. ونقلني (هانز) بما حباه الله من قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء، وحلاوة الصفاء، ومتعة الحب

ولكن هذا النعيم لم يدم طويلا وا أسفاه! فقد أعلن لي (هانز) في يوم من الأيام — وقلبه يفيض فرقا — أن ألمانيا قد أعلنت الحرب على أعدائها، وأنه سيسافر إلى ميدان القتال لأن اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني أن أعود إلى (باريس) — في الوقت نفسه — خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك. وقد كان (هانز) — بالرغم من كل ذلك — على يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة شهور على أكثر تقدير، وأنه سيعود إلي بعد ذلك..

وأحسست بعد أن أفقت من صدمة هذا النبأ الفاجع، وهول هذا الخبر المؤلم — أن حبي لزوجي (هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا)! وشعرت أن كل ما هو حبيب إليه أحب إلى نفسي من كل ما سواه، وأن كل ما هو عزيز عليه أعز على قلبي من كل ما عداه. ومن أجل ذلك أهبت بنفسي أن أكون ما حييت فداء لهانز وللقيصر ولألمانيا... متحملة في سبيل ذلك ما قد ينتابني من الألم أو يمسني من السوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة، وقلبي يفيض إعجابا ونفسي تتيه فخارا. وقد كنت أنا أيضا أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل، وأن (هانز) سيعود إلي سليما قويا آمنا. وانقضت شهور عدة فما خمد لهيب الحرب وإنما ازدادت الممالك المشتركة فيها عدداً وعددا. وكان (هانز) يرسل إلي بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلا من المتاع واللذة، وشيئاً من الراحة والطمأنينة، ووميضاً من السلوان والأمل! ولكني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه، وأسعد به في جواري مرة أخرى!

* * *

أواه يا قلبي!

إنني ما رأيت (هانز) بعد ذلك اليوم أبدا، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير! فقد ترامى إلي أن طائرة فرنسية دمرت الكمين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضي عشرة شهور من بدء الحرب — فقضى نحبه محترقا. وكاد الحزن يفقدني عقلي ويورثني الخبل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا وتمنيت لو استطعت أن أثأر لزوجي أو أنتقم له من أولئك الذين قتلوه! وأحببت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب، بل مدمرة مهدمة مخربة! ولكن السنين — واحسرتاه — قد خيبت ظني، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا؛ فملأت الأحلام المفزعة فؤادي، وأفعمت الأوهام القاتلة خيالي؛ فصدقت كل ما يقال عن قسوة الألمانيين، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآمنين والنساء الضعيفات. فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين!!

... وفى يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولـكن الألمانيين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من استرداد قريتهم المسلوبة ومحاصرتها وتطويقها..

واستيقظت على حين غرة على صوت مزعج ودوى هائل وضجيج وجلبة فى حجرة الاستقبال التى فى الطابق الأسفل من منزلى ، فارتديت منامتى على عجل وأضأت المصباح الـكهربائى الذى ينير الدرج ثم هبطت الدركات مسرعة يدفع بعضى بعضاً

***

ماذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جندياً فرنسياً يرتدى ملابسه العسكرية متكئاً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح فى رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعانى من الألم ويقاسى من الجهد ...

وما كاد الرجل يرانى — وأنا أقترب منه — حتى ألقى إلى نظرة فيها كل معانى الاسترحام كأنما يستجدى بها المعونة ، ويرجو بها الغوث . ثم مد إلى إحدى يديه كأنما يعلن إلى أن لا لا حول له ولا قوة

فقلت له بلهجتى الفرنسية الوطنية : « هل يؤلمك هذا الجرح كثيراً ؟ »

ففتح الجندى عينيه على مهل ثم قال : « هل سيدتى ... فرنسية ؟ »

وما أدرى لماذا أحسست ساعتئذ بثورة فى دمى وهزة فى جسمى ، وخفقان فى قلبى !

وقلت للجندى : « نعم ، إننى فرنسية ، ولـكنى مقيمة هنا .. إنى ... أنا ... ! »

وأمسك الجندى بذراعى ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعدينى . لقد حسبنى زملائى ميتاً فتركونى ، والآن يجب على أن أرجع إلى صفوفنا ! يجب على ... »

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقاً عنيفاً على الباب ، وصوتاً عالياً ينادى : « أيتها السيدة ! ... أيتها السيدة »

كانت فى منزلى حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن يقضى فيها شؤونه الخاصة ؛ فلما مات أغلقت بابها الصغير ثم غطيته بستر عن الأبصار . وأبقيت الحجرة على ما كانت عليه ، فلم أتناول أى شىء فيها بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يمس ، أو كأنها الموئل الذى يستريح فيه زوجى ويطمئن إليه

وماأدرى ماالذى دفعنى إلى أن أنتهك هذا الحرم المقدس فى ذلك الموقف العصيب !

لقد قدت الجندى الفرنسى إلى الحجرة فرفعت الستر عن بابها ، ثم فتحته ، وبعد أن أدخلته فيها أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه

واشتد الدق على الباب الخارجى عنفاً ، وما كدت أفتحه حتى دخل منه جندى ألمانى ضخم الجسم كبير الجرم أحمر الوجه فدفعنى جانباً وزاحنى عن طريقه ، ثم أخذ يجول فى أنحاء البيت كيفما شاء باحثاً عن الجندى الفرنسى . ففتش المطبخ ثم الحمام فلما لم يجد غريمه اندفع يرقى الدرج إلى أعلى

وتلبثت فى موضعى حتى عاد إلى ، وحرصت على أن أكتم شعورى ، وأكبح عواطفى ، وأدفع عن نفسى رجفة كادت تهزنى . وحاولت أن أبعد عينى عن الستر حتى لا ألفت نظر الألمانى إليه

وما كاد الجندى يقف أمامى وجهاً لوجه حتى أدركت أنه مخمور لايعى !

وقال لى بصوته الغليظ الخشن : « إننى ... إننى أظن أنى قد رأيت كلباً فرنسياً يجرى فى فناء دارك وما أوتاب فى أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك من النافذة... إنى ... إنى ... ! »

فأجبته بهدوء : « لقد بحثت بنفسك فلم تجد أحداً هنا »

وكان من العسير عليه أن يدرك مايقول أو يفكر فيه فقال : « أنا ... أنا ... لقد أخطأت .. أنا ... أنا ... »

وانتشرت على شفتيه ابتسامة شيطانية ما رأيت أخبث منها ثم قال : « هل تعيشين هنا .. وحيدة ؟ ! »

فأجبته : « نعم . إننى أعيش هنا وحيدة منذ أن قتل زوجى »

فاقترب منى شيطاناً فاجراً ، وعربيداً داعراً ، ومخموراً خبيثاً وهو يتمتم : « وعلى ذلك فأنت تعيشين هنا وحيدة ؟ ! »

ولـكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعى ولم أتزحزح

عنه ، بل قلت له : « ألا تظن أنه من المستحسن أن تخرج الآن لتبحث عن المكان الفرنسى فلعلك عاثر عليه ؟! »

ولكنه أجابنى — بعد أن طوق خصرى بذراعه وضمنى إليه بعنف — : « لا .. لا .. لقد ذهب .. و .. وأنا لا أريد أن أبرح هذا المكان .. بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة !! » وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنق . ثم قال : « ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة الجانب معى ... أليس كذلك ؟! »

وحاولت أن أدفعه بعيداً عنى ثم قلت له : « أرجوك ... »

ولكنه ضمنى إليه بقوة ، ثم تتابعت أنفاسه سراعاً وهو يقول : « لا تقاومى ... فلن تجديك المقاومة شيئا . لابد مما أريد ... وتستطيعين أن تنسى كل شئ عندما أتركك إن كنت لا تريدين أن ... ... لاتقاومى ... !! »

وهممت أن أصرخ مستغيثة ولكنى تذكرت أن صراخى سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من الجند ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من جديد عن الجندى الفرنسى . فقلت للجندى الألمانى : « أرجوك ... أرجوك أن تدع هذا لوقت آخر ... ... !! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟ ! وقت آخر ؟ ! ربما يكون ذلك عندما أموت !! »

وما تلبث حتى حملنى على ذراعيه وأخذ يصعد بى الدرج إلى أعلى . ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرة : « إننى آسف ياسيدتى على ما سببت لك من تعب .. ! »

وما سمع الألمانى هذا الصوت حتى أنزلنى من فوق يديه وأوقفنى على قدمى ، ثم أدار وجهه فيما حوله وإذا ... وإذا بالجندى الفرنسى واقفا أمامه وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ، بالرغم مما يقاسى من جراحه ، وما يعانى من آلامه ! وإذا به يبسم لنا بالرغم من أنه يكاد يغمى عليه من الألم ، ويغشى عليه من الجهد والإعياء

***

إننى سجينك الذى تبحث عنه ، وأسيرك الذى ترجوه ، إننى حاجتك وطلبتك ... ومادام الأمر كذلك فهيا بنا إذن نذهب من هنا ونترك هذه السيدة الكريمة فى سلام وطمأنينة !! »

هكذا قال الجندى الفرنسى للجندى الألمانى الذى أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكا لايدرى ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً فى نفس متقطع « نعم ... نعم ... إنك سجينى ! »

وخرج الرجلان من دارى وسارا معا ؛ وعلى ثغر الفرنسى ابتسامة لاتفارقه ، وعلى وجه الألمانى حيرة وذهول !

وما رأيت الجندى الفرنسى بعد ذلك اليوم أبداً . فياليت شعرى هل مات فى الحرب أم هو مايزال حيا إلى اليوم ! ؟ ولو أننى رجعت إلى (باريس) بعد الحرب لما تباطأت فى البحث عنه حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلى من عارفة وماقدم إلى من جميل

ولكنى واأسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن حياتى فيها تزوير على نفسى ؛ ولم أبق فى ألمانيا ، لأنى فجعت فيها بموت زوجى الذى كنت أعيش من أجله على أرضها ، بل أتيت إلى إنجلترا لأبدأ حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة فى يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال

م . س

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠١٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

جامعة الدول العربية

الادارة الثقافية

إعلان

تعتزم الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية جريا على خطتها فى تشجيع الحركة الفكرية العربية أن تشترى عددا من النسخ بمبلغ مائتى جنيه من أحسن كتاب عربى علمى أو أدبى أو اجتماعى ألف خلال عامى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ويخدم فكرة تتصل بتحقيق الأهداف العامة للجامعة العربية

وهى ترجو من حضرات المؤلفين الذين يرون أن بعض مؤلفاتهم تنطبق عليها هذه الشروط أن يرسلوا نسخة من هذه الكتب رأسا إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة) أو بواسطة وزارت المعارف فى البلاد العربية التابعين لها لاختيار الكتاب المطلوب ، على أن يكون آخر موعد لإرسال هذه الكتب هو ١٥ أكتوبر ١٩٥٢

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بإدارة العقود والمشتريات بالوزارة لغاية ظهر يوم ١١/٩/٥٢ عن توريد وابورات غاز وعده لزومها لبه طرز هوريكن — أدوات مطبخ — كراسى خيزران — سراير حديد — أدوات سفره وسرفيس ـ خرطوم كاوتش ـ كلوب ـ كبايه المنيوم — مقشات سمار — قروان غرف مستطيل — سبت جريد للجراية ـ زمزمية لاسبتالية الميدان ـ فرش للحلاقة — والأظافر ولغسيل البلاط — مسن للحلاق — ماكينة قص شعر — أمواس حلاقة — مقص شعر — ثلاجة بالسربنتينا — صينيه للشاى — كبايه صاج — كرسى بعجل لحمل المرضى — جانطة لعدة المزين — كسروله ـ مضخة للذباب ـ رشاشة د. د. ت ـ دولاب للكروت كارلكس — وابور لويس للتدفئة ـ ممسحة أقدام ليف

ويمكن الحصول على الشروط من الإدارة المذكورة مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما يضاف إليه مبلغ ٥٠ مليما أجرة البريد — وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الخمسين مليما ٢٣٢٣

20 me année No 997

Le Caire 18 — 8 — 1952

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ٩٩٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ١٨ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الوثبة المباركة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

مهداة إلى المجاهد الأكبر القائد العام

في أصيل الثلاثاء (٢٢ / ٧ / ١٩٥٢) جلسنا ثلة من الشباب الناضج فكرا ووطنية ، على مقربة من قصر المنتزة بالإسكندرية . وبدأنا الحديث فيما يهم مصر وأماني شعبها المغلوب على أمره ، وما كانت أنسمة الشاطئ العذبة ، ولا أمواج البحر المتراقصة ، ولا أشعة الشمس الذهبية التي تخطف الأبصار لتشغلنا عن الحديث عن مصر وآلام مصر . ولست أدرى لم كانت أنظارنا ترمق قصر المنتزه ، متجهة إليه لا ترغب في التحول عنه ! لم تكن متجهة إلى هذا القصر باعتباره الحصن الذى يعلق الشعب عليه كل آماله ، لأن هذا الاعتبار كان بمثابة نظرية ابتكرها النفاق والملق والصغار ، وأثبت خرافتها ستة عشر عاما حكمت مصر خلالها حكما إقطاعيا تسوده الأنانية واللصوصية والاستهتار ، حكمت بالحديد والنار دون رحمة بأناتها وزفراتها ، فرزحت تحت أعباء ثقال من الفاقة والحرمان والبؤس والشقاء ، وتجرعت كؤوسا فائضات من الكبت والاستبداد ..

إذن فما كانت أنظارنا خلال الحديث ترمق قصر المنتزه باعتباره حصن الأمل لمصر البئيسة ، ولا باعتباره كعبة الرجاء التي يجب أن يرتكز عليها محور الجهاد والنضال في سبيل الوطن ، ولا باعتباره أى معنى من المعاني التي يسر لها ويطمأن إليها ، وإذا كان يطيب لأناس — زعماء كانوا أو غير زعماء — أن يسرفوا إسرافا بغيضا في صياغة العبارات التي تجعل هذا القصر وأخواته بمثابة قلاع حصينة لمصر ، ومشاعل مضيئة لنهضتها ، والتي تجعل ساكن القصر وحاشيته في صفوف الملائكة الأطهار ، والمجاهدين الأخيار ، والمخلصين الأبرار ، فليس معنى هذا أنهم صادقون نزهاء ما دامت لهم مصالح يبذلون في سبيلها شرفهم وكرامتهم ، إن كان فيهم بقية من الشرف والكرامة ، وما دام تكوينهم الشخصي لا يؤهلهم إلا لحياة الذلة والملق والصغار . وإذا كان يطيب للشعراء أن يصوغوا الثناء والمديح في لآلئ من القصيد ، ويضفوا على العرش وصاحبه (المفدى) ألقابا من صنع الخيال الفاسد ، ونعوتا من الملق الزائف . فليس معنى هذا أنهم حجة فيما ينشدون وفيما يضفون من ألقاب ونعوت ..

أخذنا نتحدث تارة همسا خفيفا ، وتارة أخرى بأطراف الشفاه ، وحديثنا يدور حول محور واحد ، هو أن القصر موطن البلاء ، وأساس الفساد والعقبة الكأداء في طريق كل نهضة من

شأنها إلى أن تصل بمصر إلى القمة، وأن حاشيته لم يكونوا في يوم من الأيام سوى سماسرة على حساب البلد المنكوب ؛ وعصابة مغامرة ستقذف بالعرش إلى الهاوية إن قريبا وإن بعيدا، وماجهاد الأحزاب وزعمائها إلا لون من التخدير والتغرير بالشعب الصابر المصابر . وليس للأحزاب المصرية وزعمائها من هدف سوى التربع على كراسي الحكم ليتحكموا لا ليحكموا ، وليستبدوا لا ليعدلوا ، وليستغلوا لا ليبذلوا ، وليجشعوا لا ليقنعوا . .

قلت : إن عم الجالس على العرش هو الذي مهد للاحتلال ليحمي عرشه من غضبة الشعب ، حين تلاشت شخصيته وسط أمواج متلاطمة من الفساد ، وتلق تهاني الصغار من المتزلفين وأشباههم حين انتصر الاحتلال الغاشم على شعب مصر ، ووطئ بنعاله كرامة الوطن . ومن وقتها أصبح هذا الاحتلال لازما لعرش مصر يحميه من صولة الشعب حين يثأر لكرامته . وثقوا بأن المحتلين أنفسهم ليسوا بأرغب فى بقاء الاحتلال من الجالس على العرش نفسه ، لأن الاحتلال يمكنه من أن يستبد ويبطش ، ويلعب ويستخف ، دون أن يناقش أو يحاسب ، والزعماء من خلفه يلهون ويعبثون ويرضون من الأمر بالحكم تارة وبالألقاب تارة أخرى ، والشعب مغلوب على أمره يقنع بالرضا والتسليم . وثقوا مرة أخرى بأنه لن يخلص البلد من الشر بشتى ألوانه إلا إحدى وسيلتين لا ثالث لهما : زعيم صادق ينفخ فى روح الشعب حتى يهب من نومته ، أو ضابط شجاع يضع روحه فوق كفه ، وإذا وجد الزعيم الصادق فليس من السهولة أن يحي شعبا نكبه الحكم الإقطاعي حتى وهن ، وأثقلته أنات الاستبداد والبطش به حتى سكن ، وإذا وجد الضابط الشجاع فليس من اليسور له أن يطبع الجيش على طابعه ، بعد أن آل أمره إلى الجهلة المستغلين ، وتغلغل بين صفوفه كثير من الوضعاء فى أخلاقهم وشخصياتهم

لقد طال بنا الحديث ولم يصرف أنظارنا عن قصر المنتزه سوى منظر الشمس فى لحظاتها الأخيرة ، والبحر يتأهب ليفغر فاه فيلتقمها فى بطنه ، أجل طال بنا الحديث ونحن لا ندري أننا كنا مع القدر حين سطر نهاية الظلم الجاثم فوق صدر مصر ، وأن أنظارنا لم تتحول عن القصر إلا لتودع شمسا لن تشرق عليه مرة أخرى ، وأننا حين كنا نتحدث عن آلام مصر وأنات شعبها ، كان فى العباسية بالقاهرة أسود تخفق نبضات قلوبهم من أجل مصر وشعب مصر ، أصروا على أن يضعوا حدا للفساد الذى بلغ الذروة ، والفوضى التى وصلت القمة ، والهمجية التى فاقت همجية القرون الوسطى ، ولم يكد الليل أن ينتصف حتى منحت الدنيا مصر صبحا جديدا وعهدا مشرقا ، كتب لها فيه الخلود ، ولجيشها البطولة ، ولشعبها الكرامة إلى الأبد . .

كانت وثبة جريئة مباركة ، أمدها الله بقوته، وشملها بعنايته، وهتف لها الشعب من صميم قلوبه وأعماق نفوسه ، وأدهشت العالم بحسن تدبيرها ، وحزم تنفيذها ، وإيمان القائمين بها ، وغيرت مجرى التاريخ فى بلد ظل مجراه راكداً فيه سبعين عاما ، ومحت عارا أسكن مصر الحضيض وأنزلها منازل الدول الراكدة المتخلفة عن الحضارات والنهضات . .

إنها فرصة أوجدها جيش مصر الباسل للشعب لعله يخلق نفسه خلقاً آخر لا تشوبه شوائب الدعة ، وللأحزاب لعلها تضع المناهج والبرامج التى تنهض بمصر ، وللزعماء لعلهم يبدءون عهدا جديدا فيما يفيد الوطن ، ولدعاة الإصلاح لعلهم يرسمون خطط الإصلاح الرشيدة فى أمن وهدوء . .

إن هذه الوثبة المباركة لنقطة تحول فى تاريخ مصر ، لن تنساها أبد الدهر لجيشها الباسل ، حسبها تقديرا لها وفخراً بها أنها أذلت جبارا عنيدا خدعه الغرور حتى لم يحسب أن فى الدنيا ذلا ، وظالما غشوما خدعه الحمق والسفه حتى لم يحسب أن فى السماء قصاصا وعدلا ، ومستخفا طائشا غرربه بطانة السوء وحاشية الشر فهوت به إلى الدرك الأسفل فأصبح فى ذمة التاريخ . . .

إن فى التاريخ عظات ولكنه لم يتعظ ، وفى سلوك جده عبرة ولكنه لم يعتبر . كان يعيش فى دنيا غير دنيا الناس ، وخيل إليه أنه إله يجب أن يعبده شعب مصر ، « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى » صدق الله العظيم

محمد عبد الله السمان

عدد (١٠٠٠) من الرسالة

ذكريات وخواطر

للاستاذ علي الطنطاوي

لما سمعت أن الرسالة كادت تستكمل أعدادها الألف، دهشت وفرحت، كما يدهش من يقال له لقد غدا ولدك شابا، ويفرح به كأنه يرى شبابه لأول مرة، وماذاك عن جهل به أو إهمال له، بل لأنه لا يزال يذكر مولده وطفولته، ولأنه يراه كل يوم فلا يحس أنه تغير، ولا يدرى متى جاوز الطفولة إلى الشباب، وأنا أذكر أبداً فرحتى بصدور الرسالة، وموقف أخى أنور العطار، وقد جاء بالعدد الأول منها فخبأه وراء ظهره، وقال: احزر

— قلت: ماذا؟ — قال: الزيات أخرج مجلة أدبية

إننى أحس من شدة وقع الفرح فى نفسى لما قالها كأن قد كان ذلك أمس ... فكيف مرت الأيام حتى بلغ عمر الرسالة ألف أسبوع؟ كيف مر هذا الأمد الطويل، وكأنه من قصره ليالى الوصال!

***

ألف عدد؟! كم أنفقت من ذهنى فى إعداد المقالات لها، ومن أعصابى فى ارتقاب وصولها! وكم سألت الباعة عنها؛ فى شارع رامى فى دمشق، وفى سوق السراى فى بغداد، وفى العشار فى البصرة، وعلى السور فى بيروت، وعند باب السلام فى مكة، وعند الجسر فى الدير، وفى شارع الملوك فى حيفا، وفى كل بلد عشت فيه أو مررت به! وكم قرأت مسوداتها وراء مكتب رئيس التحرير فى الإدارة، وأمام الآلات فى المطبعة! كانت الأيام عندى السبت والأحد ويوم الرسالة، وكانت تتبدل على المشاهد، ويتغير الرفاق؛ ولكن الرسالة هى رفيق الدائم؛ أذكر كل عدد منها، وكل مقالة نشرت فيها، وكل مناقشة فيها وكل بحث، ولقد قالت زوجتى أول ما قدمت على:

— إننى لا ضرة لى، ولكن هذه الرسالة ضرتى

ثم رأت — وهى من أعقل النساء وأفضلهن — أنها ضرة لا تضر ولا تؤذى

***

كم وضعت فيها من قلبى ومن فكرى، ومن مشاهد حياتى ومن ذكرياتى، ومن آلامى ومن آمالى، من سنة ١٩٣٣ إلى اليوم (١)

ألف عدد، وستعيش الرسالة إن شاء الله حتى تبلغ الألف العاشر، وحتى تكون من أعلاق المكتبة العربية وكنوزها — وقد كانت

ستعيش حتى تصير فى مثل عمر (المقتطف)، وليست المقتطف — مد الله فى عمرها — بأحق منها بالخلود

ولقد كان للرسالة فضل على اللغة، وفضل على الأدب، وفضل على الأخلاق، وكان لها عمل كبير فى إحياء روح الدين فى دنيا الإسلام ولقد أخرجت للناس كتابا وشعراء، وكانت مدرسة للبيان العربى، جئناها شبابا فمشينا فى ركاب شيوخ الأدب، وبقينا فيها حتى أوشكنا أن نعد فى الشيوخ، وهل بعد خمس وأربعين شباب؟

لقد ولى الشباب، وذبلت زهرة العمر، وجاءت الكهولة، إن نسيتها ذكرتنى بها كل جارحة من جوارحى، وكل عضو من أعضائى: إن أثقلت الطعام قالت المعدة: حاذر إنك لم تعد شابا. وإن مارست ما كنت أمارس من الرياضة قال القلب: قف إنك لست بشاب. وإن تعرضت للبرد قالت المفاصل: تنبه، لقد فارقت عهد الشباب

وإن تطلعت إلى الحب، أو ابتسمت للجمال، قال الفؤاد الملول السأمان ... ويا ما أشد ما يقول الفؤاد السأمان الملول!

وإن اشتعلت فى الأعصاب نيران الحماسة، وأخذت (ذلك) القلم الذى كنت أكتب به فى الأيام الخوالى، تراءت لى هموم

(١) إنى لأرجو من دهرى ناشرا ينشر هذه الكنوز، أمينا منصفا لا كبعض من عرفت فى دمشق من الناشرين، من أدعياء الأمانة والشرف والدين

الأسرة ، فأطفأت نار الحماسة فى أعصابى

كنت وحيدا خفيفا ؛ وكان لى جناحان من أحلامى وأمانى ، فأثقل ظهرى بناتى الأربع وأمهن وعماتهن وعمة أبيهن ، واصطدم جناحاى بأرض الواقع ، فبينت ضلال الأحلام وكذب الأمانى ، فتحطما ، فكيف يطير بغير جناحين من يحمل هم ثمانى نساء ؟

إنى لأقف الآن لأراجع حسابى ، وأنظر ماذا ربحت وماذا خسرت !

أما الرسالة فقد أفضلت على ، وأضاءت للناس مكانى ، ومشت باسمى إلى بلاد ما كنت أسمع بها ، وجاءتنى بالشهرة والجاه ومجد الأدب ، وعرفتنى بإخوان كرام فى أقطار ما دخلتها ولا أظن أنى سأدخلها ، وهذى رسائلهم تحت يدى من المشرق والمغرب ، من إيران وإندونيسيا واليابان؛ فهل تعلمون أن للرسالة سوقا وقراء فى اليابان ؟ ومن تونس والجزائر ومراكش وأميركا . ولقد كتبت مرة مقالة عن — الحياة الأدبية فى دمشق — فتجاوبت فى الرسالة أصداؤها ببضع عشرة مقالة فيما أذكر عن حياة الأدب فى هاتيك البلدان ، وكانت مناقشة مرة بينى وبين الأستاذ محسن البرازى ، الذى صار رئيس وزراء حسنى الزعيم ، ثم قضى رحمه الله . فجاءنى التأييد من — جاوا — وهذه جريدة — پرس — بشيراز تنشر الآن كتابى الجديد « كلمات » مترجما إلى الفارسية ، بقلم الأديب الفارسى الأستاذ أحمد آرام ؛ مع تعليقات فى المدح والتأييد شعراً ونثراً ، يمن بها على القراء ، وهى على وشك الترجمة إلى الأوردية ولولا الرسالة ما كان هذا كله

ولكن ما جدوى هذا كله ؟ ما الشهرة ؟ ما الجاه ؟

إنى لأكتب هذه الكلمة وأنا فى دار فى مضايا منفردة فى الجبل ، وأنا مريض وحيد منعزل ، فهل أذهبت الشهرة عنى المرض ، أو دفع الجاه عنى الملل ؟ وكذلك أنا فى دمشق ، أنا منذ سنين أعيش فى حلقة مفرغة لا تكاد تتجاوز الدار والمحكمة والسينما ، حتى يوم الجمعة ، وحتى يوم العطلة أذهب إلى المحكمة كالحمار « ولا مؤاخذة .. » الذى يدور بالسانية ، إن أطلقت عنقه من الحبل عاد يدور ، لأنه مربوط من قيد العادة بحبل لا تراه العيون

فماذا ينفعنى فى عزلتى وسأمى أن يمدحنى فى بلاد الله مئة ألف ، وماذا يضرنى أن يذمونى أو ألا يكونوا قد سمعوا باسمى ؟ وماذا يفيدنى وأنا أعيش فى دمشق عيش الغريب ، أن يكون « وهذا هو الواقع — ولا فخر » بين كل عشرة يمرون فى أى شارع فيها ، خمسة على الأقل يعرفون اسمى ، ويحفظون طرفا من مناقبى ، أو أطرافا من مثالبى

ولقد اشتغلت الجرائد منذ سنة أسبوعا كاملا بشتمى وسبى فى صفحاتها الأولى من أجل تلك الخطبة المشهورة ، وفعلت مثل ذلك أيام الانتخاب سنة ١٩٤٧ ، ونسبت إلى نقائص تشين إبليس ، فهل يصدق القراء أنى لم أبال بها ، حتى أنى لم أقرأ أكثرها . أقسم بالله أن هذا الذى كان ؟ ولقد نشرت الجرائد مرات أخرى أطيب الثناء على ، وألصقت بى مناقب تزين الملائكة فما باليت بها أيضا ، لأن كلا طرفى قصد الأمور ذميم ، والثناء إن زاد كالهجاء إن زاد ، كلاهما أقرب إلى الكذب ، وما أنا ملك ولا أنا شيطان ، ولى حسنات ولى سيئات ، وأنا أعرف بنفسى من سائر الناس ...

***

إنى لأسأل مرة ثانية : ما الشهرة ؟

إن الشهرة وهم ليس له فى سوق الحقيقة قيمة ، وليس له فى ميزان الواقع وزن ، حتى أن هذا الحرف « أى الشهرة » لا يصح لغة ، ولا تكون الشهرة فى الفصيح إلا بالعيب والعار والفضيحة ، ولكن الألسنة أدارتها على هذا المعنى ، فكتبنا للناس مايفهمون

إن الشهرة سراب زائف ، إنها مثل (المستقبل) الذى يركض وراءه الناس كلهم فلا يصلون إليه أبدا ، لأنهم إن وصلوا إليه صار (حاضرا) وعادوا يفتشون عن مستقبل آخر يعدون إليه .

لحزمة الحشيش المربوطة برأس الفرس يسعى ليدركها وهى تسعى معه أبداً !

إننى أقول هذا من أعماق قلبى مؤمنا به ؛ ولقد مر على زمان كان أحلى أمانى فيه أن أسير فيشير إلى الناس بالأيدى يقولون : هذا على الطنطاوى ، وأن أعلو خطيبا كل منبر ، وأن أجد اسمى

ميثاقان لا ميثاق واحد

للدكتور عمر حليق

لم يكن بد لهذه النكسات السيئة التى منيت بها قضايا العرب والمسلمين وقضايا دولية أخرى فى هيئة الأمم من أن تخلق فى عقول الناس وأفئدتهم فتورا إزاء كل ما يصدر عن هذه الهيئة العالمية من نشاط

وليس فى ذلك من عجب . فهيئة الأمم المتحدة فى ميثاقها وفى أهدافها نتاج فكرى تحمست لصياغته وتحديده فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة جماعة من أئمة الفكر السياسى المعاصر مزودين بمثالية عميقة ودراسة دقيقة لمشاكل الإنسانية وآمالها ، ورغبة صادقة لإصلاح ما أفسدته الحروب وشرورها من دنيا الناس وفى عقولهم وأفئدتهم

ولكن تاريخ الإنسانية منذ أقدم العهود يأبى إلا أن يتجاهل قوالب الفكر الصائب ودعائم المثالية الصادقة ؛ ويندفع فى صياغة الأحداث على نحو يراعى جنون السياسة وشذوذ أساليبها ومسالكها أكثر من مراعاته لاتزان الفكر وروحانية المثاليين من بناة المجتمع الذين تجردوا مما يعترى السياسة العملية من انتهازية لا ترحم ومكر لا يرتدع

وفى خضم هذه الجلبة التى تنبعث عن شقاق المعسكرين المتطاحنين الغربى والسوفيتى فى حلقات الأمم المتحدة وصدى تراشق التهم ومساوئ السلوك الذى توجه به وفود هذين المعسكرين أعمال الأمم المتحدة وقراراتها .. فى هذا الخضم تندثر معالم جزء هام من العلاقات الإنسانية تعمل على خدمته هيئات اختصاصية متفرعة عن هيئة الأمم فى واحدة أو أكثر من هذه القاعات الهادئة المكيفة بأحدث آلات التهوية والإضاءة والمزينة بفاخر الأثاث والتى تطل على النهر الشرقى التى تحيط بمقر الأمم المتحدة الدائم هنا فى نيويورك. ولجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة واحدة من الهيئات الاختصاصية التى تعمل خلال انفضاض الجمعية العامة فى فصلى الربيع والصيف

فى كل صحيفة ، وكان قلبى يتفتح للجمال ، ويستشرق للحب ، فلما جربت هذا كله ، وذقت لذته ، صار كل ما أرجوه أن أتوارى عن الناس ، وأن أمشى بينهم فلا يعرفنى منهم أحد

لقد مر بى أكثر العمر ، ورأيت الحياة ، ونلت لذاتها وجرعت آلامها ، لم تبق متعة إلا استمتعت بها ، فلا اللذائذ دامت ولا الآلام ، ولا الشهرة أفادت ولا الجاه ، ولقد شهدت حربين عالميتين ، ورأيت تعاقب الدول على الشام من العثمانيين إلى الفرنسيين إلى من جاء بعد ، ومن قام ومن قعد ، ومن أتى ومن ذهب ، ولو أردت الوزارة وسلكت طريقها لبلغتها من زمان كما بلغها من مشى على أثرى فى الدراسة وفى الحياة ، ولو شئت لكنت من المشايخ الذين تقبل أيديهم ثم تملأ بالمال ، فيملكون الضياع والسيارات ، ويصيرون بحرفة الدين من كبار أبناء الدنيا ؛ ولكنى ما وجدت شيئا يدوم . تذهب الوزارة فلا تترك إلا حسرة فى نفوس أصحابها ، ويصحو الناس فيعلمون أن الذى يأكل الدنيا بالدين ، لا يمكن أن يكون من الصالحين المصلحين ، فزهدت فى المناصب والمراتب والمشيخات ، وهانت على وصغرت فى عينى ؛ ولم يبق لى من دنياى (الآن) إلا مطلب واحد : يقظة قلب أدرك بها حقائق الوجود ، وغاية الحياة ، وأستعد بها لما بعد الموت ، وهيهات يقظة القلب فى هذا العالم المادى !

إن الذى يبلغ ذروة الجبل تنكشف له الجهة الأخرى ، فيرى ما بعد الانحدار ، وأنا قد بلغت ذروة العمر وانحدرت ولكنى لم أبصر شيئا ، إن الطريق مغطى بالضباب ، وقد أضعت مصباحى فى زحمة الحياة ، ومعترك العيش

* * *

أما الرسالة فقد أفضلت على وأحسنت إلى . وما أشكوها ، إنما أشكو دهرى ، وأشكو نفسى ، ومن حق الرسالة على تحية خير من هذه التحية فى عيدها الألفى ؛ ولكنى أكتب بيد عليل ، من فكر كليل ، ولى من الأستاذ الزيات الصديق النبيل ، العذر الجميل

على الطنطاوى

وهذه اللجنة هيئة لا تضم جميع الدول الأعضاء فى هيئة الأمم —وخمستون دولة— وإنما تقتصر على فئة مختارة تمثل مختلف النظم السياسية المعاصرة والمناطق الجغرافية التى تقسم إليها هذه المعمورة ، ففيها الروس والأمريكان والبريطانيون والفرنسيون ؛ وفيها من يمثل القارة الآسيوية والشرق العربى وأفريقيا وأمريكا اللاتينية

وقد أنشأت هذه اللجنة منذ أن استقر لهيئة الأمم كيانها الداخلى فى السنتين الأوليين من عمر هـذه المؤسسة العالمية . وكلفت هذه اللجنة فى عام ١٩٤٧ أن تصوغ ميثاقا عالميا يضمن للفرد فى المجتمع ما وهبه الله من حقوق طبيعية وما اكتسبه من حقوق قانونية وسياسية واقتصادية واجتماعية وفرها لهـا تاريخ الفكر وصراع الناس وتطور المجتمع على مدى الأجيال

إذن فمهمة اللجنة هى فى الواقع مهمة مثالية المفروض فيهـا أن تستوحى العقل والروح ؛ وأن تتجنب نزعات السياسة الانتهازية وفوضى السلوك الدولى الذى يهيمن على أعمال معظم اللجان والهيئات والمجالس فى الأمم المتحدة

وكان من المنتظر أن يستغرق وضع هذا الميثاق العالمى لصيانة حقوق الإنسان وقتا طويلا . فلكل ثقافة ولـكل كتلة سياسية تفسير خاص عن جوهر الحقوق والواجبـات للفرد فى المجتمع الأكبر ، وهـذا التباين مرده اختلاف اجتهاد الثقافات والنظم الفكرية وفلسفات السياسة والاقتصاد فى إيضاح صلة المواطن بدولته والنظم القائمة عليها ؛ وعلاقة الفرد بالجماعة الإنسانية التى تشاركه العيش فى بقعة معينة من هذا العالم الواسع

ومضت لجنة حقوق الإنسان تعمل فى تؤدة ، فتوصلت فى دورتيها الأولى والثانية (١٩٤٧ و ١٩٤٨) لوضع مسودة الميثاق وخطوطه الرئيسية ، واتفقت مبدئيا على أن تنشر فى النـاس الأسس الفكرية وخلاصة المبادئ والنظريات التى تستند إليها فى صياغة المواد التفصيلية لهذا الميثاق العالمى، ومن ثم وضعت وثيقتها الموجزة المعروفة « بإعلان حقوق الإنسان » وهى بيان قصير لا يعرض جوهر الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبنى البشر ؛ ولا يدخل فى تفصيلها وتعريف الناس بما يتصل بها من حقوق فرعية وصيانة ذلك والمطالبة به . وتركت هذه التفاصيل الجوهرية إلى الميثاق الشامل الذى قررت اللجنة متابعة الدراسة والبحث فى مواده وفصوله إلى الدورات القادمة

وفى سنة ١٩٤٨ وافقت الجمعية العامة لهيئة الأمم على صيغة « إعلان حقوق الإنسان » كما صاغته اللجنة ، وأوصت الجمعية العامة اللجنة بأن تتابع عملها لصياغة المواد التفصيلية لهذه الحقوق

وأخذت اللجنة تعقد دورات متتابعة فاجتمعت فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ وتوقفت عن العمل فى عام ١٩٥١ بسبب تأخر بعض الدول عن الإجابة على الأسئلة التى وجهتها اللجنة إليهـا عن مدى انطباق التشريعات المعمول بهـا فى تلك الدول على مبادئ حقوق الإنسان . ثم عادت اللجنة فعقدت دورة أخرى هذه السنة فى المقر الدائم لهيئة الأمم هنا فى نيويورك استغرقت تسعة أسابيع من ١٤ إبريل إلى ١٣ يونيو وترأس هذه الدورة الدكتور شارل مالك رئيس الوفد اللبنانى الدائم لدى هيئة الأمم . وقد سبق للمسز روزفلت عقيلة رئيس الجمهورية الأمريكية الأسبق أن ترأست عددا من الدورات السابقة

وفى خلال هذه السنوات التى انقضت على تأليف لجنة حقوق الإنسان فى عام ١٩٤٧ ألم بالعلاقات الدولية من التوتر ما أتاح لجنون السياسة وشذوذها أن ينافس الاتزان والمثالية التى كان المفروض فى اللجنة وأعضائها أن يهتدوا بها فى اجتهادهم لصياغتهم لميثاق حقوق الإنسان كمعاهدة عالمية تتقيد بها الدول مترفعة عن المؤثرات والأهواء والنزعات السياسـية ومتقيدة بالمثل الفكرية والوعى الثقافى واليقظة العاطفية التى تسود المجتمع المعاصر فى عالم مرت به فى الأزمنة الحديثة ألوان من التطور والتجارب ما أرهف إحساسات الفرد وأذكى وعيه وفرض على الدولة نهجا فى السلوك واجا فى تهاد التشريع يتناسب مع يقظة هـذا الشعور وشـدة هذا الوعى

ولذلك فقد سيطرت على جو اجتماعات لجنة حقوق الإنسان فى دورتها الأخيرة اعتبارات سياسية زادت من شدة التباين بين الثقافات والنظم التى يمثلها أعضاء اللجنة

فأصر المندوبون الروس وزمـلاؤهم من الدول التى تؤمن بالنظام الماركسى على ضرورة توكيد الحقوق الاقتصادية للفرد فى الميثاق الدولى الذى تشغل به اللجنة توكيدا مفضلا على التوكيدات الأخرى؛ لأن العنصر الاقتصادى فى رأيهم هو المهيمن على سلوك

الفرد إزاء الدولة والمجتمع ؛ وعلى اجتهاد الدولة والمجتمع فى مجاراة هذا السلوك ، ولم يأخذ المندوبون الأمريكان وحلفاؤهم — وهم كثرة بين أعضاء الأمم المتحدة — بهذا التفسير الماركسى ، وأخذوا يشرحون — فى كلام كثير وفى مقترحات عديدة وتعديلات متلاحقة — بأن الديمقراطية الحقة كما يفهمها الأمريكان ويمارسونها فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية هى الضمان الوحيد لحقوق الإنسان وتنظيم علاقاته مع الدولة ومع إخوانه فى الإنسانية . ومن ثم كان المنطق الأمريكى فى النقاش وفى المقترحات والتعديلات التى وجهت إلى مواد الميثاق المقترح يتعمد توكيد الحقوق المدنية السياسية والأسس الديمقراطية (كما يفهمها الأمريكان) فى الحكم وفى سلوك الفرد توكيداً مفضلا على سواه من التوكيدات

وكان من الممكن أن تسود وجهة النظر الأمريكية فى أعمال اللجنة بفضل ما للأمريكان من نفوذ فى أعمال الأمم المتحدة لولا ظاهرة مستجدة فى حاضر السلوك الدولى .. هذه الظاهرة يمثلها وتعبر عنها طائفة من الدول الصغرى فى آسيا وأمريكا اللاتينية وهى دول إن فقدت النفوذ العسكرى والسياسى فى تسيار العلاقات الدولية فإن لها ضربا آخر من النفوذ يستند إلى تعداد أصواتها فى المؤتمرات الدولية — وهو تعداد يرجح الكفة حين يتكتل ويجمع على اتخاذ خطوة يختلف عليها الكتلتين الرئيسيتين (السوفيتية والأوروبية — الأمريكية) التى تكثر اختلافاتها فى حلقات التفاوض أو الخصومة الدولية

وإزاء اختلاف الروس والأمريكان فى وضع حجر الزاوية وتحديد نقطة الارتكاز فى حقوق الإنسان وهى العنصر الاقتصادى أم الحرية السياسية والمدنية بأوسع معانيها نشط مندوبو الدول الصغرى الذين يمثلوا آسيا (ومعهم مندوب مصر الدكتور محمد عزمى) وأمريكا اللاتينية إلى التكتل ، وأصروا على أن تجربتهم فى عهود الاستعمار والسيطرة الأجنبية لم تقنعهم بأن توكيد الحرية السياسية كما فسرها الأوربيون والأمريكان كاف لأن يضمن للفرد حقوقه الطبيعية وحقوقه المكتسبة ، وأن التطور الذى ألم بحاضر الفكر يفرض على اللجنة أن توازن موازنة عادلة بين فضائل الحرية السياسية بمعانيها الواسعة الشاملة وبين فضائل الضمان الاقتصادى والاجتماعى . فالناس فى الشعوب الآسيوية والأفريقية واللاتينية التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى والاجتماعى لا تستطيع أن تضمن حقوقها السياسية وتوطد حرياتها الديمقراطية مالم يتوفر لديها من أسباب العدالة الاقتصادية والضمان الاجتماعى ما يساعدها على أن تنال حرياتها السياسية كاملة ، فالفرد الذى لا يتوفر له فرص اقتصادية تعينه على ملء معدته، وطريق اجتماعية تساعده على تغذية عقله بالعلم والتحصيل، لا يحسن الانتفاع بحريته السياسية حتى لو تحققت له كاملة فى الدساتير والتشريعات

وتعمد مندوبو الدول الصغرى أن يفهموا اللجنة بأنهم فى حماسهم لتوكيد التوازن بين الضمان الاقتصادى — الاجتماعى ، وبين الحرية السياسية والمدنية ؛ ليسوا مدفوعين بعداء أو ولاء لأى من النظم (السوفيتية أو الأوربية — الأمريكية) وإنما هم مقيدون بما يلمسونه من تباين فى مجتمعاتهم الآسيوية والإفريقية اللاتينية وبين المجتمعات الأوربية والأمريكية فى مدى التطور وفى مستوى الوعى وفى معاول الاجتهاد للحاق بهم فى ميدان المساواة الدولية

والدول كالأفراد فقدة الحول بمفردها ولكنها شديدة البأس فى تكتلها وتكافلها ، وهكذا كان حال مندوبى الدول الصغرى فى لجنة حقوق الإنسان ، فقد فرضوا بفضل تآزرهم على الروس والأمريكان وجهة نظرهم ، فلم يجد هؤلاء مفرا من أن يلاقوا رغبات الدول الصغرى . فاستنبطت العقلية الأنجلوسكسونية ما اعتقدت أنه حل وسط . وتقدم الوفد الأمريكى وحلفاؤه باقتراح يطلب من اللجنة أن تحصر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى ميثاق ؛ وأن تجمع الحقوق السياسية والمدنية فى ميثاق ثان ، وبترك للدول الخيار فى قبول أى من الميثاقين أو قبولها معا

ورفضت أكثرية الدول الآسيوية واللاتينية قبول هذا الاقتراح الأمريكى ؛ وقلت بأن الهدف من صياغة حقوق الإنسان فى ميثاق عالمى توقعه جميع الدول هو ضمان الحريات الكاملة للفرد . فلا معنى لأن نفصل بين الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبين الحقوق السياسية والمدنية ، فكلاهما متمم للآخر . فخيار

في مثل هذه الحالة يقضي على المبدإ الذي تستند إليه اللجنة وهو مبدأ الإجماع . فكما أن السيادة جزء لا يتجزأ فإن الحرية كذلك لا تتجزأ

ورفض الوفد الروسي هذا الاقتراح الأمريكي وأخذ بوجهة نظر أكثرية الوفود الآسيوية واللاتينية لا لأنهم يشاركونه في الرأي — فالحقوق السياسية في روسيا نفسها مفصولة عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية — ولكن الوفود الشيوعية في الأمم المتحدة تعارض كل اقتراح أو فكرة يطرحها الأمريكان على بساط البحث في الأمم المتحدة مهما كان صائبا . وهذا الحال ينطبق كذلك على موقف الأمريكان من اقتراحات الروس وحلفائهم

واستطاع الوفد الأمريكي أن يضمن الفوز لاقتراحه بوضع ميثاقين لحقوق الإنسان بدلا من ميثاق واحد . وجدير بالذكر أن الهند قد خرجت عن الوفود الآسيوية الأخرى في معارضة الاقتراح الأمريكي ، وشاء بعض الخبثاء في هيئة الأمم أن يفسروا تراجع الهنود على ضوء المباحثات المالية التي كانت تقوم بها الهند مع أمريكا آنئذ والتي أدت فيما بعد إلى منح الهند معونة مالية سخية

وكذلك خرجت لبنان على إجماع الدول العربية والآسيوية في معارضتها للاقتراح الأمريكي . ولرئيس وفد لبنان الدكتور شارل مالك غرام لا حد له بكل ما يمت إلى أمريكا بصلة

ولم تجد اللجنة إزاء إقرار الاقتراح الأمريكي بأكثرية تافهة بدا من أن تتابع عملها لوضع ميثاقين بدلا من ميثاق واحد ، وأكثريتها الساحقة مؤمنة بأنها ستستطيع في المراحل النهائية حمل الجمعية العامة لهيئة الأمم على دمج الميثاقين في ميثاق واحد بمؤازرة بقية الدول الصغرى التي ليست ممثلة في لجنة حقوق الإنسان والتي لها أكثرية الأصوات في الجمعية العامة

أما المرحلة التي وصلت إليها اللجنة في دورتها الأخيرة فلا تتعدى مراجعة المواد الأساسية للميثاق الذي يسعى لأن يضمن الحقوق المدنية والسياسية ، وإلقاء نظرة عابرة على الميثاق الثاني الذي يعتني بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ولم تدقق اللجنة في المواد الإضافية التي صيغت في دورات سابقة لتخويل الأفراد حق رفع الشكوى ، وتقديم المظالم ضد الدول التي تمتهن حقوقهم ؛ وهناك محاولة تقوم بها الدول الشيوعية ونفر من الدول الأوربية والأمريكية لمنع الأفراد والهيئات والمؤسسات الشعبية من رفع الشكاوى والمظالم إلى لجنة حقوق الإنسان

وقد صمدت وفود الدول الآسيوية لضغط شديد ، وجهته الدول الاستعمارية فيما يتعلق بإدخال مادة « حق تقرير المصير للشعوب التي لا تحكم نفسها بنفسها » في ميثاق الحقوق المدنية والسياسية ، وهذا يعني اعتراف لجنة حقوق الإنسان بأن صراع الشعوب الخاضعة للحكم الأجنبي هو حق مشروع منصوص عليه في ميثاق حقوق الإنسان . وهذا طبعا أمر لا ترضى عنه الدول الاستعمارية ، وقد أخذت الولايات المتحدة الأمريكية بوجهة نظر بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وغيرها من الدول المستعمرة ، ولكن اللجنة لم تجد بدا من إدخال مادة « حق تقرير المصير » على الميثاق بعد جدل استغرق جلسات عاصفة ، ساد فيها الرأي للوفود الصغرى من آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية

والفقرة الأولى من هذه المادة تنص على أن « لجميع السكان ولكل الشعوب حق تقرير مصيرهم ؛ وهو حق يقرر في حرية تامة وضعيتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية »

والفقرة الثانية تطلب من جميع الدول أن تسعى لتثبيت حق تقرير المصير في جميع المناطق (الخاضعة لها) بموجب ما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة

والفقرة الثالثة تؤكد بأن حق تقرير المصير يشمل سيادة الشعب وامتلاكه لثروته القومية وخيراته الطبيعية ؛ ولا يصح في أية حالة من الحالات لأية دولة أو دول أن تتذرع بأي من الأعذار أو الحقوق (المفتعلة) لتحول بين شعب وبين امتلاكه لأسباب العيش (الشريف)

وقد دافع مندوبو مصر والدول الآسيوية الأخرى عن هذه القرارات دفاعا مجيدا إزاء معارضة الدول الاستعمارية ، وفندوا بالنقد اللاذع الأعذار التي يتذرع بها الاستعمار للسيطرة على مصادر القوة في البلدان الصغيرة ، سواء لسد الفراغ كما هو الحال في نزاع مصر وبريطانيا حول قناة السويس ، أو تنفيذا لمعاهدات أبرمت

فى أوضاع شاذة ، كما هو الحال فى وضعية الحماية الفرنسية فى تونس وبقية أقطار المغرب العربى ، أو تحقيقا لوعد مزور ، كوعد بلفور البريطانى للحركة الصهيونية فى امتلاك بلد كفلسطين ليس لبريطانيا حق التصرف فى مصيره

أما الفوارق الجوهرية بين الميثاقين : ميثاق الحقوق المدنية والسياسية ، وذلك الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فتتلخص فيما يلى :

(١) تعتبر اللجنه أن الحقوق المدنية والسياسية هى فوق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ولذلك فإن تطبيقها يجب أن يتم فورا ، بينما يصح أن تطبق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى مراحل (تدريجية) تتماشى مع حالة البلد الاقتصادية ومبلغ وعيها الاجتماعى والثقافى

(٢) ميثاق الحقوق الاقتصادية (الخ ..) يجب أن لا يطبق عن طريق التشريعات الحكومية فقط ، وإنما عن طريق السعى الحر للفرد وللجماعة كذلك . وليس على الدولة إلا أن تساهم — ما استطاعت إلى ذلك سبيلا — فى توفير الإمكانيات الحسنة للفرد وللأمة للحصول على هذه الحقوق

وهذه نقطة كانت مجال نقاش حاد . فقد أصر مندوبو الدول الشيوعية على أن ضمان هذه الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا يتم إلا عن طريق التشريعات الحكومية ، والحكومية وحدها

(٣) بينما تعمد ميثاق الحقوق المدنية والسياسية أن يشرح جوهر هذه الحقوق ، وتفاصيلها الفرعية ؛ أهمل ميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هذا الشرح ، وصاغ المواد فى مبادئ عامة يشوبها الغموض وتكون مدعاة لسوء الاجتهاد أو للتطرف فيه

وسبب هذا التباين فى لغة الميثاقين ومضمونهما هو اختلاف فلسفات الحكم والنظم السياسية والمعوقات الثقافية التى تعيش عليها الكتل الدولية التى تهيمن على أعمال الأمم المتحدة هذه الأيام

***

وبعد فهذا استعراض متواضع لموضوع خطير ؛ فليس أنفع لمجرى العلاقات الإنسانية من أن يدرك الفرد ماله من حقوق تستند إلى وثائق دولية همها أن توفر له ذخيرة (قانونية) يستعين بها على توطيد حقوقه الطبيعية والمكتسبة حين يعصف بهذه الحقوق نظام غاشم ، إن أفلح فى كبت الرأى العام المحلى ، فإنه أضعف من أن يقهر الرأى العام العالمى ، بعد أن تشابكت عناصره فى معظم ألوان النشاط الإنسانى

وما هذا الاتجاه الذى ساد فى لجنة حقوق الإنسان لتجزئة الحقوق إلى مدنية سياسية ، وأخرى اجتماعية ثقافية ، إلا محاولة لإعادة عجلة الحياة والوعى الإنسانى خطوة إلى الوراء ؛ ولكن الحياة قطار يسير هذه الأيام بوقود الفكر الواعى والشعور المتقد ، ومن خصائص المواصلات أن تسير قدما ، لا أن تعود القهقرى

نيويورك — عمر حليق

علم النبي بالغيب

للأستاذ ناصر سعد

ذكرت لنا كتب التاريخ الإسلامى أن النبي (ص) كثيراً ما كشف عن حوادث لا يعرف سرها إلا أصحابها ، وكثيراً ما أنبأ عن حوادث المستقبل فكانت كما قال . إن النبي ولا شك كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ويعرف حقائق أسرار الكون، وكل ذلك بقوة إلهية وهبت له كنبي غظيم جعله ربه خاتما لأنبيائه ، ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم بعد أن أقر علم النفس الحديث (قراءة الأفكار) وأثبت علم الأرواح أن بالإمكان إحضارها ومحادثتها ، وأن بعض نجاح الأناس العاديين بهذين العلمين هذا الزمن لهو خير دليل على تمكن النبي (ص) من اختراق حجب السماء والاتصال بالأرواح الخيرة والملائكة ، لأنه زيادة على السر الإلهى المودع فيه ذو نفس أكبر وأزكى ، وذو عقل أوسع وأنمى من عقول البشر . ونقول إنه سر إلهى أودعه محمدا (ص) بعد البعثة ؛ إذ لو لم يكن كذلك لظهر له من المعجزات قبل بعثه ولتحدث عنها التاريخ . ولما كان فى تلك الحوادث متعة وفى عرضها إظهار لعظمة النبي أحببنا أن نعرض بعضها على باصرة القارئ ؛ فنقول إن من تلك الحوادث :

حادث عمار بن ياسر (ض) لما دخل على الرسول (ص) وقد أرهقه قريش بالأذى وحملوه وأثقلوه باللبن (١) فقال (يارسول الله ! قتلونى ، يحملون على ما لا يحملون) فقال رسول الله (ويح ابن سمية (٢) ليسوا بالذين يقتلونك . إنما تقتلك الفئة الباغية) قيل وسمع رسول الله (ص) يقول (ألا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإن الحق يومئذ لمع عمار) ولما كانت صفين خرج عمار على رأس كتيبة لعلى بن أبى طالب (ض) فطعنه أحد رجال معاوية فانكشف مغفره عن رأسه فضربه الرجل على رأسه فقتل (ض)

(١) الآجر قبل أن يشوى

(٢) هى أمة أبى حذيفة وأول شهيدة فى الإسلام وجأها أبو جهل بحربة فقتلها

ومنها أن النبي (ص) لما خرج إلى العشيرة (٣) ونزل بها ذهب على بن أبى طالب (ض) وعمار بن ياسر (ض) إلى عين ماء ونخل لبنى « مدلج » (٤) فنظرا كيف يعمل أهلها ثم غشيهما النوم فناما وسفت عليهما الريح التراب وما هما إلا برسول الله « ص » يوقظهما قائلا لعلى : (مالك يا أبا تراب ؟ — لما عليه من التراب — ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قالا : بلى يارسول الله . قال : أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذا — ووضع يده على قرنه — حتى يبل منه هذه — وأشار إلى لحيته —) . وقد كان ما كان من ضرب ابن ملجم رأس أمير المؤمنين على على رأسه . ومن ذلك أن صفوان بن أمية وعمير بن وهب اجتمعا فى الحجر (٥) بعد نكبة قريش ببدر وأسر وهب بن عمير بن وهب ؛ فقال صفوان يذكر القتلى من أصحابه : والله إن فى العيش بعدهم خيرا ، فقال عمير : صدقت والله . أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله — قال صفوان : على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسعنى شئ ويعجزهم ، فقال عمير : فاكتم شأنى وشأنك . قال صفوان « أفعل » ثم أعد عمير سلاحه فسم سيفه وذهب إلى المدينة يريد النبي فرآه عمر على باب مسجد الرسول وهو يحمل سيفه فدخل على رسول الله (ص) فقال له : يانبى الله ! هـذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه ، قال : فأدخله على، فلما دخل عمير ورآه الرسول (ص) ورأى عمر قد أخذ بحمالة سيفه قال: ارسله ياعمر . ادن ياعمير، فلما دنا من النبي قال : انعموا صباحاً ، فقال النبي : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير . بالسلام تحية أهل الجنة ، فقال عمير : أما والله يامحمد إن كنت بها لحديث العهد ، قال النبي : فما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير (٦) الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف فى عنقك ؟ قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت شيئا ؟ قال النبي : اصدقنى ماالذى جئت له ؟ قال: ماجئت إلا لذلك، قال النبي (ص)

(٣) ناحية بينبع

(٤) بضم فسكون فكسر

(٥) قصبة باليمامة

(٦) هو وهب بن عمير بن وهب

بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر فذكرتما أصحاب (٧) القليب من قريش ، ثم ذكر جلية الأمر فانبهت عمير وقال : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء .. الخ ثم أسلم

ولما أسر العباس عم النبى يوم بدر وطلب منه النبى أن يفدى نفسه ويفدى ابنى أخويه عقيلا ونوفلا قال فإنه ليس لى مال، قال النبى (ص) فأين المال الذى وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد ؟ ثم قلت إن أصبت فى سفرى هذا فللفضل كذا ولعبد الله كذا ، قال العباس : والذى بعثك بالحق نبيا ماعلم بهذا أحد غيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ثم إنه فدى نفسه بمائة أوقية ولكل من ابنى أخويه أربعين أوقية وقال : تركتنى أسأل الناس فى كفى ، ثم إنه أسلم وأمر ابن أخيه عقيلا فأسلم

ومن ذلك ماروى عن سلمان الفارسى (ض) قال ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ورسول الله (ص) قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، فقال سلمان للنبى: بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال الرسول : أو قد رأيت يا سلمان ؟ قال نعم ، قال أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ، وأماالثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق — وكان كما قال رسول الله من الفتوحات التى من بها الله على الإسلام، وهنا نقول إنه يتراءى للقارئ الكريم أن ظهور البرقة من دق الحديد بالحجر شئ عادى لا يبهر الناس ولكن الحال هنا ليس كذلك؛ لأن من مثل سلمان الفارسى والذى خبر الحياة وعركها ورأى ما رأى من جبال فارس والحجاز لم يكن ليتعجب من البرقات الثلاث إلا لأنه رآها حدثت بحال غير عادية طبعاً

ومنها أن رسول الله (ص) لما خرج لغزو بنى المصطلق وسلك بالناس الحجاز ووصل ماء بقعاء (٨) ثم راح منها هبت عاصفة شديدة خاف منها المسلمون ، ولما رأى النبى جزعهم قال : لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار — قيل فلما وصل المسلمون المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت وهو أحد عظماء بنى قينقاع قد هلك ذلك اليوم

ومن ذلك أن رسول الله (ص) لما دخل الكعبة بعد الفتح أمر بلالا (ض) أن يؤذن فيها فأذن؛ وكان أبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جالسين بفناء الكعبة ولم يسلم هذان الأخيران بعد فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع منه مايغضبه، فقال الحارث: أما والله لوأعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى — قيل فلما جاءهم الرسول (ص) قال : قد علمت الذى قلتم ، ثم حكى لهم ما كانوا تكلموا به . فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله .. والله مااطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك

ومنها أن حاطب بن أبى بلتعة لما تهيأ الرسول (ص) لفتح مكة كتب كتابا لقريش ينبئهم فيه بما عزم عليه الرسول وأرسل كتابه ذاك مع سارة التى كانت مولاة لبعض بنى عبد المطلب ؛ فأخذته هذه ووضعته على رأسها تحت شعرها وراحت تطلب مكة ، ولما علم رسول الله بالخبر من السماء أرسل على بن أبى طالب (ض) والزبير بن العوام (ض) وطلب منهما أن يلحقا بالمرأة ويأخذا كتاب حاطب منها ؛ فذهبا ولحقا بها فى بعض الطريق وبحثا فى رحلها فلم يجدا للكتاب أثراً فقال على (ض) إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أولنكشفنك ، فلما رأت المرأة أنلا مناص من إظهار الكتاب ناولته إياهما فأتيا به رسول الله (ص) فسأل حاطباً عن ذلك فقدم للنبى سبباً واهياً لما حدث منه وطلب عمر (ض) أن يسمح له بقتله فلم يسمح له بذلك ، ثم نزلت بحق حاطب هذا هذه الآية الشريفة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..)

---

(٧) القليب : بئر أمر الرسول أن تطرح فيها القتلى من المشركين وهو بفتح فكسر

(٨) ماء بالحجاز قريب التنعيم وهو المحل الذى تجهز فيه أبوبكر (ض) لمحاربة أهل الردة

ومن تلك الأنباء أن أهل جرش(٩) لما أرسلوا رجلين منهما إلى الرسول (ص) بالمدينة لينظر فى أمره قال الرسول والرجلان جالسان عنده: بأى بلاد الله شكر ؟ فقام الجرشيان وقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر وكذلك يسميه أهل جرش فقال: إنه ليس بكشر ولكنه شكر، قالا: فما شأنه يارسول الله ؟ قال: إن بدن(١٠) الله لتنحر عنده الآن — ثم جلس الرجلان إلى أبى بكر (ض) فقال لهما: ويحكما إن رسول الله (ص) الآن لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله (ص) فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فلما أتيا الرجلان الرسول وسألاه ذلك قال: اللهم ارفع عنهم — ثم إنهما لما رجعا لقومهما وجداهم قد أصابهم صرد بن عبد الله اليوم والساعة التى أخبرهما بها الرسول — قيل ثم أسلم أهل جرش

ومنها أن رسول الله (ص) لما مر بالحجر إبان أمره الناس بغزوة تبوك نزل ماء وأمر الناس ألا يشربوا منها وأمرهم إن كانوا قد عجنوا منها أن يعلفوه للابل ومن جملة قوله فى ذلك: ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له — قيل فعمل الناس بما أمر به النبى (ص) إلا رجلين منهم خرج أحدهما لقضاء حاجة فخنق على مذهبه وخرج الآخر فذهبت به الريح لجبلى طى؛ فلما علم الرسول (ص) بذلك قال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ؟ فأما الذى خنق فقد دعا له الرسول فشفى. وأما الآخر فقد أهدته طى للرسول عند قدومه المدينة

ومن ذلك أن الرسول لما بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك ملك كندة النصرانى قال له: إنك ستجده يصيد البقر، ثم جد خالد بطلبه ولما كان على مد البصر من حصنه فى ليلة مقمرة كان أكيدر وزوجته على السطح يستروحان وقد كثر البقر حول الحصن حتى أنه كان يضرب الأبواب بقرونه؛ فقالت امرأة أكيدر: هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال لا أحد، ثم إنه أمر بفرسه وسلاح صيده فركب هو وأخوه حسان ونفر من قومه يريد صيد البقر فلما أوغلوا فى الفلاة ولقيهم خالد حاربهم فقتل حسان وأسر أكيدراً ذاك

ومنها أن عبد الله بن أنيس (ض) لما بعثه الرسول لمنازلة خالد بن سفيان بن نبيح(١١) الهذلى الذى جمع الجموع لمحاربة الرسول قال لرسول الله: يارسول الله انعته لى حتى أعرفه، قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة، قيل فلما خرج عبد الله ورأى خالداً فى ظعن له وقت العصر وجده كما وصفه الرسول (ص) فلما قتله وعاد ورآه رسول الله قال: أفلح الوجه، فقال عبد الله: قد قتلته يارسول الله، قال: صدقت

ومنها أن عمير بن عدى الأموى لما قتل عصماء بنت مروان الأموية عدوة النبى وذلك بغرسه سيفه فى صدرها ليلا ولم يعرف أحد ذلك وجاء المسجد ليصلى الصبح مع الرسول قال له النبى بعد أن هم بالخروج من المسجد: أقتلت ابنة مروان ؟ قال: نعم يارسول الله قال: نصرت الله ورسوله، فقال: عمير: هل على شئ من شأنها يارسول الله؟ قال: لا ينتطح فيها عنزان

ناصر سعد

العراق

(٩) بضم ففتح مخلاف باليمن

(١٠) جمع بدين وهو العظيم الجسم وجمع بدنة وهى الناقة. وهى بضم أولها وثانيها

(١١) بضم ففتح فسكون

شوقيتان لم تنشرا في الديوان

بقلم محمد عدنان حسين

قرأت فى العدد (٩٩٢) من مجلة الرسالة الغراء مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى بنفس العنوان الذى أكتب به مقالى .

كان عنوانا أثار الرغبة الخارقة فى حتى لم أستطع أن أبدأ بمطالعة المجلة من أولها ، وإنما استعجلت الأمر وقلبت صفحاتها إلى أن وقفت على المقال المذكور ، وطفقت أقرأها بلهفة . وكيف لا ؛ وأنا الآن أمام عقدين لؤلؤيين سأمتع ناظرى ببهجتهما ، ومنهلين عذبين سأغذى روحى بسلسالهما الخصب

كنت أنساب مع أفكارى فى القصيدة دون ماشعور خارجى وكأن جميع أوصالى انقلبت مشاعر ، وحلقت طائرة فى جو فسيح من المتعة والنشوة حتى انهيت منها فجأة وامتد بصرى إلى مابعدها لأنها من غدير الثانية مايطفئ أوامى بعدوبتها ، ولكن كلمة «العدد القادم» صدمتنى وتمنيت أن لونشرت القصيدتان معا حتى لا ينقطع على حبل هذه اللذة الروحانية ، وكان عزائى أن موعد العدد القادم قريب

وتلقفت العدد التالى (٩٩٣) بنهم وملت على الشوقية الثانية لأسبغ على نفسى من رونقها غلالة سحرية تجعلنى

ولم تكن التوطئة التى قدمها الأستاذ الناصرى لمقاله لتزيدنى إعجابا بأمير الشعراء ، فلقد ملك على كل عواطف الإعجاب منذ أمد طويل ، ولا عجب فهو يضطر كل مكابر إلى الاعتراف بعظمته ومكانته فى ذروة الأدب

وإننى لأذكر تماما أننى كنت من المكابرين الذين يأبون أن يعترفوا بأن (شوقى) هو حامل لواء الشعر منذ أكثر من عشرة قرون ، وكنت أفضل عليه المرحوم (حافظ إبراهيم) شاعر النيل ؛ ذلك لأننى قرأت ديوان (حافظ) وأعجبت به واحتل فى قلبى مكانة سامية قبل أن أطلع على بحر (شوقى) الزاخر وأمواجه المتلاطمة فى حال الانفعال والقوة ، أو حين تتلاعب النسمات الرقراقة . وانما كنت قد اجتزأت ببعض النتف من شعره ، وعلمتنى هذه التجربة ألا أطلق الحكم اعتباطا قبل الدرس والتدقيق .

ولأعد إلى الحديث عن الشوقيتين اللتين أزفهما الآن إلى إخوانى قراء الرسالة الغراء نزولا عند رغبة الأستاذ الناصرى ، ولأننى أعلم أن النفوس صادية إلى السلسبيل القراح :

الفرق بين الشوقيتين اللتين نشرهما الاستاذ الناصرى ، وهذه التى أنشرها الآن على صفحات (الرسالة) الزهراء هو أن الأوليين ترف طيور البشر فى سمائهما ، وترن ألحان السرور فى جوهما ، لأنهما قيلتا فى مهرجانين شارك أمير الشعراء القائمين عليهما فى التفاعل مع تموجات الأعراس والانطباع بقالب الفرح ، وهذه إنما هى موجات من الأسى تجتاح النفوس ، وأنغام بائسة مصطدمة بقوة الأقدار لأنها قيلت فى رثاء (الخديو توفيق) .

لا عجب إذا انتحى أمير الشعر زاوية الحكمة فى عبقريته ليغرف منها ماعركته به تجارب الحياة ويلبسه برد الوعظ ويبرزه للملأ الغافل الغارق فى غفلته القاتلة حتى يوقظ النفوس النائمة من سباتها ، ويجعلها تنتفض أمام هذا التذكار الذى يهزها هزا : الموت : القضاء : الحساب : كلها بيد الله . الكون ما أحقره أيها الغافلون : وبئست الحياة فيه .

بئست الدار دارنا أ بكت المولود من قبل علة للبكاء
حسنت نارها وساء قراها هل رأيت المجوس فى الظلماء
بينما القوم موقدوها صباحا إذ تراهم وقودها فى المساء »

حديث يطول ! ولكننى أكتفى بما قلت لأقدم إلى إخوانى القراء هذه المرثية التى حرم منها ديوان أميرنا لعل بها مايرجونه . وسأقدم لهم فى العدد القادم شوقية أخرى خلا منها الديوان . . إن شاء الله ! وهذه هى القصيدة :

رثاء الخديو توفيق

بين ماضى الأسى وآتى الهناء قام عذر النعاة والبشراء
نبأ معذر نفى بعضه بعضا فكان السفيه فى الأنباء
سر من حيث ساء كل مصاف ساء من حيث سر كل مراء
مانظرنا محمداً فى فتاه إن غفرنا الضراء للسراء
هابنا الدهر فيه حيا وميتا فأتانا من دائنا بالدواء
وعزاء البلاد أن يخلد الملك ويحيى الآباء فى الأبناء

لهف نفسي على نظام نعيم حله الدهر باليد العسراء
كل شيء إلى شتات ويبقى في التئام جماعة الجوزاء
بئست الدار دارنا أبكت المو لود من قبل علة للبكاء
حسنت نارها وساء قراها هل رأيت المجوس في الظلماء
بينما القوم موقدوها صباحاً إذ تراهم وقودها في المساء
وتراها بينا يرى المرء منه ذا وطاء حتى يرى ذا غطاء
عاذت الطير منه بالجو لكن علقت من حبالها بهباء
ود « لازار » يوم أحياه عيسى لو تذوق المنون طعم الفناء
وهوى يوم عاود الموت لو لم يحيه للردى فتى العذراء
ولو ان الفرار في وسع نفس لزم العرش صاحب الإسراء
إن سر الحمام في النفس سار وقصارى الطبيب في الإفشاء
فهو الداء واحد ورثته الناس عن آدم وعن حواء
والذي ارتاحت العقول إليه زخرف من وساوس الحكماء
(في أمان النعيم توفيق مصر) فرع خير الولاة والأولياء
ياجمادى ألم يكن كل بدر الأرض يفدى بنصف بدر السماء
ياجمادى أما ترى حاضر البدرين عطلا من السنى والسناء
ياجمادى فجعت فيه أباه رجبا صاحب اليد البيضاء
يا أميرى أبا أميرى المفدى من لشعرى بذلك الإصغاء
أسهرتني المنون فيك ونامت « لاخلت عينها من الأقذاء
وأطارت عن المضاجع جنبي أسكن الله جنبها كل داء
أعجلت منك مصدر العدل والإحسان والحلم والتقى والسخاء
من رأت مصر ملكها مطمئن المهد فيه وفي ابنه بالوفاء
قام بالأمر والبلاد بلا ما ل وشمل الأمور ذو أجزاء
جاو العصر نخره يبنيه ونخار المصرى بالقدماء
فبنى للبلاد للعلم دوراً تتباهى بالفتية النجباء
وأبى أن يقال عن مصر والأهرام فيها تضن بالبناء
ويحول المحراث من هرم بين ثراها الوافي وبين الثراء
ويرى الناس أن فلاح هذا العصر فلاح غابر الآناء
فحباها دار الفنون وحياها بدار الزراعة الفيحاء
ومحا السخرة التي عهدها عهد قيام الأهرام في الغبراء
ليس للناس بعد خطبك رأى يا مبيد الخطوب بالآراء
هلم السلم عند رأسك ساهى الطرف باك بالعبرة الحمراء

أمسك النعش منك سيفا مهيبا طاهر النصل زاهداً في الدماء
وذوى فيه منك روض كريم الغرس داني مواقع الأفياء
وانطوت فيه منك شمس تجلى عند تهطال خمسة الأنواء
ملأ النعش منك والكفن الأطهر ملء السرير ملء الرداء
ماهممنا بأن نفديك حتى نقض الدهر فيك عهد الفداء
وبعثنا لك الرجاء طبيباً فنعوه إليك قبل اللقاء
لا جزى الله قصر حلوان خيراً وجزى عابدين خير الجزاء
ذاك أخفى عنا سناك وهذا بفتاك السامي العلى في ازدهاء
أعذرت يوم أنذرت فتلقتك وناو الفراق في الأحشاء
شاد توفيق مصر ماشاء من فضل وعدل لقومه وعلاء
وأبى الدهر سرعة فيه إلا أن يتم الله (١) نظام البناء
هو ذا الدهر عند بابك ألقى عذره فاعف لا يعد للرياء
وتجلد لأجل مصر فلو لا ك لماهم قلبها بالعزاء
واحمل السيف والبس التاج وارق العرش وانهض بالدولة العلياء
وزد الملك من شبابك حسناً وأر عصره بذاك الذكاء
فكفى الوقت مرشداً لك ترقى فيه مرقى ملوكه العظماء
وكفى العلم منك أنك تدرى كيف ترقى البلاد بالعلماء
فأعد دولة المنابر فينا إن هذا الزمان بالخطباء
وارع قانوننا الرحيم وخذه مستضيئاً بأشرف الأسماء
أنت إن أحصيت لغات البرايا ترجمان الزمان في الفصحاء
زرت مازارت النجوم من الأرض وفارقته بمقيم الثناء
فسبرت الزمان أرضا وناسا وقلوب الملوك والأمراء
وتركت الورى يقولون لا يتـرك هذا الأمير للأذكياء
لك عند الملوك منزلة في السحب فاغنم رعاية الأصفياء
وتعزز برب « يلدز » حامى حوزة الدين قدوة الخلفاء
إن « عبد الحميد » سيف نضته آل عثمان « هاشمي » المضاء
صدق الوعد مصر فيك ومازا ل حفيا بآلك الكرماء
ورأى فيك رأى نور من الصد ق جديراً بذاتك الغراء
لك شورى أبيك تلق صوابا في مرائي رجالك الأمناء
إن تحرر عقولهم تملك الآ راء والنيرات بالأضواء

(١) هكذا وجدتها يجب أن تشبع الهاء في لفظ الجلالة حتى يستقيم الوزن وإذا أبدلنا اسمه تعالى (المحصى) بلفظ الجلالة لاستقام الوزن ولم يتغير المعنى .

ولك المجلس الرفيع جلاه … أبلج الرأى مكرم الوزراء
بايع الجيش منك إسكندر الأكـبر فى البأس والنهى والفتاء
ضاحك السن لابتسام المواضى … مائل العطف لاهتزاز اللواء
إن خيلا حملن «سوزستريس» الـمصر أولى الجياد بالخيلاء
ضاقت الأرض عن جلالك فى السلـم فماذا تركت للهيجاء
حبذا الجند أنهم يا ابن « إبرا هيم » أبناء صحبة الأقوياء
قت فيهم قيام جديك من قبـلك فى يومى الندى والفداء
وعلى الآل من علاك جلال … وكذ الرأس زينة الأعضاء
وحواليك «كامل» الفضل والصنو « على » متوجا بالبهاء
دام يرقى فى ظل ملكك بدراً … فى ذرى السعد ساطع اللألاء
وتهنأ بالنعمتين وفاخر … بسماء أعظم بها من سماء
وطنى قبلتى وأنت إمامى … بك فيها لوجه ربى اقتدائى
راعنى وارعنى وكن لى أسنى … لك حبى وخدمتى وولائى
ولسانى فإنه لك إرثا … عن أبيك اشتراه بالآلاء
أنت مصر ومصر أنت فدوما … أبداً فى رفاهة ورفاء

محمد عدنان حسين
— جبلة — سوريا —

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدى

— ٢ —

كان هذا شعور العربى باللغة ومفرداتها بل بالأدب أيضا . ومن أجل هذا نرى أن اللغة قد نشأت بطريقة وجدانية . ومن أجل هذا أيضا اختلفت ألوان البلاغات فى القديم والحديث . وظل كذلك هذا الشعور فى العصر الجاهلى إلى زمن كبير من صدر الإسلام حتى أصبحت اللغة لغة حياة جديدة ففقدت كثيرا من مدلولاتها على الزمن من جهة ، ومن جهة أخرى زحزح الاستعمال فى شؤون الحياة الجديدة كثيرا من مفرداتها عما كانت عليه فى العصر الأول . وبذلك خسرت تلك الشحنة العاطفية التى أشرنا إليها من قبل . ولكنها ربحت غير قليل من الصقل والمرونة والمواتاة

كان إذن عصر بنى أمية عصر شباب للغة كما كان عصر شباب للأدب ، فالفطرة فيه قوية لم يبعد بها الزمن من عهود البلاغة المطبوعة . والسلائق غنائية بسيطة لم تتركب بعد بساطة الحياة التى كانت تمارس فى ذلك الزمان . هذا والأخلاق بوجه عام لم تتميع بعد بتأثير الحضارة ، وما تتيحه للناس من خفض ولين ووثارة . وإنما كانت الأخلاق تمتاز بشىء من القوة والصرامة وقلة الفضول . والأثر الأدبى تبعا لذلك يبدو مطبوعا قد خلا من كل تكلف وتعمل، وإن احتمل فيه قائله ضروبا من العنت والمشقة والعناء . وسيظل ذلك العصر كما كان منهلا ينهل منه أبناء العربية صورا من الكلام البليغ فى كل زمان ومكان ، مانطق بالعربية لسان .

ولكنه لم يكد يدنو من أواخره حتى بدت فى الأدب طلائع البديع كما تتبين ذلك من بعض عبارات للجاحظ (١) فى البيان والتبيين . وقد كان من الطبيعى أن تتطور طرق البيان بعد لانت العرائك وأصبح تلمس الجمال المصنوع من مطالب الحياة .

وثمة شىء آخر ، وهو أن الحياة العقلية لذلك العهد وإن

---

(١) مؤرخو الأدب على أن أول من اصطنع البديع كفن لذاته هو مسلم بن الوليد . ولكن الجاحظ يقول فى البيان والتبيين ج ١ ص ٣٠ (ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابى . وكنيته أبو عمرو . وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى . ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما . وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع . ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة »

هذا مايقوله الجاحظ . ومعروف أن بشارا أسبق فى الزمن من مسلم بن الوليد . ومعروف أيضا أن كثيراً من الآثار الأدبية قد ضاعت مع الزمن . ومؤرخو الأدب أصدروا حكمهم هذا بالنظر إلى ما بين أيديهم من آثار . ومن هنا كان الجاحظ أصدق حكما لأنه أصدره وآثار الشعراء كانت إذ ذاك متداولة لم يضع منها شىء . فليتدبر هذا النص

بلبلت الخواطر والأذهان لم تكن قادرة على أن تنفخ من روحها فى موضوعية الشعر شيئا له خطر . وكل ما استطاعت أن توحى به هو فنية الصورة الشكلية أو فلسفتها دون الموضوع . ومن هنا جاء البديع وانتقل الأدب لذلك من طور إلى طور فى تدرج طبيعى ملحوظ

ثم يمضى فى هذا الطور حتى ينتهى إلى كهولته فى العصر العباسى الأول . وهو يستقبل عهده الجديد حاملا إليه ماحصل الشباب ، وفيضا غير كبير مما كان عليه من أريحية وحمية وحماسة، وإنه ليمضى فى عهده هذا مستوعبا لما حوله من مختلف ألوان العيش، منتفعا بما يحيط به من الثقافات والمعارف . مستجيبا لما يحف به من حضارة وترف ونعيم . ومع هذا فقد هبطت درجة حرارته . وناله كثير من الفتور والإعياء . وأصبحت صور الأداء قوالب محفوظة تصلح لكل مايملأ منها الفراغ . وامحت فيه أوكادت تلك السلائق الغنائية المستجيبة المشبوبة . أو قل صارت رواسب عقلية فحسب . ولكن الغناء أصل من أصوله ولا معدى للشعر عنه بحال . فليستعض عنه بتلك الغنائية التى تجىء نتيجة لتلاؤم الجمل والعبارات والألفاظ . ولهذا فهو مجرد فن فقط ، يظفر به من يعانيه بشىء من الدربة والممارسة ، وبالبصر بمنازع الكلام . وهو فى عمومه كشكل شىء تلده المدنية يروقك منه الصقل والتنسيق ولكنه قلما تنبض فيه روح ، وإن لم يخل من الألمعية والنفاذ أحيانا . ولقد استتبع خلوه من الروح خلوه من الموضوع ؛ وبالتالى فقد الوحدة التى تربط بين عناصر الأثر الفنى المحتفل به . وبذلك فهو معرض للحياة بشكل ألوانها ما اختلف منها وما ائتلف . ولا ريب فى أنه احتفظ بأكثر مما ينبغى له من تقليد للقديم ، ومن ترسم له خطاه ولئن اتخذ مادته مما حوله من حياة ، فهو قد اتخذ أيضا أدوات التصوير لها ، والتعبير عنها من حياة البادية دون الحياة المعاصرة له ، تلك التى كان ينبغى له ألا يعدوها فى شىء سواء فى ذلك مادته أو وسائل الإفصاح عنها والأداء . وليس من العجب فى رأينا — وإن لم يكن من الحسن — أن يرجع إلى حياة البادية فيتخذها موضوعا ؛ أو يتخذ منها أداة للبيان . فهو كما قلنا ، وكما نريد أن نقول ، كائن حى . وأى عجب فى أن يرجع الكائن الحى إلى ذكرياته وفى وسعه الرجوع إليها . تلك التى قد تتيح له العزاء والسلوى . أو تحقق له المثل الأعلى فيما هو منه بسبيل . ثم هل انقطعت تلك الوشائج التى تربط بين حاضره وماضيه . من المحقق أنها لم تنقطع ، بل هى أوثق وأقوى مما كان يجب أن يكون . وشىء آخر يجب أن نلفت إليه النظر فى هذا المقام . وهو : ماهى الصلة بين الأديب والأدب . وعندى أنها صلة الموصل الكهربائى بالتيار . أو هى صلة الشعلة بحاملها يتسلمها ثم يذكيها ويعدو بها ليدعها آخر الشوط إلى من يضع بها صنيعه وهكذا . ثم ماهو الأدب ؟ أليس الأدب فى حقيقته بعض دوافع الحيوية فى النفس . ولئن صح هذا فإن سلسلة حيوات الأدباء الذين تعاقبوا فى لغة ما تؤلف امتداداً لحياة الأدب على الزمان . ومن ثم فهو كائن حى . وهو كذلك فى تطور وتجدد . لأنه أثر من آثار تلك الحيوات التى لابست الزمان والمكان . وهذان لايستقران على حال . ولهذا فقد كان الأدب فى تطور وتجدد فى كهولته التى نتحدث عنها إلى جانب عناصر التقليد التى انحدرت إليه من ماضيه القديم ولا تزال حية فيه

كان هذا شأنه ، تجدد فى مسايرة الحياة المعاصرة له . وتحجر فى وسائل الأداء والتعبير . وكما تحجرت فيه صور الأداء ، كذلك تحجرت اللغة فى أنفس الناطقين أيضاً . وأصبحت مفرداتها لاتدل على المعنى اللغوى منها فحسب . واندثر ماكان فيها من شحنة وجدانية ، بل لقد سار النظر إلى العبارات وإلى فهمها فهما إجماليا . ونظن الفقرة الأخيرة هذه فى حاجة إلى توضيح . فلنضرب لها مثلا . قال بعض الشعراء من قصيدة يحيى مؤتمرا جغرافيا

يا موكب العلم قف فى أرض منف به يناج مهداً ويذكر للصبا شانا

كان المستمع إلى هذا البيت لايعنيه منه إلا معناه على وجه الإجمال . وهو أن العلم نشأ أول مانشأ فى مصر القديمة . دون أن يلتفت إلى النداء إلى موكب العلم . ولا إلى الأمر بوقوفه فى أرض منفيس تلك المدينة المصرية القديمة . ولا إلى مناجاته لمهده الأول . ولا إلى ما كان له من ذكرى شأنه فى صباه ، وحسب القارئ أو المستمع المعنى المجمل الذى أشرنا إليه

للكلام بقية

محمد عثمان الصمدي

ديوان مجد الاسلام

المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

{ تابع }

اليهود والمنافقون (١)

دعا فأجابوا ، والقلوب صوادف   وقالوا استقمنا والهوى متجانف (٢)
مضى العهد لا حرب تقام ولا أذى   يرام ، ولا بغى عن الحق صارف
لهم دمهم والدين والمال ما وفوا   فإن غدروا فالسيف واف مساعف
سياسة من لا يخدع القول رأيه   ولا يزدهيه باطل منه زائف
رسول له من حكمة الوحى عاصم   ومن نوره فى ظلمة الرأى كاشف
يسالم من أحبارهم وسراتهم   رجالا ، لهم فى السلم رأى مخالف
يغيظهم الإسلام ، حتى كأنما   هو الموت أو عاد من الخطب جارف

إذا هتف الداعى به اهتاج ناقم   وأعول محزون ، وأجفل خائف
إذا ما تردى فى الضلالة جاهل   فما عذر من يأبى الهدى وهو عارف ؟
يقولون قول الزور ـ لا علم عندنا   كفى القوم علما ما تضم المصاحف
لهم من سنا التوراة هاد وللعمى   ركام على أبصارهم متكاثف
دنا الحق من بهتانهم ورمى بهم   إلى الأمد الأقصى هوى متقاذف
عنا ابن أبى من هوى التاج لاعج   وطاف به من نشوة الملك طائف
جرى را كضامل ء العنانين فانتحى   له قدر ألقى به وهو راسف (٣)
فما مثله فى مشهد الإفك فارح   ولا مثله فى مشهد الحق آسف
ظنون يعفيها (٤) اليقين ، ودولة   من الوهم تذروها الرياح العواصف
يهيب بأضغان اليهود ، تشبها   عداوة قوم شرهم متضاعف
وما برح الحبر السمين (٥) يغرهم   ويأكل من أموالهم ما يصادف
أعدوا له المرعى فراح مبيلا (٦)   كظلنك بالخنزير واتاه عالف
بنوه بجنبيه ، وبريح ماشيا
إذا اضطربت منه الشوى والروانف (٧)
رماهم بها عمياء ، لم يرم معشرا   بأمثالها أحبارهم والأساقف
فقالوا غوى ابن الصلت وانفض جمعهم
يريدون (كعبا) وهو خزيان كاسف
رمى (الصادق الهادى) لفيفة نفسه   بصادعة تنشق منها اللفائف (٨)
فأما (لبيد (٩)) فاستعان بسحره   رويدا أخا (هاروت) تلك الطرائف

(١) لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحدا ، وان دهمه عـدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم ، فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى (قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر) ولما نزلت (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ـ الآية) قال قائلهم — حيي ابن أخطب فى رواية : يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى ، فأنزل الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء — الآية) وكانوا يسألون النبي عن الروح ، ويقولون مم خلق الله ؟ أنسب لنا ربك. يريدون تعجيزه وإثارته

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيي ، وأبو ياسر ، وجدى — بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشراف ، وعبد الله بن صوريا ، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله ابن سلام

وكان حيى بن أخطب عظيم بنى النضير ، وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكانت من سبايا النبي فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها ، وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبى عند أم سليم ، أم أنس — حتى اهتدت وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوجها

وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كبيرهم ، وهو يومئذ من أعظم أشراف المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكا عليهم ، فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده

والمنافقون قوم من اليهود ، دخلوا فى الإسلام لما قوى أمره خشية القتل ، وبقى هواهم مع قومهم

(٢) المتجانف المائل (نعيم)

(٢) رسف الرجل مشى مشى المقيد

(٤) يمحوها من عفت الريح المنزل والأثر

(٥) هو مالك بن الصلت من أحبارهم ، كان يبغض النبي بغضا شديدا ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم . قال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنشدك الله ، أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، إنك الحبر السمين ، سمنت من المال الذى يطعمك اليهود ، فغضب والتفت إلى عمر قائلا : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فكان هذا كفرا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ، وعلم اليهود فنزعوا منه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف

(٦) المهبل الكثير اللحم

(٧) الشوى اليدان والرجلان والأطراف ، والروانف أسافل الإلية القائم

(٨) جمع لفيفة ما يلف به الرجل وغيره ، والمعنى ظاهر

(٩) لبيد بن الأعصم ، قيل إنه عمل سحرا للنبى ، اتخذ له مثالا على صورته من شمع ، وقيل من عجين ، ثم غرز فيه إبرا ، وجعل معه وترا عقد فيه إحدى عشرة عقدة ، . كان للنبي خادم يهودى حمل شيئا من شعره الشريف الى لبيد ، فصنع السحر ووضعه فى بئر (ذروان) ونزل جبريل فأخبر النبى فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر

أعندك أن السحر لله غالب   تأمل لبيد أي مهوى تشارف(١٠)
و (شاس بن قيس) هاجها جاهلية   الذكر تطيرها الحلام الرواجف
يقلب بين الأوس والخزرج الثرى   وقد وشجت فيه العروق العواطف
يذكرهم (يوم البعاث) وما جنت   رقاق المواضى والرماح الرواعف
غلت نخوات القوم مما استفزهم   وراجعهم من عازب الرأى سالف
وخفوا يريدون القتال ، فردهم   نبى يرد الشر والشر زاحف
دعاهم إلى الحسنى ، فأقبل بعضهم   يعانق بعضا ، والدموع ذوارف
أتى ابن سلام (١١) يؤثر الحق ملة   وينظر ما تأتى النفوس الموازف
تسلل يستخفى ، وأقبل قومه   وللؤم منهم ما تضم الملاحف
فقيل اشهدوا! قالوا: عرفناه سيدا   تجل مساعيه ، وتعلو المواقف
هو المرء ، لا نأبى من الدين ما ارتضى   ولا ندع الأمر الذى هو آلف
فلما رأوه خارجا ، ينطق التى   هى الحق قالوا : عاثر الرأى عاسف
ظننا به خيرا ، ولا خير فى امرئ   أبوه أبو سوء على الشر عاكف
ظلمناه لم يوصف بما هو أهله   فماذا له إن أخطأ الرشد واصف ؟
تراموا بألقاب(١٢) إذا ما تتابعت   تتابع شؤبوب(١٣) من الذم واكف

أهاب أبو أيوب ردوا حلومكم   أعند رسول الله تكنى المآزف(١٤)
وقال (الرسول) استشعروا(١٥) الحلم إنما   يسود ويستعلى الحليم الملاطف
أتؤذون (عبدالله) أن يتبع الهدى   فياويحه من مؤمن ، ما يقارف(١٦)
أهذا هو العهد الذى كان بيننا   أهذا الذى يجنى العقيد المحالف(١٧)
تولوا غضابا ، ما تثوب(١٨) نفوسهم   ولا ترعوى أحقادهم والكتائف(١٩)
يذيعون مكروه الحديث وما عسى   يقولون والفرقان بالحق هاتف ؟
إذا بعثوا من باطل القول فتنة   تلقفها من صادق الوحى خاطف
يشايعهم فى القوم كل منافق   إلى كل ذى مشنوءة(٢٠) هو دالف
شديد الأذى يبدى من القول زخرفا   وكالسم منه ما توارى الزخارف
زحالف سوء ما يكف دبيبها   وأهون شئ أن تدب الزحالف(٢١)
أقاموا على ظلم ، كأن لم يكن لهم   من العدل يوما لا محالة آزف
لكل أناس يعكفون على الأذى   معاطب من أخلاقهم ومتالف
رويد يهود! هل لها فى حصونها   من البأس إلا ما تظن السلاحف
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا   ولن يثبت البنيان والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة   فلا العيش فياح(٢٢) ولا الظل وارف(٢٣)

(يتبع)

---

(١٠) شارف الرجل الشئ اطلع عليه من فوق

(١١) كان شاس بن قيس شديد الطعن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، مر يوما على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رآى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع بنو قيلة ، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال : اعمد إليهم ، واجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث — يوم الحرب التى كانت بينهم — وما كان فيه ، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتال . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فى من معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : — يامعشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر الخ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج . ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا — الآية)

(١٢) جاء النبى فى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ورجع فقال : لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم ، فأخبئنى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك ثم ادعهم فاسألهم عنى . وخذ عليهم ميثاقا أنى إذا اتبعتك . وآمنت بك اتبعوك وآمنوا . فأرسل إليهم فجاءوا . وقال لهم . يا معشر يهود . اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقا . وأنى جئتكم بحق . أسلموا . فأبوا . قال فأى رجل فيكم ابن سلام ؟ قالوا سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال: أرأيتم ان أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل = على تؤمنوا بى . قالوا : نعم . فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج إليهم فخرج وأظهر إسلامه . ثم دعاهم الى الإسلام . وطفق يؤنبهم لإنكار ما علموا من أمر النبوة فى التوراة . فقالوا : كذبت أنت شرنا وابن شرنا . ونزلت فى ذلك (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به . وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم . ان الله لا يهدى القوم الظالمين — الآية)

(١٣) الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم

(١٤) الشؤبوب الدفعة من المطر

(١٥) الأقذار

(١٦) استشعر الرجل الشئ جعله شعاره

(١٧) قارف الذنب خالطه

(١٨) المعاقد والمعاهد

(١٩) ثاب رجع بعد ذهابه

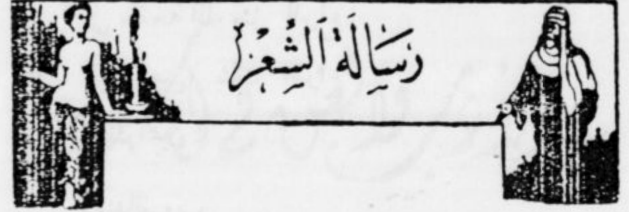
(٢٠) جمع كتيفة . السخيمة والحقد

(٢١) الشنوءة البغض والعداوة

(٢٢) دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل

(٢٣) الفياح الواسع

(٢٤) وورف الظل اتسع وطال وامتد



جيش ... وشعب

للاستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن

ألا قل للنيام كفى المنام   إرادات الشعوب لها احترام
زمان الظلم والطغيان ولى   وليس عليك بازمن السلام!
لكل رواية قامت ستار.   نعم! ولكل مهزلة ختام
فقل للحالمين على دوام   وظنوا أنهم خلدوا وداموا
فراحوا فى أباطيل الأمانى   وتاهوا فى مساربها وهاموا
وظنوا أنهم بلغوا مكانا   حصينا لا ينال ولا يرام
كذبتم فالليالى ساهرات   وعين الله عنكم لا تنام

* * *

تعالى الله ليس يدوم شئ   على حال .. ولله الدوام
مضت بكم الحوادث وهى حبلى   ومرت إثرها العبر الجسام
وأنتم فى ضلالتكم رقود   وفى ظلمات شهوتكم نيام
تطاول عهدكم بالضيم حتى   كأنكمو أمنتم أن تضاموا
أكان لكم مع الأيام عهد   تؤكده المواثق والذمام؟
أكان لكم مع الأحداث حلف   بأن مقامكم قدس حرام؟
فهل منعتكمو يوما بروج   مشيدة، وأسوار ضخام؟
وهل حرستكمو يوما سيوف   وهل عصمتكمو يوما سهام؟
وما تغنى الحراسة عن بناء   تزلزله المفاسد والأثام؟
وما تجدى الحراسة فى لواء   تمزقه العواصف والركام؟
سياج الملك معدلة وتقوى   وطهر فى الضمائر واحتشام
وعفة طعمة لا يحتويها   شراب فى المحارم أو طعام
ومن لم يعتصم بالعدل يوما   فليس له على الدنيا اعتصام

* * *

أيا أرض الكنانة قد تجلت   لك الآفاق، وانقشع القتام
ولاحت فى السماء خيوط فجر   له فى مطلع الشرق ابتسام
وخر على ثراك الطهر رجس   وذابت موجة.. واندك هام
وكانت ثورة لك لم يخضب   دم فيها، ولم يضرب حسام
تولتها السواعد من رجال   صناعتهم فعال.. لا كلام
يثرثر بالسياسة كل لسن   وهم صمتوا لنيتهم وصاموا
لقد فاض الإناء بهم ففاضوا   وقام المجد يدعوهم فقاموا
فلسطين الشهيدة لقنتهم   فثارات البطولة لا تنام
لقد كانت ذخيرتهم سلاحا   تلملمه الموائد.. والمدام
ويجمعه من الشهوات قوم   صغار فى منازعهم.. لئام
وقيل بطانة تحمى بظهر   خفافيش يشجعها الظلام..

* * *

حمى الله البطولة فى رجال   همو ركن الكنانة والدعام
هم الجيش الذى صنعته مصر   وصاغته مآثرها العظام
هم النجباء وحدهم (نجيب)   وهم همم تألفها همام
لقد غضبت كرامتهم لمصر   وويل الظلم إن غضب الكرام

* * *

حماك الله من جيش أبى   إرادته مضاء واعتزام
ألم تك ناطقا بلسان شعب   تأجج بين جنبيه الضرام؟
إذا الأحرار بالشكوى أبانوا   فإن عذابهم أبدا غرام
وإن كتبوا فسخط واحتدام   وإن خطبوا فعسف وانتقام
لقد كذب الطغاة غداة ظنوا   بأن النقد يمسكه اللجام
هبوهم قيدوا الأقلام منا   فهل للنفس إن ثارت خطام

* * *

تولى عهد مفسدة وظلم   وبان الحق وانحسر اللثام
وعهد عبادة الأشخاص ولى   فما الدستور أصنام تقام
أقيموا الحق بينكمو متينا   فليس بغيره لكمو قوام
ومحوا كل ثرثار بغيض   بضاعته اللجاجة والخصام
فما فى الوقت متسع لهذر   يؤججه السباب والاتهام
أهزل حين جد الجد فيكم   وفوضى حين طوقكم نظام؟
فما «التطهير» ألفاظ عذاب   وتعبير يزخرفه الكلام
دعوا الأقوال إنا قد سئمنا   وليس لهن يتسع المقام

محمد عبد الغنى حسن

من بعيد

للأستاذ محمد محمود عماد

غدا ترحلين
لشط الجمال ومهد الفتون
وبحر تميس عليه السفين
ووحدى أبقى بقيد الظنون
ولا تدركين

وقر القرار
ولم تترکی لی مجال الخيار
ولكن أردت فشط المزار
وعز اللقاء وعز الجوار
وكان اليقين

قرار عسير
وليس تقبله باليسير
ولكن تقبلته بالسرور
عسى تبصرين بوجهى الحبور
ولا تألمين

وتحت السماء
لقد كنت أرجو هناك اللقاء
ولى فى وجودك ظل وماء
ولكن نريد فيأبى القضاء
وتنفردين

قرار يهون
يهونه للفؤاد الحزين
وجودك فى جوها تمرحين
وأنك فى شمسها تنتشين
إذا تسبحين!

بتلك البقاع
إذا سار يوما هناك الشراع
على صفحة الماء مثل اليراع
فحييه عنى بتلك الذراع
وتلك اليمين!

وعند الغروب
إذا تبصرين الشعاع الغريب
يذيب بأمواهها ما يذيب
ألا فاذكرينى، إنى قريب
إذا تذكرين

وإما اندفق
بخدك فجر عليك انبثق
ألا حدق حدق فى الشفق
فقلبى هناك.. هناك احترق
بشوق دفين!

وعند المسير
إذا ما رأيت خفاف الطيور
تجوب السماء وتعلو الصخور
ألا حمليها السلام الوفير
لإلف حنون

حديث القلوب
حديث لعمرى عجيب.. عجيب
يجمعنا فى شعاع المغيب
كلانا لديه سميع مجيب
لهمس الشجون

ويا طفلتى!
سأفتقد البدر فى ليلتى
وأفتقد الإلف فى جولتى
إلى أن أضمك فى قبلتى
متى ترجعين

محمد محمود عماد

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

يجب أن يكون « الأدب » قد استقبل عهداً جديداً ، تتحول فيه مقاييسه وأساليبه ومظاهر إنتاجه ، بحيث تجرى مع هذه النهضة الجديدة وتوجهها

فالأدب فى طبيعته الحقة صدى النفوس وصوت المشاعر ومظهر الأنات الكامنة فى الأعماق ، وقد أصيب خلال الفترة الماضية بما أصيبت به الحياة السياسية والاجتماعية من اضطراب وفساد . . ، وتغلفت روحه الفنية بحجاب كثيف من النفاق والمداجاة والدجل والأوهام

ولا شك أن فريقا من الكتاب قد آمن برسالة الأدب ، وحاول خلال العهد الذى انتشر فيه الضباب أن يتكلم وأن يقول ، ولكنه كان مضطرا لأن يستعمل الرمز ، وأن يصطنع الإيماء ، وأن يتخذ من اللف والدوران وسيلة إلى الإفضاء وإن لم تكن وسيلة للافصاح

يجب أن يكون (٢٤ يوليه ١٩٥٢) حدا فصلا فى تاريخ مصر بين عهد وعهد ، وبين جيل وجيل ، فقد انتهت به مرحلة الانتقال العصيبة القاسية التى شهدت مصر فيها أهوالا من الطغيان والأحقاد والآثام

كان يوم ٢٤ يولية ختاما لمرحلة تمزقت فيها وحدة الأمة ، واستشرى الفساد ، واشرأبت الفتنة ، وتنازعت الناس عوامل الوصولية والرشوة والاستعلاء

وكانت الحزبية ، والسياسة والاستعمار والوصولية ، من العوامل البعيدة المدى فى الأدب والفكر والفن

أما اليوم فقد بدأ عهد جديد ، يتاح للأدب فيه أن يؤدى رسالته على أكمل وجه ، فى حرية كاملة ، وهو عهد انتهت به القصة الداعرة ، والكلمة المكشوفة ، وانتهى عهد إغراء القراء ، وهدهدة غرائزهم ، .. والنزول إلى مستواهم ، ورسم الصور العارية ، ونشر الكتابات المثيرة

يجب أن يكون عهد الأدب الرخيص والأفكار البهلوانية التافهة قد انتهى مع العهد نفسه ، ويجب أن يستجيب الأدب لعهد القوة والعزة ، وأن ينفتح لروح الحرية ، فينشئ الأدباء فنونا من القول فيها حماسة ورجولة وتوجيه وإصلاح

لقد دبت فى مصر حياة جديدة ، خصبة غاية الخصوبة ، مشرقة كل الإشراق ، تريد أن تستنقذ الكنانة العزيزة من الوهدة التى انحدرت إليها وكادت أن تتردى فيها ... ، والكتاب رسل الإصلاح والخير والحق والجمال . . وهم سناد النهضات ، وأعمدة الكفاح . . وإذا كان بعض الكتاب قد أسروا بأنهم كانوا لا يستطيعون الإعلان عما يريدون خلال الفترة العصيبة التى مرت بالبلاد من قبل ، فقد جاء الوقت الذى يمكن توجيه الشعب فيه إلى العمل الصالح ، والحياة الطيبة ، والارتفاع فوق الصغائر والدنايا والشهوات والآثام

لقد استجاب الشعب للوثبة الجديدة فبرهن على ضمير نقى، مازال حيا ، فعلى الكتاب أن يمدوا هذا الضمير بالنور والنار ، والحب والخير

مذكرات الرافعى

ها هوذا الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، مؤرخ الجيل ، يضع أخيراً بين أيدينا ، مذكراته السياسية بعد أن أرخ مصر منذ أول الحركة القومية ، فى بضعة عشر مجلدا ، تعتبر فى مقدمة الأبحاث التاريخية الخالصة ، المجردة من الهوى ، والغاية ، التى ظهرت فى عصرنا الحديث

ومع أن عبد الرحمن الرافعى من أقطاب الحزب الوطنى ، ومع أنه عاش فى تلك الفترة المظلمة التى ضعفت قدرة الناس فيها عن الجهر بالحقائق ، واصطنعوا المداورة فى الكتابة حتى لا تمس هذا أو ذاك ، إلا أنه كتب التاريخ فى صراحة وجلاء ودون محاباة ، ووضع حياته ومصالحه فى كفة ، والحقائق فى الكفة الأخرى .. وقامر بالأولى وضيعها فى سبيل الأخرى

والرافعى بعيد الأثر فى جذور النهضة المعاصرة ؛ فقد كان أول من تحدث فى حرية عن سعد زغلول وفؤاد والأحزاب السياسية

القائمة ، وكانت لكتاباته نتائج جعلته موضع الاضطهاد من جميع الجهات ، كرهه الإنجليز وكرهه رجال القصر ، وكرهه رجال الأحزاب ، لأنه كشف عنهم فى صراحة وكشف عن عيوبهم وأخطائهم

رجل يفعل مثل هذا لابد أن يكون قد تجرد من مطامع دنياه ، فهو على حد المثل الذى يروى عن عمر « إن كلمة الحق لم تدع لى صديقا » ، لقد وهب الرافعى نفسه لتاريخ مصر ، وآلى على نفسه أن يحرره خالصا بالحق وللحق ، وافتدى به كل مطمع من مطامع الدنيا . وأنفق على طبع هذا التاريخ الضخم من جيبه الخاص ، ومن رزقه وليس له مورد إلا مكتب المحامى

ولا شك أن الرافعى مثل من أمثلة العلماء الأبرار المتجردين ، أولئك الذين عاشوا داخل المعامل السنوات الطويلة فى سبيل تحقيق عملية علمية خطيرة

كذلك فعل الرافعى ، وضحى بكل شئ ، بمنصب المستشار والوزير والنائب والشيخ وعضوية الشركات فى سبيل شئ واحد ، أن يكتب تاريخ مصر خالصا صادقا

وكان وهو الوطنى حزبياً لا يمالئ على حساب مذهبه السياسى ؛ ولا يفهم العمل السياسى على أنه حزبية حمقاء

والرافعى من أخلص تلاميذ « محمد فريد » ، ومن أوفى الناس له ، وهو على جانب كبير من التواضع والحياء ، وقد كان يركب الترام وهو وزير ، وكافح فى ميدان السياسة كفاحا ضخما بدا منذ ١٩٢٤ حتى اليوم واشترك قبل ذلك فى ثورة ١٩١٩ ، وكان بعيد الأثر فى تكوين الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥

المسلمون

صدر العدد العاشر من مجلة « المسلمون » وبذلك تكون هذه المجلة الشهرية التى يصدرها الأستاذ سعيد رمضان قد أتمت عاما كاملا

وقد تفضل صاحبها فأهدى إلى بعض أعداد هذه المجموعة فوجدتها على جانب كبير من القوة فى التحرير ، والجمال فى التنسيق ، وقد لقيت « المسلمون » منذ صدور العدد الأول منها تقدير قراء العربية وإعجابهم من إندونيسيا إلى المغرب ، إذ كانت بحق امتداداً طبيعيا للشهاب التى كان يصدرها الإمام الشهيد حسن البنا ، والتى هى صورة من مجلة المنار التى كان يصدرها السيد رشيد رضا من قبل

وقد سارت « المسلمون » على نسق « الشهاب » ونظامه وحجمه ، واتخذت نفس الأهداف ، أهداف الدعوة إلى الفكرة الإسلامية وتبليغها وعرضها على طريقة مستحدثة ، وقد استكتبت طائفة من خيرة المعنيين بالثقافة الإسلامية وبالدعوة إلى إصلاح المجتمع عن طريق الإسلام ، وقد انتظم فهارس أعدادها عدد كبير من أقطاب الفكر والأدب فى مصر والشام والعراق أمثال معروف الدواليبى ومصطفى السباعى ومصطفى الزرقا ، وأبو زهرة ، والبهى الخولى ومحب الدين الخطيب

وليس فى ذلك غرابة ، فالأستاذ سعيد رمضان من حوارى الإمام الشهيد ، ومن الشباب الذى نبغ فى الخطابة منذ سن باكر حتى كان صورة قريبة فى خطابته من عميد الإخوان ورائدهم الأول ، وقد كان سكرتيراً لتحرير الشهاب إبان صدوره ، وجاب بلاد الشرق العربى وأقام فترة من الوقت فى الباكستان ، وله أصدقاء وقراء فى إندونيسيا والعراق وسوريا .. وهو يعرف جميع زعماء العالم الإسلامى

وتمتاز « المسلمون » بروح التناسق والوحدة بين موضوعاتها ودراساتها فهى مجلة توجيهية خالصة ، تعرض الإسلام على أنه نظام صالح للتطبيق ، وتواجه المشكلات الاجتماعية فى الشرق مواجهة البحث والدراسة والعلاج

وإنا لنتنهز هذه الفرصة فنهنئ صاحبها على مجهوده البارز الواضح فى باب « أفق العالم الإسلامى » ونرجو ألا يصر على أن تظل قاصرة على المشتركين وحدهم ، وأن يعرضها على القراء عامة فهو حتما سيجد بينهم من يرحب بها ويقرأها بشغف

... والفن

وكان للفن حظ فى النهضة الجديدة التى بدأت فى ٢٤ يولية ١٩٥٢ ... هذا التاريخ الذى يؤرخ به عهد جديد لمصر ... فقد قرأنا فى بعض الصحف أن النية متجهة إلى أن ينصب على قاعدة التمثال القائمة فى ميدان الإسماعيلية تمثال للبطل أحمد عرابى ، أول جندى رفع رأسه فى وجهة الغاصب ، وجهر بكلمة الحق فى



ذكرى ورجاء فى مناسبة العدد الألفى للرسالة (١)

بعد أسابيع .. يطالع قراء الرسالة العصماء عددها الألفى ، ومجلة الرسالة تعد فى طليعة المجلات النابضة بالآداب الرفيعة ، الناهضة بكل ما استحدث فى الضاد من علوم وفنون

وغنى عن البيان أن لصاحبها الأستاذ أحمد حسن الزيات أكبر الفضل فى إبرازها بتلك السمة الأخاذة الرائعة التى وضعتها فى مقام الصدارة من الأدب الحى

وللأستاذ الزيات مكانته الملحوظة ، لا فى مصر وحدها بل فى الأقطار الشقيقة عامة وسائر الديار الناطقة بلغة القرآن ، بما برز فيه من أدب عال ، وأسلوب جزل رصين ، قوى البيان ، راسخ البنيان ، سديد الهدف ، بعيد المرامى ، هذا إلى ما عرف عنه من خلق عظيم ، وذوق سليم ، وغيرة إسلامية قومية وطنية

وأشهد أننى ما طالعت فاتحة مقال ، بارع الاستهلال ، فى جميع الأحوال لأستاذنا الزيات ، إلا وجدت حافزاً قويا يحفزنى لإتمام المقال ، حتى لم أعد أقنع بما ألفه وزفه للعربية الفصحى من كتب قيمة جمعتها وقرأتها مرات ، ومازلت أطلب المزيد منها غير أنى أحب أن تفسح رسالتنا الغراء صدرها الرحيب لبعض الملاحظات التى نعرضها لنذكرها والذكرى تنفع المؤمنين

كانت الرسالة فى أول عهدنا بها ، أفسح مجالا ، وأكبر حجما ، وأقرب منالا ، فلما عطلت الحرب الأخيرة موارد الورق ، وضنت على الصحف والمجلات بوفرته ، ضاق النطاق ، وشحت الأوراق ، حتى عاد العدد من المجلة لا يتسع لأكثر الموضوعات . وعشاق الرسالة يحبون أن تكون مجلتهم الحبيبة ، جامعتهم العامة ، يلتقون فيها بخواطرهم ، ويتبادلون نواحى الفكر المختلفة ، فى الآداب والعلوم والاجتماع

وفى باب (البريد الأدبى) مجال ضيق الحدود ، لا يتسع لأكثر من ثلاث رسائل فى غالبية الأعداد . وباب القصص الغربية والمصرية كسابق العهد — مجال واسع لا يزال شاغرا فى مجلتنا الأثيرة

ولقد كانت وما زالت مجلة الرسالة تعتبر مجلة الخاصة من الممتازين بالثقافة العالية ؛ لهذا أصبحنا لا نجدها إلا فى أماكن محدودة — يوم صدورها ، ولا تكاد تطالعنا بغير المقالات الخاصة لفئة خاصة ، من كتاب وأدباء الأقطار العربية ، وقد تتغير الأسماء وتتجدد الأقلام ولكن فى النذر اليسير منها

فإذا ما عن لأديب من عشاق الرسالة — وكثير ما هم — أن ينشر على صفحاتها بعض ما يعتز ويعتد به من إنتاجه — بعد الكد وطول البحث ، أو دفعه دافع من غيرة أدبية ، أو حب استطلاع علمى ، إلى الفزع إليها ، ضنت وما اطمأنت لغير الأسماء اللامعة

ولو جاز لأديب يعيش فى عزلة مثلى ، أن يكتب فى معظم الصحف والمجلات العربية ، مقالات أدبية ، وقصائد ومقطوعات شعرية ، قرابة ربع قرن مضى من الزمان.. أقول لو جاز له ذلك ، لما استطاع أن يجتاز امتحان الرسالة العسير !!

(أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس)

وفى البريد الأدبى بالعدد ٩٩٣ تحت عنوان (دار العلوم) كلمة للأستاذ (محمد على جمعة الشايب) فيها إشارة لبعض ما توجهنا إليه

( ) يصدر بتاريخ الاثنين أول سبتمبر

وجه المستبد ، .. وقد ظل اسم عرابى منكورا ، لا يجوز الكتابة عنه ، ولا تمجيده ، ولا الاحتفال به ..، حتى جاء اليوم الذى يرد فيه عرابى مكانه كبطل للتحرير قال للحاكم الظالم « لن نستعبد بعد اليوم »

وأوقد الشعلة الأولى التى رفعها الجيش سنة ١٨٨١ فى سبيل تحرير مصر ؛ حتى جاء «محمد نجيب» بعد سبعين عاما فأتم الرسالة

ولا شك أن المثالين سيتبارون فى سبيل صناعة تمثال غاية فى الروعة لبطل الجيش الأول ..، ولابد أن هذه النهضة فى الفن ستتصل برجال طالما غمط حقهم وكانوا يقفون دائما فى وجه الظالم أمثال عمر مكرم ومحمد كريم وغيرهم

أنور الجندى

فإذا لم تكن مجلة الرسالة الناهضة ، هى الملجأ الأمين ، والمفزع المنصف ، لإبراز المواهب وصقل الأفكار وشحذ القرائح . فمن للشعر والشعراء والأدب والأدباء الذين ضاقوا بتدهور سوق الأدب ، وقصوره على النواحى الماجنة المبتذلة ، لغالبية الناشئين من أدباء اليوم والمطمورين من شعراء الجيل

لقد حمدنا لأستاذنا الزيات ماأضفاه على مجلة الأزهر من جمال ، وما أضافه إليها من بحوث قوية وأبواب آية فى الروعة ومتانة الصياغة ، وطرافة النواحى الدينية والتاريخية والأدبية والاجتماعية، فبعد أن كانت مجلة الأزهر مقصورة على طائفة من أهل العلم ، والبحث الدينى ، أصبحت مجلة الجميع ! أما آن للرسالة أن نجدها أيضا مجلة الجميع وملتقى الأدباء والشعراء فى مصر والأقطار العربية على السواء ؟

وأذكر لصاحب الرسالة قوله فى مقال : (الرسالة فى عامها الحادى عشر) « وإذا قدر الله للرسالة أن تخرج من محنة هذه الحرب وفيها حشاشة نفس ، كانت حرية بعد ذلك أن تستهين بكل صعب ، وتثبت على كل خطب » إلى أن يقول : « ويومئذ يتسع لها المجال فتشارك جاهدة مخلصة فى رأب ما تصدع وتجديد ما تهدم » وإنا لمنتظرون وعلى الله قصد السبيل

سلامة خاطر

« الرسالة » تشكر للأستاذ الكاتب حسن ظنه وجمال رأيه ، وتعده أن نعمل جاهدين لتحقيق ما أراد وتنفيذ ما اقترح

الصحافة الأدبية فى العراق

اتصل بى كثير من أدباء وشعراء البحرين والكويت والقطيف وعدن بريديا طالبين منى إرسال بعض صحف العراق الأدبية للاطلاع على الحركة الفكرية الحديثة ، لأنهم يجهلون كل شئ عن الأدب العراقى المعاصر ، ولا يعرفون شيئا عن أدباء وشعراء الشباب إلا القليل الذى لا يبل الصدى ولا ينقع الغلة ، فهم مثلا لا يستطيعون أن يرسموا خطوطا واضحة عن شاعر أو أديب عراقى لأنهم لم يقرأوا له ألبتة ، ومن كان ينشر منهم فى صحف بغداد السيارة ، فهم يعرفونه لأن صحف العراق لا تصل لهم أبدا؛ أما الذين ينشرون فى صحف مصر ولبنان وسورية والمهجر العربى فى أمريكا فهم فئة قليلة جدا ، تكاد تعد بأصابع اليد الواحدة ؛ وفى الوقت نفسه كتبت إليهم جميعا أعتذر عن تلك المهمة لعدم وجود مجلة أدبية راقية تمثل الأدب العراقى المعاصر خير تمثيل تستحق أن تكون سفيرا بيننا وبين البلدان العربية الأخرى ، وكاد الأمر ينتهى عند هذا الحد لو لم يصل العراق هذا الأسبوع بعض الأدباء المعروفين ، منهم شاعر القطيف الأستاذ محمد سعيد المسلم ، والأستاذ عبد الله الطائى من البحرين . وفى معرض الحديث عن الأدب العراقى عاب الطائى علينا خلو البلاد من صحيفة أدبية راقية ، وأيده الأستاذ المسلم ، فأخبرتهما أننى أحسست بهذا النقص قبلهما . لذلك منذ أكثر من عام قدمت طلبا إلى مديرية الدعاية العامة حول منحى الرخصة اللازمة لإصدار مجلة أسبوعية أدبية باسم « الخميلة » لتكون منبرا حرا للآراء ، وبعد إجراء المعاملات الرسمية من الشرطة وإكمالها حفظت المعاملة لأن وزير الداخلية لم يوافق على ذلك فى حين أنه وافق على إعطاء الترخيص — الامتياز — اللازم لكل من هب ودب من الأميين وأنصاف المثقفين . . فسكت على مضض ، ثم قابلت صديقى الأستاذ المجاهد سلمان الصفوانى صاحب جريدة «اليقظة» الغراء وشكوت له معاملة الدعاية معى ، فأجابنى بالحرف الواحد: « إنك يا أستاذ لست بأمى ولا بمشعوذ » ثم لجأت إلى صديقى سعادة الأستاذ محمد جواد الخطيب المحامى عضو البرلمان العراقى وعضو اللجنة العليا فى حزب الاتحاد الدستورى — الحزب الحاكم فى وزارة السعيد — فقال لى إنك شاعر معروف وأديب لك مكانتك فى البلاد العربية ، ويكفى أن « الرسالة » تحمل كل أسبوع نتاج قلمك إلى القراء ، ولكن الحكومة لا توافق على منحك الامتياز . قلت له : لماذا ؟ فى حين أن من أعطيتهم الإجازة اللازمة لا يعرفون حتى كتابة أسمائهم فسكت

ثم رجعت مرة أخرى إلى موظف كبير فى الدولة قلت : يا سيدى إن الحكومة تحاربنى فى رزقى الذى يدر على من قلمى؛ فقال كيف ؟ قلت : إن مدير الدعاية بأمر من وزير الداخلية

منعنى من إصدار مجلة أدبية ، وهى كما تعلم دعاية للأدب العراقى الذى يجب أن يعلن عنه ، لأن الأمة التى لا أدب لها لا قيمة لها ؛ قال : هذا أمر وزارى ، قلت : ما رأيك فى أننى نظمت شكواى فى قصيدة رفعتها إلى الأستاذ الجليل الزيات ، وسأنشرها قريبا ومنها :

أأبا «الرسالة» والحديث كما ترى ... شجن ولولا أن يقال أعادا
لأسلت من شكواى جرحا داميا ... هيهات يلقى فى العراق ضمادا
فى أى مملكة يموت أديبها ... جوعاً وتختزن الكلاب الزادا
فى أى مملكة يقيد شاعر ... ليعيث وغد فى البلاد فسادا

ثم ختمتها بقولى له :

ما زلت فى بغداد أحتمل الأذى ... حتى سئمت من الأذى بغدادا

قال ومتى ستنشرها كاملة ؟ قلت : خلال هذا الشهر

هذه قصة الصحافة الأدبية فى العراق أسوقها شاهداً وأطلب من كل قارئ التعليق عليها أولا ، ثم أريد أن يفهم إخوانى الذين يعتبون على لكونى أنشر فى مصر ولا أحب النشر فى العراق ، أننى لا أحب أن أقبر بين ظلال العبودية ، وتحت أقدام أذناب المستعمرين الجهلاء . فهل من سميع ؟

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

جمعية جديدة للمسلمين فى أمريكا الشمالية

وقع الاختيار على عبد الله اجنام من سيدار رابيدز ليكون أول رئيس للجمعية الدولية لمسلمى أمريكا الشمالية التى تألفت هذا الأسبوع

وتهدف الجمعية الجديدة إلى تعزيز أواصر الصداقة والأخوة والتفاهم بين المسلمين فى أمريكا الشمالية ؛ كما تهدف إلى زيادة التفاهم بين المسلمين فى الولايات المتحدة وإخوانهم فى الوطن من ذوى المذاهب الأخرى .

وتعتبر الجمعية أول محاولة للوحدة يبذلها ستون جالية إسلامية فى الولايات المتحدة فضلا عن خمس عشرة جالية أخرى مبثوثة فى أنحاء متفرقة فى كندا .

وقد نهض بعبء تأليف الجمعية الجديدة المندوبون الخمسمائة الذين مثلوا مسلمى الولايات المتحدة وكندا فى المؤتمر الذى عقد تحت إشراف جمعية الشبان المسلمين فى أمريكا — ومقرها فى سيدار رابيدز — واستغرق ثلاثة أيام .

هذا وقد ألقى الدكتور محمود حب الله الأستاذ بالجامعة الأزهرية المنتدب لإدارة معهد الدراسات الإسلامية بوشنطن كلمة فى المؤتمر قال فيها إن اتباع التعاليم السماوية سيؤدى إلى خلق عالم ينظر فيه الناس إلى أنفسهم كأعضاء فى أسرة دولية قبل أن يكونوا أبناء وطن واحد .

شكوى لطلاب العلم من وزارة الداخلية

كانت وزارة الداخلية فى العهد البائد لا تؤمن بالشباب ؛ ولولا ذلك لما منعت عشرات الطلاب المصريين من السفر إلى الخارج للاستزادة من العلم ، متعللة فى ذلك بأتفه الأسباب . وهناك طلاب كثيرون فاتتهم الفرص التى لن تعود ، وضاعت عليهم البعثات التى كدوا وجاهدوا فى سبيل الحصول عليها ، وذلك لأن وزارة الداخلية كانت كافرة بإخلاص الجامعيين ، وكل جامعى لديها فهو متهم لا لشئ إلا لأنه جامعى ؛ وهى لهذا كانت تحتاط وتأخذ حذرها ، وعندما يأتيها طلب جواز سفر من أحد الجامعيين كانت تقوم بالتحريات الشاملة الطويلة عن ماضيه وحاضره ومستقبله ! فإذا وجدت أدنى شبهة رفضت فى إصرار التصريح له بالسفر

ألم يكن هذا ظلما للعلم وللمتعلمين ؟

أليس من حق كل مصرى أن يرحل إلى معاهد العلم الأجنبية كى يعود إلى وطنه أكثر قدرة على خدمته ؟

وأنا واحد من هؤلاء الجامعيين ، تخرجت من كلية الآداب ، ومنحت بعثة دراسية من إحدى الحكومات الأوربية ؛ فأعددت العدة للسفر ، وكدت أن أرحل لولا أن علمت من وزارة الداخلية يومئذ أننى ممنوع من السفر ...

أجل ! ولم تبد الوزارة أسباب هذا المنع . ولم أجد أنا له فى صفحة حياتى مبرراً

أيعامل إنسان معاملة المجرمين لا لشئ إلا لأنه يريد أن يتعلم ؟

هذه شكوى جامعى مخلص ، عسى أن تجد فى مجلتكم سبيلا لآذان المسئولين فى هذا العهد الجديد السعيد

م ...



الرسالة الأخيرة

بقلم رالف بلومر

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل الأخطاء ، ووضعوا نصب أعينهم أن يحيدوا عن طريق الأغلاط ؛ ومع ذلك فكثير منهم من يهوى في هاويتها ، ويتردى في حمأتها ؛ بل أصبحت وكأنها من مستلزمات الحياة ؛ أو من ضروريات البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع في نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط في أشراكه وجرائره

بيد أن الأخطاء كثيراً مايمحو بعضها بعضاً . وهنا نرى أن القدر يشاء للبعض أن يجنى من وراء ذلك ربح ... ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من جرائه بل ويهلك

أخذت يد « جرافيل فورلاند » ترتجف ارتجافاً تحت المصباح الكهربائي الموضوع على المكتب ؛ وهو يترع كأسه من شراب البراندى . وما كاد يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس وتمتم : لقد انتهى كل شيء ، وعما قريب سأمسي في حالة أخرى آمن بها كل عدوان الدنيا وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيب يده في درج المكتب وأخرج مظروفاً وضعه نصب عينيه

لقد طالما عاب عليه رئيسه الكولونيل باكستر إهماله وتوانيه ؛ ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح يقدح فيه وينال منه أمام زملائه في الجيش وإخوانه ، وقد قال له فيما قال .... « فورلاند ! . . سوف لاتسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء مادمت حيا . . إن حياتك لمليئة بالأغلاط ، مفعمة بالاخطاء منذ أن أدركت معنى الحياة . وإني أقول لك على رؤوس الملأ : « إن دخولك في رحمة الله أو إلقاءك في قرار الجحيم لن يكون ألبتة سوى نتيجة حتمية لإحدى هذه الغلطات . . . أيها الرجل ! إنك تعيش على الأخطاء ، وستموت من جرائها »

وأطلق فورلاند العنان لأفكاره تحلق في أجواء السنتين الماضيتين ، وهو يكتب عنوان الكولونيل على الظرف ونحى الظروف جانباً ، ثم أمسك بإحدى يديه الرسالة التي كتبها منذ لحظة . بينا كانت يده الأخرى تعبث في حركات عصبية مضطربة بمسدس متوسط الحجم

وراحت يمناه تجريان على كلمات الرسالة

« الكولونيل أ . ه . باكستر

سيدى الكولونيل

أرجو المعذرة ياسيدى إذا وجدتم أن هذا الكتاب لايمت إلى أعمال الجيش بصلة . وسوف أكون — حينما يصلكم هذا — إما في جنة الخلد أو في عذاب السعير . هناك حيث ينال المرء جزاءه من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وآثرتها لأني عجزت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداى الآثمتان من أموال الفرقة التي وكلت بحفظها . ووسد إلى أمر حراستها والعناية بها . ولاعجب إذا وصلك كتابى هذا قبل اكتشاف الحادث ، فذلك ماعملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسي حتى الآن ، لظنى أنى لابدواجد طريق الخلاص الذى ينئيني عن ذلك المأزق الضيق الخانق . وكان مما يغمر نفسى بالأمل ويفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ، وليال كثيرة ، تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد العجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، والليالى قد تصرمت ، وأصبح اليوم المروع الرهيب قاب قوسين أو أدنى ؛ فلايمر الليل حتى يفيض نوره ، ولاتمضى ساعات إلا ويبزغ فجره وترجل شمسه . كل ذلك وأنا كما كنت . . . عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال النقص الذى أحدثته يداى الملوثتان . . فليس أمامى في هذه الحال غير السجن والعار . . سوى الخراب والدمار . . وليس ذلك مما أسينه أو أرضاه

أما عن المبلغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلدك ياسيدى أنه في وسعى إعادته إلى مكانه من الخزانة دون أن يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكنا من وجهة

نظرك ، ولـكن المعجزات لا تحدث فى عصرنا هـذا ياسيدى الـكولونيل ، إنما الأخطاء فحسب هى التى يشيع حدوثها ؛ أو إحداثها إن شئت

وقد تقول : إنه كان فى وسعك أن تقترض المبلغ ؛ غير أنى سوف لا أكون معك إبان اكتشاف الحادث ، بل إن روحى هى الأخرى ستأبى أن تحضرك ، لأنى لا أرضى أن تزعجك . ولا أود أن تهيجك

وإنى على يقين أن رحيلى إلى العالم الآخر هو خير سبيل تطرق ، وأفضـل طريق تسلك ؛ ودعنى أقول لك : وداعا يا سيدى الـكولونيل !

المخلص

جرافيل فورلاند

ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك فى الظرف وختمه ... ثم ألصق عليه طابع البريد . وكان هو يفعل ذلك حالما ساهما ، مفكراً واجما ، تتناوب وجهه الحمرة والصفرة . ترى يديه ترتجف وأصابعه ترتعش .. ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب فى الضمير لسرقته ، أو وخز فى النفس لفعلتـه . بل كان ذلك لأنه لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع العار بعيدا منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من النـكر ، ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة المعبدة للخلاص من الفضيحة ، والاغتسال من العار اللذين سيجرها عليه اكتشاف الحادث . هى رصاصة تخترق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشعل إحدى لفافات التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وإدعاءه الرزانة والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفى وراءه ما يصطخب فى نفسه ويعج من عوامل الرعب والفزع الهائلة .. وقال بلهجة الواثق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريعا .. ما هى إلا ضغطة واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ، بل ويشق على أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى

وأخفى المسدس فى أحد أدراج المـكتب ، ثم تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق البريد ، أى حـظ تعس ذلك الذى يلازمه ؟ من له بمن يمد له يد العون فيرد المال المسلوب قبل أن يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلوم ، هذا الذى يأبى مساعدته وتخليصه من وهـدة العار التى تردى فيها ، وهاوية الدرن الذى تمرغ فيه

وتمتم فورلاند يحدث نفسه :

— ها هو ذا آخر يوم من أيام حياتى ، ينقضى تحت سمعى وبصرى

وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعا إلى مثواه

وهناك أخرج المسدس وأدناه من رأسـه المحموم ، وزم شفتيه ، وغمض عينيه ، وراحت إصبعه تضغط شيئاً فشيئاً وكاد كل شئ ينتهى ، لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سعلة مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألفى سيده منتحيا ناحية من المـكتب جالسا فى تراخ وخمول ، أما المسدس فقد كان مختفيا وراء علبة السجاير

— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة احترام وهو يمد يده إلى سيده برسالة مسجلة ... فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أومأ إليه بالانصراف

وفض الظرف فى عجلة واضطراب فسقطت منه الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه

والتقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بعينين جاحظتين

« سـيدى : لقد أمرنى عمك جيمس . ب . بوييث أن أرسل إليك هذا الـكتاب وبه ألف من الجنيهات ، وهى نتيجة الارتفاع المفاجئ لأسهم شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ممهور بإمضاء مسجل شهير

وأحس فورلاند رغبة ملحة فى أن يرفع عقـيرته بالصياح فرحا وابتهاجاً ، ها هى ذى ألف جنيه فى يده .. ملكه وحده ، لا ينازعه فيها منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سيعيد ما اختلسه فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون أن يعلم أحد .. أية معجزة أية خارقة .. أى حظ سعيد ؟ لقد هزأ بالمعجزات وها هى ذى قد حدثت ، وسخر من الخوارق وها هى ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلا وهو ينظر إلى المال ، لماذا لم يرسله عمه صكا على المصرف ؟ ولكنه عاد وتذكر أن عمه يمقت معاملة البنوك ، بل هو لا يثق بها ولا يأمن لها ، إن عادته دواما أن يدفع بالنقد

وتذكر قول عمه له ذات يوم : « أصغ إلى يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر علينا أى ربح الآن . فإنها ستغدو فى مدى زمن — طال أم قصر — من أعظم الشركات الدولية فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح ... إذن ستترى عليه المبالغ بعد الآن ...

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه فلسا واحداً ، إذا درى بموقفه الدقيق الحرج ؛ إنه — أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة يتلوث بهذا العار ، ويتمرغ فى هذا الرجس . وتقطب جبينه وهو يفكر . . حسنا ! .. سيعيد المال المسروق فتبقى له بعد ئذ أربعمائة جنيه أو تقل ، ولن يكون هناك مايشينه ويعيبه أمام عمه أو يحط من قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ؛ وزأر كأسد جريح ، حينما تذكر الخطاب الذى أرسله الكولونيل بعنوان بيته فى « إيست كوست » ... لامرية أنه سيتسلمه فى الصباح الباكر

وهب واقفاً فى ذعر . . ما الذى بحق الشيطان جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به أن يتريث إلى الصباح ؟ إنه لا يسعه الآن أن يتلافى الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولايمكنه أن يعيد المال ؛ ويزعم أنها مزحة من مزحه ، أو مهزلة أراد بها التسلية واستطلاع ماقد يحدث . فقد يرتاب الكولونيل فى الأمر ، ويجرد الخزانة بعين أخرى . . منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب الذى أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقى فورلاند المسدس فى درج المكتب . ووضع المال فى حرز حريز . ثم تناول قبعته وغادر مثواه إلى صندوق البريد

باللحظ التعس . ويالللأمل الخائب ! ! لقد أفرغت الرسائل التى فى الصندوق منذ عشر دقائق فحسب

وتراءت له أشباح السجن والفضيحة والعار . فجن جنونه . إن مصيره الآن فى يد رجل ، ولو أنه طيب القلب إلا أنه لايلين ولا يرحم فى مثل تلك الأمور . ثم إن عمه جيمس لايتردد فى ازدرائه ولفظه والتبرى منه إذا بلغه خبر جريمته الشنعاء وإثمه الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يجثم فى نهاية الطريق فهرول إليه . وألفاهم هناك فى عجلة من أمرهم وهم يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء ، وثبات الجنان وهو يدلى إليهم بأنه أرسل بمحض الخطأ والتسرع خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم الظرف

فأجاب أحد العمال فى رقة مشوبة بحزم أن إعادة أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه أن مصلحة البريد تعد نفسها مسئولة عن الرسائل حتى تصل إلى المرسلة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد تارة ، ويلين ويتذلل تارة . وكان كل ذلك عبثاً . فلمح إليهم بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع المبلغ حتى أضحى يغرى المرء على مخالفة ضميره والإخلال بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شزراء مليئة بالتهكم والازدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق فى عمله

فخرج فورلاند يلتمس الهواء البارد الرطب عساه يلطف من هاته النار التى تضطرم بين أضلعه اضطراماً ولعله يخمد ذلك السعير الذى يحتدم فى أحشائه احتداماً

وتراقصت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل التى طالما صوبها إليه معرضا به قادحاً فيه « إنك أيها الرجل تعيش على الأخطاء وسوف تموت من جرائها »

وفى مأواه غرق فى مقعده وراح يشحذ ذهنه ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة الجديدة أو عساه يجد طريقا للخلاص مما وقع فيه من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالمه الطاخية على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلا واقترب الفجر وكاد يبزغ . وفورلاند لما يجد بعد حلا لذلك الإشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين جاحظة وجفون مقرحة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين غائرين

ستصل الرسالة إلى الكولونيل بعد بضع ساعات فيقرأها ويدرك كل شئ

ليس هناك سبيل لمنع ذلك ، على الرغم من أن الخطاب لا يزال فى مكتب البريد . يا لله ! كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح

ذلك مستحيلا ، لأن الكولونيل يتسلم رسائله يداً بيد من موزع البريد . وزأر فورلاند يقول :

— لماذا لم أتريث قليلا ؟

واختفى فورلاند المرح الطروب ، واحتل مكانه فورلاند آخر وحشى النظرات . كساه اليأس ثوب الجنون ، وأورثه الهم والقلق حالة التوحش

ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجارح جبار يبغى اختطافه ، ومع ذلك كان فى وسعه أن يتفادى ذلك لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملأ كأسه من الكونياك ورفعها إلى فمه بيد ترتعد فى شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات من الشراب على أرض الغرفة

وانتبه أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد تنفس وبزغ النهار وأضاء . فأخذ يضحك بينا كانت أصابعه تعبث بالأوراق المالية عبثها بشئ تافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتا أن يأخذ منه المال ويودعه الخزانة دون أن يفطن إلى الأمر أحد

يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ... كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليته تريث إلى الصباح ، أو إلى أن أتاه المال من عمه

ونظر إلى الساعة فألفاها تشير إلى التاسعة

ستستلم الكولونيل باكستر الرسالة حالا ... إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس .. وغرق فى مقعده ثم تمتم

— السجن ! ! ! ...

واعتدل فى جلسته بغتة ثم أردف

— سيأتى البوليس بين لحظة وأخرى ... أجل ، سيأتى فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب الذى حدا به إلى الانسلاخ من هذا العالم والتخلص من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والعار والدمار

وضحك مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب وأفرغ فى جوفه كأسين مترعتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة ألا ليتنى تريثت قليلا قبل أن أبعث بهذه الرسالة اللعينة

ثم رفع السلاح إلى رأسه المندى بالعرق البارد فى عزم وإصرار

***

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفرس ويديم النظر فى رسالة سلمها إياه موزع البريد ، وكانت تحمل — فضلا عن عنوان الكولونيل باكستر — ثلاثة أحرف تومئ إلى أن اسم الرسالة مكتوب على الوجه الآخر من الظرف

وزمجر موزع البريد يقول

إنه لا يحمل إسم البلد المرسل إليه ، وقد أعدناه لنقص العنوان. كثير من الناس يقع فى مثل هذه الغلطة ... يا إلهى ! ماهذا ؟!

« وهذا » هذه كانت طلقة نارية دوت فى سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

م ع م

مطبعة الرسالة



العدد ٩٩٩ — ٢٥ اعسطس سنه ١٩٥٢ — السنه العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠١٥

20 me année No 999

Le Caire 25 — 8 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٩ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ ذي الحجة سنة ١٣٧١ — ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

أدب الانحــلال

للأستاذ سيد قطب

« كان مقررا أن يذاع هذا الحديث من محطة الإذاعة المصرية في الساعة الثامنة من مساء اليوم ١٠ من شهر أغسطس ؛ ولكن جو المحطة لم يتطهر بعد الى الحد الذى يسمح باذاعة مثل هذا الحديث ! ان الكثيرين هناك يحسبون أنفسهم مقصودين بوصف العبيد . كما أن الحماية ماتزال مفروضة على الأصوات الدنسة التي تذيع على الناس : « الدنيا سيجارة وكاس » !

أدب الانحلال هو في الغالب أدب العبيد . عبيد الطغيان ، أو عبيد الشهوات . وحين تستذل النفس البشرية لطاغية من طغاة الأرض ، أو لشهوة من شهوات الجسد ؛ فإنها تعجز عن التحليق في جو الحرية الطليق ، وتلصق بتراب الأرض ، وترتكس في وحل المستنقع : مستنقع الشهوة ، أو مستنقع العبودية سواء

فأدب الانحلال على هذا هو أدب العبودية ، وهو لا يروج إلا حين تفرغ الشعوب من الرغبة أو من القدرة على الكفاح في سبيل مثل أعلى . مثل أرفع من شهوة الجسد ، وأعلى من تملق الطغيان ، لتحقيق مطمع صغير ، أو مطمح حقير . . أي عندما تصبح « الدنيا سيجارة وكاس » أو تصبح الحظوة عند الطغاة أمنية المتمنى في دنيا الناس !

عندئذ يظهر في الأمة كتاب ، ويظهر في الأمة شعراء ، ويظهر في الأمة فنانون . . يلبون هذا الفراغ من المثل العليا ، ويمثلون هـذا الارتكاس في حمأة الشهوة أو حمأة العبودية . وعندئذ يستمع الناس إلى هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ؛ لأنهم يصورون مشاعرهم ، ويصورون أحلامهم ، ويزينون لهم الراحة من الكفاح ، والاطمئنان إلى الدعة ، والإخلاد إلى حياة الفراغ والترهل والانحلال

إن هؤلاء الكتاب والشعراء والفنانين ليقومون حينئذ بمهمة تخدير الشعوب وتنويمها . سواء سبحوا بحمد الطغاة ، أوسبحوا بحمد الشهوات . فأما حين يسبحون بحمد الطغاة فهم يزيفون الواقع على الشعوب ، ويخفون عنها شناعة الطغيان وقبحه ، ويصدونها عن الثورة عليه أو الوقوف في وجهه . . وأما حين يسبحون بحمد الشهوات ، فهم يخدرون مشاعر الشعوب ، ويستنفدون طاقتها في الرجس والدنس ، ويدغدغون غرائزها فتظل مشغولة بهذه الدغدغة ، لا تفكر في شأن عام ، ولا تحس بظلم واقع ، ولا تنتفض في وجه طاغية لتناديه : مكانك . فنحن هنا ! فالشعب المستغرق في ذلك الخدر اللذيذ ليس هنا ، وليس كذلك هناك !

* * *

والتاريخ يشهد أن الطغيان يملي دائما لهذا الصنف من الكتاب والشعراء والفنانين ؛ ويهيئ لهم الوسائل ، ويخلق لهم

الجو الذى يسمح لهم بالعمل . جو الفراغ والترف والانحلال

عندما أراد الأمويون أن يأمنوا أهل الحجاز ، وأن يستبدوا دونهم بالملك ، وأن ينحوهم عن الحياة العامة ، غمروا سادتهم وأشرافهم بالمال والإقطاعيات والهبات ؛ وجلبوا إليهم المغنين والملهين والجوارى ، وزينوا لهم حياة الدعة والترف . وأطلقوا عليهم الشعراء المجان يدغدغون غرائزهم فى القصور بأناشيد الشهوة . . وفى الوقت ذاته انطلق الشعراء يمدحون الملوك الطغاة ويسبحون بحمدهم ، ويصوغون حولهم الهالات

والتاريخ يعيد نفسه . وهكذا كان فى حاضر الأوان . . كان فى مصر طاغية صغير ؛ كان يعبد ذاته ، ويقدس شهواته . وكان يريد أن يحول هذا الشعب إلى عشرين مليونا من العبيد

عندئذ انطلق كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويسجدون له من دون الله . ويخلعون عليه من صفات الله . سبحانه ! مالا يجرؤ مسلم أو مسيحى على النطق به . حياء من الله

وحينئذ انطلق كذلك كتاب وشعراء وفنانون يسبحون بحمد الشهوة ، ويعبدون اللذة . وعندئذ استمع الناس إلى أغنيات تقول : « الدنيا سيجارة وكاس » و « انسى الدنيا » وما إلى ذلك من أدناس وأرجاس

إن التسبيح بحمد الطاغية ، والتسبيح بحمد الشهوة ؛ لم يكونا منفصلين ، ولا غريبا أحدهما عن الآخر..لقد كانت فترة انحلال . وأدب انحلال . إنها العبودية ذات طبيعة واحدة . عبودية الشهوة أو عبودية الطغيان

***

فإذا نحن أردنا أن نكافح أدب الانحلال ، فيجب أن نكافح أولا أسبابه فى حياة الأفراد أو حياة الشعوب . يجب أن نكافح روح العبودية فى الضمير الإنسانى . نكافح عبودية الشهوة فنحرر الضمير البشرى من الخضوع لها . فالإنسان إنما صار إنسانا بتعاليه على ضرورات الحيوان . والتربية الدينية هى الطريق الأنجع والأقرب إلى تقوية روح الإنسان ، وتساميه على ضرورات الحيوان

ونكافح عبودية الطغيان . فالطغيان يحمل معه دائما تشجيع الانحلال والدعة والترهل ، كى يبقى هو فى أمان من انتفاض الكرامة ، وانبثاق الحرية ، والانتقاض على العسف والطغيان

وشئ آخر نملكه اللحظة :

لقد عاد الذين كانوا يسبحون بحمد الطاغية الصغير ، ويملون له فى البغى والعدوان ، ويمجدون اسمه ويخلعون عليه من صفات الله الواحد القهار .. عاد هؤلاء هم بأنفسهم يلعنون الطاغية ، ويطلقون ألسنتهم فيه ، ويمزقون عنه أردية المجد الزائفة التى ألبسوها إياه

هذا نفسه لون من ألوان الانحلال . وصورة أخرى لأدب الانحلال . هؤلاء لم يخرجوا فى الأولى أو الثانية عن أن يكونوا عبيدا منحلين . عبيدا يحنون ظهورهم لسوط السيد يلهب به جلودهم . فلما أن سقط السوط من يده — رغم أنفه — التقطه العبيد ، وداروا به يبحثون لهم عن سيد جديد ! .. سيد جديد يلهب جلودهم بالسوط ، ليحرقوا له البخور ، وينثروا من حوله الزهور!

هؤلاء هم ممثلو أدب الانحلال . وهؤلاء هم الذين يجب أن يقصيهم الشعب عن الإنشاد له فى العهد الجديد . عهد العزة والقوة والاستعلاء ، عهد التحرر من عبودية الطغيان ، والتحرر من عبودية الشهوة اللتين قد تجتمعان أو تفترقان ، فتمهد إحداهما للأخرى ، وتهيئ لها النفوس والأذهان

أجل ينبغى ألا نسمح لهؤلاء العبيد بالإنشاد للشعب فى العهد الجديد ، ولا أن نغفر لهم تمريغ جبهة الأدب والشعر والفن فى المستنقع الآسن . فكل غفران لهؤلاء هو تنازل عن مبادئ الثورة الجديدة ، وكل استماع لهم هو خيانة للمثل الجديدة

ولا يقل أحد : إنهم كانوا معذورين فى تمريغ الأدب والفن والشعر والإنسانية فى ذلك الوحل . فلقد كان باستطاعتهم أن يسكتوا ، إن لم تبلغ بهم الرجولة أن يكافحوا

إن الاعتذار لهم على هذا النحو تبرير للجريمة ، التى تمكن

قد مضى عهد ألف ليلة وليلة

للأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

كتاب ألف ليلة وليلة يمثل ذلك العهد الذى كانت الحياة فيه تدور حول فرد واحد — وهو شخص الخليفة أو الملك أو حول حفنة من الرجال — هم الوزراء وأبناء الملوك — وكانت البلاد تعتبر ملكا شخصيا لذلك الفرد السعيد . والأمة كلها فوجا من المماليك والعبيد ، يتحكم فى أموالهم وأملاكهم ونفوسهم وأعراضهم، ولم تكن الأمة التى كان يحكم عليها إلا ظلا لشخصه، ولم تكن حياتها إلا امتدادا لحياته .

لقد كانت الحياة تدور حول هذا الفرد بتاريخها وعلومها وآدابها وشعرها وإنتاجها ، فإذا استعرض أحد تاريخ هذا العهد أو أدب تلك الفترة من الزمان وجد هذه الشخصية تسيطر على الأمة أو المجتمع كما تسيطر شجرة باسقة على الحشائش والشجيرات التى تنبت فى ظلها وتمنعها من الشمس والهواء ، كذلك تضمحل هذه الأمة فى شخص هذا الفرد وتذوب فيه وتصبح أمة هزيلة لا شخصية لها ولا إرادة ، ولا حرية لها ولا كرامة .

وكان هذا الفرد هو الذى تدور لأجله عجلة الحياة ، فلأجله يتعب الفلاح ، ويشتغل التاجر، ويجهد الصانع، ويؤلف المؤلف، وينظم الشاعر ، ولأجله تلد الأمهات وفى سبيله تموت الرجال وتقاتل الجيوش، بل ولأجله تلفظ الأرض خزائنها ، ويقذف البحر نمائمه ، وتستخرج كنوز الأرض وخيراتها

وكانت الأمة — وهى صاحبة الإنتاج وصاحبة الفضل فى هذه الرفاهية كلها — تعيش عيش الصعاليك أو الأرقاء المماليك، قد تسعد بفتات مائدة الملك وبما يفضل عن حاشيته فتشكر ، وقد تحرم ذلك أيضا فتصبر ، وقد تموت فيها الانسانية فلا تنكر شيئا بل تتسابق فى التزلف وانتهاز الفرص

هذا هو العهد الذى ازدهر فى الشرق طويلا وترك رواسب فى حياة هذه الأمة ونفوسها ، وفى أدبها وشعرها ، وأخلاقها واجتماعها ، وخلف آثارا باقية فى المكتبة العربية ، ومن هذه الآثار الناطقة كتاب « ألف ليلة وليلة » الذى يصور ذلك العهد تصويرا بارعا يوم كان الخليفة فى بغداد أو الملك فى دمشق أو القاهرة ، هو كل شىء وبطل رواية الحياة ومركز الدائرة

إن هذا العهد الذى يمثله كتاب « ألف ليلة وليلة » بأسا طيره وقصصه، وكتاب الأغانى بتاريخه وأدبه، لم يكن عهدا إسلاميا ولا عهدا طبيعيا معقولا ؛ فلا يرضاه الإسلام ، ولا يقره العقل، بل إنما جاء الإسلام بهدمه والقضاء عليه ، فقد كان هذا هو العهد الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم فسماه الجاهلية ونعى عليه وأنكر على ملوكه — ككسرى وقيصر — وعلى أثرتهم وترفهم أشد الإنكار

إن هذا العهد غير قابل للبقاء والاستمرار فى أى مكان وفى أى زمان ، ولا سبيل إليه إلا إذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها أو مصابة فى عقلها أو فاقدة الوعى والشعور أو ميتة النفس والروح

إن هذا الوضع لا يقره عقل . ومن الذى يسوغ أن يتخم فرد أو بضعة أفراد بأنواع الطعام والشراب ويموت آلاف جوعا ومسغبة ؟ ومن الذى يسوغ أن يعبث ملك أو أبناء ملك بالمال عبث المجانين ، والناس لا يجدون من القوت ما يقيم صلبهم ومن الكسوة ما يستر جسمهم؟ ومن الذى يسوغ أن يكون حظ طبقة — وهى الكثرة — الإنتاج وحده والكدح فى الحياة والعمل المضنى الذى لا نهاية له ، وحظ طبقة — وهى لا تجاوز عدد الأصابع — إلا التلهى بثمرات تعب الطبقة الأولى من غير شكر وتقدير وفى غير عقل ووعى ؟ ومن الذى يسوغ أن يشق أهل الصناعة ، وأهل

اغتفارها للتجار لا لقادة الفكر وزعماء الأدب والكتاب والشعراء والفنانين

إن من حق الثورة علينا أن نتذكر ولا ننسى . نتذكر شناعة الجريمة . شناعة الانحلال الدنس

إن الديدان والحشرات التى عاشت طويلا فى المستنقع كفيلة بتدنيس كل مقدس ، إذا نحن سمحنا لها بالحياة مرة أخرى فى الأرض الطيبة ، التى يجب أن تخلو من الديدان والحشرات

سيد قطب

الذكاء ، وأهل الاجتهـاد ، وأهل المواهب ، وأهل الصـلاح ، وينعم رجال لايحسنون غير التبـذير ، ولا يعرفون صنـاعة غير صناعة الفجور وشرب الخمور ؟ ومن الذى يسوغ أن يجفى أهل الـكفاية وأهل النبوغ وأهل الأمانة ويقصوا كالمنبوذين، ويجتمع حول ملك أو أمير فوج من خساس النفوس وسخاف العقول وفاقدى الضمائر ممن لاهم لهم إلاابتزاز الأموال وإرضاء الشهوات ولا يحسنون فنامن فنون الدنيا غير التملق والإطراء ، والمؤامرة على الأبرياء ، ولا يتصفون بشىء غير فقدان الشعور وقلة الحياء ؟

إنه وضع شاذ لا ينبغى أن يبقى يوما فضلا عن أن يبقى أعواما

إنه إن سبق فى عهد من عهود التاريخ وبقى مدة طويلة فقد كان ذلك على غفلة من الأمة أو على الرغم منها ، ولسبب ضعف الاسلام وقوة الجاهلية ، ولـكنه خليق بأن ينهـار ويتداعى كلمـا أشرقت شمس الاسلام واستيقظ الوعى وهبت الأمة تحـاسب نفسها وأفرادها

فالذين لايزالون يعيشون فى عالم (ألف ليـلة وليـلة) إنمـا يعيشون فى عالم الأحلام ، إنما يعيشون فى بيت أوهن من بيت العنكبوت ، إنما يعيشون فى بيت مهدد بالأخطار لايدرون متى يكبس ولا يدرون متى تعمل فيه معاول الهدم ، وإن سلموا من كل هذا فلا يدرون متى يخر عليهم السقف من فوقهم فإنه قائم على غير أساس متين وعلى غير دعائم قوية

ألا إن عهد ألف ليـلة وليـلة قد مضى فلا يخـدعن أقوام أنفسهم ولا يربطوا نفوسهم بعجلة قد تـكسرت وتحطمت . إن الفردية مصبـاح — إن جاز هذا التعبـير — قد نفد زيتـه واحترقت فتيلته فهو إلى انطفاء عاجل ولولم تهب عاصفة .

إنه لامحل فى الإسلام لأى نوع من أنواع الأثرة . إنه لامحل فيه للأثرة الفردية أو العائلية التى نراها فى بعض الأمم الشرقية والأقطار الإسلامية ، ولا محل فيه للأثرة المنظمة التى نراهـا فى أوربا وأمريكا وفى روسيا ، فهى فى أوربا أثرة حزب من الأحزاب وفى أمريكا أثرة الرأسماليين وفى روسيا أثرة قلة آمنت بالشيوعية المتطرفة وفرضت نفسها على الـكثرة وهى تعامل العمال والمعتقلين بقسوة نادرة ووحشية ربما لا يوجد لها نظير فى تاريخ السخرة الظالمة (١)

إن الأثرة بجميع أنواعها ستنتهى؛ وإن الإنسانية ستثور عليها وتنتقم منها انتقاما شديدا . إنه لا مستقبل فى العالم إلا للاسلام السمح العادل الوسط ، وإن طال أجل هذه « الأثرات » وأرخى لها العنان وتمادت فى غيها وطغيانها مدة من الزمن

إن الأثرة — فردية كانت أو عائلية أو حزبية أو طبقية — غير طبيعية فى حياة الأمة ، وإنها تتخلص منها فى أول فرصة . إنه لامحل لها فى الإسلام ولا محل لها فى مجتمع واع بلغ سن الرشد ولا أمل فى استمرارها ، فخير للمسلمين وخير للعرب وخير لقادتهم وولاة أمورهم أن يخلصوا أنفسهم منها ويقطعوا صلتهم بها قبل أن تغرق فيغرقوا معها .

ألا إن الفردية آذنت فى الشرق أيضا بالرحيل وبدأت نجومها تهوى ، وما هى مسئلة زيد وعمرو وإنما هى مسئلة عهد ينقضى وفكرة تختفى ومؤسسة تلغى، فليحذر الذين يعيشون عليها أن يوجهوا مصيرا واحدا

أبو الحسن على الحسنى الندوى

---

(١) اقرأ فى ذلك كتاب

1) The faced labour in Russa, by Evnest Tallgreu

شاعر من يوغندا ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

توطئة :

الشئ الذى كنت أنتظره ، يوم وجهت ندائى على صفحات المجلات العربية فى الجزيرة والمهاجر طالباً من إخوانى الشعراء فى تلك الأصـقاع النائية موافاتى بقسم من نتاج قرائحهم وترجمة حياتهم لعرضها على القراء الذين يجهلون كل شئ عنهم فى سلسلة مقالات تكشف المستور من نزعاتهم الحسية، وعواطفهم الجياشة، وأحاسيسهم الملتهبة ، لتقدمها « الرسالة » الزاهرة ، مجلة الأدب الحى ، والشعر الخالد ، إلى عشـاق الأدب ، وجمهرة المثقفين ، ولـكن بالرغم من مرور ستة أشـهر على توجيه دعوتى تلك لم يصلنى من شعراء الجزيرة إلا النزر القليل ، كأنما ، تلك الأم الولود عقمت فلم تعد تنجب شاعراً بعد ، وكأنما الأرض التى أطلعت نجوم البيان وأعلام الشعر — منذ الجاهلية حتى الآن — استحالت إلى صخور جرداء لا نبت فيها ولا زرع . فإلى جميع من وجهت إليهم ندائى بالأمس ، سواء على صفحات « الرسالة أو الأديب أو صوت البحرين أو الصراحة السودانية أو الإصلاح النيويوركية أو العصبة البرازيلية » أكرر عليهم الطلب ثانية ... وحسبى أن أقدم اليهم اليوم .. أخاً من إخوانهم فى هذه الدراسة على أن أتبعها فى القريب بدراسة جديدة عن «شعراء القطيف..»

الشاعر :

هو الزميل الفاضل الأسـتاذ لطفى جعفر أمان .. ولد فى « عدن » فى منتصف عام « ١٩٢٨ » للميلاد فيكون بذلك قد سلخ من حياته ٢٣ سنة و ٦ أشهر تقريباً . تلقى دروسه الأولية فى مدرسة حكومتها الابتدائية لمدة سبع سنوات .. وفى ذلك العهد الطرى المشبع برائحة الطفولة كانت ميوله تتجه اتجاها بدائيا إلى الفنون والأدب ؛ كما كان أخوه الأكبر ينصب انصبابا وينكب انكبابا على مطالعة الـكتب مع إيثار العزلة وخلق جو شـاذ من الانطواء على النفس متخذا من حكمة شـاعر الأجيال « وخير جليس فى الزمان كتاب » رائداً .. ودليلا .. أما أخوه الثالث فكان يجيد الرسم ويبعثر لوحاته على الجدران وفى الأدراج وبين جوانح المجلات المصورة . أما أخوهم الرابع فكان يقرض الشعر .. فخلقت هـذه الأسرة التى كرست حياتها للفن جوا خاصا للأخ الصغير .. وهيـأت له كل شئ لتعده إعداداً أدبيا خاصـا .. ولنستمع إليه وهو يقص علينا أحاسيسه فى تلك الفترة ...

« .. ولن أنسى انزوائى معه — يقصد أخاه الشاعر — فترات طويلة من الصمت أحدق فى وجهه التائه أو أغرق معه فى موجات السطور التى كانت تتلاطم على الورق وهى تشهد ميلاد شئ اسمه قصيدة .. فى ذلك الجو القاتم المضئ بإيحاءات الأدب والفن أولعت بقراءة الروايات بإدمان .. ورسم الصور بشغف .. وحفظ الشعر بسرعة عجيبة .. وأخذت أنزوى حتى عن ملاعب الصبيان الطبيعية[1] »

ومن هذه الـكلمات القصيرة التى اقتطفتها من مذكراته يتبين لنا كيف أن الأسرة نفسهـا دفعت بالصبى الصغير إلى الأدب بعد أن هيأت له الأجواء ..

وفى نهاية عام ١٩٤١ أتم دراسته الابتدائية وكان من الأوائل فاختارته حـكومة عدن مع زميل له لإتمام دراستهما الثانوية والعالية فى السودان. وهكذا أشرف عليه عام ١٩٤٢ بحياةجديدة فى أرض غريبة . حيث التحمت الأشواق بالـكفاح ، وامتزجت الدموع بالعرق .. وترنح العمر اللدن بين التيه والرشـاد .. تيه الغربة .. ورشاد العلم

وأخذت موجة الانتقال من بيئة إلى أخرى تعكس انطباعاتها على الخاطر وتسجل آثارها فى الوعى والخيال

وفى تلك البيئة تعرف بصديق كان له الأثر الفعال فى تـكوينه الأدبى إذ كانت مدرسة أم درمان الثانوية تنظر إلى هذا الصديق الساخر الـكئيب على أنه شاعرها الفيلسوف .. وهذا الصديق هو محمد عثمان جرتلى الذى كان ينشر قصائده فى الصحف الأدبية السودانية ويقتنى كل ديوان حديث

(١) من رسـالته المؤرخة فى ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ الى صاحب هـذا المقال

وعلى يدى ذلك الصديق الشاعر أخذ مترجمنا الشعر وحفظه وخصوصاً دواوين وقصائد المرحوم على محمود طه والتيجانى يوسف بشير وفؤاد بليبل ، ومحمود حسن إسماعيل .. حيث كان الظلام الملتهب على خلجات أولئك الشعراء يثير فى أعماقه أصداء مماثلة ويحمله معهم بعيداً عن فجاج الأرض إلى إشراقات روحية صافية يحس فيها بأن للحياة .. معنى غير التراب

وفى عام ١٩٤٣ أخذ شاعرنا يقول الشعر . وكانت مجلة « فتاة الجزيرة » التى تصدر بعدن .. تحمل بواكيره للقراء .. ثم وسعت له الصحف السودانية صدرها فنشرت له قصائد ومقالات وأقاصيص كما نشرت له الصباح المصرية بعض ألحانه

وفى أوائل عام ١٩٤٦ التحق بقسم الآداب بكلية «غردون» الجامعية بالخرطوم بعد حصوله على شهادة « السينير كمبردج » بدرجة ممتازة فى اللغة العربية

وراح شاعرنا الشاب يدرج فى محيط الكلية على نمط جديد من الحياة ولم يكن له أى صديق .. فقد سافر محمد عثمان جرتلى إلى مصر والتحق بكلية الطب بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية

كان كل شئ حوله يبعث على الاكتئاب رغم ضحكات الطبيعة المتألقة على النيل . وعلى الانزواء رغم صخب المحيط الجامعى ووحدته الاجتماعية .. وهذه الوحدة وهذا الألم النفسى وبعده عن دياره وأسرته زينت له الهروب من الحياة.. من واقعها المؤلم.. فلجأ إلى المطالعة وسماره دواوين شعراء الإمبراطورية الإنجليزية . شيلى .. وبيرون.. وكيتس.. ودالامير..وأوبرت بروك .. ومعظم ما تخرجه المطابع العربية من دواوين

فقد كان كل مساء يحمل بعض الكتب والأوراق إلى ركن قصى هادئ فى «الألبيون هوتيل» بالخرطوم أو إلى «بى كباريه» أو إلى « حديقة القرن » المشرفة على النيل والغارقة بالحسان والزهور والأقداح . حيث يستلهم الطبيعة الفاتنة أغانيه وألحانه .

وهكذا مرت عليه ثلاث سنوات فى كلية « غردون » وقبل أن ينال شهادة « الدبلوم » فى الآداب بعشرين يوما كانت مطبعة « فتاة الجزيرة » بعدن قد فرغت من طبع ديوانه الأول « بقايا نغم » الذى صدره بهذا الإهداء

أنت يامن يفيض من صدرك الغض جلال الصليب نوراً عليا
لك منى هـذا الذى بين كفيك خفوق بحبك المفقود
نغم ضاع فى مجـاهل دنياك هياما ، وجف إلا بقايا
فاذكرينى بها .. فيا ، رب ذكراك تعيد المفقود من دنيايا
من أمان ، أضعت فيها شبابى

ولهذا الديوان قصة ، وها هوذا الشاعر ذاته يقصها علينا

« كان ذلك فى كلية الآداب حين أحسست لأول مرة بظمأ الروح للروح ، وكانت ذات الصليب تبعث فى نفسى ذلك الإحساس الجارف فأصورها.. ثلاث سنوات .. ناراً من الحب فى روض من الشعر .. »

وقد أنزلت الدموع من أعماقه ، وفجرت فى آفاقه الظلمة والضياء..وسحقت أمامه كل أمل لتهب له أملا خليا لم يكن سوى اليأس ، اليأس القاتل الذى يسحق كل شئ :

يا خضما جهم الجوانب يجرى فى مدى مبهم وأفق قصى
أى لغز مطلسم فى دياجـيك .. وسر فى لغزك المطوى ؟!
كلما لاح لى شراع على الأفق تهـادى مثل الشعاع السنى
هاج فى ناظرى تطفل نفسى فتلفت سـائلا كالصبى
ما ترى ذلك الذى يقحم الغيب ويمضى إلى مداه الخفى !
وركبت العبـاب يدفعنى منه قوى يردنى لقوى
لاحقا بالشراع أسـتنفذ الهمة فى لجة الخضم العصى
وهو ينـأى .. وإن يكن حيثما كان .. كوهم فى لمحة العبقرى

وكان فى منتصف كل ليلة ينهض بقوة من بين الكتب والدروس تجتاحه مشاعر عارمة ذات غموض .. فيرتعد وهو يحس بالبرد والجوع .. لا يدرى ماذا يعمل . وحشة وسكون .. فيمرق من الباب كالشبح عليه دثار من الصوف .. النيل على مقربة عشرين خطوة .. الطريق مقفر إلا من رجال الشرطة . والعسس قابعون تحت الشجر أو سائرين تحت الظلام .. صمت أمامه . وضجيج فى أغواره .. يقطع الجسر الطويل .. إلى أين ؟. إلى ما وراء ذلك الجسر . هناك حيث يسند ظهره على عمود الكهرباء وأمامه يد لله .. مسكنها الغارق فى الظلام والشجر

الوقت . سحر .. الفجر قريب

وتقطع السكون عجلات أول ترام فى الفجر فيعود :—

خفقات الزهر فى الأسحار للفجر القريب

وانبثاق الأمل المشرق فى ليل الغريب
واختلاج النور فى المصباح .. عربيد اللهيب
وجراح الشفق الدامى على الأفق الـكئيب
كلها معنى بقلبى . من حبيب . لحبيب
يا شموساً روعت بالأمس قلبى بمغيب
أين أنت !!

وتتوالى الليالى .. لا شئ .. كل شئ .. يمضى إلى النيل .. النيل القريب . هناك تحت شجرة ألفته وألفها لا يرضى بغيرها من الأتراب العالقات أوراقها بها فيهتف :

من رآنى هنا .. شريد خيالات . ووهم مجنح الخطرات
أتملى السكون فى ظل زهراء حنون مخضلة النغمات
سكبت من دمى..تسلسل فى الليل . فأصغت نوابت الربوات
وجرى النيل.. واقفاً فى حنايا الليل ينساب كالشجى فى اللهاة
والمصابيح قائمات على الشط .. نجوما مجنونة الومضات
وظلال النخيل أطياف أشباح .. تربصن فى الدجى جاثيات
غبت عن ضجة الحياة ، وأطلقت لفكرى أعنة السبحات
فى دجى مطبق .. وأفق سحيق .. وفضاء محلولك الظلمات
وتصاوير أبدعتها يد الجن .. خفاف .. عربيدة الحركات
فى غمار الذهول تبعث فى نفسى تهاويل من جنون الحياة
ذكريات تدب فى ظلمة اليأس وتنساب فى دمى صاخبات
أزهق العمر فى يديها نضيرا .. وتهاوى فى كهفها أمنيات
من رآنى أشيع الحب وحدى .. وهشيم الآمال فوق الرفات

وبعد يا قارئى الـكريم أظن أن اليأس بلغ بك منتهاه حينما قرأت هذه اللوعة الدامية التى صورها لنا شاعرها الشاب . فماذا تريد ؟ سأتركك تجتر أنفاسك ببطء .. أو بعمق إن شئت .. ثم هلم معى لنخرج من هـذه الـكوة المعتمة بالحب واليأس والألم المرير .. وهيا بنا نغلق على الروح الأبواب ونتسرب فى سراديب الجسد .. حيث نسمع صراخ الدم فى العروق :

ههنا فى غرفة حمراء .. عابثة الظلام (٢)
وفراش رقصت فى عطره أحلى الليالى
ههنا أحلام مسحورين : قلب .. وجمال

(١) القصيدة من مجزوء الرمل وهذا البيت خارج عن الوزن

حلم .. أم سكرة ؟ أم نهزة دامت لنا
نحن من نحن . عريان عن الدنيا هنا

وفى عام ١٩٤٩ عاد الشاعر إلى مسقط رأسه إلى عدن بعد غياب سبع سنوات لاستقبال حياة جديدة أخرى من العمل والـكفاح الوطنى . فقد عين مدرسا بمدرسة الحكومة الثانوية كما اشترك محرراً فى مجلة المستقبل .. ومحرراً أدبيا فى « فتاة الجزيرة » وكان ينشر فى الأخيرة — وهى أكبر صحيفة فى الجنوب قصائد ومقالات بعضها صريحة التوقيع وبعضها مستعارة الاسم تحت رمز « النسر » وقل أن يمضى أسبوع دون أن يتحف قراءه بشئ من الشعر أو النثر .. ثم أخـذت مجلة « الأديب » اللبنانية تحمل آثاره للبلاد العربية ..

وفى سنة ١٩٥٠ كانت الحياة الجافة فى عدن قد سودت العيش فى عينه فلم يعد يطيق البقاء والصبر . فأحس بشعور الثورة على الأوضاع والنظم القائمة والـكهانة وعباد المال . فالتفت كالمجنون : سلسلة جبال بركانية عارية تضج بالجحيم .. وسلالة آدمية كالقبور تتحرك بيله .. ومظالم استبدادية جائرة تنتقل بقفازات من حرير .. وفن موتور مغمور يحترق فى قماقم .. وصنف من الرق عجيب .. يبيحه قانون القرن العشرين .. وكل هذه الأوضاع والصور كانت مادة لديوان جديد هو « أغانى البركان » .. ومن هذه الأغانى صرخته المؤلمة هذه

تلفت فلا لمحة من جمال   تلفت . فإن الحيـاة محال
فأنى تلفت تلق الجبـال   جبـالا تضج بنار الجحيم
وسكان مقبرة فى زوال

حياة ..كلم الصدا فى سراب   حياة .. كلفح اللظى فى عذاب
حياة .. كثورة جن غضاب   لقد أزهق الحق .. يا ويحهم
وديس على الفن فوق التراب

إذا الريح طوعى لسخرتها   إذا النـار ملـكى لأضرمتها
وهذى الجبـال لفجرتها   براكين تسحق هذى القبور
فأزهو بأنى حطمتها

كل شئ لم يكن غير الثورة واليأس :—

فقامت تلم بقايا القوى   على هيكل مضمحل الأهاب
وتسحب أنغامها النازفات   وتقلع خطوتها باغتصاب

إلى أن محاها شفيف الفضاء وأغوت هداها الفيافى الرحاب
تساقط ثورتها فى الرماد وتعشو بصيرتها فى الضباب
وقد جمد الكون فى نبضها وغاض الجمال بقفر يباب
وأين مضت فى غيوم الظلام ؟ إلى الخلد ؟ لا بل سحيق التباب
مصير الذى فج فى نفسها مغاور يأس عتى الرغاب
تسائل عن ذاتها فى القبور فتهتف ديدانها بالجواب
ومن حولها ... كل ما حولها ضجيج ضياع .. وصمت غياب

ثم مضت سنتان .. وفى سنة ١٩٥١ حدثت للشاعر حركة انتقال كبرى .. فبعد صراع نفسى واجتماعى عنيف تزوج حيث احتضن إلى حياته العاصفة إشراقة من السماء وجذوة من النفس. فانتقل من بين الأغلال الجبلية فى عدن إلى مسكن أنيق فى ضاحية « الشيخ عثمان » فى فيحاء من الرمال حيث مسير القوافل .. الرعاة فى المساء .. وحداء البدو .. فاعتزل المجتمع فترة طويلة إلا ما يعنى بها فى مدرسته وبين طلابه

وآنذاك بغضا الحياة فى عدن .. بغضاها معاً . وأحسا أنهما بفقدان شيئا جسيما .. هى « الحرية » .. هما يعيشان ولكن فى محيط من البارود والأغلال .. فحملا أمتعتهما وحطا أطواق الجبال نجاة إلى غابات أفريقيا .. إلى يوغنده .. حيث يدير اليوم الشاعر مدرسة إسلامية فى « كلمولى » وكان ذلك فى نوفمبر من عام ١٩٥١

وهما الآن وحيدان هناك .. ليس معهما من جنى الدنيا سوى الحب.. غريبان يعيشان على زاد ضئيل جاف من أباديد الذكريات

وفى مساء بارد ممطر موحش . . حينما وضعت راحتها على كتف شاعرها الغريب بحنان وأجهشت تبكى فراق الأهل فهتف من أعماقه :

نفض المساء ستار نافذتى فترنحت فى رعدة الهطل
وتعلقت والستر يجذبها بذراع منحل القوى كهل
فنهضت أحميها وقد حضنت أعشى الزجاج بصدر مبتل
وأزحتها عن لوحة خفقت بالأفق خلف الماء والظل
والريح تخبط فى مساربها مجنونة بسنابل الحقل
ونجهت ديم مقرحة سالت مآقيها على السهل
حلك يقطعها الغمير على أرض كأن أديمها يغلى
حتى الطبيعة هاج سادرها وتقلبت محزونة .. مثلى
ونبهت إذ لطفت على كتفى كف تمر به على مهل
لما التفت وراعنى منها نضو الخيال وشاحب الشكل
ألقت على صدرى جدائلها ورنت بصمت الدمع كالطفل
وعلى الشفاة تدب رعشتها وتسير فى جفنين من ذل
حتى إذا ساءلتها هتفت ! نحن الغريبان بلا أهل

وهى كما يقول « من أعز الأبيات إلى نفسه .. »

وبعد أيها القراء فهذه لمحة سريعة لفترة من شباب أبلى وجاهد .. ثم انهار .. وحملته المظالم إلى الهروب .. والتغرب . وليس هذا بجديد فى عصر تتشعوذ فيه القوة بالنسف والتخريب.. نسف المثل وتخريب مزايا الإنسان ..

هـذا ولا أريد أن أودع الشاعر لطفى جعفر أمان دون أن أقدم لقرائى الأعزاء قصيدته التى نظمها يوم ٢٤ / ١١ / ٥١ فى الباخرة « دنوتر ماسل » وهو فى طريق هجرته من عدن إلى ممباسا ومنها إلى يوغنده وهى بعنوان « شريد »

سوف أمضى . لكن إلى أين .. لا أدرى ؛ خطاى الظلام تسرى جريئه
لى إشراقة من الذات .. من ذاتى أنا .. هذه القتام الوضيئه
عبرت والحياة . . إثم وذنب . . وهى منها.. لكن ومنها بريئه
كلما أفرغت جمالا وطهرا طفحت بالآثام كأساً مليئه
ويح نفسى ضحية تتردى فى خناق التلال .. أية بيئه
أنا فى الناس سبحة من طهور لجفتها أنامل من خطيئه
وحدتى .. يا غيوم ظللها الدمع وأخرى فى جانبيها أواره
تحتمى بالعذاب فى كل قبر نبذ الليل فى الدجى أحجاره
وهى فى لينها وفى عطرها النامى شباب ونفحة من طهاره
أى شئ تنهد فى إثر بلهاء مخلوعة الخطا .. مختاره ؟!
أخطايا تنهدت فى دماها ؟ فمضت تنحر الهوى كفاره
أم غرام تلقفته الأمانى فسلته . مليحة غداره
شق بى فى مجاهل الكون صوت مستفيض الصدى جهلت قراره
أنا فى يمة الدجورى ريح .. ودوى .. وومضة وحراره
ولأى الدروب يزجى بى الصوت محثا . مطلسما أسراره
شقوتى أننى على شفة الحسن وفى نبضة الهوى قيثاره

يا غريبـــاً موزعاً كأمانيه .. شريداً كالنجمة المحتاره
غم أشجـانه على من الغرب ووارى عن ناظريه بحـاره
فضى والحياة زاد كفاف من نشيد يقتات منه ، استعاره
تربأ النفس أن يحط بها الرق .. ويلق لهـا النفاق نضـاره

فلله هذه النفس الكريمة التى تحمل ما تحمل فى سـبيل الفن .. والفن الخالص.. وسلام عليك أيها الشباب الذى تناضل وليس وراءك إلا الثقة بالروح الخـالدة والأمل بالمستقبل . وفى الأعداد القـادمة نماذج جديدة من شعر السودان الحديث . . وإلى اللقاء القريب أيها القراء الناطقون بالضاد

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

الولاة والعمال فى عصر الرسول

للأستاذ عواد مجيد الأعظمى

لقد بحثت فى موضوع سابق معنى الولاية ، وتطور مفهومها، وصيغتها الفقهية والنظرية ، وقد ذكرت فى نهاية الموضوع ، أنى سأتناول الناحيـة العملية والواقعية فى سياسة الولاة والعمال فى مختلف عصور التاريخ الإسلامى مبتدأ فى عصر الرسول (ص)

لم تـكن حكومة النبى (ص) حكومة دينية حسب ، بل حكومة سياسية أيضا « فقد كان (ص) يقود الجيوش ، ويفصل فى الخصومات ويجبى الأموال [١] » « وأن النبى (ص) كان صاحب دولة سياسية ، ورئيس حكومـة كما كان رسول دعوة دينية وزعيم وحدة دنيويه» [٢] وبهذا كان رسول الله (ص) يجمع فى يده بين السلطتين الدينية والدنيوية ، « ولاشئ أصوب من جمع محمد (ص) لجميع السلطات المدنية والحربية والدينية فى يد واحدة أيام كانت بلاد العرب مجزأة» [٣] وقد أكد الرسول (ص) على نظام الشورى فى إدارة الأمة الإسلامية الذى جعله يعتمـد على اختيار عمـال وولاة صالحين يساعدونه فى الإدارة « حيث كان يتخير عماله من صالحى أهله ، وأولى دينه ، وأولى عمله ، ويختارهم على الأغلب من المنظور إليهم فى العرب ، ليوقروا فى الصدور ، ويكون لهم سلطان على المؤمنين وغيرهم ، ويحسنون العمل فيما يتولون ، وكان يستوفى الحساب على العمال ويحاسبهم على المستخرج والمصروف » [٤]

وقـد كان لانتشار الإسلام وتوسعه أثره البين فى اختيار الرسول (ص) عمالا وولاة ينوبون عنه ، لإرسالهم إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، وإناطة بعض الأعمال الدينية والمالية بهم .. فيروى المسعودى : « لقد تتابعت اليمن على الإسلام وقدمت على رسول الله (ص) فـكتب لهم كتباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم وأرضهم ، ووجه إليهم عماله لتعريفهم شرائع الإسلام وقبض صدقاتهم وجزية من أقام على دين النصرانية والمجوسيـة واليهودية » [٥]

وإن حاجة حكومة الرسول (ص) إلى المال لإدارة شؤون الدولة الإسلامية اقتضى تعيين عمال يقومون بجبايتها : « وكان رسول الله (ص) قد ولى عمرو بن العاص على صدقات سعد ، وعذرة ، وجذام وجديس » [٦] .. كما « وجه عامـل البحرين العلاء الحضرمى ألف درهم إلى رسول الله (ص) وهو أول مال حمل إلى المدينة فصرف على الناس » [٧] . « وكان (ص) يولى على كل مدينة كبيرة بالحجاز واليمن ، وكذلك على كل قبيلة كبيرة عاملا من قبله .. وكانت وظيفة هؤلاء العمال هى الإمامة فى الصلاة وجمع الصدقات » [٨]

هذا إلى أن الرسول (ص) كان يعير انتباها خاصا للشؤون العسكرية ، والقضائية ، وكان يعتبرها جزءاً أساسيا من واجبات العمال .. « فقد كان للرسول (ص) نقباء كما كان له عرفاء أو رؤساء الجند [٩] » .. « وجعل الرسول (ص) القضاء جزءاً

(١) حسن إبراهيم حسن — النظم الإسلامية — ص ١٠٤
(٢) على عبد الرازق — الإسلام وأصول الحكم — مصر ١٩٢٥ ص ٧٤
(٣) غوستاف لوبون — حضارة العرب — مصر ١٩٤٥ ص ١٢١

(٤) كرد على — الإدارة الاسلامية ص ١٢
(٥) المسعودى — التنبيه والإشراف — القاهرة ١٩٢٨ . ص ٢٣٩
(٦) ابن عساكر الشامى — التاريخ الكبير ج ١ الشام ١٣٢٩ هـ ص ١٠١
(٧) المسعودى — التنبيه والإشراف ص ٢٢٦
(٨) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية ص ١٠٤
(٩) كرد على — الادارة الاسلامية ص ٣٤

من الولاية يقوم به الوالى » (١٠) وإن استقل القضاء فيما بعد كما سنرى فى الفصول القادمة

ومما مر — نرى أن اختيار الرسول (ص) للعمال والولاة ؛ كان نتيجة حاجة الأمة الإسلامية فى إدارة شؤون حياتها المتعددة — دينيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، وقضائيا — ولكن الواضح أن الرسول (ص) لم يعط لهؤلاء العمال صفة سياسية فى الأوقات التى كان ينيبهم عنه فى المدينة « فإن الرسول كان ينيب عنه قائدا يقود سرية من السرايا ، أو ينيب عنه بالمدينة أحد أصحابه لإمامة الناس والصلاة » (١١) .. « ولكن لم يكن لهؤلاء العمال صفة سياسية » (١٢)

وقد فرض الرسول (ص) الرواتب لعماله .. « فقد فرض لعتاب بن أسيد الذى ولاه مكة درهما كل يوم .. فكان هذا الراتب أول ماوضع من الرواتب للعمال » (١٣) وقد استمر ذلك إلى زمن عمر بن الخطاب حيث قدر الرواتب للعمال بعد تدوين الدواوين وتعيين أرزاق الجند ، وأول ما فعل ذلك لما وجه عمار بن ياسر إلى الكوفة وولاه صلاتها وجيوشها فجعل له ٦٠٠ درهم فى الشهر » (١٤) « كما أجرى على عثمان خمسة دراهم كل يوم » (١٥)

وكان الرسول (ص) يوصى عماله خيرا ، باتباع سياسة الحق والعدالة ، فما روى عنه أنه قال لمعاذ بن جبل : « إنى أحب لك ما أحبه لنفسى ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تتولين مال يتيم » (١٦) وهناك أحاديث كثيرة تروى عن الرسول (ص) وجميعها توضح ما يجب على الولاة اتباعه من سياسة العدل والمساواة بين الرعية ؛ فمن قوله (ص) : « مامن يؤمر على عشرة إلا وهو يأتى يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يكون عمله هو الذى يطلقه ويوثقه » (١٧)

وقد ورد فى الحديث أن النبى (ص) قال : « يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله عز وجل أنتم كنتم دعاة خليقتى وخزنة ملكى فى أرضى ، ثم يقول لأحدهم لم ضربت عبادى فوق الحد الذى أمرت به ، فيقول يارب لأنهم عصوك وخالفوك ؛ فيقول لاينبغى أن يسبق غضبك غضبى ، ثم يقول لأحدهم لم عاقبت عبادى أقل من الحد الذى أمرت به ، فيقول يا رب إنى رحمتهم ، فيقول تعالى : كيف تكون أرحم منى ، خذوا الذى زاد والذى نقص واحشوا بهما زوايا جهنم » وفى الحديث أيضا قال (ص) « لايقف أحدكم موقفا يضرب فيه رجل مظلوم ، فإن اللعنة تنزل على من حضر حيث لم يدفع عنه »

فهكذا كان الرسول (ص) قويا ، حازما ، حريصا على توجيه النصائح والإرشادات لولاته وعماله ، حاثا لهم على تطبيق الحق والعدل والمساواة بين الرعية

بغداد . العراق — **عواد مجيد الأعظمى**

(١٠) عطية مصطفى — القضاء فى الاسلام مصر ١٩٣٩ ص ٩٥

(١١) حسن ابراهيم حسن — النظم الاسلامية — ص ٩٥

(١٢) نفس المصدر — النظم الاسلامية ص ١٩٤

(١٣) كرد على — الادارة — ص ١٥ . وحسن ابراهيم — النظم — ص ١٩٤

(١٤) كرد على — الادارة ص ٤١٦

(١٥) النهرى — سراج الملوك — ص ٣٣ — وجرجى زيدان — التمدن الاسلامى ج ١ ص ١٣٤

(١٦) أحمد القرشى — معالم القربة فى أحكام الحسبة — كمبرج ١٩٣٧ ص ٢١٦

(١٧) نفس المصدر — معالم القربة ص ٢١٦

ميلاد أمة

للأستاذ حامد بدر

كنا نريد الكلام ولا نتكلم . ولنا ألسن ؛ لأن على الأفواه أقفالا . وكنا نظلم ويبطش بنا ، فلا نستطيع أن نرد الظلم ، أو ندفع البطش . ولنا أيد ؛ لأن فى الأيدى أغلالا . وكنا نؤخذ فى كل شئ قسرا . فلا نجد مفرا . لأن الحرية ضائعة . والطغيان بالغ منتهاه !

فإذا فاض الإناء . ونفد الصبر . لم يجد الكاتب ما يخفف به من بلائه سوى زفرة حارة يرسلها على القرطاس . فى عبارة مقنعة لا يفهمها إلا من يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير . ولا يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير إلا من نزل به هم كهم هذا الكاتب المحزون ، أو أصابه جرح كجرح ذلك الفصيح الأبكم !

ولا شك فى أن للمظلوم الذى لاذ بالصمت كارها شكاة تسمع ولو لم ينطق بها . فليس بين الإله وبين قلوب عباده حجاب . وهو بالمظلومين والظالمين خبير بصير . كما لا شك فى أن للظالم جزاء يلاحقه أينما كان . فإن لم يلحقه عاجلا . فلابد أن يلتقى به فى يوم ما . وإن يوم الفصل الذى أعد له لأبشع وأشنع وأفظع من كل انتقام عاجل يصيبه فى الدنيا !

كنت بالأمس لا أستطيع الكلام الصريح . ولى لسان عليه غل . وفى يدى قلم عليه غل أيضا . فإن حاولت الكتابة لأنفس عن نفسى . وأخفف من آلامها . أخذت أدور حول الغرض ولا أقربه . ولأنى أمقت الدوران . كنت كثيراً ما أطوى الكتاب قبل إتمامه . وأعرض عن الموضوع قبل استيعابه

كنت أقول فى نفسى : إن كل شئ فى الصدر مخطوط . وفى الإفضاء بما فى الصدر راحة . ولكن كيف أسجل شكاتى التى أريدها صريحة ناصعة ولا سبيل إلى ما أردت ؟ لن أكتبها مشوهة مبتورة ! فالسكوت السكوت !

هكذا كنت أوثر السكوت وأنا مكره . والآن وقد انطلقت الألسن والأقلام . فما عذرى إن لم أتكلم ؟

بالأمس كنت مكرها على السكوت . واليوم زالت الأسباب التى من أجلها أردت الكلام . فلا كلام بالأمس. ولا كلام اليوم ! والفرق واضح بين سكوت الأسير العاجز ، وسكوت الحر القادر ، وليس أدل على الرضا من سمت المرء وهو قادر على الإفصاح

كنت بالأمس أريد التحدث عن الحرية المسلوبة . والحق الضائع . والظلم القائم . واليوم وقد ردت الحرية . وجاء الحق . وذهب الظلم . لا أجد ما يدعونى إلى الكلام

إن العبرة تذهل من يفكر تفكيراً عميقا فى هذا الحلم الذى حققه بمشيئة الله وقدرته — جيشنا الأمين . وقائده النجيب. وإن نشوة الانتصار تغمر قلب كل مصرى ، يفيض من الحمد والشكران

لا أريد اليوم أن أقول شيئاً . فإن الرضا بالحاضر أسكتنى . والثقة بأن الزمام فى أيدى الأمناء المخلصين الذين خرجوا بنا من الهوة . إنما هى ثقة من يتطلع إلى القمة ، فلا شك فى أن الخروج من الهوة صعود . والوصول إلى القمة منتظر « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »

إن كل دقيقة ينفقها الرجل فى كلام ضائع . وهو قادر على إنفاقها فى عمل نافع . لهى فرصة ضائعة . وإضاعة الفرص المتاحة خيانة وسرقة ومماطلة فى حقوق البلاد

وإنه ليغمرنى شعور بالرضا . وراحة الضمير . والشكر لله سبحانه. عندما ينهض الرئيس على ماهر ليتكلم فيقول: عملنا وفعلنا وقررنا.. وكان غيره يقول : سنعمل وسنفعل .. والفرق كبير جدا بين الوقت الذى أنفقه الرئيس على ماهر فى العمل . والوقت الذى أضاعه غيره فى إنشاء الخطب وإذاعتها ونشرها . هذا وقت قليل جدا فى حساب الساعات والدقائق . لكنه كثير مبارك . فى نتائجه السريعة الناجحة . وذاك وقت كبير جدا فى حساب الأيام والسنين . لكنه صغير وتافه . فى نتائجه البطيئة الفاشلة

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت للبلاد رئيسا حكيما مخلصا . وجيشا قويا أمينا يقوده قائد قوى أمين

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت ما كان . فحمداً لله على أن حقق ما تمنيت . فأعطى البلاد خيرا كثيرا يعقد الألسن من العجز عن تصوير معانى الرضا والشكران

٢ - أبو هلال العسكرى

بين البلاغة والنقد

للاستاذ عبده عبد العزيز قلقيلة

نشأة النقد وتطوره إلى عهد أبى هلال

لابد للأثر الأدبى فى نفوس الناس من صدى يتمثل فى استجابة عواطفهم له وتجاوب أفكارهم معه؛ وقد يأخذ مظهر النفور منه والازورار عنه. ونتيجة هذا أو ذاك تلك الآراء والأحكام العامة بالحسن أو القبح، والجودة أو الرداءة. وقد وجد عند العرب منذ الجاهلية نقد أدبى بهذا المعنى لم تكن له أسس أو أصول مقررة، وإنما هو أحكام تقوم أكثر ما تقوم على التأثر والانفعال. حتى إذا كان القرن الأول الهجرى اتسع أفق النقد وجنح إلى شىء من الدقة وحاول أن يحدد بعض خصائص الصياغة والمعانى؛ وما كاد هذا القرن ينتهى حتى ارتقى النقد ارتقاء محمودا، وكثرت مواطنه فى البادية والحضر

ثم يكون القرن الثانى فنرى طائفتين لهما شأنهما فى النقد هما: اللغويون والنحاة. من أمثال أبى عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، والأصمعى، وأبى عبيدة، والمفضل الضبى. وقد سلك هؤلاء لونا جديدا من النقد تشعبت بحوثه وتنوعت؛ وعرفت له مقاييس وأصول، وابتدأت محاولات النقد المنهجى تظهر

فهذا «محمد بن سلام الجمحى» الذى عاش فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث يؤلف كتابه (طبقات الشعراء) يتكلم فيه عن الشعر الموضوع، ويبرهن على وجود الوضع بأدلة عقلية ونقلية، ثم يخلص إلى فكرته الرئيسية فى الكتاب وهى الحديث عن الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات، صادرا فى تقسيمه هذا عن مبادئ عامة اتخذها أساسا للحكم عليهم هى: كثرة شعر الشاعر وتعدد أغراضه وجودته، متناولا فى ثنايا ذلك بعض الظواهر الأدبية وتعليلها من مثل: أثر البيئة فى لين اللسان أو غلظه، وفى رقة الشعر أو خشونته، ومن مثل: قلة الإنتاج الأدبى فى بعض البيئات وكثرته فى البعض الآخر

أما القرن الثالث فقد كان خصبا حافلا بالرجال والأفكار، إذ انضمت فيه إلى الجداول العربية الأصيلة من التفكير جداول أخرى من المعارف الأجنبية، كان لها أثرها فى تشعب النقد واختلاف مشارب النقاد. فمن لغويين كالمبرد، إلى أدباء مثل عبدالله ابن المعتز، إلى علماء أخذوا نصيبا يسيرا من المعارف الأجنبية يمثلهم الجاحظ وابن قتيبة؛ إلى آخرين تأثروا كل التأثر بما نقل عن اليونان كقدامة، ومن أهم الكتب التى تصورهذه الاتجاهات كتاب الكامل للمبرد، وكتاب البديع لابن المعتز، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، ونقد الشعر ونقد النثر لقدامة

أما كتاب الكامل فيفيض بطاقة كبيرة من النصوص الأدبية المأثورة حتى كانت تعجب الذوق العربى الخالص فى ذلك الوقت. ونرى مؤلفه — وهو أديب لغوى نحوى — يعالج هذه النصوص على طريقته العربية الخالصة فيشير إلى ما فيها من «اختصار مفهم أو إطناب مفخم أو لمحة دالة» ويأتى بالأمثلة الكثيرة على «ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف» وعلى «ما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد» ثم على «ما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره» وهكذا. ويعجب المبرد بالتشبيه، ولذا نراه فى الباب ٤٧ ج٢ يطيل فى ذكر بعض ما مر للعرب والمحدثين بعدهم منه، ويعلق على

وهب الله البلاد الرئيس والقائد اللذين أعدهما لحماية المظلومين من الظالمين. وإقامة الحكم الصحيح المنقذ للبلاد

فاليوم لا كلام إن لم يكن مسبوقا بالعمل أو مقرونا به. لا كلام إن لم يكن توجيها صالحا أو تشريعا طيبا نافذا

إن الوقت أصبح غاليا جدا. وكم بذلناه وأفنيناه رخيصا. بل من غير ثمن!

وإذا حق لنشوة النصر أن تدفع القلم ليكتب. فإنى أسجل هذه العبارة الموجزة:

ليمض كل مصرى فى واجبه أمينا مخلصا، فقد أتيح لكل مصرى أن يؤدى واجبه من غير التواء ولا انحراف

حامد بدر

الأمثلة بطريقته الخاصة محاولا فى ثنايا ذلك أن يلم ببعض النواحى النظرية فيه .

أما كتاب عبد الله بن المعتز فهو الذى حدد خصائص مذهب البديع وفصلها عما عداها ورد هذه الخصائص إلى التراث العربى القديم . وقد كان لهذا أعظم الأثر فى توجيه النقد وجهة تاريخية وحمل النقاد على اتخاذ التقاليد فى الشعر مقاييس لهم ؛ وكان هذا سببا فى أن عظمت العناية بمسألة السرقات الأدبية

وحين نصحب ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) نرى أنه رفض الأخذ بتقسيمات ابن سلام لأنه لم يؤمن بها ؛ بل بحث الموضوع من وجهة نظر عقلية بحتة ، ونجح فى هذا حتى إذا كان دور التطبيق وعمل الذوق الفنى أخفق . وقد تدبر الشعر فوجده أربعة أضرب حسب الحسن والجودة فى لفظه ومعناه، ومثل لكل ضرب ، وقسم الشعراء حسب مافيهم من تكلف أو طبع ، وبين أن للشعر دواعى تحث البطىء وتبعث المتكلف، وله أوقات يبعد فيها قريبه ويستصعب ريضه ولا يعرف لذلك علة إلا من عارض يعرض على الغريزة ، كما أن له أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح أبيه . ثم يأخذ ابن قتيبة فى الكلام على الشعراء وترجمة حياتهم

أما الجاحظ فقد يكون أهم شخصية من شخصيات القرن الثالث ، وذلك لأن عمله مزدوج ، وقد برز تبريزا ظاهرا سواء فى البلاغة أو فى النقد . فى البيان والتبيين يتحدث عن المعانى وتصورها واختلافها فى النفوس ، وأنها ما لم يعبر عنها موجودة فى قوة المعدومة ، وإنما تحيا بالتعبير عنها . وكيفية التعبير عن المعانى تجذبه إلى التحدث عن الألفاظ ، وإلى المقارنة بينها وبين المعانى ، وهذه البحوث من صميم البلاغة . لكنه مع ذلك يلاحظ ملاحظات ويبدى آراء على جانب عظيم من الأهمية فى الإنتاج الأدبى ونقده — منها :

(١) البعد عن الهوى والمحاباة . أى يدعو إلى أن يكون النقد موضوعيا معللا قائما على أسس تبعده عن التحيز والتعصب

(٢) الطبع والاستعداد . فهو يدعو من يأنس فى نفسه ميلا إلى الأدب أن ينمى هذا الميل ويلتمس له النماذج الرفيعة غير متهيب من إساءة ، ولا متخوف من نقد

(٣) رسالة الأدب ويرى أنها خلقية

(٤) عدم إذاعة الآثار الأدبية قبل التأكد من جودتها

وسنرى بعد أن هذا العمل المزدوج الذى اضطلع به الجاحظ كان شيئاً طبيعياً اقتضته روح العصر وتلك الحركة العلمية التى كانت فى عنفوان نشاطها لكنها كذلك كانت فى مراحلها الأولى إلى الآن والنقد الأدبى إما عربى صرف ؛ أوعربى فيه لمحات خافتة من ثقافة اليونان لكنه عربى القواعد والتطبيق على كل حال . لكن مع هذا النقد أو بعده بقليل (فى الربع الأخير من القرن الثالث والثلث الأول من القرن الرابع ٢٧٥ — ٣٣٧) ألف قدامة بن جعفر كتابين : أحدهما فى نقد الشعر والآخر فى نقد النثر على اختلاف فى نسبة الثانى إليه

ذكر فى نقد الشعر أنه لم يجد أحدا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا مع أن الناس يخبطون فيه وقلما يصيبون . وكأنما ساءه هذا الإهمال وعز عليه أن يضل الناس فى نقد الشعر . فوضع فى ذلك كتابه ، وقد عالج الموضوع على طريقة ظاهرة التأثر بتفكير أرسطو . وأظهر أثر لكتاب الخطابة عند قدامة هو الكلام فى الفضائل النفسية التى جعلها أرسطو أمهات الفضائل . فقد نقلها قدامة إلى الشعر وربط معانيه بها وأدعم بينه وبينها الصلات

أما نقد النثر فإنه يستدرك به على الجاحظ « الذى لم يوف وصف البيان ولا أتى على أقسامه فى هذا اللسان » ولهذا راح قدامة يتكلم عن البيان والقياس والعبارة وما يندرج تحتها من الاستعارة والأمثال وغيرها . بهذا ننتهى من القرن الثالث حتى إذا كان القرن الرابع رأينا حركة النقد تبلغ ذروتها على أيدى الآمدى والجرجانى وأبى هلال حيث تتسع دائرة التاريخ الأدبى وتقسيم الشعراء إلى طبقات

ويزداد الاهتمام ببحث موضوع التعبير الشعرى ومناقشة خصائص الأسلوب القرآنى وتظهر الكتب القيمة فى جميع هذه النواحى مثل : كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى وديوان المعانى لأبى هلال فى تحليل البواعث الشعرية وتبويبها ، وتتجلى الموازنة بين الشعراء وتحديد منزلتهم الأدبية فى كتاب (الموازنة) للآمدى و (الوساطة) للجرجانى . كما يتمثل اقتراح البحوث

البلاغية التي بدأها قدامة وابن المعتز ، والبحوث القائمة على الذوق الأدبي في كتاب (الصناعتين) موضوع البحث

تداخل البلاغة والنقد أمر طبيعي : —

سبق القول بأن كلا من البلاغة والنقد يدور حول تحقيق الصدق والقوة والجمال في التعبير الأدبي . وهذا العرض السريع لنشأة كل منهما وتطوره يوقفنا على تشابه هذه النشأة بل على وحدة الظروف التي خلقتها

وإذا فلم يكن من الغريب أن يلتقيا في تطورهما أكثر من مرة على أيدي رجال موزعين بينهما أو قد أحاطوا بهما فتكلموا فيهما على اختلاف في الميل إلى أحدهما أو زيادة في الاهتمام به . وأرى أن طبيعة الثقافة ، وحاجة العصر ، وتقدم الزمن أو تأخره بالمؤلف ؛ كل ذلك شارك في توجيهه ودفعه إلى هذا البحث الخاص من بحوث البلاغة أومن بحوث النقد أكثر مما كان عند هذا المؤلف من دوافع الرغبة والإرادة

فالمبرد : أديب لغوى ثم هو من صميم العرب ولم تطعم ثقافته بهذا اللون من ألوان الثقافة الأجنبية . ولذا نراه يتكلم في البلاغة والنقد بروح اللغويين، فما جارى اللغة وساير قواعدها فهو الجيد ، ولا يحتاج بعد هذا إلا إلى جزالة أو فخامة أو متانة حتى يكون بليغا . والبلاغة عنده تتراءى من بعيد في الاختصار المفهم والإطناب المفخم واللمحة الدالة وفي التشبيه « الذي لو قال قائل إنه أكثر كلام العرب لم يخطئ »

وابن المعتز : ذلك الشاعر المطبوع ذوالذوق الخصب والملكة الموسيقية كان أديبا أنيق الصياغة والتصوير ، وإلى جانب هذا كان ذا قدم راسخة في رواية الأدب ونقده . ولقد ألف في ذلك كتبا منها (طبقات الشعراء) و (السرقات) . وله في البلاغة والنقد كتاب البديع

والجاحظ الفحل : بسط جناحيه على معظم مسائل البلاغة والنقد ثم انتفض انتفاضة العبقرية ذالفن فكان كتابه الخالد « البيان والتبيين » .

وقدامة ينقد فيرده النقاد إلى البلاغة ، ويتكلم في البلاغة فيرده البلغاء إلى النقد ، وبوسعنا أن نقول . إنه كان ناقدا وكان عالما بالبلاغة ولو أن نقده وبلاغته كانتا بحيث تغلب عليهما روح الفلسفة والمنطق

وهذا التداخل بين البلاغة والنقد أمر طبيعي بعد الذي علمنا من تقارب عمليهما وبعد ما كان من توحد بعض المؤلفين فيهما . دعا إلى ذلك وساعد عليه تكتل العلوم وجعلها مجاميع لذلك العهد . فقد كانت هناك علوم الدين من فقه وأصول وتفسير وحديث ووعظ . وعلوم اللسان من متن اللغة وتعريفها واشتقاقها وروايتها وبلاغتها ونقدها . وعلوم التاريخ العام والخاص . وعلوم أجنبية من فلسفة ومنطق ورياضيات . فكان الرجل يشتغل بمجموعة من تلك المجاميع فيشتهر بها ويؤلف فيها ؛ بل قد ساعد النشاط العلمي والتنافس بين البيئات المختلفة على إحاطة العالم بعلوم مجموعتين أو ثلاث

والآن لنتقدم إلى أبي هلال ولنصحبه في كتابه (الصناعتين) لنرى حظ البلاغة منه وحظ النقد

(يتبع) **عبده عبد العزيز قلقيلة**

حول مقال

يقظة الوعي الإسلامي

« إلى الأستاذ محمد عبد الله عنان »

للأستاذ محمد رجب البيومي

أخذ الروح الإسلامي في مدى عشرين عاما يرسل أضواءه المتلاحقة في المجتمع المصري الحديث، حتى أصبح لدينا وعي ديني يحسب حسابه، ويلمس أثره الواضح في كل اتجاه، غير أن طائفة من الكتاب يطبقون عيونهم عما حولهم، فلا يقدرون لهذا التيار العنيف أثره البعيد في اختلاف النظرة، وتحول الرأي، بل يتكلمون عن الدين كما كانوا يتكلمون عنه في مطلع هذا القرن، قبل أن تتبدل الحال غير الحال، حيث أفلح الاستعمار في أداء رسالته التبشيرية ردحاً من الزمن، فرسم للشريعة الإسلامية صورة مخيفة مفزعة تتقوض معها دعائم الحضارة والعمران، وقد أذن الله أن ينجاب ليل الباطل عن النفوس، فأخفق أعداء الإسلام في محاربته، وأسفر صبحه الوضيء بهيجاً ساطعاً، فسار الناس على ضوئه وطالبوا بتحقيق رسالته، وهم لابد واصلون إلى ما يبتغون على يديه من خير وإصلاح

ولقد كانت القوانين الوضعية تسن في مصر مخالفة روح الشريعة الإسلامية قانونا إثر قانون، ويقابلها الرأي العام في الصحف والأندية مرحبا هاتفا، فإذا اعترض عليها مسلم مخلص لدينه وعقيدته، رمي بالجمود المتأخر، والرجعية البالية، وقوبل حديثه باستخفاف هازئ وسخرية مريرة، أما الآن فقد تيقظ الوعي الديني في الأمة المصرية تيقظاً يبشر بالخير والسداد، والتف الجمهور الناضج حول الشريعة الإسلامية التفافا متماسكا، وسمع الناس كلمة الدين في حقوق المرأة تدوي عالية قوية، فيذعن لها أصحاب التشريع، ويقف لديها القانون سامعاً مطيعاً، ولكن الرجوع إلى الحق لم يرض فريقاً من الناس فاندفعوا يهاجمون القوانين الدينية هجوما فاشلا، ويرددون النغمة البالية التي لحنها الاستعمار قديماً لتحول بين الشعب وكرامته، فهم ينذرون الوطن بالتأخر والفشل إذا احتكم لقرآنه في تشريع، أو تبع دينه في مذهب، وقد أدهشني أن أجد الأستاذ محمد عبد الله عنان — مع ما عرف عنه من التعقل والاتزان — يصيح مع هؤلاء الناقمين، فيهجم على قوانين الشريعة هجوما ظالما، ويرى في نظمها العريقة تهجما لا يليق بمجتمع متحضر مستنير، وسأنقل هنا بعض ما كتبه الأستاذ بالعدد (٧٠٦) من مجلة الثقافة الغراء دون أن أشوه حديثه بالتلخيص الموجز ليقف القراء على رأيه من أقرب طريق.

يقول الأستاذ:

« والحقيقة أن هذا الاتجاه (نحو الشريعة الإسلامية) خاطئ من أساسه ولا محل على الإطلاق أن يتخذ الدين أساسا لمثل هذا الموضوع، سواء لتوكيد التحريم والإباحة، وإذا كانت مصر دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية، أو بعبارة أخرى أنها دولة تطبق أحكام الدين في سائر نواحي الحياة العامة؛ فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة اللادينية »

إلى أن يقول: « فإذا ما تقرر ذلك وهو أن النظم والقوانين المصرية هي نظم مدنية لا دينية، لأنها هي النظم والقوانين التي توافق روح العصر ومقتضيات الحياة الاجتماعية، فلا محل لأن نجعل الدين حكما في مسائل لا علاقة لها بالدين، ولا تمس العقيدة الدينية ذاتها، ولا محل إذن لنرجع بمطالب المرأة السياسية الاجتماعية إلى أحكام الدين مادامت هذه المطالب لا شأن لها بالعقيدة »

ثم يقول في النهاية: « فمحاولة النيل من هذه النهضة المباركة (نهضة المطالبة بحقوق المرأة) والرجوع بها إلى الوراء باسم الدين أمر لا يقبله عقل مستنير أو منطق سليم »

ونحن حين ننقل هذا الكلام الجرىء لا نرغب أن نعقب عليه بنقد يكشف خطأه للناس، فالناقد المخلص يشرع قلمه حين يخشى استجابة المجتمع لرأي خطير يلتبس فيه الحق بالباطل، ولكن الوعي السائد ينكر بداهة، أن يوجد فرق بين الحكومة الاسلامية، والحكومة الدينية، كما يعتقد الأستاذ، فكل حكومة لا تلتزم شريعة الإسلام فليست إسلامية ولا دينية معاً،

ومن الخطأ الواضح أن يعتقد مسلم أن الدين شيء والإسلام شيء آخر ، فإذا وجد من يجرؤ على هذا القول فى مجتمع رفع الغشاوة عن عينه ، فلن يجد من يستمع إليه ، ولا حاجة لمن يتعقب كلامه بنقد صريح ، إنما الحاجة ماسة إلى من يوقف الكاتب وأمثاله على مدى النشاط الدينى الذى أخذ يسيطر على الحياة المصرية سيطرة مباركة ليزن كل كاتب كلامه عن الإسلام بميزان دقيق

والمدهش الذى لا يتوقعه القارئ من الأستاذ عنان بعد أن كتب هذا الكلام ، أنه يتفق مع رجال الدين فى هدف واحد ، فينادى بحرمان المرأة مما تزعمه لها من الحقوق ، ولكنه يرفض أن يكون هذا الحرمان وفق تعاليم الشريعة الإسلامية كما يقول رجال الدين ! بل احتذاء وتقليداً لفرنسا وإنجلترا وبلجيكا ! إذ أن هذه الدول الغربية قد لزمت الحيطة والأناة حين منحت للمرأة حقوقها السياسية فى فترات متباعدة ، ولم تفتح لها الباب على مصراعيه مرة واحدة ، فالثورة على القوانين الإسلامية وحدها هى التى تشغل بال الأستاذ ، وتدفع به إلى محاربتها دون تردد وا كثرات

ولقد كان اللائق بالكاتب بعد أن تشبث بالقوانين الوضعية واعترف بأنها — وحدها — التى توافق روح العصر ، ومقتضيات الحياة الاجتماعية ، أن يدافع عنها دفاعا يحببها إلى الذهن المصرى الحديث ، بعد أن كفر بها كفراً لا مزيد عليه ، إذ أنها سيطرت على التشريع المصرى حقبة طويلة ، ففتحت الطريق للرشوة والظلم والاستبداد ، ومحت معانى العزة والحرية والكرامة من النفوس ، وهذه القضايا السياسية الفاضحة التى تمتلئ بها صفحات الجرائد كل يوم لم تكن غير نتيجة حاسمة لهذه القوانين الآثمة التى تتستر على الخيانة والرشوة والاختلاس والتبذير ، حتى فطن المصريون إلى ما تجره الشرائع الغربية من نكبات أليمة على الشرق والإسلام ، فأعلنوا الحرب عليها فى غير هوادة ، وسيأتى اليوم التى تلفظ فيه أنفاسها فى الشرق الإسلامى إلى غير رجعة مادام فى الشرق قرآن يعلن كلمة الله ، وجمهور يعتقد أن الحكم بغير شريعة الإسلام ضلال وكفران

وإذا كانت الدساتير الحديثة التى يؤمن بها الأستاذ عنان تنادى بأن الأمة مصدر السلطات ، فلماذا يخالفها الأستاذ مخالفة سافرة فيتحدى الشعور السائد فى الجمهور ، ويتجاهل ماطرأ على المجتمع من تطور سريع فى الرأى والاتجاه ؟ ويغمض عينه عن الآلاف المحتشدة التى تنادى بالاحتكام إلى الإسلام ؟

إن كان الكاتب فى شك مما نقول ، فلينظر إلى من يطالبون بشريعة القرآن الآن ؟ أهم الأزهريون وحدهم كما كان الحال منذ أعوام ؟ أم أن الصفوة المختارة من الشباب الجامعى طلابا وأساتذة يجاهدون فى هذا السبيل جهاداً يوشك أن يكلل بالنجاح !

من المسيطرون اليوم على دعوة الإخوان المسلمين ؟ أليسوا أعلام القانون وأساتذة التشريع فى مصر ! أفينقصهم العقل المستنير الذى يتشبث به الأستاذ عنان ، أم أنهم يشاركونه الفقه والتعمق والإنتاج !

لقد كان على الأستاذ الفاضل — وهو كاتب لامع ينشر مقالاته فى الصحف اليومية — أن يلحظ ماطرأ عليها من اتجاه ملحوظ نحو الدين ، فقد أفردت صفحاتها الواسعة لمناقشة المسائل الدينية نقاشاً مسهباً ، وتسابقت كل جريدة فى تصيد الأبحاث الإسلامية بحثا وراء بحث ، ومن أصحاب هذه الصحف من لا يرحبون بتعاليم الإسلام ، ولكنهم يملقون الوعى الدينى فى الأمة ، ويودون التحبب إلى القارئ بشتى الوسائل ، وفى الكتابة الإسلامية ما يغذى العقول ويشبع الرغبات

لماذا أصدرت أخبار اليوم كتابا عن محمد ، ولماذا أصدرت دار الهلال كتابا يفسر آيات القرآن ؟ أكان المهيمنون على الصحيفتين من عشاق الفكرة الإسلامية فى يوم من الأيام ؟ أم أن الوعى الدينى قد أجبرهم على الإذعان لمشيئته ، فألقوا إليه السلم طائعين ، والتاجر الناجح هو الذى يقدم الثمرة المشتهاة ، ليتدفق عليه الثراء وتتضخم لديه الأرباح !

هذه هى المحاضرات اليومية المتنوعة ، يعلن عنها فى الصحف مساء فلماذا يختار الشباب منها ما يمت إلى الإسلام بأقرب الصلات؟ وهذه هى المجلات الإسلامية تتزايد يوماً بعد يوم فلماذا يتكالب عليها القراء رغم ما يحمله غيرها من مغريات اليانصيب والسباق ، ورغم ما تتملق به الغرائز من صور وأقاصيص !

أليس من المضحك أن يعيش كتابنا الأفاضل فى عزلة تامة عن مجتمعهم المتوثب ، فهم لا يحسون بما يسوده من تطور وانتقال ! فإذا كتبوا إليه أخذوا يرددون ما تعافه الأسماع !

الأدب واللغة

من الكائنات الحية

للأديب محمد عثمان الصمدي

— ٣ —

كان هذا كله لأن الذوق الأدبي كان قد تعقد وأصبح موضوعيا إلى أبعد حد ، فلا يرضى إلا عن الخصب والغزارة . وهو لهذا يضغط المعاني حين يتذوقها أو يتفهمها ضغطا شديدا . ويختصرها نافيا منها مالم يكن في الجوهر مااستطاع إلى ذلك سبيلا. وقد يكون من الملائم هنا أن نلم بقول للجاحظ إزاء بيت من شعر أبي نواس وهو في وصف كأس

قرارتها كسرى وفي جنباتها . مهاً تدريها بالقسي الفوارس

قال : « نظرنا في شعر القدماء والمحدثين فوجدنا المعاني تقلت . ورأينا بعضنا يسرق من بعض إلا قول عنترة (وخلا الذباب بها فليس ببارح) وقول أبي نواس (قرارتها كسرى) الخ البيت »

وليس يعنينا من قول الجاحظ أسرق المحدثون من القدماء أم لم يسرقوا .. بقدر ما يعنينا نظره إلى المعاني . فهي مهما تلونت وتشكلت وظهرت في أثواب وصور مختلفة متباينة فلن يحول ذلك كله بينها وبين رجوعها إلى مصادرها . أو بينها وبين ذوي قرباها وكل ماتمت إليه بسبب قريب أو بعيد . وما من شك في أن ليس للجاحظ وأمثاله من المثقفين مصدر يحملهم على هذا النظر إلى المعاني إلا ما أشرنا إليه من قبل من الفهم الإجمالي . هذا مع اعتقادنا أن الجاحظ قد أسرف إسرافا شديدا حين عزاها كلها إلى النقل والسرقات

وكذلك روى أن راوية مسلم بن الوليد وفد على يزيد بن مزيد بقصيدة مسلم المشهورة التي مطلعها

لاتدع بي الشوق إلى غير معمود نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

فلم يسمح له حاجب يزيد بالدخول . ولكنه عاد فاشترط قبل أن يسمح له بالدخول على يزيد أن ينشده القصيدة . وكان كما قيل للحاجب أدب وفهم . فأنشده القصيدة أو شيئا منها ثم أذن له

ويهمنا في هذا الخبر أن نتبين إلى أي مدى قد مجت الأذواق والأسماع الكلام المكرور . أو بعبارة أدق قد مجت المعاني المكرورة في أثواب غير الأثواب ، وفي صور غير الصور . فهي لاتخدع بما تعرض فيه المعاني من تغيير للوزن والقافية . ومن تلوين وتصوير . ولكنها كما قلنا تفهم ما يلقى إليها على وجه الإجمال ، فإن ظفرت بالطريق المبتكر على هذا النحو في الفهم كما ظفر حاجب يزيد فذاك ، وإلا فلا

وقد كان بودي أن أنقل طرفا من النثر الفني لذلك العصر . ولكني أجتزئ بالتنويه إلى أنه موجز شديد الإيجاز ، قد اصطنعت كل الوسائل الفنية لضغطه وتركيزه ووجازته ، حتى ليبدو غامضا أو كالغامض في كثير من الآثار . وهو لهذا منطق الأديم باهته لا يترقرق عليه ماء . وليس من شك في أن ما آل إليه النثر الفني هو طور طبيعي ، وأثر من آثار استجابته للحياة ككل كائن حي يتأثر بها ويؤثر فيها . ونحو هذا تحديد بعض المعاني على ضوء المعرفة النحوية ، كما تقول حين تريد التعظيم : « إنا أرسلنا إليك الكتاب » وقد كان حسب المرسل إليه أن يفهم أن الكتاب قد صار إليه والسلام . ثم لا يعنيه التعظيم في كثير ولا قليل ، بل لم يكن يخطر له على بال . ولقد رأينا من أجل ذلك عالما كبيرا كابن قتيبة يشكو أحر الشكوى مما انتهت إليه اللغة في

لقد ازدحمت المكتبة العربية بسيل جارف من الكتب الإسلامية التي تناقش الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ضوء القرآن ؛ فلماذا التهمها القراء في نهم واشتياق ، فتعددت طبعات الكتاب الواحد عدة مرات ؟ ولماذا خرس دعاة الإثم من الكتاب فلم نعد نسمع بمن يكتبون عن « كبرياء الحب » « ومأساة قلب » « والموجة العذراء » !

إن المستقبل للاسلام دون نزاع ، فمن شاء أن يلحق بالركب المجاهد فليحمل قلمه في سبيل العزة والحرية والإيمان ، فعما قريب ستبدد الغيوم ، ويشرق النور المتألق ، « ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

محمد رجب البيومي

ذلك العصر . ثم يؤلف للناس ما ينفعهم فى هذا السبيل ، وما يقوم من أيديهم وألسنتهم ، وما يبصرهم بدقائق اللغة ، ويحدد لهم بعض ما فى مفرداتها من فروق . وحسبنا أن نشير إلى هذه العبارة له حيث يقول:

فإنى رأيت أكثر[1] أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين، ومن اسمه متطيرين . ولأهله كارهين . أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم . والشادى تارك للازدياد . والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين

ولفظة الأدب فى عبارة ابن قتيبة تعنى اللغة وعلومها . فلم يكن لفظ الأدب قد تطور إلى ما نفهمه منه فى عصرنا الآن . وكذلك لم يكتف ابن قتيبة بما عاب به أهل زمانه من جهل باللغة وعلومها ، بل عاب به أيضا : الأدباء وكتاب الدواوين . وأولئك كما يقول الجاحظ خير ممن سواهم علما وبصرا وكتابة .. قال ابن قتيبة :

«فأبعد[2] غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف . وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كأس»

وكذلك يقول فى كتاب الدواوين أيضا :

« وأى[3] موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره . فقرأ عليه يوما كتابا وفى الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ . فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدرى » نعم ضعف العلم العام بمدلولات اللغة ، وأصبح الناس يفهمون مايلقى إليهم على وجه الإجمال ، ذلك لأن العقل كان قد سيطر على مصاير النثر والنظم . فهو قد هضم كثيرا من ألوان الثقافات ، بل لقد أصبح خالقا لها بالقدر الذى أهله له تطوره ونموه بالقياس إلى ما أتاحته له الأنظمة الدينية والسياسية والاجتماعية من حرية وانطلاق . ولقد بلغ من سيطرة العقليات على النفوس أن صار التشدق بمصطلحات الفلسفة والمنطق فى الأندية والمجتمعات ظرفا وكياسة . وليس ذلك فحسب؛ بل لقد أراد أصحاب المنطق إلى الشعراء أن يشعروا على نحو من حدود الفلسفة والمنطق . هـذا وليس رد البحترى على أولئك النفر بمجهول لدى أحد من الباحثين والأدباء . ومن قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم والشعر يغنى عن جده كذبه

وبالرغم من البحترى ، وبالرغم من كل شئ سرت العقليات إلى الشعر سريانا قويا . حتى ليبدو شعرا بن الرومى فى عمومه رواسب عقلية تارة . وجدلا كلاميا تارة أخرى . والبحترى نفسه وهو أعظم (موسيقار) فى الشعر خلص العقل إلى أدبه فى أماديحه الضيقة التى كان يلفقها لأولئك الذين ليست لهم مآثر خليقة بالذكر والتسجيل . فقد كان يستمدها من العقل حينا ، ومن التراث الأدبى حينا آخر . وهو مالا نجد له مثيلا فى نضوب الروح فيما سلف من شعر أموى على نحو عام . ورأيى —ولعله أن يكون من الغرابة بمكان فى أنفس بعض الناس— أن أماديحه فى الخلفاء بوجه عام أضعف من مثيلاتها فى القواد والحكام وملوك الأطراف

وعدا هذا فقد كانت له تأملات شعرية يغلب عليها العقل الخالص دون سواه ، ومنذ أن استأثرت العقليات بالسيطرة على الأفئدة والنفوس ، تطلع الناس إلى آفاق من المعرفة لم تكن معروفة من قبل . وهذا طور تتحجر معه اللغة ، وينظر إليها على أنها وسيلة وليست غاية من الغايات . ولا تبقى لها منزلة الغاية إلا فى أنفس المختصين أمثال ابن قتيبة ومن لف لفه من اللغويين والنحاة . وأحب ألا يفهم أحد أن اللغة قد اندثرت وأصبحت أثراً من الآثار فى ذلك العهد . كلا . فما إلى هذا أردت ، وإنما أقصد إلى سنة التطور ، وإلى أن تيارين من المعرفة قد تعارضا فأيهما كانت روافده أقوى ، ودوافعه أشد ، كتب له الظفر ، وأصبح سمة من سمات العصر يتميز بها من سائر العهود والعصور . وقد كان إلى جانب اللغويين والنحاة تلك البيئات الأرستقراطية التى انحدرت من أصول عربية خالصة . فهى تعمل على المحافظة على تراث العرب وإيمانه لأنه من مقومات الشخصية العربية فى ذلك الحين . وإن لم يحل بينها وبين الأخذ بأسباب الحياة الجديدة فى ذلك الحين أيضاً . ولكن هذا شئ وروح العصر شئ آخر

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١
(٢) أدب الكاتب نفسه ص ٢
(٣) أدب الكاتب أيضا ص٦

ومازال العقل يقوى سلطانه ويشتد ، حتى ينتهى الأدب إلى شيخوخته فى العهد العباسى الثانى . وهنا يتداخل العقل والفلسفة فى الأدب تداخلا تاما ، إذ أنه كان قد تمثل ما هضم من الثقافات ، وأحالها إلى أثر من آثاره . ويكفى أن ننظر إلى أبى الطيب المتنبى وإلى أبى العلاء المعرى فهما مظهران صحيحان لذلك العصر . وإنما كانا كذلك لأنهما الشاعران اللذان تثقفا بثقافة العصر تثقفا تاما . نعم يكفى أن ننظر إلى هذين الشاعرين لنرى إلى أى مدى تأثر الإنتاج الأدبى بالعقل والفلسفة . وهنا نقطة التحول كما يقولون . وأقف لأسأل القارئ هذا السؤال : إلى أى طور كان يمكن أن يتطور إليه الأدب بعد أن بلغ هذه المرحلة؛ مرحلة العقل ؟ أما أنا فأرى أنه قد أدركته الشيخوخة ، وما بعدها غير الموت . فالشعر وهو أعظم مظهر له لا يحتمل من المماطلات العقلية أكثر مما أحتمل على يدى أبى الطيب المتنبى وأبى العلاء . ولولا ما كان للدين من سلطان لكان من المحتمل أن يتطور الشعر فيه إلى الملحمة . ولكنه لم يقع ، لأن الملحمة أرفع ما تكون حين تستمد موضوعاتها من الأساطير الوثنية تعالج عليها كثيراً من مشكلات النفوس والعقول والاجتماع فى مختلف البيئات والطبقات . وقد قال باحث أن رسالة الغفران للمعرى ضرب من الملحمة على نحو من الأنحاء . ولكن مع هذا هل استطاعت رسالة الغفران التخلص من أغلال الدين ؟ من الحق أنها لم تستطع . وما كان لها أن تستطيع

وإلى هنا نرى من الخير أن نشير إلى ما قاله الباحث الذى ألمنا به فى أول البحث . وهو أن اللغة لم تبال بما رزئت به الدولة من تدهور سياسى فى القرن الرابع الهجرى . وأنا أيضاً أقرر أنها لم تبال . ذلك لأن شعلة الأدب لم تكن قد انطفأت بعد . ولأنها كما قلنا كائن حى لم يكن قد استنفد حياته . ولم تكن شعلة هذه الحياة قد أتت على كل ما قدر لها من وقود . بل ربما كانت أشد توهجا مما كانت عليه فى العهد السابق . شأنها فى ذلك شأن الخفقة الأخيرة فى السراج

ولقد يبدو لقصيرى النظر أن تعليلنا هذا بسيط بل ساذج . ولكنهم لو ذكروا أن الأدب كائن حى كما بينا آنفا لبدا لهم غير ما يظنون . ونحن ما سقنا هذا البحث من أوله إلى هذه المرحلة ؛ وما طرأ على الأدب فى أثناء ذلك من تحول وتطور ، إلا ليكون كله تعليلا لها . ولننتهى آخر الأمر إلى ما انتهينا إليه من نتائج طبيعية محتومة ليست فى حاجة إلى تعليل ولا تحليل . وإلى هذا فقد كان أمام اللغة طور لم يفض بعد إلى غايته ، وهو طور الفقه فيها وفلسفتها وتدوينها على نحو أوسع شمولا وإحاطة

ومما يزيدنا يقينا بأن الأدب لذلك العهد فى الخفقة الأخيرة ما نراه عند شعراء البيئات العربية الموسومة بالمحافظة وعند أشياعها من مغازلة لبعض الألفاظ اللغوية . وإحساسها بها إحساساً شعريا خاصا . وهو طور الشادى المبتدئ الذى يرى فى بعض ألفاظ اللغة رنينا وسحراً أخاذاً قويا . أما الفحل فيرى اللفظ مهما عذب وحسن موقعه فى السمع فإنه يستمد قوته وجماله من السياق . وأجدر هؤلاء المغازلين للألفاظ بالذكر فى نظرنا الشريف الرضى . ولننظر إلى بيته التالى

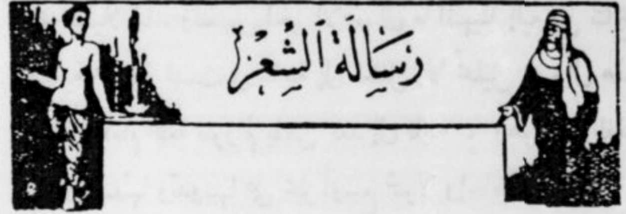
يا قلب ما أنت من نجد وساكنه ... خلفت نجداً وراء المدلج السارى

فإن نجدا وساكنه والمدلج والسارى كلها ألفاظ لها إيحاءات خاصة بالشريف الرضى وبأمثاله من الشعراء . ولكن البيت برغم هذا كله قوى رائع . ومصدر روعته فيما أرى أنه حقق المزاج العربى ، وما يهدف إليه من شجو وشجن . وإلى هذا فقد حقق غنائية النظم أيضاً . وليست هى غنائية الفطرة والسليقة التى ألمنا إليها فى العصر الأموى . وقد يقال إن الشريف الرضى يرمى من وراء الألفاظ إلى مدى أبعد مما نقول. وقد يقال إنها عناصر التقليد المنحدرة من التراث الأدبى القديم . وقد يقال غير هذا وذاك . ولكن بشىء من التدقيق لا يسعنا آخر الأمر إلا أن نسلم بما نوهنا به . وقد قلنا من قبل إن الشعر فى العهد العباسى الأول كان فى عمومه مجرد فن فقط . وفى العصر الذى نحن بصدده قد تطور هذا الفن . وما ظنك بشاعر يقول مقطوعة من الشعر فى الغزل ليست بالقصيرة ، ثم لا تخرج منها بشىء إلا أن الشاعر يريد أن يقول لمن يغازله (أنت قمر) . وأنا أفهم أن هذا من أغراض الفن. ولكنه تطور على كل حال . وما بعد ذلك غير التفكك والانحلال. وانتقال الشعلة من أيدى الأدباء والشعراء إلى أيدى المفكرين والفلاسفة

أما بعد . فهذا رأيى أسوقه لوجه الحقيقة كما أعتقد . غير مبال سخط الناس أو رضوا ؟

تمت

محمد عثمان الصمدى



نهاية ملك

للاستاذ محمود عماد

ومن بعد، لاح بمصر البطل ... وكان لها راصدا فى الأزل
ومصر تجس بطون الليالى ... ترى أى بطن به قد حمل ؟
ويأخذها الحزن من عقمهن ... وتستشعر اليأس بعد الأمل
ولكن كذاك بطول اصطبار الز ... مان إذا رام صنع البطل
وأحسبه يقتضيه كثيرا ... من الجهد حتى يراه اكتمل

***

لمن هذه الفلك، قد ودعت ... بغير الدموع وغير القبل ؟
وما من دعاء لها بالسلا ... مة. شأن العزيز إذا ما رحل
تقول لى الشمس: هذا مليك ... عن النخل فى الشط مثلى أفل
نغيب معاً، غير أن مغيبى ... إلى أجل، وهو غفل الأجل
أجل كان هذا المليك من الش ... عب ملء القلوب وملء المقل
هنيهة كان على العرش طفلا ... قصير الذراع، قصير الحيل
فلما استوى الهيثم الغض نسرا ... قوى الجناح، شديد العضل
تكشف عن عنصر عبقرى ... إلى الشر فى كل وكر وصل

***

مضى ملك الغابة المستبد ... يحل بها كل مالا يحل
بدان برئ، ويعفو مسئ ... ويغصب مال، ويخلى محل
ومن قاد جيش رجال يذل ... ومن قاد سرب نساء يجل
ويعطى الجنود سلاحا يصيـ ... بهمو ويق من عليهم يسل
ويلقى بهم للعدو طعاما ... وبالنصر بعدهمو يحتفل
ويقصى البعول لأمر صغير ... وتغشى البيوت لأمر جلل
ولو عاد بعل إلى البيت يقـ ... تل ثم يثاب الذى قد قتل
وهل يعرف الوحش إلا الفسا ... د وإلا السفاد إذا ما انتقل ؟

***

لقد غضب الشعب من بعد حلم ... وثاب إلى رشده واعتدل
وحق على الدهر أن يخلق ا ... لبطولة إن لم يكن قد فعل
فكانت لدى الجيش تزجى الجنو ... د وتزجى مدافعهم والأسل
وهاجت الظلم فى أوجه ... وقد ريع من أمرها واندهل
وقالت له: انزل عن العرش وارحل ... فقال: نزلت. وعنه ارتحل
وراحت تسلل من جانب العر ... ش كل الأفاعى التى قد أظل
وتلدغ صاحبه من بعيد ... وكم ضربت بهداه المثل!

***

فيا ملكا كان يأخذ كل ا ... لسفائن غصباً، وقالوا عدل
لقد أخذتك السفينة غصبا ... وجنس الجزاء كجنس العمل
فسر عن بلاد أسأت إليها ... أما كنت عنها تحب التنقل ؟
وعم فوق بحرين، بحر الورى ... وآخر من مقلتيك انهمل
عسى تغسل الرجس أن كان من فى ... قرارته الرجس منه اغتسل
وإما حللت غدا أرض قوم ... سواك عليها الأعز الأجل
وناديت مصر فلم تستجب ... وألقيت أمراً فلم يمتثل
ولم تبصر الشمس رأد الضحى ... كما قيل، كالشمس رأد الطفل
فظلمك بدل أبراجها ... وما كان يرجى لها من بدل

***

ويا نيل إن كنت من بعد هذا ... ستترع كل فم قد نهل
سواء لديك طهور اللعا ... ب، ونجس وبئ يريق العلل
فلا وسعتك صدور الصحارى ... ولا الغيث فى رأفديك انهطل

محمود عماد

عرش هوى

للاستاذ محمود غنيم

تكلم أيها القدر المتاح ... وللأقدار ألسنة فصاح
وحدث عن نهاية كل باغ ... فإن حديثك الحق الصراح
بربك عظ جبابرة إذاما ... تراءى الواعظون لهم أشاحوا
ففى أحداثك الجلى عظات ... لو اعتبر الطغاة بها استراحوا
أحقابات «رأس التين» حلا ... تطوقه الكتائب والسلاح
ومن دون الوصول إليه كانت ... رءوس فى الهواء بها بطاح ؟

أحقا أنكر «الفاروق» شعب   عراه من الهتاف له بحاح ؟
مغانى الملك بات على ذراها   يرف لكل ناعبة جناح
وهام المالكون بكل أرض   وتلك قصورهم بقيت وراحوا
قصور أوحشت من بعد أنس   فما لسناً بساحتها لياح
وقد كانت يبارى النجم منها   إذا جن الدجى غرف وساح
وكانت كعبة يغدى إليها   بأفواج الرعية أو يراح
وكان حجيجها وفدا فوفدا   تضيق بهم على سعة «صلاح»(١)
على عتباتها الهامات تحنى   كما تحنى من الطعن الرماح
كأن ترابها مسك ذكى   له فى أنف لائمه نفاح
سلوا طير الغصون «بعابدين»   أطال به على القصر النواح ؟
أم الأعراس فى الوادى شجته   فكان له مع الوادى صداح ؟

* * *

سرير الملك قد أمسى خلاء   وقد ذهبت بعاهله الرياح
لئن جزع السرير فرب شعب   بمصر قد استخف به المراح
سياج الملك تدبير وعدل   — لعمرك — لا مقامرة وراح
وحاشية تحف به ثقات   لهم بالعلم والخلق اتشاح
لهم حزم وتجربة ونصح   وأعراض نقيات صحاح
وليس العرش للحشرات ظلا   ولا من جنده الغيد الملاح
ولن يبقى على الأيام ملك   دم الأحرار فيه يستباح
ولا ملك تعبده هواه   ولم يكبح لشهوته جماح
تظاهر بالصلاح لناظريه   ومن أخلاقه برئ الصلاح
تساق إليه أموال الرعايا   وتسلب باسمه الأرض البراح
أيخشى الفقر ذو عرش وتاج   تدين له الروابى والبطاح ؟
وأقبح ما ترى عرش حريص   وتاج لا يزينه السماح
ولن يرجى لشعب بات فيه   ولاة الأمر تجاراً فلاح
إذا ما فاز بالدستور شعب   فسل عنه أجد أم مزاح ؟
فما الدستور إلا عند قوم   إذا جار الملوك عليه صاحوا
مضى الزمن الذى ما كان فيه   على الأملاك إن ظلموا جناح
فلا ملك تناسل من «أمون»   ولا عرش يباركه « فتاح »

* * *

حماة النيل أحرزتم لمصر   نجاحا لا يضارعه نجاح
قد اجتحتم بثورتكم شرورا   وما للشر إلا الاجتياح
تهللت العروبة يوم ثرتم   كأن العرب أدركهم (صلاح(٢))
وما كالظلم للثورات زاد   ولا مثل الفساد لها لقاح
وكيف يكافح الأعداء شعب   وبين الشعب والعرش الكفاح ؟
معارك بالثبات كسبتموها   ولم تطلق بساحتها قداح
ولا سالت على أرض دماء   ولا احمرت من القلق الصفاح
بدأتم أمرها همسا فأمست   على شفة الزمان بها يباح
شفيتم مصر من قرح قديم   يعاف لأجله الماء القراح
ألا فاليوم كل عسير أمر   يهون وكل إصلاح يتاح
إذا السرطان فارق قلب شاك   فليس يضير ناجذه القلاح(٣)

* * *

حماة النيل من لعثار شعب   إذا هو قام أقعده الكساح ؟
به مستوزرون إذا ولوه   فما للشعب بل لهم الرباح
تجار سياسة وهواة حكم   بأحشاء الحمى منهم جراح
تولوا أمره حزبا فحزبا   فأطلق للفساد به السراح
إذا استلموا زمام الأمر عاثوا   وإن حرموا زمام الأمر ناحوا
يفرقهم على الحكم اختصام   ويجمعهم على الحكم اصطلاح
دعوا أمر البلاد يليه قوم   لهم ذمم مطهرة وراح
جياد إن دعوا للبذل لكن   بأموال البلاد هم شحاح
إذا فاض الثراء بمصر غابوا   وإن نزل البلاء بمصر لاحوا
خطونا الخطوة الأولى بمصر   وتتلوها بمصر خطى فساح
وألغيت الفروق فلا وسام   تزان به الصدور ولا وشاح
تعالى الله . صار لمصر وعى   وآذن ليلها وبدا الصباح

محمود غنيم

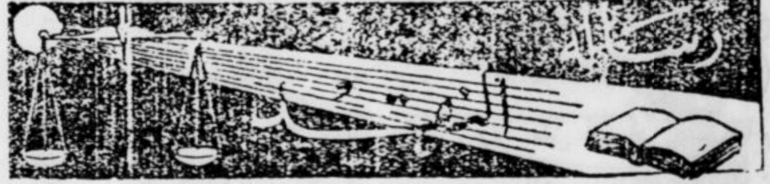
(١) صلاح من أسماء مكة
(٢) صلاح الدين الأيوبى
(٣) القلاح مرض اصفرار الأسنان

حفنة رماد ..

للأستاذ عبد اللطيف الشهابى

(... إلى الجذوة الخامدة ، الغافية تحت الرماد ! .)

لملمت   أشلائى   وأحرقتها
فى   مجمر   الأيام



كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

تأليف : أبي عبيد البكري الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس في الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

تم طبع هذا الكتاب القيم ، بصدور جزئه الرابع ، حاوياً

وفى لهيب الروح طهرتها
من وصمة الآثام
تحت رماد الشوق أخفيتها
فى معبد الأحلام
وهذه الأطياف هدهدتها
على صدى الأوهام
فى اللذة الهوجاء لعنة شيطانى
فى الجذوة الحمراء ! ثورة نيرانى
جبلت كأسى فى رماد السنين
فى خمرة أتراحى
وفى دروبى ، فى كهوف الحنين
أطفأت مصباحى
وفى عذاب الضارع المستكين
نادمت أشباحى
لكننى . . على صخور اليقين
حطمت أقداحى
فى اللهب المجنون نثار أحلامى
فى الحمأ المسنون أغرقت آثامى

عبد اللطيف الشهابى

لحرف «الكاف» ومابعدها من الحروف، وفيه فهارس لأسماء البلدان والمواضع، والمياه والجبال، وللأعلام عامة، وللقوافى ، تقع فى أكثر من مئتى صفحة. وضمها ورتبها الأستاذ السقا فزاد الكتاب قيمة علمية

وقد ألمنا — فى كلمة نشرتها هذه المجلة الكريمة عند صدور الجزء الثالث — إلماعة موجزة عن صعوبة نشر المؤلفات القديمة . وخاصة ما يتعلق بتحديد المواضع ، وأشرنا إلى ما بذله الأستاذ السقا من جهد فى سبيل تحقيق هذا الكتاب ، وصححنا بعض أغلاط وقعت فيه ، ويسرنا أن نرى الأستاذ قد أخذ بكثير من تصحيحنا حينما وضع فهرس الخطأ والصواب ، فى آخر الكتاب، وإن نسب تصحيح تلك الأخطاء إلى المجلة التى نشرت التصحيح ، ولم ينسبه إلى كاتبه

وتقديرنا لما بذله الأستاذ من عناية فى التحقيق ، واعترافنا بفضله ، لا يحولان بيننا وبين الإشارة إلى شىء من ملاحظاتنا على هذا الجزء ، إشارة نقصد من ورائها الخير . من إفادة القراء فى تصحيح بعض ما جاء فى هذا الجزء ، مما هو بحاجة إلى تصحيح

الملاحظة الأولى :

يعنى بتحقيق النصوص ؛ الرجوع إلى مصادرها الأولى ، للتثبت من صحتها ، وللوثوق من مطابقتها لما فى تلك المصادر ، والأستاذ السقا — وإن رجع إلى كثير من الكتب التى ألفت فى تحديد المواضع وبيانها ، وإلى غيرها من الكتب اللغوية والأدبية ، إلا أنه قد فاته الرجوع إلى كثير من الكتب التى استقى البكرى مواد كتابه منها . وهذا أمر غريب جدا من أستاذ جامعى ، يدرس مناهج التحقيق العلمى ، ويؤلف فيه ، وينقد ويناقش البحوث والمؤلفات وفق قواعده . وها هى الأمثلة :

(١) فى صفحة ١٢٧٤ : (المهجم ··· هو خزار الجبل المتقدم ذكره ، قاله الهمدانى) كذا . فلنرجع إلى المصدر الأول — وهو الهمدانى — لننظر هل قال هذا القول ؟ للهمدانى — وهو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابن الحائك المتوفى فى سنة ٣٣٤ تقريبا — مؤلفات ، طبع منها « صفة جزيرة العرب » والجزء الثامن والعاشر من « الإكليل »

وقد عول البـكرى على هذين الـكتابين ونقل عنهما ، وأكثر النقل . ومما نقل عن (صفة جزيرة العرب) كلامه هذا فى تعريف المهجم ، ولـكن النقل هنا مبتور ناقص ، كقراءة من يقرأ : (فويل للمصلين) ثم يقف . وها هو نص كلام الهمدانى : (ص ١٧١ طبعة ملر ، فى ليدن وهى الطبعة الوحيدة) : (ديار ربيعة ، من العروض ونجد : الذنائب، وواردات ، وخزاز — ويقال فيه خزازى . وقد يرى قوم من الجهال أن ديار ربيعة بن نزار كانت من تهامة ، من سردد ، وبلد لعسان من عك ، وأن تبعاً أقطعهم هذه البلاد ، لـما حالفوه ، وهذ من الأخبار المصنوعة لأن الملوك أجل من أن تحالف الرعايا ، وإنما بنوا هذا الخبر على وهم وهوى ، فقالوا فى المهجم وهى خزة : خزازى ، وفى الأنعوم الأنعمين ، وفى الذنبات : الذنائب ، وفى العارضة : عورض) . اه ملخصا . وتتضح المسألة حينما نعلم أن المهجم وادفى تهامة ، يصب فى البحر ، قرب مدينة زبيد ، وأنه كان يطلق عليه اسم (خزة) ويقارب هذا الاسم (خزاز) وهو اسم لجبل فى نجد ، بينه وبين المهجم ، مفاوز وفيافى ، ولهذا الجبل ذكر كثير فى أشعار العرب ، وله يوم من أيامهم المعروفة ، بين القحطانيين ، والعدنانيين ، وقد أورد البـكرى شيئاً مما ورد فيه ، عند ذكر اسمه ، فلما عرف المهجم قال بأنه هوخزاز المتقدم ، ناقلا عن الهمدانى ، بل ناسبا القول إليه . اعتمادا على الـكلام الذى نقلناه آنفا ، والذى قال عنه الهمدانى إنه مبنى على وهم وهوى ، وبهذا النقل المبتور الناقص اختل المعنى ، وانعكس القصد

(٢) وفى صفحة ١١٧١ — نقل عن الهمدانى أيضا — يتعلق بمأرب ، جله مأخوذ من الجزء الثامن من كتـاب (الإكليل) وهـذا الجزء مطبـوع مرتين ؛ مرة فى العراق ، والأخرى فى أمريكا ، ولـكن الأستاذ السقا لم يرجع إلى هـذا الجزء لـكى يحقق النص .

٣ — لعرام بن الأصبغ السلمى الأعرابى رسالة عن « تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى والميـاه » وقد نقل البكرى جل هذه الرسالة ، فى مواضع متفرقة من كتابه هذا ، وصرح بالنقل منها فى مقدمة الـكتاب ، وفى الـكلام على « رضوى » وقد نشر هذه الرســالة العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، عضو « المجمع العلمى العربى » فى « أورنتيل كوليج مجازين Oreintal College Magazeine » التى تصـدر فى « لاهور ، البا كستان » منذ بضع سنوات ، وكان خليقاً بالأسـتاذ السقا الرجوع إلى هذه الرسالة ، لتحقيق النقول الـكثيرة التى نقلهـا البكرى منها ، وقد يكون للأستاذ العذر فى عدم اطلاعه عليها ، ولـكن ياقوت الحموى ، نقل جلها فى « معجم البلدان » والسيد السمهودى مؤرخ المدينة نقل كثيرا منها فى « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » و « المعجم » و « وفاء الوفا » مطبوعان ولا غنية لمن يقوم بتحقيق مؤلف فى تحديد مواضع بلاد العرب وأمكنتها عن الرجوع إليهما ، وإلى أمثالهما . وعدم تحقيق ما نقل البكرى من هذه الرسالة سبب كثيرا من الخلط فى تحديد المواضع ، ومن الغلط فى تلك النقول ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى صفحة ١٣٧٧ : (ورقان بفتح أوله وكسر ثانيه ، بعده قاف ، على وزن فعلان ؛ وهو من جبـال تهامة . ومن صدر مصعدا من مكة فأول جبل يلقاه ورقان) . وهذا غلط شنيع ، فورقان جبل لا يزال معروفا باسمه هـذا وهو بعيد عن مكة ، وليس بأول الجبال التى يلقـاها المصعد منها ، بل كل الجبال الواقعة بين مكة والمدينة هى إلى مكة أقرب منه إليها . والبكرى نقل الـكلام هذا من رسالة عرام ، إلا أنه أبدل كلمة « المـدينة » بكلمة « مكة » فورقان بقرب المدينة . وجاء فى هذه الصفحة : (وأهل الحجاز يسمون السماق الضمخ ، وأهل الجند يسمونه (العرتن) . والأستاذ السقا يعلم أنه ليس لأهل الجند لغة تقارن بلغة أهل الحجاز ، وأن الصواب: (وأهل نجد) كما فى رسـالة عرام ، طبعة الميمنى ص ٢٧٥ من المجلة ، وعلى ذكر [illegible] الإشارة إلى أن قول الأستاذ السقا (ص ١٢٧١) أنطى ؛ بمعنى أعطى ، فى لغة اليمن . فيه تساهل ؛ إذ من المعروف أن هذه اللهجة لا يختص بهـا اليمنيون ، بل يشاركهم فيها بعض العدنانيين ، من قيس عيلان وغيرهم ، ورياح بن الأشل الذى فسر الأستاذ كلامه غنوى من قيس عيلان ، فما معنى حصر تلك اللهجة بأهل اليمن ؟

٤ — وفى ص ١٣٥٢ : (تأتى من شمنصير وذروة … وبأعلى كلية ثلاثة أجبال صغار ، منفردات من الجبال ، يقال لها سنابك) . ولو رجع الأستاذ إلى رسالة عرام ، أو إلى النـاقلين

منها غير البكرى . لوجد أن كلمتى (ذروة) و (سنابك) مما تصحف على البكرى ، وأن صوأبهما (ذرة) و (شنائك)

الملاحظة الثانية

يرى القارئ فى مقدمتى الجزء الأول ، والرابع فى هذا الكتاب ، تقليلا من قيمة مطبوعة المستشرق وستنفيلد ، وثناء على هذه المطبوعة ، مطبوعة الأستاذ السقا ، ومن ذلك ، من مقدمة الجزء الرابع : (أرجو أن يكون من ورائها تصحيح لكثير من الأخطاء التى وقعت فى نت الطبعة .. فهرس هذه الطبعة يمتاز بالتقصى الدقيق ، الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ... فهرس الأعلام يمتاز بالاستيعاب والاستقصاء كسابقه ، وبأنه لا نظير له فى طبعة جونتجن ... فهرس القوافى ليس له نظير فى طبعة جونتجن كذلك ، ويمتاز بشموله فى دقة كاملة ... أما ما وقع من المؤلف من خطأ . وكذلك ما وقع فى مطبوعة جونتجن فقد أصلحته ، ونبهت عليه)

للأستاذ السقا أن يصف عمله بالإتقان والجودة ، والشمول والإحاطة ، فهو جدير بذلك ، ولكن الاستنقاص ليس من صفات المنصفين ، ومطبوعة جونتجن هى أول مطبوعة من هذا الكتاب انتفع بها الباحثون ، وهى تحى ما فيها من أخطاء -- قل أن يسلم من مثلها مطبوع عربى — على درجة عظيمة من الصحة ، وطابعها معروف بسعة اطلاعه ، وتحريه للصواب ، ولو لم يكن من فضله إلا تمهيد السبيل للأستاذ السقا ، لكفى سببا لعدم النيل من عمله ، إن لم يوجب الثناء عليه ، ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن كثيرا مما ظنه الأستاذ السقا خطأ فى طبعة جونتجن هو الصواب بعينه ، وقد ذكرنا شيئا من ذلك فى نقدنا للجزئين الأولين ، الذى نشرناه ، واعتمد عليه الأستاذ فى تصحيح الأخطاء ، ومن الأمثلة ، مما فى هذا الجزء :

(١) ص ١٣٣٣ : (وتجتمع سيول العقيق وبطحان وقناة بالرعابة) وقال الأستاذ فى الحاشية : فى طبعة جونتجن (الزغابة) وقال : إنه تصحيف . والتصحيف هو ما اختاره الأستاذ ، إذ يجتمع سيول تلك الأودية : (الزغابة) بازاء المضمومة ، فغين معجمة ، فألف ، فباء موحدة فهاء (انظر شذ المادة من « وفاء الوفاج ٢ » (معاجم اللغة والمواضع)

(٢) ص ١١٥٠ : (ضم القنان لفقعس سوءاتها) والصواب ما فى طبعة جونتجن : (ضمن) — راجع مادة « القنان » من « معجم البلدان »

(٣) وفى ص ١١٤٤ : (ديار سعد بن هذيم) . وقال السقا: ابن ساقطة من طبعة جونتجن والصواب سقوطها ، لأن سعدا هذا حضنه عبد حبشى يقال له هذيم ، فغلب عليه فقيل : سعد هذيم ، وليس هذيم أبا لسعد . (انظر المقتضب من جمهرة النسب « ورقة ١٠٥ / ١ مخطوطة دار الكتب المصرية)

(٤) وفى ص ١٢٣٧ : (المسلح : بكسر أوله ... منزل على أربعة أميال من مكة) . وفى طبعة جونتجن : (أيام) مكان : (أميال) وهى الصواب ؛ قال الهمدانى — فى « صفة جزيرة العرب » ص ١٨٥ — : ومن أخذ الجادة من مكة إلى معدن النقرة ، فمن مكة إلى البستان ٢٥ ميلا ، ومنه إلى ذات عرق ٢٤ ميلا ، ومنها إلى الغمرة ٢٠ ميلا ، ومنها إلى المسلح ١٧ ميلا) . ا . ه ملخصا . وهذا من أدق التحديد ، فى بعد هذا الموضع عن مكة ، ومن أوضح الأدلة على أن المسافة بينها وبينه أربع (ليال) لا (أميال)

(٥) وفى ص١٢٧١ : (منعج : بفتح أوله ، وإسكان ثانيه ، بعده عين مهملة مكسورة ، وجيم معجمة) وكلمة (معجمة) لا محل لها . إذ كلمة (الجيم) لا مشابه لها من الحروف فى صورتها . لكى تميز بالإعجام ، وهى ساقطة من طبعة جونتجن

(٦) وفى ص ١٢٨٥ : (الحضرمى : هو عبد الله بن عماد ابن سليمان) وفى مطبوعة جونتجن (سلمى) ولعلها أصوب . إذ هذا الاسم هو المعروف بين العرب الجاهليين . بخلاف سليمان . فهو وإن اشتهر بين أهل المدن فى العهد الجاهلى ، قليل بين البدو (وانظر ترجمة « العلاء بن الحضرمى » فى الأعلام للزركلى) ولعل فى هذا القدر كفاية

البقية فى العدد القادم

حمد الجاسر



حول « علم النبي بالغيب »

نشرت الرسالة الغراء فى العدد (٩٩٨) مقالا للأستاذ ناصر سعد عن علم النبي بالغيب ، ونحن نحمد له جهدة الموفق فى إيراد تلك الحوادث التى جعل منها شواهد على رأيه ، ولكننا نسنا معه فى أن النبي ولا غيره يعلم شيئا من الغيب عن طريق العقل أو الروح كسبا نفسيا تتجلى فيه شخصيته ، وتبرز عنه إنسانيته ، فالقرآن الكريم أثبته لله ونفاه عن غيره فى قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » وعلى لسان النبي فى القرآن أيضا « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء » و« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » وغيرها وغيرها ، وإخبار الرسول بهذه المغيبات، إنما هو بوحى يوحى إليه ، وليس لنا أن نقول كما قال الأستاذ « إنها بقوة إلهية » حتى نحصر مسائل الغيب على التوقيف من الله ، والرسول بشر يوحى إليه ، فما ينطق عن الهوى، والقوة البشرية كائنة ما كانت، لا تطول أن تخلص إلى الغيب إلا بإظهار الله ، وهذا هو الذى يتساوق مع منطق العقل، مضافا إلى ذلك ضآلة كل ماسوى الله بجانب العلم الإلهى ، أما قراءة الأفكار فهى من باب الحدس الذى يعتمد على قوة النفس ، وشدة الفراسة ، وحدة الذكاء ، وحسن الاستدلال ببعض المظاهر الانفعالية على أشياء قد يخطئ الحدس فيها ويصيب ، فلا ترق بحال من الأحوال أن تكون علما بما جد أو يجد من أحداث . أقول لا ترق إلى أن تكون علما مباشراً للحقائق الخفية عن حواسنا الظاهرة والباطنة، ويقال عن عالم الأرواح هذا أو قريب منه ، ولتقريب ما أذهب إليه إلى الذهن أورد فقرات من حديث العلامة المرحوم السيد رشيد رضا فى كتابه (الوحى المحمدى) قال : « الغيب ما غاب علمه عن الناس ، وهو قسمان « غيب حقيقى » لا يعلمه إلا الله ، و « غيب إضافى » يعلمه بعض الخلق دون بعض لأسباب تختلف باختلاف الاستعداد الفطرى والعمل الكسبى ، ومن أظهره الله على بعض الغيب الحقيقى من رسله ، فليس لهم فى ذلك كسب ، لأنه من خصائص النبوة غير المكتسبة» من هذا يتضح أن الرسول لا يعلم الغيب، وإنما يظهره الله عليه فى بعض المسائل تصديقاً له، وعونا على أداء رسالته وذلك يلتقى مع المعجزة فى غرض واحد ، هو ما رأيت ، فلو كان يستشف ما وراء الغيب من نفسه لأمكنه أن يتوقى ما حدث له من إيذاء ، وما خطر فى سبيله من أهوال ، ولجانب المصاعب فى سبيل رسالته ، ولكنه ككل بشر تعرض لما يتعرض له كل كائن حى ، فلم يدن بنبوته إلى مقام الألوهية ، ولطالما حدث عن نفسه بهذا وأشباهه ، حتى لا يفتن الناس عن دينهم ، وما يرمى إليه من إصلاح واعتدال ، وقد يقول قائل : أى خطر على الأمة مما نخوض فيه اليوم حتى ولو وصل إلى درجة المعتقدات ؟ للناس أن يعتقدوا ما يشاءون فلا ضير على العامة من أى اعتقاد شخصى فى مسألة كهذه ، وأنا أقول : إن الذى دفعنى إلى هذا الاعتراض خوفى الشديد من أناس يحترفون علم الغيب ، ويصطنعونه أداة من أدوات العيش ، يثرون من طريقه ، ويتمتعون من أجله بقدسية وكرامة، فى محيط العوام الذين يرتمون على أقدامهم ، يستجلونهم المستقبل الغامض ، ويستمطرون سحائبهم الجهام ، وإن هؤلاء ليتمثلون فى (أرباب الطرق) أو بعضهم ، و (أهل الكشف) و (ضاربات الرمل) ومن لا صلة لهم بدين ولا دنيا ، وهم كثير، نعانى منهم الويلات ،وهم شر مستطير بما يدعون إليه من تبطل ، وما ينشرونه من فساد ، فأحرينا أن نأخذ على أيديهم ونشنها عليهم حربا عوانا ، ونبين لهم فى وضوح وجلاء أن الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف بهؤلاء الصعاليك الفاليك الذين لا يدفعون عن أنفسهم ضرا ، ولا يرجون لها وقاراً ، والدين الإسلامى دين بساطة ووضوح ، لا تعقيد فيه ، وهو يهدف إلى استقامة أمور الناس ، وليس من المصلحة فى دين ولا دنيا أن يعلم أحد الغيب من دون الله ، لئلا ينقلب العالم إلى مهزلة ، تخضع للمؤثرات البشرية المتباينة ، والتيارات العاطفية المتخالفة ، ولئلا يتحكم الناس بعضهم فى مصائر بعض ، وليترك الأمر لله ، يستأثر بعلمه ، لتنظيم ملكه على أسس صالحة ، من العلم والحكمة والتدبير؛ فهو وحده الذى يمسك السموات والأرض ، والكل بجانب علمه الإلهى سواء فإن أظهر على غيبه أحداً من خلقه، فإنما لتتم حكمته ، ويكمل نظامه ، ويتسق أمره « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا

إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً » . . فى مقال الأستاذ ناصر متعة شائقة ، ولكن عظمة النبى فى أغنى الغنى عن ادعاء علم الغيب له، وبحسب المباحث ليلمس عظمته ويدل عليها ، وأن ينهل من معين آيات الله ، ويرشف كؤوس السنة النبوية المطهرة فهما حافلان بآيات الآيات فى الدلالة على الفضائل والهداية إلى مكارم الأخلاق ، التراث الخالد الذى ورثناه عن صفى الله وخاتم أنبيائه الذى أوحى إليه فيما أوحى : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين م؟

محمد محمد الأبشيهى
مدرس ببيروه الثانوية

علم النبى بالغيب أيضا

طالعت فى « الرسالة » الغراء المقال الذى كتبه تحت هذا العنوان حضرة الأستاذ ناصر سعد ، من أدباء العراق ، وتعقيبا على ما ذكره الكاتب الفاضل أروى القصة التى أشار إليها القرآن الكريم ، فى الآية الشريفة : « وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير » — سورة التحريم — فقد روى عن النبى — صلوات الله عليه وسلامه — أن زوجته « حفصة » قدمت له شرابا من العسل ، فاتفقت زوجتاه « صفية » و « وسودة » على أن تقولا له إننا نشم منه رائحة « المغافير » وهى لون من ألوان الصموغ المحلاة . فحرم النبى على نفسه العسل ، وأسر إلى زوجه « حفصه » بذلك فلم تكتم « حفصة » حديث النبى الكريم ، ونزلت الآية تعتب على الزوجتين فعلتهما ...

ومن هذا يتضح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلم بعض الإلمام بالغيب . .

وفى موضع آخر من القرآن الكريم ، تنطق الآيات بلسان النبى الأمين فتقول : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » ... وهذه الآية تنفى علم النبى بالغيب ، وليس بغريب أن يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه على الغيب ، وهو الذى أغدق عليه نعمه وفضله ، واصطفاه لرسالته العليا ، واختاره ليحمل مشاعل النور والإيمان ... فكان فضل الله عليه كبيرا ...

سلام عليك أيها النبى الكريم ورحمة الله وبركاته ...

عيسى متولى

تصحيح ودفع شبهة :

جاء فى مقال لى نشر فى العدد الماضى من مجلة الثقافة الغراء ردا على مقال نقدى تناول مجموعتى الشعرية « رياح وشموع » جملة « وأنا كشاعر كبير لا أرضى أن أعيش على فتات الماضى » والجملة فى الأصل « وأنا كشاعر مجدد لا أرضى أن .. الخ » .

ولست أدرى كيف غيرت هذه الجملة بحيث خرجت إلى معنى كله غرور وادعاء أنا بعيد عنهما كل البعد فلعلها إحدى غلطات المطبعة ...

إن طريق الشعر وعر طويل ... والمجد الأدبى وليد دراسة .. وكفاح وصبر ، وأنا ما زلت فى أول الطريق

كمال نشأت

فى روضات الجنات

فى يوم الأحد ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٧١ توفى العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثرى. ولد بتركيا سنة ١٢٩٦ ودرس فى المدارس الرشدية ثم فى أكبر المعاهد الدينية هناك، إلى أن حذق علوم الشريعة فاختير استاذاً فى جامع الفاتح وجامعة اصطنبول ومعهد التخصص ثم انتقل لمصر وأقام بها وألف كتبا كثيرة وحقق كثيراً من المخطوطات وعلق عليها ، ونشر مائة مقالة ونيفا فى مختلف البحوث . وكان جزءاً ضخما من الثروة الإسلامية ، جمع إلى العلم سمو العالم ، وكان نسيج وحده فى الوفاء والمروءة والصراحة والإباء ، لا يلاين فى الحق ولا يضعف فى دفع الباطل.

وقد دفن فى مدفن الشيخ ابراهيم سليم فى شارع رضوان بقرافة الإمام . تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام خيراً م؟

محمد شفيق



وتفضلوا بقبول احترامى

للقصصى الروسى سالتيكوف

كانا فى وقت ما يشغلان منصبين من مناصب الحكومة وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما بنقلهما إليها بساط سليمان

وكانا قد قضيا عمريهما فى ديوان حكومى نشآ فيه وتربيا وشابا ؛ وكأنما قد ولدا به أيضا . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شئ لا يتصل بأعمالها ، وكل الذى يعرفانه ينحصر فى الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة « وتفضلوا بقبول احترامى »

لكن هذا الديوان ألغى وأقالتهما الحكومة فهاجرا ، بعد أن أطلق سراحيهما، إلى شارع بوديشسكايا فى بطرسبورج، وكان لكل منهما فيه منزله وطاهيه ومعاشه

ولما استيقظا من النوم فى الجزيرة التى « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع فى البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته

قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة الأمس ياصاحب السعادة ! لقد رأيت فى الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضا ، وقال فى دهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان ما رأيناه حلما ؟ »

ولمس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو فى حلم أم يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضا ، فبكيا لأول مرة بعد أن ألغى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى إلا قميص النوم وقد علقت فى جيده صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة، ولكن من لنا بها الآن؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريرا فكيف نبعث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقا وأنت تذهب غربا ، ثم نعود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدنا إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا فى تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما فى دار المحفوظات ؛ فقد ذهب مجهودهما هذا عبثا

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن يذهب أحدنا إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله فى دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتا ما ، فهو لذلك أذكى قليلا من صاحبه وكان كما اقترح . أما الموظف الذى ذهب إلى اليمين فوجد أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؛ وكان بوده لو يستطيع تناول تفاحة ، ولكن الثمر كان شديد العلو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ، ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذى نجح فيه أنه مزق قميص نومه

وألقى نظرة على الماء فرآه ممتلئا بالسمك ، فتمنى لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع بودشسكايا . ولما مر هذا الخاطر بذهنه جرى لعابه ، ومشى فى الغابة ، فرأى كل أنواع الطيور والأرانب والغزلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان الذى اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده فى انتظاره

قال : « ماذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ » فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة الوقائع الرسمية » : فأخذ يحدثه عما وجده هو . وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقاً شديداً . وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما فى المعاش المرتب لكل منهما، وفيمن يتقاضاه عنهما الآن فيتمتع به دونهما . وكان من أسباب الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من سمك وسمانى وأرانب وفاكهة وأن ليس فى مقدورهما الحصول على شئ منها

قال أحد الموظفين : لا أعرف كيف نعيش هنا ؟ إننا حتى لو استطعنا الحصول على طائر فكيف نذبحه وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إننى فى الحق لا أفهم كيف يحدث كل ذلك »

ثم عادا إلى الصمت وحاولا أن يناما ، ولكن قبل أن تغتمض عيونهما مر سرب من السمانى فتخيلاه وهو مقلى على الأطباق . وقال أحد الموظفين : « لقد هممت من شدة الجوع أن آكل حذائى » فأجابه الآخر : إننى سأمتص جوربى »

ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شر كأن نفسه تحدثه بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذى اشتغل مرة بالتدريس : أظننا لن ننتظر حتى يحاول أحدنا أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلاقى الموت؛ فما رأيك يا صاحب السعادة؟ »

قال يجب أن نقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا فإن واحداً منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدئ أنت »

قال الموظف الذى كان مدرسا : « قل لى لماذا تشرق الشمس أولا ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون العكس ؟ » فأجابه الآخر : «هذا سؤال مضحك يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكى نستيقظ ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكى ننام »

قال : « ولكن لماذا لا تفترض العكس فنذهب عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما تغرب الشمس . . . » فقاطعه الآخر قائلا : « إن هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس يحمل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها يحمل الإنسان على طلب العشاء »

وقد أفسدت كلمة العشاء المحادثة لأنها هاجت جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد الأطباء قال لى إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما فى جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لا أفهم ماذا تعنيه »

قال : « هذا يعنى أن فى الجسم أنواعا مختلفة من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان فى النهاية إلى طعام جديد ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال : « إذن فالعبرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »

وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث لا يؤدى إلى الغرض الذى يقصدان إليه ، بل هو يزيد من شهوتيهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال بهما الصمت تذكر أحدهما الوقائع الرسمية فتناولها ليقرأ فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى — وهى خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ، فأخذ الآخر منه الجريدة ليقرأ خبراً آخر . وأخذ يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام

ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة لا تتعلق بدايتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره أيضا . فأطرق كلا الرجلين وتثاءبا تثاؤبا مؤلما

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله خاطر سعيد . ووقف فجأة ليعلن استكشافه وصاح : « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فماذا تقول إذا أتينا بخادم ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف نأتى بخادم يا صاحب السعادة ؟ وأى صنف من الخدم نجده هنا ؟ »

فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن يعد لنا الطعام وأن يصيد السمانى والسمك ويطبخهما »

قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ » فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون فى كل مكان . إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمأن الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل منهما ليبحث

عن خادم ، وطالت مدة بحثهما ، ولكنهما لم تذهب سدى ، فقد وجدا فى النهاية رجلا أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز وهو نائم تحت شجرة كبيرة ، فلكزه صاحب السعادة وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد نموت من الجوع قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول ما هم به أن يفر ولكنهما أمسكا بتلابيبه فاستسلم المسكين للقدر القدر عليه ، وصدع بالأمر وتسلق شجرة تفاح فجمع للسيدين الجديدين خير ما فيها ، وقطف تفاحة توشك على الفساد فجعلها لنفسه . ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقدارا من البطاطس وأوقد النار بضربة حجرين فى وسط هشيم وطبخ البطاطس ؛ وفى أثناء ذلك صاد أرنبا فأضافها إلى الطعام ، وصاد كذلك زوجا من السمانى ؛ فأدرك الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة بقرب هذا الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل . وقال كل منهما للآخر « ما أسعد حياة الموظف ! »

وقال لهما الخادم : « هل أنتما مسروران ؟ » فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »

قال : « فهل تسمحان لى الآن بأن أستريح ؟ فقالا : « نعم على شرط أن تأتى لنا بحبل أولا » فذهب وجمع أليافا طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها حبلا طويلا متينا فسلمه اليهما واستأذن فى السماح له بالراحة فقيداه بالحبل وأذنا له بأن ينام فى ظل الشجرة المجاورة

وزاد حذق الخادم فى تهيئة الطعام فزاد الموظفان بدانة وصحة. وقال أحدهما للآخر وهما يتناولان طعام الإفطار : « ما رأيك يا صاحب السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة رمزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : «إنها بلا شك قصة واقعية، والدليل على ذلك كثرة ما فى العالم من اللغات . وإلا فكيف تنشأ اللغات لولا تبلبل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان صحيحة ؟ »فقال صاحب السعادة : » نعم بغير شك . ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول عدد الوقائع الرسمية فأخذيقرؤه للمرة العاشرة من أوله إلى النهاية

لكن السأم دب إلى نفسيهما،فقد كانا يذكران ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهييهما فى بطرسبورج فتذرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لا أعرف كيف شارع بودشسكايا الآن يا صاحب السعادة . فقال : لا تذكرنى به فقد كاد يقتلنى الحنين إلى الوطن

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيذة لا عيب فيها ، ولكن الحمل يتوق إلى ثدى أمه ، ونحن نتوق إلى رؤية بلدنا وإلى ارتداء ثيابنا الرسمية فى يوم قبض المعاشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو كانت من الدرجة الرابعة تسر الإنسان وتنسيه متاعبه

واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى لكى يعودا إلى شارع بوتشسكايا

فصنع لهما من أشجار الغابة سفينة لم تكن كسائر السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها إلى بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده تسيير السفينة

وبدأت الرحلة ، فكانا يلعنانه ويلقبانه بأقبح الألقاب كلما ظنا أن حياة اثنين من الموظفين ستتعرض للخطر فى سفينة هذا الخادم

وكان البليدان لا يعملان شيئا فى السفينة ، فنهض الخادم مع انفراده بالتجديف يهيئ لهما الطعام مما يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر

وما كان أسعدهما عندما انتقلت السفينة من بحر البلطيق إلى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا بقية المسافة مشيا على الأقدام . وفى النهاية وصلا إلى العاصمة

كانت سعادتهما سعادة بالغة عندما نزلا من السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ يشربان القهوة . وفى اليوم التالى لبسا الثوب الرسمى وذهبا لقبض المتجمد من المعاش . ولست أستطيع الإخبار عن مقدار هذا المعاش ولكنهما لم ينسيا الخادم ، فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكى وخمسة قروش صحيحة.. تمتع ياخادم

ع٠٢

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٠ — اول سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

١٧٠٩٠٣

20 me année No 1000

Le Caire 1 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ١٣٧١ — أول سبتمبر سنة ١٩٥١ — السنة العشرون

بلغنا العدد الألف !

نعم، بلغنا العدد الألف ! ومعنى ذلك انقضاء ألف أسبوع من عمر الرسالة الباقية، أو عشرين عاما من عمر صاحبها الفاني ! وإن عشرين عاما يقضيها الكاتب المتأمل في هذا المرصد الأدبي والاجتماعي يصوب مناظيره إلى كل سماء، وينصب مخابيره في كل أرض، لتكشف له عن ظواهر في الآفاق، وعن بواطن في الأنفس، ما كان ليراها، لا بعينه ولا بقلبه، لو أنه جلس مجلس الشاهد المتفرج في مسرح الحياة

قضيت ثلث عمري الأعلى والأغلى دائبا دءوب القمرين، أعمل ليل نهار في عالم عبقري الأحلام والرؤى، يزخر بالعقول النيرة، والنفوس الخيرة، والأخيلة الخصبة؛ أناجيهم بالروح، وأخاطبهم بالقلم، وأقابلهم في البريد، وأجعل لهم من صفحات الرسالة جواء يسبحون في أطباقها مع الملائكة، ورياضا يهيمون على زهورها مع الفراش، وحقولا يعسلون من رحيقها مع النحل، حتى اجتمع لهم من أفانين الحق والخير والجمال عشرون مجلدا ضخما هي تاريخ نهضة وثورة أمة وتراث جيل

***

في ذات عشية من عشايا نوفمبر من عام ١٩٣٢ زرت أخي الدكتور طه حسين في داره بالزمالك. وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد ما أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد، وكان هو قد أنزل عن كرسيه في كلية الآداب من جامعة فؤاد. فقلت له بعد حديث شهي من أحاديث الذكرى والأمل :

ما رأيك في أن نصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع ؟

فضحك طه ضحكته التي تبتدئ بابتسامة عريضة، ثم تنتهي بقهقهة طويلة، وقال :

وهل تظنك واجدا لمجلة الأدب الرفيع قراء في مجتمع ثقافة خاصته أوربية، وعقلية عامته أمية، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون — إذا قرأوا — إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة ؟

فقلت له : لعل من بين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطا تطلب الجد فلا تجده، وتشتهي النافع فلا تناله

فقال وهو يهز رأسه ويمط شفتيه : حتى هذه الطبقة، إن كانت، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع، فإذا ما ألح عليها لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه. والمثل أمامك في « السياسة الأسبوعية »

فقلت له : ربما كان لإقبال القراء على « السياسة الأسبوعية » ولإدبارهم عنها سببان آخران غير التغيير والسأم. كانت هذه

المجلة أول ما صدرت قوية غنية خصبة فأصبحت حاجة؛ ثم اعتراها مايعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضلة

فقال لى بعد نقاش طويل: أنت وشأنك! أما شأنى فهو المقال الذى أكتبه، والرأى الذى أراه

وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر، فكانوا بهذه المظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد

وأخيرا تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة. صدرت قوية بالروح، غنية بالمادة، فتية بالأمل، فكانت ولله الحمد حدث العام وحديث الناس! صادفت خلاء فشغلته، وخللا فسدته، وعبثا تحاولت أن تصد عنه بإيقاظ النخوة فى الرءوس والكرامة فى النفوس والرجولة فى النشء. ثم حركت فى الملكات الموهوبة ساكن الشوق إلى الإنتاج فأبدعت، وأهابت بالقوى الأدبية المتفرقة فتجمعت. ثم سفرت بين الأدباء فى كل قطر من أقطار العروبة، فعرفت بعضا إلى بعض، وأطلعت كلا على عمل كل. ثم قادت كتائب الفكر والبيان فى ميادين الإصلاح الأدبى والاجتماعى والسياسى على نهج واضح من الدين والخلق، فكتب الله لها النصر فى معارك، ووعدها الفوز فى معارك. ولو كانت الرسالة اليوم بسبيل أن تكشف عن قلبها، وأن تتحدث بنعمة ربها، لذكرت فيما تذكر بلاءها العظيم فى إنهاض الأدب، وتوحيد العرب، وتخريج طبقة من الأدباء، وتثقيف أمة من القراء، بله مجاهدتها السلطان الباغى والثراء الطاغى والفقر المهلك. ولكنها ترى ذلك من لغو الحديث مادام (وحى الرسالة) منشورا وأعداد المجلة محفوظة

كانت نشأة (الرسالة) كنشأة (الوفد) من كل الوجوه؛ وكان تطورها كتطوره من بعض الوجوه. نشأت الرسالة كما نشأ الوفد إجابة لحال مقتضية وضرورة موجبة. لم تكن فى مصر حين صدرت الرسالة مجلة أدبية تعالج فنون الأدب العالى، وتقدر نتاج الأديب الحق، وتقضى حاجة القارئ الجاد. إنما كان الأدب السامى حينئذ خبئ الصدور وحبيس المكاتب. فلم تكد تخرج إلى الناس حتى احتشدت فيها القوى المدخرة، وظهرت على صفحاتها الملكات المستترة، فلم يبق فى العالم العربى صاحب نثر أو شعر إلا أشرق فيها عقله، وانتشر مع انتشارها فضله

كذلك لم يكن فى مصر يوم ظهر الوفد جماعة سياسية تواجه مشكلات الحرب العالمية الأولى، وتوجه خطوات الثورة المصرية الثانية. إنما كانت السياسة يومئذ أصداء خافتة لأصوات الماضى، وآراء متهافتة من ترهات الحاضر. فلم يكد سعد زغلول يؤلف الوفد حتى انضم إليه عباقرة الرأى ودهاقين السياسة، فلم يبق فى مصر صاحب قلم أو لسان أو منطق أو جاه إلا قصر جهده على الوفد، وأضاف جهاده إلى جهاد سعد

ثم سعى الشيطان بين الإخوة فتصدع الشمل وتفرق الهوى وتمزقت الوحدة. فانشق على الرسالة كتاب، واشتق منها صحف، كما انشق على الوفد أقطاب، واشتق منه شعب. فضعف الأصل ولم يقو الفرع، واعتل المصدر ولم يصح المشتق، وخسر الفرد ولم يربح الجمع. وأصبحت الرسالة رجلا واحدا يجتمع من حوله أشياع الفكرة، كما أصبح الوفد رجلا واحدا يسير من خلفه أتباع المبدأ

على أننا نطمع فى فضل الله أن نزيد الرسالة قوة فى عهد مصر الجديد. وما تسأل الرسالة العون إلا من الله؛ فقد عودها جل شأنه ألا تفزع إلا إليه فيما يحزب من أمر وما ينوب من مكروه

ولعل السر فى بقائها إلى اليوم على ضعف وسيلتها وقلة حيلتها أنها عفت عن المال الحرام، فلا تجد لها اسما فى (المصروفات السرية)، ولا فعلا فى المهاترات الحزبية، ولا حرفا من الإعلانات اليهودية

وإذا لم يكن للفضيلة نفاق فى عهد غرق فيه (القصر) فى الفحش والنكر والبغى والاغتصاب والاستبداد والقتل، وارتطمت فيه (الحكومة) فى الاختلاس والغش والخيانة والرشوة والمحاباة والختل، فإنا لنرجو أن يكون لها من السيادة والفوز نصيب، فى عهد يتولى الأمر فيه بإذن الله على ماهر ومحمد نجيب!

احمد حسن الزيات

« الرسالة » موئل الرأى الحر

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن أهم ماتهدف إليه رسالة الصحافة فى الوجود إنارة الرأى العام وتبصيره ببواطن الأمور وخفاياها ، ولن تتمكن من تأدية هذه المهمة إلا إذا احتضنت الرأى الحر ، وصارت موئلا له . والصحافة التى لا تحتضن الرأى الحر ولا تصير موئلا له — لا تعتبر صحافة فى ميزان الحق ولو بلغت الذروة من المجد والقمة من الذيوع .. والصحف فى مصر كثيرة لاحصر لها ، ولكنها مع تباين مشاربها ، وتنوع اتجاهاتها ، وتعدد ألوانها ، لاتظفر بواحدة منها تقيم للرأى الحر وزنا ، وتحسب له ولوذرة من الحساب ، فهى إما حزبية يهمها تأييد سياسة حزبها والتنديد بسياسة غيره ، وإما مستقلة يهمها أن تظل على الحياد — مؤثرة نشر الموضوعات التى لا تحتمل الجدل ، ولا تجر إلى المناقشة . وهى إما طائفية تعنى بالدعاية لمذهبها ، وسلق مخالفيه بألسنة حداد . وهناك لون رابع تافه تفاهة تجعله لا يشعر بوجوده ولا يكترث لظهوره

والذى لا ريب فيه أن هذا التقسيم لايشمل مجلتنا (الرسالة) إذ أن لها مشربا خاصا يميزها على غيرها، واتجاها فريدا يجعلها فى معزل عن سواها — أما مشربها فهو الأدب المصفى . تحمل إلى العروبة رسالته — وتتزعم وحدها جبهته ، وتذود عن كرامته ، وتنقيه من شوائب الدخن ، وتحميه من بوادر الوهن . وأما اتجاهها فهو إلى تشييد حصن حصين للرأى الحر . وإقامة مسرح أمين للبحوث الجريئة ، وبهاتين الخاصتين استطاعت الرسالة أن تشق طريقها فى الحياة مرفوعة مكرمة . وأصبح لها مكانتها المرموقة فى مصر والشام والعراق والمغرب ، وفى كل بلد ينطق بالضاد ويعتز بالعربية ، وأصبحت موضوع ثقة الطبقة المثقفة ، ومحل تقدير عشاق الأدب

وحين نقول :ــ إن مشرب الرسالة هو الأدب المصفى . فإنما نقصد الأدب الخالص المعتمد الذى يتناوله الأديب وهو أكثر ما يكون اطمئنانا . ويتلقاه المتأدب إليها وهو أوفر مايكون شوقا إليه وائتناسا به . وليس معنى قولنا : إن مشرب الرسالة الأدب أنها معنية بمادة الأدب وحدها ، وإنما معناه أن الأسلوب فى شتى موضوعاتها من الأدب الممتاز . حتى لتجد أن الألفاظ كلها منتقاة ، وأن العبارات جميعها مصفاة ، وأن صفحات الرسالة قد حرم عليها الركة فى الأسلوب ، والتعقيد فى الألفاظ ، والتكلف فى العبارات ، وأحل لها المرونة المتقنة ، والعذوبة الممتعة . وليس من المبالغة فى شئ إذا قلنا : إن موضوعات الرسالة سواء أكانت فى الأدب أم فى التاريخ أم فى الدين أم فى السياسة أم فى الفن أم فى غير هذه ، هى من الموضوعات القيمة المقدرة لأن لها مستوى يجب أن يظل عاليا لايرقى إليه ولا يعلى فوقه . ولذلك فهى لا تتسع إلا للموضوعات الحية القوية فى أسلوبها ، وفى مادتها ، وفى أدلتها وبراهينها

وحين نقول : إن للرسالة اتجاها خاصا هو تشييد حصن حصين للرأى الحر ، فإنا نعتبرها الوحيدة فى الصحف والمجلات المميزة بهذا الاتجاه الخطير الدقيق . تفتح له صدرها ، وتفسح صفحاتها ، وتطلق له العنان حتى يؤدى مهمته آمنا من جمود المتزمتين ، وسفه المتنطعين ، وثرثرة الفارغين ، وجعجعة المتخلفين ، وصلف المكابرين . فالرسالة لاتجد غضاضة فى أن ينقد على صفحاتها أبرز كتابها ، ولو كان صاحبها ، وأن يناقش أكبر الناس ، ولو كان ممن بلغوا أسمى مكانة فى العلم والأدب ، لأن الجميع فى ميدانها سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ورئيسهم ومرءوسهم ، إلا بقدر ما يصيب كل منهم من التوفيق والسداد ، وبقدر ما يقدم كل منهم من قوى الحجة وساطع البرهان . .

أول عهدى بالرسالة كتلميذ لها كان منذ أن عرفت الطريق إلى الصحف ، فاتخذتها كمرجع ملم له قدره ومنزلته . أنهل من معينه كلما شئت ، وأتناول منه غذاء فكريا كلما احتجت ، ويحتل من نفسى المكانة الأولى معتزا به اعتزازى بأغلى كنز فى عالم الأدب . وأول عهدى بالرسالة ككاتب متواضع من كتابها كان منذ أعوام قلائل ، يوم أن كتبت لها منتقدا رأيا فى التفسير للامام محمد عبده ، وأنا واثق من أن الإقدام على نقد أمثال

على ضوء علم الاجتماع

حركات الاصلاح

للدكتور عمر حليق

الإصلاح نشاط اجتماعى . ويعرف علم الاجتماع[1] « الحركة الاجتماعية » بأنها « مجهود عملى مشترك تقوم به طائفة واعية من أفراد المجتمع لكسب ولاء الشعب ومعونته لإحداث تبديل فى الوسائل والأساليب التى تتوخى خدمة الصالح العام » . وقد يكون قالب هذا التجديد حديثا لم يصغ من قبل ، أو قد يكون إحياء « لنموذج سبق استعماله . وفى كلتا الحالتين فإن الدافع لتبديل الأساليب والوسائل ناتج عن الاستياء من الوضع الراهن وعن الرغبة فى إصلاح الأمور

إذن فالمجهود الإيجابى المشترك بين الطائفة الواعية وبين المجموعة الشعبية التى تمنحها الولاء والمعونة هو ما يعرف فى الاجتماع « بالحركة الاجتماعية » . وهذا التعريف يفترض أن يكون هدف الحركة خدمة المصلحة الجوهرية للشعب بأسره أو للكثرة الساحقة من أفراده . فقيام نفر من أعضاء جمعية معينة لتعديل دستورها أو تغيير مجلس إدارتها لا يعد حركة «اجتماعية» لأن هذا التعديل يمس مصلحة الجمعية وأعضائها ولا يهدف

---

(١) كان اجتهاد المدارس الاجتماعية للتعرف على ميلاد الحركات الاجتماعية ونموها مقصورا على دراسات فردية لبعض النظم السياسية والفكرية والأحزاب وما إليها من أوجه النشاط الاجتماعى . ولم يكن هذا الاجتهاد يتوخى استنباط أسس علمية يوزن بها نشاط الناس وتكتلهم لتبديل وضع من الأوضاع ويوفر للباحث عوامل يستطيع معها أن يترقب ميلاد الحركات الاجتماعية وأن يتنبأ بتطورها خيرا أم شرا . وتنفرد تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها بأنها قد أولت هذه الناحية عناية خاصة — لعلها أبرز ما فى الماركسية من مادة « اجتماعية » . ولكن معظم الأوساط العلمية فى الغرب كانت ولا تزال تعالج التراث الماركسى معالجة سلبية تتعمد تجريده من كل شىء تقريبا — من الأمانة العلمية ومن الاجتهاد الفكرى الصادق وتقيده بمقاييس الخير والشر والمصالح السياسية والاقتصادية والفكرية التى تفصل العالم إلى معسكرين يبدو أن لا أمل الآن فى إزالة خصومتها

وكانت الأحداث السريعة المتلاحقة التى ألمت بالتاريخ الحديث وما أولدته من توارث وانقلابات سياسية وفكرية حافزة أغرى علم الاجتماع بأن يولى موضوع « الحركات الاجتماعية » عناية خاصة . والفضل فى تسليط مجهر العلوم الاجتماعية على هذا الموضوع يعود إلى الفرنسيين وذلك إثر التطورات الخطيرة التى خلقتها الثورة الفرنسية فى المجتمع الفرنسى وفى المجتمعات الأوربية الأخرى . وقد اهتم الألمان بمعالجة هذا الموضوع كما تشهد على ذلك كتابات (لورنز فون ستين) و (ماكس ويبر) و (زومبارت)

Lorenz von stein, Geschechte de Rocialen Bewegune Frnkreichs, Max weber, wirtschaft and Gesellschaff

وللطليان مجهود طيب فى بحوث (روبرت ميشيلز) و (ف . باريتو) و (موسكا) .

Roberto Michels. Corso di socielo c-ia Polinea, v. Pareto. Tratta di sociologia Generale

أما أوفى المراجع الحديثة فيعتقد كاتب هذه السطور أنها للمدرسة الاجتماعية الإنجلوسكسونية ومنها على سبيل المثال :

H. Cantril, Psychology of social movementsi
S, Nevman, Permenant Revolvtion
K, Mannheim Ideology and Utopia
R, Nerberla Social Movements

وطائفة من البحوث القصيرة فى مجلات الاختصاص

الإمام محمد عبده ليس بالشىء الهين اليسير ، ولكن ثقتى بالرسالة واعتزازها بالرأى الحر شجعنى على الإقدام من غير توان أو تباطؤ ، ولم يكد يمضى أسبوع واحد حتى نشرت كلمتى ونشر رد بعدها لأستاذ جليل ، وبذلك ازددت إيمانا بأن الأدب والعلم بخير فى مصر والشرق ، مادامت الرسالة باقية تتلألأ طلعتها ويشرق نورها

إن ثمة خاصة من خصائص الرسالة اختصت بها وحدها فهى المجلة الوحيدة التى تعبأ بالموضوعات دون أشخاص كتابها ، والتى تهمل التوقيع حتى تفرغ من قراءة الموضوع ، وبذلك أدت خدمة جليلة للأدب والعلم حيث قدمت إليها أعلاما مبرزين ظلوا مجاهيل خلف الصفوف ، وضحايا للأثرة والأنانية حتى أخذت الرسالة بأيديهم ، وقدمت إليهم دراسات حية كانت متوارية بين أضابير الإهمال والنسيان ، وكادت تختنق بين ضوضاء السفاسف والتوافه فى شتى الموضوعات . حتى أدركتها الرسالة وأنقذتها وأعادت إليها الحياة من جديد

وبعد فإن الرسالة اليوم لجديرة بأن تكون أكبر مدرسة لطلاب العلم وعشاق الأدب فى الشرق ، وميدانا حرا لأبرز الكتاب ، وأقيم البحوث ، ومنبتا خصبا للرأى الحر ، والنقد الجرىء ، وعنوانا للمثل العليا فى دنيا الأدب والعلم والفضل

محمد عبد الله السمان

مباشرة خدمة المجتمع القومى الأكبر . وبنفس المنطق لا يمكننا أن نعرف « التيارات » و « الاتجاهات » الفكرية أو السياسية بأنها حركة اجتماعية . فإذا اتجه الناس نحو المطالبة بحق من الحقوق أو تبديل وضع من الأوضاع ، وإذا ساد هذا الاتجاه تيارات فكرية معينة فذلك لا يعنى أن هناك « حركة » بمعناها الاجتماعى الذى نحاول أن نعالجه فى هذا المقال

وأبرز ما يعنى به علم الاجتماع هو الحركات الاجتماعية التى تولد فى نطاق شعبى واسع وتؤثر فى صميم الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو المقدمات الثقافية والخلقية للأمة بأسرها

وعلى ضوء هذا التعريف فإن لنا أن نستنتج بأن للحركة الاجتماعية صبغة مزدوجة طابعها الهدف والإنشاء فى آن واحد . فهى موجهة ضد وضع معين تأمل الحركة فى تعديله أو إزالته ؛ وهى فى نفس الوقت طامحة إلى تحقيق برامج وأهداف إنشائية ديدنها خدمة الصالح العام

إذن فالحركة الاجتماعية تستند إلى عنصرين رئيسين هما : « القضايا » التى أخذت الحركة على عاتقها حلها والتغلب عليها ، و « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تنوى التقيد بها وتحقيقها بمعونة الشعب ولمصلحته العامة . وهذا التحديد يدفعنا لأن نتساءل عن جوهر « القضايا » وعن أسس « الأيديولوجية » التى تؤدى إلى ميلاد الحركة وإلى كسبها ولاء الشعب ومعونته ، ومن ثم إلى الاستقرار والنجاح

وهنا يحسن بنا أن نقرر بأن السلوك الإنسانى لا ينشط ضد وضع ما ، وفى صالح هدف معين إلا حين يمر فى تجربة قاسية تؤثر فى المقدمات السياسية والاقتصادية والدينية التى يعيش عليها ، وفى المثل العليا التى تتعلق بها الجماعات الإنسانية ؛ فالحرية الفردية والكرامة القومية والقيم الإنسانية الأصيلة التى هى فى قرارة النفس تتوازى فى مجال المقارنة مع المصالح السياسية والاقتصادية . وقد تمر الجماعة الإنسانية خلال هذه التجربة القاسية فى ألوان من المحن والملمات التى تمعن فى تحدى المصلحة الشعبية ومقوماتها ومثلها العليا وقيمها الإنسانية ، ولكن الحركات الاجتماعية لا تتبلور وتنشط للعمل الإيجابى إلا حين تبلغ هذه التجربة القاسية منتهاها ، وهذا لا يكون إلا إذا كان المنتهى شاملا عاما لا يقتصر سوؤه على طائفة معينة أو مجموعة محدودة العدد من أفراد الأمة ، وإنما يمس الكيان الشعبي بأسره ، وهو كيان له سيطرة قوية على عقول الناس وأفئدتهم حتى لو ساد الناس فى بعض الحالات فتور وسلبية إزاء التجارب والمحن (٢) ...

وقد يتريث دعاة الحركة وقادتها والشعب بأسره قبل القيام بعمل إيجابى عاجل لحل « القضايا » وتنفيذ « الأيديولوجية » ولكن هذا التريث ليس إلا نتيجة حتمية لهول الصدمة التى أوجدتها التجربة القاسية . وعلم الاجتماع يقرر بأن الذيول التى تتولد عن هذه الصدمة لابد لها من أن تسير على منوال المساوئ التى كانت سائدة فى الوضع الذى أوجد الصدمة ودفع المحن والتجارب المريرة إلى المنتهى . وهذا يعنى أن سلوك أولياء الأمر فى الأمة المسؤلين عن هول الصدمة الكبرى وعن سوء الأوضاع الراهنة سيمعن فى التحدى محاولة منه للقضاء على ما تبقى فى نفسية الفرد وفى شعور الأمة من معنوية وكرامة . وهذا السلوك ظاهرة اجتماعية قل أن يشذ عنها المسؤلون عن الكرامة القومية الذبيحة وآلام النفس المعذبة

وعلى ذلك فإن ميلاد الحركات الاجتماعية (سياسية كانت أو عسكرية أو دينية) أمر لابد منه . . ومبلغ حماس الحركات وإخلاصها لحل «القضايا» والتغلب عليها وتحقيق «الأيديولوجية» الإصلاحية الجديدة يتوقف على حدة الصدمة وفظاعة المنتهى

ويمكننا استنادا إلى هذه الحقائق الاجتماعية أن نؤكد بأن جوهر « القضايا » التى تتولى الحركات الاجتماعية معالجتها والتغلب عليها يتوقف على مبلغ الخطر الذى تتعرض له مقومات الحياة القومية ومصالح الشعب السياسية والاقتصادية والقيم والمثل العليا التى تعيش عليها الكثرة الساحقة من أفراد الأمة

أما جوهر « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تؤمن الحركة وتعمل لتحقيقها فيتوقف على مفهوم الحركة وقادتها لحقائق هذه « القضايا » وأى منها كان السبب المباشر للصدمة التى ألمت بالكرامة القومية وبمصلحة السواد الأعظم من الشعب . وهل سوء الجهاز الإدارى هو

(٢) لا ريب أن محنة المصريين والسوريين والعرب والمسلمين جميعا فى تجربة فلسطين الماضية مثل على هذا المنتهى

ضعف القوة العسكرية أم فقدان القيم الدينية وانحلال القيم الأخلاقية وتفشى المساوئ الاجتماعية ؟ وهل الخطر الذى يهدد الكيان القومى موجه من عدو يترقب ؛ أم أن أعداء الأمة هم الفاسدون من قادتها وأبنائها ؟

وعلى مدى تقدير الحركة الاجتماعية الجديدة لحقائق هذه «القضايا» يتوقف استقرارها ونجاحها ومبلغ ولاء الشعب لها. وعلى ذلك فكلما كانت الحركة ورجالها نتاجا « شعبيا » شديد الصلة بالعناصر الأصيلة التى يتكون منها السواد الأعظم من أبناء الأمة كان فهم الحركة ورجالها لحقيقة هذه القضايا صادقا أمينا . وكانت « أيديولوجيتها » مطابقة لمصلحة الشعب متمشية مع شعوره الصادق وضميره الحى ومنفذة لما يدور فى خلده من آمال وما يطفح به فؤاده وعقله وعواطفه من حماس ورغبة فى مؤازرة الحركة والاندماج فيها والتضحية فى سبيلها كأحسن ما تكون تضحيات الأمم الحية فى معركة الحياة الشريفة

والحركة الاجتماعية الناجحة هى التى تؤمن بما تعمل . وتعزيز القول بالعمل لا يكون إلا إذا توفر للحركة مرونة فكرية طابعها الحكمة لا التزلف . فعليها أن توازن موازنة صادقة لحاسية الشعب — أو بالأحرى أغلبيته العظمى . فإذا لمست الحركة أن جزءا كبيرا من الأمة يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يشمل إحياء القيم الدينية ومكافحة الفساد وما أولده من انحلال فى القيم الأخلاقية فجدير بالحركة أن تجعل لهذه الناحية من الإصلاح مكانا راسخا فى « أيديولوجيتها »

وإذا أدركت بأن بين المواطنين طائفة مخلصة واعية تصر فى قرارة النفس على أن التنمية الاقتصادية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تنال مكان الصدارة بين أهداف الحركة فمن الخير لإيديولوجية الحركة أن تولى ذلك عناية خاصة

وإذا تحقق للحركة والمسؤولين فيها أن الحاجة ماسة لتعزيز الدفاع العسكرى إلى أقصى حد مستطاع فما عليها إلا أن تلبى هذه الحاجة — فهى كحركة شعبية صلتها وصلة قادتها بالشعب صلة الأغصان بالجذوع كفيلة بأن تضمن حماس الأمة وتضحيتها فى سبيل المناعة العسكرية ، وجعل ذلك مبدأ أساسيا من مبادئ الأيديولوجية الجديدة

وهناك طبعا سيل لا حد له من آراء الناس فى أوجه الإصلاح وأيها أولى بالعناية من سواه

والمهم عند تقرير الأيديولوجية أن توازن الحركة فى مبلغ الحماس الشعبى الصادق لأوجه الإصلاح ومبلغ شعور الشعب وتقديره لأخطار « القضايا » والمشاكل التى تتحدى سلامة الكيان القومى . فليس المطلوب من الحركات الاجتماعية أن تتقيد بمعالجة قضية واحدة . فالعوامل التى توفر للحركة النجاح والاستقرار عديدة ، وكثرتها تتوقف على كثرة الأخطار الناتجة عن هذه القضايا والمشاكل . ولذلك فلا مفر للأيديولوجية أن تتضمن أكبر عدد ممكن من البرامج والأهداف التى تكفل التغلب على هذه الأخطار

والدراسة الاجتماعية للحركات الإصلاحية تثبت صواب الرأى فى اتخاذ قضية أو أكثر من قضايا الأمة كعنوان للأيديولوجية الجديدة ، إلا أن هذه الدراسة تؤكد كذلك أهمية إدراك الشعب للأخطار التى سببت له المحن والمساوئ فى العهد أو العهود التى استبدلتها الحركة الجديدة

فالحركة الشعبية الناجحة تولد عادة فى جو اجتماعى اعتاد السماع لدعوات الإصلاح من دعاة أساءوا فهم المشاكل الرئيسية العميقة التى تواجه الأمة ، ولذلك تفشل هذه الدعوات فى كسب ولاء السواد الأعظم من المواطنين. فولاء السواد الأعظم وإخلاصه فى مؤازرة الحركات الجديدة هو ميزان الاستقرار والنجاح ، وعلى ذلك فإن الخطأ الذى ترتكبه معظم الأحزاب السياسية (وهى تقليد مشوه للحركات الاجتماعية) هو تصورها القضايا القومية على نحو لا يستند إلى فهم أمين لضمير الشعب ، وإنما هو فهم مشوه اقتبسه قادة الحزب من شعورهم الخاص وهو شعور تتضارب فيه المصالح الذاتية — شعور يتزلف فى أغلب الحالات إلى أوساط ليست من صميم الشعب وليست عنوانا على شعوره ويقظته ومصالحه ، أوساط تنتمى إلى هذه الفئات الطفيلية التى تعيش على الشعب لا معه

والشعب — أو بالأحرى الجزء الهام منه — يتحفظ فى إعلان الولاء وبذل التضحية للحركات الناشئة إذا توفرت له عوامل نفسية معينة سجلها علم النفس الاجتماعى فى دراسات لنفسية الجماهير وعقليتها ، وطبيعة الزعامة الصالحة ومقوماتها ، وإلى

الأخطار والتجارب التى مرت بها الأمم فى نشاطها الاجتماعى ، كما أشرنا إلى ذلك فى صلب هذا المقال

وبعض هذه العوامل غامض يحمل أكثر من تفسير واحد، والبعض الآخر محدود الصفات واضح المعالم إدراكه سهل ميسور على كل دعنا نستعرض فيما يلى بعض هذه العوامل مادمنا فى حديث الاجتماع وعلمه ولو كان ذلك على حساب أدب المقال فى غير مجلات الاختصاص

ا — يجب أن تكون القضايا التى تولت الحركة معالجتها شديدة الصلة بالمصلحة الشعبية العامة وبالمصلحة الخاصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين

ب — للحركة الاجتماعية الناشئة أن تبدأ بمعالجة القضايا التى بها مكان الصدارة فى شعور الناس ويقظتهم العاطفية والفكرية، وحين يقتضى الوضع تفضيل قضية على أخرى فللحركة أن تعالج قضية واحدة معالجة عامة شاملة وتبدأ فى نفس الوقت بمعالجة القضية أو القضايا التى تليها فى الأهمية معالجة جزئية — على ألا يكون لهذا التوزيع هدف غير الموازنة العادلة بين أهمية القضايا فى تفكير الناس وفى مبلغ صلتها بالصالح العام وبمستقبل الحركة وأيديولوجيتها وأثر ذلك كله على الكيان القومى ومصلحته الجوهرية

ج — يؤكد علم الاجتماع(٣) أن استقرار الحركة الاجتماعية الناشئة لا يتوطد إلا إذا كانت أيديولوجيتها حاوية لقيم وأهداف تمس المنفعة الشخصية للكثرة — الغالبة — من أفراد الشعب . والمنفعة الشخصية شئ والشعور الشعبى المشترك شئ آخر ، وإن كان كلاهما يعزز الآخر . فالأهداف الوطنية مثلا شعور شعبى مشترك، أما العدالة الاقتصادية والمساواة الاجتماعية وصيانة القيم الدينية والأخلاقية فإنها أهداف تخدم المنفعة الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ، أو على الأقل أولئك الذين حرموا منها — وهم كثرة فى معظم المجتمعات الإنسانية

د — حين تختلف أوساط المجتمع فى توكيد أهمية قضية ما على غيرها من القضايا التى يشغل بها الناس وتعالجها الحركة الجديدة فإن الضرورة تقتضى مجهودا صادقا يصدر عن الحركة والمسؤولين فيها ليقرر أولوية القضايا ويسعى جادا مخلصا لإقناع السواد الأعظم من المواطنين بها حرصا على سلامة وحدة الشعور الشعبى وتماسك اليقظة العاطفية والفكرية . وهذا المجهود يفترض حملة توحيد فكرى وعاطفى واسعة النطاق يضمن نجاحها هذه الأيام المواصلات الفكرية الحديثة — الصحف والإذاعة والأفلام وما إليها من وسائل الدعاية والثقافة الشعبية

* * *

هذا رأى علم الاجتماع فى بعض نواحى الحركات الإصلاحية ، وهو رأى وإن كان لا يصح أن يؤخذ على أنه القول الفصل فى تصور الحركة الاجتماعية ونضوج ثمارها فلكل حدث اجتماعى ظروف خاصة وتيارات وعوامل طارئة تتطلب مرونة لا حد لها فى الاجتهاد العلمى — إلا أن الخطوط العامة للاستنتاج العلمى تؤكد فى تواضع مقدرتها على تسليط ضوء نافع على جوهر السلوك الإنسانى

عمر حليق

(٣) فى بحث للبرفسور تيودور آبل عن نموذج للحركة السياسية الناجحة فى مجلد ٣٢ من المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع

حول العدد الألفى

أثر الرسالة في الأدب الحديث

للأستاذ محمد سالم الخولى

للرسالة فى الأدب العربى الحديث آثار خالدة خـلود الأدب والفن . . سهرت على شوارده وأثبتتها ، وتتبعت نوافره فجمعتها ، وجلت غوامضه بالبيان الرائع والأسلوب الطيع ، واللغة السليمة والمنطق المسلسل

أشرقت على البلاد العربية والرأى الناضج فى مصر يـكاد لا يسمع به أديب بالعراق ، والفكرة فى العراق لا يتعالها إلا من بالعراق ، والشعر فى الشام لاتتردد أصداؤه إلابين جنبات الشام ، وما أن عم نورها جنبات الشرق حتى توحدت الفكرة والرأى والشعر وأصبح لحملة الأقلام رسالة ... رسالة تجمع بينهم وتعرفهم بعضهم إلى بعض ، وتوسع من آفاقهم . وتردد أصداءهم . . وتسمع كلماتهم ... والحقيقة أن المتأمل فى أعدادها الألف اليوم يستطيع فى يسر عجيب أن يجمع بين يديه خيوط دراسة أدبية رائعة لنهضة الأدب العربى الحديث

فبين أحضان الرسالة نشأت مدارس للأسلوب الرائع النابض الحى ، وبين صفحاتها تـكونت مدارس للنقد المتعمق المحلل لخفايا النفوس والأساليب ، وفوق أغصانها غردت أطيار من الشعراء لـكل جماعة منها أهداف معلومة ورسالات محدودة . ولها لون وذوق فنى خاص مع تفاوت بين أفرادها فى طرائق العرض وأساليبه وطرائق تناول الموضوعات الشعرية ، وإلقاء الظلال والألوان على الصور الشعرية

إن دراسة أعداد الرسالة الألف تعتبر بحق دراسة للأدب العربى الحديث ، بل لأزهى عصور الأدب العربى عامة

وجدير بمحبى الأدب ودارسى روائعه أن يعملوا الفكر والتأمل فى هذا التراث الخالد العظيم . حتى يقدموا للأجيـال القادمة صوراً صادقة للنهضة الأدبية متمثلة فى مدارس أدبية نائرة أو شاعرة أو ناقدة كالرسالة تمتاز بصفة لازمتها دائما هى الاحتفال بما تقدم من الآثار الفنية . فهى لم تنشر من النثر إلا ما بلغ الغاية من الـكمال الفنى والنضوج الفـكرى . . ولم تقدم من الشعر إلا ما ارتفع إلى مراتب الروائع الفنية وحلق فى أجواء تعبق بالشاعرية الملهمة الفذة

والرسالة لم تقدم إلى العـالم من الأدباء أو الشعراء إلا من اكتملت لهم الأداة وتم لهم النضوج . . وسمى لهم الفضل . . ودان لهم الخلود أو كتب لهم الخلود على يديها ، وإنك لتلمح بين صفحاتها بين الحين والحين أسماء تشرق حينا ثم تغيب ، وأسماء تسطع دائماً وإن هى غابت فإلى عودة..فتحب أن تسأل عن السر فى ذلك الإشراق الفاجئ . وذلك التكرار المتواتر على فترات قد تطول وقد تقصر . . . فتجد السر فى برنامج مدرسة الرسالة . . حيث تراها مضطرة إلى الاحتفال بالموضوع الجدير بالنشر والمعروض فى قالب جديربها . فهى إذن ترحب به كلما سنحت لها فرصة العثور عليه . ومن هنا يجىء سر الإشراق الفاجئ لبعض الأسماء ، أما الأسماء المستمرة السطوع فى أفقها فهى إما لأبناء نجباء من أسرتها أو لأسماء استطاعت أن تقدم دائما الطريف الجديد الرائع

وأكبر مظاهر التقدير للرسالة الخالدة فى يوم صدور عددها الألفى .. هى أن نحاول رسم خطوط متزنة لمدارس الرسالة الأدبية مع عرض لأسماء أشياخها الأفاضل وأسماء شبابها الخالد..من كتاب ونقاد وشعراء

فمن أشياخها الأعلام الأفاضل الذين قدمتهم فى مشرق عمرها المديد ولا زالت تقدم بعضهم : الأساتذة الـكبار طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وتوفيق الحـكيم وعباس العقاد ومحمود البشبيشى وتوحيد السلحدار ومحمود تيمور ونقولا الحداد وأحمد رمزى ومحمد غلاب ومحمود أحمد الغمراوى والشيخ شلتوت والشيخ المدنى والمرحوم الدكتور زكى مبارك وأحمـــد الزين والزهاوى وطوقان والنشاشيبى والـكرملى والمازنى والرافعى

ولـكل من هؤلاء الأشياخ الأعلام خصائص مميزة واتجاهات خالدة ، منهم الأدباء الفنانون كطه حسين وتوفيق الحـكيم وتيمور

والمازنى وزكى مبارك . وكان الرافعى فرداً فى فنه ، ومنهم الأدباء الرواة الثقات واللغويون الأعلام كالزيات والنشاشيبى والكرملى ومحمود البشبيشى. ويمتاز الزيات بالروعة فى الأسلوب والدقة فى العرض والإحاطة بالأدب، والبشبيشى بسعة الاطلاع والجزالة فى الأسلوب، أما الكرملى والنشاشيبى فكانا يصدران عن طبع لغوى علمى يشوبه الجفاف فى العرض

وفيهم الأدباء الأعلام المختصون بالدراسات الأدبية والاجتماعية كالعقاد وأحمد أمين، ويمتاز العقاد بأفق واسع وأغوار عميقة لا يسبح فيها ولا يصل إليها سواه ، أما الأستاذ الحداد فله اتجاهاته العلمية ، والأستاذ أحمد رمزى اتجاهاته الاجتماعية والدولية . وكان الزهاوى فيلسوفاً شاعراً ولم يكن الشاعر الفيلسوف، وكان الدكتور مبارك الفنان الشاعر ولم يكن الشاعر الفنان ، أما شباب الرسالة فهم بين ابن نشأ فيها ورعاها ورعته وأخذ عن صاحبها العظيم وتأثر به وحده أو به وبغيره من أشياخها.. أو بين أديب آثر الرسالة بآثاره المكتملة فآثرته واحتفلت به وقد يكون تأثر بها من بعد وقد لا يكون

فمن شباب كتابها الأساتذة الأعلام عبد المنعم خلاف وسيد قطب ومحمود الخفيف وعزيز أحمد فهمى وكامل محمود حبيب وفهمى عبد اللطيف وعباس خضر والدكتور محمود يوسف موسى وأنور المعداوى وأحمد أحمد البدوى ومحمد القصاص ومحمد محمود زيتون وراجى الراعى وعلى متولى صلاح ومحمد رجب البيومى وأنور الجندى ومحمود أبو ريه وصلاح الدين المنجد وفوزى الشتوى وسعيد العريان وصلاح المنجد، ومن شباب شعرائها الأساتذة المهمون على محمود طه ومحمود إسماعيل والزهاوى وإيليا أبو ماضى وسيد قطب وحسين البشبيشى وكامل الصيرفى وأنور العطار ومحمود السيد شعبان وعبد الرحمن الخميسى وإبراهيم نجا وأحمد العجمى ومحمود رجب البيومى والصافى النجفى وفدوى طوقان وعبد القادر رشيد الناصرى

ومن هؤلاء الشعراء من جمع بين الأسلوب الكتابى الرائع والقدرة الشعرية السامية فكان منهم من اشتهر بنثره النابض بالحياة وفكره المتعمق المساير للمجتمع والأدب كالأساتذة الأفاضل سيد قطب الكاتب المسلم الاجتماعى الخطير والناقد البصير وعبد الرحمن الخميسى الصحفى المعروف والعجمى وحسين البشبيشى والناصرى، وإنك لتلمح أثر العقاد فى سيد قطب واضحاً ، وأثر الرافعى فى سعيد العريان إلى حد تقيده طاقة العريان الفنية، وأثر الزيات فى أنور المعداوى وحسين البشبيشى وصلاح المنجد والناصرى..وبعد فهذه خطوط رئيسية لا تصل إلى حد الدراسة . نأمل أن نجد من أدباء العروبة من يبادر إلى تناولها بالتفصيل. فللرسالة مكانتها الخالدة فى الأدب والأدباء ؟

محمد سالم الخولى
مستشار سابق

اذكروا الشهداء

للأستاذ محمد محمود زيتون

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

قرآن كريم

اليوم .. بعد أن انطلقت أسود العرين من إسارها ، لخوض أروع معركة للتطهير والتحرير ، فى العصر الحديث ، يحق لنا أن نذكر شهـداء فلسطين من قواد وضباط وجنود ، نعموا بجوار ربهم ، وخلفوا وراءهم أرامل ويتامى ، لهم عند الله أجر الصابرين

استشهد هؤلاء فى نضال عنيف بين كتائب الحق ، وشراذم الباطل ، بعد أن ائتمرت على قضية فلسطين دعاة الميكيافيلية ، وحماة الصهيونية ، وتمسكنت الذئاب المسعورة حتى تمـكنت ، وفى غفلة من الزمن ، قامت لهم « دولة » ، كان يوم ميلادها ، نذيرا بحلقة جديدة من الاشمئزاز الجماعى ، ممـا أصاب الضمير الإسلامى ، بالحسرة والألم

وشهـداؤنا الأبرار ، لم تذهب دماؤهم من جراء مغامرة طاغية ، ولا عدوان غاشم ، وإنما هم الذين حملوا أكفانهم على رءوسهم ، وجادوا بأرواحهم فى سبيل الله ، لا عن حزبية ولا عصبية ، ولا دفاعا عن أموال وضياع ، ولم تـكن محارم الله مطيتهم إلى الهدف الذى تسابقوا إليه . وحسبهم أن باعـوا الدار وأهلها ، وخفوا لنجدة الجار المهضوم ، والحرم المنهوب ، فأنعم بها من غاية ، وأكرم بها من سبيل

كانت الشهادة — وهى إحدى الحسنيين — رزقا ، يتوسلون إلى بارئ النسم أن يخصهم به ، ورحم الله عمرو بن الجموح إذ حمل سلاحه ، وأخذ يتكفأ فى طريقه — وهو أعرج — ومن ورائه بنوه الأربعة كالأسود يجرون ليصدوه ، ولـكنه يتوجه إلى القبلة ، ويضرع إلى الله فى لهفة واشتياق « اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى » وقاتل حتى استشهد ، فرآه رسول الله ، وهو يطأ بعرجته فى الجنة

فلنذكر هؤلاء الذين باتت أرواحهم فى حواصل طيور خضر ، يسرحون فى رياض الجنة ، ولنتذكر ما يوجبه علينا دين الجهاد نحوهم ونحو أهليهم ومواطنيهم أجمعين ، يدفعنا إلى ذلك ، قول نبى المجاهدين عليه الصلوات « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فقد غزا » .. فمن الذى ينكص على عقبيه ، وقد بلغته دعوة إلى غزوة .. نصيبه فيها عمل صالح يرفعه ، ولا يصيبه منها ضربة أو طعنة !

كان رسول الله أول من عنى بتكريم الشهـداء ، فقد كان — عقب المشاهد — يجمعهم فى مصارعهم ، ويترحم عليهم ، ويستعبر ، ثم يأمر بتكفينهم فى أثوابهم التى استشهدوا فيها ، ونزع ما عليهم من جلود وسلاح ، ودفنهم من غير غسل ، فقد استشهد حنظلة بن عبد الله بن أبى عامر الفاسق ، وعليه جنابة ، فأطلع الله تعالى نبيه على أمره ، وسماه « غسيل الملائكة »

وكان يقدم للجنازة أكثرهم جمعا للقرآن . ويأمر بدفن كل رجلين أو ثلاثة فى قبر واحد لما يكون بينهم من صفاء أو قرابة فى الدنيا ، وكان يشرف على القتلى ويقول : « أنا شهيد على هؤلاء . وما من جرح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » ، وكان يواسى ذويهم ، ويوصى بهم خيرا ، ويتعهدهم بحنانه وبره ، ويدعو الله لهم بالخلافة عليهم

كان النبى على فرسه وسعد بن معـاذ ممسك بلجامهـا ، فأقبلت أم سعد تعدو نحوه . فقال سعد : يارسول الله ، أمى .. فقال النبى : مرحبا بهـا . فلما وقف لها ، دنت منه ، وأخذت تتأمله ، فعزاها بابنها عمرو ، فقالت : أما إذ رأيتك سالمـا ، فقد اشتريت المصيبة . فقال لهـا : يا أم سعد ، أبشرى ، وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا ، وقد تشفعوا فى أهلهم جميعا . قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟ يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا . فقـال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا »

وسار الخليفة الراشد أبو بكر ، على هدى خليله المصطفى عليه السلام ، فقد دخلت عليه فتاة ، فألقى لهـا رداءه لتجلس عليه إكراما لها ، ولذكرى أبيها الشهيـد الذى قال عنه رسول الله

« رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيا وميتا » [1] وإذ ذاك قدم عمر ، فما إن رأى من أبى بكر هذا التكريم لتلك الفتاة ، حتى عجب من أمرها ، وسأله عنها فأجابه : هذه ابنة من هو خير منى ومنك ، رجل تبوأ مقعده من الجنة ، وبقيت أنا وأنت ، هذه ابنة سعد بن الربيع

وعقب « أحد » احتمل أناس قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة ، فجاء منادى رسول الله يعلن فى الناس « ردوا القتلى إلى مضاجعهم » ولم يبق إلا قتيل واحد ، ردوه ودفنوه حيث استشهد

على أن رفات الشهداء الأبرار لا تبلى كسائر الأجساد ، فقد روى أن معاوية بن أبى سفيان أمر بحفر عين جارية وسط مقبرة شهداء أحد ، واستصرخ الناس إلى قتلاهم ، وأمر بنقل رفاتهم ، فأخرجوهم رطابا تتثنى أطرافهم ، وذلك على رأس أربعين سنة من دفنهم ، ومع ذلك أصابت المسحاة قدم حمزة سيد الشهداء ، فانبثق الدم ، وفاح المسك ، وكأنما هو صريع ساعته ، مع أن أرض المدينة سبخة ، قيل يتغير الميت فى قبره من أول ليلة ، ولكن تأبى الأرض الطيبة — بقدرة الله — أن تأكل لحوم شهداء المعركة ، لأنهم مع النبيين والصديقين والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

ويجب دفن الشهيد فور مصرعه والصلاة عليه ، فقد رجعت هند بنت حرام بعد أحد تسوق بعيرا يحمل ابنها خلاد بن عمرو ابن الجموح ، وأخاها عبد الله بن عمرو ، وزوجها عمرو بن الجموح ، وصار الجمل يبرك بهم كلما وجهته إلى المدينة ، فإذا ضربت فى وجهه إلى أحد نزع وأسرع ، فسألت النبى فى ذلك فقال : « إن الجمل مأمور ، فقبرهم بأحد ، يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن »

وفى تاريخ الإسلام أروع الأمثلة لرباطة جأش المرأة المسلمة إذا نعى إليها زوجها أو ابنها أو أخوها أو أبوها ، فهذه حمنة بنت جحش تلقى النبى عند منصرفه من « أحد » إلى المدينة ، فينعى إليها خالها حمزة فتحتسب ، وأخاها عبد الله بن جحش فتحتسب ، ثم زوجها مصعب بن عمير فتصيح مولولة وتقول : واحزناه . فينظر النبى إلى من حوله ، ويقول « إن زوج المرأة لبمكان ما هو لأحد » ثم يسألها : لم قلت هذا ؟ فتجيب « تذكرت يتم بنيه ، فراعنى . فدعا لها أن يحسن الله الخلف على أولادها

وأثبت منها عند الجزع ، امرأة من بنى دينار استشهد زوجها وأخوها وابنها وأبوها ، فلما نعوا إليها احتسبتهم عند الله . واعتصمت بالصبر ، وقالت ، كيف رسول الله ؟ فقيل لها : هو بحمد الله كما تحبين . فتقول أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، وتعلقت بثوبه عليه السلام وهى تقول : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لا أبالى إذ سلمت من عطب

وكانت الخنساء مضرب المثل فى الإيمان عند النازلة ، استشهد بنوها الأربعة فى القادسية . بعد أن بلغت الثمانين من عمرها . ولما أقبل البشير بعد المعركة ، جاءت تسأله عن حال الإسلام والمسلمين ، فقيل لها : ألا تسألين عن أبنائك الأربعة ؟ فقالت : هم بعد ذلك ، فلما طمأنوها على سلامة جيش الإسلام ، ذكروا لها أن بنيها قد استشهدوا جميعا فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الإسلام وأسأله تعالى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته

والإسلام بهذا لا يتناقض مع طبيعة البشر ، ولا يدعى القضاء على غريزة من الغرائز التى هى القوى الدافعة للسلوك ، أو انفعال من الانفعالات التى هى مظاهر الوجدان . فقد ثبت أن هذا الدين المتين يتمشى مع الطبيعة البشرية إلى الحد الذى يرتفع بها إلى أفق أعلى ، وخلق أسمى

وآية ذلك ، أن نسوة الأنصار جئن إلى النبى يذكرن عمه حمزة يبكينه ويبكين موتاهن ، فصرفهم النبى فى غير عنف وهو يقول : ارجعن رحمكن الله . لقد واسيتن معى ، رحم الله الأنصار . وبلغ الحزن مبلغا لم يقدر على مغالبته رجل أو امرأة ، فجاء وفد من الرجال يسألون رسول الله : « يا رسول الله ، بلغنا أنك نهيت عن النوح ، وإنما هو شئ نندب به موتانا ، ونجد فيه بعض

(١) بعد معركة أحد ، بعث النبى أحد الأنصار لينظر إن كان سعد ابن الربيع حيا أو ميتا ، فجاءه ، فوجده جريحا وبه رمق ، فقال سعد : أنا فى الأموات ، قد طعنت اثنتى عشرة طعنة ، وإنى قد أنفذت مقاتلى ، فأبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ، الله ، الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة ، فو الله ما لكم عند الله عذر

الراحة ، فائذن لنا فيه ، فقال : إن فعلن ، فلا يخمشن ولا يلطمن ، ولا يحلقن شعرا ، ولا يشققن جيبا

وتكريم الشهداء لا يكون بتلك الأساليب العقيمة المرتجلة ، التى يجترها السطحيون ، فلا يسمو بهم الحس البليد إلى أكثر من اقتراح تسمية شارع أو ميدان أو محطة باسم الشهداء ، أو اقتراح بإقامة نصب أو تمثال أو لوحة تذكارية أو قبر لمجهول فى العاصمة والمدن الرئيسية

وما أبعد هذا كله عن سبيل التكريم الخالص لوجه الله ولن نصل بهذه الترهات إلى الهدف النبيل الذى من أجله أرخص الشهداء دماءهم الزكية الغالية

كما أن نقل رفات الشهداء غير جائز اعتمادا على ما أمر به رسول الله عقب غزاة أحد من رد القتلى إلى مضاجعهم ، ولذا يجب إعادة النظر فى موضوع الخمسة والعشرين ألف من الجنيهات التى اعتمدتها وزارة الوفد الأخيرة لبناء المقابر بجهة الغفير ونقل رفات الضباط من شهداء فلسطين إليها

وهذا تفكير عقيم ضحل ، إن دل على شىء فإنما يدل على جهل مطبق بحقائق الدين . كما فيه امتهان لكرامة الشهداء الجنود ، وإثارة الأحزان الدفينة فى مشاعر ذويهم الصابرة (٢) وتملق رخيص للعواطف النبيلة

وأول ما يجب البدء به لتخليد ذكرى الشهداء ، وتمجيد بطولتهم وتكريم ذويهم . هو إحياء سنة عمر بن الخطاب ، وذلك بإنشاء « ديوان المجاهدين » الذى وضع له اللوائح . ورتب الاختصاصات ، وفرض مستحقات الجند أحياء ولذويهم من بعدهم ، كل حسب بلائه وسبقه فى الإسلام

ويجب أن توضع الملفات لأسر الشهداء ، لكى يتسنى للتاريخ الصحيح متابعة مجريات حياتهم ، والتنويه بمظاهر الإعجاب فى سلوكهم ، والإشادة بآثار شهدائهم ، مع منحهم مزايا اجتماعية تبقى رمزا إلى ما قدموا للوطن من أغلى التضحيات ،

أما أبناء الشهداء وبناتهم ، فأولئك ودائع عزيزة ، ائتمنت عليها الأمة : جيشا وشعبا وحكومة . فلتكن نشأتهم على خير وجه مسنون من كرامة العيش ، وحسن التربية

فهذا الفتى أسامة بن زيد ؛ عقد النبى له لواء على جيش كثيف لغزو بنى غسان قاتلى أبيه ، وهذه الربيع بنت معوذ قاتل فرعون العرب أبى جهل : نراها فى عهد عمر تشترى العطر من أسماء بنت مخرمة أم أبى جهل وذات يوم وزنت لها ولأصحابها على الأعطية فقالت لهن أسماء ا كتبن لى عليكن حق . فلما أملت الربيع اسمها على الكاتب استشاطت أسماء غيظا وبادرت : « إنك لابنة قاتل سيده » ؟ قالت الربيع : لا . ولكن ابنة قاتل عبده فقالت أم أبى جهل : والله لا أبيعك شيئا أبدا . وقالت الربيع : وأنا والله لا أشترى منك شيئا أبدا ؛ فوالله ماهو بطيب ولا عرف . ولما عادت إلى بيتها قالت لابنها والله يابنى ماشممت عطرا قط كان أطيب منه ، ولكن يابنى غضبت

هذا الترفع والإباء وليد روح عالية — بلا شك — دفعت بينت المجاهد إلى مقاطعة البضاعة الكافرة . لمجرد غضبة المسلمة الغيرى على سيادتها وعزتها

وخير هدية من شهداء الوطن نقدمها للجيل الناهض ، سفر كبير . لا يخلو منه بيت ، ولا يدع شاذة أو فاذة من تاريخ الشهداء الأبرار إلا انطوى عليها . مع ذكر تاريخ حياتهم ، ومسقط رأسهم ، ومحامد سيرتهم وبطولتهم ، والمعارك التى أسهموا فيها . إلى غير ذلك مما يقرب إلى النفوس مشاهد الجهاد فى عصر تميعت فيه الرجولة ، ورخصت فيه القراءة وطفحت الصحف والمجلات والكتب بقصص الغرام و «أصول الحب » و « نساء فى حياتى »

وحق على وزارة المعارف أن تواكب هذه النهضة المباركة حتى تسير حملة التنوير وكتيبة التطهير جنبا إلى جنب . وتنهض بواجبها فى بث الروح الجهادية قولا وعملا . فتختار للناشئة نخبة مختارة من أناشيد الحماسة ، وخطب القادة ، وأوامر الأمراء لجيوشهم ، وعرض الأفلام والقصص التمثيلية التهذيبية ، وتسهيل الزيارات لمتاحف الحضارة ، وسرد الوقائع التاريخية بكل دقة وأمانة ، من غير تمليق أو تزويق . هذا مع طبع المعاهد العلمية

(٢) تقدمت إلى « الأهرام » بمقال فى هذا الموضوع عقب صدور القرار مباشرة ، وأبلغنى الأستاذ الشيخ العسكرى أن الأستاذ أحمد الصاوى محمد متفق معى فى الرأى ، ولكن من وجهة نظر أخرى ؛ وأنه أيضا أعد لذلك مقالا ، فلم ينشر مقاله ولا مقالى .. خشية الفضيحة طبعا

بطابع الجهاد الصحيح

كان زين العابدين بن الحسين يقول « كـــنا نعلم مغازى رسول الله كما نعلم السور من القرآن » ، وكان إسماعيـل بن محمد ابن سعد بن أبى وقاص يقول « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول يابنى إنها شرف آبائكم . فلا تضيعوا ذكراها »

وفى « جهاد النبى » .. حقا . أغلى ما يتزود به الجيل المؤمن ليتخذ من حقائق التاريخ مقياسا متينا لكل دعوة وغزوة ، تنحل إزاءها حرب البطش والعدوان فى القـــديم والوسيط والحديث على السواء.. وبالتربية الجهادية تسمو النفوس ، وتعلو الرءوس ، وتنتظم الخطى ، وتنسق الخطط ، ويستبشر الشهداء فى مضاجعهم بالذين لم يلحقوا بهم .. فنظفر بنصر من الله وفتح قريب

محمد محمود زيتون

بمناسبة العدد الألفى للرسالة

الرسالة فى حياة الأدب

للأستاذ حامد حفنى داود

فى أوائل القرن التاسع عشر تخلصت مصر من نير العصرين المملوكى والتركى ، وانسلخت من حياة قاسية انحط فيها الأدب إلى الدرك الأسفل ، واستقبلت عهدا جديدا فى تاريخها أسس دعائمه محمد على الكبير

وزخر العهد الجديد بالإصلاحات الكثيرة التى تناولت مرافق الحياة فى مصر ، وأخذ ركب الحياة يمضى فى ثوبه الجديد . ولكن الحياة الأدبية فى ذلك الوقت لم تنل حظا كبيرا . فعلى الرغم من الإصلاحات العامية وعلى الرغم من التعليم المدنى الذى بعثه محمد على فى فجر النهضة المصرية فإن الأدب المصرى كان يعانى لونا من التفكك وضربا من الجمود

وقد شاهد العهد الجديد تغييرا كاملا فى الحياتين السياسية والاجتماعية، ولكن الشجرة الأدبية لم تؤت أكلها أو ترسل ثمارها بالسرعة التى كنا ننتظرها، لأن سياسة التعليم فى ذلك الوقت وبالتالى حياة الأدب لم تكن جميعها منبعثة من منبعها الطبيعى، وإنما كانت إصلاحات عامة يصدرها الحكام وحدهم، ويحبس لها العلماء والأدباء ليسيروا بها سيرا مدرسيا بحتا لا يتجاوز جدران المدرسة أو يعدو قوانين التعليم العام . أما الأدباء المطبوعون والشعراء الموهوبون الذين يستطيعون أن يعبروا عن ميولهم وميول الشعب ويرسمون حياتهم وحياة الشعب؟ والذين كان فى مكنتهم أن يضعوا لبنة متينة تمثل مرحلة من مراحل الحياة الأدبية فى ذلك الوقت — فلم يفتح الباب أمامهم ولم يعطوا الحرية الكافية ليصوروا الأدب المصرى الرفيع كما ينبغى

* * *

وما كاد عقرب الزمن يطوى وراءه نصف قرن بعد محمد على حتى اشتد الفارق بين الأدب الشعبى والأدب المدرسى . ثم أخذ الزمن يمضى وأخذت الأحداث تتقلب ، وعاشت المدرسة فى بيئة وعاش المجتمع فى بيئة أخرى وازدادت الألسنة تبلبلا حين جمدت الثقافات الأدبية فى موطن واحد هو المدرسة ، استعصت على الحياة وامتنعت عن التفاعل بها

وتقدم الزمن ووقعت « الثورة العرابية » وتدخلت أصابع الأجنبى لكبحها وقتلها . وشاء الله لها أن تموت وتقبر فى مهدها، ولكن جذورها النفسية وآثارها الأدبية لم تمت ، فقد نبهت العقول الراكدة والنفوس النائمة إلى الواجب الوطنى ، فى الوقت الذى شعرت الأمة بضرورة التقريب بين الطبقات ، وحثت على محو الفوارق الاجتماعيه التى لا يقرها الإسلام ولا تعترف بها المبادئ الإنسانية .

وقد كان لهذا الشعور العميق الذى شاع بين طبقات الشعب وعم أرجاء البلاد بعض الأثر فى حياة الأدب . وكثيرا ما تكون الأحداث السياسية والثورات الوطنية مادة خصبة للبناء الأدبى ووقودا صالحا يشعل جذوة الحياة الأدبية بعد خمودها الطويل . وقد ساعد على ذلك أن لاقت الثورة الأولى نفوسا صافية وقلوبا واعية وأرواحا أبية وثابة تتأثر بما حولها وتعبر عن آلام الشعب وآماله . ثم انعكس شعاع هذه الثورة فى الحياة الأدبية : انعكس فى الخطابة فكان عبد الله النديم وأترابه ، وغزا دولة الشعر فكان البارودى وكانت مدرسته وهى أولى مدارس الشعر

المعترف بها فى عصر النهضة ، ونال الحياة الفكرية مانال الخطابة والشعر من تجديد، وظهر ذلك واضحا فى شخصية الشيخ محمد عبده وأستاذه الشريف جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق ومجدد القرن الرابع عشر

* * *

ولم يكد يمضى الزمن بالثورة العرابية ولم تكد تأخذ مكانها فى سجل التاريخ حتى تمخضت عن مولود هو « ثورة ١٩١٩ » وقد أعادت هذه الثورة إلى الحياة المصرية سالف رونقها وأجرت فى شرايينها دماء الثورة الأولى والدعوة إلى المثل . وهكذا تقدمت الحياة المصرية خطوة إلى الأمام بعد الثورة الثانية . وارتقى التعليم المدنى تبعا لذلك فغادر ميدان المدرسة إلى ميدان أرقى وأجل هو الجامعة المصرية القديمة . وقد كان الغرض الأول من إنشائها تثبيت مكانة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية

ومنذ ربع قرن تطورت الجامعة المصرية القديمة إلى وضعها الجديد الذى بدأت خطوطه الأولى فى جامعة فؤاد الأول . ولكن الحياة الأدبية الرفيعة التى كانت تدب فى مصر فى ذلك الوقت ظلت مختنقة بين جدران الجامعة. أما المجتمع الخارجى الذى كان يتمثل فى النوادى والمجالس الأدبية — فلم يكن مقياسا صحيحا يمثل ما اعتور الأدب من تطور فى ذلك الوقت ، وإن كان فى ذاته يعتبر امتدادا طبيعيا لنوع من الحياة الأدبية الشعبية فى تاريخ مصر . ولعلك تعجب أن يضطرب هذا التطور بين الجامعة والمجتمع وأن تختلف البيئتان فى رسم هذا الاتجاه وتحديد ذلك النما !!

كان ذلك منذ ربع قرن حين كانت الجامعة وكان الجامعيون يعيشون بين جدران الجامعة ويدرسون الأدب للجامعة ولأنفسهم قبل أن يدرسوه لخدمة المجتمع وأهله أوقبل أن يتحملوا عبء هذه الرسالة ويكلفوا أنفسهم مشقة عرضها على المجتمع فى صورتها الجديدة . وهى الصورة التى كانت تساير الزمن وتساير الحياة الجديدة الناهضة فى العالم كله

أعنى : كانت هناك حلقة مفقودة بين « الأدب الرفيع » فى الجامعة و « الأدب الشعبى » فى المجتمع . واستمرت هذه الفجوة السحيقة والهوة الضخمة بين الأدبين ردحا من الزمن عانى خلالها الأدب المصرى لونا من التفكك وضربا من الجمود الذى ذكرناه

ويوم تفقد الحلقة بين الأدب الرفيع وأدب الشعب تقع الطامة الكبرى على المجتمع وعلى القومية وعلى الدين وتصبح الحياة ضربا من الترهات والتفكك والحواجز السخيفة التى لا تحتمل ، وتصير الأمة أشبه بأمتين متباينتين متنافرتين فى أمة واحدة

وقد كان من رحمة الله على مصر أن هذه الفترة لم تطل حين قيض لها بالأمس جماعة من الأدباء حملوا لواء الحياة الأدبية . وتقدم هؤلاء صفوف الأدب وأخذوا يقربون بين الأدب الرفيع وأدب الشعب ويرسمون من التاليين مثالا واحدا صادقا بصور التطور الصحيح ويتجانس مع الزمان والمكان

وقد كان الأستاذ الزيات فى مقدمة هؤلاء النفر الذين قربوا الخطى ووحدوا الصفوف ووسعوا الميدان الأدبى وأفسحوا المجال الصحفى للمطبوعين المتبورين والموهوبين المنسيين . كما كان فى رسالته عون الشباب المتوثب المكافح المتاضل العامل على رفع القواعد من المدرسة الأدبية المصرية . وهو من هؤلاء النفر الذين يقدرون الشئ لذاته . فليس أكرم الأدباء فى نظره أشهرهم ولا أسنهم ولا أغناهم ولا أعظمهم جاها وشأنا ، وليس أتفههم عنده أخملهم ولا أصغرهم ولا أفقرهم ولا أحقرهم مكانة ورتبة . إنما أكرمهم عنده آدبهم وأعلمهم . وهكذا لم يشأ الأستاذ الزيات أن يتخذ من المقاييس اللا إرادية مقياسا يقيس به الأدباء والعلماء . لقد أبى الأستاذ فى رسالته إلا أن يكون الناقد الحصيف الذى يحسن الاختيار ويصل إلى الأعماق فى النقد ، ذلك لأنه يأبى إلا أن يجعل من الإرادة والإرادة وحدها مقياسه النزيه . أما هذه المقاييس التى تقوم على صفات عرضية لاحظ للانسان فيها ولا قدرة له على توجيهها فهى مقاييس زائفة تافهة فى نظره لأنها لا تمثل الحقيقة المجردة ولا تستقيم مع النقد النزيه ، ويماثل ذلك قوله تعالى فى محكم كتابه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فالتقوى وأمثالها جانب إرادى فى حياة الإنسان . ولذلك صح أن تعتبر مقياساً فى التفاضل الأخروى .

وفى ضوء هذا النهج السليم قرب الزيات بين الحياتين ووحد بين الأدبين حين جعل من الرسالة منبراً عاما يعتليه الأدباء لذواتهم وشخصياتهم لا لمناصبهم ومراتبهم ، يعتلونه على اختلاف مشاربهم وأهوائهم وميولهم ونزعاتهم يعرضون ما لديهم من بضاعة فى

الأدب والعلم والفن . ثم يطرحون ذلك كله أمام القراء الذين أقبلوا على الرسالة يتدافعون ويتزاحمون حين أدهشهم جلالها وأعجبهم اتساع صدرها وتمثيلها لجوانب الحياة الأدبية كلها . والقراء هم الحكومة النزيهة بين الرسالة وكتابها . فهم وحدهم الذين يستطيعون بإخلاص أن يقولوا للمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت . ثم هم يسجلون ذلك فى بريدهم الأدبى . وهم وحدهم يستطيعون أن يعلنوا ويثبتوا البقاء للأصلح « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

وهكذا ظلت « الرسالة والرواية » عشرين عاما منذ خرجت إلى الناس تحمل عددها الأول وهى تؤدى فى صدق وأمانة رسالة الحرية الكاملة فى الأدب العربى المصرى الحديث ولا تزال تؤدى هذه الرسالة إلى اليوم وستؤديها ما شاء الله لها أن تبقى . وهى فى ذلك كله تعرض على الملأ الكتاب الأحرار المخلصين للحقائق المجردة ، وترسم أمام الناس صورا صادقة لتطور المقالة الأدبية والشعر الحديث والقصة الحديثة . وهى إلى جانب هذا وذاك تعتبر سجلا لطيفا يصور التاريخ الأدبى المصرى وما يعتريه من نماء وتطور أسبوعا فأسبوعا . ولولا عنصر الصدق الذى امتازت به فى أداء رسالة الأدب لعصفت بها يد الزمان ولحطمتها معاطب الحدثان .

نعم إنها ظلت تناضل مع الزمن وتصور الحياة الأدبية المصرية فى غير تكلف ولا تعسف . كما استطاعت بفضل عناصر : الصدق والدقة والإحاطة أن تصبح مرآة عامة تنعكس عليها آداب مصر والعراق وآداب الأقطار الشقيقة ، وأن تستجيب لذلك كله لما وجدت من القراء فى الأقطار الشقيقة من يمهد لها الطريق ويعينها على أداء رسالة العربية وآدابها . فالرسالة — فى نظر المنهج العلمى الحديث — هى الأدب الحى المعاصر .. والأدب الحى المعاصر هو الرسالة :

* * *

واليوم شاءت الأقدار أن تحتفل الرسالة بعددها الألفى ، وأن تختتم به عهدا قديما فى حياة مصر ، وأن تفتتح به عهدا جديدا حبيبا إلى النفوس ، هو عهد الحرية والفضيلة ، عهد العدالة التى حطمت صخرة الطغيان وخلصت مصر من ربقة الظلم والإثم والبهتان .

ولعل من أجمل الصدف وأحلاها فى حياة الأقدار أن تفتتح الرسالة الألف الثانية من أعدادها فى مفتتح هذا العهد الجديد . ذلك العهد الذى لا تزال الأعناق تشرئب إليه احتراما وتعظيما وتحملق العيون فيه إكباراً وإجلالا وتكريما ، وقد خشعت له أصوات المردة وارتفعت فيه صيحات الحق ، بعد أن ظل الناس زمنا يجأرون بالشكوى فلا يلتفت إليهم ويهيبون بالإصلاح فتداس حقوقهم وتحطم آمالهم

ما أجمل أن تفتتح الرسالة ألفها الثانى فى ذلك العهد الجديد وما أحراها أن تسهم فيه بنصيبها فى الإصلاح والتطهير والتجديد ، وأن تكتب عن ذلك كله وقد حمل صاحبها لواء الكتابة الإنشائية عشرين عاما كاملة . فما كان الأدب الحر فى أى عصر إلا سلاحا ماضيا يدافع عن الأبطال المجاهدين وسيفا مصلتا فوق رقاب الطغاة المتمردين . ألا إن حاجة الأمم إلى الكتاب وعذبات الأقلام ليس بأقل من حاجتها إلى القادة والقواد العظام .

حامد حفنى داود

يوم ٢٦ يوليـــو

بمناسبة مرور شهر عليه

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

ودنت ساعة الخلاص وكانت مصر بشعورها تحسها ولكن قلبها كان يهتز . كان يخفق فرحا بقرب إعلان مولد الفجر الجديد ، وكان يضطرب إشفاقا خشية أن يكون أسرف فى التفاؤل والأحلام . . وعاشت مصر أربعة أيام تترقب وتتكهن القدر وتتطلع إلى السماء ، تدعوها فى صوت مختلج أن تسند وقفتها فى وجه الظلم فلا ترتكس ، وأن تبارك هبتها فى وجه الطغيان فلا تنتكس ، وأن تصل حياتها الجديدة بعد البعث فلا تموت.. وكان اليوم الرابع أطول يوم لأن مصر عاشته لحظة لحظة ، وكان أقصر يوم لأن مصر من هول ما عانت قبله ، وعظم ما نالت فيه ، بدا لها كالحلم السعيد الموشى ، قصير الأمد بعيد التصديق

لقد صبرت حتى شق صبرها ، واحتملت حتى ضاق ذرعها ، وكابدت حتى وهى جلدها ، وتجلدت حتى رماها الجاهلون بطبيعتها ، الباخسون لمعدنها .. بالبلادة ، واتهموها بالغفلة ، ووصفوها بالجمود الذليل ، ولكنها كانت تعرف أين تضرب ضربتها ومتى ، كانت تدبر لها بحكمة السنين ، ثم نفذتها بعزم الفراعين الجبابرة ، ومضت إلى غايتها فى استبسال المستميت . ثم استمدت ربها العون فأجاب ، وفوقت سهمها فأصاب ، واستلهمت تاريخها فتبدد من جوها اليأس ، وأشرق فى أفقها الأمل ، وجاشت فى صدرها العزة ، وسرى فى كيانها الشعور بالقوة والكرامة

فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ قالت مصر (لا) مدوية كالرعد ، نافذة كحكم القدر . وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ أصدرت مصر أمرها فطأطأ الطغيان رأسه ، وأعلنت مصر كلمتها فخفض الاستبداد صوته ، وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ فتحت مصر بابها فخرج الظلم إلى غير رجعة . . ودهش العالم ، وابتسم القدر ، وسجل التاريخ ، وهتفت الوطنية

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ خرج الظلم وانكمش أعوانه متضائلين بعد أن عاثوا الفساد وأشاعوا الفوضى ، وأرهقونا بالبؤس ، وحرمونا من الخير ، وأذلونا بالاضطهاد ، وقتلونا بالعنت والكبت ، واعتصروا دماءنا ليريقوها فى كؤوسهم خمرا ، وما حسبوا أن الله لهم بالمرصاد وأن وراء الخمر أمرا

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طردت مصر الظلم وا كتفت بهذا فلم تنكل به كما نكل بفلذات أكبادها ، لم تودع فى صدره الأثيم الرصاص الذى أودعه صدور بنيها فى فلسطين ليزداد ثراء ، لقد قبض ثمن أرواحهم حين ابتاع لهم الأسلحة الفاسدة ليضاعف خزائنه .. كانت مصر جبارة فى غضبتها ، ولكنها كانت كريمة فى عفوها مع القدرة ، نبيلة فى صفحها مع غصة المرارة من الدم المسفوح .. إن وطنى صانع المعجزات ، إن التاريخ القديم والحديث ليس فيه صفحة واحدة لشعب عفا عن طاغية استبد به واستهتر بكل القيم كما عفا شعب مصر

لقد بكى قلبى مع الكثيرين من قومى عندما أعلن البشير خلاص مصر من ربقة البغى والطغيان ، ولكن دموعنا هذه المرة طفرت من الفرح بالنصر المبين ، وطالما سكبناها فى مصارع ضحاياها فما تحدرت من مآقينا حتى اختلطت فى بحر الدموع والعرق بلوعات الثكالى وزفرات اليتامى ، وأنين المجهودين والحيارى ، ومن تقطعت أنفاسهم فى منتصف الطريق

اشتدى أزمة تنفرجى

نعم لولا تفاقم الخطب لما نفد الصبر ، ولولا اشتداد الكرب لما انفجر الصدر ، ولولا توالى لذعات الألم لما فاضت الكأس

لقد أكرهنا على أن نقدم ما نزرع ليتخموا ونجوع ، واغتصبوا الضرائب التى ندفعها باسم مخصصات ومرتبات يكدسونها أكواما من النضار عاما بعد عام دون أن تنقص لأننا مكلفون مع هذا أن نتحمل تكاليف طعامهم ولباسهم ومركباتهم ونزهاتهم وأسفارهم وولائمهم وزينات أفراحهم ، حتى إذا ضاقوا ذرعا بالمال كما نضيق ذرعا بالعدم بعثروه فى سفاهة على الموائد الخضراء وفى الليالى الحمراء ، حتى إذا طلع النهار اتخذوا سمت الصالحين فغشوا المساجد ، وأداروا حبات المسبحة . وبلغت السخرية مداها حين زعموا .. وياهول ما زعموا . . زعموا اتصال نسبهم بنبى المسلمين !

ويرى الشعب هذا ويسمع به وينتظر ويتحرق ولكن البغاة الذين أغراهم صبره وغرهم حلمه ، أضافوا إلى صفحاتهم السود صحائف من الغيلة وانتهاك الأعراض والعبث بدستور البلاد وقوانينها . فخرج الاحتمال عن طاقة الإباء ، وكبر الجرم حتى ضج به الحلم ، وطاح معه الصبر فكان الانفجار

لقد نسينا ما فدحنا به إسماعيل من ديون ، وما نكبنا به توفيق من ويلات الاستعمار ، واستقبلنا منذ ستة عشر عاما الطاغية الطريد كما يستقبل الميامين الأبطال ، وأملنا فيه خيرا وأحببناه حبا دنا من العبادة وحففناه بقلوبنا ، ولكن تركيته غلبت عليه ، فسامنا الخسف كأسلاف له من قبل ، وبغى واستكبر ومادرى أن الله أكبر وأن على الباغي تدور الدوائر

إن يوم ٢٦ يوليه أجل أعيادنا خطرا وأعمقها أثرا ، فيه ولدت مصر الجديدة ، وفيه رفع الجيش رأس مصر المجيدة ، وفيه صح الوعي من مصر الرشيدة . وفيه دمدم قائدنا نجيب أكبر حصون البغي ليبنى على أنقاضه دولتنا من جديد

إن أرواح الأبرار من أسلافنا تطوف بنا مرفرفة ، فى أرضنا فرحة وفى سمائنا تبريك

إننا سنجعل من يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طلائع موكب الحياة والنور ، سنجعل من هبتنا فيه بداية يقظة موصولة تصحح على هديها أوضاعنا ، وتستقيم على ضوئها أمورنا ، فلا نضل بعد اليوم وقد وضحت معالم الطريق

إننا سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ درساً بليغا فى العزة القومية نلقنه صغارنا حتى نجنبهم التجربة القاسية التى مررنا بها فما سلمنا منها إلا بمعجزة نجيبية

سنلقنهم أنه فى يوم ٢٦ يوليه أمر المصريون الفلاحون السادة الأتراك أن ينزلوا عن عرش لا يستحقونه فأذعنوا صاغرين . ثم أمروهم أن يغادروا مصر فورا لا تشيعهم السلامة بل قذفت بكبيرهم إلى البحر لعنات شعب ممرور . وأمر قائدنا نجيب ربان الباخرة أن يطرحه على شاطئ بعيد ثم يعود إلى مصر فورا بباخرتنا (المحروسة)

سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ نشيدا قوميا يحفظه عنا أبناؤنا ليعرفوا حقهم فلا يفرطوا فيه ، ويعتزوا بوطنهم فلا ييأسوا منه مهما ران عليه الظلام والكمد ، فهاهو النور انبثق دفعة واحدة ، وعلى غير انتظار من جوف ليل بهيم عابس حسب معه الكثيرون أن الصبح ضل طريقه ، فإذا به غامر الضياء مائس النور

سلام على مصر بين أوطان العالمين
وسلام على شعب مصر بين الخالدين
وسلام على جيش مصر بين الغر الميامين

نعمات أحمد فؤاد

تحيـــة جديدة *
للرسالة المجيدة

بمناسبة أعيادها الأربعة فى يوم واحد
العدد الألف ، والسنة العشرين
وعيد الأضحى ، وعيد استقلال مصر

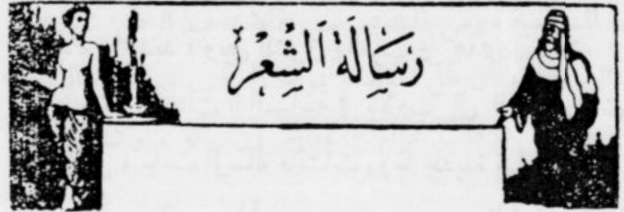
للأستاذ أحمد أحمد العجمي

لم لا أعود إلى تحيتهـــا ... تلك التي تحنو على الأدب ؟!
لم لا أعود لهـا فأحمـــدها ... والحمد عند العطف والحدب !
تطوى السنين بنا وتنشرهـا ... تختال فى أثوابهـــا القشب
وتفيـض بالآداب مترعـة ... بالفن يبعث هـامد الطرب
الحق ديدنهـا وغايتهـــا ... تجلوه بـين الشك والريب
كم غابت الأقمـار واحتجبت ... إلا (الرسالة) فهى لم تغب !
لولا الرسـالة لانطوت شهب ... منا وراء الغيـم والحجب
لولا الرسـالة ماجرى قلمى ... بالمعجزات وجد فى الطلب !
كنا معاً من فجر مولدهـا ... كصبية شغفت فؤاد صبي !
ألهو بها وأجـــد مقتبسا ... منهـا وليس الجـد كاللعب
كم كنت أحبو فى قراءتها ... واليوم أحبوها بوحى نبى !!
أعيادها مثنى ثلاث وقـــد ... وافت رباع تفيض بالعجب
فى عيدهـا الألفى ساطعـة ... فى عامها العشرين كالشهب
أضحى بها (الأضحى) يحج إلى ... بيت البيان وكعبة الأدب !
والنصر وافى مصر وامتزجت ... آلاؤه بالنور واللهـــب
إنى ثملت بحبها شغفـاً ... حتى شغلت بربهـا الأرب
ياحبذا (الزيات) كم صلة ... بحبوبها الفصحى وكم سبب ؟
رأس البيـان وغـيره ذنب ... شتان بين الرأس والذنب !
نالت بلاغتـه بروعتهـــا ... حد النهى ونهـاية الأرب
والشرق يبصر فى براعتـه ... موسوعة تغنى عن الكتب !
آراؤه فى الفـن والأدب ... دع عنك ذكر البدر والشهب
يعتز بالأسلوب فى زمن ... يعتز فيه الناس بالسلب !!
حسب الرسالة أن فى يدها ... يده التى تنهـل كالسحب
هيبـات أنسى من يؤازرنى ... ويهش للمغمور فى النـوب
قد كنت كالمغمور فى ظـــلم ... بالريف ويح الريف من غضبى!
أحيا كأنى من سوائمـه ... وأعيش فيـه عيش مغترب
أتضيع أحلام الشباب سدى ... ويظل ذاك الظل فى الكثب ؟!
كم من يد طاشت فداء يد ... راشت جناح النسر بازغب !
وعلى ملوك البغى دائرة السـ ... ـوء البغيض تدور بالعطب !
تيجانهم قد أصبحت لعباً ... شتى فيا لطرافة اللعب !!
يارب تاج فوق ناصيـــة ... النعل أرفع منه فى العقب !!
ولرب عمـــلاق تعقبـه ... قزم فأرداه بـلا تعب !
التاج تاج الجيش والقضب ... والعهد عهد الشعب و (الشعب)
وكـتـائب التحرير ساهرة ... وعناصر التطهير عن كثب
والظلم مدحور فإن برزت ... أنيابه فالرأى للقضب !!
والقائد الأعلى « نجيب » له ... بأس الـكمى وفطنة الذرب
ياشائـين كفى مناهضـة ... للناشئين الفتية النجب !
أخلوا الطريق لنا فموكبنا ... يحدوه حادى النصر والغلب
أو فالبثوا... هذى كتائبنا ... تختال بين البيض واليلب
نحن الشباب وتلك نهضتنا ... تسمو على الأفلاك والشهب
كم من فتى منا متى رغبت ... نالت يداه الشمس لم يثب!!
المعجزات لنـا نسخرهـا ... أرأيت فعل الريح بالسحب ؟
وعلى (الرسالة) من أسنتنا ... أصداء هذا الجحفل اللجب
دامت ودام الشرق فى فمها ... أنشودة منشودة الطرب !

أحمد أحمد العجمى

* للشاعر قصيدة قديمة مشهورة ، هى (تحية الرسالة فى عيدها العام العاشر) نشرت بالعدد ٤٤٤ ومطلعها

حى الرسالة واقبس من محياها ... ماشئت من حسنها أو من حياها
رفعت على الشرق أندى من أزاهره ... كأن من نفحات الخلد رياها



هوى الملك الباغي

للأستاذ محمود البشبيشي

بعزم (نجيب) أدرك الحق طالبه ... وروع صرح البغي وانهار جانبه
وأشرق وجه الشعب بعد عبوسه ... وولى زمان قد تمادت غياهبه
يسائلني صحبي وقد بهرتهمو ... من الجيش نفاثاته وعجائبه
لمن موكب كالرمح يمضي مسددا ... تحوم المعالي حوله وتواكبه
لمن قامة كالسيف يسطع عزمها ... تسير إلى الجبار صبحا تحاسبه
أذاك (نجيب) منقذ الشعب قد بدا ... تحف به أنصاره وكتائبه
فقلت، وقلبي دائم الخفق باسمه: ... أجل هو تحدوه العلا وتصاحبه
أجل هو سيف الله يمضي مظفرا ... إلى اسث الباغي، وتلك مواكبه
إلى ملك لم يرع للحق جانبا ... وقد شغلته نفسه ورغائبه
إلى ملك قد أثقلته ذنوبه ... وذاعت على موج الأثير غرائبه
وعاث بآمال البلاد وأهلها ... كما عاث في الكرم المباح ثعالبه
وقد عزه ما قد أعد وما درى ... بأن عيون الشعب يقظى تراقبه
فلم يغن عنه — والجيوش محيطة ... به ماله أو قصره ومساربه
أيحسب أن البطش يعصم تاجه ... وكيف؟ وجبار السماء محاسبه!
لقد طوقته الغاشيات فلم يجد ... أخا يفتديه أو صديقا يعاتبه
وما الجيش إلا نقمة الله أطبقت ... عليه فما تنجيه منها مهاربه
وكيف يرجى رحمة الله ظالم ... ويطمع في لطف الإله محاربه؟

فلا الجو ينجيه وقد زمجرت به ... من الجيش نفاثاته وضواربه
ولا البحر ينجي والبوارج رصد ... ولا البر منج والأسود طوالبه
كذلك بأس الله إن حاق بامرئ ... «ولو ملكا» ضلت عليه مذاهبه
هو الجيش لله القوي حفاظه ... وللوطن المحبوب تنضى قواضبه

لقد ظل دهرا يهتف الشعب باسمه ... ويزجي من الألقاب ماهو طالبه
يسئ فيغضي الشعب حلما لعله ... يثوب إلى الحسنى وتخبو مآربه
وقد عزه صبر الكرام وما درى ... بأن وراء الصبر كبتا يغالبه
وقد حسب الدستور لهوا وملعبا ... يقربه حينا، وحينا يغاضبه
وينساه أحيانا وحينا يهزه ... إليه حنان خادع ويداعبه!
وكم همس الشعب الكريم بنصحه ... رفيقا، فخلت بالبلاد مصائبه
تمرد واستعلى على الشعب لاهيا ... فطورا يرائيه، وطورا يشاغبه
وأملى له شيطانه فسما له ... (نجيب) بجيش لا ترد مطالبه
وصبحه بالجيش فانهار عزمه ... وأيقن أن الحق لا شك غالبه
وأدرك أن البغي يصرع أهله ... وأن الأماني العذاب كواذبه
ولاح له طيف المنون فراعه ... وقد برزت أنيابه ومخالبه!
فألقى إلى الجيش الأبي زمامه ... فما بات حتى غيبته مغاربه
وأقلع عن أرض الكنانة خاسئا ... تشيعه آثامه ومعايبه
خدعنا به حينا فلما تبينت ... مثالبه جئنا إليه نحاسبه!
وإنا لشعب لا تلين قناته ... إذا استل سيفا لا تخون مضاربه
(إذا الملك الجبار صعر خده ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه)

محمود البشبيشي

نشيد الخلاص

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

آن للظلم أن يزول فمرحى ... بزوال القيود يا مصر مرحى
كم شربنا الحياة جرحا وجرحا ... وعرفنا الجهاد كبتا وكبحا
وانتهينا إلى النجاة.. فمرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

آن للبغي أن يزول فمالا ... كالخطايا ... وأن يزول رجالا
بارك الله جيشنا حين قالا ... قولة الشعب «زل» فخر وزالا
بعد عهد من البلاء توالى
آن ياشعب أن نعيش فرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

كم صبرنا على الهوان زمانا ... وشربنا الخداع آنا فآنا
ونسينا الكفاح حتى سلانا ... فصحونا على بشير دعانا
دعوة النصر صادقا وهدانا
لطريق الخلاص يامصر مرحى
بزوال الطغاة والبغي مرحى

حسين محمود البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مدرسة الرسالة

فى ١٥ يناير سنة ١٩٣٢ بزغ النجم فصدر العدد الأول من الرسالة ، وفى أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ يصدر العدد الألف من هذه المجلة خلال فترة بلغت عشرين عاما ، تطور فيها الأدب والفكر والفن ، وانتقل من مرحلة إلى مرحلة ، وسايرت الرسالة هذه النهضة ووجهتها وتفاعلت معها ، وتركت فيها آثاراً قوية حية ما تزال باقية خالدة

وفى خلال هذه النهضة الأدبية التى بدأت بعد الحرب العالمية الأولى نشأت مدرستان : مجلة السياسة ومجلة الرسالة

أما مدرسة السياسة فقد بدأت منذ عام ١٩٢٢ وانتهت عام ١٩٣١ ، أما مدرسة الرسالة فإنها منذ بدأت لم تنته ، وما زالت تواصل جهادها فى قوة

كانت مدرسة السياسة تنشئ الأدب الجديد ، وتواجه التيارات المختلفة ، وتقف من الحضارة الأوربية ومن القديم والجديد ، ومن الشرق والغرب؛ موقفا بين الوضوح والغموض ، وبين الاتزان والشطط ، وبين الاعتدال والاضطراب

أما مدرسة الرسالة فقد جاءت بعد أن استقرت الأمور ، ونضج الأدب وبدت ثماره دانية القطوف ، وانتهت المرحلة العصبية الحادة إلى غير عودة

وبينا كانت مدرسة السياسة تقول بالفرعونية ، وتدعو إلى التبشير بكتابين متواليين عن الشعر الجاهلى ؛ والخلافة وأصول الحكم ؛ كانت الرسالة تقول بالامتزاج ، وتقريب وجهات النظر ورعاية القديم وبعثه ، وتقبل الجديد بعد دراسته ونقده

وكان الصراع فى « السياسة » بين الأدب القديم والجديد ، أقرب إلى الهدم منه إلى البناء ؛ فلما جاءت الرسالة واءمت بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب على هدى وبصيرة

وبعد أن مالت « السياسة » بالأدب إلى النيل من شوقى والرافعى ، جاءت الرسالة فأنشأت روحا جديدة قوامها الجمع بين روح الأدب القديم والجديد ، ورفع مستوى العقول والأفكار والنفوس عن ميدان الصراع ، وخلق ميدان للبناء والإنشاء

وفى مدرسة « السياسة » كتبت الأقلام التى أبرزتها النهضة بعد ثورة ١٩١٩ : طه حسين ، وهيكل ، والمازنى ، وعنان ، ومحمود عزمى .. أما فى الرسالة فقد كتبت هذه الأسماء ، ونشأت فى محيطها أقلام جديدة هى صفوة الكتاب الذين يلون الصف الأول

وبعد أن كانت الكتابة فى « السياسة » من ذلك النوع الذى أطلق عليه الدكتور طه حسين اسم « الأدب الوضوعى » وهو النقد ، جمعت « الرسالة » بين الأدب الوضوعى والأدب الإنشائى .. وكان الخلق والفن الجديد أغلب

كان قوام مدرسة الرسالة روح « الزيات » . الأسلوب البليغ ، والعبارة المتزنة ، والكلمة النقية ، والنقد النزيه ، والإبداع ..

وبالرغم من أن بعض كتاب « السياسة » انتقلوا إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم قد تطور وتحول من حال إلى حال

فالدكتور طه حسين الذى كان يكتب فصولا فى تصوير الحياة الاجتماعية فى العصر الأموى والعباسى تحت عنوان « حديث الأربعاء » فى « السياسة » ، كتب فصولا غاية فى الروعة عن سيرة الرسول فى الرسالة باسم « على هامش السيرة » ، وكان هذا فنا جديدا من فنون القول والإنشاء

والرافعى الذى كان يكتب حديث القمر ، وأوراق الورد ، والمساكين وغيرها قبل أن يتصل بالرسالة، فلا يقرأها إلا صفوة قليلة من الأدباء ، كتب فى الرسالة أجود إنتاجه ، ونزل إلى مرتبة القراء الوسط ، وخلف كتابا ضخما هو « وحى القلم »

وتوفيق الحكيم بدأ على صفحات الرسالة أول كتاباته فى الأدب والفن فى مساجلاته مع طه حسين عن نشأة الحوار ، والفن الإغريقى والفرعونى

وعلى صفحات الرسالة بدأ العقاد عبقرية محمد. والحكيم قصة

محمد المسرحية ، ومن ذا الذى ينسى مقالات عبد الرحمن شكرى فى الرسالة بعد أن ظل أعواما وأعواما لا يكتب حتى نسيه الناس

وعبد الوهاب عزام وأسفاره ورحلاته ، وكتاباته عن التصوف

والكتاب الذى يعد أجمل ما كتب زكى مبارك بدأه فى الرسالة : « ليلى المريضة فى العراق »

والقصصى الإغريقى الخالد ، كتب لأول مرة على صورة رائعة فى الرسالة عندما أنشأه دريني خشبة

والمساجلات الرائعة الخالدة ، كانت صفحات الرسالة منبرها أمثال « بين الرافعى والعقاد » « بين سيد قطب ومحمود محمد شاكر وسعيد العريان » « ولايتينون وسكسيتون » بين العقاد وطه حسين

و«صداقات الأدباء» بين توفيق الحكيم وزكى مبارك والعقاد

و« ما لزكى مبارك وكتاب الله » بين زكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى

و« الشيخ المرصفى » بين زكى مبارك والسباعى بيومى

و« أومن بالإنسان » بين على الطنطاوى وعبد المنعم خلاف

و« الأدب المهموس » بين محمد مندور وسيد قطب

والمذهب الرمزى والتبيانى بين العقاد وكثير من الكتاب

وكان للرسالة فضل فى إبراز شخصيات أدبية غاية فى القوة فى مصر والشرق وفى مقدمتها : الأستاذ صلاح المنجد وعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى وجواد على وفهمى عبد اللطيف وأنور العطار وسعيد العريان ومحمود محمد شاكر وعزيز أحمد فهمى ومحمود الخفيف وعبد المنعم خلاف

ومن كتابه ثلاثة كانوا غاية فى القوة ، وكان ينتظر لهم مستقبل حافل ، لولا أنهم انتحروا : فخرى أبو السعود وفيلكس فارس وإسماعيل أدهم أحمد

وغاية القول أن مدرسة الرسالة كانت مدرسة الخلق والإنتاج، وأن الأدب المعاصر مدين لها بكل ما فيه من قوة وعظمة وجلال، ولا نبالغ إذا قلنا إن كتابا من الكتب الأدبية الحديثة لم يكن قبل صدوره إلا فصولا فى مجلة الرسالة. ونحن نهنئ الأستاذ الزيات بهذا الفضل الذى طوق به الأدب العربى الحديث

هل يكتب التاريخ من جديد

فارق كبير بين ما يكتب الآن ، وبين ما كان يكتب قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، إن القيود التى كانت موضوعة على الحقائق قد رفعت ، فأصبح فى مقدور كل من يعرفها أن يعلنها صادقة ، هذه الحقائق هى مادة التاريخ ، الذى يجب أن يكتب من جديد

إن الأحزاب السياسية التى كانت تلى الحكم فى الثلاثين عاما الأخيرة قد كانت فى حديث الصحف والكتب قبل هذا التاريخ صاحبة أمجاد ، وكان فلان وفلان وفلان هم زعماء الشعب ، أما الآن فقد أمكن أن تقال الحقيقة ، وهى مدى الأثر الذى تركته هذه الأحزاب بصراعها ونفاقها فى البلاد

إن الملك السابق كانت تكال له عبارات التمجيد والتقدير والإعجاب من رجال السياسة والدين والصحافة ، وقد تحول هذا كله اليوم إلى إعصار من الحقائق التى كانت محجوبة . . والتى كان يمكن أن تظل محجوبة وقتا طويلا لولا هذا الانقلاب

والصحف قبل ٢٣ يوليه كانت تحمل أشياء كثيرة ، لا أظن أنها صالحة لكتابة تاريخ مصر كتابة صحيحة ، ولا أظن أنها المادة النافعة لهذا ، والمؤرخ الذى سيعتمد عليها سيكتب حتما صورة خاطئة لمصر

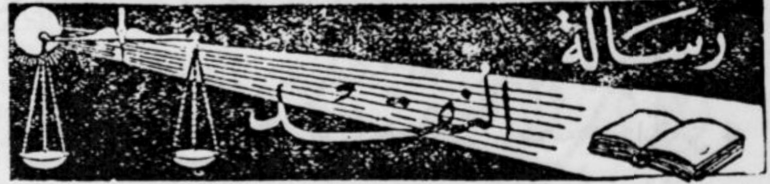
وقد ألف فى هذه الفترة الطويلة كتب عن فاروق وفؤاد وإسماعيل وعن سعد زغلول والنحاس ، وعن السياسة والوطنية والمجتمع ، كل هذه المؤلفات ما عدا القليل منها أصبح زائفا

ولم يكن هناك غير عبد الرحمن الرافعى وفتحى رضوان وبعض كتاب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقولون بعض الحقيقة أو يحاولوا فى لباقة أن يقولوا الحقيقة المرة

لقد كانت المطامع والأهواء تغطى على كل شئ ، فلطالما زيفت الصحف الحقائق ، وقالت غير ما هو كائن ، وصورت الأمور على غير وجهها ، وكان ذلك فى بعض الأحيان رغم أنفها ، وفى بعضها الآخر بإرادتها ، وكانت بعض الصحف مشتراة ، للأحزاب أو لغير الأحزاب، لتزييف هذه الحقائق ، ولذلك وجب أن يكتب تاريخ مصر : تاريخ الملك والأحزاب والسياسة والأزهر من جديد بعد أن أصبح ذلك فعلا فى مقدور كل كاتب

أيها الكتاب : اكتبوا تاريخ مصر من جديد

أنور الجندى



كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

تأليف أبي عبيد البكري الأندلسي

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس في الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الملاحظة الثالثة

وقع فى هذا الجزء هفوات تحتاج إلى إصلاحات ، منها :

١ — ص ١١٥٧ :

ما كان بين الشيطين ولعلع لنسائنا إلا مناقل أربع

والبيت بهذه الصفة ، وإن استقام وزناً — إلا أنه خرج عن وزنه الصحيح ، إذ هو من الطويل ، وبعده : —

لجئنا بجمع لم ير الناس مثله يكاد له ظهر أنوريعة يظلع

وصوابه إذن : (فما كان ... لنسوتنا) . كما فى كتاب لغدة الأصبهانى ، عن بلاد العرب (ص ١٧ نسختنا الخطية المقابلة على نسخة السيد المرحوم محمود شكرى الألوسى)

٢ — ص ١١٨٥ : (المجازة ، ومعرض ، وحجر ،والعامرية والصواب : (العمارية) وهى قرية من أعراض اليمامة ، كما نقل المؤلف هنا ، ولا تزال معروفة ، تقع غرب مدينة الرياض مسافة ٣٠ كيلا (كيلو مترا) — أنظر « معجم البلدان » هذه المادة و « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٢ —

٣ — وفى ص ١٢٠١ : (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى مدين ، أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل ميناء ، قال ابن إسحاق : وميناء هى السواحل) . كذا — وكلمة « ميناء » تصحيف « مقنا » بالقاف مكان اليـاء ، ولعل هذا التصحيف سببه أن الفاء بالخط المغربى تنقط بواحدة من تحتها ، فصحف أحد النساخ القاف فاء ، ثم صحفت الفاء ياء لاشتباهها بالياء. ومقنا قرية معروفة الآن فى ساحل مدين ، بين قريتى « ظبا » و « حقل » وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سكانها من اليهود ، إذ هى قريبة من وادى القرى . (انظر هذه المادة فى معجم البلدان ، كتاب الرسول (ص) لأهل مقنا فى « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وفى « الوثائق السياسية » للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى ، المطبوع بمصر ، بمطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف)

٤ — وفى ص ١٢٣٦ : (ثم تنزل تريم وهى لبنى جشم) . و(تريم) تصحيف (بريم) بالباء الموحدة المضمومة فراء مفتوحة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فميم ، وهو منهل لا يزال معروفاً بهذا الاسم ، فى عالية نجد ، بقرب جبل حضن ، وثم منازل بنى جشم قديما ، وبقاياهم فى هذا العهد يقرب هذا المنهل (وانظر لتحديده « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٤ و ١٥١ وكتاب لغدة الأصبهانى حيث تجد فيه : وفى بريم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز : (تذكرت مشربها من تصلبا — قصبا مثقبا) . أما تريم — بالتاء والمثناة الفوقية المكسورة ، بعدها راء ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة فميم ، فهو موضع آخر يقع فى شمال الحجاز ، يقرب مقنـا ، بين « المويلح » و « حقل » وهو الذى يرد ذكره فى شعر كثير عزة . وتريم — بفتح أوله وكسر ثانيه — بلدة فى حضرموت معروفة

٥ — ص ١٣٤٧ : (قال أبو الصلت الثقفى) . والمعروف (أمية بن أبى الصلت الثقفى)

٦ — وفى ص ١٢٧٠ : (سيحان من جنب) . والصواب (سنحان) بالنون بدل الياء ، وهى قبيلة معروفة فى عهدنا هذا ، من قبائل جنب ، منازلها فى جنوب المملكة العربية السعودية ، وفى أطراف اليمن الشمالية ، فى السراة ، (انظر تاج العروس مادة « سنح » وراجع كتب الأنساب)

٧ — وفى ص ١٣٣٥ : أورد المؤلف شاهدا على تحديد « النميرة » بيتاً للراعى ، وعقبه بقوله : (فذلك أن حقيلا من

ديار بنى تميم) . وكلمة (تميم) هنا مصحفة وصوابها (نمير) وهم قبيلة الراعى ، وحقيل جبل فى بلادهم قال فيه الراعى :

وأفضن بعد كظومهن بجرة من ذى الأبارق إذرعين حقيلا

٨ — فى ص ١٣٩٨ : (بلقيس بنت هداد بن شرح) . والصواب ما نقل الأستاذ فى الحاشية عن الجزء العاشر من « الإكليل » : الهدهاد . وأما شرح فصوابه إلى شرح ، كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس (انظر طبعته للجزء الثامن من الإكليل ص ١٩) وورد فى كثير من المؤلفات العربية بصيغ متعددة — الشرح — إلى شرح — ليشرح — لى شرح — وأورده نشوان الحميرى فى مادة « شرح » وسماه بهذا الاسم ، ولكن الهمدانى أوثق وأعلم من نشوان

٩ — وفى ص ١٤٠٣ : (صيد بن همدان) . والصواب : (صيد من همدان) إذ الصيد هؤلاء من ولد عمرو بن جشم بن حاشد ، وحاشد من همدان (أنظر نسبهم فى الجزء العاشر من الإكليل ، وانظر ص ٨٠ ج ٨ منه طبعة الدكتور نبيه فارس)

١٠ — نقل الأستاذ فى حاشية ص ١٢٧٢ — عن ياقوت أن « منفوحة » قرية كان يسكنها الأعشى وبها قبره ، وهى لبنى قيس بن ثعلبة نزلوها بعد قتل مسيلمة . ولا أدرى كيف غاب عن الأستاذ أن جملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا تتفق مع كون تلك القرية بلدة الأعشى وبها قبره ، إذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بنى قيس هؤلاء ؟ وإذن فسكنى بنى قيس متقدم على قتل مسيلمة

هذه بعض الهفوات ، ولم نحاول إحصاءها وحصرها ، ولم نشر إلى الأغلاط المطبعية إيجازاً للقول ، وضنا بالوقت ، ولأن جل من يرجعون إلى هذا الكتاب لتحقيق موضع ما من العلماء الذين لهم من سعة الإدراك والاطلاع ما يمكنهم من التثبت والتحقيق حتى يصلوا إلى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الكتاب

الملاحظة الرابعة

ذكر الأستاذ السقا — فى مقدمة هذا الجزء — أنه صحح أغلاط المؤلف ، ولكننا نجد للمؤلف أوهاماً كثيرة ، وأغلاطا فاحشة لم تصحح ، وقد ذكرنا فى كلمتنا التى نشرناها فى هذه المجلة عند صدور الجزء الثالث عذر المؤلف فى ذلك . لكونه ينقل عن كتب كثر فيها التحريف والتصحيف ، وهو فى بلاد الأندلس ، البعيدة عن بلاد العرب . ولا نريد استقصاء ما وقع من المؤلف من الغلط ، ولكننا نشير إلى بعضها ، مؤملين من الأستاذ السقا إعادة النظر فيها عند إعادة طبع الكتاب ، فمنها :

١ — فى ص ١٢٨٨ و ١٣٧٠ : (وحسن خبة) بالخاء ، وقد أوردها المؤلف فى بابها ، والصواب (حبة) بالجيم ، وهو منهل معروف فى فلاة واسعة يقع بين بلدتى « حائل » و« الجوف » فى شمال نجد ، وتلك بلاد طىء فى العهد القديم

٢ — وفى ص ١٢١٨ : (الخزواء) وأوردها كذلك فى حرف الخاء مع الزاى — وهى فى رأيى (الحوراء) التى ورد تحديدها فى صفحة ١٣١٠ وهى فرضة قديمة على ساحل البحر الأحمر ، تقع بقرب بلدة « الوجه » فى جنوبها وقد خربت قبل القرن السابع الهجرى

٣ — فى ص ١٢٥٣ : (الملح) وقال المؤلف إنه مذكور فى رسم القاعة والقاعة تسمى فى عهدنا الحاضر : وادى المياه ، وتقع غرب الإحساء ، ممتدة من الجنوب إلى الشمال ، وفيها قرى كثيرة ومن قراها (ملج) بالجيم بدل الحاء ، وبقربها قرية (نطاع) وقد أورد البكرى فى ص ١٠٤٤ — قول الشاعر

طحون كلقى مبرد القين فعمة بصحراء ملح أو بجو نطاع

وقال الأصبهانى — فى كتابه عن بلاد العرب ص ٤٥ نسختنا الخطية : (ثم تخرج من بطن غر فتقع فى الستار ، وفيه أكثر من مائة قرية ، .. ومن قراها ثاج قال ذو الرمة

نحاها لثاج نحية ثم إنه توخى بها العينين عينى متالع

وعينا متالع منها ، وقرية يقال لها ملج ، وقرية يقال لها نطاع ، قال العجاج ،

إن تك وهنا ظعنت عن دارها عامدة لملج أو ستارها

فقد تصيد القلب باحورارها وكفل ينصار بانصيارها

فإذا خرجت من الستار وقعت فى القاعة،فيها مياه كثيرة) اهـ

٤ — وفى ص ١١١٧ (كداء . . جبل مكة ، هو عرفة بعينها)

٥ — وفى ص ١٢١٧ (المروة جبل بمكة معروف ، والصفا

جبل بإزائه ، وبينهما قديد ، ينحرف عنهما شيئا ، والمشلل هو الجبل الذى ينحدر منه إلى قديد) إلى غير ذلك من الخلط فى تحديد المواضع ، مما لا نطيل بذكره ونرى أن هــذه الصحيفة لا تتسع لبيان وجهة الصواب فيه

وبعد كل ما تقدم : فإننا نشارك حضرة الأستاذ السقا فى قوله (إنى لمغتبط إذا أقدم معجم ما استعجم بعد إتمام طبعه فى هذه الصورة إلى العلماء ، والباحثين فى الثقافة العربية ، ليجلوه من خزائنهم محل الصديق الوفى ، يفزع إليه فى التمــاس العون والرأى ، إذا أدجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشــكوك ، خاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، التى هى الوطن الأول للاســلام والعرب والعروبة) ونزجى لحضرته — مع هذا — شكرنا ، لما أبداه للعربية من يد بيضاء

حمد الجاسر

الإمام المراغى

تأليف الأستاذ أنور الجندى

للأستاذ عبد العزيز الدسوقى

كان الإمام المراغى .. طيب الله ثراه .. ورضى عنه . . قبساً من أقباس الفكر الخــالق المتعمق ، وشــعاعا من نور النبوة الصافية ... ونوراً من هدى السماء . مزج الدين بالدنيا ، ووصل الأرض بالسماء ... وواءم بين وثبات الفكر المتطور المتألق ، والعلم الزاحف ... وبين منابع الدين الغامرة العامرة ... حتى صار بحق ثالث ثلاثة أحدثوا فى الشرق والعالم الإســلامى ، ثورة فكرية بعيدة المدى . .

... وكان — الإمام — أحد النماذج التى تعشقتها ، وكنت أستلهمها . وأستوحيها .. كان حبيباً إلى نفسى بنظراته النفاذة العميقة . وصوته الهادئ الموسيقى العذب النبرات ، الفياض بالإخلاص . المعبر القوى ، .. ثم اختفى بعد حياة حافلة بالــكفاح والأصلاح .. وخنق صوته غول الفناء الرهيب .. وكادت سيرته تختفى فى قبو النسيان . . والشرق . . ومصر خاصة ما أكثر ما ينسى أبطاله ، فلم نسمع عن المؤلفات التى تكتب عن المراغى وشخصيته متعددة الجوانب ، ولم نر الأزهر يخلد ذكرى الإمام الذى وقف حياته على إصلاحه ، حتى قيض الله لهــذا الإمام .. الصديق الــكريم الأستاذ أنور الجندى وهو وإن كان من غــير بيئة الأزهريين ، كما يحاول أن يشير إلى ذلك فى مقدمة كتابه إلا أن هيامه بالشرق ، وتوفره على دراسة المسائل الإسلامية ، وكتبه المتعددة فى هذا المضمار ، شاهد قوى على أنه ليس غريبا على جو الإمام والمراغى...

لذلك أقدم الزميل الحبيب فى إيمان حار .. وأخرج كتابه الإمام المراغى . . والــكتاب وإن كان صغير الحجم كما تقضى بذلك طبيعة سلسلة « إقرأ » إلا أنه ألم بكل حياة المراغى .. فكتب عن المراغى طفلا تنطبع على نفسه انطبــاعات الطفولة فى قريته المراغه بصعيد مصر ، وكتب عنه قاضيا لقضاة السودان ، وصوره تصويرا بارعا ، وتعمق نفسه،وقارن بينه وبين محمدعبد ه ، وذكر وطنيته ، وإصلاحه فى المجتمع والأزهر ، وتجديده ونزعته المتحررة ، كتب عن كل هذا فى أسلوب مشرق يفيض بالحماس الحار ، والإخلاص لحياة الإمام المراغى ...

وأنا لا أستطيع أن ألخص كتاب الزميل بهذه العبــارات القلائل ، فليس الــكتاب قصة ألخصها ، وإنما هو دراسة نفسية لحياة الإمام تنبسط أحيانا ، ثم تنقبض أحيانا أخرى ، وتمر على بعض الأدوار مرورا سريعا مكتفية باللقطات المعبرة ، واللمسات الجياشة ، وتمعن فى التعمق واستكناه الأسرار فى بعض الأدوار ، ثم تمضى هذه الدراسة شيئا فشيئا كما تمضى الحياة نفسها حتى يبلغ الــكتاب أجله ، وتخمد الجذوة ، ويسدل الستار على حياة الإمام ، وهنا ينتهى الــكتاب ، ولــكنه يترك فى النفس خطوطا قوية ، ودبيباً عارما ، وهمساً فياضا . يدفع المرء إلى التأمل .. والــكتاب الذى يدفعك إلى التفكير بعد قراءته هو كتاب قد أدى رسالته

لذلك أهنئ الصديق أنور الجندى بهذا المجهود الطيب ... جزاه الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء

عبد العزيز الدسوقى



عبد الحميد الزهراوي

جاء فى عدد المصور ١٤٥١ (١٠ ذى القعدة ١٣٧١ — أول أغسطس سنة ١٩٥٢) تحت عنوان شيخ الصحافة أحمد لطفى السيد يتكلم .. أن الشيخ الزهراوى عاد إلى وطنه سوريا ليكافح الفرنسيين هناك ويرد إلى بلاده حريتها واستقلالها ... فلم يرع الفرنسيون إلى هؤلاء الوطنيين الأحرار فنصبوا لهم المشانق وأزهقوا أرواحهم ، وكان الشيخ الزهراوى فى مقدمة المشنوقين

والحقيقة أن الشيخ رحمه الله كان ضمن الذين حكمت عليهم المحكمة العسكرية التى أقامها جمال باشا فى عالية بلبنان إبان الحرب العالمية الأولى

ولقد أنشأ الأحرار العرب جمعيات :

الإخاء العربى ، جمعية العهد ،المنتدى الأدبى، الجمعية السورية العربية ، الجمعية القحطانية ، حزب اللامركزية . وغيرها

وكان الزهراوى مؤسسا للمنتدى الأدبى بإستنبول ومروجا لبرنامجه السرى ، وتوالى رئاسة حزب اللامركزية واشترك فى مؤتمر باريس يوم عين فى مجلس الأعيان ولم يقبل هذه العضوية إلا بموافقة حزبه ، فهو فى مقدمة الأحرار العرب الذين ذهبوا ضحية إهمال القنصليه الفرنسية فى بيروت وهى التى وضعت السلطات التركية اليد على محفوظاتها السورية ، واتضح لها منها وجود حركة منظمة لفصل البلاد العربية من الدولة العثمانية وتمكن فرنسا من الاستيلاء عليها

وقد جاء فى هذه المحفوظات مايثبت سعى البعض فى قلب سوريا إلى إمارة ممتازة تحت حماية فرنسا تدار من قبيل أمير مسلم ينتخبه الأهلون بكامل الحرية . . برقية مسيو دوفرانس فى ٢٢ مارس سنة ١٩١٣ إلى وزارة الخارجية الفرنسية

كما تبين منها مساعى السير ألدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر من أجل قيام حركة لصالح بريطنيا وإرساله للأنصار والأتباع إلى سوريا تنفيذا للسياسة الموضحة بين الدول الاستعمارية على اقتسام أملاك الدولة العثمانية بتحطيم الخلافة الإسلامية وأن التقسيم سيجعل سوريا من نصيب فرنسا من حدود حيفا إلى إسكندرونة ولإنجلترا من حيفا إلى حدود مصر مع جزيرة العرب والعراق

كما تبين بشكل واضح وجود فريق يسعى جهده فى لبنان لتحقيق :

١) استيلاء فرنسا على سوريا

٢) ضم متصرفية بيروت إلى لبنان بعد فصلها من ولاية بيروت

٣) وضع لبنان بأكمله تحت سيطرة ونفوذ فرنسا

ولاشك فى أن الأحرار العرب ومن بينهم الشيخ الزهراوى لم يكونوا على علم تام باتجاهات السياسة الاستعمارية وأهدافها وهى التى استغلت غفلتهم

ولذلك ذهبوا ضحية هذه السياسة الملتوية الجبارة التى سلمت أحرار العرب ومروجى هذه السياسة لحبال المشانق فكأنها فى سبيل التخلص من رجال المبادئ باعت الأنصار والأتباع — والخونة — معهم ، وتلك عبرة للأمم الناهضة ورجالها المخلصين الأبرار لكى يحترسوا من هذه الدول

ولقد تيقظ أحرار العرب لمصيرهم من أول اجتماع لمؤتمر باريس سنة ١٩١٣ وكان لموقف هؤلاء رنة وصدى فى الدوائر الاستعمارية إذ أعلنوا أنهم فى كفاحهم ينشدون حرية البلاد العربية لابيعها وتسليمها بعد الخلاص للدول الغاصبة

والسيد الزهراوى أحد الذين غمرتهم الحركة فكان فى مقدمة الأحرار الذين ذهبوا ضحية الاستعمار الأوربى والخونة . رحمه الله وغفر له

أحمد رمزى

القائم بأعمال مصر سابقا فى سوريا ولبنان

ألف .. ستنبع ألوف !

يحمل هذا العدد من « الرسالة » الزاهرة رقم الألف ، فى لغة الأرقام ... أما فى لغة البيان فإن جهود « الرسالة » يخطئها الحصر ، ولا يحدها إحصاء .. أو ترقيم ...

وإنا لنبعث — فى هذه المناسبة — بالتحية الحارة الخالصة

لأستاذنا « الزيات » وأعوانه من حملة الأقلام الحرة التي سمت بالرسالة إلى تلك المنزلة الرفيعة في دنيا الصحافة، ودنيا الأدب ... آملين أن تتبع الألف ألوف ... وألوف ... حتى تتبوأ مكان الصدارة في الصفوف!

لقد حملت « الرسالة » منذ عددها الأول مشاعل الأدب الرفيع، فحببت إلى القلوب هذا اللون من الأدب، في وقت تنافس فيه المتنافسون في تقديم ألوان رخيصة من الأدب للشباب، محاولين قتل الروح المعنوية في نفوسهم، بما يقدمونه له من أدب داعر، وصور ماجنة، وقصص يسرى في فصولها السم!

حملت « الرسالة » مشعل الأدب، تقود على ضوئه كتائب الشباب نحو أهداف العزة والمجد، وتخرج في معهدها الكثيرون من حملة الأقلام الحرة، التي تؤمن بما كتب، ولا تكتب إلا ما تؤمن ... فأصبحت المنبر الذي تتلاقى فيه أقوى الأقلام .. أقلام الإصلاح، والتقديم، والتوجيه السديد!

حملت لمحبي القصة أرفع القصص .. وحملت لمحبي المقال خير ما يقرأ ... وحملت لمحبي العلوم كل ما يعوزهم ... كل ذلك في أسلوب رفيع ... ونهج بديع ... ما حادت عنه يوما .. وما رضيت عنه بديلا!

وبعد .. هذه تحية سريعة .. أسجلها على صفحات « الرسالة » إقراراً للحق ... واعترافا بالفضل .. لا أبغي من ورائها المديح ولا الإطراء .. لأن « الرسالة » .. وصاحب « الرسالة » .. وأقلام « الرسالة » .. كل أولئك ليس في حاجة إلى المديح .. ولا إلى الإطراء!

عيسى متولي

معاهد للأمهات

حبذا لو أنشئت في مصر والشرق معاهد للأمومة، تتلقى الأمهات بين جدرانها دروسا شتى في تربية أطفالهن، وينشئنهم النشأة الصالحة التي يقوم عليها تكوينهم الشخصي السليم

يدفعني إلى هذا التفكير ما يلاحظ على كثير من الأمهات من أخطاء ملموسة في تنشئتهن أطفالهن وطبعهم بطابع يسوده التعقيد والاضطراب والجبن والفزع، والحيلولة بينهم وبين الحياة الصحيحة التي يجب أن يشبوا عليها، ويندر أن تجد الأم الحازمة التي تنشئ أطفالها على الشجاعة الأدبية والخلقية والاعتزاز بالشخصية، والثقة بالنفس والاعتماد عليها، والتي تفتح أمامهم منذ الصغر آفاقا فسيحة من الطموح والمثابرة والتنافس والإقدام

لا تزال بعض الأمهات يقفن عقبة صامدة في سبيل النضوج الفكري والشخصي لأطفالهن ويعقن التفتق الذهني لهم، محاولات أن يجعلن منهم آلات صماء تأتمر بأمرهن، وتتحرك بإرادتهن، وتنشأ على الحياة التي توافق مزاجهن. أبصرت سيدة ذات يوم تؤنب طفلها لأنه اختلس لحظات من وقته ليتصفح مجلة للأطفال بحجة أنها تشغله عن استذكار دروسه، وبهذه الحجة نفسها تحرم بعض الأمهات على أطفالهن أن يدنوا من المذياع أو يتصفحوا أي نوع من الصحف والمجلات، وأبصرت بنفسي أما تنهر طفلها في طريق عام فارضة عليه التزام الصمت وعدم الثرثرة، وكان هذا عقابا له لأنه سألها شرح بعض المعلومات العامة البسيطة التي لم يتسع ذهنه الصغير لهضم سرها، وأكثر من هذا ما تعمد إليه بعض الأمهات من تكلف القسوة الدائمة على أطفالهن باسم الأدب والتربية، ومن بث الروع في نفوسهم، وتهديدهم بالمروعات والمفزعات ليشبوا على أكبر قسط من الجبن والهلع

لقد سمعت بنفسي إحدى الأمهات الجاهلات في طريق عام تستعين بالشرطي ليحمل طفلها على الحد من بكائه، والخضوع لأمرها بمتابعتها في سيرها، وما أكثر ما تخترع الأم الجاهلة من الأسماء الفظيعة للأشباح المجهولة تروع بها أطفالها حتى يناموا إذا لم يحل لهم النوم، وحتى يسكنوا إذا طابت لهم الحركة، وحتى يصمتوا إذا عن لهم أن ينطقوا ويتكلموا

إن الطفل كالمعدن السائل تسهل صياغته وتكوينه، والأم الجاهلة تستطيع أن تخلق منه سفيها عييا، وجبانا مضطربا، ومخلوقا لا شخصية له، كما تستطيع الأم المتعلمة أن تخلق منه إنسانا ذا شخصية فذة يفيد نفسه ووطنه وأمته

إن معاهد الأمومة من الأهمية بمكان، وسيكون لها أثرها الفعال في خلق جيل من الشباب النافع الذي ينهض ببلاده ويصل بها إلى ذروة المجد، فمتى يفكر المسؤولون في إنشائها؟، نأمل أن يكون قريبا، والله الموفق

(رمل الإسكندرية) **نفيسة الشيخ**



ذيول الحادث

عن الانجليزية

بينما كان رئيس الشرطة غارقا فى أفكاره ، مستسلما لتأملاته يتبع بنظره تموجات الدخان الصاعدة من لفافة تبغ كان يدخنها ، دخل عليه زائر بادى الاضطراب ، شاحب اللون ، غائر العينين يخيل لمن يراه أنه يشكو أرقا طويلا ، وكان يمشى متثاقلا كأنه ينوء بحمل سر خطير . . فتهالك على مقعد أمام الرئيس ، وابتدأ الحديث من غير تحية ولا سلام :

— إذاً لم يخطئ ظنى ، فإن رجالك يتحرون دار المستر (جين أرنوت) ليقفوا على آثار الجانى، بعد أن عثروا على قتيلين : أحدهما رجل ملقى على الأرض ، والثانى زوج صاحب الدار ملقاة فوق مقعد ...

فقاطعه الرئيس قائلا :

— أصبت .. ويبدو لى أنك تعلم عن الحادث الشئ الكثير

— نعم . نعم أرجو أن تدعنى أنتهج الخطة التى أريد فى سوق الخبر إليك ، لأنى صحبت أرنوت سنوات كان لى فيها خير رفيق .. فقد حدثت هذه الجريمة المزدوجة ليلة البارحة ، وكانت نتيجة حتمية لعذاب نفسانى برح بأرنوت منذ شهور . .

ولكنه لم يكن قد تذوق منتهى العذاب إلا بعد وقوع الجريمة .. فاجتاحته عاصفة من الآلام النفسية ، ليس فى وسعه أن يتحملها .. فهل تعلم — أيها الرئيس — عنها شيئا ؟

فهز الرئيس رأسه نفيا وهو يحدق فى الزائر العجيب الذى استمر يقول :

— إن أرنوت رجل ذو ثراء واسع ومصالح عديدة متنوعة تتطلب — غالبا — غيابه عن المدينة عدة أيام لتدبير شؤونها وللوقوف على سير أمورها. أماداره فإنه لم يدخر وسعا فى تأثيثها على أحسن ما يكون ، لتكون صالحة من كل الوجوه لسكن زوجه... تلك الفتاة الجميلة الساحرة التى خلبت لبه عند أول نظرة . . فقال الرئيس مقاطعا :

— ولم تقص على كل هذه الأمور ؟ أما الزائر فاسترسل فى حديثه فى شئ من الدهشة . .

— تمهل قليلا أيها الرئيس فستعلم كل شئ . . فقد كانت زوج أرنوت امرأة فتانة الجمال ، وهى المرأة الوحيدة التى أسرت أرنوت بسهام لحظها ، فجن بها من أول نظرة وصار لا يعرف للعيش طعما إلا بقربها .. وبعد لأى وفق فى الاقتران بها .. فهو لا يضن عليها بحاجة مهما غلت ، ولا يقصر فى أمرها مهما عز إن كان فيهما ما يبعث السرور إلى تلك الحبيبة الساحرة . . . ولكن نيران الغيرة التهبت فى صدره فجأة ، فقد كان يغار عليها من كل عين ترنو إليها غير عينيه ، ومن كل رجل يبادلها الحديث سواه .. ولم يكن ذلك لأنه لا يأمن جانبها ، أو لأنه يشك فى عفتها وطهارتها ، بل لأنه كان يحبها حبا يقرب من العبادة ويعتقد أن أقرانه من أصحاب الجاه يحسدونه لأنه يملك هذه الدرة الغالية المتلألئة فى داره

إن أرنوت أيها الرئيس رجل من طراز خاص ، فإنه بالرغم من هذه العاطفة الجامحة التى تعتلج فى صدره لم يبد على وجهه أثر لهذا الشعور المضنى..بل كثيرا ما كان يبدو هادئاً رابط الجأش محتفظا بسكونه وفى باطنه عراك عنيف بين عقله وغيرته . . وهو فى هذه الحال يتصور أن أحلى أمنياته أن يلبى أى طلب تسأله إياه ...

فأوقفه الرئيس عن الحديث بإيماءة من يده وقال : أراك ملما بحياته الخاصة إلى حد بعيد

فأجاب الزائر : كنت صديقا مخلصا له ومطلعا على جل أموره فأحنى الرئيس رأسه موافقا واستمر الزائر يقول :

— كان لأرنوت صديق يدعى « بول ليس » ألزم له من ظله ، جمعتهما مدرسة واحدة فى زمن الطفولة وبقيا صديقين وفيين حتى ساعة الجريمة .. وكان « ليس » أعزب وقد تم تعارفه بزوج صديقه بعد اقترانه مباشرة ، ولم يكن أحد ليدرى ما يخبئ القدر وراء تعارفهما ... أخذ « ليس » يرعى زوجة صديقه ويصحبها إلى

أما كن اللهو والتسلية فى غياب ذلك الصديق أرنوت الذى كثيرا ما كانت تستدعى أعماله هذا الغياب .. ولما نمى إليه هذا الأمر، تصنع الرضا أمامها ، ولكنه فى الحقيقة بدأ يرتاب فى صديقه « ليس » تحت وطأة تلك الغيرة الملتهبة فى صدره ، وكان وجهه الهادئ الرزين ، وابتسامته الرقيقة ، يخفيان تحتها هذا الشك القاتل . . . تذكر أيها الرئيس أن أرنوت رجل كسائر الرجال يعرف الكثيرين ممن غدروا بأصدقائهم وخانوا شرفهم ... وقد يعترض أحد الناس قائلا : إن أرنوت كان مخطئا فى ارتيابه ما دام واثقا من صديقه ، ومؤمنا بطهارة زوجه وعفتها ... ولكن أيها الرئيس نحن — أنا وأنت — نعلم أن الغيرة عامل نفسانى يثور لأقل وهم وأدنى شك وبقى أرنوت يحترق بين اللهيبين يحس بنار الجحيم تضطرم بين ضلوعه

لم يظهر أرنوت أى أثر لهذا الشك بل تمالك شعوره التام حيالهما ، وأخذ يعاملهما كما عاملهما من قبل ، ولكنه كان ينتظر وينتظر . . . ويفتح أذنيه لكل كلمة تدور بينهما عسى أن يجد بها ما يؤيد شكه وارتيابه ، بل كان يتتبع كل نظرة منها تدنيه إلى رأى قاطع ، وأخذ يراقب كل إيماءة أو حركة ويؤول كل لفظة بما يلائم شكه . فقاطعه الرئيس قائلا .

— ولم لم تحاول تخفيف هذه الحال عن صديقك ؟

فأجاب الزائر :

— إن أرنوت لم يكن يزحزحه أى رأى أو نصيحة عن شكه ، إنه آمن بهذا الشك إيمانا مطلقا . . .

وفى يوم آب أرنوت إلى داره بعد سفرة شاقة فحادثته زوجه عن « ليس » ورعايته لها ، حتى تولاه غضب عظيم فصرخ :

— أراك تبذلين له من العناية أكثر مما يستحق ... بل أكثر منى ... و

ولكن أجابته بابتسامة هادئة ثم قالت :

— إنك تهيننى يا أرنوت ...

فقد كانت أيها الرئيس معتزة بكرامتها ... ومن ذلك الحين أخذ أرنوت يتحين الفرص ليفاجئهما فى خيانته كما يعتقد . ولما طال به الزمن أخذ يعد العدة لفخ يوقعهما به متلبسين بالخيانة ... فأعلن أرنوت لزوجه أن أمراً استدعى سفره إلى خارج المدينة . .

وصحبها عند المساء إلى غرفة النوم وأشعل لفافة من التبغ وجلسا يتحادثان فقال أرنوت :

— هل يزورك « ليس » هذا المساء ؟ وانتظر جوابها وهو يحدق فى دخان اللفافة المتموج تجنبا لأى أثر قد يبدو فى عينيه فأجابته :

— لا أعلم ... فإنه يزورنا من غير موعد

ونهض بعدها أرنوت وودع زوجه وهى فى حلة المساء أشبه بالزهرة الندية الفواحة وذهب إلى غرفته يجمع بعض أوراقه وغادر الدار ... إلى سفرته المزعومة ... وما ابتعد قليلا حتى اختبأ فى منعطف إحدى الطرق يترقب ... فبان له شبح من بعيد دنا من باب الدار وولج إلى الداخل ... ذلك الشبح أيها الرئيس هو « ليس » بعينه ، أما أرنوت فأخذ يهدئ من روعه ويتغلب على شعوره حتى عاوده الهدوء ... ومكث فى مخبئه مدة يتأهب فيها للمفاجأة المنتظرة ... ثم قفز إلى الشارع ومضى إلى داره . وكان صديقه وزوجه جالسين فى المقصف يتسامران بحشمة ووقار حين اندفع إليهما أرنوت ووقف يحدق فيهما . فصرخت الزوجة : أرنوت ! بعد أن غلبتها الدهشة لهذه العودة المفاجئة ... أما « ليس » فقال :

— أهلا بك يا أرنوت ماذا عاد بك من السفر ؟ فكتم أرنوت غضبه وأجاب :

— لم أدرك القطار ... وهنا صاح الرئيس بالزائر ...

— صه ! لابد أنك قابلت أرنوت بعد الجريمة

— نعم

— وهل تعلم مقره الآن ؟

— نعم . هذا ما كان يحز فى نفسى ليلة البارحة حتى أرقنى ، فقد كنت أعمل الرأى من أجله ... وللسبب نفسه تجدنى أحادثك بشأنه

— وأين يقيم الآن ؟

— إنه لا يستطيع الفرار فانتظر ... اعتذر أرنوت لها وغادر الغرفة ، وهما فى ذهول عظيم إلى غرفة النوم عله يجد دليلا يؤيد ظنونه . وأخيرا وجد ما يبتغى ... وجد رمادا متخلفا عن لفافة تبغ على المنضدة ... وجد الأثر الذى ينم على وجود « ليس » فى هذه الغرفة مع زوجه ... واندفع إليهما را كضا شاهرا مسدسه ...

هرول إليها ليطفئ تلك النيران المتأججة في صدره ... دخل إليهما بهذه الحال ففاجأه « ليس » واقفا يقول :

إني ذاهب الآن . لأني على موعد لا أستطيع التخلف عنه ولـكن أرنوت صاح به :

— انتظر ! لي كلمة معك ... ثم رفـع ذراعيه إلى أعلى وتوقدت عيناه شرراً كأن به جنة وانهال عليهما شتماً وسبا ، فانقلب وحشاً ظامئاً لشرب الدماء بعد أن غمرته موجة من الظلام الدامس ليس فيها إلا نيران الحقد والغيرة وهما ينظران إليه مشدوهـين حتى صاح « ليس » :

أرنوت ! أرنوت ! كفى ، هل جننت ؟ رباه ! إني لا أسمح لك أن ترمي زوجك بالخيانة وهي منها براء ...

ولـكن أرنوت انتفض فجأة ، وصوب مسدسه نحوه ... ودوى طلق ناري ترنح « ليس » على أثره وسقط جثة هامدة ... ثم دوى صوت أرنوت كالرعد القاصف قائلا :

— أنظري إلى عشيقك . هاهو ذا جثة لا حراك بها ، أنظريه فأجابته بصوت ضعيف مرتجف :

إنه يعتقد ذلك ! ثم شحب لونها واهتزت كأنهـا ريشة في مهب الرياح وصرخت بفزع :

— أتم يا أرنوت عملك ! أكمل يا أرنوت صنيعك !

فارتجف أرنوت يحزه ألم الثأر لشرفه المثلوم ، ووجه المسدس إلى زوجته وأطلق النار ... ترنحت المسكـينة قليـلا ثم سعلت وانفجر الدم بغزارة من فمهـا وسقطت على الأرض هاتفـة : أرنوت ! أرنوت ! ولفظت أنفاسها

نظر إليها أرنوت بعد أن عاوده هدوءه وأشبع رغبة نفسه في الانتقام وأطفأ نيران الغيرة ، فعاد ذلك الرجل الهادئ الرزين .. فتحركت بقية من حبه في سويداء قلبه فاندفع إلى الزوجة وهي ملقـاة على الأرض وانتشلها بين يديه ووضعها على مقعد بقربه وشبك ذراعيها فوق صدرها ... ولـكنه لم يجرؤ على إلقاء النظرة الأخيرة عليها فأطفأ النور . ثم ... ثم غادر الغرفة ينوي الرحيل من المدينة حالا . ولما مر بغرفة النوم لاحظ أنها لا تزال مضيئة فعول على إطفـاء نورها ... اندفع إلى تلك الغرفة وهو محتفظ بشعوره متمالك نفسه ، وسرعان ما وقع بصره على شيء أعمتـه عيرته الجامحة عن رؤيته قبل الجريمة فقذف بنفسه عليه ... إنه عقب لفافة تبغ تحت تلك المنضدة ... فانتشله ونظر إلى علامته ، فاضطرب واهتزت أوصاله وزفر زفرة كادت تقضي عليه ... إنها العلامة الموجودة على لفافات التبغ التي اعتاد تدخينها والتي يحفظ علبتها بدرج خاص مقفل ، مفتاحه لا يفارق جيبه أبداً .. ولـكن ما مضى فات وذهبت نفسان بريئتان من غير ذنب . فقد تجلت الحقيقة له ، فإن ذلك الدليل كان عقب لفافته التي تركها قبل سفرته المزعومة ...

في تلك اللحظة الرهيبـة استمرت بين جوانبه نيران الإثم وحز قلبه الألم الممض ...

وهنا أحس الزائر بأنه يكاد يختنق فعالج الـكلام في صوت كأنه الحشرجة وقال :

— نعم ، أيها الرئيس ، تلك اللفافة كانت لي فقفز الرئيس واقفاً على قدميه وراء مكتبه وصرخ :

— لك !

— نعم — لي ليساعدني الله — أنا جين أرنوت !

س . ع

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠١ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠١٩

20 me année No 1001

Le Caire 8 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

صيحة فى وجه وزارة المعارف

صححوا أكاذيب التاريخ

للأستاذ سيد قطب

إن تلاميذنا وطلابنا لا يعرفون شيئا حقيقيا عن الأحداث الجارية فى وطنهم اليوم ، بسبب أنهم لا يعرفون شيئا حقيقيا عن تاريخ بلادهم ، ولا عن الأسباب والملابسات البعيدة ، التى عنها نشأت الأحداث الجديدة

لقد تآمر جماعة من المرتزقة — من مؤلفى كتب التاريخ المدرسية ، مع العهود الظالمة الباغية التى أظلت مصر منذ عهد محمد على ، على كتابة تاريخ مزور ، يطمس الحقائق ويشوهها ، بل يقلب هذه الحقائق ويزورها . وبذلك بقيت طبيعة الفترة ما بين سنتى ١٨٠٠ — ١٩٥٠ مجهولة لدى جميع الأجيال التى خرجتها المدارس المصرية فى ذلك العهد الطويل . والقليلون الذين اطلعوا على مراجع أجنبية لم تمتد إليها يد التزوير المصرية ، لم يكونوا يملكون إذاعة الحقائق ، لأن سيف الطغيان كان مصلتا على الرقاب !

لقد كان الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى هو أجرأ من كتبوا عن تاريخ هذه الفترة . ولكن هنا لك حقيقتين يجب أن نعرفهما :

الحقيقة الأولى : أن الأستاذ الرافعى لم يكن يملك أن يقول كل شئ عن الحكام من أسرة محمد على ؛ لأن هنالك أشياء كان يعاقب عليها القانون لو قيلت . فى أى تعبير وعلى أى شكل . ولم يكن يسمح بطبعها ونشرها فى أى عهد من العهود

وأذكر على سبيل المثال أن المؤرخ أحمد شفيق (باشا) كانت له مذكرات من أواخر عهد إسماعيل إلى آخر عهد عباس الثانى . وكنت أشتغل معه فى إعداد هذه المذكرات للنشر . وكانت تحتوى على شناعات ليست المخازى الأخيرة لفاروق إلا طرفا منها وامتدادا لها . فى هذه الأسرة لوثة وشذوذ لا شك فيهما لمن يتتبع تاريخ أفرادها . وكنت أحاول أن أنشر شيئا من الحوادث الكثيرة الواردة بتلك المذكرات الخطية . ولكن القوانين التى سنها الملوثون لحماية أنفسهم وعروشهم كانت تحول بينى وبين هذا . لأن الرجل كان قد ائتمننى على مذكراته ، ولم يكن من الأمانة أن أعرضه وهو شيخ كبير للاتهام والمحاكمة !

ومرة واحدة حاولت أن أنشر فى الجزء الخاص بعباس الثانى ، بعض ما حوته المذكرات من وقائع ، مما تسمح القوانين القائمة بنشره . ولكن عندما تم طبع هذا الجزء فى مطبعة بنك مصر ، وقبل توزيعه ، اتصل الأمير محمد على — وكان بعضهم قد أبلغه — بالمشرفين على المطبعة ، كما اتصل بالسراى ، وبالنائب العام ، لوقف صدور هذا الجزء إلا بعد تعديله . وأجبر الرجل المؤرخ على تغيير صفحات كثيرة ، واستغرق ذلك منى جهدا جديدا . وبذلك اختفت نهائيا تلك الحقائق والوقائع التى لا يعرفها إلا القليلون

ولقد رجوت الرجل فى أن يودع لدى الأصول الخطية

لمذكراته ، فقد يجئ اليوم الذى يمكن نشرها فيه ، ووعدنى بهذا ، ثم بدا له خاطر أن يودعها فى صناديق مقفلة تحفظ فى دار الكتب المصرية وكان ذلك بمشورة الدكتور منصور فهمى مدير دار الكتب المصرية إذ ذاك .. ولكن المنية عاجلته قبل أن يفعل . وعلمت مع الأسف أن معظم هذه المخطوطات قد أعدمه أولاده . وأرجو ألا يكون ما بلغنى صحيحا

ولقد كان فى وسعى أن أنقل لنفسى بعض هذه المخطوطات . ولكن وقف فى وجهى أننى كنت أمينا عليها ، وأن الرجل كان واثقا بأمانتى !

والحقيقة الثانية أن الكتب المدرسية التى لا يقرأ معظم المتعلمين غيرها فى تاريخ تلك الفترة ، هى التى طبعت غالبية العقليات . وهى كتب مزورة كما قلت . ومع هذا فهى لا تزال مقررة فى المدارس . وهذه مسألة خطيرة جدا

لقد تركنا أجيالا من التلاميذ والطلاب فى خلال مائة وخمسين عاما مضللة ، لا تعرف شيئا حقيقيا عن أخطر مرحلة فى تاريخ مصر الحديث ، بل فى تاريخ الشرق كله

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن محمد على أوجد مصر الحديثة من العدم . ولم يكن هذا صحيحا ؛ فمصر كانت قبل محمد على أقوى بكثير فى جوانب شتى . ويكفى أن نعرف أن الفرنسيين عندما استولوا على مصر خاضوا مع الشعب معارك كثيرة وفى كل مكان قبل أن تخضع مصر لهم ؛ وظلت الثورات الشعبية تهددهم طوال مدة إقامتهم . وكان ذلك قبل استيلاء هذه الأسرة الملوثة الشاذة على مقاليد الحكم فى البلاد . بينما الإنجليز وجدوا الطريق أمامهم مفتوحة بعد نصف قرن فقط ، ولم يجدوا مقاومة شعبية تذكر ؛ لأن طغيان هذه الأسرة كان قد حطم كبرياء الشعب وروحه المعنوية فى أوائل عهد توفيق !

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن تحطيم محمد على للحركة الوهابية فى الجزيرة العربية كان عملا عظيما . وهو فى حقيقته كان جناية تاريخية على النهضة الإسلامية التى كان يمكن أن تبكر مائة عام عن موعدها ، لو تركت هذه الحركة تمضى فى طريقها ، وتبلغ أهدافها فى ذلك الحين

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن ثورة المهدى فى السودان كانت عملا عدائيا بالنسبة لمصر ، وأن مصر ردت هذا العمل العدائى وحطمت المهدى وثورته . والحقيقة أن ثورة المهدى فى السودان كانت ضد الحكم الإنجليزى فى مصر وضد الحكام الخاضعين للاحتلال . وكان هدفها تطهير الوادى من الاحتلال الأجنبى وسيطرة الفكرة الإسلامية على الوادى كله . وكان القضاء عليها هو الخيانة الوطنية التى ارتكبتها حكومة مصر تحت ضغط الاحتلال ؛ ثم ظلت هذه ثغرة بين شطرى الوادى ، كما أراد لها الاستعمار أن تكون !

تركنا هذه الأجيال تفهم أن إسماعيل كان حاكما عظيما ، وأنه أحد بناة الدولة العظام ؛ وسترنا فضائحه التى لا تقاس إليها فضائح فاروق نفسه ؛ وسترنا الكوارث التى جرها على الوطن والشعب ؛ وتركنا الآلام التى جرعها لشعب مصر فى حياته وبعد مماته ، وسميناه ساكن الجنان ! وسميناه المغفور له ! والله يعلم أين مثواه ومثوى آبائه الأولين !

ولقد آن أن نصحح التاريخ الذى زوره المزورون على هذه الأجيال الكثيرة . آن أن نعرف من هو محمد على على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناءه من بعده . وهو شذوذ واضح كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظورا على الشباب أن يعرفوه !

آن أن نعرف من هو إسماعيل على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناءه من بعده . وهو شذوذ واضح ، كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظوراً على الشباب أن يعرفوه !

نعم آن لنا أن نصحح كتابة التاريخ الذى تدرسه الأجيال المقبلة ، وكفانا تزويرا وتضليلا ، فعلى أساس هذا التزوير والتضليل قامت تلك القداسة المصطنعة لمحمد على وأسرته . هذه الأسرة التى لم تبتل مصر بشر منها ومن حكمها فى خلال مائة وثلاثين عاما

نعم آن أن تتحرر الأجيال المقبلة من خرافة « الأسرة المحمدية العلوية » التى أوجدت مصر من العدم . ولم يبق إلا أن يقال : إنها هى التى حفرت مجرى النيل ، وردمت الدلتا بالطمى ، وخلقت وادى النيل !

سيد قطب

صوت من الماضى

أنا الملك الفتى ..!

للأستاذ محمد محمود زيتون

لبس سليمان بن عبد الملك يوما حلة وعمامة ، ونظر فى المرآة ، فأعجبته نفسه ، ونفخ الشيطان فى منخريه ، فقال :

أنا الملك الفتى

وكان إلى جواره ، إحدى جواريه ، فنطلق لسانها يقول :

أنت نعم المتاع ، لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان فى الناس ، غير أنك فان

ولم ينقض أسبوع حتى مات الخليفة الشاب الذى لم يعرف التاريخ أشد منه حبا للطعام والشراب والنساء ، فى حقبة لم تتجاوز ثلاث سنوات ، احتفلت بالترف والبذخ ، وطفحت بالزيغ والفساد ، والتحزب والتعصب ، والنكال بالأخيار ، ومداراة الأشرار

قيل إن أباه — عبد الملك بن مروان — جاءه نبأ مصير الخلافة إليه . وهو جالس يقرأ فى المصحف ، فأطبقه وقال : « هذا آخر العهد بك » . فما لبث هذا التقى النقى أن استهوته الدنيا بزخرفها ، فتغير حاله ، وأطلق العنان لفرعون بنى أمية — الحجاج بن يوسف الثقفى — الذى ولغ فى الدماء والأشلاء . وحسب التاريخ مؤاخذة لعبد الملك أن كان الحجاج سيئة من سيئاته

ورث سليمان عن أبيه دولة وصولة ، وجمع مثله بين النقيضين ، فإنه غمط فضل العاملين ، ولم يستثمر جهود القادة الفاتحين الذين وطدوا له دعائم الخلافة ، ومكنوا له فى الملك العريض ، فقلب لهم ظهر المجن ، ولا سيما من كان فيهم قريبا للحجاج أو مقربا منه ، وذلك لما كان بينهما من عداوة قديمة . فقد كان الحجاج يهمل أوامره ويتكبر عليه أيام كان سليمان ولى عهد أخيه الوليد ، ومن هنا امتد بغضه للحجاج حتى عصف بأشهر القادة

واتبع سليمان خطة الإيقاع بين الولاة والأمراء ، فدبت عقارب الفتنة بينهم ، وتسللت أفاعى الفساد إلى الحكومة ، ويئست الأمة من الإصلاح ، وقبع كل صالح فى عقر داره يلتمس النجاة

ولم يدخر وزيره الصالح وابن عمه عمر بن عبد العزيز وسعا فى بذل النصيحة له ، ولكن جذور الشر كانت قد بلغت الأعماق فى كل مرفق من مرافق الدولة . ولم يكن عجبا — آخر الأمر — أن تنهار دولة الأمويين بعد اثنين وثمانين عاما ، حملت خلالها جراثيم الانحلال والتدهور ، فقد سئل حكيم : ما سبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة العدد والعدد ، والأموال والموالى ؟ فأجاب ، وأحسن الجواب : لأنهم أبعدوا أصدقاءهم ثقة بهم ، وقربوا أعداءهم جهلا منهم ، فصار الصديق بالإبعاد عدوا ، ولم يصر العدو بالتقريب صديقا

وفى ذات يوم دخل الملك الفتى . مدينة رسول الله فسأل : هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب رسول الله ؟ فقيل له : أبو حازم ، فأرسل فى طلبه ، فلما دخل عليه سأله : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ فأجابه : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من عمران إلى خراب ... وأغضى الملك الفتى ، ثم أخذ يستزيد أبا حازم : وكيف القدوم على الله ؟. فقال : أما المحسن فكغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكآبق يقدم على مولاه

وبكى أبو أيوب ، ثم قال : يا ليت شعرى ، ما لنا عند الله ؟.. فقال له أبو حازم :

أعرض عملك على كتاب الله . فسأله : فى أى مكان أجده ؟ قال : فى قوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم » . فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين . فقال : فأى عباد الله أكرم ؟ . فأجاب : أولو المروءة

وكان وزيره الأمين شديد الحرص على قول الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم . اصطحبه يوما فى الحج ، فراع الخليفة

عدد الرمل والحصى من رعاياه ، فتلفت إلى وزيره وقال : ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم خصماؤك غدا عند الله . فبكى سليمان أشد البكاء . وقال : بالله أستعين

وفى الواقع أن لحظات الندم التى كانت تطرق ضمير الملك الفتى ، لم تكن غير فواصل عنكبوتية بين طغيان موصول ، واستبداد متأصل ، فقد أشرف يوما على الدنيا ، فأعجبه ما صار إليه من الملك الذى نسجته دماء الشهداء ، ودموع الفقراء ، فنسى هذا كله أو تناساه ، وتلفت إلى الوزير المؤمن وقال له : ياعمر ، كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا سرور لولا أنه غرور ، ونعيم لولا أنه عديم ، وملك لولا أنه هلك ، وفرح لو لم يعقبه ترح ، ولذات لو لم تقترن بآفات ، وكرامة لو صحبتها سلامة

وبكى سليمان ما شاء له أن يبكى ، ولم يكد يضيق مما فيه حتى دخل عليه أعرابى يقول : يا أمير المؤمنين ، إنى أكلمك بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحب . فقال : هاته يا أعرابى . فقال الأعرابى :

إنى أطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأدية لحق الله ، إنه قد اكتنفك رجال قد أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه ، فإنهم لن يبالوا بالأمانة ، وأنت مسئول عما اجترموا ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره

عندئذ صعر الملك الفتى خده للأعرابى الذى قدم ينصحه بتطهير حاشية السوء ، وبطانة الفساد ، واستكثر أن يكون ذلك التوجيه منبعثا من أعرابى ، فقال : أنت ، ما أنت بأعرابى ، فقد سللت لسانك علينا كما تسل سيفك . فأجابه فى جرأة : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك

ويشاء مالك الملك أن تنقشع هذه النعمة الغليظة التى جثمت على صدر الخلافة ، فأحس الملك الفتى بقرب منيته ، وآن له أن يستخلف بعد أن عهد إلى ابنه أيوب بالخلافة لولا أنه مات فى حياة أبيه ، ولم يبق لسليمان إلا صبية صغار ، أمر بأن يعرضوا عليه فى أردية الخلافة ، فإذابهم لصغر أسنانهم لا يحملون ما لبسوا ، وأخذوا يسحبونها سحبا ، ويتعثرون فيها ، فنظر إليهم وهو يقول فى حسرة :

إن بنى صبية صغار ... قد أفلح من كان له كبار

فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، يقول الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . فلم يلتفت إليه الملك المريض ، وأمر بأن يعرض عليه أولاده مرة أخرى عليهم السيوف ذات الحمائل ، فعرضوا . فإذا بهم يتكفأون بها ، ويجرونها ، ولا يطيقون حملها ، والسير بها ، فنظر إليهم ، والدمع يغالبه ، وهو يقول :

إن بنى صبية صيفيون ... أفلح من كان له ربعيون

وأعاد عليه عمر ما قال آنفا ، فأغمض جفنيه قليلا ، وكأنه اقتنع بأن الخلافة زائلة عنه وعن أعقابه ، فأشير عليه بأن يعقد لابن عمه ووزيره عمر بن عبد العزيز ، فأدار الأمر فى رأسه حتى لم يعد مناص من القبول

واشتد به الوجع فكتب له العهد بخطه ، ولم يطلع عليه أحدا غير رجاء بن حيوة الذى بالغ فى التكتم حتى أنه لم يذكر من ذلك لأحد شيئا إلا بعد موت الملك الفتى ، ففى آخر صحوة له قال : لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب

وحضره إذ ذاك عمر ، ففهم بفطنته أن الخلافة قد أتته تجرر أثقالها ، فأوجس خيفة ، وأفضى بذلك إلى رجاء ، فتظاهر رجاء بالإنكار قائلا على سبيل التمويه : أتظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم ؟!

فاطمأن عمر أو هكذا حاول أن يطمئن ، فما أعلن النبأ ، وبويع بالخلافة ، طلب إلى أحد خلصائه أن يعظه فقال : يا أمير المؤمنين ، أبونا آدم ، أخرج من الجنة بخطيئة واحدة

محمد محمود زيتون

سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن المذلة والعار — أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا فى حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس ثقيل جثم على صـــدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما ! ! سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس فى أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينتظر ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد وفساد يستشرى . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى وتعذيب . . رشوة ومحسوبية ، سرقة ونهب ، ظلم وغدر : تلك هى قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولكن ما شاهدته مصر لم تقرأ عينى له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين لإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم المرتقب وأشرق العهد الجديد السعيد بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذياع . إنه يتلو نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ الصبر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام الحكم الصالح فى ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا يدعون الله أن يكلأهم بعنايته وأن يوفقهم فى حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخذوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان الملك السابق يعتمد على الجيش فى إذلال الشعب وكان الشعب على أتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياد الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء إذا قام حينا على أمل الإصلاح فلن يقوم دواما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونكل بالأحرار من رجاله وقتل بعضهم جهارا فى شوارع العاصمة

وكان مالابد أن يكون ، قام الجيش فى ٢٣ يوليو يضع حدا للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذياع وإذا به يذيع « انتظروا بيانا هاما فى الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ، وأشهد أن هـذا التكرار قد أشاع القلق فى نفسى ورحت أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو ...

استمعت إلى البيان وكاد قلبى يقفز من بين ضلوعى ولم تصدق أذناى ما سمعت فانطلقت إلى الشارع أشارك الشعب سروره وابتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطاغية حلما ولكنه أصبح الآن حقيقة واقعة ، وهكذا أدركت مصر عناية الرحمن وعاد لشعبها سلطانه وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ فى كتب التاريخ قصصا خالدة كتبتها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما : لم لا يقف جيشنا يدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبى وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإنى هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . فى ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يمنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثانى ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروتستانتية ولكن فى ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطق الشعب صبرا وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتولى العرش فقدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى واستقر الحكم الدستورى الملكى فى إنجلترا

وفى فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجعيا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية وتعسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذرعا به فقام بالثورة ضده فى ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم

وأسقط فى يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية فى عهده ولكن هذا الملك فشل فى تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا فزيف الانتخابات واشترى ذمم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسها فى أوربا وأن تكون لها الكلمة العليا فى شؤون القارة كما كان الحال فى عهد نابليون

ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا

من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطى إنجلترا حق تفتيش سفنها بحثا عن العبيد المهربين ، وكان ذلك فى عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر ، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان فى هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد على أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد على أن فرنسا ستقف بجواره فى حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا. ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد على وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة المتخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها فى الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده فى فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجند رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن ينزل عن عرشه وأن يغادر فرنسا إلى غير رجعة أيضاً

تلك هى مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التى قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصرى الأخيرة كانت أروع الحركات التى سجلها التاريخ المعاصر

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

— ١ —

يعتبر السيد محمد كريم أول زعيم من زعماء الحركة القومية .. ظهر فى مصر قبل أن يظهر فيها سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابى .. فكانت حركته بذلك أول صفحة من صفحات الجهاد القومى فى تاريخ مصر الحديث

ولقد كان السيد محمد كريم شخصية فذة ، وزعيما حقا من زعماء الوطنية المصرية .. فاستطاع بمفرده أن يبث الشعور القومى فى نفوس أهالى الإسكندرية .. وجعلهم يواجهون جيوش الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ م

تلك الجيوش التى كانت لا تزال فى عنفوان قوتها ومجدها .. والتى كان يقودها نابليون بونابرت . . أعظم شخصية حربية ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر !

وبعد أن احتل الفرنسيون أرض مصر ، لم يتوقف السيد محمد كريم عن الكفاح لحظة واحدة ، ولم يخضع لمشيئة نابليون ، ولم يطأطئ رأسه كما فعل كثيرون غيره . . بل أخذ يثير روح الكراهية فى نفوس الأهالى ضد الحاكم الجديد .. الذى لم يرغب من نزوله بمصر إلا أن يستبدل حكما بحكم .. واحتلالا باحتلال ... وظل السيد يوالى نشاطه واتصالاته بالبلاد التى تمر بها الجيوش الفرنسية .. فى طريقها إلى مصر .. لتمنع الماء عن رجال الحملة ... ولتقابلهم بكل ما استطاعت من أنواع المقاومة

ولما ضاقت القيادة الفرنسية بجهود السيد محمد كريم . . اتهمته بخيانته للجمهورية الفرنسية ، وإثارته العصيان فى نفوس الأهالى .. وحكمت عليه بالإعدام رميا بالرصاص ... وبذلك أصبح بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية .. فى عهد الحملة الفرنسية

***

نشأ السيد محمد كريم فى مدينة الإسكندرية نشأة عادية .. كغيره من شبان الثغر . . ولم تكن للاسكندرية قيمة كبيرة فى ذلك الحين . . بعد أن تحول عنها طريق التجارة القديم ، ففقدت بذلك مركزها التجارى العظيم

وكان جمرك الإسكندرية فى يد مراد بك . . يولى عليه من يشاء .. ويعزل من يشاء .. نظير إيراد معلوم

فلما كبر السيد محمد كريم ، ونما عوده ، اشتغل قبانيا .. وكان مشهورا بالصدق والأمانة ، والنشاط وخفة الحركة .. ولذلك سرعان ما عرف اسمه .. وذاع صيته .. حتى سمع به مراد بك ..

مصدر السلطات :

تذهب الدساتير الحديثه جميعا إلى أن الشعب مصدر السلطات وهذه نظرية مقررة ، ولكن أهم من تقريرها أن تكون نافذة وأن يحرص الشعب فعلا على حقوقه فلا يتركها للمضللين والمفسدين

وهذه النظرية ليست حديثة كما يعتقد بل إنها قديمة ، وهى كذلك ليست نظرية مقررة فى الغرب فقط وإنما هى نظرية مقررة فى الشرق منذ جاء الإسلام .

واستمع إلى قول أبى بكر حين تولى الخلافة « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهكذا قامت الحكومة الإسلامية الأولى على أساس اختيار الشعب وحددت سلطة ولى الأمر ، فإذا عصا الله وجب عزله ، وكان خوف الخلفاء من الله أكبر عاصم لهم من الزلل

وفق الله قادة العصر الجديد إلى ما فيه خير الشعب وسعادته ، ورعى الله كنانته وحفظ لشعبها سيادته وبارك لها فى جيشها الباسل

أبو الفتوح عطيفه

حاكم مصر .. وزعيم طائفة من أكبر طوائف المماليك ... فعينه مديراً للجمارك .. ثم حاكما عاما لمدينة الإسكندرية .. وقد استطاع السيد محمد كريم — بعد أن تسلم مهام منصبه الجديد — أن يحكم البلاد بحكمة وحزم ... وأن يعامل الأهالى معاملة طيبة .. ولذلك احترمه الناس وأحبوه

***

وفى شهر يونيه سنة ١٧٩٨ م . . وصلت الأخبار إلى أهالى الإسكندرية . . بأن حملة أوربية تعتزم احتلال مصر

وكان المصريون فى ذلك الوقت . . لا يزالون يحملون فى أنفسهم تلك العقيدة المتوارثة عن عظمة السلطان .. وقوة المسلمين

ولذلك عقدوا العزم على محاربة الجيش الأجنبى ، والوقوف فى وجهه .. مهما بلغت قوته

ومن سوء الحظ أن وصل الأسطول الإنجليزى الذى كان يتعقب الفرنسيين — إلى مياه الإسكندرية قبل وصول الحملة بأيام . . وحاول نلسن قائد الأسطول البقاء فى مياه الإسكندرية فى انتظار الحملة الفرنسية .. وعرض على السيد محمد كريم أن يسمح بإمدادهم بالماء والمؤونة اللازمة لقامهم .. لكن الحاكم رفض طلبه . قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : (١)

« ولعل السبب فى الرفض أنه أساء الظن فى مقاصد الأميرال نلسن لأن الإشاعات التى كان الناس يخوضون فيها ذلك الحين ، تنبئ أن « الإفرنج » يعتزمون احتلال مصر . . وكلمة « إفرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء . . نخشى أن يكون طلب الأميرال نلسن خدعة لها صلة بالحملة المقبلة »

ولم يكتف السيد محمد كريم بالرفض ، وإنما أعطاهم مهلة قصيرة لكى يبرحوا المياه المصرية ، وإلا أطلق عليهم النيران

وعبثا حاول الإنجليز أن يفهموه خطر الحمله القادمة . . فقد وجدوا منه إصراراً وعناداً شديدين

ولم ير « نلسن » أن يضيع وقته فى مناقشات لا فائدة منها . ولذلك قرر الانسحاب عن الشواطئ المصرية

يقول الجبرتى :

(٢) « وفى يوم الخميس الثامن شهر المحرم عام ١٢١٣ هـ ، الموافق ١٧٩٨ م .. ظهرت فى ميناء الإسكندرية عشرة مراكب حربية .. وأرست بعيدا بحيث يراها أهل الثغر .. ولحق بها خمسة عشر مركبا أخرى .. وأرسلوا بعض الجنود إلى الشط فى قارب .. فاستقبلهم كبار البلد ، وعلى رأسهم السيد محمد كريم .. وسألوهم عن شأنهم . . فقالوا إنهم من الأسطول الإنجليزى حضروا للتفتيش عن مراكب الفرنسيين . . فقد علموا أنهم خرجوا فى جيش كبير إلى جهة لا يعلمونها .. فلا تقدرون على دفعهم .. فلم يقتنع السيد محمد والذين معه بصحة ما يقولون ، وقابلوهم بجفاء فقال لهم الإنجليز :

— سنقف بأسطولنا فى عرض البحر لنحافظ على ثغركم ولا نطالبكم إلا بالماء والزاد بالثمن الذى ترضونه .. فرفضوا طلبهم وقالوا :

« هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم علينا سبيل .. فاذهبوا لشأنكم ... »

ولم يكد السيد محمد كريم يتخلص من الحملة الإنجليزية حتى أخذ يفكر فى الخطر الجديد الذى بدأ يلوح فى الأفق . . فالحملة الفرنسية التى وصلته أخبارها قد تأكد لديه قدومها ، بعد أن سمع حديث الأميرال نلسن . وعلم بنشاطه ، وأصبح من الواجب عليه أن يعد للأمر عدته ، وإلا سقطت الإسكندرية فى أيدى المحتلين الأجانب .. وكان عليه أن يسرع بالعمل قبل أن يضيع الوقت ، وتفوت الفرصة

فبادر بالاتصال بمراد بك ، وبالعرب المجاورين للثغر .. طالبا منهم المعونة . وأمر بتحصين أسوار المدينة .. كما طلب من الأهالى حمل السلاح .. استعدادا للكفاح القريب

وباتت الاسكندرية كلها تترقب قدوم الحملة الفرنسية .. حتى رأت وجه البحر وقد تغطى بالمراكب .. فعلمت حينئذ أن وقت الجهاد قد حان .. وأن ساعة الكفاح آتية لا ريب فيها

للكلام بقية

عبد الباسط محمد حسن

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية جـ١ ص ١٣٢

(٢) ابراهيم جلال : من يوميات الجبرتى . ص ٧٨

دماء الشهداء

شهيدان في كفن

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« فى تاريخنا الزاهر ، دماء زكية خالدة ، خطت آيته الكبرى ، ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » ع

— ١ —

قال « عمرو بن الجموح » لصديقه الوفى الحميم « عبد الله بن عمرو » : —

— هل أتاك يا عبد الله حديث النبي الذى ظهر فى مكة ... وأقبل عليه الناس من كل فج ، يجتمعون إليه ، ويؤمنون به ، ويعاهدونه على أن ينصروه ويؤازروه ، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ؟

— أجل : لقد وفد على « يثرب » منذ أيام رجل من هؤلاء ما سمعت بمثل حديثه وما رأيت أكثرجرأة منه ... كنت أجلس إلى جواره ، وكان المجلس حافلا . . وقد اجتمع الناس ليعلموا نبأ هذا النبي الذى سفه آراء قومه ، وعاب آلهتهم ، ثم لما عارضوه وآذوه ، وقف فى وجههم صابراً ثابتاً ... لا تهده النكبات ، ولا تثنيه الأزمات ...

قال الرجل : إنى رسول « محمد » إليكم ، محمد رسول الله الذى بعثه الله بالهدى ودين الحق ، وهو يدعوكم إلى عبادة الله وحده ، ونبذ هذه الأصنام التى تنحتونها بأيديكم ، ثم تعكفون عليها ، وتقدمون القرابين لها ، وتهملون عقولكم أمامها ، إن لهذا الكون خالقا مدبرا حكيما ، بيده مقاليد الأرض والسماء ... وهو الذى يقول لكم « وفى أنفسكم أفلا تبصرون ... »

قال « عمرو بن الجموح » وقد ثارت حفيظته عندما سمع حديث ذلك الرجل :

— ماذا قلت له « يا عبد الله » ؟ ! وماذا قال له الناس ؟ ! أحسبكم ضربتم عنقه، وأعدتموه إلى من أوفده ، ليكف عن غزو « يثرب » بمثل هذه الأفكار ، فنحن هنا إلى جوار « اليهود » ، ولو كنا متخذين غير ديننا ، لكان دين « يهود » أقرب إلينا ... قال عبد الله :

— كلا ... يا عمرو : لقد أراد الله الخير بنا ، إذ بعث لنا رسولا من أنفسنا ، من خير قبائلنا ، وأشرف بقاعنا ... يتلو علينا الكتاب بلسان عربى مبين ، لقد آمن به الناس وآمنت ، وأ كرموا رسوله وأ كرمت ، وعاهدناه على الطاعة والوفاء ... ومن فضل الله علينا أن كان أ كثر من فى المجلس من شباب يثرب ، ومن أعرقهم نسبا ، وأ كرمهم أبا ، وأرفعهم عمودا ، وأ كثرهم يداً ، يا عمرو ... لقد آمنت بمحمد ... وآمن به ابنى جابر ، وآمن أبناؤك معاذ ومعوذ وخلاد ، فأسرع إلى النور ، واعتصم بحبل الله ، واستظل براية الإسلام ، قبل أن يسكت اللسان ، وينطق الحسام ...

صعق « عمرو بن الجموح » لهذا الخبر ، فاسودت الدنيا فى عينه ، وذهل عن نفسه ، وأصبح يهذى كالمحموم ، ربى ، وحقك ، لا أتركك ، ولن أدع يدا تمسك ، وسوف أحملك إلى بيتى وأعبدك

— ٢ —

تحت جنح الليل والناس نيام و « يثرب » تحلم أحلامها العذاب بعد أن انسابت إلى كثير من بيوتها أشعة طاهرة من ذلك النور الإلهى الذى توهج فى مكة ، خرج ثلاثة إخوة جمعت بينهم وشائج الدم ، وأواصر العقيدة ، ووجد بين قلوبهم هدى السماء ، وتعاقدوا على الفداء ، ساروا فى أزقة المدينة بخطى وئيدة ، ونور إيمانهم يسعى بين أيديهم ، وكان همسهم الخافت ، وحذرهم الشديد ، يدل على أنهم خرجوا لأمر ذى بال

طرقوا باب جابر بن عبد الله فلباهم ، قال معاذ :

— هل لك إلى خير وثواب جزيل ؟

— أجل ما أحوجنى إلى ثواب الله وخيره العميم فماذاك ؟

— هلم إلينا فإن يد الله على الجماعة

تكاثر الفتية المؤمنون من بنى سلمة قوم « عمرو » وفى طليعتهم معاذ ، واجتمعوا على الكيد للصنم ، وتسللوا فى غفلة من عمرو إلى الدار ، فطرحوه فى بعض الحفر ، وكان عمرو ، والصنم فى الحفرة ، يحدث نفسه ويقول : لقد حفظت إلهى فى بيتى ، وضمنت بهذا السيادة فى بنى سلمة ، والسدانة على أصنامهم ، وسوف أنصح لقومى أن يحمل كل واحد ربه إلى بيته ، يغسله ويطيبه ، ويعظمه كل صباح ومساء ، ويدين له بالطاعة والولاء

وفى الصباح رأى « عمرو » صنمه المقدس ، الذى كان يحلم به طول ليله ، منكبا على وجهه فى الحفرة ، وقد علاه الرغام ، فورم أنفه غضبا ، وثارت حفيظته ، ورفع الصنم من الحفرة وغسله وطيبه ثم قال ، وهو يربت على الصنم — : وحقك لو كنت أعلم من صنع بك هذا لأخزيته، ثم نظر إليه نظرة صارمة، فيها بشائر من نور الهداية ، لأنها أول الشك فى هذه العبادة ، ولأن فيها صرخة خافتة ضعيفة من العقل الذى خنقته الأكاذيب ، وألجمه التقليد ، ثم هب إلى سيفه وعلقه على الصنم وخاطبه قائلا : إن كان فيك خير فامتنع !

وجاء الفتيان فى الليل — يجرون كلبا وربطوه فى عنق الصنم ، وأخذوا السيف وانطلقوا ، وكأنهم أرادوا بربط هذا الكلب فى عنق الصنم ، أن يوقظوا بهذا الدرس الساخر عقلا وثنيا ، استعبده الخشب والحجر ، وكان درسا ناجحا مؤثرا ، فحين أصبح عمرو سار إلى صنمه فألفاه ملقيا إلى جانب الكلب فى الحفرة ، فهان فى فى عينه ، وصغر فى نفسه وقال :

تالله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

ثم قام إلى الصنم وحطمه ، ودعا زوجه «هندا» وأمرها بأن توقده ، وتطبخ عليه ثم قال لها:اذهبى إلى أخيك عبد الله وابن جابر وقولى لهما : بأنى قد أولمت اليوم وليمة فإذا كان الليل فليغد إلى بيتى كل مسلم فى يثرب ، من بنى سلمة

قالت « هند » وقد عمها البشر ، واستخفها الطرب

حمدا لك يا إلهى ! فلقد أسبغت علينا النعم ، وصرفت عنا النقم ، وبدلت شقاءنا سعدا ، وظلامنا نورا ، وايم الله ياعمرو ما رأيت كاليوم أنسا وسرورا ، لقد أحببتك حبا ملك على نفسى مذ كنت تغدو إلى بيت أخى عبد الله ، وكان الحديث عنك يهز أوتار قلبى ، ثم لما صرت إليك ، كنت أزهو على أترابى بك ، لأنك سيد قومك ، وأكرم عشيرتك ، ولكن هذا كله أمام إيمانك اليوم ، قطرة من بحر ، وحصاة بين در ، فما أنت — الآن — بشر ، بل أنت ملك كريم

— ٣ —

وكرت الأيام ، وتتابعت على المسلمين أحداث ، وظفروا بأعدائهم فى بدر ، وأعملوا فى رقابهم السيوف ، وسقوهم كئوس الموت الزؤام ، حتى كان « عمرو بن الجموح » يوما فى مصلاه ، مقبلا على ربه ، يقرأ القرآن ، مطمئن النفس ، هانئ القلب ، فإذا بصديقه « عبد الله » يدخل عليه فرحا مستبشرا ، فتلقاه بالتحية والترحيب ثم قال له :

— ما وراءك يا عبد الله ؟ !

— لك البشرى يا عمرو فلقد ذهبت اليوم مع جمهرة من بنى سلمة إلى بيت رسول الله ، فقال لنا : « من هو سيدكم يابنى سلمة ؟ » فقال نفر منا : « هو الجد بن قيس على بخل فيه » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأى داء ادوأ من البخل ، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح »

فقال رجل من إخواننا المهاجرين : صدقت يارسول الله ، لقد رأيته يوم بدر ، منقضا على الأعداء انقضاض الصقر على فريسته ؛ وكان يقبل على الموت ، إقبال الإبل العطشى على الماء القراح ، وكنت أرى فرسان قريش تفر من وجهه ، وتتقى ضرباته الشداد ، حتى أصابته ضربة بتار فى رجله ، فجعل يمشى على الأخرى ، ويخوض الغمرات ببسالة وإقدام ، ورأيت من صبره ، يا رسول الله ، ما ملأ نفسى إعجابا

رأى ابنه معاذا فى إبان المعركة ، وقد أصابته ضربة على عاتقه طرحت يده ، فتعلقت بجلدة من جسمه حتى آذته ، وأجهده القتال، فقال له بصوت فيه حنان الأب وشجاعة المؤمن :« يامعاذ ضع قدمك على يدك ثم تمطى حتى تطرحها ، ودونك بعد هذا أعداء الله ... »

ولم يكد الرجل يتم حديثه ، حتى رأيت البشر يملأ وجه الرسول ، ويتلو قوله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) فهنيئا لك يا عمرو !!

وسمع عمرو حديث صاحبه عبـــد الله بقلب يفيض فرحا ، ويرقص طربا ثم قال : حسبى من الحياة — ياعبدالله — أن يرضى الله ورسوله عنى ، بعد أن حفتنى عناية السماء ، وأظلنى لواء محمد

— ٤ —

كانت الشمس قد أرسلت تباشيرها ، ونشرت خيوطها

الذهبية على مشارف المدينة ، وهضاب أحد ، حين سمع « عمرو » جلبة وتكبيرا ، وإذا مناد يقول : الصلاة جامعة ! حى على الجهاد ، فدعا زوجه « هندا » وأمرها أن تعد له سلاحه ، وأن تصاحبه إلى المعركة ، لتضميد الجرحى ، وإثارة المشاعر ثم قال لهـا :

— أين أولادك يا هند ؟ !

— لقد أسرعوا إلى المسجد ياعمرو

— وهل لبسوا لأمتهم وتنكبوا سلاحهم ؟ !

لقد جهزتهم بيدى ، ووصيتهم أن يكونوا صفا واحدا وألا يفارقوا رسول الله وقلت لهم :

اعلموا — يا أبنائى — أنه لا بد لهذه الدعوة من وقود ، فكونوا أنتم وقودها ، ولا بد لها من ضحايا ، فكونوا أنتم أول ضحاياها ، واصبروا عند اللقاء ، واشتدوا على الأعداء ، واذكروا أن الجنة مثوى الشهداء الأبرار ، وأستودعكم الله

— حييت « يا هند » من أم ! ! بمثل هذا الإيمان ننتصر ، وبه تعلو راية القرآن وتنتشر ، والآن ركضا معى إلى الجنة ، إلى السعادة ، إلى الله

وفوجئ المسلمون فى المسجد بدخول الشيخ الجليل الأعرج « عمرو بن الجموح » متقلدا سيفه ، متنكبا قوسه وهو يقول : سوف نهد لهم حتى ينقلبوا على أعقابهم صاغرين ، أو يمرتوا بحد سيوفنا خاسرين

وسمع أولاد عمرو صوت أبيهم ، فأقبلوا نحوه ، وحاولوا منعه من الخروج إلى المعركة ، ولكنه راع المسلمين جميعا بإصراره على الجهاد ، قال له أبناؤه : (قد عذرك الله ولاحرج عليك! !) فحزن حزنا شديدا ، وآلى على نفسه أن يذهب ، وأتى رسول الله وكان فى جانب من المسجد، ووقف بين يديه وقال :

— يارسول الله ! إن بنى يريدون أن يحبسونى من الخروج ، فو الله إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة

فقال له رسول الله :

— أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك ! ..

فتطلع بعين كئيبة إلى السماء ، وقد انحدرت الدموع على خديه حتى ابتلت لحيته ثم قال بصوت تخنقه الحسرات : يارسول الله إنى أرى بعينى هاتين ، أن الشهادة منى قاب قوسين أو أدنى ، وأن أمنيتى الكبرى أن ألقى ربى ، تزملنى الدماء ، فلاتردنى خائبا ، روحى لك الفداء

وحين رأى رسول الله إلحاف عمرو فى الطلب ، ورغبته الملحة فى الجهاد ، التفت إلى بنيه وقال لهم : (لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة ...) ولم يكد يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى استقبل القبلة ، وقال على مسمع من الناس جميعا (اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى) وامتلأت عيناه بالدموع ، وساده صمت خاشع ، ثم نظر إلى الرسول وقال له : (يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة ؟) فطمأنه رسول الله وابتسم وبان السرور فى محياه، وإذا بعبد الله بن عمرو ومعه ابنه جابر يقبلان، فقال رجل من المسلمين لعمرو ، هذا صاحبك عبد الله قد أقبل فطب نفسا ، وتعانق الصديقان عناقا امتزج فيه قلبان ، وانسجمت روحان ، وقال عبد الله لابنه جابر : (ياجابر إنى أرجو أن أكون أول من يصاب، فأوصيك ببناتى خيرا)

ثم نظر إلى صديقه الحبيب عمرو وقال له بصوت يسيل رقة وعطفا ، وكأنه يودعه الوداع الأخير :

— يا عمرو أتدرى أين يكون اللقاء بعد الآن ؟ !

— أرجو أن يكون فى دار البقاء فى مقعد صـــدق عند مليك مقتدر

— ٥ —

— وثار النقع ، وصهلت الخيل ، ولمعت السيوف ، وحمى الوطيس فى أحد ، ونشب القتال ، والتحم الفريقان ، وأقبلت على رسول الله قائد المسلمين الأكبر ، كتيبة متراصة من المشركين ، قد احمرت منهم الأحداق ، وثارت فى نفوسهم الأحقاد ، فوقف «عبدالله بن عمرو» فى وجه المشركين، يفرق صفهم ، ويفل عزمهم، ويناضل عن الرسول ، وينافح عن الإسلام ، ويحطم الفرسان ،

ويجندل الشجعان، حتى صدق ظنه وأكرمه الله فكان أول شهيد في المعركة

واستلأم الأعداء ، وأخذوا من المسلمين بالثأر ، وانتقموا شر انتقام ، فمثلوا بعبد الله الشهيد الأول في أحد أشنع تمثيل ، جدعوا أنفه ، وقطعوا أذنه ، ولم يتركوه حتى هشموا عظمه ، وشوهوا جسمه ، ولما سجى بين يدى رسول الله أقبل ابنه جابر ، وكشف الثوب عن وجه أبيه ، ثم أكب عليه يقبله ويبكي

وسمع المسلمون من بعيد صوت امرأة نادبة ، فشقوا لها الصفوف فإذا هي « هند » تبكي أخاها ، وتوأم روحها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها)

وانصرفت هند وصورة أخيها ماثلة أمامها ، وملائكة السماء تظله بأجنحتها ، وبشرى رسول الله تطمئن نفسها، ولكن الدموع الحزينة كانت تملأ مقلتيها، ثم وقفت واجمة فزعة ، وغامت الدنيا في وجهها ، وأظلم الكون أمامها ، وجمدت الدموع في عينيها ، فقد رأت ـ وياللهول ما رأت ، أبصرت زوجها « عمروا » وابنها « خلادا » مضرجين بالدماء ، وقد فاضت منهما الروح إلى السماء ، فهدها المصاب الرهيب ، وأشجاها الدم الصبيب ، وغرقت في لجة الأسى ، وإذا بصوت الرسول الحبيب يخاطب المجاهدين فيقول (والذى نفس محمد بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح) فمسح هذا الصوت ما بنفسها من أشجان ، وكان بلسم جراحها ، وعزاء مصابها ، فاحتسبت مصيبتها عند ربها ، وتقدم رسول الله من الشهيد الباسل ، وكشف عن وجهه وقال له : (كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة في الجنة)

— ٦ —

وعند الأصيل الكئيب، وقد مالت الشمس للغروب ، وأقبل الليل ينشر أمامه رداءه الأسود القاتم. كانت «هند» المفجوعة، تتوكأ على عصاها، وتجر وراءها بعيرا حملت عليه شهداءها، زوجها وأخاها وولدها ، ميممة شطر المدينة ، لتدفنهم هناك قريبا منها ، فرأتها السيدة عائشة وكانت تسقى العطاش ، فسألتها عن الخطب الذى حل بالمسلمين ، فقالت لها :

— يا أم المؤمنين ! أما رسول الله فسالم ، وكل مصيبة بعده هينة ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء

— ومن هؤلاء على البعير ؟

— أخى عبد الله وولدى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح

وبينما السيدة عائشة تعزيها في شهدائها ، جاء صائح من خلفها يقول (أمر رسول الله بأن يدفن الشهداء في موضع استشهادهم ، فاتجهت شطر أحد ، وعادت بشهدائها حتى وقفت أمام رسول الله فتلا قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقـــون) ثم نظر إلى عمرو وعبد الله وقال (كفنوا هذين المتحابين في الدنيا في كفن واحد ، واجعلوهما مع خلاد في لحد واحد ، وزملوهم بجراحهم فإنى أنا الشهيد عليهم ...)

دمشق — المزة **عمر عودة الخطيب**

فى بــــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عندما استتب الأمر لمصطفى كال فى تركية ، وشرع فى تنفيذ إصلاحاته العظيمة ، ألف البروفيسور الكاتب التركى المعروف أغا أغلو أحمد ، وأحد زملاء أتاتورك فى الجهاد ضد الاستبداد كتابه الموسوم : (فى بلاد الأحرار) ليكون نهجا واضحا للذين يريدون الإصلاح عملا، والحرية خلقا ، ومكافحة الطغيان طبيعة ... وقد كتبه بأسلوبه البليغ الساحر فى شكل قصة شائقة خالية من الغموض والتعقيد ، يستطيع أن يفهمها بكل سهولة ويسر ، المتعلم مهما كانت ثقافته ، ويستنير ويتعظ بها قادة الحكم ومحترفو السياسة مهما كانت نزواتهم وشهواتهم

وقد خطر لى أن أنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن أنشره فى شكل مقالات متسلسلة أولا ، ثم فى هيئة كتاب مستقل ثانيا

وإنى أعتقد أن الفرصة قد سنحت لإخراج هذا الكتاب القيم على أى صورة ... فثمة طاغ جبار بطرد من أرض الكنانة إلى غير عودة ... وقائد بار شجاع يتولى قيادة الأمة المصرية إلى حيث الشرف والعزة والكرامة والعدل .. وشعب أبى متحرر أنقذ نفسه بنفسه من عهد فاجر جائر ، يريد سلوك خير الطرق وأفضلها للوصول إلى أهدافه ومثله العليا .. أفلا يجب أن يكون لكتاب (فى بلاد الأحرار) مكان على صفحات الرسالة الزاهرة لينير الطريق ، ويرشد الضال، ويوقظ الهمم ، ويضع الأسس، ويصف الداء ثم الدواء أ . م . الخطيب

كنت أسيراً فشئت أن أكون حرا

كنت أسيراً ، فشئت أن أكون حرا ، حطمت سلاسلى ، وثقبت جدار الحصن .. فنفذت إلى الأرض الفضاء .. وهناك تنفست الصعداء

امتد أمامى براح شاسع .. ولم أكن عارفا إلى أين أتجه ؟ ولا ماذا أعمل ؟

خطوت بضع خطوات وأنا متردد محجم .. فوجدتنى على مفرق طريقين .. فقرأت هذه الكتابة القائمة على رأس عمود هنا :

الطريق المؤدى إلى اليسار طريق الحرية

الطريق المؤدى إلى اليمين طريق العبودية

التزمت جانب اليسار ، وسرت على قدمى حتى الصباح..وعند انبثاق الفجر وجدت نفسى أمام قلعة..وهناك قرأت لوحا كتبت عليه بأحرف ذهبية هذه العبارة :

« بــــلاد الأحرار »

قلت : هذه ضالتى التى نشدتها ثم هممت بالدخول .. قطع الحراس السبيل .. وسألونى :

— من أنت ؟ .. ومن أين قدمت ؟ .. وإلى أين تقصد ؟

فقلت :

— كنت أسيراً .. فحطمت سلاسلى وحضرت ههنا..أريد أن أكون حرا ..

رمقنى الحراس بنظرات الفحص والتأمل .. كانت آثار السلاسل فى عنقى ، ومعالم القيود فى يدى ظاهرة جلية

— أجل !..يلوح لنا أنك قد حطمت قيود الأسر.. ولكن يا ترى .. هل اقتلعت قيودك الباطنية أيضا ، وقذفت بها ؟

قلت :

— لم أفهم ماذا عنيتم !

— إذن أجب عن هذه الأسئلة :

١ — هل أنت مسيطر على نفسك ؟

٢ — أتحب الصدق ؟

٣ — أتستطيع تحمل الحقيقة ؟

٤ — هل أنت ذو كبرياء ؟

اتضح لى أنهم يمتحنوننى قبل إفراجهم عن الطريق لدخولى فأجبت عن كل هذه الأسئلة (نعم)

انحنى الحراس أمامى احتراما لى ، وفتحوا لى باب القلعة ثم رافقنى أحدهم إلى الداخل

كانت المدينة قد استيقظت ، والحوانيت والأسواق قد نشطت

وكان الجميع دائبين فى أعمالهم

إنها أول مرة فى حياتى ، كنت أرى فيها مدينة جميلة عليها سيما العمران كهذه .. فالسعادة والهناء تقرأهما فى وجوه الأهلين أينما حللت ، وحيثما ذهبت . . وكان الذين يلقوننا فى الطرق يبتسمون فى وجوهنا ويهشون لنا ويرتاحون

وأخيرا انتهى بنا المطاف عندما وقفنا أمام باب دار كبيرة طرق الحارس الباب ، فجاء شيخ طاعن فى السن

قال الحارس مشيراً إلى

— وطنى جديد !

حيانى الشيخ باحترام ودعانى إلى الدخول ثم قادنى إلى غرفة فسيحة وقال :

هذا الموضع لكم بكل ما فيه وقبل أن أفيق من الذهول الذى انتابنى ؛ أضاف الشيخ إلى كلامه قائلا : سيحضر أساتذتنا بعد قليل لمقابلتكم .. خذوا قسطكم من الراحة الآن

وإذ غادر الشيخ الغرفة جاءنى رجل تبدو عليه أمارات الفتوة وأحضر لى طعاما وشرابا

وبعد لأى حضر الأساتذة أيضا .. وذهبوا إلى غرفة أخرى؛ وهناك سألونى من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا قدمت هـذا المكان ؟ فأجبتهم هكذا :

« .. أرومتى أصيلة .. بلادى نجيبة ، دمى طاهر نقى .. كان موطنى قديماً هضاب آسية الوسطى العالية .. ثم ثار الدم فى عروق أجدادى وهاج .. فتغلغلوا فى الشرق والغرب ، والشمال والجنوب . ، واجتاحوا الممالك ، وشادوا الدول ، وأنشأوا الحضارات ...

كان زعماؤنا قبلا يعيشون عيشة ساذجة ، يشاركون الشعب فى سرائه وضرائه ؛ يحترمون العهود والمواثيق ، يطيعون الحق ومجالس الشورى .. وكانت قادة الحكم ، ورؤساء القبائل وملوك البلاد لا يخشون شيئاً فى سبيل الذود عن كرامة الحق ، وقولة الصدق ، والتنكيل بالطغاة ، ومنع الاستبداد ...

وطوال استمرار الحال على هذا المنوال كانت بلادى قوية ، مهيبة ، مرفوعة الكلمة بين الممالك .. إلى أن جاء يوم فسدت فيه دماؤنا ، وشرعنا نقلد البلاد المستعبدة فى تقاليدها ومواطن ذلها . . فتلاشت مجالس الشورى ، واختل النظام ، وانتصر الاستبداد ، وصار شعبى السيد الآمر عبداً رقيقاً ...

ومنذ ذلك الحين انطفأت نارنا الواهجة ، واضمحل صيتنا الذائع ، وتلاشى صوتنا المدوى .. حتى حل يوم أراد فيه خاقاننا السافل أن يبيعنا للأغراب .. وعندئذ بلغ السيل الزبى ، وطفحت الكأس

خرج من صفوفنا شخص ذو شعور ذهبى ، وسحنة رجلية ، ونظرة هى نظرة الأسد بعينها ...

فإذا هو الذائد عن حمى بلاده ، والضنين بوطنه ، ورسول ربه الكريم ...

قال أقوالا بعثت بالحمى الدافقة إلى القلوب الجامدة ، وبالحياة إلى العروق الميتة ، عمل أعمالا دهش منها القاصى والدانى . . طرد الأغراب من المواطن وأسقط الخاقان من عرشه .. وهو اليوم منهمك فى لم شعث أمته حول راية الحرية الخافقة ...

إننى كنت حينذاك من أسرى الخاقان فى سجنه .. وبينا أتقلب على أشواك اليأس والقنوط ، إذا أنا بصوت رجل الحق يطرق سمعى ...

دبت فى الحياة فجأة ، فحطمت سلاسلى ، وأحدثت فجوة فى الجدار ، وجئت إلى هذه الديار فى طريقى إلى الحرية التى أنشدها

أصغى إلى الأساتذة باعتناء واهتمام شديدين . . ثم قال أحدهم :

— أجل ! أجل ! إننا كذلك نعرف ذلك البطل ونحبه حبا جما ، ونحن إنما نعمل هنا وفقاً لمبادئه وفكرته ...

ثم أضاف إلى كلامه قائلا :

— هل عقدت النية على أن تكون حرا ؟

— نعم !

ساعة بين أعداد الرسالة

للأستاذ محمد الحسن شرع الدين

لانقطاع الرسالة بسبب الملاحة فى الشلال شعرت بالحاجة إلى قراءتها ، وذلك لما كنت أتوقعه من انقلاب فى أقلامها بعد الانقلاب الذى قام به البطل محمد نجيب « نجيب الحرية والدستور » وكانت تجول بخاطرى أشياء أتذوق حلاوتها وألتذ لها لاعتقادى أن أعداد الرسالة القادمة سوف تتحدث عنها ، وما تلك الخواطر إلا حوادث الانقلاب والملك المطرود ، وقد تكلمت كل الصحف والمجلات عدا الرسالة التى لم تصل إلى . ولكلام الرسالة وقع فى نفسى غير كل كلام مقروء . قلت شعرت بالحاجة للاطلاع على الرسالة ، ففزعت إلى أعدادها المودعة بمحل خاص — وأنت قد تعجب إذا قلت لك إنى أحتفظ بأعداد الرسالة من سنة ١٩٣٤ إلى يومنا هذا بصورة مستديمة — من قسم الإعارة لا التأجير ، وتناولت أول عدد فكان العدد ٩٦٢ وفتحته فكان أول ما قرأت مقال يوازن بين شوقى وولى الدين يكن فى قصيدتين قيلتا بمناسبة « سقوط السلطان عبد الحميد » بقلم أستاذنا الأديب محمد رجب البيومى ، وعلم الله أنى أرتاح لكل ما يكتبه ، وأجد فيه متعة الروح وغذاء العقل ، متعنا الله بأدبه ومد فى عمره بالعافية . فعجبت كيف هيأت الصدف للربط بين خواطرى بالماضى المقروء للحاضر المشهود ، وقلت لو كتب هذا الموضوع قبل الانقلاب بأسبوع لقلنا إن الكاتب يشير إلى نهاية (الفاروق) بالتورية للآتى القريب، ولكن مرعلى المقال أكثر من سنة فلاأظنه كتب لهذا الغرض رغم أنه كان ينفع للعظة لو وجد من يتعظ . وجال بخاطرى فقلت لئن وجد عبد الحميد من يندب مجده بعده ، وآخر يشمت به ويشيع عهده باللعنات ، بتلك القوة الممتعة فى الوصف البارع للمدح والذم ، ووجد مثل قلم البيومى ليوازن بينهما ، فهل نجد اليوم مثل هذين الشاعرين وقد وجدنا الظرف

ولا نريد بعد أن أشرنا إلى العدد أن نأتى بشىء من القصيدتين، فمن أراد المتعة فليرجع إليهما فإنهما أنسب ما يقرأ فى هذا الظرف وهذه المناسبة

وبعد الفراغ من هذا العدد مددت يدى فأخذت عدداً آخر فإذا هو العدد ٧٤٨ بقلم صاحب الرسالة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بعنوان : « يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا » ، وقد علق به على حديث نشرته الأهرام لصاحب السمو الملكى الأمير محمد على قال فيه :

« إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته منذ نشأتى إلى اليوم كان مرجعه إلى ائتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه »

وقد علق على هذا الكلام فقال : « جميل من سمو الأمير أن يعتقد الدين وأن يعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله . فعبد الأمراء الشهوة — وكأنه يعنى القصر — وأله الأغنياء المال ، واتبع الزعماء الهوى » ثم يقول بعد فصل : «لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على «المحبة والسلام ، والصلاة والصيام ، والعمل والصبر والطهارة . وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا» ويسترسل فيقول : « إن الدين

— هل فكرت فى الأمر جيداً ! .. أعزمت على ذلك عزماً نهائيا ؟ .. ثم هل تعلم مبلغ صعوبة الحرية على الإنسان ؟

أجل !. أعرف كل ذلك ، وعزمى فى هذا الشأن لا يتزحزح !

— إذن ثمة شروط يجب أن تطلع عليها، وتعمل بمقتضاها .. وهذه الشروط مدرجة فى سفر خاص بها . . اقرأ وفكر مليا . . وسنأتى لمقابلتك ثانية بعد بضعة أيام ..

ثم غادر الأساتذة المكان . .

بقيع ٢٠ . ٣٩ — أحمد مصطفى الخطيب

عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية . ثم يقول بعد فصل : : وحق الله الذى يشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويداوى المريض ، ويكفن الميت، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السهرات الداعرة، ويجود على إنجلترة الخؤون من غير طلب، وينفق على تركية العقوق من غير حساب» ثم يقول : «ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح» ثم يسترسل فيقول : «إن أكثر الكبراء عقام أو عزاب ، فلا عيال يكلفون فى الحياة ، ولا أعقاب يرثون بعد الموت ؛ فليت شعرى لم لا يتبنون هذا الشعب الكريم وهوالذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله ، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة ، وجسمه يضوى من القلال وهم فى سعة ، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن » ثم يقول « إنهم إلا يفعلوا يندموا ، فإن من المشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه » وعندما وصلت لهذا الحد من القال عجبت ! ولا عجب أن يصاحب التوفيق قلم أستاذنا ، فيشير لهذه النهاية البعيدة حينذاك ، ولكن زال عجبى عندما رجعت لقول ولى الدين يكن للسلطان عبد الحميد فى قصيدته التى أسلفت القول عنها عندما قال :

عزاء أيها النافى الرعايا ... ولا تجزع لخالقكم نفاكا
حرمت كراك أعواما طوالا ... وليتك بعدذا تلق كراكا
تفارقك السعادة لا لعود ... وقدعاشت خطاها فى خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا ... وقل ياقصر لست لمن بناكا
نعم عبد الحميد اندب زمانا ... تولى ليس يحمده سواكا

ومنها :

ستحيا فى سلانيك زمانا ... ستحسد فيه عن بعدأخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ... ولعت بهولكن ماارتضاكا

أما قصيدته الثانية التى جارى بها شوقى ، فلا يتسع المقام لسياقها ، فلنتركها وليرجع اليها من يريدها بالعدد المذكور أو فى غيره

وعجبت أن يحقق الشعب ما أشار إليه أستاذنا ؛ فيطرد المليك الجبار .. المليك الذى أراد أن يجعل من مصر وجيش مصر أضحوكة بين الشعوب . المليك الذى ضحى بشباب مصر فى حرب فلسطين ، وكان يستعرض الجيش ابتهاجا بولده فى الوقت الذى يقتحم فيه البوليس الموت مع الإنجليز فى قنال السويس ، ويشد أزر كفاح البوليس أولئك الأبرار المجاهدين من الفدائيين . لقد حقق الله نبوءتك يا أستاذى ، فهاهوذا الجبار قد ذل وطرد ، وهاهم مانعو الزكاة ومبددو ثروات الشعب المصرى يحاسبون حسابا عسيرا ، فلننتظر قليلا ولنقل : حيا الله المخلصين من أبناء مصر ، وأزال بهم طغيان كل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، ولنقل مع الشاعر أيضا :

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ... ولابد للقيد أن ينكسر

محمد الحسن شرع الدين
تاجر بأم روابة

شيلر الشاعر الألماني

للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف

حياته

هو فريدريك فون شيلر ولد فى مدينة مارباخ من أعمال مقاطعة ورتمبرغ الجرمانية فى ١٠ ت ٢ سنة ١٨٥٩ . وكان أبوه يوهان كاسبار جراحاً مساعداً فى الجيش استخدم فى حرب أوستريا الارثية . وكانت والدته تقية حنوناً فغرست فيه تلك المبادئ . واسمها اليصابات كورفايس . كان منذ صغره ولوعا بالكتب ، وفى المدرسة كان ينفرد ويطالع ، فيجد تلك الساعات من ألذ أيام حياته، وكان يهيم فى الطبيعة ويسرح فى آفاق الخيال وراء شاعريته التى كانت نفسه تنزع إليها

وكان نحيف الجسم مجتهداً كثير المطالعة تنزع نفسه إلى نظم الشعر ، ولذلك جمع بين الإنشاء الطلى والشعر الرقيق والتاريخ الوطنى ، فكان ثانى غوته أشهر شعراء ألمانيا

ترك آثاراً تشهد بنبوغـــه وتفوقه ، وكان أصغر من زميله ومعاصره غوته بعشر سنوات ، تعارفا لما كان شيلر فى الرابعة والثلاثين من عمره وغوته فى الرابعة والأربعين

انصب شيلر على مطالعة أشعار هوميروس اليونانى وفيرجيل الرومانى لإتقانه اللغتين اليونانية واللاتينية كل الإتقان

ثم طالع منظومات « كلوبستوك » شاعر ألمانيا العظيم وغيره من كبار الشعراء ، مما بث فيه روح الشاعرية وقواها

وكان قد درس على علماء عصره المشهورين ونال شهادته بإتمام دروسه سنة ١٧٧٩ بحفلة حافلة شهدها غوته الشاعر الألمانى الآنف الذكر . ولم يكن غوته يظن أن شيلر سيكون نابغة فى عصره وصديقاً مخلصاً له ، ورجلا محبا لوطنه وشعبه ، ومؤثرا عظيما فى رقى بلاده . ولم يكن غوته ليظن بأن شيلر سيصبح كاتباً مدققاً وشاعرا بليغا ومؤرخا ثقة ، صاحب مخيلة واسعة ، طلى الإنشاء ، حتى يحبه الشعب ويحترمه

وكان لما حل شيلر بقرية فولكشتات سنة ١٧٨٨ أن اجتمع بغوته مرة فاستقبله هذا غير مكترث له فأثر ذلك المشهد الاحتقارى فى نفس شيلر وحركته عزة نفسه أن كتب إلى صديق له يخبره بعدم تناسب الذوقين أى ذوقه وذوق غوته، لأن لكل منهما وجهة يتجه لها الواحد دون الآخر

على أن غوته بعد أن طالع آثار شيلر ، ولاسيما قصيدتيه الشهيرتين «المتفننين» و « آلهة اليونان » ، اللتين نسج بردتيهما إذ ذاك نسجا بليغا ، انقلب عن الإعراض إلى الحفاوة والاحترام، فصار ودهما وثيق العرى متين الأسباب

فكان شيلر ينظر إلى الحياة نظرات فلسفية وينظم الشعر التمثيلى ، وغوته يسبح فى عالم الطبيعة ويصوره ناظما الشعر الحقيقى، ومع ذلك لم يكن هذا التباين فى الذوقين بمانع من اتفاق آرائهما بالصداقة وتبادل الحب الصحيح بينهما بإخلاص وأمانة حتى آخر نسمة من حياتهما . وذلك نادر بين صاحبى صناعة واحدة . ولكن الشاعرية التى عرفا بها لم تستطع أن تبث روح الحسد فى أحدهما ليعادى الآخر

فصرف شيلر أوقاته مع غوته يتبادلان الآراء ويتجالسان ويتحاوران فانتفع كل منهما من زميله . وهكذا أخرج شيلر آثارا نفيسة فى الشعر والتاريخ والروايات التمثيلية الكثيرة ، وهى مما لا تزال تتناقلها الألسنة والأقلام ، وتترجم إلى اللغات المختلفة الغربية والشرقية

ومن غرائب الاتفاق أن هذين الشاعرين التحابين مرضا كلاهما بوقت واحد وخشى كل منهما موت الآخر . ولكن شيلر قبض إلى رحمة ربه قبل غوته وذلك فى أيار سنة ١٨٠٥ فبلغ نعيه غوته فبكاه واشتد حزنه عليه وقال كلمة لا تزال مضرب المثل

لقد فقدت بموت شيلر نصف حياتى

ولشدة حزنه انقطع مدة عن عمله وتفرغ للبكاء ومعاناة الأسف الشديد الذى ألم به . وطال ذلك العهد على غوته حتى توفى سنة ١٨٣٢ وأقيم له سنه ١٩٣٢ تذكار مرور مائة سنة على وفاته بحفلات شائقة ، وسنة ١٩٣٤ أقيم له تذكار مرور ١٧٥ سنة على ولادته . وكتبت الجرائد مقالات شائقة عن الحفلتين فى الشرق والغرب . ونشر كثير منها ترجمة حياته وأعماله . وحضر تلك الحفلة كبار رجال الحكومة . وأقاموا الصلاة على قبره . وخطب

الهر جيبلز فقال : « لو عاش شيلر ، إلى اليوم لكان زعيم ثورتنا حرفيا . فنحن نحنى رؤوسنا أمام ذلك الميراث الفنى الذى هو لنا ، لأن لنا وحدنا المقدرة وروح الابتكار لإنجاز رسالة تلك الثورة »

وأنشأت صحف اليونان مقالات أطرت فيها على ذكر شيلر، ومثلت فى المسرح اليونانى الوطنى رواية (دون كارلوس) من نظمه

آثاره

اشتغل هذا الشاعر بالأدب والتاريخ والروايات ، فترك آثاراً ذات شأن فى نظر العلم والأدب من روايات تمثيلية وقصائد رائعة، فأخرج شيلر الدراما « قطاع الطرق أو اللصوص » طبعت سنة ١٧٨١ و« المؤامرة والحب » . ومن أهم رواياته « دون كارلوس » (١٧٨٦) . وبها اشتهر أول ما اشتهر . وآخرها « وليم تل » التى كتبها سنة ١٨٠٤ ومدارها على أخبار وليم تل البطل السويسرى الوطنى . وكان غوته قد سافر إلى سويسرا ودرس جميع الشؤون المتعلقة بهذه الرواية على أمل أن ينسج بردتها بقلمه السيال. فحالت دون ذلك عوائق حملته على انتداب حميمه شيلر لهذا العمل فأعطاه دروسه كلها ، فنظمها وأجاد فيها ما شاءت بلاغته . ولما وقف عليها غوته دهش منه وازداد تعلقاً به واحتراما له فعاشا على حد قول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

ومودة الأدب إذا كانت بإخلاص نية وعدم حسد وتنابز كانت آية الآيات فى حسن السلوك وأدب المعاشرة

فكانت هذه الرواية « بوق الحرية الشريف » وآخر رواياته من بدائع قصائده ؛ « آلهة اليونان » ، و« مارى ستوارت »، و« عذراء أورليان » ، و « عروس مسينا » . وفى مقدمتها يقول « ليس موضوع العلم أن يثير حلم الحرية للحظة . ولكن قصده أن يجعلنا أحراراً بالحقيقة » . و « المتفننون » ، « والقتال » ، ونشيد «فالنشتاين» (١٧٩٩)

ومن مآسيه المشهورة « دون كارلوس » و «وليم تل». ومما قاله فى مقطوعة عن وليم تل : « نحن نستنشق الهواء الجبلى الحرية ونطأ جبال الألب بحرية شخصية ونشعر برعدة »

ومن مشهورات تواريخه : « تاريخ ثورة هولندا » و«الحرب الثلاثينية » وهو كتاب تاريخ ممتاز

وكان شيلر صحافيا اشتغل بمجلات أنشأها هو أو ساعد غيره بكتابة مقالاتها

وعلى الجملة كان شيلر فيلسوفاً ومتفننا ومؤرخا وشاعراً وصحافيا

شيء من آرائه وأقواله

تناقل الكتاب والشعراء كثيرا من آراء هذا الشاعر وأقواله مترجما إلى لغاتهم ومنها لغتنا العربية

قال فى وصف فتاة : « أنت فى السادسة عشرة إذ يبتدئ فؤادك أن يخفق لأول مرة بعواطف الحب ويردد صدى نغمانه . إن الفتيات أمثالك لهن دائما مرآتان : المرآة الحقيقية ومرآة المعجب بجمالهن . فتصلح الثانية بتمويهها ما تفسده الأولى بصدقها . فإذا أرتك المرآة أثر الجدرى يقول المعجب الأعمى : تلك غاية الجمال.»

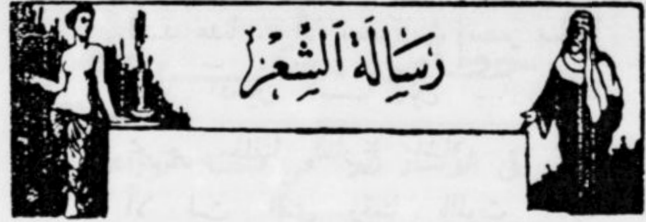
وقال يصف شابا : « كنت سالكا سبيلا قويما ولكن تخلى عنى أقرانى وأضلونى الطريق إذ انفصلوا عنى واحدا واحدا »

وقال فى تأثير المرأة : « كلما وجد رجل وصل بعمل إلى غايات المجد وجدت فى جانبه امرأة محبوبة »

ومن أعظم قصائده « لحن الجرس » خاطب به رأسا قلوب الجماعات بقوله : « أنا أدعو الأحياء وأنا أنوح على الموتى وأنا أكسر اللمعان ». فهى أشبه بقصيدة لنفلو الشاعر الأميركى «بناء السفينة » . وقد عربنا معظم ديوان الشاعر الأميركى

ومن قوله فى قصيدة القتال : « لا . لا . لن أصبر طويلا على هذا القتال الطاحن الذى يقوم به الواجب . فإذا لم تقدرى على كبح أهواء قلبى أيتها الفضيلة فلا تطلبى منى التضحية . فإكليلك هذا يجب أن يبقى كل الأيام بعيدا عنى . خذيه ودعينى وحدى أتلاشى »

عيسى اسكندر المعلوف



أنا والحياة

للأستاذ حسين عبد الفتاح سويفى

أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟
كل شئ فيك يهتاج بكائى وشكاتى
مل جفنى من دموعى وشكا من عبراتى
كل شئ فى حياتى غارق فى الظلمات
السنا الوضاء معنى لم يلح فى خطراتى
أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟!

***

هذه النار التى تسرى بروحى ودمائى
والأعاصير التى قد عكرت صفو هنائى
والأحاسيس التى تعشق دمعى وبكائى
والتعلات التى كانت عزائى ورجائى
والأمانى التى لم تغننى أى غناء
كلها مجتمعات عجلت يوم فنائى

***

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا طير غريب
ضل فى البيد فلا مأوى ولا عش قريب
بين جنبى جراح ليس يشفيها طبيب
وفؤاد ظامئ اللهفة موصول الوجيب
لم أجد فى الكون قلبا عاطفا بين القلوب
لهف نفسى لحبيب مخلص — أى حبيب

***

ظامئ الروح ولكن أين كأسى وشرابى ؟
أين آمالى . وأوهامى . وأحلام شبابى ؟
أين حلو الصفو ما بين رفاق وصحاب ؟
أين ما أملت من تلك الأمانى العذاب ؟
لم أنل غير عنائى وشقائى وعذابى
واجترارى الليل يمضى بين سهد وانتحاب

***

ها هى الآلام تدعونى فعذرا يا رفاق
هل رأيتم كيف يسقينى من الآلام ساق ؟
هل رأيتم كشرابى ؟ إنه مر المذاق
من مزيج اليأس والحرمان والدمع المراق
وسعار اللهفة الظمآى ونيران المآقى
أيها الآلام كفى بلغت روحى التراقى

***

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا العانى الشريد
أنا من قد مل طول العيش فى هذا الوجود
أنا من قد عاش فى الأسر وفى ظل القيود
أنا من قد عاف طعم الذل فى أرض العبيد
ثائر النفس على كل قديم وجديد
إننى أجهل نفسى . لست أدرى ما أريد ؟!

***

فاضت الكأس فخلونى أبث الطرس وجدى
لم يعد ينفع صبرى . لا . ولا يغنى التحدى
قد قطعت العمر والأيام فى أخذ ورد
وطموح فى الأمانى لانهيار وترد
وشكاة من حياتى وزمانى المستبد
مل من شجوى صحابى وحملت الهم وحدى

***

يا ربيع العمر ماذا فيك من روح الربيع ؟
هذه شمس حياتى قد خبت قبل الطلوع
يحجب الأنوار عن عينى سحاب من دموعى
ودخان من قنوط ثائر بين ضلوعى
كلما أوقدت شمعى أطفأ الدهر شموعى
يا ربيع العمر كم ذا فيك من يأس مريع

***

هل رأيتم مثل صبرى فى الورى صبرا عجيبا
أكتم الأشجان فى نفسى وأخفيها ضروبا
ثم أبدو بين صحبى مرحا طلقا طروبا
أمسك القلب على الوجد وأخشى أن يذوبا
وأدارى اللوعة الكبرى ولا أشكو لنوبا
إن أكن أذنبت ياربى فهل لى أن أتوبا

حسين عبد الفتاح سويفى

العائدون من الحرب

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

(مهداه إلى القائد الأعظم اللواء محمد نجيب)

لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا
على أعناقنا قد عبأوا النصر رياحينا ..
ومن أفواهنا قـد جسموا المجد أرانينا
لقد عدنا ولكن لا كما شاءت أمانينا
ألا ياليتنا متنا بعيداً عن أراضينا ..!

***

لقد عدنا من الحرب .. إلى الحقل إلى المصنع
لكى نحرث .. أو نبذر .. أو نحصد .. أو نجمع
لكى نبنى للغير .. لكى نطهو ولا نشبع
لكى نحلم بالفجر الذى من يدنا يسطع !
لكى نصنع حربا ضخمة أخرى .. لكى نصنع

***

لقد عدنا إلى الأكواخ .. أكواخ أهالينا
وكنا قـد كسوناها بأسمال أمانينا
فماذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموجع نبكيه ويبكينا
وإن لج بنا الشوق لسناه بأيدينا

***

لقـد عدنا .. ألا تبصرنا .. تبصر بلوانا
بقايا آدميين مسـاكين .. بقايانا
نجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا
ألا ليت الذى رقعنا بالموت أبلانا
ولم يبق لنا كالناس أشواقا ووجدانا

***

لقد عدنا .. أجل عدنا ولكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب .. أكلنا صدأ التنور
لبسنا كفن الثلج .. سكنا جدث الديجور
وها عدنا إلى القيد .. إلى قيد الأسى المضفور
فياضيعة هذا العمر .. هذا الصدف المكسور

***

وقالوا .. قال رب السوط والقانون والقوه
سأمضى قبلكم .. إنى لكم .. لقطيعكم قدوه
ولكنا مضينا وحدنا نحتضن الهوه !
وظل السيد المعبود فى رقدته الحلوه !
وكانت كأسنا الموت .. وكانت كأسه الشهوه

***

فماذا يبتغى الجلاد .. ماذا يبتغى منا !
لقد سرنا كما شاء .. وعدنا لا كما شئنا
هدمنا وتهدمنا .. وعذبنا وعذبنـا
وكم حلم سحقناه .. وكم مقبرة شدنا
وكم من مرة متنا .. وكم من مرة عشنـا

***

فلا بارك هذى اليد .. لا باركها الرحمن
إذا لم تسق بالحب صدى الحيران
إذا لم تك فأسا فى جدار البؤس والطغيان
إذا لم تك ميزانا لروحانية الإنسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والإيمان

محمد مفتاح الفيتورى

خطاب مفتـــوح

إلى الأستاذ محمد فتحى مستشار الإذاعة

من الأستاذ على متولى صلاح

يا أخى الأستاذ

الآن وقد عاد إليك مكانك الطبيعى فى الإذاعة التى اقترنت باسمك منذ مولدها ، واقترنت أنت بها منذ مطلع شبابك وباكورة عملك فى الحياة .. والآن وقد عاد إليك مكان المشورة والرأى والتوجيه فى الإذاعة ، وقد صارت مؤسسة ذات خطر فى الدولة وذات أثر فى الناس ، وأصبحت عاملا هاما فى التثقيف والتهذيب والمعرفة الصحيحة . .

والآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد جديد سعيد كأنما انشقت عنه السماء ليكون برزخا فاصلا بين النقيضين : الرذيلة والفضيلة ، وليكون تغييراً لمعالم الحياة فى مصر ، وليكون قبرا أخيرا للفساد والظلم والطغيان والاستعباد وما إلى ذلك مما تردت فيه البلاد حقبة ليتها لم تكن فى تاريخها !

الآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد كهذا ، فإن على كاهلك ليقع عبء كبير ثقيل لا ينهض به إلا أولو العزم من الرجال ، وإنى أعيذك أن تحسب الأمر هينا سهلا ، فإنك — إن ترد الإصلاح حقا — لتنفق من ذات نفسك وجهدك الشئ الكثير

إن الإذاعة — حتى اليوم — مهزلة كبرى وفضيحة لمصر ليس وراءها فضيحة ، وكأنما تنفق الدولة ما تنفقه على هـذه الإذاعة ابتغاء التشهير بها والنيل من كرامتها وقدرها أمام العالم أجمع ، فهذا العبث الذى ترسله الإذاعة ، وهـذا التخنث الذى يشيع فى الأغلب الأعم من أغانيها من أمثال قولهم « ما قاللى وقلت له ، وجالى ورحت له ، يا عواذل فلفلوا » وسواه مما لا أذكره احتراماً لقلمى أن يخطه ويتلوث بذكره ، إنما هو فضيحة ليس وراءها فضيحة . . وهذا النفاق الذى يتدفق من شعراء الإذاعة وكتابها ، هؤلاء الذين كانت تجرهم الإذاعة كالثيران البدينة ليلقوا على الناس عقود المديح والثناء والإطراء فى الطغيان والعسف والظلم والاستبداد، هؤلاء المنافقون الدجالون عليك إبعادهم ونفيهم وكتم أنفاسهم ، وتطهير الإذاعة منهم فإنهم رجس يجب ألا يعيش فى هذه الأيام ..

إن عليك يا أخى أن تمحو من الأغانى والأناشيد والأحاديث كل ما يضعف الرجولة ويشيع الوهن والضعف والاستخذاء فى النفوس . أمح من الإذاعة بجرة قلم جميع هذه الأغانى المخنثة المائعة التى يغنيها الرجال والنساء على السواء ! يغنيها المغنون — يا أخى — بأصواتهم الغليظة فيجملونها بالتأوه والتعوج وإرسال الزفرات الحارة والتنهدات المتسعرة ! أمح هـذا العار الذى يحيل هؤلاء الرجال إلى إناث بعيدى الأنوثة ينافسون الإناث فيما اختصهن به الله !

إن عليك يا أخى أن تمحو باب الارتزاق — لمجرد الارتزاق — أمام كل من هب ودب من هؤلاء الذين يسقطون على الإذاعة وكأنها تكية السلطان ! هؤلاء الذين يقدمون إلى الإذاعة أى كلام وأى أغان وأى مسرحيات ، ثم يضمنون إذاعتها دون مراجعة ودون اعتراض ، معتمدين على مالهم فى الإذاعة من صلات وقرابات !

إن عليك ألا تكل إلى أحد من رجال الإذاعة ما لا يفهم ! فإن الناس ليعجبون كيف ينهض بالأمر فى الإذاعة من لا يحسنه؟ وكيف يسند إليه من الأعمال ما لا يؤهله له علم أو فهم ؟ أعط القوس باريها ، ولا تعهد بعمل إلى رجل إلا إذا سبقت له به دربة كافية ودراية طويلة ، ولا تقم وزنا لهذا الذى جاء به الوزير الفلانى والكبير العلانى؛ فإن هذه دولة قددالت ويجب ألايكون لها وزن فى حياتنا الراهنة .. وإن الإذاعة — كما يعرف الناس جميعا موبوءة مشحونة بمن جلبتهم الشفاعات والوساطات ممن لا يحسنون عملا ولا تدعو إليهم ضرورة !

هذه خطوط رئيسية جدا أنت أدرى الناس بها وبأكثر منها ، فعليك أن تأخذ الأمر بالحزم والصرامة ، وأنت تعلم ما الإذاعة وما خطرها وما أثرها فى توجيه الدولة فى الداخل وحسن سمعتها فى الخارج ؛ وأنت بعد اليوم مسؤول عن كل كلمة نسمعها فى الإذاعة ، فإن أحسنت وغيرت أيدناك ، وإلا خذلناك وما نراك إلا محسنا إن شاء الله

على متولى صلاح



الزعيم أحمد عرابى

للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

للأستاذ محمود عبد المنعم محرم

الأستاذ عبد الرحمن الرافعى هو مؤرخ التاريخ المصرى الحديث، وكتبه التى أخرجها هى فى دقتها وصدقها مثال رائع لما يجب أن يقوم به المؤرخ المنصف . وكتابه الذى بين يدى الآن « الزعيم أحمد عرابى » انتهى الأستاذ الرافعى من كتابته فى يناير مفتتح هذا العام . وكان مقدراً لهذا الكتاب أن يرى النور فى مارس من العام الحالى ، غير أن الطغيان والظلم حالا دون ذلك ، فبقى الكتاب حبيسا حتى خلى سبيله أخيرا يحمل الدعوة إلى التضحية والدعوة الإصلاحية إلى أبناء الوطن

ومن تصاريف القدر أن الزعيم أحمد عرابى ظلم ظلما متواترا أثناء حياته وبعد مماته . وهذا الذى وقع لسيرته الرافعية ما هو إلا حلقة من سلسلة الاضطهادات المادية والمعنوية التى أصيب بها بطلنا الكبير . ولئن كان الأولون الذين ظلموه قد اتخذوا باطن الثرى مضاجع لهم ، فإن هؤلاء الذين وقع ظلمهم عليه الآن ، قد خرجوا من الديار يجوبون الآفاق طريدى العدالة والحرية والإنصاف، وراحوا مشيعين بما فعلوا من سوء وما قدموا من بغى وخذلان

وأحمد عرابى زعيم فلاح نشأ فى القرية ، ودرس فى الأزهر فترة وجيزة . وكتب عليه أن يترقى فى مناصب الجندية من أبسطها إلى أعلاها حتى كان زعيم مصر فى عهد من أحلك العهود التى مرت ببلادنا العزيزة . وكانت نهاية هذا البطل المخلص ، أن ائتلفت ضده قوى الاستخذاء والاستعمار والأنانية والطغيان ، وحاربته فى ميدانه الوطنى ، وأخرجته من وطنه الحبيب وبلاده التى جاهد لها

وإن العدالة الإلهية تقتص لهذا الوطن البائس ، ولأبنائه الفلاحين الفقراء العراة ولجنوده المظلومين من الطواغيت المستبدة التى أخذت عليه مسالك الحرية والأمن والصعود إلى مصاف الدول القوية والشعوب المستنيرة . وغير خفى أن أحمد عرابى هب يطالب بحقوق الوطن وأبنائه، فى عهد الخديو توفيق ، الذى كان يمثل العقلية التركية القذرة بكل غرورها الغبى وزهوها المخبول . وكانت الخاتمة أن يطرد ابن الوطن البار من بلاده ، ويبقى الدخلاء المترفون ، يتمتعون بالخيرات والنعم التى يلتهمونها من أفواه المساكين . ثم على تعاقب الأيام ، قام بطل جديد ينادى بحق الشعب مرة أخرى وكانت النتيجة ، أو بعض النتيجة ، أن ثبت الحق على يد أربابه وفى قلوب المؤمنين به ، وطرد الغشوم الذى أساء إلى نفسه وأبعد فى التنكيل بها ، وراح ينسل بنفسية الآبق وشذوذ المتغطرس

وإن ثمة وجوه شبه بين الثورتين ، ثورة أحمد عرابى ، وثورة محمد نجيب . من وجوه الشبه هذه المطالبة بحقوق الشعب . ومنها أن الثورة وجهت أول ماوجهت إلى الجالس على العرش الذى يمثل الظلم الصارخ والكبرياء الحقير . ومنها أن قائدى الثورتين من أبناء القرى . ومنها الاعتماد على العنصر الدينى والإنابة إلى الله . ومنها أن القائمين بها من رجال الجيش . وغير ذلك من العوامل السياسية الأخرى التى تكاد تكون واحدة فى مغزاها على عهد الثورتين كلتيهما

وحرب فلسطين ليست بعيدة عنا بآثارها ونتائجها . ولعلك سمعت ما قيل حولها من خيانة وائتمار بالجيش ، ومحاربة للشجعان المخلصين من أبنائه ، وتقريب للذين كانوا سبب الهزيمة وعوامل الاندحار ، مع جهلهم أو فسادهم أوخيانتهم، وهذا يشبه ماحدث فى عهد إسماعيل . وهو قريب مما حدث على عهد توفيق أيضا « ولامراء فى أن إسماعيل كان يميز الضباط والرؤساء الشراكسة والترك على الوطنيين فى المعاملة ، برغم ما بدا منهم من العجز والجهل وعدم الكفاية ، مما ظهر أثره جليا فى الهزائم التى حاقت بالجيش سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ فى حرب الحبشة . وعلى ما كان لهذه الهزائم من أسوإ الأثر ، فإن إسماعيل لم يحاسب أولئك القواد والضباط على ماوقع منهم من الإهمال والتقصير ، وقيل إنه اعتزم

محاكمة راتب باشا قائد هذه الحملة، ولكنه مالبث أن رجل عن ذلك فقربه إليه وجعله من بطانته . وهذا يدلك على شديد ميله إلى تلك الفئة . فكانت لها الحظوة لديه ثم لدى الخديو توفيق »

وإن الحكم النيابي قد عطل في عهدنا هذا . وكان الملك يستبد بالأمر، ولم يكد يدع للوزراء حرية يتصرفون بمقتضاها . حتى كان يولى من يشاء ويعزل من يشاء تبعاً لأهوائه ونزواته . وهذا مثل ماحدث في عهد الخديو توفيق . فقد كان هو الآخر يستبد بالأمر ويملى إرادته على وزرائه . وإلا عمل على إعفائهم من الحكم « وبينما كانت الطبقة المثقفة ترتقب إعلان الدستور على يد الخديو توفيق ؛ إذا بهم يرون شريف باشا يستقيل لمعارضة الخديو إياه في تشكيل مجلس النواب ؛ وإصراره على الحكم المطلق . ورأوا الخديو يؤلف وزارة برياسته ، مما ينم عن ميوله الاستبدادية ، ثم يكلف رياض باشا تأليف وزارة من مبادئها الأساسية حكم البلاد حكما مطلقا ، وحرمانها أي نظام دستوري .. حتى مجلس شورى النواب القديم على ما كان عليه من ضعف السلطة ، فقد ظل معطلا سنتين، طوال عهد وزارة رياض باشا »

وقد كانت الصحافة تلاقي العنت والمشقة . ولا نزال نذكر قانون تقييد الصحافة الذي أطل برأسه من مدة ، غير أن الصحف ومن ورائها أبناء الأمة ، تنادوا حتى وأدوا هذا القانون الرجعي في مهده . والرقيب لا زال صرير قلمه يدوي في آذاننا إلى وقت قريب . وفي عهد توفيق استهدفت الصحف المعارضة للاضطهاد في عهد وزارته ، ثم في عهد وزارة رياض ، واستخدمت الحكومة اللائحة القديمة المسماة لائحة المطبوعات لإنذار الصحف أو تعطيلها . وقد عطلت الحكومة في عهد وزارة توفيق جريدة « مرآة الشرق » مرة لمدة شهر ومرة لمدة خمسة أشهر ، وأنذرت جريدة « التجارة » . وفي عهد وزارة رياض أنذرت الحكومة جريدتي « مصر » و « التجارة » ، وأنذرت جريدة « مصر الفتاة » ، وأنذرت جريدة « الإسكندرية » ثم عطلتها شهرا ، وعطلت جريدة « المحروسة » لمدة خمسة عشر يوما ، ومنعت جرائد « النحلة » و « أبو نضارة » و « أبو صفارة » و « القاهرة » و « الشرق » من دخول القطر المصري

ولم يكن حظ المخلصين والوطنيين في عهدنا هذا بأحسن منه في عهد توفيق ، فإنهم قد أوذوا في كلا العهدين ، ونالهم رزء شديد وغبن بالغ ، لا لشيء إلا لأنهم يخلصون لوطنهم ويعملون لإخوانهم أبناء الشعب ، فكان جزاؤهم الإقصاء والحرمان ، وتقديم العملاء والأصهار والمحاسيب والمرتشين ، وبذلك تتعطل مصالح العامة ، ولا يتقدم إلا كل خب مخادع مستغل ، لا يخدم وطنه ، وإن كان على استعداد لأن يتمرغ تحت أقدام سادته وأولياء أمره ، الذين لا يختلفون عنه في أنانيته واستغلاله ونكوصه عن قواعد الشرف والمروءة . وقد أرغم الخديو توفيق محمود سامي البارودي على تقديم استقالته من وزارة الحربية لمشايعة العرابيين ولأسباب أخرى ، وعين صهره داود باشا يكن بدله ، ثم أعقب ذلك صدور أمر آخر بعزل أحمد باشا الدره ملي محافظ القاهرة ، لما كان معروفا عنه من مشايعة حركة عرابي ، وتعيين عبد القادر باشا حلمي مكانه ، وكان مكروها من العرابيين ، وبث محافظ العاصمة الجديد العيون والجواسيس لينقلوا أخبارهم ، ويتعرفوا على حركاتهم وسكناتهم

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وإن التاريخ يعيد نفسه . ولكن الذين يعتبرون به هم القليلون . وهذا الذي ذكرته من قبل كان من أسباب ثورة أحمد عرابي . وهو ذاته من أسباب ثورة محمد نجيب . الاستبداد بالأمر ! تقييد الحريات ! إبعاد المخلصين وحرمانهم وتقريب الأذناب والمفسدين ! فضائح الاستغلال والارتشاء ! الغطرسة والتنكر لحقوق الشعب ! كل هذه دروس بالغة كان يجب أن تؤتي ثمارها ، غير أن الناس غافلون عما تقدمه لهم يد الزمان من ألوان العظة والاعتبار . ولو اعتبروا ، ولو اتعظوا ، لما وقع المتأخرون في مثل ما وقع فيه المتقدمون من عوامل الإفساد والأثرة ، فانقلبت عليهم شعوبهم طالبة العدل والإنصاف !

أنا لم أر الأستاذ الرافعي ، ولكن كتابه ينم عنه ، فهو كتاب دقيق واضح عادل . ومعنى هذا أن مؤلف الكتاب يتمتع بصفات نادرة هذه الأيام من العدل والنظافة والإخلاص . وهي ذات الصفات التي قد تكون وقفت في سبيله ، وغبنته حقه ، فتقدم عليه من هو دونه . وإنه لأثر قبيح من آثار هذا الزمن الذي كنا نعيش فيه — والذي أرجو أن ينقشع — أن تكون

الصفات النبيلة والكفايات الخلقية النادرة من أسباب تعويق الإنسان عن أن يصل إلى ما يستحق من تقديم وتكريم

وأظن أنه كان من الخير أن حرم كتابه «الزعيم أحمد عرابى» النور إثر انتهائه من كتابته ولم يظهر فى وقته المحدد . ذلك أن الظرف الذى ظهر فيه فيما بعد هو أنسب الظروف لاستقبال مثل هذا الكتاب . فالكتاب عن جهاد زعيم ثائر — والثورة كانت للظفر بحق الشعب . ونحن الآن فى ثورة — وهذه الثورة للظفر بحق الشعب . وبظهور الكتاب الآن ، وبقراءته ، يجب أن نقارن بين الثورتين فى دوافعهما وأسبابهما ، وفى أغراضهما ، وفى طبيعتهما . ويجب أن نعرف الدواعى التى أدت إلى إخفاق الثورة الأولى ، لنتحاشاها ونحصن أنفسنا وثورتنا ضدها ، ولئلا نقع فيما وقع فيه العرابيون

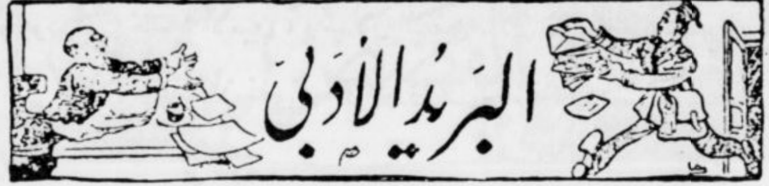
يذكر الأستاذ الرافعى بحق أن للثورة العرابية مرحلتين : المرحلة الأولى كانت الثورة فيها مسددة موفقة ، والمرحلة الثانية حادت الثورة فيها عن طريق الإصلاح المنشود . والفارق بين المرحلتين هو عمل العرابيين على تنحية محمد شريف باشا عن الحكم وتولية البارودى . ومن المقرر أن شريف باشا كان بلا نزاع أقدر من البارودى على حسن تدبير الأمور فى تلك الأوقات العصيبة ، إذ له من ماضيه السياسى ، وثقافته ، واختباره ، ما يجعل له كفاية ممتازة فى الاضطلاع بالمهام السياسية . أما البارودى فقد كانت نشأته أدبية حربية فحسب ، وهذه مزايا ليست هى المطلوبة لتصريف سياسة مصر ، وخاصة فى هذا الظرف المضطرب . زد على ذلك أن رجال الحرب والشعر لا يعالجون المشكل علاجا واقعيا ، بل يعالجونه بالحمية القلبية والخيال الذهنى ، لا بعقلية الحكيم المتبصر

وهذا درس يجب أن يصغى إليه القائمون بأمرنا الآن ، ويولوه عنايتهم ، ويرعوه حق الرعاية . فإننا الآن عرضة — لا قدر الله — لمثل هذه المزالق التى تعثر فيها الآراء . ولو استمعنا إلى الماضى ، وأحسنا التلقى عنه ، لجنبنا ذلك كثيرا من الصعوبات السياسية الكثيرة ، تلك الصعوبات التى ينقب عنها كل لحظة أعداء الحركة فى الداخل والخارج

وقد كان لكل من إنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، موقف مشهود فى الحركة العرابية ، أما فرنسا وإنجلترا فكانتا تتدخلان فى شؤون مصر الداخلية ، وتعملان على إحباط الحياة النيابية ، وتوسيع شقة الخلاف بين الثائرين والخديو . وكان لهما ما أرادتا . ثم انسحبت فرنسا من الميدان وخلت إنجلترا وحدها فيه تتصرف بمحض جشعها واستغلالها ومصالحها الخاصة ، دون رعاية لمصالح مصر ، ولا لمصالح العرابيين ، ولا لمصالح الخديو الذى تدعى أنها تحميه وتعمل على استقرار عرشه . وأما السياسة التركية فكانت تتسم بقصر النظر ، والغرور الأحمق ، والعمل على تسوىء سمعة مصر ، وإعلان سيطرتها الوهمية على البلاد . وهذا شبيه بموقفها الآن من الدول العربية عامة ومصر خاصة ، فهو موقف الحقود الذى يتربص بنا الدوائر ، فلا تنصر قضية عربية ، وموقفها من مرور ناقلات البترول بقناة السويس لحساب اليهود معروف ، وكذا موقفها من قضية تونس الذبيحة معروف أيضا

والأستاذ الرافعى كتب كتابه بأسلوب المجتهد ، إذ المعروف أن مصادر التاريخ المصرى ملوثة ، وأن الكاتب يجد حرجا كبيرا ، خاصة إذا كان من الوطنيين المخلصين أمثال الأستاذ الرافعى ، فهو يكتب للوطن ، لا لحساب دولة معينة ولا ناحية ما ، بل إرضاء للحقيقة والواقع وتسجيلا لفترة من ماضى هذا الوطن المنكوب ، حتى يفيد من يرجو الخير لبلاده ، وحتى يشيح بوجهه من يشاء

وهو مستقل فى أحكامه على أحداث الثورة العرابية ووقائعها . وهو لا يعفى العرابيين من اللوم والتقريع . ولا يعفى الخديو ولا أولياءه من المؤاخذة العنيفة والصفع الدراك . فقد نقد موقف العرابيين من وزارة شريف باشا التى جاءت على أثرها وزارة البارودى باختيارهم . ونقدهم على عدم ردمهم قناة السويس اعتمادا على قول فرديناند دى ليسبس . ونقد موقف إنجلترا من وزارة إسماعيل راغب التى جاءت بعد وزارة البارودى . وأغلب الظن أن إنجلترا لم تكن تبغى تأليف وزارة فى مصر لكى تبدو البلاد فى حالة غير عادية وتتخذ من ذلك ذريعة إلى التدخل فى شؤون البلاد . فلما تألفت وزارة إسماعيل راغب قابلتها السياسة الإنجليزية بالجفاء وعدم الثقة والغض من قدرتها على إعادة الأمن إلى نصابه وأخذت تخلق لها العقبات والعراقيل . ونقد موقف تركيا ، فبينما كانت تتظاهر



حول بيت للمتنبي

نشر الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري فى العدد ٩٩٥ من مجلة الرسالة الغراء هذا البيت ونسبه للمتنبى فى الصفحة ١٥٥ من الجزء الأولى من شرح الديوان لعبد الرحمن البرقوق

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ولدى تصفح الجزء الأول من شرح الديوان لم أجد هذا البيت الذى أشار إليه الأستاذ الناصرى .. ولعل الأستاذ يقصد ما ورد فى الصفحة ١٥٤ من شرح الديوان من قصيدة للمتنبى يمتدح بها بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

ومعنى هذا البيت أن مثله مثل السحاب الذى ينهل بالمطر تنقض فيه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك الآخرين. وهذا المعنى يناقض ما ذهب إليه الأستاذ الناصرى . ويتضح من ذلك أن الأستاذ لم يطلع على شرح الديوان كما ذكر فى تعقيبه وله منى جزيل الشكر

خلف إبراهيم الكاتب

بتأييد سلطة الخديو ، إذ بالسلطان عبد الحميد يعلن عطفه على عرابى ويمنحه نيشانا رفيع الشأن ، ثم إذا جد الجد ونشبت الحرب بين عرابى والإنجليز طعنه السلطان فى الصميم بإعلانه عصيانه ، فكان هذا الإعلان من أكبر أسباب هزيمة عرابى وخذلانه . هذا التناقض والاضطراب ، مضافا إليها قصر نظر تركيا وسوء نيتها نحو مصر ، ورغبتها فى إنقاص استقلالها ، ثم ما جبلت عليه من الدس والوقيعة ، وتأثر وزرائها بالمال والرشا ، جعل السياسة التركية عامل فساد استخدمته بريطانيا لتحقيق أطماعها فى مصر

إنى أدعو إلى كتابة التاريخ المصرى الحديث من جديد ، علىَ هذا النحو الذى يكتب به الأستاذ الرافعى ، لأننا بحاجة لأن نعرف بلادنا وتاريخنا على الوجه الصحيح فى هذه الفترات المظلمات ، ولنكون على بينة من أمرنا وأمر أولياء الأمر فينا ، ملوكا وزعماء ووزراء ، ولنكون على بينة من مصالح الوطن وأمانيه ومطالبه فى السنوات الخوالى

محمود عبد العزيز محرم

إلى الأستاذ « عين »

كلمتك الصغيرة يا أستاذ فى العدد (٩٩٧) من « الرسالة » الغراء — مترعة العاطفة ، واثبة الروح ؛ ولكنك لم تصب فى تقدير قيمة ، أو « حقيقة » هذه الحركة المباركة حين قلت : « ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر »

أعتقد أنك أخطأت تقدير حركة هذا الانقلاب لما كان يوازى — عندك — مائة فما فوقها ...

إن هذا الانقلاب ياسيدى الأستاذ — لا يقدر بالمائة ولا المائتين ، ولا الألف ولا الألفين ؛ وإنما يوزن بالحياة بكل معانيها من حرية وعزة وكرامة ...

ووالله لو وضع انقلاب مصر فى كفة ، ووضع ذهب الأرض وفضتها فى كفة أخرى . لرجحتها الكفة الأولى

إن وثبة الشعوب وانعتاقها لا يوازيه ثمن إلا الحياة بكل مقوماتها .. فعلى بركة الله يا شعب مصر

عبد الله الشيرازى الصباغ

شوقية أخرى

الحرب لا بد منها وإن أباها الأنام
حقيقة وضعوها فليس فيها كلام
ما دام شر لحرب والشر فيهم لزام
فى كل يوم دعاوى لا تنقضى وخصام
إذا استراح فريق تقاتلت أقوام
والناس للناس بالحر ب سيد وغلام
ولن يسودوا جميعا حتى يسود السلام

أرسل إليكم هذه الشوقية النادرة أو المفقودة فيما أعتقد رجاء عرضها على الأستاذ عبد القادر الناصرى وعلى القراء لمعرفة

ما إذا كان أحد قد صادفها قبل الآن . وسأوافيكم بالوجود فيما بعد

لطف الله نصر الدين أيوب

حول علم النبي بالغيب

فى « عدد الرسالة ٩٩٩ » : فالقرآن الكريم أثبت الغيب لله ونفاه عن غيره فى قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا »

وفى « شرح المقاصد للسعد التفتازانى » : النفى فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً) مع فرض التغاضى عن الاستثناء — مسلط على مصدر مضاف — أعنى غيبه وهو من ألفاظ العموم ، فيفيد سلب العموم ، لا عموم السلب . فيكون المعنى نفى علم جميع الغيب لا نفى علم شئ من الغيب

محمد شفيق

غضبة لصيحة

عزيز علينا أن يفرض الصمت على الناى المغنى بالعراق، وأن تظل .. الخميلة « غائبة لا يباح لها اخضرار ولا إيراق » ، بينما تحت الأنظار عشب يجهد الأرض ولا يجود بالثمر ، يرعى ويغذى ، ويخص دون غيره « بالامتياز » .. هذا وقضاء الله قائم بأن الزبد ذاهب جفاء ، وأن العاقبة للنافعين

لقد أصغيت إلى صيحة « الناصرى » « بالرسالة » موئل الثقافة الحرة ، فعجبت للرجعية ! كيف تنبح موكب التقدم ؟ وكيف لم تصعق من جبروت الحضاره

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس

إن الفكر كالنهر حليم رزين قد يقف للسد ويطيع ، ولكنه إذا فاض وتجمعت دفقاته ، خرت صاغرة فى جوف واديه كل العوائق والسدود ، وما حطم أحجار « الباستيل » غير وخزات « فولتير » ، وما أسقط « القيصرية » إلا أمثال « جوركى » ونصيب الشعوب بعد ذلك من الجهاد ، أنها استجابت لصيحة العقل ، وحققت إرادة الفكر ، وغنمت النصر والحرية ؛ فحرام تعضيد الأميين ، وخذلان المثقفين . لأن ذلك إطفاء لشموع يريد لها ربها أن تضئ .. واعتبروا إن كنتم تبصرون

بنى سويف بركات

يتيم ولطيم

ظهر أخيراً كتاب المساكين لدستويفسكى ترجمة السيدة صوفى عبد الله وجاء فى ص ٣٤ منه هذه العبارة : —

« وساشا فتاة يتيمة لطيمة مات عنها أبواها ..... » ونقول سائلين على أى نوع من أنواع البلاغة يكون التعبير بهذه الطريقة ؟ يقولون يتيم لمن مات عنه أبوه ، ويقولون عجى لمن مات عنه أمه ، ويقولون لطيم لمن مات عنه أبواه جميعا

وخلاصة ما نريد قوله إنه ما دام مات عن الفتاة والداها فلا داعى لاستعمال لفظ (يتيمة) إذ أن كلمة (لطيمة) وما تبعها من تفسير لها يغنى كل الغناء عن استعمالها .

لقد حسبته المترجمة الفاضلة من الاتباع وليس منه

خميس محمد إبراهيم



وفاء زوجة

عن الانكليزية

كان يعيش فى العاصمة منذ عدة قرون رجل فيلسوف اسمه شوانج . وكان معتكفا عن الناس لا يكاد يخرج من داره . وقد ماتت زوجته الأولى فى سن الشباب ولم يكن سعيدا معها؛ وكذلك كل الفلاسفة لا يسعدون بالزواج . فتزوج للمرة الثانية ولكنه طلق زوجته الأخرى متهما إياها بسوء السلوك؛ وتزوج للمرة الثالثة بسيدة تدعى « تاين » فوجد معها من السعادة مالم يجده فى المرتين السالفتين

وغير مسكنه بعد الزواج منها فأقام فى ضاحية بالقرب من الجبال

كان يتنزه فى الخلاء ، ففى يوم من الأيام وجد امرأة أمام قبر حديث البناء وفى يدها مروحة تحاول بها تجفيف بنائه . فكان ذلك الحادث داعيا إياه للتساؤل ، فاقترب منها وسألها فى رفق : « ما الذى تفعلين ؟ »

فأجابته : « فى هذا القبر رفات زوجى . ولما كان رحمه الله غبيا فقد استحلفنى ألا أتزوج بعده حتى يجف بناء قبره وقد زرت القبر أياما متوالية فلم أجد بناءه جف ولذلك استعجلت تجفيفه بهذه المروحة »

قالت ذلك ونظرت إلى الفيلسوف نظرة حملته على أن يؤدى لها خدمة . فقال : « إن يديك ليستا قويتين فدعينى أساعدك » فقالت : « شكرا ! وهذه هى المروحة وستؤدى لى أعظم خدمة إذا عملت فى تجفيف القبر »

فجلس يروح بقوته السحرية فجف القبر بعد لحظات قليلة . وسرت السيدة بنجاحه فابتسمت له ابتسامة مشرقة وجعلت علامة شكرها إياه أن أهدت إليه مروحة أخرى ثمينة كانت تحتفظ بها بين ثيابها : وأهدت إليه كذلك دبوسا غاليا كان فى طيات شعرها فقبل الهدية الأولى ورفض الثانية ، ثم ذهب إلى منزله فتذكر الحادث وهو جالس مع زوجته فتنهد ؛ فلما سألته عن سبب تنهده أخبرها بما سمعه، فبدا عليها الغضب وثارت على تلك الأرملة التى فضحت بنات جنسها. فردد شوانج المثل القائل: إن رؤية وجوه أناس شئ، ورؤية وجوههم شئ آخر؛ فقالت زوجته: «إنك تظلم النساء إن زعمت أنهن جميعا مثل تلك الأرملة التى لا تخجل»

فقال الزوج : « علام هذا الاهتمام ؟ أخبرينى ، إذا مت وكنت لا تزالين صغيرة جميلة ، أترضين بالترمل خمسة أعوام أو ثلاثة ؟ »

قالت : « إن الوزير الأمين لا يخدم سيدين ، والزوجة الفاضلة لا تتزوج من رجلين ؛ فإذا قدر الله أنك تموت قبلى فلن يقتصر وفائى على الترمل ثلاثة أعوام أو خمسة ، ولكننى سألبس ثياب الحداد حتى أموت »

قال شوانج : « هذا كلام يصعب تصديقه » فقالت : « **هل** تظن أن النساء كالرجال المجردين من الإنصاف والوفاء ؟ إن الزوجة متى ماتت بحث الزوج عن غيرها ، وقد يطلقها لأنه اختار غيرها . فلا تستمر فى حديثك الذى أزعجنى »

فعند ما سمع الزوج هذه الكلمات مزق المروحة التى أهديت إليه عند المقبرة . وقال : « هدئى من روعك وأرجو أن يكون عملك فى المستقبل مطابقا لقولك الآن »

بعد أيام كثيرة من هذا الحديث مرض شوانج مرضا خطرا فلزم الفراش . ولما بدت عليه علائم الموت قال لزوجته : « أشعر الآن بقرب منيتى فأستودعك الله . ولكننى آسف على تمزيق تلك المروحة ، فقد كانت تنفعك فى تجفيف قبرى »

فقالت الزوجة وهى تبكى : « أرجو يا زوجى العزيز ألا تكون هذه الساعة الأخيرة ساعة ريبة تشعر بها نحوى . إننى قرأت كتاب السنن وتعلمت منه أن المرأة الفاضلة لا تتزوج إلا من رجل واحد . فإذا كنت لا تزال ترتاب فى فإنى أقتل نفسى بين يديك لأبرهن على وفائى »

فأجابها شوانج : « إننى لا أريد شيئا بعد الذى سمعته منك » ثم اشتدت وطأة المرض عليه فقال : « هأنذا أعالج سكرة الموت . إن الدنيا تظلم فى نظرى »

وعند هذه الكلمات فقد الحركة والتنفس . فلما عرفت تاين أن زوجها مات علا صوتها بالبكاء وعانقت جثته مرة بعد مرة وبكته آناء الليل وأطراف النهار مفكرة فى فضائله وحكمته ،

وجريا على العادات المتبعة فى الصين لم يدخر جيرانها جهداً إلا بذلوه فى سبيل مساعدتها

وبعد أيام أقبل طالب وجهه كوجه الدمية من الحسن وشفتاه كالعقيق وعليه ثوب من الحرير البنفسجي وفوق رأسه قبعة سوداء مزركشة بالحرير وحذاءاه قرمزيان ووراءه خادم

وقال الطالب للسيدة إنه منذ بضعة أعوام أفضى للفيلسوف شوانج برغبته فى أن يصير تلميذاً له فتبل ، وإنه جاء من بلاده اليوم لأجل هـذه الغاية ، ولـكن لسوء حظه لم يصل إليه بعد موت الأسـتاذ ، وإنه وفاء لعهده يريد أن يقيم فى منزله حزينا عليه مائة يوم

وبعد أن أبلغها ذلك سجد أربع سـجدات وبلل الأرض بدموعه . ولما هدأت أعصابه قليلا طلب مقابلة تاين فرفضت ثلاث مرات، ولـكنها رضيت أخيراً أن تراه بعد أن أخبرها الثقات بأنه لا حرج على أرامل العلماء من مقابلة تلاميذهم

وتلقت تحيـاته بأهداب مسترخية فقد فتنها جماله ورشاقته واختلج قلبها بمشاعر كثيرة وطلبت إليه أن يقيم بالمنزل . وأعد العشاء فتناولته معه ، وكان تنهدها يمتزج بتنهده ، وأهدت إليه علامة على تقديرها إياه نسخة من كتاب « نانهوا » وأخرى من كتاب « سوترا » وهما الـكتابان اللذان يؤثرهما زوجها

وكان هو أيضا علامة على حزنه يصلى كل يوم بجانب القبر ساعة تجلس إليه لتبكى

وفى أثناء هـــذه الجلسات كانت تدور أحاديث قصيرة وبتسارقان النظرات فنشأ بينهما العطف فمال إليها كثيرا وأحبته أشـد الحب

ولما كانت راغبة فى تعرف أحوال ضيفها اسـتدعت خادمه وقدمت إليه النبيذ حتى سكر وسألته : « هل سـيده متزوج ؟ » فقال : « إنه لم يتزوج قط ». فسألته الزوجة :« وما هى الصفات التى يشترطها فيمن يريدها زوجة » . فقال وقد أثر فيه النبيذ : « يقول إنه يعد نفسه أسعد الناس لمن صارت له زوجة فى مثل جمالك يا سيدتى »

فسألته باهتمام : « هل قال ذلك حقا ؟ أتخبرنى بالصدق ؟ » فأجابها الخادم : « إن رجلا فى مثل سنى لا يكذب »

قالت : « إذا كان الأمر كذلك فكن وسيطـا فى الزواج بينى وبينه »

فقال : « إن سيدى كلمنى فى ذلك قبل الآن ، وإنه لولا احترامه لذكرى أستاذه لبادر بطلب الزواج »

قالت الزوجة : « الواقع أنه لم يكن قط تلميذا لزوجى ، أما جيراننا فهم قليلون وليسوا من ذوى الاعتبار فلا يحسن أن تقيم وزناً لانتقادهم »

وهكذا ذللت العقبات وتعهد الخادم بأن يكلم سيده . ولمـا ذهب الخادم شعرت السيدة بقلة الصبر شعورا مضاعفا . وكانت تسير فى منزلها ذهابا وجيئة وتنصت قرب النافذة علها تتسقط كلمة من حديثه وهى لا تفكر إلا فى الزواج

فلما دنت من القبر سمعت صوتا يصدر منه واضحا ، وسمعت تنهدا فقالت : « هل من الممـكن أن يعود الميت إلى الحياة فى الدنيا ؟ »

ولـكنها سرعان ما اطمأنت لـما رأت الخادم السكران نائما بجانب القبر . ولو أنها لاحظت هـذه الملاحظة فى وقت عادى لأنبت الخادم وزجرته ، ولـكنها فى هـــذا الوقت لم تجد خيرا من السكوت

وفى الصباح التالى قال لهـا الخادم إنه كلم سيده وإن السيد يجد فى هذا السبيل ثلاث عقبات وهى :

أولا : إن قبر الميت فى وسط الدار ، وذلك لا يجعله مسكنا صالحا للعروسين

ثانيا : إن شوانج كان يحب زوجته حبا شديداً وإنها كانت كذلك تحبه ، وهو يخشى إن تزوج منها ألا تستطيع حبه كما كانت تحب زوجها الأول ؟

ثالثا : إنه لم يأت معه من الثياب ولا من المال بمـــا يلزم لإتمام الزواج

قالت الزوجة : إن هذه الأمور لا يصح أن نسمى عقبات فى سبيل الزواج ... فقبر الميت ينقل من داخل المنزل إلى الحديقة التى خلفه ... أما من الوجهة الثانية ، فقد كان شوانج محترما عظيم النفوذ ولـكن به ضعفا من الوجهة الخلقية ؛ فقد ماتت زوجته الأولى ، وطلق زوجته الثانية ، وكان قبل وفاته بقليل يغازل امرأة

تروح على قبر زوجها ليجف ، فلا يكن عند الطالب شك فى أنه سينال من حبها إن تزوج منها أكثر مما ناله الزوج السابق ! وأما من الوجهة الثالثة فإن لديها مالا كثيرا وستعطيه ثمن الثياب وتقوم بنفقات العرس !

وقالت : أخبره أن اليوم أنسب يوم للزواج ، فلا يتردد ، ولا يرجئ الأمر ! وأعطت الخادم مالا كثيرا فذهب إلى سيده الطالب

ولم يكد يذهب ، حتى أبدلت تاين ثياب الحداد بثياب العرس وأوقدت الشموع واستعدت لحفلة الزفاف ، ولكن فى الموعد المحدد جاء الطالب هائجا وعليه علامات الجنون . فاستدعت تاين الخادم وسألته هل اعتاد سيده أن تنتابه هذه النوبات ؟

قال : نعم ، فإنه مدله بحب الإله « تسو » إله العلم ، وكانوا يعالجونه من هذه الحالة بأن يطعموه مخ إنسان !

فقالت : وهل يصلح لذلك مخ إنسان مات موتا طبيعيا ؟

قال : نعم على شرط ألا يكون مضى على وفاته تسعة وثلاثون يوما !

فقالت : « الأمر سهل فإنه لم يمض غير عشرين يوما على موت زوجى الأول فلنفتح قبره ، ولنطعمه مخه »

قال : « وهل توافقين على ذلك ؟ »

فقالت : « إننى وسيدك الآن زوج وزوجة ، وعلى الزوجة أن تفعل من أجل زوجها كل شئ فكيف أرفض إطعامه من جثة إن تركناها قليلا استحالت إلى تراب ؟ »

فأحضر الخادم فأسا وذهب مع تاين إلى القبر فحفراه حتى بدا الصندوق فناولها الخادم الفأس ، وكسرت الصندوق فظهرت الجثة ، ورفعت الزوجة يدها بالفأس لتكسر الجمجمة وتستخرج المخ ، ولكن الجثة تثاءبت ثم فتحت عينيها

فصاحت تاين مذعورة ووقع الفأس من يدها ، وجلس الفيلسوف الميت فى قبره وقال : « يا زوجتى العزيزة ساعدينى على القيام »

فخافت الزوجة ولم يكن فى وسعها إلا أن تطيع ، فساعدته وقادته إلى غرفتها ، وكانت غير ناسية المنظر الذى سيؤلمه فى هذه الغرفة ، ولذلك ارتعشت وهى تقترب من الباب ؛ ولكن كان من حسن حظها أن الطالب وأصحابه خرجوا من تلك الغرفة قبل ذلك

فانتهزت هذه الفرصة وقامت بالخدمة التى تحسنها كل امرأة وأقسمت أنها لم تكف عن البكاء بالليل ولا بالنهار . وأنها لما سمعت صوتا من جانب القبر تذكرت القصص القديمة التى تدل على احتمال عودة الموتى إلى الحياة ؛ فأخذت الفأس لتفتح له القبر ؛ وحمدت الله أن جعل ظنها صحيحا فعاد زوجها إليها

قال : « أشكرك يا زوجتى العزيزة ولكن هل لى أن أسألك لماذا ترتدين ثيابا مفرحة كثياب العرس ؟ »

فقالت : « لما سمعت الصوت من جانب القبر حدثتنى نفسى بأنك عائد إلى الحياة فلم أرد استقبالك فى ثياب الحداد »

فقال : « ولكن أمراً آخر يستدعى الإيضاح وهو لماذا لم يكن قبرى فى داخل المنزل كما هى العادة بل خلف المنزل فى الحديقة ؟ »

فلم تستطع الزوجة مع ذكائها أن تجيب عن هذا السؤال

ونظر شوانج إلى كؤوس الخمر والشموع الموقدة وموائد العرس ، ولكنه لم يبد ملاحظة أخرى بل طلب إلى زوجته أن تناوله كأساً من النبيذ ففعلت وهى تهش فى وجه زوجها وتبسم له . ولكنه رفض أن يتناول الكأس ، وقال : « انظرى إلى الرجلين الواقفين خلفك »

فنظرت ورأت الطالب وخادمه فارتجفت . ولكنهما اختفيا فى الحال فعادت إلى النظر إلى زوجها فوجدته اختفى كذلك . ثم عادت إلى النظر خلفها فلم تجدهما ، والتفتت فرأت شوانج أمامها مرة أخرى فأدركت الحقيقة ، وهى أن الطالب وخادمه لم يكونا إلا طيفين خلقهما روح شوانج ، ووجدت من العبث إنكار الحقيقة عنه

ولما اعترفت بها وضعها فى الصندوق الذى كان مدفونا فيه ثم أضرم النار فى منزله فلم يسلم منه شئ غير كتابى « نانهوا » و « سوترا »

ثم سافر شوانج متجهاً إلى ناحية الغرب ولا يعرف أحد إلى أين ذهب ، ولكن شيئا واحدا هو الذى يوثق به وهو أنه لم يعد إلى التزوج مرة أخرى

ع . ه

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٢ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٢١٠٣٩٠

20 me année No 1002

Le Caire 15 — 9 — 1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الأزهر في مفترق الطرق

أبداً ما كان يخطر بالبال أو يقع في الظن أن الفساد وإن طم وعم يدنو من الأزهر وهو معقل الدين، ويعلق بالعلماء وهم وراث النبوة. ذلك لأن العقل لا يجيز أن يكون المصباح الذى يهدى هو الذى يضل، وأن الإكسير الذى يشفى هو الذى يُعل، وأن السائل الذى يطهر هو الذى يعدى! ولكن الأزهر الذى لزمناه اثنتى عشرة سنة من أوائل هذا القرن نتفقه فيه ونتأدب لم يعد هو الأزهر. والعلماء الذين كنا نأخذ عنهم الدين بالاعتقاد، والخلق بالقدوة، والعلم بالعمل، لم يعودوا هم العلماء!

لقد استجاب الأزهر الحديث لدواعى الفتنة، وتأثر العلماء الأحداث بعوامل المادة، وزُين للدينيين ما زُين للدنيويين من حب الشهوات، فتنافسوا في المكاسب، وتفارسوا على المناصب، ورضوا بميسور العلم حتى انحصرهم الأستاذ في المقرر، واقتصر جهد الطالب على المقروء!

من أجل ذلك كتبنا وكتب المخلصون لدين الله ولرسالة الأزهر، نصف هذه العلل، ونستطب لها بالرجاء والدعاء؛ وما كانت وجهة رجائنا، ولا قبلة دعائنا، إلا أن يقيض الله لهذا الحصن الباقى من حصون الإسلام رجلا من أهله ينقذه من العصبية المفرقة، والمادية الموبقة، والعلم المشوب، والمعلم الجاهل، والمتعلم الفج، والكتاب المعقد. ثم لاحت تباشير الفوز في عهد الإمام مصطفى المراغى بعد أن حجبتها السحب الجون بموت الإمام محمد عبده؛ فتصارع الفساد والصلاح، وتعاقب الفشل والنجاح! ولكن الأرض كانت لا تزال نكدة فذوى الغراس وكذبت بروق الأمل

وفي السنين العشر الأخيرة اجتاحت مصر كلها من شلالها إلى دالها جائحة من طغيان القصر وفجور الحكومة وعبث الأحزاب، ففسدت الذمم، وصغرت الهمم، ونغلت الصدور، ووقحت الأطماع، ففزع الناس إلى الله يستهدونه الطريق، ويستمدونه المعونة. ثم رفعوا أبصارهم إلى القيادة الدينية العليا، فلم يجدوا في الأزهر حرارة من نار سيناء، ولا شعاعة من نور حراء؛ فكادوا يضمرون اليأس من صلاح الحال، لولا أن نعش الله عاثر الأمل فاختار لمشيخة الأزهر المصلح الثالث الإمام عبد المجيد سليم

والإمام عبد المجيد يختلف عن الإمامين السابقين بأنه يؤمن بالأزهر إيمانه بالله، ويعتقد اعتقاد المؤمن بأن العمل لإصلاحه عبادة، وأن الأذى في سبيله تمحيص. فهو يتولى مشيخته على أنها جهاد وبذل، لا على أنها منصب ومل. يتولاها بتقوى المتحنث، وزهد المتصوف، وصبر المجاهد، وفقه المجتهد. لا يراقب إلا الله، ولا يؤثر إلا الحق، ولا يتوخى إلا الصواب، ولا يبغى إلا الخير. وتلك هى الصفات التى انفرد بها هذا الإمام من بين جيله

فإذا أراد الله له أن ينجح — وفي نجاحه نجاح الأزهر — صد الرياح الهوج عن مصباحه، ودك العقبات الكئود من طريق إصلاحه، وإلا كان الشيخ الأكبر واأسفاه آخر شيخ يجمع الناس على فضله، ويرجون على يديه الخير للأزهر وأهله!

احمد حسن الزيات

نحو بعث جديد

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

إن الحركة الموفقة هي التي يتبعها بعث، والوثبة المباركة هي التي تتبعها نهضة . ومن أزم اللوازم لحركة الجيش بعث جديد ، بعث فى الشعب والحكومة والدستور ، وبعث فى الأزهر والدين ، وبعث فى الأحزاب والهيئات ، وبعث فى الإذاعة والمسرح ، وبعث فى كل شئ يتصل بحياتنا ونهضاتنا ومثلنا العليا

فالشعب المصرى يجب أن يبعث من جديد إزاء هذه الحركة المباركة ، فقد ظل السنين الطوال الثقال لا يؤمن بغير العبودية دينا ، ولا يعتنق غير المسكنة عقيدة ، ولا يتخذ غير المصابرة والمسالة مبدأ . وظل السنين الطوال الثقال لا يعترف له بوجود ، ولا يقر له بكيان ، لأنه آثر السكوت على الرأى الحر ، وفضل الهدوء على الإنكار على الباطل ، وقدم التوارى على تقويم الاعوجاج . وظل السنين الطوال الثقال فى حضيض الفاقة ، بينما السادة الأغنياء فوق قمة من الثراء ؛ ووسط أمواج من التعاسة والشقاء ، بينما السادة الأغنياء داخل أبراج من الترف والبذخ . وظل السنين الطوال الثقال محكوما كما يحكم العبيد ، ومسوقا كما تساق الأنعام ، وتستبد به كل حكومة منحت سلطة الحكم المطلق ، ووهب لها سياط الحكم الإقطاعى الجائر . وهذه الحركة المباركة فرصة للشعب المصرى حتى يبعث من جديد ، فيكون مصدر السلطات كما تتضمنه دساتير العالم ، وتكون إرادته فوق إرادة حكومته كما هو فى دول الدنيا الناهضة ، ويكون حرا متحررا لا يقر بالعبودية لإنسان ، ولا ينكس رأسه لمخلوق ، ولا يرغم على اعتناق عقيدة لا يرتضيها ، ولا على الاستمساك بمبدإ لا يرغب فيه . ولا على سلوك حياة لا يطمئن قلبه إليها

والحكومة فى حاجة إلى بعث جديد ، فقد كانت من قبل أداة فاشلة يستغلها الاستعمار لمصالحه ، ويسخرها لرغباته ، ويسيرها الطاغوت المتربع على عرشه كما يهوى ويحب ، وما كان يهوى إلا الفوضى فى شتى ألوانها ، وما كان يحب سوى الهرج ، شأنه شأن الصبية فى الأزقة والدروب ، وكانت الحكومة موظفة لدى الطبقة الأرستقراطية ترضى أهواءها ، والطبقة الرأسمالية تحرس ضياعها وتزيد فى أموالها ، والطبقة المترفة العابثة تهيئ لها سبل الترف ، وتمهد لها الطريق إلى العبث ، وتجلب لها الفرق الراقصة الأجنبية على حساب الشعب المكدود حتى لا تتكبد مشاق السفر إلى أوربا ، ووعثاء الجو إلى الدنيا الجديدة ، وهذه الحركة المباركة يجب أن تضع حدا لتلك الفوضى ، فتصوغ الحكومة فى قالب جديد ، حتى تفهم كل حكومة أنها موظفة لدى الشعب تعمل على إسعاده وراحته ونهضته ، وتعمل على استقراره ورفاهيته ، وتضع الأسس السليمة للعدالة والمساواة بين أفراده

والدستور فى حاجة إلى بعث جديد . وحسبنا دليلا على هذه الحاجة أنه ظل قرابة ثلاثين عاما لم يقدم مصر خلالها شبرا نحو الأمام ، وأنه تضمن من المواد ما يجعل الملك فى منزلة الآلهة ، وحاشيته فى درجة الأحبار ، وأعضاء حكومته فى صفوف الملائكة ؛ ومن المواد ما يجعل هؤلاء جميعا فوق القانون لا يسألون عما يفعلون ، ولا يحاسبون عما أجرموا . والدستور الجديد الذى يتفق وهذه الحركة المباركة يجب أن يكون دستورا حيا يحقق الخير لمصر ، والعدالة الاجتماعية لشعبها . ولا نعتقد أن ترقيع الدستور يحقق الغرض ، فحسبه من الهوان أنه دستور مرقع . ولسنا ندرى لم نهمل دستور الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفيه غنى عن كل دساتير العالم ، ونحن أمة مسلمة لا خير فينا إذا لم نعتز بتراثنا ونعتد به

والأزهر فى حاجة إلى البعث ، يجب أن يطهر من الحزبية الهزيلة لأنه أكبر من أن يتحزب ، ويطهر من التعصب لأنه أجل من أن يتعصب ، ويطهر من المناورات الصغيرة حتى ينال تقدير العالم وثقة المسلمين . إن له رسالة دينية إنسانية فيجب أن يعيش من أجلها ، ويبتكر المناهج التى تحقق أغراضها . إن للشعوب المسلمة عليه واجبا ، فيجب أن يرفع مستواها وينهض بأفكارها .

والدين فى حاجة إلى البعث ، لأن عهد الإقطاع والإرهاب قد جعل منه دينا هينا لينا ، وجعل منه مخدرا يخدر الفقير حتى لا يعرف حقه على الغنى ، ويخدر المحكوم حتى لا يعرف حقه على الحاكم ،

وتخدير الشعب فى مجموعه حتى لا يعرف قدر نفسه ، وحصره فى حدود التكاليف الشرعية ، وتوافه الأمور التى لا تتصل بأسسه ، حتى يظل بمعزل عن السياسة وبمعزل عن الحياة ، وبعث الدين يجب أن يقوم على عاتق الأزهر والجماعات الإسلامية الناهضة حتى يؤدى الدين رسالته التى ارتضاها الله له ، ورضيها لعباده ، والتى يجب أن تحقق العزة والسعادة لأتباعـه فى مشارق الأرض ومغاربها

والأحزاب والهيئات فى حاجة إلى بعث جديد ، لأن الأحزاب السياسية لم تكن طيلة السنين الماضية سوى نوادلعلية القوم وأعيان مصر ، يدلفون إليها لاحتراف السياسة والتعلق فى حبال الزعامة التى هى أوهى من خيوط العنكبوت . ويثرثرون بين جدرانها ليليقوا بكراسى الوزارة أو مقاعد البرلمان — أما منهاج هـذه الأحزاب فهو تضياع الأوقات فى غير جـدوى ، وأما هدفها فهو كراسى الحكم التى تحيا وتموت عليها ، ولأن الهيئات الدينية والاجتماعية ظل معظمها مظهرا لاجوهر له ، وشكلا لا حقيقة له.وعلى الأخص الهيئات الدينية التى احترفت الظهور ، فى توافه الأمور، والتعصب للقضايا الفاشلة . وحسبك أن تضحك من جماعة دينية ضخمة تنادى باللحية والعذبة ولا ترى الإسلام إلامنحصرا فيهما ، وجماعة ثانية تندد بالأضرحة والأولياء ولا ترى الإسلام إلا منحصرا فى التنديد بها ، وجماعة ثالثة تطارد المرأة ولا ترى فى المسلمين خيرا إلا إذا طاردوها ، ورابعة وخامسة إلى مالا ينتهى حصره من هذه الجماعات التى حصرت جهادها فى سفساف الأمور، أما مهامها فهى أعجز من أن تجاهد فى سبيلها . ومن حق هذه الحركة على هذه الجماعات الضئيلة أن تبعث من جديد ، فتحصر جهادها فيا يقدم الإسلام وأمته ، ويحل مشكلاتها ويحقق أمانيها

والإذاعة المصرية والمسرح والسينما جميعها فى حاجة بل فى أمس الحاجة إلى البعث الجديد، لأنها موارد طيبة ومنابت خصبة للنهوض بالثقافة والأدب والعلم والمجتمع ، فعلى الإذاعة أن تتعفف عن الأغانى الساقطة والتمثيليات الهزيلة والقصص الركيكة، وعليها أن تسقط من برامجها التواشيح المهلهلة التى تسيء إلى الإسلام ، والأحاديث الدينية المضطربة التى تشوه جماله ، وعليها بعد هذا أن تبدأ عهدا لا تكون فيه تكية من التكايا التى تؤوى العجزة والعاطلين . وعلى المسرح والسينما أن ينتقل إلى حياة مشرقة لا تعيش فيها الأفلام الساقطة التى تلطخ جبين الفن بالعار ، وتسود صفحته بالفضيحة ، وتنزل بمستوى الشعب إلى الحضيض . وإذا كان للرقص والمجون والعربدة أثر فعال فى نجاح كثير من الأفلام فى العهد البائد ، فلا نظن أن هذه المخازى سيكون لهادرة من الأثر فى نجاحها فى هذا العهد المشرق ، لأن مصر اليوم فى حاجة إلى أفلام تجمل مصر فى المقدمة ، وتجلس شعبها فوق القمة ، وتعالج المشكلات المستعصية ، وتكافح الأمراض الاجتماعية المتوطنة ، وليست فى حاجة إلى الأفلام التى تثير الغرائز ، وتشجع على الرذيلة ، وترسم طرق الاحتيال والنصب للمشردين والعاطلين

نريد بعثا جديدا فى كل شيء يتصل بحياتنا وتتأثر به نهضاتنا حتى تؤتى حركة الجيش المباركة أكلها كل حين بإذن ربها ، وتثبت للدنيا أن مصر جديرة بها ، وأن شعبها خليق بثمراتها

محمد عبد الله السمان

إلى القوى الأمين

الرئيس اللواء محمد نجيب

من شيخ فى الشام

يا سيدى :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها قد كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

وما كان فاروق (على قبح سيرته ، وتسخيره عقله لشهوته وسلطانه للذته) رأس الشر ، بل كان ذنبا طويلا من أذنابه. وما كان فاروق أصل الفساد، بل كان فرعا عاليا من فروعه، سمق حتى بدا ، وبسق حتى أظل ، وإن كان بعض الشر كالعقرب ، أخبث مافيها الذنب، ومن الظل ظل ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغنى من اللهب

إن رأس الشر التربية التى صنعت فاروق . وهذه الحياة المستهترة المنحلة التى مكنت لفاروق . ومادام الجذع قائما ، والتربة منبتة ، فإنه سيخلف الفرع المقطوع ، فروع

وما فاروق ؟ ولد نشئ على أن يعطى كل ما يطلب ، ويمنح كل ما يريد . على غير تقوى ولا حياء . ما يعصمه من خوف الله عاصم ، ولا يمنعه من هيبة الناس ما يمنع أوساط الناس ، فأدت به البداية إلى هذه النهاية . ولو كان الزمان مقبلا ، والتربية صالحة، والأمة نقية دينة كما كانت أمة صدر الإسلام ، وربى فاروق على ما كان يربى أبنـاء المسلمين فى ذلك الزمان ، لكان (الملك الصالح) حقا

ومادام هذا الفسوق باقيا ، والتكشف والاختلاط والفساد، ومادام فى الناس آلاف يعيشون عيش انطلاق وراء اللذة ، وسعى لنيل الشهوة ، من حل ومن حرمة

وما دام فى الأطفال آلاف يربون الآن على نحو ما ربى عليه فاروق ، فمن يأمن أن ينجم غدا أو بعد غد من ينال منهم على فساده سلطانا فيكون شرا على الناس من فاروق ؟

* * *

فإذا أردت الإصلاح يا سيدى حقا . وأنت لا شك تريده ، فاقطع أصل شجرة الفساد، واسحق رأس الأفعى ، واستأصل بذور الداء ، فإنه لا يكفى أن تفقأ الدمل ، ولا أن تدفع (التوبة) ، إن ذلك يريح المريض ولكنه لا يشفيه . ما الشفاء إلا قطع أسباب الداء . ووقاية الجسم من عدواه، وتقويته حتى لا تؤثر فيه العدوى، ولا يكون ذلك إلا بمحاربة الدعارة ومظاهر الإثم ودواعيه أولا ، ثم بتشجيع الزواج الحلال ، ليغنى عن الزنا الحرام، ثم بإصلاح المدارس ، وتنشئة الناشئة على خوف الله . وكراهة المعصية ، وعلى الرجولة والعفاف وابتغاء المعالى

ولا يقولن أحد ما شأن (شيخ فى الشام) بالإصلاح فى مصر ؛ فإن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد . والإسلام لا يعرف هذه الحدود . وإن النصح واجب . لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. ثم إن هذا الفساد الذى نشكو منه إنما جاءنا (ولا حياء فى الحق) من مصر ، فلعل مصر إن صلحت جاءنا الصلاح من مصر ، وهذا (الشيخ) بعد ذلك كله مصرى قدم الشام جده الأدنى ، فهو مصرى الأصل ، شامى المولد، عراقى تارة ، حجازى تارة

فى الشام أهلى وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخوانى

* * *

فى مصر يا سيدى ست مدارس تعلم الناس الفساد : مدرسة التكشف فى الحدائق والشوارع والحفلات والشواطئ ، ومدرسة المجلات ، ومدرسة الإذاعة، ومدرسة الأفلام ، ومدرسة الملاهى . وهذه المدارس الرسمية التى وضع بذور الشر فيها (دنلوب) ، ورعاها حتى نبتت من بعده (دناليب ...) !

أما التكشف فلقد عشت فى مصر دهرا ، ورأيت منه عجبا ، أفخاذا بادية ، وعورات ظاهرة ، فى حديقة الحيوانات وسائر الحدائق، وعلى العربات البلدية ، وفى الأعراس التى تقام على السطوح . ولقد رأيت والله رجالا يستحمون عراة لا يسترهم شئ تحت جسر الملك الصالح حيث يلتقى طريقان من أعظم شوارع مصر ، طريق الجيزة وطريق الفسطاط ، وخطا (ترام) وسبيلا (أتوبوس) ، ورأيت بنتا تنزل فى الماء كما خلقها الله — أى والله العظيم — لتغسل طبق فجل لتبيعه . أما العرى على الشواطئ فشئ أفظع من أن يوصف، وإن كنت زرت مصر مرارا وأقمت فيها سنين ولم أره بحمد الله قط

أما المجلات الأسبوعية المصورة فلقد كانت معولا لهدم الأخلاق ، سارت على طريق معبد، وفق خطة موضوعة، لإضعاف الأمة بصرف شبابها إلى الشهوات، وشغلهم بالغرائز الجنسية ، عن الجهاد الوطنى، والتسلح بالرجولة والقوة والصبر .. ومحاربة المستعمر . ولقد بلغت منا هذه المجلات أكثر مما بلغته جيوش الاحتلال جميعا، وكانت أنفع لأعدائنا من كل ما ساقوه إلينا من حملات ، وما أنفقوه على حربنا من أموال

ثم جاءت هذه الأفلام :

هذه الأفلام التى بحت الحناجر ، وبريت الأقلام ، وامتلأت الصحف بالكلام عنها ، وبيان شرها ، وسوء أثرها فى نفوس رائيها ، أفلام لا موضوع لها ولا حوار ، ولا تمثيل فيها مثل تمثيل الناس ، ولا إخراج مافيها إلا التخنث والخلاعة والسفوط والخزى ورقص البطن ، والبهريج[1] البارد ، والتقليد السمج ، حتى صار لقب المصرى فى فلم علامة على سقوطه وانحطاطه ، وصار المهذب من الناس والشريف ومن يعرف لنفسه قـــدرها يتحامى هذه الأفلام ويحمى أولاده منها ، وصار من المعروف أنه لا يرتاد دورها إلا العوام والسوقة والرعاع وسفلة الناس ، ولا يخرج مع ذلك الكثير منهم إلا وقد ملأ نفسه التقزز والاشمئزاز و (القرف...)

إن هذه الأفلام دعاية على مصر لا لمصر ، لو أنفق اليهود نصف أموالهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى بعضها ، وهدم لكل ماتبنيه المدارس وما يقيمه المعلمون والمصلحون ، ودرس فى التخنث ، وسقوط الهمة ، والبعد عن عزة الإسلام وخلائق العرب ، وفصاحة اللسان، والرجولة والإباء . وإن محاربتها أوجب من محاربة الكوليرا واليهود ، لأن الكوليرا تفتك بالأجساد، وهذه تفتك بالأعراض والأخلاق ، واليهود وراء الحدود ، وهذه منا وفينا

أما الإذاعة فقد كان من الممكن أن تكون مدرسة ليس لها نظير وأن نجعل منها أداة للاصلاح لا يستعصى عليها فساد ، ولكننا لم نتخذها مع الأسف إلا أداة للفساد . ولم نجد شيئاً نذيعه فيها إلا الأغانى ، أغان دائما وأبداً ، كأننا أمة من الصراصير فى الصيف لا تعرف إلا الغناء

(١) الكلمة مرية

أغان ليس فيها نصاعة البيان ، ولا روعة الأدب ، ولا حلاوة الأنغام ، ألفاظ عامية غثة باردة ، لا وزن لها ولا رنين ولا قافية ، كلها دعوة إلى الشهوة ، وإثارة للغريزة، وتصريح بطلب الفاحشة، ولو شئت ضربت الأمثال ، ولكنى أنزه قلمى عن أن يجرى بألفاظها ، أو أن يشرف بذكر اسمه أحداً من أصحابها

لقد كانت الأغانى الأولى ، أغانى حب وشوق ، ونداء روح لروح، ومناجاة قلب لقلب . وهذه صرخة داعرة من أفواه فاجرة

ولقد سكتنا من عجزنا وضعفنا عن إنكار منكرات الملاهى والحانات، وحمينا أنفسنا منها وأهلينا ، فما معنى أن تأتى الإذاعة فتنقلها إلى دورنا رغما عن آنافنا ، وتسممنا ما يكون فى الأفلام الخبيثة من أغان، وأن تنقل إلينا حفلات آثمة بكل مافيها . وإن نحن سددنا الراد عنها جاءنا الصوت من بيوت الجيران الذين يفتحونه على مصراعيه ، فيزعج كل راد دائرة قطرها مئة متر . وما معنى أن نحرم المنام إلى ما بعد نصف الليل لنسمع هذيان حفلة من هذه الحفلات ، أو غناء مغنية من المغنيات ؟ أليس فى الناس مرضى ؟ أليست لنا أشغال ؟ ألا نحتاج إلى النوم ؟ انعطل أشغال النهار كله أو نقضيها مرضى لأن الآنسة أم كلثوم كانت تغنى طول الليل ؟ وإن كانت ليلة جمعة ، ليس بعدها عمل . . . هل كانت ليلة الجمعة فى نظر الإسلام للطاعة والقيام ، أم لسماع أم كلثوم ؟

وما معنى أن تذاع كل أغنية مرة ومرتين وعشرا وعشرين نملها ونشعر أنها خرجت من أنوفنا ، وهبها أغنية جيدة فهل فى الدنيا ألذ من الفرانى[1] والبقلاوة والكنافة وما شئت من هذه الألوان. أطعم رجلا منها أبدا ، لا نطعمه غيرها فى الصباح والظهر والمساء يشته الخبز والبصل ... ثم إنها كانت مدرسة شر لأطفالنا ، فما منهم إلا حافظ لبعضها بدل حفظه آيات الكتاب ، والحكم والآداب . وصار أبناؤها يرددون أسماء الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات ، عوضا عن ترديد أسماء الأبطال والعلماء

* * *

بقيت المدارس يا سيدى . وأنا لا أتكلم الآن عن برامجها وإهمال تعلم تاريخ الإسلام ، وجغرافية بلاده ؛ فإن لذلك حديثا آخر طويلا ، ولكنى متكلم عما يتصل منها بالفساد الخلقى وهو

(١) الفرانى (ج فرنية) الكاتو بذاته

التيتــــوية

للدكتور عمر حليق

ليست التيتوية (نسبة إلى المارشال تيتو عاهل يوغسلافيا الشيوعيـة اليوم) مجرد خلاف عارض بين دولتين شيوعيتين بواعثه خصومة سياسية أو حزازات شخصية بين ستالين وتيتو ، أو اختلاف على زعامة الشيوعية العالمية التي اشترك هذان القطبان الماركسيان في خدمتهـا سنوات طوالا ، أداتها مؤامرة مزيفة بين قطبين شيوعيين يخدمان هدفا واحـــدا ؛ إنما هي « ردة » ايديولوجية جذورها في خلاف فكرى عميق على مسألة دقيقة في التعاليم المـاركسية تتعلق بتحديد العلاقات بين الدول اتخذت الشيوعية نظاما لها — تحديد يفسد على موسكو (وهي كعبة الشيوعيين) مركزيتها وسيطرتها المباشرة على النشاط الشيوعي في كل مكان ، ويوفر للدول الشيوعية خارج الاتحـاد السوفييتي حرية في التصرف تخالف مبدأ الوحدة الشيوعية العالمية وما تدعو إليه في تحالف وتعاون وتضامن في المبدإ والسلوك السياسي بين بعضها بعضا وفي علاقاتها مجتمعة مع العالم الخارجي

ولعل في استعراض حركة المارشال تيتوا الانفصالية عن موسكو ما يلقى ضوءا نافعا على ناحية هامة في العقلية الشيوعيـة ومستقبل نشاطها في الشؤون العالمية

* * *

انفردت يوغسلافيا من بين الأمم الأوربية خـلال الحرب العالمية الأخيرة بأنهـا الأمة الوحيدة التي استطاعت أن تقهر الاحتلال النازى قبل أن تلوح بوادر الهزيمة على ألمانيا النازية . فني حين، أن حركات المقاومة السرية في الدول الأوربية التي احتلتها جيوش هتلر كانت حركات ضعيفة مقيدة النشاط محدودة الأثر .. كانت حركة التحرر من الاحتلال النازى في يوغسلافيـا واسعة النطاق فائقة النشاط عمت الأكثرية الساحقة من الشعب اليوغسلافي ومكنته من أن يحتفظ بأجزاء واسعة من بلاده حرة طليقة لم تقو على استعبادها القوات النازية المرابطة في دسا كر يوغسلافيا ومعاقلها الرئيسية . وكان عزم اليوغسلافيين وبأسهم

ما عقدت له هذا القال

المدارس ياسيدى تفسد بناتنا ، وتعلمهن التكشف وتسوقهن إلى شفا المحرمات . وكم من متسترة ماتعلمت السفور إلا في المدارس ، وكم من متمسكة بعادات البلاد وأوضاع الإسلام . ما جرأها على الخروج عليها إلا المدارس

أليست المدارس تجبر البنات البالغات على كشف أفخاذهن في درس الرياضة في المدرسة ؟ ألا يأتي المفتش مثلا فيراهن على هذه الحال ؟ ومن في المدرسة من المعلمين الرجال ؟ ! أليست المدارس تعلمهن الرقص التوقيعي ، وفي الشام رقص السماح . وهو طريق إلى الفاحشة ، وباب من أبواب الفساد

ألا تـكشف العورات في العرض الرياضي العام أمام الآلاف من الرجال وتأتي هذه المجلات الآثمة فتنشر صورة ذلك في الدنيا كلها ، حتى يراها كل من لم يكن رآها

والاختلاط في الجامعة ؟ هل يرضى به الإسلام ؟ هل تقره سلائق العروبة ؟ أما رأيتم من مفاسده وشروره ما لا يجوز إبقاءه يوما واحدا ؟

وهذا طرف ممـا نشكوه من المدارس ، ولقد جاء مرة وزير للمعارف صالح مصلح اسمه مرسي بدر . شرع في الإصلاح ، فخاف لصوص الأعراض أن يسد دونهم الأبواب والنوافذ ، فقاموا عليه حتى أخرجوه . فخذ ياسيدى بالإصلاح فهذا طريقه ، واقض على الفساد فهذا رأسه ، واقطع شجرة الشر من جذورها ، فإن الرجاء منوط بك ، والأمل معقود عليك ، وإلا تستطع ذلك لم يستطعه أحد بعدك

أخذ الله بيدك ، وسدد خطاك ، وجزاك عن الحق والحرية والشعب والأخلاق خير الجزاء ، وجعل كل رجال الانقلابات ، وأصحاب السلطات ، مثلك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

دمشق (ع)

فى مقاومة الاحتلال الألمانى على أشده حتى بعد أن رضيت الحكومة اليوغسلافية الشرعية آنئذ أن تهادن النازية وتتعاون معها وتخضع لمشيئتها . وقد حقق هذا العزم لحركة التحرر جيشا منظما وجهازا إداريا انتزع السلطة من الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى أصبحت آلة فى يد القوات النازية المحتلة ، وما إن لاحت بوادر الهزيمة الألمانية فى الميادين الأوربية الأخرى حتى أسرع هذا الجيش اليوغسلافى الحر وجهازه الإدارى المنظم فطرد الألمان إلى غير عودة ، وأقصى معهم الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى تعاونت معهم — بما فيها النظام الملكى الذى فر من الميدان فى وقت مبكر

ومع أن حلفاء الغرب كانوا يمدون جيش التحرر اليوغسلافى ببعض الذخيرة والعتاد العسكرى والمعونة الأدبية إلا أن الفضل فى انتصاره يعود إلى وطنية الشعب اليوغسلافى وتضحيته فوق كل شئ آخر . وعلى ذلك ظل اليوغسلافيون مؤمنين بأن تحريرهم لبلادهم من سيطرة النازية كان مجهودا يوغسلافيا بحتا لا فضل لأحد فيه — لا لحلفاء الغرب ولا لروسيا السوفيتية

إلا أن انشغال ستالين ومكتبه السياسى بالحرب النازية ومعارك الشتاء على حدود موسكو ولينتغراد لم تله صناع السياسة الشيوعية الروس عن مراقبة مستقبل القارة الأوربية — ومستقبل يوغسلافيا على وجه الخصوص من حيث أنها منفذ حسن لمياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة على رمية حجر من الشاطئ الأفريقى الذى كان ولا يزال يحتل مركزا هاما فى خطط العسكريين والمسؤولين عن سياسة الحرب فى التاريخ المعاصر . أضف إلى ذلك أهمية اكتساب بلد كيوغسلافيا كقاعدة شيوعية فى منطقة البلقان التى كانت ولا تزال حدا رئيسيا من حدود المجتمع الشيوعى الأكبر التى نصبت روسيا السوفيتية نفسها وكيلة بتشييده محققة بذلك تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها مما لا يتسع المجال فى هذا المقال لاستعراضه

وقد ساعد روسيا السوفيتية على دوام الاتصال بالتطورات فى الوضع اليوغسلافى خلال الحرب العالمية الأخيرة ذلك النشاط الواسع الذى قامت به العناصر الشيوعية اليوغسلافية فى محاربة الاحتلال النازى متعاونة مع العناصر الوطنية اليوغسلافية الأخرى على نحو مافعلته العناصر الشيوعية فى الصين عندما تآلفت مع العناصر القومية فى محاربة الاستعمار اليابانى وغزوه المسلح للقارة الصينية

ولقد لعبت الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا أدوارا مماثلة لتلك التى قامت بها الحركة الشيوعية فى الصين من حيث أنها تسربت إلى القوات المسلحة والجهاز الحكومى والسلطة الشرعية التى كانت تحارب الاحتلال اليابانى ، فما إن تمت هزيمة النازيين حتى قامت العناصر الشيوعية فى يوغسلافيا باستخلاص الحكم والسلطة من الحكومة الشرعية والقضاء على النظام الملكى والعناصر التى كانت تسانده؛ وتلك التى تعاونت مع الألمان الغزاة . وكان المارشال تيتو — زعيم الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا — وثيق الصلة بستالين وبالقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية التى كان المارشال اليوغسلافى من أبرز أعضائها ، إذ سبق له أن مثلها لدى الجيش الشيوعى الإسبانى خلال الحرب الإسبانية الأهلية التى انتهت بفوز الجنرال فرانكو على خصومه الشيوعيين

وأخذ المارشال تيتو يطبق فى يوغسلافيا ما تلقنه من تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها عندما كان المارشال لاجئا سياسيا فى موسكو وصديقا شخصيا لستالين

وفى يونيه عام ١٩٤٨ — بعد ثلاث سنوات من استتباب النظام الشيوعى فى يوغسلافيا فوجئ العالم بخصومة علنية بين تيتو وستالين ، وقطيعة حادة بين روسيا السوفيتية ويوغسلافيا الشيوعية ، شغلت العالم فى تلك الآونة وكانت حديث الناس فى كل مكان

فلأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية يشق عضو من أبرز أعضائها عصا الطاعة على موسكو ويعرض نفسه وبلاده لخطر « التأديب » الروسى الذى كانت جيوشه على حدود يوغسلافيا فى البلقان وأوربا الوسطى الخاضعة للنفوذ السوفيتى .

ولكن يوغسلافيا ومارشالها استطاعا أن يحتفظا برأسيهما عائمين فوق الماء، وأن يضمنا لونا من المؤازرة العسكرية والسياسية من المعسكر الغربى — خصم الاتحاد السوفيتى — رغم أن يوغسلافيا ظلت بلدا شيوعيا فى أنظمته ومبادئه وأهدافه ومراميه

ولأول مرة سجلت قواميس اللغة كلمة « التيتوية » علما على

الشيوعيــة « القومية » التى تعيش على نظــام ماركسى بحت، ولـكنها لا ترتبط بالحركة الشيوعية العالمية عن طريق مركزها الروحى والإدارى فى موسكو

وليس المهم أن نتعرف هنا دقائق المراحل التى تمت بها هذه القطيعة بين البلدين الشيوعيين — بين موسكو والمارشال تيتو ربيبها السابق [1]، إنما المهم أن نأخذ بما يؤكده معظم الخبراء فى شؤون يوغسلافيا من أن هذه القطيعة قد تمت وأنها ليست مزيفة كما يعتقد بعض الناس

ووجه الخطورة فى هذه القطيعة أنهـا تستند إلى خلاف جوهرى على مبدإ أساسى من مبادئ الفـكر الماركسى.. ألا وهو تحديد السلطة المركزية التى يمارسها « الوطن الأم » وهو أول بلد يتوطد فيه النظام الشيوعى — على بقية الدول الشيوعية التى تنتمى إليه بالولاء وتشاركه فى السلوك وتؤمن بمـا يؤمن به من ضرورة تشييد المجتمع الشيوعى الأكبر فى هذا العالم المترامى الأطراف

ذلك لأن المارشال تيتو وأعوانه فى الحـكم لأيزالون يؤمنون ويطبقون التعاليم الشيوعيـــة كاملة فى يوغسلافيا ، ولايزالون يعتقدون بأنهـا أفضل النظم للعـالم بأسره ، ولا يزالون تواقين لمناصرة الحركات الشيوعية فى كل مكان كما تشهد بذلك مواقف الحـكومة اليوغسلافية فى هيئة الأمم وفى خارج هيئة الأمم فى دفاعهم عن وجهة النظر الشيوعية فى معظم المشاكل الدولية التى دعيت يوغسلافيا لإبداء رأى فيها ، أو تولت — غير مدعوة — لإبداء الرأى، [2] ولـكن المـارشال تيتو يرفض أن يمتثل لزعامة موسكو وهذا الرفض هو سر القطيعة بين تيتو وستالين

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلاف مبعثه حـدة القومية اليوغسلافية ورفضها الانقياد لدولة أجنبية حتى لو كان فى ذلك خروجا على المبدإ الماركسى الذى يصر على العمل الموحد والتناسق الدقيق بين الوطن الشيوعى المركزى « وهـو الآن الاتحـاد السوفيتى » وبين الدول الشيوعية المنتمية اليـه كما يعترف وزير الدولة اليوغسلافى « ميلوفان دجيلاس » فى عدد ابريل سنة ١٩٥١ فى مجلة الشؤون الدولية اللندنية

ثم إن هنالك تطورا آخر على قسط كبير من الأهمية فى مستقبل الحركة الشيوعية العالمية عقيدة وتطبيقا لتطور نجم عن القطيعة بين موسكو والمارشال تيتو ، وهو أمر يمس صميم التعاليم الماركسية وشروح لينين وستالين عليها — وهى إنجيل الشيوعيين فى كل مكان . فالحركة الشيوعية فى يوغسلافيا تمر الآن فى انقلاب فـكرى خطير مبعثه نضال المارشال تيتو لبناء المجتمع اليوغسلافى على أسس ماركسية صادقة دون أن ينتظر العون والتأييد والإرشاد والتوجيه من الاتحاد السوفيتى ومن « الـكومنفورم » [3] الذى هو فى الواقع دائرة عظيمة النفوذ تابعة لوزارة الخارجية الروسية . ولقد وجد المارشال تيتو نفسه منفردا فى مسعاه يواجه تحديا عنيفا فى منطقة النفوذ الشيوعى فى أوربا الشرقية والبلقان ويتقاعس عن الارتماء كليا فى أحضان المعسكر الغربى

ولـكن الغزل السياسى والدبلوماسى الذى أخذ يزداد فى الآونة الأخيرة بين يوغسلافيا وبين دول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية شق الطريق إلى صميم المجتمع اليوغسلافى الشيوعى وحمل إليه أنوانا من الفكر والأدب والفن الغربى « الرأسمالى » فأوجد تشويشا فى الفكر والثقافة والعقيدة الشيوعية السائدة بين ولاة الأمور فى يوغسلافيا وبين طبقات المجتمع اليوغسلافى . فالأفلام الأمريكية ، والقصص والبحوث الفرنسية ، والصحف والمجلات البريطانية ، وجوقات الموسيقى والمسرح الأوربية والأمريكية .. أصبحت الآن أشياء مألوفة لدى المواطنين اليوغسلافيين ، بعـد أن انقطعت صلتهم بالحياة والفكر الغربى عشر سنوات طوال

ونتج عن هذه الغزوة الثقافية أن تأثر عدد من أبرز أعضاء

---

(١) أصدرت جامعة هارفارد مؤخرا دراسة ضافية عن هذا الموضوع

(٢) تصدر الحكومة اليوغسلافية مجلة خاصة بالشؤون الخارجية تسجل فيها آراءها فى المشاكل الدولية وتطبع بغير اللغة اليوغسلافية للاستهلاك الخارجى منافسة بذلك مجلة (الـكومنفورم) لسان حال القيادة الشيوعية العالمية

(٣) الـكومنفورم هو الاسم الجديد للقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية . وكانت هذه القيادة تعرف إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة باسم آخر هو « الـكومنترن » إلى أن ارتأى ستالين الغاء هذه القيادة دفعا لأذى الدول الرأسمالية في السنوات التى سبقت الحرب العالمية الأخيرة وخلال سنوات الحرب . ثم أعيد تشكيل هذه القيادة للحركة الشيوعية العالمية فى سنوات ما بعد الحرب وأطلق عليها اسم « الـكومنفورم » ولها لسان حال يصدر بانتظام فى لغات أجنبية عديدة

الحزب الشيوعى فى يوغسلافيا ، وصناع السياسة وقادة الفكر فيها بهذه التيارات الفكرية ، وظهر هذا التأثير فى موجات من النقد الخافت الموجه إلى النظام الشيوعى وأساليب تطبيقه ؛ الأمر الذى أزعج المارشال تيتو وأعوانه الخلص من الماركسيين المتعصبين للتعاليم الشيوعية . وقد أعرب عن هذا الانزعاج المارشال نفسه فى خطاب ألقاه مؤخراً [٤] ، ندد فيه بهذه الشعوبية وود لو أن يوغسلافيا طهرت نفسها من هؤلاء الشعوبيين ، حتى لو استدعى ذلك إقصاء مائة ألف شخص من عضوية الحزب الشيوعى .. وهذا تعبير يعكس ما يعترى المارشال من قلق وانزعاج

وكرر (موشى كروكجى) وزير خارجية تيتو هذا التنديد فى تصريح آخر حذر فيه هؤلاء الشعوبيين بأن من حق الدولة الشيوعية ومن واجبها أن تضع حدا للتيارات الشعوبية التى أخذت تنتشر فى أوساط المجتمع اليوغسلافى بفعل البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية

وقد عزز المارشال تيتو القول بالعمل ، فأخذ يقصى عن مراكز الحكم نفرا من أهم أعوانه من الذين ألموا بهذه الشعوبية لكنه لم يستطع أن يضع حدا لهذا الاتجاه الطارئ ، فلم يفرض رقابة على البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية خشية أن يفقد عطف المعسكر الغربى بعد أن اختار القطيعة التامة مع المعسكر السوفيتى

ولم يجد تيتو بدا من أن يلجأ إلى المساومة . فاختار نفرا من قادة الفكر الشيوعى فى يوغسلافيا وكلفهم بوضع تفسير جديد للتعاليم الشيوعية يوفق بين جوهر الفلسفة الماركسية وبين بعض النظريات والمبادئ السياسية والاقتصادية والثقافية التى تعيش عليها الدول والمجتمعات فى أوربا الغربية والعالم الجديد [٥] وتوخى هذا التفسير الجديد أهدافا محدودة منها التأكيد بصلاح الشيوعية لتشييد المجتمع المثالى ليوغسلافيا ولجميع الشعوب

ومنها رفض أساليب ستالين ومكتبه السياسى وسياسة « الكومنفورم » لبناء المجتمع الشيوعى . انتقدها انتقادا لاذعا ووصف الاتحاد السوفيتى بأنه دولة استعمارية سلاحها البطش والعدوان

ومن هذه الأهداف كذلك تحرير الجهاز الحكومى فى يوغسلافيا الشيوعية من المركزية الصارمة ، واقتباس نواح من فن الإدارة «الديمقراطية» المصطلح على اتباعها فى الغرب ، بحيث تنتفى من الماريشال تيتو وحكومته التهم « الديكتاتورية » الموجهة اليه من أوساط الغرب ومن بعض الأوساط اليوغسلافية التى تأثرت بالغرب وآرائه ومعتقداته وتحليلاته السياسية عن الوضع اليوغسلافى

وأخذ التفسير اليوغسلافى الجديد للشيوعية يتفلسف ما استطاع ليجعل من المارشال تيتو صورة تخالف الصورة المعهودة فى الغرب عن ستالين ؛ وهى صورة الحاكم المستبد الذى لا مرد لأمره ، والذى يستند فى تنفيذ مآربه إلى جهاز دقيق من البوليس السرى ، فيتعقب الناس ويسترق آراءهم ويبطش بهم إذا ألمت بهم شعوبية أو أضمروا سوءا للعهد القائم

وخلاصة القول فى هذه الإيديولوجية الشيوعية الجديدة التى يحاول تيتو بواسطتها التوفيق بين ماركسيته ورأسمالية أصدقائه الجدد فى المعسكر الغربى .. أنها كما قال وزير الدولة اليوغسلافى « ميلوفان دجيلاس »

«استنباط فكرى لاسابق له . فبلادنا الصغيرة (يوغسلافيا) بلاد جريحة ولم يكتمل نموها بعد. وعليها [٦] أن تناضل لا للتنمية مرافقها فحسب بل لصيانة كيانها القومى »

* * *

أليست هذه المحنة التى دفع إليها الشعب اليوغسلافى أشبه بالمحن التى تنتاب معظم البلدان فى آسيا وفى شرقنا الأوسط ؟ — بلاد متخلفة تحاول أن تنمى مرافقها وتقوى كيانها القومى فى آن واحد ، وفى وجه تيارات سياسية واقتصادية وثقافية تهب عليها من الفريقين المتخاصمين اللذين يهيمنان على مقدرات العالم هذه الأيام

نيويورك

عمر حليق

(٤) ابريل سنة ١٩٥٢ فى حفل من شبيبة اليوغسلافية

(٥) فى بحث عن « آراء حول تيتو » نشرته مجلة الإيكونومست البريطانية فى عدد ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

(٦) الإيكونومست ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

رحلة أبى الطيب
من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي

تتمة البحث

وكنت إذا يممت أرضا بعيدة   سريت فكنت السر والليل كاتمه

شعوران قد تملكا قلب أبى الطيب فى رحلته ، وأعترف بأنى أشاركه فيهما : شغفه بالبادية والتغنى بمحاسنها ولياليها ، ومقته للظلم والطغيان ، فهو لا يذكر أيامه بمصر إلا مقرونة بالألم والحسرة ، ولا يمر بعقبة أو يخرج من أمر مدلهم ، إلا عد ذلك نصرا على كافور وظلمه وطغيانه ، ولا يترك مناسبة دون التغنى بالبادية

إنك لا تشعر بشعور أبى الطيب إلا إذا عشت بالبادية ، ورأيت سماء الصحراء المقمرة أو لياليها التى تسطع فيها النجوم . إننى أذكر ليلة مقمرة فى وسط الصحراء كدت أقرأ فيها على ضوء القمر صفحة من كتاب . ولقد تركت هذه الرحلة برغم مصاعبها أكبر الأثر فى نفس أبى الطيب ، حتى أنه بعد مضى أكثر من سنتين تقرأ له فى قصيدة وضعها سنة ٣٥٢ هـ أبياتا تشعرنا بحنينه الذى ملأ قلبه وقت السفر إذ قال يذكر مسيره من مصر ويرثى أبا شجاع فاتكا :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم   وما سراه على ساق ولا قدم
ولا يحس بأجفان يحس بها   فقد الرقاد غريب بات لم ينم

وهو مع ما أوتيه من نصر لتغلبه على الصعاب ، يذكر حر الشمس فى وسط القيظ ، طول أيام السفر فى الفيافى فيقول :

تسود الشمس منا بيض أوجهنا   ولا تسود بيض العذر واللمم

ثم تجده لا ينسى مدح المطايا التى لولاها لما خرج من مصر بعد ما لقيه من الظلم والعنت فيها :

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها   قلبى من الحزن أو جسمى من السقم

فكأنه يسير فى تفكيره ليستعيد ما مر به من ألمه وأحزانه وهو الذى سبق له أن قال وهو بالفسطاط :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى   تخب بى الركاب ولا أمامى
قليل عائدى سقم فؤادى   كثير حاسدى صعب مرامى
عليل الجسم ممتنع القيام   شديد السكر من غير المدام

فلا غرابة إذن أن مطلع جبال حسمى قد غمر قلبه ، وأن رؤيته لتلك الشعاب قد نفخت فيه روحا جديدة ، بعد ما لقى من نصب ومتاعب فى رحلته ؛ وبعد ما تحمل فى مصر من ألم نفسانى ومرض أضنى جسمه

إن مناظر الجزيرة وجبال حسمى قد ملأت نفسه حبورا وجعلت منه إنسانا آخر . . نرى ذلك فى شعره ونحس معه أحاسيس الذى خرج من سجن وانطلق للفضاء .. ولا ننس أن بين حسمى ووادى القرى ليلتان ، وبين الأخير والمدينة ست ليال (١)

ولا يمر هذا الشعور دون أن يعتريه انفعال آخر هو إحساسه بالنصر والغلبة على كافور وكيده ، وأنه رفض أن يقبل الذل على يديه ، فهاهوذا قد ترك دنيا الظلم والظلام ، وذلك الوسط الذى قال عنه « كأن الحر بينهم يتيم » وقال فيه عن كافور « غراب حوله رخم وبوم » وهناك انطلقت شاعريته فى الكوفة فقال فى مواجهة الأحداث وليشهد الدنيا على انتصاره

لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أنى الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت   وأنى عتى على من عتا
وما كل من قال قولا وفى   وما كل من سيم خسفا أبى

وهو شعر يبلغ فيه النهاية ويترنم به من كان مثلى قد عانى الشدة وألم الاضطهاد ووقف أمام الظلم . رحم الله أبا الطيب وطيب ثراه ! انى أعد هذه القصيدة قطعة موسيقية من أروع ما أنشده هذا الشاعر العظيم . ولقد كنت ضحية للظلم يوما ، وتنكر لى أقرب الناس إلى ، وشعرت بشعور أبى الطيب ، وأقمت مدة وأنا أترنم بهذه الأبيات ، فأشعر بنفسى وقد قويت ، وأستمد منها شجاعة وصبرا..وهكذا يحيا شعر أبى الطيب فى نفوس من يفقه أمر المتنبى ومن عاش عيشته ومن انكوى بنوع من الظلم يشبه ما أصاب شاعر العرب العظيم

وأقسم بالله إنى لأتحين الفرص لرؤية حسمى العالية الأطراف

---

(١) ياقوت جزء ٣ صفحة ٢٧٦

والتى قيل أنلا مثيل لها فى الدنيا ، هذه الجبال الممتدة على خليج العقبة الملساء الجوانب ، والتى إذا أراد الناظر أن يمتع نفسه بالنظر إليها وإلى قنة منها ، رفع بأبصاره إلى السماء

إنها أوحت لأبى الطيب بالكثير من شعره عن نفسه ، وأعذب الشعر ما تحدث به الشاعر عن أحاسيسه ، والمتنبى إعصار هائل من أين أتيت إليه ، فهو عظيم فى حجمه وجبروته ، ولكن هذا الإعصار وسط الأدب العربى ، بلغ القمة وجاوز حدود العظمة حينما سجل بشعره آلامه وأحزانه وفرحه وغبطته ويوم انتصاره

وطابت حسمى لأبى الطيب فنزلها وأقام بها شهراً . أليست مواطن الأفذاذ من قبائل العرب ، التى لم تعرف الخنوع ولا الخضوع ، والتى على رغم قربها لملك كافور لم تسمح لنفسها أن تقبل ظلمه وجبروته وطغيانه

جاء فى كتاب الهمدانى (٢) أن إرم وحسمى والبياض هى مساكن من تشامم من العرب الأقحاح ، وقد سكنت لخم المنازل بين الرملة ومصر (الجفار) وطرق جبال الشراة ، أما جذام فكانت تسكن ما بين مدين وتبوك وامتدت إلى أذرح أو أذرع ، واحتلت عاملة جبلها المعروف باسمها ، من بحيرة طبرية إلى البحر

وبقيت جبال حسمى بين فزارة وجذام . ولما نزلها أبو الطيب وارتاحت نفسه إليها ، لم تتركه دسائس كافور ، وهو الذى عمل حسابا له فتحاشى أقرب الطرق إلى حسمى خوفا من كمين قد يرصده له فى طريق نزوله من رأس النقب إلى عقبة إيليا ، واضطر أن يسلك طريق الشام أولا ثم ينكص من تربان إلى غرندل ثم جنوبا إلى منازل جبال حسمى

أقول إن صاحب مصر أبى إلا أن ينغص عيش أبى الطيب وأن يتتبعه إلى الأطراف البعيدة ، فكتب إلى رؤساء العرب ووعدهم وواعدهم ، وبعد مضى شهر ظهر لأبى الطيب فسادنية عبيده وجاءت الحادثة مع وردان بن ربيعة من قبيلة طئ ، وهو الذى سمع بأن لأبى الطيب سيفا مذهبا ، فأخذ يلح فى أن يريه إياه ، وأبو الطيب يحاول التخلص منه ، لأنه سيف يعتز به ويحرص عليه ، فجعل الطائى يحتال على العبيد الذين فى خدمة أبى الطيب ويحرضهم عليه طمعا فى الحصول على السيف .

(٢) الهمدانى صفحة ١٢٩

وهنا اكتشف أبو الطيب أن أبا المسك صاحب مصر قد كاتب العرب الذين حوله، ولم يبق هناك مفر من الرحيل، فأرسل من يثق به إلى حي فزارة وبني مازن، وإلى شيخ من ولد هرم بن قطبة. فلما أتاه الخبر بقبوله النزول لديه شد ليلا على الإبل وجنب الخيل، وسار تحت كنف الليل على طريقته لما غادر الفسطاط والقوم لا يعلمون برحيله، وكان يقصد تضليلهم إذا حاولوا القبض عليه، كما ضلل من قبل جماعة كافور. ويظهر من تصرفاته أنه كان على علم وإلمام بطرق البادية، ومسالك البلاد وأسرارها، بدليل أنه اتخذ السير في طريق البياض وسار فيه ليلا حتى رأس الصوان، وهذا الدرب خطير يحتاج فيه الراحل إلى الخفارة لتعذر الأماز فيه وهو الطريق الذي يسلكه من يرحل من تيماء ووجهته الكوفة فيمر يسرة فيما يلي البياض ثم يخترق ديار ذبيان، فمنازل كلب في صحراء السماوة ثم الدهناء، فإذا مر منها واجهه نخل الفرات. وما وصل أبو الطيب إلى رأس الصوان حتى انكفأ عائداً إلى الشمال مرة أخرى، محترسا من أن يقع على كمين إذا سار في الطريق الأول

وفي صفحة ٤٩٥ من الديوان «وسار أبو الطيب حتى نظر آثار الخيل ولم يجد مع فليتة خبرا من العرب التي طلبها فقال له اخرق أو احرف بنا على بركة الله إلى دومة الجندل؛ وذلك لأنه أشفق أن تكون عليه عيون بحسمى قد علمت أنه يريد البياض، فصار حتى انحدر إلى الكفاف فورد البويرة بعد ثلاث ليال

ذكر ياقوت أن البويرة موضع بين وادي القرى وبين بسيطة الواقعة في طريق الكوفة

ومن ذلك يتضح أن أبا الطيب أقر في نفسه طريق السفر فجعل: أولا وجهته دومة الجندل

ثانيا تحاشي العودة إلى جبال حسمى

فكأن انحداره للبياض كان تمويها لأنه اتخذ كعادته طريقا آخر هو طريق الكفاف ثم البويرة

والخرائط لا تسعف هنا لأن المناطق الواقعة في أراضي المملكة السعودية لم تمسح بعد المساحة التفصيلية، فأبدأ بالكلام على هذه المواقع جاعلا أول الكلام على دومة الجندل ثم بقية الأماكن إلى الكوفة

إذا فتحت الخرائط وجدت منطقة الجوف تتوسط الصحراء وهي التي قال عنها صاحب جزيرة العرب، كانت تسمى قديما دومة الجندل[٣] والجوف هي البلدة الرئيسية تقع وسط منطقة زراعية كبيرة على رأس وادي السرحان والواحة واقعة في منخفض نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها[٤]

وفي هذا المنخفض واحات صغيرة مثل سكاكة وقارة والطوير وجاوة، وسكاكة هي أكبرها وتكثر فيها مزارع النخيل

ولأهمية موقعها طلب مندوب المملكة الأردنية في مؤتمر الكويت أن تكون حدود نجد كما كانت عام ١٩١٩ أي طلب إخلاء الجوف وسكاكة ووادي السرحان من قوات المملكة السعودية[٥] فطلب مندوب نجد استفتاء أهالي الجوف ففشل المؤتمر[٦]

وقد برز اسم دومة الجندل في تاريخ الإمام علي كرم الله وجهه ومعاوية، فقد ذكر المسعودي[٧] «وفي سنة ٣٨ كان التقاء الحكمين بدومة الجندل، وقيل بغيرها على ما قدمنا وصف التنازع في ذلك» وذكر اسم كتاب له فيه تفاصيل النزاع ضاع ضمن ما ضاع من مؤلفاته

ويقول الأستاذ الخضري في تاريخ الأمم الإسلامية[٨] «فتوافوا (أي الحكمين ومن معهما) بدومة الجندل بأذرح فيكون قد أقر بأن الاجتماع في دومة الجندل التي هي بأرض الشراة. وقد نقل هذا عن ابن خلدون[٩] الذي قال: وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل» صفحة ٤٤١

(٣) جزيرة العرب تأليف حافظ وهبة صفحة ٦٧

(٤) وموقع الجوف مهم جدا لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا ووسط بلاد العرب وهي منفصلة أو يقع في المنتصف، ما بين الفرات وطريق الحجاز الحديدي بين جبل شمر وجبل الدروز وعلى بعد ٣٠٠ ميل من كل هذه المواقع، وهي الواحة الوحيدة ما بين العقبة وبغداد أو العقبة والبصرة

(٥) صفحة ٢٤٧ جزيرة العرب

(٦) صفحة ٢٤٨ جزيرة العرب

(٧) جزء ٢ صفحة ٢٧٥

(٨) جزء صفحة ٤٣٢

(٩) ج ٢ صفحات ٢٥، ٢٨، ٣٨، ١٥٦، ٢٠٠، ٢١١، ٢٦٦، ٢٨٦، ٤٤٠، ٤٤١

« وكتب الكتاب لثلاثة عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ واتفقوا على أن يوافى على موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح فى شهر رمضان » ٤٤٠

وجاء ذكر دومة الجندل فى صفحة ٢١٦ « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بنى قريظة ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشام أولا ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات الثمام »

ولذلك اختلف الناس فى تحقيق موضع اجتماع الحكمين هل هو فى دومة الجندل بالصحراء أم فى دومة الجندل بأراضى المملكة الأردنية ؟ أى فى بلدة أذرح الواقعة فى نطاق دومة الجندل والتى كان يطلق عليها الصخرية

إننى أميل إلى الرأى الأخير وإن كنت أدعو أحد المهتمين بتحقيق الدراسات الإسلامية أن يضع بحثا عنها

وقد جاء فى كتاب تاريخ الإسلام السياسى مايأتى « اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى بدومة الجندل وهى بضم الدال وفتحه وتبعد عن دمشق بست مراحل وتقع على الطريق بين دمشق إلى المدينة»(١٠)

وكان عقد التحكيم مدته من رمضان إلى رمضان وكتب فى يوم الأربعاء ١٣ صفر سنة ٣٧ وأخذ الحكمان من على ومعاوية ومن الجند المواثيق واتفقا على تأجيل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على أن يوافى على ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فى رمضان فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا فى بلدة أذرح المبينة على الخريطة شمال غرندل وتربان

وبعث على للميعاد بأربعمائة رجل ولم يحضر على، وبعث معاوية بأربعمائة رجل ثم جاء معاوية واجتمعوا فى أذرح والتقى الحكمان

كل هذا يقتضى بأن الاختيار وقع أولا على دومة الجندل التى بالجوف لتوسطها بين الطرفين ولكى يحضر المتخاصمان أمام الحكمين ؛ ولكن معاوية الحريص على ملكه وحياته اختار الشق الثانى وجعل بلدة أذرع المكان المختار وقد يكون احتج بأنها قائمة بأرض دومة الجندل لأن هذه المنطقة كانت تسمى بأرض أدوم أو دومة من القدم ... فقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥١ أن دومة التى بها أذرح محرفة عن أدوم، وأنها البلاد التى يسكنها نسل دومة وهو أدوم بن إسماعيل أو سادس أولاده (تك ٢٥ : ١٤) وأنهم سكنوا فى صحراء سوريا على بعد ١٥٠ أو ٢٠٠ ميل من دمشق حيث توجد قطعة أرض تعرف باسم دومة الحجرية أو دومة السورية

وفى كتاب الإمامة والسياسة جـ ١ صفحة ١٣٦ مايشير إلى كتاب بين على ومعاوية اتفقا فيه على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام ويكون الاجتماع إلى دومة الجندل (وأظن أنهما يقصدان دومة الجندل بالجوف) فإن رضيا أن يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ... ثم ذكر فى صفحة ١٣٨ أن أباموسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل كان عقد التحكيم هدنة من رمضان إلى رمضان

وإذا رجعنا إلى اسم أدوم وجدنا أن معناه فى قاموس الكتاب المقدس أحمر وهو لقب عيسو بن إسحق أخذ بلون العدس يوم باع بكوريته إلى أخيه يعقوب وأخذ الأرض الواقعة جنوبى « حبرون » مدينة الخليل إلى جنوب البحر الميت ثم تخوم أرض موآب ثم اتسعت البقعة فشملت الأراضى الواقعة بين برية « سين » وغربيها إلى بلاد العرب الواقعة شرقيها أى شملت منطقة أذرح وما حولها . التى اشتهرت بجودة هوائها ، وخصب أراضيها ومناعة حصونها. أما تسميتها بأدوم فأخذا من عيسو الملقب بأدوم (تك ٣٦ : ٤٣) والمظنون أن نسله استوطن هناك فأصبح هذا القسم من جنوبى البحر الميت يشمل كل تخوم كنعان الجنوبية من البحر الميت إلى الخليج الشرقى للبحر الأحمر ومن ضمنها جبل سعير وكانت سالع عاصمة القسم الجنوبى وفيها استوطن تيمان بن عيسو (تك ٣٦ : ١١) فتسمى الجزء الجنوبى تيماء باسمه وكان للأدوميين ملوك يحكمون باسمهم

ولما جاء حكم الروم أنشأوا فى تخوم العقبة باباً كبيرا ووضعوا عليه شحنة لجبى الضرائب على القوافل القادمة من الجنوب ... وفى الاصطخرى وابن حوقل (١١) تمتد جبال أدوم من الشراة إلى أيلة أى العقبة كما جاء فى كتاب فلسطين تحت حكم المسلمين لمؤلفه جوى لوسترانج أن أدوم فى مادة الشراة

(١٠) صفحة ٢٨٦

(١١) صفحة ٢٨

أما تحقيق أدوم أو دومة الجندل لدى العرب فقد جاء في صفحة ١٠٦ جزء ٤ من معجم ياقوت كما يأتي : بضم أوله أو فتحه

ابن دريد : أنكر الفتح وعده من أغلاط المحدثين

حديث الواقدي : جاء فيه دوما الجندل

ابن الفقيه : عدها من أعمال المدينة ... وقال سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم

الزجاجي : دومان بن إسماعيل وقيل دوما

ابن الكلبي : دوماء بن إسماعيل ، ولما كثر ولد اسماعيل بتهامة خرج دوماء حتى نزل دومة وبنى به حصنا فقيل دوماء ونسب الحصن إليه وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ... وقال أبو سعيد : دومة الجندل في غائط في الأرض خمسة فراسخ وفيها عين يسقى ما به من النخل والزرع وحصنها مارد ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل » ولا يبعد أن وصفه ينطبق على دومة الجندل بالجوف والحصن على ما بناه الأكيدر وهو من فتح خالد بن الوليد . ثم يؤكد أبو عبيد السكوني أن دومة الجندل قرب جبلي طي ويقصد بذلك واحة الجوف لأنه يذكر بلدة دومة وسكاكة وذو القارة[١٢] أما دومة ففيها سور يتحصن به وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن أكيدر

ونعود إلى أرض أدوم أو دومة الجندل الصخرية فنقول إن هذه البقعة كانت عامرة في العصور السابقة وفي عهد الروم أنشئت بها كما قلنا أسقفية في « غرندل» تحريف «أرندل» التي بقيت على الطريق الروماني من العقبة إلى بصرى ، وكان يمر بأرض الشوبك وعليه حصن الكرك المشهور في الحروب الصليبية، وكان عامرة في عهودها الإسلامية بدليل سكنى الخلائف من قريش وبني هاشم ، وأن الدعوة العباسية قامت من بلدة الحميمة حين مات بها إبراهيم الإمام

وبعد هذا التحقيق والبحث كنت أقلب الجزء الأول من العقد الفريد تحقيق العلامة الدكتور أحمد أمين فوقع نظري في الصفحة ٢٦٤ سطر ١٣

« وأوصل أبو دلامة إلى العباس بن المنصور رقعة فيها هذه الأبيات

قف بالديار وأي الدهر لم تقف ... على مناظر بين الظهر والنجف

فإذا الحاشية (٤) تقول

(النجف بالتحريك موضع بظهر الكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها، وبالقرب منها قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) ولا شك في أن واضع الحاشية كغيره من الأدباء أغفل تحقيق الأماكن الجغرافية لعدم أهميتها، والحقيقة أن بالكوفة مكانا يدعى « دومة » والنجف محلة منها ويقال إنها سميت بذلك لأن عمر بن الخطاب لما أجلى الأكيدر صاحب دومة الجندل المشهورة في الجوف قدم الحيرة ثم بنى بها منزلا سماه دومة على اسم حصنه الذي نزع منه (راجع كتاب تاريخ الكوفة تأليف المؤرخ السيد حسين بن السيد أحمد البراقي طبع النجف صفحة ١٤٨ سطر ٢

ولا يصح أن يفهم القارئ خطأ بأن موضع دومة الجندل التي مر ذكرها واختلاف الرواة بشأن الحكمين كان موضعا بالقرب بالنجف حيث يرقد الإمام علي رضى الله عنه وبين النجف ودومة الجندل بالجوف مئات الأميال وبينها وبين أرض أدوم بالشراة مئات أخرى

أحمد رمزي

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولي

(١٢) أصبحت القارة في كتاب الشيخ حافظ وهبة

لاقريش بعد اليوم ..!

«فصل من كتاب (جهاد النبي)
الجزء الثاني -- الذي صدر حديثاً»

للأستاذ محمد محمود زيتون

(جيش الإسلام في الطريق إلى مكة .. أبوسفيان والعباس يسبقان الجيش ويتحدثان)

أبوسفيان : ماشاء الله ياأبا الفضل . لقد ذقت والله حلاوة الإسلام في نفسي

العباس : ثبت الله قلبك على الحق ياأبا حنظلة

أبوسفيان : والله ما كنت أظن أن رسول الله يزيد في قومه هكذا

العباس : فما بالك بجيشه الفاتح المنصور بإذن الله !

أبوسفيان : لئن جئت محمداً أخاف أن تهوى أسياف من معه على رقاب قريش ، فأصبحت وأنا أشد شوقاً إلى أن أراهم يرتمون في الإسلام ، وإلا فالسيف بيننا وبينهم

العباس : بل ستكون المعجزة الكبرى يوم الفتح

أبوسفيان : بشرك الله بالفضل ياأباالفضل

(العباس وأبو سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل ... القبائل تدخل على قادتها ... والكتائب على راياتها)

أبوسفيان : (لحكيم) أغدراً ؟

حكيم : لا

أبوسفيان : إن أهل النبوة لايغدرون

حكيم : ولكن لي إليك حاجة حتى تنظر جنود الله ، وما أعد الله للمشركين

كل قبيلة تمر ... تكبر ثلاثاً ... وتمضي في قوة وشجاعة)

أبوسفيان : من هذه ؟

العباس : سليم

أبوسفيان : مالي ولسليم .. ومن هذه ؟

العباس : مزينة

أبوسفيان : مالي ولمزينة .. وقد جاءتني تقعقع من شواهقها ، ومن تلك ؟

العباس : تلك أسلم

أبوسفيان : مالي ولأسلم .. فمن ؟

العباس : فجهينة

أبوسفيان : مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط ، فبنو من ؟

العباس : فبنو غفار .. وهؤلاء طوائف أخرى من تميم وقيس وأسد

أبوسفيان : مامر محمد بعد ؟

العباس : لا

أبوسفيان : من هؤلاء الذين يكبرون ؟

العباس : بنو بكر .

أبوسفيان : نعم .. أهل شؤم ، والله هؤلاء الذين غزانا بسببهم محمد .. فمن هؤلاء بعدهم ؟

العباس : أشجع

أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد

العباس : أدخل الله الإسلام في قلوبهم .. فهذا فضل الله

أبو سفيان : أبعد ما مضى محمد ؟

العباس : لوأتت الكتيبة التي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة

(تمر كتيبة الأنصار .. ابن عبادة على الراية)

ابن عبادة : ياأبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة

أبوسفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار

(ابن عوف وعثمان وعلي حول النبي)

عثمان : يارسول الله مانأمن أن تكون لسعد بن عبادة صولة في قريش ، وقد قال ما قال

النبي : (لعلي) أدركه فخذ الراية منه ثم مره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة

عمر : (للجيش) رويدا يلحق أولكم آخركم

(أبوسفيان لايزال يتعجب مما يرى)

أبوسفيان : هلا ذكرت لي من على رأس هذا الجيش

الكتيف ياأبا الفضل ؟

العباس : أمارأيت خالد بن الوليد في بني سليم على الجناح الأيمن وهذا الزبير بن العوام على الجناح الأيسر ، أحدهما آخذ من أعلى مكة والآخر من أسفلها

أبوسفيان : ومن على المقدمة ؟

العباس : أبو عبيدة بن الجراح

أبوسفيان : ولمن هذه الكتيبة الخضراء ؟

العباس : إنها والله كتيبة رسول الله

أبوسفيان : هذه والله معها الموت الأحمر

العباس : أما تراهم في الحديد !

أبوسفيان : والله ماأرى منهم غيرالأحداق من وراء الحديد، مالأحدبهؤلاء قبل ولاطاقة.. ومن هذا الغلام رديف رسول‌الله ؟

العباس : هذا خادمه وابن خادمه أسامة بن زيد

أبوسفيان : أفي مثل هذا الموكب !!

العباس : تواضعاً لله .. ومن تواضع لله رفعه .. وفتح عليه

(يمر النبي على القصواء [1] في تواضع .. يحاذي أبا سفيان)

أبوسفيان : أمرت بقتل قومك ؟

النبي : لا

أبوسفيان : أنشدك الله والرحم في قومك ، فإنك أبرالناس وأرحمهم وأوصلهم، فمابال سعد؟

النبي : كذب سعد .. ياأبا سفيان : اليوم يوم الرحمة .. يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة

(يمر النبي في كتيبته بين أبي بكر وأسيد بن حضير يتحدث إليهما .. ويظل أبوسفيان والعباس يتحدثان)

أبوسفيان : فمن هذا الوازع الذي يرعد في الكتيبة ياعباس؟

العباس : ذاك عمر بن الخطاب

أبوسفيان : لقد أمر أمر عدي في الكتيبة ياعباس ؟

العباس : إن الله يرفع مايشاء بما يشاء . وإن عمر ممن رفعه الإسلام

(فترة صمت.. أبوسفيان في شبه ذهول)

العباس : فمارى ؟

أبوسفيان : والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما

العباس : ياأباسفيان إنها النبوة

أبوسفيان : إي والله إنها النبوة

العباس : إذن فالنجاء إلى قومك

أبوسفيان : فامض بنا .. ومن أين يدخل النبي مكة ؟

العباس : من « كداء »

أبوسفيان : ناشدتك الله والرحم ياعباس إلا حدثتني .. ما حملك على هذا الموقف ؟

العباس : أما والله لأصدقنك .. قدمت على النبي ، والناس متفرقون بين الأراك ، نخفت أن ترغب في قلة الإسلام فتكفر بعد إسلامك فلا يقبل منك شيء غير القتل ، فأصدقني أنت ياأبا سفيان أين وقع حديثي مما كان في نفسك ؟

أبوسفيان: اللهم كان في نفسي أن أفعل بعض الذي قلت، فأما إذ رأيت الذي رأيت فقد علمت الآن أن هذا الأمر من الله لا مرد له ، والله مازالت الكتائب تمر حتى خفت أن تسير معها جبال مكة .. سربنا ياعباس فلم أر كاليوم قط صباح يوم في دارهم

(نساء قريش يلطمن وجوه الخيل بالخمر)

(أبوقحافة وقد كف بصره ومعه ابنة من أصغر ولده

أبوقحافة : أي بنية اظهري بي على (أبي قبيس)

(تذهب به إلى الجبل)

أبوقحافة : ماذا ترين ؟

— أرى سوادا مجتمعا

أبوقحافة : تلك الخيل

— وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا مدبرا

أبوقحافة : ذلك الوازع

— قد والله انتشر السواد

أبوقحافة : قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي

(تمر بهما بعض الكتائب فيختطف رجل منها طوقا من الفضة حول عنقها)

— طوق ..! طوق ..!

النبي : (مبتسما) ياأبا بكر كيف حال حسان ؟

(١) ناقة النبي

أبوبكر : قال حسان

عـدمت بنيتى إن لم تروهـا … تثير النقع موعدها « كداء »

ينازعن الأعنة مسرجات … على أكتافهـا الأسل الظماء

تظــل جيادنا متمطرات … يلطمهن بالخمــر النسـاء

(أبوسفيان والعباس يدخلان مكة)

أبوسفيان : يامعشر قريش . هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به

— ويحك ياأبا سفيان !

— صباء الشيخ

(عكرمة ومقيس يقبلان عليه)

عكرمة : أقسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وهبل وأساف ونائلة.. لقد سحرك محمد

مقيس : أو لهذا أرسلناك ياأبا حنظلة ؟!

أبوسفيان : أقبلا على أمركما ، فإنه قد أتاكما مالا نطيقان ، أنتما ولاقومكما

عكرمة : على رسلك يا أحمس … وما أتانا ؟

أبوسفيان : أتاكم الله مثل الليل الدامس

مقيس : والله لقد طاح أبوسفيان بما بقى لدينا من عقل

أبوسفيان : وأخرى ؟!

مقيس : وما تلك ؟

أبوسفيان : من دخل دارى فهو آمن

مقيس : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟

أبوسفيان : ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن

(هند تأخذ بشارب أبى سفيان)

هند: أقتلوا الشيخ الأحمق … اقتلوه فإنه صبأ .. اقتلوا الحميت الدسم الأحمس . اقتلوه .. قبحـه الله من طليعـة قوم .. يا آل غالب هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم

أبوسفيان : ويحـك ! اسكتى وادخلى بيتـك .. والله لتسلمن أو لأضربن عنقك .. ويلـكم .. تغركم هذه الحمقـاء عن أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لـكم به . فتفرقوا إلى دوركم وإلى المسجد

(الناس يعدون إلى بيوتهم..مقيس وعكرمة وسارة حيارى لايدرون أين يتوجهون)

أبوسفيان : ومن جنح إلى الـكعبة وألقى السلاح فهو آمن

(مقيس وعكرمة .. يخلعان الحديد ويركضان نحو الـكعبة)

أبوسفيـان : اللهم إلا مقيس وعكرمة بن أبى السرح وابن حنظل وسارة مولاة عبدالمطلب .. لم يجعل لهؤلاء أمان ولوتعلقوا بالأستار

(سارة ومقيس وعكرمـة ومن ليس لهم أمان .. تنهار أعصابهم فيخرون على الأرض .. ترتعد فرائصهم)

أبو سفيان : يا آل غالب أسلموا تسلموا

(حماس بن قيس بداره .. يتحدث إلى زوجته)

— مانفعل ياحماس ؟

حماس : كما ترين أبرى نبلا

— فلم تبريه ؟

حماس : بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها

— والله ما أدرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء

حماس : والله إنى لأرجو أن أستخدمـك خادما من بعض من نستأسره

— والله لـكأنى بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيـه لورأيت خيل محمد

صفوان : ياحماس .. ياحماس

— فمن هذا الذى يناديك ؟

حماس : هذا صفوان بن أمية (يخرج ومعه سلاحه)

صفوان : وقد أعددته ؟ فهلم إلى عكرمة

حماس : أعنده من أحد ؟

صفوان : عنده سهيل بن عمر ، أما جمعت بنى بكر ؟

حماس : بل كنت فى شغل بسلاحى أعده.. ألم تفعلوا أنتم ؟

صفوان : بلى .. غدا نجتمع عند (الخندمة)

(الخندمة : القتال بين رهط خالد ورهط صفوان .. قتلى المشركين اثنا عشر .. حماس منهزم .. يدخل بيته)

حماس (لزوجته) أغلقى على بابى .. لا تفتحى لأحد أبدا

— أين نبالك ؟

حماس : قبحها الله من سلاح .. ويحك .. هل من مخبأ !

— فأين الخادمة التى وعدتنى بها ؟

حماس : دعينى عنك

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان وفر عكرمـه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمـه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمـه
لهم نهيت خلفنـا وهمهمـه لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمـه

(أسفل مكة .. حول راية خالد .. ومعـه بنو بكر وبنو الحارث وبعض من هذيل)

— والله لا تدخلها عنوة

خالد : الله أكبر .. الله أكبر

(المسلمون يجتمعون حول الراية)

حكيم : يامعشر قريش ، علام تقتلون أنفسكم ؟

أبوسفيان : من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع سلاحـه فهو آمن

(قريش يقتحمون الدور ويغلقون الأبواب وراءهم تاركين السلاح بعد أن طرحوه بالطرق فيأخذه المسلمون)

(النبى ينظر إلى بارقة السيوف . وقد وقع القتال)

النبى : ماهذا ، وقد نهيت عن القتال ؟

— نظن أن خالدا قوتل ، وبدئ بالقتال فلم يـكن بد من أن يقاتلهم

النبى : قم فقل له فليرفع يديه من القتل

— ياخالد..إن نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه

النبى : ألا آمرك أن تنذر خالدا ؟

— أردت أمرا فأراد الله أمرا ، فـكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذى كان

النبى : ! ؟ .. ! ؟ .. ! ؟

— يا رسول الله هذا خراش بن أمية وقد قتل ابن الأثوع الهذلى

النبى : إن خراشا لقتال ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا ، لأدينه

(خالد يقوم على النبى بعد أن قتل سبعين مشركا)

النبى : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟

خالد : هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت

النبى : قضاء الله خير . (ينظر إلى أبى هريرة) اهتف لى بالأنصار

أبو هريرة : يا معشر الأنصار أجيبوا رسول الله

النبى (للأنصار) ترون أن أوباش قريش وأتباعهم (يضع يدا على يد) احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا

(المسلمون يحصدون أوباش قريش التى وبشتها من قبل)

أبوسفيان : يارسول الله ، أبيحت خضراء قريش . لا قريش بعد اليوم

النبى : من أغلق بابه فهو آمن

محمد محمود زيتونه

٢ ـ فى بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عكفت على مطالعة السفر فى الحال ، وكانت صفحته الأولى تحمل هذا العنوان : « القواعد الأساسية لبلاد الأحرار »

وعندما قلبت الصفحة الأولى منه وقعت نظرتى على هـذا العنوان : « الأسس العامة »

ثم تلا ذلك هذه المواد :

(١) الحرية منحة سامية . . . ولـكيما يـكون المرء حرا ، يجب أن يحوز منزلة كبيرة من السمو والرفعة ... نزاهة الفـكر .. نزاهة القول . . . نزاهة الحركة . . . تلك هى الأسس اللازمة للحرية

(٢) لا يستطيع نيـل الحرية أولئك الذين لا يتمكنون من التحكم فى نفوسهم

(٣) سذاجة القول. . . سذاجة المعيشة هما شرطا الحرية..

وبعد أن قرأت هذه المواد التى بدت لى غريبة جـدا لفت نظرى هذا العنوان : « القانون الأساسى لبلاد الأحرار »

كان هذا القانون يتضمن المواد التالية :

(١) الحرية تقوم على الصدق والجرأة

(٢) الـكذب ممنوع منعاً باتا فى بـلاد الأحرار ومن يبتل بهذا الداء يطرد من البلاد

(٣) الرياء والتزلف يعدان من أكبر الجرائم ، ومرتـكبها يرجمه بالأحجار أفراد هذا الشعب كافة

(٤) لا يجوز للجواسيس أن ينتسبوا إلى رعوية « بـلاد الأحرار »

(٥) لا يجتمع الجبن وتوطن بلاد الأحرار على صعيد واحد

(٦) إن من يعتدى على غيره قولا أو عمـلا يقذف به إلى خارج البلاد

(٧) الاحتيال والنميمة يورثان مرتـكبهما عقوبة إسقاط رعوية بلاد الأحرار عنه

(٨) الدفاع عن الحق واجب ... ومن لم يقم بهذا الواجب يطرد من البلاد

(٩) العمل واجب . . . ومن تحدثه نفسه بالبقاء بغير عمل يستكره على العمل لحساب البلاد بغير أجر

(١٠) التساند واجب . . . والذين لا يقومون بتأدية هـذا الواجب يفقدون رعوية البلاد

(١١) إن القيام بإدارة شؤون بلاد الأحرار لهومن حق ذوى التجارب والاختصاص فحسب

(١٢) إن كل وطنى مكلف بأن يراقب موظفى البلاد

(١٣) على كل موظف أو فرد فى المملكة أن يؤدى الحساب فى أى وقت كان ، عن أعماله التى يقوم بهـــا ، أو ثروته التى يمتلـكها ... والذين يحاولون الهرب من تأدية مثل هذا الحساب يحكم عليهم بعقوبات قاسية ويفقدون صفة الاستيطان

(١٤) على كل وطنى استظهار المواد المدرجة فى أعلاه والعمل بمقتضاها

* * *

قرأت هذه المواد ، ثم أخذت أفـكر.. ما أعجب هذه البلاد ؟ إنها نقيض ما رأيته أو سمعته أو تعلمته حتى الآن

ليت شعرى !.. هل أستطيع إلفة هذه الحياة الجديدة ؟ داخلتنى الشكوك وساورنى الإحجام ... حتى خيل إلى لحظة وأنا فى غمرة تفكير عميق أن من الأفضل أن أهرب من هـذا المـكان . . . ولـكن غرورى وكبرياء نفسى قد حالا بينى وبين ذلك وقد قلت لنفسى :

— « . . إذ قد أتيت .. وطلبت أن أكون « مواطناً » فى بلاد الأحرار فالعمل فى سبيل التعلم قضية كرامة شخصية ليس إلا ..نعم ! أنا أعرف أن لى عادات كثيرة ، وسجايا اكتسبتها من جدودى وعهود التاريخ ، وإنه من الصعوبة بمكان . . . على أن

أفارقها وأنبذها نبذ النواة دفعة واحدة . . . ولكن مهما يكن من شئ فالواجب يقضى على بالعمل وبذل كل الجهود المستطاعة »

وهكذا صممت على تعلم الدستور ، فأقبلت عليه بالدرس والبحث والتأمل . . . ولم تمر غير أيام معدودات حتى كنت فى خلالها قد تمكنت من استظهار مواده وفهم مغازيها ... على أنه كانت ثمة أيضاً بعض المواد لم أفهم الحكمة من وضعها ، وأخرى داخلنى الشك والارتياب فيها . . . فلذا صممت على مكاشفة الأساتذة بالأمر ، وطلب الشرح الوافى منهم

وبعد كل هذا أخذت أنظر ما حولى ، وأفحص الدار التى أسكنها ، وأدرس الرجال الذين أتصل بهم

إن ما رأيته يحيط بى قد بعث فى نفسى من الحيرة والدهش أضعاف ما بعثه فيها ما كنت قد قرأته من المواد والنصوص

فقد علمت أن الدار التى أسكنها دار ضيافة ، وأن هناك عدة دور أخرى مماثلة لها فى المدينة خاصة بالذين يلجأون إلى بلاد الأحرار

وكان معى فى الدار ضيوف آخرون يبلغ تعدادهم عشرين ضيفاً بينهم نسوة

وفى اليوم التالى أفضى بى الشيخ الذى فتح لى الباب إلى قاعة الطعام العمومية ، ثم قدمنى إلى الضيوف الذين كانوا قد اجتمعوا هناك ؛ قائلا :

— ضيف جديد !

رحب بى القوم جميعاً بوجوه تطفح بشراً وإيناسا، ونظرات تفيض رقة وحنانا، ثم قال الجميع بصوت واحد :

— هنيئا لك ! ..

كان الطعام وافراً ساذجا .. وبعد انتهائنا من تناوله ، انتقلنا إلى البهو ، وهنا جلست إحدى السيدات إلى المعزف ، وأخذت توقع ألحانا مؤثرة

نهض الضيوف جميعا ، وأخذوا ينشدون بصوت واحد نشيدا أشبه شئ بالدعاء... فنفذ لحن هذا النشيد إلى شغاف قلبى ، وشعرت شعورا غامضا لا سبيل لى إلى الإفصاح عنه

وهنا خاطبنى الشيخ قائلا :

— يجب أن تحفظ هذا النشيد !

ثم ناولنى ورقة مكتوبة فإذا أنا أقرأ فيها :

« ما أصعب أن يكون المرء حرا »

* * *

لست تتذكر نفس الأقوال التى كانت قد وردت فى ذلك النشيد ، ولكننى أستطيع أن أقول إن خلاصتها كانت لا تعدو ما يلى :

« الإنسان شعور الكون »

« نعبده ونقدسه »

« الحرية جوهر الشعور المقدس »

« نحبها ولا نتخلى عنها »

« بلاد الأحرار هيكل الشعور والحرية »

« نلجأ إليها ونعتز بها »

إنه ليس بوسعى أن أصف لكم مبلغ ما أحدثه هذا النشيد من الأثر البالغ فى نفسى . . . فقد أضعت صوابى لعدة دقائق.. . وعندما عاد إلى رشدى وجدت الضيوف قد انقسموا إلى جماعات والكل يتحدثون

جاءنى جماعة منهم وأخذوا يجاذبوننى أطراف الحديث كما لو كانوا من معارفى منذ مدة طويلة... فعلمت أن هؤلاء أيضا مثلى قدموا هذه الديار عند بحثهم عن الحرية

وبعد هنيهة أخذت أطوف الأقسام الأخرى أيضا من البناية.. كانت الغرف والقاعات قد فرشت بفرش ساذجة ، ولكنها تلمع من شدة النظافة .. والجدران مزدانة بعدد كبير من الصور الفنية الغالية والألواح النفيسة

وعلى معظم هذه الألواح دونت مواد دستور بلاد الأحرار بخط رائع جذاب . . . كانت ثمة كتابات أخرى أيضا لفت نظرى منها

« الحريص يكتوى بنار حرصه ويحرق ما حوله »

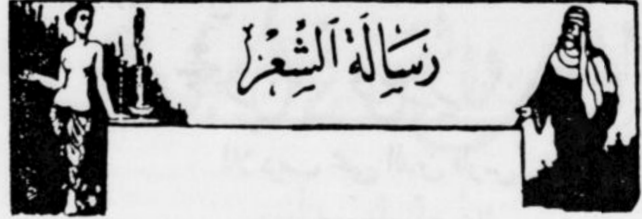
« الكلام أول صوت إلهى شعر به الكون »

« الاستبداد معرة متوارثة من عهود الهمجية »

« العدل ميزة تثير غبطة الملائكة للانسان »

« التضحية من أسمى مظاهر النفس البشرية »

« نكران الذات والتواضع خلتان يختص بهما ذوو الأرواح



فى مهرجان «الرسالة»

للأستاذ زهير ميرزا

لا تسلني فلن أحير جوابا　　غرب الفكر عن زماني وغابا
واستحال السماك أشياع إبجا　　ل أرونا الجوزاء فيهم ترابا
واستوى عقد بعضهم نضو فكر　　وهزيل يرى الكتاب كسابا
وتخلى عن السباق عتاق　　عطروا الساح فكرة وكتابا
وتباروا فى حلبة المجد أنضا　　ء اجتهاد فما أصابوا اضطرابا
كلهم رائد الخلود فما تلـ　　ـقى جبانا ولست تلقى ذئابا
من ترى يخلع الوقار على الميـ　　ـدان إن أهمل العتيق الرحابا ؟
طوى السبق وانجلى عن فصيل　　لم يعود شوطاً فضل صوابا ؟..

***

من لهذا البيان إن غاب أعلا　　م أناروا الدنى وفاقوا السحابا ؟
من لهذا البيان إن أمسك القر　　ضاب جبس فدنس القرضابا ؟
ضل من يقلب اليراعة فى كفـ　　ـيه فأساً تهدم الألبابا
ورأينا على الجياد خيالا　　ت رجال لم يألفوا الإركابا
حطهم فوق سرجها عبث الدهـ　　ـر وحط الكمى عنها وغابا !!

***

سائل الحفل عن فتى عربى　　تجد الحفل ضاق عنه جنابا
لم يجل فيه غير بعض هجين　　أهمل النطق واستباح (الكتابا)
ورأى فى البيان مظهر تقييـ　　ـد فدك البيان والإعرابا
وبنى المنطق الضعيف على الضعـ　　ـف.. فكان البناء يشكو الخرابا

***

طلعت هذه (الرسالة) والنا　　س عبيد لم يلقفوا الأسبابا

السامية »

« الغرور والعجرفة دليلان على سقوط النفس وضعة القدر »

° ° °

كان ثمة بهو رحيب فى ركن من البناية يضم فى أرجائه الفسيحة مكتبة الدار.. وعلى منضدة تمتد على طول البهو صفت أشتات من الجرائد والمجلات والكتب ، كما أن الرفوف كانت عامرة بآلاف المجلدات

كان أغلب الضيوف حاضرين هنا ... وكانوا جميعا مكبين على المطالعة والتأمل

واقتربت أنا أيضا من المنضدة.. فوقع نظرى على كتاب عليه هذا العنوان : « فذلكة من تاريخ بلاد الأحرار »

حرك ذلك منى الرغبة فعكفت على مطالعته فى الحال

لم يكن هذا تاريخا ... بل مأساة دامية

أى أيام سود كانت قد مرت على هذه البلاد ؟ يالقسوة القدر!

كافحت هذه البلاد فى سبيل الحرية عصورا طويلة واغلة فى القدم

جرت الدماء جداول وأنهارا فى هذه الشوارع التى تفيض بالهدوء والوداعة اليوم

فتارة يتخاصم الأهلون ويتقاتلون فيما بينهم ، فيهدمون ويخربون ؛ وتارة تجتمع كلمة الكل وتتحد غاياتهم فيهبون هبة واحدة لمحاربة الطغاة المستبدين ، والحرب فى كل ذلك سجال بين الفريقين .. إلى أن أتى يوم رسخت فيه دعائم الحرية ، وتنفست البلاد الصعداء ، وأخذت تعيش فى كنف الهدوء والاطمئنان ، وكان ذلك منذ قرنين من الزمان

وإذ أنا أتأمل هذا الكتاب قلت بغير إرادة

« ما أصعب أن يكون المرء حرا »

يتبع

هم عبيد القديم، عن جهل فحوا ه ، وبعض يرى القديم صوابا
هم عبيد الحديث، عن طفرة الوهــم يزقونه شراباً سراباً
هم عبيد وكل عبـد زنيم كبرت ضلة وجلت مصابا
والعظيم العظيم من يقهر الجهــل وينجى من القيود الرقابا ..

***

ألف جزء من (الرسالة) دنيا جمعت طيباً فطابت وطابا
حملت مشعل الحضارة والبعـث وجازت على الزمان الصعابا
ورقت بالفطير يعوزه الزق إلى أن غدا من الخلد قابا
كم سما ناشئ إليها بدنيا ه فكانت نبراسه والشهابا
وانضوى فى سجلها كل فكر عبقرى فكان تبراً مذابا
أطلعت هذه «الشموس» ولولا ها لكان الضباب يعلو الضبابا
أعصر الإنحطاط لم تك إلا غفوات لم تلق صوتا مجابا
لم تكن فيهم (الرسالة) حتى يتبارى إبداعهم وثابا
هى أم الكتاب قد حضنتهم من طفولاتهم ليغدو شبابا
وشباب فى نضجهم ككهول لم يخب رأيها ولا الجد خابا
ثم كان الصباح.. وانبثق النو ر إذا بالوجود يلقى النقابا
فتراه تكشف اليوم عن نو ر سطيع يشعشع الآدابا

***

لا تلمنى إذا غضبت لقومى شيمة الصدق أن نكون غضابا
نحمل القلب طيباً ولنا الرأ ى سديدا فما طنى أو حابى
خلق بعضه صنيع عصامى وبعض من «النبى» اكتسابا

***

كل عصر له (أبو عبادة) إلا عصر جهل يرى البلاغة عابا
ويح قومى !.. أما يخافون يوما يفقدون الآداب والأنسابا
فيقول الإنسان عاشوا سواما ويقول التاريخ فيهم سبابا
غصة ملء صدرنا وأنين لو يذيب الأحجار كان أذابا
لا تقل : تلك ضجعة الموت فينا قدرة الفكر تبدع الإنقلابا ؟

زهير ميرزا

أغنية الكفاح

فجر ... ونور ...!

للأديب محيى الدين فارس

أقبل الفجر وغنى فى الذرى طير الأمانى
فانتشى النيل وأسماع الورى والشاطئان
بهجة فى الأرض تنشى كل أفق ومكان
وابتسام ساحر رف على ثغر الزمان

إنه يا نيل عيـد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

اصدحى ياطير . هذا العيد . عيد الكائنات
كم ترقبناه شوقا فهو أحلام الحياة ..
بقلوب ظامئات ، وعيون شرهات !
فإذا بالند فى جنبيه فجر الأمنيات ...

إنه يا نيل عيـد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

ها هو القيد تنارت بأحضان الرياح
فارقصى يا بهجة النيل على لحن الكفاح
وتملى نشوة الدنيا وأفراح الصباح
فالمنى ملء يدينا والسنا ضاق الوشاح

إنه يا مصر عيـد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

خمدت نارك يا أمس خمودا فصحونا
فإذا بالركب لا يشكو على البيداء أينا
فرحة يا رب ! ... عيد ملأ الأكوان لحنا
ما علينا رضى «الغرب» فأصغى أم تجنى ؟

إنه يا شرق عيد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !!

محى الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تطهير التاريخ

« .. نعتقد أن تطهير التاريخ قد بدأ فعلا ، وأن الكتب التي تصدر في هذه الأيام ، وخاصة التي بذل في تحريرها جهد ، وسمت عن إرضاء رغبات القراء أو أهوائهم ، تصحح وقائع التاريخ في العصر الأخير فعلا .. »

هذا بعض ما جاء في خطاب « عبد المحسن حسني » تعليقا على ما كتبنا في هذا المكان ، في العدد الألف ، ولكن الواقع أننا لا نريد تحرير التاريخ في العصر الأخير أو في السنوات الأخيرة وحدها .. وإننا نحن إزاء تاريخ كامل مضطرب ، منذ الاحتلال الإنجليزي إلى اليوم ، هذا التاريخ الذي حالت الكثير من الأوضاع والظروف دون تحرره !

ليس تاريخ الملوك والسلاطين والخديويين فحسب ، وإنما تاريخ الزعماء ورجال الأحزاب والسياسة ، وجانب كبير من تاريخ الأدباء والمفكرين

لم تكن الموازين على طبيعتها العادلة المضبوطة ، التي تضع كل إنسان في موضعه ، وكانت أنباء كل شئ تنشر على غير حقيقتها ، إما مزيدة أو مضيعة ، كانت الأهواء من وراء كل حقيقة تلونها بلونها ، وكانت الوصولية والهوى والغرض ، تصبغ كل شئ بطابعها الأسود القاتم ، وقد رفعت السياسة أسماء كانت أهلا لأن تهوى ، وحرمت أسماء من أكرم الأسماء نصيبها من التقدير لأنها تجنبت الانزلاق إلى مهاوى السياسة والوصولية والحزبية !

إننا نريد أن نطهر التاريخ ، فننصف تلك الشخصيات التي ظلمها التاريخ ، حين أعطى لسعد أكثر مما أعطى لمحمد فريد ، وحين رفع اسم فلان وفلان وفلان لأنهم كانوا موصولى الأواصر بإنسان يملك سلطان الإعزاز والإذلال

إن هناك حقائق كبيرة تكمن وراء الكثير من الأحداث ، لم تكتب ولم تفسر ، وإن في تاريخ ثورة ١٩١٩ وعوامل اندلاعها ، وقيادتها ، ونتائجها ، أشياء كثيرة لم تكتب بعد ، وفي تاريخ إنشاء الأحزاب حقائق أيضا لم تكتب ، وفي الخلاف بين الحزب الوطني ، الذي حمل لواء الجهاد وبين الوفد المصري الذي أنشأ بعد الحرب خلاف ، وفيما بين مصطفى كامل ومحمد عبده خلاف ، كل هذه قضايا لم تكتب على وجهها الصحيح

وفي الحركة الوطنية بعد تصريح ٢٨ فبراير وإعلان الدستور ، ونشوء الأحزاب وصراعها ، وصلتها بالإنجليز وبالقصر ، حقائق وأشياء لم تكتب بعد على صورة واضحة

وفي تاريخ الخديو إسماعيل ، وتوفيق ، وعباس ، وفؤاد وفاروق أشياء وأشياء .. لم تكتب ، وهي في ذاتها بعيدة الأثر في تطور التاريخ الحديث

كل هذا هو ما نريد أن يكتب ، بروح الإخلاص والحرية والنزاهة

التطهير في محيط الأدباء

ويتصل بهذا ، الحديث عن التطهير في محيط الأدباء ولا شك أن الأدباء هم أناس من الناس ، وأن بعض الأقلام قد تلوثت وقد غرقت في المداد الأسود ، وهي بهذا ليست جديرة بأن تحمل رسالة التطهير أو العمل الإيجابي أو البناء في العهد الجديد

الكتاب الذين جعلوا القلم حرفة للإثراء ، والنفاق ، على حساب الأمانة التي حملهم الله إياها ، والذين عقوا الفطرة ، وجانبوا المهمة الكبرى والرسالة العظمى ، فحموا الظلم ، ووصفوه على أنه عدل ، وساروا في ركاب الظالمين ، هؤلاء يجب أن نطهر منهم دولة الأدب والقلم

الشمس في منتصف الليل

كتب إلى الأستاذ محمود تيمور من الإسكندرية يقول إنه مشغول الآن بإعداد كتابه الجديد « الشمس في منتصف الليل » وهو موضوع رحلته التي رحلها في الصيف الماضي إلى بلاد النرويج والسويد والمناطق الشمالية في القارة الأوربية ، وقد فهمت من خطابه أنه يعني بذلك الرد على ما قلناه في مقالنا السالف من أن الصيف ليس فصل إنتاج ، وأن الأدباء يقضون هذا الموسم

في حالة استجمام

والواقع الذى نعرفه أن عميد القصة المصرية ، قد جرد نفسه لفنه تجريدا وأنه لا يشرك بعمله الأدبى شيئا ، ولذلك فهو ما يلبث بين آن وآخر أن يطالعنا بعمل أدبى جديد

مؤتمر اليونسكو

كتب الدكتور طه حسين فى الأهرام يقول إنه لا يحول بينه وبين العودة إلى مصر فى هذا الوقت ، إلا انتظاره موعد انعقاد مؤتمر اليونسكو ، الذى دعت إليه هذه الهيئة العالمية منذ مايو الماضى ، وانتدبت الدكتور طه حسين إليه باسمه لا بوصفه

وقد كان الدكتور طه ضيق الصدر فى خلال الفترة التى أعقبت إقالة الوزارة الوفدية فى يناير الماضى ، وكان يستحث الأيام لقرب موسم الصيف ، حتى يهجر مصر هجرته المحببة التى لا ينسى فيها مصر ، والتى تكون دائما موعدا بينه وبين الإنتاج الأدبى .. وقد حدثنى عميد الأدب ، أنه يصرف هذا الوقت الذى يقضيه فى أوربا عاكفا على القراءة والإملاء ، وأنه ما أن يقصد إلى فرنسا ، ويذهب إلى باريس ، حتى يسرع فيستقر فى إحدى الجبال التى يحب الحياة فيها ، وهناك حيث لا « تليفون » ولا اتصالات ولا زوار تقطع حبل الأفكار وتطغى على الإلهام ، وتفسد الوحى

وقد كنت أعلم أنه يعد فى موسمه هذا .. الجزء الثانى من كتاب « الفتنة الكبرى » التى كان للجزء الأول منه دوى أى دوى .. وكان الدكتور طه حسين قد أعد تقريرا مسهبا فى خلال شهر مايو الماضى ، أرسله إلى مؤتمر اليونسكو ، وهو الموضوع الخاص الذى سيتحدث فيه، وقد ناقش فكرة المذاهب الأدبية المختلفة فى «أدب الاعترافات» ، وخلاصة رأى الدكتور فى هذا الموضوع : أن الأديب إذا ما وضع يده على الورق ليكتب فإنما هو يحس أن من ورائه قارئا ، ولا يمكن مطلقا أن يكتب شيئا ليدخره لنفسه ، وعلى هذا الأساس وما دام هو يحس أن ما يكتبه سيذاع على الناس ، فهو يتجمل ، ويحاول أن يلبس الوقائع والاعتراف الثوب الذى يجعلها مقبولة لدى القراء ، وهذا « القبول » يختلف باختلاف الكتاب ، فمنهم من يحب أن يواجه الجماهير على طريقة جريئة مكشوفة أمثال جان جاك روسو، ومنهم من يحب أن يكون مقذعا كأندريه جيد .. وهكذا

وقد أكد لى الدكتور طه وهو يروى لى وجهة نظره فى هذا الموضوع أن أيا من الكتاب : روسو ، جيد ، أوسكار وايلد ، إنما كان ينظر إلى القارئ وهو يكتب فصول اعترافاته

أدب القصور

ظهر فى خلال هذه الفترة الأدب البغيض الذى كان قد اختفى منذ عهد طويل ، ذلك هو أدب القصور

كان الأدب قد تحرر من سلطان الأمراء والملوك والخلفاء ، وجرى طليقا ، على نحو من الوطنية والقوة والصراحة

ولكن النفاق عاد فاستشرى ، فأصبح اسم الملك السابق ، يجرى فى كل قصيدة وفى كل مناسبة ، وبدون مناسبة على صورة لم ينلها عمر بن الخطاب ، ولا خالد بن الوليد ، ولا نابليون

وكانت مناسبات الأيام السوداء فى الميلاد والجلوس وغيرها ، تحفل الصحف والمجلات والإذاعة بتلك القصائد المصنوعة التى لا تصدر من القلب ولا من العاطفة الخالصة ، ولا من الإيمان العميق

وكانت هذه أدوات الزلفى ، وقوائم الراغبين فى الوصول إلى غاية أو غرض ، ونشرت دواوين ، وكتب ومؤلفات ، وحمل أصحابها أرق الألقاب ، و... ومات هذا الأدب كله ، وانطوى ، وأصبح صفحة سوداء فى تاريخ الذين وضعوه .. وإن جاءوا بعد ذلك ليقولوا قصائد أخرى ، فى مدح العهد الجديد ... وبعد فنقولها كلمة صريحة : إن الشعراء الذين لوثوا أقلامهم فى آثام العهد الماضى ، وكذلك الكتاب .. يجب عليهم أن يتواروا ...

لا صدارة الآن إلا للأقلام النقية التى لم تلوث ، تلك التى احتفظت بطهارتها ونقائها فى وسط العواصف والأنواء

أنور الجندى



المصدر صحيح

صاغ الأستاذ المفتن « الزيات » رائعة من روائعه فيها جلال الذكرى ، وجمال الوفاء ، ومنها لطف العتب وحسن الاعتذار ، فقد ألفت مجلته الخالدة شتات الألوان فى ألفة « الألف » ودفعته الفرحة إلى التنويه ببلوغها بعد تبليغها، وساق تاريخها مساق الحقيقة، لكنه عنف حين عرض للخارجين على رسالته ونال منها حتى جعلها « معتلة .. » !

إن الاعتلال عرض عام يشترك فيه كل كائن ، لكنه حين يتناول المبادئ لا يبلغ هذا المبلغ ؛ فالمبدأ أخو العقيدة ، والعقيدة أصل الكيان ، والكيان لا يمكن أن يعتوره اختلال إلا إذا فسد أصل من أصوله ؛ وفساد الأصل يتحقق بتحقيق دواعيه ؛ وقد عاشت الرسالة ثلثى الألف وهى مسددة الخطا مبرأة من العيب بالغة الهدف ، راغبة فى الحق ، مرتفعة عن الباطل . فكيف يمكن الحكم باعتلالها وكيانها صحيح ؟

لقد قسا أستاذنا «الزيات» على رسالته لكنه نزيه فى قسوته . فلا شك أنها كانت ولا زالت ، ينبوعا فياضا تغترف منه النهى أصول المعرفة ، واتخذت طابعا يطبعها بالاتزان ، والوقار، والأناة، وحسن التأدى، وجودة التخير، وهى هى فى اتسامها بتلك السمات لا تنحرف ، ولا تنقاد ، ولا تميل مع الأهواء حيث تميل !

إن المشتق والمصدر فرع عن أصل، والأصل لازال سليما معافى لم يثقله غير الكفاح فى سبيل تحقيق المبدإ السامى الذى يدور حول سيادة لغة الضاد فى إعزازها ، والاعتزاز بها ، وهذا ممثل فى كل صفحة من صفحات الرسالة . إن مجلتك أيها الرجل الحصيف قد كفت عن الابتذال ، لأنها عفت عن المال ، وارتفعت بقوامها وقومها لأنها تأبى الإسفاف والانحراف ، فحسبك ماترى ونرى ، ترى إشعاعها ، ونحن نرى أضواء هذا الإشعاع !

بور سعيد — **أحمد عبد اللطيف بدر**

الفتاة وجور الجاهلية الأولى

نحن فى القرن العشرين ، ولكن يظهر أن الدنيا تغيرت وشمل هذا التغيير مخلوقات الله جميعا ماعدا الفتاة . فالفتاة لم تزل إلى اليوم أشبه بالتركة البغيضة، والسلعة البائرة، والمتاع المهين المهين . ويظهر أن للعقلية التى كانت تسيطر على أجدادنا منذ عشرات الأعوام فحسب ، كانت امتدادا لعقلية الجاهلية الأولى ، ولذلك نرى تصرفاتهم تصر على اعتبار الفتاة من سقط المتاع ، وكمية مهملة لا قدر لها ، وإلا فلم حرموها الميراث وأوقفوا أملاكهم على الذكور دونها ، كأن الله لم يخلقها لتعيش كريمة سعيدة وإنما خلقها لتهون وتشقى ، وتذوق الأمرين فى ظل شريعة العقول الرجعية الآسنة ؟ وإن تعجب فعجب لهؤلاء الأجداد المسلمين الذين كانوا يؤدون شعائر الدين ، ويفهمون تعاليم الإسلام كيف جاز لعقولهم أن تتنكر لنظام الشريعة العادلة ، وتتمرد على نظم قوانينها فى الميراث ، ولم تجئ هذه القوانين إلا وفق العدالة الاجتماعية . وكيف فات هؤلاء أن البنت أقرب الرحم إليهم ، وأن الله سائلهم عن هذه الرحم التى اشتق لها اسما من أسمائه ، ووعد بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها كما فى الحديث الشريف المشهور . أجل إن الله سائلهم عن هذه الرحم كما جاء فى الآية الأولى من سورة النساء

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا» لسنا ندرى كيف جاز لعقول هؤلاء الأجداد ، ما داموا مسلمين ، أن يتمردوا على الإسلام فيتنكبوا طريقه ، ويتمردوا على قوانينه العادلة التى اعتبرت الفتاة مخلوقا له وجوده وكيانه فأعلنت حقها فى الميراث بجانب الذكر ، وتوعدت المتمرد بغضب الله وشديد عذابه

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا » « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . » « تلك حدود الله ... ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

وبعد.. فنحن الآن فى موكب التحرر ، وأظن أن الفرصة قد سنحت لمحق هذه البدعة المقيتة ، بدعة حرمان الفتاة من الميراث،

هذه البدعة التى لايقرها عقل ، ولا ترتضيها شريعة ، وأملنا أن ينالها التطهير فى هذا العهد المشرق الجديد

الإسكندرية **نفيسة الشيخ**

الصحافة الأدبية فى العراق

قرأت فى الرسالة النيرة (عدد ٩٩٨) كلمة قصيرة للزميل الأستاذ عبد القادر الناصرى عن « الصحافة الأدبية فى العراق » وكنت ، وأنا أطالع تلك السطور أتوقع أن أجد تحليلا دقيقا لصحافتنا الأدبية وأسباب تأخرها والعمد التى يمكن أن تقوم عليها نهضة أدبية شاملة .. ولكنى لم أجد إلا أمورا شخصية : اتصل به بعضُ شعراء البحرين والكويت والقطيف وعدن . . . واستفسروا منه ، وقابل بعضهم وتجادل معهم (وذكر أسماء من قابلهم) ... الخ ... ثم تطرق إلى موضوع امتياز مجلة أدبية طلب إصدارها ففشل وثمة توضيحات أريد أن أذكرها :

(١) ليس السيد الناصرى هو أول من قدم طلبا لإصدار مجلة ثم فشل ، هناك كثيرون غيره قدموا طلباتهم ومازالوا ينتظرون ، وهؤلاء لا يقلون كفاءة عنه ، وإخلاصا لما أقدموا عليه

(٢) وجه الكاتب لوما وتقريعا إلى السلطات التى لم تمنحه الامتياز ، وكان يجب عليه ألا يشغل نفسه ويتعبها بذلك . إننى لا أريد الدفاع عن مديرية الدعاية العامة عندنا ، عفواً ، فهى دائرة لاتعمل إلا بإيحاء من رجال الحكم ؛ وهى لاتعطى امتيازا لشخص إلا بعد أن يثبت تعلقه وإخلاصه لرجل من رجال الحكم ، أو الولاء لأية وزارة تأتى إلى الحكم ، ولكنى كنت أود ألا يهتم الزميل بتمثيل لهذه الأمور التى أصبحت بديهية ومعروفة

(٣) قال (بعدم وجود مجلة أدبية راقية تمثل الأدب العراق المعاصر خير تمثيل تستحق أن تكون سفيرا بيننا وبين البلدان العربية الأخرى) وهذا صحيح ، وكان الأحرى به أن يذكر أن هناك مجلات تمثل الأدب العراقى المعاصر ، صدرت ، ولكنها لم تر النور كثيراً ، وأن يذكر العوامل التى أدت إلى ذلك

(٤) أفهم من كلمته أن ليس فى العراق مجلة أدبية ، بينما كان الواجب أن يوضح ذلك مع ذكر الصحف الأدبية التى تصدر فى « النجف » هـذه الصحف التى تغالب الصعوبات وتقاوم « الاحتجاب » ! فمجلة (الغرى) مثلا مجلة أدبية راقيــة ينشر فيهـا كتاب العراق ومؤرخوه ، وهى لا تقل نجاحا وقوة عن المجلات الأدبية الصادرة فى لبنان ومصر ؛ كما تعتبر (البيان) منبرا حرا لآراء الشباب وأفكارهم

وكان بودى أن أذكر تاريخ الحركة الصحفية فى العراق اعتبارا من عهد الاحتلال البريطانى حتى اليوم ، لولا أن ذلك يحتاج إلى شرح مسهب ووقت ليس قصيرا مما قد أفرد له مقالا خاصا فى وقت آخر .غير أن من الضرورى أن أبين العوامل التى يمكن أن تقوم عليها صحافة ونهضة أدبية مباركة :

(١) أرى أن العامل الأول هو توفير مطابع راقية تقوم بطبع الصحف الأدبية بأجور بخسة ، على أن تقوم بهذه المهمـة دور للنشر والطباعة يعتمد عليها . وهذا عامل له أهمية فى صحافتنا الأدبية التى تعانى غلاء الورق وأجور الطباعة الباهظة

(٢) رأس مال ضخم أو مناسب لإصدار صحيفة راقية يمكن أن تصمد طويلا أمام العقبات ، مع مساعدة (جمعية الصحفيين) لها فى حالة (الركود !) إذ الصحف الأدبية عندنا ليست كالسياسية اليومية التى تعتمد أكثرها على مساعـدات و (مخصصات سرية) تعينها على (البقاء) !

٣) تأليف الجمعيات للأدباء والشعراء وإنشاء النوادى لهم وجمع التبرعات والقيام بإصدار مجلة خاصة لهم

٤) إفساح المجال لأقلام الأدباء والشعراء وإنتاجهم ، وإعطاؤهم الحرية الكاملة للتعبير عن أفكارهم، وتشجيع الأكفاء منهم باستمرار ، ومساعدتهم بشتى الوسائل

٥) نتاج متين قوى ؛ وأحسب أن هذا موجود فى العراق فى أى وقت .. فهناك مواهب وقابليات كامنة ، لاتزال (بالقوة) ولم تخرج إلى الفعل بعد ! مع أهمية انصراف الأدباء والشعراء لأدبهم وفنهم ، والخروج من وظائفهم الحكومية التى تحد من نشاطهم وحريتهم

إن هذا لا يمنعنا من القول أن قيام نهضة أدبية ناجحة فى العراق ليس أمرا بعيدا ، بل على النقيض نجد الجهود اليوم تتضافر للعمل لخلق تلك النهضة . وفى رأيى أننا يجب أن نتفاءل فأمامنا طريق طويل يجب أن نعبده بأيدينا وجهودنا

بغداد **فؤاد العلى**



من الأدب الايطالي

عـدو . . .

كان جالساً فى حجرة المطالعة إلى نضد بجوار النافذة شارد اللب ، مشتت الخاطر ، يحدق فى الفضاء المترامى أمامه لا يثبت شيئا ولا يحققه ، وقد اضطربت فى رأسه خواطر .. خواطر سوداء يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائره . كان كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب: « بيترو! بيترو ؛ أأستطيع الدخول؟» ثم .. ثم دفعت الباب فى رفق وهى تقول : « أرجو أن تعيرنى سمعك قليلا . سأقص عليك خبرا هاما » وتقدمت فى هدوء وهى تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان المتكاثفة هنا وهناك : لقد أفرطت فى التدخين يا بيترو ، وهو يهد من كيانك . لماذا تجلس صامتاً فى الظلام ؟ وكان ثوبها الحريرى الجميل يحف حفيفاً خفيفا ، وقرطها الماسى يشع نورا ؛ وكانت هى تبدو أنيقة جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر إلى زوجته وهو يبسم فى تهكم ويقول : « لماذا رتبت شعرك بمثل ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفتاها وقالت : « إن شعرى لا يلبث أن يتشعث، ولكن لابد للمرء أن يبدوأنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر» ، وفى لهجة السخرية قال : « حقا . إن هذا اليوم عظيم . إن النواقيس لا تنفك ترن رنينها العذب ... »

واقتربت الزوجة رويداً رويداً من زوجها وقالت وهى تبسم فى رقة وقد طرحت وراءها كل تهكماته : « أتعرف سالفيتى القانونى الشاب ؟ إن أمه كانت هنا اليوم ؛ أفهمت ما أعنى ؟ »

فقاطعها الزوج فى جفاء وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

« إنك تذكره تماما! القانونى الشاب! إنه يبدو أنيقا رقيقاً ! »

« أنا لا أذكره »

وفى الحق لقد كان بيترو يعرف الشاب ، ولكن أى قوة على الأرض تستطيع أن تنتزع من بين شفتى هذا العنيد اعترافا ؟

فقالت الزوجة فى رقة : «لا بأس فأنا موقنة بأنك ستذكره حين تراه . لقد أسهبت أمه فى وصف ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والرقة والأنوثة و... ثم راحت تطلبها زوجا لابنها الشاب فى رجاء واستعطاف فوافقت، وسيزورك زوجها بعد.. »

« وافقت ؟ أحقا ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « بيترو ، أى زواج خير من هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ! »

وانتفض الرجل كمن مسه طائف من الشيطان يرعد ويزأر هائجاً مضطربا « وكيف ؟ كيف استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟ أريد أن أعرف . . . وأنت . . . أنت التى لا تعرفين معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان لتندفع فى طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم ! لقد سمحت لابنتك أن تحب رجلا لا أعرفه . لعلهما تراسلا أيضا ! ولعلك كنت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عينى ستار كثيف أسود ! »

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطار عنها ثباتها ، فغطت وجهها بيديها تخفى بعض خجلها ، وتستر ضعفها النسوى المنسكب من عينيها ، ثم راحت تنتزع الكلمات من بين شفتيها انتزاعا :

« لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أنى أحمل إليك بشرى ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا اقترفنا ، وأى غرابة فى ذلك ؟ شابان راق كل منهما فى نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبه ، وبادله الآخر حبا بحب وغراما بغرام ؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم »

وكان الرجل ظالما ، وبدأ فى جلسته مهموما مضطربا ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبل ، وكانت أفكاره تضطرم اضطراما ، وأحس كأنما يعانى ألما ممضا ، وحين كبح جماح غضبه ارتد هذا فى جسمه فتوراً واستخذاءً ، واستيقظ ضميره يخزه وخزات شديدة تؤلمه ، كما آلمته أعصابه المضطربة من قبل. نعم لقد أحب سليليا وهام بها ، فسعى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم . . . ثم فاز بهـا بعد طويل عناء . أنها قصة غرام قديم . . . قديم منذ نيف وعشرين سنة ؛ ولكن الحقيقة لا تهزم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين ، أما قلبه فما برح شابا يؤمن بالحب ، ويحبوه بما فى رأسه ويده معا ،

لذلك . . . لذلك كان الرجل ظالما

وحين تراءى له فى خياله كل ذلك تقارظته الهموم فصاح : « سليليا ، أعصابى ! ... دعى هذا الأمر الآن ... »

وكفكفت المرأة عبرات الخيبــة فى صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كئيبة تحدثها الحديث كله ، وتقف فى طريقها إلى أبيها الثائر خشية أن يقع فى أمر . وساد صمت رهيب حين علـم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب، فأمسك فرنسسكو عن العزف على البيان ، وتركت لوشيانا لعبتها ، وصمت بيبينو الصغير عن استذكار دروسه ، حتى الخادم المسكينة ، خففت من وطئها وهى تعد المائدة لئلا تزعج سيدها ...

وعلى المائدة جلس الجميع فى سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزعة وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة فى يدها فسقطت ، فى سذاجة الطفل التقطها بيبينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ، وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة . وغاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخمد هذه الزوبعة فى خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطاير شواظ يتقد وقال : « أعدى ملابسى ، سأسافر غدا إلى قريتنا .. قريتنا فالـكونيتو » ، وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائرا بين الزوج المحنق وبين الفتاة وهى تتلق الصفعة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فأطرقوا فى حزن إلا بيبينو الصغير ، فقد لمعت عيناه بالفرح . . . فرح التلميذ الصغير ينتظر الإجازة . . . فأشار إليه الأب : « أمسرور أنت لأننى ذاهب ؟ » فارتعد الطفل وقال « لا . لا يا أبى ، حقا لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له فى صوت ضعيف : « أتعود قريـباً ؟ لا بد أن تفكر فى هذا الأمر » فقال : « أى أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرفض والتحدى معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل فى فالـكونيتو » ولـكنه كان فى ثورته يبدو عنيدا فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر فى الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيما ! »

لم يكن العمل هو الذى دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التى فيه هى التى أرادته على أن يسئ إلى أهله

وصاحت الزوجة : « بيترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لايلوى على شئ . حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبناءه فى إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « أرأيت . . أرأيت أسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء ؟ »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج فى طريقه إلى القرية

* * *

جلس بيترو وحيداً إزاء المدفأة فى بيت قديم له بالقرية ، وخياله عند الجماعة الذين خلفهم هناك فى المدينة ؛ وبدت نفسه رفيقاً له يحدثه : « كأنى أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمغتبطة أنت يا إيلينا ؟ فتنطوى الابنة على هم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأنى بالأولاد من حولها يمرحون ويقولون : ما أجمل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الـكابوس هذا الـكابوس هو أنت ... أنت الذى لا يحبك أحد ، ولا يسر لمرآك طفل ... أنت الشبح المخيف ... إنهم يكرهونك ويمقتونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرت الأيام وأنت تورث الفكرة فى أذهـانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولـكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التى ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بعينى عقله ثمار القسوة والغلظة وهى مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع حلو الشمائل ، رقيق العاطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لمس هو الظلام فى كل شئ ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهى رقيقة عـذبة الحديث عطوفة رحيمة طيعة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ماذا فى هذه الأعصاب الفاتية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام فى هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هى النهاية ...!

وطلعت أيام الشباب فى خياله تذكره قصة الماضى . . فرأى أسرته جميعاً تهد فرقا من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك

الأعصاب الطالة التى وقفت سدا منيعا فى سبيل زواج كبرى بناته ، والتى أرغمت الصغرى على أن تتخذ خماراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هى أخرجت أكثر أبنائه من الدار لا يملك صلدياً يسد به الرمق ، وبيترو .. بيترو نفسه قاسى ويلات ما منته به هذه الأعصاب الطالة . لقد كانوا يكرهون الأب ويمقتونه ، لما يرون فيه من الظلم والأنانية ، وكان بيترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لى ولدا فقسوت عليه بمثل هذا لخنقت نفسى بيدى هاتين .. » أما الآن ... أما الآن فقد تراءى له ما يضطرب فى خواطر أبنائه هو جميعا ، وأحس بما يضمرون له من المقت والكراهية

ليته يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعا هادئا رقيقا ... وشغلته الفكرة وتصرمت أيام

ووافته الزوجة وهى تقول : « ما كنت لأجرؤ على المجئ ولكن . . . أنت مريض . . . أنت مريض حقا » ثم راحت تبكى فى صمت

وكان هذا الصراع النفسانى قد أنهك الرجل فهو ذابل ذاو شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال فى لطف « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « أنت . أنت . . يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراما لإيلينا ، يجب . . ولكننى أجد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلنى ... يجب . . . لأن إيلينا سأكتب إليها »

وكتب :

ابنتى العزيزة ؛ أنا أوافق على زواجك من السنيور سالفيتى ، لك تمنياتى الطيبة وحبى الطاهر

« أبوك »

وناول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفى هذا ما يكفى ؟ » قالت : « كفى .. ولكن بيترو ، ماذا وراء الباقى ؟ الجهاز . الناس . الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتغاضى الرجل عن حديثها حينا ثم نظر إليها وهو يقول : «إن القطار يتحرك فى الثالثة تماما»

« وأنت ... ؟ »

« سأرافقك إلى المحطة »

وانطلقا جنبا إلى جنب وذراعا فى ذراع والزوجة تقول : « تعال معى يابيترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك ! »

فقال الرجل فى هدوء : «سأظل هنا مابقى لى من العمر لأنكم تشقون بى ، سأعيش هنا »

— « وحيدا ! »

«نعم، هنا ، إننى أريدكم هانئين سعداء»

— «وكيف.. كيف نكون سعداء وأنت هنا ونحن هناك يتامى وأرملة ؟ »

ثم راحت تندب حظها الأسود العاثر

قال : الرجل « إن كل من فى الحياة يحمل قسطه من المتاعب والأحزان ، وفى كل دار عدوها ؛ فالفاقة والرذيلة والسقوط كل أولئك أعداء ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو.. هوأنا ، هذا ماأعرفه وأوقن به ، وليس لى من العزم مااستطيع أن أخرج عن طبعى هذا . . . عن قسوتى وغلظتى ، ولا أريد أن أبذر فى أبنائى غراس العداوة والبغضاء لى ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى دارى ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لعينى المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت فى عطف وشفقة : « سأبعث إليك بفرنسسكو أو سالفيتى فهو فصيح اللسان قوى الحجة »

وراحت تودعه فى حرارة وشوق وقد أشرق فى نفسها تاريخ السعادة الأولى حين شبا حبيبين ، وهى تقول : « وسأرسل فرنسسكو يابيترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شئ لأنك أبوه « ثم صعدت إلى القطار

ورجع الزوج يتثاقل كأنما يحمل على ظهره حملا ثقيلا، وتراءى له ابنه الأكبر فى الخيال يستعطفه ويرجوه ويجثو عند قدميه يبكى ويبكى ... فيصغى هو ، فيلين ، فيلبى ... ثم يرجع ويرجع معه العدو الذى فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، فى خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها فى ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

* * *

وخرج فرنسسكو ليعود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبأ المفزع ... موت أبيه

ك.ج

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 1003

Le Caire 22 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

أخرسوا هذه الأصوات الدنسة

للأستاذ سيد قطب

« مهداة إلى وزير الدولة وضباط القيادة »

محطة الإذاعة المصرية لم تشعر بعد بأن هناك ثورة فى هذا البلد . وقد ظل إدراكها لمعنى الثورة محصورا فى إضافة بعض إذاعات جديدة إلى البرنامج العادى ، قائمة على جهد فردى بحت . لا على أساس انقلاب أساسى فى عقلية الإذاعة !

وهذا طبيعى . فإن العقلية المشرفة اليوم على المحطة هى ذاتها العقلية التى كانت تشرف عليها منذ نشأتها

ومكلف الأشياء ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

إن الأصوات الدنسة التى ظلت تنثر على الشعب رجيعها خلال ربع قرن من الزمان هى ذاتها التى تصبها الإذاعة على هذا الشعب صبا ، وتكثر من عرض أشرطتها المسجلة بحجة أن الجماهير تحب هذه الأصوات

والجماهير تحبها نعم ! كما أن هذه الجماهير تحب المخدرات ! ولكن واجبنا اليوم هو حماية هذه الجماهير من الأصوات التى تحبها كما نحميها من المخدرات التى تحبها كذلك . واجبنا هو أن نصون ضمائر الناس وأخلاقهم من التميع والشهوات المريضة ، — المقذرة للرجولة والأنوثة — التى ينفثها فى أرواحهم مخلوقات شائهة بائسة كعبد الوهاب ومحمد فوزى وفريد الأطرش وعبد العزيز محمود وليلى مراد ورجاء عبده وفايدة كامل وشهر زاد وأمثالهم .!

إن هذا الطابور المترهل الذى ظل يفتت صلابة هذا الشعب ويدنس رجولته وأنوثته ، هو المسؤول عن نصف ما أصاب حياتنا الشعورية والقومية من تفكك وانحلال فى الفترة الماضية

إن فساد فاروق وحاشيته ، ورجال الأحزاب ومن إليهم ، لم يدخل إلى كل بيت ، ولم يتسلل إلى كل نفس . أما أغانى هذا الطابور وأفلامه فقد دخلت إلى البيوت ، وأفسدت الضمائر ، وحولت هذا الشعب إلى شعب مترهل لا يقوى على دفع ظلم أو طغيان . وعبد الوهاب ينفث فى روعه أن الدنيا سيجاره وكاس ! إن هذه الأصوات بذاتها تكون جريمة وطنية ، وجريمة إنسانية ، بغض النظر عما تقول ! فلقد تحول هى ذاتها إلى ميوعة مدنسة حتى ولو كانت تنشد نشيدا حماسيا !

وهذا هو محمد عبد الوهاب يغنى أخيرا « نشيد الحرية » للأستاذ كامل الشناوى . فماذا صنع به ؟ لقد استحال فى حنجرته رجيعاً ضارعاً ؛ ووصل إلى ضمير الشعب دعوة خانعة إلى نهويمة مخدرة ! ومع أن تلحين النشيد من الناحية الموسيقية فيه جهد واضح ، ولكن الكارثة كلها تكمن فى طريقة الأداء الصوتية التى انطبعت بالشجن الضارع المترهل المحلول !

وعبد الوهاب رأس مدرسة ، والآخرون ليسوا خيراً منه بل هم شر . ولا سبيل لعلاج هذه المخلوقات الشائهة الزرية . لا سبيل

لعلاجها إلا بأن تخرس هذه الأصوات الدنسة إلى الأبد ، إذا أردنا أن نربى روح هذا الشعب تربية جديدة ، وأن نبث فيه حياة جديدة . وما كنا بمستطيعين من قبل أن نصنع هذا ، ولا أن نطالب بإخراس هذه الأصوات كلية — مهما كان الشعب يحبها — لأن العقلية العامة لم تكن تستسيغ هذا الطلب . وربما لا تستسيغه الآن كذلك . ولكن واجب الثورة يحتم عليها أن تفعله — مهما يكن فيه من اعتداء على حريات الأفراد — فواجب الثورة أن تحمى الناس من أنفسهم أحيانا . كما تحميهم من المخدرات . والمخدرات لا يمكن أن تفسد ضمير الشعب ، وأن تفتت تماسكه ، كما يفسدها فلم واحد ، أو أغنية واحدة من أغنيات هذا الطابور !

ثم نعود إلى محطة الإذاعة فنجدها توالى برامجها القديمة بعقليتها القديمة — فيما عدا تعديلات طفيفة قائمة على جهود فردية بحتة — كأن شيئا ما لم يحدث فى حياة هذا البلد

لماذا ؟ لأن الرجال الذين عاصروا مولد الإذاعة هم القائمون عليها حتى الآن . وأنا آسف حين أتعرض لأشخاص بأعيانهم . فالأشخاص لا يهموننى فى شئ ، لولا دلالة وجودهم على أن الثورة لم تصل بعد إلى محطة الإذاعة

خذ مثلا لذلك رجالا ، ردهم العهد الجديد إلى مراكز هامة فى محطة الإذاعة ، بينما هم عنوان على عهد لا ينبغى أن تظل له آثار فى العهد الجديد

كل من احتكوا بالإذاعة يعرفون كيف نال بعضهم رتبة « البكوية » فى سن مبكرة وكيف صعدوا الدرجات المالية وثبا

إن رتبة « البكوية » كان لها معناها ، ولها أسبابها فى مثل تلك العهود . ومع هذا فقد استطاع بعضهم أن يعود إلى الإذاعة ، وأن يطلق أبواق الثناء عليه فى كافة الصحف !

لماذا ؟ لمجرد أن المنافسة القائمة على الحظوة بالرضى الملكى السامى قد أبعدت قوما وقربت آخرين

ولكن أحدا لم يسأل ، ولم يعرف ، فيم كان هذا الخلاف ؟

إنه لم يكن قطعا خلافا على مبدإ ، ولا على حق من حقوق الشعب ، ولا على خطة ولا على فساد . إنما كان خلافا على الحظوة بلثم الأعتاب الملكية الكريمة !

ولم يقل أحد إن انتصار موظف على موظف فى هذا السباق يجعل أحدهما شريفا والآخر مجرما . ولكن بعضهم قال هذا . وجاء بالمبعدين ليشرفوا على محطة الإذاعة من جديد ، فى العهد الجديد !

إننى آسف حين أضطر إلى لمس ذلك الموضوع الشخصى ولكن عذرى أنه عنوان على عهد يجب أن يزول

إن محطة الإذاعة يجب أن تنفض نفضا من أقصاها إلى أقصاها . إنها فى حاجة إلى تطهير من نوع خاص . فلم يبلغ الدنس فى جهة من جهات الدولة ما بلغ فى محطة الإذاعة . وإن جدرانها لو نطقت لأفصحت عن كثير ، مما لا يجوز نشره فى الصحف ، لا لأن القانون يحرمه ، بل لأن كرامة النفس البشرية تأبى الإفصاح عنه !

ولا سبيل للتطهير والأشخاص الذين عاصروا مولد الإذاعة وسايروها باقون فى مراكزهم بالمحطة . إن لهم صلات معينة بالوسط الإذاعى لا يمكنهم التخلص منها . وإن لهم سهرات معينة لا يمكنهم أن يتنازلوا عنها . وإن لهم ارتباطات معينة لا يمكنهم التنكر لها ، ومهما حاول الوزير المختص أن ينقى جو الإذاعة من الشوائب فإنه سيظل عاجزا عن الوصول إلى تلك الملابسات التى تتدخل فى عقود الإذاعة . وإلا اضطر إلى مراجعة ظروف كل إذاعة وهذا مستحيل !

وإن عقلية الإذاعة يجب أن تتغير ، فتنصرف إلى بناء أخلاق الشعب ومبادئه ومثله وأهدافه . وإلى بناء ثقافته وتفكيره وتعبيره ، وإلى تعبئة قوى الشعب وعزيمته وأطماعه وأشواقه وإلى دراسة مشكلاته وتوجيهه وجهة سليمة

وهذا لا يكفى فيه تعديل البرامج ، ولا تنحية فرد أو اثنين . إنما هو فى حاجة إلى تنحية عقلية ، وتنحية تاريخ

ولا حاجة إلى المساس بالموظفين جميعا لتحقيق هذه الغاية . فالمهم هو تطهير الرؤوس المشرفة . الرؤوس الموجهة . الرؤوس التى عاصرت الفساد وسبحت بحمده وانغمست فيه

إن الرؤوس وحدها هى المتعفنة فى هذا الشعب . وقد سار الفساد من أعلى إلى أسفل ، ولم ينتقل من أسفل إلى أعلى وكذلك يمكن أن يسير الإصلاح فى نفس الطريق

سيد قطب

القيم الأخلاقية والوظيفة الحكومية

للدكتور عمر حليق

شغل المجمع الأمريكي للعلوم السياسية والاجتماعية [1] فى إحدى حلقاته الأخيرة بموضوع هام يتعلق بجوهر النظام الديمقراطى الذى هو مقياس الرق للشعوب الحية. فقد تختلف النظم الفكرية فى تحديد معنى الديمقراطية وأهدافها إلا أنها لا تختلف فى ناحية واحدة على الأقل وهى نزاهة ومسئولية الوظيفة الإدارية مهما كان نوع الحكم الذى يعيش عليه المجتمع

والذى دفع المجمع الأمريكي إلى الاهتمام بهذا الموضوع هو الاستياء الشديد الذى أعربت عنه الأوساط الواعية فى الولايات المتحدة الأمريكية إثر الكشف عن سلسلة من الفضائح فى دوائر ضريبة الدخل والتجارة ومؤسسات الإقراض الحكومية التى توفر للزراع والصناع قروضا طويلة الأمد بفوائد زهيدة فى حالات الضيق الاقتصادى، وفى دواوين حكومية أخرى كانت مسؤولية بعض الموظفين فيها ونزاهتهم موضع الشبهات

وقد أحب المجمع أن يعين الحكومة المركزية فى مواجهة هذه المشكلة وجعل حركات التطهير مستندة إلى دراسة علمية ترتفع عن مآرب السياسة الحزبية وأهواء ذوى النفوذ والمصالح. وقد عقد المجمع حلقة لدراسة القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحكومية اشترك فيها نفر من أئمة العلوم السياسية والاجتماعية ومن كبار رجال السلك المدنى وأعضاء البرلمان. وقد نشرت محاضر جلسات هذه الحلقة فى سجل استند إليه كاتب هذه السطور فى وضع هذا المقال فى آونة يشغل بها الرأى العام العربى فى هذا النوع من النشاط الاجتماعى

***

الوعى القوى فى المجتمعات الديمقراطية يفترض احتراما وتقديرا لمسؤولية الحكم والإدارة. وهذا يعنى أن نظرة الناس إلى الوظيفة الحكومية يجب أن تستند إلى نوع من الاحترام شبيه بذلك الذى يحظى به أصحاب المهن الحرة من أطباء ومحامين وكتاب وعمال ومدرسين ومن يعملون فى شتى أنواع العيش الشريف. فإذا اعترى السلك الحكومى ما يدفع الناس إلى وصمه بغير النزاهة فإن الأساس الديمقراطى الذى يدعم الدولة والمجتمع يصبح معرضا إلى الانهيار

والوعى يستلزم يقظة مستديمة لمحاسبة المسئولين عن الأمانة الشعبية فى جهاز الحكم والإدارة. فالمسؤولية الإدارية كانت منذ أقدم الأزمنة معرضة للاغراء؛ وندر أن تجد مجتمعا من المجتمعات القديمة أو الحديثة خلا من هذه المحاسبة. وقد تتخذ هذه اليقظة طابعا حزبيا فى بعض الحالات إلا أنها على وجه العموم تستند إلى طبيعة السلطة وطبيعة السلوك الإنسانى وإلى تأصل القيم الأخلاقية فى المجتمعات مهما تراكم على هذه القيم من الأطمار البالية

إذن فتعريض القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحكومية إلى المحاسبة الحزبية أوالشعبية مسؤولية ديمقراطية، وحد اجتماعى مها صاحب هذه المحاسبة من نزوات السياسة ومآرب الذين يصطادون فى الماء العكر

وقد وجد أعضاء المجمع الأمريكي للعلوم السياسية والاجتماعية أن دراسة القيم الأخلاقية فى الوظيفة الحكومية اجتهاد يتطلب أكثر من الأمانة العلمية — يتطلب لباقة وسعة صدر تأخذ بعين الاعتبار نقاط الضعف فى الطبيعة البشرية؛ وتشعب المسؤولية الحكومية وتعرضها إلى ضغط أو إغراء أسبابها فى تضارب المصلحة الشعبية العامة مع المصلحة الخاصة لأرباب النفوذ من علية القوم أو من أرباب المصالح الاقتصادية والسياسية؛ ومن ثم يتيقن من أن مصادر الشبهات التى تحوم حول المسؤولية الحكومية المتهمة ليست مصادر مغرضة. فحقائق هذه الشبهات قد تضيع فى كثير من الحالات فى ثنايا الاجتهاد الخاطئ الذى تنشره الصحافة فى الرأى العام لأسباب تتعلق بفن السبق الصحفى ونفسية القارئ وإدراك الصحفى للعوامل المثيرة التى تستجلب انتباه القراء. والناس أميل إلى أن تحمل نوعا من الحسد الدفين لذوى السلطان ومن هم فى مركز إدارى مسؤول،

---

[1] The Academy of political and Social Ssiences

حلقة مارس ١٩٥٢

والناس أميل إلى تناقل الأنباء السيئة منهم إلى التحدث عن الأمور الحسنة التي ينظر إليها الناس على أنها من تحصيل الحاصل لا تتطلب تعليقا

ومقاييس القيم الأخلاقية في الوظيفة الحكومية هي مقاييس غامضة لا يمكن بالضبط تحديدها على أساس مثالي صادق. فأكثرنا يميل إلى وزن هذه القيم الأخلاقية بمقاييس معينة منها الاختلاس أو الرشوة أو ما شاكلها من أنواع المنفعة المادية. ولكن سوء استعمال المسؤولية الحكومية لا تقتصر على مثل هذه المقاييس فقط، بل يدخل في نطاقها الوساطة الشخصية لمآرب لا صلة لها بمنفعة مادية للوسيط أو للموظف المسؤول. وهذا يعني أن وزر الاعوجاج يقع على الطرفين. ومن الصعب في مثل هذه الحالات تحديد القيم الأخلاقية إذ أن فيها تقاربا بين مسؤولية الصداقة الشخصية (وهي من القيم الأخلاقية العامة) ومسؤولية الإدارة والحكم

ومن النقاط الطريفة التي أثارها أحد أعضاء المجمع الأمريكي في معرض تحديده لمقاييس القيم الأخلاقية في المسؤولية الإدارية إشارته إلى أن هذه المقاييس تختلف باختلاف الزمان والمكان والمجموعة الإنسانية التي تنفذ فيها المسؤولية الإدارية

ففي المجتمع الريفي الشرقي مثلا تتخذ رشوة صاحب المصلحة للموظف المسؤول طابع «الهدية» والاعتراف بالجميل والود الخالص والاحترام والتقدير. وهذا النموذج من نماذج السلوك الريفي يتخذ في المدن لونا مغايرا. فصاحب الحاجة في العاصمة حين يقدم للموظف «هدية» نقدية كانت أم غير ذلك يدرك تمام الإدراك أنه يتعمد رشوة الموظف المسؤول. فطابع هذه الرشوة لا يوحي إلى صاحب الحاجة باحترام الموظف أو الاعتراف له بالجميل والشكر والتقدير. والموظف نفسه لا يفترض هذا الاحترام. وبين هذين السلوكين الريفي والحضري (ممثلا في عاصمة الدولة) يوجد نموذج ثالث هو بين هذا وذاك. ففي المدن الصغرى يشترك الموظف المعوج مع صاحب الحاجة في تعيين نوع «الهدية» وكلاهما يعلل نفسه بأن هذا التعامل نوع من العادات الاجتماعية ليس طابعها ارتشاء محض أو أمانة مطلقة. وعلى ذلك فإن الصلة بين الموظف المعوج وصاحب الحاجة في هذا النموذج من السلوك المدني صلة «تجارية»

وهكذا نرى الصعوبة في تحديد مقاييس القيم الأخلاقية للوظيفة الحكومية والوعي المدني ما دام للعوامل الاجتماعية ولنماذج السلوك صلة وثيقة بهذه المقاييس — صلة تتعارض في بعض الحالات مع النظرة الأخلاقية الصرفة

والعلاقة بين المسؤولية الحكومية والوعي المدني ذات صلة بجدل قديم العهد بالفلسفة وعلم الاجتماع. فمن قائل بأن عناصر النزاهة والأمانة في الفرد قد يقدر لها أن تظل خالية من الشوائب لولا تعكير المجتمع الفاسد لها، على اعتبار أن للمجتمع شخصية «فردية» مستقلة عن شخصية الأفراد الذين يشكلونه. ومن قائل بعكس ذلك

فالنظرية التي تعتبر الإنسان فاضلا في فطرته معرضا للفساد حين يتأثر بالصلات التي تفرضها عليه علاقته الأبدية بالمجتمع — هذه النظرية تتلخص فيما يلي: كلنا معرض للخطيئة؛ وأكثرنا تعرضا أولئك الذين لهم نفوذ وسلطان. وقد يقدر لنا أن نعصم أنفسنا عن الحرام لولا أن طبيعة النفوذ والسلطان التي توفرها الظروف لبعضنا تجعله عرضة للاغراء وهدفا مستمرا له

ثم إن هناك النظرة الميكيافيلية لمسؤولية الحكم، ولمقاييس القيم الأخلاقية. وهذه النظرة لا تزال تشكل عنصرا هاما من عناصر السلوك السياسي والإداري في كثير من المجتمعات والنظم — ديمقراطية وغير ديمقراطية — على رغم أن الجميع يرمون ماكيافيلي بالكفر والإلحاد السياسي. ونظرية ماكيافيلي تقول بأن رجل الحكم حين يوكل إليه تنفيذ مسؤولية إدارية يشعر بأنه ملزم بأن يفعل ذلك في ظروف تستوجب مراعاة نواحي الضعف والقوة في الطبيعة البشرية؛ فليس من الحكمة والصواب — في رأى ماكيافيلي — أن نزن رجال الحكم بمقاييس أخلاقية مستمدة من نظريات مثالية ينقصها الاختبار العملي بطبيعة السلوك الإنساني في مادته الخام. فما دام رجل الحكم قد تولى المسئولية ومارسها برضى الناس فلا مفر له من أن يعالج الأمور ونصب عينيه أهواء الناس وحقائق طبائعهم البشرية، وهي حقائق لا تقاس في بعض الحالات بمقاييس القيم الأخلاقية

الفاضلة ، والنظريات المثالية الرفعية . ويرى — ماكيافيلي — أن رجل الحكم وصى على أمور الناس ، فإذا واجه ضغطا من بعض هؤلاء الناس لتنفيذ غير ما نصت عليه الشرائع والأمانة الإدارية فإنه يفعل ذلك تلبية لأهواء هؤلاء النـاس أو على الأقل أهواء نفر منهم ذوى حول وقوة ونفوذ . والنفع الذى يجنيه رجل الحكم حين يحيد عن القانون المدون فى أغلب الحالات أقل فى ناحيتها المادية من النفع الذى يجنيه الحزب أوالوسيط أوصاحب الحاجة .

وعلى ذلك فإن عواقب الاعوجاج فى السلوك الحكومى تقع فى أغلب الحالات على صغار رجال الإدارة لأنهم لصغرهم (فى النفوذ والمكانة والدخل) أميل إلى تقبل الإغراء فى صفقة يكون النصيب الأكبر من الربح فيها عائدا على صاحب الحاجة . وهذا الاعوجاج إذا مارسه كبار رجال الإدارة والحكم كان نفعه عليهم أعم واستفادتهم منه أعظم

ورجل الحكم الذى يفوز بحصة الأسد من سوء استعماله للأمانة الحكومية يكون عادة رجلا نافذ المكانة مهابته تفوق أهمية الوظيفة الحكومية التى يشغلها . وصاحب الحاجة من أفراد الأمة حين يحاول أن يتغلب على الأمانة والنزاهة الحكومية يعلم أنه يرتكب نوعا من الجريمة عقابها كامن فى طبيعة الصفقة ؛ وهذا الارتكاب يفرض على صاحب الحاجة المغامرة والإقدام . والمقامر لا يرضى عادة بالربح الطفيف ويترك حصة الأسد الموظف الذى اشترك معه فى الإجرام . فإذا كان هـذا الموظف ذا مكانة ونفوذ (اجتماعى أو سياسى أو مالى) تفوق حدود وظيفته كان نصيبه فى النفع من الصفقة نصيب الأسد

وهكذا يتبين لنا حقيقة طالما تجاهلها النـاس فى معرض حديثهم عن الاعوجاج فى الخدمة المدنية ومن الانحلال فى القيم الأخلاقية لبعض رجال الإدارة والحكم ؛ وهى أن وزر الاعوجاج فى تنفيذ الأمانة الشعبية يقع قسطه على الموظف وعلى صاحب الحاجة من المواطنين . والقسط الأكبر من النفع الذى يضيبه الموظفون المعوجون يذهب إلى « الكبار » بينما الوزر يقع فى الغالب على صغار المسؤولين الذين أساءوا استعمال الأمانة

وإلى أن يدرك المواطن أن الوزر فى سـوء استعمال الأمانة الحكومية يقع عليه كما يقع على الموظف المعوج — كبيرا كان أم صغيرا أم متوسطا ! — فإن دراسة القيم الأخلاقية ومحاسبة الوعى المدنى لها ستظل عديمة الجدوى . ومع أن القـانون يدين كلا الطرفين بالإجرام إلا أن الرأى العام يميل إلى تركيز التهمة على الموظف ويتجاهل اعوجاج المواطن ، وكما أنك لا تستطيع أن تقدر القيمة الفنية للصورة الجميلة إلا إذا كان لديك استعداد ثقافى معين فإنك لن تستطيع أن تقدر شناعة الانحلال الخلقى فى الوظيفة الحكومية إلا إذا أشركت المواطن المعوج فيها ووفرت لنفسك ثقافة « مـدنية » تعينك على إدراك الصورة الكاملة لشناعة الإجرام . وهذا ما يتطلبه الوعى المـــدنى الصادق فى المجتمع السليم

نيويورك — عمر حليق

هل كان الزهاوى فيلسوفا ؟

للأستاذ محمد رجب البيومى

قرأت المقال الرائع الذى كتبه المستشار الفاضل الأستاذ محمد سالم الخولى عن أثر « الرسالة » فى الأدب الحديث ، وقد اغتبطت كثيرا بما نم عليه من رأى صائب ، واطلاع دائب ، وذوق سليم . وليس ذلك عجيبا ، فالأدب يمت إلى القانون بأوشج الصلات وآكدها ، فهو عدة المحامى اللسن ينمق به الدفاع ، وسلاح القاضى المتمكن يدبج به الحيثيات، ولن ترى فقيها مرموقا لايستند إلى بلاغة الحجة وقوة البيان

وقد لاحظت أن الأستاذ يقول عن الزهاوى رحمه الله أنه الفيلسوف الشاعر وليس الشاعر الفيلسوف ! وذلك قول تختلف فيه الآراء ، ويفسح مجالا للمناقشة والتعقيب ، إذ أن الشاعرية أصل فى جميل ، قام عليها بناء مجده وخلوده ، وكان للفلسفة ظلال خفيفة تتراقص فى أبياته ومقالاته ، ولكنها لا تصبغ إنتاجه بطابعها الدقيق ، فظل الزهاوى طيلة حياته شاعرا يتشوف إلى الفلسفة ، وقد يوجد من ينعته بالشاعر الفيلسوف على ضرب من التجاوز يدفع إليه الإطراء والتقدير ، وقد يكون هذا مقبولا جائزا ، أما الذى لا يقبل بحال فهو أن يكون الزهاوى فيلسوفا شاعرا كما ذكر الكاتب الكبير

وحين نتعرض لجلاء هذه الحقيقة نذكر أن كلمة « الفلسفة » قد فقدت مدلولها الصادق عند كثير من الناس ، فأنت تجد من يطلقها على كل مبهم غامض من القول ، ومن يقف بها عند البحوث الشائكة التى تتعلق بالقدر والإله وما وراء الطبيعة ، كما تجد من يطلقها على الحكم السائرة ، أو الأمثال العابرة ، حتى جاز أن يكون شعراء الحكم والمواعظ فلاسفة متأملين ، ولو علمنا أن الفلسفة هى البحث عن حقائق الأشياء فى شتى مناحى الكون ، لاتضح لدينا أن كثيرا ممن نزعمهم فلاسفة شعراء ، لا يصدق عليهم الزعم فى قليل أو كثير

ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن — مرة واحدة — علما — كما يقول الأستاذ مهدى علام [1] — فى أساطير القصاص ، وشعر الشعراء ، وأقوال الحكماء ، ثم اجتازت هذه المرحلة على جسر من أنصاف الفلاسفة ، حتى وصلت إلى أيدى أساتذة الفكر وسادة العقل البشرى فأصبحت ذات مذاهب دقيقة ، ومدارس متشعبة تكد الأذهان وترهق العقول

فهل كان للأستاذ الزهاوى مذهب خاص يدعو إليه ، ويقيم الأدلة على صحته ، ، حتى يكون فيلسوفا يتبوأ مكانه بين الفلاسفة الخالدين ؟ !

إننا نبحث فى إنتاجه — النثرى والشعرى معا — فلا نجد غير مجموعة متناقضة من الآراء ، وقسطا وافرا من الشكوك العقلية ، لا تجد من يذهب بها إلى الجزم واليقين ، والشاعر حائر مضطرب لا يدرى بأى رأى يتمسك ، وإلى أى سبيل يتجه ، فهو من هواجسه فى ليل دامس لا يشرق فيه بدر منير ، وقد دارت أكثر شكوكه حول الموت وما يعقبه من فناء أو خلود ، فأكثر من الحديث فى ذلك دون أن يجزم برأى يظهر اتجاهه ، ويكشف عقيدته ، فقد تقرأ له القصيدة فتظن أنه من الماديين الذين ينكرون خلود الروح ، فإذا انتقلت إلى قصيدة أخرى رأيته يتشبث بالفكرة الإسلامية فى الخلود والبقاء ، ثم تقرأ قصيدة ثالثة فتجده فى حيرة دامسة بين الرأيين السالفين ، يذكرهما فى شك وتردد ، دون أن يعتصم برأى خاص يجهر به ، ويصرح باعتقاده ، وما هكذا الفيلسوف الصادق ، بل إنه صاحب المذهب الفكرى الذى يقيم بناءه على دعائم قوية من الأدلة والبراهين ، وقد نلاحظ صلات واضحة بين ما قاله أبو العلاء وما نظمه الزهاوى ، فكلا الرجلين عريق فى هواجسه وظنونه ، ينفى ويثبت ، ويلحد ويستغفر ، ويجزم ويتردد ، وقد أطلق المؤرخون على المعرى ما أطلقه المحدثون على الزهاوى ، فكان الأديب الفيلسوف ، على ضرب من التجاوز ، ولم يكن الفيلسوف الأديب ، وأذكر أن الأستاذ أمين الخولى قد كتب كتابه « رأى فى أبا العلاء » ليجرده من الفلسفة ، ويقصرها على أصحابها المفكرين ، وقد ذكر مجموعة كبيرة من لزوميات أبى العلاء ، تظهر تناقضه الصريح فى جميع ماذكره من المعانى والآراء .. فهو يقول فى الموت

(١) فلسفة المتنبي : للأستاذ مهدى علام

والقدر والروح والإله وغيرها أشعارا متضاربة ينقض البيت أخاه ، والكلمة سابقتها ، حتى لا يستقر بقارئه على موضع ، ثم خرج الأستاذ الخولى بالنتيجة السافرة التى تنفى أن يكون من التناقض والاضطراب والتردد والحدة مذهب فلسفى يدعى صاحبه بالفيلسوف

وسنفحص أقوال الزهاوى على ضوء ما كتبه الأستاذ فى أبى العلاء لنصل إلى ما وصل إليه من نتائج ، وحين نفعل ذلك لانظلم الزهاوى فى شئ ، بل ننصفه من الفلسفة وننصف الفلسفة من أناس فهموها على غير وجه صحيح ، فلقد حسب كثير من القراء فى عصرنا الحاضر ، أن كل كلام يقال فى القدر والحياة والموت يمت إلى الفلسفة بنسب عريق، ومن ثم فقد ظهر لدينا ألوف من الشباب ، يتساءلون فى قصائدهم عن سر الحياة ، ورهبة الموت ، ومن أين نجئ ؟ وإلى أين نذهب ؟ ويملأون أبياتهم بالدهشة والارتباك والذهول ، ثم يحسبون بعد ذلك أنهم فلاسفة شعراء ، مع أن هذه الأفكار التى تجد مجالها فى عقولهم كثيرا ما تتردد فى أذهان العامة والأميين ، فهل صار هؤلاء جميعا بتساؤلهم الحائر فلاسفة مفكرين ؟ ! كلا أيها القوم فالفلسفة لا تستند إلى الأوهام والتناقض ، ولكنها تستند إلى الجزم والثبات ، ونحن نعلم أن من الفلاسفة من بنى فلسفته على الشك فى الحقائق ، ولكن الشك شئ ، والتناقض والتردد شئ آخر دون نزاع

ولابد لنا أن نذكر مثالا من شعر الزهاوى يوضح قلقه الذهنى ، وتبلبله النفسى ، وتردده فى مجاهل اللوعة والحيرة ، وأقرب شاهد لدينا ما ذكره فى مصير النفس بعد الموت ، فقد أطال فى ذلك إطالة تدعو إلى السأم والاستخفاف ، وما تكاد تقرأ له قصيدة حتى تستشف أوهامه الحائرة ، وهواجسه المضطربة ، فوجه بذلك أذهان الشبيبة الشاعرة إلى ما عرفوا فيه من التخرص والظنون ، وأصبح المتأدبون من بعده ينهجون نهجه، زاعمين أنهم مثله ، فلاسفة شعراء ! وقد ارتاع أستاذنا محمد فريد وجدى لهذه النوازع الإلحادية ، متى تسممت بها قصائد الشباب فى فترة من الزمان ، فكتب إلى الأستاذ الزهاوى خطابا مفتوحا ، على صفحات جريدة السياسة (وقد كانت مسرحا للنوازعه المادية) يرجو أن يناقشه نقاشا علميا أمام القراء لتتضح الحقيقة للعيان بعد الجدل والتمحيص ، فاعتذر الزهاوى ولم يجد لديه من الأسلحة العلمية ما ينازل به فريد ، وعلة ذلك واحدة ، فالشاعر إذا نظم قصيدته لا يتقيد بمنطق دقيق بل يرسل آراء فى جو شعرى يستثير العاطفة والانفعال ، ويحيطه الوزن العروضى بضرب من النغم الموسيقى الخلاب ! أما الكاتب فملزم بمقارعة الحجة ومناهضة الدليل ، ولن ينقذه من الحقيقة بيان ناصع ، ولفظ رشيق

لقد قال الزهاوى فى فناء الروح

يقولون إن النفس حق وجودها ... فلا ينبغى إنكارها وجحودها
فقلت لهم هذا جميل وعله ... خيالات عقل شارد لا أريدها
ولم يكن الإنسان إلا ابن غابة ... على فجأة قد أنجبته قرودها

فماذا يرى القراء فى هذه الأبيات ، إنها مثال من عشرات الأمثلة التى تؤكد فناء الروح ، وقارئ الزهاوى يجد نظائره فى دواوينه ، ورباعياته ، فهل استقر الشاعر على هذا الرأى لندرك نزعته المادية ، ونضمه إلى فريق معين من الناس ، كلا ، فالشاعر يعلن ما يناقض ذلك حين يقول

فيانفس سيرى فى الفضاء طليقة ... فلا شئ فيه للنفوس يعوق
لأنت شعاع طار عن مستقره ... وكل شعاع بالبقاء خليق
تحيق المنايا بالجسوم كثيفة ... وأما بأرواح فليس تحيق

فما رأى القراء مرة ثانية فى هذا القول ؟ ألا يقف من سابقه موقف النقيض ! على أن الشاعر لا يريح نفسه بعد ذلك ، بل يفعمنا بوابل من التردد المتذبذب بين هذين المثالين ، فهو يعلن مرة ثالثة خفاء مذهبه بين القول الأول والقول الثانى، ويجهر بأن الدليل يعوزه فى ترجيح أحدهما على الآخر ، ويغرق فى شكوكه واضطرابه ، فهو من هواجسه فى بيداء مجهل تتقاذفه الكثبان والأودية وتشرد به التعرجات والسهوب

وإنك لتلمس اضطراباته وبلبلته فى مثل قوله

قالوا وراء الموت أهوال ولم ... أحفل بما قالوا ولم أتيقن
ولعل هذا الموت يتبع رحلة ... للروح خالدة وراء الأزمن

وقوله

إنى ملم بأخبار الحياة وما عندى سوى الظن علم بعدها خبر
ما بال ليلتنا سوداء حالكة فهل تقدر ألا يطلع القمر

وقوله

أتحسب أن النفس بعد منيتى تطير بهـــذا الجو شبه قطاة
أم النفس من بعد المنية ريشة تقاذفهـا الأرواح فى فـلوات
أم الروح بنت الكهرباء مصيرها إلى هدران أفلتت وشتات
على أننى ماض إذا صاح بى الردى وآت ، وماض بعد ذاك وآت
خلال دهور مالها من نهاية بسلسلة موصولة الحلقـات

والأمثلة السالفة وأكثر هواجس الزهاوى لا تخرج عن قول أبى الطيب المتنبى

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سـالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

فإذا جاز لنـا أن نعتبر المتنبى فيلسوفا ، فالزهــاوى إذن فيلسوف !

وقد كان الزهاوى حينا من الدهر أستاذاً للفلسفة بالآستانة ، فن المؤكد أنه درس كثيرا من الآراء الفلسفيـة ، ومدرس الفلسفة لا يكون فيلسوفا ، وإلا فجميع أساتذتها بالمدارس والمعاهد والـكليات فلاسفة مفكرون ، ولن يصدق هذا أحد من الناس

وقد يقول قائل إن الزهاوى قد ألف كتبا علمية هامة ، ونشر فى المقتطف والمقطم أبحاثا طبيعية ، ونحن نعترف أن هذه الـكتب تضع الزهاوى فى صفوف العلمـاء لا الفلاسفة ، وتنبئ عن جدارته العقلية ، وملـكته الفكرية ، كما أنهـا لم تخل من مطاعن تتجه إلى دعائمها الثابتة فتحيلها إلى أنقاض ، فـكتاب « الـكائنات » مثلا يقوم على أن الأثير أم الـكائنات تتولد منه القوى البسيطة ، فترتقى إلى أن تـكون مادة ، والمادة ترتقى إلى أن تـكون عناصر ، والعناصر ترتقى وتتركب فتكون أحياء منها الإنسان والحيوان ، وغير خاف أن الأثير شئ افترضه العلمـاء افتراضا ، فـكيف يكون نواة الحياة والأحياء فى هذا الوجود ، وكتاب الجاذبية للزهاوى يطلعك على عجائب وهمية تتصل بالدماغ والإشعاع والنور والتصور ، وقـد أكون ممن لا يستطيعون الحـكم على أقوال الزهاوى العلمية ، فلست ممن يتعمقون فى البحث الطبيعى ، ولـكننى أقول إن الزهاوى قد أثبت بكتبه فى الطبيعة أنه عالم لا فيلسوف ، ويجمل أن نشير إلى بحث هام نشره الأستاذ محمد فريد وجدى بمجلة الأزهر سنة ١٣٥٦ ، مؤيدا بالأدلة التى تجرد الشاعر من الفلسفة دون تحيف أو إنقاص

لقد كان الزهاوى شاعرا فحلا يطيل القول فيجيد ، وهو من كبار المجددين الذين سنوا للشعر مناهج طريفة وطرائق جديدة؛ كما كان صاحب رسالة إصلاحية فى المجتمع يدين بها ويكافح عنها ، وقد قاسى بسببها آلام السجن والاغتراب ، ولن يضير مجده الأدبى ألا يكون فيلسوفا ، فهو من أدبه الرفيع فى قمة عالية وحصن منيع

محمد رجب البيومى

عرض سريع عن

تاريخ النهضة الفكرية في السودان

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

إذا أردنا التحدث عن تاريخ النهضة الفكرية فى السودان فإننا لا نجد بأيدينا من الأدلة ما يكفينا للاستدلال على المعالم الواضحة التى تنير لنا الطريق أو توصلنا إلى الحجة ، فالخطوط الرئيسية مطموسة المعالم يكتنفها الغموض ويحيط بها الضباب من كل جانب؛ فنحن إذن نسير فى سبيل ملتاث وفى ظلام دامس غير منار ، ذلك لبعد الشقة بين الأمس واليوم ، ولانعدام الصلة بين الماضى والحاضر ، ولعدم وجود رابطة بين العهدين القديم والحديث ، وستظل الحلقة مفقودة إلى أن يهيئ لهـا الله باحثا سودانيا ينقب بجد ليكشف لنا السر المختفى وراء أطلال الماضى البعيد

وإذا أردنا الرجوع إلى الماضى فليس لدينا ما يثبت صحة قولنا غير أحاديث يتناولها الناس فى مجالسهم الخاصة ، يقتلون بهـا الوقت أو يتسلون بها لينقلها الخلف عن السلف ، وهى أشبه ما تكون بأحاديث الرواة فى العصور الأولى من صدر الدولة العباسية .. وهذه الأحاديث ينقص بعضها الثقة وبعضها السند .. على أننى تمكنت بواسطة اتصالاتى ومراسلتى مع إخوانى أدباء وشعراء السودان أن أجمع مادة لبحثى هذا الذى أقدمه للقراء ، وخصوصا أبناء البلد الشقيق ، راجين منهم إيضاح ما فات عنى ، ولاستدراك ما قد سهوت عنه

بدء النهضة

تبدأ النهضة الفكرية فى السودان منذ العهد التركى أى منذ سنة ١٨٢٠ م ، وكانت الثقافة آنذاك تحبو وتتعثر ، إلى أن هاجر بعض أبناء الجنوب إلى مصر والتحقوا بالأزهر الشريف حيث أتموا دراستهم ثم عادوا إلى بلدهم يحملون طلائع نهضة جديدة ، ولـكن مهمتهم كانت مقتصرة على الوعظ والإرشاد والترنم بالمدائح النبوية ، ونظم كل ما له علاقة بالدين الإسلامى . على أن ذلك لم يمنع من التفاخر بالأمجاد . وكانت الحالة آنذاك فى السودان غير مستقرة ؛ فالعصر عصر حروب واستبداد ومظالم وإرهاب وثورات داخلية وانحرافات خلقية ، بل كانت الفوضى منتشرة فى القطر ، فمن فتك إلى سلب ونهب إلى تخريب إلى إقطاعية شاذة وعسف لا يطاق ، وكيف تستقر الأمور فى بلد كالسودان إذا كان الجهل باسطا جناحيه على السكان ، والوعى القومى فى مهده ، والشعور بالحرية مقبور . فلهذه الأسباب لم تكن العوامل آنذاك مشجعة للنهوض بالأدب ، لأن الطغيان التركى كان يحطم كل شئ ويسيطر على كل مرافق البلاد ، حتى اللغة العربية كانت متفككة الأوصال ، يكاد الدود العثمانى اللعين ينخر جسدها المنهوك ويخترم عمرها وهى فى الشباب

وظل السودان على هذه الحالة من العسف حتى سئم الناس المظالم ، فولد الثورة فى النفوس التى تمخضت عن انقلاب شامل قامت على أثره حكومة المهدى — المهدية — التى ظلت تحـكم البلاد زهاء ستة عشر عاما ، إلى أن تم الفتح الأخير على أيدى الإنكليز والمصريين فى سنة ١٨٩٨ م ، إذ أبرمت الاتفاقية الثنائية لحـكم السودان على النظام الحاضر

ورب قائل يقول : إذن كيف كانت الاتجاهات الفـكرية فى العهد «المهدوى» ؟ أقول : لم تكن هناك اتجاهات أدبية وفكرية بالمعنى المفهوم الواضح نستطيع أن نتحدث عنها أو نسجل بعضها ؛ إذ كل ما وصل إلى أيدينا من نتاج ذلك العهد هو أن الأدباء والشعراء كانوا يقصرون إنتاجهم الفكرى على المـدح والتغنى بالأمجاد ، وكل ما نظموه لا يتعدى حدود الدين والشريعة ، وقد كان أكثر شعرهم نظما شبيها بألفية ابن مالك ومدائح البرعى فى الرسول الأعظم

وهكذا استمرت الحال حتى دارت عجلة الزمن دورتهـا البطيئة إلى أن وقفت أمام عام ١٩٢٤ م ، حيث تمخضت البلاد عن ثورة أخمدت فى مهدها ، ولا أريد أن أتحدث هنا عن الثورة ،

أشكر الأستاذ الشاعر عبد الهادى مراد محمد ، على المعلومات القيمة التى كانت نواة هذا المقال

ولكنى أحب أن أعرج على نفسية شباب ذلك العهد الذى يعتبر نقطة تحول بالنسبة للسودان من جميع النواحى ، وإيضاحا للحقيقة نقول : إن ذلك العهد بشبابه المتوثب الثائر ، كان فترة انتقال من عهد الجهل والخمود إلى عهد اليقظة والعلم والمعرفة

فى تلك الفترة كان اتصال السودانيين بمصر الشقيقة وثيقاً ، حيث أخذت الكتب والمؤلفات المصرية تغزو الأسواق فتتلقفها أيدى القراء ، وتقبل عليها النفوس فى لهفة وشوق لتروى عطشها إلى العلوم والمعارف ، وفى الحق أننا نستطيع أن نقسم ذلك العهد إلى أقسام ثلاثة هى :

١) التعليم :

كانت المدارس فى ذلك الحين قليلة العدد ، وكان باب التعليم مقصوراً على فئة قليلة معينة من الناس

٢) الصحافة :

أما الصحافة فقد كانت متأخرة وقليلة ، إلا أنه كانت هناك صحف تعنى بالأدب وبالنتاج الفكرى ، وأهمها مجلة « الفجر »[1] التى كانت كما قيل لى قد لعبت دورا خطيرا فى تاريخ السودان الأدبى ، إذ خلقت ثورة أدبية لأنها كانت المنبر الوحيد لتجاوب المواهب والعبقريات المختلفة الأشكال والثقافة ، ثم جريدتى « النيل » و « الملتقى »

٣) التأثير الرسمى للثقافة :

لما كان السودان تحت الحكم الإنجليزى ، والإنجليز يعدون أنفسهم مستعمرين وحاكمين ، فطبيعيا تكون سياستهم مناوئة لنشر الثقافة ، بل هم حاربوا العلم وسعوا فى الحد من ذيوعه ، حتى أنهم أخذوا يطاردون كل أديب متحرر وشاعر يفكر فى طردهم من البلاد ، أما تلك الحركات الأدبية والجولات القلمية التى ربت الجيل الجديد ، ما كانت إلا نتيجة للصراع الفردى الذى بذله أحرار الفكر والعقيدة فى السودان لخلق نهضة فكرية واتجاه ثقافى وأدبى مشرق اللمحات ، بارز القسمات ، إذ أنهم شعروا بضرورة العمل على خلق تلك النهضة لتؤدى خدمتها إلى أبناء البلاد كما ينبغى ، وإذا ما ظهرت هناك جمعيات أدبية فمعنى هذا أن الاستعمار فى خطر ، لذلك كان الإنجليز يحاربون كل جمعية ، حتى ولو كانت غير سياسية ، على أنه رغم ذلك تأسست جمعية « اللواء الأبيض » ، وهى سياسية الغايات والأغراض ، ولعبت دورا هاما فى ثورة عام ١٩٢٤ ، ثم جمعية « أصدقاء الفجر » ، وهى أدبية القصد

ثم قام مؤتمر الخريجين ، وكانت غايته أدبية اجتماعية ، وقد فتح المؤتمر عدة مدارس أولية ومتوسطة وواحدة ثانوية . وكان المؤتمر يعد العدة كل عام لقيام المهرجان الأدبى الذى كان يعقد فى « أم درمان » الجزء الثالث من العاصمة ، والأبيض وعطبرة ، وأخيرا تطور المؤتمر وأعلن عن أهدافه السياسية [2]

ثم ولدت بعد ذلك الأحزاب السياسية المختلفة ، وأنشئت الجرائد الحزبية التى لم تعد تهتم بغير المهاترات السياسية السخيفة التى لا طائل تحتها ، والتى كانت السبب فى موت الأدب وخنق قابليات الأدباء والشعراء

ومنذ سنة ١٩٤٦ اتجه السودانيون نحو السياسة وخلفوا الأدب وراءهم غير مهتمين بكل ما يمت إلى الفن بصلة فالخطب السياسية والقصائد الحماسية هى اليوم تدور على ألسنة الناس ، وهى التى تمتلئ بها أعمدة الصحف ، وإنها لو جمعت فى كتاب واحد لكانت تعطى فكرة عن الأدب السياسى السودانى الآن

---

١) لم أطلع على مجلة (الفجر) وأكون شاكرا لإخوانى أدباء السودان لو تكرموا بارسال أعداد قديمة منها لى

(٢) جاء فى الصفحة « ٩٠ » من كتاب « ماذا فى السودان » لمؤلفه الأستاذ جمال الدين الحامصى :

« فى هذه المدينة الصاخبة (أم درمان) ، وفى مكان بعيد عن الضوضاء يقوم نادى الخريجين « والخريج » فى السودان معناه مثقف متخرج من مدارس السودان أو التى فى مستواها ، وترجع الفكرة فى إنشاء هذا النادى الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، ولكن الفكرة فى أول ظهورها لم تجد تأييدا — بل حوربت — من حكومة السودان ، ولكن هذه الحرب لم تحل دون معاودة الكرة مرة بعد أخرى حتى نجح الخريجون فى اقناع ولاة الأمر ، فبرز نادى الخريجين الى الوجود فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد ساعد على ابراز الفكرة المستر سمبسون الذى تولى مراقبة التربية البدنية بوزارة المعارف المصرية الى وقت قريب ، وهو الذى وقف فى حفلة افتتاح النادى وقال : « ان هذا النادى الذى يفتتح اليوم ليجتمع بين جدرانه كل مثقف سيكون له أكبر الشأن فى مستقبل السودان السياسى » . وقد تحققت نبوءة الرجل ، وأصبح النادى اليوم مركز النشاط السياسى الشعبى فى السودان

ولـكن رغم انحراف الناس وراء السياسة ، وحبهم للجدل السياسى ، لا يزال بعض الشباب المتوثب يولى الفن الصادق والأدب الرفيع أهمية بالغة ، وكما أنه لا يخلو كل قطر من بعض الشعراء النابهين ، فإن فى السودان كذلك فئة من شعراء الشباب الأفذاذ ، وسنعرض لهم بالتفصيل فى مقال قادم إن شاء الله

ماذا ينقص السودان

بكل ألم وأمل نلاحظ أن السودان لا يزال متأخرا عن القافلة الأدبية العربية ، بل فى حاجة إلى كتاب ثائرين يجمعون بين قوة الفكرة واتساقها إلى جمال الأسلوب وقيمته ، كتاب ينقطعون للدراسات الأدبية والتأليف ، ويخرجون من الكتب ما يحمل طابع بلادهم الأصيل

كما يراد من أدباء السودان أن يطرقوا باب الثقافة الشعبية عن طريق المحاضرات والمدارس الأدبية التى تعلم العلوم العقلية ، والتى تربط بين طبقات الشعب عن طريق حياة جماعية مشتركة ، والتى تنمى فى نفوس أبناء الأمة روحا من المساواة الاجتماعية ، وتمنحهم إلهاما ومثلا إنسانيا رفيعا يؤدى إلى تطور اجتماعى لا يقوم على نضال اقتصادى بين الطبقات ، تثيره الأطماع المادية وروح الشر والقسوة والجدب الروحى

الشعر السودانى

من الإنصاف للواجب والإثبات للحقائق أن نقف لحظة نتناول فيها الشعر السودانى بكلمة . وهى أن الباحث الذى يقرأ كتاب « شعراء السودان » ، الذى جمعه الكاتب المصرى سعد ميخائيل منذ سنوات ، يلاحظ أن الشعراء المذكورين فى ذلك الكتاب لا ذكر لهم الآن ، ولذلك عدة أسباب : فمنهم من مات، ومنهم من انغمر فى الحياة فهجر الشعر ، ومنهم من حطمته قيود الوظيفة ، وبعضهم لم تساعده الظروف المالية على طبع ديوانه ونشره حتى اليوم . لأن السودان — وهو كالعراق تماما — يفتقر إلى الناشر ، إلا أن بعضهم — وهم الشيوخ — ظل مستمرا على النشر ، كالأستاذ « محمد سعيد القيامى » الذى كتبت عنه فى عدد سابق ، و « الأستاذ عبد الله عبد الرحمن » [٣] و « التيجانى يوسف بشير » [٤] ؛ أما الشعراء الشباب المعاصرون — وهم كثر بحمد الله — فأترك البحث عنهم إلى مقال مستقل ، لأن روحيتهم وأسلوبهم الفنى يختلف بكثير عمن ذكرتهم ، وهؤلاء جميعا يطلب منهم أن يكونوا أكثر جرأة من غيرهم ، فليقتحموا الحياة بجرأة وعزيمة صادقة ، وليقفوا أمام العالم العربى ويظهروا نتاجهم للناس ، غير عابئين بناقد أو حاسد ، وإلا فإن انطواءهم على نفوسهم معناه الموت والضياع ، لا سيما وأن فيهم من يبشر شعره بالخير العميم والعبقرية الكامنة وراء زوايا النسيان . .

(٣) لست أدرى هل للأستاذ شعر مطبوع بين دفتى ديوان أم لا ، فإننى لم أطلع إلا على بعض قصائد بين ثنايا الصحف

(٤) صاحب ديوان اشراقة وقد كتبت عنه فصلا فى مجلة الرسالة قبل أسابيع

بغداد — أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

حركة التسلح الخلقى

بمناسبة الاشتراك فى مؤتمرها بمدينة « كو » بسويسرا
فى شهرى يوليو وأغسطس سنة ٩٥٢

للأستاذ أحمد عوض

نشرت فى عدد سابق [1] من الرسالة الغراء كلمة عن « التسلح الخلقى والإسلام » تحدثت فيها عن أهداف هذه الحركة التى تدعو إلى الخلق الفاضل على أساس دينى وتمدح من بين رسالتها الفضائل الإسلامية ، وتعين من بين الأهداف التى تحاربها النزعات الاستعمارية

كتبت هذا لأننى حضرت بعض مؤتمرات « التسلح الخلقى » فى الأعوام السابقة ، وسمعت صاحب الفكرة يشرحها شرحا وافيا بما يتفق وديننا . ولأننى قرأت فى أدب القوم مايسوغ حسن الظن بهم . وقلت فيما قلت بتلك الكلمة إنهم وإن كانوا من أبناء أديان أخرى فإنهم فضلا عن التمدح بالخلق الفاضل فى ديننا وفضلا عن حربهم للاستعمار فإن بيننا وبينهم غرضا مشتركا هو محاربة الإلحاد والشيوعية والاستعمار على حد سواء

ولكنى بعد ذلك زرت « كو » فى شهرى يوليووأغسطس ، ولست أدرى هل تغيرت أهداف هذه الحركة أم اندس عليها من يحاولون استغلالها ؟ ولكن الذى أدريه أن شعورى بين الحالين نحو هذه الحركة — لا مبادئها — كان ظاهر الاختلاف

لقد وجدت فى رحلاتى الأولى من يستشهد بآيات من كتابنا الكريم ويمجد ذكرى نبينا العظيم ويرجو لنا وللعالم التحرر بفضل ما فى هذا الكتاب من آيات بينات وما فى هذا الرسول من أسوة حسنة

ووجدت كما وجد غيرى من المصريين وسائر المسلمين أن المذهب الداعى إلى تجديد بناء العالم على أساس الفضائل الخلقية يتفق مع تعاليم ديننا — فى حين لا أجد فى سائر مظاهر الحياة فى الغرب من يقدرنا هذا التقدير ، ولا من يبدى لنا مثل هذا الشعور .

وقد جمعت فى رحلاتى قبل الأخيرة ما استطعت جمعه من كتب ألفها القوم عن حركتهم فوجدت بينهم أنصاراً لنا ضد الاستعمار يدعوننا إلى مناصرتهم ضد الشيوعية ويرحبون بالفضائل الخلقية فى ديننا سبيلا إلى بناء عالم جديد

لقد صرح القوم فى كتاباتهم وفى خطبهم بأن الاستعمار والدكتاتورية يتناقضان مع الخلق الفاضل ، فكلاهما من مظاهر الأنانية ومن أعداء التطهير ، ومن أبعد ما يكون عن فضيلة الحب فضلا عن التضحية

وسمعت فى المؤتمر الأسبق داعيا مصريا — هو الدكتور محمد صلاح الدين — يدعو القوم إلى مساعدتنا على المستعمرين بقصد تغييرهم فيجيبه العضو الإنكليزى باعتراف صريح فى أنه سيدعو فى أمته إلى التغيير (التحرر من الرذيلة)

لكن المؤتمر الأخير كان خاليا كل الخلو من أية كلمة ضد الاستعمار

فلما أردت التوجيه إلى هذه الناحية لمست اتجاها واضحا إلى أن التلويح بعداوة الاستعمار كان من أجل غرض واحد هو الاستفادة بعداوتنا نحو الشيوعية ، ولم يمنعنى ذلك عن الإفاضة فى بيان مساوئ الاستعمار . ولكنى لم أجد بينهم جدية الأصغاء

لست نادما على حسن الظن السابق فقد كان الدليل قائما لدى على مسوغاته ، ولا أزال عند رأيى فى أن الخلق الفاضل مشترك بين الأديان وفى أن الدكتور بوكمان مؤسس هذه الحركة رجل فاضل ، ولكن هؤلاء الذين اندسوا عليه وأحاطوا به يحاولون استغلال هذه الحركة فى أغراض أخرى

إن فى الدنيا كثيرا من الحق الذى يراد به الباطل ، ومن الزيت الذى يراد به إيقاد النار ، ومن استغلال حسن الظن بالتلويح بالخير ؛ فهل تغيرت الحركة أم انضم إليها بعض الوصوليين والانتهازيين أو بعض أصحاب المطامع ؟ هذا ما ستظهره الأيام

(١) العدد ٩٦٧ من الرسالة فى ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢

على أننى أعتقد أنه مهما يكن الرأى فى القائمين بهذه الحركة أو المندسين عليهم فإن البرنامج الذى وضعوه مفصلا على أساس تلك المبادئ يمكن تبنيه على أن يكون الخلق الذى تتسلح به ذا طابع قومى.

إن الأخلاق فى ذاتها لا تختلف بين أمة وأمة، ولا بين دين وآخر ولكن الفهم لها وطرق التوجيه إليها والانتفاع بها تختلف كما بدا لى أخيرا من الذين تنطبق عليهم الآية الكريمة:

« ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام »

الاسكندرية أحمد عوضه

المعرفة بين الفلسفة والتصوف

« مهداة إلى الأستاذ على الطنطاوى الذى كتب يقول: لى من دنياى الآن مطلب واحد. يقظة قلب أدرك بها حقائق الوجود وغاية الحياة »

للأستاذ حسن محمد آدم

ما سر الوجود؟ وما لغز الحياة؟ من أين جئنا وإلى أين المصير؟ وكيف السبيل إلى إدراك كنه هذا الوجود، وفهم غاية هذه الحياة؟ وما السبيل إلى المعرفة الحق، والسعادة العظمى؟ هذه أسئلة عميقة تتفاعل فى رأس الإنسان، وتدور فى عقول الناس، ولا يدرى لها الكثيرون أجوبة شافية، وردودا مقنعة، فيعيشون فى الحياة قلقين حائرين، ويضربون فى بيدائها تائهين يائسين، وكأنى بهم يسيرون فى موكب الإنسانية وهم يترقبون بنفوس قلقة متشائمة، أن يبتلع الجميع بعد الطريق الطويل.. هاوية سحيقة من العدم! والإجابة على هذه الأسئلة هى فى صميمها المعرفة الحقة، وهى فى ذاتها عين الحقيقة التى يتوق إليها الجميع، فأنت إن وفقت للاجابة الصحيحة فقد فككت طلاسم الكون، وحللت ألغاز الحياة، ووقفت على سر الوجود والغاية من هذه الحياة

ومنذ القدم، منذ وجد الإنسان المفكر على سطح هذا الكوكب، حاول الوصول إلى الجواب، وتمثل ذلك فى فلسفات ونظريات متباينة تعددت وتنوعت على أعصر التاريخ، ولكنها جميعا ظلت عبر القرون تتأرجح بين مذاهب متضاربة، ومدارس متعارضة، يقترب بعضها من الحقيقة أو يبعد بقدر ما أوتى الفلاسفة من نضج فى الفكر، وقوة فى التبصر، وإمعان فى التأمل والحكمة

وكان حين تأتى على الناس فترات من الوحى، تشرق عليهم أنوار النبوات، فيتبدد عنهم الظلمات، ويستنير ما غم من طريق الحياة، ويذهب الشك والارتياب، ويتضح على هدى الرسالات سبيل المعرفة، ولكن رأى الدين فى الوجود والحياة لون مفروض من المعرفة، يمليه الوحى وتلزم به العقيدة، وهو تصديق بأمور من الغيب، تصديقا لا يحتمل النقاش، ولا يقبل الجدال، يحمل الناس على اعتناقه سواء وافق ذلك منهم هوى العقل الطليق أم خالفه، أو جارى منهم منطق التفكير الحر أم جافاه

فما كان للفلسفة أن تقتنع بهذا وهى ناصرة الفكر الحر، وصانعة مناهج البحث، فرأت أن تحرر نفسها من أكبال الغيبيات، وأن تنهج على منهاج العقل علها تصل بذلك إلى المعرفة وتدرك الحقيقة وتفهم غاية الوجود.. وبدأ الزمان يسجل على صفحات القرون وخرج لنا تاريخ الفلسفة زاخرا كما أسلفنا بمآت من المذاهب الفلسفية والآراء النظرية فى الوجود وفى الحياة، ويتيه الإنسان فى غمارها، لا يدرى أين الحق من هذا المذهب أو ذاك، وأين الرأى السديد من هذه النظرية أو تلك، ثم لا يخرج من بينها إلا وذهنه أشد فراغا، إلا من سيل دافق من علامات الاستفهام والتعجب يوشك أن يؤدى بعقله إلى محيط مظلم من الشك والإلحاد!

إن الفلسفة أرادت أن تدل الناس على المعرفة فلم تستطع. إنها أرادت أن ترسم سبيل الحقيقة فلم توفق... لماذا؟ ذلك لأن الفلسفة قد ترضى العقل النظرى، وقد ترضى الاستدلال المنطق، ولكنها لا تستطيع بحال أن ترضى الإحساس الروحى، والذوق القلبى، وطريق المعرفة إنما يلتمس بالروح لا بالعقل، ويطاب بالذوق

والقلب لا بالمنطق والفكر !

ولا تعجب بعد ذلك إن رأيت الفلاسفة يجهـدون عقولهم وأفكارهم القرون الطوال بحثا عن المعرفة ، ثم يغادرون الحياة ولما يعرفوا سبيلها ، بل يغادرونها جهالا كما دخلوها ، كما يؤثر عن سقراط الذى قال وهو على فراش الموت : « الآن أعرف من الدنيا حقيقة واحدة وهى أنى لا أعرف شيئاً ! »

هذا ، وفى الوقت الذى كان فيه الفلاسفة يسعون سعيهم ، كان الذين عرفوا السبيل الصحيح من المتصوفة وأرباب الأذواق والمواجيد يطلبون المعرفة عن طريق تصفية النفس والتسامى بها من أدران المادة وشوائب الحس ، إلى عالم النور والفيض والإلهام، ووصل هؤلاء الروحيون إلى بغيتهم فكانوا الرواد الأول ، وكانوا مكتشفى الحقيقة ، والراسمين سبيلها للحائرين فى الأرض . . وقرر هؤلاء أن منهاج المعرفة منهاج واحد فريد هو مجاهـدة النفس ، وقطع مقاماتها، والانسلاخ من حجبها حتى ينجلى عين البصيرة ، فهنا تشرق الروح وتتم النعم وتـكمل السعادة

فيامن تريد قلبا يقظا تدرك به حقائق الوجود ، عليك بالنفس فادرس مراتبها وظلماتهـا ومقامات صفائها ، وعليك بهيكل الجسم الحائل فروضه على الرياضة الروحية الصادقة وخلصه بقـدر من علائق الدنيا ، ثم عليك من فورك بالطريق إلى الله فتعرف آداب سالـكيه، ثم شد الرحال إليه صوب مقامه الأسنى وهناك فى المعية الأولى التى كنت فيها من قبل فى عالم الذر ، وفى أكناف النبع الأولى الذى فاض منه الوجود بكل مافيه ستعرف حقيقة إنسانيتك وحقيقة الـكون الذى تعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى تحياها ، وفى ذلك الفرصة الـكبرى والسعادة العظمى

وإليك الغزالى حجة الإسلام وفيلسوفه الأكبر خير مثل على ما نقول ، إن نفس هذا الفيلسوف العظيم تاقت فى بداية حياته الروحية أن تصل إلى المعرفة ، وتحرقت شوقا للوصول إلى الحقيقة، فانطلق يطلبها عند أدعيائها من الفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين ، وكان فى سعيه بادى القلق، عظيم اللهفة، فوقع ضحية صراع نفسى مرير ظل يعانيه وهو دائم التردد على تلك الطوائف، فبلى أمر الفلاسفة فلم يجد عندهم ضالته ، وبلى أمر المتكلمين فلم يعثر عندهم كذلك على بغيته … وأخيرا لجأ إلى التصوف ، فأفهمه أربابه أن ضريبة المعرفة عندهم تجرد ومجاهدة ، فكادت نفسه أن تستكين ، ولـكن روحه المعذبة كانت تناديه من الأعماق « الرحيل ، فإنه لم يبق من عمرك إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل » فاستجاب لهذا الهاتف الباطنى ، وترك بغداد مسقط رأسه مهاجرا إلى الله صوب ربوع الشام وهو يردد :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى محبوب أول منزل
ونادت بى الأشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

وهناك وجد فى ظلال التصوف راحة النفس ، وهدوء البال، وسعدت روحه بالمعرفة المشرقة والسعادة الحقـــة ، وعبر عن ذلك بقوله :

فـكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

حسن محمد آدم

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٢)

اقتربت الحملة الفرنسية من مياه الإسكندرية فى اليوم الأخير من شهر يونيو — وكان الفرنسيون ينظرون إلى الشعب المصرى … نظرة العملاق الضخم .. إلى القزم الضئيل — الذى يستطيعون سحقه فى دقائق معدودات !

ألم يقرأوا من قبل ما كتبه الرحالة الفرنسيون عن سهولة فتح مصر ؟

ألم يخبرهم « فولنى » بأن الاستيلاء على البلاد ، والسيطرة عليها .. لا يتطلب إلا عددا قليلا من الرجال ؟

ألم يبين لهم ضعف الحصون ، وقلة الذخيرة ، وعجز الإسكندرية عن المقاومة .. فوصفها بقوله :

« إنه ليس فى المدينة سوى أربعة مدافع فى حالة صالحة — وليس بين الحامية التى يبلغ عددها خمسمائة من يمكنه إصابة المرمى — بل جميعهم من العمال العاديين الذين لا يحسنون سوى التدخين ؟ »

فماذا ينتظر الفرنسيون بعد كل هذا الوصف الذى وصفه « فولنى » وغيره من الرحالة والتجار الذين زاروا مصر من قبل ؟!

وهل تعجز مدافعهم الضخمة عن تحطيم أسوار الإسكندرية أو تخريب المدينة كلها إذا لزم الأمر ؟

إلا أن ذلك كله سهل يسير .. وليست هناك قوة فى الأرض تستطيع أن توقف تقدم الجيش الفرنسى الظافر ، أو تحطم آمال نابليون فى تكوين إمبراطورية شرقية عظيمة

ولقد كان « نابليون » يظن أن المصريين سيستقبلونه هاتفين مرحبين — وسيضعون فوق رأسه أكاليل الغار .. أينما سار ، وحيثما كان — وكان أبعد ما يتصوره .. أن يقف المصريون فى وجهه .. أو يقابلوه بالقوة والعدوان !

ولذلك بعث إلى قنصل فرنسا يستدعيه ، قبل أن يبدأ الجنود بالنزول إلى البر … وفى اليوم التالى عاد القنصل ومعه عدد من البحارة أرسلهم السيد محمد كريم لحراسته ، وليعودوا به بعد أن ينتهى من مقابلته للفرنسيين

فأخبرهم القنصل بثورة الشعب وهياجه ، واستعداده للنضال والمقاومة .. كما أخبرهم أن أسطولا إنجليزيا يبحث عنهم فى عرض البحر .. وأنه كان بالثغر ولم يغادره إلا عشية أمس الأول

فلما سمع نابليون حديث القنصل ، خشى أن يباغته الأميرال نلسن بأسطوله ، ولذلك أصدر أوامره إلى القواد بمحاصرة الإسكندرية ، وتطويقها من ثلاث جهات

« [1] وسارت القوة فى منتصف الساعة الثالثة من صبيحة يوم ٢ يوليو بحذاء الشاطئ ، فوصلت تجاه أسوار المدينة عند شروق الشمس ، وأخذت تحاصرها فى الضحى — الجنرال مينو من الغرب .. والجنرال بون من جهة باب رشيد .. والجنرال كليبر من باب سدرة — بينما وقف نابليون على قاعدة عمود السوارى ، واتخذها معسكره العام .. يرقب منها حركة الهجوم ، ويصدر أوامره لقواد جيشه … »

* * *

ولم يكد السيد محمد كريم يرى الجيوش الفرنسية القادمة … حتى أصدر أوامره إلى أهالى الإسكندرية بالصعود فوق الأسوار ، ومقابلة القوة بمثلها ، وصد العدوان بالعدوان.

ووقف بنفسه فوق قلعة « قايتباى » ومعه فريق من المقاتلة لا ليشرف على المعركة كما فعل نابليون ، ولكن ليحارب بنفسه كما يفعل غيره من أهالى الإسكندرية ، وليضرب لهم أروع

(١) عبد الرحمن الرافعى وتاريخ الحركة القومية ج١ ص ١٣٥

الأمثلة فى الجهاد والكفاح والتضحية

وحينما بدأت المعركة ، وضع المصريون أرواحهم فوق أيديهم وباعوها رخيصة فى سبيل الوطن ، وجعلوا يمطرون العدو بوابل من رصاص بنادقهم

وكان السيد محمد كريم — طوال المعركة — يثير النفوس ، ويستحث الهمم ، ويقوى العزائم ، وقد استطاع المصريون خلال هذه المعركة أن يواجهوا الفرنسيين ، ويقتلوا منهم عددا ليس باليسير ...

وقد أصيب الجنرال كليبر أثناء الموقعة بعيار نارى فى جبهته ، كما أصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، وكادت تودى بحياته ، ولذلك كتب الجنرال مينو إلى نابليون يقول :

« (٢) إن الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الإقدام والهمة والذكاء ، وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ... لأن الأهالى قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة .. وثبات عظيم »

ولما رأى « نابليون » استماتة الشعب المصرى فى الدفاع عن الاسكندرية ، نظر إلى أسوار المدينة فلاحظ أن بالسور رغم ارتفاعه وضخامته ثغرات كبيرة رممت حديثا ...

فطلب من رجاله أن يوجهوا مدافعهم تجاه هذه الأسوار ، وظلوا يضربونها حتى عجزت عن المقاومة ، وبدأ الجنود يدخلون المدينة من الثغرات التى أحدثوها ، حتى وصلوا إلى الجهة الآهلة بالسكان .. فأخذ الأهالى يطلقون عليهم الرصاص .. حتى كاد نابليون نفسه أن يصاب برصاصة قاتلة . . وكذلك قال سكرتيره الخاص :

« (٣) دخل بونابرت المدينة من حارة ضيقة . . لا تكاد لضيقها تسع اثنين يمران جنبا إلى جنب .. وكنت أرافقه فى سيره .. فأوقفتنا طلقات رصاص .. صوبها علينا رجل وامرأة من إحدى النوافذ . . واستمرا يطلقان الرصاص فتقدم جنود الحرس ، وهاجموا المنزل برصاص بنادقهم ، وقتلوا الرجل والمرأة »

ولقد ظل السيد محمد كريم يدافع عن المدينة ، حتى ضعفت الحامية عن المقاومة .. فكف عن القتال ، وسلم المدينة .. ولم يكن فى ذلك التسليم ما يقلل من جهاد السيد محمد كريم .. وحسن بلاء أتباعه . . وإنما كان ذلك منه حكمة وحزما . . وحسن تقدير لعواقب الأمور ...

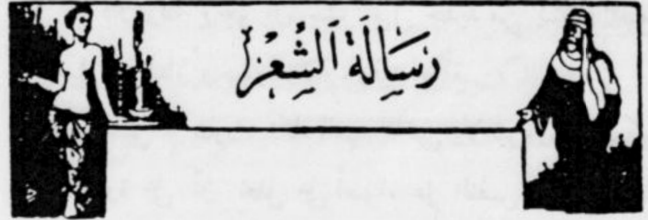
يقول أحد الحكماء :

« لا عار على أمة قليلة العدد . . ضعيفة القوة .. إذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة .. وإنما العار الذى لا يمحوه كر الدهر .. هو أن تسمى الأمة .. أو أحد رجالها.. أو طائفة منهم.. لتمكين أيدى العدو من نواصيهم . . »

عبد الباسط محمد حسن — السلام ملة

(٢) نفس المصدر ص ١٣٧

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٢٦



ابن عمى

للشاعر المرحوم صالح شرنوبى

ابن عمى مات .... فامضوا بى إلى قبر ابن عمى ..
ودعوا همى .... فقد ودعت منذ اليوم همى ..
غير ما جد من الموت ، الذى آذن قوى
فرماهم ... ورمانى ومضى ما شاء يرمى .. !

ابن عمى مات ... ما بين صباح ومساه
مات والأحلام تجلوه ... كما يهوى هواه
مات والنعمة ... والقوة فيه ... والحياه
فدعونى من هوى الدنيا ... وعزوا من نعاه

أيها الخلان ، والراحة ... والموت ... هنا
أين من كان يرانا وتراه ... حولنا ؟
أين من كان يحاكى نضرة الدنيا لنا ؟
غيب الترب سناه وهو فى أعيننا ؟

أيها الراحل ... والغبراء قبر فوق قبر ... !
أيها الساكن ... والموكب بالأقدار يجرى
أدننى منك — على قربك من سرى وجهرى
أدننى منك .. فما أدرى — بما أصبحت تدرى

أدننى منك قليلا وادن من روحى قليلا
إن لى فيك رجاء ورجائى أن يطولا
فلقد صاحبت مذ فارقتنى الصبر الجميلا
وبقلبى من تباريحك ... نار ... لن تحولا

أيها الراحل .. ماذا بعد فقدان الحياه ؟
ما الذى بعد انعتاق يعلم الله مداه ؟
بعد أن يجرى قضاء شاء أن يجرى الإله
حار فيه كل من دبت على الأرض خطاه

بعد أن يطبق جفنى وترى الظلمة عينى
ظلمة الموت الذى ما ذقته إلا بظن
ظلمة الفقد الذى ييأس فيه المتمنى
ظلمة البين عن الدنيا .. وعن نفسى ... وعنى

ما الذى بعد نعتاق وزوالى عن رفاق
أين أمضى .. ؟ . وإلى أين .. ؟ وقد فك وثاق
سيصلون على روحى .. ويكون فراق
ويقولون إلى الله ... شبابا فى البواق

سيقولون ... إلى الله .. شبابا .. وكهولا
وسيكون كثيرا ظنه الناس قليلا
شاعرا .. عاش .. ولم يصنع بما قال جميلا
غير أن يرثى ما فات ... ويرجو المستحيلا

شاعرا .. عاش كما شاء الذى الأقدار أمره
والذى يلطف بالعبد ... فما يغلب صبره
والذى ... لاشئ ... إلا عنده يطلب سره
والذى الرحمة من أوصافه .. والقهر قهره

أيها الراحل ... والدنيا بما فيها تهون
حينما أذكر ما تصنع بالناس المنون
الرحى الشمطاء ... ما تفتأ تجريها السنون
والبرايا ... بين شرقيها ... قلوب ... وعيون

شغلتنى عنك أحزانى ... فلم أشهد سراك
ورأى وجهك أهلونا ... ومولاك رآك
ومشى نعيك فيهم وتولتك البواك
وأنا أجهل ما تخفيه ... من حر أساك

ذقت فى موتك ما ذقت ... وما زلت صبورا
وأرى فقدك أعمانى ... وقد كنت بصيرا
وبعادى عنك ... أنسانى ... وقد كنت ذكورا
غير أن أبكى منعاك ... وأستوحى القبورا

طبت فى مثواك ... ما شاء الرحيم المستعان
وعلى دارك غفران ... ونور ... وأمان
وعلى أكبادنا بعدك ... سلوان الزمان
أيها الخالد ... ما تفنى لمعناه معان

صالح على شرنوبى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الصيف

ليس فصل الصيف — عادة — فصل الأدب والفن ، أقصد فن الإنتاج والإخراج، وقد يكون موعد الخلق والإبداع، وموسم تجمع الرؤى والصور ، إذ أن هـذا الفصل بالنسبة للأدباء والـكتاب والمفكرين فصل استجمام وراحة واستجلاء للحياة فى مناطق البحر والجبل ، على سواحل مصر أو غيرها من البلاد

ولذلك كان موسم الأدب بطيئا ، بحيث يمكن القول أنه لا موسم ، حتى المطابع التى تنتج الآثار الأدبية ، تشغل اليوم بكتب المدارس وتعد منهـا ما يكفى للعام الجـديد الذى أصبح وشيك الظهور

وقلما تحمل الصحف فى باب « محاضرات اليوم » هذه الأيام شيئا ذا قيمة أو أهمية يكون من شأنه أن يوجه الأدب أو يؤرخه ، فما زال بيننا وبين الموسم الجديد وقت غير قصير

وما تزال حركة الانقلاب الجديدة ، بعيدة الأثر فى الصحافة والأدب ، فقـد انطلقت أقلام الـكتاب والشعراء والقصصيين ، وتحررت ، وأخذت تعبر عن مشاعر الأمة ، بالوضع الجديد ، وتصور فرصتها بإنهاء عهد مظلم طال أمده

غير أن هذا اللون الجديد من الأدب ما زال قاصراً على صورة واحدة مكررة ، هى تهنئة الجيش ، وتصوير طغيان الملك السابق

وحفلت الصحف ، وما زالت ، بقصص عن الحياة الآثمة التى كان يحياها فاروق ، والتى تمثل فى الصور الجنسية والتصرفات المجنونة ، والأساليب الخادعة ، التى كانت تتكون منها شخصيته

وهى « موجة » عاتية لابد أن تمر بها الصحافة بعـد الانقلاب ، ولـكن الأدب ما زال حتى الآن ، لا يجد مكانه فى النهضة الجديدة

فلا زلنا نرجو أن ينشأ جيل جديد من كتاب النهضة ، جيل فيه إيمان وحرارة وثقة ، وفيه جرأة

جيل لم يتلوث بآثام العهد الماضى ولا شروره ، تـكون له القـدرة على أن يحلل على أضواء علم النفس والتاريخ والتطور « بزوغ » ذلك الفجر الجديد . إن فريقا من كتابنا الكبـار ، قد وضع أساس هذا العهد الجديد ، أولئك الذين صوروا آلام الأمة وأنَّاتها ، والحجب المظلمة التى كانت تعيش فيها ، أولئك الذين طالما ترقبوا مطلع النور الجـديد ، ورسموا صورة الزعيم المنتظر ، فهؤلاء هم الذين أرضعوا النفوس لبان الثورة ، وهم من حركتنا بمنزلة روسووفولتير فى الثورة الفرنسية ، ولـكن مهمـة جديدة الآن توشك أن تلزم شباب الـكتاب ، وهى « إبداع » اللون الجديد الذى يمثل العهد الجديد

عودة الغريب

كان الدكتور زكى أبو شادى صـاحب مدرسة جـديدة فى الشعر ، وكانت مجلة « أبولو » من المجلات الفريدة ، التى حملت لواء الدعوة إلى المذهب الابتداعى ، وقامت بجهد ليس بالقليل ، وأبرزت طائفة من الشعراء الشبان الذين لمعوا بعد ذلك فى أكثر من مجال من مجالات الأدب والفن والصحافة والإذاعة

ثم بدا للدكتور أبو شادى أن يقيم فى الإسكندرية فنقل مطابعه وصحفه إلى هناك ، وأخذ يوالى عمله الأدبى هناك ، غير أنه أحس أخيرا أن فترة من الحرج تمر به ، وقيل إنه وقع فى محنة « تقوى الإحسان » ! وإن بعض خصومه الذين حمـل عليهم بعنف ، حمل على اتجاهاتهم الأدبية ، استطـاعوا فى ظرف ما أن يضايقوه ويزعجوه ، وأحس أنه لا سبيل مع ذلك إلى البقاء فى مصر ، وكانت طريقته فى معاملة مريديه وأتباعه تقوم على أساس من الأخوة والوفاء والتضحية مما كان له أثره فى حالته المالية

وأخيرا استقر رأى الدكتور أبوشادى على السفر إلى أمريكا ؛ ولـكنه فوجئ قبل أن يركب « الباخرة » بوفاة زوجتـه ، فـكانت نـكبة أخرى ضاعفت متاعبه وآلامه

وقد نشرت « الرسالة » إذ ذاك هذه القصيدة العصماء التى ضمنها الدكتور ديوانه « نحو السماء » الذى طبعه فى أمريكا ووزعه

فى العام الماضى

وسافر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا واستقر فى «نيويورك» واستقبل هناك استقبالا حافلا ، وكان موضع تقدير البيئات الأدبية هناك

ومضت سنوات ...

وأحس « أبو شادى » بالحنين إلى مصر ، الحنين الجارف ، وكانت لهب هذا الحنين تتبدى فى قصائده وكتاباته ، وبدأ يتصل بمصر مرة أخرى ، وأحس أحباؤه وأصدقاؤه هنا بأنه يجب أن يعود

وكتبت مجلة « الأهداف » التى تصدرها السيدة جميلة العلايلى ، وكتب صاحب هذه السطور فى « الزمان » ، فى هذا المعنى ، وقد وجهت خطابا إلى الدكتور طه حسين وكان إذ ذاك وزير المعارف ؛ وتحدثت معه فى هذا الشأن فى مقابلة خاصة ...

ويبدو أن الدكتور زكى أبو شادى علم هذا ، فأرسل إلى بعض خاصته يقول إنه لا يريد العودة إلى مصر ، وإن مكانه فى نيويورك لا يدانيه أى مكان يمكن أن يصل إليه فى القاهرة

غير أننا كنا نعرف سلفا ، أن الدكتور أبو شادى ثائر على الأوضاع فى مصر ، وأنه ساخط على كل شئ

أما الآن — وقد أثيرت مسألة إعادته من جديد — فنعتقد أنه سيكون غاية فى الرضا بالأوبة إلى وطنه بعد أن تحرر ، وأخذ يستقبل فجرا جديدا

« *فى موعد الذكرى* »

كان الأسبوع المنقضى ، موعد الذكرى لعرابى ولدوفيج وفرويد .. ومن قبله كان موعد ذكرى السباعى وفيلكس فارس

وقد مرت هذه المناسبات — فى الشرق — وغيرها يمر كل يوم ، دون أن يذكرها ذاكر ، أو تكون موضع اهتمام الدوائر الأدبية وتقديرها

فنحن لا زلنا لا نحتفل إلا بطائفة قليلة من الأسماء التى لمعت فى غفلة من الزمن ، والتى فرضتها مناورات السياسة ، أو مجاملات التملق !

كنا نحتفل بسعد وفؤاد وإسماعيل وهؤلاء وغيرهم ، أناس رفعت أسماءهم الصدف ، ولا يدخلون فى عداد الأبطال حين يفصل تاريخهم على وجه صحيح !

أما الرجال الذين جاهدوا حقا ، وحفروا أسماءهم فى ضمير الحياة الوطنية أو الفكرية فى الشرق ، فقد كانوا إلى عهد قريب — قبل وثبة الجيش المباركة — مبعدين عن محيط الحياة ، كان لا يستطيع إنسان أن يذكرهم أو يفصل تاريخهم

كان عمر مكرم وجمال الدين والجبرتى ، وأحمد عرابى ، وحسن البنا ، من الأسماء البغيضة إلى الجهات التى تتحكم فى كتابة التاريخ ، وكانت أوامر فى صورة نصائح توجه إلى بعض الصحف بأن لا تنشر عنهم شيئا

وكان محمد فريد ومصطفى كامل ، لا يلقيان مايلقى سعد زغلول أو غيره ، من الحفاوة والتكريم والتقدير !

ولا يزال محمد فريد حتى الآن ، لا يجد من مصر ما هو جدير به من تكريم بعد أن ضحى أغلى تضحية بذلها زعيم فى سبيل بــلاده !

وإننا لنرجو — وقد خلعنا ذلك الثوب القديم المهلهل ، وجردنا الأدب والفكر والفن منه — أن نستقبل « موعد الذكرى » لأبطالنا والرجال الذين جاهدوا فينا على وجه كريم يليق بذكراهم وكفاحهم ، وعلينا على الأقل أن نقيم تمثالا لأمثال عرابى ومحمد فريد وجمال الدين وحسن البنا

والحق أنه ما من جريدة أو مجلة أوربية تفتحها عفوا ، فى أى موعد من مواعيد الذكرى ، لبطل أو كاتب أو موسيقى أو فنان ، إلا وتجدها حافلة بآثار هذا البطل أو الكاتب ، على صورة مجددة ، مشوقة

ذكرياته الصغيرة ، أحاديثه العامة ، فكاهاته ، قصاصاته ، خطاباته الغرامية ، كل شئ ، حتى تلك الأشياء الصغيرة التى لا يعيرها الناس التفاتا

والأديب فى هذا الميدان لا يقل عن الزعيم ، كلاهما بطل ، كلاهما جاهد وأدى واجبه ، وبذل عصارة دمه وأعصابه وأفكاره فى سبيل وطنه ، فى سبيل الحق والحرية والجمال

لماذا — كما يقول الأستاذ توفيق الحكيم — لا نضع لوحة تذكارية صغيرة على المنزل رقم ٢٣٢ ونكتب عليها ، هنا كان يسكن « المــازنى »



زكى طليمات المفترى عليه

للأستاذ عبد الفتاح البارودي

كنت آمل أن أستقبل الموسم المسرحى الجديد بما استقبلت به الموسمين الماضيين من بشر وتفاؤل . بل كنت آمل أن أزداد بشرا وتفاؤلا كما تقضى بذلك سنة التطور . غير أن الأحداث التى تواجه المسرح المصرى فى الآونة الراهنة تدعونى مع الأسف الشديد إلى الحزن والأسى إشفاقا على مصيره . ذلك لأنها ليست من قبيل الأحداث الكثيرة التى واجهت مختلف المسارح فى مختلف الأمم حينما كانت فى دور التكوين، وإنما هى أحداث مفتعلة من شأنها — لو تحققت مراميها — تقوض مسرحنا وتدمر كيانه وتجهز على حاضره ومستقبله، وتعصف بالجهود المضنية التى بذلها المخلصون من رجاله حتى وصل إلى ماوصل إليه من ارتقاء نسبى

ولعله من العجيب أن تحدث هذه الأحداث فى الوقت الذى تطالب فيه البلاد بتطهير مرافقها — والمسرح فى مقدمتها — من الجهل والفوضى ، بل الأعجب من ذلك أن تحدث هذه الأحداث باسم التطهير دون أن يفطن مفتعلوها إلى الفارق الجسيم بين التطهير والتدمير

بدأت هذه الأحداث عمليا منذ منتصف الشهر الماضى عقب أن أوفدت قيادة الجيش الباسلة مندوبا عنها إلى الهيئات الفنيـة ليعاونها فى استنقاذ النشاط الفنى من براثن الرجعية وتوجيه الفنون وجهة قومية تحقق بها وظيفتها المثلى. وكم كان غريبا ومريبا أن يجتمع ممثلو الفرقة المصرية وفرقة المسرح الحديث لا ليعملوا على تحقيق هذه التوجيهات القويمة ؛ ولـكن ليقدموا إلى ولاة الأمور مذكرات لا تمس الفن والإصلاح الفنى إلا بقدر ضئيل ، وهى بعد ذلك تتضمن مطالب ينحو بعضها منحى شخصيا ويستهدف غايات غير فنية وينطوى على مثالب وترهات يندى لها الجبين . وليس أدل على ذلك من أن يطعن ممثلو فرقة المسرح الحديث عميدهم « زكى طليمات » طعنات قاتلة ! والأدهى من ذلك أن يطالبوا بتنحيته عن إدارة الفرقة التى تعتبر ثمرة جهاده الفنى

وأبادر فأؤكد أننى لا أبتغى الدفاع عن تصرفاته ولا أبتغى مهاجمة أعضاء الفرقة فى وضعهم الجديد الذى استقروا عليه الآن ، بل لا أبتغى تناول النواحى الشخصية التى انزلقوا إليها ، تاركا تقدير ذلك لحكمة ولاة الأمور وفطنتهم . وإنما أبتغى ، كناقد ، أن أكشف عن بواعث هذه المحنة من الناحية الفنية وحدهـا ، وأن أوضح مدى ما يترتب عليها من خطورة على الفن المسرحى

وربما لا يفى لإيضاح ذلك أن نسرد تاريخ زكى طليمات وجهاده الفنى فى أكثر من ثلاثين عاما؛ بل يجدر بنا أن نتلمس أثره العميق فى الحقبة الأخيرة التى بدأت بإنشاء فرقته وانتهت باستقالته وندب غيره لإدارتها وانقطاع الصلة الوثقى بينه وبين تلامذته الذين تألبوا عليه لنرى نتائج هذا الأثر فى تطور المسرح المصرى وبالتالى لنرى مدى الخسارة التى ستلحق به بفضل المتألبين ... الناشئين !

ونـكرر هذا على المنازل التى سكنها سيد درويش ، وكامل الخلعى ، والرافعى ، ونخرى أبو السعود ، وغيرهم !

إن هذه اللوحة الصغيرة لن تـكلفنا شيئا ، ولـكنها ستكون بعيدة الأثر فى إحياء ذكرى الكاتب أو الفنان بعد مائة عام !

إننا فى عهد البعث ، عهد الإحياء ، هذا العهد الجديد الذى جب كل ما كان قبله ، العهد الذى يقوم على السواعد الشابة الفتية والنفوس المؤمنة الصادقة ، التى ظلت تجـاهد وتعمل حتى طلع الفجر من وراء الليل الأسود الطويل ، وفى هذا العهد يجب أن نصنع كل شئ فى سبيل المجد ، مجد مصر .. والأبطال الحقيقيون ، الخالصون ، الذين رفعوا صوتهم فى الأيام السود ، والذين جاهدوا فى وقت كان الظلام يعم فيه كل شئ ، وكانت كلمة الحق أقسى على الظالمين من أصوات المدفع ، وكان كل حر معرض لأن يذهب إلى غير رجعة ، هؤلاء الذين وقفوا وقفة الأسد فى وجه الطغيان ، يجب أن ننحنى لهم اليوم !

أنور الجندى

ولنعد قليلا إلى الوراء . وحسبنا أن نعود إلى الفترة التي سبقت إنشاء هذه الفرقة لنستذكر ما جاهر به النقاد وقتئذ ، فقد أجمعوا على أن المسرح المصرى بلغ من الهزال حدا لا رجاء فيه ، وحاول بعضهم تأويل ذلك إما بغلبة السينما عليه على اعتبار أنها أكثر منه ملاءمة لروح العصر .. أو بانصراف النـاس إلى أمور معاشهم أو ماشابه ذلك ونسوا جميعا أن المسرح فن لا يزال يزدهر عند الأوربيين وهم أكثر منا اشتغالا بالسينما وتكالبا على الأمور المعاشية ... والمهم أن أحدا لم يتمكن من تشخيص الداء ووصف الدواء سوى زكى طليمات . . إذ اهتدى بثقافته وتجربته وتخصصه إلى أمرين جوهريين :

الأمر الأول أن النهاية التى وصل إليها مسرحنا لم تكن إلا نتيجة حتمية للبداية التى بدأ بها . فقد بدأ فى أواخر القرن الماضى بداية ساذجة بمعنى أنه لم ينبت نبتا طبيعيا كما حدث عند الإغريق، ولم يستنبت استنباتا سليما كما حدث فى أوربا ، فكان لابد من أن ينتهى إلى تلك النهاية الساذجة

والأمر الثانى أن المسرح فن لا تستقيم له الحياة إلا إذا توافرت له البيئة التى تحيا فيها والعقلية التى تدركه ، وهذا مالم يتهيأ لمسرحنا فى شتى عهوده . فكما أن فكرة الجيل القديم عنه لم تخرج عن اعتباره إحدى وسائل التسلية والتلهية والتنفيس .. كذلك ظلت فكرة الجيل الأخير مع اختلاف فى التفاصيل دون الصميم

من أجل ذلك وضع سياسته الفنية على أساس تقريب إنتاجنا من الأوضاع الفنية الصحيحة وتهيئة بيئتنا وأذهاننا لتقبل هذه الأوضاع ، وتحقيقا لهذه السياسة أنشأ فرقته على دعائم منهجية وحدد برنامجها فى ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة الأولى مرحلة الترجمة عن الغرب والتتلمذ على الغربيين فيما امتازوا فيه ، والمرحلة الثانية مرحلة التجربة والممارسة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الخلق والابتداع . وكما وفق فى التصميم وفق أيضا فى التطبيق ، ولهذا أعرضت فرقته عن الوسائل الارتجالية، وترفعت عن ممالأة النزعات السطحية ، وآثرت تقديم الترجمات الممتازة ، فقدمت فى مستهل عهدها ثلاث روايات لموليير ورواية لتشيكوف وأخرى لبريستلى دون أن تمسخها بالتمصير والتعريب .. وظلت تسير على هذه الوتيرة حتى تأججت الثورة على الاستعمار فى الموسم الماضى .. فكان زكى طليمات أول من استجاب للدواعى الوطنية من رجال المسرح .. وقدم روايتين وطنيتين .. وآثر أن يرجئ برنامجه ليشارك الثوار ويمضى الطريق للأحرار

وهكذا نجح ماديا ومعنويا .. وأفلح فنيا وقوميا .. وفاز برضاء الوطن والفن وتأييد المخلصين

هذه هى قصة زكى طليمات موجزة خلال العامين الماضيين ، وهذه هى أيضا قصة بجماليون القرن العشرين

فقد روت الأساطير الهلينية أن الفنان بجماليون ابتدع تمثالا رائع الجمال فشغف به حبا وتوسل إلى الإلهة أفروديت أن تمنحه زوجة شبيهة بهذا التمثال . واستجابت الإلهة لهذا التوسل بأكثر مما كان يتصور .. إذ منحت الحيـاة للتمثال ذاته وتزوج بجماليون تمثاله الذى ابتدعه بيديه . وما أظن أن رمزية هذه الأسطورة فى حاجة إلى إيضاح .. لكن مايجدر بنا إيضاحه أن أحدا من شعراء الإغريق لم يحاول إخراجها بسرحيا وإنما اكتفوا واكتفى الأدباء من بعدهم باستلهامها واستيحائها .. فاستلهمها (مارستون) فى أشعاره التى ظهرت عام ١٥٩٨ واستوحاها (موريس) فى مجموعته القصصية التى ظهرت عام ١٨٦٨ وجاء المحدثون فوجدوا فيها معينا لمسرحيات كوميدية .. نذكر من هؤلاء جلبرت ثم شو ثم توفيق الحكيم وغيرهم .. ومع هذا لم يرتض أحدهم أن يخرجها من إطارها أو أن يزرى بكرامة الفنان بجماليون فى الصراع بينه وبين تمثاله .. واحتفظوا له بكيانه وأخرجوه منتصرا على تحفته الفنية باعتباره مبتدعها ونافخ الروح والجمال فيها . ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الرونق الفنى فرموا المبتدع بحجارة تمثاله وخلقوا من الكوميديا مأساة .. أولئك هم الزملاء الفضلاء ممثلو فرقة المسرح الحديث وهذه مسرحيتهم التى مثلوها أخيرا مع عميدهم الذى ابتدع فرقتهم، ونفخ فيها الحياة والجمال ، وعشقها وتفانى فى الإخلاص لها فكان جزاءه الجحود والعقوق

وإنى لأذكر فى يوم ميلادها كيف حرص على أن يكتب فى أول نشرة أذاعها : « إن هذه الفرقة لن تهلك إلا إذا ائتمر أعضاؤها على قتلها » وكنت مع إيمانى بحصافته وبعد نظره أعجب لذلك وأعجب أكثر من ذلك لإصراره على تسجيل هذه العبارة فى كل نشراته بلا استثناء ، وما كان يدور بخلدى أن ما توقعه



الاخـوان المسلمون

كبرى الحركات الاسلامية الحديثة

تأليف الدكتور إسحاق موسى الحسينى

٢١٧ صفحة من القطع المتوسط - نشر دار بيروت ١٩٥٢

للأستاذ عمر عودة الخطيب

هذا الكتاب يجىء فى أوانه ، لأن لحركة الإخوان أثرا كبيرا فى كثير من الحركات التى شملت الشرق الإسلامى فى السنين الأخيرة ، ولا يستطيع المؤرخ المنصف أن يغفل هذا الأثر الذى سجلته الأعمال الجسام والأحداث العظام ، ولذا يجدر بالمثقفين أن يعيروا هذا الكتاب عنايتهم ، وبالنقاد أن يعرضوا له بالنقد والتحليل

أما مؤلفه الدكتور إسحاق موسى الحسينى ، فهو أحد أساتذة الجامعة الأميريكية فى بيروت ، ومثقف واسع الاطلاع ، وأديب مشرق الأسلوب ، وهو جدير بأن يتناول هذا الموضوع الدقيق بقلمه الحر المنصف ، وأن يحلل هذه الحركة الجبارة بعقله الخصب الواعى ، بعد أن كتب فى موضوع الإخوان كثير من الكتاب ، وهم بين أنصار يقومون بواجب الدعاية والدفاع ، وبين خصوم يتناولون الحركة بالتجريح والهجوم ، وقد أصبح طالب الحقيقة الواضحة الصافية حائرا بين هؤلاء وأولئك ، وبقيت هذه الثغرة مفتوحة لم يستطع الكثيرون سدها ، حتى جاء الدكتور الحسينى بمؤلفه الجديد وجعل رائده أن يبحث عن الحقيقة بحياد وإنصاف ، ولذا فهو لا يألو جهدا فى تتبع كلام الخصوم والأنصار ، فيؤيد هؤلاء تارة ، ويميل مع أولئك أخرى ، بأسلوب مهذب لبق ، برىء من التهجم ، وخلاء عن التعصب ، وحاول أن يكون دائما على الحياد ، وقريبا من الصواب ، بيد أنه — فى سبيل هذا الحياد — سلك فى بعض الأحيان طريقا وعرة ، وقيد قلمه بقيود ثقيلة ، ما كان أغناه عنها ! ولذا وقع فى بعض الأخطاء ، ذلك لأنه يريد أن يقرر فى ذهن القارىء بعده عن التحيز لهذه الدعوة ، خشية أن يتهمه أحد بالانتصار لها

وأكبر أخطائه — على ندرتها — وأكثرها شيوعا فى كتابه ، رأيه فى الحكومة الدينية التى يقول إن الاخوان يعملون لها . ولا غضاضة على الإخوان — فى رأينا — أن يسعوا إليها ، ويبذلوا الغالى والرخيص فى سبيلها ، لأنها أمنية كل مسلم يقظ ، يعرف ما فى الحكومة الإسلامية من خير وسعادة للفرد والمجتمع والإنسانية عامة ، ولكن المؤلف فى حديثه عن الحكومة الدينية يقف موقف المعارض لها بأسلوب فيه كثير من اللف والدوران يقول : (لا شك فى أن الإخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثا .. لقد رأوا بعض القوانين فى مصر تبيح ما نهى عنه الدين ، رأوا

سيحدث بعد عامين اثنين من إنشائها على الرغم من نجاحها نجاحا منقطع النظير . لم يكن زكى طليمات نبيا ولا مطلعا على الغيب ؛ وإنما أدرك — وهو أسبق من زمنه — أن منهاجه العلمى سيؤدى به إلى النجاح بين قوم لم يتوسلوا من قبل بمنهاج علمى بدليل أنهم كانوا يتوقعون له الإخفاق .. وأدرك من جهة أخرى أن هؤلاء القوم سيحاولون هدم ما بناه .. وأدرك أيضاً أن لا شىء ينال منه إلا أن ينهار البناء ذاته . وربما كان أبرز ما يؤيد صحة مدركاته أن مما تتجه إليه النية الآن إدماج فرقته .. بعد ما أوشكت أن تتداعى — بالفرقة المصرية ... وهكذا يتكشف الباعث الأصيل للمطالبة بإقصائه أو بعبارة أخرى لهدم الصرح الذى أقامه ... وتتكشف تبعا لذلك أغوار هذه المحنة الأخلاقية التى أصبحت مضرب الأمثال

إن شيئاً واحدا أريد أن أصارح به زملائى ، وهو أن زكى طليمات « الفنان » حقيقة تاريخية لا سبيل إلى طمسها ، وإذن فلا ضير عليه ، وإنما الضير على أبنائه الذين ضربوا مثلا رائعا فى انتهاز الفرص حتى لقد استباحت ضمائرهم إهدار كرامته وهانت أبوته وأستاذيته ، وكل ما أخشاه أن تكون فى الإطاحة به إطاحة بهم وبمدرسته الفنية وبالأمل الذى كان يراودنا فى تحقيق نهضة المسرح المصرى الحديث

عبد الفتاح البارودى

قانونا يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، وهما محرمان دينا فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الدينى فى جميع الأحوال بلا استثناء ، كما كان الحال فى صدر الإسلام ، وهذا هو موطن الدقة فى الموضوع ، هل جميع القوانين المدنية أدت إلى ما أدى إليه هذان القانونان ؟ هل كل تشريع مدنى فاسد ؟ لو كان الأمر كذلك لكان التشريع الغربى بل تشريع العالم أجمع ؛ عدا القسم من العالم الإسلامى الذى يطبق التشريع الدينى فاسدا ، وهو قول سخيف ، فالتشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) ص ١٦٥

وموضع الخطر والخطأ فى هذا الكلام أن الاخوان بنوا فكرة دعوتهم للحكومة الإسلامية حين رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، والحقيقة غير ذلك ، لأن كل من يدعو إلى الحكومة الاسلامية سواء أكان الإخوان أم غيرهم ، يستطيع أن يجعل قانون الزنا والخمر مثلا سبيلا لقيام الحكومة الاسلامية ، لأن مثل هذا السبب لا يصح أن يكون وحده أساسا لمثل هذه الدعوة ، وإلا كانت هذه الدولة أخلاقية روحية فحسب ، لاشأن لها فى تنظيم المجتمع ، وتنمية الثروة ، والعلاقات الدولية . نعم إن من أهداف الحكومة الاسلامية ، إقامة حدود الله ومنها حد الزنا والخمر ... ولكن ليست هذه وحدها أيضا مما تقوم به دولة الإسلام

والسبب الحقيقى فى قيام الحكم الإسلامى إنما هو الإسلام نفسه ... فالاسلام وجد ليحكم ، ويؤسس دولة ، وينشئ أمة ، ويقود عالما ، والعبادة فيه وسيلة لتربية الضمير الإنسانى ، ليعدل إذا حكم ، وينصح إذا استشير ، ويخلص إذا عمل ، ويسعى للمصلحة العامة ، ويدفع أذى الأعداء ، والتشريع الإسلامى الذى هو قانون الحكومة الإسلامية ، ينظم شؤون الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، لأنه قواعد عامة ، وأصول مرنة ، قابلة للتطور والاجتهاد. وقول المؤلف (بأن التشريع يستوحى المصلحة العامة فى كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) فى هذا القول تأييد للتشريع المدنى وأنه يلتقى مع الغرض الأسمى من الدين ... ولا يجوز عقلا أن يختلفا ، ونحن نعلم أن التشريع المدنى يبيح الربا وأن الدين يحرمه ، والتشريع المدنى — فى كثير من البلاد — يحمى الإقطاع والاستغلال ، والإسلام حرب عليها ... فكيف جاز عقلا أن يختلفا ؟ !

إن فكرة فصل الإسلام عن الدولة ، وإبعاده عن الحكم ، وإقصائه عن التشريع انحراف به عن غايته السامية ، وحبس له فى الخلوة والزاوية ، وجعله هيكلا راهنا منحلا ، لا يقوى على رد عدوان ، أو صد هجوم ، وهذا هو ما آل إليه أمر الإسلام بعد أن تكالب عليه الأعداء ، ورموه بالجمود والرجعية ، ووصموا أتباعه بالتأخر والهمجية ، وساموهم سوء العذاب بالاستعمار والطغيان ... ومن المؤسف أن كثيراً ممن شدا طرفا من الثقافة الغربية ، وتأثر بالنهضة الأوربية التى قامت على أساس إبعاد الكنيسة عن الدولة ، يدعون بهذه الدعوة ، وينادون بهذه الفكرة ، ناسين ما بين الإسلام والمسيحية من فروق شاسعة ، وبون بعيد ، وقد تصدى لرد هذه الفكرة الخاطئة الأستاذ سيد قطب فى كتابه (العدالة الاجتماعية فى الإسلام) [1] وكانت سياسة الإخوان ، ونشاطهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، ردا عمليا على هؤلاء الذين يتهمون الإسلام بالجمود ، ويصمونه بالعجز عن تنظيم المجتمع الحديث ، وهم كما قال فيهم الأستاذ الزيات (يحاولون أن يبعثوا فى الهيكل الواهن المنحل روح الإسلام الفتية القوية ، التى نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادى الجزيرة رعاة غنم ، إلى حواضر الدنيا قادة أمم) و (هم هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ ، عقيدة الإسلام الخالص ، وعقلية المسلم الحق ، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة ، وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق ، وأن السوق عمارة المسجد ، وكان للاخوان المسلمين فى الإرشاد لسان ، وفى الاقتصاد يد ، وفى الجهاد سلاح ، وفى السياسة رأى)

وهناك أمر آخر وثيق الصلة بموضوع الحكومة الدينية ، وهو اشتراك الجمعية فى السياسة ، يخطئ فيه المؤلف فيقول : (وأثرت هذه الإجراءات الصارمة — يعنى بطش إبراهيم عبد

(١) راجع الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام »

الهادى — فى البنا الذى رأى البيت الذى بناه بيده فى عشرين عاما قد انهار بين ليلة وضحاها ، ويبدو أنه ندم على اشتراك الجمعية فى السياسة ص ٣٦ ، وأحب أن أؤكد للمؤلف أن البنا لم يندم على اشتراك الجمعية فى السياسة) لأن السياسة — فى عقيدته — جزء لا ينفصل من الإسلام ، ولو فرضنا أن هذه الإجراءات القاسية الرهيبة ، أثرت فى نفسه ، فلا يمكن أن يبلغ أثرها حدا يجعله يتخلى عن جزء من عقيدته التى هى عقيدة الإسلام الخالص. على أنى شهدت له موقفاً خالداً مع مندوب الحكومة فى دار جمعية الشبان المسلمين قبل استشهاده بأيام ... سمعته — رحمه الله — يقول لمندوب الحكومة المفاوض (قل لمن وراءك : إذا كان ملك البلاد ، ومن ورائه حكومته الرشيدة وعلماء الأنام ، كل هؤلاء حرب على الإخوان المسلمين ، فلا أقول عندى مليون أو ثلاثة ملايين ... بل عندى خمسون ، لا يضع الواحد منهم أنفه فى الرغام ، حتى يحطم خمسين من هذه الأصنام) وفى هذا الكلام — بلا ريب — تهديد خطير ، وهو لا يدل على نفس نادمة ، أو عزيمة خائرة ، بل يعنى أن هذه المحنة لم تنل من نفسه ولم تغير من عقيدته ، وكيف ؟! وهو الذى كان يسمى تلك المحنة العصيبة منحة يمحص الله بها الصادقين المخلصين

ثم أراد المؤلف أن يعلل اهتمام الإخوان بالصناعة والشركات، فعجب من أن يغرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية ص ١٤٥ وقال (إن كانوا يقصدون أن الدين يشرع لهذه المظاهر الدنيوية ، ويفرض سلطانه عليها ، ويحدد سلوك الفرد فيها ، فقد غالوا فى مفهوم الدين ، ووضعوا أمام السائرين فى الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار) ص ١٤٦ ، ويبدو أن المؤلف الذى يعجب من هذا الطوفان غير الروحى ، لا يريد أن يتخلى عن نظرته إلى الإسلام ، على أنه عبادة وروح وأخلاق ، وأود أن أذكره أن فى كتب الفقه الإسلامى قسما كبيرا للمعاملات ، فيه فصول مسهبة دقيقة تنظم البيع والسلم ، والقرض والرهن ، والتفليس والحجر ، والصلح والحوالة ، والضمان والشركة ، والوكالة والشفعة ، والمزارعة والمساقاة، ولهذه الأحكام الفقهية أدلة قوية، من القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف ، بذل الفقهاء جهداً كبيراً فى استنباطها وترتيبها ... وليس مرد هذا الاهتمام إذاً إلى ممارسة البنا لصناعة إصلاح الساعات كما يقول المؤلف (أما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مرده الأولى إلى صناعة إصلاح الساعات ، التى أتقنها الوالد ، وأولع بها الفتى ، ومارسها كذلك) ص ٤٤ ولا أجد داعياً إلى اتهام الإخوان بالمغالاة فى الدين ، كما لا أجد حاجة لأن يتساءل المؤلف هذا التساؤل العجيب فيقول : (وما الذى حمل الإخوان على مط الدين على هذا النحو ؟) ص ١٤٦ ، فليطمئن على أن الدين لم يمط ، ولن يمط ، لأن فيه إمكانية واسعة لتنظيم شؤون الدين والدنيا

هذه ملاحظات يسيرة ، لا تغض من شأن هذا المؤلف القيم الذى يحوى بين دفتيه حقائق ناصعة ، وآراء صحيحة ، وتحليلا ناجحا لهذه الحركة . فضلا عن ذلك الإحصاء الدقيق لكل ما يتعلق بالإخوان ، وقد ذيل المؤلف كتابه بالمراجع والشروح التى اعتمدها ، ونقل عنها ، فلا يكاد يترك كتابا أو رسالة أو صحيفة أو مقالة فيها حديث عن الحركة ، إلا ذكرها وأوجز ما فيها ، وقد بذل — ولا شك — فى هذا السبيل جهدا كبيرا ، يستحق أن يسجل بآيات الشكر والثناء

محمود عودة الخطيب



إلى الأستاذ محمد سالم الخولي

تحية مباركة

وبعد فقد قرأت فى العدد الألفى مقالكم القيم « أثر الرسالة فى الأدب الحديث » وأعجبنى منه كيف غاب عن ذاكرتكم — وأنتم تعددون أسماء الأشياخ الأعلام وشباب الكتاب — اسم الأستاذ على الطنطاوى الذى رافق الرسالة من مشرق عمرها المديد على حد تعبيركم — ولا يزال .

أجل لقد عجبت أن يند عن الذاكرة اسم هذا العلم الشامخ ، وإن العهد به فى الرسالة لقريب ، فارجعوا إن شئتم إلى مقاله المنشور فى العدد ال٩٩٨ فهو الغاية فى التعريف بهذا الأديب الكبير والدلالة على منزلته الرفيعة وصوته البعيد فى الأقطار الشاسعة التى فتحتها له الرسالة الغراء ومكنت له فيها ، وهو إلى ذلك فن بديع فى التنويه بالنفس والتعريض بالآخرين

دمشق خليل صادق

لا يعلم الغيب إلا الله

قال الأستاذ ناصر سعيد : (إن النبى ولا شك كان يعلم الغيب) وهذا خلاف الثابت المعروف من الدين بالضرورة ، من أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، وإنما يكشف الله لرسوله عن أشياء معينة ، لحكمة يريدها فيخبر بها

ولعلى أعد فى هذا الموضوع فصلا أنشره فى الرسالة

تصويب

فى مقالتى فى العدد (٩٩٨) تطبيعات منها كلمة يستشرق للحب وهى يستشرف للحب

على الطنطاوى

حول شوقية لم تنشر

نشر الأستاذ محمد عدنان حسين فى العدد ٩٩٨ رثاء شوقى للمغفور له الخديو توفيق فى الصفحات ٩٢١—٩٢٣ وتقع المرثية المذكورة فى ٨٣ بيتا . وقال إنها لم تنشر فى ديوان شوقى — ولكن التوفيق الذى يصاحب الأستاذ عبد القادر الناصرى فى استدراكاته خان الأستاذ عدنان . فالرثاء المذكور طبع ضمن الجزء الأول من الشوقيات طبع مطبعة الآداب والمؤيد سنة ١٨٩٨ م وهو الجزء الوحيد الذى طبع من الشوقيات القديمة والقصيدة فيه من ص ١٣٤ إلى ١٣٨ . وتقع فى ٨٦ بيتا أى بزيادة ثلاثة أبيات على ما نشر الأستاذ عدنان . وغنى عن التعريف أن الشوقيات القديمة المذكورة أعلاه تحتوى على كثير مما لم يعد طبعه فى الأجزاء الأربعة من الشوقيات الجديدة — كما أن بعض ما نشر فى الجزء الثانى من الشوقيات الجديدة على أنه غزل إنما هو استهلال قصائد مدح الخديو عباس طيب الله ثراه — مثال ذلك قصيدة علموه كيف يجفو — نشر منها تسعة أبيات من أولها فقط فى ص ١٦٣ من الجزء الثانى من الشوقيات الجديدة — بينما هى فى ٣٤ بيتا فى الشوقيات القديمة انظر ص ٨٩—٩١ ، وحبذا لو تكرم حضرات المستدركين بمراجعة الشوقيات القديمة قبل الجزم بعدم نشر فريدة من فرائد شوقى

عبد السلام النجار

من عثرات الأقلام

كتب الأستاذ الربيع الغزالى فى جريدة الأهرام أن (متشرد) صحيحة مثل . مشرد وشريد ، وحجته فى ذلك : أن التاء مزيدة للطلب ، وأنه جاء فى المنجد ، تشرد القوم : ذهبوا

وهذه الحجة لا تنهض دليلا على صحة ما ذهب إليه ، فإن التاء وغيرها من حروف الزيادة ، ليست زيادتها قياسية فى الفعل أو مشتقاته بل مدار هذه الزيادة على ما سمع من العرب ، والقاعدة عند اللغويين أن ما سمع يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ولم يؤثر عمن يوثق به من أئمة الفصحى الفعل (تشرد) بمعنى صار شريدا ، ولا يمكن أن يتصور معنى الطلب فى (تشرد) لأن التشريد لا يطلبه أحد لنفسه

وورود كلمة (تشرد) فى المنجد ليس دليلا على صحتها ، لأن المنجد ليس من المصادر المعتمدة عند علماء اللغة ، ولو كانت الكلمة صحيحة لو ردت هى أو بعض اشتقاقاتها فى أحد المراجع

المعول عليها عند اللغويين، ثم لم نظلم المنجد وقد أورد كلمة (تشرد) بمعنى ذهب لا بمعنى طرد ، ولا يخفى على أحد ما بين المعنيين من فرق

هذا ولن يضير اللغة أو ينقص من قدرها أن ينفى الزائف عنها ؛ ويقتصر على استعمال الصحيح من مفرداتها

عبد الجواد سليمان

سرقة أدبية

قراء الرسالة يذكرون تلك العجالة الخاطفة التى نوه بها الأستاذ كمال رستم فى العدد ٩٢٢ من مجلتنا الغراء ، ذاكرا أن الأستاذ إبراهيم المصرى الكاتب القصصى المعروف . . قد سطا على قصة أنطون تشيكوف « الرهان » وأضافها إلى نفسه بالعدد ٨٥٢ من مجلة آخر ساعة تحت عنوان « الرهان العجيب » ! ومع أن كلمة الأستاذ كمال رستم كانت تتسم بطابع العنف ، فقد صمت الأستاذ المصرى صمت المتهم الذى ثبتت إدانته . .

واليوم . . تتكرر نفس المأساة على صفحات آخر ساعة نفسها ، فقد طلعت علينا فى عددها الفائت بقصة للأستاذ أمين يوسف غراب تحت عنوان « دقات الساعة » ، وقدمها على أنها قصة رمزيه مصرية ! والقصة ليست من الرمزية أو المصرية فى شئ ؛ وإن القارئ للعدد ٩٣٤ من الرسالة الغراء . . الصادر بتاريخ ٢٨ مايو سنه ١٩٥١ ، وعلى الصفحة ٦٢٧ من نفس العدد ، يطالع هذه القصة . . وهى مسرحية ذات فصل واحد من روائع « ميشيل وست » قمت بترجمتها وتقديمها . وقد تطاول الأستاذ أمين على أصول القصة ، فنفحها بعضا من عندياته ، ولست أدرى ! أهذا إمعان منه فى الكرم على مؤلفها ذى الحق المسلوب ؟ أم رأى فيها اعوجاجا فأبى إلا أن يتفضل بتقويمه ؟ أم أراد أن يطمس معالم السرقة كما فعل الأستاذ المصرى فى قصته « الرهان العجيب » ؟

عبد القادر حميدة

شخصية الأسبوع

نشرت البروجريه ديغنش كلمة تحت هذا العنوان عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم أشارت فيها إلى مقترحاته لتطهير الأزهر وعزمه على الاستقالة إن لم تجب مطالبه ؛ وقالت إن الشيخ عبد المجيد سليم يتمتع بثقة الغالبية من رجال الدين والعلماء واحترامهم ، وهو معروف بالتقوى والورع ، وما حاول قط أن يفيد لنفسه، وقد جعل همه مصلحة الجامعة الأزهرية قبل مصلحة الأفراد، ومن أجل ذلك كافح فى سبيل إنقاذ تلك المؤسسة الدينية . وهو لا يخشى إلا الله ولا يساوم فى كرامته، ولذلك يستحق بجدارة تقدير الوطن

يهز الجيش حولك جانبيه

فى البريد الأدبى من العدد ١٠٠١ من الرسالة الزهراء ، يقول الأستاذ خلف إبراهيم الكاتب إنه لم يجد البيت :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

فى الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى ، والحق أن البيت المذكور إنما هو للمتنبى ، وهو من قصيدته التى يمدح بها سيف الدولة ومطلعها :

بغيرك راعيا عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب

وليرجع الأستاذ إلى هذه القصيدة فى الصفحة ٧٥ من الجزء الأول من شرح ديوان المتنبى للعكبرى ، شرح وتحقيق الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى

عبد الرازق عبد ربه

هفوة

قرأت بالعدد الأخير من الرساله الغراء قصيدة ممتعة للشاعر الشاب . . محمد مفتاح الفيتورى . تحت عنوان « العائدون من الحرب » ، والقصيدة تعد أنموذجا يحتذى فى الشعر الوطنى الحديث ، لولا أن وقع الشاعر الفاضل فى هفوة كنت أحب أن تتخلص منها قصيدته ، إذ أن البيت الثانى من المقطوعة الأخيرة تنقصه « تفعيلة » ، فهو يقول:

فلا بارك هذى اليد لا باركها الرحمن
(إذا لم تسق بالحب صدى الحيران)

وكان الصحيح أن يقول مثلا :

إذا لم تسق بالحب صدى للعائد الحيران

وبذلك يستقيم البيت وزنا

عبد المنعم عواد يوسف



الحذاء المشئوم

للكاتبة الايطالية جرازيا دليدا

ضاقت سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد عملا ، وهو لا يدرى كيف يزجى هذا الفراغ العريض الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطرا من نهاره فى حجرة الانتظار بالمحكمة واضعاً كراسة على ركبته يثبت فيها ماتوافيه به قريحته من أشعار يناجى بها زوجته الحبيبة ، لقدكان الضجيج يعلو بإزائه، والجوع تتقاطر من هنا ومن هناك : ففقيرات النساء يتخاصمن على دريهمات ضئيلة كأنما يتناز عن أقطار الأرض جميعا ، وشاهدو الزور يسيرون فى هدوء وأناة يبتغون شيئا ، وصغار المحامين يندفعون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد ؛ هذا وإيليا جالس فى هدوئه فى زاوية الحجرة ، يكتب إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس مما حوله شيئا :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعينى عقلى ، فكل ما يدور فى العالم مقدر قبل أن يكون . أنا شاعر فيلسوف ، فليس شئ فى الحياة يثير فى الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تعلو بالمرء مرة وتسفل به أخرى . لا تقنطى — ياعزيزتى — فلربما تذكرنا عمى أغسطينو ، أغسطينو الذى طرد زوجته وحرمها ماله ؛ لعله يذكرنا يوما فنذهب إلى شاطئ البحر معا ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج الهائجة ، ونحن نسير ذراعا فى ذراع كأننا عروسان فى شهر العسل؛ على أننا — الآن — سعيدان ، فالحب والاطمئنان يغمران قلبينا وحياتنا، وأنت ياسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت رُائى وأنت ملكتى »

وفى صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا وهو فى مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس دائما ؛ أحس أن يداً قوية تجذبه فى عنف ، وسمع صوتا خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت فى (تيرانوفا) وعمك هناك يعالج مرضا مخطرا ... » هذا صوت سائق ينبهه إلى أمر ، ولكنه ما كان ليسلبه بعض هدوئه . لقد أرسل أنة خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث نفسه : «سأنشر هذا الخبر المحزن على عينى زوجتى »

لم تضطرب الزوجة لما سمعت، ولم تحزن ، ولم تفزع من مكانها وهى جالسة أمام باب الدار، تلتمس الدفء من أشعة الشمس، وقد ارتدت خير ملابسها ، وانتعلت ، ورتبت شعرها فى دقة وأناقة ؛ غير أن ملابسها وحذاءاها وقدعبثت بهما يد البلى ، ووجهها وقد شحب وتغضن وذوى جماله ، وعينيها وهما تضطربان وقد خبا ضوءهما وانطفأ بريقهما ؛ كانت كلها ترسم سطورا واضحة فى تاريخ فاقتها وعوزها

ومن أقصى المكان ارتفعت ضجة تشبه ما يسمعه إيليا دائما فى المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار يتنازعون فيما بينهم أمرا ؛ وهذا الندى — وهو جزء من الدار — قد ضم جماعة يلعبون الورق ويمزحون فى ضجة وصخب ؛ والزوجة لا يعنيها ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بإزاء زوجته يداعب شعرها فى رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... ! » قالت الزوجة : « إلى أين ... ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تعى شيئا مما قلت ! إلى عمى أغسطينو طبعاً ! ما أجمل ما أرى فى هذا اليوم ... ! » قالها وقد كتم فى نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكينة فراحت تحدق فى حذائه الممزق مزقا أعيت على الإسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج فى ثبات : « إن معى ما يكفينى ، لا يشغلك هذا . إن كل ما فى الكون يلد الحياة والجمال لو أن فى النفس الهدوء والدعة . إن ما يهم المرء حقا هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلنى هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن تقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها فى حجرها وهو يبتسم ... ثم انطلق وما خلف من شئ سوى هذه القصاصة

انطلق ماشيا لأنه لا يملك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحت إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعوده منذ زمان ؛ وما كان لشئ ما أن ينزع عنه رزانته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار فى

نشاط وخواطره معلقة بحذائه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق …

* * *

بلغ إيليا (أوروسى) — وهى قرية فى طريقه — ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لا حب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، فى ناحية من الأرض سحرية ، فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية فى رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسمات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو فى طريقه تراءت له الزهور الرفافة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشذى فى روحه النشاط ، وتذكى فى أعصابه القوة ؛ ثم … ثم انحـدرت الشمس إلى مغربها ، فاستحالت حرارتها المنعشة إلى برد قارس تحمله نسمات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخانته رزانته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غـيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء المزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهـانة واحتقار حين يبدو فى دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه فى مثل حذائه . لا بد أن يجد حـذاء ؛ ولـكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى … وبعد فترة كان يسير فى شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفى ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبيا قويا جذب إيليا إليه … جذبه لينام ليلته فى حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيط أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه معا . استلقى الرجل على فراشه وما فى رأسه غير صورة نعل جديد تتراءى له أينما هفا خياله . فى الشارع ، فى الحقل ، فى زاوية الحجرة ، فى صندوق فى الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحيانا إلى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة .

وظل إيليا تفزعه الريح العاصفة ، والغطيط المدوى فى أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر ، وتعلق بصره بنجم يتألق فى السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس إليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطلية ، وعند الحياة الناعمة التى يحياها إلى جانبها لو ظفر بما يملك عمه

وانتفض الرجل من فراشه بعدلأى وهو يضطرب، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يسلبه فوجده ثقيلا واسعا فتركه إلى حذاء الرجل الآخر ، غير أنه لم يجد شيئا ، وطن فى مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف فى مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدت له خسته فحزن … حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحدق ؛ وحين انمحى الصوت دلف هو إلى الخارج ليرى … ليرى الردهة خالية إلا من بصيص من نور ، وإلا من قطة تحك جسمها فى الجدار ، وإلا من حذاء بإزاء القطة ، بدا فى عينى الرجل جميلا ، فانطلق إليه يخبئه فى ثنايا معطفه ، ثم اندفع إلى الشارع فى هدأة الليل وسكونه . ولقد غادر الفندق لم يشعر به أحد ، ثم أسرع وتراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويدا رويدا لتنتثر فى هذه اللجه ، فقال : « ياعجبا ! أكل شئ فى الطبيعة والإنسان يريد أن ينهد ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يخب فى الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن

ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلبس الحذاء المسروق ، لقد بدا عليه السرور والفرح — بادئ الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه « ماذا يكون لو أنهم تبعونى ؟ سيقتلوننى لاشك ، ماذا تقول زوجتى إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أفتسرق حذاء ؟ أى فرق بينك وبين من يسرق مليون ليرة ، أيها السارق ؟

واضطربت الفكرة فى رأسه : « مليون ليرة ! أين هى ؟ أين أجدها لو وجدتها لا ختطفتها لا أبى ولا أتباطأ ! » ثم تمطى وهو يبسم لهذه الخاطرة ، ومد رجليه وحرك أصابعه فى الحذاء الجديد ؛ يا عجبا ! لقدرانت على نفسه سحابة سوداء من الـكآبة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تختلج كأنها تنفر من هذا الحذاء المسروق ! لقد سار فى طريقه متكاسلا ، ومتأبطـا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعته الأفـكار السود ؛ فهو يلتفت إلى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه

وانبثق الفجر كأنه شيطان مارد يحدجه بعينين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعته سحابة دكناء من الضباب ليبعث فى نفسه الفزع والرعب ، ولينذر بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون إلى القرية مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء المسروق يقول قائلهم ، : « نعم ، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... »

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الهوينى ، فى طريقه إلى القرية ، تخيل إليه أنه يحدق فيه ، ويلتفت إليه بين الحين والحين وعلى شفتيه ابتسامة السخرية والتهكم

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهار حزين كالح ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهى تنعق نعيقها المشؤوم ؛ وقد انطوى الجمال الذى أحسه بالأمس فى هـذه الناحيـة ؛ وبدت له الحياة عابسة تبعث فى النفس الألم والضيق ، ودوت فى أذنيـه أصوات تفزعه من مكانه لأنه رأى فيها أصوات الذين من خلفه يقصون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القـديم الممزق بالحذاء الذى سرقه ، وألقى به فى ناحية ثم انطلق

لقد ألقى بعض همه حين ألقى الحـذاء المسروق ، ولـكنه ما يزال فى اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصور له أشياء ! فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيلببانه ثم يدفعان به إلى المحـكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراءى له جماعة يعذبونه ويعذبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤرثها الإجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعه الخواطر المظلمة كما تتناول الرياح الشديدة العاصفة سحابة فى كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام فى هذه المتاهة ، يضرب فى الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة فى وقت معاً ؛ ثم هو لا يطلب إلا سرابا أو أملا كالسراب ، ومن يدرى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتى بالحجة القاطعة يثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... وبرغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يغسل

***

نكص الرجل على عقبيه يمتلخ المقل ، مأخوذ اللب ، يحدق فى الحذاء الملقى فى ذهول وبلاهة، أفيواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التى فى رأسه ! أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفـه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر يوماً كاملا لا يطعم شيئا ، فأحس بأعصـابه تتراخى ومشى الهوينى يترنح كأنه عود ذاو تعصف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه فى حلم ، وعلى شفتيه كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المـكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، ومر فما تعلق به بصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحـذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه فى لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالى . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقى معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو فى ناظرى إيليا — مرة أخرى — جميلا ، والوادى كأنه يبسم فى رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبعث منه القوة والنشوة ، وهو يندفع فى سيره يفور نشاطاً وحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذى تموج فيه قدماه ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة فى قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتبلغ بهما

وبلغ دار عمه وقد أجهده السير وأضناه التعب ، ولـكن الأمل كان يشرق فى عينيه فيدفعه إلى الأمام ... لقـد مات عمه منذ سـاعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر إليه فى دهشة وهى تعجب : « أأنت ابن أخيه حقا ؟ لـماذا لم تسرع إلى هنا ؟ » ولـكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هى تقول : « لقد أرسل إليك منذ ثلاثة أيام وانتظر . . . انتظر طويلا وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيته ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك إلى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا إلى داره يحمل إلى زوجته الحبيبة إلى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئا ...

ك . ع

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٤ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٥٢٥

20 me année No 1004

Le Caire 29 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

تجلد يا قارون باشا!

لك الله يا مسكين! لم تعد باشا بعد يوليو، ولن تعود قارون بعد أكتوبر! ذهب اللقب وضاع (الطين)، فلا رأس يشمخ ولا لغد ينتفخ! وخلا الدوار والإصطبل، فلا ثور يخور ولا فرس يصهل! وخوى القصر والديوان، فلا حاجب يسعى ولا حاسب يحسب! وخفت الصوت الراعد فلا (شخط ولا نطر)، وخرس اللسان البذئ فلا نهر ولا قهر!

لم يبق لك من تراثك الفاحش الضخم، إلا جسد بض، وبطن شحيم، ووجه جهم، وذهن مغلق، وحس مظلم، وجهل مطبق، وسمعة قبيحة! وكانت هذه المزايا التي مازك الله بها مستورة بالطين فما كان يراها أحد. فلما كشفوا عنك غطاء الذهب، واستردوا منك جلال اللقب، بدوت في شرفة القصر عاريا من زينة الجسد والروح، كما بدا فاروق في شاطئ كابري عاريا من زينة الملك والإنسان!

أنا والله شامت بك يا قارون! لطالما قرعت سمعك وسمع الأمير بزواجر النصح الخالص، ولكنكما لم تكونا يومئذ تصدقان أن للناس ربا يمهل ولا يهمل، وأن للعدل نورا يخبو ولا ينطفئ، وأن للشعب وعيا يضعف ولا يموت! وهاهوذا غضب الله يحل، ونور العدالة يشرق، ووعى الأمة يستيقظ؛ فهل أغنى عنكم النضار الذي كنزتموه، والعقار الذي حزتموه؟ لقد أخذتكم صيحة الجيش بالحق، فآمنتم لأول مرة أن الناس عبيد الله، وأن الوطن ملك الجميع، وأن الملك أحد الناس

أنا والله شامت بك وبأمثالك يا قارون! كان لكل منكم حاشية كحاشية فاروق، وزبانية كزبانية جهنم! حاشية تحبب إليكم الفسق، وتهون عليكم الإثم، وتوفر لديكم المتاع. وزبانية يعقدون لكم دم الفلاح ذهبا، ويحولون إليكم عرق الأجير فضة. ثم لا يشيرون عليكم أن تعملوا لعبيدكم ما يعمل الفلاح لمواشيه: يغذى البقرة لتحلب، ويقوى الثور ليحرث!

لقد أصبحتم بكفرانكم لنعم الله ناسا من أقل الناس، تذوق ألسنتكم الحلو والمر، وتحس نفوسكم العز والذل، وترجون الدستور كما نرجو، وتخشون القانون كما نخشى. وستنسون من طول مايلح الغلاء وتفدح الأعباء، أنكم كنتم من الطبقة التي أقامت نفسها بقوة المال وسطوة الحكم بين الله وبين عباده، تملك الأمر والنهى، وتعطى الحياة والموت، وتضع يدها في يد إبليس، لتنقض ما أبرم الله، وتفسد ما أصلح الدين

كنت يا قارون تكره العلم لأنك تحب الجهل، وتوالى الظلم لأنك تعادى العدل؛ فماذا تصنع اليوم وقد أصبحت محتاجا إلى العلم لتعمل، ومفتقرا إلى العدل لتعيش؟

إن في مذكراتي وذكرياتي أفانين من مخازيك يا قارون، لو نشرتها على أعين الناس لأنكروا أنك منهم، وأشفقوا أن تعيش فيهم؛ ولكني أتأدب بقول الرسول الكريم: أكرموا عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر!

احمد حسن الزيات

رسالة المسجد فى ظلال
النهضة الجديدة

للاستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن وزير الأوقاف فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى لم يقبل هذه الوزارة إلا وفى مخيلته رسالة إصلاحية يبغى تحقيقها ؛ وفى نفسه ثورة انقلابية يود إشعالها ، مستعينا على تحقيق رسالته وإشعال ثورته بنضارة شبابه وسداد رأيه وقوة عزمه ، ومستمدا التأييد من هذا العهد الجديد القائم على أسس ثابتة من الإصلاح

وأعتقد مرة أخرى أن وزير الأوقاف هذا ينال ثقة كبرى من شعب مصر على اختلاف أحزابه وهيآته . ولاسيما شباب الطليعة الذى يقدر ثقته، ويحسن الظن بها . وما أكثر ما يئس الناس قبلا من إصلاح وزارة الأوقاف وفقدوا الأمل كله فى إنقاذها من أوحالها وأثقالها وأوزارها ! ولكن ما أكثر ما يملأ الرجاء اليوم قلوبهم وما ينبعث الأمل فى نفوسهم ، واثقين كل الثقة من إصلاحها وإنقاذها على يد وزيرها الشاب الناهض الذى لا يقر العجز ولا يلين لليأس ولا يؤمن بالتقهقر ، ولا يرضى الفشل ثمرة لجهده الجبار الذى يهب له صحته وراحته

ونحن لا يعنينا حل الوقف الأهلى، ولا تنظيم الوقف الخيرى، ولا وضع حد لفوضى الصدقات والخيرات . بقدر ما يعنينا رسالة المسجد فى ظلال وثبة الجيش الجبارة ، والنهضة الجديدة المباركة ، وبرنامج الإصلاح الشامل المنشود ، لأن الوقف بنوعيه يهم فئة من الشعب ، ونظام الصدقات يجب ألا يكون من مقومات الأمة فى عهدها الجديد

أما المسجد فيخص الشعب بأسره ، وهو ضرورى له ، لأننا تبنى بعثه من جديد، وتكوينه التكوين السليم، حتى نؤهله للوقوف بجانب الشعوب الناهضة الحية التى أبت إلا حياة العزة والكرامة والمهابة فكان لها ما أرادت .

كان المسجد فى ظلال العهود الإسلامية الأولى معبدا تؤدى فيه الشعائر، ومعهدا تدرس بين جدرانه شتى العلوم ومختلف الفنون، وندوة يروج تحت سقفه ألوان من الأدب المصنى ، وبرلمانا شعبيا تلتقى تحت قبته الآراء الحرة ، وترسم خطط النهضة ، وبرامج الإصلاح، وكانت خطبة الجمعة بيانا شاملا عن سياسة الدولة وشؤونها وخطواتها، وكان أن نكبت البلاد الإسلامية بعدئذ بعهود جائرة حكمتها حكما إقطاعيا فاجرا، أصاب بجوره وفساده أسلوب الحكم ؛ كما أصاب الشعب والعلم والأدب والفن حتى المسجد لم ينج من شره لأنه لم يكن يملك غير الشر ، ولم تنله رحمته ، لأنه لم يكن يملك ذرة واحدة من الرحمة

إن ذلك الحكم الإقطاعى الذى حكم بلاد المسلمين فى القرنين الأخيرين وقف بالمرصاد للمسجد لأنه البوتقة التى تصهر فيها قوى الشعوب ، وتتكون من بخارها الصيحات الجريئة، والآراء الحرة ، فعولت على أن تجعل منه مجرد معبد تؤدى فيه شعائر الدين ليس إلا ، وتجعل من خطبة الجمعة منشورا دوريا ، يزهد المسلمين فى الحياة الدنيا وزينتها ، ويحذرهم مغبة التكالب على الثروة والجاه والسلطان ، ويذكرهم بسكرة الموت وظلمة القبر ، وهول الموقف ، ويروج بينهم للصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة ، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خشية الفتنة ، والغفلة عن ظلم الولاة وطغيان الحاكمين وجبروت السلطان حتى لا يموتوا ميتة جاهلية ...!

واليوم وقد وثبت مصر هذه الوثبة المباركة ، وبدأت تتحرك فوق أرض الكنانة قافلة الإصلاح فى غير توان أو تلكؤ ؛ يجب أن يعود للمسجد شأنه فتعود مكانته إلى قلوب الناس من جديد ، والمسجد الجديد يجب أن يشمل الإصلاح مكانه وإمامه ، فمتى وجد المسجد المنظم النظيف وجد الشعب نفسه منجذبا إليه يؤثر الصلاة تحت سقفه على الصلاة فى بيوته ، ومتى وجد الخطيب الحر اللبق القوى؛ وجد شباب الطليعة المثقف نفسه منجذبا إلى المسجد ليفيد من المعانى الاسلامية الحية التى تزيده ثقافة دينية فوق ثقافته العصرية

إن هناك مساجد ضخمة كبرى تهوى إليها الآلاف يوم الجمعة وما أن تسمع خطبة الجمعة من شيخ كهل لا يقوى على النطق فضلا عن الخطابة وهى لا تزيد على كلام مكرر ركيك ذى أسلوب معقد عقيم! ما أن تسمع مثل هذه الخطبة حتى ترتد عن المسجد ضيقة الصدر كئيبة النفس – وبجانب هذه المساجد الضخمة مساجد صغيرة أشبه بالزوايا ، موزعة فى الأزقة والحارات والدروب ، لا تشعر بالدنيا ، ولا تشعر الدنيا بها ! قد عين لها خطباء من الشباب الكفء القدير ، القوى فى تفكيره وأسلوبه ومنطقه ، فإذا كان الضرورى للعهد البائد المنقرض أن يبقى هذا الوضع الشائن ليضمن غفلة الشعب وغفوة الرأى الحر ، فأى مبرر لأن يظل كما هو اليوم ، ونحن فى ظلال حياة جديدة هى فى مسيس الحاجة إلى الشعب القوى ليكون دعامة لها وسياجا لبنائها

وهناك مسألة لها أهميتها ، فالمعروف أن الدروس التى فى المساجد دينية محضة تشتمل فى معظم الأحيان على ألوان من التفسير والفقه والتوحيد والحديث ومزيج من القصص المصطنعة الركيكة ، فلماذا لا يكون بجانب هذه الدروس ولا سيما فى المساجد الكبرى بالعواصم دروس أخرى فى السياسة والأدب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وغير ذلك ، وتشرف الوزارة على اختيار المدرسين – بشرط أن يتطوعوا للمساجد المشهورة ، وتترك للأئمة فى المساجد الأخرى حرية الاستعانة بمن يشاءون ، وبذلك نضمن روادا للمساجد من الطليعة الناضجة شبابا وكهولا ، ونخطو بالمسجد خطوة موفقة نحو المكانة التى تليق ببيوت الله . . ؟

هذه همسات خفيفة نرجو أن تصغى لها أذن وزير الأوقاف الموثوق بكفاءته وإخلاصه لرسالته – والله الموفق

محمد عبد الله السمان

العلم والمـــال

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

ليس للعلم فى ذاته قيمة ، وليس للمال كذلك فى ذاته قيمة ، وإنما تتغير قيمة كل منهما بالنسبة للآخر ، حتى إذا تبدلت ظروف أحدهما فارتفع أو انخفض ، ارتفع الآخر أو انخفض تبعا لذلك

وقد كان للعلم فى العهد السابق على الانقلاب الأخير قيمة معينة بالنسبة للظروف الاجتماعية السائدة حينذاك ، والتى كانت تخضع إلى حد كبير إلى عامل أساسى عظيم الأثر هو المال . فقد كانت الثروة هى القياس لجميع الأشياء ، حتى إذا تبين الناس أنها المحرك الأول فى الحياة ، وأنها هى التى تجلب حاجات المعيشة ، ووسائل الرفاهية ، وأسباب اللهو والزينة ، مما كان فتنة الناس وقبلتهم ، أقبلوا على المال يقتنونه بشتى الوسائل ، شريفة كانت أم غير شريفة ، لا يحفلون فى سبيل ذلك بشئ ، حتى لقد أخضعوا العلم نفسه للمال ، فأصبح يباع ويشترى ، وتطرق إلى بيعه وشرائه أسباب الفساد والرشوة والمحسوبية ، كما تطرق الفساد والرشوة والمحسوبية فى كل شئ آخر فى الحياة

فإن قلت: وهل يخضع العلم للمال ؟ وكيف كان ذلك ؟ قلنا : ألم يبلغك نبأ المعلمين الذين يحملون العلم ويتجه إليهم الطلاب يلتمسون عندهم هـذه البضاعة ، كيف انغمسوا إلى الأذقان فى « الدروس الخاصة » يزعمون أنها أجر على التعليم ، وحددوا للساعة أجراً أخذ يرتفع إلى أن بلغ قيمة لا يطيقها أوساط الناس وأصبحت ترهق ميزانيـاتهم . ولم تكن بدعة الدروس الخاصة معروفة من قبل ، اللهم إلا فى نطاق شديد الضيق ، لأن المعلمين كانوا يقومون بمهنتهم خير قيام ، ويؤدونها أحسن أداء ، ويكفيهم فى ذلك أن الدولة قد تعهدت بمعاشهم ، وأعطتهم الرواتب للقيام بهذا العمل وتنفيذه . وقد شاعت هذه البدعة حتى بلغت أسوار الجامعة واقتحمتها وأصبحت شيئا مألوفا فى معظم كلياتها . وهذا أعظم باب من أبواب الفساد

ولم يقنع المعلمون بالأجر يأخذونه على الدروس الخاصة ، فتهافتوا فى جميع أنواع التعاليم على تأليف كتب يتجرون فى بيعها ، ويفرضونها فرضا على الطلاب ، سواء أكان ذلك فى مدارس الروضة أم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، أم فى كليات

الجامعة . وهذا باب آخر من أبواب الفساد

وهيأ الجشع لبعض المعلمين أن يتجروا فى الامتحانات ، فيهبونها لمن لا يستحق فى نظير مبلغ معلوم ، وفاحت رائحة تزكم الأنوف ، وضبطت حوادث كثيرة من هذا القبيل . وهذا باب ثالث من أبواب الفساد

جملة القول : هبطت قيمة العلم بالإضافة إلى المـال ، وتلوثت أيضا أقدار العلماء والمعلمين ، وهم حملة راية العلم ، وأصبحنا نجد رجالا لا يمتون إلى العلم الصحيح بصلة يتصدرون المجالس ويتبوءون أرفع المناصب ، ويتحكمون فى المصائر ، ويحكمون على غيرهم ، وهم أبعد ما يكون عن المعرفة وعن صفات العلماء

والآن وقد قام الانقلاب على هدم أقدار الناس الذين يعتمدون على المال فقط ، ومن أجل ذلك أصر الموجهون للثورة على تحديد الملـكية ، فلا غرابة أن تتغير قيمة العـلم ومنزلة العلماء مع تغير قيمة المـال

وما دامت الثروة قد أوشكت أن تفقد ما كان لها من سلطان ونفوذ وسحر وأثر فى النفوس ، فسوف يقضى على ألوان الفساد الذى تطرق إلى أبواب العلم

والموقف الذى تقفه مصر اليوم هو أشبه شئ بما كان يجرى فى اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حين تفشت الديمقراطية وهى حكم الشعب ، ثم فسدت هذه الديمقراطية ، وانتشرت طائفة من الفلاسفة والمعلمين يعرفون باسم السفسطائيين ، يعلمون الناس الخطابة والبيان لحاجتهم إلى هذه الأسلحة فى المجالس النيابية . ولـكنهم كانوا يتناولون أجورا باهظة على التعليم ، ولم يكن غرضهم العلم لذاته ؛ بل تعليم الخصم كيف يتغلب على خصمـه بالحجة باطلة كانت أم صحيحة

فما أشبه العهد السابق بعصر السفسطائيين !

فلما جاء سقراط كان أول همه أن يكافح تلك الجماعة ، فكان يقوم بالتعليم دون أجر ، مع أنه كان فقيرا ، يمشى فى الأسواق حافى القدمين . وعلى الرغم من صلته بكثير من الأغنياء كان يرفض أن يمد يده إليهم

ثم كان ينشد فى تعليمه الحق الخالص ، لا يبغى تزييفا أونفعا أو شهرة أو تغلبا على خصم . ولذلك سخط السفسطائيون عليه ، ودبروا له المحاكمة المشهورة فى التاريخ ، والتى انتهت بالحكم عليه بالإعدام . ولـكن الروح التى بثها سقراط هى التى أثمرت ونمت ونجحت ، فكان أفلاطون ثمرتها ، ثم أرسطو من بعده ، واستنبت قواعد العلم على أسس صحيحة بعيدة عن السفسطة

وجدير بمصر اليوم أن تكافح جماعة السفسطائيين الذين ألبسوا الباطل أثواب الحق ، ونشروا أسباب الفساد ، وهبطوا بالعلم والتعليم درجات ودرجات

فلا أجر على التعليم إلا ما تدفعه الدولة

ولا تجارة فى الـكتب

ولا مساومة على الامتحانات

ولم تكن هذه المفاسد كلها مجهولة فى السنوات الماضية ، فقد كتب كثير من أحرار المفكرين فى الصحف ينادون بمكافحتها والقضاء عليها ، واجتهد بعض وزراء المعارف أن يلتمسوا لها حلا فأمروا بمنع إعطاء الدروس الخاصة ، وأصدروا المنشورات التى تحرم على المعلمين القيام بها . فكانت تلك المنشورات حبرا على ورق ، وظلت تجارة الدروس شائعة رائجة

ولجأ بعض الوزراء إلى إلغاء الامتحـانات أصلا ، ونقل التلاميذ من عام دراسى إلى عام آخر بمجرد الحضور ، والاكتفاء بتقارير المدرسين . ولم يحل هذا الإجراء المشكلة، بل زادها تعقيداً على تعقيد

ولم يكن من الميسور ولا من المعقول أن تصلح حال العـلم والتعليم فى وسط موبوء ، كله مفاسد وشرور ومحسوبية وشذوذ، ولذلك كان طلب الإصلاح فى تلك الظروف من المحال

فلما اجتثت الرأس الفاسـدة ، والحاشية التى كانت تبث الفساد فى كل ركن من أركان الحياة ، لأن معظم أفرادها من العامة بل وسفلة القوم ، ونحن نعنى ذلك لأن الحاشية كانت من الخدم ! ويحضرنى بهذه المناسبة وصية لابن سينا فى تعليم الرجل أبناءه : هى «ألا يتركهم فى أيدى الخدم حتى لا يتطرق إليهم الفساد، ولا يتخلق بأخلاقهم » نقول لقد مضى عهد الخدم الجهال الذين كانوا يتصدرون الدولة ويعدون بحكم مناصبهم قدوة لغيرهم ، وأصبح الطريق مفتوحاً لمن يتصف بخصلتين أساسيتين هما : العلم

عبد الله بن الحسين وعباس الثانى

للأستاذ أحمد رمزى

بقية ما نشر فى العدد ٩٤٨ — ٣ سبتمبر ١٩٥١

كتب عبد الله بن الحسين مذكراته وطبعها فى لندن وجاء فى نسخة بالإنجليزية وقعت ليدى ، اطلعت فيها على الفصل العاشر المسمى «الحرب» ، وكانت إحدى المجلات الأسبوعية قد نشرت قسما منه فى مصر نقلا عن الصفحة ١٢٨ جاء فيه « لقد زارنى الخديو عباس فى عمان وكان ذلك إبان حكم الملك فؤاد الأول لمصر وقال لى الخديو « هذا هو القدر وأنا غير نادم على شئ ، لقد تعبت بعد أن حكمت ٢٥ سنة كاملة وأن عمى الملك فؤاد الذى يحكم مصر الآن يعانى ما كنت أعانيه — إن من الصعب أن ترضى شعبنا — الشعب المصرى — ومن الصعب أن ينتهى الاحتلال البريطانى لأن الإنجليز أقوى منا بحيث لا نستطيع طردهم » ثم قال لى الخديو بصوت حزين « إن الشئ الوحيد الذى أنا آسف عليه فعلا هو أنى أعيش بعيدا عن البلاد الإسلامية فلا أستطيع أن أرى مآذن المساجد أو أسمع الأذان للصلاة منبعثا منها ، إنى أخاف أن أموت بعيدا عنها وأن أدفن فى أرض غريبة

ولما اطلعت فى الأصل الإنجليزى على هذه الفقرة بالذات عادت إلى ذكريات الحوادث والأيام التى عشتها بمدينة القدس بين سنة ١٩٣٥ ، ١٩٣٧ فقد حضرت طرفاً من هذا الموضوع الذى أثاره عبد الله بن الحسين وكان لى معه حديث فيه ، كما أننى دعيت إلى حفلة أقامها الخديو السابق ، ولما استأذنت الحكومة فى حضورها جاءتنى برقية غريبة تقول بادعاء المرض والتزام الفراش فى نفس الوقت الذى كنت مقيما فيه بالفندق الذى نزل فيه الخديو السابق

إن حوادث هذه الأيام تقع فى شهر يناير سنة ١٩٣٦ ومقابلة

والخلق ، وذهب إلى غير رجعة من يسلك الطريق بالمال

غير أن انهيار أصحاب المال لا يكفى وحده فى إصلاح الحال ؛ فأنت تعرف ولا ريب سلطان العادة على النفوس . وقد درج الكثيرون فيما سبق على كسب المال من طريق العلم والاتجار فيه ، وتزييف الكتب ودفعها إلى السوق ، متسترين باسم الألقاب العلمية التى حصلوا عليها بأسباب غير شريفة . وهؤلاء وأولئك لن يعفوا عن باب اعتادوه وكان يدر عليهم الذهب . وسوف يكون موقفهم كموقف الأحزاب السياسية التى رفضت الدعوة إلى التطهير حتى أرغمت عليه

لذلك نحن فى حاجة إلى تطهير جبهة العلم من الأدعياء السفسطائيين بحركة جريئة تجتث الرؤوس الفاسدة ، وقد تعفنت من الفساد ، ولا يرجى معها إصلاح

إن قوة الأمة تقاس بانتشار العلم الصحيح بين أبنائها ، لا بمقدار ما يملكه أفرادها من مال . وجدير بمصر وهى فى فجر ثورتها أن تعول على الطريق الجدى الموصل حقا إلى تقويتها ، وهو العلم . ولن يتيسر ذلك إلا بإصلاح هيئات التعليم ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعمل الخالص لوجه العلم والابتعاد عن فتنة المال كما كان الحال فى صدر الإسلام ، حين كان العلماء يقومون بتعليم الناس حسبة لوجه الله ، لا يتناولون على تعليمهم أجرا . بل إن فقهاء الدين أصحاب المذاهب كأبى حنيفة وابن حنبل ، لم يعرف عنهم التكسب بالفقه ، بل كان للواحد منهم صناعة يعتمد فيها على معاشه ، مثل أبى حنيفة الذى كان بزازا

فأين علماء اليوم من علماء الأمس ؟

عاش علماء الأمس فقراء طول حياتهم ، فخلد اسمهم على الزمان ، وظلت آثارهم باقية حتى اليوم ، وتنعم علماء اليوم فى رغد من العيش وفيض من الثروة ، فقتلوا أنفسهم ، وقتلوا أسماءهم معهم

فليبتعد العلماء عن فتنة المال حتى ينزهوا العلم عن الشوائب ، وحتى يكونوا قدوة صالحة للطلاب ، وعاملا فى بناء مجد مصر

ليبتعدوا عن هذا كله قبل أن تمتد إليهم يد الثورة فتحرقهم

أحمد فؤاد الأهوانى

الخديو عباس مع عبد الله بن الحسين تقع فى شهر رمضـان ، أما الدعوة إلى حضور مأدبة الخديو السابق فقد كان محددا لها يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٣٦

ولشرح ما جاء فى تلك الأيام عدت إلى مذكراتى فى تلك الفترة بالذات التى حضر فيها الخديو السـابق إلى مدينة القدس ونزل فى فندق الملك داود (كنج دافيد) وقام بزيارة القنصلية المصرية وطلب إلى بعد تقديم القهوة له أن يرى المكاتب وطريقة العمل فيها . فرافقته فى زيارته وقدمت إليه الموظفين ، واحدا واحدا ، وكان السرور باديا على وجهه لأنه بعد سـنوات طويلة اتصل لأول مرة بعد اعـتزاله الحكم بمكتب مصرى رسمى تابع للحكومة المصرية التى بقى على رأسها اثنين وعشرين عاما

وقد لا حظت بعد وصوله كثرة عـدد الرواد المصريين فى فلسطين ولـكل منهم وجهته الخاصة وكانت آمالهم تتجه إلى تنسم أخباره، وكان من بينهم من يعرف جيدا كيف يستغلون الخديو السابق ويحصلون على أمواله ، وكان منهم من أتقن طريقة استغلال مصر لمنفعتهم والقيام برحلات على حسـاب المصاريف السرية للتمتع برؤية فلسطين

وكانوا يحضرون إلى القنصلية للتحية ، ويكفى الحديث معهم عدة دقائق لتفهم الوضع الصحيح لعواطفهم واتجاهاتهم، فقد زارنى كثيرون من رجال السياسة والأعيـان وأهل الرأى ورجال الصحافة . أذكر من ذلك تصريح أحـد الصحفيين المعروفين الآن بقوله لى « إن إحدى الجرائد المصرية المشهورة لم تكن على وفاق تام مع السراى الملـكية، وأنه وفق بناء على جهوده إلى إزالة هذا البرود وذلك حينما أقنع صاحب هذه الجريدة بأن يطبع عددا ممتازا خاصا بأعمال فؤاد الأول فى المدة التى حكم فيها » صرح بهذا لى فى الوقت الذى كان دائم الاتصـال بالخديو السابق ويعمل لحسابه ...

وكان عباس حلمى الثانى يتبع نظاما خاصا للأكل، ولذا اعتاد الحضور إلى الفندق فى الساعة السابعة مساء لتناول العشاء ، وكان ينتهى منه فى الساعة الثـامنة وهو الوقت الذى أدخل فيه قاعة الطعام . فكان يتفضل بتحيتى ويدعونى للجلوس معه فى ردهة الفندق وهناك يجتمع حوله الزوار المصريون فتأتيه أنباء المفاوضات القائمة بمصر بقصر الزعفران وما تم فى الجلسات من المناقشات وما تبودل من الرأى فيها ، وكان يعلق على ذلك جميعه بأسـلوب الرجل المتمكن فهمه لتطور سـياسة بلاده وعلاقتها بتطور السياسة العالمية

وفى بعض الأحيان كان يحضر المجلس المرحوم سليمان فوزى فيحدث كيف كان أحـد الذين ضربوا بالمسجد الأقصى عند اجتماع المؤتمر الإسـلامى الذى عقد هناك فأثار ضحك المجلس بأسلوبه الفـكه النادر

وفى ليلة من الليالى بعد انصراف الخديو السابق التفت إلى أحد المشتغلين بالسياسة فى مصر ووجه حديثه إلى قائلا « لا تنسنا يا رمزى فى تقاريرك التى سترسلها حتما عما دار فى هذه الجلسة من أحاديثنا» وهنا جمد الدم فى عروقى ورددت عليه بقولى : «إن لحـكومة مصر ألف وسيلة لـكى تعلم ما دار فى هـذا المجلس من الأحاديث وهى لا شك ستعلم ما دار هنا ، أما أنا فلا أجد فيها من الأهمية والخطورة مايصح أن تعلق مصر أهمية عليه ؛ ولـكنى أذكر جيدا كيف اجتمع البعض فى تركيا وقابلوا الخديو الذى كان جالسا معنا منذلحظة : وحينما انصرف وانفض الجمع بادر كل واحد لتقديم تقرير هزيل عما تم فى هـذه القابلة وما تحدث به إخوانه وأصحابه » واستأذنت للذهاب إلى حجرتى

* * *

وإنى لأعجب لهؤلاء الذين يملأهم الغرور ، ويدعون العلم بالسياسة ويتظاهرون بانتقاء الأخبـار والتقرب زلفى إلى ذوى السلطان ، ويتنقلون بين مختلف الأحزاب والهيئات ، كيف كانوا يعيشون ويحلمون فى وقت دائم الحركة والعمل والإنشاء

وقد ملأ الأسى نفسى لـما فكرت فى هؤلاء النكرات وأنا أقلب صفحات مذكراتى عن تلك الأيام فوقع نظرى على ما كتبته فى يوم ٤ فبراير ١٩٣٦

« حضر إلى إدوارد صموبل نجل هربرت صموبل المنـدوب البريطانى الأسبق فى فلسطين ، وهو يشغل وظيفة وكيل مصلحة المهاجرة بحكومة الانتداب ... فقال لى

« إن الصحـافة المصرية تصل بانتظام كل يوم إلى فلسطين أى فى اليوم الذى تصدر فيه بالقاهرة ، ولها تأثير غريب فى عقلية

أهل البلاد العرب فهى تلهب حماسهم وتجعلهم يفتحون أنظارهم كل صباح على أحوال العالم الخارجية والاتصال بتطورها » ، وقال « إنه علم بأن الوزارة المصرية الجديدة أقدر من سابقتها على فهم مركز مصر الدولى »

ثم أردف بقوله « إن مركز قنصلية مصر هنا هـام لـكثرة المصريين المهاجرين إلى فلسطين ولـكثرة أعمالها واتصالها بالهيئات الرسمية وغير الرسمية (يقصد الوكالة اليهودية والهيئات العربية) ولـكن حكومة مصر لا ترسل إلى هـذا المكان إلا من كان مغضوبا عليه فى بلاده » وهنا قاطعته وقلت « أنت مخطئ فى هذه الناحية لأننى كنت أشغل وظيفة أقل من هذه ثم رقيت إليها » قال : « أقصد أن حكومة مصر لا تقدر هـذا المركز تماما ولا تعلق عليه ما يستحق من أهمية . وقد سمعت من الـكثيرين من رجالـكم الرسميين وغـيرهم من أن القناصل المتقـدمين فى السن والذين لا يصلحون فى شئ هم الذين يرسلون إلى القدس »

ثم صرح بما يأتى « إن شرق الأردن تحسد فلسطين على حالة الرواج فيها ، وأهل فلسطين يحسدون مصر لأنها بلاد من أغنى بلاد الأرض وبشكل لا يتصوره أحد منكم . ويظهر أن الحـكومة المصرية ورجالها الرسميين لا يقدرون هذا وكانت كلمته بالإنجليزية»

It seems that Egyptians do not realise it

ففى الوقت الذى يتحـدث فيه ابن هربرت صموبل وهو بريطانى يهودى عن هذه الأمور الهامة التى ذكرتها وعن إمكانيات مصر التى لا يمكن تحديدها من ناحية الثروة والانتعاش والتنمية الاقتصادية ويظهر قلقه من أثر الصحافة المصرية فى نهضـة الشعوب العربية كان جماعاتنا من المصريين يفكرون فى نقل حديث عن بعضهم أو يظهرون أهميتهم فى التقريب بين صحـيفة يومية ورجال الحاشية بإخراج عدد ممتاز عن أعمال الملك السابق فؤاد الأول

فى غمرات هـذه الحوادث تلقيت الدعوة التى أشرت إليها لحضور المأدبة التى أقامها الخديو السابق فى فندق أريحا ودعا إليها المندوب السامى البريطانى وعبد الله بن الحسين وطائفة من رجال حكومة الانتداب وحـكومة شرق الأردن ، ولا شك فى أن حضور ممثل مصر فى تلك المـأدبة كان لازما إن لم يكن لإعطاء صورة واضحة عما دار فى تلك المأدبة فعلى الأقل لإظهار أن ماتم الاتفاق عليه بين العرش والخديو السابق كان جديا ولا أثر لبقاء أى اختلاف بين الجالس على العرش وابن أخيه

ولـكن تلقيت ردا على برقيتى التى أرسلتها إلى الخارجية أدهشنى غاية الدهشة ، وهو الذى يقول « الزم حجرتك وادع المرض » ؛ وكان عبد الله البشرى فى معية الخديو السابق ، يتصل بى كل يوم لمعرفة رأيى فى قبول الدعوة أو رفضها . فلما علمت بمضمون هذه البرقية الرمزية لم أجد مناصا من الاعتذار ، ولـكن الأسلوب الذى فرض على أن أعتذر به لم يقنعنى . . وفى صباح اليوم التالى وهو يوم ١٨ فبراير نشرت الصحف خبر زوبعة ترتب عليها فقدان عدد من مراكب الصيد المصرية على شواطئ فلسطين ، وأن بعض البحارة وصل إلى الموانئ فى غزة ويافا ؛ فانتهزت فرصة هذا النبأ ، واتخذته مبررا لتغيبى عن القدس واعتذارى عن قبولى دعوة الخديو السابق . وكنت تلقيت فى نفس اليوم دعوة من راغب النشاشيبى عن حفلة شاى أقامها فى منزله للخديو السابق ؛ فبدأت بالاعتذار عنها لاضطرارى للسفر ثم اعتذرت عن مأدبة الخديو السابق فى اليوم التالى

ونشرت صحف يافا خبر وصولى لتتبع حوادث مراكب الصيد المصرية التى تعرضت للخطر بعـد الزوبعة التى هبت فى البحر الأبيض المتوسط ؛ وفعلا ذهبت إلى يافا وتنقلت منهـا إلى غزة وما حولها

وبعد ثلاثة أيام عدت إلى مدينة القدس . ولـما قابلنى الخديو السابق ابتسم ، فقد كان يعلم عن أساليب الحـكومة المصرية فى أيامه وبعد عهده أكثر مما أعلم ، وإن كان أقرنى على الطريقة التى اتبعتها

كان اتصالى بحكومة شرق الأردن دائما وباستمرار ؛ ولـما اقترب شهر رمضان وكنت فى ذلك الوقت أتم صيامه كاملا سواء كنت فى الشرق أو فى الغرب ، رأيت من واجبى أن أذهب إلى عمان وأهنئ عبد الله بن الحسين بحلول هذا الشهر المبارك وأعلمه بأننى سأقضيه فى مدينة القدس ، ولن أحضر لزيارته قبل حلول عيد الفطر لأقوم بواجب التبريك

قمت مبكرا على نية قضاء ليلة بعمان ، أرتب فيها موعدا للمقابلة

ثم أعود فى اليوم الثانى ، وكانت دهشتى عظيمة حينما دخلت حجرتى فأعلمت بأن الشريف جميل ناصر رئيس الديوان والسيد الخطيب مستشار الأمير ينتظراننى بحجرة الاستقبال ، فنزلت لمقابلتهما حيث أخبرنى الأول بأن الأمير يدعونى لتناول الغداء معه ، وأنه فى شدة الاشتياق لرؤيتى ولا يقبل أى اعتذار للتخلف عن هذه الدعوة . فطلبت منهما إمهالى لتغيير ملابسى ثم ذهبت برفقتهما إلى قصر الإمارة ، حيث استقبلت استقبالا كما يقول الأتراك (فوق العادة) ورافقنى فى الدخول إلى الأمير ضابط مصرى اسمه خاطر ، كان يعمل فى الجيش الأردنى ، التحق به بعد ترك خدمة الجيش المصرى فى السودان وحضر هـذه المأدبة الأمراء أنجال عبد الله بن الحسين ، والشريف جميل ناصر والد الملكة زين ومستشار الأمير وغيرهم ، ولم يدر فى المأدبة حديث خاص ، وعند انتهائها أخذنى عبد الله بن الحسين ، فسرت برفقته إلى حجرة الاستقبال الكبرى حيث أجلسنى على يمينه وأقفلت الأبواب وراءنا

قال بلهجته العربية الحجازية « إنه جد حريص على علاقات المودة والصداقة التى تربطه بالعائلة المالكة فى مصر ، وعلى رأسها فؤاد الأول وهو لا ينسى ما غمره به محمد على مؤسسها من الإنعام على عائلة الشريف بما مقداره خمسة آلاف فدان من أراضى مصر وهو فى تصرفاته وأعماله يرغب رغبة أكيدة فى أن يكون محل رضا الجالس على عرش مصر ... »

« بل هو يؤمل فى ألا تفسر دعوته الخديو السابق إلى عمان تفسيرا يسئ إلى العلاقات القائمة بين البيتين العلوى والهاشمى ؛ وأما الخديو السابق فرجل قد انتهت أطماعه ، ولم يعد يرغب فى شئ من مظاهر هذه الدنيا ، وأنه أبدى لعبد الله بن الحسين رغبته فى أن يرى بلدا إسلاميا فى شهر رمضان ، بعد أن أمضى السنوات الطوال بعيدا عما تعود أن يراه فى شهر رمضان من سماع الأذان والدعوة إلى الإفطار ، وفرح الشعب بحلول شهر الصوم ، ولذلك دعاه عبد الله بن الحسين إلى تناول طعام الإفطار لديه ، وليس فى ذلك أية رغبة لإحراج مصر وحكومتها ، وإنما هو أداء لواجب صداقة وعلاقة قديمة »

ولقد دهشت لكل ما سلف ، فأنا لا أعلم بهذه الدعوة ، ولم أحضر للاحتجاج عليها ، ولا أدرى ماذا دار فى خلد عبد الله ابن الحسين ولا فى خلد الخديو السابق ، ولا فى فكر رجال الانتداب البريطانيين فى فلسطين وشرق الأردن ، وإنما جئت مهنئا بحلول شهر الصوم ، جئت مهنئا الجالس على عرش شرق الأردن بحلول هذا الشهر المبارك ، ولم أجد شيئا أقوله سوى أن صارحته بما جئت من أجله ، وأكدت عليه أننى لا أعلم شيئا ، ولا أدرى هل صدقنى عبد الله بن الحسين فى ذلك أم اعتبر مصارحتى له نوعا من السياسة الملتوية والدبلوماسية الشرقية التى اعتاد عليها رجال الشرق فى مواجهتهم للأمور واهتمامهم بالصغائر

والحقيقة التى أعلمها عن عبد الله بن الحسين رحمه الله ، وعن المرحوم عباس الثانى ، أنهما كغيرهما ممن أسندت إليهم الشؤون العامة والسيطرة على أجزاء من أقطار الشرق ، يتلهفون لمعرفة أخبار الناس وتتبعها ؛ وأذكر على سبيل المثال اليوم الذى جاء فيه أحد رجال سوريا الذين تنقلت بهم الأيام بين خدمة عبد الله بن الحسين والحكومة السعودية وقبل ذلك حكومة سوريا ، وكيف تقرب من مجلس الأمير بمجموعة من الأخبار التى أتى بها من الحجاز عن أبناء الملك ابن السعود وتصرفات الأمراء أبنائه

وأذكر جلسة مع عبد الله بن الحسين ، والتليفون لا ينقطع ينقل أخبار سيارة المندوب البريطانى بين جسر بنات يعقوب وأربد واتجاهها إلى جسر المجامع . .

إن اهتمام رجال الحكم فى الشرق بتتبع أخبار بعضهم بعضا فى الوقت الذى كانت الوكالة اليهودية تنشئ وطنا قوميا على أسس ثابتة ، أمر أصبح الآن ظاهرا واضحا للعيان . .

إن الحياة كانت تدب فى فلسطين تحت معول الحضارة الحديثة بينما كنا نحن نغط فى نوم عميق وسبات لا نهاية له ، حتى تنبه الشرق تحت ضربات النكبات والهزائم والأرزاء

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

الاتجاهات الحديثة
فى الثقافة الأوردية

للدكتور عمر حليق

لعل أبرز الظواهر فى حاضر الحياة الفكرية فى الباكستان هو العكوف عن التقليد الأعمى والانسياق التام فى تيارات الثقافة الغربية التى كانت تهيمن على الحياة العقلية فى القارة الهندية قبل تقسيمها إلى هند وباكستان

وجدير بالذكر أن أثر الثقافة الغربية مع الإنتاج الفكرى فى القارة الهندية لم يكن فى جملته سيئ النتائج . فقد أولد هذا الأثر اتجاها ملحوظا لتوجيه الحياة العقلية هناك على أساس مناهج البحث العلمى الحديث . بحيث أخذ إنتاج الهند والباكستان يتميز بطابع الدقة وعمت الفكرة التى يلمسها كل من أتيح له الاطلاع على البحوث القيمة (١) التى عالجت مشاكل الساعة سواء فى الدراسات العلمية للتراث الإسلامى والهندوس أو فى الشعر والنثر الأوردى ، أو فى الإنتاج الفنى الذى أخذ ينمو هناك نموا سليما

ولكن الظاهرة الفريدة فى حاضر الثقافة الأوردية هى انفراد حفظة الثقافة فى الباكستان — إثر ميلاد هذه الدولة الإسلامية — فى العكوف عن جعل الحياة العقلية والأدبية والفنية هناك صورة مشوهة للثقافة الغربية وصدى سطحى العمق للتيارات الأدبية والفنية التى تتسرب إلى حاضر الثقافات الآسيوية من أوربا والعالم الجديد

فقد شعر حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان أن الانسياق فى التغذى بالصورة المتوهمة للثقافة الغربية قد أخذ يولد فى الأوساط الثقافية هناك لونا من التشويش قد يؤدى إلى توجيه الحياة الفكرية فى هذه الدولة الجديدة على نمط لا يتمشى مع روائع المجتمع الباكستانى وتراثه الإسلامى وقضاياه السياسية ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية

هذا المقال يستند إلى مادة تكرم بتوفيرها للكاتب مكتب الاستعلامات الباكستانى فى نيويورك

وثمة أمر آخر دفع الباكستانيين إلى مراقبة تيارات الثقافة الغربية المتسربة إلى مجتمعهم مراقبة نبيهة ... ذلك هو ازدياد الشعوب إيمانا بأن دعائم الفكر الغربى لم تستطع أن تثبت صلاحها لتوطيد الاستقرار فى الغرب نفسه وفى المجتمع العالمى الأكبر

ومما فرض على حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان هذا التحفظ فى نشاطهم التوجيهى.. الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية الطارئة التى جاءت فى أعقاب التقسيم ، وتعرض الدولة الباكستانية الجديدة إلى مشاكل إدارية واجتماعية نشأت عن طبيعة التكوين الجغرافى لهذه الدولة الناشئة ، عن تشرد الملايين من المسلمين الهنود نتيجة للصراع الطائفى الذى صاحب التقسيم ، ونزاع كشمير وقضايا الحدود ومياه الرى المشتركة بين الهند والباكستان وما إلى ذلك من القضايا الفرعية التى لها صلة مباشرة بوضعية الباكستان الإقليمية

وفى مثل هذا الجو وجد الكتاب والشعراء الباكستانيون أنفسهم منساقين إلى معالجة المشاكل الوثيقة الصلة بحياتهم اليومية ، وأن يكتبوا وينظموا فى أمور وأحداث هى من صلب الأحوال والأوضاع التى تكتنف دولتهم ومجتمعهم الجديد

ومن الاتجاهات المتولدة عن هذا المناخ العقلى الجديد ما ألم باللغة الأوردية فى السنوات الأخيرة من تطور . فالمعروف أن نشوء اللغة الأوردية جاء نتيجة لأثر اللغتين الفارسية والعربية على اللهجات الأصلية فى شبه القارة الهندية (وعلى الأخص فى السند والبنجاب) عندما خضعت للحكم الإسلامى ، فأصبحت الفارسية والعربية بمثابة لغة الاشتقاق للغة الأوردية التى تطورت بدورها فوطدت لنفسها استقلالا لغويا سليما

ويبدو أن اللغة الأوردية فى الباكستان أخذت اليوم تقوم بنفس الدور الذى قامت به اللغتان العربية والفارسية منذ قرون . فبعد أن توطد الاستقلال الثقافى للغة الأوردية ، وبعد أن تثبت الكيان لدولة الباكستان أخذت الأوردية تؤثر تأثيرا مباشرا فى اللهجات المحلية فى القطاعات التى تؤلف الأمة الباكستانية

فلقطاع البنجاب مثلا تقليد عريق فى الأدب مدون باللغة البنجابية — تقليد أصوله فى التراث والثقافة الإسلامية التى عاش عليها شعب البنجاب حقبة من الزمن . وتمتاز اللغة البنجابية

بغزارتها فى الإنتاج الأدبى إجمالا ، فى الشعر الغربى والأدب الشعبى على وجه الخصوص . وللمناطق الشمالية الغربية من الباكستان لغتها المحلية الخاصة — لغة البوشنو — وللتراث الإسلامى فى تلك المناطق دعائم متينة

ولقد وجدنا أن تيارات الثقافة الغربية كانت قبل تقسيم شبه القارة الهندية تجتاح الحياة العقلية هناك ، وأن ذيول التقسيم قد فرضت على المثقفين الباكستانيين رغبة ملحة فى صيانة حياتهم العقلية من عناصر التشويش فى التقليد والانسياق الأعمى ، وفى توجيه هذه الحياة نحو مشاكل الساعة والظروف والأوضاع الطارئة . ولذلك لم يكن لهؤلاء المثقفين بد من أن يمعنوا فى صيانة الدعائم التى يعيش عليها مجتمعهم — لا فى مجال السياسة فحسب ، بل فى أصول الفكر وعناصر الثقافة العامة . فأخذوا يعملون فى يقظة ونباهة على صيانة الثقافة الأوردية من التيارات الضارة التى كانت تتعرض لها — سواء جاءت هذه التيارات من الغرب البعيد أم من الهند القريبة . وهذه النزعة « القومية » فى حاضر الثقافة الأوردية جاءت نتيجة لعوامل منطقية فرضتها طبيعة الأوضاع وفلسفة الحكم وأسس التطور الاجتماعى الذى يعمل أولو الأمر فى الباكستان على تحقيقه بوحى من الإسلام وتراثه . ولذلك لم يجد حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان صعوبة فى تعميمها — على صورتها الجديدة — فى المناطق والقطاعات التى فى لغاتها المحلية قسط واف من التراث الإسلامى — كما هو الحال فى لغتى البنجاب والبوشنو

ولكى يضمن الباكستانيون اطراد النمو فى نهضتهم اللغوية الجديدة — بعد أن اختاروا العكوف عن التأثر بالاستعارة المشوهة من ثقافات الهندوس والأوربيين والأمريكان — اتجهوا إلى تعزيز الروابط اللغوية والثقافية مع الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما رغبتهم فى إحلال اللغة العربية مكانة رفيعة فى الباكستان إلا تحقيقا لهذا النحو وتعزيزا لهذه النهضة

وكان من نتائج هذا التنظيم الفكرى أن أخذ الأدب الأوردى فى الباكستان ينمو ويزدهر فلا يقتصر على إحياء الذخائر القديمة فى قالب مجدد أو أن يعالج الحياة الجديدة فى إطار الإبداع الفنى ، بل أخذ يستمد الإيحاء من التراث الأدبى والفنى العريق الكامن فى الثقافات المحلية التى تعيش عليها الجماعات ذوات التقاليد الاجتماعية الزاهية التى تؤلف قطاعات الباكستان الشرقية والشمالية والغربية . فقد ترجمت عشرات من منظومات النثر والنظم من هذه اللغات المحلية إلى اللغة الأوردية ، وأخذت الأوردية تتغذى بالصور الفنية الرقيقة التى خلدها شعراء الغزل والأدب الشعبى فى البنجاب ، وقصائد البطولة والرجولة التى يتميز بها شعراء البوشنو — بطولة مستمدة من طبيعة الإقليم وأسلوب الحياة الذى يسود فى مناطق الحدود فى الشمال والشمال الغربى

وعلى الرغم من تحفظ المثقفين الباكستانيين فى تأثرهم بالتيارات الفكرية الأجنبيه الخاطئة ، فإن إقبالهم على ترجمة روائع الآداب العالمية تشهد لهم بحسن الاختيار وسلامة الذوق

أما طابع الأدب الأوردى الجديد فهو اليوم يتميز باتجاه عام لمعالجة شؤون الناس والحياة فى جد وتعمق ، وفى إطار العناصر الفنية المكتسبة من هذا التمازج الجديد بين تراث الثقافة الأوردية والذخيرة الفنية من التقاليد الطريفة الزاهية للمناطق التى تؤلف المجتمع الباكستانى

وهذا الطابع الجدى ملموس فى فن القصة القصيرة والقصة الطويلة ، وفى الشعر والنقد الأدبى

وقد أتى على الأدب الأوردى حين كان العنصر الرئيسى المهيمن على إنتاجه يكاد يقتصر على مشاكل اللاجئين والصراع الطائفى الذى عصف بالناس وبعواطفهم فى ذيول التقسيم. ويبدو أن نجاح أولى الأمر والشعب فى الباكستان فى احتضان هؤلاء المنكوبين والتخفيف من محنتهم ، قد ترك أثره فى انطباعات الأدباء والشعراء ، فأصبح تطرقهم إلى هذه المحنة أقل غزارة مما كان عليه قبل بضع سنوات

أما اليوم فقد تطور فن القصة وعلى الأخص القصة القصيرة فى الباكستان على يد نفر من الكتاب الناشئين الذين نافسوا قدامى الكتاب منافسة شديدة . طعموا الأدب الأوردى بنوع سليم من القصة التى تحمل فى ثناياها أشياء أهم من التسليه أو إثارة الغرائز

وفى مجال القصة الطويلة لا يختلف الباكستانيون عن غيرهم فى معظم الشعوب الشرقية التى لم يرسخ فيها هذا النوع من الإنتاج ، فالأدب الأوردى كثير من الآداب الشرقية العريقة ليس فى

فى تراثه ذخيرة من القصص الطويلة على النحو الذى عرفته الآداب الغربية ، ولا يزال إنتاج القصه الطويلة فى الباكستان مبعثر الجهد ضئيل القيمة فى الناحية العددية والفنية

أما الشعر فقد أخذ يقتدى بألوان العروض والمواضيع التى تعالج عادة فى الشعر الأوردى الحديث وأخذ الغزل القديم يفقد مكان الصدارة التى كان يحتلها فى الحياة الأدبية وبعض الشعراء الناشئون يتطرفون إلى الغزل التقليدى فى مستهل حياتهم الأدبية إلا أن قرضهم للشعر يتطور فيما بعد ويتخذ طابع التجديد فى أبواب العروض وفى مواضيع النظم وفى الصور الفنية التى تحتويها العقائد

أما أدب المقال والنقد الأدبى والدراسات التحليلية فيتزعمها ثلاثة من فطاحل الأدباء : مولانا عبد الحق ، ومولانا سيدسليمان ندفى ، وميرزا محمد سعيد ، ويشاركهم فى ذلك الأديب الكبير الشيخ محمد إكرام الذى يتوخى فى دراساته وتحليله توجيه الإنتاج الفكرى فى الباكستان ليعزز المبادئ والأهداف التى تكتنف هذه الدولة الناشئة بتوطيدها فى ذلك الجزء من العالم الإسلامى

ويضاف إلى هؤلاء نفر من الجامعيين فى معاهد « البنجاب » « والسند » و « دكا » و « لاهور » المنهمكين فى تزويد المكتبة الأوردية بالبحوث والدراسات العلمية فى مختلف ألوان الثقافة الجامعية

ومدارس النقد الأدبى فى الباكستان تدين بالاجتهاد لطائفة من الكتاب والشعراء الذين استهلوا حياتهم الأدبية بقرض الشعر أو إنشاء المقالات ثم ما لبثوا أن انصرفوا عن ذلك إلى معالجة النقد لالأنهم فشلوا فى الإبداع الفنى فلأكثرهم إنتاج فنى مرموق المكانة ولكن لرغبتهم فى تخصيص اجتهادهم لخدمة النهضة الثقافية فى الباكستان وتوجيه الموهوبين من كتاب الجيل الجديد وشعرائه لبناء نهضة أدبية سليمة الدعائم عميقة الفكر رفيعة فى إبداعها الفنى

وقد أثمر هذا الجهد نتائج طيبة ، فاستطاع الشعر مثلا أن يتخلص من رخاوة مدرسة « طاغور » وابتعادها عن شؤون الساعة وانسياقها فى مشاعر عواطف صلتها بالأدب الحى واهنة ضعيفة . ولم تقتصر هذه الثورة « الشعرية » على موضوع القصيد بل تعدته إلى فن العروض ، فانطلق الشعراء فى استنباط بحور جديدة على نحو مايمارسه بعض الشعراء المحدثين فى حاضر الأدب العربى ، وازداد النظم بالشعر المنثور إلا أن كثيرا من أئمة العروض فى الأدب الأوردى لا يزالون يلجؤون إلى جزالة اللفظ ورصانة التعبير ليسبغوا على الشعر لونا من القوة . وللشعر الرمزى فى الباكستان أتباع ومريدون يغرمون بالإيجاز فى الكلم والبراعة فى اختياره على نحو ماتتطلبه الرمزية

وقد تزعم الأديب البنغالى الكبير « نصر الإسلام » الثورة على مدرسة طاغور ، فقد لمس فيها رخاوة وخنوعا لايتمشى مع مطالب الحياة العقلية الإسلامية ، ودعا نصر الإسلام إلى أن تكون صلة الأدب بالحياة السياسية والاجتماعية وثيقة متينة، ودواوين هذا الشاعر البنغالى تطفح بالقوة والنظرة العميقة فضلا عن جزالة اللفظ ورقة الموسيقى ومهارة الصياغة وبلاغة التعبير

وفى الشعراء المجددين فى حاضر الأدب الباكستانى شاب يجمع فى القصيد بين الروعة الفنية والنظرة الواقعية للصور والمواضيع التى يعالجها فى شعره — هذا الشاعر هو « عبد الحسين » الذى يمتاز نظمه بالتعابير المستحدثة والنغمة الرقيقة والبلاغة المبسطة التى قال عنها ابن المقفع « إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها »

والتجديد فى الأدب الأوردى فى شرق الباكستان وغربيها لم يتعمد القضاء على تراث الماضى والذخيرة النافعة الكامنة فيه ، بل إن النهضة الفكرية إجمالا توخت استيحاء التراث القديم والكشف عن نفائسه . وهذا الاتجاه ملموس فى البنغال الشرقية أكثر منه فى المناطق الأخرى

وحركة بعث الذخائر الأدبية القديمة لا يقتصر على تراث الإسلام الذى اندثر تحت سيادة الهندوس الثقافية فى تلك البقاع الإسلامية بل شمل أكثر نفائس الأدب الشعبى الذى سبق انتشار الإسلام . وقد تخطى هذا الإحياء حدود نشر القديم وتبويبه وتحريره فى لغة الجيل فطعمت اللغة الأوردية بأكثر من ألفين وخمسمائة كلمة جديدة من مشتقات عربية وفارسية وجدت سبيلها إلى الأدب الشعبى القديم عن طريق الإسلام ، وارتأى حفظة الثقافة الأوردية فى الباكستان إحياءها وتغذية النهضة الأدبية بها

وإذا جاز للباحث عن حاضر هـذه النهضة الثقافية فى

الظلم . الجبن . الأنانية
هذه هي أعداؤنا

للأستاذ محمد محمود زيتون

يتشدق الكثيرون بأن الفقر والجهل والمرض هي أعداؤنا التي يجب أن نكافحها ، إذا أردنا صلاح أمر هذه الأمة ، وأسارع إلى القول بأن هناك فرقا بين العلة وأعراضها ، وليس بدعا من الرأي أن يكون الظلم والجبن والأنانية هي العلل الفتاكة التي تنمو في نفوس الأفراد والجماعات وتحطم كيان الأمم حتى يكون من أعراضها الفقر المدقع والجهل المطبق والمرض الفتاك

ومن بداهة العقل أن الظلم هو الصورة السلبية للعدل ، والعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه ، من غير إفراط أو تفريط ، بحيث تسير الأمور في هذه الدنيا على سواء ، ومن مظاهر العدل أن ينسجم الفرد مع نفسه ومع غيره ، وأن تتسق الجماعات والهيئات في نشاطها الاجتماعي ، وأن تتعاون الأمة مع الحكومة ، وأن تتناسق الدول بحيث تكون كفالة الأمن والسلام أمراً لازما لامعدى عنه. وبعد : فإن من العدل أن تهدف الإنسانية إلى أسمى المثل ، وتعمل على تحقيقها قولا وعملا

أما إذا اضطرب هذا الانسجام في الفرد والمجموع ساد الظلم في أقصى حديه : الإفراط والتفريط . وعمت الفوضى التي لا يصلح عليها أمر ، وينعدم حيالها كل رجاء في الإصلاح والتقدم ، وإن أقرب ما يحس به الفرد حينذاك هو الشعور بالفارق بينه وبين غيره ، وقد يتنكب هذا الشعور كل حقيقة فإذا به يرد هذا الظلم الواقع على من بيده ملكوت كل شئ ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً

إنه تبارك وتعالى يأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويبعث المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولقد جاء في الحديث القدسي عن رب العزة أنه يقول : « يا عبادى : إنى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظلموا » ومن الطبيعي أنه إذا وقع الظلم انحلت القوى الفكرية ، وانتشرت جراثيم الوهم ، فلا مناص من أن يثوب المرء إلى رشده ويحسن التدبير ليوقن أن الظلم إنما هو « انحراف الموازين الموضوعة » وليس هذا قضاء حاتما ولا قدراً لازما ، وإنما على الفرد والجماعة مكافحة هذا الانحراف والإلحاق بهم ما يكرهون

قال أبو بكر « أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده ، أوشك الله تعالى أن يعمهم جميعا بعقاب » وماذا يمنع المرء أن يكون قادرا على رد المظالم وقد أعزه الله تعالى بقوله الكريم

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ولماذا يتخلى صاحب العزة عن سلاحه الذى به يسود ، وهو يعلم أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، وأن نصر المؤمنين حق . ولقدساير الإسلام طبيعة البشر في مدارج الإسلام لدفع الظلم بالقلب ، فإذا امتلأ بالإيمان نطق اللسان قويا في الجماعة التي تقوى بدورها لدرء كل منكر باليد حتى يزول ، وهذا مصداق لقول الرسول (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »

وما كان لمؤمن أن يرضى لنفسه الضعف أو الوقوف عند مجرد الإنكار بالقلب ، وذلك مما لا يؤدى إلى الغرض ، وهو

الباكستان أن يحصر أسسها في عنصر متميز، فإن هذا العنصر هو ازدياد الثقة بالنفس والشعور بالمسئولية في مجتمع اختار التراث الإسلامي نبراسا له واتخذ معاول العلم الحديث أسلوبا للتعبير عنه ولتعزيزه وتوطيده

وليس أدعى إلى الإيمان بمستقبل الثقافة الأوردية في الباكستان من أن يكون نبراسها هذا التراث العتيد وأن تكون معاولها واتجاهاتها متماشية مع مطالب الجيل الجديد

نيويورك عمر حليق

القضاء على الظلم ، وإلا ارتفعت درجة الظلم كلما انخفضت حرارة الإيمان ، ولذا يقول الرسول الأعظم « الساكت عن الحق شيطان أخرس »

إن الجبن الذى يقعد بصاحبه عن المغامرة فى شرف دفع الظلم فتتفكك أوصاله وترتعد فرائصه ، وتختل قواه ، ويقبع فى عقر داره ، وينعقد منه اللسان إن لم يلجأ إلى الملق والنفاق، ليحجب أفاعيل الخور والهزيمة فى نفسه، وهنا يزين له الشيطان مسلكه ! فإذا بالجبان طاغية باغية ، وإذا بالرعديد كالصنديد إذا خلا بأرض طلب الطعن والنزال وحيدا

والأصل أن يكون المؤمن قويا عزيزا ليكون شجاعا كريما ، يندفع إلى الحق فى صراحة وحماسة ، لا تأخذه لومة اللوام ، وله فى ذلك شرف المجاهدين فى أشق ميادين الجهاد وهو النفس ، وبذا يرتفع لواء الخير وتعلو كلمة الحق ، ويسود العدل ، وما يلبث ضعاف الإيمان أن يتدافعوا نحوه ، فتقوى قلوبهم ، وتشتد سواعدهم فى سبيل الله ، والجبان لا يتخلف عن الركب القوى إلا لأنانيته الخسيسة ، وحبه لنفسه المتهالكة الواهية ، وإمعانا فى إخفاء ما يستذل العنق ، وإبقاء على سر موغل بصاحبه إلى عيب دفين ، فإذا به ينطوى على نفسه يكتم منافذها جهد استطاعته، منزويا بها عن الهواء الطلق والنور الصريح، وهنا يعقد له منطق التبرير ما يطمئن قلبه ، بقول فيلسوف الهرب ديكارت « عاش سعيدا من أحسن الاختفاء » . مثل هذا الشخص مريض ، على المجتمع أن يعالجه ، بل هو جاهل علينا أن نعلمه ، فليسمع قول المتنبى شاعر البطولة :

إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم

وليتمثل علو الهمة من الشافعى :

همتى همة الملوك ونفسى   نفس حر ترى المذلة كفرا

وعندى أن الأنانى لص اجتماعى ، لأنه إذا استغنى عن المجتمع بما لديه من مال أو جاه إنما يتسلل فى الخفاء وينهب عرق الكادحين ويمتص دماءهم ، وهو فى وكره البعيد ينعم بالدفء والراحة ، فهو يأخذ ولا يعطى

وما علينا إذن إلا أن نحطم أوكار الأنانية على أصحابها، وأن نسوقهم أمامنا إلى ميادين العمل حتى يتذوقوا مرارة العيش التى يمسى فيها العاملون ويصبحون . وهكذا يتدخل الفرد والمجموع وتتفاعل الحياة بينهما على نحو طبيعى تقدمى :

ولقد دل حديث الرسول (ص) على استمرار العمل الإنسانى بقوله عليه السلام « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به، أوولد صالح يدعو له »

أما بعد : فليعلم كل من لا يعلم أن الفقر والجهل والمرض ما هى إلا أعراض الظلم والجبن والأنانية ؛ وهى بحق العلل الفتاكة ، فلنحارب كل ظالم ، وكل جبان، وكل أنانى ، وإليكم رائدنا قول الشاعر :

متى تحمل القلب الذكى ، وصارما   وأنفاً حميا تجتنبك المظالم

محمد محمود زيتون

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٣)

بعد أن انتهى الفرنسيون من احتلال مدينـة الإسكندرية أمر نابليون بإبقاء « السيد محمد كريم » حاكما لها حتى يخلد الأهالى إلى الهدوء والسكينة، وينصرف الجميع إلى أعمالهم

وكان نابليون يعلم تماما أن الأهالى وعلى رأسهم « السيد محمد كريم » لم يخضعوا له إلا إذعانا للقوة المسلحة ، وأنهم يتحينون الفرص للثورة على الحـكم الجديد ، ولذلك عمل على التقرب إليهم لينال عطفهم ، ويكسب مودتهم

وقد بين لهم أنه ماجاء إلى مصر ـ إلا ليحارب المماليك الذين استبدوا بحكم البلاد وحرموا الفلاح المصرى ثمرة خيراته ، واعتدوا على التجارة وأساءوا إلى أهل البلاد بما ارتكبوا من مظالم

وأخذ نابليون يذيع منشوراته على الأهالى ، ليثبت هذه المعانى فى نفوسهم ، ويضمن ولاءهم للجمهورية الفرنسية ، كما طلب أعيان الثغر وألزمهم بجمع السلاح ، وإحضاره إليه حتى لا يفكر الأهالى فى المقاومة المسلحة

وكان مما قاله للسيد محمد كريم

« لقد أخذتك والسلاح فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معاملة الأسير ولـكنك استبسلت فى الدفاع ؛ لذلك أعيد إليـك سلاحك وآمل أن تبدى للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحـكومة سيئة »[1]

ولم يكن هذا القول من جانب نابليون إلا تقديرا منه لجهود « السيد محمد كريم » وعلمه بما يشعر به الشعب نحوه من محبة وإكبار وتقدير

وقبل أن يترك نابليون مدينـة الإسكندرية ، عين الجنرال « كليبر » حاكما لدائرة الإسكندرية وضواحيها » وأوصاه بأن يعمل كل ما فى وسعه لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى وإبداء كل أنواع الاحترام للعلماء ورؤساء المشايخ فى المدينة»

***

بهذا نرى أن « السيد محمد كريم » بقى فى منصبه بناء على رغبة نابليون، ولكن هذا الحاكم الوطنى المحب لبلاده ، المخلص للسلطان العثمانى خليفة المسلمين وظل الله فى أرضه ، كان يشعر بالـكراهة والمقت لهؤلاء الحـكام الأوربيين

وقد زاد من نفوره منهم وحقده عليهم أنهم فرضوا على الأهالى غرامة قدرها ستة آلاف جنيه تقريبا فى الوقت الذى حل فيه الـكساد محل الرخاء . . وانتشرت الفاقة والضيق بالأهالى بعد أن كانوا أوفر ثروة ، وأحسن حالا

وقد زاد من سوء الحالة أن الجنود الفرنسيين بدأوا يشكون من البلاد المصرية بعد أن ذاقوا ملذات المدن الإيطالية ؛ وبعد أن وجدوا أن الأمانى التى وعدهم بها نابليون لم تـكن إلا مجرد وهم وخداع ، وظهرت روح التمرد بين الجنود ، فأخذوا يغتصبون ثمار الأشجار ويقطعون النخيل من جذوعه ، ويعتدون على الأهالى المسالمين . .

ولقد ظلت روح التمرد والعصيان كامنة فى نفوس الأهالى حتى أشعلها « السيد محمد كريم » وأوقد نارها من جديد

فاعتدى الأهالى على أحد جنود مدفعية الأسطول ، وألقوا جثته فى الطريق ، كما ألقوا فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا ، وقد ثارت ثائرة « كليبر » وأراد أن ينتقم من الجناة . . ولـكنه لم يعثر لهم على أثر ، كما تأكد لديه أن الجندى الفرنسى قد تعرض للقتل نتيجة لاعتدائه على الأهالى

ولذلك أصدر منشورا إلى جنوده ، طالبا منهم أن يحافظوا على أنفسهم بحماية الأهالى والمحافظة عليهم ، ومهدداً بالإعدام كل جندى يعتدى على حقوق المسلمين الدينية أو المدنية

ولم يقتصر السيد محمد كريم على إثارة روح الـكراهية والثورة فى نفوس الأهالى ، بل جعل يتصل بجميع المدن والقرى التى يمر بها رجال الحملة الفرنسية ليعدوا للأمر عدته ، وليقاوموا

(١) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٣٦

نابليون وجنوده بكل ما استطاعوا من وسائل المقاومة

وقد حدث أن إحدى الكتائب الفرنسية خرجت من الإسكندرية لتقوم بحملة تفتيشية فى بعض الجهات المجاورة — فلما علم السيد محمد كريم بما يعتزمه الفرنسيون ، اتصل بالمدن والقرى القريبة ، وطلب منها أن تقاوم الكتيبة ، وتمنع الماء عن رجالها

فلما غادر الفرنسيون الإسكندرية ، تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى دمنهور، وكانوا يجدون مقاومة شديدة من جانب الأهالى ، كما قتل منهم ما يقرب من ثلاثين جنديا ، ولذلك عادوا إلى الإسكندرية وهم فى حالة سيئة، وقد ثبت لديهم أن الأهالى لم يخضعوا — بعد — للحكم الفرنسى ، وأن هناك اتصالا مستمرا بين الإسكندرية وغيرها من المدن والقرى

ولما علم الجنرال « كليبر » بما لاقته الكتيبة من مقاومة ومشقة ، أراد أن يقضى على حركة المقاومة — ويقوم بعمل حاسم يستعيد به هيبة الجيش الفرنسى ، ويسترجع مكانته فى نفوس الشعب ، فأمر بالقبض على « السيد محمد كريم » وبعث به إلى أبى قير ، تمهيدا لتوصيله إلى القاهرة ، حيث يقابل نابليون ، ويدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ، وفى نفس الوقت ، أرسل الجنرال كليبر كتابا إلى نابليون يعرض فيه أمر السيد محمد كريم ، ويطلب منه ألا يأمر بعودته إلى الاسكندرية حتى لا تعظم مكانته ويستفحل أمره — ويزداد نفوذه فى نفوس الأهالى

وقد مكث « السيد محمد » فى أبى قير أياما .. طلب بعدها من الأميرال « بردى » قائد الأسطول أن يأمر بتوصيله إلى القاهرة . فأرسله الأميرال بدوره إلى رشيد .. ليبعث به الجنرال مينو إلى القاهرة ...

ومما هو جدير بالذكر .. أن « السيد محمد كريم » على الرغم من أن دائرة حكمه لم تكن تتعدى الاسكندرية .. إلا أن شهرته قد انتشرت فى جميع أجزاء مصر .. وأصبح المصريون — على اختلاف طبقاتهم — ينظرون إليه على اعتباره محور المقاومة للنظام الجديد . . وعلى اعتباره زعيمهم المعبر عن أمانيهم . . والمفصح عن آمالهم ...

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى :

«[٢] وصل السيد محمد كريم . . إلى رشيد . . مطلق السراح، وكانت منزلته من نفوس المصريين قد عظمت بسبب اعتقاله .. وانتشرت محبته فى كل مكان . . فلم يكد يعلم أهالى رشيد بقدومه حتى سارعوا إلى ملاقاته بالحفاوة والتكريم . . مما اضطر الجنرال مينو إلى القبض عليه .. والإسراع بإرساله إلى مصر ... »

وما كاد السيد محمد كريم يصل إلى مصر . . حتى أصدر نابليون أوامره إلى الجنرال «ديبوى» حاكم القاهرة : بالتحقيق معه . . كما طلب منه أن يحاول إثبات التهمة عليه بمختلف الوسائل ولم تكن هناك حاجة إلى التحقيق ، فسرعان ما انتهى بثبوت التهمة عليه .. وإعلان خيانته للجمهورية الفرنسية

« [٣] وأصدر نابليون أمرا بإعدامه رميا بالرصاص . . ومصادرة جميع أملاكه وأمواله .. وسمح له أن يفتدى نفسه بدفع ثلاثين ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة »

فرفض السيد محمد أن يدفع له هذا المبلغ . . ولم يكن ذلك منه عجزا .. أو حرصاً على المال .. وإنما كان إيمانا بالله .. وإيمانا بأن الموت مصير كل إنسان .. ونهاية كل مخلوق

فليكن موته إذن على أيدى أعدائه .. وأعداء بلاده . . حتى يكون ذلك وقودا جديدا للثورة .. وباعثا للمصريين على مواصلة الكفاح والنضال لتحرير بلادهم من أيدى أعداء الدين والوطن

ولقد نصحه أحد تراجمة الحملة بأن يدفع الغرامة .. وقال له :

— « [٤] إنك رجل غنى .. فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ ؟؟

فأجابه السيد محمد كريم :

— « إذا كان مقدراً على أن أموت ، فلا يعصمنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ .. وإذا كان مقدراً لى الحياة..فعلام أدفعه؟؟»

وظل على رأيه .. إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام . . وبذلك أصبح « السيد محمد كريم » بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية ، فى عهد الحملة الفرنسية

***

هذه خلاصة موجزة ، لسيرة ذلك البطل المصرى ، الذى

(٢) عبد الرحمن الرافعى . الحركة القومية ح ١ ص : ١٤٨

(٣) نفس المصدر ص : ١٥٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى : ص ١٥٠ عن : ريبو . التاريخ المالى والحربى للحملة الفرنسية ح ٣

أقلام الثورة

عمر عودة الخطيب

مهداة إلى صاحب القلم الثائر الأستاذ سيد قطب

ضاقت الكنانة ذرعاً برعايا الشيطان ، الذين تربعوا على عروش الظلم والطغيان ، وعاثوا فى الأرض الفساد ، وأذلوا رقاب الناس ، واحتكروا أقوات الشعب ، وكموا الأفواه الثائرة ، وحطموا الأقلام الطاهرة ، فأرسلتها صرخة مدوية قوية زلزلت الأرض تحت أقدام الحاكمين ، وقوضت دولة الفساد ، وأفزعت هذه الحفنة من العبيد الجلادين ، فطرد ملك مستبد ، لينعم الناس بالحرية ، وألغى البوليس السياسى ليتحرر الشعب من الخوف ، وستوزع الأرض على هذه المواكب التعسة الكادحة لتشبع البطون الخاوية وتكتسى الأجسام العارية ، وكانت — والحق — ثورة تليق بمجد مصر وشعب مصر

وإذا كان لا بد للثورة من عقول حازمة ، وقلوب مؤمنة ، وعزائم قوية ، لتطهر الحكم من الفساد ، وتنقذ الشعب من الشقاء ، وتحرر البلاد من الأعداء ، فهى أشد ماتكون حاجة إلى أقلام ثائرة ، مدادها الإخلاص ، ورائدها الحق ، لتطهر النفوس من الضعف والخنوع ، وتحرر العقول من الغفلة والركود ، وتأخذ بيد هذا الشعب إلى ذروة عالية هو بها جدير

تريد الثورة أن يكون القلم جنديا شريفاً ، يوقظ الأفكار الهاجعة ، ويحرر القلوب الخانعة ، ويخط رسالة المجد ، ويكتب سطور القوة ، ويلهب بكلماته حماس الشعب لكل إصلاح ، ويقرع بصيحاته الآذان الصم ، ويفتح القلوب الغلف ، ويبعث بصرخاته الضمير الميت ، ويبنى بمداده حصن الحرية المكين ، وصرح الخلق المتين

تريد الثورة أن تسكت هذه الأقلام الفاجرة ، التى تغذت من الفساد حتى ترهلت ، ورضعت من الإثم حتى ارتوت ، ومجدت الطغاة والمفسدين ، وحاربت الهداة والمصلحين ، وانغمست فى التحلل والضلال ، وماتت عندها الكرامة والرجولة ؛ وفقدت معانى الشرف ، وخانت أمانة الله والوطن . . . نعم تريد الثورة أن تسكت (أقلام الترفيه الماجن) ، التى تتملق الغريزة الجنسية ، وتتلف أعصاب الشباب بنسم الإباحية . . . هذه الأقلام التى كانت تجول فى معارك الرقص مع حبائل الشيطان ، والشعب يخوض معارك النار مع الأعداء ؛ وكانت تنفق على غانيات باريس وفى نوادى لندن ونيويورك ألوف الجنيهات ، والشعب يجود من ماله لأبطال التحرير فى فلسطين والقنال بثمن اللقيمات . . . ثم تعود هذه الأقلام الرقيعة إلى مصر من رحلاتها الفاجرة ، لتقص على هذا الشعب المسكين جمال الباريسيات وعناد الألمانيات وطيش الأمريكيات ، وتقول له — بوقاحة سافرة — هات ثمن هذا الزاد الفكرى القيم ، الذى أتعبنا به أنفسنا ، وأرهقنا بسببه أعصابنا وتكلفنا فى سبيل جلبه ، إليك وعثاء الطريق ، وتكبدنا نفقات السفر ! ! . . ويصدق الشعب المسكين هذه الأكذوبة ويعطيهم بغير حساب ، ويقبل على مايكتبون ، فلا يجد به سوى دعوات الفجور بأسلوب تفوح منه روائح الإثم

تريد الثورة أن تسكت الأقلام المأجورة التى اشتراها الدولار وغذاها الاستعمار ، وأمدها قلم المخابرات لتسبح بحمد الدخلاء ، وتروج لسياسة الأغراب ، وتنشر على الناس أساطير الديمقراطية وأكاذيب الأهداف الغربية . . . هذه الأقلام التى ولدت فى مصر وشربت من نيلهـا الصافى وعاشت من خيرها العميم . . ثم استطاع أن ينفخ من روحه القوية ، فى نفوس مواطنيه ، معنى الحياة الحرة الكريمة ، والذى استطاع أن يثبت بكفاحه وجهاده أن مصر لم تكن تفتح أبوابها لكل طارق ، وأن شعب مصر لم يكن يتنازل عن حريته .. أو يفرط فى كرامته ... لأى فاتح ، مهما بلغت قوته ، أو زادت سطوته ...

كما أثبت أن سجل النهضة المصرية ، ملئ بآيات الشجاعة والمجد ، حافل بصور الكفاح والتضحية ... زاخر بضروب البسالة والإقدام ...

عبد الباسط محمد حسن

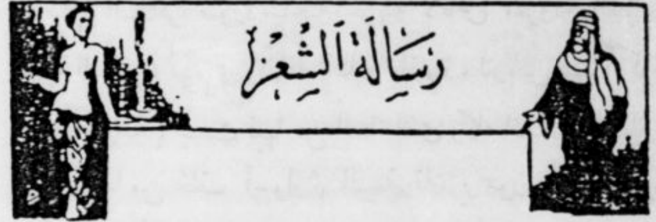
استهواها السين وبرح بهـــا هوى التايمز ، فأنكرت قوميتها وجحدت شرقيتها ، وكفرت بالأمة وسخرت من الشعب، وألقت فى النيل بأحجار القت والكفران . . فهى تتحدث — يا كبار — عن الإنجليز فى بلادهم ، وتنسى الحـديث عن الإنجليز فى مصر والشرق ، وهى تمشق فرنسا بلد النور والحرية والإشعاع ، وتعمى عما تعمله فرنسا من وحشية واستبداد فى بلاد المغرب العربى . ثم تبلغ بها الوقاحة منتهاها حين تزعم أنها تدافع عن حق الشعوب المضطهدة ، بمثل هذه الأساليب الرخوة المتهافتة ، التى لا تصدر عن ضمير حر وقلب متأثر . . . والعجيب فى هذه الأقلام أنها إذا ما رأت طلائع الثورة ، ولمحت أشعة الفجر ، وعرفت أنها ستفضح وينكشف عورها ، خرجت من الظلام ، وطامنت من كبريائها ؛ ونزلت من أبراجها ، وأدلت بدلوها ، وبرزت أمام الناس أقلاما حرة نظيفة ، بسطور من النفاق تزخرفها ، تضحك بها على الشعب الذى خذلته فى أيام المحنة ، وسخرت منه حين كان يطالب بالحرية والاستقلال

نريد الثورة أن تختفى من السوق بضاعة الأدب الأسود، أدب الميوعة والمجون ، والنفاق والتهريج ، ليحل مكانه أدب قوى رصين يستمد أصوله من الماضى التليد والحاضر المجيد ، ويبنى بحكمة وقوة حضارة مصر والشرق ، ويؤيد بحرارة وإيمان آمال العروبة والإسلام ... وأصحاب الأقلام يعرفون قبل غيرهم أن الشرق العربى والعـــالم الإسلامى يعانى أزمة خانقة ، يثيرها أعداؤنا فى كتلتى الشرق والغرب ؛ ويرون فينا لقمة سائغة تبتلعها أفواه المدافع ، وهم لذلك يعدون لنا — ولنا وحدنا — وسائل التدمير والخراب ، وأسلحة الحديد والنار . . ثم يضحكون لنا ، ويزينون للمخدوعين منا مبادئهم ، ويظهرون بأثواب الحملان الوديعة ، التى تريد بنا الخير وتتمنى لنا السعادة والطمأنينة .. فمن واجب الأقلام هنا أن تنزل إلى الميـدان ، لتحذر الشعوب الغافلة من مكائد الاستعمار وأذنابه ، وتنقذ المخدوعين من أنياب الذئب وأظفاره

ثم إن أصحاب الاقلام يعرفون قبل غيرهم أنه يجثم على صدورنا كابوس ثقيل من الفقر والجهل والمرض ... كابوس صنعه هؤلاء المترفون الذين يعيشون فى قصورهم الـكبيرة ، وينفقون الملايين الـكثيرة ، ويأكلون فلا يشبعون ، ويشربون فلا يرتوون ، ويرون بأعينهم الـكافرة صوراً شاحبة حزينة لأناس معروقة العظام ، بادية السقام ، تهيم فى الأزقة المظلمة الحقيرة ، لتربض عند أكوام من (القمامة) تبحث فيها عن الفتات الذى ركله السادة المتبطلون يرون هذا من خلف أسوارهم المنيعة فلا يرحمون ، ويسمعون الأنات الشاكية تنبعث من صدور الجائعين فـلا يشفقون ، إن أصحاب الأقلام يعرفون كل هذا فعليهم أن يدكوا بأقلامهم الثائرة أسوار الجلادين ، ويبعثوا بأضوائهم الباهرة إلى أكواخ البائسين ، لتحقق العدالة الاجتماعية ، وتعم الأخوة الإنسانية ، ويعيش الناس فى أمن وسعادة ووئام

هذا ما تريده الثورة العاقلة التى خلعت ملكا ظالما ، وأنقذت شعبا مظلوما، وطهرت حكما فاسداً، وأيقظت شعوراً راكدا، وبدأت تبنى للأمة مجتمعا فاضلا ، وتهيئ لها مستقبلا رغدا ، وهى تهيب بالأقلام أن تسير مع القافلة نحو القوة والعزة والمجد .فهل تستجيب

عمر عودة الخطيب



أحبابي الموتى*

للأستاذ أنور العطار

فيا عهدهم لازالت نضرا على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر

أحن إليكم كلما ذر شارق وأبكيكم ماعشت فى السر والجهر
أحباى يا سؤلى ويا غاية المنى طويتم ضلوع القلب فى على الجمر
وبت أناجيكم وأهفو إليكم وأصبو إلى لقياكم آخر الدهر
كأنى لحن الحب قيثارة الهوى أنوح على الأحباب بالأدمع الحمر
أصوغهم شعرا يفيض مواجعاً وأنظمهم عقدا يتيه على الدر
وأودعهم قلباً تقطع حسرة عليهم ، وعيناً دمعها أبداً يجرى
فياعهدهم لازالت نضراً على البلى ترف رفيف النور فى أضلع الزهر
ويا طيفهم زدنى اشتياقا ولوعة يزدك الهوى ماشئت من دامع الشعر

***

فيا أيها الغادون لا البين صدهم ولا حجبت أنوارهم ظلمة القبر
جفونى مأواهم ، ضلوعى قبورهم فيا لقبور خطها الحب فى صدرى
سلوا الجفن هل طافت به سنة الكرى
سلوا الليل هل دارت به مقلة الفجر
إلى الله أشكو ما أقاسى من النوى وما يتنزى فى الخواطر من ذكر
بروحى أنتم من محبين ودعوا فودعت أفراحى وفارقنى صبرى
ولم تؤونى الأرض الفضاء كأننى سجين أقضى العمر فى النى والأسر
بعيد عن السلوان، صفر من الألى أشاع هواهم لذة الشعر فى نثرى
فهل علم الأحباب أن خيالهم سميرى فى حلو الحياة وفى المر
إذا نسى الإنسان فى اليسر صحبه فلا خير فى التذكار فى ساعة العسر
أأيامنا لا زلت معسولة الجنى كروض شذى رف فى حلل خضر
أناجيك بالقلب اللهيف من الجوى وأرعاك بالود البرىء من الند
وأسقيك دمع العين سقيا كريمة
إذا ضن جفن السحب بالساكب القط
سلام على تلك العهود فإنها أمدت خريف العمر بالورق النض
وزانت أناشيدى ووشت مدامعى فمن لؤلؤ نظم إلى لؤلؤ ن
وما شئت من ظل رخى ومن شذا وما شئت من طير يغنى ومن
أمانى فى زهو الحياة وفجرها مرصعة الأفياء بالممتع النز
أراك بعين قد تنكر دهرها وما ألفت إلا الوفاء على النك
وأصبو إلى ذكراك والذكر راحة لمن عاش فى الهم المبرح والخ
وأشتاق ألافاً سقانى ودادهم
كؤوس الهوى حتى انتشيت من السك
وحتى كأن الدهر طوع أناملى ينولنى قصدى ويبلغنى أمر
إذا زرتنى ياطيفهم فى حمى الكرى فقد زارنى سعدى وعاودنى بشر
وأشرقت الدنيا بعينى وازدهت ليالى بالأنوار والأنجم الزه
وهون ما ألقاه من لاعج الضنى وخفف ما أشكوه من ثائر الفك

***

مررت على الدار التى غالها البلى وقوضها حتى استحالت إلى قف
فنازعنى قلب يذوب صبابة إليها ، ودمع لا ينهنه بالزج
أطوف بها والروح يعصرها الشجا ويعمرها بالبشر حيناً وبالذع
هنا الأهل والأحباب والقصد والمنى
هنا الملتقى بعد القطيعة والهج
هنا تجثم الذكرى هنا ترقد الرؤى هنا الموت يبدو فى غلائله الصف
هنا يقرأ الإنسان سفر حياته ويا هول ما يلقاه فى ذلك السف
صحائف إن قلبتها ازددت حسرة على ما بها من غائل الغدر والش
هنا العبرة الكبرى التى دق شأنها وأعوزها سبر فأعيت على السب
هنا يخشع القلب الشجى مرددا كتاب الردى المحتوم سطراً إلى سط
بنفسى أرواح رقاق حبيبة مضمخة الأعطاف مسكية النش
تأرج بالذكرى وتعبق بالهوى كأن بها عطراً أبر على العط
أعيش بها جذلان يسعدنى الرضا ويقنعنى منها الخيال إذا يسر

***

سلام على الأحباب إن طيوفهم لتملأ هذا الفكر بالنائل الغم
ولولاهم لم أجن ريحانة الهوى ولولاهم ما شمت بارقة الع

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب فى البصير

لفت نظرى أخى الكاتب الأديب الأستاذ صديق شيبوب إلى احتفال الدوائر الأدبية الفرنسية هذه الأيام بذكرى مرور خمسين سنة على وفاة إميل زولا ومائة سنة على وفاة بول بورجيه

والأستاذ صديق شيبوب من أبرز كتاب الأدب المعاصر فى الثغر الإسكندرى؛ وقد شارك بجهود ضخمة فى جماعة نشر الثقافة، وهو الآن محرر الصحيفة الأدبية الأسبوعيـة من جريدة البصير التى تظهر يوم الجمعة ، والتى أنتظرها بشوق بالغ لأقرأ تلك الفصول الأدبية القوية التى يكتبها شيبوب فيسكب فيها عصارة مجهود ضخم ، يبذله طول الأسبوع ، فهى تحوى تلخيصا وافيا لكتاب من الكتب الأوربية الجديدة وتعليق المترجم عليه

وجميل أن تظل صحيفة « البصير » التى تملأ أعمدتها بحديث المال والاقتصاد ، محتفظة بذلك التقليد الجميل ، تقليد الصفحـة الأدبية الأسبوعية بعد أن هجرته الصحف اليومية أو حولته إلى صورة ليست من الأدب فى شئ لإرضاء رغبات القراء ، وغرائز الجماهير

وقد كانت بدعة الصحيفة الأدبية الأسبوعية قد انتشرت فى الصحافة المصرية إلى ما قبل ١٩٣٩ عندما بدأت الحرب العالمية ، واضطرت الصحف إلى أن تلغى صفحات الترف منها واقتصرت على الأنباء الهامة

وكانت الصفحات الأدبية فى البلاغ والسياسة والأهرام والمصرى ، تتناول الكثير من مشا كل الأدب وشؤون الفكر .. على نحو لا بأس به . وكانت تقوم المحاورات والساجلات الأدبية بين كتاب الصحف اليوميـة وكتاب المجلات الأدبيـة ، كالساجلات التى قامت بين العقاد فى الجهاد وطه حسين فى الرسالة .. وغيرها

فلما انتهت الحرب العالمية وعادت الصحافة إلى التوسعة على قرائها بمزيد من الصفحات ، كان الذوق الصحفى قـد تطور ، وأخذ يمضى فى طريق يمكن القول بأنه مضاد للأهداف الأدبيـة والفكرية العليا ، فقد عنيت الصحافة بالأدب الخفيف أو أدب (الساندويتش) وحرصت على أن تقدم للقارئ القصة المثيرة ، والصورة العارية ، والفكاهة التافهة ، باسم الطرائف

ورمت الصحف اليوميـة من هـذا إلى تقليد المجـلات الأسبوعية التى تعيش على إرضاء أهواء القراء ، وبذلك انحسرت الموجة الأدبية تمـاما من الصحف اليومية وتوارت خلف بعض المجـلات الأدبية الأسبوعيـة التى ما زالت تحتفظ بطـابع الأدب الرفيع

الشاعرات

من الملاحظات الدقيقة الجـديرة بالبحث والعلاج ، ندرة الشاعرات بين فتياتنا ونسائنا المثقفات . ويقينى أن الأمر لا يقف عنـد الشاعرات فحسب ، ولـكن ينسحب على اللواتى يشغلن أنفسهن بالعمل الأدبى بوجه عام

فأنت لا تستطيع أن تحصى أكثر من شاعرتين أو ثلاث ، لا يرتفع شعرهن إلى قاعدة الإجادة أو التفوق

وهناك أسماء كاتبات وشاعرات كانت تلمع قديما ، ثم اختفت وتوارت .. من أمثال ذلك الكاتبة « ملك محمود السراج » أين

لا صغت أنغاما لطافاً شـجية ... أرق من النجوى وأصفى من الخمر
ى المفرد الحيران فيها أليفة ... وينسى بها دار الخديعة والمكر

* * *

ناء على الدنيـــا فما هى لذة ... إذا كنت فى شطر وقلبك فى شطر
ا بؤس محيانا ويا طول غمنا ... ويا شد ما نلقاه فى الدهر من قسر
ا شوقنا للصحب فى غمرة الردى ... وفى هدأة المثوى وفى رقدة العفر
. خيالات يوشحها الأسى ... وننزع أثواب الحياة ولا ندرى
نطرح أياما ثقـالا رهيـة ... براء من الألوان خلواً من السحر

أنور العطار

هى الآن ، لماذا اختفت وراء السحب ، لماذا اكتفت بحياتها المنزلية المحدودة ؟ إن زميلاتها ، أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وجميلة العلايلى ، وغيرهن .. ما زلن يكتبن .. فلماذا تختفى هى !

وإذا كانت لا تحب الاتصال بالمجلات الأدبية فلماذا لا نرى لها بين آن وآخر كتابا جديدا ؟ إنها زوجة كاتب كبير واسع الأفق طالما أثار على صفحات المجلات فنونا من الآراء الجديدة ، قبل أن يشتغل بالسياسة ، هو الدكتور محمد مندور ، وما نعتقد أن الكاتب الكبير يحتجز هذه العبقرية أو يحول بينها وبين الضوء

أدب الانقلاب

لا شك أن الأدب فى الشرق سيدخل فى البوتقة ليظهر من جديد ، فإن الانقلابات العسكرية التى وقعت فى سوريا ومصر ولبنان خلال هذه الشهور السبعة ، ستكون بعيدة الأثر فى كيان الأمة العربية

وقد كانت هذه الأمة التى تمتد على ساحل البحر الأبيض من الشام إلى مصر كانت تعيش فى مرحلة عصيبة عنيفة ، قاست فيها الظلم والظلام والإرهاق .. خلال الفترة الأخيرة التى سبقت استجابة الجيش لرغبات الشعب فى إقصاء الطغاة وإخراجهم وإقامة حكومات جديدة تنبع من روح الشعب وآماله

وقد كانت الأمة العربية فى لبنان وسوريا ومصر .. تعيش فى ذلك الشقاء ، وهى تحس بإرهاصات غروب دولة . . ، وانتهاء جيل ، و . . شروق فجر جديد

ولا شك أن ذلك الالتقاء النفسى الواضح بين الشام ومصر الذى يلقى أضواء متشابهة على التاريخ الماضى فى مختلف العهود ؛ يبشر بألوان أدبية جديدة ستظهر فى الأفق فى وقت قريب

الترجمة والشعر المنثور

ظاهرتان جديدتان ، أو متجددتان فى الأدب العربى المعاصر ، تبدوان مرة أخرى بعد أن اختفتا طويلا . . هما العود إلى الترجمة وظهور الشعر المنثور مرة أخرى

بدأت النهضة الأدبية فى أول أمرها بعد ثورة ١٩١٩ بالترجمة عن الآثار الأوربية ، وقد كان فى مقدمة روادها الزيات وطه حسين والسباعى وخليل مطران والمازنى

ثم بدأ أدب الإنشاء والنقد والبناء ، وساهم فيه هؤلاء الرواد بدور ضخم . . غير أن ظاهرة العودة إلى الترجمه بدت مرة أخرى فى أفق الحياة الفكرية واتصلت فى الأغلب بالآثار العلمية والتاريخية

وفى مقدمة الكتب المترجمة الجديدة : الوحدة الإيطالية (لبولتن كيم) الذى ترجمه الفريق طه الهاشمى ، وهيلين كيلر للأستاذ مرسى قنديل ، وتطور الزراعة للأستاذ نظيف وزير زراعة سوريا

أما الظاهرة الثانية فهى « بدعة » الشعر المنثور ...

لقد عادت مرة أخرى بعد أن اختفت وقتا طويلا . . وكدنا أن ننسى هذا اللون . . ويجئ هذا التيار هذه المرة من الشام ومن لبنان بالذات ! فقد صدر فى الأسبوع الماضى ديوانان منه « أمواج » للشاعرة هند سلامة و « لمن » للأستاذ ألبير أديب

ولا شك أن كتابين من لون واحد فى وقت واحد يدعو إلى التسجيل والبحث

وعقيدتى أن هذا اللون هو من أدب الترف يمكن أن يظهر فى الأمة بعد أن تستكمل أدوات قوتها وعوامل نضوجها . . ، أما الآن ونحن فى مرحلة « الثورة » . . ، وفى مواجهة الأحداث ، أحداث التجديد والتغيير ، والتحرير والتطهير ؛ فما أحوجنا إلى الأدب الجاد الصارم

إن الشاعرة « هند سلامة » — وكم كنت أحب أن أعرف عنوانها لأكتب لها — تثير فى نفس القارئ شعورا ؛ هو مزيج من القلق و . . . ، وما كان أغناها عن إثارة هذا الشعور ، فنحن نطمع فى المرأة الجديده التى تستطيع أن تنقى جو حياتنا الفكرية والاجتماعية من الوساوس وأسباب القلق ! !

وهذه قطعة تخيرناها من كتاب الشاعرة « هند » وراعينا فيها أهداف الرسالة بعنوان « لولاك »

أيها القلم . .

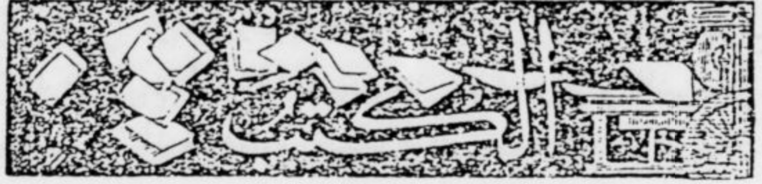
ها أنا ذى أودع قلبك . .

وأهمس فى أذنك

أسرار أحلامى الأخيرة ...

فى طباعى شذوذ

إنى أنشدك كلما ضاق صدرى بالهجوم



بلادنا فلسطين

(٢٢٩ صفحة من القطع المتوسط طبع القاهرة ١٩٤٨)

التاريخ القديم للشرق الأدنى

(٢٦٦ صفحة من القطع المتوسط طبع بيت المقدس ١٩٥١)

تأليف الأستاذ مصطفى مراد الدباغ

للأستاذ على محمد سرطاوى

الأستاذ ، مصطفى مراد الدباغ ، مؤلف هذين الكتابين ، المفتش فى معارف حكومة فلسطين سابقا ، والوكيل المساعد لوزارة المعارف الأردنية اليوم ، وأحد أفراد أسرة الدباغ اليافية ، التى اشتهر أفرادها بالفضل والعلم والأدب ، ومنهم الشاعر المبدع المرحوم إبراهيم الدباغ فى مصر ، علم من أعلام المؤرخين المعاصرين ، وقطب من أقطاب التربية والتعليم جمع إلى العلم الغزير ، المثالية الإسلامية فى أروع صورها .

حصل على ثقافة عميقة الجذور فى كلية المعلمين فى بيروت زمن الحكم العثمانى ، بحكم ذكائه الذى جعله الأول على جميع الطلاب فى جميع سنوات الدراسة ، والتحق بالجيش ، فصقلت خشونة الجندية الرجولة الفذة الكامنة فيه ، وطبعته بطابع الصرامة والجد ، فى كل ما يتصل بنفسه وعمله من شؤون ؛ والجندية كالنار ، لا يخرج منها غير المعدن الصافى ، والذهب الإبريز وحين كانت الجحافل التركية تتراجع أمام جيوش الثورة العربية ، التى كان يقودها المغفور له فيصل بن الحسين ، فى الحرب العالمية الأولى . فى وهاد الأردن ، وأطراف الغوطة ومرتفعات الأرز ، انتقاما من وحشية الاتحاديين ، متمثلة فى فظاعة السفاح ، الطاغية ، جمال ، الذى راح يطارد ، فى جنون السلطان المطلق ، أحرار العرب ، ويسوق إلى أعواد المشانق ، الصفوة الممتازة من رواد الحرية فى الأمة العربية ، فى عالية ، وقد التفت حوله بطانة مجرمة من رجال السوء ، والخونة المارقين فى أردية الكهنوت الإسلامى ، كانت تعمل فى الوقت نفسه لحساب الحلفاء ، راحت

وأثقلت قلبى الرزايا والمحن
فى وشوشاتك للكلمة والحرف
ما يخفف عن القلب أثقاله
وفى دبيبك على القرطاس . .
ما يفك عن الصدر أغلاله . . .
ويحملنى بعيدة
بعيدة على أجنحة الأثير
لولاك يا قلم
ما اتسعت بى الأرجاء
ولما كنت خفيفة طليقة كالنسيم
رغم نفسى المثقلة .
المقيدة بأسباب الحقيقة والوجود
لولاك
ما كان لى تزجية ساعات معدودة
ولكنت سلكت مسالك الناس
وكشفت لهم عن آلامى
ولكننى لم أجد قلبا كقلبك
يتسع لسبر أغوارى
وكشف حنايا نفسى
أبثك لأعلن لك أسرارى
وأطرح عليك أثقالى

***

وبعد فأنا موقن بأن الشاعرة « هند » لو كتبت هذه القطعة على أنها لوحة نثرية لجاءت غاية فى الروعة ، ولكانت أقوى ألف مرة ، من هذا التمزيق والتقسيم والتقطيع لأوصال الكلمات والجمل حتى يمكن أن يطلق عليها اسم الشعر المنثور . . وما أثقله من اسم

أنور الجندى

تلك الفئة التي تجري في شرايينها معاني الرق ، تحرف كلام الله عن مواضعه إرضاء لطغيانه ، وتفتيه في خيانة أولئك الأحرار ، محللة له سفك دمائهم باسم الدين ؛ لم يكد ذلك ليتم حتى كان حاييم وايزمن ، المحاضر في جامعة منشستر يقهقه ملء رئتيه ، في عاصفة هوجاء من المرح الأرعن ، ويشرب مع أصحابه النادرين ، نخب النصر الذي أحرزه على المغفور له الملك حسين بن علي ، بوعد بلفور

لم يكن وعد بلفور في حقيقته غير بداية الهجوم على الشرق في حرب صليبية مقنعة ، لم يكن للضمير الإنساني فيها أي نصيب ، وتضاءلت فظائع القدامى من الفاتحين أمام وحشيتها ، وضراوتها ، وهمجيتها ، لكن حاولت — يشهد الله — تلك الحفنة الباسلة ، التي كان نصيبها أن تكون في خط النار الأول في معركة الهجوم الوحشي على الشرق الأدنى ، من أبناء فلسطين — أن ترسم أمام الأعين التي يغط أصحابها في سبات الغفلة العميق ، صورة الدوحة الهائلة تنبت من البذرة الصغيرة ، وأن تجسم الخطر الذي سيهدد أمن الشرق جميعه من وراء عبارات وعد بلفور المتواضعة ، ولكن كل تلك الجهود ذهبت عبثا ، ولم يكن أمامها غير الثبات إلى النهاية متحملة الخسائر في كل شيء ، مدى ثلث قرن من الصراع الرهيب بين قوى غير متكافئة ، وهي منفردة في معركة الشرف لم تتزحزح ، ولم تفرط ، حتى غلبت على أمرها ، وشردت عن أوطانها ، في مشارق الأرض ومغاربها ، بعد أن استبيحت المحارم ، وانتهكت الأعراض ، ودنست المساجد ، في عار لم تسجل صحف التاريخ مثله على أمة من الأمم ، وسيظل الذين ظاهروا عليه ، موضع اللعنة من الله ومن الأجيال المقبلة في تاريخ الأمة العربية والتاريخ الإنساني إلى يوم يبعثون

عاد (أبو عمر) إلى أرض الوطن الذي بارك الله ثراه بإسراء سيد المرسلين إلى المسجد الأقصى فيه ، فرأى أن العمل الخليق بالجندي الباسل هو التعليم ، بحكم ما فيه من شرف بالغ ، وتضحيات جسيمة ، وعمل مجيد للأمة يمد جذور حياتها إلى ثرى المستقبل

التحق بإدارة المعارف ، مديرا لثانوية الخليل ، ثم أستاذا محاضرا في كلية المعلمين بالقدس ، تلك الكلية التي طافت بها نفحات قدسية قومية ساحرة من عبقرية شاعر الأمة العربية معروف الرصافي رضوان الله ورحمته عليه ، يوم أن كان أستاذا محاضرا فيها ، ثم الحق بإدارة التفتيش وبقي فيها حتى اليوم الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ وهو اليوم الذي انتهى فيه الانتداب البريطاني على فلسطين

كانت المشكلة التي تواجه الوطن القومي ، والتي كان يخيل للقائمين على تأسيسه أنها مستعصية الحل ، هي الحصول على الأراضي الكافية لإقامة القلاع الحربية في مظاهر متواضعة من الأكواخ البسيطة ، غير أن التدبر الساخر مالبث أن جعل المشكلة بصورة عجيبة ، عن طريق انتقال صفقات هائلة من أخصب الأراضي ، قامت عليها من أزمان موغلة في القدم ، قرى ، ومزارع وفلاحون ، إلى الأيدي الصهيونية ، كانت تملكها الأسر الكبيرة من غير أهل فلسطين ، تقيم في الأقطار العربية المجاورة ؛ ذلك إلى جانب الوسائل الجهنمية التي ابتدعها رئيس النيابات العامة نورمان بنتويش ، بما كان يصدره من أنظمة تعسفية وقوانين غريبة لوضع البلاد في أسوإ الأوضاع التي من شأنها أن تعجل في إقامة صرح الوطن اليهودي

وكان لا مفر لبناة الوطن القومي اليهودي من رسم مناهج التدريس في المدارس العربية الحكومية رسما بارعا ، تعين النتائج فيه على بناء ذلك الوطن ، بخلق طبقة مستغربة من العبيد ، لا تعرف مكانها من الكرامة ، ولا تاريخها المجيد في تواريخ الأمم والشعوب ، تعيش ليومها ، ضيقة الآفاق ، تعبد الغرب بدلا من الخالق ، يملأ الغرور نفوسها ، ويوهن ما في ضمائرها من خلق وشرف ورجولة ، طول الجري وراء أجساد العاهرات من بنات إسرائيل ؛ ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ، فلم تفلح مناهجهم الآثمة في إخراج واحد من أبناء فلسطين ، على النمط الذي أرادوه

وكانت محاولة الإصلاح في جو موبوء مسموم من هذا النوع ، ضربا في حديد بارد ، ونفخا في رماد ، ولكن الأستاذ الدباغ ، رأى في تلك المناهج ، على الرغم مما فيها من فساد ، شيئا لا بأس به من الخير ؛ إذ ليس هنالك خير مطلق ، أو شر مطلق في الوجود ، وراح كالغواص البارع ، يبحث في ظلامها الدامس عن الدر والجوهر ، فوجد من ذلك ما حاول به إصلاح سوء النية في وضعها ، وراح يركز نشاطه في بيئة الفلاحين ، وفي مدارس

الريف باعتبار الفلاح الحارس الأمين على أرض الوطن التى امتزج ثراها بدماء الفاتحين من خير أمة أخرجت للناس، وكان يهيب بضمائر المعلمين ، ويبيح لهم التحلل من القيود المنهجية فى الحد الذى يبصره الضمير القوى من حذف أو زيادة أو تغيير ، وأن تركز المسائل الحسابية على شراء الأرض ، وأن لا يجرى بيعها على لسان أبدا

وظهر فى هذه الفترة كتابه (فى القرية) ، ويدعو فيه إلى تركيز القوى للنهوض بالفلاحين ، وتوفير ما يكفى من الخدمات الصحية والتعليمية لرفع مستواهم ، وتوفير عدالة اجتماعية فى الحدود الممكنة.

وأدرك السير (آرثر واكهوب) المندوب السامى على فلسطين آنذاك ، والذى كان يتظاهر بصداقة الفلاحين ، ويكثر من زيارتهم ، والحفاوة بهم ، على الرغم من دخول أكبر عدد من المهاجرين أيام حكمه ، وكأنما كان يمثل دور الصياد الذى يبكى وهو يذبح العصافير فى القصة المشهورة ؛ أدرك ذلك الداهية الأريب والجندى المدرب ، وكان رجلا ، قدر المؤلف الرجل ، وقدر صدق وطنيته — وكان للسير واكهوب ضمير إنسانى حساس ، يختلف عن ضميره الرسمى — فبعث إليه بكتاب يطفح بالشكر ، وينوه بمجهوده نحو إصلاح القرية ، ويطلب إليه المزيد من العناية ، ويبارك عمله المجيد .

***

من أبرز ما يمتاز به (أبو عمر) ، الأستاذ الدباغ ، إحساس عجيب يسبق الزمن ، وما يجرى وراءه من أحداث ، أو ما قد تتمخض عنه تلك الأحداث من مفاجآت ونتائج . ومن مظاهر ذلك الإحساس انكبابه على تأليف موسوعة تاريخية فى هذه الفترة أطلق عليها اسم (بلادنا فلسطين) . وكأنما ألقى إليه من وراء الغيب ، أو أدرك بحاسة سادسة عجيبة ، أن أحداثا جساما فى طريقها إلى تلك البلاد ، تأكل الأخضر واليابس ، وتمحو من سجل الوجود مدنا وقرى بأسرها ، وتشرد أهلها

وقد كانت طريقته فى تأليف تلك الموسوعة السير من المعلوم إلى المجهول . كان يسائل المعمرين عما يعرفون من تاريخ قراهم أو مدنهم ، وأنسابهم ، وكل ما يتصل بماضيهم من شؤون وشجون ، حتى إذا ما دون أقوالهم ، انقلب إلى مكتبة غنية بالمصادر أنفق جهدا ومالا فى سبيلها ، يراجع وينقب ، حتى يصل إلى بعض الحقائق فيما لديه من أقوال . قد يرفضها كلها ، وقد يحذف بعضها ، وقد يزيد عليها ، وقد يدفعه البحث والتدقيق ، عن حقيقة من الحقائق ، إلى السفر من مدينة إلى أخرى ، أو إلى قطر مجاور ، حتى إذا فرغ من الأساس التاريخى لبحثه عن تلك القرية أو المدينة ، انصرف إلى البحث عن الحاضر ، وهو أمر ميسور تبرع لمعاونته عليه عدد كبير من المعلمين والموظفين فى مختلف الإدارات الحكومية ، فكانوا يجمعون الإحصاءات المفصلة من التقارير الرسمية ، أو يحصون بأنفسهم ، وبمساعدة أهل القرى ، مالا يدخل فى تلك التقارير ؛ فتجمع لديه من كل ذلك معلومات دقيقة عن عدد السكان ، ومقدار الذكور والإناث ، وعدد المتعلمين ، ونوع التعليم ومستواه ، وعدد المدارس والطلاب والمعلمين ، وأنواع المحاصيل ، وعدد أشجار الفاكهة ، والمساحات التى تزرع بأنواع المزروعات ، وعدد الحيوانات ، والبيوت ، والمساجد ، إلى آخر ما هنالك من التفاصيل التى لم يسبق أن استعملها مؤرخ سابق على هذا النوع الدقيق من الأسلوب العلمى المضنى الذى ينوء به الفرد ولا يقوى عليه

وتقع هذه الموسوعة فى عدة مجلدات ضخمة ، تولت مكتبة الطاهر إخوان عام ١٩٤٧ طبع الجزء الأول — القسم الأول ، منه فى مطابع دار التوزيع والطباعة والنشر فى القاهرة — وتشاء الصدف العجيبة أن يخرج هذا الجزء فى شهر أيار من تلك السنة ، وهو الشهر الذى انتهى فى منتصفه بعد عام واحد (١٩٤٨) الانتداب البريطانى على فلسطين

يقول الأستاذ الدباغ فى المقدمة : (هذه البلاد عربية منذ آلاف السنين ، وأول من عرف من سكانها الموجات العربية الأولى التى نزلتها ، وقد قدستها الأديان العظيمة التى تدعو لخير البشرية ....

اجتهدت فى إخراج هذا الكتاب فى أجزاء عدة ، وجعلت بحثه يشمل تاريخ كل مدينة وبليدة ، وتاريخ ما تمكنت من الوصول إليه عن القرى ، والمزارع ، والأنهر ، مع وصف الحالة الحاضرة فى كل منها

وقد رأيت أن البحث لا يستوفى مالم يشتمل على المهم من التاريخ العام للقطر الفلسطينى ، فقسمت هذا البحث على الأجزاء جميعها ، بحيث لا يفرغ القارئ منها إلا ويكون لديه سفر تاريخى لهذه البلاد منذ أقدم الأزمنة إلى قبيل الوقت الحاضر ...

يبحث الجزء الأول من هـذا الكتاب عن تاريخ القطر الفلسطينى ، منذ فجر التاريخ إلى انقسام المملكة اليهودية ، وعن تاريخ مدن وقرى وقبائل بلاد نابلس

وسيتناول الجزء الثانى البحث عن غزة والسبع ، وقراها وقبائلها ، كما أن البحث فى الجزء الثالث سيدور عن يافا والرملة واللد وجوارها

وأرجو المولى أن يوفقنى لإتمام البحث عن المناطق الأخرى من فلسطين

ثم تجهمت أحداث الزمن ، وتوالت النكبات بسرعة فأوقف طبع الأقسام التالية من الجزء الأول ؛ وليت الأمر وقف عند هذا الحد ! بل تعداه إلى خسارة فادحة بفقدان الأجزاء التى لم تطبع من الكتاب ، حين كان الأستاذ الدباغ ضمن آخر جماعات أرغمت على مغادرة يافا فى باخرة رأى ربانها إلقاء عدد من الحقائب من حمولتها إلى مياه البحر ، وكانت الحقائب التى تحمل ذلك الكنز الثمين من بينها . وكأن القدر أراد أن لايبقى كتاب يتحدث عن بلادٍ ذهبت وذهب أهلها

لقد أورد الأستاذ مقتبسات من الأحاديث النبوية فى الفصل الأول جاء فيها

١ — عن معاذ قال : قال رسول الله (ص) : (يامعاذ . . إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى من العريش إلى الفرات فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت القدس فهو فى جهاد إلى يوم القيامة)

٢ — عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله (ص) (يجند الناس أجنادا ؛ فجندا بالشام، وجندا باليمن، وجندا بالعراق، وجندا بالمشرق ، وجندا بالمغرب ، فقلت يارسول الله ، إنى رجل حديث السن ، فإن أدركت ذلك الزمان فأيها تأمرنى يارسول الله ؟ فقال : عليك بالشام فإنها صفوة الله فى أرضه ، يسوق إليها صفوته من خلقه)

٣ — روى المشرف بسنده عن كعب قال : (أحب البلاد إلى الله الشام ، وأحب الشام إلى الله تعالى القدس ، وأحب القدس إلى الله تعالى جبل نابلس ، ليأتين على الناس زمان يتماسحونه بالحبال بينهم) صدق رسول الله فقد جاء ذلك الزمان

« ومن المصادفات العجيبة أن صلاح الدين الأيوبى ، تسلم القدس من الفرنج يوم الجمعة فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هجرية أى فى ليلة المعراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، وهذا اتفاق عجيب ، فقد يسر الله بأن تعود القدس إلى أصحابها فى مثل زمان الإسراء بالنبى الكريم (ص))[1] ترى من هو القائد العربى العظيم الذى أعدته قدرة الله لشرف إعادة القدس من الصهيونيين ؟

أما كتاب الأستاذ الثانى (التاريخ القديم للشرق الأدنى) فهو تلك القصة الخالدة من الصراع الدائم فى تاريخ الحضارة ، يتابع المؤلف أحداثها فى وصف تاريخ ولفتات رائعة تدل على فهم لما وراء حوادث التاريخ ، من عصر إلى عصر ، عبر الزمن الغابر البعيد ، والإنسان هو الإنسان لا يتغير ولا يتبدل . لقد كان الشرق الأدنى ولا يزال ، مقابر الفاتحين ، فى جميع عصور التاريخ ، والجسر الذى عبرت فوقه موجات الحضارة ، وموجات الفتح ؛ ولم يعرف الزمان تاريخا معقدا مثقلا بالحوادث الجسام كتاريخ هذا الجزء التعب من العالم ، يتصارع الأمم على وفرة خيراته وطيب مناخه، وموقعه الطبيعى الاستراتيجى وهو يربط أجزاء القارات الثلاث العظيمة

يقول الأستاذ فى مقدمة كتابه : (هذا كتاب وضعته لطلاب المدارس الثانوية ، وللطلاب الذين يستعدون لامتحان الاجتياز إلى التعليم العالى ، إلا أن القراء عامة ، فى وسعهم أن يستفيدوا منه ، إذ يطلعون فيه على صفحة من تاريخ الشرق العربى فى العصور القديمة ، وقد تبسطت فى الكلام عن تاريخ بلاد الشام وعلى الأخص تاريخ القسم الجنوبى منها ، وهو القسم الذى يعرف الآن باسم « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وكان يسمى قبلا « فلسطين وشرق الأردن » وهذا البحث ، على ما أعلم ، لم يتعرض

(١) بلادنا فلسطين ١ . ١٠



هل كان الزهاوى فيلسوفا ؟

نشرت الرسالة بالعدد (١٠٠٣) هذا المقال الموجز ، وقد لاحظت أن المطبعة قد أسقطت سطراً بتمامه ، فاضطرب المعنى تبعا لذلك ، وإنى أعيد القول من جديد ، ليزول الاشتباه :

« ومن البديهى أن الفلسفة لم تكن مرة واحدة علما دقيقا متين القواعد والأصول، ولكنها مرت بدور الطفولة والصبا — كما يقول الأستاذ مهدى علام — فى أساطير القصاص وشعر الشعراء وأقوال الحكماء »

فلعل القراء يلتفتون إلى هذا التصحيح السريع

محمد رجب البيومي

تحت منظار النقد

ألقى الأستاذ محمود جبر فى الحفل الذى أقامته جماعة الشبان المسلمين بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة قصيدة ميمية جاء فيها تنديدا بمن نسبوا الملك السابق فاروق إلى الحسين :

يا منبع الطهر قد نسبوا إليك فتى ... من غير حق تخارت فيه أفهام

والبيت من البحر البسيط وهو مكسور فى الشطر الأول لأن السين فى (نسبوا) كان يجب أن تكون ساكنة لا متحركة

وكم ضحكت كثيراً حينما سمعت التصفيق الشديد لهذا البيت !

شبرا النملة **عبد اللطيف محمود الصعيدى**

المسابقات الأدبية بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

إلحاقا بما سبق أن أعلنه المجمع عن جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ وبعد صدور قانون ميزانية سنة ١٩٥٢ / ١٩٥٣ يعلن المجمع أن الجوائز التى سبق الإعلان عنها خفضت قيمة كل واحدة منها من مائتى جنيه إلى خمسة وعشرين ومائة جنيه

أسبوع رعاية مشوهى الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

المشروع

أولا — خلق وعى قومى يقدس التضحيات التى بذلها مشوهو الحرب والشهداء وتخليد فدائيتهم ووضعهم فى المقام اللائق بهم

ثانيا — بذل كل المساعدات المادية والأدبية

(ا) عمل تخفيض دائم من المتاجر والبيوت المالية والشركات والأطباء والصيدليات وغيرها لمشوهى الحرب وعائلات الشهداء

(ب) منحهم إعانات مالية لتسوية حالاتهم المضطربة

مقومات المشروع

أولا — جمع تبرعات

(ا) بصناديق تعد بمعرفة مصلحة الخدمات الاجتماعية فى جميع أنحاء البلاد مختومة بخاتم الوزارة، وتفتح بمعرفة لجنة مشتركة من الوزارة والجمعية

(ب) فتح باب الاكتتاب والتبرعات لمشروعات الجمعية من الأثرياء والكبراء . على أن يتطوع حضرات أعضاء الجمعية يساعدهم لفيف من الطالبات والطلبة وذوى المروءة المتطوعين لمؤازرة هذه الرسالة النبيلة

ثانيا — توزيع مليون طابع باسم (أسبوع مشوهى الحرب)

له أحد من المؤرخين على هذا الوجه)

وبعد، فلقد أطلت الحديث لقراء الرسالة الغراء، عن هذا الجندى ، الذى طالما أبى عليه تواضعه إلا أن يظل مجهولا ، وأنا شديد الإيمان بأننا أحوج ما نكون إلى رجال من هذا الطراز يكونون مثلنا الأعلى فى الحياة الجديدة الكريمة المقبلة التى تليق بكرامة الإنسان وهو يخطو على الصراط المستقيم الذى أقامته يد السماء ، ليكون طريقه على ثرى الأرض ، وهو يعبر إلى الطرف الآخر ، المتوارى فى ضباب الغيب، فى ركب الحياة

على محمد سرطاوى

من فئة القرش صاغ ويكون توزيعها كالآتى : —

بمعرفة المتطوعين من أعضاء الجمعية وأصدقائهم

دور السينما والمسارح

مكاتب البريد والتلغراف

محطات السكك الحديد

المحلات التجارية والشركات والبنوك وغيرها

ثالثا — تخصيص يوم السبت أول نوفمبر ١٩٥٢ ليكون (يوم السينما) على أن ترصد إيرادات الحفلة المسائية من التاسعة مساء لمشروع رعاية مشوهى الحرب ومساعدة أبناء الشهداء

رابعا — إقامة حفلات موسيقية وغنائية يساهم فى إحيائها مشاهير المطربين والموسيقيين يخصص ريعها لمشوهى الحرب

خامسا — فتح باب قبول الهبات العينية من الملابس والأقمشة والأحذية وخلافها من الحاجيات ، وما يفيض عن حاجة ذوى البر والمروءة ، على أن ترسل إلى مقر الجمعية ويسلم عنها إيصالات توطئة لتوزيعها على المشوهين وعائلات الشهداء

وسائل تنفيذ المشروع

أولا — الرسوم الرمزية

إقامة مسابقة بين رسامى الكاريكاتير وغيرهم لتصميم رسم رمزى يهدف إلى الفكرة السامية التى تطويها رسالة الجمعية ويدعو إلى مؤازرة مشروعاتها النبيلة ويكون وسيلة صالحة للدعاية عن أعمالها

ويمنح الفائز الأول والخمسة الآخرين (الأوائل) جوائز ثمينة ويطبع الرسم الرمزى الفائز ويوزع بكميات كبيرة فى أنحاء القطر

ثانيا : — إخراج أفلام سينمائية قصيرة

تدعو إلى معاضدة الجمعية وتشيد ببطولة مشوهى الحرب والشهداء ، وتدعو إلى تخليد ذكراهم وتيسير وسائل الحياة السعيدة لهم ، على أن تعرض فى جميع دور السينما لمشايعة أغراض الجمعية وتحقيق أهدافها السامية

ثالثا : — الإذاعة اللاسلكية

- إذاعة أحاديث دورية عن الجمعية ورسالتها ، وبطولة مشوهى الحرب والشهداء ، وما ينبغى عمله لهم ولذويهم من مساعدات ومعاونات

أحمد نوفل

منقذ فلسطين

كتب الأستاذ محمد رجب البيومى عن مسرحية منقذ فلسطين ، التى أخرجها الأستاذ عبد الرحمن البنا ، وقد أعجبنى ما كتبه ، والواقع أننى حضرت القصة عندما أخرجت على مسرح الأوبرا ليلة ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، وهى نفس الليلة التى دخل فيها جيش مصر الباسل فلسطين ، فأعجبت بها وهزتنى من الأعماق ..

وكنت قد حضرت للأستاذ البنا مسرحيات أخرى من هذا النوع الإسلامى ، الذى يحرص على إبعاد عنصر المرأة عنه ، ومع ذلك فقد كانت هذه الروايات لا تفتقد قوتها ولا جلالها .. وقد سمعت من الأستاذ عبد الرحمن أن الأستاذ زكى طليمات قد أبدى إعجابا لا حد له بهذه المسرحيات الإسلامية ، وقال إن هذا اللون ناجح ولا شك ، وأن قوة المعانى والصور والمواقف فيه ، لا تكشف النقص الذى يمكن أن يأتى من إبعاد عنصر المرأة عنه

(أنور)

غيظ

إن البلاد إذا شاع الفساد بها
وأصبح اللؤم فيها خلة الناس

وأسفر البغى يقضى فى سياسته
مصعر الخد مخفورا بحراس

لم يبق للحر إلا الغيظ يكظمه
بين الضلوع وإن ضاقت بأنفاس

محمود عبد السيد حمزة



صديق جديد

عن مجلة « نروستورى »

تطلعت من السيارة التي كنت أعمل فيها إلى أعلى ، فوجدت — ماني بيترز — وعلى شفتيه ابتسامة بريئة ، غير أن عينيه الزرقاوين — في هذه المرة — كانتا تشعان ببريق غريب

خالط عقله مس منذ أن كان في العاشرة من عمره ، حينما حدث أن أصابه أحد رفقائه — دون قصد بحجر . ومما يحز في نفسي أن أقول إنني كنت أكرهه بكل ما في هذه الكلمة من معان ، وإن كنت أدعه يعبث بأدوات السيارة التي وضعتها في « جراج » بمدينة « جيرسي الجديدة » وذلك لمعرفتي أن جنونه من نوع غير خطر ، وأنه محتاج إلى كل ما يمكن أن يتسلى به ، ولكنه أهاجني اليوم أكثر من أي يوم سبق ، فقد قضيت عشر دقائق في البحث عن أداة احتجت إليها لعمل مستعجل

تذكرت أن « ماني » أمعن في العبث أمس — كما يفعل غالبا — فكان السبب في هذا التأخير ، فأخذت ألعن الظروف التي خلقت لي مثل هذا المأزق الحرج ، وأخيرا وجدتها

يستطيع الحدادون أن يقسموا على أن شيئا لا يزعجهم مثل اختلاف مواضع الآلات التي يضعونها في أماكنها

لم أقل لـ « ماني » شيئا ، إذ أعرف أن نتيجة ذلك ستكون سيئة ، وأنه لا يمكنه أن يفهم حقيقة الموقف ؛ وإن فهم فلا يمكنه أن يتذكر ذلك إلا لمدة خمس دقائق . أقنعت نفسي بالتغافل عن أعماله ، وأن أستمر على عملي ، ولكن نيران الحقد ولهيب الكراهية ، جعلا مني مرجلا ثائرا

نظرت إلى يدي القويتين ، وأحببت أن أداعب بها رأس من تسول له نفسه العبث بأشياء تخصني ، أما أن يكون هذا الشخص « ماني » فإنني لا أستطيع حتى رفعهما

مضيت في عملي وأنا جد متعجب من سكان القرية . ترى ماالذي جعل « ماني » محبوبا منهم ، وأنا أحمل له من البغض والكراهية ما ينوء بحملهما كاهلي ! وطبعا لم يكن الذنب ذنبه ، أحبه الناس أم لم يحبوه ، وشعوري بالكراهية له ناجم عن عدم الإكبار للرجال الضعفاء وغير المرغوب فيهم ، كرهي لكل عضو لا يقوم بعمله تمام القيام

تحملت منه ما لم يتحمله أهل القرية الأنانيون الذين قدت قلوبهم من الصخر ، لا يعرفون قويا ولا يرحمون ضعيفا ، وحبي له لم يكن إلا شفقة عليه ورثاء له

انتهيت من عملي ، ولم أنتبه للشخص المشرئب بعنقه ليرى ما أعمل ، مما سبب اصطدامي به ، وبعدها ألفيتني محملقا فيه . أما هذا الشخص فكان « ماني »

تملكني الغضب الشديد ، فصحت به : بالله ماذا جاء بك إلى هنا ؟

ودفعته دفعة قوية لأزيحه عن طريق

فترنح إلى الخلف بمجرد اختلال توازنه ، وغارت عيناه الزرقاوان في محجريهما متعجبتين سائلتين ، ولم أكن رأيتهما على هذه الحالة من قبل

ثم اصطدم ببعض آلات مبعثرة هنا وهناك ، وسقط سقطة أفقدته الرشد

زاغت عيناي واشتد بي الخوف ، وأحسست بفيض من العواطف يدفعني إلى مساعدته على القيام . وفجاءة ، رأيتني مادا إليه يدي أساعده على النهوض

شعرت وأنا أنحني إلى الأسفل أن يدي قد بلتا ، ونظرت إلى الأسفل فرأيت قطرات حمرا على الأرض على بعد ست وثلاثين عقدة مني

حينئذ عرفت أن رأسه قد أصيب ببعض أدوات سببت شج رأسه ، فظننت أنه مات ، ولكنني شاهدت صدره يعلو ويهبط فعرفت أنه لم يفارق الحياة . لم أعر ذلك اهتماماً بادئ ذي بدء ، وطمأنت نفسي بأنه لن يلبث أن يستفيق . وبرغم ما كنت

أتظاهر به من الهدوء ، كنت معتقداً أن إصابته خطيرة . سرت نحو التليفون وطلبت الطبيب قائلا : أصيب مانى بيترز — بحادث خطير فأرجو أن تأتى بسرعة . وعلقت « السماعة » ورجعت إلى — مانى — أسائل نفسى ماذا يمكننى عمله حتى يصل الطبيب . استطعت أن أقف النزيف ، ولكننى لم أعرف ما يجب أن أعمله أيضاً . وهكذا جلست إلى جانبه منتظرا مجىء الطبيب ، محاولا جهدى ألا أفكر فيما سبب هذه الحادثة

جاء الطبيب فى وقت مناسب ومعه خمسة رجال من أهالى القرية ممن أعرفهم . لقد كانوا فى بيت الطبيب ساعة أن أخبرته بما حدث . ولما سمعوا ما قاله الطبيب عن « مانى » أتوا معه ليعرفوا حقيقة ما حدث

وكما قلت قبلا إن أهل القرية جميعهم يحبون « مانى » ما عداى فتأثروا لما أصابه

لم ينبس أحدنا ببنت شفة ، حتى فرغ الطبيب من الفحص ، فرفع إلينا وجهاً متجهماً ، فكان ذلك جواباً كافياً وفر على السؤال

تكلم بهدوء قائلا : إن إصابته خطرة جدا ، فليخبر أحدكم مستشفى « آردين » ليرسلوا نقالة لحمله . ثم التفت وسألنى عن كيفية وقوع الحادثة فأخبرته بما حدث ، فأومأ برأسه فاهماً

غير أننى لاحظت الخمسة الآخرين ينظرون إلى مستغربين ، ورأيت واحدا أو اثنين — لا أتذكر — ينظر إلى متشككا

عشر دقائق مؤلمات مرت قبل أن تصل النقالة . ولم تمض دقيقة أخرى حتى كان الطبيب ومانى فى الطريق إلى مستشفى « آردين »

شعرت بحمى خفيفة ، وذهبت إلى حيث أستطيع أن أتنفس ، لأن هواء « الجراج » يكاد يخنقنى . وقبل أن أصل إلى حيث أردت ، سمعت قائلا يقول : فيلد ، دقيقة من فضلك ، لا يمكننى أن أدعك تذهب الآن

فالتفت قائلا : ولم ذلك يا جاك ؟ ألم تصدق ما أخبرت الطبيب به ؟

وظهر فى هذه اللحظة الأربعة الآخرون

— لا ، لا ، إن أحدا لم يصدق ذلك لما نعرف من مبلغ حقدك على « مانى »

تملكنى غضب مفاجىء . إنهم يظنون أننى فعلت ما فعلت عن عمد وإصرار

ظننتنى قادراً على إقناعهم بادىء الأمر بأن ما حدث لم يكن إلا مصادفة سيئة ، أما الآن فإن ذلك لا يزيد مركزى إلا حرجاً

انثنيت إلى جاك قائلا : تظننى حاولت قتل مانى ؟ أليس كذلك ؟ ! حسن ، ظن ماشئت ، فلست أبالى . والآن تفضل بالخروج وإلا أصابك ما لا يرضيك

فكان جوابه أن رفع يده وضربنى بقوة ، إلا أننى تحاشيت ضربته بحركة خفيفة من رأسى ، فاستدار حول نفسه وسقط على الأرض يتدحرج

فلما رأى الأربعة الآخرون ما حل بصاحبهم هجموا على دفعة واحدة كالذئاب الكاسرة يريدون تمزيقى . وسمعت « لودين » يقول : آه ... هل تقدر أن تفعل بنا ما فعلت بمانى . إيه ؟ حسن . إنك لا تقدر . إننا لا نتصارع من أجل جائزة كما تفعل ، ولكننا سنلقى عليك درسا لن تنساه مدى الحياة

دافعت عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن ما حيلتى إزاء خمسة رجال أشداء ؟ نعم أسقطت اثنين منهم ولكن الباقين تمكنوا منى وضربونى ضرباً مبرحاً . وأخيراً وجدتنى ممدداً على الأرض مشرفاً على الإغماء

أذكر أننى سمعت « لودين » يتكلم بالتليفون طالباً نقالة أخرى ، وبعدها لم أكد أفقه شيئا مما يدور حولى ، إذ أن الإغماء غلبنى

فلما أفقت رأيتنى على سرير أبيض من أسرة المرضى ، ثم رأيت ممرضة منحنية فوقى وكان إلى جانبها طبيب فعرفت أننى فى المستشفى . سأل الطبيب الممرضة عن حالى فأجابته أننى أحسن من ذى قبل . ثم التفت إلى مستفهما : ما الذى حدث ؟ !

فأجبته بصوت ضعيف : تشاجرت . ثم سألت : هل كسر شىء ؟ !

فقال الطبيب مغمغما : تشاجرت ؟ وتابع فرحا : آه ، لا ، لم يحدث شىء مما تعنى ، إنما كل ماهنالك رضوض لن تلبث أن تزول آلامها فيمكنك أن تخرج بعد يومين . ثم انصرف

أردت أن أسأل عن « مانى » ولكن حالتى كانت من ضعف بحيث لم أستطع معها أن أتكلم . سرى بى التفكير إلى ...جال الذين أشبعونى ضرباً . ومن الغريب أننى لم أشعر نحوهم ...رة من الحقد ، وكأن ما حدث لم يكن إلا خيالات وأوهاماً

غير أننى سعيد ، سعيد لأن عظامى لم يصبها عطب ، وإلا كانت الدنيا لدى أضيق من سم الخياط . وأدركت أخيراً أن ...لى كان جنونيا . ترى من يصدقنى إذا قلت إننى دفعت « مانى » ...نعة لم أبغ من جرائها قتله ؟ !

وفجأة وثب إلى ذهنى خاطر أذهلنى ، واصطكت أسنانى ...عبا ، وهو ما سيكون شأن الشرط معى إن ... إن هو مات ؟ !

انقبض صدرى لهذا الخاطر المروع ، وكدت أصيح بكل ... فى حنجرتى من قوة . والفضل فى إنقاذى من هذا الموقف ...ممرضة التى دخلت فى تلك اللحظة فأزمعت سؤالها عن مانى ، ...ت :

— إن لى زميلا هنا اسمه « مانى بيترز » كيف حاله ؟

فأجابتنى بصوت هادئ :

— إنه فى حالة سيئة ، وإنه الآن فى غرفة الجراحة لإجراء ...ية جراحية خطيرة

فسألتها بلهفة :

— هل تدعيننى أذهب لأرى مايعملون ؟

ففغرت فاها متعجبة ، ولكنها لم تلبث أن استعادت ثباتها ...مهدت بأنها ستفعل ، وتركتنى وانصرفت

قضيت مدة أتقلب على فراش الألم خائفا مذعوراً مما سيحدث لمانى . لم أكن أشتكى فى ذلك اليوم من شئ ، غير أننى ...ت منزعجاً مما سيحدث لى

وفى ذلك المساء أقبلت الممرضة قائلة :

— إن الأمل فى نجاح العملية كبير جدا ، ولو أنهم لم يخبروا ...دا ، وإننا سنعرف عنها فى الصباح كثيرا

كنت أريدها أن تقول إنه سيعود كما كان دون أن يكون فى ...نا هذا ذرة من الشك . لذا بقيت فى حيرة من أمرى ، مما أثر ... حالتى وأخر شفائى

وفى صباح اليوم التالى رأيت الممرضة مبكرة على غير عادتها ، فأحسست أن دقات قلبى توقفت ، وأن الدم قد جمد فى شراينى . وتمثل أمامى بعين الخيال مانى ممدداً على السرير جثة هامدة . ياله من منظر مخيف تقشعر منه الأبدان ! وسألتها : ماهذه الضوضاء ؟ هل هو مانى ! هل ... هل مات ؟

— لا ، ولكنه يسير من سيئ الى أسوأ ، وقد سأل عنك ، فهل فى استطاعتك أن تذهب إليه ؟

لم أجبها عن سؤالها ، بل أسرعت فى إلقاء الأغطية عنى ، وحاولت القيام فلم تسعفنى أعضائى المنحطة ، فجلست على مضض حاولت أن أسترد قوتى ، غير أن رأسى كاد ينفجر فأسرعت الممرضة نحوى ، ومددتنى على السرير بهدوء ، ثم قالت بقلق ظاهر : سآتى بنقالة لحملك ، فأخبرتها أننى قادر على المشى على قدمى ، إذا هى ساعدتنى . ففعلت ، ووصلنا إلى غرفة « مانى »

انحنيت فوقه ، وسألته عن حاله ، فأجابنى ، وفى عينيه تلك النظرة البريئة الطاهرة : إن رأسى يكاد ينفجر ، ولكننى أحببت أن أراك حين علمت أنك أصبت أنت أيضا ، ورغبت أن أراك سليما معافى

شعرت بالدموع تجرى على خدى حارة غزيرة . يمكن أن يكون معتوها ، ولكننى لم أر قلبا بريئا طاهرا مثل قلبه

عرفت أنه لم يتذكر ما فعلته به ، ولا كيف كنت أعامله دائما وشعرت لأول مرة فى حياتى منذ أن كنت طفلا ، بشوق إلى الصلاة ، فأخذت أصلى ، وأصلى بحرارة . صليت وابتهلت إلى الله ، من أجل — مانى — ليشفى ، ولأستطيع أن أدعه فى « الجراج » . وكأن دعائى أجيب ، إذ أن — مانى — ترك المستشفى بعد شهر منذ دخوله وقد عاد كما كان لم يتغير

إنه الآن يقضى جميع أوقاته إلى جانبى فى الجراج ، وإنه لم يعد يحدث لى المتاعب . إننى أرغب أن يكون دائما هناك ، لأنه يزيل وحشتى فى وحدتى ، وقد جعلنى أشعر بالشفقة والحنان لكل من يكون مفتقرا إليهما

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أ كيرمان *
* كل امرئ يأتى عليه حين من *
* دهره يظن فيه أن آلام *
* فرتر إنما كتبت *
* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشا)

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٣٧٤٩٠

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٥ — ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرّسالة والرّواية

فهرس العدد

٣٩ ، ٢٧

20 me année No 1005

Le Caire 6 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٧٢ — ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نحن الشعب نريد

للأستاذ سيد قطب

نحن الشعب ندرك اليوم أن فجراً جديداً قد طلع ، وأن عهداً جديداً يظلل هذا الوادى ؛ وندرك أن وثبة الجيش المباركة هى التى أطلعت ذلك الفجر ، وبدأت هذا العهد ، وأن هذه الوثبة المباركة ليست لحساب فرد أو هيئة أو حزب ، وإنما هى لحسابنا نحن الشعب !

نحن الشعب ندرك أن الذين قاموا بالثورة حملوا رؤوسهم على أكفهم ، وساروا فى ظلام دامس ، فى طريقهم الشوك ، وفى قلوبهم الشعلة ، وفى وجوههم الخطر . بينما كان كبراء هذا البلد فى مصايفهم الناعمة بأوربا ، يحف بهم النعيم ، وتراودهم أخيلة الحكم ، وتداعبهم أحلام الماضى !

ونحن الشعب نريد أن نعمل مع الذين واجهوا الخطر فى الظلام الدامس ؛ وأن نتخلى عن الذين استمتعوا بالنعيم ونحن هنا فى قبضة البؤس والظلم .. ذلك أننا نعرف أن الأبطال الذين كافحوا كانوا معنا ، والكبراء الذين استمتعوا كانوا علينا !

***

نحن الشعب ندرك أن الإقطاع قطر من عرقنا كؤوساً شهية للسكارى ، وجمد من دمائنا يواقيت فى نحور الغوانى ، وجمل من رفات آبائنا وأجدادنا سماداً للأرض الطيبة كى تزيد غلاتها لحسابه .. ونعرف أن محترفى الحكم وتجار السياسة قد انضموا إلى جلادينا الإقطاعيين ، وأصبحوا منهم ذوى ملكيات واسعة ، ولم ينضموا إلينا نحن الكادحين فى الأرض .. حتى قامت وثبة الجيش الأخيرة .. هنا فقط قال حماة الوادى للجلادين : مكانكم ! وهنا فقط ردت الأرض إلى ملاكها الحقيقيين

ونحن الشعب نريد أن ننبذ محترفى الحكم وتجار السياسة الذين وقفوا فى صفوف الإقطاع ولم يقفوا فى صفوفنا . وأن نحمى ظهور حماة الوادى من دسائس الإقطاعيين وحلفائهم من محترفى الحكم وتجار السياسة !

***

نحن الشعب ندرك أن الرأسمالية قد فتلت لنا حبال المشانق فى صورة قوانين ولوائح . وسلطت علينا البوليس السياسى يطاردنا فى المعامل والمصانع . وحرمت علينا تكوين النقابات وتكوين الاتحادات النقابية إلا بإذنها ورضاها ، وإلا بجواسيسها وأذنابها .. ونعرف أن مستغلى النفوذ من الوزراء والمستوزرين قد باعوا أنفسهم لهذه الرأسمالية ، مقابل صفقات رابحة ، وعضويات فى مجالس الشركات ، وأذون استيراد وتصدير .. وأن الوثبة الجديدة وحدها هى التى مزقت البوليس السياسى ، وقلمت

أظافر الرأسمالية . وأطلقت للنقابات العمالية حرياتها ، ومهدت لقيام اتحاد النقابات على أسس سليمة ، واعترفت بشرعية هذا الاتحاد

ونحن الشعب نريد أن نتخلص نهائيا من المستغلين الذين باعوا أنفسهم للرأسمالية . وأن نتكتل وراء الوثبة الجديدة التي خلصتنا من براثنها المخيفة

* * *

نحن الشعب ندرك أن وزراء العهود الماضية كانوا ينتظرون إشارة صغيرة من مولاهم ليدوسوا الحريات ، ويعطلوا الصحف ، ويحطموا الأقلام ، وأن البرلمانات كانت وراءهم توافق لهم على القوانين ، وتعترف لهم بشرعية الطغيان ، وتقفل باب المناقشة عندما يجبها الحق .. ونعرف أن الثورة المقدسة هي التي قالت لمولاهم : تنازل قبل الساعة الثانية عشرة وارحل قبل الساعة السادسة . وهي التي أملت على التاريخ صفحة جديدة من العزة والكرامة ، وطوت صفحة قديمة من الذل والصغار ، وتركت حتى خصومها الكائدين لها ، يثرثرون في صحافتهم ، ويملأون الدنيا ضجيجا وعجيجا . لأنها تؤمن بالحرية حتى لأعدائها

ونحن الشعب نريد أن نطوي صفحة هذا الماضي بملكه ووزرائه ومستوزريه ، وزعمائه ومتزعميه . نريد أن نطوي هذه الصفحة المخزية ؛ لنفتح الصفحة الجديدة التي أملتها الوثبة المقدسة على التاريخ . لأننا شعب له كرامة ويجب عليه أن يحمي هذه الكرامة

* * *

نحن الشعب ندرك أن تجار السياسة استغلوا حماستنا الوطنية، وتطلعنا إلى الحرية والاستقلال ، وحرصنا على أن نكون أمة لائقة بماضيها التاريخي ، ليتجروا بها كلها في الأسواق الدولية والأسواق الداخلية . وأنهم لذلك أثروا على حسابنا ثراء فاحشا ، ولو أنهم استغلوا تجارا في أية سلعة ما أثروا مثل هذا الثراء الفاحش . وأنهم على استعداد أن يستغلوا حماستنا الوطنية من جديد ، ليزيدوا بها ثراء على ثراء ، وترفا على ترف ، وقصورا على قصور .. ونعرف أن الوثبة الجديدة وحدها هي الوثبة النظيفة . لأن رجالها لا يزالون يعيشون عيشة الشظف : يسهرون والناس نيام ، ويعيشون على أخشن الطعام . ولا يعرفون مصايف مصر فضلا على مصايف العالم ومغانيه

ونحن الشعب نريد أن نقول للممثلين على مسرح الوطنية : أسدلوا الستار فقد سئمنا الرواية ! أسدلوا الستار واذهبوا فإن فجرا جديدا قد طلع . وإن عهدا جديدا يظلل هذا الوادي

سيد قطب

محمد رسول الله

للأستاذ علي الطنطاوي

كتب كتاب فى الرسالة عن الرسول صلى الله عليه وهل كان يعلم الغيب أم أن الغيب شئ قد اختص الله نفسه بعلمه . فكتبت كلة صغيرة لتنشر فى البريد الأدبى ، ثم رأيت أن الأمر أكبر من ذلك وأنه لا يكفى فيها تحقيق هذه الجزئية ؛ بل لا بد من تصحيح عقيدة كثير من المسلمين بالنبى صلى الله عليه وسلم

إن القرآن بين بيانا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، ولا مجال لتأويل ولا تبديل، بأنه صلى الله عليه وسلم بشر يوحى إليه ، فهو فى ولادته وفى منشئه وفى صحته وفى سقمه ، وفى حياته وفى موته ، بشر كسائر البشر ، وإن كان الله قد اختصه بأسمى الصفات (البشرية) فى الخلق والطبع والسلوك والمواهب ، وأنه فوق ذلك يوحى إليه كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبله ، ولا يوحى أبداً لأحد من بعده ، لا لإمام من أئمة آل البيت ، ولا للمتنبئ ولا لمدع العيسوية فى قاديان . هذه هى العقيدة الصحيحة ، فهل المسلمون كلهم عليها ؟

إن كثيرين من المسلمين ، ولا سيما من يدعى التصوف منهم يرفعون النبى صلى الله عليه وسلم فوق البشر ، ويصفونه بصفات الألوهيــة ، والأدلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، وأنا أمثل على ذلك بقصائد تتلى صباح مساء ، ويتبرك الناس بها ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله بتلاوتها وإنشادها ، وفيها الكفر الصريح . الذى يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيمانا ، فكفار قريش كانوا إن ركبوا الفلك ، ودهمتهم الشدائد دعوا الله ، كما أخبر بذلك القرآن ، والبوصيرى صاحب قصيدة (البردة) التى يتلوها المسلمون خاشعين كأنهم يتلون القرآن ، يقول للنبى صلى الله عليه :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ومن المعلوم أن أقوى طرق القصر عند علماء البلاغة هو النفى والإثبات ، ولذلك كانت كلة التوحيد ، لا إله إلا الله : نفى الألوهية عن الجميع وإثباتها لله وحده

وهذه القصيدة الأخرى ، التى كان مشايخنا ... يتبركون بها ، ويتأدبون عند تلاوتها . قصيدة (ما أرسل الرحمن أو يرسل) ، يقول صاحبها مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم

عجل بإذهاب الذى أشتكى فإن توقفت فمن أسأل ؟

وأصرح من ذلك قول الشيخ عبد المجيد الخانى ، مؤلف الحدائق الوردية :

رسول الله لى بصر كليل وأنت بكل أحوالى بصير
رسول الله مالى من نصير سواك الدهر يا نعم النصير
لعمرك يا أجل الرسل إنى لما أنزلت من خير فقير
فإن أدركتنى بخفى لطف فدهرى لا يضر ولا يضير

هل يشك أحد ممن يفهم الكلام العربى ، بأن هذا الرجل يؤله محمداً ، ويعبده ، ويخاطبه بما جاء فى القرآن خطابا لله عز وجل (رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير) ؟

والأحاديث الصحيحة ، قد بينت أنه صلى الله عليه وسلم ولد وربى كما يولد ويربى لداته من أبناء قريش إلا أن الله عصمه من عبادة الأصنام ، ومن الكذب والغش وسائر شرور اللسان والقلب ، وجعله على خلق عظيم لم يجعل عليه بشراً غيره فى كل عصور البشرية ، وتأتى مع ذلك هذه الموالد التى يتلوها الناس ، وأشهرها مولد العروس عند العامة ، ومولد البرزنجى عند الخاصة ، وكلاهما محشو بالكذب ، فتجعل الوحوش تتباشر بولادته ، بأفصح الألسن القرشية ... وأنه حضر أمه ليلة مولده آسية ومريم فى نسوة من الحظيرة القدسية ... وأن جده وأمه كانا يعرفان بأنه خاتم الأنبياء ، مع أنه هو صلى الله عليه ، لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وأنه لما جاءه الوحى ذهب يقول زملونى ، دثرونى ، حتى أخبره ورقة أن هذا هو الناموس الذى كان ينزل على عيسى

وبعض المسلمين لا يعتقد أن الرسول ميت ، ويراه حيا فى

قبره مثل حياتنا، حتى أنه كان فى حينا (فى المهاجرين - فى دمشق) خطيب كان يقول فى خطبته مسجعاً : « قال صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره حى: البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على، وناقشه بعض طلبة المدارس . فأكد لهم أنه حى فى قبره ، وأن فلانا (ومشايخ الطرق) ، وقف عند القبر ، وقال من قصيدة :

« فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى »

قال : فخرجت اليد الشريفة من جدار القبر حتى قبلها

وأمثال هذه الأكاذيب التى لا يقرها عقل ولا نقل، ولا يقبلها شرع ولا طبع

والله يقول للرسول : (إنك ميت) ونحن ننكر موته، ففيم إذاً نقرأ السيرة . ونقول إنه ولد سنة كذا . ومات سنة كذا ؟ وفيم نصب الخلفاء من بعده ؟ ولماذا لم يرجعوا إليه يوم اختلفوا فى السقيفة وكاد ينصدع أمر الإسلام ، وهو مسجى لم يدفن بعد؟

إنه حى عند الله حياة برزخية روحية الله أعلم بها — أما بالنسبة إلينا فهو ميت — قد مات ودفن كما يموت سائر الناس ويدفنون ، وإن كان قد ورد أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأن الله يوكل ملكا يسمعه السلام عليه ، أو يرده عنه . وهذه كلة وإن صح طريقها إخبار آحاد ، لا تثبت بها عقيدة — ولا يبنى عليها علم ، كما هو معروف من علم الأصول

والغريب فى المعجزات أنك إن رجعت إلى كتب الصحاح وإلى السير الأولى كسيرة ابن إسحق ، لم تجد إلا شيئا منها قليلا، فإن ذهبت إلى الكتب المتأخرة كالسيرة الحلبية مثلا وجدتها فياضة بذكر العشرات من المعجزات التى لم يكن لها ذكر فى الكتب الأولى . ونحن لا ننكر المعجزات ، ولكنا نجد فى القرآن ما يرد على طالبى الآيات من المشركين، بأن القرآن هو الآية الكافية التى لا تحتاج إلى شىء معها

ومن المسلمين من يجعل المنامات والرؤى أصلا من أصول الشرع ويبنى عليها أحكاما وأوهاما ويتخذها سبيلا إلى اجتلاب المنافع ، ودرء المفاسد ، ويستندون إلى حديث « من رآنى فقد رآنى حقا » مع أن العلماء قد نصوا على أن الشرط فى ذلك أن يراه على الصورة التى وصف بها فى كتب الحديث وفى الشمائل . ولا يبنى على الرؤيا مع ذلك حكم شرعى

هذا وأنا لا أذكر درجة هذا الحديث — وليس تحت يدى وأنا أكتب هذا الفصل شىء من الكتب أرجع إليه وليس عندى وقت للمراجعة

وبعضهم يخالف ما عليه الإسلام من جهة تقديس أسرته ، وتفضيلهم بمجرد النسب ، مع أن الفضل فى الإسلام للتقوى والمزايا الشخصية . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا » ويحتجون بآية (إلا المودة فى القربى) جاهلين معناها ومساقها

وآخرون من المسلمين يظنون أنهم يمدحون الرسول ويعظمونه ، بوصفه بأنه جميل الوجه ، ومدح عينيه وجماله، وذكر العشق والوصال ؛ وينشدون فى ذلك الأناشيد فى الإذاعات — أيام المواسم — ويسمونها أناشيد دينية ، وما هى إلا تقليد للترتيلات الكنسية النصرانية. وقلة أدب مع الرسول ، ولا أصل لها فى الإسلام ولا يرضى بها الشرع ولا الذوق ولا الأخلاق . ويجب شرعا منع إذاعتها

هذا وقد نجمت طائفة من شباب المسلمين . . تنكر الوحى وترى النبي صلى الله عليه وسلم عبقريا فقط ، وبعضهم ينسب العبقرية للشعب العربى ، ويرى بأن الرسول أثر لها — وكل هذا اتباع للمستشرقين والملحدين، ولبعض النصارى من أجراء الأجانب الذين أفسدوا الإسلام فى بلاد الشام باسم القومية العربية ، والانتصار لها والدفاع عنها. . وسنفصل الكلام فى العربية والإسلامية فى مقال آخر إن شاء الله

وبعد فإن من أوجب الواجبات على العلماء والخطباء وأرباب الأقلام الإسلامية ، أن يردوا أتباع محمد إلى العقيدة الصحيحة فى سيدنا محمد صلى الله عليه ، الذى كان بشراً يوحى إليه ، ولم يكن إلهاً يعبد — ولا جميلا يعشق ، ولا نابغة عبقريا فقط

علي الطنطاوي

صوت الهجرة

للسيدة وداد سكاكيني

ما كانت الهجرة إلا مركب الأسنة الذى يضطر إليه أحرار الفكر والرأى ، أو اللهيف المتشوق إلى آفاق جديدة للرزق والمعرفة ، فإن الوطن عزيز لدى أهليه وساكنيه ، إذ يعيش المرء فيه كما تعيش الشجر فى منابتها ، فمنذا الذى فارق بلده وذويه ولم يؤلمه البعاد والنزوح طوعاً أو كرها ؟

لو عرفنا شعور الطير الذى يسمونه السنونو وقد كتب عليه فى الحياة أن يترك عشه إلى أفق بعيد، يفرد فيه جناحيه، لأدركنا عمق الأسى والحنين ، فى مغادرة المنزل المألوف والأرض المعهودة أبداً نرى الذين جلوا عن بلادهم ومعاهدهم متلهفين عليها ، لاهجين بذكرها وآثارها . ولكم علق نظرى بأسماء يونانية أو إيطالية كأثينا والأكروبول وفينيسيا وسواها ، سميت بها بعض المتاجر والملاهى بمصر ، فقلت يالله ! أقام الروم طويلا بضفاف النيل ، وظلوا متعلقين بالوطن الأول . وفعل مثلهم أكثر المهاجرين من العرب إلى الديار الأمريكية والإفريقية ، فأنشأوا بيوتا وأسواقا على طراز ما عرفوا فى بلادهم وحافظوا على لهجاتهم وتقاليدهم ، وقديما بقيت الأندلس على عربيتها شرقية أصيلة

هذه خواطر طوفت بخيالى وفكرى وأنا أتصور هجرة الرسول محمد بن عبد الله ، وجعلتنى أتساءل : ترى كيف كان شعور الرسول فى تلك الليلة الخطيرة ، فإن السيرة لم تقل لنا كل شئ ، وما التحاور الذى كان بين محمد عليه السلام وبين صاحبه المحزون وهما يسريان فى أناة وحذر ، والبيداء تطويهما نحو المدينة ؟ لقد بقى كثير من ذلك التحاور فى ضمير الزمن ، ولم يستطع الفن ولا الأدب أن يكشف عنه حرمة وتهيبا

إن فى معنى الهجرة بتلك الليلة المرصودة ما يتعايا دون تصويره القلم واللسان لأنه يحتوى فيما يحتوى فراق الأهل والبلد ، لا لاكتساب الرزق والصيت أو لالتماس السلوى فى تبدل الوجوه والآفاق ، بل من أجل هدف أسمى وأغلى ، وفى سبيل إنسانية مثلى ، تجعل كل بلد يذكر فيه اسم الله ورسوله وطناً لمحمد ، فإن هذا الدين الحنيف لم يولد ليبقى بين الجبلين الاخشبين أو لتهفو إليه الأفئدة من صوب أبى قبيس فحسب ، وإنما أراد الله أن يعم العالم بالهدى والرحمة ، ويخرج به الناس من الظلمات إلى النور

فمن أجل هذه الرسالة الخالدة فارق محمد بلده مضطرا مقهورا ، حتى عاد إليه مؤيدا منصورا ، وفيه أعد الشمل الكبير الذى أمسك به أبو بكر ثم سلمه من بعده إلى عمر

لقد أقبل محمد بصاحبه الصديق على يثرب فى لهفة وحسبان وإشفاق على من تركهم فى مكة حيارى يحذرون كيد المتربصين وعنت الأعداء ، فتلقاه غطاريف الأوس والخزرج بالنصر والإيمان وراحوا يفدونه بالأرواح مخلصين ، ويستجيبون لدعوته مؤيدين

وكان من شأن أكثر الفاتحين أن يدمروا البلاد التى يأخذونها ، ولكن محمدا لم يهدم إلا الأصنام التى لكزها فانحدرت منكسة محطمة من أعلى الكعبة ، ولم يكن عجبا فى الدهر أن تحارب المدينة مكة ، فقد حاربت اسبارطة أثينا ، وكلتاهما من موطن واحد ، وأشهدتنا الأيام القريبة حرب الجنوبيين فى أمريكا للشماليين ، على أن حرب الرسول عليه السلام ما كانت إلا لتحقيق الرسالة الإلهية التى أداها إنقاذا للانسانية التى ضلت سبيلها ، وتاهت فى جاهليتها متنكبة عن الخير والهدى ، ولم يكن جهاده طمعا فى مآرب الدنيا والسيطرة على أهلها ، بل فى سبيل كلمة أراد أن تحق فى الدنيا وأن تكون هى العليا ، فإذا مرت هذه الذكرى بعد ترادف العصور بقيت خافقة بالحياة كأنها قد جرت البارحة ، وإلا فما قيمة التاريخ ، وما تعب الزمان فى حفظ الأحداث ورواية الخطوب

إن كل تاريخ لا يروى لنا الذكرى ويبعثها حية خافقة فى النفوس لهو فى نظرى تابوت ترقد فيه مومياء ، ولهذا لا ينبغى أن نمر بذكرى الهجرة مرور الحفاوة والتكريم كمن يفرح بعيد جميل قد مر بحياته أو بفرد من أفراد أهله ، وإنما ينبغى أن نحس فى ذكرى الهجرة بمثل ما أحس المؤمنون والأنصار حين أقبل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه صاحبه يتخففان من كيد المتمردين والحاقدين ، ويستأنسان بمن شد الأزر وفتح الصدر للرسالة التى جمعتهم على محبة وإيمان وعزم لم تزعزعه المحن والفتن ، ولا هدته الصدمات والملمات

مشاكل الجامعة

ترقيات المدرسين بالجامعة

للأستاذ محمد رجب البيومي

ينظر المهيمنون على شؤون التعليم نظرة إشفاق على المستوى الجامعى الذى أخذ ينحدر شيئا فشيئا — فى مختلف كليات الجامعات — حتى أوشك أن يهبط إلى الحضيض ، وتتضح هذه الحقيقة المؤلمة حين تجلس مع طالب فى السنة الأولى بإحدى كليات الجامعة ، وطالب آخر قد أتم سنواته الجامعية ، فلن تجد فرقا واضحا بين التفكير العلمى لدى الطالبين ، فكلاهما يشترك مع طلبة المدارس الثانوية فى تلقين الدروس ، وكتابة المذكرات وحشو الذهن بالمواد المتزاحمة ، دون أن تتسع لديه البصيرة النافذة ، والتمييز الدقيق ، ودون أن تفيده الجامعة ما ينبغى أن يتمتع به من التفكير السليم ، والاستنتاج العلمى المرتكز على قواعد من البحث والتعليل ، ودون أن تخلع عليه الجامعة روح الابتكار والشمول المستوعب لدقائق الموضوع ، مما يدفع بك إلى التساؤل عن سر هذه النكبات المتلاحقة التى أخذت تترصد الجامعيين ، وتسد أمامهم الطريق

ونحن نلقى التبعة دائما على السياسة الحزبية التى صرفت الطلاب عن واجبهم العلمى ، وقذفت بهم إلى لجج من الفوضى والاستهتار ، وهذا حق لا مرية فيه ، ولكن الحق أيضا أن نذكر نصيب الأساتذة فى هذه التبعة الفادحة ، فلا نجبن عن إعلان دورهم الرئيسى فى تمثيل هذه المسرحية الحزينة ، دون أن نقيم أى اعتبار لغير الصدق الذى لا يعدم النصير !

لقد كانت جامعة فؤاد الأول منذ أعوام حافلة بذخيرة ثمينة من الأساتذة الذين يتبوءون مناصبهم العلمية عن جدارة واستحقاق ، وكانت مع ذلك تستقدم من أساتذة أوربا أعلاما يدوى صيتهم العلمى فى أنحاء العالم ، فيقومون بتوجيه الطلاب أكمل توجيه ، وينمو على أيديهم غرس زاهر يؤتى الثمر ويمد الظلال ، ثم أنشئت جامعتا فاروق وإبراهيم — وسينشأ غيرهما من الجامعات — فأخذ ولاة الأمور يبحثون عن أساتذة يملأون الفراغ بجدارة مشرفة ، فلا يجدون غير أساتذة الجامعة الأولى ، فتخطفتهم الجامعات تخطفا غير عادل ، دون أن يكملوا النقص الشاسع المديد ، واضطر المهيمنون على الجامعات أن ينشروا الإعلانات فى الصحف باحثين عن مدرسين أو مساعدين يقضون حاجات المعامل والفصول والمدرجات ، وكأنهم يبحثون عن مبنى « للبيع » أو شقة للايجار ، وهم معذورون فى ذلك مهما ثلمت كرامة التدريس الجامعى ، فالمضطر يركب الصعب فى أتعس الأحوال ! وحين لم يجدوا من تتوفر فيهم الكفايات المنشودة ملأوا الأماكن بالمعيدين وأضرابهم من ذوى الحداثة فى السن والتوجيه ، وهؤلاء كانوا منذ شهور يتلقون الدروس ، فأصبحوا بمعجزة خارقة مدرسين يقومون بالشرح والتفهيم ، ولن ننكر ما قد يكون لدى القليل من النضوج والاستعداد ، ولكن الكثرة الغالبة فى حاجة ملحة إلى التمرن بالمدارس الثانوية من

فما أروع المعانى التى احتوتها هجرة الرسول ؛ وماأحرانا بأن نبعثها فى حياتنا الراهنة فنحققها ونستمد منها القوة والاعتبار .

بل ما أجدرنا بالتعاون على قهر العدو الذى يكيد لنا ، وأى كيد أدهى وأمر من تشريد أهل فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم ظلما وضيما ، مستجيرين من دخيل غاصب أصبح بعون الطغاة الغاشمين صاحب الدار ؟ فهل يتاح لهؤلاء المهاجرين المقهورين رجعة إلى ديارهم وبلادهم ؟

من هنا ينبغى أن نفكر فى ذكرى الهجرة بما صنع البغى بالنازحين واللاجئين ، وأن نذكر أن عودتهم ونصرتهم تحققها كلمة الرسول وتعاليمه إن اتبعناها وما كانت لترضى بقبول الظلم والهوان ، فإن رسالته وضحت كل شأن وقالت بأن لا نقيم على ضيم وخذلان ، ولا نستخذى لغاصب لئيم ، فنى هذه الذكرى يجب على كل بيت ومجتمع ، ألا يقر له قرار إلا بالعمل على انتزاع شوكة الطغيان والعدوان من دنيانا التى ألمت بها أشتات الخطوب والمحن ؛ حتى إذا مرت الذكرى بعثت الهمم وسددت الرأى والخطى ، وفتحت أعين الرجال والنساء على عهد جديد فى هذا الشرق الذى يستعيد اليوم مجده ويتحرر من أغلال الظلم والفساد

القاهرة وداد سكاكينى

جهة ، وإلى البعثات العلمية من جهة أخرى ، ليجدوا فى عقولهم ما يقدمونه إلى الطلاب فى مختلف المواد ، بل إن الكثير من هؤلاء المعيدين يتملقون زملاءهم الطلاب — سترا للضعف العلمى بما يعود بالخيبة والإخفاق ، وهذه جناية التقليد الضرير الذى يأخذ بالقشور دون اللباب ! وليت الجامعات واصلت الاستعانة بأساتذة أوربا فى الكليات العملية — على وجه الخصوص — فهى فقيرة إلى الأكفاء من الأساتذة ، بل وإن التسرع العاجل قد حال دون الانتفاع بذوى الكفاية والمواهب ، دون أن نعرف سببا منطقيا ينأى عن العواطف والنزوات ، مع أن جامعات الغرب — فوق تقدمها الملموس — تستقدم من أساتذة الشرق من ترى فى انتدابهم النفع والسداد ، فلم لا نقلدها مخلصين فى ملء هذا الفراغ ؟ أكبر الظن أننا نثق إلى حد مضحك فى كفاءة المعيدين ، قانعين بالإعلانات المتكررة فى الصحف والمجلات

وأنت تنظر إلى مناصب الدولة عندنا فتجدها متخمة بأساتذة الجامعة السابقين من ذوى القدرات الممتازة ، فتتساءل عن هذا الفرار السريع من ميدان التربية والتدريس ، مع مانعلمه من حرص الأساتذة فى جامعات أوربا على التدريس بالجامعات رغم المغريات اللامعة ، وقد يكون المغنم المادى جزيلا خارج الجامعة ، أو يكون للمنصب الجديد بريق يؤذن بالنفوذ والأبهة والجاه ، قد يكون هذا وذاك ، ولكن يجب أن نذكر أن ازدحام الجامعة بمن لا يصلحون للتدريس قد زين الفرار لأساتذتها من ميدانهم الأصيل ، كيلا يجتمع الطيب والخبيث فى منزلة واحدة أمام الأنظار

وإذا كان لابد من الترقية لهؤلاء المعيدين ، ونظرائهم من المدرسين والمساعدين ، فعلى أى منوال تكون الترقية القريبة من العدالة والإنصاف ؟ لقد تطاحنت الآراء حول هذا الموضوع تطاحنا وصل صداه إلى الصحف والأندية ، وجاوز الحرم الجامعى بأميال ، ففريق يؤمن بأن الأبحاث العلمية هى الميزان الدقيق للكفاءة الممتازة والترقية العادلة ، وفريق يخالف ذلك مخالفة شديدة ، ويجهر بأن الأبحاث العلمية لا تصلح ميزانا عادلا للترقية فى درجات التدريس ، ولهذا الفريق المتحمس أدلته التى لاتخرج عن نقاط ثلاث

(١) أن التدريس ملكة مغايرة للبحث ، إذ قد يكون من لا يجيد البحث والتأليف مدرسا لامعا من أحسن طراز

(٢) أن الأبحاث العلمية ستكون طوفانا حافلا بالمكرر التافه من الآراء ، إذ لا يتسنى لكل مدرس أن يبتكر الطريف النافع ، فيلجأ إلى النقول الزائفة ، والتلفيق السخيف

(٣) أننا بتقديس الأبحاث نجحد الاكتشافات العلمية ، التى تستنفد الوقت الطويل للوصول إلى مخترع حديث ، أو علاج جديد ، وبذلك لن يتقدم العلم خطوة واحدة ، بل ربما رجع إلى الوراء

وقد تبدو هذه النقط الثلاث مقبولة عند النظرة الأولى ، ولكنا بعد التأمل الفاحص نجدها زائفة لا تستند إلى منطق صحيح ، وربما كان الهروب من التبعة الفكرية والاستقراء العلمى باعثا على اختلاقها وتصيد الأسانيد الموهومة لتدعيمها ، والجرى وراء الأقدمية المطلقة ، جريا يبعث على الدهشة والاستغراب ؛ فالنقطة الأولى التى تباعد ما بين البحث والتدريس صادقة بالنظر إلى تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية فقط ، فهم لا يحتاجون إلى العلم الزاخر والمادة الغزيرة ، بل يتطلبون المدرس الملم بالطرق الخاصة للتدريس ، وإن كان قاصر المادة محدود الاطلاع ، ليتمكن من تبسيط المعلومات وتيسيرها من طريق مختصر ، أما المدرس الجامعى فيجد أمامه طلابا فى مرحلة الشباب ، قد كمل نموها العقلى والجسمى والعاطفى ، وألموا بطائفة من المواد تساعدهم على استيعاب الأبحاث الجامسية ، وتهيئهم للبحث المتسع الأفق ، المتشعب النواحى ، القائم على أسس وطيدة من حرية التفكير وسلامة المنطق ، فهم فى حاجة إلى مدرس عالم مارس البحث العلمى ليشبع الرغبات النهمة ، ويفتح النوافذ الموصدة ، وبقدر مكانة الأستاذ العلمية يكون نجاحه وتوفيقه فى مهمته ، وإذا كنا نصادف فى القليل النادر من لا يوفقون فى التدريس الجامعى مع علو أقدارهم فى البحث والتأليف ، فهم من القلة بحيث لا ينبغى أن تتخذ منهم قاعدة عامة تندرج على الجميع . وأرى بهذه المناسبة أن تحتم الجامعة على كل من يتأهب للتدريس بها ممن يجدون من أبنائها المتخرجين ، أن يدرسوا مبادى التربية والطرق الخاصة ،

وعلم النفس دراسة مستوعبة ، لتنعدم الهوة الجاثمة بين البحث والتدريس لدى القلة الضئيلة من الجامعيين ، وإنى لأعجب كيف يكون المدرس فى التعليم الثانوى والابتدائى متخرجا من معهد التربية العالى للمعلمين ، ولا يكون المدرس الجامعى مشاركا له فى الدراسة بهذا المعهد الممتاز ، إذ أنه يواجه من مشاكل الشباب ومتاعبه وانحرافاته مثل ما يواجهه المدرس الابتدائى من مشاكل الطفولة ، والمدرس الثانوى من مشاكل المراهقة ، وجميع هذه المشاكل تدرس بتوسع مفيد فى معاهد التربية العالية ، ولن تغنى عنها الدكتوراه أو الماجستير فى شئ ، فلم لا نلتفت إلى هذا النقص الخطير ؟

وتأتى النقطة الثانية فنعلن أن الخوف من التكرار والتفاهة فى الأبحاث العلمية لا يجد مبررا يستند إليه ، فهذه البحوث تقدم إلى هيئة عالية محترمة ، تعرف الجيد من الردئ ، وتميز بين من يسلك النهج المنطقى فى العرض والاستقراء والاستنباط ، ويعمد إلى المشكلات الغامضة فيزيل خفاءها ويكشف إبهامها ، ويأتى بجديد يصحح فكرة خاطئة ، أو يغير وضعا فاسدا ؛ أجل ! هذه الهيئة المحترمة العالية تميز بين هذا الباحث الضليع ، وبين من يخبط فى بحوثه السقيمة خبط عشواء ، فيجمع إلى التفاهة والتكرار فساد المنطق ، وضعف التفكير ، ومتى كانت الموازنة عادلة صادقة ، فلا خوف على الدرجات الجامعية أن ينالها غير الأكفاء الناهضين ، ولن يغضب إنسان ما من كثرة الأبحاث وتنوع المؤلفات ، لأن الزبد يذهب جفاء ، بل ربما كان البحث المضطرب التافه سلما إلى البحث المعتدل الأصيل ، ولا يزال السائر فى الظلام يتخبط فى المجاهل والدروب حتى يشرق عليه الصباح الباهر فيهتدى إلى الطريق

أما ما يدعونه من جحود الكشف العلمى الجديد ، وعدم الالتفات إليه لدى الترقية من درجة إلى درجة ، فهذا لا ينبغى أن يقنع به أحد ، إذ أن الكشف العلمى — مع تشوقنا إليه — من الندرة والقلة بحيث لا يصلح أن يكون قاعدة جامعية عامة تطبق على الأساتذة والمدرسين لدى الترقيات ، فإذا وفق الله عبقريا جامعيا ، وخرج على الناس بكشف يزيد من سطور الحضارة ، ويضع لبنة فى صرح العلم ، فالجامعة إذذاك تقدره حق قدره ، وتجعله استثناء ممتازا للقاعدة التى تسير عليها دون أن يعترض عليها إنسان ، بل إن مكافأته الطيبة لن تقتصر على الجامعة وحدها ، بل تنتقل إلى الأوساط العلمية التى تشيد بالكفاح الذهنى وتحنى رأسها للدأب والنبوغ

إن البحوث العلمية ميزان عادل للترقية فى الجامعة ، وهى التى تدفع المدرسين إلى العمل المثمر ، وتقطع عليهم طريق التثاؤب والخمول ، وإذا وجد مدرس يتمتع بالبراعة فى التدريس دون أن يجيد البحث العلمى ، فمن الإنصاف لنفسه أن يظل مدرسا لا يرقى إلى الأستاذية بحال ، إذ أن الأستاذ الجامعى فى موضع جليل الخطر ، عظيم المهابة ، فيجب أن يمارس البحث الدائب ، والعمل الناطق ، وبغير هذه البحوث المتواصلة لن ترقى جامعة ، أو يتقدم شعب يعتمد على التربية الصحيحة ليشق طريقه فى ميدان الحياة

محمد رجب البيومى

إلى الأستاذ نبيل النجار المحامي

حول مقال إلغاء الدين الرسمي

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

ليس فى استطاعة أمة من الأمم أن تعيش فى حاضرها منعزلة عن ماضيها . وليس فى طبيعة الإنسانية أن تحيا دولة دون أن تتصل بغيرها « وإلا قدر لأبناء هذه الدولة أن يظلوا بعيدين عن ركب الحياة » متخلفين عن قافلة الإنسانية

والأمم الناهضة هى التى يستطيع أبناؤها أن يتأثروا بالاتجاهات الحديثة التى يمر بها العالم دون أن ينسوا ماضيهم « ويتجاوبوا مع التيارات الجديدة دون أن يسيروا على منهاج مبتكر منقول يخالف تراثهم الروحى والاجتماعى »

ولقد أخذت التيارات الغربية تغزو ميادين الحياة فى الشرق ، ولهذا لزمنا أن نصمد لها . . ونفيد منها بمقدار محدود . . حتى لا تتغير معالم الحياة فى بلادنا . . ولا يجرفنا التيار إلى سبيل لا نعرف نهايته

ففى الغرب نرى تحاملا متأصلا فى النفوس ضد الدين الإسلامى وعلة هذا التحامل جهل القوم بتعاليم دين لا يعتنقونه . . فليس غريبا إذن أن ينكروا على الدين كثيراً من حقائقه الثابتة ، ويحاولوا أن يشوهوا الكثير من مبادئه وأهدافه

ولكن الغريب حقا أن يردد بعض المسلمين ما يقوله الغربيون ، عن جهل وتعصب ، دون أن ينظروا إلى هذه الآراء نظرة فاحصة مدققة، وقبل أن يزنوا الأمور بميزان دقيق، فيه شئ من الحكمة والعدل.. فبالأمس القريب : كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان مقالا بمجلة الثقافة طالب فيه بتنحية الدين عن الحكم والحياة.. وقال إن مصر إذا كانت دولة إسلامية فليس معنى هذا أنها دولة دينية

وقد رد عليه الزميل الفاضل « محمد رجب البيومى » ردا كافياً لم يستطع معه الأستاذ عنان أن يعقب عليه بشئ

واليوم قرأت مقالا جريئا . . تمادى فيه كاتبه إلى حد أن طالب بإلغاء الإسلام كدين رسمى للدولة ، وقد جاء فى هذا المقال المنشور بجريدة الشباب الصادرة بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٩٥٢ ما يلى :

«إن مصر هى الدولة الوحيدة فيما نعلم التى لها دين.. فالمفروض أن الدين لله يعتنقه الأفراد . . والمفروض أن الدولة تجمع عديدا من الأفراد ذوى العديد من الأديان . . فتخصيص دين واحد ، وربط الدولة به هو الأمر العجيب . . والواقع أن أسطورة الدين الرسمى للدولة هى بقية من عهود الطغيان والإقطاع . وهو فوق هذا سبة فى جبين مصر . . فقد اندثر هـذا النص من كل دول العالم إثر الثورة الفرنسية ، لأنه نص مخجل ومعيب ، ولن نتوقع لمصر ارتقاء مادام باقيا ذلك النص بما يستتبعه من تهريج واضطهاد، ومن تفتيت لوحدة الأمة ، فيجب فورا على العهد الجديد الجرئ أن يلغيه بجرة قلم ، فإن التخلص من سوءات الماضى لا يحتاج إلى ذرة من التأنى والتفكير »

وإن المتأمل فى هذا القول ، يرى أنه ليس صادرا عن قلب يعمره الإيمان ، أو نفس تشع فيها أضواء الفضيلة ، وأنوار الهداية واليقين ، كما أنه من ناحية أخرى لا يقوم على أساس ولا يستند إلى دليل

يقول الأستاذ النجار :

« إن مصر هى الدولة الوحيدة التى لها دين ، والمفروض أن الدين لله » وليس الأمر كما يرى الأستاذ الفاضل ، فمعظم البلاد الشرقية تنص دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فإن كانت دول الغرب لا تأخـذ بهذا النظام ولا تنص عليه ، فذلك لخلاف فى جوهر الدين نفسه ، فقد تركت المسيحية « ما لقيصر لقيصر ... وما لله لله » وانصرفت إلى التهذيب الروحى ، والتطهر الوجـدانى ، بينما تركت للقوانين الوضعية تنظيم المجتمع وتسيير الحياة..

نشأت المسيحية فى مجتمع منظم متكامل تسود فيـه قوانين الرومان التى تعتبر من أعظم القوانين التى ظهرت فى العـالم حتى عصرنا هذا ، فلم تـكن هناك حاجة لأن تتجه إلى وضع أساس الحـكم، وتشييد بناء الدولة، وإنما كان عليها أن تهذب البناء وتصقله وتعدله دون أن تغيره..أما الإسلام فقد نشأ فى مجتمع غير متكامل ،

ضاعت فيه القيم الأخلاقية والروحية ، وتلاشت منه مبادئ العدالة والحرية والمساواة ، فكان عليه أن ينظم المجتمع ، ويعيد بناء الدولة من جديد

قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »

بهذا نرى أن الإسلام يخالف المسيحية من ناحية الحكم ، فإن كان للمسيحيين أن يعزلوا الدين عن الحياة ، فليس لنا أن نقلدهم فى ذلك ، ونهمل كل تراثنا الروحى ، وجميع مقوماتنا الفكرية والاجتماعية

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن ربط الدولة بدين واحد أمر عجيب لأن فى الدولة عديدا من الأفراد ذوى العديد من الديانات

وأحب أن أرد على الأستاذ فى ذلك بأن الدولة وإن كان بها العديد من الأفراد ، إلا أن الغالبية العظمى منهم يدينون بالإسلام، فإذا نص الدستور على أن الإسلام دين الدولة الرسمى ، فذلك يعتبر تمشيا مع عقيدة الغالبية العظمى ، وهو فى الوقت ذاته يمنح جميع أفراده الحرية الشخصية وحرية العقيدة ، ولا يجبر أحدا على أن يتخلى عن دينه ، أو يترك عقيدته ..

وقد نزل القرآن الكريم داعيا للحب ، مبشراً بالتسامح ، منفرا من إكراه الناس على اعتناق الإسلام بقوله تعالى « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وليس لأحد من رجال دينه على أحد سلطانا ، « لكم دينكم ولى دين »

* * *

يرى الأستاذ النجار بعد ذلك أن الدين أسطورة من عهود الطغيان » والواقع التاريخى لجميع الأديان السماوية يناقض ذلك ، فلقد قامت المسيحية — مثلا — لتقاوم طغيان الأباطرة الرومان ، ولذلك لاقى دعاتها الكثير من ضروب القسوة والاضطهاد على أيدى نيرون ، ودقلديانوس وتراجان وغيرهم

فقد أمر نيرون بإحراق روما ليستمتع بمرآها ، ولبثت النار تضطرم فى المدينة وتأتى على من فيها ستة أيام كاملة ، ثم ألقى تبعة إحراقها على عاتق المسيحيين ، فأشعلت فيهم النيران بعد أن طليت أجسامهم بالقار ، وأقيمت حفلة ألعاب فى بستان هذا الطاغية ، وكان هؤلاء الضحايا هم المصابيح التى تضئ البستان !

وأراد الإمبراطور دقلديانوس أن يؤلهه المسيحيون فى مصر فأبوا الإذعان لإرادته ، والخضوع لمشيئته ، فتولاهم بالسجن والإحراق ، وأمعن فى تعذيبهم والتنكيل بهم حتى سمى عصره « بعصر الشهداء » وكذلك قام الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية ويحارب طغيان القوى ، ويحد من سطوته وبطشه ، ويقضى على نزعة الجاهلية التى تمجد الظلم والتى وصفها الشاعر بقوله :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا

قد يقول قائل : إن هذه الأديان قد استغلت فى بعض عصور التاريخ ، لتسخير الجماهير ، واستغلال أفراد الشعب ، ولكن العيب فى ذلك لا يقع على الدين ، وإنما على القائمين بأمور الدين

فلقد دعت الأديان إلى المحافظة على الكرامة الإنسانية . . ودعت إلى مقاومة الظلم .. والوقوف فى وجه المعتدين ، ولو أدى ذلك إلى الهجرة ، قال تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا .. »

ولقد تمادى الأستاذ بعد ذلك فى تهجمه على الدين ، فنسب إليه التهريج والتأخر والاضطهاد ، والإسلام برئ من هذه الصفات ، منزه عن هذه العيوب ، فالإيمان بدين لا يستلزم التعصب والاضطهاد إلا عند من صدئت قلوبهم ، وأظلمت عقولهم ، وأكلت الأحقاد صدورهم ، والإسلام .. كما ذكرت سابقا .. يدعو إلى التسامح والمساواة .. وينهى عن التعصب والتزمت ...

وبعد : فإن الدين الذى نهض بالمجتمع العربى ، ونقله من الضعف إلى القوة .. ومن الظلمات إلى النور .. لا يزال هو الدين لم يتغير منه شئ .. وإنما تغير معتنقوه ، والقائمون على أمره

ونصيحتى للأستاذ النجار .. ألا يتحدث فى شؤون الدين . . وهو على ما يبدو من كتابته . . جاهل بأبسط قواعد الدين . . وعليه أن يتعمق فى فهم تعاليم الإسلام الخالدة ، ومبادئه المثالية السامية .. قبل أن يصدر عليه أحكاما خاطئة .. منافية لأبسط قواعد العلم والمنطق

عبد الباسط محمد حسن

شلر

دراسة تحليلية

« للكاتب الانجليزي الكبير توماس كارليل »

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

لا شك أن دارسي الأدب الألماني أو الأدب بصورة عامة سيقابلون بكل ترحيب الكشف عن العلاقات الخصوصية بين أديبين عظيمين في هذا الحقل بذّ أقرانهما في عصرهما وكانت لهما اليد الطولى في إعلاء شأن الأدب، لأن كل ما كتبه جوته أوشلر في أي موضوع كان له أهميته الخاصة. والذي سنقدمه في هذا الشأن هو الرسائل الخصوصية [1] التي تبودلت بين الأديبين العظيمين. هذه الرسائل التي لها علاقة وثقى بهذه الفترة الهامة من التاريخ الروحي ليس للفرقاء المعنيين بالأمر وحسب بل وبلادهما كذلك. هذه البلاد التي كانت تعج بالبحوث الصغيرة منها والكبيرة، وعلى الرغم من أن الذين عالجوا هذه البحوث كانوا أناساً أحط موهبة وأقل قدراً من الأديبين الكبيرين، إلا أن هذه المعالجات كانت ذات أهمية غير يسيرة. (لأنها كشفت النقاب عن الحوادث التي اعتورت البلاد في تلك الفترة) [2]

لقد سمعنا وعرفنا كثيراً عن هذين الأديبين الفذين، وعن صداقتهما وتعاونهما في أعمال نبيلة عديدة، وكانت ثمرة ذلك لكل إنسان. ونستطيع في معرض بحثنا هذا — على الظروف الخافية التكوينية لكل هذا وتتبع أثر النتيجة (المثالية) ونشرح علاقتها بجذورها الأصلية، وكيف كانا يعيشان ويعملان سوية في هذا المحيط التافه من العالم وكيف كان يكتب (فاوست) و (وليم تيل) على الورق المتهرئ كما تكتب روايات منيرفا أو أغنيات رجل ينتسب إلى خاصة الناس! إن المختصين في الأدبيات لهم ولعهم المعروف في البحث والتنقيب والتمحيص.. ولكن دعنا نبتعد قليلا عن الاختصاص أو أي موضوع شكلي آخر.. فليس لهذه الأشياء أي تأثير في حب الاستطلاع الذي يجمعنا كلا شاملا في صعيد واحد كبشر. والدليل على أن عطفنا فيما بيننا غير محدود هو هذا البحر الهائل من توافه الشائعات التي تجعلنا نشعر بالرابطة الإنسانية التي تربط بعضنا ببعض بقوة.. (وما هذه الشائعات إلا ترجمة غير كاملة). ولا ريب أن الجنس البشري يستوعب ويلفظ يوميا هذه الشائعات بصورة استمرارية، وإذا كان حب الاستطلاع مسيطرا علينا هذه السيطرة التامة فيما يخص الشائعات العادية، فكم بالأحرى تكون لأحاديث جوته وشلر أهميتها الكبرى التي تغرينا النزاهة نفسها على الإنصات إليها فيما لو كنا عائشين في عصرهما، ولكن من سوء الطالع أن تمر هذه الأحاديث لتوها في الساعة التي شهدتها. ولنعد الآن إلى الرسائل والردود المتبادلة بينهما، فإنها على ماهي عليه من حيوية وصراحة ومحبة، لم تتركا غير الرموز والخلاصات المقتضبة.. فالحركة الدراماتيكية التي كانت تمثل على مسرح الحياة لا تخلف شيئا غير النتائج التاريخية الباهتة وهي كل مايتبقى لدينا.. ومن الحق القول أن كل رسالة خصوصية تبين نوعا ما شخصية الكاتب، ولكن التصوير عاجز كل العجز عن تشخيص الطبيعة الروحية. فالهرم يمكن قياسه ورسمه من قبل مهندس بارع بحيث يصبح واضحا للعيان، وكذلك يمكن رسم جبل (مونت بلانك) بألوانه وأشكاله وفي متاحفنا صور طبق الأصل لكل ذلك. أما تشخيص الرجال العظام وتصوير هذ الطراز من الرجال، وهكذا.. فالصور التي في حوزتنا تظهر من خلال سجف التاريخ باهتة ضعيفة غير واضحة المعالم، وهي بعيدة كل البعد عن سحرها الذي امتازت به، وقوتنا كلها عاجزة عن تجسيدهم كما هم رجالا أحياء ينبضون بالقوة والحيوية الدافقة. وكل الذي نتمكن أن نفعله الآن لا يتعدى تصوير أشخاص أشبه شيء بأشباح أوسيان [3] في ظلال النبش، فسقراطنا ولو ثرنا — بعد كل هذا الذي قيل عنها — ليسا في الحقيقة سوى شخصين غير مرئيين، فليس حكيم أثينا ولا راهب

(١) هذا البحث دراسة تحليلية شاملة لحياة شلر ولم يتطرق المؤلف إلى ذكر المراسلات إلا عرضاً، لأنه أفرد لها بحثا خاصا في كتابه الجليل (مقالات متنوعة) فننوه بذلك مقدماً، المترجم

(٢) من كلام المترجم

(٣) أديب كلاسيكي قديم

ايسلبين شخصين بالمعنى المعروف وإنما هما لقب ليس إلا . ومع ذلك فهؤلاء الرجال ، وليس الألب أو (الـكوليسيوم)[٤] هم من عجائب الدنيا وهؤلاء أنفسهم هم الذين نسعى جاهدين لطبع أفكارهم فى ذاكرتنا . إن الرجال العظام هم أعمدة النار التى تقود حجيج الإنسانية ، والتى تنتصب كبشائر سماوية وشواهد على ماحدث وأدلة ناطقة على ماسيحدث من شؤون تقرر مصير العالم بأجمه ، وهم فى الوقت نفسه الإمكانيات المتجمدة الظاهرية للطبيعة الإنسانية المنلقة بالألغاز والأحاجى ، وهم بهذا الاعتبار يمثلون العظمة غير المنظورة وغير المدركة عقلا حتى من قبل أنفسهم كبشر . على الرغم من أنهم يحبونهـا أشـد الحب ويحترمونها أكبر الاحترام، ولـكنهم يضطرون ، تحت الظروف القاهرة ، على أن يظلوا غير مدركين لهذه العظمة فى هذه الحياة . كم من الأسباب الوجيهة وكم من المغريات البريئة تجتذب حب أستطلاعنا إلى مثل هؤلاء الأشخاص الأفذاذ . سنحاول التعرف عليهم ورؤيتهم عيانا كما نرى أنفسنا ، فكل ملاحظة وكل إشارة تخصهم يهمنا بالغ الأهمية . . . والنفوس العظيمة التى مضت لحال سبيلها لم يبق منها صور مجردة، أماميزاتها الخارجية، لا .. بل وحتى الداخلية — فى بعض الأحوال — والتى كانت تتصف بها فقد ذهبت إلى العالم الثانى هى الأخرى ، ولم يبق إلا أن نعتمد على التاريخ فى تصوير بعض الذكريات البسيطة التى لها أقل علاقة بها ومع ذلك فهذا التاريخ — على مافيه من نواقص وعيوب — هو الـكنانة التى احتفظت ببعض الذكريات والتى لولاها لأضحت فى خبر مكان . إن الرسائل المتبادلة بين شلر وجوته تمتاز بميزة ثمينة للغاية وهذه الميزة هى الحقيقة بالذات ، وهى تتجلى فى كل الظروف والأحوال ، سواء كان ذلك من جهة أصالة الحقيقة الواقعة أو الرأى الخاص بهذه الحقيقة ، أما الإخلاص فبين بكل وضوح فى مثل هذا الأسلوب ، واللطف الطبيعى لا يمـكن أن يعرقل حق حرية الـكلام أو الفكرة فى مثل هذه الأحوال ، ولم تـكن الغايات إلا غايات شريفة . وكان الإخلاص المتبادل بين الطرفين من الوضوح لدرجة أنه كان يتعذر على أى ستار مها بلغ سمكه على إخفائه ، وعلى هذا فـكلا الصورتين الذاتيتين تشبه الحقيقة الأصيلة وتماثلها أحسن المماثلة . وقد رغب بعض القراء أن يرى مزيجا مما يمكن أن ندعوه بالشؤون المنزلية مختلطاً بالآمال والمخاوف والمشاعر التى كانت تساور الشاعرين العظيمين ، لما للأول من علاقة متينة بالحياة الإنسانية الاعتيادية ، ولـكن بالرغم من بحثنا المرهق الطويل لم نعثر على شىء من ذلك ، مع علمنا الأكيد أن هذا النقص نادراً مايحدث فى المراسلات الحديثة ، وعلى هذا فإنه لم يتبق لدينا فى هذا الخضم الواسع فى الخير والشر والحالة المعاشية والعاطفية كالفقر والغنى والفرح والحزن ، قلنا لم يتبق لدينا إلا النزر اليسير وإلا ماشح وقل ، ولعل رغبة القراء الذين يعيشون فى بلاد هذين الشاعرين فى ذلك أقل لأنهم ؛ على اتصال بالحياة اليومية التى واكبت حياة الشاعرين ، مع اختلاف فى الزمن وبعض العادات التى تغيرت تبعاً للتطور بخلاف الأجانب الذين يرغبون رغبة ملحة فى استطلاع شؤون البلد الذى ترعرع فيه الـكاتب والشاعر والأديب، وهذا جلى وواضح، وعلى أى حال يجب ألا ننسى أن شلر وجوته أديبان ، وأن حياتهما الاجتماعية ماهى إلا هيكل الوجود الفانى ، وليس لهذا الهيكل علاقة بالوجود الروحى إلا كما تـكون علاقة الخضوع والتبعية ، وهذا بحد ذاته لا يحتاج إلى ذكر مستفيض . زد على ذلك أن الناس المثقفين — نظراً لمزاجهم الطبيعى — ينفرون من الخضوع للعواطف الهائجة ، ولا يظهرون مايعتلج فى نفوسهم حتى إلى أقرب المقربين اليهم . وهذا مايخفف من حرارة المراسلات ولـكنه فى الوقت نفسه يزيد من سعادتهم الخاصة ، لأن من يحمل قلبه فى ردنه لا يأمن عليه من نقر الغربان كما يقول المثل السائر ، وعلى الرغم من أننا لانبخس اعترافات روسو حقها فى الإفصاح عن مكنونات قلب الـكاتب ؛ إلا أننا لانجد شيئا من هذه الاعترافات الجريئة فى هذه المراسلات موضوع البحث

وفى الوقت ذاته هناك بعض الآثار ذات الطابع المنزلى منتشرة هنا وهناك نتقبلها ونحن مسرورين ولانؤاخذها بشىء غير ندرتها، ولـكن هذه المراسلات تحتفظ بصورة ذات أهمية قصوى ، إذا اعتبرناها حق اعتبارها ، وهى التى تشغل بالنا أكثر من تلك القسمات المنزلية . فهى تظهر لنا عقليتين مبدعتين شاعريتين ، تنميان ثقافتهما بصورة منظورة ، وتتقدمان من درجة إلى أخرى

(٤) بناء شامخ فى أثينا

فى القوة والجلاء والاستملاء ، وهما لا يسيران فى طريق واحدة بل فى اتجاه واحد . ومن هذا التقدم يمكن لكل شخص — مهما بلغت درجة ثقافته — أن يستفيد فائدة نفسية كبرى من هذه الدروس الفنية بمحتواها الأدبى . والقيمة الكامنة فى هذه الدروس تزداد كلما تقدمت المراسلات ، مع اختلاف فى التطور ، وتظهر على الخصوص على سيماء شلر ، الذى يختلف عن صاحبه بصغر سنه وتأثره به ، وهذه السنوات الإحدى عشرة تعتبر أهم فترة من حياة شلر الروحية . وفى الحقيقة إن هذه الفترة يمكن اعتبارها التأريخ التقدمى منذ عثوره على الطريق المستقيم الذى نهجه فى مستقبل أيامه

ولا يعنينا الآن التطرق إلى صفات هذه الوسائل ولا إلى محاسنها سواء كان منها العرضية أو الجوهرية ، على ماهى عليه من قيمة كبيرة . أما العلاقة المتقابلة الشريفة الصريحة التى تظهر بين المراسلين وأسلوبهما وأهمية كل ذلك وما يتصف به هذا العمل من وجهة النظر الفلسفية والبيوغرافية ، فنأمل أن نوفيها حقها جميعاً فى مناسبة مقبلة . ومع ذلك فبعض التأملات المجردة والاستنتاجات الأخرى ستبرز من تلقاء نفسها، وستظهر فى بحثنا هذا ، على الرغم من أن القراء الإنجليز لا يهتمون بالرسائل قدر اهتمامهم بشخصية الكاتبين الشاعرين . فالرأى العام له بعض الإلمام بجوته ، ولكن رغبته فى التعرف على شلر أكبر ؛ لأن معرفته به قليلة جدا ، وعلى هذا فإن رغبتنا الآنية تتلخص فى تقريب شلر إلى نفوس القراء . كان يجب أن نذكر شيئا عن شلر فى مجلتنا ، ليس لأهميته فى الآداب الألمانية وحسب ؛ بل فى الآداب الأوربية كذلك ، وهذه خطيئة نأمل أن نكفر عنها الآن وفى بحثنا هذا . أثبت الرجل عبقريته الشعرية والفلسفية بسلوكه وبسلسلة كتاباته التى أبانت ذلك للجميع ، يتجلى ذلك فى إعجاب أمته به فى أثناء حياته وشهرته التى طبقت الخافقين خلال الخمسة والعشرين سنة التى أعقبت وفاته ، هذه الشهرة التى استمرت فى النمو والتوسع وتثبيت نفسها ، وهذا مالم ينله إلا ذو حظ عظيم . وليس بخاف أن عدم ذكرنا له ليس مرده إلى عدم إعجابنا به ، بل لأن هناك كثيراً من الآداب الأجنبية تحتاج إلى الشرح والتفسير بخلاف شلر الذى يفسر نفسه بنفسه . تمتاز عظمة شلر ببساطتها ، وأسلوبه فى عرض هذه العظمة مفهوم من قبل كل شخص . ومن بين الكتاب الألمان الذين يمكن اعتبارهم من درجته ، باستثناء كلوبستوك ، يعتبر شلر أبعد ما يكون عن الوطنية بمعناها الضيق ، اللهم إلا إذا اعتبرنا كلمة ألمانى بما تعنيه من صدق وإخلاص ونبل وشهامة . أما أسلوبه فى التفكير والنقاش فهو أوربى مافى ذلك ريب . وعليه فليس غريباً أن نلاحظ أن أى كاتب ألمانى آخر لم يقابل بمثل هذا القبول الحسن لدى الأجانب ، ولم يحظ بمثل ما حظى به بصورة دائمة . فجعله الفرنسيون قبلة أنظارهم ومطمح مقاصدهم ، يتبين ذلك من ترجمتهم لمؤلفاته وشرحهم لها وتمثيلهم لرواياته على المسرح ، واحترام أكثر النقاد له احتراما بالغاً . وهكذا أصبح شلر لدى الرومانيين [5] الأستاذ الأكبر والمثل الأعلى والسفير الوسيط بين المدرستين القديمة والحديثة ، وغدت مؤلفاته جسراً ذهبيا يصل حدائق فرسايل بأرض العجائب [6] . وكذلك الحال معنا ، نحن الذين لانعير أهمية للرومانسية ولا للكلاسيكية ، وخصوصاً بعد أن ذهبت ريح الشادة التى أثارها (باولز) بخصوص الشاعر بوب، على أن ذلك لايمنعنا مطلقاً من أن نشعر بالاحترام العميق له؛ واحترامنا هذا لايقتصر علينا وحدنا ؛ بل يتعدانا إلى كل شخص له أقل ميل شعرى . فقراء الألمانية ، وهؤلاء يزدادون باطراد مستمر يعتبرون شلر باكورة الدراسات ، وحتى ثقلاء الفهم منهم مجبرون على الاستمتاع بجمال كتاباته . أما الأشخاص الذين لا يعرفون الألمانية فعندنا لهم تراجم كثيرة ومتعددة ، ولو أن هذه التراجم تفقد كثيراً من رونق الأصل ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يكون سدا حائلا بينهم وبين التمتع بأشعة نور الشمس الأصيلة. وهذه التراجم ستوقظ الحب فى القلوب الحساسة والنفوس المرهفة مما سيدفعها حتما إلى الإدراك المباشر ...

وأهم جزء من واجبنا الآن هو الدفاع عن شلر وتوكيد قيمته ووضعه فى المكانة اللائقة به . إن التعريف بكتاباته مستمر بسرعة وبالطريقة الصائبة التى يمكن إحرازها بالدراسة القريبة للقلب وبالمحبة التى تعمر قلوب الذين أوتوا الفهم النزيه وروح التطلع التى لاتنى

---

(٥) هم أتباع المدرسة الإبداعية المرونة (٦) بين القديم والحديث ، وعالم العجائب مكان خيالى لاوجود له الا فى مخيلة الشعراء والأدباء.

تبحث وتفكر وتعمل على الحصول على أعلى درجات الكمال . أضف إلى ذلك أن مؤلفات شلر لا تحتاج إلى أقل الشروح ، فهى تشرح نفسها بنفسها كما ذكرنا سابقاً . فقيمة مثل هـذا النوع من العظمة وشاعرية من هذا الطراز تظهران سافرتين مكشوفتين، فكتاباته لا يمكن أن يصل إلى مستواها أحد لما تمتاز به من صراحة قل أمثالها وعزت على منال الكثيرين

وما من شك أن واجب النقد يقتضينا أن نوفى حق مثل هـذا الشاعر الذى فسر مدلهات المجهول . وكل شاعر يجد نفسه مولوداً فى محيط تافه ، وعليـه أن يجادل ويناضل للتخلص من قيود صغار العالم الواقعى إلى حرية العالم المثالى اللامحدود.. وتأريخ مثل هـذا النضال يعتبر فى الوقت ذاته تأريخ حياته نفسها ، ومن هذا يمكننا أن نستمد عبراً ذات أهمية كبرى . ولم يجز سعيه الشاق هذا — على سموه — أى جزاء اللهم إلا إذا اعتبرنا الجزاء ذاتيا . ولـكن قانون وجوده بحد ذاته ، اضطره إلى قبول مثل هذا العمل الشاق والاستمرار فى أدائه وتحمل أعبائه ، وإلا كان البديل لذلك التعاسة بعينها ، وقد تخلق التعاسة نفسها مواهب وكفايات ، وكثيراً ما كان الأمر كذلك فى معظم الأشخاص الذين ابتلوا بهذه التعاسة ...

أما اضطراب شبابه فهو (اضطراب العبقرية) التى كانت تظهر أحياناً وكأنها سجية جامحة .. وكأنها تكهن بالرسالة الخفية القوية التى أرادته لها السماء ، لـكى يطهر نفسه من أدران الحياة ويستعد لما أريد له من واجب مقدس وأمر عظيم ، هـذا الأمر الذى يندر من ينفذه أو حتى يلتفت إليه ، أما ما يخص المتحذلقين ومن لف لفهم فأمر عبث لاطائل تحته .. وأما أصوات ضجيجهم وعجيجهم فتذهب مع الساعة التى يقضون فيها . وطبيعى ألا يعنى الـكمال الروحى لعامة الناس شـيئاً إلا كما تعنى الهمسة العابرة الغارقة فى ضجيج العالم

والحال كذلك حتى مع (بايرون) و (برنز) اللذين أوتيا أذناً حساسة لالتقاط الرسالة السماوية (هؤلاء الذين ينطقهم الوحى السماوى) فيصعب عليهم التخلص من الارتباط بالجسد والدم ، وبدلا من العيش والـكتابة عن القوم الذين يحيون بين ظهرانيهم يكتبون عن الخلود الذى يبقى على الزمن والذى يظل ملازماً لهم ، وبدلا من أن يعيشوا مرضيا عنهم (يعيشون فى الـكل فى الخير وفى الحق[٧]) ولا شك أن هذه النفعية وهـذا التأرجح بين الفكرتين والتوسط الفاشل المؤلم بين الحق والباطل هو الخطيئة القلقة والشقاء الرئيس للانسانية فى كل أدوار حياتها . وتعمدت النصفية هذه فى هذا الوقت تعميداً جديداً واتخذت اسما غير اسمها وهو الاعتدال وأصبحت هذه فضيلة وطريقاً وسطاً . إن حالة كثير من المنصفين الذين وهبوا طبيعة شريفة وفاضلة لتدعو إلى الأسف المؤلم

والآن دعنا نفتش عن سفينتنا ذات الحمولة الغنية بين هـذه السفن التى تحطمت فى خضم الحياة ، ونسأل ربابنتها عن أحوال سفرتهم . وما من شك أن شلر يمثل فى نظرنا هـذه السفينة الناجية ، وإنا نتساءل : كيف تمـكن هذا الرجل من النجاة ؟ ومن أية جهة حاول اختراق سر الطبيعة الروحية ؟ ومن أية منطقة تمـكن من التحليق فى سماء الشعر ؟ وتحت أى الظروف الخارجية وبأى القابليات الداخلية ؟ وبأى الوسائل وأية نتيجة ؟ بديهى أنه ليس فى مكنتنـا ولا مكنة الظروف المحيطة بالقراء فى هذا الخصوص الإجابة الشاملة القطعية على مثل هذه الأسئلة .

ومع ذلك فيجب أن نشرع بالبداية النـاقصة حتى نتمكن من الحصول على النتيجة الـكاملة . ونظرة شاملة على سـلوك هذا الإنسان كما كان يظهر وكما كان يحيا ، سواء كان ذلك فى مجال العمل أو فى الشعر ، كافية لقبوله لدى من يعرف الشئ القليل عن شلر ، وذلك يعتبر فتحاً فى طريق المعرفة الحقة ، أما الذين هم على اتصال به فينفعهم ذلك كشاهد على أحقية مافكروا ويفكرون به . لدينا بيانات عديدة منتشرة هنا وهناك للتعرف على حياة شـلر الشخصية ، وهذا ما يجعلنا ننفى عن ذكر قصة حياته التى تعتبر معروفة الآن . والذين لا يزال حب الاسـتطلاع متمكناً منهم يمكنهم أن يشبعوا مثل هذه الرغبة بالاطلاع على كتاب (حيـاة شلر) المطبوع بالإنجليزية أو (حياة شـلر) فى مقدمة الطبعة الفرنسية لرواياته الدراماتيكية أو فى مقدمة الطبعة الإنجليزية لمؤلفه (حرب الثلاثين سنة) . وفى دراستنا هذه نرجو أن نوفق فى شرح الناحيتين العملية والتأملية من حياته ، أما الوقائع التى تداخلت فى تاريخه العرضى فستظهر فى معرض هذه الدراسة

(٧) كلام الشاعر العظيم جوته

للـكلام بقية

يوسف عبد المسيح ثروت

خاطرة

أين السلف الصالح؟

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

قد تباده المرء أمور فيها من العجب مايعمد البادهة ، والعلم نور الله فى الصدور وهو لا يهدى لعاص ، ولا يهتدى به ضال ، ولا يسير فى هديه مضل !

وللعلم « كرامة » يجب أن ترتفع عن الشهوات ، وتخاصم الأهواء والنزعات ، لـكنه أرخص فى مرتخص النافع واتضع باتضاع الخصاصة النفسية ، فأصبحت لاتجد إلا أنقاضا على هيئة شخوص لهم أناقة المظهر ، وشناعة المخبر ، وفيهم بروق النفاق ، ومروق الرياء ، وبقلوبهم شح الوفاء ، وكرم القدر ، يلبسون لـكل حال لبوسها ، ويسيرون فى كل ركب ، وقد أزالوا عن نفوسهم توقر المحافظة ، وتوقى المؤاخذة ، واندفعوا مع تيار الحياة ، يحتالون عليها ويتنافسون فى أسلابها ، حتى سلبوا المهابة ، وأضاعوا معانى القناعة !

أين السلف الصالح ؟ وأين مجد العلم ؟ وأين قوة الروح لدى العلماء ؟ لقد كانت بطونهم جوعى وأرواحهم شبعى! وكانت حلوقهم ظمأى وعتيدتهم ريا ! تسابقوا فى الفضل ، ولم يتنافسوا على الفضالة ! ، وانطلقوا مع الملائكة ولم يلحقوا فى ركاب الشراهة كانت يدهم رخصة ولم تـكن رخيصة ؛ وكانت رغباتهم معتزة ولم تـكن ملتذة !

* * *

رحم الله عهدا تنوسيت فيه آمال ومطامح ، واتصلت فيه وشائج العلم فى أروع صوره! أين ذهب هذا العهد ولم يتغير الزمان؟

لقد كان لى جد يدرس فى معهد دينى ، ويدرس العلم فى مسجد ، ثم يتقاضى ستين قرشا وهو عالم ممتاز ؛ ثم وثب راتبه إلى عشرة جنيهات فى مدى ثلاثين سنة !

إنه الشيخ أحمد بدر العالم الدمياطى الذى قابل الإمام محمد عبده فى أخريات حياته ، وأطلعه على كتاب فى « المنطق » جعله حسبة للراغبين ، وأخفى عليه أمر راتبه حتى علم ؛ فجازاه وهو راض قانع !

إنى لأبصره بعد خمس وثلاثين سنة — وأنا ابن سبع سنين — يجتمع فى حلقته جمع جامع يأخذ عنه ، ويقبس منه ؛ وأكاد أتبين معنى مايقول لأن علمه مشرق الروح ، وأنس القلب ، وراحة النفس ؛ فأين ذهب هذا كله اليوم ؟

* * *

لست متقصدا بهذه الإشارة المباهاة ، وإنما هادف إلى المقايسة وهل ينفع القياس ؟ لقد انصرف هم العلم إلى التعالم ، واتجهت همة العالم للمغانم ؛ وذهب نور الهالة الذى كان يلمع فى الوجوه المؤمنة الآمنة ؛ فتغضى منها الأبصار !

فى الأمس القريب كانت الدعوات تترى فتهتز أعواد المنابر بالدعاء للملك الصالح المخلص فى طاعة ربه ؛ ثم بدا دليل الفساد وانطوى العهد ؛ فسكتت الألسنة بعد أن أسكتتها الباغتة وألجمتها المفاجأة ، فما الذى حال بينها وبين التلميح وهى التى تقود العامة

إن النفاق داء وبيل ، ولـكنه فى قلوب العلماء آفة !

نريد أن يكون العلم ذا قرار فى القلوب ، تحصنه الهيبة ، وترفعه الـكرامة ويحفظه الوقار !

نريد ترك التشدق بالألفاظ ، والتفصح فى العبارة ، والتكلف فى القدرة . نريد علما نابعاً من الإيمان ، فيه لغة الوجدان الطاهر والروح الصافى !

* * *

إن زياد ابن أبيه كان على ماكان عليه وقد قال : أيها الناس لايمنعكم سوء ماتعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتسمعون منا ؛ فإن الشاعر يقول :

إعمـل بعلمى وإن قصرت فى عملى
ينفعـك قـولى ولا يضررك تقصيرى

فهل يريد العلماء أن يكونوا على مذهب زياد فى أداء الرسالة !

اللهم إن العلم فى الصدور لـكن العمل به فيه قهر للنفس وزجر للهوى وقتل للشهوة ، ومناضبة الشيطان ، واقتداء بالسلف الصالح ، فتى يفيق من امتلأت رءوسهم وقلوبهم هواء ؟

أحمد عبد اللطيف بدر

ملك وشعب . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

ذكرتنى حوادث مصر الأخيرة يوم ثار قائدها الجبار وحواريوه المخلصون بوجه الطاغية فأزاحوه عن عرشه وأطاحوا به بعيداً عن البلاد التى نكب أهلها فى أرزاقهم وحرياتهم ، وأخرجوه ذليلا مهانا بعد ما استردوا الحرية التى فقدوها طيلة سنوات الظلم والرشوة والفساد ، وبعدما شبع ذلك الملك الخليع من أكل اللحوم البشرية وروى نهمه بشرب الدماء ، وبعدما فجر ماشاء له الفجور وفسق ما شاء له هواه أن يفسق ، وقامر بأموال الشعب الذى ائتمنه فخان ، ووعده فماطل وأخلف ، بقصيدة قالها شاعر يكاد أن يكون منسيا ؛ منبها الملوك الذين يهزؤون بمصالح الرعايا فتكون خاتمة حياتهم الفاجعة كخاتمة « فاروق » الذى صح فيه قول الشاعر البغدادى :

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته ... كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

أو قول غيره

ابك مثل النساء ملكا مضاعا ... لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهذا الشاعر هو المرحوم داود بك عمون وقد نشره فى مجلة « الزهور » التى كان يصدرها فى مصر المرحومان أنطون الجميل وأمين تقى الدين ، سنة ١٩١٤ « وهو شاعر مقل ولكن قليله رفعه إلى منزلة قصر عنها الكثيرون من المكثرين. ويمتاز نظمه بمتانة السبك وفخامته وسمو المعنى وجدته ، ويدل دلالة واضحة على توقد ذهن وشدة عارضة وعزة نفس ، أما نفسه فجاهلى عصرى معاً » (١)

ولما كانت الحالة الآن تستوجب الاطلاع على ما كان يعتلج فى قلوب الشعراء آنذاك من شر مستطير ينال الشعوب من جراء ظلم الملوك لها — والشعراء أنصاف أنبياء — أحببت أن أعرض على قراء « الرسالة » الزاهرة تلك الخريدة العصماء التى ما كانت إلا صرخة فى وجه الظلم ولكمة فى صدر الملوك الطغاة الذين بلغوا منزلة من الضعة تشمئز منها حتى الذئاب فى ذلك الزمن، فكيف بالشعوب الآن وقد أزاحت عن نواظرها براقع الغفلة والجهل وفتحت قلوبها إلى الخير والحق والجمال

اللهم اهد ملوك الشرق وساسة الشرق إلى ما فيه صلاح الشعوب ورقيها لتتواكب الحرية ولتأخذ حقها فى الحياة ، لا أن تسد آذانهم عن سماع صراخ المتوجعين وشكوى البائسين الجائعين.. وهاهى ذى رائعة عمون اللبنانى المولد (٢) .. قال :

عذيرى من خلق باسل ... أحد وأمضى من الذابل
صليب على القسر لايلتوى ... إذا غمزته يد الناقل (٣)
إذا شاقنى الأمر صعب المنال ... مضيت ولو أنه قاتلى
ولو حال من دونه حائل ... مشت إخمصاى على الحائل (٤)
حديد قوى النفس ذوهمة ... تضايق فى جسد ناحل
وأورثنيها فتى أمثل ... وأورثها لفتى مائل

***

بلوت الزمان ، وأهل الزمان ... فخذ رأى مختبر عاقل
رأيت « الملوك » إذا أطلقوا ... أضر من الجارف الغائل
نفوس الرعايا ، وأعراضها ... ، وأرزاقها ، أكلة الآكل
وعودهمو برقها خلب ... وأقسامهم ضحكة الهازل (٥)
ولو عقلوا قيدوا نفسهم ... ومن لك بالمطلق العاقل
فتلك القيود ، ضمان العروش ... توطدها فى المدى القابل (٦)
حقوق « الملوك » بتمديسها ... دعاوى على الحق للباطل
همو الأجراء وإن توجوا ... عليهم لنا عمل العامل
وما ميز الله أشخاصهم ... بشئ ولكن رضى الخامل

***

بنى الشرق هبوا فقد طالما ... زحفتم إلى الدرك السافل (٧)

---

(١) مختارات الزهور ص (٨٩)

(٢) يشير نفسه إلى ذلك فيقول مردداً حنينه إلى لبنان

يا بنى أمى إذا حضرت ساعتى والطب أسلمنى
فاحملوا فى « الأرز » مقبرتى وخذوا من ثلجه كفنى

(٣) صليب : فعيل قوى وصلب

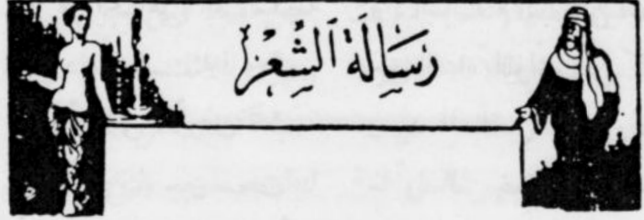
(٤) إخمصاى : مثنى إخمص القدم

(٥) الخطب : الكاذب ، والأقسام جمع قسم : اليمين

(٦) القابل : الآتى . القادم . المقبل

(٧) ورد البيت فى المختارات على هذه الصورة وعجزه زاحف وقد أصلحناه.

بنى الشرق هبوا فقد طالما ... زحفتم فى الدرك السافل



وحى البردة

للأستاذ ميشيل الله ويردى

أنوار هادى الورى فى دارة العلم   رفت على ذكر جيران بذى سلم
وأرسلت نغم التوحيد عن ملك   كالروح منطلق ، كالزهر مبتسم
فزج روحك بالروح التى ازدهرت   يغنيك عن مزج دمع ساجم بدم
وشمك العطر فواحاً بروضتها   ألذ من عشق ريم القاع والأكم
ومن يهم بعظيم يتحد معــه   بالرأى والفكر قبل الوسم والأرم
والحب صنوان حب الروح خيرهما   فلا تكن للهوى الفانى بملتزم
ياليت أحلام عمرى لم تضع بددا   بحب قصر من الأوهام منهدم
وليتنى لم أهم إلا بمن عرفوا   برقة القلب لا بالظلم والعقم
فكم حبيب إذا خالفت فكرته   جازاك بالصد قبل البحث فى التهم
ومن يساق حبيباً صد خمرته   وسحر ألحانه يندم وينفطم
فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم   واربأ بحسنك أن يكمد من سأم
واجعل هواك رسول الله تلق به   يوم الحساب شفيعاً فائق الكرم
هذا رسول الهدى فارشف على ظمأ   من ورده العذب عطفاً شاق كل ظمى
كأنما قلبه ينبوع مرحمــة   مستبشر بالرؤى جذلان بالنسم

* * *

يا أيهـا المصطفى الميمون طالعه   قد أطلع الله منك النور للظلم
وحدت ربك لم تشرك به أحداً   ولست تسجد بالإغراء للصنم
وكيف تشرك بالرحمن آلهــة   لا يستطيعون رد الروح للرمم
عاديت أهلك فى تحطيم بدعتهم   من ينصر الله بالأصنام يصطدم
كأن ربك لم يخلق لدولتــه   سواك من مرسل بالحق معتصم
أدى الرسالة حتى ضج من سأم   أجناد إبليس واشتد الأسى بهم
وأفلست بعد إقبـال جهنمهم   ولم تجد حطبا فى الأشهر الحرم
كأن أحمد بالأصفاد كبلهم   فارتد جيشهم المقهور بالسدم
شرع على أقوم الأركان أسسه   للعـالمين نبى طاهر الشيم
غذى عقول الورى حتى أتاح لهم   عيش النعيم ونقاهم من الأثم
وعلم العرب حتى سـاد نسلهم   هـام الممالك وارتاحت لعدلهم
كأنما الشرع جزء من نفوسهم   فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم
قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة   فإن هم قسموا أرضوك بالقسم
وخلدوا ملـكهم ريان مؤتلقاً   وكل ما شادت الأطماع لم يدم
إن الممالك إن شيدت على جشع   تفرس ، ولا خير فى الحيتان للبلم
وقد يمل الفتى بالشيب من أرب   ولا يمل عبيد المـال من بشم
أتون نار زفور جـــد محتدم   والمـال يهوى بخلق جد مزدحم
لو أدرك المرء أن المـال تاركه   لمل صحبة خوان الوداد عمى
ولو درى العاشق الموتور كيف سلا   أحـــبابه لم يبت يوماً بقربهم
كفاك هما فأهواء الدنى غصص   تودى بصفوك مثل السم فى الدسم
والزهد راحة فكر من متاعبه   فإن دعانا وأهمــلناه ينتقم
همنا بفان فأغرانا وأذهلنـــا   وأى قلب بحب الأرض لم يهم؟

* * *

يا أزهد الناس فى الدنيا وفى يده   خزائن الملك والأنصار كالخدم
عجبت كيف تعانى الجوع مرتضيا   حـظ الفقير ولم تلتذ بالتخم
ولم تبـال بتيجان مرصـــعة   ولم تكن للآلى خـلوا بمرتسم

إلا م تنامون عن حقكم   وتعبث فيكم يد العـــامل
ويظلمــكم رجل واحد   وأنتم عداد الدبى النازل (٨)
فدونـكمو العلم فهو المحـــرر ، والرق لازمة الجـاهل
وخلوا الديانات طى القلوب   وكونوا عن الخلف فى شاغل
ألم تنظروها غدت آلة   لتفريق جمعكمو الحـــافل
ولا ترهبوا الموت فالموت لا   يؤخره وجـل الواجـل

تلك هى الصاعقة التى انشقت عنها سماء فكر الشاعر فكانت والحق يقال نذيراً لكل جبروت لا يؤمن بحقوق الناس ، سقتها للقراء الآن لتكون شاهدا على أن الظلم الذى نحسه الآن كان يشعر به قبلنا أحرار الفكر والعقيدة.. هلا يتعظ السادرون فى غيهم من ملوك الشرق !

(٨) الدبى : الجراد

بغداد   عبد القادر رشيد الناصرى

تقول ربى أجرهم من عمـايتهم   وتصرف النفس نحو المورد الشبم
فاستضحك القوم هزءا واستبد بهم   وهم فصيرهم لحماً على وضم
كأن أفكارهم من طول ما شقيت   ألقت بأرواحهم فى وهدة الحطم
والنار حرقة نفس من ندامتها   يا بؤس من لم يحد عن شر مغتنم
فاسلم بنفسك أن الروح يعوزها   رضا الذى علم الإنسان بالقلم
فلا طعام من البأســـاء ينقذنا   ولا لباس يقينا شـدة الضرم
وهل تفيدك أبراج مشـيدة   والموت فى القصر مثل الموت فى الخيم
والمرء يفنى إذا لم يبق مأثرة   تحيا إذا باتت الأجساد فى الرجم
والعمر إن طال يوم لا رجوع له   فهيء الزاد قبل الشيب والهرم
أسلمت لله أمرى فهو يكلؤنى   كالزهر فى الحقل والأطيار فى العلم
ألست يا أيها الإنسان أفضلها   وبارئ الكون قد حلاك بالحكم
فإن يغب عنك أن العيش مرحمة   فكيف تدرك أن الفوز بالألم ؟
وكيف تسمو بروح بالثرى علقت   وكيف تعلو على الآساد فى الأجم ؟

***

أقول للمصطفى أعظم بما ابتدعت   آيات ربك من خير ومن نعم
لو يتبع الخلق ما خلدت من سنن   لم يفتك الجهل والإعواز بالأمم
ولم ير الناس أحكاماً وفلسفة   فى الاجتماع ستلقيهم إلى العدم
مذاهب أحدثت فى الأرض بلبلة   وأورثتنا بلايا الحرب والإزم
أين الزكاة ، وأين العشر يحمله   أهل الغنى للألى ماتوا من السقم
هل كنت تبصر ما أودى بعالمنا   من قبل أن فاض بالويلات والنقم
أم هل تنبأت عما تم فى زمن   سادت به فكرة الإلحاد والنهم
نبوة حـارب الجبار منكرها   وروع الناس بالتعذيب والحمم
فيانبى الهـدى حييت من علم   بالطهر متسم بالعـدل مدعم
أحببت دينك لما قلت أكرمكم   أتقاكم ، وتركت الحكم للحكم
وقلت إنى هـدى للعالمين ولم   تلجأ إلى العنف بل أقنعت بالكلم
فى دينك السمح لا جنس ولا وطن   فكل فرد أخ يشدو على علم :
الله أكبر والأكوان فانية   ومن يلذ بجلال الله لا يضم
سبحان من بيديه الملك أجمعه   ويرجعون إليه يوم بعثهم

***

يا عبقرى الورى الأمى هل سمعت   من قبلك العرب وحياً جد منسجم
آياتك الغر إعجـاز تنزه عن   ند ، وليس دعى الحب كاللدم
كأنما النـاس آلات مبعثرة   أخرجت منها جميل اللحن والنغم

من علم الجـاهلى الغر مكرمة   وأد البنات أم البالى من النظم ؟
محمد رد من ضـلوا وعلمهم   حق النساء اللواتى كن كالرمم
يا فخر أمتنا فى الأرض قاطبـة   وسيد المصلحين العرب والعجم
عززت كل فتاة حين صحت بنا   ما أولد العز غير السادة الحشم
فأنت أول من نادى بمـأثرة   يظنها الغرب من آلاء بعضهم
خاطبت كل ذكى حسب قدرته   ولم تـكن بغبى القوم بالبرم
وكنت أرأف بالسكين من دول   رأت بأمثـاله سرباً من الغنم
إن كان ينجع طب الناس فى جسد   فأنت تفعل بالأرواح كالحسم
ترعى اليتيم وترعى كل أرملة   رعى الأب المشفق الباكى من اليتم
فارع النفوس التى ذلت ويتمها   فقد الكريمين : حب الخير والشمم
وهب لنا مبدأ حيـا وتضحية   بها تفردت بين الناس من قدم
ليت الإخاء الذى فى يثرب انتشرت   راياته ظل فينا غـير منفصم
إن القلوب إذا ألفتهـا ائتلفت   والود حبل فإن تصرمه ينصرم
ماذا يطهر قومى من تنازعهم   والصد يعلق بالأرواح كالرشم
أجفوة ورعاة غرهم طمع   كأنهم عن نداء الحق فى صمم
أسمعتنا فنسينا واستقل بنـا   هوى ، فأمسى عزيز القوم كالحطم
فانفخ بنا نخوة تجمع أواصرنا   وابعث بنا همـة يا باعث الهمم
أبنـاء بابل أفنتهم مآثمهـا   وآل فرعون ما شادوا سوى الهرم
وتدمر ومغانيهـا غـدت خرباً   والذكر بالخير غير الذكر بالإرم
يا ليت من شيدوها للفناء رأوا   عقبى المبـانى فأغنتهم عن الندم
زالوا وزالت مع الآثار عزتهم   فإن تجادل سل التاريخ واحتكم
والمصطفى خالد فى الناس ما بزغت   أم النجوم وممـدوح بكل فم

***

يا أيها العرب المـأثور مجدهم   ما فاز بالمجد شعب شبه مختصم
أيصبح الخير شرا من تخاذلنا   ونغتدى نهبة الغربان والرخم ؟
إن الكرامة تأبى أن نذل ولم   نهضم حقوق الورى كالمائج الضرم
فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم   والمكر فرقكم فى حومة الجسم
وشرع أحمـد بالقرآن هذبكم   وجـد فى أمركم بالحب والسلم
يا أيهـا المسلمون الفخر فخركم   ونحن إخوانكم بالنطق والعـلم
فأيدوا بالفعال الغر دينكم   فقيمة الحب عندى أعظم القيم
والدين إلا هوى فى نفس عاشقه   ومن يبح بالهوى يوم النوى يلم
سيان يا قوم من يقضى بلا أمل   ومن ينـال المنى فى عالم العدم

صوفية أدركتها النفس فانصرفت ... عن الدنايا ومن يهو العلى يصم
فاستهد بالروح فى الأفلاك واهو كما ... تهوى الملائك وجه الله واستقم
وقل لمن أدمت الأهواء مهجته ... أما اكتفيت من الدنيا بجهم ؟
رمت فؤادى بسهم الحسن فاتنة ... فاعجب لصب جريح ثابت القدم
ندت أناشيده نيران لوعته ... ففرجت عن عليل بالجمال رمى
إن لم يخلد فؤادى الحب فالتمسى
يا نفس كهفا ببطن الأرض واعتصمى
على المنية تنسانى كما نسيت ... عرائس البحر صيد النسر فى القمم

***

يا نفحة من جنان الخلد سارية ... كالورد يلثم فى الأسحار من أمم
إنى محب ومحبوب ولو زعموا ... أن المحبة بالأنساب والرحم
فالناس من آدم بالمصطفى اجتمعوا ... وشرعة الحب أم الناس فأتم
يا أجمل الخلق سيماء وأظرفهم ... طبعاً وأوفاهم بالعهد والذمم
عشقت منك صفات جل مبدعها ... كالغيد تفتن لب الشاعر الفهم
رنو فيمنحنه وحياً يخلده ... ورب حب مثير جاء بالعظم
ورب نجم منير يستضىء بكم ... «فأنتم الشمس لم تدرك ولم ترم»
وحسن شعرى بكم من شمسكم قبس ... والنبع ما سال لولا صيب الديم
فإن أجدت بهذا الطل مدحكم ... فكل معنى بكم كالهاطل العرم
حيـــاك ربى بآيات مفصلة ... والناس أعجز عن إدراك ربهم
لكنها صورة بالشعر أرسمها ... لأستجير بها إن بت كالحلم
يا هادى الفكر أهداه الإله إلى ... عبـاده منة من فضله العمم
إن يمدحوك بأبيات منمقة ... فأنت تفرق قلبى عن قلوبهم
تبارك الله لو شاءت مراحمه ... لشع نورك بين الناس كلهم
إن لم تكن بوكيل فاشفعن لنا ... بحق ترديدنا التوحيد فى الحرم
صلى الإله على محياك فى مهج ... تحيا بها كحياة النور فى السدم
صلى الإله على مثواك ما صدحت ... ورقاء أو هينمت عطرية النسم
صلى الإله على ذكراك ممتدحاً ... حتى تؤم صلاة البعث بالأمم

ميشيل الله ويردى

طيف الهجرة

للدكتور زكي المحاسني

سكنوا الديار وبغتة برحوا ... والنور يسطع حيثما نزحوا
ذهبوا مع الريح الغداة وما ... عادوا فليت بوصلهم سمحوا
أترى على بطحائهم بطلا ... مـــتلثما وكأنه شبـــح
ماجت عليه البيد فى نفر ... جابوا الرمال وبالسرى سبحوا
غنـــوا فرد القفر لحنهمو ... فحداؤهم بالبيـــد منطرح
قف بى على آثارهم فهمو ... شغلوا الفؤاد وبالهوى جرحوا
شاق الأوالى قبلنا طلل ... وقفوا عليه ودمعهم سفحوا

***

بأبى المهاجر وهو ذو فرح ... يسرى ؛ وكل مهاجر ترح
من فارق الطغيان حق له ... أن يستخف فؤاده المرح
ورعاه نجم منـــذ مولده ... هو نجمه ذاك الذى لمحوا
آكام يثرب ضاحكته دجى ... فلأهلهـــا بطلوعه فرح
تركوا الغبوق لبشر طلعته ... وبوجهه دون الطلى اصطبحوا
أمهاجراً والبغى يتبعـه ... وصحابه الأبرار ما رزحوا
من كان للفتح المبين سما ... لم يثنه الأعداء أن فدحوا
يا صاحب الصديق وارفة ... ذكراك ، منها القلب منشرح
عادت ، وهب العرب من رمم ... ولعودة الأمجاد قد طمحوا
كان الطغاة بأرضهم نجلوا ... متعسفين وفى الهدى جمحوا
لا تدعهم يوما إلى خجل ... فيما بغوا ، لا يخجل الوقح
ونحا صلاح الدين هل رجعت ... حرب الفرنج وهل بها لفحوا
خدعوا الشعوب بسلمهم ولكم ... غالوا السلام وباسمه ذبحوا
إنا جنحنا للوفاء وهم ... لريائهم ومطالهم جنحوا
نصراً رسول الله إن لنا ... قوما لكل جليلة كدحوا
صبروا على مر الخطوب وفى ... يوم الوغى أرواحهم منحوا

***

مرت بى الذكرى كطيف هوى ... والذكريات مرورها ملح
فطرقت باب الوالهين وبى ... شجن يناديهم فهل فتحوا
أسمعتهم بأحبتى هتفوا ... وبذكرهم فى حيهم صدحوا
روحى تطيف بأفقهم ولها ... عبر الفضا والغيب منسرح
نار تسعرنى وتبردهـا ... أنفاسهم هلا بها نفحوا
إن عزنى الكتمان بعد همو ... فأخو الهوى المشبوب مفتضح
أذنبت فى الشكوى فحق لهم ... هجرى فليت على النوى صفحوا

زكى المحاسنى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مصر في مؤتمر الفن العالمي :

تردد اسم مصر هذا الأسبوع في جميع أنحاء العالم ، وتناقلته وكالات الأنباء في كل مكان على أثر الكلمة التي ألقاها الدكتور طه حسين في المؤتمر الدولي للفنانين الذي عقد في قصر الدوج بمدينة البندقية وأشرفت هيئة اليونسكو على تنظيمه وكان المؤتمر قد بدأ جلساته يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢

وكانت « الرسالة » في أحد أعدادها السابقة قد نشرت بعض الأفكار التي ضمنها عميد الأدب خطابه الذي أعده لإلقائه في هذا المؤتمر

وهذه خلاصة ما جاء في كلمة الدكتور طه حسين

إذا كانت الأسلحة والنيران والدماء قد غيرت « وجه الأرض » فكم غيرت هذه الأشياء من « نفوس » الناس التي تعرضت بسبب ذلك كله إلى هزات عنيفة

القرن العشرون هو عصر الشك الفلسفي أو التشكك فيما وراء الطبيعة

سجل الدكتور ظاهرة قلة الإقبال على الأدب ومطالعة الكتب

أشار إلى جهود الكتاب لتبسيط آرائهم وجعلها في مستوى إدراك أغلبية القراء وأثر ذلك في الآراء الأصلية ذاتها

المعركة بين الكاتب والناشر ، يريد الكاتب من الناشر أن ييسر له من الوسائل المادية ما يكفل له العيش الكريم

من العسير الكتابة بكل أمانة وحرية دون مراعاة أي اعتبار مادي له علاقة بالاحتياجات اليومية

يدل التاريخ على أن الأدباء والفنانين في كل بلد ، وفي كل عصر ، لم يعتمدوا قط على أدبهم وفنهم في اكتساب قوتهم ، بل كانت دوما لهم مهن أخرى

إن ما يصل الكاتب من مكانة في المجتمع الذي يعيش فيه يفرض عليه واجبات معينة إزاء المجتمع ، ويكون لذلك أثر أخلاقي في تصرفاته وكتاباته يمس ما له من حقوق وما عليه من واجبات

* * *

والواقع أن هذه النقاط التي تناولها الدكتور طه حسين في بحثه والتي تصور حالة الأدب في العالم الآن ، إنما هي مستمدة من صميم الحياة الأدبية في مصر ، بل تكاد تكون صورة واضحة لما يعانيه الأدب في مصر

ومعنى هذا أننا نقاسي نفس التجربة الأليمة التي يعانيها الأدب والأدباء في العالم كله ، وأن الظواهر التي ننتقدها في محيط الأدب المصري ، ليست وقفا عليه وحده وإنما هي «ظواهر» طبيعية عامة

ويزجع كثير من النقاد والباحثين هذا إلى أثر الحرب العالمية الثانية ، فقد انتعش الأدب بعد الحرب العالمية الأولى وأخذ طوراً من القوة والحيوية والجد ، واستطاع الأدباء في خلال تلك الفترة إنتاج طائفة من الأعمال الأدبية والفنية الخالدة

فلما جاءت الحرب العالمية الثانية واستمرت ست سنوات كاملة ، كان من الضروري أن تكون هذه المرحلة الحرجة بعيدة الأثر في اتجاه التفكير العالمي ، فقد ذاق الناس في جميع أنحاء العالم — لا في البلاد المحاربة وحدها — ذلك اللون الخانق القاتل من الحياة المضطربة المزعزعة ، مما أدى إلى تحول خفي في النفسيات كان من أثره الإقبال على لون جديد من القراءة ليس دائما هو اللون الجاد ، وليس أبداً هو الأدب الرفيع

ومن هنا نشأت هذه « الأزمة » التي تكتنف الحياة الأدبية والفكرية في الشرق والغرب ، والتي تلخص في عجز الأدب الرفيع عن أن يكون مورداً خالصاً ، وأن تظهر تلك الحيرة في محاولة الكتاب تبسيط آرائهم حتى تكون في مستوى أغلبية القراء ، وكذلك قلة الإقبال على الأدب

مجلس عالمي للفنون والآداب

وقد ألقى الدكتور جيم توريس بودبت المدير العام لهيئة اليونسكو كلمة تضمنت النقاط الآتية :

أن وظيفة الفنان لا تقوم أساساً إلا على الاختيار ومن ثم وجب أن نوفر لها الحرية ، ولا يكون لهذه الحرية من معنى إلا إذا اقترنت بواجبات عميقة

عبودية الفنان تكون على نوعين : الأول أن يكون الفنان ملزما بالأخذ بتوجيهات خارجة عن فنه يمكن تغافلها وإلا نزل به العقاب . والنوع الآخر هو أن يتصور الفنان — وهو يساير أهواءه الخاصة — أنه يتمتع بقسط أوفر من الحرية فيكفر بقواعد فنه بأكمله ولا يكون مصيره إلا فشلاً فنيا

ليس عمل الفنان على الإطلاق عملا تجريديا ، فالفنان ينتمى إلى بيئة بعينها ، وتقليد بعينه ، وعصر بعينه ، وبلد بعينه ، وكل هذا يجعل العمل الفنى على صلة وثيقة بالتطور الفكرى والنظم السياسية والاجتماعية

وقد طالب مدير اليونسكو بضرورة إنشاء مجلس عالى للفنون والأدب يناط به توفير المساعدة والتعاون بين الفنانين المبدعين من الدول جميعا وله الآن أكثر من نواة ، مثل نادى القلم والمعهد الدولى للمسرح والمجلس العالمى للموسيقى ، وجمعيات المهندسين ، ولا ينقص هذه المناصر إلا جمعية للفنون البصرية والبدوية

أرستقراطية الثقافة

تقوم دار الكتب المصرية بطبع عدد كبير من المؤلفات الأدبية القديمة ، التى تعد من أمهات الأدب العربى

كما تقوم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية بتصوير ألوف المخطوطات العربية النادرة فى العالم

وكانت بعض البعثات قد قصدت فى العام الماضى إلى سانت كاترين فى شبه جزيرة سينا لتصوير المخطوطات الأدبية والفكرية هنـاك

ولا شك أن هذه المؤلفات الضخمة تطبع ، ولكن ما هى الفائدة التى تعود منها على الأدب والأدباء !

إن هـذه الهيئات لا تعترف إلا بعدد من كبار الكتاب وكبار الباشوات السابقين فتهدى إليهم هذه المؤلفات لتوضع كحلية بين مجموعات الكتب المجلدة الموجودة فى مكاتبهم وينتهى الأمر عند هذا الحد

ولارتفاع ثمن هذه المؤلفات ، وعدم وجود طبعات شعبيـة منهـا لا يتيسر مطلقا لشباب الأدباء — وهم على كثرتهم فقراء لا يملكون قوت يومهم — أن يحصلوا على هذه المؤلفات أو يقرأوها !

وهذا ولا شك لون من أرستقراطية الثقافة ، نرجو أن نتخلص منه فى العهد الجديد ، وأن نعمل على تيسير هذه الثقافة وهذه الألوان الأدبية حتى نجعل فى ميسور كل مثقف الحصول عليهـــا

من ٨ إلى ١٤ أكتوبر

فى خلال هذا الأسبوع تتجدد ذكرى ثلاثة من عباقرة رجال الفن والأدب فى الشرق والغرب هم :

عبد الله نديم	المتوفى فى ١١ أكتوبر ١٨٩٦
أناتول فرانس	المتوفى فى ١٣ أكتوبر ١٩٢٤
أحمد شوقى	المتوفى فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٢

ولا شك أن أناتول فرانس سيحظى بالكثير من التقدير من الصحافة الفرنسية ومن المجلات الأدبية

ستتناوله هذه الصحف من جميع نواحيه ، شخصيته ، أدبه ، حياته ، مباذله ، غرامياته ..

أما عبد الله نديم وأحمد شوقى فسيمر ذكرهما مرور الطيف ، لأنهما من الشرق ، الشرق الذى ما زال جاحداً لبناته ورجاله ومجاهديه

لقد كافح عبد الله نديم الظلم يوم كان كفاح الظلم أقسى ألوان الحياة ، واشترك فى الثورة العرابية ، وهرب ، واختفى وطال به الاختفاء ، وظل يتنقل تحت جنح الظلام ويغير مظهره ، حتى لا يقبض عليه

واستطاع أخيرا أن يذهب إلى الآستانة وهناك وقع فى القفص الذهبى الذى كان الخليفة عبد الحميد قد أعده للرجال الأحرار الذين كان يستدعيهم إليه ثم لا يطلقهم مرة أخرى

إن حياة عبد الله نديم هى صورة من الكفاح المرير فى سبيل مصر فى الوقت الذى كان لا يستطيع أى صوت أن يرتفع بكلمة الحق

.. ولا شك أن من حق عبد الله نديم علينا أن نكرمه ونحترمه ، ليس لهذه الوطنية وهذا الكفاح وحده ، ولكنه لأنه



مواكب الناس

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للاستاذ منصور جاب الله

الأستاذ نقولا يوسف كاتب مصور من الصفوة المختارة ومن الرعيل الأول الذين اقتحموا مععمان القصة المصرية فهدوا طريقها وسلكوا حزونها وألفوا ضروبها وطامنوا أشتاتها ، وإنا لنجد هذا القاص الممتاز يضرب فى هاتيك المهامه البيد منذ حقبة تزيد على ثلاثين عاما لا يربع على شىء ولا يتعثر ولا يتلبث

ونقرأ فى صدر كتابه الجديد جريدة بمؤلفاته التى أصدرها منذ عام ١٩٢٢ ، فنرى فيه المكافح الثابر الذى لا يبغى جزاء ولا شكوراً ، فهو لا يلجأ إلى الناشرين أو الوراقين لطبع كتبه ، وإنما ينشرها لحسابه الخاص ويوزعها هدايا على الصدقان والصحاب ومابقى منها بعد ذلك لا يكاد يأتى بجزء ضئيل من تكاليف الإنتاج !

ولكن عزاء الأستاذ نقولا يوسف أنه يؤلف حبا فى التأليف وتنفيسا عن رغبة مكبوتة فى ذات نفسه ، ومن ثم فإنه لا يغار أن سبقه فى منادح الشهرة والمجد القصصى تلاميذ له وحواريون درسوا عليه أواسط العلم أو أعاليه ، فهو بهذا مغتبط أن هيأ لهذا النفر من الشباب المتوثب طريق شقه لهم فساروا فيه

ولا على المؤلف الفاضل هذه النفقات الطائلة التى يخرج عنها لطبع مؤلفاته ، فإنما هى ضريبة المجد والخلق الفاضل الذى طالما غرسه فى نابتة هذا الجيل

وبعد هذه التوطئة التى لم يكن منها بد ، يطالعنا الأستاذ نقولا يوسف بمؤلفه الجديد « مواكب الناس » وإذ نتصفحه ونمضى فى قراءته إلى خاتمة المطاف يبدو لنا أن هذا الرجل ذا القلب الكبير يطوى بين جوانحه مأساة ، فقد ضربه القدر فى ابنته التى كانت ملء نفسه وريحانة عينيه فأظلمت الدنيا فى وجهه وأخذه الزعد من كل مكان فإذا به يعمد إلى مسلاته الواحدة ، وينشئ « الصورة » تلو « الصورة » ثم يلزها جميعا فى قرن ، حتى إذا أقبل الصيف بهجيره لم يرق له أن يستمتع بإجازته الطويلة كما استمتع سائر أنداده من المدرسين ! وإنما عكف على تنفيذ هذه « الصور » وإزجائها إلى المطبعة فهو غاد ورائح بين آلة الطباعة وباعة الورق وتصحيح التجارب وهكذا ، وما صرف صيفه الأطول على ذلك النمو إلا ليصرف عن نفسه أحزانها وأشجانها

ولقد كررنا كلمة « الصور » التى احتواها « مواكب الناس » عن عمد ، ذلك لأن هذا المؤلف الأخير مختلف تمام الاختلاف عن مؤلفه السابق « دنيا الناس » الذى قدمناه لقراء « الرسالة » قبل عامين فذلك كان أقاصيص فيها « حبكة » القصة ولها « عقدتها » تنساح بين أرجائها « المؤامرات » ويرين عليها عنصر « المفاجئات » بيد أن هذا الكتاب الذى بين أيدينا قد صدق فيه مؤلفه إذا أطلق عليه عنوانه ، فهو « مواكب » للناس تتلاحق ، وتتسابق ، ثم تسير على وتيرة واحدة حتى تفترق بها الطرق وتفرق عن سبيله ، وهو فى هذا يقول : لما فرغت من هذه « الصور » التى تحتويها هذه المجوعة ، استعرضتها جملة فاتضح لى أن أصحابها شخصيات

ابتدع فى الصحافة المصرية لونا جديدا .. ذلك اللون القائم على السخرية والتبكيت ، وهو الذى حور أخيرا فى صور الكتابات النقدية السياسية التى تقوم عليها معظم المجلات الأسبوعية !

أما شوقى فالحديث عنه طويل . . بقدر ما أدان العربية والشعر من دين وصفه أستاذنا الكبير الزيات عند ما قال إن شوقى كان تعويضا عادلا للعربية منذ قضى المتنبى .. ولكننا ونحن الآن نسمع قصائده تغنى ، وشعره يتردد على كل لسان ، ونذكر فضله فى ابتداع المسرحية الشعرية فى الأدب الحديث ... ندهش حين نرى أن عملا ما — يدل على التقدير — لم تقم به أى هيئة أو طائفة .. أين مثلا كرسى شوقى فى كلية الآداب ، أو أين مكانه فى دار الكتب ، أو تمثاله فى ميدان يطلق عليه اسمه !! أو الكتاب الضخم الذى وضع عن فنه وشعره

أما « أناتول فرانس » فلسنا فى حاجة إلى الحديث عنه فإن المؤلفات والآثار الأدبية التى تناولته فى جده وهزله وفنه . . أكثر من أن تحصى

أنور الجندى

حقيقية ، عاشت وعرضت لى فى الحياة فعرفتها ، ولهذا لم يكن لى كبير فضل فى ابتكارها ، وإنما الفضل لمن خلقها على هذا النحو ، تارة على بساطة وبراءة وأخرى على شىء من الغرابة والتعقيد ، فكان عملى — والحالة هذه — مقصوراً على نقلها من دنيا الواقع إلى دنيا الفن دون أن أبدى إعجابا هنا أو زراية هناك

انتهى كلام المؤلف فى كتابه الجديد فى حين أنه يحاول الاحتراس فى كتابه السابق بقوله « كل ماورد فى هذا الكتاب من أسماء الأماكن والأشخاص خيالى ولا يصف شخصية معينة بالذات ؛ فنرجو المعذرة إذا وقع تشابه غير مقصود بين الأسماء أو الصفات أو الحوادث »

فالكاتب الفاضل إذن قد حدد النهج فى كتابيه وفصل بينهما بحجاز ، ومن هنا نتقبل «مواكب الناس» على أنه طائفة من الصور الأخلاقية الاجتماعية أعمل المؤلف ذوقه وفنه فى اقتناصها وتجليتها على القارئين ، فبدت كواسطة العقد تختال للناظرين

وإن قارئا من القراء مايستطيع إذ يستطلع « مواكب الناس » أن يستريب فى أن صورة أو أكثر من صورها شكت بصره أو ضربت أذنه فى زمن من الزمان أو مكان من المكان ، ولكن ليس لكل إنسان تلك الطبيعة النقية المتساوقة التى جعلت الفن القصصى طيعاً ليناً بين أنامل السيد نقولا يوسف ، فهو يصور الواقع بريشة الفنان الذى يرى ويسمع ويتذوق ثم ينقل على القرطاس صوراً لا يكاد يتلوها القارئ حتى يرى فيها نفسه لا تريم ولا تتحلحل !

والطريف فى المؤلف أنه نقل صوره نقلا « مصريا » إن صح التعبير ، فعلى أنه يتقن أكثر من لغة أوربية ، لم ينشأ فى كل هذه الصور — حتى التى وقعت له فى أوربا — لم ينشأ أن يصورها تصويرا أوربيا ، وإنما صورها كما يفهمها « أولاد البلد » ! وقد بلغ من هذا القمة فى التصوير والنقل الأمين

وليس لدينا فى الحق نقد على هذه الصور إلا أننا بصرنا فى بعض الأحيان بالكاتب يتحامل قليلا على بعض أبطاله ، ولعل ذلك ناجم من أنه رجل مثالى رغم أنه خب فى القصص الواقعى ووضع ، وأنه لم ينس مثاليته وإن تضاربت مع الفن الذى سلكه من زمان !

وإنا لنرى الكاتب بعد ذلك يحلق — فى بعض الصور — بأسلوب عال ، ثم يهبط بعد ذلك — فى صور أخرى — إلى أسلوب عادى ، ولعل مرد هذا أن الكاتب الفاضل عصبى المزاج لا يلقى أهمية كبيرة للأسلوب القصصى كما أومأ فى مقدمة كتابه الفريد

منصور جاب الله

النيل فى ضوء القرآن

تأليف الأستاذ أحمد الشرباصى

للأستاذ سعد الدين موسى كله

وهذا كتاب جديد فريد يحتل مكانته اللائقة به فى صفوف المكتبة العربية الخالدة ! أجل هو جديد فى نوعه — فريد فى بحثه وعرضه ! ولم لا وقد تعرض فى صفحاته الرائعة الممتعة إلى قضية النيل ودراسة هـذا النهر « المبارك الروحات ، الميمون الغدوات » كما قال « عمرو » على ضوء القرآن الحكيم بعد أن قدم له بمقدمات تمهيدية ، من جهة اللغة العربية والتاريخ ، كما لم يفته أن ذكر لنا « النيل » عند الشعراء وفى مخيلتهم ، وكيف أجادت تصويره قرائحهم فافتنوا فى ذلك افتنانا عجيباً ؟ ! وليس غرضى من هذه الكلمة العجلى التدقيق والتحقيق أو التفصيل والتحليل « فلذلك موعد آخر » إنما هو العرض السريع والسير الحثيث مع المؤلف أرجو أن أوفق فيه إلى جذب أنظار قراء الأدب ومحبى الحكمة وعاشقى الثقافة لمطالعته لنفاسته وللافادة منه خاصة ، وهو نفحة عاطرة من نفحات « القلم الشرباصى » الرشيق الرقيق الذى ما فتئ كل يوم يطلع علينا بلآلئه ويواقيته العذارى الأبكار ، وغرره ووروده الزواهر المشرقات كفلق الصبح أو وضح النهار !

والكاتب اللبق ، والأديب الحق فى رأيى — هو من يغوص فى أعماق الحقيقة فيبتكر لنا من أخيلته الشاعرة وذهنه الولود أفكارا وآثارا ، وأقباسا وأنوارا ، ناقضا بقدرته وعبقريته تلك النظرية القديمة البالية . « لا جديد تحت الشمس » ! وكذلك فعل الشرباصى هنا فبدأ ببيان اشتقاق كلمة النيل فى اللغة ومصدر النيل فى زوايا التاريخ ، منتقلا بنا إلى ندوة شعرية جميلة ، ناقلا لنا مختارات مجيدة فذة — تدل على ذوقه البليغ — واختيار المرء قطعة من عقله ! ويطوى الحديث سريعا ليخلص إلى السنة والكتاب ، مستعرضا بعض الأحاديث والآيات فى براعة ولباقة وتنقيب ودقة ، ويبدع الشرباصى أيما إبداع حينما يتحدث عن

مصر وفرعون فى القرآن ثم عن بعض الرسل فى مصر كيوسف وموسى عليهما السلام ، مطعماً حديثه بآثار وروايات عن الصحابة والأئمة والمؤرخين فى تمجيد « النيل » « ومصر » التى هى هبة « النيل » كما جاء عن «هيردوت» المؤرخ اليونانى القديم..وهذا فصل من فصول الكتاب تحت عنوان — خيرات الوادى — يستعرض فيه غلات مصر وزهورها وحبوبها ونتاج أرضها المباركة الخصيبة بفضل هذا الشريان الطاهر المقدس الذى يجرى فى أوصالها وأعراقها منذ فجر التاريخ ، وفصل آخر يعقده المؤلف عن ميزات النيل وواديه وهو ملئ بالنوادر الفردة والآثار التاريخية والنصوص الأدبية والروائع الممتعة مما أنتجته عقول الأدباء والكتاب والرواة — وددت لو نقلته لك بأكمله — ولكن من الخير لك أن تنفرد به وحدك فتتذوقه بنفسك وتتملاه بذوقك « ومن ذاق عرف ! »

وبعد فهذه صفحات أخرى تسير بك فى إبداع وإمتاع ، وفيها إهابة ببنى مصر أن يهبوا ، فقد طال بهم الرقاد ! — إن النيل يفى لنا فى كل عام ، لا يتخلف عن الجريان مرة ! — أفلا نكون معه أوفياء ! و « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ! » قد يمسك النيل فيضه قليلا أو رويدا ، ولعله يراد بذلك أن تتنبهوا وتعتبروا ، وتقدروا النعمة حق قدرها ؛ وقد يزداد فيضه ليحذركم وينذركم ، ويخوفكم من انقلاب النعمة نقمة ! فإن الاعتبار يا أولى الأبصار ؟ !

ألا ما أبلغ هذا الكلام وأجمله ! أما واجبنا نحو النيل فيجليه لنا يراع الكاتب الموفق جلاء واضحا فى بنود عدة بلغت « الثانية عشرة » ! وأخيرا .. نجد أمامنا « ملحقات » : النيل فى القرآن ، أساس الوحدة هو الإسلام « وجعلنا من الماء كل شئ حى » وهى ثلاث خطب منبرية عصرية ، جمعت فأوعت من الحديث الواعى الحصيف ، والاطلاع الوفير ، والأدب المستنير الغزير !

ألا حيا الله أستاذنا الشرباصى ، ووفقه دائما لخدمة الإسلام والقومية والعروبة ، وجزاه عن دينه ووطنه وأمته ولغته خيرا !

سعد الدين موسى كلاه



الطلاق الثلاث بلفظ واحد

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة فى (لواء الإسلام ٤ — ٦) : لايقع الطلاق الثلاث بلفظ الثلاث ثلاثا ولكن يقع طلقة واحدة.. لذلك قرر كثير من العلماء.. أنه يقع واحدة . وقد روى ذلك عن بعض الصحابة كعلى بن أبى طالب وأبى موسى الأشعرى وعبدالله ابن مسعود والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

وقال الأستاذ محمد زاهد الكوثرى (الإشفاق ٢٣ — ٥٣) أسند ابن حزم (فى المحلى) إلى على أنه قال لمن طلق ألفاً : ثلاث تحرمها عليك ، ومثله فى سنن البيهقى . راجع المجموع الفقهى للامام زيد بن على ، وأسند ابن حزم كذلك إلى عبد الله بن مسعود أنه قال بمثل ذلك ، كما فى مصنف عبد الرازق وسنن البيهقى وغيرهما

وأما الزبير فابنه عبد الله من أعلم الناس به ، وهو لما سئل عن طلاق البكر ثلاثا قال للسائل : مالنا فيه قول فاذهب إلى ابن عباس وأبى هريرة فسلهما ثم ائتنا ؛ فأجابا بأن الواحدة تبينها والثلاث تحرمها ، كما فى موطأ مالك . فلو كان عنده عن أبيه أن الثلاث واحدة فى المدخول بها لما تأخر عن ذكر ماعنده ، لأن غير المدخول بها أولى بذلك الحكم .

وأنى يصح عن عبد الرحمن بن عوف خلاف مافعله هو فى طلاق امرأته الكلبية (المحلى ١٠ — ٢٢٠) وكان طلاقه إياها ثلاثاً : حتى أن من يرى أنه لا إثم فى الجمع بين الثلاث يستدل بفعل ابن عوف هذا ، كما فى فتح القدير لابن الهمام

ومن الدليل على وقوع الثلاث بلفظ واحد فى عهد النبوة حديث اللاعنة الذى فى « صحيح البخارى » حيث قال عويمر العجلانى فى مجلس الملاعنة : كذبت عليها إن أمسكتها يارسول الله ؛ فطلقها ثلاثا . ولم يرد فى رواية ماأنه صلوات الله عليه أنكر عليه ذلك..قال ابن حزم : لولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه

وفهم البخارى كذلك من هذا الحديث مافهمته الأمة جمعاء من الوقوع حيث ساقه فى صحيحه فى (باب من أجاز طلاق الثلاث)

أمين سراج

أكاذيب كلوب باشا

نشرت مجلة «العصبة» البرازيلية فى عددها الثانى من سنة ١٩٥٢ مقالا للصحفى الفرنسى «رينيه رانليك» الذى أوفدته مجلة «فرانس ألستراسيون» بعد مقابلته لكلوب باشا قائد الجيش العربى فى المملكة الأردنية الهاشمية لفت نظرى التصريح الكاذب التالى

قال كلوب باشا ردا على سؤال وجهه إليه الصحفى الباريسى : « وللفرقة العربية — يقصد الجيش العربى — فى الشرقين الأدنى والأوسط مقام خطير ، حتى أن الاعتقاد الذى كان سائداً هو أنها كانت احتلت «تل أبيب» لو لم تتوقف الحرب بين العرب واليهود ، ولكن الكثيرين لم يترددوا فى القول أن للانجليز يداً فى ذلك رغبة منهم بإرضاء الولايات المتحدة فى سياستها مع إسرائيل

إن الذين زعموا ذلك يجهلون حقيقة الموقف ويجهلون حالة الفرقة العربية فى ذلك الحين ، فقد كانوا يعدونها جيشاً حديثاً ذا قوة عظيمة ، والحقيقة أن الفرقة العربية كانت كذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولكن كثيرا من جنودها انسحبوا منها بعد توقف القتال ، فلما بدأنا الحرب الفلسطينية لم يكن لدينا من المحاربين غير ستة آلاف رجل بينما كانت الصحف تجود علينا كرهاً بثلاثين ألف مقاتل ، ولم يكن الوقت مناسباً للتكذيب . والذى كان يفت فى عضدنا هو عدم تمكننا من سد ماكان يحدث فى فرقتنا من فراغ ، وكان ينقصنا المال ، ولم تكن لدينا قوى احتياطية ، أما ذخائرنا فلم تكن تكفى لأكثر من (١٥) يوما أو (٢٠) يوما فيما لو جابهنا فيها حربا حقيقية متواصلة . أضف إلى ذلك أن القوى اليهودية انصبت فى شهر الحرب الأول على مدينة القدس حيث كنا نناضل . . وكان ذلك من حسن الطالع ! ولما كان المصريون والعراقيون والسوريون لم يشتركوا بعد فى القتال.. كان علينا أن نتحمل وحدنا هول الصدمة . . والحقيقة أن أعداءنا اليهود لم يكونوا مدربين على القتال لتعذر ذلك عليهم بسبب وجودهم تحت الانتداب البريطانى فى فلسطين ، ولكن عددهم كان يفوقنا بثمانية أضعاف . . . ولأنه لم يكن لديهم غير القليل من المدافع فقد كانوا مسلحين مقابل ذلك بكميات عظيمة من الأسلحة الخفيفة

ويتضح من هذا التصريح الذى أدلى به كلوب باشا وهويلف

ويدور فى الإجابة أنه يريد أن يغطى الحقيقة المعروفة من أن سبب نكبة فلسطين هى وجود كلوب باشا على رأس الجيش العربى ، إذ لولاه ولولا مصالح بريطانيا فى سبيل إرضاء أمريكا واليهود على حساب العرب لتمكن الجيش العربى وجيش الإنقاذ من طرد اليهود وإرغامهم على ترك البلاد لأهلها خاصة بعد جلاء البريطانيين منها ، أما تمسكه بقلة الجيش العربى وذخائر الحربية فهذا محض اختلاق ، ولو رجعنا إلى الواقع لعلمنا أن جيوش الدولة العربية التى أرسلت لتحرير الديار المقدسة كانت قادرة على التطهير لو لم يتهددها كلوب باشا بمهاجمتها من الخلف إذا ماتقدمت خطوة واحدة لاسترداد الأراضى التى احتلتها الجيوش الإسرائيلية ، فإذا كان كلوب باشا يريد بمثل هذه الأكاذيب المفضوحة أن يطمس الحقائق التاريخية فليعلم العرب أن أمثال كلوب باشا ما كانوا ولن يكونوا فى يوم من الأيام فى خدمة القضية العربية مادام هو من عبيد أسياده الإنجليز ومادام هو والمستر فلبى يريدان تكملة المهمة التى قام بها لورنس ولم يتمها، فإذن كيف جاز له أن يخدع الرأى العام الأوربى بمثل هذه التصاريح المشوشة؟ هذا ما أتركه إلى كتاب العرب الأحرار للتعليق عليه . وسلام على فلسطين التى أضاعها الساسة الموالون لكلوب باشا الذى كان نفسه السبب فى إقصاء الملك طلال عن عرش أبيه والذى كان لا يأتمر إلا بأمره

٢ — فى قصيدة الفيتورى

قرأت قصيدة السيد محمد مفتاح الفيتورى المنشورة فى العدد (١٠٠١) من مجلة « الرسالة » الزاهرة بعنوان (العائدون من الحرب) فاستوقفنى فيها البيت التالى :

تجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

والجرجرة كما فى لسان العرب مايلى :

الجرجرة الصوت ، والجرجرة تردد هدير الفحل وهو صوت يردده البعير فى حنجرته قال الأغلب العجلى يصف فحلا :

وهو إذا جرجر بعد الهب جرجر فى حنجرة كالحب
وهاجه كالمرجل المنكب

وجرجر ضج وصاح، وفحل جراجر كثير الجرجرة، وهو بعير جرجار كما تقول ثرثر الرجل فهو ثرثار . . وفى الحديث « الذى يشرب فى الإناء الفضة والذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » أى يحدر فيه ، والجرجرة صوت البعير عند الضجر

ولا أظن الأستاذ الفيتورى يقصد الجرجرة بمعناها المعروف ولكنه يقصد الجذب أو السحب وكان عليه أن يقول « نجرر خلفنا التاريخ » أليس كذلك ؟

وأوقفنى البيت التالى من القصيدة نفسها

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولكن عودة القضور

وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لكلمة (القضور) فما معناها يا أستاذ !

عبد القادر رشيد الناصرى

إلى الأستاذ على الطنطاوى

أنت — يا سيدى قاض أجمع محبوه ومبغضوه على أنه عادل ، ولذا أحببت أن أرفع إليك هذه القضية

أعرف — يا سيدى — أديباً كبيرا آتاه الله علما ، وحباه فهما ، ورزقه إيمانا ما أشد اعتزازه به وحرصه على النهوض بتبعته ، واختصه ببيان ساحر كتب أو خطب لم يختص بمثله إلا قليلا ... ومع ذلك فهو لا يؤدى حق ماأنعم الله عليه ، أو أصبح الآن لا يؤديه فقد طالما طالعنا فى الماضى من أدبه المفيد والرائع والباقى ...

وأنا أعرف لماذا سكت أو « أسكت » فلم يعد يخطب أما لماذا كف عن الكتابة فلا أعرف ، هل علم الناس حتى استغنوا عن العلم ؟ ! واهتدوا حتى استغنوا عن الإرشاد ؟ ! وآمنوا حتى استغنوا عمن يقف فى أنفسهم ومجتمعهم فى وجه الإلحاد ؟! الخ)

كلا ، ثم كلا فالناس ما يزالون فى جهلهم بحاجة إلى العلم ، وفى ضلالهم بحاجة إلى الهدى ، وفى شكهم بحاجة إلى اليقين ، وفى أسفافهم بحاجة إلى أجنحة الأدب الرفيع ، ولكن أديبنا الكبير لا يلبى حاجتهم ولا يؤدى واجبه نحوهم ولا نحو قضية العلم والإيمان والأدب على العموم

نعم إنه يكتب هذا المقال الذى نقرؤه له كلما أوشكنا أن نقطع الأمل من وقوعنا عليه ولكنه ليس يكفى ، ولا يسد حاجة ، ولا يؤدى واجبا ، هذا كله على قدرة فيه نادرة ، وغيرة عنده



القلب المحطم

للكاتب الانجليزى واشنطون ارفنج

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون وتخطت بهم حدود الشباب فلم يعودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا فى جوها الزاهى حيث لا مقام لشعور أو قرار لعاطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تعدو أن تكون صورا وأقاصيص من نسج خيال القصصيين والشعراء، إلا أن خبرتى بدخيلة النفس الانسانية تحملنى على ألا أرى رأيهم، فقد هدتنى التجارب إلى أن المرء قد يبدو فاترا باردا لشواغل الدنيا وهمومها ، وقد يطالع الناس هاشا باشا مراعاة لمراسم المجتمع وآدابه، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادئ نيراناً كامنة ترقد فى أعماق أبرد الصدور ، وهى نيران إذا أثارها مثير احتدمت احتداما لا يعرف مداه ، وقد تسوء عقباه . الحق أنى مؤمن قوى الإيمان بذلك السلطان الأعمى، ذاهب مع تعاليمه إلى أقصى حدودها . إنى مؤمن بالقلوب المحطمة إيمانى بأن خيبة الحب فى رجائه قد تعجل بفنائه ، ولكنى لا أرى الحب مرضا كثير الفتك ببنى جنسى ، فى حين أنى أؤمن الإيمان كله بأنه المرض الذى يصيب كثيرا من النساء لا يتطرق إليها الشك

فهل لك — يا سيدى القاضى — أن تنظر فى هذه القضية المرفوعة إليك ضد الأديب الكبير (الذى أظن أنك عرفته أوثق المعرفة) وإلى أن تحكم عليه الحكم العادل الذى يرده إلى ميدان الجهاد ولا يحوجنى إلى أن أستأنف القضية عند شيخ الأدباء « الزيات »

دمشق — محب الدين

اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن ومازلن فى مقتبل العمر وشرخ الشباب

إذ أن الرجل له مصالح وأطماع، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح فى معمعانها الصاخب ، والحب عنده ألهية فى مقتبل حياته ، أو أنشودة ينشدها فى أوقات فراغه ، وذلك لأنه فى شغل عنه بما يطمح إليه من شهرة ، وما يسعى وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو إليه من سؤدد بين أنداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها نهب للعواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دنياها التى تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تتمناه من مخبوء الكنوز فتطلق كل جارحة فيها للمغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفين العواطف ، فإن غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ؛ إذ معنى ذلك إفلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممضة ، وقد تجرح بعض مارق من أوتار قلبه ، وتعصف ببعض معالم هناءته ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبدد أفكاره ويصرفها بالاندماج فى دائرة الأعمال المنوعة ، كما أن فى وسعه أن ينغمس فى الملاهى والمسرات ، أو يبدل مقر سكناه إذا رأى أن المسرح الذى مثلت عليه فصول مأساته محاط بملابسات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل إلى حيث يشاء متخذا أجنحة الصباح طائرا إلى أقاصى البلاد حيث يخلد إلى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهى بالنسبة إلى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهى أكثر اصطحابا لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استحالت هذه إلى رسل ودواع للألم والحزن فإلى أين النجاء ، وأين تلقى العزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها فى حبها فمثل قلبها فى ذلك مثل القلعة تقع فى أيدى الأعداء فتنهب وتسلب وتترك خواء

كم من عين متألقة خبا ضياؤها ! كم من خد أسيل غدا شاحبا ! كم من وجه جميل ذوى وطواه الردى دون أن يدرى امرؤ السبب الذى أودى بتلك النضارة ! فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تضم الحمامة جناحيها إلى

جانبيها تخفى بهما السهم الذى يوغل فى مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادئ خجول ؛ ومهما أصابت فى حبها من توفيق فقلما تهمس به لذات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها فى الحب أودعتـه طيات صدرها وتركته هنـاك فى هم واصب بين طاول أمسها الذاهب ، فقد أخفقت آمال قلبها ، وانتهت بهجة الحياة الـكبرى عندها ، فهى عندئذ تعاف الألعـاب البهجة التى تنعش الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحيـاة والصحة فى العروق ، وهى فى حالها تلك تقلقها الأحلام السود وتفزعها فى نومها ، ويمتص الأسى دماءها حتى ليمسى جسمهـا من الوهن والهزال ينقض ويتهدم تحت أضعف مؤثر خارجى . فإذا ما سألت عنها بعد قليل وجدت الأصدقاء يبكون على قبرها وقد عاجلتها المنية فى وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك العجب كيف هبطت إلى عالم الظلام والديدان تلك التى كانت تشع منها إلى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ! فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوفاها ، وما يدرى أحد منهم ذلك المرض الفكرى الذى سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأدنى المؤثرات

مثلها مثل الدوحـة الفينانة تزهر الغابة بها وتزدان ، تقف رشيقة القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لبها فيسرع إليها الذبول حين يرجى إشراق نضرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها إلى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة إلى أن تضمحل وتموت فتهوى فى سـكون الغاب . فإذا ما تأملنا هذه الأدواح الجميلة أخفقنا فى تعليل ميتتها ، محاولين عبثاً أن نذكر تلك العاصفة التى عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التى لعلها تكون قد صعقتها

لقد لا حظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سريعة نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاختفين من الوجود على مهل كأنهن تبخرن فى الهواء . ولقد ظننت مراراً أنى أصبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن إلى آلام السل المهلـكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى الهزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولـكنى وجدت فى النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضيعة الأمل

كل يذكر ولا ريب قصة ذلك البطل الأرلندى الشاب « ا . . » فهى قصة كان وقعها أليما بحيث لا يمكن أن تنسى سريعا ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات الأرلندية متهماً بالخيـانة ونفذ فيه حكم الإعدام بالشنق ، وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق فى قلوب الجمهور ، إذ كان شابا فى ميعة الصبى وزهرة الشباب ، متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كمل فيه كل ما يحب فى الفتى من كريم السجايا وحميد الصفات ، كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته وإقدامه ؛ وكان لغضبته النبيلة فى دفع تهمة الخيانة عن نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال المقبلة وهو فى موقف الاتهام وساعة اليأس.. صدى مدو فى أعماق كل صدر كريم ، حتى أن أعداءه أنفسهم ندموا بتلك السياسة النكراء التى قضت عليه بالقتل

ولـكن قلباً واحداً بين هذه القلوب فاقت حسرته ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة الجميلة ابنة أحد مشاهير المحامين الأرلنديين التى كان قد نال حبها أيام سعده وتوفيقه ، وكانت هى قد أحبته لأول ما أحبت بتلك الحماسة التى تحب بها المرأة حبهـا الأول فى مقتبل أيامها . لقـد كانت تحبه أيام محنتـه ، أيام تألبت عليه أقاويل النـاس وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بمـاله ، وتهدد العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب . ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فـكيف بها اليوم وكيف ألمها وهى التى كانت تهيم بطيفه وتشغف بخياله . وقـد حرك المصاب نفوس عداته ، سل عن ذلك من سدت أبواب القبر بغتة فى وجهه ، وفرقت بينه وبين من لم يعدل به وبحبه أحداً ، وقد جثا على حافة القبر كالمطرود فى دنيا باردة موحشة ذهب عنها كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

ياللهول من قبر ! كم هو مهين ! وقد خلت الذاكرة مما عساه أن يخفف غمة الفراق . ولم تستطع تلك الملابسات الوديعة وإن خالطها الغم ، أن تذيب ذلك الحزن فى تلك الدموع المباركة التى تنزل كالطل من السماء برداً وسلاماً على القلب فى ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد فى وحشة حياتها أن تلك الصلة قـد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته . ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف أن يهبنها عطفهن ، لما أعوزها العزاء ؛ فالأرلنديون قوم حساسو النفوس كريمو الشعور . ولقد مـدت

إليها بيوتات كريمة يد المونة وأحطنها برقيق الرعاية وقدمنها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها بشتى الملاهى والمسرات لتزول عنها حزنها ولتبعد عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً فى عبث ، فإن من النكبات ما يتلف النفس ويذويها وينفذ إلى منبت السعادة فيسحقه سحقاً فلا يعود إلى إنبات . أما هى فلم تأب التردد على منتديات السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها موكولة إلى أساها ، فكانت تسير فى وجوم يغيب فيه الشعور بالدنيا التى تموج حولها ، وكانت تحمل فى نفسها على الدوام هما دفينا يسخر بمداعبات الصديقات ، ولا تحفل بسحر الغناء ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لى قصتها فى « كرنفال » وقد أخبرنى أنه لم ير منظراً للبؤس أكثر إيلاما للنفس من رؤيتها فى هذا الحفل الحافل تمشى كالخيال الضارع وحيدة كئيبة؛ بينما كل ما حولها زاه بهيج ، وقال لى إنه رآها تلبس حلل المرح فى حين تسير ساهمة الوجه ممتقعة اللون يغمرها الأسى كأنما تحاول عبثا أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه المقيم . وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج منصة الموسيق ؛ وبعد أن نظرت إلى الفضاء برهة وهى شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بجمال المناظر من حولها ، أخذت تغنى ، شأن القلب العليل فى تقلب أطواره ، فكان شدوها باكيا ، لقد كان صوتها رخيما إلا أنه فى هــــذه المرة كان مؤثرا بسيطا ، فتنفست عن نفس بائسة ، والتف حولها الجميع وساد السكون ، فأذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة سيدة على ذلك الإخلاص وهذا التفانى لا بد أن تثير إعجاب الناس فى بلد عرف أهلوه بالحماسة والوفاء ، فأحبها وأغرم بها ضابط باسل خطبها وهو يحدث نفسه بأن من كانت تظهر هـذا الإخلاص للميت ، تظهر ولا شك مثل هذا الإخلاص للحى، إلا أنها خيبت أمله فى ذلك إذ لم يكن فى وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها الأول! على أنه أصر على طلبه قائلا : إنه يكفيه منها التقدير بديلا عن الحب . وساعده عليها اقتناعها بجدارته وعوزها واعتمادها على الغير إذ كانت تعيش على ما تجود به الصديقات ، فنجح فى النهاية فى الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن قلبها مازال ملكا لغيره ولا سبيل إلى صده عن هواه

سافر بها إلى صقلية لعل تبديل المناظر يمحو ذكرياتها القديمة، ولقد كانت رقيقة القلب مثال الزوجة الصالحة ؛ فحاولت أن تسعد بزواجها ، إلا أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الكامن لم ينجح فيهما علاج

فذبلت رويدا رويدا ، وأخذ منها الهزال مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل فى البرء منه وهوت أخيراً إلى قبرها ضحية القلب المحطم

وقد نظم فيها مور الشاعر الأرلندى الشهير أبياته الآتية :

بعيدة عن الأرض التى بها مثوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،
إلا أنها تشيح عنهم بوجهها وتأخذ فى النحيب ،
فقد علق قلبها بالثرى الذى ضم الحبيب ،

* * *

تنشد أغانى الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء ،
مؤثرة ما كان يحبه من بين تلك الأنغام .
آه ليس يدرى أولئك المعجبون بألحانها
كم يتمزق قلبها وهى تشدو بأنغامها !

* * *

عاش لحبه ومات فى سبيل بلاده ،
وكان هذان كل ما يعنيه من دنياه ؛
وسوف لا تجف عاجلاً دموع بلاده عليه .
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

* * *

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذن بغيابها بدنو غد موموق ،
حتى تضئ عليها فى ضجعتها كبسمة من المغرب
من جزيرة الأحزان التى أحبتها وعلقت بها

ح . ك

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٦ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٢٩

الرواية

تعـــــود



و

الرسالة

تتجــــــــدد



في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب .
وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفي يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم
لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1006

Le Caire 13 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٦ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٧٢ — ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

ثورة فيها ريح النبوة

كل نبوّة كانت ثورة . ومن أخص ما ميز ثورات النبوات أنها كانت للسلام العام والصلاح المطلق . فلا تجد نبيا دعا إلى عرض الدنيا ، ولا رسولا سعى إلى سلطان الحكم . إنما كان الأنبياء والمرسلون جند الله ، يعملون بوحيه ، ويهتدون بهديه . عقيدتهم الحق ، ودعوتهم الصدق ، وعدّتهم الصبر ، ووجهتهم الخير ، وطريقتهم التضحية . فلما ختم الله رسالاتهم برسالة محمد كتب على نفسه الرحمة أن يرسل إلى الناس في كل حقبة مصلحا يؤدبه بأدب الأنبياء ، ويجريه على منهاج الرسل ، ليجدد ما درس من نهجه ، ويبين ما طمس من طريقه . وشأنه سبحانه في إعداد المصلحين كشأنه تعالى في إعداد النبيين ، يصنعهم على عينه ، ويطبعهم على دينه ؛ حتى إذا ضعف سلطان العقل ، واختل ميزان العدل ، وعميت على الناس وجوه الرشد ، أظهر هذا المصلح من بين رجال السيف في أكثر الحالات ، لأنهم بحكم تنشئتهم أصحاب فداء ومضاء ، وأولو نظام وعمل ، وأخلاق شرف ومجد . يطلبون الحياة بالموت ، ويرحضون الرجس بالدم ، ويقرنون الرأي بالعزيمة . ولم تجتمع هذه الصفات لأحد قبل اللواء محمد نجيب وصحبه . وسر ذلك أنهم نشأوا في طبقة الفلاحين الكادحين فعرفوا كيف يكون الحرمان ، وعملوا تحت إمرة المستكبرين المستهترين فعلموا كيف يكون الطغيان ، وأضاءت قلوبهم النقية إشراقة من نور الله ، فرأوا من تحت الظلام الكثيف المخيف عرش مصر يرتطم في القذر ، وجيش مصر يضطرب في الفساد ، وشعب مصر يتمرغ في الذل ، فشبوا شبوب النار الهادئة تقتل المكروب ولا تحرق المريض ، وهبّوا هبوب الريح اللينة تدفع الشراع ولا تغرق المركب . ثم عالجوا أمر هذه الأمة بعلاج الرسول الكريم ، فحطموا الأوثان كما حطم ، وكرموا الإنسان كما كرّم ، وأزالوا الفروق بين الناس كما أزال ، وأدالوا الفقير من الغني كما أدال ، وقيدوا الحق بالواجب كما قيد ، وأيدوا الحجة بالسيف كما أيد . ثم أذاقوا الناس لأول مرة في تاريخ مصر نعمة الحرية والكرامة والمساواة ، ثم ظلوا كما كانوا قانعين متواضعين ، يظهرون في المجامع من غير أبهة ، ويمشون في الشوارع من غير حرس ، ويختلطون بالسواد من غير حرج . ثم لا يمدون أعينهم إلى نعيم ، ولا يبسطون أيديهم إلى ثراء . فهل يجوز بعد أولئك كله أن يعيدونا إلى ثرثرة الأحزاب وسمسرة النواب ومهزلة الزعامة ؟

لا يا سيد محمد نجيب ! إن الله جعل في يديك أمانة هذه الأمة فلا تلق بها إلى من خانوها من قبل ! إنك تريد (الاتحاد) وهم يريدون الفرقة . وإنك تريد (النظام) وهم يريدون الفوضى . وإنك تريد (العمل) وهم يريدون الكلام ! فهل يستوى الوفى والغادر ، أم هل يستوى البر والفاجر ؟

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

الطلاق وتعدد الزوجات

للأستاذ محمد عبد الله السمان

انقرض العهد البائد إلى غير رجعة . وقد كان عقبة كأداء فى سبيل أية حركة إصلاحية كان ينشدها أو يلوح بها المخلصون لهذا البلد ، وأصبح السبيل اليوم ممهدا لكل وثبة إصلاحية . بعد أن وهب الله لأمور هذا البلد ولاة تمتزج أحاسيسهم بأحاسيس الشعب . وعواطفهم بعواطفه ؛ وترحب عقولهم بنزعات الإصلاح وبرامج المصلحين ، وتستجيب قلوبهم لكل حركة إصلاحية من شأنها أن تنهض بالمجتمع وتسعده

والذى لا شك فيه أن الإسلام الصحيح الذى رضيه الله لعباده دينا يرحب بالإصلاح ويبارك موكبه ، لأنه دعوة إصلاحية شاملة تهدف إلى إقامة مجتمع نظيف مستقر على أسس متينة صالحة ، وتسعى جادة الى إسعاد البشرية قاطبة فى هذا الوجود ، ولسنا فى حاجة إلى دليل بعد أن أوضح كتاب الله الهدف من الرسالة المحمدية حين قال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » — وإن كان ثمة فريق من المسلمين مريض بالتزمت فى غير فقه ، وبالجهل فى حمق وسفه ، يأبى إلا أن يجعل من الإسلام عقبة فى سبيل الإصلاح ، فليس من الإنصاف أن يعتبر هذا الفريق حجة على الإسلام — وجهله المطبق مدعاة لتجريح الإسلام ، والنيل منه ، والصد عن سلوك مناهجه والاستخفاف بها !

يدفعنى إلى هذا التمهيد مشكلة الطلاق وتعدد الزوجات التى تظهر اليوم من جديد على المسرح ، وقد نادى المصلحون من قبل بعلاجها ، وكان المسئولون السابقون يصمون آذانهم عن هذا النداء ، متذرعين بالجبن ، خشية أن يثير الإصلاح جيوش التزمت من رجال الدين وأدعياء الدفاع عن الإسلام — أما الآن فلا نظن أن حكومة الثورة تخشى فى سبيل الإصلاح ثورة تلك الجيوش الراكدة ، وقد أخذت المشكلة طريقها إلى الجد لعلاجها ، وهناك فى وزارة الشؤون الاجتماعية دراسات بشأنها ، نرجو أن تظهر فى القريب العاجل ثمراتها، مما يحقق لمجتمعنا الإصلاح الذى ينشده كل وطنى يبغى الخير لوطنه

والمشغولون بهذه المشكلة طوائف ثلاث : طائفة مغالية تنادى بتقييد الطلاق تقييدا صريحا حاسما ، والقضاء على تشريع التعدد قضاء مبرما ، وهذه الطائفة مسرفة إسرافا يجعلنا لا نسلم مطلقا بمشروعها ، ولا نطمئن إلى تفكيرها ، إلا إذا رضينا المهانة لشريعتنا وحاشا أن نرضاها لها ، فما جاءت به هذه الشريعة الغراء من تشريعات لا بد أن يكون فى جميعه مصلحة البشر ، وإلا كان البعض حشوا لا جدوى من وجوده .. وطائفة ثانية تشاطر الأولى الغلو والإسراف ، فهى تأبى إلا أن يظل الطلاق وتعدد الزوجات مباحين مطلقين ، حتى ولو أساء الجهلة استغلالها ، فأصبح ضررها أكثر من نفعها ، وأرسيا بناء المجتمع على قواعد مضطربة متراقصة ، ونحن أيضا لا نقر هذه الطائفة على تزمتها لأنها بتفكيرها تحكم على الإسلام بالجمود ، وتسيء إلى شريعته التى لم تكن إلا لصالح البشر .. أما الطائفة الثالثة فمعتدلة متزنة ، ناضرة الفكر ، تعمل على أن تحقق للاصلاح حسن ظنه بالإسلام ، وتثبت للعالم أن الإسلام يقر الإصلاح لأنه هدفه ، ويتطور معه لأنه دين حنيف ، يسر لا عسر ، ومرن سهل لا جمود فيه ولا تعقيد، وهذه ترى إزاء فوضى أشياع الطلاق والتعدد — ألا يقدم جاهل على الطلاق إذا لم يكن هناك باعث عليه ، ولا على تعدد الزوجات إلا إذا كانت هناك حاجة ماسة إليه ، وبذلك يمكن وضع حد لاستخفاف المستخفين بشرعة الله عز وجل

إن الإسلام يعتبر كلا من الطلاق وتعدد الزوجات رخصة فحسب ، يأخذ بها ويأتيها المضطر ، كالرخصة للجائع بتناول المحرمات متى لم يجد سواها . وقد جاء فى سورة البقرة : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم » كما جاء فى آية أخرى من سورة المائدة : « حرمت عليكم الميتة والدم

ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة والموقوذة . . . . فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . » فإذا اضطر الإنسان إلى أن يفارق زوجه فارقها بالمعروف ، وإذا كانت هناك حاجة ماسة تضطره إلى أن يعدد فى الزواج عدد محققا العدالة بين أزواجه ، والشرع لم يبح له الرخصة إلا ليخلصه من الحرج فى حياته ، ويضمن له العيش الهادئ المستقر

والإسلام لم يجعل من الطلاق معولا لهدم كيان الأسرة ، ولا سلاحا لتمزيق أواصر الزوجية ، وهو الذى وضع للأسرة من التشريع مايصون بناءها ، وللزوجية مايقوى رابطتها . وأنت إذا تدبرت بعض آيات القرآن الكريم وجدتها تقدس الرابطة الزوجية بوجه خاص ، حين تشير إلى أن هناك امتزاجا بين الزوجين أزليا قديما منذ آدم وحواء..وهذا الامتزاج سيحل بكل زوجين ليمتز كل منهما بالرابطة المقدسة التى ربطت بينهما ، ويعمل على صونها من العبث الذى يطوح بها : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها . . » — « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها . . . » — «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . »

إذن فما كان الإسلام ، وهذا شأنه — ليجعل من الطلاق معولا لهدم الأسرة ، ولا سلاحا يشهره الجاهل والأحمق على رابطة الزوجية المقدسة كلما دفعه جهله وحمقه ، ولكنه جعله أبغض الحلال إلى الله فى قوله عليه الصلاة والسلام : « إن أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق » ونهى عنه إلا من ريبة تحوم حول الزوجة فى قوله عليه السلام : « لا تطلقوا النساء من ريبة ، فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات . » والإسلام ليحرص على بناء الزوجية وضع كثيرا من العراقيل فى سبيل الطلاق الذى يفرق بين الزوجين ، فقد جعل الطلاق مرتين ليوجد فرصة للصلح ، ودعا إلى تأليف حكمين من أهله وأهلها حين يدب الخلاف ليعملا على الصلح بينهما

وكما أن الإسلام رخص بالطلاق لضرورة تقتضيها مصلحة أحد الزوجين ، أو كليهما ، كذلك رخص للزوج بتعدد الأزواج لحاجة تقتضيها مصلحته هو ، أومصلحة المجتمع الذى يعيش فيه ، فإذا انتفت المصلحة فى الحالين لم يكن ثمة لزوم للرخصة ، وإذا أسيء استغلال الرخصه فأثمرت الضرر والضرار ، كان هذا أدعى إلى إزالتها وإلغائها

وحين يرى المصلحون اليوم وجوب إصدار تشريع يقضى بتحريم الطلاق إلا لضرورة تقتضيها المصلحة . لا يكونون بما يرون متجنين على الشريعة الإسلامية ، وهم لا يرغبون إلا فى أن تتدخل المحكمة أو ما إليها فى مسألة الطلاق ، حتى تقضى على عبث العابثين وطيش الطائشين ، والقرآن نفسه دعا إلى تأليف حكم من أهل الزوج وحكم من أهل زوجه إذا دب شقاق بينهما ، ليتدخلا فى الأمر حتى يصلحا بينهما «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » وذلك ليحول الحكمان بينهما وبين الضرار الذى قد يلحقهما، ومن حقهما أن يقررا الصلح إذا رأيا الخير فيه، أو الفراق لمنع الضرر والضرار . وقد كان رسول الله (ص) حكما فى قضية حبيبة بنت سهل وزوجها ثابت بن قيس وفرق بينهما ، كما كان حكما فى قضية زينب بنت جحش وزوجها زيد ، وحثهما على التوافق حتى قضى الله أمراً كان مفعولا ، وبعث عثمان بن عفان ابن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت عتبة ، وقال لهما : «عليكما إن رأيتما أن تفرقا بينهما فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما . . . »

وحين يرى المصلحون أيضا وجوب إصدار تشريع يقضى بتقييد الرجل بزوجة واحدة ، إلا إذا كانت هناك حاجة ماسة، لايكونون بما يرون متجنين على الإسلام ، لأن الإسلام قصد بهذه الرخصة مصلحة الفرد أو المجتمع ، فإذا لم تتحقق المصلحة لم يكن هناك داع إلى إتيان هذه الرخصة ، ولا يعتبر هؤلاء المصلحون بما يرون داعين إلى هدم شرائع الله عز وجل ، فقد نهى رسول الله (ص) أن تقطع الأيدى فى الغزو ، خشية أن يترتب على إقامة الحد ماهو أبغض إلى الله من تعطيله ، ولم يكن رسول الله (ص) هادما

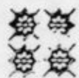
لشريعة الله بالطبع ، وقد أوقف عمر حد السرقة فى عام المجاعة ، وحذف سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات وهو ثابت لهم فى كتاب الله ، ولم يكن عمر فى هذين الإجراءين هادما لشرع الله ، وهو يبغى إزالة الضرر والضرار أو تحقيق المصلحة العامة ، بل إن عمر لما رأى الناس يسرفون إسرافا بغيضا فى النطق بالطلاق الثلاث فى لفظ واحد ، مطمئنين إلى أنه لن يقع إلا طلاقا واحدا ، كما كان على عهد الرسول وأبى بكر — أمضاه ثلاث طلقات حتى يرتدع الناس ويتحرجوا ، ولم يكن هادما لشرع الله وهو يبغى الحد من الإسراف فى الطلاق ، وقال فى هذا : « إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ؟ » ثم أمضاه

إن الجهلة قد استغلوا رخصتى الطلاق والتعدد أسوأ استغلال حتى شوهوا شريعة الله ، فوجب أن تحرما عليهم كما يحرم على السفهاء استغلال أموالهم ، وأسهموا بأكبر قسط فى اضطراب المجتمع بوثيقة من الإسلام زوروها بجهلهم وسفههم وحمقهم ، فوجب أن تنتزع من أيديهم — إن طوعا وإن كرها — حتى يعود للمجتمع استقراره من جديد ، فلم يكن الطلاق فى الإسلام وسيلة من وسائل الهدم — ولكنه إجراء محظور يلجأ إليه المضطر ولا يمنح الجاهل والسفيه ، وقد قال ابن عابدين من فقهاء الحنفية : « وأما الطلاق فالأصل فيه الحظر — أى الحرمة — والإباحة للحاجة إلى الخلاص ، فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة إلى الخلاص، بل يكون حمقا وسفاهة رأى، ومجرد كفران للنعمة» ولم يكن المقصود من إباحة التعدد أن يكون ذريعة إلى الإخلال بالمجتمع ، ولا فرصة للجاهل والسفيه يلهوان ويعبثان ، إنما المقصود منه أن يحقق مصلحة الفرد أو المجتمع ، فإذا انقلبت الأوضاع بإساءة استغلال الإباحة ، كان لزاما على ولاة الأمور أن يصونوا رخصة التعدد حتى يصونوا شريعة الله عز وجل . وللامام محمد عبده كلام فى هذا الصدد ، فبعد أن عدد المآسى الناتجة من فوضى التعدد ، قال :

«أما والأمر على ما نرى ونسمع فلا سبيل إلى تربية أمة مع فشو تعدد الزوجات فيها ، فيجب على العلماء النظر فى هذه المسألة خصوصا الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم ، فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم ، وأن من أصوله منع الضرر والضرار ، فإذا ترتب على شىء مفسدة فى زمن لم تكن تلحقه فيما قبله ، فلا شك فى وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحالة الحاضرة : يعنى على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح . . » اهـ من تفسير المنار ج ٣

وبعد — فإن الإسلام الصحيح ليساير الإصلاح حيثما حل، وفى استطاعة علمائه ذوى الأفكار الناضرة أن يجعلوا الإسلام يتزعم الإصلاح ويقود موكبه ، ونحن اليوم فى الطريق إلى تكوين مجتمع نظيف سليم مستقر ينعم بحياته ويعتز بها ، ويفخر به الإسلام لأنه ثمرة من ثمرات تربيته وتنشئته وتوجيهه !

محمد عبد الله السمان



الداء والدواء

للدكتور فضلو حيدر

محاضرة ألقاها فى منتدى البردونى

مهما اختلفت مشاربنا السياسية واعتقاداتنا الدينية ومعارفنا العلمية فأهداف الإنسان واحدة تنحصر كلها بحفظ الذات وضمانة الحياة والتمتع بمقام اجتماعى مرموق

ويحول دون الوصول إلى هذه الأهداف عقبات جمة أقواها وأضرها الجهل . فجهل المرأة مثلا يعنى جهل النشء وانحطاط التربية والثقافة فى الأمة . ويصح أن تكون ثقافة المرأة قياسا للمدنيات نظراً لما للأم من التأثير فى نشوء الأمم

ومن الأمثلة التى توضح جهل الجماعات معدل العمر فى الشعوب . لقد كان معدل عمر الأوربى فى القرون الوسطى تسع عشرة سنة تقريبا . أما اليوم فقد ناهز السبعين من السنين . أما فى الشرق الأدنى فلا يزال معدل عمر الإنسان نحو الثلاثين . وكلنا نعلم بأن هـــذا الاختلاف المخيف فى الأعمار بين الغرب والشرق ، أى بين السبعين والثلاثين ، لا ينطبق تماما على قول الشاعر العربى :

يقرب حب الموت آجالنا لنا ونكرهه آجالهم فتطول

بل يعود إلى الوعى الصحى فى الأمة وإلى المعارف الطبية . فليقدر كل منا الخسارة الهائلة التى يضرب بها الشرق بموت أطفاله وشبانه قبل الأوان

وبما أن وقت المحاضرة محدود فسأحصر حديثى الليلة فى المعارف الصحية

فماذا يجب أن يعلم كل منا عن العيلة ؟

العيلة أساس المدنيات . وغايتها القصوى ضمانة النسل وحقوق الأولاد الاجتماعية وتربيتهم تربية صحيحة صحيا وسلوكيا ومعرفيا

ولذلك يجب أن يفحص الطالب قبل زواجه ضمانا لحياته وسلامة للنسل . ومع أن روابط العيلة مقدسة فى الأديان وتضمنها نظامات اجتماعية فى الأمم المتمدنة ، فإن العيلة لن تثبت واقعيا على أسس متينة إن لم ترتكز على صفات نفسانية مغروسة غرسا صالحا بالتربية الراقية الواعية . وذلك يشير إلى تربية الأنانية والجنسية . أى يجب أن نحول الأنانية والجنسية من نوازعها الفطرية إلى الحب والاحترام بين الجنسين . فتوجه الأنانية من « ليتك توتين قبلما أعطس أنا » إلى عاطفة التعاون والمشاركة وإنكار الذات ضنا بسلامة العيلة وسعادتها وتقديسا لغايتها القصوى . فكيف يمكن أن تثبت العيلة فى المجتمع إذا كان هم كل من الشريكين محصوراً فى فرض سلطته وإبراز رأيه . وكم من الشبان يجهلون غاية الزواج وماهية الأب والأم فى العيلة والمجتمع . وكم ينتج عن هذا الجهل من التعاسة والإجرام فى المجتمع

ومن أقدس واجبات الوالدين تربية أبنائهم وتدريبهم على الأساليب الصحيحة النافعة فى الحياة ، ورعايتهم إلى أن تصبح تلك الأساليب عادات ثابتة يسير النشء بموجبها بديهيا كالغرائز لمنفعته الصحية والاجتماعية والعملية . فاتقاء الأمراض مثلا يصبح بالتربية عادة تعمل يوميا بدون تفكير أو تفسير.. كغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، وتنظيف الفم بعد الأكل وقبل النوم ، والاستحمام يوميا . وقس على ذلك كل العادات والتقاليد من اجتماعية ودينية ، والأعمال والحرف اليومية كسياقة السيارة وآداب المائدة والرقص والموسيقى والمحافظة على النظام والمواعيد واحترام حقوق الغير — كلها تكمل متى أصبحت عادة

ومن واجبات الوالدين الاهتمام بحواس الأولاد كالسمع والبصر لأنها مداخل المعرفة ، وأى نقص فيها يؤدى إلى تأخر الولد فى نموه العقلى والسلوكى فى البيت والمدرسة والمجتمع . وكذلك يجب أن يعالج أى تشوش كان فى النطق والحركة وهى سبل النجاح فى البيئة كى لا يصبح الولد أضحوكة بين رفاقه

وعلى الوالدين أن ينتبهوا إلى سلوك البنين فى اللعب والدرس والعمل؛ إذ كم من المرات يكون فشل الولد وبكاؤه وكسله وحزنه

ناتجا عن ضعف صحته أو نقص غذائه أو فقر دمه أو تشوش فى حواسه

واعوجاج السلوك يستوجب علاج النفس بسبل علمية ، لا بالانتهار والقصاص والضرب ، لأن هذه العلاجات تؤدى إلى زيادة إدماء الوجدان واعوجاج السلوك فى الكبر

وضرورى أن يفحص الولد طبيا فى فترات متعددة وطبعا كلما دعت حالته الصحية ، كى لايداوى ألم البطن بشربة وهو من التهاب الزائدة ، ولا القئ بلزقة وهو من مرض السحايا الدماغية (مننجيت)

ويفحص الطفل فى الحول الأول مرة كل شهر يدون فيها وزنه ونموه الجسدى والعقلى والعاطفى

فالتربية أى السلوك الحسن والقبيح هى حظنا فى الحياة من لطفاء أو ثقلاء ، وناجحين أو حابطين . وفى الصغر يمكننا أن نربى مثلا روح التعاون بتعويد الأولاد أن يلعبوا ويعملوا جماعات أو العكس بالعكس ، أو أن نربى الخوف بزيادة الإرهاب والتعذيب ، أو أن نربى الخمول والقناعة فى التفكير والتفسير بانتهار الولد كلما سأل مستعلما ، وبإعطائه تفسيرا سخيفا يغلق فى ذهنه باب الحشرية ، والتطاول بدلا من إنعاش روح الشك والبحث والتحرى بحسن التفسير والتشويق والمكافأة والتشجيع والمساعدة . وقس على ذلك تربية طابع الحسد والغيرة والنقمة، أو خلق عمل الواجب واحترام حقوق الجماعة وكلها أمور فعالة فى مستقبل النشء ونجاحه أو إخفاقه

والخلاصة أن صفاتنا من حسنة أو قبيحة ومعارفنا من عالية أو سافلة لم تولد معنا . وما يتبجح به المتمدن من ثقافة راقية على الهمجى والأمى لم يولد معه ؛ بل اكتسبه فى البيت والمدرسة والمجتمع

وسأنتقل الآن بكم من الصغار إلى الكبار . فماذا يجب أن يعلم كل منكم عن إطالة العمر ؟

(١) الأمراض السارية

لا مفر من الموت . ولكن من الممكنات أن يعيش الإنسان مدة قرن متمتعا بصحة جسدية وعقلية ونفسانية لا بأس بها .

لقد كانت الأمراض السارية كالطاعون والجدرى والكولرا والسل فى الماضى القريب من أكثر مسببات الوفيات . أما اليوم فقد تغلب عليها الطب تقريباً فى كل العالم . فبعضها قد زال والبعض الآخر قد ضعف فتكه . كذلك قد زالت تقريباً أمراض الأطفال التى كانت تحصد الأرواح فى السنين الأولى من العمر بفضل انتشار المعارف الصحية بين الشعب ، وتقدم العلوم الطبية فى الغذاء والدواء والوقاية

والوقاية خير من العلاج . فالوقاية العمومية من واجبات الحكومات ومنها الحجر الصحى وتجفيف المستنقعات وتصفية مياه الشرب وتقنية المراحيض وتعقيم أو حرق فضلات المدينة . فالوقاية العمومية أراحت الإنسان المتمدن من البرغش والذباب والهوام وغيرها من ناقلات المكروبات ؛ وبفضلها تلاشت فى العالم الملاريا والحمى الصفراء والكولرا والتيفوئيد

ومن سبل الوقاية فى بعض الأمراض القتالة التطعيم ؛ فهو يولد فى الجسم مناعة تامة فى الجدرى والكلب ، وجزئية ومؤقتة فى الخناق (ديفتريا) والتيفوئيد والشهقة وغير مقررة فى السل

ومن طرق الوقاية العابرة حقن المصول فى الخناق والكزاز ، ونقل دم الإنسان الصحيح أو مصل دمه أو غلوبيونينه إلى الأولاد المعرضين فى حميات الأطفال القتالة كالشاهوق الخبيث والحميرة السوداء

ومن سبل الوقاية المؤقتة الابتعاد عن المرضى . ولرب سائل يقول : هل الأفضل إبعاد الأولاد عن إخوانهم المرضى فى « مواسم » الحميات أو تركهم على الطبيعة ؟ أقول : إن الأفضل تركهم إلا إذا كان الوافد شديد الوطأة . وعدا ذلك لاخوف على حياتهم . فلا فائدة من الإبعاد لأن تلك الأمراض ستعودهم كباراً حيث تكون أشد خطراً كالحميرة الألمانية (Rubella) مثلا ؛ فإنه مرض بسيط للغاية فى الصغار ولكنه فى الحبالى يسبب أحيانا تغيرات عصبية فى الجنين تظهر فيه بعدئذ عاهات عقلية . وكذلك مرض

أبو كعيب فإنه سهل فى الأولاد ولـكنه يسبب فى البالغين أحيانا العقم والاختلاطات الدماغية والـكلوية

ولا يزال السـل من الأمراض القتـالة بالرغم عن « الستربتومسين » و « الباز » ومركبات « الايزونـكوتنيكو » كا « لريميفون » و « النيدرازيل » والجراحة . والوقاية منـه تـكون بحسن التغذية والحياة الصحية والتطعيم . ومن الضرورى اكتشافه باكرا لمنع العدوى وسهولة الشفاء . ولذلك كان من الواجب فحص التلاميذ والعمال با « لتيوبركولين » والأشعـة والفحص الطبى العادى مرة كل سنـة على الأقل فى الأحوال الصحية

(٢) السرطان

وماذا أخبركم عن السرطان ؟ فقد زاد عدد ضحاياه فى هـذا العصر . ومع أننا نجهل سببه فإننا نعلم شيئا عن بعض العوامل التى تهيئ حدوثه أو تحبذه كالتحريش المزمن (مثلا بين اللسان والأضراس النخرة) والالتهابات المزمنة ، والقروح القديمة والبثور الطويلة العهد . ويزعم بعض الأطباء أن اختـلالا ما فى إفرازات الغدد التناسليـة يوقظ بعض الخلايا العادية أو الامبريولوجية فيسرطنها

والوقاية منه تـكون بمنع الأسباب المحبذة حدوثه ، كمعالجة الأسنان النخرة والالتهابات المزمنة والثآليل المعرضـة للفرك والاحتـكاك ، وباتباع نظام صحى بأن يزور الإنسان طبيبه مرتين سنويا بعد الخمسين من العمر فى حالته الصحية

والسرطان قابل الشفاء إذا اكتشف باكرا ؛ أى عندما يكون محصوراً أى قبلما ينتشر بالأنسجة المجاورة أو البعيدة . والسرطان الخارجى — الجلدى مثلا — يشفى بمعدل ٩٠ بالمئة لسهـولة اكتشافه . وكلما بعد وقت تشخيصه نقص ، لسوء الحظ ، الأمل بشفائه

وأهم علاجاته إلى اليوم الجراحة والأشعة والمعادن المشعة ونزع الغدد التناسلية (الخصى الجراحى) وحقن الخلاصات التناسليـة من جنس مخالف لجنس المريض . وعلماء السرطان تبحثه ليل نهار ، وأملنا كبير بأنهم سينتصرون قريباً على هذه الآفة القتالة

(٣) الشيخوخة

وهنالك مصائب عديدة غير الأمراض المعدية والسرطـان تقرب الأجل ؛ تحدث من تغيرات عضوية فى القلب والشرايين والـكبد والـكلى ندعوها أمراض الشيخوخة

ومع أن طول العمر وراثى فإنه يتراوح فزيولوجيا حول المئـة من السنين . ولـكن لا يصل الإنسان عادة إلى هذا الحد لأسباب طارئة من متاعب الحياة فتبخر السنون قبل أوانها . فـكيف نتمكن من إبعاد حلول الشيخوخة ؟

(للـكلام بقية) **فضلو حبر**

من سير الخالدين

نابليون .. وجنوده .. وقواده .. !

للأستاذ عبد القادر حميده

شرع الكتاب فى هذه الأيام أقلامهم .. بعد أن غمسوها فى مراجع التاريخ .. ينقلون عن صفحاته وسطوره سيرا ملوثة لملوك غابرين .. فيعددون مساوى هذا .. ويرددون هفوات ذاك .. وعلى الجملة فهم يقدمون إلى القراء حياة تضج بالشهوة .. وتزخر بالفسق .. وتحفل بالفجور ..!! حياة لا تهدف إلا المتعة .. ولا تنشد إلا العبث .. وفى اعتقادى أن مثل هذه النقائص المنتقاة من كتب التاريخ .. التى تعرض اليوم على الأعين .. وتلقى على الآذان . . لا تحط إطلاقا من قيمة الملك السابق . . ولا تصيب منه مرمى .. لأنه سيشعر — على الأقل — بأنه لم يقترف هذا الجرم وحده .. بل سبقه ملوك سالفون .. لم يبلغوا ما بلغه من الترف والأبهة . . وتلك لعمرى مؤهلات العربدة ..!! كان الأحرى بالكتاب ... أن يتخذوا من صفحات الجرائد لوحات يسيطرون عليها أمثلة من .. الشرف .. والعفة .. والكرامة .. والنزاهة .. وكراهية الذات .. والحنو على الشعب .!! لأناس دستورهم هذا ، ولدينا كتب التاريخ حافلة ، وبهذا يدرك الملك السابق كما يطمئن جمهرة الناس إلى أنه طرق باب النزوات وحده، وسلك دروب الشيطان بمفرده ، وانساق أمام تيار جارف من النشوة الزائلة ، لا تحوطه إلا حاشية لم تكن تريد إلا تحقيق أطماعهم الشخصية .. ولو على حساب تلويث صفحة تاريخية . !

وحين يدرك فاروق أنه وحده نشز عن طبيعة الخلق — بعد أن يدرك القراء أيضا — سيتضاعف شعوره بالألم — إن كان لديه بقية من ضمير — ويحس بالوخز أشد إيلاما ، وأحد نصلا ! وإنى إذ أقدم اليوم إلى قراء الرسالة جانبا من حياة نابليون إنما آمل أن ينهج إخواننا الأدباء هذا النهج ، ويسيروا على ذلك الدرب :

... كان نابليون شديد الانتباه إلى أصاغر جنوده لاعتقاده أن الجندى الصغير قد يكون ذا قلب كبير ، وأن حسن المعاملة مدعاة لزيادة الإخلاص ، قال دوق فيسالس « إن تلك الشوارب القديمة (يعنى رجال الحرس) لم يكونوا يجسرون على مخاطبة أصغر ملازم فى الجيش بمثل ما كانوا يخاطبون ذلك القائد الأكبر الذى كانت هيبته تملأ نفس الجيش كله » ، وقال دون باسانو : « إنى رأيت الإمبراطور مئة مرة ينتقل ليلا من معسكر إلى آخر ، ويقف هنا وهناك لدى النيران ويسأل عما يغلى فى القدر ثم يقهقه من الأجوبة المضحكة التى كان يسمعها من الجنود » ، وقال القومندان كلود بزجيه فى تاريخه « يا لله ، ما أعرف نابليون بالجندى الفرنسى ، وما أقدره فى مخاطبته والضرب على أشد الأوتار تأثيرا فى قلبه أعنى وتر الشرف » ولقد وصف نابليون نفسه الجندى الفرنسى فى صفحة جميلة قال فيها : « إن الجندى الفرنسى رجل مفكر قاسى الحكم فيما يتعلق بشجاعة ضباطه ومواهب رؤسائه ، وهو يجادل رفيقه فى شأن الخطط والأساليب الحربية ، ويستطيع القيام بأى عمل من الأعمال إذا كان لرؤسائه حرمة فى نفسه وإذا كان هو يستحسن مجرى الأحوال الحربية ، أما إذا كان الأمر على العكس فلا تمكن الاعتماد على الفوز . وابن فرنسا هو الجندى الوحيد بين جنود أوروبا الذى يستطيع القتال ويقوم بجليل الأعمال وهو ضامر البطن مطوى الأحشاء على الطوى ، ومهما طال زمن المعركة فهو ينسى الأكل فى سبيل الفوز ، حتى إذا انتهى القتال صارت مطالبه أكثر من مطالب غيره . والجندى الصغير من الفرنسيين أشد اهتماما بإحراز النصر من ضابط روسى ، وهو يدعى أن الفضل الأكبر فى كل نصر يرجع إلى فيلقه ، وجملة القول أن جنود الأمم الأخرى تصبر يوم الوغى بحكم الواجب ، والجندى الفرنسى يحارب إجابة لصوت الشرف.. فإذا أصابه فشل شعر بأن نفسه ذليلة.. وإذا فشلت الجنود الأخرى عادت غير مكترثة »

وربما كان رأس الأمور التى حملت نابليون على تسمية الوسام الذى أحدثه « بوسام جوقة الشرف » ما كان يعرفه من رسوخ ذلك الشعور فى نفس الفرنسى ، وإذا رجعت إلى الأوامر العسكرية وخطب التحريض التى كان يلقيها عليهم أبصرته يحاول فيها كلها أو جلها أن يظهر للجندى ما يحرزه من الشرف والفخر

هو وآله إذا عاد وإكليل النصر يزين جبينه ، ولقد كان الأعداء أنفسهم يعرفون أن قوة الجندى الفرنسى إنما هى بعواطفه ومشاعره ، لا بقوة ساعديه وعرض كتفيه ، قال أحد القواد البروسيين بعد معركة يانا : « لو كان علينا أن نقاتل الفرنسيين بسواعدنا فقط لأدركنا النصر فى وقت قريب ، لأن الجنــدى الفرنسى صغير ضئيل يستطيع ألمانى واحد أن يتغلب على أربعة مثله ، ولــكن هؤلاء الجنود الصغار ينقلبون إلى طبقة فوق طبقة البشر تحت النيران ويندفعون بنخوة لا نستطيع إيضاحها ولا نرى لهـا مثيلا فى جنودنا » ولا شك فى أن هذا الإقرار من ضابط بروسى كان من أجمل الشهادات التى تسطر للجنود الفرنسيين

وكان نابليون لا يكتفى بإظهار الاحترام والميل إليهم من أجل تلك الفضيلة ، بل كان يحبهم حبا صادقا، قال بعض المؤرخين: إن جنوده كانوا أولادا له بالمعنى الصحيح؛ يشرف على أمورهم ويسهر عليهم كما يسهر الأب على بنيه ويحضر توزيع الأكل عليهم ويتناول الحساء معهم .! وكان نابليون يضع اللين فى محله والقسوة فى موضعها ، فيعفو عن الجنــدى المذنب إذا رأى وجها لعذره أو ما يخفف ذنبه ، ولا يتسامح إذا وجد التسامح مضرا بالمصلحة الحيوية ، وإليك أقصوصة تدلك على شئ من خلقه :

حدث أيام معارك روسـيا أن الجنود الفرنسيين ضربت مضاربها لتستريح بعد السهر المضنى ثلاث ليال متتالية ، ولمـا جاءت العتمة خرج نابليون يتفقد أحوال الحراس فى أطراف المعسكر جريا على عادته فى كثير من الأحيان ولا سيا فى الأوقات العصيبة ، فاتفق أنه رأى حارسـا برح به الوصب وتسلط عليه الــكرى بعد السهر الطويل فهوى إلى الأرض ، ونام ، تاركا بندقيته إلى جانبــه ، فأراد نابليون أن يوقظه ولــكنه أبصر فى تلك الدقيقة طوافة من الضباط قادمة نحوه فأخذ بندقية الحارس النائم ووقف مكانه حتى لا يدع الضباط يبصرون به ويعاقبونه ، ولما طلبت الطوافة سر الليل أجابها نابليون فسارت فى طريقها لإتمام التفتيش ، وفى تلك الأثناء استيقظ الحارس النائم فوجد بندقيته بيد رجل غيره فأسرع نحوه فإذا هو قائده ومولاه ، ولــكن نابليون سرى عنه قائلا : لا تخف ، ثم سأله : كم مضى عليك من الزمن بلا نوم ؟، فقال : ثلاثة أيام ، ومع ذلك ما كنت لأنام لولا ما أصابنى من الجروح ! ثم أبصر نابليون أن الجندى كان مصابا بجرحين فأعجب به ، ومنحه وساما ، ثم قال وهو يبتعد عن ذاك البطل : « لا ريب أنى أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال .. » وكان نابليون يعرف وجه الضعف فى رجاله ، فيأخذهم به ويضرب على الوتر الحساس من أوتار قلوبهم ، فمن شأنه المعروف أنه كان مع شدته فى المحافظة على النظام العسكرى يسمح لرجال الحرس القدماء الذين حضروا المعارك وأبلوا البلاء الحسن بأن يخاطبــوه بصيغــة المفــرد بعكس ما يقضى به أدب الحديث فى اللغة الفرنسية ، ولا سيما إذا كان المخاطب كبيرا والمخاطب صغيرا ، فإن استعمال صيغة الجمع فى الــكلام واجب لا يصح إغفاله ، على أن نابليون كان يعلم أن عادة أولئك الأبطال التى تدل على انتفــاء الــكلفة صارت إليهم من روح الجمهورية ، وأنها تنطوى على همة واحترام يسهل فى سبيلها بذل المهج الغالية

وكان نابليون قبيل عرض الجنود يدعو الــكولونل ويسأله عن أسماء الذين امتازوا فى المعارك الماضية ويطلب بعض أخبار عن أهله ، ثم يمر وقت العرض بأولئك الجنود الممتازين فيذكر لــكل منهم اسم المعركة التى امتاز فيها والمــكافأة التى أخــذها ويسأله عن أمه العجوز إن كانت حية .. أو عن غيرها من آله الأقربين..فيطير الجندى منهم فرحا وطربا حين يرى قائده الأعظم يتذكر خدمته ويعنى بأمره ، ثم يصبح نابليون حديث النهار وسمر الليل بين الجنود كلهم .. فيأخذ كل منهم يحكى حكاية عن ذاكرته العجيبة ومعظم تلك الحــكايات من بنات المخيلات !

وكان من أكبر العوامل فى تفانى الجنود أن كل واحــد منهم بات يحسب نابليون منصفا للشجعــان وذوى الــكفاءة الحربية ، وكان كبار القواد أقوى البراهين الحية لديهم على صحة ذلك الاعتقاد ، فإنهم خرجوا من الجيش وبعضهم استوى على العروش مثل المارشال مورات الذى عين ملــكا لنابلى ، وبرنادوت الذى استوى على سدة أسوج ، ومعظم الجنود كانوا يرون الرقى إلى أحد العروش رتبة عالية من الرتب التى كان نابليون يمنحها لرجاله فيقولون مثلا ، « فلان صار ملــكا . . كما يقولون . . فلان رقى إلى رتبة كولونل » مع مراعاة النسبة بين الرتبتين . ! وهناك أمر آخر كان نابليون يعنى به عناية خاصة وهو تعزيز ما يسمونه

«روح الفيلق» فى الجيش ، ومعناه بعبارة أخرى أن يفرغ القائد جهده فى زيادة التنافس الشريف بين فيالق جيشه .. فتتسابق فى مضمار الشجاعة والبأس ، ولقد نجح نابليون نجاحا باهرا فى هذا السبيل حتى صار كل فيلق من فيالقه بل كل آلاى من آلاياته يعد نفسه فى مقدمة الجيش .. ومما يذكر عن سمو الأساليب التى كان يتبعها نابليون لبلوغ المقصد أنه كان إذا رأى النصب والجوع ينهكان تلك الجنود الفولاذية كما كانوا يلقبونها ، نزل هو وسار مع الجنود ، فأخذ كل واحد من هؤلاء يقول « الإمبراطور .. الإمبراطور » وتغيرت مشية الفيلق كله كأنما تيار كهربى سرى إليه من أوله إلى آخره .! هكذا كان نابليون وهكذا كانت جنوده . وكل فريق منهم خليق بالآخر ..

... كان نابليون ينظر إلى الجيش كما ينظر الصانع العالم إلى آلة عظيمة يقتضى تركيبها تدقيقا شديدا وفكرا سديدا ، ولذلك كان يفكر فى كل ما قل وجل من أموره حتى انتقاء الخيل وشراء المؤونة اللازمة لها كما تدلنا رسائله المدهشة ، وليس بنا حاجة إلى القول أن اختيار قواده كان له الشأن الأكبر لأنهم القطع الرئيسية التى تتركب منها تلك الآلة العظيمة . ! ولم يكن فى وسع نابليون منذ مائة وثمان وستين سنة أن يختار قواده من الضباط الذين قضوا سنوات عديدة فى درس القواعد العسكرية لأن التعليم العسكرى لم يكن شيئا مذكورا فى ذلك الوقت ، والفضل فى كثير من القواعد الحربية الباقية حتى اليوم يرجع إلى نابليون نفسه ، وما كانت عظمة هذا البطل الذى لم تحط مثله أصلاب البشر قائمة ببسالته وانتصاراته فقط .. بل كانت تقوم بها وبنظاماته ومبتكراته وعبقريته العجيبة الشاملة ، وعليه فإن نابليون لم يكن له مندوحة — وتلك حالة التعليم العسكرى فى زمانه — من أخذ أولئك القواد الذين خلد التاريخ ذكرهم من صميم جيشه ، أى أفراد الشعب الذين قاتلوا فى سبيل الدفاع عن حريتهم وحرية وطنهم وصدوا دول أوروبا التى هبت لإذلالهم . وكان نابليون قوى الفراسة صادق النظر فى الرجال .. فاستطاع أن يقدر قدر كل واحد من الذين خدموا تحت إمرته ونوع الخدمة التى كان يمكنه أن يتفوق فيها . مثلا أنه رأى « مورات » فأدرك أنه خير رجل يقود كوكبات الفرسان ويقدم لها المثل الأعلى بنخوته وحميته وشجاعته ، وقرأ على جبين « ناى » أنه الرجل الذى يطير إلى الحسام فى صدر المشاة ، وما أخطأ ظنه فى أن « ناى » كان يسحر رجاله بالقدوة الحسنة وهو الذى أخذ بندقية فى معركة « واترلو » وصاح « تعالوا انظروا كيف يموت مارشال من مارشالية فرنسا .. » وهو الذى قال فيه نابليون : « ما هذا رجل إن هو إلا أسد من الأسود .. » وليس مجال كاف لنذكر ما أبداه كل قائد من القواد العظام فحسبنا أن نذكر مع «مورات» و«ناى» .. «بسيير» و « سول » و « لان » و « سوشيه » و « برتييه » و «دافو» و « جوفيون سان سير » و « أوجيرو » و « جونو » و « ماكدونالد » و « مسينا » و «لازال» و « كولنكور» .. فهؤلاء وعدة من الأبطال كانوا أسودا لا تقهر ، ولكن نابليون كان يخضعهم بنظرة وهو فى ذروة مجده الحربى !

وذكر نابليون خطة سلوكه مع قواده قال : « كنت أحر الرأس البارد .. وأبرد الرأس الحار » أو بعبارة أخرى ، أنه كان يكسر من حدة الحديد ويثير حماسة البليد مراعاة لمقتضى الحال ، وهى خطة بسيطة فى ذاتها ولكن تنفيذها مع قواد نابليون كان يقتضى عقلا كعقل نابليون .

وكان من مزايا الرجل أن يزن حسنات كل قائد ؛ فإذا رجحت سيئاته حاول أن يصلحه بحذق ومهارة فمن الحوادث المعدودة من هذا الطراز أنه شرع يوما فى تعنيف ضابط فى رتبة كولونل لأن جنوده أضروا بمصالح إحدى الدساكر . . فشق على الضابط أن يسمع الكلام المر من قائده وأراد أن ينفصل .. فقال نابليون همسا : « أنا صدقتك فاسكت » وفى اليوم التالى دعا نابليون الكولونل وقال له : « كن مستريح الفكر فقد كنت أعنف فى شخصك بعض الجنرالية الذين كانوا بجانبك . . ولو وجهت إليهم التعنيف مباشرة لأوقفتهم فى موقف يستحقون فيه التحقير أو ماهو أبلغ منه . . » وإذا اتفق أنه جرح فى حديثه قائدا كبيراً .. حاول بعد الحديث أن يضمد جرحه . . فمن ذلك أنه انتقد انتقادا شديدا الجنرال « مارمون » على بعض الأعمال الحربية فى معركة « واجرام » فسخط « مارمون » من هذا الكلام وعاد إلى منزله كسير القلب . . شديد الكرب . . فما وصل حتى جاءه رسول إمبراطورى يحمل إليه البشرى . . بترقيته إلى رتبة . . مارشال !

ولما أخذ العدو بلدة مونترو سنة ١٨١٤ رأى نابليون أن تأخر المارشال فيكتور كان السبب فى ضياعها وأصدر إليه إذنا فى ترك الجيش.. ومعلوم من هذا الإذن أنه لم يكن له من معنى إلا سخط الإمبراطور عليه . فجاء المارشال فيكتور وعيناه مغرورقتان بالدموع فقابله نابليون وهو يتميز من الغيظ وعيره بالخطأ الذى ارتكبه واستحق من أجله الإبعاد عن الجيش . . فلم يتمالك المارشال أن رفع عقيرته وأكد إخلاصه وذكر خدماته فى إيطاليا فسكن غضب نابليون لذكر تلك الخدمات ثم صافحه قائلا : «لا بأس من أن تبقى فى الجيش يا فيكتور ولكنى لا أستطيع أن أعيد إليك فيلقك بعد أن عقدت لواءه « لجيرار » وإنما يمكننى أن أوليك قيادة فرقتين من الحرس فاذهب واستلم قيادتهما ولا تذكر بعد اليوم شيئا مما جرى . . »

ولو شئنا أن نذكر ما لدينا من هذا الطراز لاستغرق مجالا واسعا وتجاوز بنا الغاية المقصودة فى هذا المقال . . فحسبنا أن نقول — ومذكرات « مارمون » الذى خان نابليون فى أواخر عهده — خير شاهد . . أن نابليون كان فى معظم الأوقات يجرح باليمين ويضمد باليسار . . ومما قاله الخصوم فى تفسير هذا السلوك الحميد « أن مصلحته الخاصة . . وقلة الرجال الأكفاء حملتا نابليون على مداراة رجاله » وهو تفسير لا يذهب بفضل نابليون . . ولا يحط من قدر سلوكه.. بل هو يدل على حسن سياسته وأصالة رأيه، وليس بمنكر على الرجل أن يفعل الخير ويحسن الصنع لأنه يتفق مع مصلحته . . أو لأن مصلحته كانت تدفعه إليه . . فإنما الأمور بنتائجها . . وكل من يذم مثل هذا المنهج يكون مثله مثل من يطعن على رجل ينقذ آخر من الغرق لأنه أراد الحصول على وسام الإنقاذ أو مكافأة أخرى . . ! !

وإذا طالعنا المذكرات الخاصة وجدنا فيها ما يدل على شدة حبه لقواده . قال « كونستان » بعد النصر الباهر الذى أحرزه نابليون فى مارنجو : « إنه مع النصر الفاصل الذى أوتيه القنصل الأكبر (أى نابليون) كنت أرى الحزن يملأ نفسه وأسمعه يردد « إن فرنسا فقدت بفقد « دسكيس » فتى من خيرة أبنائها . . وفقدت أنا صديقا من أبر الأصدقاء »

ولما استوى نابليون على العرش الإمبراطورى لم يتغير شىء من عواطفه نحو قواده ، بل لبث يسمح للمارشال « لان » بأن يخاطبه بصيغة المفرد . . ولما بلغ نابليون خبر إصابته بجرح قاتل تولاه حزن عظيم وأخذ يزوره صباحا ومساء . . واتفق أنه وصل فى عيادته الأخيرة بعد أن لفظ المارشال روحه الطيبة . . فتقدم نابليون وقبله وبكى ثم أخذ يهمهم «يا لخسارة فرنسا . . يا لخسارتى » ولما حاول « برتييه » أن يبعده عن رؤية ذلك المنظر الأليم قاومه نابليون نحوا من ساعة

وفى اليوم التالى كتب نابليون إلى أرملته يقول : «أيتها النسيبة مات المارشال على أثر الجروح التى أصابته فى ساحة الشرف فخلف لى من الحزن ما يضارع حزنك . . ولا غرو . . فإنى فقدت بفقده أفضل قائد للجيش وخير رفيق وصديق لزمنى منذ ست عشرة سنة . . إن أسرته وأولاده لهم كل حق فى طلب حمايتى ورعايتى » ثم كتب إلى الإمبراطورة « إذا أمكنك أن تساعدى فى تعزية أرملة المارشال فافعلى » ولما أصيب « ديروك » بقنبلة عند « درسد » ذهب إليه الإمبراطور نابليون وضمه إلى قلبه مرارا ثم عاد خائر القوى لفرط الأسى . . وهو يقول : « يا للهول . . أيها العزيز ديروك ما أعظم خسارتى فيك » وكانت دموعه تسيل على خديه وتسقط على ملابسه

ثم أمر الإمبراطور بشراء أرض وبإقامة تمثال لذلك القائد العظيم وبكتابة العبارة الآتية تحت التمثال « هنا يرقد الجنرال ديروك دون فريول وأحد مارشالية نابليون العظام أصابته قنبلة فمات ميتة مجيدة بين ذراعى الإمبراطور » . . ولم يكتف نابليون بإكرام هذا الفقيد بل صرف عناية كبيرة إلى عائلة ديروك ومنح أرملته وابنته دوقية فريول (وكان ريعها وقتذاك لا يقل عن مائتى ألف فرنك)

على أن هذا الشعور الجميل الذى كان يبديه نابليون فى مثل تلك الظروف لم يكن يحول دون استقلال فكره وإرادته، فقد كان عند الضرورة شديدا قاسيا . . وثبت أنه كان فى إيطاليا ومصر حين كان جنرالا كبير المطامع.. أشد وأقسى فى معاملة القواد والجنود مما كان عليه بعد استوائه على السدة الإمبراطورية واستلامه مقاليد الحكم المطلق واتساع شهرته وسطوته فى العالمين . . قال خصوم نابليون أنفسهم فى مذكراتهم : « إن هذا الجنرال الصغير كان يخيف

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليك

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٢ —

كانت حياة شلر حياة أدبية بكل معنى الكلمة ، حياة شخص عاش قصد التأمل ، وكان مرشده فى هذا المسعى لايتعدى المثل الأعلى ، وقد وجد فى مثل هذه الحياة سعادته التى كان يرنو إليها . وقد امتازت هذه الحياة بالبساطة الفريدة كما انصفت بالابتعاد عن امتهان ما يتعيش به ، وقد نما مقته للعمل الآلى ولم يبال بنتائجه جنبا لجنب مع نموه الروحى سنة بعد أخرى . لم يحتل شلر منصباً معيناً اللهم إلا منصب الأستاذية فى الجامعة ، ولم يرغب فى التقدم المادى ولم يكن لديه مال يذكر ، ولم يظهر — طيلة حياته — عدم رضائه عن هذه الأوضاع

وبالرغم من الآلام الجثمانية والأمراض المستمرة التى أحاطت به أن انشراحه لم يكن يفارقه وكانت الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته هى أحسن سنى حياته ، لأنها كانت أنقاها وأصفاها وأكثرها إنتاجا ، فحياته كانت تشبه حياة الرهبان مع اختلاف بسيط فى طراز المعيشة والمحيط ، وإذا نحن عرضنا الإيمان الكاثوليكى بمثل الفن الأعلى ، والقوانين الكنيسية بالقوانين الأدبية والجمالية فسيؤدى ذلك إلى اعتبار حياته أقرب ما تكون بحياة الدير ، ومع أنه لم يرتبط بعهود الرهبنة الثلاثة [1] إلا أنه ارتبط بعهود أخرى أرفع شأنا وأعلى قدرا وأثقل وطأة ، وقد تحمل عناء شديدا فى تنفيذها والتقيد بها والالتزام بملتزماتها

وقد كانت هذه العهود — على شدة ثقلها — شغله الشاغل ومبعث سعادته الدائمة ، فبدلا من أن يحصر نفسه فى رواق الكنيسة الصخرى ، نراه يحصر نفسه فى أروقة العقل ، فاصلا بذلك نفسه من الأمور السطحية ومغرقا نفسه فيما يمكن أن ندعوه بالأمور الإلهية ، فكلامه وأعماله وتأملاته وتنزهاته وكل ماله علاقة بحياته اليومية تتجه نحو تلك الوجهة ... فكما أن مرحلة اتخاذ الرجل الدينى للعهود المقدسة هى أهم مرحلة فى حياته.. كذلك الحال مع شلر فيما يخص عهوده الأدبية ، وبهذا العمل يمكنه أن يتخلص من مشاغل العالم المحيرة ويكرس كل جهوده فى مستقبل أيامه للحكمة والتأمل . والفترة التى تقع بين هاتين المرحلتين تمتاز بميزات مختلفة . فالأولى هى دنيوية ذات انهماك فى صروف العالم..والثانية روحية ذات اتجاه هادئ عميق الغور رقصى المعانى ، وقد امتاز الاتجاه الثانى بنموه الروحى وازدهاره الفكرى وبالثمرات السلمية التى قدمها إلى العالم ، وسنوجه هنا نظرنا بصورة رئيسية إلى المرحلة الأولى

يمكن اعتبار شلر سعيدا بالنسبة للظروف التى أحاطت بأعوامه الأولى وخصوصا فيما يتصل بوالديه . لم يكن والداه غنيين أو مستقلين فى شؤونهما المعاشية ، إلا أنهما مع ذلك لم يكونا فقيرين

(١) عهود الرهبنة هى ١ الفقر ٢ العفة ٣ الطاعة

قوادا مثل » « أوجيرو » « وماسينا » وغيرهما سنة ١٧٩٦ ولما جاء الجنرال « دينوا » سنة ١٧٩٧ بقصد التملق والزلف قال له نابليون : «عرفتك لما كنت قائدا فى لومبارديا وعرفت أنك قليل النزاهة . . عاشقا للمال . . على أنى كنت أجهل أنك جبان » فاخرج من الجيش ولا تظهر أمامى مرة أخرى . . وكتب نابليون إلى « برتييه » يقول : « اكتب إلى الجنرال « جاردان » أن شكاوى عديدة انتهت إلىّ من إحراجه لأهل البلاد وأن الواجب عليه أن يسلك سلوكا يتفق مع كرامة الجيش فلا يسمعنى بعد اليوم شكوى واحدة من تصرفه » وكتب إلى الأميرال « تروجيه » : « لا يسعنى إلا الاستياء من الأسطول الذى تحت إمرتك . . وأنا يحق لى أن أنتظر محاسن الأفعال بدلا من المواعيد والأقوال »

وكان نابليون لايحابى الوزراء.. ولا الكبراء.. حتى فى سنة ١٨١٤ أى بعد أن مال نجمه إلى الأفول . . وهذا يدلنا على صحة ماقاله أحد المؤرخين وهو : أن نابليون لم يكن ذئبا ولا خروفا .. بقى أن نعرف أن نابليون . . نشأ من أعماق الشعب . .

عبد القادر حميده

فقرا مدقعا ، فالمحبة الحارة والأخلاق الصريحة التي تبلغ مبلغ التدين ، يضاف إلى ذلك قابلية ذهنية متفتحة خاصة للمعرفة ، مع ثقافة عقلية جيدة تجعل في الإمكان إصلاح أي خلل قد يقع بينهما

وقد كان في سلوكه ما يبشر بمستقبل عظيم ، طبيعة هادئة قابلة لكل الإرشادات ، يزينها عقل وقلب وومضات من الحيوية والنشاط تظهر بين الحين والآخر ، وليس أدل على ذلك من حكاية الصاعقة التي نأمل أن تكون واقعية : (حدث أن عاصفة صاعقية اجتاحت المنطقة التي يسكن فيها وكانت من الشدة والقوة بحيث أثارت الخوف والرعب في جميع السكان، وكان الكل داخل بيوتهم ، وقد افتقد أبو فرتز [٢] ابنه ، وقد كان في دور الطفولة ، فخرج الأب لا يلوى على شيء باحثا مفتشا عن ابنه ، وفجأة عثر عليه قابعا بكل هدوء وسط هذه العاصفة الهوجاء في رأس شجرة وهو ينظر بدهشة واستغراب لاحتراب الطبيعة ، فما كان من والده إلا أن عنفه أشد التعنيف ، ولكن الولد بدلا من إصغائه إلى هذا التعنيف أجاب « إن البرق جميل جدا ولكنه يريد أن يرى من أين أقبل هذا البرق [٣] » ...)

درس شلر الكتب الكلاسيكية باعتناء زائد ولكن بدون رغبة ، إلا أنه درس الكتاب المقدس بلذة بالغة في البيت ، وقد شغف حبا بالأنبياء العبرانيين وبجلال كتاباتهم الرمزية ، وقد كان لطبيعته الورعة — مضافا إليها تقوى والديه — تأثير في دفعه إلى الكهنوت، ولكن الكنيسة التي أراد التعلق بها كانت الكنيسة الشاملة الحقيقية وليست الكنيسة الرومية المزيفة . وفي سن التاسعة شاهد بدهشة مفرحة ولأول مرة (عجائب مسرح لودفيكزبرغ) وقد كان لهذه المشاهدة تأثير عميق في ذاكرته . وبذا يكون قد ألقى أول نظرة على العالم الذي قدر له — عرضا أو بعامل الطبيعة نفسها — أن يظهر فيه عبقريته ويحرز أنبل انتصاراته بازا بذلك أقرانه ومعاصريه جميعا

وبعد نهاية عهد صباه بدأت فترة قاسية مريرة ، اختلفت فيها تربيته وتطورت قابلياته تطورا خاصا ، وذلك بتحمله للاضطهاد ومعاناته العزلة وبتحطيم أجل أيام حياته وتشويهها تشويها شنيعا . ومع ذلك فإنه استفاد في هذه الحالة فوائد جمة ، فقدحولت سيمياء عبقريته المعادن التافهة إلى ذهب إبريز ، واستخلصت من التألم قوة ومن الخطأ حكمة وضاءة ومن كل شيء أحسنه وأرقاه

أسس دوق ورتمبرك مدرسة عالية حرة لبعض فروع التعليم المهني في (سولتيرد) في مركز إقامته في الريف ، ثم حولها إلى (ستتغارد) بعد أن أدخل عليها بعض التحسينات ، وقد سماها مدرسة كارلز . وقد رأى الدوق أن يعطى الأفضلية في الدخول إلى هذه المدرسة لأبناء الضباط ، ولما كان لدى الدوق فكرة حسنة عن شلر وأبيه طلب من الأول اهتبال هذه الفرصة السانحة

وقد صادف هذا العرض حيرة لأول وهلة من قبل الشاب والوالدين على السواء؛ لأن الأخيرين كانا راغبين في إدخال الشاب إلى حظيرة الكنيسة ، ولما اطلع الدوق على رغبتها الخاصة طلب منهما التأني قبل إعطاء القرار النهائي ، وأخيرا قبل هذا الطلب بعد إحجام ونتيجة للخوف . وهكذا سجل شلر نفسه في هذه المدرسة سنة ١٧٧٣ وبذا انتقل من الحرية والآمال العريضة إلى اليونانية والعزلة والقانون

وقد أثبتت الوقائع أحقية مخاوفه ، فالسنوات الست التي قضاها في هذه المؤسسة تعتبر أشد السنين مضايقة لنفسه وإزعاجا لمواهبه ، ويظهر أن نظام التربية في ستتغارد لم يعن مبدئيا بتربية الطبيعة البشرية وإصلاح أخطائها ، بل عمل على استئصال هذه الطبيعة ووضع شيء أحسن منها في محلها . وقد كان نظام التعليم سائرا والحياة وفق خطة عسكرية شكلية جافة ، كل شيء كان يجرى حسب الخطة المرسومة ولم يكن ليعطى أي مجال لحرية الإرادة، ولا إمكانية لاختلاف الطبائع والمشارب والعادات . وقد يكون لبعض الطلبة إمكانيات ممتازة ، إلا أن هذه الإمكانيات كانت مجبرة على السير وفق **الخطة الأساسية** والانصهار في البودقة ذاتها بدون تفريق أو تمييز ، لأن الأوامر كانت تصدر من سلطة عليا ، وهي واجبة التنفيذ على أية حال . وقد عين لكل طالب منهاج دراسته مقدما ، ولم يكن ليسمح بالقراءة الخارجية مطلقا ، وإذا حدث أن قرأ أحدهم كتابا خارجيا فلم يكن ذلك إلا خلسة . أما معيشتهم فكانت تدار بالأسلوب ذاته الذي تدار به حياتهم الروحية ، وقد كانت هذه الحياة لا تحتوى على شيء يمكن أن يقارب المتعة أو حتى ممارسة الحرية . وقد أبعد الطلاب عن

(٢) اسم شلر الأول في التعميد (٣) حياة شلر

المحادثة أو حتى رؤية أى شخص ماعدا أساتذتهم . ولم يجسر أحدهم على تخطى نطاق العبودية المضروب حولهم ، ونزهتهم نفسها كانت مقيدة بالكلمة الآمرة

يمكننا أن ندرك بسهولة كم كان مفجعاً كل هذا بالنسبة للطلبة ، وكم كانت الفجيعة هائلة بالنسبة لشلر ، لما امتاز به من طبيعة حساسة وشعور مرهف . فنراه وقد طغى عليه التبرم ولكن حياءه منعه من أن يظهر ذلك قولا أو فعلا . وقد أوقع سجنه هذا به ألماً عميقا ولكنه كان يأنف من الشكاة . وقد حفظت بعض رسائله فى هذه الفترة ، وفيها نجد النضال غير المثمر لذهن متحمس مشغول وهو يحاول ستر الكروب تحت غطاء الصبر الخائف وهو يظهر أله على أشده . لقد انكب على قواميسه وكتب النحو وواجباته العقيمة برصانة مصطنعة، ولكن روحه كانت كروح الأسير تحن إلى العالم الحر البهيج ، وتستعيد ذكريات حنان الوالدين والآمال والمتع المثيرة للسنين الخالية . إن الشباب هو فصل الحياة الزاهى ، وهو كذلك ليس بما يناله أو يتخلص منه بل بما يامله ويرجوه . وقد يظن بعضهم أن لآلام شلر أمثلة كثيرة فيقول : « أو ليس فى قصة كل طالب من طلاب أبتون مثال حى لمثل هذه الآلام ؟ أو ليس كل هؤلاء قاسى الفرقة الجارحة والمصائب الفادحة والاضطهادات المبرحة والعزلة القاتلة ؟ ولكن الصعوبات التى أضنت شلر كانت أعمق من كل هذا ... إن أسوأ اضطهاد عاناه هو الاضطهاد الأدبى ، كل هذه الأصفاد تقيد الرغائب فقط ، بل إنها تعدت إلى تقييد الإرادة الحرة العاقلة ، فزيادة على آلامه الخارجية أبعد ذهنه عن الهدف الذى شعر بأنه الهدف الحق وحول إلى هدف آخر مزيف ليس فيه من معانى الحياة شئ يذكر . ولم يجد فى الحقوق ولا فى الطب الذى اضطر على الاستعاضة به عن الحقوق ولا فى أى عمل رتيب مهما علا قدره وارتفعت منزلته ما يرضى روحه وما يشعره بالسعادة والهناء ، ولكن الذى كان يسعى إليه هو فعالية عليا لم يجد لها اسماً حينذاك والتى تخيلها يوما ما فى الانضواء تحت لواء الكنيسة وأخيراً وجدها وكانت هى الشعر بالذات . ولم تكن هذه الرغبة رغبة صبيانية طارئة، بل كانت شوقاً ملحا عميق الجذور أخذ عليه مجامع قلبه وتمثل فى هدفه الذى كرس حياته للوصول إليه . ومع ذلك فإن أساتذته اعتبروا ذلك منه رغبة صبيانية ليس إلا ... فعالجوها كما يعالجون أمثالها، ولم يتمكن شاعرنا من الانتصار إلا بعد معركة ضارية ونضال عنيف انتهى بفوزه، ولم يحدث ذلك إلا بعد أن أصيب بأول لسعة فشتتت ذهنه وكادت تبعثر مستقبله لأنه فقد العون فى تعاسته وشقائه ، فتألم وجاهد فى سبيل قضية خاسرة، وقد قال شلر نفسه فيما بعد بخصوص ذلك : « لقد جمعت الطبيعة — بسوء تقديرها — بين ميولى الشعرية وبين مكان ولادتى . فكل رغبة فى الشعر كانت تصطدم بقيود المدرسة التى تعلمت فيها وتناقض خطة مؤسسها . فبحماستى لمدة ثمانى سنوات ناضلت ضد النظام العسكرى ، ولكن هيامى بالشعر كان حدا حده الحب الأول . والشئ الذى أراد النظام أن يطفيه زاده تأججاً وضراما ، وقد وجدت قلبى فى عالم الأفكار ملجأ للتخلص من الأوضاع التى عذبتنى كثيراً ، بعد أن عزلت من عالم الحقائق بالأصفاد والأغلال »

وما من شك أن حكمة شلر الخاصة علمته التوكيد على الحياة قبل توكيده على الحياة الشعرية ، وقد عبر عن ذلك بقوله: «يجب أن أترك مناخ بندس(٤) واستبدله بالأرض الخضراء ذات المناخ المتجمد فى النصوص العلمية المخيفة » وحالما يقضى الله أمراً كان مفعولا يصبح عمل شاعرنا الرتيب منتهياً وأمله محققاً ، فوقت الفراغ الذى سيحصل عليه نتيجة لذلك سيكرس للشعر أو أى شئ آخر، وفى الحقيقة « أن بقاءه مقيداً بغزوات معلميه القساة كان أمراً غير محتمل ومهينا له ، فلا عجب أن فكر شلر يائساً فى وضعه، ولكن ما العمل ؟ وهذا مما اضطره على أن يضع خططاً عديدة للنجاة ، وقد كان يتوسل أحيانا بالهروب خلسة ليلقى نظرة على العالم الحر الحى ، هذا العالم الذى كان محظوراً عليه التقرب منه ، وأحياناً أخرى كان يضع بعض الخطط لنبذ المكان الذى كرهه هذه الكراهية مؤملا أن ينقذه القدر » . ولكنه كان صغيراً ، عديم التجارب ، لا مساعد له ولا معين ، فليس هنالك إلا تحمل ما هو واقع بصبر وأناة . يقول كاتب سيرته : « إن أى روح تحيا تحت مثل هذه الظروف المنهكة والغضب المستعر ، مكتوب عليها الفرق حتما فى النهاية والتخلص من

(٤) واد فى اليونان

المطامع الدنيا والانهماك المعيب والخضوع لربقة النير والتعثر فى هـذا الوجود متكسرا ، تعباً ، ومتبرما وملقياً نظرة تائقة إلى أحلام شبابه التى ليس له القوة على تحقيقها . ولـكن شلر لم يكن من هذا الطراز الاعتيادى من النـاس ليفعل مثل ما يفعلون .

وتحت ستار المظهر الخارجى البارد الذى ليس فيه جاذبية مفتعلة ، ولطفه الذى شوه نتيجة العوائق والعزلة والفاقة المؤلمة التى قاساها فى حياته ، أقول ، تحت مثل هـذا المظهر تختبئ نار متأججة ليس للعوائق قابلية على إخمادها . والظروف القاسية التى أحاطت بمستقبله عرقلت نمو ذهنه نموا طبيعيا وقلصت قابلياته ووجهتها وجهة خاطئة . على أن هذه العقبات جمعت قواه وجعلته يعتمد على نفسه . أما أفكاره التى لم يكن لها مرشد يهديها سواء السبيل فقد انحدرت إلى أعماق نفسه وفتحت مغاليق مصيره ، وقل مثل هـذا عن مشاعره وعواطفه التى تجمعت فى أغوار ذاته حتى أصبحت كحمم البركان يحـترق وينصهر ويتجمع بعنف وبقوة هائلتين استعداداً للانفجار المروع الذى لا رد ولا يصد وذلك واقع حتما فى ساعة مغينة

« يمكن اعتبار شلر لحد الآن صبيا متبرماً ضجراً وغير نافع ولـكن الوقت أزف لـكي يصبح هذا الصبى رجلا يمزق القيود شر ممزق بقوة امتد تأثيرها فى طول أوربا وعرضها ، ولم يعد للقيود المدرسـية أى تأثير فى تشويه قابليته وإضعاف قوة شخصيته الجبارة . إن نشر (اللصوص) يعتبر فتحاً جديدا ليس فى تاريخ شلر بل فى الآداب العالمية ، وليس من شـك أن الفضل فى ذلك يعود إلى نظام مدرسة ستنفارد المشوه، ولولا هذا النظام لما رأينا هذه المأساة . بدأ شلر هذه المأساة فى سن التاسعة عشر ، ويمـكن تتبع كل الظروف التى أحاطت به فأثرت فى مجرى حياته فى جميع أجزاء المأساة المختلفة بصورة جلية واضحة

ولم تمض مدة قصيرة على نشر هـذا الـكتاب حتى ظهرت تراجم له فى جميع لغات أوربا تقريبا ، وقرئ من قبل الـكثيرين بمزيج من المقت والإعجاب، وذلك بالنسبة للحساسية والانطباع الوجدانى لـكل من درس الـكتاب . لقد هبط المؤلف الصغير كشهاب على العالم مما جعله مبهوتا لا قبل له بالنقد الهادى الرصين

وفى ضجيج النقاش الحاد الذى شمل العالم فى خصوص هـذا الموضوع مدح المؤلف بأ كثر من قابليته الطبيعية ، كما أنه ذم ذما فادحا ، إلا أن الحـكم العام كان فى صالحه ، وطبيعى أن يتعدى كل من الطرفين حدود الاعتدال ويتجاوز جادة الحق

ولـكن مأساة اللصوص أحدثت عـواقب لمؤلفها من نوع أشد حساسية من هذا الحـكم ، لقد دعونا ظهور هذا الـكتاب نقطة البدء لنجاة شلر من جور المدرسة والضغط العسكرى ولـكن فعلها فى هذا الخصوص لم يكن مبـاشراً . . لقد أنهى شلر المودة الأصلية فى سنة ١٧٨٧ ولـكن خوف الأذى اضطره أن يحفظها سرا دفيناً حتى إكمال دراساته الطبية ، هذه الدراسات التى تابعها باجتهاد كاف حتى حصل على درجة الشرف سنة ١٧٨٠ وأصبح جراحا فى فرقة (أوجى) إحدى فرق جيش (فرتمبرغ) . وهذا التقـدم ساعده على إكمال مشروعـه فى طبع (اللصوص) على حسابه الخاص بعد أن حار فى إيجاد من يقوم بذلك من ناشرى الـكتب وأصحاب المـكتبات

« ـ للكلام صلة »

يوسف عبد المسيح ثروت

٣ - في بــــــلاد الأحرار

للكاتب التركي الأستاذ أغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

الحرية وردة

عاد إلى الأساتذة بعد يومين وسألني أحدهم فقال :

— هل قرأت الدستور ؟ أحفظته استظهارا ؟

— قرأته وحفظته.. غير أنني أرجو منكم شرح بعض مواده لتعسر فهمها على . . هل لكم أن توضحوا لي قبل كل شئ الحكمة العامة لهذا الدستور ؟ لماذا وضع ؟ ولأية غاية أحدث ؟

— بكل سرور .. يجب أن تعلم أن الحرية مسألة ثقافة وتهذيب ليس إلا

— لم أفهم أيها الأستاذ ، ألا تتفضلون بشرح أوفى ؟

— حسنا .. هل سبق لك أن اشتغلت في أعمال الحدائق ؟

— نعم !

— إذن سهل الإيضاح . . لابد من أنك قد لاحظت في خلال تعهدك الحديقة أن شجرة ، أو وردة ، أوزهرة ، أيا كانت لا يمكن أن تنبت وتنمو وتترعرع إلا إذا توفرت لها الشروط التي تتطلبها طبيعة الشجر أو الورد أو الزهر .. وعليك أن تعلم الآن أن الحرية كالوردة أو الزهرة .. سواء بسواء . . فنموها وازدهارها يستلزمان توفر شروط تلائم طبيعتها وخصائصها الذاتية . .

— وما هذه الشروط ؟

— هل استظهرت نشيد البلاد ؟

— نعم !

— لقد جاء في ذلك النشيد .. « أن الحرية جوهر الشعور ، وأن الشعور هو الإنسان » فلذا يجب الاعتناء الكافي بالإنسان عند « تطعيم » هذا الجوهر لكيما يؤتي ثماره المبتغاة ..

أما البيئات التي مرت عليها الأحقاب الطويلة وهي ترسف في قيود الذل والاستعباد ، وضاعت عنها معالم الكيان الحر ، فليس تطعيمها بإكسير الحرية من الأمور السهلة الميسورة ، كما يتراءى لأول وهلة .. وذلك أن الاستبداد لا يتخذ لنفسه موطنا من الإنسان إلا الروح والقلب فحسب . . فهنالك يبذر بذوره ويتأصل ، وهنالك يؤسس عرشه ويضع على رأسه تاجه المروع

وقد يخيل إليكم في بعض الأوقات أن الاستبداد قد تهدم صرحه ، وتقوضت دعائم بنيانه ، وقضى على آثاره ومعالمه ، ويساعدكم على اصطناع هـذا الظن زوال ظواهره وعلاماته ، بينما الحقيقة ، لو تأملتم مليا ، أنه ما زال حيا في كل جانب ، مضطرما هواه في كل فرد

وعلى سبيل المثال أقول : إنكم تجدون أناسا يطالبون بالحرية بأعلى أصواتهم ويتحمسون لها غاية الحماسة ، ولكنهم في الوقت نفسه لا يحترمون حرية الجار مثلا . . فعند أول اصطدامهم بهذه الحرية تجدهم يرغون ويزبدون ، ويودون لو أتيح لهم سحق الشخص الذي أمامهم سحقا تاما ، والقضاء عليه بأي وسيلة

وذلك لأن عرش الطغيان لم يهدم ، وروح الاستبداد لم تقتلع ولم تنبذ بعد من الأرواح والقلوب

وهذا هو السبب أيضا في أن الحرية في مثل هذه الأحوال قد تنقلب إلى فوضى ماحقة ، لا تبقي ولا تذر ، ذلك أن الاستبداد المتجمع سابقا في الفرد الواحد ، يأخذ في هـذه المرة طريقه إلى الظهور عند كل فرد على حدة ، بعلائمه البارزة المستديمة ، فيتعاظم أثره في النفوس على التدريج ، ويشرع البعض في استمراء التحكم والعبث بحقوق البعض الآخر باسم الحرية ذاتها . . غير أنه قبل أن يمكن استمرار هذه الحال طويلا تظهر الحاجة ثانية إلى كتم أنفاس الكل ، وإلى قبوع كل واحد في جلده باسم الحرية ذاتها من جديد . .

وهكذا تضطر البيئات التي لم تستأصل بعد جذور الاستبداد المعنوية من دواخلها ، ولم تقض على آثارها في نفوس ظهرانيها إلى التقلب على الدوام بين عهدين من الفوضى وفقدان الحرية ، الأمر الذي يعد بلادة مجهولة العواقب لهذا المجتمع بطبيعة الحال

لهذا فإن دستور بلاد الأحرار قد وضع لإرشاد مجتمع كهذا إلى الطرق المثلى التي يصون بها نفسه عن الوقوع في مهاوي

مردية كهذه ، حيث فيها القضاء الأخير على البقية الباقية من حياته وكيانه أمر محتوم أكيد

أما مايهدف إليه هذا الدستور فهو القضاء على روح الاستبداد فى النفوس ، وهدم عرشه وتاجه فى القلوب ، وإقامة عرش وتاج الحرية عوضا منهما

— لقد فهمت أيها الأستاذ . واطلعت على قيمة الدستور الحقيقية ، فهل تسمحون بأن ننتقل إلى نصوص المواد ذاتها الآن

* * *

تنص فاتحة مواد الدستور على تهجين الكذب وتحريمه . . فهل يعنى ذلك أن لهذه الجريمة أهمية خاصة بها ؟

— نعم !

— لماذا ؟ وهل يستطيع إنسان أن لا يكذب إطلاقاً ؟

— الرجل الحر لا يكذب أبداً. والكذب شعار الضعاف الأذلاء الجبناء ... فى حين أن تتطلب أن يكون الإنسان قوياً ، شجاعا ، ذا عزيمة ماضية . . ثم إن الكذب وسيلة لإخفاء الحقيقة وسترها ، وحيث تختنق الحقيقة ، تكون السيادة للباطل وحده . . ولا خير فى موضع يسوده الباطل ويحكمه . . إن المجتمع الذى يعرف قدر نفسه لن يسمح بذلك بحال من الأحوال ، وهذا هو السبب فى أن بلاد الأحرار تهتم اهتماماً خاصا بهذه الجريمة

— لقد فهمت أيها الأستاذ! واستنارت فى نظرى الآن جوانب كثيرة من الماضى الغابر . . ولكن كيف يمكن القضاء على شائبة الكذب فى أرجاء مجتمع كبير ؟

— هذه مسألة تربية وتهذيب ليس إلا . . تبدأ فى الأسرة والمدرسة وتنتهى فى المجتمع . . ذلك أن الأسرة والمدرسة هما وحدهما اللتان تضمان الأساس الروحى الأول للأطفال . . وأن الطفل ليس إلا مخلوقا يقوم بتأثر أمه وأبيه ومعلميه ومحاكاتهم فحسب . . ثم لا تنس أيضا أن الطفل الذى ينشئه أب وأم ومعلم كاذبون لا يسعه إلا أن يكون كاذباً . . لهذا وجب على كل من الأب والأم والمعلم أن يبذلوا أقصى ماعندهم من جهد للحيلولة بين الطفل والكذب على الدوام وليس ثمة وسيلة أبعد أثراً وأضمن لتحقيق النتائج المرجوة من اجتناب هؤلاء أنفسهم الكذب قبل كل شيء

أجل ! على هؤلاء أن لا يسمحوا للأطفال بأن يلجأوا إلى الكذب أبداً ، كما عليهم أن لا يقروا أى نوع من أنواعه مهما بدا فى مظهره تافهاً بريئاً

وموجز القول يجب أن يكون الطفل عند مغادرته الأسرة والمدرسة وانتقاله إلى المجتمع مقتنعاً فى أعماق نفسه اقتناعاً تاما بأن الكذب إن هو إلا داء قذر مرذول يجب تحاشيه والابتعاد عنه بأى ثمن

أما المجتمع ذاته فهو أيضاً ، لو أعد من جانبه الوسائل اللازمة لتأييد هذه الجهود الأولية ، وعبئت قواته النشيطة لدعمها بغير تراخ (كأن تطرد الكذابين مثلا من حظيرته كما هى الحال فى بلاد الأحرار) لاختفى الكذب بلا مراء من أوساطه ، ولذهب أثره بدداً من نفوس ظهرانيه إلى غير رجعة

ولكن المجتمع الذى ينتهج غير هذه الخطة ، فيعتبر البراعة فى الكذب عبقرية ونبوغا ، وينظر إلى النجاح الذى عماده التدليس نظرة الإعجاب والإكبار ، ويحترم الرجال الذين تحقق لديه كذبهم ونفاقهم ، أجل ! إن مجتمعاً كهذا ليضطر اضطراراً إلى الإذعان لكل مايورثه إياه داء الكذب من الذل والهوان ، ويجلبه له من الكوارث والنكبات

ففى مجتمع كهذا لا يثق إنسان بإنسان ولا يعول البعض على الآخر كما لا يبقى أى مجال للمشاركة فى أى عمل يقوم على أساس سليم ، أو تنفيذ أية خطة بطريقة اشتراكية ناجحة . . وهكذا ينعدم الأمل فى ضمان أى نوع من الرقى والازدهار ، فيتردى المجتمع شيئا فشيئا ، ويأخذ طريقه إلى الهاوية والاضمحلال

— آه أيها الأستاذ ! إننى كنت أيضاً أشاهد هذه الحالات منذ مدة بعيدة . . ولكننى لم أفهم عللها ودواعيها إلا فى هذه اللحظة . . والآن هل لكم أن تتفضلوا بشرح حكمة المادة الثالثة ؟

— حبا وكرامة !

— تقضى هذه المادة بفرض عقوبة قاسية كالرجم بالأحجار على مرتكبى جريمة الرياء والتملق . . وفى الحق أننى لم أفهم الباعث على استعمال مثل هذه القسوة الشديدة وهذا العنف الزائد ، ألا يسوغ امتداح ذوى المراكز العالية ، والقابضين على صولجان الحكم ، والإشادة بمآثرهم ؟

أليس لكل هذه القصائد الرنانة التى تملأ رحاب الأدب

أى قيمة ؟

ثم هنــاك مسألة أخرى ، وهى أن جميع منــابع السعادة ، ومصادر النعيم موضوعة تحت تصرف هؤلاء، ذوى القوة والسلطان ! بل وكثيراً ما يتوقف المصير وميزان الحظ على نظرة واحدة يرسلها أحد هؤلاء، عفوا ومن دون قصد

ألا يجوز فى مثل هذه الحالة أن يتملقهم المرء ويأتى بما يرتاح إليه عنجهيتهم وعجرفتهم ؟

— يلوح لى أن نظم هــذه البــلاد تبدو غريبة لمن كانوا على شاكلتك ممن ألفوا الخنوع ، وترعرع فى أحضان الاستبداد ولــكن قل لى بربك هل وطنت النفس حقيقة على أن تــكون حرا طليقا ؟

— نعم !

— إذن عليك أن تقوم بتغيير مابنفسك تمام التغيير . . لأن كل ماذكرته الآن إنما يعود عهده الى الزمن الذى كنت تقاسى فيه مرارة العبودية ، وتعانى أوصاب الأسر . . ومادمت قد حطمت سلاسلك وقيودك وعزمت على أن تــكون حرا كريما فلا مفر من أن تعلم أن المداهنة إنما هى عمل العبيد والأسرى ، كما هى دليل أيضاً على ضعة الروح وهوان النفس ، وإن الرجل المتملق يكون دائما فاقداً لشرفه وكرامته

إن رجــلا كهذا يفسد حتى أخلاق من يتحدث اليه ويتملقه ويتمرغ فى تراب حذائه إذ يوقظ فى نفسه شهوات سيئة كالغرور والعجرفة وعدم تحمل الحق والحقيقة

ومن الأمراض الوبيلة التى ابتليت بها الجماعات الشرقية ، حتى لتــكاد تجهز الآن على البقية البــاقية من حياتها ، داء المداهنــة والتملق بصفة خاصة . . وليس ثمة مايدانى هذا الداء فى نتائجه المروعة وإمعانه فى التهديم

فهو ينفذ من الانسان فى خلايا الدماغ وشغاف القلب ويتسرب كسموم الثعابين القاتلة بعينها فيوهن الجسم ويبليه ويشله شــللا تاما

إن الشعراء الشرقيين الذين دبجوا القصائد الطوال فى المديح والثناء كانوا — بغير علم ولا هــدى — من أكبر الجانين على أمتهم ووطنهم . . وبنسبة روعة القصيدة كان الدمار المعنوى مروعا مخيفاً فضلا عن التخريب الذى احدثه المقلدون والناسجون على منوال الأوائل

ووجه الغرابة فى الأمر أن هنــاك كثيرا من المجتمعات التى تنشد الحرية وتتوق الى تحقيقها لنفسها تفرض أمثال هذه القصائد نماذج أدبية على مدارسها ومعاهدها

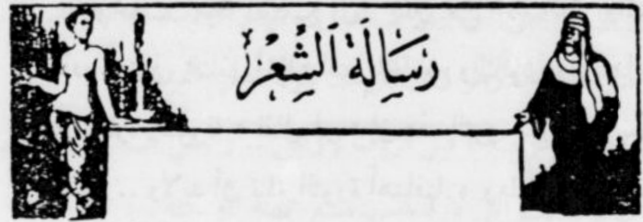
ليت شعرى.. أيقدر هؤلاء عظم الجرم الذى يجنونه، وضخامة الجناية التى يقترفونها ؟ أم ترى أنهم لا يعرفون مدى التأثير الذى يحدثه الشعر والموسيقى فى القلوب الغضة والأدمغة الناشئة ؟

ولــكن مهما يكن من شئ فإن عمل الأمة الطامحة إلى الحرية لا يقل شأناً فى هذا الخصوص عن عمل الفلاح الذى يبذر فى حقله البذور ثم يذر فوقه الــكبريت

لقد حرم القانون الإنــكليزى منذ القرن الخامس عشر مدح الملك ، كما حرم ذمه ايضاً

وهكذا تــكون خطة الأمة الراغبة فى الحرية

السكلام سلة — **أحمد مصطفى الخطيب**



الوجود السجين

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

فى ضباب الأحزان .. واللهب القاتم ينشق بين قصف الرعود ..
وبكاء الحنين .. بالأدمع الخرساء .. فى وحدتى ، سجنت وجودى :
نغماً تائها .. يحن إلى الحب .. إلى عالم قصى .. بعيـد .. !

* * *

وبروحى من العواصف ليل ..   أبدى الظلام .. جهم النشيد
ولهيب الأشواق يجتاح صمتى   بحنين .. معذب .. عربيد ...
والفراغ المخيف يأكل أيـــامى .. وينداح فى ضبـاب شرودى

* * *

للهيب المجنون .. بين ضلوعى   والدموع الحمراء تحرق خدى
وسجون الظلام .. حولى بحار   عصفت فى هـديرها المستبد
وشراعى الرهيف .. فى لجة الشك غريق فى موجهــا الممتد
ولحونى مخضبات .. وقلبى   نغم ظامئ ، يعذب سـهدى
وصباحى يطل من أفقه الدامى .. غريبا فى ليله المربد

* * *

وأنا طائر شـق الأغاريد .. حزين الرؤى .. أرهف وحدى
كلما قلت : قد كسرت قيودى   أبدلتنى الأيام قيدا .. بقيد ..

* * *

أنت يا من أشرقت فى ظلماتى   وزرعت الأنوار فى حقل أمسى
وبعطر الصباح نضرت روحى   وتفجرت فى مباهج عرسى
ثم ألهبت بالجمال شعورى   وتجليت فى ارتعاشات نفسى
وسكبت الحنين فى مزهرى الحالم ؟ فاهتز فى خفوت .. وهمس :
قد دعانى روح السماء .. فأطلقت ، جناحى .. وعانق النور هجسى
فلماذا تركتنى .. لليالى ..؟   ولماذا تحطم اليوم كأسى . ؟ . !

* * *

لحرام على الذى يهب الحب .. أن يحرق القلوب بنوره ..
والذى يسكب العبير لتشقى   شفة الزهر من هبيب عطوره ..
هـذه الوردة الحبيبة أغمضت   فى حنين الربيع بين طيوره
وجراح الهوى .. على وجنتيها   تتلظى بشوقها .. من سعيره

* * *

وابنة النور بين عرس الروابى   ترد النهر فى ارتعـاش خريره
هى روح تطير فى شاطئ الرو   ض ، وتغفو على غمام عبيره
ثم تهوى بين الزهور .. وتفنى   فى ارتعاش الصباح بين هديره
أترى موكب الحياة .. احتواها   فطواها الفناء بين سطوره .. ؟

* * *

يا لها شـقوة .. تعذب نفسى   فى غموض الظلام .. فى ديجوره
لهفة للحياة .. تغمر روحى ..   بأسى خافقى .. بنار شعوره ..
الضباب الكثيف أغرق أمسى   وغدى تائه .. بليل مصيره . !

محمد فوزى العنتيل

الملوثون !

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

وكان مصر تاريخ .. وكانت   لهـذا الشعب أمجاد عظيمـه
فمن رد الملاحم وهى ريح   تولول حول مقبرة قديمـه
ووطئ تاج فرعون فداست   على أقداسـه جيف رميمه ؟
ومن زرع الخيانة فى زبانا   وذوب فى شـواطئنا سمومه
وغطى فجرنا بالسحب حتى   نسينا فى غياهبنا رسـومه ؟
وقالوا : الاحتلال ، فقلت كفوا   فتلك جنـاية الأيدى الأثيمه
تحرر غــيركم بالموت حينا   فما لـكم قنعتم بالهزيمه
ولو طهرت دماؤكم لعـاشت   بلادكم مسودة كريمـــه
وقالوا : الحـاكم الجبـار فينا   فقلت وفى دمى حمم أليمـه
ألم تصنعه أيديكم ؟ ألمـــا   تكونوا مضغة الشاة السقيمه
كفاكم أنكم كنتم دخانا   يظلل وجه من صنع الجريمه
تخلوا قائد التـاريخ يمشى   بموكبه لغـايته الحـكيمه !
ولا تقفوا أمام السيل كيلا   تمزقـكم عواصفه الرجيمـه
لقد طلع الصباح على حديد   فواروا هـذه الجثث القديمه

محمد مفتاح الفيتورى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

عودة العميد

عاد الدكتور طه حسين إلى القاهرة ، بعد أن أمضى فترة الصيف فى أوربا كعادته من كل عام ؛ ومثل مصر فى مؤتمر الفنانين بالبندقية ، هذا المؤتمر الذى عقد فى ٢٦ من الشهر الماضى

وكان هذا المؤتمر من أهم الأسباب التى عوقت عودة الدكتور الذى كان حريصا على أن يعود إلى مصر بعد حركة البعث الجديدة مباشرة

وقد زرنا عميد الأدب وقضينا معه بعض الوقت ، واستمعنا خلال ذلك إلى أحاديث متعددة الجوانب حدث بها الكثير من زواره وأصدقائه وتلاميذه ، ونحن نوجزها فيما يلى ، ونرجو ألا يخل إيجازها بالمعانى العليا التى اشتملت عليها ، والتى نثرها العميد على مريديه

قال : منذ ترامت إلينا أنباء حركة الجيش ونحن فى شوق إلى مصر ، وما رأيتنى مرة من المرات وأنا عائد من أوربا أكثر فرحا بالعودة إلى وطنى منى هذه المرة . .

وقال : لقد زرت الأستاذ أحمد لطفى السيد — أمس — بعد عودتى من أوربا ، فوجدت هذا الرجل الذى ارتفعت به السن فرحا ومتحمسا للثورة الجديدة ، حماسة لا تدانيها حماسة الشباب ؛ فلما هنأته بالحركة الجديدة وقلت له إنها من ثمار غرس طويل شاركت فيه أنت وتلاميذك بقدر ليس بالقليل ، قال لطفى السيد : أى فخر ذلك الذى أحرزته مصر فى نظر العالم كله ؛ أن يقف ضابط مصرى هو محمد نجيب ويقول لابن محمد على : عليك قبل الساعة الثانية عشرة أن تتنازل عن العرش ، وعليك قبل الساعة السادسة أن تغادر البلاد .. أى مجد هذا فى أن يتحقق لمصر هذا الأمل الكبير ، ويصل فيها الوعى إلى هذه الدرجة من القوة !

وتحدث عميد الأدب إلى كثير من الأساتذة والمعلمين والمدرسين فى مختلف أنواع التعلم الجامعى والثانوى والابتدائى .. من زواره وضيوفه ، فقال لهم : إن هذه الثورة من أهم ما نعتز به ونفخر .. ولابد أن تبلغ الثورة أهدافها ، وعليكم أن تكونوا أداة عون أكيد لتحقيق هذه الأهداف ، وأن تكونوا فى مختلف دور العلم رسل السلام والخير ودعاة الإيمان الصادق بالنهضة الجديدة . وعليكم كذلك أن تضحوا فى سبيل هذه الغاية ، تضحوا بكل شئ ، وألا تجهدوا العاملين فى الوقت الحاضر بمطالب أو طلبات ، وأن يكون رائدنا التجرد الكامل للعمل الوطنى ، دون أن نلتفت إلى رغباتنا الخاصة ، فهذه يجب أن تؤجل أو تنسى خلال هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن

وقال الدكتور العميد : إن الثورة فى مصر ، منذ ترامت أنباؤها إليه، قد شغلته عن كل شئ ، ولذلك فهو لم ينته من كتابه الجديد عن الإمام على ، وقد كان يطمع فى أن يعود به كاملا

وجرى الحديث حول مقالات الدكتور التى كان يكتبها فى العهد الماضى ، بذلك الأسلوب الذى يغلب عليه الإيماء والرمز ، والتى كان يفهمها كل من يقرأها ، ويعرف ماذا يريد أن يقول كاتبها ، مقالات الهلال ، و « رسالة لم يكتبها الجاحظ » ، و « جنة الشوك » .. وغير هذه مما كانت تحمل بذور الانتقاض ومعاول الهدم لذلك الطاغوت .. والعهد البغيض

الأعداد الثلاثة .. مفخرة الجيل

ما أريد أن أجامل الأستاذ الزيات أو أتملقه حين أكتب هذه الكلمة فى « الرسالة » .. حقا ! كان خليقا بى أن أكتبها فى أى مكان آخر ، ولكن هذا باب قد عودنا قراءنا أن نسجل لهم فيه أهم أنباء الأدب.. وليس شك أن من أهمها هذا الأسبوع تلك الاستقالة التى بعث بها صاحب الرسالة إلى شيخ الأزهر من رئاسة تحرير مجلة الأزهر !

ولقد كنا نتنبأ بهذه الاستقالة قبل أن تقع ، فقد قبل الأستاذ الزيات هذه المهمة على غير رغبة منه . كان يعلم مشقة هذا العمل، مشقة تجديد مجلة درجت على طريقة معينة فترة من الوقت .. ثم ليخرجها من حيزها « الأزهرى » المحدود ، كتابة وطباعة

وإخراجا .. لكى تستطيع أن تقف فى صف المجلات العالمية التى تشرف اسم « الأزهر » فى كل بلد يقرأ أهلها العربية

وعلى الرغم منه ، قبل الزيات ، وعمل .. وتحمل الكثير من المشاق والمتاعب التى لا تتناسب مع صحته أو سنه . . ولكنه ضحى بكل شئ فى سبيل العمل الباقى ، وظل الناس فترة من الوقت يتساءلون : ماذا سيعمل الزيات فى مجلة الأزهر وكيف سيخرجها ؟

وهمس الأزهريون ، لعله سيكتب مقالا شهريا ويمضى !

ثم ظهرت مجلة الأزهر ، فكانت آية الفن والعلم والإخراج والبحث ...

وكان العدد الثانى أقوى من الأول ، وقد بدا فيه الجهد كبيرا وواضحا

وظهر العدد الثالث فكان تحفة أدبية وفنية رائعة ، جمع فيها أبرز كتاب الدنيا والدين ، على موضوع هو أعظم موضوعات الإسلام جميعا ذلك هو « الفتح » . . الفتح فى الحرب والعقيدة والتشريع واللغة والنحو والفلسفة والعلم والعمارة والموسيقى

وكأنما كان الأستاذ الزيات يوحى إليه بظهر الغيب ، إذ روى فى هذا العدد الأخير من مجلة الأزهر قصة المجلة ، وتحس فى أسلوبه المرارة ، والشعور بأنه يريد أن يتنحى ، قال فى تعقيبه على مقال :

« توليت إدارة هذه المجلة وليس فيها محرر ولا مترجم ولا موظف يعين على التحرير والترجمة ، فلم أجد بدا من الاستعانة بالكتاب الذين حملوا أمانة العلم وفهموا ثقافة الإسلام . وكان من أول هؤلاء وأولاهم كتاب الأزهر ، ولكن معرفتى بأكثرهم قليلة ، وهم لم يتكرموا بالتعارف ولم يتقدموا بالمعونة ، فلجأت إلى من أعرفه من الأزهريين والجامعيين والمجمعيين

وخرج عدد « رمضان » على النحو الذى عرفت ، ولم يتغير الحال فى عدد شوال فصدر على الوضع الذى رأيت

وفى عدد المحرم — الذى بين يديك — اختلف الأمر بعض الاختلاف . لم أجد بعد ثلاثة أشهر مسوغا لانتظار التعارف أو التعاون ، ففزعت إلى لجنة من صفوة الأصدقاء فى الأزهر ، ومعى خطة لهذا العدد الخاص مبينة المعانى ، معينة الأغراض ، وسألتهم أن يختاروا لهذه الموضوعات كتابها من رجال الأزهر ، فاختاروا طائفة من أعيانهم كتبت إلى كل منهم رسالة بموضوعه وموعده . ثم انتظرت ونظرت فإذا الأساتذة جميعا لا يكتبون ولا يعتذرون ما عدا الأستاذ محمد عرفة ، وكان الوقت قد ضاق عن استكتاب غيرهم ممن يكتبون أو يعتذرون ، فنزلنا مضطرين على حكم الواقع ...

ورأيى قبل هذا أن الأزهر فكرة ، فكل من أخذ بها وعبر عنها ودعا إليها فهو أزهرى ، وإن لم يخرجه الأزهر . أما رأيى بعد هذا فهو أن العبء باهظ ، والجو خانق ، والعدة ضعيفة ، والمعاونة قليلة ، والسن متقدمة ، والصحة متأخرة ، وما أطعت فضيلة الشيخ الأكبر الإمام عبد المجيد سليم فى تولى هذه المجلة إلا لأرسم الخطة وأضع النموذج . وفى اعتقادى أن فى الأعداد الثلاثة التى صدرت على علاتها ما يكفى »

وقد صدق الزيات ، فقد رسم الخطة ووضع النموذج لمجلة عالية ، تصدرها أكبر جامعة عالية هى الأزهر ، وهذه الخطة من وجهة نظر المثقفين من خارج الأزهر — وهم الغالبية التى يكتب لها الأزهر ويواجهها ويدعوها إلى ثقافته — غاية فى القوة

ونحن نعتقد أن هذه «الأعداد الثلاثة» هى خير ما أخرجت هذه المجلة فى تاريخها كله ، وأن مجلة الأزهر يجب أن تكون مثلا عاليا للثقافة ، حتى تستطيع أن تجرى مع تيار النهضة العالمية المتدفق

ولست أنسى أن أذكر أن من أجود ما أعجبنى فى مجلة الأزهر — فى الأعداد الثلاثة الأخيرة — تلك الخلاصات المركزة من العلم والأدب المبثوثة فى الفصول الأخيرة ، فهى وحدها جهد جدير بالإعجاب والتقدير

وإن يكن الله قد شاء أن يدع الزيات مجلة الأزهر ، فقد كتب الله له أن يسجل أضخم صفحة فى تاريخها

أنور الجندى



عصر سلاطين المماليك
المجلدان : الثالث والرابع

تأليف الأستاذ محمود رزق سليم
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

للأستاذ محمد رجب البيومي

يعتقد صديقي وأستاذي الجليل محمود رزق سليم أن العصر المملوكي لم يأخذ حقه من البحث العلمي الدقيق ، فهو حافل بالمؤلفات العلمية في شتى المواضيع الثقافية ، زاخر بأعلام اللغة والفقه والأدب والتاريخ الذين حفظوا التراث الإسلامي بعد سقوط بغداد في يد التتار ، ملئ بالأحداث السياسية والتاريخية التي كتبت مستقبل مصر والإسلام ، وحولت اتجاه الشرق العربي إلى مأمن يعصم من الكوارث والخطوب ، ومع ما لهذا العصر من الأهمية الخطيرة فأكثر من كتبوا عنه من المؤرخين والباحثين يقابلونه بوجه عابس ، ويواجهونه بنقد حاد

وقد كرس الأستاذ المؤلف جهوده الحافلة للدفاع عن هذا العصر وتسجيل مفاخره العلمية والسياسية ، وتعداد ما أنتج للأدب والعلم من ثروات غالية يعتز بها تراثنا النفيس ، ولم يقصر المؤلف جهوده في هذه الناحية على ميدان واحد ، بل تشعبت به الميادين ، وانفسحت أمامه الطرق ، ووجد لديه من الموهبة والكفاءة والمثابرة ما حفزه إلى ارتياد الطرق المتشعبة ، والصيال في الميادين المختلفة ، مهما أرهقه السير والتجوال ، وأضناه التجمع والوثوب

فهو في كلية اللغة العربية يوجه تلاميذه إلى كنوز هذا العصر ، ويعرض أمامهم أساطينه وأعلامه محللا ناقدا ، ومؤرخا مستوعبا ، ويفسح مجال المقارنة بينه وبين العصر العباسي والأندلسي دون أن يتعصب لناحية أو يتشيع إلى فريق

وهو في مجلة الرسالة الغراء يطالع قراءها الأفاضل بطرائف منتخبة عن العصر المملوكي ، فيجلو صفحات رائعة عن سماته البارزة في النقد والحرب والفكاهة ، ويبحث عن خصائصه في التورية والجناس والزجل والتشطير ، ويدرس جوانب هامة في حيوات أعلامه البارزين

وهو في جامعة فؤاد يقدم رسالة علمية عن النثر الفني في العصر المملوكي ، فتجلو عناصره ومقوماته ، وتزن آثاره بميزان النقد الحديث ، وبعقد صلة واضحة بين الطريف والتليد

وهو في ميدان القصص ، يخط عدة أقاصيص تاريخية ينتزع أبطالها وحوادثها من هذا العصر الملئ ، ويسوقها للقراء في أسلوب طلى ، وحوار جميل ، وقد وقف — على بعضها — قراء الرسالة ، فطالعوا ما كتبه الأستاذ عن قانصوه الغوري السلطان الشهيد

ثم هو أخيرا في ميدان التأليف العلمي يكتب ثمانية مجلدات ضخمة تكون موسوعة شاملة لأهم ما حفظه التاريخ عن هذا العصر العجيب ، وإذا كان المؤلف قد رجع في مصادره إلى مئات المخطوطات العتيقة ، يكشف عنها في خزائنها المكنونة ، وينبش في أضابيرها البالية باحثا منقبا ، ليؤيد رأيه بالدليل الملموس . والحجة المعترف بها ، حتى سود آلاف الصفحات ، وأرهق جسمه وعقله وعينيه ... أقول إذا كان المؤلف قد فعل ذلك فإنه جدير بالإعجاب والتقدير ، ولن يقدر مجهوده حق قدره غير من كتب له أن يقوم بدوره الشاق في الرصد والتسجيل

ويذكر قراء الرسالة أنى كتبت بالعدد « ٧٨٨ » كلمة عن المجلدين الأول والثاني من هذه الموسوعة الضخمة ، وها أنذا أكتب كلمتي الثانية عن المجلدين الثالث والرابع بمناسبة ظهورها الآن ، فقد آثرت أن أتابع هذه الحلقة المباركة ، لأعلم ما لم أكن أعلمه عن مصر العزيزة ، وتاريخها النفيس ، ولن ألخص للقراء مواضيع الكتاب ومحتوياته في هذا العرض السريع ، فذلك متيسر لمن يمر بالفهرس مرورا خاطفا ، ولكني أتجه إلى نقطة هامة ، سبق أن أشرت إليها في مقالي السالف ، وبقيت تتطلب المزيد من الإيضاح والتعليق

لقد عزم المؤلف أن يجعل من المجلدات الثمانية موسوعة حافلة بالهين والجليل من أنباء العصر المملوكي ، فسود مئات الصفحات في تسجيل حوادث وأنباء لا يحتاج إليها القارئ في شئ فهو يكتب قوائم حافلة بأخبار الفيضان وأرقام الصعود والهبوط

ويتحدث عمن زار مصر من الأضياف ويسرد فهارس متتالية للكتب المختلفة فى الفقه والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والمنطق مما أخرجه علماء العصر المملوكى فى ميدان التأليف ، ولم يسمع بأكثره لتلاشيه فى رحاب السنين ، كما يتتبع كل خليفة أو مملوك أو وزير أو عالم أو قاض ورد ذكره فى الموسوعات الحافلة كالضوء اللامع أو النجوم الزاهرة أو حسن المحاضرة أو السلوك أو الشذرات أو التذكرة أو بدائع الزهور أو الدرر الكامنة فيخصه بترجمة موجزة مما كان سببا فى إرهاق الأستاذ بلا مبرر ، وقد خالفت المؤلف فى هذا الرصد العجيب فقلت فى مقالى السالف بمجلة الرسالة — العدد ٧٨٨ ما نصه :

« على أنى أخالف الأستاذ فى ناحية هامة تشيع فى مؤلفه . فقد حرص كل الحرص ، على أن يترجم لكل من ولى السلطنة أو ناب عنها ، وكذلك من تحـــدث عنهم فيما بعد من القضاة والخلفاء ، وفى هؤلاء جميعا من لا يستحق أن يكتب عنه سطر واحد ، حيث كان فردا عاديا لم يخلف أثرا هاما أو تحدث فى عهده من المفاجآت ما يدعو إلى الحديث عن زمن ولادته أو مدة حياته أو آونة وفاته ، وإنما ولى وعزل ، وكأنه لم يولد ، فكيف نتعب أنفسنا فى تراجم أصنام آدمية ، قذف بها الزمن فى قرار سحيق »

أقول ، لقد سبق أن قلت ذلك على صفحات الرسالة ، واعتقدت أن المؤلف الفاضل قد اقتنع برأيى المتواضع ، ولكن ظهور المجلدين الثالث والرابع ، قد أثبت نقيض ذلك ، حيث حشد الأستاذ فيهما تراجم عديدة لنكرات مهملة نقب عنها المؤلف فى شتى الموسوعات ! وحسبك أن المجلد الرابع قد ضاع ٩٠٪ منه ، فى هذه التراجم العجيبة ، حيث شغلت (٢٤٧) صفحة طويلة مزودة بالمراجع والأسانيد ، وبلغ عدد من ترجم لهم نحو الخمسمائة والخمسين من العلماء ، وكان الأجدر أن يقصر الأستاذ تراجمه على النابهين الأفذاذ من بين هؤلاء ، وهم لا يتجاوزون المائة على أكثر تقدير !

ولعل المؤلف قد شعر أنه بذل مجهودا كبيرا دون حاجة ملحة إليه فعمد إلى تبرير صنيعه ، وقال فى مقدمة المجلد الرابع — وكأنه يرد على —

« وتستغرق التراجم الموجزة لمشاهير العصر جزءا غير قليل من صفحات الكتاب ، وهى فى الحق ضئيلة بالنسبة إلى كثرة عددهم ، وواسع فضلهم ، ونظرة يسيرة إلى كتب أعلام هذا العصر وطبقاتهم تدل على صواب ما نقول ، وقد بدت فيها عناية مؤلفيها نأبناء عصرهم وأنبائهم ، وفى الحق أننا وجدنا فيها خضما واسعا بعيد الغور ، فلم يكن لنا حياله إلا حسن الالتقاط والنظم ، على أنها مرحلة فى هذا الكتاب لا بد من اجتيازها ، ولا سيما أن المؤلفات التى أشرنا إليها جمعت فأوعت ، ونوهت بالمشاهير وغير المشاهير »

فالأستاذ محمود رزق يقتدى بكتاب العصر المملوكى فى حشد التراجم من كل صوب ، وقد نسى أنه يكتب مجلداته فى القرن الرابع عشر ، لا فى المائة الثامنة ، أو القرن التاسع ، ولكل عصر خصائصه فى التأليف واتجاهه فى البحث ، فقد كان السخاوى وابن إياس والمقريزى يؤمون الجهات المختلفة ، ليسجلوا تراجم من يقابلونهم أو يسمعون عنهم من علماء المساجد ، وأساتذة المدارس ، ومشايخ الزوايا ، وقضاة المحاكم ، ثم يسودون صحائفهم العديدة بما يجمع الطيب والخبيث ، والصالح والطالح ، والسمين والغث ، والتافه والجليل ، وقد عفى الزمن على هذه الطريقة البالية ، وأصبحنا نختار ما نكتب عن دقة وتمحيص ، فإذا أراد مؤرخ معاصر أن يسجل هذه الحركة العلمية فى وقتنا هذا ، فليس عليه أن يتتبع التراجم فى شتى المظان ثم يرصدها لقارئه فى إيجاز واقتضاب ، ولكن عليه أن يدرسها فى مطالعته الخاصة ، ثم يأخذ منها ظواهر معينة وأدلة ثابتة يقيم عليها بحثه التاريخى الكلى ، ويجعل منها أسساً متينة لآرائه وقضاياه ، وما ينتهى إليه من نتائج وأحكام

وهل يستسيغ الأستاذ الفاضل — إذا أراد أن يكتب عن عصرنا الحديث مثلا — أن يترجم لجميع من يقع على مؤلفاتهم من أساتذة الكليات ومدرسى المعاهد والمدارس ، مع أنهم جميعا يتسمون بالعلم والفضل والإنتاج ، أو أنه يختص أولى الأثر البارز فى توجيه الحركة العلمية والأدبية بالنقد والتمحيص ؟ أكبر الظن أنه يتجه الوجهة الثانية دون نزاع ، ولا يقبل أن يقلد السخاوى والمقريزى والسبكى وابن حجر فيما صنعوه منذ عدة قرون !! ولعل اهتمامه الكبير بأن يجعل كتابه موسوعة حافلة ذات كتب

وأجزاء ، قد دفعه إلى هذا الرصد والاستقصاء ، وهو بعد يعلم منـاهج البحث التاريخى وما طرأ عليه فى العصر الحديث من ضوابط وقيود ، ولن يحتاج إلى من ينبهه إلى ذلك ، وفى الأبواب العامة التى يفتتح بها المواضيع الرئيسية لـكتابه ، ما يدل على إحاطته الشاملة بالتيار الفكرى الحديث …

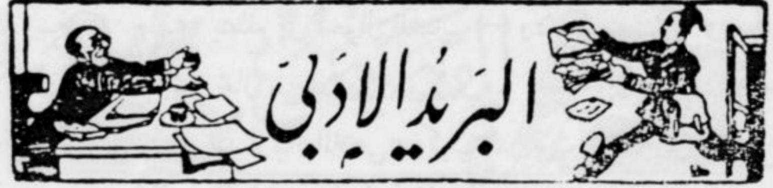
وقد خص أستاذنا الفاضل طائفة من أعلام الفقهاء بتراجم تحليلية مسهبة تحتل مكانا فسيحا من المجلد الثالث ، وقد صاغها فى نسق علمى دقيق ، فهو يذكر المعالم البارزة فى حياة من يترجم له ، ويعرض شيوخه وتلاميذه وآراءه الفكرية والمذهبية، ثم يعنى بتحليل مؤلفاته ، وعرضها عرضا يكشف عن ذخائرها الدفينة ، ومكامنها المستترة ، وبذلك استطاع أن يحلل طائفة من الـكتب العلمية التى تعتبر بحق مصادر مستوفاة فى الفقه واللغة والأدب والتاريخ ، ولم يكتف بذلك بل أفسح المجال فى المجلد الرابع لعرض مؤلفات أخرى لا تنقص عن سابقتها فى شئ كوفيات الأعيان ، وعجائب المقدور ، والنجوم اللامعة ، وبدائع الزهور ، وكانت هذه الموسوعات العلمية فى حاجة ماسة إلى من يتحدث عنها بإسهاب فيبين مااشتملت عليه من معارف جزيلة النفع ، ويكشف عما اهتز فى غصونها من ثمار يانعة ، وغرد على أفنانها من طيور صادحة ، ولعل المؤلف بذلك يلفت الأذهان إلى ضرورة الاعتناء بإحيـاء هذه الـكتب ، وإخراجها للناس من جديد فى نسق علمى يعتمد على المراجعة والتحقيق

ومع أن الـكاتب الجليل قد نقد بعض هـذه المؤلفات نقدا علميا سـليما ونبه إلى ما تجمعه من محاسن ونقائص ، إلا أننا نلاحظ أنه يغمض العين عن بعض المـآخذ الهامة ، بل ربما تلمس لها من التصويب ما يتعذر التسليم به ، وقد دفعه إلى ذلك هيامه بالعصر المملوكى ، وموقفه منه موقف المدافع الذائد ، وهو يصرح فى مقدمة المجلد الثالث بأن النقد ليس غرضا أصيلا فى تحليله وعرضه ، وإنما يرسم صورة هادئة خالية من صخب النقد والحدة معا ، كما يقول إنه يأمل أن يجد للنقد الصريح مجـالا غير هـذا المجال ، وأنا لا أوافقه على هذا المسلك ، فالفكرة العلمية لا تكون كاملة مستوفاة إلا إذا أخـذت دورها الـكامل فى التمحيص الشامل ، والنقد الدقيق

وقد لاحظت أن الأستاذ قد كتب تراجم موجزة لبعض العلماء ثم أعادها بإسهـاب مطيل ، وهذا لا يكون إطلاقا فى كتاب يحمل اسما واحدا ، وكان الأجدر أن يترك المؤلف تراجمه الموجزة ويحيل القـارئ إلى ما كتبه أو سيكتبه من التراجم المطنبة ذات العرض الشامل الفسيح ، وهناك أمر ثان يتعلق بهذه التراجم الطويلة ، فقد لاحظنا أن المؤلف قد اختار من الفقهاء عددا كبيرا كالنووى والعز بن عبد السلام وابن تيمية وابن القيم وزكريا الأنصارى، ومع هذه الحظوة البالغة بالفقهاء فقد أغفل النحاة واللغويين فلم يكتب ترجمة مسهبة لرجل كابن منظور أو ابن هشـام أو ابن مالك ، وكان الأولى فى التراجم التفصيلية أن توزع وفق العلوم المختلفة ، فلا يطغى الفقهـاء والمؤرخون على اللغوين والنحاة مثلا ، فيـكون فى هـذا التنويع تاريخ ضمنى لجانب مختلف من العلوم ، ولعل الأستـاذ قد حاول ذلك ، فتزاحمت لديه الشخصيات ، وتقاتلت أمامه الأسماء ، وصدق عليه قول القائل

تكاثرت الظباء على خراش فما يدرى خراش ما يصيد

محمد رجب البيومي



إلى صاحب الفضيلة وزير الأوقاف

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛ قرأت فى أسرار استقالتكم من جماعة الإخوان المسلمين التى نشرت فى الصحف ماجعلنى أرى فيكم مالم أكن أراه من قبل ، إذ كنت أظن ولا أخفى عليكم أنك شيخ أزهرى من هؤلاء الذين نراهم عمائم وصوراً ! فقد آنست فى أقوالكم وآرائكم روحا ذكرتنا بأئمة النهضة الحديثة؛ فحمدت الله كثيرا وزاد فى حمدى أن تكون الآن فى أقطاب وزراء الثورة الذين أخذوا على أنفسهم إنقاذ هذه الشركة المثقلة بديون الفساد والفوضى، وإنى لأنتهز هذه الفرصة الطيبة لأفضى إليكم ببعض ماأراه فى الإصلاح الدينى الصحيح

إن سيدى الأستاذ يعلم ولا ريب أننا الآن قد حق علينا قول رسول الله صلوات الله عليه « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » وأننا لا نصلح إلا بما صلح به أولنا ، وقد شاب ديننا من البدع والخرافات ماذهب ببهائه وأخر سير أهله، وكل صلاح لا يقوم أساسه على تطهير العقائد وتحرير العقول فهو إصلاح باطل ، وقد استعلنت بذلك بلسانى وقلمى منذ ربع قرن ولا زلت أستعلن به مادمت حيا

تقولون إنكم تريدون أن يعود المسجد إلى مكانته الأولى .. ولكن يجب قبل كل شىء أن يطهر من الوثنية حتى يعود إلى طهارته الأولى ويكون لله وحده (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً)

وكذلك تقضى على وصمة أخرى بالمساجد تلك هى صناديق النذور بعد تمزيق اللائحة التى وضعوها لها . ومن يرد أن يتصدق فأمامه وجوه الصدقات التى أمر بها الله وهى كثيرة وبعد أن تتطهر المساجد وتصبح لله وحده تعدون من سيقومون بأداء رسالتها إعدادا صحيحا حتى يستطيعوا أن يؤدوا ماعليهم للحياة وللناس أداء حسناً

ومما نطلبه منكم كذلك أن تستبدلوا بكتاب الفقه على المذاهب الأربعة مختصراً فى العبادات يحمله كل مسلم . تقتبس أحكامه من الراجح مما فى كتب السنة وعمل السلف الصالح بغير تقييد بأى مذهب من المذاهب ، لأن الله تعالى لم يطلب من عباده أن يعبدوه على مذاهب معينة . . والعامى لا مذهب له والعالم له أن يختار

هذا ما نريده منكم وقد سبق لنا أن طلبنا ذلك كله من المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق حينما تولى وزارة الأوقاف أول مرة .. ولكن يبدو أن مشايخنا عفى الله عنهم قد وقفوا فى سبيله — ونرجو أن يتم هذا الإصلاح على أيديكم إن شاء الله

المنصورة **محمود أبو رية**

١ — التربية والتعليم معا

إن نظرة خاطفة إلى أخلاق التلاميذ فى المرحلتين الأولى والمتوسطة تجعلك فى حزن عميق وألم ممض ، وأخلاقهم هذه تظهر جليا فى الميادين والشوارع ، وفى الحدائق ودور اللهو ، وفى المركبات العامة وغيرها ، ولا تختفى بوادرها المؤسفة حتى خلال ذهابهم إلى دور العلم ورجوعهم منها

الطلبة الصغار يعاكسون المارة ، ويشاكسون خلق الله ، ويتعلقون (بالترام) من الجهة اليسرى معرضين حياتهم للخطر ، وكرامتهم لألسنة السائق (والكمسارى) شأنهم فى هذا شأن الصبية المشردين — إذا رأوا عجوزا سخروا منه بعبارات نابية ، وإذا أبصروا ذا عاهة صاحوا وتصايحوا عليه ، ودعك بعد هذا من تراشقهم بالألفاظ البذيئة ، وتقاذفهم بالحجارة والحصى ، وتضاربهم بالأكف والعصى !

والطلبة الكبار يصطفون فى الصباح وبعد الظهر أمام مدارس البنات لما كستهن ومضايقتهن ، ويروحون ويجيئون فى الشوارع متعرضين لهن غير مبالين باستفزازهن ، وغير مكترثين للوم المارة ولا لمراقبة الشرطة ، وقبيل الأصيل ينتشرون فى الشوارع أيضا ، ولا مهمة لهم إلا الجرى والقفز ، والتندر بأشكال الغاديات والرائحات

من هؤلاء الطلبة المعوجين فى أخلاقهم ، قد أساءوا إلى المدرسة حتى فقدت ثقة الناس فيها ، وأصبحت مقياسا لسوء الأخلاق وانحطاطها ، ولابد من أن يتيقظ ولاة الأمور لهذه الهوة السحيقة، فلقد شغلتنا برامج التعليم ، وخطط الدراسة ، ونظم الثقافة ، عن أهم جانب فى حياة الأمم وهو التربية

ليس البيت وحده المسئول عن التربية ، وإنما المسئولية بجانبه واقعة على المدرسة بوجه عام — وعلى مدرسى الدين بوجه خاص ، فالمدرسة مسئولة عن تعليم التلميذ ، ولا يستقيم تعليمه إلا إذا استقامت تربيته ، ومدرس الدين هو المختص، وكعبة الأمل المنتظر فى توجيه التلميذ وطبعه بطابع الخلق الحسن ، وصياغته فى قالب من الخصال الحميدة والصفات النبيلة

لسنا فى حاجة إلى جيل متعلم مثقف إلا إذا كان مؤدبا مهذبا، وهذه النهضة الجديدة فى مسيس الحاجة إلى جيل صالح يرفع قدر مصر ، ولن يكون إلا إذا عنى ولاة الأمور بالتربية كعنايتهم بالتعليم ، وسارت التربية والتعليم جنبا إلى جنب . . !

٢ — نحو مجتمع سليم

نرجو — وكلنا أمل فى أن يحقق الله رجاءنا — أن تعمل ثورة الجيش الإصلاحية على إيجاد مجتمع نظيف سليم فى مصر يرفع شأنها ويعلى قدرها ، ويعز جانبها ويصل بها إلى المكان اللائق بالأمم المتقدمة الناهضة

إن المجتمع النظيف السليم عنوان الأمة الراقية الناهضة ، ولن يوهب لأمة من الأمم ذرة من الهيبة والتقدير إلا إذا كانت تتمتع بمجتمع سليم حى ، ولو بلغت هذه الأمة مبلغا كبيرا من القوة والنفوذ — والدول الغربية ذوات السلطان والجاه ، إنما تربعت فوق هامة المجد والعزة لأن المجتمع فى جميعها يظفر بأكبر قسط من الرقى وسلامة التكوين ونضارة الفكر

إذن فمصر اليوم فى مسيس الحاجة إلى هذا اللون من المجتمع ، ولن يتيسر لها هذا إلا إذا أخذ المصلحون على عاتقهم تكوين المجتمع تكوينا سليما ، يقوم على دعائم ثابتة قوية من الرقى والأخلاق والإشراف على توجيهه التوجيه الذى يصلح من شأنه ، وبث المثل العليا بين أفراده حتى يأخذوا بأسبابها وينشأوا عليها

ولكى نضمن تكوين المجتمع النظيف السليم ، يجب علينا أن نعنى العناية الكبرى بالشباب لأنه عصب المجتمع ودعامته — والذى يتطلع إلى أحوال الشباب — ولاسيما المثقف — فى مصر لا يسر بحال من الأحوال ، لأن غاية معظمه إن لم يكن جميعه تنتهى عند ارتياد الملاهى وركوب الدراجات، والسير فى الشوارع لمنافسة الفتيات ومعاكسة خلق الله

وفى استطاعة مصر أن تخلق لهذا الشباب من المغريات ما يجذبه إليها وبما يعود عليه بالفائدة ، كالإكثار من الأندية الرياضية على اختلافها ، وخير لهم أن يستنفدوا أوقات فراغهم بين جدرانها من أن يستنفدوها فى الشوارع والميادين والملاهى وركوب الدراجات

إن العناية بالشباب من أوجب الواجبات ، لإيجاد شعب حى نظيف ، ومجتمع راق سليم ، فإن مصر اليوم فى بدء التحول من حياة أرستها ردحا من الزمن على تراب الحضيض ، إلى حياة جديدة ناهضة سترسيها إن شاء تعالى — على قواعد من الرقى والتقدم ، فهى فى حاجة إلى المجتمع السليم النظيف حتى تصل القافلة إلى غايتها

الاسكندرية **نفيسة الشيخ**

تحية . . وإعجاب

أعجبت أيما إعجاب بخريدة الأستاذ ميشيل الله ويردى المنشورة بالعدد ١٠٠٥ من الرسالة ؛ وهى التى يحيى بها ذكرى هجرة الرسول معارضاً بردة البوصيرى

ولئن أعجبت بالقصيدة فى قوة سبكها ومتانة نظمها فإنى أكثر إعجاباً بأن أرى عربيا مسيحيا يمدح الرسول (ص) بشعور صادق لا يقل عن شعور صاحب البردة ومن سبق الشاعر إلى معارضته من الشعراء المسلمين

لقد أثبت الأستاذ الشاعر أن محمداً (ص) هو للعرب جميعاً مسلمين وغير مسلمين.. ولاغرو فمحمد أول زعيم وحد الأمة العربية وسدد خطاها فى طريق المجد والعظمة

إنى لأكبر فى الشاعر هذه الروح القومية العالية وأحيى فى فنه وحدة العرب على تعدد الديار واختلاف الأديان

والأستاذ «الله ويردى» وإن كان عربى الروح فهو تركى اللقب وتعريب لقبه « عطية الله » لأن «ويردى» معناها «أعطى» !

ولكم فى الختام فائق التحية وللأستاذ الشاعر خالص الإعجاب

جمال مرسى بدر



العش الخــــالى

عن الإنكليزية

انتهى يوم العرس وسافرت آخر بنت كانت فى الأسرة مع عريسها الجديد، وذهب آخر فريق من المدعوين وهم يضحكون ويمرحون فرحا بالعرس، وأصبح المنزل هادئاً هدوءاً فوق العادة كأنه خال. فالأب والأم وحدهما فى منزلها الكبير، وكان كل منهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر وينظر إلى الموائد التى عليها بقايا الوليمة، فمن زجاجات الشمبانيا إلى أطباق الفاكهة فأنواع الحلوى المختلفة

وقال الزوج لزوجته: « أليس بالمنزل غرفة لم يدخلها هؤلاء الضيوف؟ » فقالت: « غرفة مكتبك »

قال: « تعالى نذهب إليها » ثم نظر إلى الساعة وقال: جاء وقت العشاء فلنبدل ثيابنا للمائدة »

ثم أبدل وإياها ثيابهما، وتذكر وهو خجلان أنه منذ سنوات كان ينتظر هذا اليوم؛ يوم تتزوج بناته ويتركن له المنزل وأمهن معه

وقد كان يغار من بناته فقد كن يشغلنها عنه بمطالبهن الكثيرة ولم يجرؤ على الاعتراف حتى أمام نفسه بغيرته منهن، وإنما كان يشعر بذلك ويخجل من شعوره، ولكى يكفر عن هذا الشعور كان يقوم بواجباته نحو أبنائه خير قيام فلم يهمل قط واحداً من هذه الواجبات، ولكنه كان دائماً يشعر بتلك الغيرة من كل شىء يحول بينه وبين زوجته. وقد ظل كذلك إلى هذا اليوم. ففى العام السالف تزوجت بنتاه (كاثلين) و (كلير) وفى بداية هـذا العام تزوجت جيرالد واليوم تزوجت الأخيرة وهى فرانسين، وقد كان يحبهن جميعاً ولكنهن كن عقبة فى سبيله

واليوم لن تحدث بالمنزل الضجة التى كان يثيرها البنات وصواحبهن، وكانت الأم تصرف كل وقتها فى خدمتهن ومرضاتهن وزوجها لا يثق بأنهن السبب فى ابتعادها عنه؛ بل كان يخطر له فى أكثر الأحيان أنها تجعلهن ستاراً لتختفى وراءه منه، وكانت تفتنه بجمالها ويزيده شغفاً بها اشتغالها عنه، وقد تزوج منها ولكنه لم يأنس بزواجها فقد كانت دائماً فى حالة تشبه العزلة، وكانت تهرب منه فلما رزق منها ببناته الأربع زاد ابتعادها عنه واستمرت حياتها الزوجية خمسة وعشرين عاماً وهو ينتظر، وكان ينظر إلى المرآة ويبتسم ابتسامة مرة حينما يذكر أنه تزوج منذ ربع قرن، وهو مع ذلك لا يتقدم إلى زوجته إلا كما يتقدم الشاب إلى فتاة صغيرة

وكان جميلا قوى البنية، وكانت زوجته لا تزيد مع مرور الأيام إلا جمالا. وكانت شجاعتها تزيد مع هذا الجمال

نظرت إليه الآن وقالت وهى تشير إلى زجاجات الخمر والأطباق التى على المائدة: « ما هذه الفوضى التى تركت لنا يا براننو »

وكان هـذا الاسم هو الذى ينادى به فى الطفولة، فنظر إليها وقال بهدوء: « إن اسمى هو جون »

فابتسمت أمام هـذا التقريع الهادئ. وتناولت معه طعام العشاء؛ فقال وهو يتنهد تنهد الرضى: « منذ كم سنة لم نتعش وحدنا؟ » فقالت: « منذ سنوات طويلة. مسكينة فرانسين! لقد كان التعب الشديد بادياً عليها »

قال: « ولكن من أجمل المصادفات أنها تزوجت فى هذا التاريخ »

فقالت: « لماذا؟ »

ونظرت إليه بعينيها الجميلتين الزرقاوين فأجاب: « ألا تذكرين أن هذا هو تاريخ زواجنا؟ »

قال: « آه! لقد تذكرت. إننى كنت ناسية »

فعض شفته وبدا عليه الغضب لنسيانها ذلك اليوم. ثم ملك روعه. وشعر بخيبة الأمل فى السعادة التى كان يرجوها لأن زوجته لا تشعر بمثل شعوره هـذا. وذهبا إلى غرفة المكتب بعد العشاء وكانا يسمعان من الغرفة حركة الخدم وهم ينقلون ما على الموائد من الأطباق، وكانت الزوجة واقفة بجانب النافذة تنظر فى الظلام إلى أعالى الأشجار وما عليها من أعشاش العصافير وإلى الممرات المظلمة فى الحديقة الجميلة التنسيق. وكان الزوج جالساً أمام مكتبه، وقد أسند ذقنه بأصابعه

وكانت الزوجة تتذكر خلو المنزل من الموسيقى والغناء

والضحك واللعب والحديث فقالت : « ألا يبدو المنزل كأنه غير مأهول ؟ »

فهز رأسه وعادت هي إلى الكلام فقالت : « أظن جيرالد ستأتى فى العام المقبل »

كانت دائماً تفكر فى بناتها ، ولم يستطع حملها على التفكير فيه، فشعر الآن بخيبة أمله ، لأنه حتى فى هذا الوقت لم يستطع الوصول إلى قلبها . ولكنه سكت فلم يجبها وعادت إلى الكلام فقالت : « وأظن كلير تستطيع أن تأتى شهراً فى الخريف ... مسكينة فرانسين ! إننى أرجو لها السعادة »

عاد إليه شعوره بالغيرة من بناته ولكنه كتمه كعادته وسكت ، فقالت : « لقد سمعت من بنت عمى دوليس فى الأسبوع الماضى — ولم أستطع إخبارك إلا بعد انتهاء العرس — سمعت أنها تدير الآن نادياً للفتيات فى جنوب لوندرا »

تخفق قلب جون وقال : « ثم ماذا ؟ »

قالت : « وقد اقترحت على أن أنضم إليها فهى فى أشد الحاجة للمساعدة . وقالت إننى سأكون منفردة هنا مستوحشة بسبب غيبة البنات وهى ترى أن أقيم معها وآتى إلى هنا يوم فى الأسبوع . وأنت تتغيب عن المنزل طول النهار وفى إمكانك قضاء بقية الأسبوع فى غيبتى وحدك »

دارت الدنيا أمام عينيه وشعر بالذل . ولكن عزته المجروحة بت إظهار ذلك فقال : « افعلى ما ترينه »

قالت : « وإذا كنت تريدنى فإنى مستعدة لأداء واجبى »

فقال : « الواجب لا دخل له هنا »

فقالت : « إننا سنقرر الرأى فى هذا الموضوع فيما بعد »

فرأى الزوج أن أى قرار خير من الشك وأن عليه أن يواجه الليلة مالا بد من مواجهته فيما بعد . وهو يريدها ولكن على غير هذا الشرط فقال : « إننى أرى أن تقررى الرأى الآن »

فالتفتت ونظرت إليه فى صمت . ولكنه لم يطق أن ينظر إليها . وارتكن إلى ظهر الكرسى وكانت أمامه رزمة من الخطابات فأخذ يقلبها بصورة آلية ويقرأ العنوانات فأجابته : « سأذهب إلا إذا كنت فى حاجة إلى »

فكان رده المختصر : « لست فى حاجة إليك »

فتركت الغرفة فى الحال وتركته بين أنقاض أحلامه

وبعد أسبوع كان الزوج جالسا وحده . وكانت الزوجة قد ذهبت فى اليوم التالى للعرس إلى بنت عمها . وكانت نفس الزوج لا تزال متألمة من جرح عزتها . وشعر بالتعاسة لاعتقاده أنه كان من الحماقة أن يتركها تذهب دون أن يقاوم ، فهو يشعر بأن الحياة بدونها لا تطاق

وقف أمام النافذة التى وقفت أمامها منذ أسبوع وفكر فيها وفيما تعمله الآن . وكانت صورتها المكبرة على الحائط فقال فى نفسه : « ترى كيف حالتها الآن ؟ لعلها فى خطر ! »

وإنما أتى بهذه الكلمة إلى ذهنه أن أعصابه كانت شديدة الاضطراب . ولم يكن يطيق النظر إلى صورتها

وكانت الغرفة مملوءة بصور أخرى لبناته فنظر إلى تلك الصور وهو يبتسم ابتسامة مرة وقال : إنها انتصرت على طول الخط ، وإننى هزمت على طول الخط كذلك

ونظر إلى الساعة ، وكان الليل قد انتصف وتشبثت بذهنه فكرة الخطر ، وفكر فى مقدار المسافة التى يقطعها إذا أراد زيارتها ، ولكنه شعر بأن ذهابه فى مثل هذه الساعة ليسأل عن صحتها لا يمكن أن يكون إلا حماقة . واختصم فى ذهنه العقل مع الغريزة فكانت الأخيرة هى الغالبة

وكان الكل قد ناموا ، ولكن فتحه جراج السيارة لا يستغرق إلا دقائق ، ثم يخرج السيارة ويوقظ السائق ، فيخبره بأنه ذاهب إلى جنوب لوندرا ، وأنه ليس فى حاجة إليه

وفعل ذلك ، واخترقت السيارة الطرق ، وهو يزيد فى السرعة قبل فوات الوقت . ولم يكن قد زار من قبل ذلك النادى الذى تقيم فيه زوجته ولكنه كان يعرف عنوانه ، وكانت الغريزة وحدها هى التى تقوده الآن . ثم تلاشى حكمها ، وتحكم العقل فأسند ظهره إلى الكرسى ، وأخذ يضحك من حماقته ، وهو يخترق الشوارع الخالية .. إلى أين يذهب ؟ لا إلى شئ !

وأخذ يدق الجرس . . فلو رآه أحد فى الطرق الخالية لخاله سكران !

ووصل إلى النادى ، فنزل من السيارة ونظر إلى النوافذ ،

فلم ير إلا دخانا يتصاعد . وأصغى فسمع أصواتا تدل على وجود حريق فى النادى ، فوضع يده فى فمه ، وصفر ليدعو الجنـود ، وأخذ يحاول كسر النافذة بالآلات التى يصلح بها السيارة . وفى الوقت الذى كان يصيح فيه باستدعاء المطافئ استطاع الدخول من الفتحة التى أوجدها فى النافذة فجرح رأسه ويداه ، وكاد الدخان يخنقه فتراجع حتى تمكن من وضع منديل فى فمه ، ثم دخـل مقتحما وأخـذ يصيح « يا هيلين ! يا هيلين ! » فخرجت إليـه سيدة قال لهـا : « إن المكان يحترق ! أين زوجتى ؟ »

قالت : « إنها نائمة فى الطابق الأعلى »

ثم صعدت معه وصاح باسمها فخرجت ودهشت وقالت « لماذا جئت يا جون ؟ »

فقال : « أسرعى بقليل من الماء »

فأسرعت وعند عودتها تذكر أنه لم يشرح لهـا سبب مجيئه فقال : « إن النار فى البناء ! لا ينبغى أن نضيع الوقت » ثم وضع منديلا مبلولا آخر حول فمها وبل المنديل الذى حول فمه ونزل معها فى وسط الدخان المتصاعد ، فلما رآها يكاد يغمى عليها حملها بين يديه ، وكانت الحرارة شديدة حتى يكاد يغمى عليه أيضا ، وخرج بها من النافذة

* * *

كانت الساعة الثالثة صباحا عندما عاد الزوجان إلى منزلهما ولم يتبادلا إلا كلمات قليلة وكانت الزوجة شديدة الشحوب وقالت : « لقد جئت إلى هنا يوم العطلة السالفة . ولـكنك لم تجئ فيه »

قال : « نعم هذا هو الواجب على فى هذه الظروف »

قالت : « أى ظروف ؟ » فلم يجب . وقالت .

« ما الذى جعلك تأتى فى هذه الساعة وكيف علمت ؟ »

قال : « لا أعلم ولـكن كان مستوليا على شعور غريب بأنك فى خطر فأتيت وأنا أعرف أن إطاعة هذا الشعور حماقة ، ولـكنى لم أستطع منع نفسى . وما كنت أصدق القصص التى من هـذا القبيل وكنت أسمع صوتا يقول لى إن زوجتك المحبوبة فى خطر »

فسكتت مدة طويلة ثم قالت : « لم أكن أعلم أنك تحبنى إلى هذا الحد »

قال : « إننى رجل محتجز يا عزيزتى وقد كنت أعتقد أنك تدركين حبى لك . ولـكننى لم أكن أستطيع الوصـول إليك لأنك تهربين منى »

فقالت : « نعم لأنى خائفة »

قال : « خائفة ! ! من أى شئ ؟ »

فقالت : « خائفة من إظهـار محبـة أكبر من المنزلة التى وضعتنى فيها . إن لى عزة نفس ولذلك كنت أجعل بناتى ساترا حتى لا ترانى »

قال . « وكيف عرفت المنزلة التى أضعك فيها »

فقالت : «عرفتها من ذهابك بعد العشاء مباشرة إلى مكتبك كأنك لا تريد أن تـكون معنا »

قال : « إننى كنت أفعل لأنى لا أريد أن أرى صـواحب بناتى ولا تلك الضجة التى تحول بينى وبينك »

فقالت : « وكيف لا تسر عندما أكلمك عن بناتنا ؟ »

قال . « كيف عرفت ذلك ؟ »

فقالت : « إنك خير من يقوم بواجبات الأب . ولـكنى عرفت ذلك من ملاحظتى مايبدو على وجهك أثناء الحديث عنهن . وفى يوم الأربعاء الماضى أردت أن أمتحن سعورك وكان خطاب بنت عمى قد وصل إلى . ولـكننى لم أعره عناية . وقـد جربتك بالتكلم عنه وقلت فى نفسى إنك إذا سمحت بذهـابى فإن ذلك سيسحق قلبى . وأنا لم أكن أريد الذهاب إلى بنت عمى »

فقطب حاجبيه وقال : « إنك تذكرت عزة نفسـك ولم تتذكرى عزة نفسى! وقولك دلنى على أنك تريدين الذهاب. وقد كنت فى غيابك تعسا للغاية » ثم وقف فجأة وقال : « لقـد كنا مغفلين »

وتناول كفها بين كفيه وقال : « أظننى وجدت نفسك بعد هذه السنوات ولن أتركك تفلتين بعد الآن »

فقالت هامسة : « إننى أحبك كما لم أحب أحدا فى الوجود »

ثم وضع ثغره فوق شعرها الناعم اللامع وقال : « لك أن تتكلمى عن بناتنا الآن فما دمت أنك كنت تتخذينهن ساترا بينى وبينك . فإنى لا أغار منهن »

فابتسمت وقالت : « لقـد أدركت نفسك أيهـا الطفل الكبير »

ع . م

مطبعة الرسالة

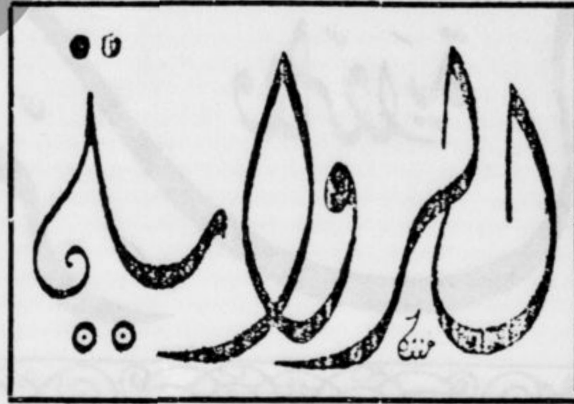


الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٣١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



تعـــــــود



و



تتجـــــــدد



في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1007

Le Caire 20 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

قوة الكلمة

للأستاذ سيد قطب

فى بعض اللحظات لحظات الكفاح المرير الذى كانت الأمة تزاوله فى العهد الذى مات .. كانت تراودنى فكرة يائسة ، وتلح على إلحاحا عنيفا .. أسأل نفسى فى هذه اللحظات . . ما جدوى أن تكتب ؟ ما قيمة هذه المقالات التى تزحم بها الصحف ؟ أليس خيرا من هذا كله أن تحصل لك على مسدس وبضع طلقات ، ثم تنطلق تسوى بهذه الطلقات حسابك مع الرؤوس الباغية الطاغية ؟ ما جدوى أن تجلس إلى مكتب ، فتفرغ حنقك كله فى كلمات ، وتصرف طاقتك كلها فى شئ لا يبلغ إلى تلك الرؤوس التى يجب أن تطاح ؟ !

ولست أنكر أن هذه اللحظات كانت تعذبنى . كانت تملأ نفسى ظلاما ويأساً . كانت تشعرنى بالخجل أمام نفسى . خجل العجز عن عمل شئ ذى قيمة !

ولكن هذه اللحظات لحسن الحظ لم تكن تطول . كان يعاودنى الأمل فى قوة الكلمة . كنت ألقى بعض من قرأوا لى مقالا ، أو أتلقى رسائل من بعضهم ، فأسترد ثقتى فى جدوى هذه الأداة . كنت أحس أنهم يتواعدون معى على شئ ما . شئ غامض فى نفوسهم ، ولكنهم ينتظرونه ، ويستعدون له ، ويثقون به !

كنت أحس أن كتابات المكافحين الأحرار لا تذهب كلها سدى : لأنها توقظ النائمين ، وتثير الهامدين ، وتؤلف تياراً شعبيا يتجه إلى وجهة معينة ، وإن لم تكن بعد متبلورة ولا واضحة .. ولكن شيئا ما كان يتم تحت تأثير هذه الأقلام

ولكننى مع هذا كنت أعود — فى لحظات اليأس والظلام — لأتهم نفسى . كنت أقول : أليس هذا الإيمان بقوة الكلمة تعلة العجز عن عمل شئ آخر ؟ ألا يكون هذا ضحكا من الإنسان على نفسه ليطمئن إلى أنه يعمل شيئا . وليهرب من تبعة التقصير والجبن ؟

وهكذا كنت أعيش طوال فترة الكفاح الماضية . . حتى شاء الله أن يطلع الفجر الجديد ، وأن تنكشف الغمة المعتمة ، وأن يتنفس الناس الهواء النظيف الذى حملته الثورة ، وأن يصبح هذا الصراع ذكرى يضمها التاريخ فى ثناياه ..

واليوم خطر لى أن أرجع إلى بعض القصاصات التى تحوى بعض ما كنت أكتب فى ذلك العهد الرهيب ..

ولست أنكر أننى فوجئت مفاجأة شديدة .. إن قوة الكلمة شئ عجيب . إن أحلاما كاملة قد أصبحت حقيقة واقعة ، وأن نبوءات قد صحت برمتها .. لكأنما كانت أبواب السماء مفتوحة والمكافحون الأحرار يكتبون ويتوجهون بكل قلوبهم مع هذه

الكلمات .. وإلا فمن يصدق — حتى أنا — أننى كتبت منذ أكثر من عام مثل هذه الفقرات :

« لقد بدأنا فى هذه المرة بدءا أكيدا لأننا بدأنا بدءا صحيحا . لقد خر اثنان من الفلاحين مضرجين بدمائهما الطاهرة ، أولهما فى كفور نجم بتفتيش محمد على .. والثانى فى بهوت فى تفتيش البدراوى

« لقد سالت دماؤهما فى هذه المرة لا فى ثأر عائلى ولا فى معركة انتخابية كما اعتادت سجلات البوليس أن تسجل، ولكنها سالت فى معركة الأرض ! الأرض الطيبة التى روى تربتها الملايين بالعرق والدموع ، ولم ينالوا منها شيئا ، ثم ها هم أولاء أخيرا قد بدأوا يروونها بالدماء . ولن تخونهم الثمرة فى هذه المرة لأن بذرة الدم لم تخب يوما فى التاريخ ولن تخيب

« لقد خر أول شهيدين فى معركة الأرض المقدسة أردتهما الأيدى الأثيمة . وسيتبعهما آخرون حتما . فهذا الإقطاعى المجنون لن يصبر على أن يرفع العبيد رءوسهم . ولن يطيق أن يسوء أدب الرقيق فى حق الأسياد . ولن يكف عن إراقة الدماء وإذن فلقد بدأنا !

« إن ملكية هذه الأرض الطيبة قد ردت على أصحابها الحقيقيين . إن وثيقة التملك السماوية قد كتبت ولن تفسخ أبدا.. لقد كتبت بالمادة التى لا تمحى . كتبت بالدماء ، فإذا لم تكن ذات الأرض قد ردت بعد ، فإنها منذ اليوم تعد مغصوبة والاغتصاب لن يدوم

« إن هؤلاء الإقطاعيين الحمقى سيوقعون فى كل يوم وثيقة بالتنازل عن الأرض المغصوبة . سيوقعونها فى صورة رصاصة طائشة تخترق صدر شهيد ، أو بلطة مجرمة تمزق جثمان بطل . ولكنها ستكون هى هى وثيقة التنازل عن الأرض ووثيقة التملك للآخرين المحرومين

« لقد طال ليل الظلم وطال ارتقابنا للفجر الجديد.. ثم هاهو الفجر يلوح . . لقد تلألأت أشعته الأولى ، تلألأت فى هذه القطرات الزكية من الدم المسفوح . إنها ليست قطرات من الدم الرخيص فى معركة انتخابية ، إنها دماء عزيزة غالية لأن وراءها قضية طال عليها العمر . قضية مرت بها القرون تلو القرون . قضية كانت فى حاجة إلى مستند لا ينقض ، وإلى حجة لا ترد ، ولقد كتبت هذه الحجة الأزلية فى كفور نجم وفى بهوت . كتبت وانتهت وليس إلى مرد من سبيل !

وستكتب فى كل يوم وثيقة جديدة . ستكتب بفضل حماقة الحمقى الذين لا يؤمنون بالنذر ، الذين تأخذهم العزة بالإثم ، الذين مردوا على التكبر الفاجر والاستغلال القذر . الذين لا يطيقون أن تقف قامة واحدة منتصبة ، ولا رأس واحد مرفوعا ، الذين ألفت عيونهم رؤية الراكعين الساجدين فى عشرات القرون

إن هذه القطرات الطاهرة من الدماء العزيزة ستتحول نارا مقدسة تحرق ، ونورا سماويا يضىء ، ولن تخمد الشعلة أبدا بإذن الله ، ولن ينطفىء النور أبدا وهو من نور الله !

اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم بارك نارك المقدسة التى أوقدت ، ونورك السماوى الذى أطلعت ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . »

قرأت هذه الفقرات التى كتبت منذ أكثر من عام مضى ، ثم عدت أسأل : أية قوة غير قوة الكلمة كانت تملك فى ذلك الوقت الرهيب المظلم أن تشق حجاب الغيب ، وأن تتجاوز العقبات والأشواك ، وأن ترقم فى السجل الخالد ذلك الواقع المشهود ؟

ثم عدت أسأل من جديد : ما سر قوة الكلمة ؟

إن السر العجيب ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ؛ إنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات ! إنه فى ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس

فى هذا يكمن سر الكلمة وفى شىء آخر : فى استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ، ومن مشاعر الإنسان ، ومن صرخات البشرية ، ومن دماء المكافحين الأحرار

إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها ، وتجمعها ، وتدفعها .. إنها الكلمات التى تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حى . كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان . أما الكلمات التى ولدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل بذلك النبع الإلهى الحى ، فقد ولدت ميتة . ولم تدفع بالبشرية شبرا

واحداً إلى الأمام .. إن أحدا لن يتبناها ، لأنها ولدت ميتـة . والناس لا يتبنون الأموات !

إن أصحـاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا . ولـكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم . أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لـكلمة الحق .. إن أفـكارنا وكلمـاتنا تظل جثثا هامدة ، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء ، انتفضت حية ، وعاشت بين الأحياء !

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ، يكدون قرائحهم ، لينتقوا اللفظ الأنيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة .. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هـذا العناء ؛ فإن ومضة روح ، وإشراق قلب ، بالنار المقدسة ، نار الإيمـان بالفـكرة .. هو وحده سبب الحياة . حياة الـكلمات وحيـاة العبارات !

***

ثم ماذا ؟

ثم لا يقعدن القادر على العمل وهو يطمع أن يؤدى واجبه بالـكلام .. ذلك خاطر أحب أن أحذر منه بعد ما أسلفت من الإيمان بقوة الـكلمة ، وإلى آثارها الملموسة فى الحياة

إنه فى كثير من الأحيان يكون القول الفصل للشـاعر الذى يقول :

السيف أصدق إنباء من الـكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى كثير من الأحيان يصبح من العبث أن نظل نتكلم ونتكلم ، ثم لا نفعل شيئا . إن الـكلمات فى هـذه الحالة تـكون استهلاكا للطاقة الـكامنة وليست توليدا للطاقة

ثم إن عددا نادرا من الـكتاب الموهوبين هم الذين يملـكون أن يحولوا الـكلمات إلى طاقة . أما القاعدة فهى أن يعمل الناس ، وأن يحققوا بالعمل ما يريدونه من مقدرات

والـكلمة ذاتها — منها تـكن مخلصة وخالقة — فإنهـا لا تستطيع أن تفعل شيئا ، قبل أن تستحيل حركة ، وأن تتقمص إنسانا . الناس هم الـكلمات الحية التى تؤدى معانيها أبلغ أداء

إن الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان إنسان ، ويعمل على تحقيقها إنسـان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة ، مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهن ، وتبقى باردة سا كنة هناك

ومن هنا كانت العقائد هى الحادى الذى سارت البشرية على حدائه ، فى درب الحياة المتعرج الطويل . تصعد الروابى وتهبط السفوح ، وتردد حداءه فى المتاهة المهلـكة ، فتنجو وتحيا ، وترتقى وتثق فى رسالتها ، لأنها رسالة تنبع من أعماق الضمير ، ويشتعل بها الوجدان ، ويتلألأ بها الشعور

إنه لا بد من عقيدة . وقوة الـكلمة إنما تنبع من أنها ترجمان العقيدة . والعقيدة هى التى يغذيها النـاس بحياتهم فتوهب لهم الحيـاة

سيد قطب

دولة بــــلا دين !؟

ما هذا الكلام الفارغ الذى نقرأه فى بعض صحف مصر ؟ فن دعوة إلى حذف النص على دين الدولة من الدستور . ومن انتقاد للدولة الدينية ، ومن أمثال ذلك تفيض به الصحف ، وتنطلق به الأقـلام ؟

والعجيب أن هؤلاء الذين يأتون بهذا الكلام ، لا يعرفون الإسلام ، ولا يعرفون علوم العصر ؟ فهم يقررون بأن مصر هى الدولة الوحيدة التى نص فى دستورها على أن دينها الإسلام ، مع أن المثقفين الثقافة القانونية يعلمون أن على ظهر الأرض اليوم تسع عشرة دولة قد اشتمل دستور كل واحدة منها على مثل هذا النص هى: السويد والنرويج والدانيمارك وإيرلنده والأرجنتين وباراغواى وبوليفيا وكولومبيا وبيرو وكوستاريكا وبناما وإيران وبولونيا ورومانيا ونيكاراغو والأفغان واليونان وبلغاريا وسيام ، حتى أن منها من نص فى دستوره على مذهب معين كاليونان وبلغاريا (الأرثوذكسية الشرقية) وبولونيا (الكاثوليكية الرومانية) ، ورومانيا (الأرثوذكسية الرومانية) ، ونيكاراغو وبوليفيا والأرجنتين وباراغواى (الكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وإيران (الجعفرية الاثنا عشرية) ، والسويد (الإنجيلية السليمة على الصورة التى رسمتها طائفة أوغسبورغ الطاهرية وأقرها مجمع أوبسال سنة١٥٩٣) ، ونروج والدانيمارك (الإنجيلية اللوثرية) ، وإيرلندا وبيرو (الكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وبناما (الكاثوليكية)

ونحن نقول هذا لا لنكسب لقضيتنا دليلا ، ونقيم على دعوانا بينة ، بل لأننا نعلم أن هؤلاء الكتاب ، الداعين إلى حذف النص على الدين من دستور مصر ، لا يفهمون بالحجة والمنطق والبرهان ، ولا يميزون بين الرأى والرأى ، بمقدار ما فيه من حق وباطل ، بل بالدمغة التى يقرؤونها عليه ، فإن كان عليه دمغة أمريكا (Made In U.S.A) فهو عين اليقين ، وإن كان عليه دمغة إنكلترا فهو حق اليقين فقط . وإن كان عليه دمغة فرنسا فهو اليقين ، أما إن كان مصنوعا فى الشرق فليس فيه إلا البطلان !

ولا تغرركم أسماؤهم الكبيرة ، فإنها طبول ، وإنهم بلا عقول ، أو إنهم لا يستعملون عقولهم . إنى أقول الحق والله لست أريد السباب

وطالما ناظرت رجالا من هؤلاء فكنت آتيهم بكلمة معزوة لإمام من أئمتنا فيسخرون منها ، فآتى بأخرى فى معناها لعالم أو فيلسوف من أوربا أو أمريكا فيخضعون ويخشعون ويسلمون

والذى يثبت لكم أن كلامهم تقليد بلا فهم ، هو أنهم سمعوا الأفرنج يقولون بفصل الدين عن السياسة ، فقالوا بذلك وكرروه حتى صار من الحديث المعاد والكلام المملول ، ولم يفهموا إلى الآن ماذا يريد الأفرنج بلفظ الدين

الدين عند الأفرنج هو الذى يحدد صلة الإنسان بالله . لذلك قالوا : الدين لله والوطن للجميع ، وقصروا الدين على الكنيسة

ونحن لاننازع فى شئ من هذا ، ولا نقول بأن للدين (بهذا المعنى) صلة بالسياسة ، ولا نقول بأن له دخلا فى الدولة ، ولكن ماذا نصنع إذا كان الإسلام يختلف بطبيعته عن النصرانية وعن الأديان الأخرى ، بأن كان فيه ما يحدد صلة الإنسان بالله وهو الدين (العبادات) ، وكان فيه ما يحدد صلته بأهله وأسرته ، (الأحوال الشخصية) ، وكان فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض (المعاملات) وكان فيه حقوق عامة جزائية (العقوبات) ودستورية (أحكام البيعة وما يتصل بها من مباحث الفقه) ، وكان فيه حقوق دولية عامة تحدد صلات الدول بعضها ببعض ، وخاصة تحدد صلات رعايا دولة بدولة أخرى ، كل هذا فى الإسلام وهو موجود فى كل كتب الفقه ، فهل يمكن أن نفصل بعضه عن الإسلام ؟ هل يريد هؤلاء المجددون المقلدون أن نحذف سورة براءة مثلا من القرآن لأنها من الحقوق الدولية وليست من الدين ، كما يفهم الأفرنج من كلمة الدين ؟

* * *

نحن لا نريد أن ندخل الدين ، الذى هو العبادات ، أى — الصلاة والصوم — فى الدولة ، ولكن لانستطيع أن نقيم دولة أو

نضع قانونا ، مخالفين أحكام الإسلام فى إقامة الدولة ، وفى موضوع هذا القانون

هذا كلام واضح صريح مفهوم ، صرت أستحى من إعادته ونشره ، لكثرة ما قلناه ونشرناه . ولكن هؤلاء الناس لا يفهمونه لو هم لا يريدون أن يفهموه ، وهو باطل فى نظرهم وسيبقى باطلا إلى أن يقرؤوه باللغة الإنكليزية فى مجلة تطبع فى نيويورك أو سان فرنسسكو ، أو فى أى قرية من قرى أمريكا ، هنالك يصير حقا ويهتفون له ، ويعيدونه ويفخرون بأنهم كانوا منتسبين (بالمصادفة) إلى هذا الدين العظيم

وإلا فهل يمكن أن تكون دولة بلا دين ؟ لا أقول لكم اقرؤوا كتبنا ومباحث علمائنا . بل أحيلكم على العلامة دوركايم ليثبت لكم أن ذلك ضد طبيعة الإنسان

وماذا تكون حال مصر لو خلت لا سمح الله من الدين كما يتمنى هؤلاء (العقلاء) ! ؟

إنه لا يبقى إلا القانون وازعا ، والقانون يمثله الشرطى ، فإن أنت لم يرك الشرطى فقد جاز لك أن تسرق وتزنى وتعمل السبع الموبقات . وهذه كانت شريعة إسبرطة ، كانت السرقة جائزة مالم تكشف ، فأين هذا من خوف الله وازعا ؟ إن المؤمن له من إيمانه شرطى مرافق له لا يفارقه ، يمنعه من كل محرم . فهل من المصلحة يا حضرات العقلاء الكبار جدا ، أن تمحوا هذا الوازع من النفوس ؟

وماذا يضركم أو يضر النصارى أو اليهود أو الإنس أو الجن إن كان دين مصر الرسمى الإسلام ؟ هل أمر الإسلام يوما بظلم أحد من الموافقين والمخالفين أو أذن به ؟ هل دعا إلى فاحشة ؟ هل حارب ثقافة أو علما ؟ هل عارض إصلاحا أو تقدما ؟

إن ذنبه أنه يحرم الزنا والفسوق والقمار والربا وسائر الفواحش والنفوس تحب هذه الأمور ، وتود الانطلاق إليها بحرية كحرية المجنون الذى ينزع سراويله ويكشف عورته ويدخل المسجد ، لا تريد من يقيدها ويحجزها

إنها الخلاف بين الحرية المجرمة والقيد ، بين الجنون والعقل [1] فهل تريدون أن نترك العقل ونصير مجانين ؟

ومن سيكون الضحية ؟ نحن ! لأن أكثر هؤلاء لا بيوت لهم ولا بنات ولا أخوات ، هم عزاب فساق يريدون أن نطلق لهم العنان ، ليعيثوا فى بناتنا وأخواتنا فسادا ، فهل نكون رجعيين جامدين إن قلنا لهم : مكانكم إنا لا نستطيع أن نسمح لكم بهذا ؟

إننا حين ندعو إلى الدين ، وإلى الدولة الإسلامية ، إنما ندافع عن أعراضنا وأموالنا ، فهل علينا فى هذا ملام ؟

ثم إن الديمقراطية حكم الأكثرية ، ونحن (المسلمين المتمسكين) الأكثرية فى كل بلدان الشرق الأدنى ، فهل تريد الأقلية المتجردة المنطلقة أن تحكمها فينا ؟

أين الديمقراطية إذن ؟

الديمقراطية مشتقة من ديموس باليونانية ، وديموس هو الشعب ، والشعب يريد الحكومة الإسلامية

فهل بعد هذا كلام ؟ !

دمشق (ع)

(١) أصل مادة العقل والحكمة فى اللغة من العقال والحكمة . وهما كالقيد للدابة

بين الشعر والسياسة

المنفلوطي الشاعر الجرىء

للأستاذ محمد رجب البيومى

حين انتقل المنفلوطى إلى رحمة ربه قوبل أدبه بعاصفة شديدة من النقد ، واتجهت المعاول الحادة إلى تحطيم بنائه الراسخ فى دولة الأدب ، حتى ظن الكثيرون أن هذا الصرح الناهض سيخر منهدما فى أمد قريب ، دون أن يجد الدعائم الواقية من السقوط ، وكنت تجد من يقولون عن مصطفى إنه أديب يعنى بالديباجة الصافية ، والأسلوب الرائق ، دون أن يقدم للقارئ فكرة حية أو معنى جميلا . فإذا قلت لهؤلاء إن مقالات الكاتب الكبير لا تعدم الفكرة الحية ، والرأى الصائب غير أنها كسيت ثوبا جميلا من سلاسة اللفظ وإشراق التركيب ، وجدتهم يواجهونك بنقد آخر فيقولون : إن الكاتب العاطفى قد وقف بأسلوبه عند تصوير البؤس والحرمان ، وما يدفعان إليه من كآبة موحشة ، ودموع وزفرات ، وكان عليه أن يصور من الحياة جانبها الباسم الوضىء ، فيرسم لقارئه لوحات مرحة توشيها البهجة والطرب والابتسام !! كأنما كان لزاما عليه أن يتنكر لعواطفه الإنسانية فيضحك ويغرد فى مجتمع بائس فقير مريض . . وربما تحذلق ناقد ثالث فادعى أن أدب الكاتب تافه ساذج رغم مايسطع فيه من إشراق ، لأنه إذا ترجم إلى لغة أجنبية فقد رونق اللفظ ، وبهجة التركيب ، وظهر المعنى هزيلا تافها يتسم بالضعف والسطحية والإسفاف ، ونحن نعلم أن كل أثر يترجم إلى غير لغته — ولو كان كتاب الله الكريم — يفتقد لا محالة بعض ما يتسم به من الروعة والتأثير، فلماذا نحاسب المنفلوطى العظيم على أمر لا حيلة له فيه ، إلا أن نكون ممن يتصيدون المثالب تصيدا مغرضا ثم يلصقونها جزافا بالبررة الأبرياء

إن أكبر دليل على قوة المنفلوطى وإبداعه ، هو خلود أدبه ، فقد مر ما يقرب من ثلاثين عاما على وفاته ، وما زالت كتبه ورواياته تطبع وتكرر طبعاتها الواحدة تلو الواحدة ، وما زال الشباب يجدون فى «نظراته» ما يغذى عواطفهم الجائعة ، ويروى مشاعرهم الصادية ، كما يلمسون فى رواياته البديعة سحرا أخاذا يستولى على النفوس ، ولا أكاد أعرف أديبا لامعا ممن عاصر المنفلوطى ومن جاء بعده لم ينتفع بأدبه ، حتى وصل إلى القمة على نبراس بيانه ، بل إن التلاميذ فى المدارس والمعاهد والكليات ، يضلون السبيل إلى الأدب الرائق الجذاب ، فتتعثر بهم الخطوات ، وتصارعهم الركاكة والتفكك والإسفاف ، فإذا اتجهوا إلى أدب المنفلوطى الخالد ، قادهم بسحره الأخاذ إلى الروعة والقوة والصفاء ،

لقد كنت أدرس بعض النصوص النثرية لأعلام الأدب المعاصر بإحدى المدارس الثانوية ، فكنت أعرض نماذج متنوعة فرضت فرضا على ، وقد لاحظت أن الطلاب يهشون لأدب المنفلوطى ، ويطلبون المزيد من إنتاجه ، ويسارعون إلى حفظه دون أن يرهقهم المدرس بالإلحاح فى ذلك ، ولم أر من يشاركه هذه الحظوة لدى الطلاب غير الأستاذ الزيات والدكتور طه حسين ، وهذا هو الحق الذى أعترف به دون مجاملة أو إطراء . وربما ظن بعض الناس أن المنفلوطى مختار معشوق لسهولة لفظه ، وقرب معانيه من أفهام التلاميذ ، كلا والله ، فقد كنت أختار لغيره من الأعلام قطعا يسيرة ، قريبة المتناول ، فتقابل بالإعراض والصدود . وكم من أديب عشق المنفلوطى يافعا ، وما يزال حبه يتأكد ويعظم دون أن يهن على تعاقب السنين ، واتساع المدارك والأفهام

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

***

وقد لا يعرف كثير من الناس أن المنفلوطى الكاتب قد بدأ حياته الأدبية شاعرا ينظم القصائد المجودة ، ويرسل المقطوعات الطريفة ، فقد ساعدته نشأته الأزهرية على تصفح دواوين الشعراء ، ورزقه الله ذوقا سليما ، وأذنا موسيقية ، فعكف على استظهار الروائع الخالدة فى الشعر العربى حتى اجتمعت له ثروة أدبية ممتازة فى سن مبكرة ، وكان الشعر فى نهاية القرن السالف يتجه وجهة

تقليدية بالية ، كما كانت الصحف لا تحفل إلا بالمدائح الخديوية المبتدأة بالنزل الصناعى الثقيل ، وتتجه براعة كل ناظم إلى تصيد المحسنات المتكلفة من طباق وتورية وجناس على وجه ينبئ بالإسفاف والافتعال ، وقد استطاع مصطفى الناشئ أن يحتفظ فى شعره التقليدى برونق صاف ، وقوة مكتسبة من البارودى زعيم المدرسة الشعرية الأصيلة لعهده ، ومن أوائل شعره

أردنا سؤال الدار عمن تحملوا فلم ندر من فرط الأسى كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد أصبحت تعيث صباً فيها وتعبث شمأل

كما كان الناشئ المتأدب يحاكى شعراء العصر العباسى محاكاة تدل على بصر بالأسلوب ، واعتناء بتجويده وإبداعه ، ومحافظة على النهج الاتباعى العتيق . وقد نظم فى مديح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قصائد تنم عن إخلاص قوى ، وتقدير عظيم ، ثم سعى إليه فأسبغ عليه عطفه ، واكتسب منه أدبا وعلما وخلقا ، وقد أرشده الأستاذ إلى بعض الذخائر الثمينة من أمهات الكتب العربية فقرأها قراءة الدارس المتعمق ، وزاد تعلقه بالشعر ، فخاض بحوره ولهج بقوافيه ، وزاد إنتاجه التقليدى قوة وصفاء حتى قارب البارودى فى فحولة المطلع ، ومتانة الأسر ، وانسجام اللفظ ، ووحدة الاتجاه ، وإليك أحد مطالعه الرصينة فى مديح الأستاذ الإمام :

سقاها وحياها ملث من القطر وإن أصبحت قفراء فى منزل قفر
طواها البلى طى الشحيح رداءه وليس لما يطوى الجديدان من نشر
مسارح آساد ومثوى أراقم تجاور فى قيعانها النيد بالحجر
لقد فعلت أيدى السوافى بنؤيها وأحجارها ما يفعل الدهر بالحر
وقفت بها فى وحشة الليـــل وقفة
أثار شجاها كامن الوجد فى صدرى
فأنشأت أبكى والأسى يتبع الأسى
إلى أن وجدت الصخر يبكى على الصخر

وكان الاحتلال الإنجليزى — إذ ذاك — حديث عهد بالبلاد ، والمصريون فى حسرة بالغة لما أصاب الثورة العرابية من فشل جره إليها الرشوة والخيانة وفساد الضمائر عند بعض الناس ، والمنفلوطى كما نعلم سريع التأثر ، رقيق الإحساس ، قوى الشعور ، فكان يفكر كثيرا فى مصائب وطنه ورزاياه ، ثم نظم قصيدة ثورية نشرها فى كتاب خاص يندد فيها بالاحتلال وصنائعه من المصريين ، كما عرض بالخديوى وحاشيته ، ولم يذكر فى نهايتها توقيعه الصريح ، بل جعل الإمضاء رمزا غامضا لا يدل على إنسان ! ! وقد شاعت قصيدته فتناقلها الناس ، وكان لها دوى بعيد ، وبحث الطغاة عن القائل فلم يجدوه

وواضح أن جمهرة المثقفين فى مصر كانوا — ولا يزالون — يبغضون الأسرة الحاكمة بغضا لا مزيد عليه ، فهم يعلمون ما جره إسماعيل على البلاد من خراب هائل ، نتيجة لديونه الفاحشة التى استنفدها فى ملذاته وشهواته ، وبناء قصوره وحدائقه ، ومتعه وحريمه ، واختلاس حاشيته ، وجاء ولده توفيق فناهض حريات الشعب ، وخان وطنه وعرشه ، وقدمه لقمة سائغة للاحتلال ، لينتقم من عرابى الزعيم البطل الناهض . ولئن تظاهر عباس بعده بالوطنية والصلاح فى مستهل حياته ، فقد كانت أطماعه تمتد إلى أموال الشعب وضياعه ، فقد أراد أن يأخذ الآلاف من أفدنة الأوقاف المثمرة الخصبة ، نظير صحراء مقفرة فى أرضه الشاسعة لا تجود بشئ !! فوقف أمامه الأستاذ الإمام وقفة رهيبة ، قلمت أظافره ، وحطمت كبرياءه ، وأنذرته بالفضيحة الطامة ، وابتدأ العداء السافر بين الرجلين ، فأوعز الخديو بمهاجمة الإمام على صفحات الجرائد المأجورة ، ودفع الأقلام الخائنة إلى ثلمه وانتقاصه ، وكان المنفلوطى من شيعة الإمام وتلاميذه المقربين ، فهاجت ثائرته على الباطل ، ونشر فى جريدة الصاعقة (٤ / ١١ / ١٨٩٧) التى كان يصدرها الصحفى الوطنى الجرئ المرحوم الأستاذ أحمد فؤاد قصيدة قاسية فى هجائه ، فأحدثت دويا تردد فى المحافل لما تضمنته من تنديد بعباس وأجداده الظالمين الطغاة ! وحسبك أن تسمع منها هذه الأبيات ، وقد قيلت بمناسبة عودة عباس من الآستانة إلى مصر :

قدوم ولـكن لا أقول سعيد وعيش وإن طال المدى سيبيد[1]

(١) ينسب هذا المطلع وحده إلى السيد توفيق البكرى وقد سار المنفلوطى على غراره

علام التهانى ، هل هناك مآثر   فنفرح ، أو سعى لديك حميد
تمر بنا لا طرف نحوك ناظر   ولا قلب من تلك القلوب ودود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت   علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا   مصوب سهم بالبلاء سديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا   إذا أصبح التركى وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة   وكم ضمنت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر أشلاء جمة   تمزق أحشاء لهـا وكبود
وكم صار شمل للبلاد مشتتا   وخرب قصر فى البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا   له تحت أثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف   ولا سار منكم بالسداد تليد
كأنى بقصر الملك أصبح بائدا   من الظلم ، والظلم المبين يبيد
وينعب فى أطلاله البوم ناعبا   له عند ترداد الرثاء نشيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة   كما ود آباء ورام جدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا   نكون يبطن الأرض حين تسود

وهذه القصيدة وثيقة تاريخية تبين ما ارتكبه الطغاة مما أغفله تاريخنا المشوه الممسوخ ، فقد سفكوا الدماء البريئة إشباعا لشهواتهم ، وحفروا القبور للضحايا من الشهداء ، وملأوا البحار بجثث القتلى تأسيا بطاغوتهم الأكبر عبد الحميد ، وفتحوا السجون على مصاريعها لغير المذنبين من ذوى النيرة والإباء ، وتلك فضائح يندى لها الجبين ! ! وقد ارتاع أولو الأمر أكبر ارتياع لنشر هذا الهجاء الصريح ، فصودر ما بقى لدى الباعة من أعداد الجريدة ، وقدم إلى النيابة رئيس التحرير ، والشاعر الغيور بتهمة العيب فى الذات المصونة ! ! ثم حكم عليهما بالحبس مدة طويلة ذاق المنفلوطى فيها أهوالا لم يتعودها من قبل ، وعومل معاملة غادرة لا تليق بوطنى يصدر رأيه عن عقيدة وإيمان ، فتكونت لديه — فى محبسه — من الشعر عقدة نفسية ، جعلته يعاف قرضه وتجويده ، فبعد أن خرج من السجن توجهت همته إلى الكتابة النثرية ، تحلق فى أجوائها الفسيحة ، وسال نثره الترقرق مسيل الفرات العذب ، يروى النفوس الصادية ، ويبرد الجوانح الملتهبة ، فهتفت باسمه الأصوات ، ولهجت به أرواح الشبيبة ، وأخذ القراء يترقبون مقالاته الإنسانية كما يترقب المدلج الحائر قبسا من ضياء .

أما القصيدة التى جرت عليه السجن والتشريد فقد ذاعت بين القراء ذيوعا عجيبا ، ورغم مصادرة الجريدة فقد تداولها المتأدبون بالنسخ والتدوين ، وبقى من لم يقف عليها متعطشا إلى قراءتها ، متصيدا لها فى مظانها بين مسودات الأدباء ، وفى مطارح السمر ، ومجالس الأندية ، وقد احتال المرحوم الأستاذ سليم سركيس على إذاعتها بطريقة لبقة ، فقد أوعز لبعض الأدباء أن يشطرها ويخمسها بما يغير اتجاهها ، ثم طبع التشطير والتخميس فى صحيفته ، وبذلك أتاح لها أن ترى النور مرة ثانية دون أن تنالها الرقابة السياسية بمصادرة أو تحقيق ، فقرأها من لم يكن وقف عليها قبل ذلك ، وظلت عالقة بالأذهان إلى يومنا هـذا ، وأذكر أنى سمعتها قبل أعوام من شيخنا الراوية الأستاذ أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية ثم قرأتها عقب الحركة الوطنية الأخيرة بصحيفة الأدب فى جريدة الأخبار .. على أن المنفلوطى لم يترك الشعر مرة واحدة ، بعد هذه القصيدة ، فقد كان يدفعه إليه حنين جياش يغلبه على أمره ، فينظم بعض المقطوعات الرقيقة والقصائد البارعة ، كأشعاره فى القلم وأسماء بنت أبى بكر وبول وفرجينى ، ولـكن طاقته الشعرية قد تحولت بلا شك إلى طاقته النثرية ، فبدت كتابته سلسة رقيقة ، تتدفق فيها العذوبة وترن بها موسـيقى الشعر وأنغامه ، فتتفتح لها الأحاسيس ، وتتوهج بها العاطفة ، وتنفث فى النفوس ما ينفثه الشعر من روعة فاتنة وتأثير خلاب ، وقد كان المنفلوطى ذا نظر ثاقب فى الأدب العربى وأعلامه ، وكان يستطيع أن يصدر فى تأريخه والتعريف به كتبا متنوعة كما فعل نظراؤه من الأدباء ، ولـكنه اقتصر على النثر الفنى المبدع ، ليفسح المجال لإنسانيته الحية ، وشاعريته المتوثبة ، فجاءت آثاره ترجمانا لما حوله من كآبة وشقاء ، وأصبح المصور الأول لعبرات البائسين وهموم الأشقياء ، وهل يبتعد الشعر عن هـذا النطاق ! ! سواء كان مطلق الأعنة ، أو مقيدا بالأوزان ؟ سلام على مصطفى فى رحاب الخالدين من البلغاء ! !

محمد رجب البيومى

الداء والدواء

للدكتور فضلو حيدر

محاضرة ألقاها فى منتدى البردونى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

التعب المزمن

كلنا نعلم أن العمل ضرورى للحياة ونافع للجسد إذا لم يتعد حدود القوى الجسدية والعقلية والنفسانية . وكل تعب اعتيادى يجب أن يزول بعد راحة قصيرة ويتبدل برغبة إلى العمل ثانية . ولذلك يحتاج العامل إلى الراحة . والنوم لا يكفى وحده لإعادة الراحة التامة ؛ بل يحتاج الإنسان عــلاوة عليه إلى ما ندعوه التسلية والاستجام . والتسلية تشمل كل الأفعال التى نصرف بها وقت الفراغ بلذة تؤدى غالبا إلى توازن العواطف وإزالة التعب الجسدى والضغط النفسانى . فوقت التسلية ليس وقت « الفراغ » بل هو ثمين جــدا فسويعاته تطيل العمر وتجدد القوى . أما إذا أسئ استعمالها فتنعكس الآية فتزهق القوى وتقصر العمر . ومن السبل المفيدة للاستجام نذكر الرياضة الجسدية والمطالعة النافعة والموسيقى والرقص والفنــون وتربية الحيوانات وغرس الجنائن والصيــد وغيرها . وكم من المشاهير خلدوا اسمهم بأعمال كانت لهم نوعا من التسليــة

ومن أعراض التعب المزمن تهيج الأعصاب وقلة الشهيــة ونقص رغبــة العمل بالرغم من الراحة الاعتيادية ، فينهض المرء صباحا بدون نشاط. فالتعب حاد المزاج، ضعيف المناعة للأمراض، يعيش تاعسا ويسئ إلى عيلته ورفاقه ، شاذ السلوك، غير مرغوب به فى الأعمال والمجتمعات

ومن مسببات التعب المزمن الاحتكاكات النفسانية كالتردد فى الرأى وعدم الثقة بالنفس وبالغير ؛ فيستنزف المرء قواه فى عراك داخلى بين الإقدام والإحجام وخوف الفشل . ومن أسباب ضعف الثقة بالنفس الجهل وإحجام الفرد عن بحث أعماله بأمانة كى يعلم أسباب الفشل والنجاح . ولو بحث المرء نتائج أعماله لبدل جهله بالمعرفة وخوفه بالثقة . كذلك إذا ســاد الحسد والغضب ووخز الضمير والطمع وكثرة الطموح فى سلوك الإنسان ، ساد التعب المزمن

ومن مسببــات التعب المزمن أمراض القلب والشرايين والسكرى وسوء الغذاء وقلة النوم وفقر الدم والتلق والأقدام المسطحة

فعلى المرء أن يوزع وقته بحكمة بين العمل والتسلية واليقظة والنوم والكد والراحة وأن يصغى جيــدا إلى إنذار التعب المزمن ويتلافاه

ومن مسببات الشيخوخه الباكرة تدهن الأوعيــة الدموية (Altheroma) أى ترسب المواد الدهنية فى الأوردة قبل أوانه ، ويعقب ذلك عادة ترسب الأملاح الــكلسية فتعيق مجارى الدم ويقل غذاء الأنسجة فيحدث من جراء ذلك ضعف القوى جسديا وعقليا وأمراض التجلط فى القلب والدماغ

وبالإمكان أن نــكتشف تدهن الأوعية الدموية قبل استفحاله أو لربمــا نتلافى حدوثه ، أو نؤخر سيره . وذلك بفحص القلب والأوردة والدم والــكليتين وبوزن مادة دهنيــة فى الدم تدعى كولسترول يرجح بأنها السبب الأول فى تدهن الشرايين . وإذا كان الــكولسترول فوق المعــدل نلجأ إلى الوقاية بتخفيف وزن الجسم وبحوير الغذاء فتمنع أو تحدد المآكل الغنية بالــكولسترول كالبيض والزبدة والأدهان . وعلاوة على ذلك تعالج الأمراض التى تؤدى إلى التدهن إذا وجدت فى الفرد وأهمها السكرى والتهاب الــكليتين المزمن وإدمان الــكحول والمهيجات وباستئصال البؤر الصديدية فى الجسم ، وفوق كل هذا تقنن الحياة بتخفيف الأعمال الجسدية وتربية روح التفاؤل والسرور والاقتصاد فى أشغــال القلب والــكليتين

٤ الغذاء وطول الحياة

كلنا نعلم أهمية الغذاء فى الحياة . فلا حياة بدون طعام . وإذا لم يكن كاملا فلا يكون النمو تاما ولا الجسم قويا ولا المناعة ضــد الأمراض كافية

وتقدر كمية الطعام تقريبيا بحاسة الشبع ووزن الجسم . فلا تأكل أكثر من قابليتك اعتقادا بأن زيادة الأكل تؤدى إلى قوة الصحة . فالجسم يستهلك حاجته فقط وما تزدرده علاوة إما أنه يشوش الهضم أو يصبح عبئا على أعضاء الإفراز أو يترسب دهنا فى الأنسجة ، أو يعرض المرء إلى الصراع والدوخة وأمراض الجلد والأرجية والأوجاع العصبية

والأفضل أن يكون الطعام منوعا لأن الجسم يحتاج لترميم أنسجته وللنمو إلى عناصر متعددة يصعب أن تتوفر فى أنواع قليلة من الأطعمة

والغذاء التام يحتوى على المواد الآتية :

(١) الزلاليات (اللحوم . الجبن . الحليب . الحبوب)

(٢) الأدهان (الزبدة . الزيوت . الشحم)

(٣) النشويات (الأرز . البطاطس. الحلويات)

(٤) الأملاح المعدنية (مركبات الحديد والنحاس والفوصفور واليود والمنغنيز وملح الطعام)

(٥) الفيتامينات على أنواعها (موجودة بكثرة فى الحليب والزبدة والكبد والخضرة الطازجة والبيض)

(٦) الماء

والطعام المركب من الحليب والجبن والبيض والكبد والخضر الطازجة والفاكهة يحتوى على كل ما يحتاجه الجسم ، وقد لقبت هذه المواد الغذائية المذكورة بالطعام الذى يطيل العمر لأنه تام غذائيا

والفيتامينات والمعادن لا تغنى عن الطعام ألبتة ، ولكنها تتممه ، فهى ضرورية ولا غنى عنها للحياة ، حتى أن الأرض الفقيرة بالمعادن تنتج نباتا فقيرا بقيمته الغذائية . ويسبب نقص المعادن أمراضا عديدة . فنقص الكلس يسبب مرض الكساح وضعف الأعصاب ويعرض إلى أمراض التشنج ، ونقص الحديد يولد فقر الدم ، وقلة اليود تضعف الغدة الدرقية فيتأخر نمو الجسم والعقل . ونقص الفيتامينات تسبب أمراضا عديدة . فالفيتامين A ضرورى للنظر والنمو والمناعة ، و B للغذاء والنمو والأعصاب و D للعظام والنمو والأعصاب و C للكريات الحمراء والأوعية الدموية واللثة والمناعة و E للتناسل ومرض السكر وهلم جرا

ولا لزوم لشراء الفيتامينات والأملاح المعدنية من الصيدليات إذا كان الغذاء كاملا والصحة جيدة

٥ وزن الجسم وطول العمر

ولوزن الجسم أهمية كبرى فى إطالة الحياة . ومع أنه لا قانون تام لوزن الفرد الصحى فهو يساوى على التقريب كيلوات بعدد السنتيمترات التى تزيد عن المتر فى طول الشخص . ونقدر أن نقول إجمالا إن الوزن الأفضل لطول العمر هو ما كان ١٠ كيلو فوق المعدل المذكور فى الشبان اتقاء لأمراض الصدر ، وما كان ٥ — ١٠ كيلوات تحت المعدل فى من جاوز الخمسين من السن اتقاء لأمراض القلب والأوردة والكليتين ، وما كان ضمن المعدل المذكور فى من تتراوح أعمارهم بين ٢٥ — ٥٠ من السنين

٦ السلوك وطول الحياة

إن الأمراض التى ذكرتها — أى المكروبية والسرطان والتعب المزمن والشيخوخة وتشوش الغذاء وزيادة أو نقص وزن الجسم ليست خاتمة الأسباب التى تفت من قوانا وتهدم من عمرنا . بل هى ضئيلة إذا قيست بعثراتنا اليومية أى هفواتنا السلوكية التى تدمى كل لحظة نفوسنا هما وغما وحسدا وندما

لقد قيل « قبل الكسر الكبرياء وقبل الهبوط تشامخ الروح » وقال عنترة :

لا يبلغ الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الشباب ويهرم

وكل منا يخاطب نفسه قائلا :

« كيف يجب أن أسلك فى هذا العالم كى أتبوأ مقاما مرموقا ؟ » أو « كيف أتغلب على معضلاتى اليومية كى أنجح اقتصاديا ؟ » أو « كيف أعدل وأصيب بين نوازع الإقدام وروادع الإحجام ؟ »

يرد سلوك المرء إلى ثلاثة أشكال رئيسية :

أولها السلوك البديهى وهو ما ربينا على عمله وتعودناه فى أعمالنا اليومية والمواقف المألوفة. فهو إذن مرآة أخلاقنا وصورة شخصيتنا ، هو حظنا وبختنا نراه فى الرجل المهضوم أو الممقوت ، فى اللطيف أو الفظ ، فى الغيرى أو الأنانى ، فى المتفائل أو المتشائم ، فى القدرى أو البحاثة . ولا بأس إذا أعدت مرارا وتكرارا بأن مسؤولية الأبوين حيوية فى تكوين سلوك أولادهم وخصوصا فى السنوات الثلاث الأولى من العمر

والسلوك التقليدى أو الإيحائى أو سلوك القطيع هو الشكل السلوكى الثانى . تسمع كل دقيقة من يقول « حط راسك بين الروس ونادى ياقطاع الرءوس » أو « كل الناس تعمل هكذا » أو « اعمل مثل فلان تنجح »

ومعلوم عند الجميع أن الناس تسير كالقطعان فى الموضة والعادات والتقاليد والحياة الاجتماعية ؛ وهذا النوع من السلوك مفيد جدا إذا قلدنا المبرزين والصالحين وهو يمثل الشطر الأكبر من سلوك الإنسان فى الحياة

والثالث السلوك الواعى أو العقلى

تبرز أمامنا ، فى البيت والعمل والمجتمع ، معضلات ومشاكل جديدة لم نتعودها ولا نعلمها . فالبت فيها على البديهة يؤدى اعتياديا إلى الفشل . فهى تستدعى إذن البحث والتفكير قبل الفصل

فإذا نزلت بك كارثة ، أو هبطت عليك ملمة ، فى صحتك أو أعمالك أو علاقاتك الاجتماعية ، فماذا يجب أن تفعل ؟

ابحث أولا معضلتك بحثا وافيا وأمينا . ومتى اكتشفت السبب فأزله مهما كلفك الأمر

وإذا لم يكن بالإمكان إزالة السبب ، ولم يكن من بد لوقوع المصيبة ، وافق نفسك مع الحالة الجديدة مهما كانت بدون وجل أو هم أوحسد . فالانتصار لك يا أخى إذا رضيت بالواقع فعشت فى الحقيقة دون أن تفقد صحتك ولذة عيشك تحرقا على ما فات ، لأن لديك دائما متسعا من الزمن ومجالا للعمل وحافزا من الأمل

ولكن إذا أظلمت الدنيا فى عينيك ، فاستحال عليك الفصل ، واستوى لديك العقل والجهل ، فخشيت الهبوط والاضمحلال فلا تنس عند ذلك ثلاثة تفزع إليهم فى الملمات :

أولهم صديقك الصدوق — وما أثمنه — ولربما تجده بين رفاقك وذويك ، أو بين كتبك ، أو فى عالم مجرب ، فاصغ إليه بانتباه فلربما يكون فى قوله السبيل السوى

وثانيهم طبيبك ، ليس كمستشار صحى فقط بل كرجل تثق به إلى أبعد حدود الثقة ، تسر إليه المكتوم ، وتفشى له الكروب وتلقى على عاتقه همومك

وثالثهم عند اشتداد الملمات ، وتلبد الظلمات وسيادة اليأس هو طب النفس ، فإما أن تصغى إلى صوت الفلسفة يقول لك إن أشد همومك لا بل كلها من عبادة ذاتك . فأنت ذرة من ذرات هذا الكون تتمشى عليك نظاماته من مسيئة أو سار كما تتمشى على سائر أجزائه . فانس بأنك من شعب الله الخاص وانظر إلى معضلاتك بعين البحث العلمى والتفسير الفلسفى وهكذا تخرج من عذاب أنانيتك ، أو فاتبع الدين فتجد فرجك بالإيمان . فكم من المرات فرج الإيمان عن المحزون والمغبون وشفى المقعد والأعمى وفتح قلب اليائس بالآمال فأنار ظلمات النفس بقبس قصر عن أدائه العلم

وخلاصة القول أن العلل التى تقصر العمر تأتى إما من أسباب خارجية كالمكروبات والغذاء والفواعل الطبيعية ، أو من أسباب داخلية كالسرطان والشيخوخة وأمراض السلوك

وعلاجها مركب من ثلاثة عناصر — التربية والمعرفة والأمل — ومن ثلاثة نظائر لتلك العناصر — المحبة والحكمة والإيمان

وسعيد من حظى بالتربية الصحيحة والعواطف السامية

ومن حاز المعرفة العالية والحكمة المبدعة

ومن نصب فى وجدانه هدفا ساميا يؤمن به

فضلو حيدر

من رجال الفكر فى تركيا :

أحمد آغا أوغلو

للأستاذ عطا الله ترزى باشى

« يتابع الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب على صفحات الرسالة نشر ترجمة الكتاب الموسوم « فى بلاد الأحرار » للكاتب التركى أحمد أغا أوغلو . وبهذه المناسبة رأينا أن نقدم للقراء كلمة عن حياة هذا المفكر وعن قيمته الثقافية معتمدين فى ذلك على أهم المراجع التركية . ويمكن لمن يجيد هذه اللغة مراجعة تلك المصادر وقد أثبتناها فى نهاية هذا المقال » ع . ت

توطئة :

يعد آغا أغلو فى طليعة المفكرين الذين خدموا فى حقلى الصحافة والتعليم فى تركيا . وهو من النوابغ المعروفين . لمع نجمه فى الأوساط الغربية حين قام يعرف العالم الشرق على صفحات الصحف الأوربية للأوربيين ، ويوضح الفكرة الإسلامية المقدسة ، مبيناً لهم قيمة المرأة فى المجتمع الإسلامى والحقوق التى وهبتها لها الشريعة، رادا عليهم سفاسفهم واعتقاداتهم الخاطئة فى الإسلام

وكان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية إجادة تامة ، فنشر بهما أبحاثا قيمة فى الصحف الغربية دفاعاً عن الشرق والشرقيين والدين ، كان لها الأثر البعيد فى نفوس الغربيين . ولا بدع فى ذلك فإنه كان عليما بمسائل الشرق وملما بدقائق الشرع . وهو قانونى ضليع امتهن التدريس فى كليات الحقوق زمناً غير قليل ، وألف كتباً فى القانون الدستورى نال بها الإعجاب والتقدير

ولم تنحصر خدمات آغا أوغلو فى هذه الساحة بل تعدتها إلى ساحات أخرى . فقد خدم الإسلام بدعوته إلى ترك المشاحنات المذهبية الدائرة بين السنة والشيعة ، وسعى إلى إزالة العداوة والبغضاء بين المسلمين ، الناشئة عن الطائفية فى ذلك الحين . فدعا بالمسلمين إلى الاتحاد والوئام بدل التفرقة والانفصام . وقد جاءت معالجته لهذه المسائل — بسبب إتقانه اللغتين العربية والفارسية — مصيبة مفيدة . ولا غضاضة فى ذلك فإنه عالم بالأوضاع الاجتماعية القائمة بين الأمم الإسلامية، ومطلع على العادات والتقاليد السائدة بين الطوائف والنحل

ولا ينكر أن آغا أوغلو كاتب اجتماعى قدير يسحر الإنسان بأسلوبه القصصى الرائع ، ومعروف بدقة اختياره المواضيع ، وصوغه إياها فى قالب أبى بديع . فيستمتع القارئ بلذتها ولا يكاد يبدأ بقراءتها حتى يأتى إلى نهايتها دون أن يشعر بألم أو يحس بملل

حياته :

ولد آغا أوغلو سنة ١٨٦٩ م فى مدينة (شوشه) الواقعة فى سهل (قره باغ) من بلاد آذربيجان . وكان والده (ميرزا حسن) عالماً فاضلا (خواجه) . أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فى مدارس بلدته ؛ وأتم بعد ذلك تحصيله الإعدادى (الثانوى) فى مدينة (تفليس) ومن ثم ذهب إلى (بطر سبرغ) وذلك بغية إكمال دراسته العالية . وقد نجح فى امتحان القبول إلى المعهد الهندسى (Institut Politechnique) ولكنه أصيب برمد فى عينيه فعاد إلى بلدته مضطراً

وفى سنة ١٨٨٨ قصد إلى باريس والتحق بكلية الحقوق هناك فنال شهادتها (الليسانس) مع درجة (Collég de France) وخلال وجوده فى باريس تعرف بكثير من المفكرين واتصل برجال جمعية « الاتحاد والترقى العثمانى »[1] وبدأ ينشر مقالات عن الشرق فى الصحف الفرنسية . وقد ظهر أول مقال له فى صحيفة « Journal des Debats » ولما يتجاوز من العمر عشرين عاماً

وعاد إلى بلاده سنة ١٨٩٤ م فعين مدرساً فى مدارس (آذربيجان) . وهناك سعى مع بعض زملائه وعلى رأسهم إسماعيل غاسبرنسكى وحسين زاده وعلى مردان فى إحياء الحركة القومية وتنميتها . وتمكن من إصدار مجلتين تركيتين عالج فيهما كثيراً من المواضيع الاجتماعيه الخطيرة . وكان يبغى من وراء

(١) ويقول الأستاذ سرور اسكيت إنه انتسب فى ذلك الوقت إلى هذه الجمعية ولكن يرى البعض الآخر أنه انتمى إليها بعد عودته إلى تركيا . راجع المصادر فى آخر المقال

ذلك إصلاحاً عاما شاملا للأقوام التركية الساكنة فى بلاد آذربيجان ، والجماعات الإسلامية القاطنة فى بقاع روسيا المختلفة . فاضطهدته الحكومة الروسية فجاء إثر الانقلاب العثمانى فى سنة ١٩٠٨ إلى تركيا . فعينته الحكومة التركية مفتشاً فى وزارة المعارف . ولكنه تخلى عن هذا المنصب بسبب انتمائه إلى حزب الاتحاد والترقى

واتصل بعد ذلك بالمفكر التركى الكبير (ضياء كوك آلب)[٢] وببعض الكتاب الآخرين واشتغل معهم فى ساحة الحركة القومية، فأسسوا مجلة « تورك يوردى » لتكون لسان حالهم فى معالجة المسائل الاجتماعية والوطنية

وفى سنة ١٩١٠ عين أستاذاً فى دار الفنون بالآستانة لتدريس مادتى « المدنية التركية » و « اللغة الروسية » وكان قد أخذ على عاتقه فى نفس الوقت رئاسة تحرير صحيفة « ترجمان حقيقت »

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى رشح نفسه للنيابة فانتخب فى سنة ١٩١٥ نائباً عن ولاية (آفيون) . ونال فى عين الوقت عضوية الهيئة المركزية لحزب الاتحاد والترقى

واختير فى سنة ١٩١٧ مشاوراً سياسيا فى الجيش التركى المحارب فى جبهات ققفقاسيا . وعلى أثر انتهاء الحرب عاد إلى الآستانة فنفاه الإنكليز إلى جزيرة (مالطه) . ولبث فيها ثلاث سنين تمكن خلالها من تأليف كتابه الموسوم (المدنيات الثلاث) وعندما أطلق سراحه عين مديراً عاما للمطبوعات[٣]

وبعد قيام أتاتورك بانقلابه المعروف وتأسيسه حزب الشعب الجمهورى انتسب آغا أوغلو إلى هذا الحزب ورشح نفسه للنيابة فانتخب مرتين نائباً عن ولاية (قارص) الواقعة بالقرب من الحدود الروسية . وكان يشغل خلال هذا الوقت كرسيا فى كلية الحقوق بأنقره ويقوم برئاسة تحرير جريدة « حاكميت مليث »[٤]

وعندما أتاح أتاتورك لجماعة من النواب فرصة تأسيس حزب معارض فى تركيا ، كان أغا أوغلو فى طليعة الزعماء الذين أسسوا حزب المستقلين المعارضين . ولقد رأى أتاتورك ، بسبب المطاحنات التى دارت فى المجلس والتى أدت إلى حدوث انشقاق بين صفوف الشعب ، رأى أن العقلية السياسية فى تركيا لم تنضج بعد ، وأن قيام حياة ديمقراطية سليمة فى البلاد أمر عسير ، فأصدر أوامره بحل هذا الحزب . وعلى أثر ذلك انصرف أغا أوغلو عن الحياة السياسية ورغب فى التدريس . فانتدبته كلية دار الفنون بالآستانة أستاذاً لتدريس مادة « تاريخ التشريع التركى » . وظل يدرس هذه المادة حتى أحيل فى سنة ١٩٣٣ إلى التقاعد

وفى هذه السنة أصدر جريدته المسماة « آقين » . وقد مضى سنواته الأخيرة من حياته فى النشر والتأليف . وتوفى فى اليوم التاسع عشر من مايو سنة ١٩٣٩

آثاره :

وندرجها بأسمائها العربية وفقا لتاريخ نشرها :

الذهب الجعفرى ومصادره ١٨٩٢ ، الإسلام وعلماء الشيعة ١٩٠٠ ، المرأة فى عالم الإسلام وفى نظر الشريعة ١٩٠١ ، المدنيات الثلاث ١٩٢٠ ، الهند وإنكلترا ١٩٢٧ ، فى بلاد الأحرار ١٩٣١، أتيكا (ترجمه عن كروبوتكين ١٩٣١) ، ماذا أنا ١٩٣٩ ، التشكيلات الأساسية التركية (محاضرات) ، تاريخ التشريع التركى (محاضرات) ١٩٤١ ، لا يخلو عن القلب[٥] ، إحتلال أم انقلاب ١٩٤٢

والمؤلفات الأربعة الأخيرة قام بنشرها ولده النجيب معالى عبد الصمد آغا أوغلو[٦] الذى يحاول نشر بقية آثاره غير المطبوعة . ومنها : الأدب الروسى ، مذكرات ، الثقة بالدستور ، الانقلاب التركى .. وغير ذلك

المصادر :

(١) سرور اسكيت : دائرة المعارف الشهرية ج٣ ، ص ٧٨٤ طبعة سنة ١٩٤٦ . (٢) إبراهيم علاء الدين : مشاهير الترك ص ١٧ ، ط ١٩٤٦ (٣) دائرة المعارف التركية « أينونو » ج ١ ص ٢٢٥ ، ط ١٩٤٥

كركوك — العراق **عطا الله ترزى باشى**

(٢) انظر عن هذا المفكر وعن نظرته فى القومية ، مجلة الرسالة العدد ٨٦٤

(٣) ويسمى فى العراق مدير الدعاية العام

(٤) وهى لسان حزب الشعب الجمهورى ولا زالت تصدر حتى اليوم بعنوان « أولوس »

(٥) واسمه فى التركية « كوكلسز أولماز » بمعنى لا يكون بغير قلب . وتعبيرنا الأول أنسب للترجمة

(٦) مساعد رئيس الوزارة التركية فى الوقت الحاضر وأحد أقطاب الحزب الديمقراطى

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل
ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٣ —

وطبيعة الكتاب وما أيقظه من رغبة جامحة لفتت الأنظار إلى الأحوال الخصوصية للمؤلف ، ولم تكن هذه المأساة وحدها هى التى جلبت الانتباه ؛ بل إن جميع ما كتبه ووجد لهسبيلا إلى النشر والذيوع من الكراسات الدورية الأخرى أوضحت بجلاء بأن هذا الإنسان لم يكن شخصا عاديا . وقد أغاظت العواطف الحادة التى أبدتها مأساة (اللصوص) كثيراً من الأشخاص الرصينين ، وقد كان لقابلياته التى لا تجارى وإكثاره فى التعبير عن مكنونات نفسه أثرهما فى تعكير القضية أكثر فأكثر . وأما ما يخص رؤساء شلر فلم تكن تهمهم مثل هذه الأشياء ولم يفهموا منها شيئا يذكر ، وقد يكون شلر عبقريا ولكنه كان خادما خطرا لصاحب السمو دوق (فرتمبرك) . ولم يقتصر الأمر على الناس الفضوليين فى القضية ؛ بل إن ذلك قد تعدى حتى إلى الرعاة فى جبال الألب . وقد أصبح قضاة (كرسنز) [١] بعد قراءتهم لهذا الكتاب يشعرون بماله من تأثير سئ فى الناس ، مما حدا بهم أن يشكو من ذلك فى جريدة (هامبورغ كورسبوندنت) ، ثم أعقبوا ذلك برفع القضية أمام الدوق العظيم » . « ولما اطلع الدوق على هذه الوضعية ساءه ذلك وعبر عن عدم استحسانه عن أعمال شلر بعبارات صريحة نابية جافة . وأخيراً قدم شلر أمامه ، فما كان من صاحب السمو إلا أن شرح له سخطه على أخطائه الأخلاقية والسياسية كما استهان بقيمة مؤلفه الأدبية . ولكن رأى الدوق لم يلق رضاً من شلر ، وقد انتهت المواجهة بدون جدوى بسبب إصرار الطرفين على رأيهما ، وبعد ذلك أمر الدوق بأن ينصرف شلر إلى دراسته الطبية ، أو على الأقل ألا ينظم شيئا من الشعر وينشره بدون الحصول على موافقته . ولم يقتصر الأمر على هذا فقط ؛ بل إن كثيراً من التقريع كان فى انتظاره . فكل جهوده فى أداء واجبه على أحسن وجه كانت تفسر تفسيراً خاصا وكان يعاقب على أبسط هناته أقسى العقاب . لقد انكمشت روحه ، لما أصابها من إنهاك وزيف فى النضال المرير ضد العوائق المثيرة المتمثلة فى الاضطهاد اللانهائى من أناس لم يعرفوا عنه شيئاً ، ولكن سوء الطالع وضع مصيره بأيديهم القذرة . وقد طافت فى ذهنه فكرة السجون والسجانين فعذبته تعذيباً مرا ، كما أنه فكر كثيراً فى الوسائل التى يتذرع بها للتخلص من عذاب السجن الذى كان ينتظره فى كل يوم ، فأراد نبذ الشعر الذى كان له بمثابة ينبوع السرور ومصدر الهموم فى الوقت ذاته ، واعتزاله هذا — لو قدر له أن يقع — لاعتبر حكما بالإعدام على كل شئ سام ومفرح فى نفسه وعلى القيم التى كان يعتز بها أشد الاعتزاز [٢] »

وقد دفع الشعور الطبيعى المؤلف اليافع على الجسارة للذهاب سرا لمشاهدة تمثيل مأساته فى مانهايم . ولم يستره هذا التنكر ، فقد ألقى القبض عليه بعد أسبوع من ذلك بسبب إساءته هذه ، ولم يمنعه العقاب الذى أنزل به من الاجتراء مرة أخرى وبالأسلوب عينه . وقد علم أن هناك خططا جديدة توضع ضده ، وقد ألمح له بعضهم ببعض الوسائل الشديدة التى تنتظره إن هو أصر على غيه ولم يفق من غفوته

ولم يفد فى ذلك الموقف العون الذى قدمه له (البرغ) الذى كان أمله الوحيد فى التخلص من هذه المضايقات . فرأى شلر نفسه محاطاً بالمصائب المختلفة والشرور المرعبة من كل جهة ، وقد أثار ذلك غضبه أشد الإثارة ولكنه اضطر إلى السكوت وارتداء قناع الصبر ، وأخيراً لم يطق احتمال هذا الضغط الجنونى أكثر مما تحمله . لقد قرر أن يكون حرا مهما بلغ الثمن ، وقرر كذلك أن ينبذ كل الفوائد المتأتية من جراء السكوت ، فترك البيت الذى كان يعيش فيه ، وهو بيت مربيته وخرج فريداً لا يلوى على شئ باحثاً عن عمل فى سوق الحياة الكبيرة

استغل شلر وصول أحد الأمراء والدوقات إلى مدينة ستتغارد

(١) اسم مكان فى ألمانيا

(١) حياة شلر

والضجة التى أثيرت فى الترحاب به والحفاوة التى أسبغت على المدينة حلة من الزينة ، وهكذا تمكن من التخلص وسط هذا الزحام من مراقبة العيون والأرصاد لانشغالهم بهذا الاستقبال ، ففر من المدينة فى أكتوبر سنة ١٧٨٢ وكان عمره آنئذ ثلاثاً وعشرين سنة [٣] . وفى مثل هذه الظروف شب شلر عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال من القوة والبأس

وقد أثرت هذه العقبات والنكسات فى سلوكه ولكن قوته الخاصة تمكنت من الغلبة فى النهاية ... أما طفولته فقد كانت هانئة هادئة ، كما سبق أن ذكرنا ذلك فى حينه، لأن والديه أسبغا عليه جوا من المحبة والحنان ، فجعلاه يشعر بالانشراح والسرور وبالسعادة الحق

لقد قدر لهذه البذرة غير المرئية أن تنبت يوماً ما وأن تصبح شجرة التقى والفضيلة الرقيقة ، ومن حسن حظه أن الهجوم العنيف الذى شن عليه لم يقع إلا بعد أن أكمل عدته لمواجهته بعد أن أجمع قوته . ويعود الفضل الأكبر فى فوزه النهائى فى هذا النضال الهائل إلى أساتذة مدرسة ستنادر ودوقهم الأعمى . ومع ذلك لو كان النظام الذى اتبعوه أكثر مدنية وأقل تعصباً لما خسرنا شاعرنا أيضا ، لأن بركان شعره كان كامنا فى أعماق نفسه ولا يمكن أن يبقى مثل هذا البركان صامتا طويلا ، بل إن انفجاره كان محتما فى كل يوم لا بل فى كل ساعة . وقد أثرت هذه المعاملة الخشنة فى سلوك شلر فأججت حساسيته وزادت من رقته وإرهافه ، وخصوصاً إذا عرفنا مدى اتصال ذلك كله بطبيعته ذات الفعالية الذاتية ، ولو كانت لديه ميول أقل تأججاً وأبرد محبة ، لرأينا فى الوقت الناسب كيف ينتهى كل هذا إلى عزلة خانقة خائفة ووحشية،! وحتى إلى مقت شديد للانسانية . وإذا نظرنا نظرة عامة إلى شلر فى مثل هذه المرحلة لظن بعض المتتبعين القصيرى البصر أن شلر ضعيف لأن مثل هؤلاء المتتبعين يخلطون بين الرقة والضعف على اعتبارهما شيئا واحدا . فعنصر القوة الذى يتمتع به وهو أصل كل تقديم يجعله يتصرف على رغائب نفسه ، لقد كان له قصد وغاية فيما يعمل ، وكان يحب الجمال الروحى بكل جوارحه وبكل نفسيته ، وهو مستعد فى سبيل الوصول لمثل هذا الهدف إلى تقديم التضحيات . لقد ظهر هذا الهدف كغريزة جامحة ، وتحت أشكال غامضة ، وقد ازدادت قوة على قوة كما اتسمت بالوضوح فى النضال والمقاومة فيما يجب الانتصار فيه.. إن لهذه النكسة فى حياة شلر أهميتها فى التاريخ الأدبى : وهذا التعذيب فى سبيل الضمير ، وهذا ما وقع للهراطقة والزنادقة فى الدين أكثر مما وقع للهراطقة فى الأدب . هذا النضال الأعمى الذى قصد إلى إخماد النور السماوى فى الروح الإنسانية ، وقد انتهى هذا النضال إلى البوار والفشل كما انتهى إلى ذلك فى الأدب أيضا

وما من شك أن ما فعله حكام محكمة التفتيش من أعمال مرعبة وجرائم نكراء لم يكن وحيداً فى بابه وفريداً فى نوعه.. لأن حكام محكمة التفتيش الأدبية قد خلفوا السابقين ، ومع ذلك فلم ينته أمرهم إلا كما انتهى أمر أسلافهم.. لأن تأثيرهم كان مؤقتا وعرضيا ولم يؤد إلى أية نتيجة تذكر

وما كنا لنطيل النظر فى هذه الإجراءات إلا لأن ذلك سيقودنا إلى أزمة شلر الكبرى ولأنها تظهر لنا لأول مرة إرادته وهى تؤكد نفسها ، وتبين بصراحة القانون الذى سيسطر على مستقبل حياته، وقد قال هو نفسه فى خصوص ذلك (لقد عشت فقيراً معدماً ويائساً) ومع ذلك فذهنه ظل فى مكانه محافظاً على مواهبه كما أن موجوديته الحية ظلت صامدة كالطود الأشم ، ومن هنا يجب اعتباره أديباً وهو سيبقى كذلك فى سجيته وسلوكه وقد قال بهذه المناسبة: « لقد انحلت جميع اتصالاتى السياسية ، وأصبح الرأى العام كله لى ، إنه دراستى ، إنه سيدى ، إنه موئلى ، وإلى الرأى العام فقط تعود حياتى ولن أقف أمام أية محكمة أخرى ، وهذه المحكمة بالذات هى التى أعتبرها وأخشاها . يطوف أمامى الآن خيال من الخيال كما قررت أن أصفد نفسى بقيود غير حكم العالم ، ولن أستأنف حكمى إلا أمام محكمة روح الإنسان» [٤]

---

(٣) حياة شلر

(٤) مقدمة ثانية

٣٩٠٣٢

وسنجد فى حياته اللاحقة وحدة نبيلة متماسكة بنا فى ذلك من اختلافات خارجية ، كما أن الهيام بالأدب والعزيمة التى تهزأ بالمخاطر لازمتاه طويلا ولم تتركاه وحيداً فى نضاله الشريف . فنراه متجولا فى العالم ناظراً إليه فى مختلف الصور والأشكال والألوان ، ونراه كذلك ممتزجا بمسرات الحياة الاجتماعية فيصبح زوجاً وأبا ويجرب مصائر الناس ، ولكن الكوكب الساطع الهادى كان قائده الذى أرشده فى متاهات شبابه وظل نور هذا الكوكب ساطعاً مدى حياته . وكان شلر فى كل العلاقات والأحوال نقيا طاهراً لطيفاً حتى أنه كان قليلا ما يخطئ

لقد كان هدفه الأعلى بعد الكمال الروحى هو الهيام بالشعر ، وهذه العاطفة كانت من القوة والشدة بحيث أصبحت نقية طاهرة وعالية سامية، وكانت مصدر سلوكه الحسن وينبوع شعوره النبيل الفياض . وهذه العاطفة يجب أن تكون لدى الجميع نقية وسامية لأنها — فى أى مظهر كان — هى وحدها هدف الإنسان الحق ، وهى موبوءة لدى كل إنسان ، لأنها لا يمكن أن تطمس كلية ، ولكنها تبقى سلبية عند كثير من الناس ، أما البقية من الناس والذين تبلغ فيهم العاطفة هذه مبلغاً كبيراً من الفعالية فسيكونون شعراء قولا أو عملا ، وقلما تكون الأهداف السامية بعيدة عن المطامح المبتذلة والأهداف الأرضية التى تشوه هذه المظاهر كلية . فعند شلر إذن كانت هى الهدف الأساسى الذى تتجمع حوله جميع الأهداف الثانوية الأخرى ، ولم تكن الشهرة نفسها والتمايز العالمى ليعنيه فى قليل أو كثير ، فسلوكه اللطيف المخلص هو الذى كان يجذب إليه الأصدقاء ، وقد كانت حياته المستقيمة المسالمة مدعاة احترام الجميع ، والذين عرفوه خير المعرفة أحبوه أشد الحب

علاقته بجوته

ولعل أهم ظرف أحاط بحياته الأدبية هى علاقته بجوته.. ولو استعملنا تعبيرنا السابق لقلنا : لو فرضنا أن شلر كان قسا لكان جوته مطرانا ، وهذا الأخير هو الذى رسمه للكهنوت ومنه حصل على النور القدسى . لقد كانت علاقتهما حدثاً قل نظيره فى تاريخ الأدب للأسف الشديد ، وكانت علاقتهما علاقة خالصة من كل زغل وبعيدة عن كل أنانية كما كانت الحالة بين (سوفت) و (بوب) [٥] اللذين كانا يتقاسمان السراء والضراء وتجمعهما رابطة الكبرياء . وقلما يتفق الناس بمثل هذه الأحوال ولأغراض من هذا النوع إذا وزنت فى الميزان الاقتصادى كما ساوت وزن خيوط العنكبوت [٦] . ويظهر أن بعض العقبات الدولية وقفت فى الطريق كما أن بعض التحامل من قبل الطرفين وقع وكان الواجب يقضى بالتغلب عليه . ولعدد من السنين لم يكن فى الإمكان تقابلهما إما لسبب عرضى أو جوهرى ، وكانت مقابلتهما الأولى غير مشجعة . يقول شلر فى هذه المناسبة : (إن هذا الاجتماع لم يقلل من الفكرة العظيمة التى استحوذت على والتى كنت قد كونتها مقدماً عن جوته . ولكننى أشك فيما إذا كنا سنتصل فى المستقبل مع بعضنا البعض الآخر اتصالا وثيقاً . فكثير من الأشياء التى تهمنى لم يعد لها أى ذكر لديه ، وطبيعته فى جملتها وتكوينها فى الأصل تختلف عن طبيعتى . كما أن عالمه ليس عالمى . ويظهر أن أساليب فهمنا للأشياء تختلف اختلافاً بيناً . وطبيعى أن اتحاداً من هذا النوع لا يمكن أن ينتج ألفة وثيقة ثابتة) ومع ذلك فبالرغم من بعض التحامل الخطير من قبل جوته ، إن لم نقل شيئاً من الحسد الوضيع الذى كان من الممكن سيطرته على أى شخص آخر فى مثل هذه الظروف نفسها ، نقول بالرغم من هذا كله فإن الذى لم يكن محتملا وقع ، وكانت النتيجة أن توثقت الصداقة بينهما واشتدت الألفة ولم يفرق بينهما غير الموت . وإذا نحن اعتبرنا الوضعية النسبية لكل من الطرفين وسلوكهما فى هذه القضية فعلينا أن نعترف أن كلا منهما كانت لا تعوزه الفضيلة الاجتماعية كما أن حب الإيثار كان مستحوذاً عليهما . والحال مع جوته خصوصاً بينة وواضحة، فهو كان أكبر سنا وأعظم الاثنين..فهو لم ينتظر شيئاً بالمقارنة لما يعطى . أما هذه الوحدة الأخوية فيمنعنا ضيق المجال من شرح طبيعتها وبيان تطورها ، وهى ستعطينا دليلا آخر تأييداً لما قاله (يونغ ستيلنغ) (بأن قلب هذا الإنسان الذى يعرفه القليلون هو نبيل وصادق كعبقريته التى يعرفها الجميع)

(٥) الأول أديب إنجليزى كبير معروف بكتابه (رحلات كوليفر) والثانى شاعر إنجليزى مشهور بسخريته

(٦) مثل انكليزى معروف

للكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

٤ ـ فى بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ آغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

الحرية والجاسوسية

— ولكن أيها الأستاذ ! أليس احترام الرجال العظام وتبجيلهم واجبا تقضى به رعاية الحقوق ، والعرفان بالجميل ؟

— بلا ريب ! ولكن هناك حدودا بارزة بين خالص الاحترام والتبجيل . . ومحض التملق والرياء !

— كيف ذلك ؟

— إن الاحترام والحب الحقيقيين يتطلبان الصدق والإخلاص، وشرطهما الأساسى أن تقول ما تفكر فيه أو تشعر به بغير زيادة أو نقصان . .

وعلى سبيل المثال أقول : ألا ترى لزاما عليك أن تصرح بما تراه من النقائص فى أقرب الناس إليك ، كابنك ، أو أخيك ، أو صديقك البار ، وتواجهه بالنصيحة والإرشاد ، بغية تقويم اعوجاجه ، وإصلاح عيوبه ! ثم ألا تعتبر مثل هذا العمل دينا عليك واجب الأداء تجاهه ؟

والرجال العظام الذين تنجبهم الأمة ، هم أعز وأغلى من الابن والأخ والصديق ، لأنهم ينابيع الهناء ، وأسس السعادة العامة المشتركة فى الوطن

إذن أفلا يكون دينا علينا واجب الأداء أيضا أن نكون تجاه هؤلاء أصدق وأشد إخلاصا ؟

ولكن المرائين والمنافقين لا يصنعون إلا نقيض هذا تماما . . فيخلعون على العظماء نعوتا زائفة ، وينسبون إليهم مواهب وكفايات ليست لهم ، ويظهرون جهلهم ونقائصهم وأخطاءهم بمظهر الفضائل العالية والمزايا النادرة ، ويكتمون عنهم الصدق والحقيقة ، ويدفعون بهم إلى الطرق الملتوية والمآزق . . ويرتكبون كل هذه الجرائم فى سبيل الحصول على منافع شخصية محضة دنيئة فقط

وفى الحق أن الرجل المتملق المتزلف لا يستطيع أن يكون صديقا حقيقيا لأى إنسان . . إذ أن فضائل سامية كالصدق والاستقامة والإخلاص ليست من نصيب ذوى النفوس المنحطة السافلة . .

ففى أول إدبار الحظ يقلب هؤلاء ظهر المجن للرجال العظام ويشرعون فى التهكم ونكران الجميل ، وشن الحملات الشعواء عليهم ، ومن ثم يأخذون فى الالتفاف حول السيد الجديد الحائز القوة

— كم أنت محق فى هذا أيها الأستاذ ! لقد شهدت بعينى غير مرة مناظر مؤلمة من هذا التقلب الفاضح .. وكم من مرة ضغطت فيها على أعصابى لكى لا ينقلب تعلق بوطنى مقتا وكراهية ، وحبى لأبناء بلادى حقدا وضغينة ..

— أجل ! إن الرياء والتملق هى الطريق الخطر الذى سيؤدى بالمجتمع أيا كان إلى الانحطاط والتدهور لا محالة . .

— إذن لماذا يميل إليهما الناس ؟ ولماذا لا يرضون بهما بديلا ؟

— لأنهم ضعفاء ، ومع ذلك فالذنب كله يقع على عاتق المجتمع وحده لكونه هو المكلف بمنع انتشار الرذائل وبمكافحة الفساد والانحلال الخلقى أولا وآخرا . .

أما إذا تقاعس المجتمع عن أداء واجبه بهذا الشأن فسوف يكون هو نفسه الخاسر فى النهاية بغير شك

— لم أفهم أيها الأستاذ !

— إذن لأتبسط فى القول . . إن الرجال العظام فى المجتمع هم بمثابة الزهرة أو الثمرة من الشجرة ، فكما أن الزهر أو الثمر هما اللذان يبقيان على نوع الشجرة ويضفيان عليها صفة الخلود ، فكذلك العظماء هم الذين يبعثون فى عروق المجتمع دم الحياة ، ويمهدون أمامه سبل العيش ، ويفتحون أمامه أبواب الارتقاء والتقدم

وفى الحق أن قوة كيان المجتمع وتماسكه لا يقاسان إلا بعادات وقيم بعض العظماء الذين تنجبهم الأمة فى مختلف ميادينها الفكرية

والأدبية والعلمية والعسكرية وغيرها

وفى مثل هذه الحال يكون العمل لتنشئة هؤلاء وإعدادهم ، ثم الحرص على سلامتهم.. مسألة حياة للمجتمع ذاته ليس إلا . .

والمجتمع الرشيد هو الذى يحاول دائما أن يفيد لنفسه أعظم فائدة من عظمائه عندما تسنح له فرصة الحصول عليهم ، ولا يدع أن تمر أى لحظة من حياتهم دون أن يستغلها لحسابه أحسن استغلال ، ويخلق منها مصدر خير وبركة للجميع بغير استثناء .. ذلك لأن العظماء لا يظهرون كل يوم أو فى أى زمان ، فقد يصادف أن الأمة الواحدة تحبل طوال عصور مديدة ثم لا تلد إلا واحدا من هؤلاء ، وقد يتفق أيضا أن عملية الولادة هذه تصبح قاسية ومخيفة جدا

لهذا فالمجتمع الذى يعرف قدر نفسه يحرص على أمثال هؤلاء الأبناء البررة كالحرص على بؤبؤ العين ، ويبذل كل ما فى وسعه لكى يفيد من حياتهم أعظم ما يمكن من الفوائد . .

وهذا هو السبب أيضا فى أن المداهنة والتملق يعاقب المرء عليهما فى بلاد الأحرار بعقوبة شديدة كالرجم بالأحجار ، وذلك لكونهما من أفتك وسائل الإفساد والتخريب

— فهمت أيها الأستاذ ! وقد أنار إيضاحكم هـذا جوانب كثيرة من الماضى المؤلم القاتم أمام ناظرى ، فهل تتفضلون الآن بشرح المادة الرابعة من الدستور ؟

— بكل ارتياح ! تنص هذه المادة على أن الذين يشتغلون بالجاسوسية لا يستأهلون أن يكونوا من مواطنى بلاد الأحرار ، ذلك لأن الحرية والجاسوسية لا تمكنهما أن يجتمعا على صعيد واحد أو يأويا تحت سقف مشترك ؛ فلا حرية حيث تسود الجاسوسية ، ولا جاسوسية حيث تسود الحرية

ولهذا ترى دوائر الاستخبارات وأوكار الدس والمؤامرات من أقوى الوسائل الفعالة التى يستند إليها الاستبداد فى توطيد دعائم حكمه ، وتثبيت أركان جبروته وطغيانه

أما هدف الاستبداد الأوحد فى هـذا الخصوص ، فهو أن توهن الروابط ، وتفكك أواصر الثقة فى نفوس أبناء الوطن الواحد ، وتنفخ فيها روح الشك والارتياب ، وليست ثمة وسيلة أقوى تمكنها من بلوغ هذا المأرب من الجاسوسية بلا مراء . .

ففى المكان الذى تنفق فيه سوق الدس والوقيعة لا نجد أحدا يثق بغيره ؛ بل يجفل ويرتعد كل واحد من الآخر . . فيتلاشى بذلك الصدق ، وتنتفى الصراحة بين المواطنين ليحل محلها الكذب والخداع والنميمة .. وهكذا يستحيل القيام بأى عمل اجتماعى تعاونى نافع ، مهما كان نوعه أو كانت قيمته ..

والجماعات البشرية التى يصل بها الحظ العاثر إلى هذه المرحلة من الانهيار تكون أشبه شئ بقطعة مهلهلة من النسيج انحلت خيوطها ، وتفككت أجزاؤها ، فتفتقد كل قابلية فى نفسها لأى نوع من أنواع الكفاح ، وتصبح لا هى قادرة على منازلة الاستبداد ، ولا هى مستطيعة السير موحدة القوى فى مسالك العلوم والفنون ، أو الضرب فى آفاق التجارة والمعاملات وغيرها من مقومات الحضارة الحقيقية فى هذا العالم

وطبيعى بعد ذلك أن لا تستطيع بلاد الأحرار الرضا بما هو من شأنه إلحاق كل هذا الأسى بكيان المجتمع ، واستجلاب كل هذه الويلات والكوارث له ..

إننا نغرس فى نفوس مواطنينا شعور الكراهية والبغضاء نحو هذا الداء الوبيل منذ نعومة أظفارهم وعهود طفولتهم ، ولا ننظر نظرة ارتياح وتسامح إلى شكاوى أبنائنا بعضهم من بعض ، ونعاقبهم بقسوة متناهية على حوادث التهم والافتراءات التى تحدث بينهم ، ونشهر بالصبى الذى يتجسس على أى عمل من أعمال زميله ردعا لغيره وزجرا

وقصارى الكلام ، أننا نبذل أقصى جهودنا قولا وعملا ، لكى نبث شعور الكراهية والمقت فى القلوب الفتية نحو داء الجاسوسية المرذول . وعندما يشب هؤلاء عن الطوق ويترعرعون ، تتهيأ لهم فرصة الاطلاع على دستور البلاد وفهم مغازيه أيضا .. وحينئذ تكون الجاسوسية قد زالت بكليتها من البلاد ..

— أيها الأستاذ.. إن إيضاحاتكم هذه قد أحدثت انقلابا فى كيانى ، إننى أشعر بالحاجة إلى أن أخلو إلى نفسى وإلى أفكارى الآن ، فهل تسمحون بأن نكتفى بهذا القدر اليوم !

— حسنا ! سنحضر بعد يومين ، ثم نهضوا المصافحتى وانصرفوا

يتبع

أحمد مصطفى الخطيب



رسالة الشعر



ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة ، شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعا وعشرين منها ، وغاب عن واحـدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شـهدها فهي غزوة ودان — العشيرة — سفوان — بدر الـكبرى — بنى سليم — بنى قينقاع — السويق — قرقرة — الـكدر — ذى أمر — بحران — أحد — حمراء الأسـد — بنى النضير — ذات الرقاع — بدر الآخرة — دومة الجندل — بنى المصطلق — الخندق — بنى قريظة — بنى لحيـان — ذى قرد — الحديبية — خيبر — وادى القرى — عمرة القضاء — حنين — الطائف — تبوك — فتح مكة — وقد استغنى الناظم عن هذه الغزوات فلا مجـال فيها للقول ، وفى هـذا الجزء من الـكتاب غزوة بدر الـكبرى ، وغزوة بنى قينقـاع ، وغزوة السويق ، وغزوة أحد ، وغزوة حمراء الأسد ، وغزوة بنى النضير ، وذات الرقاع ، وبدر الآخرة ، ودومة الجندل ، وبنى المصطلق ، والخندق ، وبنى قريظة ، ومع كل غزوة ما يتصل بهـا من العناصر البارزة فيها

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثانى عشر من رمضان) وهو الشهر التاسـع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجـلا ، وكان عدد الـكفار ٩٥٠ وقيل ألفا ، قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار

ما للنفوس إلى العماية تجنح ... أتظن أن السيف عنها يصفح ؟
داويت بالحسنى (١) فلج فسادها ... ولديك إن شئت الدواء الأصلح
الإذن جاء (٢) فقل لقومك: أقبلوا ... بالبيض تبرق والصوافن تضبح (٣)
أفيطمع الـكفار أن لا يؤخذوا ؟ ... بل غرهم حلم يمد ويفسح
أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم ... أفكنت إذ تزجى الزواجر تمزح ؟
لا يستحون ، ولو تأذن ربهم ... عرفوا اليقين وأوشكوا أن يستحوا
أملى (٤) لهم ، حتى إذا بلغوا المدى ... ألوى (٥) بهم خطب يجل ويفدح
من ناقض عهدا ، ومن متمرد ... يمسى على دين الغواة ويصبح
لمـا استتام الأمر لاح بشيرها ... غر سوافر من جبينك تلمح
ظمئت سيوفك يا (محمد) فاسقها ... من خير ما تسقى السيوف وتنضح (٦)
فجر ينابيع الفتوح ، فربها ... ما تستبيح من البلاد وتفتح
الظلم أوردهـا الغليل ، وإنه ... لأشـد ما تجد السيوف وأبرح
اليوم توردها الدماء ، فترتوى ... وتردها نشوى المتون ، فتفرح
المشركون عموا ، وأنت موكل ... بالشرك يمحى ، والعماية تمسح
خذهم ببأسك ، لا ترعك جموعهم ... فلأنت إن وزنوا الـكتائب أرجح
ضلوا السبيل ، وفى يمينك ساطع ... يهدى النفوس إلى التى هى أوضح
هفت العشيرة (٧) إذ نهضت تريدها ... والعـير دائبة تشط وتنزح

(١) الخطاب للرسـول الـكريم صلى الله عليه وسلم

(٢) كانت الآيات التى نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال ، وكان مبدؤها فى الثانى عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وقيل ان الآية الأولى هى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبى بمكة وهم بين مضروب ومشجوج . فيقول : اصبروا فانى لم أومر بالقتال

(٣) صوت الخيل دون الصهيل ، أو عدوها

(٤) أملى له أمهله وطول له

(٥) ألوى بالرجل وبالشىء ذهب به

(٦) بمعنى تسقى

(٧) العشيرة موضع لبنى مدلج بينبع ، خرج إليها النبى صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة فى ١٥٠ وقيل ٢٠٠ رجلا من المهاجرين يريد عيرا لقريش سارت من مكة الى الشام للتجارة ، كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار ، وكان قائدها أبو سـفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، فلم يدركها النبى . فلما عادت من الشام خرج إليها — قيل انها كانت سبباً لوقعة بدر ، وكان اللواء فى العشيرة لحمزة بن عبد المطلب ، وفى هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسـول الـكريم وبين بنى مدلج ، وكانوا حلفاء ابن ضمرة

نعيم

تمشى (مواقر[٨]) فى غواربها العلى   (أموال مكة) فهى ميل جنح
عد باللواء ، وقل (لحزة) إنهم   رهن بمرزمة[٩] تسح وتدلح[١٠]
تهوى غداة الروع[١١] فى طوفانها   مهج الفوارس ، والمنايا تسبح
هذا الفتى الفهرى[١٢] أقبل جامحا   يغزو (المدينة) والضلل يجمح
ولى يسوق السرح ، لو لم توله   سعة لضاق به الفضاء الأفيح[١٣]
دعه ، فإن له « بمكة » مشهدا   يرضيك والشهداء حولك تطرح[١٤]

***

ذهب ابن حرب[١٥] فى تجارة قومه   ولسوف يعلم من يفوز ويربح
نسر مضى متصيدا ، ووراءه   يوم تصاد به النسور وتذبح
بينا يحيد عن السهام ، أصابه   نبأ تصاب به السهام فتجرح
بعث (ابن عمرو) ما لكم من قوة   أن مالكم أمسى يلم ويكسح
واها (قريش) إنه الدم فاعلموا   من دون بيضكم يراق ويسفح
تردون برد الأمن ، والنار التى   أنتم لها حطب تشب وتقدح
إن كنت لم أفصح لخطب هالنى   فسلوا (بعيرى) إنه هو أفصح
وخذوا النصيحة عن قميصى إنه   لأجل من يعظ النيام وينصح
إنى صدقتكم البلاغ لتعلموا   وجبال مكة شهد والأبطح
جفلت نفوس القوم ، حتى مالها   لجم ترد ، ولا مقاود تكبح

وأبى (أبو لهب[١٦]) مخافة ما رأت   فى النوم (عاتكة) فما يتزحزح
وأرى (أمية[١٧]) وتأخر حينه   لرآه (عتبة) ثاويا ما يبرح
يرميه بالهذر القبيح يلومه   ويسومه الخلق الذى هو أقبح
غشاه (سعد[١٨]) روعة ما بعدها   لذوى المخافة فى السلامة مطمح

***

نفروا يريدون القتال ، وغرهم   عبث اللواتى فى الهوادج تنبح[١٩]
غنت بهجو المسلمين ، وإنها   لأضل من يهجو الرجال ويمدح
الضاربات على الدفوف ، فإن همو   ضربوا الطلى[٢٠] فالنادبات النوح

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

---

(٨) محملة أحمالا ثقيلة

(٩) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته ، والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها

(١٠) يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله

(١١) يعنى الحرب وأصله الفزع

(١٢) هو كرز بن جابر الفهرى كان من رؤساء قريش ، أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى من العشيرة بليال فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه ، فلما بلغ سفوان (موضع من ناحية بدر) فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب — أسلم كرز وصحب ، وأمر على سرية ، وقتل فى فتح مكة رضى الله عنه

(١٣) الأفيح الواسع

(١٤) إشارة الى اسلام كرز واستشهاده

(١٥) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى ، فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم بن عمرو الغفارى يستنفر قريشا بمكة ، واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره ، ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ، ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره : اللطيمة اللطيمة — هى العير التى تحمل الطيب والبز — أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فنفر الناس وتخلف أبو لهب

(١٦) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عم النبى صلوات الله وسلامه عليه (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش ، رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث ، وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ مثلها ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس (جبل) فصرخ مثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ، ارفضت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة ، قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها ، وخرج فلقى الوليد بن عقبة ، وكان صديقا له ، فذكر له ، واستكتمه ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها ، وفشا الحديث ، ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا ، فقال له : يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما رجع قال له أبو جهل : يا ابن عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لرؤيا عاتكة

بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان له أربعة آلاف درهم دينا عليه ، ثم عجز عن أدائها ، فجعلها أجرا له ، وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب

(١٧) أمية بن خلف أراد التخلف وكان شيخا ثقيلا ، فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه ، وقال له : استجمر فإنما أنت من النساء ، وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة الى ذلك ، ومن قول أبى جهل لأمية : انك سيد أهل الوادى فاذا تخلفت تخلفوا فتجهز وخرج

(١٨) سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية كما كان ينزل عليه بالمدينة فى طريقه الى الشام فأخبره أن النبى سيقتله — والمراد جند النبي — فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج

(١٩) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم ابن حزام (أسلم بعد ذلك) وابو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والعباس بن عبد المطلب ، وابى بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (اسلم بعد ذلك)

(٢٠) الطلى الأعناق أو اصولها ، جمع طلية او طلاة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تلقى الأدباء ذلك النبأ الذى أعلنته الرسالة فى العدد السابق، بأنها ستتجدد، وبأن الرواية ستعود إلى الصدور، بالفرح والابتهاج، فقد كان طبيعيا أن تجرى الرسالة فى موكب النهضة، وهى التى حمل صاحبها القلم منذ ثلاثين عاما يدافع به عن الفلاح والعامل، وطالب بحقوق الفقراء والضعفاء، ولطالما كانت مقالاتها هى صرخة الحق فى وجه الباطل عندما كان الباطل قويا، ومتسلطا

ولا شك أن الأدب العربى فى حاجة إلى « الرواية » حاجته إلى المجلة القصصية الفنية، بعد أن انتشرت تلك الألوان المتهافتة من القصص

والذين طالعوا الأعداد التى صدرت من الرواية فى سنيها الثلاث مازالوا يذكرون ذلك الفيض الرائع من القصص العربية والمترجمة، المنقولة فى أسلوب رفيع، وعلى نسق يكرم الذوق، ويغير الخلق، ويضع قواعد السمو والرجولة

ويتصل بهذا أن الأستاذ الزيات قد أخذ يفرغ لهذا العمل بعد أن ترك مجلة الأزهر، وقد كانت عودته إلى الرسالة حبيبة إلى القراء الذين كانوا يطمعون فى أن يوحد كاتبنا الكبير جهوده فى ميدانه الأصيل، ولاسيما بعد أن رسم لمجلة الأزهر الخطة المثلى، وأصبح على القائمين عليها أن يمضوا على نفس المنهج

الكتاب الذين آثروا الانزواء

لفت نظرى ذلك الكتاب المترجم الذى صدر هذا الأسبوع للدكتور محمد أبو طايلة، فقد آثر الدكتور أن يختفى وقتا طويلا عن دنيا الصحافة والأدب .. بعد أن ظل اسمه وقتا من أبرز الأسماء فى الصحافة المصرية

وقد جدد هذا الذكر فى نظرى البحث عن الأدباء الذين اختفوا فى السنوات الأخيرة وآثروا أن يعيشوا حياتهم الخاصة يقرأون ولا ينتجون، لقد كنت أعرف أن « عقدة » نفسية قد طغت على بعض هذه النفوس فدفعت أصحابها إلى إيثار تطليق الحياة الأدبية والتوقف عن الإنتاج!

تلك هى غلبة الأدب الذى يطلقون عليه كلمة « الخفيف » والذى لا أراه صالحا لأن يكون لونا من ألوان الأدب ... فقد مرت بمصر فترة، كانت الصحافة وهى التى تملك زمام الإنتاج تحرص على أن تقدم للقراء تلك الألوان التى تتصل بالنزوات والرغبات الرخيصة

وقد جندت لهذا اللون بعض كبار الكتاب الذين حرصوا على « القدر » الضخم من الأجر، متجاهلين تاريخهم القديم، وماضيهم المعروف

ولا شك أن الأدب الرفيع قد تملص تحت ضربات هذا اللون الجديد، وانزوى وآثر هؤلاء الأدباء الانزواء أيضا

وقد حق لنا الآن أن نطالب هذه الأسماء بأن تستأنف جهودها وعملها مرة أخرى بعد آن بدأت بشائر النهضة الجديدة التى سيكون « الأدب الرفيع » من أول قواعدها

السجل الثانى

نظرة واحدة فى السجل الثانى الجديد عن سنة ١٩٥١ تعطى فكرة واضحة عن ضعف الإنتاج الأدبى خلال العام

فعدد الكتب القوية التى يمكن أن يطلق عليها هذا الاسم قليل جدا، بل نادر، وإنما هى مجموعة من الكتب؛ صدرت على طريقة الصحف التى تطبع فى سرعة وتكتب فى سرعة . . والتى ليس فيها بحث عميق، ولا تأمل واضح، ولا دراسة رصينة

إنما هى مجموعة من الأفكار، كتبت ونشرت، ولما تستوف عناصر الكمال.. فإذا نظرنا فى الإحصائيات، وجدنا ظاهرة ضعف الإقبال على القراءة واضحة، غاية الوضوح

فإذا كان القراء فى مدينة كالقاهرة فى خلال عام كامل لايزيد عددهم على ١٩٢ ألف فى جميع دور الكتب، الدار الرئيسية والدور الفرعية، أى بمعدل ٥٢٤ قارئ فى اليوم، فإن هذا يعطى صورة صحيحة لمدى (إقبال!) القراء على البحث والقراءة والدراسة، مع ملاحظة أن هناك عددا كبيرا — من هذا الرقم — من الطلبة الذين يعاودون التردد على الدار مرتين فى اليوم الواحد! وخاصة

أيام الامتحانات الأولى والملحقة

القراءات : ضعف فى الكم والكيف

.. وقد رأيت أن أعرف الألوان التى يقرأها شبابنا الذين يترددون على دور الكتب فوجدت فى أيدى الشباب فى سن السابعة عشرة قصص: صوره دوريان جراى، وراسبوتين، وبيرون، وكرمن ، وعربة اللذة وروايات موريس لبلان ، عن أرسين لوبين

وليس فى قصة من هذه القصص مايرفع مستوى الشباب من ناحية الفن أو الذوق أو الخيال أو الأدب ، وإنما هى قصص هائجة مائجة ، كلها شهوة وإثم وفجور وسرقات

أنا لا أعيب قراءة القصة الممتازة ، كقصص شكسبير وبرنارد شو وجوته ولامرتين . . ، فهى تربى فى الشباب روح البيان والإنشاء والكتابة

وإذا كنا نعيب على الشباب البعد عن القراءة ، بصفة عامة والقراء النافعة بصفة خاصة . . فإننا لا ننسى أن نذكر أن وسائل طلب الكتب فى دار الكتب ماتزال معقدة ، فإذا طلبت دوريات الصحف فى الغروب قيل لك إنه ليس بالمخزن نور ، وإذا طلبت أكثر من أربع كتب رفض طلبك ، هذا فضلا عن عدم وجود مراجع كاملة واضحة

. . أما إذا كان هناك أديب من الأدباء أو مفكر من المفكرين يريد أن يبحث فنا أو مادة . . أو علما ، فإنه لا يجد ما يعينه إذا لم يكن له صديق من موظفى دار الكتب وتلك ملاحظات خفيفة نهديها إلى الأستاذ الكبير توفيق الحكيم

أدب الجيش وتاريخه

من الملاحظ أن تاريخ الجيش المصرى لم يكتب بعد على وجه موسوعى أو كامل . . وذلك نقص ، إن كنا قد قصرنا فيه فى الماضى ، فإننا يجب أن نتلافاه اليوم

الحق أن جيشنا له تاريخ مشرق ، منذ عهد طويل ، منذ الفراعنة عندطرد الهكسوس.. وعندما وقف وقفته فى كوتاهية ، ومواقفه فى فتح عكا وبطولته فى عين جالوت

وهو الجيش المصرى الذى رد الصليبيين ، فى المنصورة ودمياط ، ورجاله الأبطال هم الذين أسروا قلب الأسد ملك إنجلترا، والقديس لويس إمبراطور فرنسا

. . ونحن الآن نطالب بأن يكتب تاريخ الجيش من جديد ، على ضوء البطولة الرائعة التى سجلها منذ سبعين عاما عندما زحف عرابى على قصر عابدين ، وبعد سبعين عاما عندما زحف محمد نجيب على قصر رأس التين وخلع فاروق

إن فى تاريخ جيشنا ، مواقف كثيرة مشرفة ، جديرة بأن تكتب على طريقة الأدب والفن لا على طريقة التأريخ ، وأن بعض هذه المواقف ، جدير بأن ينقل إلى السينما . . ، فقد رأينا الكثير من الأفلام السينمائية التى صورت أجزاء من تاريخنا فى أوضاع مشوهة ، . . وحق لنا فى عهد النهضة أن نرد عن كرامتنا ، ونذود عن تاريخنا بعض ما أصيب به فى العهد الماضى من أخطاء . . وإهمال ! !

الأدب النسوى

يعرف قراء الصحف اليومية ، ماقيل من أن الدكتورة « بنت الشاطئ » سترفع دعوى على بعض المخرجين السينمائيين لأنهم أطلقوا اسمها على فلم من الأفلام السينمائية

وقد عادت الدكتورة فى الأسبوع الماضى من رحلتها إلى أوربا ، هذه الرحلة الخامسة من رحلاتها السنوية التى جعلتها فى السنوات الأخيرة جزءاً من برنامجها

وقد كانت هذه الرحلات زاداً للكاتبة الكبيرة أضافت إلى خبرتها، حين قرأت عن هذه البلاد، خبرة جديدة وتجارب واسعة زادت خبرتها سعة وتجاربها قوة وحيوية

ونحن نطمع أن تخرج رسالة ضخمة عن هذه الرحلات

وإذا كانت الدكتورة « بنت الشاطئ » بصدد إخراج كتابها « صور من حياتهن » الذى سيظهر خلال هذا الشهر فإننا نتساءل الآن عما تقرأ المرأة !

والواقع أنه ليس هناك أدب نسوى بالمعنى المعروف، وكتابات أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وسهير القلماوى ، . . كلها كتابات مسترجلة ، ليس لها طابع نسوى واضح ، ولا يمكن القول بأنها فى مجموعها . . تكون أدبا نسويا بمعنى الكلمة !

ومن الناحية الأخرى فإن قراءات المرأة فى مجموعها ضعيفة ومشتتة ، والمرأة المصرية المثقفة عندنا فى الواقع لا تقرأ . . إن لم



المسرح المصرى فى عام

للأستاذ علي متولى صلاح

شغلتنا العلة والرحلة عن أن نسجل جهود المسرح المصرى فى العام الماضى ، فقد كان عاماً خصباً موفور الإنتاج كثير النشاط يمتاز امتيازاً واضحاً ملموساً عن الأعوام القريبة السابقة ، ولعل مرد ذلك إلى التنافس القوى الذى احتدم بين الفرقتين اللتين كانتا فرقة واحدة هى « الفرقة القومية المصرية » ثم انقسمت — كما ينقسم كل شىء عندنا — إلى فرقتين هما « الفرقة المصرية » « فرقة المسرح المصرى الحديث »

أما الأولى فقوامها من رجال المسرح الأقدمين ، وأما أخراهما فقوامها شباب جديد يدرجون على المسرح لأول مرة وهم أصحاب مذهب آخر واتجاه آخر يغاير كثيراً ما يذهب إليه رجال الفرقة الأولى

والمسرح هو — كما يعلم القراء — الصورة المهذبة المشذبة للحياة ، وهو أرفع أنواع الفن والأدب ، بل هو على الأصح جماع عدد كبير من الفنون والآداب، فالحديث عنه إنما هو حديث عن الحياة والأدب والفن جميعا ، وأرجو أن يأتى اليوم الذى أرانا فيه نقتتل ونتخاصم ونختلف حول رواية من الروايات كما يفعل الأوربيون فى نواديهم وأحاديثهم وصحفهم

ولقد دأبت الفرقة الأولى — وأعنى بها الفرقة المصرية التى كان يتولى أمرها الأستاذ يوسف وهبى — دأبت كشأنها دائما على تقديم ماخفت مؤونته من الروايات المترجمة التى رآها الناس أكثر من مرة فكان ذلك منها إفلاساً كبيراً وقصوراً معيباً ، اللهم إلا عدداً آخر من الروايات كان الأستاذ يوسف وهبى فيها هو المؤلف والمخرج والممثل جميعاً ! وليس من عجب فى ذلك ولا من غرابة فكلنا يعلم أنه

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد !

نعم . . . كان الأستاذ يوسف وهبى دكتاتورا متصرفا فى كل الأمور ، بل إن دكتاتوريته امتدت فى كثير من الأحيان إلى أعمال بعض المؤلفين الذين تتقطع نياط قلبه دون أن يبلغ شيئا مما بلغوه ، وأشير هنا على سبيل المثال إلى الجرأة التى ارتكبها هذا الرجل فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ على أحمد باكثير ، فقد عدا فيها على المؤلف عدواناً كبيراً وغير شخصية « الحاكم بأمر الله » — كما أرادها المؤلف — من النقيض إلى النقيض ، وحمله من الرأى والفكر مالم يحمله المؤلف ، وقلبه من رجل قوى قادر ذى بطش وذى إرادة وقوة ! إلى رجل ضعيف متهالك مهرج دجال ، ولا ندرى لذلك من حكمة إلا رغبة الأستاذ يوسف وهبى فى أن يظهر على المسرح دائما مهرجا دجالا تفرح العامة لرؤياه وتدمى أكفهم بالتصفيق له !

أما تأليفه فهو مجموعة أمشاج وأخلاط ومسوخ شائهة ! بل هى سوءات لا أدرى كيف يعرضها على الناس ، وأشير إلى واحدة منها مما قدمه فى العام الماضى وهى التى سماها « ٧٠ سنة » فهى فئوس تهوى على عقول النظارة، وهى صخور يجرها من هنا الميكرفون ومن هناك المناظر السينمائية لأنها لا تستطيع أن تنهض منفردة وأن تعيش مستقلة ! وهذا خلط ليس من الفن المسرحى فى شىء ولذلك فقد كان حسناً جدا أن أبعدوا هذا الرجل عن تلك

تسكن تكره زوجها إذا كان يحب القراءة . . — وإذا قرأت فهى تقرأ الاثنين وآخر ساعة والمصور ! . .

ولا نعتقد أن مثل هذه القراءات تكفى لتربية الذوق الفنى أو الأدبى فى المرأة المثقفة !

ونحن نرجو أن يتيح العهد الجديد للمرأة إنشاء أدب نسوى . . له طابعه الخاص . . يجرى مع النهضة الحديثة ! ! ويكون طابع المرأة الجديدة

أنور الجندى

الفرقة.. والله المسئول أن يهيئ لها من أمرها رشدا في عهدها الجديد

وأما الفرقة الثانية — وأعني بها فرقة المسرح المصرى الحديث — فهى مجموعة من الشباب الذين نالوا حظا غير قليل من الثقافة والمعرفة والدراية بشؤون المسرح ، ودرسوا فن التمثيل والإلقاء والإخراج فى المعهد العالى لفن التمثيل ، فكانوا دما جديدا ، وكانوا وثبة جديدة باركناها يوم ظهورها على صفحات « الرسالة »

ولقد سلخت هذه الفرقة عامين من عمرها ، ونهضت فيها نهضة مشكورة ، واستطاعت إلى حد كبير أن تثبت وجودها فى عالم المسرح ، وقدمت للناس عددا لا بأس به بين مؤلف ومترجم من أمثال « مسمار جحا » ، « مريض رغم أنفه » ، « حورية من المريخ » وسواها مما رآه الناس وحمدوا لها حسن اختياره ، فإن اختيار الرجل دليل عقله ، وإن الشاعر القديم ليقول :

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

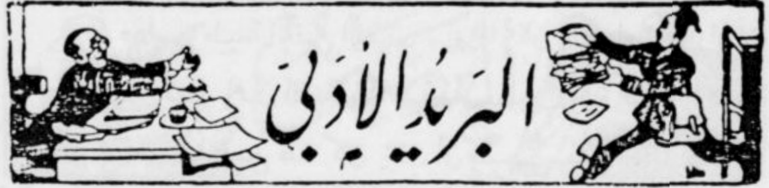
ولكن الحق يقتضينا أن نأخذ عليها أنها قدمت توافه خسيسة ضئيلة القيمة من أمثال « دنشواى الحديثة » ، « كسبنا البريمو » مما سبق أن أفضنا فى الحديث عنه

ولقد استطاعت هذه الفرقة الناشئة أن تصرع الفرقة الأخرى القديمة التى يهيمن عليها الأستاذ يوسف وهبى بهيله وهيلمانه ، وعندنا أن مرد الأمر فى نجاح هذه الفرقة الشابة إنما يعود إلى المجهود الجبار العنيف الذى يبذله الأستاذ زكى طليمات فى إخراج الروايات وتدريب أعضاء الفرقة تدريبا دقيقا على كل لفظة وكل خلجة وكل لفتة يؤدونها ، وأشهد لقد رأيته وهو يتصبب عرقا فى تدريبهم ويبذل فى ذلك جهد المخلص الصبور ، الأمر الذى جعلنا تأخذنا الدهشة والحيرة عندما سمعنا بأمر هذا الانقسام الذى يؤسف له كثيرا بين هؤلاء الأعضاء وأستاذهم زكى طليمات

وليس المقام هنا مقام أن نخوض فى أسباب هذا الخلاف ؛ ولكننا نجد أن تمرد التلاميذ على أستاذهم وخروجهم عليه وتشهيرهم به أمر تأباه الأخلاق الفاضلة ، فما بالك وهو ليس أستاذا عاديا ولكنه أستاذ يبذل لتلاميذه كل جهده ووقته ، وينفق حياته فى إعدادهم وإنهاضهم وإظهارهم للناس فى أحسن صورة ، ويحدب عليهم حدب الآباء على أبنائهم — ونحن نعلم من ذلك الكثير — ثم ينتهى الأمر بهذه النبوة الفاجئة وكيل التهم لأستاذ كان هو لحمة هذه الفرقة وسداها

وعلم الله ما ندافع عن الرجل ما لقيناه وما سمعنا منه كلمة فى هذا الصدد ، ولقد كنا أول من حمل عليه لما اختاره من روايات سيئة ، ولكننا نكون مع الحق دائما ، والحق يقضى هنا بأن نقول إن فرقة المسرح المصرى الحديث يعزى وجودها وكيانها ونهوضها إلى الأستاذ زكى طليمات ، وإن كل تقدم ناله أعضاء هذه الفرقة أو سينالونه فى المستقبل فإنما مرجعه إلى جهود هذا الأستاذ

علي متولي صلاح



ظاهرتان

طلعت علينا الرسالة فى العدد ١٠٠٥ بظاهرتين تستوقفان الأنظار ، فأولاها فى ص ١١٢١ قصيدة بعنوان وحى البردة من أروع الشعر وأعذبه ؛ استوحى فيها ناظمها هدى بردة البوصيرى الخالدة. واسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين. فإن كان ذلك فلا عجب فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نبى البشرية ودينه هو دين الإنسانية.. فللأستاذ ميشيل الله ويردى — خالص الشكر والتقدير والتهنئة .

والظاهرة الثانية ما ذكره الأستاذ على الطنطاوى فى ص١١٠٧ من أن البوصيرى كفر كفرا صريحا يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيمانا — وذلك فى قوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

والأستاذ الطنطاوى فى هذا يتابع محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد — ورمى البوصيرى بالكفر ليس بجيد ! والإنصاف يقتضى بحث ظروف وملابسات البيت المذكور فهو يقع فى أول الفصل العاشر من البردة عند الكلام على هول الزحام، وقد اتفق البخارى ومسلم وكثير غيرهما على حديث الشفاعة الطويل المتواتر وفيه أن الناس تأتى آدم ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد (ص) فيقول أنا لها إلى قوله فيحد لى حدا . فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة (هكذا نص الحديث) فالبوصيرى يريد بكلمة سواك سائر الرسل الذين يستعفون الناس من الشفاعة يومئذ ، وذهاب الناس إليهم كما يدل الحديث ليس بشرك وهذا ما أوجزه البوصيرى فى بيته ، وعبارة يا أكرم الخلق تشعر النصف بشدة الإيمان.. فالخلق لا يوجدهم إلا الخالق سبحانه وتعالى فهو لم يؤله النبي وإنما جعله أكرم خلق الله

واللياذ فى البيت هو الإتيان للاستشفاع الذى ذكره حديث الشفاعة . والحادث العمم هو القيامة بداهة — والاعتراض على البوصيرى هو إنكار لحديث اتفقت الأمة على تواتره ولم يطعن فيه أى محدث.. ونحن الآن فى زمن مادى لا محل لنافية النيل من السلف الصالح، وخيرنا اليوم من يكون فيه نصف صفاء البوصيرى أو ربع يقينه

وختاما أرجو تكرمكم بنشر هذا إنصافا للبوصيرى وبردته المباركة؛ وتبرئة لطائفة كبيرة من الأمة ترمى بالشرك ظلما وعدوانا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد السلام النجار

لازار فى شعر شوقى

جاء فى الشوقية التى لم تنشر لشوقى قوله :

ود «لازار» يوم أحياه عيسى — لو تذوق المنون طعم الفناء

ولا زار اسم عبرى الأصل ، هو اليعازر أو اليعازار ومعناه «الذى يساعده الله» ، وهو بالفرنسية لازار، وبالإنجليزية لازاروس ، وقد حرفه العرب قليلا فقالوا عازر أو عازار، وأورده أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى يمدح بها محمد بن زريق الطرسوسى ومطلعها «هذه برزت لنا فهجت رسيسا » ، إذ قال :

أو كان صادف رأس « عازر » سيفه
فى يوم معركة لأعيا « عيسى »

وحبذا لو استعمله المرحوم أمير الشعراء بهذا الشكل لكان أقرب إلى شكل العرب وإلى أصله العبرى

٢ — فى كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ضبطت قرية « ظبا » الواقعة على ساحل مدين بشمالى الحجاز بالطاء . والصواب كما أعتقد أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء .

وفى الباب ذاته قيل « جبة » عن المنهل المعروف فى شمالى نجد بين « الجوف » و « حائل » . لقد سمعت بنفسى قبائل « شمر » و « الشرارات » القاطنة فى تلك القفار ينطقونه « الجوبة » بالواو والجيم المضمومة . ولما كانت « الجوبة » بفتح الجيم هى الحفرة ، ولما كانت الجبة بعيدة عن المقصود ، إذ لا جواز لأن تكون مؤنث «الجب» (وهو أيضا الحفرة أو البئر الواسع) ، فقد تكون « الجوبة » أقرب إلى الصواب ، والله أعلم

سامى

تحت منظار النقد

نشرت الرسالة فى عددها الصادر فى (٦ / ١٠ / ١٩٥٢) قصيدة ميمية للأستاذ (ميشيل الله ويردى) بعنوان (وحى البردة) .

وقد اضطر الوزن والقافية الشاعر إلى تحريف بعض الألفاظ أو حشوها حشوا بحيث لم تناسب معانيها التى سيقت من أجلها، فالشاعر يقول :

ومن يهم بعظيم يتحد معه فى الرأى والفكر قبل الوسم والأرم

والوسم بمعنى الجمال خطأ وصحتها الوسامة.. كما أن الأرم بمعنى الخلقة خطأ وصحتها الأرم بسكون الراء . (القاموس المحيط)

ويقول الشاعر :

وشرع أحمد بالقرآن وحدكم وجد فى أمركم بالحب والسلم

و (سلم) بالتحريك خطأ أيضا وأصلها (سلم) بكسر وفتح السين وسكون اللام .

ويقول الشاعر :

فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم واربأ بحسنك أن يكمد من سأم

و (يكمد) بتشديد الدال بمعنى (يستحب) خطأ والصحيح يكمد كما فى المصباح المنير

ويقول الشاعر

آياتك الغر إعجاز تنزه عن ند وليس دعى الحب كاللدم

ويقول :

إن كان ينجح طب الناس فى جسد فأنت تفعل بالأرواح كالحسم

ويقول :

فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم والمكر فرقكم فى حومة الجسم

فما معانى : اللدم والحسم والجسم التى يقصدها الشاعر والتى تتناسب مع المعنى ؟ لا أدرى ولا تدرى قواميس اللغة . ولا شك أن القافية قد اضطرت الشاعر إلى حشو هذه الألفاظ . وفى القصيدة هذا البيت :

محمد رد من ضلوا وعلمهم حق النساء اللواتى كن كالرمم

ولا شك أن تشبيه النساء بالرمم شىء لا يقره الذوق السليم . فإن من طبيعة الرمم أن تعافها العيون وتنفر منها الأنوف . وليس هذا من طبيعة الجنس اللطيف . وإذا كان الشاعر قد أراد أن يبين مدى إهمال النساء بالجاهلية وأن يصور النظرة التى كان العرب ينظرونها إليهن فقد كان يجب أن يشبههن بشىء مهمل ولكن ليس قذرا بشعا كالرمم . وكان الأحرى أن يقول :

محمد رد من ضلوا وعلمهم حق النساء اللواتى كن كالبهم

أو كالنعم . فإن العيون لا تأبى أن تقع على البهم كما تأبى أن تقع على الرمم

عبد اللطيف محمود الصعيدى

١ — تصويب

أخطاء فى مقالتى فى العدد (١٠٠٥)

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٠٧	١	٦	وأنه لا يكفى فيه
١١٠٧	١	١٣	وأنه لا يوحى أبدا
١١٠٨	١	٥	(من مشايخ الطرق)
١١٠٨	١	١٧	وهذا كله وإن صح طريقه من أخبار الآحاد لا تثبت به عقيدة . ولا يبنى عليه علم
١١٠٨	٢	١٩	هذا وقد نجمت طائفة

وأخطاء أخرى فى الحروف وعلامات الوقف لا تخفى على القارىء

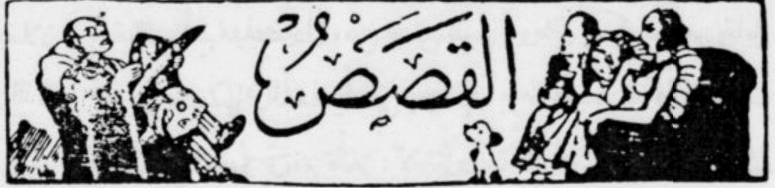
٢ — تصويب

وقع فى قصيدة الأستاذ ميشيل الله ويردى هذه التطبيعات فالرجا من القراء تصحيحها

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٢١	٢	الأخير	ضلوا بدلا من خلوا
١١٢٢	١	قبل الأخير	الدم بدلا من اللدم
١١٢٢	٢	١٤	تنابذهم بدلا من تنازهم
١١٢٢	٢	قبل الأخير	ما الدين بدلا من والدين

شطر (قوم إذا استخصموا) اقتباس يوضع بين قوسين وقد كان هذا التقديم فى مطلع القصيدة فتأخر نشره سهوا

على الطنطاوى



فلوريدور ومرغريت

أقصوصة فرنسية

— أحبك حبا ملأ جوانب نفسي وملك على مشاعرى

— لقد وهبتك قلبي عربونا لحب لا انتهاء له

— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامى تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر المنير ، وهذا الروض النضير ، ويشهد مبدعهما أننى لا أحب سواك ، ولا أقف حياتى إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام فذعر العاشقان وتواعدا إلى الغد . وتسلق الشاب جدران الحديقة العالية وتوارى مبتعدا فى الشارع وهو يناجى نفسه قائلا : من تكون ياترى هذه الفتاة التى تقف حياتها على ، وما أنا إلا ممثل على المسارح العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لى فيها ينم عن محتد رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفى اسمها عنى فقالت : ما دمت فى مدرسة الدير تلميذة أتلقن العلم فما أنا إلا أسيرة لا أملك نفسى ، فاقنع بما أعلنته لك من حبى الآن إلى أن أبرح هذا المكان فأطلعك على الحقيقة وأسلمك يدى أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذى رأى فيه لأول مرة هذه الغادة الفاتنة تطل من نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة الغرام فى قلبه . وتابع السير حتى وصل إلى غرفته الحقيرة حيث تطرح على سريره آملا زيارة طيف الحبيبة فى منامه

وعاد الفتى فى المساء التالى إلى مكان الملتقى ، وبات ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ؛ وعاود الكرة مرارا فما رأى فى جنة غرامه غير أزهارها ، وما نشق غير عبيرها . ومرت الليالى فتيقن العاشق أن سره قد افتضح ، وتأكد أن الحبيبة قد غادرت الدير وعبثا فتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على العاشق أيام ساعاتها أعوام، وهو يشغل نفسه بالتمثيل على المسارح وفى قلبه غصص من تذكارات الفتاة المجهولة

وفى ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور مؤثر فحانت منه التفاتة إلى مقاعد الطبقة العالية ، فرأى حبيبته شاخصة إليه وقد ارتسم الحزن العميق على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف الممثل مشدوها إلى أن نبهه صوت الملقن الذى حسب أنه نسى دوره ، فعاد إلى التمثيل بلهجة ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من يهوى تأثير إلقائه وإيمائه . وما انتهى من التمثيل حتى هرع إلى غرفته مغيرا أثوابه واندفع إلى مدخل المسرح لعله يرى خالبة لبه . فلم يوفق إلى لقائها ؛ وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثا مقابلة الفتاة عند نهاية عمله ، إلى أن دخل عليه يوما وهو فى لجج من الأحزان شيخ مهيب تدل أثوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغربا هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مد يده مصافحا وقال : عفوا أيها السيد ؛ إننى أتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرفى وسعادتى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

— هب أنك أمير ولك ابنة جميلة فى ريعان الصبا وهى وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريسا من أعاظم الدولة تحسده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعددته لها من سعادة فماذا تفعل ؟

— أترك لها الحرية ، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لعلها وهبت قلبها لمن امتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الاقتران بمن تهوى ، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض

— وإذا كان ما تشير به يفوت الإمكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفتاة التى أتكلم عنها هى وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر، وهذا الدوق واقف أمامك الآن، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل شريف ولا ريب، ولكنه ممثل

— فهمت يا مولاى . إن فى تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لعارا تأباه الطبقة المميزة بالألقاب، ولكن ما تعنى بهذا الكلام ؟

— إذا كان الأمر لا يتضح لديك، فهأنذا أصرح . إن الممثل الذى امتلك فؤاد وحيدتى هو أنت، أيها السيد فلوريدور وصعق الممثل وهتف قائلا — أنا ؟

— عفوا، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفسك، ولكننى ألجأ إليك فلا تخيب أملى، فإنك على ما أرى لا تعرف ابنتى وما اجتمعت بها ؛ فإذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى إلزامك بتضحية فلن يصعب الأمر عليك، وعليه يتوقف الإبقاء على شرف اسمى وحياة وحيدتى وهى تعلن أنها لا تريد أن تقترن بغيرك

— وما هى هذه التضحية ؟

— إنك قادر على اقتلاع جراثيم حبك من قلبها

— وبأية طريقة أقتلع ما تسميه جراثيم حبى ؟

— أصغ إلى ... إن وحيدتى لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرتديا أثواب الأبطال تنشد أجمل الأشعار، فمن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليها فى مظهر الرجل العادى، بل الرجل المتهتك السكير البعيد عن كل تهذيب وثقافة، فتتأكد عندئذ أنها عشقت ثوبا، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر فتحتقرك وتشفى من دائها العقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يعتقده الدوق صحيحا من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها، لكان هنالك واجب يسهل القيام به، ولكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه : ولاحت الفتاة الشريفة الرفيعة المحتد لخيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تكاد تنزلق عليه هازئة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمى إليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين ضحيتها والتضحية التى يعرضها أبوها عليه، فإذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلا : لا تتردد، أيها السيد الكريم ! إن ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاء، والد حصر فى وحيدته كل ما فى الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فما أنا إلا شيخ هاو ضعيف، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتى من العار، فلا تدعنى أذهب بواجبى إلى القسوة على ابنتى التى لم يترك لى الدهر سواها

وأدمى كلام الشيخ قلب الفتى، فوعد بالقيام بما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التى ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفى اليوم التالى عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهو الكبير، وها أنذا آت إليه

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصافحه ؛ ثم ظهرت النادة، فقال الدوق :

أقدم إليك، يا ابنتى، الممثل فلوريدور الذى أعجبت بتمثيله وهو من كبار أهل الفن، ولذلك دعوته إلى مائدتنا ولعلك تسرين بذلك

وطأطأ فلوريدور رأسه مفكرا بأية فظاظة يجب عليه أن يبتدئ بتمثيل دوره الذى عاهد الدوق على القيام به ؛ ولكنه مارفع بصره وشهد خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار، وإذ مدت يدها لتصافحه وهى ترتجف من الشوق خيل إليه أنه يلصق شفتيه بشفتيها، ويغرق نور عينيه بأنوار عينيها . والتفت إلى ما حوله فارتعش أمام مظاهر الأبهة والبذخ فى هذه القاعة تقف بينها فتاة حديقة الدير التى أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه ولا ترضى بغيره رفيقا لحياتها، فرأى هاوية سحيقة تنفتح بين رجليه ولاحت له الحبيبة فى معتصم من جبل لا قبل له ببلوغه، وتذكر وعده للأب الشيخ المتوسل الضعيف . فتمالك عواطفه وفيها ثورة وسعير

وجلس فلوريدور إلى المائدة بين الدوق وحبيبته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كان قد ملأ كأسه وأفرغها فى جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلما بلهجة عوام الناس منتخبا ألفاظه السمجة ، وما مرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحملق بعينيه ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأوانى تتحطم بفرقعة أخفت الزفرات التى كانت تندفع من فم شهيد المروءة بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقدعلا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق إلى الفتى قائلا : إن مروءتك تفوق إبداعك فى التمثيل ، لقد جبرت فؤادى الكسير ، دعنى أسد إليك الشكر الذى تستحق . ولكن ماذا أرى .. ما هذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟

ووجم الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ؛ بل اندفع إلى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسلا ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير راهبات الكرمل ، فرأى جمعا محتشدا فى الأسواق المجاورة ، وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا بعربة مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من العربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد المطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله وامرأته لحضور حفلة ابنتهما . .

ولم يقف فلوريدور ليسمع تتمة الحديث ؛ بل اندفع راكضا نحو مسكنه الحقير وهو يقول فى نفسه : أواه ، لقد نجحت فى تمثيلى ، وهذه الحبيبة تتزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها . ويلاه من ظلم الأقدار !

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان غلافا باسمه ، فافتض ختمه وقرأ ما يأتى :

«بالرغم من محاولتك اقتلاع حبك من قلبى لم يزل شخصك نصب عينى ، فلن أنظر إلى غيرك حتى يوارينى رمسى . ما فاتنى الجهد الذى بذلته لإرضاء والدى . فقد كنت أقرأ فى قلبك حقيقة نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك ؛ ولهذا أقسمت ألا أسلم يدى إلى سواك ، ولكنك لن تسلم هذه اليد ، فكل شئ يفصلنى عنك حتى إرادتك . فها أنذى أنخرط فى سلك الرهبنة لأبر بقسم أقسمته أمام الله فى الحديقة بين ذراعيك وأقسمته أيضا وأنت تخنق زفراتك ، وتقضى على كرامة نفسك

« اليوم أتشح السواد ، وأسدل على وجهى النقاب . وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه إلى هذه الحياة ، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتك مرغريت دى بارسلان قد ماتت عن هذا العالم لتحيا بالله ... »

الراهبة إيناس

ف . ف

مطبعة الرسالة



العدد ١٠٠٨ — ١٢٧ لتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٥٣٣

الرواية

تعـــــــــــود



و

الرسالة

تتجـــــــــــــــدد



في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى يناير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1008

Le Caire 27 — 10 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ صفر سنة ١٣٧٢ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

رسالة وجوابها

كتب إلىَّ السيد محمود عبد السيد حمزة يقول :

« سلام الله عليك

قرأت لك (ثورة فيها ريح النبوة) ؛ والحق أنها ثورة مباركة أنعشت لمصر من الآمال ماأذواه العهد البغيض ؛ ولكنك ياسيدى اختتمتها بثورتك على الأحزاب والنواب ومهازل الزعامة

ولما كان لرأيك قدره عندى فهل يا ترى أفهم من كلامك أنك تقر حكم الفرد وأنت الذى فتح باب رسالته على مصراعيه للرأى والمشورة ؟ لا تظلم الأحزاب يا سيدى ولا النواب ، فمنهم من يزكيهم الله . وإذا أخذنا عليهم بعض الأوزار فوزرهم فى عنق من وطد للفساد أركانه . إدع إلى الشورى يا سيدى ولا تيأس ؛ فقدذهب الفساد وعهده ولم يبق إلا الإصلاح فلرأيك قيمته وقدره »

وجوابى عن رسالة السيد الفاضل ، أنى لا أومن بحكم على نظام معين . إنما أومن بأى حكم يقوم بنيانه على الشورى ، وينبسط سلطانه على العدل . وليس للشورى نظام واحد لا يجوز غيره ، ولا للعدالة منهج واحد لا يؤدى سواه . يجوز أن تصدق الشورى على لسان بطانة أو وزارة أو ندوة ، كما يجوز أن تتحقق العدالة على يد إمام أو ملك أو رئيس . إن العبرة بالمعنى لا باللفظ ، وبالروح لا بالنص ، وبالفكرة لا بالصورة . كان على يستشير ، وكان معاوية يستشير ؛ ولكن ابن أبى طالب كان يستشير أهل الذكر من صحابة الرسول ، وابن أبى سفيان كان يستشير أهل المكر من بطانة الملك . وكان عمر بن عبد العزيز يعدل ويظن لتقواه أنه يجور . وكان الحاكم بأمر الله يظلم ويظن لفجوره أنه يعدل

إيتنا بمستبد كعمر أو بمشاور كالرشيد ، نلق إليه مقاليد الحكم ثم نعيش فى ظلال حكمه بنفسه ، أو حكمه بغيره ، كما يعيش البنون فى كنف الأب ، أو المؤمنون فى ظلال الله . أما أن ننقل النظام البرلمانى الأوربى من ورق باللغة الافرنجية ، على ورق باللغة العربية ، ثم نطبقه على أمة ليس لها رأى عام ولا وعى تام ولا إرادة حرة ، فذلك عبث لا ينشأ عنه إلا ملك يقول أنا الدولة وهو كومة من القذر ، وبطانة تقول أنا القصر وهى مجموعة من الفحش ، ووزارة تقول أنا الحكومة وهى عصبة من السماسرة ، وأحزاب يقولون نحن الأمة وهم مناسر من اللصوص ، ونواب يقولون نحن الشعب وهم جماعة من المرتزقة ؛ ثم يوهمون الناس بالقوة أو بالخديعة أن جملة هذه المخازى هى الدستور !

إن الدستور ياسيدى نظام فى ذاته صالح . ولكنه فى مصر حق يراد به باطل ، أو انتخاب مزيف يؤدى إلى حكم مرتج . والناس فى الشرق يعبدون ألفاظ الحرية والوطنية والدستور من غير فهم ، وفى الغرب يعبدون ألفاظ الديمقراطية والإنسانية والعدالة من غير إيمان . وعبادة الألفاظ كعبادة الأشخاص أولها جهالة وجمود ، وآخرها ضلالة وكفر !

لا ينجح الدستور يا سيدى إلا فى بلد يكون أهله جميعا مؤمنين بالله أو مثقفين بالعلم !

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

الحكم الوراثى *

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت وثبة الجيش المباركة إيذانا بنهاية حكم إقطاعى جائر. ظلت مصر السنين الطوال ترزح بسببه تحت أعباء ثقال من العنت والإرهاق والشقاء. وتتجرع كؤوسا فائضات من البؤس والأسى والعناء، ولم تكتب وثبة الجيش المباركة نهاية ذلك الحكم الإقطاعى المنقرض إلا وهى مؤمنة بفساده، وبضرورة هدمه من أساسه، لتقيم على أنقاضه نظاما صحيحا يعتمد على أسس سليمة تحقق الخير للشعب والوطن على السواء

ومن الحقائق التى لا تحتاج إلى نقاش، أن الحكم الإقطاعى المنقرض لم يشد أزره فى الماضى المنصرم سوى نظام الحكم الوراثى، الذى كان شرا كله على مصر وطنا وشعبا، فقد كان يخيل إلى الجالس على العرش أن مصر ضيعة له، وأن شعبها عبيد نعمته، كما قدر له أن يظل فى جبروته مطمئنا، وفى عدوانه آمنا، لا يرهب الشعب ولا يخشى ثورته، لأن الشعب الذى لم يجلسه على العرش لا يقوى على خلعه عنه، ولأن الشعب الذى اغتصبت بلاده لتكون إقطاعية يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، لا يقوى على انتزاع السلطة من المفروضين على حكم بلادهم فرضا

ونظام الحكم الوراثى نظام إقطاعى محض، نكبت به بلاد الشرق، وفى مقدمتها مصر، فقد ظلت الأسرة العلوية تحكمها حكما وراثيا خلال قرن ونصف قرن، فنهبت ما نهبت من خيراتها، وسرقت ما سرقت من أراضيها، وحولت مجرى الثراء إلى أفرادها، حتى بلغوا القمة من الثراء بينما هوى الشعب إلى الدرك الأسفل من الفاقة، ولم تهب لهذا الشعب المغلوب على أمره لحظة من الحرية حتى يرى النور، ولا ذرة من الرخاء حتى يلمس السعادة، لأن الحرية كانت وقفا على الأمراء يجعلون منها حصنا لمجونهم وترفهم وعربدتهم، ولأن السعادة كانت حقا مقدسا لهم وحدهم، ينعمون بها، ويمرحون فى ظلها، ويلتمسون بها حياة الدعة ودنيا الأرستقراطية البلهاء!

واليوم يرقب الشعب المصرى، ويرقب العالم أجمع معه باهتمام ماجريات الأمور فى مصر، وإلى أى نظام ستتجه فى حكمها، ولا يعتقد الشعب المصرى، ولا الدول المخلصة من دول العالم، أن نظام الحكم الوراثى سينال لدى المسئولين شيئا من العطف، وما قام الجيش الباسل بوثبته إلا ليقوض أركان الفوضى التى كانت أثرا من آثاره. لقد كان كل من سبق (فاروقا) إلى الجلوس على العرش طاغية، وسيكون — لا قدر الله — كل من سيخلف فاروقا طاغية أيضا، وكأن مصر لن تتفرغ إلا لمشاهدة الكفاح بين الشعب والطاغية المتربع على العرش، وهى فى مسيس الحاجة إلى الاستقرار لتبلغ المكانة الجديرة بها، وليصل شعبها إلى حيث يعيش كريما أبيا

ولا ريب فى أن القضاء على نظام الحكم الوراثى، خطوة موفقة يرحب بها الإسلام ويفسح لها صدره، لأنه نظام قائم على أسس متراقصة من الباطل، فهو يعتبر الملك فى درجة الآلهة، وأسرته فى منزلة الأحبار والرهبان من أبناء الآلهة، ويعتبر الملك فوق القانون، ويخول لأسرته أن تعيث فى الأرض فسادا دون أن يجرؤ القانون على مجرد سؤالها، وهو نظام يفرض على الشعب الوارث للملك ولو كان مخبولا أو معتوها أو فاجرا أو عربيدا

ولهذا كله ينكر الإسلام أشد الإنكار على هذا النظام المعتل، لأن الإسلام أقوى وأعدل من أن يرضى لإنسان — كائنا من كان — أن يكون فوق القانون، بل إنه يعتبر مسئولية الحاكم أشق من مسئولية العامة، لأنه راع لابد أن يسأل عن رعيته، ولا يعفيه القانون من العقاب ولا أسرته إذا فعلوا ما يستحقون عليه العقاب، وها هو ذا كتاب الله يخاطب محمداً (ص):

..« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد لك علينا نصيرا »

وها هو ذا محمد (ص) يخاطب من حوله فى أحرج ساعات الموت:

« ألا من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد

وها هو ذا (ص) يخاطب أسامة حين جاءه يشفع فى حد من

(*) المقال مقتبس من « كتاب الإسلام والأمن الدولى » للكاتب

حدود الله : .. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها !

والإسلام يعتبر الحكم من حق المسلمين جميعا ، يولون من يرضونه لدينه وخلقه ، ولا يمكن أن يقر احتكار أسرة من الأسر له ، ولم يكن فى استطاعة محمد (ص) أن يؤثر بالخلافة من بعده واحدا من بنى هاشم عصبيته ، بل ولم يكن فى استطاعته أن يوصى بالخلافة من بعده لأى إنسان . ولقد حدث حين عرض الرسول نفسه على بنى عامر أن قال له أحدهم : «أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك . أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء .. »

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى لم يستطيعوا أن يؤثروا بالخلافة من بعدهم أحدا من عصبياتهم ولا أن يفرضوا على المسلمين واحدا من ذوى رحمهم ، لأن إيمانهم يحول دون أن يخالفوا صاحبهم ، أو يحدثوا حدثا فى الإسلام ليشعلو الفتنة . وأى فتنة أكبر من الحكم الوراثى البغيض ، والاستبداد بوضع هو من حق المسلمين على السواء ؟

نعم ، حدث أن أشار أبو بكر على المسلمين بعمر ، كما أشار عمر على المسلمين باختيار واحد من ستة من كبار الصحابة .. مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض ، وهم : « عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام » وأن يشهد الانتخاب عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شئ ، حدث هذا وذاك من أبى بكر وعمر ، ولكن لم يكن إلا من قبيل النصح والإشارة ، لا من قبيل الفرض والإكراه ، ولولا أن أبا بكر لس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان عمر خليفة ، ولولا أن عمر لس الموافقة من المسلمين بالإجماع لما كان واحد من الستة خليفة ، وقد كان يمكن التكلم فى حق أبى بكر وعمر ، لو أن واحدا منهما أوصى بالخلافة لواحد من أبنائه ، ولكن لم يحدث شئ من هذا

لقد زين المغيرة بن شعبة لعمر أن يستخلف ابنه من بعده فأبى وهو يقول : « لا أرب لنا فى أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من بيتى ، إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن كان شرا فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد »

ولقد أشير على كرم الله وجهه وهو يجود بنفسه أن يوصى بالخلافة فقال : « لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر بأمور دنياكم »

أما ماحدث فى عهد معاوية من استبداده بالأمر وجعله وراثيا من بعده ، فلم يكن من الإسلام فى شئ ، وليس من الحكمة الخوض فى هذه المسألة الدقيقة ، وقد يكون معاوية قد تأول فأخطأ ، وقد يكون قد استبد بالأمر دون تأول ، والمهم أن يفهم أن الإسلام يقرر النظم الصالحة ، وليس مسئولا بعد هذا عن استبداد ولاة الأمور ولا يلقى المسئولية إلا على عاتق الرعية المتخاذلة المستضعفة

ولقد كان عمر بن عبد العزيز واحدا من عصبية معاوية ، ولكنه لم يرض عن نظام الحكم الوراثى لأنه لايعتمد على مشورة المسلمين ، وحين آل إليه الأمر بالوراثة صعد المنبر ثم قال :

« أيها الناس ، إنى قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأى منى فيه ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم » فتصارع من بالمسجد وقالوا بصوت واحد : قد اخترناك ياأمير المؤمنين ، ولولا هذا الإجماع فى الرضا ماقبل أن يكون خليفة بالوراثة ، وهو يعلم أن فى الحكم الوراثى خروجا على نظم الإسلام

وبعد — فإن فى استطاعة مصر اليوم أن تتخلص من أوحال الماضى وأوزاره ، ولم يصنع هذه الأوحال والأوزار إلا الملكية ، التى أثبتت خلال قرن ونصف قرن من الزمن أنها أصل الفساد فى كل ما أصاب مصر من التأخر ، وأصاب شعبها من التقهقر ، ولقد كانت هذه الملكية عقبة فى سبيل الإسلام حتى لم يستطع من فوق أرض مصر أن يؤدى رسالته ويجهر بها ، فهى التى قدمت للشعب المصرى المسلم — على أيدى فجرة بعض رجال الدين — إسلاما زائفا هزيلا لا يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة ، إسلاما زائفا هزيلا يترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ويدع ولاة الأمور يستبدون ويفجرون ويبطشون ، ويقنع الشعب بالصبر والمصابرة ، والتسليم والمسالمة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

زوجتي

للأستاذ علي الطنطاوي

قال لي صديق، معروف بجمود الفكر، وعبادة العادة، والذعر من كل خروج عليها أو تجديد فيها. قال:

— أتكتب عن زوجك في الرسالة تقول إنها من أعقل النساء وأفضلهن؟ هل سمعت أن أحدا كتب عن زوجه؟ إن العرب كانوا يتحاشون التصريح بذكرها، فيكنون عنها بالشاة أو النعجة استحياء وتعففا، حتى لقد منع الحياء جريرا من رثاء زوجه صراحة، وزيارة قبرها جهارا. ومالك بن الريب لما عد من يبكى عليه من النساء قال:

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيا

فلم يقل وامرأتي.. وكذلك العهد بآبائنا ومشايخ [(١)] أهلنا. لم يكن يقول أحد منهم: زوجتي؛ بل كان يقول: أهل البيت وأم الأولاد، والجماعة، والأسرة، وأمثال هذه الكنايات. أفترغب عن هذا كله، وتدع مايعرف الناس، وتأتي ماينكرون؟

— قلت: نعم!

فكاد يصعق من دهشته مني، وقال:

— أتقول نعم بعد هذا كله؟

— قلت: نعم! مرة ثانية. أكتب عن زوجتي [(٢)] فأين مكان العيب في ذلك؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة [(٣)] وهي زوج بالحرام، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهي حبيبته بالحلال؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس في الزواج. والعاشق يصف الباطل من محاسن المشيقة فيحبب المعصية إلى الناس؟

إن الناس يقرأون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره، فلم لا يقرأون مقالة واحدة في نعمه وخيراته؟

ولست بعد أكتب عن زوجي وحدها؛ ولكني كما كان هوجو يقول: «إني إذ أصف عواطفي أبا، أصف عواطف جميع الآباء»

* * *

لم أسمع زوجاً يقول إنه مستريح سعيد، وإن كان في حقيقته سعيدا مستريحا، لأن الإنسان خلق كفورا، لا يدرك حقائق النعم إلا بعد زوالها؛ ولأنه ركب من الطمع، فلا يزال كلما أوتي نعمة يطمع في أكثر منها، فلا يقنع بها ولا يعرف لذتها. لذلك يشكو الأزواج أبدا نساءهم، ولا يشكر أحدهم المرأة إلا إذا ماتت، وانقطع حبله منها وأمله فيها؛ هنالك يذكر حسناتها، ويعرف فضائلها. أما أنا فإني أقول من الآن — تحدثا بنعم الله وإقرارا بفضله — إني سعيد في زواجي وإني مستريح

وقد أعانني على هذه السعادة أمور يقدر عليها كل راغب في الزواج، طالب للسعادة فيه، فلينتفع بتجاربي من لم يجرب مثلها، وليسمع وصف الطريق من سالكه من لم يسلك بعد هذا الطريق

أولها: أني لم أخطب إلى قوم لا أعرفهم، ولم أتزوج من ناس لا صلة بيني وبينهم.. فينكشف لي بالمخالطة خلاف ما سمعت عنهم، وأعرف من سوء دخيلتهم ما كان يستره حسن ظاهرهم، وإنما تزوجت من أقرباء عرفتهم وعرفوني، واطلعت على حياتهم

(١) هي مشايخ بالياء، لا مشائخ كما يكتب بعض المتعالمين
(٢) الزوجة من ألفاظ الفقهاء والفصيح فيها الزوج بلا هاء

(٣) من أسرار الذوق في كلام العرب أنهم لا يستعملون في اسم الفاعل إلا المحب (من الرباعي) ولا يستعملون في اسم المفعول إلا الحبيب. مع أن المحب (بالفتح) والحاب صحيحان. ولكن ما كل صحيح فصيح. فليعلم هذا الذين يظنون الإغراب فصاحة والتقعر بيانا

نحن دولة مسلمة، ولا يمكن أن نتهاون في هذه الحقيقة ولو بذلنا آخر قطرة من دمائنا، ومن حق الإسلام علينا أن نجهر بالحق لا نخاف في الله لومة لائم، ومن الحق الذي يجب علينا أن نجهر به اليوم، هو أن الإسلام لا يقر الملكية الوراثية بحال من الأحوال، فليتدبر هذا جيدا المسئولون وغير المسئولين

محمد عبد الله السمان

فى بيتهم واطلعوا على حياتى فى بيتى . إذ رب رجل يشهد له الناس بأنه أفكه الناس ، وأنه زينة المجالس ونزهة المجامع ، وهو فى بيته أثقل الثقلاء . ورب سمح هو فى أهله سمج ، وكريم هو فى أسرته بخيل ، يغتر الناس بحلاوة مظهره فيتجرعون مرارة مخبره . .

تزوجت بنتاً أبوها ابن عم أمى لحا ، وهو الأستاذ صلاح الدين الخطيب شيخ القضاء السورى المستشار السابق والكاتب العدل الآن . وأمها بنت المحدث الأكبر ، عالم الشام بالإجماع الشيخ بدر الدين الحسينى رحمه الله . فهى عريقة الأبوين ، موصولة النسب من الجهتين

والثانى : أنى اخترتها من طبقة مثل طبقتنا . فأبوها كان مع أبى فى محكمة النقض ، وهو قاض وأنا قاض ، وأسلوب معيشته قريب من أسلوب معيشتنا ، وهذا هو الركن الوثيق فى صرح السعادة الزوجية ، ومن أجله شرط فقهاء الحنفية (وهم فلاسفة الشرع الإسلامى) الكفاءة بين الزوجين

والثالث : أنى انتقيتها متعلمة تعلما عاديا ، شيئا تستطيع به أن تقرأ وتكتب ، وتمتاز من العاميات الجاهلات ، وقد استطاعت الآن بعد ثلاثة عشر عاما فى صحبتى أن تكون على درجة من الفهم والإدراك ، وتذوق ما تقرأ من الكتب والمجلات ، لا تبلغها المتعلمات ، وأنا أعرفهن وكنت إلى ما قبل سنتين ألقى دروساً فى مدارس البنات ، على طالبات هن على أبواب البكالوريا ، فلا أجدهن أفهم منها ، وإن كن أحفظ لمسائل العلوم ، يحفظن منها مالم تسمع هى باسمه . ولست أنفر الرجال من التزوج بالمتعلمات ، ولكنى أقرر — مع الأسف — أن هذا التعليم الفاسد بمناهجه وأوضاعه ، يسئ على الغالب إلى أخلاق الفتاة وطباعها ، ويأخذ منها الكثير من مزاياها وفضائلها ، ولا يعطيها إلا قشورا من العلم لا تنفعها فى حياتها ، ولا تفيدها زوجاً ولا أما . والمرأة مهما بلغت لا تأمل من دهرها أكثر من أن تكون زوجة سعيدة وأما

والرابع : أنى لم أبتغ الجمال وأجعله هو الشرط اللازم الكافى كما يقول علماء الرياضيات لعلمى أن الجمال ظل زائل ؛ لا يذهب جمال الجميلة ، ولكن يذهب شعورك به ، وانتباهك إليه ، لذلك نرى من الأزواج من يترك امرأته الحسناء ويلحق من لسن على حظ من الجمال ، ومن هنا صحت فى شريعة إبليس قاعدة الفرزدق وهو من كبار أئمة الفسوق ، حين قال لزوجه النوار فى القصة المشهورة : ما أطيبك حراما وأبغضك حلالا !

والخامس : أن صلتى بأهل المرأة لم يجاوز إلى الآن ، بعد ثمن قرن من الزمان ، الصلة الرسمية : الود والاحترام المتبادل ، وزيارة الغب ، ولم أجد من أهلها ما يجد الأزواج من الأحماء من التدخل فى شؤونهم ، وفرض الرأى عليهم ، ولقد كنا نرضى ونسخط كما يرضى كل زوجين ويسخطان ، فما دخل أحد منهم يوما فى رضانا ولا سخطنا

ولقد نظرت إلى اليوم فى أكثر من عشرين ألف قضية خلاف زوجى ، وصارت لى خبرة أستطيع أن أؤكد القول معها بأنه لو ترك الزوجان المختلفان ، ولم يدخل بينهما أحد من الأهل ولا من أولاد الحــلال ، لانتهت بالمصالحة ثلاثة أرباع قضايا الزواج

والسادس : أننا لم نجعل بداية أيامنا عسلا ، كما يصنع أكثر الأزواج ، ثم يكون باقى العمر حنظلا مرا وسما زعافا ، بل أريتها من أول يوم أسوأ ما عندى ، حتى إذا قبلت مضطرة به ، وصبرت محتسبة عليه ، عدت أريها من حسن خلقى ، فصرنا كلما زادت حياتنا الزوجية يوما زادت سعادتنا قيراطا

والسابع : أنها لم تدخل جهازا ، وقد اشترطت هذا لأنى رأيت أن الجهاز من أوسع أبواب الخلاف بين الأزواج ، فإما أن يستعمله الرجل ويستأثر به فيذوب قلبها خوفا عليه ، أو أن يسرقه ويخفيه ، أو أن تأخذه بحجز احتياطى فى دعوى صورية فتثير بذلك الرجل

والثامن : أنى تركت ما لقيصر لقيصر ، فلم أدخل فى شؤونها من ترتيب الدار وتربية الأولاد ؛ وتركت هى لى ما هو لى ، من الإشراف والتوجيه ، وكثيرا ما يكون سبب الخلاف لبس المرأة عمامة الزوج وأخذها مكانه ، أو لبسه هو صدار المرأة ومشاركتها

الرأى فى طريقة كنس الدار ، وأسلوب تقطيع الباذنجان ، ونمط تفصيل الثوب

والتاسع : أنى لا أكتمها أمرا ولا تكتمنى ، ولا أكذب عليها ولا تكذبنى ، أخبرها بحقيقة وضعى المالى ، وآخذها إلى كل مكان أذهب إليه أو أخبرها به ، وتخبرنى بكل مكان تذهب هى إليه ، وتعود أولادنا الصدق والصراحة ، واستنكار الكذب والاشمئزاز منه

ولست والله أطلب من الإخلاص والعقل والتدبير أكثر مما أجده عندها . فهى من النساء الشرقيات اللائى يعشن للبيت لا لأنفسهن . للرجل والأولاد ، تجوع لنا كل نحن ، وتسهر لننام ، وتتعب لنستريح ، وتفنى لنبقى . هى أول أهل الدار قياما ، وآخرهم مناما ، لا تنى تنظف وتخيط وتسعى وتدبر ، همها إراحتى وإسعادى . إن كنت أكتب ، أو كنت نائما أسكتت الأولاد ، وسكنت الدار ، وأبعدت عنى كل منغص أو مزعج . تحب من أحب ، وتعادى من أعادى . إن حرص النساء على رضا الناس كان حرصها على إرضائى . وإن كان مناهن حلية أو كسوة فإن أكبر مناها أن تكون لنا دار نملكها نستغنى بها عن بيوت الكراء .

تحب أهلى ، ولا تفتأ تنقل إلى كل خير عنهم . إن قصرت فى بر أحد منهم دفعتنى ، وإن نسيت ذكرتنى ، حتى أنى لأشتهى يوماً أن يكون بينها وبين أختى خلاف كالذى يكون فى بيوت الناس ، أتسلى به ، فلا أجد إلا الود والحب ، والإخلاص من الثنتين ، والوفاء من الجانبين . إنها النموذج الكامل للمرأة الشرقية ، التى لا تعرف فى دنياها إلا زوجها وبيتها ، والتى يزهد بعض الشباب فيها ، فيذهبون إلى أوربة أو أميركة ليجيئوا بالعلم فلا يجيئون إلا بورقة فى اليد وامرأة تحت الإبط ، امرأة يحملونها يقطعون بها نصف محيط الأرض أو ثلثه أو ربعه ، ثم لايكون لها من الجمال ولا من الشرف ولا من الإخلاص مايجعلها تصلح خادمة للمرأة الشرقية ؛ ولكنه فساد الأذواق ، وفقد العقول ، واستشمار الصغار ، وتقليد الضعيف للقوى . يحسب أحدهم أنه إن تزوج امرأة من أميركا ، وأى امرأة ؟ عاملة فى شباك السينما ، أو فى مكتب الفندق ، فقد صاهر طرمان [1] ، وملك ناطحات السحاب ، وصارت له القنبلة الذرية ، ونقش اسمه على تمثال الحرية .

* * *

إن نساءنا خير نساء الأرض ، وأوفاهن لزوج ، وأحناهن على ولد ، وأشرفهن نفسا ، وأطهرهن ذيلا ، وأكثرهن طاعة وامتثالا وقبولا لكل نصح نافع وتوجيه سديد . وإنى ما ذكرت بعض الحق من مزايا زوجتى إلا لأضرب المثل من نفسى على السعادة التى يلقاها زوج المرأة العربية (وكدت أقول الشامية) المسلمة ، لعل الله يلهم أحدا من عزاب القراء العزم على الزواج فيكون الله قد هدى بى ، بعد أن هدانى !

دمشق — على الطنطاوى

(١) تعريب ترومان

مع البائسين

عبد الحميد الديب

للأستاذ محمد رجب البيومى

كتبت بالرسالة (٩٥٨) مقالا عن الشاعر البائس المرحوم محمد إمام العبد ، وقد خطر لى أن أتبعه بمقال عن زميله الشاعر البائس عبد الحميد الديب رحمه الله ، وما زلت أترقب فرصة الحديث عن الشاعر حتى سنحت اليوم

وقد لاحظت أن الرجلين متشابهان فى أكثر من وجه ، فكلاهما بائس معدم حاربه الدهر فى رزقه ، ووقف أمامه يسد السبيل عليه إلى الحظوة والسعادة والجاه

وكلا الرجلين شاعر ملهم يصوغ خواطره وأشجانه مستلهما واقع حياته ، وظروف معيشته ، فتأتى قصائده حارة ملتاعة ، تنطق بالكآبة ، وتتسم باللوعة والقنوط

وكلا الشاعرين — رغم فاقته المدقعة — كان مجالا للفكاهة والتندر ، فتارة يبتدع النكتة المرحة ، والملحة العابثة ، وتارة تدور عليه القفشات البارعة ، ويتخذ منه أداة للترفيه ، والترويح فى المجالس والمنتديات

وكلا الشاعرين قد اضطر اضطرارا إلى التجارة بالشعر ، فكان يكتب القصيدة فى أى موضوع يملى عليه ، ويبيعها إلى المتشاعرين نظير مبلغ خاص يرتزق به ، ثم تنشر فى الصحف بعد ذلك ممهورة باسم المشترى المحتال

وكلا الرجلين — أخيرا — دميم الخلقه ، عبوس الوجه ، ممزق الثوب يحمل رائيه على السخرية والعبث به ، لولا ما يرفرف فى أضالعه من روح عذبة لطيفة ، تبعث فى محضرها أنواعا مرحة من الخفة والبشر والابتهاج

نشأ إمام فى كنف عبدين رقيقين ، ونشأ عبد الحميد فى ظل أسرة متوسطة بإحدى قرى المنوفية ، كان عائلها يتاجر فى القطن فأصاب ربحاً جزيلا منه ، ثم عصف به سوء الحظ فتحول إلى المتربة والإدقاع ، وتقلب فتاه معه فى حالتيه ، فرفل فى مطارف النعمة والسعادة حينا ، ثم احترق فى لهيب الفاقة والحرمان حينا آخر . وقد كان هذا التناقض الفاجى فى حياته ذا أثر هام فى شخصيته ، فقد أورثه تناقضا ملحوظا فى طباعه ، فكان سريع الغضب والرضا معا ، يضحك فجأة ويسخط فجأة ، ويمدح ويشتم ، ويتفاءل ويتشاءم ، ويلحد ويستغفر ، كل هذا فى آن واحد ومجلس واحد ، مما جعل أصدقاءه يتقبلونه ويألفونه دون أن يجدوا فيه موضعا للمؤاخذة والعتاب

وقد نشأ إمام العبد فى جيل لا يشجع الأدب والأدباء ، فالأمية فاشية ، والصحافة تسير بخطى متعثرة ، والقراء هم الأدباء أنفسهم ، إلا ما ندر من الأغنياء والموظفين ، لذلك سدت أمامه سبل العيش ولم يجد فى الشعر والأدب متجرا رابحا يدر عليه الرزق والمال !! ولكن عبد الحميد نشأ فى جيل يختلف عن جيل صاحبه ، فقد كثر عشاق الأدب والصحافة ، وأصبح الأدباء يرتزقون بثمرات أفكارهم ، وأسلات أقلامهم . وهنا نجد أنفسنا نواجه سؤالا هاما تتحتم الإجابة عليه ، فهل كان عبدالحميد الديب بائسا حقا ؟ أم أنه قد احترف البؤس احترافا ، وكان فى متناوله أن يصبح سعيدا محظوظا ، كأصدقائه من الكتاب والشعراء ؟ لقد سمعنا كثيرا ممن يبكون عبد الحميد ، يتحسرون على شبابه الضائع فى أمة لا تقدر الأدب ، ولا تعترف بالمواهب ، فهم ينحون باللائمة على مجتمع يهمل النابغين ، ويحتقر المواهب والكفايات ! !

سمعنا ذلك ، وقرأناه مرات ومرات ، ولكننا قرأنا بمجلة الرسالة (٧٩٦) رأيا آخر للكاتب الفاضل الأستاذ عباس خضر ، يتهم به الشاعر باصطناع البؤس واحترافه ، ويدفع عن مصر ما ينسب إليها — ظلما — من احتقار المواهب والنبوغ ، وسننقل هنا خلاصة هذا الرأى الفريد ، ثم نعقب عليه بما نراه :

قال الأديب البارع الأستاذ عباس « إنما يأتى البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس ما يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، إذ كان من العفاة السائلين ، وكثيرا ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات فى التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعى

إلى التحرير بالصحف والمجلات ، فكان يبدأ العمل ، وينقطع عنه بعد قليل ، وفى بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدما ثم يذهب ولا يعود »

ويقول الكاتب الفاضل بعد كلام طويل يدور حول ذلك « هذه هى الحقيقة فى حياة عبد الحميد كما يعرفها خلطاؤه ، لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ، فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان يصنع البؤس صنعا ، كان يحصل على المال فيبذره تبذيرا فى أدنأ الوجوه ، وأقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى ، بصنيعه ، وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ، ليكون بائسا حقيقيا ، وكان لا يتحرج من أى وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أى شتم ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه ، فعلى الناعين على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه أن يلتمسوا المثال فى غير عبد الحميد الديب ، ويعفوا التاريخ من التزوير والتزييف »

هذا هو رأى الأستاذ عباس خضر ! ونحن نخرج منه بنتيجتين ، أولاهما أن المجتمع المصرى قد قدر الشاعر ، وفتح له أبواب الرزق فسدها بيديه . وثانيهما أن الديب قد اصطنع البؤس اصطناعا وكان فى مكنته أن ينعم بالمال والسعادة ، لو سلك الطريق القويم ! !

ونحن نوافق على النتيجة الأولى ، فنبرئ المجتمع المصرى من احتقار المواهب ممثلة فى الديب ، فقد مهد للشاعر سبيل الرزق ، وأعد له الوظيفة اللائقة ، ومنحه الزملاء والأدباء ما يكفيه من المال لو اعتصم بالحكمة والسداد . هذا حق لا مرية فيه ، وعلى الناعين على الوطن إهماله وجحوده أن يلتمسوا المثال فى غير الديب كما يقول الأستاذ عباس — كأن يلتمسوه مثلا فى إمام العبد ، الذى نشأ فى جيل غير جيل عبد الحميد ، فكابد من الجوع والحرمان ما أورثه التعاسة والشقاء ! !

أما النتيجة الثانية ، فسنخالف فيها الكاتب مخالفة صريحة ، فقد كان الديب ملتاث العقل ، لا يعى ما يصنع ، بل تضيق به نفسه ، فيترك الوظيفة ، ويهيم على وجهه دون أن يستمع إلى منطق أو تفكير سليم ، وهذا الذى لا يملك زمام نفسه . بل يهوى به الشرود والذهول إلى هوة مؤلمة ، فيمزق ثوبه وحذاءه ، ويترك الغبار على رأسه الأشعث ، ووجهه الشاحب ، وأسنانه الصفراء ، ثم يرسل الضحكات بلا مناسبة ، ويرفع الصوت عاليا دون مبرر ، ويبكى ويضحك فى آن واحد ، هذا الذى يفعل ذلك كله ، لا يكون ممتعاً بقواه العقلية حتى يصنع البؤس ويحترفه ، وكل ما يقال عنه أنه تائه شريد ، لا يعى مصلحته ، ولا يقدر نفعه ، فهو — إذن — جدير بالرحمة والإشفاق

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ، ويتخيره عن روية وتفكير ، ما دفع به الحظ التعس إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فيقضى شهورا مؤلمة بين عالمه الطبيعى المزدحم بالممرورين والمجاذيب ، ولكنه جن جنونا حقيقيا ، فانحدر إلى هذا المهوى السحيق

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ما قضى شهورا مريرة فى السجن ، تكتنفه الظلمات ، وتتغشاه الغياهب ، ويجاور السفلة من المجرمين والأوغاد ، ويقول عنهم فى حنق وأسف :

بنو آدم من حولنا أم عقارب لها فى الحشا قبل الجسوم دبيب
لقد كنت فيهم يوسف السجن صالحا
أفسر أحلاما لهم وأصيب

لو كان الديب يصنع البؤس عامداً ، ماقطع الليالى الباردة فى زمهرير الشتاء ، هائما فى الطرقات ، تتقاذفه الشوارع والأزقة ، وينهمر المطر غزيرا فوق رأسه ، وترتعش أضالعه ، وتصطك أسنانه كالمقرور ، ولا يدرى أين يذهب ويلتجئ ، حتى يسمع صوت المؤذن فى الفجر ، فيعلم أن المساجد قد فتحت أبوابها للتائبين ، فيهرع إليها محتميا بجدرانها من السيول الدافقة ، ويجد نفسه مدفوعا إلى الصلاة بدون رغبة سابقة ، فيقول :

إذا أذنوا للفجر قمت مسارعا إلى مسجد فيه أصلى وأركع
أصلى بوجدان المرائى وقلبه وبئست صلاة يحتويها التصنع

لو كان الديب يصنع البؤس عامدا ، ما ترك دار العلوم دون أن يتم سنواتها الدراسية ، وقد كان قريباً من مؤهلها الذى يضمن له الهدوء والاستقرار ، دون أن يتساقط على الفتات

لو كان يصنع البؤس عامدا ، ما كابد هذه الشرور والأهوال ، ولكنه ذو عقل ملتاث يدانيه من المخاطر ، ويباعده عن الأمن والاطمئنان ، وأمثاله كثيرون ممن تضج بمآسيهم الحياة ، ولا يجدون الراحة فى غير المقابر الحالكة ، بعد أن يطوفوا طويلا بالسجون والمستشفيات ؟! أليس هو القائل :

جوارك يا ربى لمثلى راحة تخذنى إلى النيران لا جنة الخلد

فماذا بعد الحنين إلى الموت والفزع من الحياة ؟!

ولم يكن جنون الديب دائما ، بل كان متقطعاً يواتيه الفينة بعد الفينة ، وبذلك استطاع أن ينظم الشعر الرائع ، وأن يخلد ذكره بين الأدباء ، كما خلد المجنون الأكبر قيس حديثه بين العشاق ونحن لا نستطيع أن نحكم على شعره حكما صادقا صريحا ، لأن عبقريته الفائقة تجلت فى أهاجيه المريرة اللاذعة ، وهى لم تنشر على الناس فى كتاب ، ولا يسمح من يحفظها من أصدقائه بتدوينها فى صحيفة أو كتاب ، لبشاعة ما تحمل من التجنى ، والإسفاف . فكيف نحكم عليها وهى لا تزال فى طى الكتمان ! على أنى قرأت كثيرا مما نظمه فى بؤسه وحرمانه ، فوجدته يتمتع بسلاسة اللفظ ووضوح المعنى ، وصدق العاطفة ، وكان يصور شجونه كما ترتسم فى نفسه ، دون أن تتعمق به الفكرة أو يطير بجناحه الخيال ، وإنما يقتصر على الوصف الصادق ، لشعوره المتألم ، وإحساسه الملتاع ، كأن يقول :

أفى غرفتى يارب أم أنا فى لحدى   ألا شد ما ألقى من الزمن الوغد

فأهدأ أنفاسى تكاد تهدها   وأيسر لمسى فى بنايتها يردى

تراني بها كل الأثاث ، فمعطفى   فراش لنومى ، أو وقاء من البرد

أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها   فأرجله أمضى من الصارم الهندى

تحملت فيها صبر أيوب فى الضنى   وذقت هزال الجوع أكثر من غاندى

أو يقول :

أرى الحوادث آسادا مقذفة   على دون الورى تعدو وتقتتل

فكم تصوح عودى بعد نضرته   وكم خبا فى دياجى عمرى الأمل

كأن حظى رحيق الدهر يشربها   بكرا معتقة ، فالدهر بى ثمل

إذا تطلبت عيشى مت من كمد   وإن تطلبت حينى يبعد الأجل

جوعان ، يا محنة أربت على جلدى   كأن ليلى بيوم البعث متصل

أو يقول :

أذله الدهر لا مال ولا سكن   حتى تزيد على أنفاسه المحن

إذا سعى لجميع الأرض قبلته   وإن أقام فلا أهل ولا وطن

مهاجر بين أقطار الأسى أبدا   كأنه بيد الأرزاء مرتهن

كأنه حكمة المجنون يرسلها   بغير وعى ، فلا تصغى لها أذن

هذه بعض النفثات الحارة التى نفس بها الشاعر عن صدره ، وهى قريبة من نفثات إمام العبد التى نشرنا بعضها بالرسالة . والشاعران كما يلاحظ القارئ متماثلان فى الغرض والمعنى والصناعة ، ولكن بيئة إمام الشعرية لم تكن تسمح بالابتكار والتنوع ، كما سمحت بهما بيئة الديب ، فقد وجد من شعراء عصره ونقاده ، عمالقة موهوبين ذهبوا بالشعر مذاهب مختلفة ، وفتحوا له آفاقا شاسعة رحيبة . وطبيعى أن يتأثر بما يقرأ ويسمع ، لذلك نجده يجنح إلى الشعر التحليلى فى قصائده التى نشرها بالمقتطف ، كما يميل إلى الشعر القصصى فينظم منه قصيدتيه : « أحزان الأسد » ، « ووفاة القمر » وفيهما طرافة وأناقة فى المعانى والأساليب . وقد وفق توفيقا بارعا فى قصيدته « غنى الجار » فجاءت مثالا جميلا للتصوير الصادق ، الموشى بحلة زاهية من الأناقة والسلاسة . وقد تغلغل الشاعر إلى أعماق جاره الثرى الشحيح فرسم كبرياءه وغروره ، وصور اشمئزازه المفتعل ، وتعاليه الوضيع ، وأضفى على أولاده من البهجة والأنس أفوافا ناضرة ، ثم انحدر به إلى أسفل دركات الإنسانية ، حين جعله يجثو ذليلا ضارعا ، أمام دريهمات حقيرة ، يستلها من جيب مفلس محتاج !! وقد بلغت خطراته الشعرية من الجودة مبلغا رائعا ، وهى جديرة بأن تكون ختاما طيبا لهذا المقال

قال المرحوم عبد الحميد الديب :

على القرب منى كنز قارون مائلا   ولما أنل منه سوى حرقة اليأس

تكبر فالألفاظ منه إشــارة   كأن عباد الله طرا من الخرس (١)

وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه   كنفخة ذى جاه رفيع من الفرس

له أسرة كالروض زهرا وصادحا   فمن شامها ألفى ملائك فردوس

بنون بنـات كالورود ملابسا   يمرون كالإصباح معتدل الطقس

يمر على سكناى فى ذيل بيته   مرور عيون الموسرين على الفلس

صحــوت على قصف الرياح وصونه   وما أحدث الطرق الشديد من الجرس

يطالبنى بالأجر فى غيظ بائع   تصيده المحتال بالثمن البخس

وأسمعته صوت الدراهم فانحنى   يقدم أعذار اليهود من الوكس

وأخضع فقرى كبره وزراءه   وأى غنى للحر غير غنى النفس

أبو تيج **محمد رجب البيومي**

(١) ألفت القراء إلى جمال التصوير فى هذا البيت

تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة يثير اسمها فى نفوس المصريين ذكريات وشجونا

وأمة كان لها فى التاريخ صولة وجولة وكان لها مركز عظيم ومقام كبير، ثم دار الزمن دورته فدالت دولتها وهانت وذلت إلى أن أصبحت كرة فى يد اللاعبين من أمم الغرب

وكان ساسة أوربا يتحدثون عنها طوال القرن التاسع عشر وينعتونها باسم الرجل المريض (المحتضر)

إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠ فنهض بطل من أبنائها وقائد من قوادها هو مصطفى كمال أتاتورك فأعاد إليها مجدها ورد إليها روحها وبث فى أبنائها قوة وعزة فوقفت من جديد على أقدامها

لكن تركيا الحديثة اتجهت فى سياستها اتجاها جديدا؛ فولت وجهتها شطر أمم الغرب وحاولت أن تقطع صلتها بالشرق: عمدت إلى أزيائها فغيرتها وإلى مألوف عاداتها وتقاليدها فبدلتها.. وحتى الدين لم تحرص الدولة على أحكامه ولم يعد دينها الرسمى

لقد وقع أتاتورك فى خطأ جسيم إذ اعتقد أنه ما أصاب تركيا من ذل وهوان وضعف واضمحلال إنما يرجع فى أساسه إلى الخلافة، وفات هؤلاء أن فساد الخلفاء لا يرجع إلى فساد الدين وإنما يرجع إلى أشخاص الخلفاء؛ وأن ضعف الخلفاء ليس مصدره الدين وإنما مصدره انحراف الخلفاء عن كنه العقيدة وعما يأمر به الدين. وهكذا وقع الكماليون فى الخطأ.. ولكن الأتراك وإن أطاعوا ظاهريا إلا أنهم احتفظوا بعقيدتهم سليمة كما وضح لنا أخيرا

وقطعت تركيا علاقاتها بالدول الشرقية إذ أرغمت بسبب هزائمها فى الحرب العالمية على أن تنسحب من الدول الشرقية: من مصر وبلاد العرب وبلاد العراق وفلسطين والشام وغيرها. وقد اعتقد الأتراك خطأ أنهم قد نزلوا عن عبء باهظ كانوا يحملونه، والحقيقة أن هذه الأمم قد تنفست الصعداء حين زال عنها الكابوس التركى

لقد نظرت هذه الأمم إلى علاقتها الماضية بتركيا وإلى تاريخ الحكم التركى فلم تجد فيه شيئا يسر أو يرضى. لقد قام الحكم التركى على الاستغلال والظلم. والطغيان والاستبداد. لقد كان الحكم التركى يهدف أولا وأخيرا إلى جمع المال لينفق على موائد الخلفاء وفى ترفهم ولهوهم. وكان المال يجمع بطرق وحشية فيها غلظة وفيها تعذيب وفيها جلد وحبس الخ

ولم يكن الأتراك يهتمون بإصلاح حال رعاياهم ومن ثم شلت كل حركة للإصلاح وكانت جناية الأتراك على الشرق فظيعة قاسية

وانزاح الكابوس التركى ولكنه ترك وراءه أمما ضعيفة لم تستطع أن تدافع عن كيانها، ومن ثم سقطت هذه الأمم فى يد الدول الأجنبية فوضعت العراق وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزى، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى، وأما مصر فكانت تحت الحماية البريطانية!! وهكذا كانت جناية الأتراك على الشرق

على أن هذه الأمم جاهدت الاستعمار والمستعمرين وظفر بعضها باستقلاله كاملا وما يزال البعض الآخر يجاهد فى سبيل استكمال أسباب استقلاله وسيادته عن قريب سيزول بأمر الله كل أثر للاستعمار البغيض فى الشرق

وقد كان يحز فى نفوسنا نحن المصريين ما كان يترامى إلى أسماعنا من أن تركيا تعارض فى جلاء القوات البريطانية عن أرضنا باعتبار أن مصر قاعدة ضرورية لحماية ظهر تركيا. وقد كان ذلك يؤلمنا أشد الألم، فقد كنا نتوقع أن تقف تركيا فى صفنا لا ضدنا، وكنا نتساءل إذا كانت تركيا ترغب فى أن يحمى الإنجليز أرضها فلما لا تسمح لهم باتخاذ قاعدة فى بلادها وحينذاك يكونون أقرب إلى حمايتها وأسرع إلى نجدتها وإنقاذها؟

وقد حدثتنا الصحف أخيرا أن تركيا تتجه الآن فى موقفها السياسى إزاء مصر اتجاها جديدا يهدف إلى تأييدها فى طلب الجلاء الناجز عن أرضها واعتبار القاعدة الإستراتيجية فى منطقة القنال قاعدة ثانوية.. وكانت تعتبر من قبل ضرورية لحماية ظهر الجيش التركى

ونحن نحمد لتركيا أن تعدل من سياستها وأن تقف بجانب أخواتها المكافحات فى سبيل الحرية فإن ذلك خير لها وأجدى

وجدير بى أن أذكر أن سياسة تركيا الخارجية إنما يمليها عليها موقعها الجغرافى، فهى تقع فى ملتقى قارتين، أوربا وآسيا، وتفصل بين بحرين، البحر الأبيض والبحر الأسود، وتصل ما بينهما بواسطة

بحر مرمرة وبوغازى الدردنيل والبسفور وبحر إيجه .

وقد نشأ عن هذا الموقع عدة مشا كل أهمها مشكلة البوغازات وما عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

فأما مشكلة البوغازات فأساسها سيطرة تركيا على بوغازى الدردنيل والبسفور وتحكمها فى الملاحة بين البحرين الأسود والأبيض ، ذلك أن روسيا لها شواطىء على البحر الأسود وهى تسعى دائما للوصول إلى البحر الأبيض ، وسفنها مضطرة إلى أن تمر ببوغازى الدردنيل والبسفور الواقعين فى يد تركيا ، وهكذا كانت السفن الروسية ولا تزال تحت رحمة الدولة المسيطرة على البوغازات ، ومن هنا نشأ الخلاف بين تركيا وروسيا وقامت بينهما الحروب

وفى سنة ١٨٠٩ كانت إنجلترا تناصب نابليون سيد أوربا العداء وفى الوقت نفسه كان نابليون حليف روسيا إذ ذاك ، وكانت الحرب قائمة بين روسيا وتركيا ، ومن هنا قامت صداقة بين إنجلترا وتركيا إذ كانتا عدوتين لروسيا ونابليون، فوقعت تركيا وإنجلترا معاهدة سنة ١٨٠٩ عرفت باسم معاهدة البوغازات ، وأهم مافيها أن تغلق تركيا البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية، ومن البديهى أن المقصود بالسفن الأجنبية انما السفن الروسية ، إذ ليس ثمة صالح لإنجلترا أن تدخل البوغازات

وقد انتهت حروب نابليون بهزيمته ، وقام تحالف إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ولكن معاهدة البوغازات ظلت قائمة

وفى سنة ١٨٣٠ قامت الحرب بين محمد على وتركيا ، وتدخلت روسيا للدفاع عن عدوتها التقليدية تركيا ضد محمد على ، ودبت عقارب الشك فى نفس إنجلترا فتدخلت وانتهى الخلاف بين محمد على والسلطان سنة ١٨٤١ ونصت المعاهدات الدولية على الاحتفاظ بالمبدإ السابق فى معاهدة البوغازات

وفى سنة ١٨٥٣ قامت حرب القرم بين روسيا فى جانب ، وتركيا وإنجلترا وفرنسا فى جانب آخر ، وقد انتصر الحلفاء ضد روسيا. وفى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ تقررت حيدة البحر الأسود ومنعت روسيا من إقامة حصون عليه وحرم عليها أن يكون لها به سفن حربية ، وتقرر الاحتفاظ بالمبدإ السائد فى معاهدة البوغازات وهو إغلاق البوغازات فى وجه السفن الحربية الأجنبية

ولكن روسيا مزقت نصوص المعاهدة فى سنة ١٨٧٠ منتهزة قيام الحرب بين فرنسا وألمانيا ، وفى سنة ١٨٧٧ قامت الحرب بينها وبين تركيا وتدخلت إنجلترا وأنذرت روسيا بأنها إذا هاجمت القسطنطينية عاصمة تركيا فستضطر إلى التدخل ، وأذعنت روسيا لتهديد إنجلترا ووقعت مع تركيا معاهدة سان استفانو التى عدلت فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وعقدت معاهدات احتفظ فيها بمبدإ إغلاق البوغازات فى وجه السفن الأجنبية

وقد مزقت هذه المعاهدة أملاك تركيا فى أوربا ، فقد استقلت عنها رومانيا والجبل الأسود والصرب (يوغوسلافيا) ونالت بلغاريا استقلالا ذاتيا واسع النطاق، واستولت إنجلترا على قبرص وأخذت روسيا قارز وباطوم ، وكان اليونان قد حصلت على استقلالها منذ سنة ١٨٢٩ ، وهكذا تحطمت الإمبراطورية العثمانية فى أوربا وجثمت الدول الأوربية الكبرى على صدر تركيا

أحفظ ذلك تركيا فلجأت إلى ألمانيا وقامت بينهما علاقات صداقة، وقد وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب العالمية سنة ١٩١٤ — ١٩١٨

ولما هزمت ألمانيا وحلفاؤها مزقت الدول المنتصرة أملاك تركيا خارج أوربا ، بل إن أراضى تركيا نفسها كانت موضع النهب والتنافس بين الدول العظمى والدول الصغيرة ، ولولا أن الله بعث لتركيا مصطفى كمال لضاعت إلى الأبد

وفى خلال الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ وقفت تركيا على الحياد فأفادت من ذلك كثيرا : أولا استطاعت أن تقوى جيشها وأن تجعله مستعدا للدفاع عن أراضيها إذا تعرضت لخطر . ثانيا : جنب هذا الحياد تركيا ويلات الحرب وكوارثها ، وما الحرب فى هذه العصور إلا الدمار والخراب والفناء والبؤس والشقاء

وقد أعلن تشرشل منذ أيام أن العامل الوحيد فى منع قيام الحرب الثالثة . هو الخوف من ويلات الحرب . وها نحن نرى بأعيننا آتون الحرب الملتهبة فى كوريا ونلاحظ أن الدول تلقى فيه من الوقود بقدر مخافة أن تزداد النار اشتعالا فتلتهم العالم كله .

من أدب التاريخ

أبو مروان الخرائطى

للأستاذ محمود عزت عرفة

فى عام ٢٢٩ من الهجرة حبس الخليفة العباسى الواثق كتاب دولته وألزمهم مغارم جسيمة ، متهما إياهم بالخيانة واحتجان المال

وكان بين هؤلاء : أحمدبن إسرائيل ، وسليمان بن وهب كاتب إيتاخ القائد ، وأخوه الحسن بن وهب ، وأحمد بن الخصيب ، وإبراهيم بن رباح ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن خالد الملقب بأبى الوزير .

وقد تولى تدبير هـذا الأمر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق . وكان ابن الزيات — على رجاحة عقله ووفور علمه وأدبه — ينطوى على أبلغ ماتنطوى عليه جوانح رئيس من القسوة والظلم والاعتساف

وكان سليمان بن وهب من أشد هؤلاء المنكوبين تعرضا للأذى ، وإن كان قد خلص بنفسه من العطب تحت شروط ثقال

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية انقسمت الدول المتحالفة إلى كتلتين: إحداهما شرقية تتزعمهاروسيا، والأخرى غربية تتزعمها أمريكا وانجلترا . ولما كانت روسيا تطمع دائما فى الاستيلاء على القسطنطينية والبوغازات لتتمكن من الوصول إلى البحر الأبيض ، ولما كان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا فقد انضمت تركيا إلى المعسكر الغربى حرصا على سلامتها

ولكن خوف تركيا على سلامتها يجب ألا يدفعها إلى الوقوف فى وجه الأمانى القومية المصرية؛ فهناك القاعدة البريطانية العسكرية فى قبرص وهى قريبة منها ، وقد أخذت إنجلترا قبرص من تركيا سنة ١٨٧٨ نظير تعهدها بالدفاع عن أراضيها

للبحث صلة أبو الفتوح عطيفة

ارتضاها وأقر بها . ويسجل الطبرى ذلك فى تاريخه فيقول : (١)

« أمر الواثق بحبس سليمان بن وهب كاتب إيتاخ ، وأخذه بمائتى ألف درهم — وقيل دينار — فقيد وألبس مدرعة من مدارع الملاحين ، فأدى مائة ألف درهم . وسأل أن يؤخر بالباقى عشرين شهراً ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، وأمر بتخلية سبيله ورده إلى كتابة إيتاخ ، وأمره بلبس السواد » .

وروى القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) ، بإسناد إلى سليمان بن وهب نفسه ، قوله : (٢)

« كنت فى زمن محمد بن عبد الملك فى أيام الواثق لما صادرنى عن كتابة إيتاخ على أربعمائة ألف دينار ، وقد أديت منها مائتى ألف ونيفاً . فاستحضرنى يوماً وطالبنى بالباق ، وحدنى فيه وأرهبنى ، ولم يرض منى إلا أن أجبت أن أؤدى خمسين ألف دينار قاطعة للمصادرة ، على أن يطلق ضياعى . . »

* * *

جلس محمد بن عبد الملك الزيات يوماً يجد فى مطالبة هؤلاء المنكوبين ويمعن فى إرهابهم واحداً بعد الآخر . فلما كانت نوبة سليمان أعاد عليه المطالبة وأغلظ له فى القول ، وسامه أن يقر كتابة بقدر من المال جسيم . وقبل أن يأخذ خطه بما قرره عليه خرج من دار الحرم خادم صغير ودس فى يد الوزير رقعة مكتوبة ، فلم يستوعب بنظره كلماتها حتى نهض فى إثر الخادم معجلا

وكان بين الحاضرين الحسن بن وهب أخو سليمان ، وهو لا يزال موضع رضا الوزير ، وإن كان ليخشى أن يتحدث إليه فى شأن أخيه فهو يشهد مايجرى عليه وقد انطوت نفسه على أسف بالغ وأسى كظيم

. . كان قصارى جهد الحسن إذ حضر مجلس المطالبة — وهو يحضره غالباً بحكم موضعه من خدمة الوزير — أن يستقبل أخاه بنظرات التشجيع ، ثم يشيعه وهو خارج يجر قيوده بنظرات ملؤها الأسف والإشفاق

ولكن الحسن فى ذلك اليوم كان على غير عادته ، يلوح كمن يسر خبراً مفرحاً تكاد تنطق به قسمات وجهه . ولعل أخاه على

(١) الطبرى : ج : ١١ — ص : ١٢

(٢) الفرج بعد الشدة . ج ١ — ص : ٩٦

شغله الشاغل بنفسه استشف من ذلك شيئا ، فبادله نظرات خفية فيها الحيرة وفيها التساؤل . ولم يمتد هذا الموقف بالأخوين كثيراً ؛ فقد انتهز الحسن فرصة تغيب الوزير بدار حرمه وألقى إلى سليمان برقعة لطيفة استقرت فى حجره ، فراح يلمسها بأنامله فى اضطراب ثم بسط ثناياها وقرأ هذه العبارة بخط أخيه : « جاءنى الخبر الساعة من دارك أنك قد رزقت ابنا ، خلقا سويا ، وهو جسم بغير اسم . فما تحب أن يسمى ويكنى ؟ »

واتجه سليمان بنظره إلى ناحية أخيه ثم همس : عبيد الله . . أبو القاسم !

وسرت فى سليمان منذ هذه اللحظة روح جديدة ، وتداخله بما قرأ سرور وقوة نفس . وفى حلم خاطف من أحلام اليقظة رأى ابنه طفلا رضيعا ، ثم غلاماً ، ثم فتى يافعا ، ثم رجلا قوى الأسر كامل النفس موفور الحلم ، يتبوأ المناصب الخطيرة ، ويشد من أزر أبيه بماله وبجاهه

وعاد الوزير بعد حين إلى مجلسه فأمسك قليلا ، ثم أقبل يعيد المطالبة على سليمان ، ويريده أن يوقع على مارضى الإقرار به . فما أدهشه إلا أنه يرفض مرة ، ويستمهل أخرى ، ثم هو فيما بين ذلك يجادل ويدافع ، ويدلى بالحجة وراء الحجة . .

كان سليمان بحال من انبعاث النشاط وتجدد الأمل لم يخطر للوزير أن تسكون . فانعقد لسانه من فرط البغتة ، وأقبل يرمق سليمان فى حيرة وإنكار ، ثم قال له :

— يا أبا أيوب ، ماورد عليك بعدى ؟ أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ماخلفتك منذ ساعة !

فأجاب سليمان : ماورد على شىء !

قال الوزير : والله لئن لم تصدقنى لأوقعن بك من العذاب مايستخرج منك الحق واضحا

فقال سليمان فى غير مبالاة : ماعندى ما أصدقك عنه

ونظر الوزير إلى الحسن بن سهل وقال : لتخبرنى بشأن أخيك

ولم يطل بالحسن التفكير ، فقد كان يعلم من عسف الوزير ومن زعارته أضعاف ما يترامى علمه إلى سائر الناس : فأخبره بالحديث على وجهه حتى سكنت نفسه ، ثم قال :

— أتدرى لأى شىء قت أنا ؟

— قال : لا

— قال : كوتبت بأن ولدا ذكرا سويا قد ولد لى ، فدخلت فرأيته وأسميته باسم أبى ، وكنيته بأبى مروان !

وبرقت فى ذهن سليمان خاطرة ، لم يلبث معها أن نهض إلى موضع الوزير ، فأكب على يديه ورجليه ، وأقبل يهنئه بكلمات رقاق ، ويدعو له ولمولوده ، ثم قال :

« أيها الوزير ، هذا يوم مبارك ، وقد رزقت ابنا . فارحمنى وارع سالف خدمتى لك ، واجعل ابنى موسوماً بخدمة ابنك ، يسلم معه فى المكتب ويتعلمان وينشآن فى دولتك فيكون كاتباً له »

ولم يكن محمد بن عبد الملك ممن يطبيهم مثل هذا الحديث . . كان فى قلبه لدادة وقسوة وجنوح إلى العسف والانتقام ، مما جعل شعاره الذى لا يخل به ، قولته المشهورة : «الرحمة خور فى الطبيعة» فلم يزد على أن تشظت عروق جبينه قسوة وحرداً ، ثم قال :

— يا أبا أيوب ، أعلى تجيز هذا ؟ وإياى تستغر وتخاتل ؟ قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة . . ورجوت فى نوائب الزمان وقلت : أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى حتى يطلب منه الإحسان والفضل . فإنى أستحلفك بالله وأحرج عليك ، إن بلغ ابنك هذا المبلغ ، إلا وصيته إن جاءه ابنى لشىء من هذا ، ألا يحسن إليه !

وأعظم الحاضرون جميعاً هذا الخطاب العنيف ، وخيم على مجلس الطاغية صمت ثقيل لم يقطعه إلا كلمات خافتة متعثرة من سليمان ، تنصل بها مما اتهم به واعتذر مما قاله ، ثم دعا للوزير وصمت

وعاد سليمان بعدقليل إلى ظلمات محبسه وهو يحدث نفسه أن هذا غاية البغى ، وأن ما تحدى به هذا الطاغية القدر بعباراته المريرة ، سيقع على وجه من الصحة يستخرج العبرة والعجب

على أنه عادبعد أيام فقبل ماقرر عليه ، ورد عليه الواثق ضياعه وأقره على كتابة (إيتاخ)

* * *

ومرت سنين ، أصبح بعدها وليد سليمان — الذى اختار له أبوه وهو رهن المحبس عبيدالله اسماً ، وأبا القاسم كنية — أصبح فتى يافعا ، وشابا يتوسم فيه أهل الفراسة آيات النجابة وعلائم المجد ،

وطارت خلال ذلك لأبيه سليمان شهرة ، وتأثل له مجد عريض

ولما مات الخليفة الواثق تولى بعده أخوه المتوكل (بغير عهد منه) وكان يحمل أشد الضغينة لمحمد بن عبد الملك ، ويحفظه عليه ما كان يجبهه به من المهانة زمن أخيه ، ثم مارامه يوم وفاة الواثق من تحويل الخلافة إلى ابن للمتوفى صغير . فلم يشف غليل نفس المتوكل إلا أن وثب على محمد بن عبد الملك وثبة سلبه فيها أسباب نعمته ، ثم قتله بعد تنكيل وعذاب (فى صفر سنة ٢٣٣ ﻫ)

وعهد المتوكل فى مستهل نكبته لمحمد بن عبد الملك ، إلى سليمان بن وهب بمناظرته وإحصاء متاعه . فوافى داره فى كوكبة من الجند ، وهو لاهج اللسان بشكر الله على ما أولاه من نعمة ، وبلغه فى عدوه من رغبة

ولقى فى الدار ذلكم الابن الصغير — أبامروان عبدالملك بن محمد ابن عبد الملك — يبكى ويتظلم . فاستدناه إليه وسأله عن قصته فقال :

— منعت كل مالى ، وأدخل ما أملك كله فى الإحصاء

فقال سليمان : لا بأس عليك . ثم أمر بأن يرد إليه كل ما كان له . وخر ساجداً لله على أن هيأ له أداء هذا الصنيع

وقص سليمان بعد حين على ابنه عبيد الله حديثه مع الوزير محمد بن عبد الملك ، فى يوم مولده ومولد أبى مروان ابن الوزير ، ثم قال لعبيد الله : يابنى ، بالله — إن رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج إليك — إلا أحسنت إليه ! !

ووعى أبو القاسم عبيد الله بن سليمان عن أبيه هذا الحديث

* * *

ولما تولى المعتضد الخلافة استوزر عبيدالله بن سليمان بن وهب (فى رجب ٢٧٩ ﻫ) ؛ فكان من عادته أن يتخذ للمظالم مجلساً عاما . وفى يوم من هذه الأيام المشهودة دخل عليه فيمن دخلوا رجل رث الهيئة عليه ثياب غلاظ فعرض عليه رقعة . وقرأها الوزير قراءة متثاقل عنها ، ثم متفكر متعجب مما بها . ولما أتم استيعابها قال : نعم وكرامة ، أفعل ماقال أبى لا ماقال أبوك . كرر هذا القول ثلاثاً ثم قال له : عد إلى وقت العصر لأنظر فى أمرك

والتفت إلى خاصة صحبه فقال : إذا خلوت فذكرونى بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب . فتشوقت نفوس القوم إلى هذا الحديث

وواصل الوزير عمله يأمر وينهى بقية المجلس ثم قام فاستراح ، ودعا بالطعام فتناوله معه من حضر ، فلما بلغوا من ذلك حاجتهم أو كادوا قال الوزير : ما أراكم ذكرتمونى بحديث صاحب الرقعة ! ثم أقبل يسوق إليهم ماحدثه به أبوه حتى بلغ منهم العجب غايته

ثم قال متمما حديثه : ولقد ضرب الدهر مضربه فما عرفت لأبى مروان خبرا ، حتى رأيته اليوم ، فكان ماشاهدتم

وأمر الوزير بإدخال أبى مروان عليه عند مقدمه . فلما قدم وهب له مالا وخلع عليه وحمله . ثم قلده ديوان البريد والخرائط ، فشغل هذا المنصب ثلاثين سنة أو أكثر

وكان يكتب إلى عبيد الله — عندما يكاتبه — وهو متقلد هذا الديوان : « عبد الوزير وخادمه ، عبد الملك بن محمد »

ولكن الوزير أراد أن يعفيه من هذه المخاطبة الذليلة فقال له : أنت ابن الوزير على كل حال ، ولا أحب أن تتعبد لى ، فاكتب اسمك فقط على الكتب

فقال أبو مروان : لا تسمح نفسى بهذا ، ولكنى أكتب (عبد الملك بن محمد خادم الوزير) . فقبل منه ذلك ، فكان يوقع بهذه العبارة إلى جميع الوزراء الذين كتب لهم حتى وافته منيته فى وزارة ابن الفرات الثالثة

وكان أبو مروان كالمترتب على هؤلاء الوزراء جميعاً بما عامله من ذلك عبيد الله ، فلزم هذا المنصب إلى أن مات (١)

وقد غلب عليه طوال هذه الفترة لقب أبى مروان الخرائطى ، حتى نسى الناس نسبه إلى ابن الزيات ، إلا من كان يلم بخاصة شأنه من جماعة الكتاب وغيرهم

محمود عزت عرفة

---

(١) عمل أبو مروان فى خدمة عدد من الوزراء أولهم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ومنهم ابنه القاسم بن عبيد الله ، والعباس بن الحسن ، وعلى بن محمد بن الفرات ، ومحمد بن عبيد الله الخاقانى ، وعلى بن عيسى ابن الجراح ، وحامد بن العباس

وكانت وفاته فى وزارة ابن الفرات الثالثة فى الفترة بين ربيع الثانى سنة ٣١١ ، وربيع الثانى سنة ٣١٢ ﻫ .

٦ - فى بـــــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ آغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

اجتماع — أقوال الخطباء

يالها من بلاد عجيبة ؟ ما أصعب نيل الحرية ؟ . . ليت شعرى هل أستطيع إلفة هذه الحياة ؟ . . لقد خيل لى الأمر فى البداية سهلا ميسورا . . ولكن هاهى ذى المصاعب تتوالى وتتفاقم فى النهاية . .

إن هناك رواسب فى قرارات النفوس تركتها عهود التاريخ الماضية من ورائها ، هى التى تستعبد الإنسان وتقيده أكثر من غيرها . .

وها إن الحال تتطلب الآن التخلص من نيرها وسلطانها دفعة واحدة . . . عليك أن لا تكذب ، أن لا تداهن ، أن تتحلى بالشجاعة ، أن تدافع عن الحق ، أن لا تعرف معنى التردد ، أن تقول الحق !

يالها من شروط صعبة ثقيلة ؟

كيف لا يخشى جانب الرجل ذو البأس والقوة ؟ أو لا يجهر له بالصدق ؟ أو لا يتحاشى التزلف إليه ؟

إن المرء لتضطرب أحشاؤه وترتعد فرائصه عند رؤيته أحد هؤلاء الطغاة العتاة ... ورأسه يدور ، ورقبته تنحنى ولسانه يباشر الحمد والثناء بغير إرادة منه !

ولا يمكن أن أنسى قط ما كان يحدث لصديق لى كلما أراد محادثة أحد الوزراء فى التليفون فقد كان يشحب لونه ، ويتلعثم لسانه ويأتى بحركات آلية مضحكة كما لو كان أمام الوزير نفسه بالذات لا أمام آلة صماء ... وقد شاهدته ذات مرة وهو يردد هذه العبارات فى ارتباك ظاهر وذعر شديد :

« ... نعم يا مولاى ... بفضل عطفكم السامى ... هفوة الصغير عفو الكبير ... »

ثم ألقى بالسماعة على الأرض بعنف وترامى على أحد المقاعد لاهثا وهو يقول :

— « آه ! ... كاد أن يقضى على ... لماذا كل هذا السخط والهياج ؟ .. كل ما فى الأمر أننى رفعت نهار أمس تقريرا إلى معاليه ذكرت فيه نبذة قصيرة عن سوء سلوك نجله فى الدائرة وفساد أخلاقه ... يا ويلى منه ومن ثورته وغضبه ... ولكننى لحسن الحظ استطعت تهدئة الحالة ... آه ... »

ومع أننا كنا نسخر آنذاك من هذا الصديق المتخاذل الرعديد ونهزأ به إلا أننا فى الحق لم نكن لنختلف عنه من هذه الناحية إطلاقا

والآن كيف نستطيع استئصال شأفة هذه العلل التى نفذت إلى عظامنا وجرت مجرى الدم فى عروقنا ؟

لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة من فرط تأثرى .. بل ظللت أدور فى غرفتى طول الليل ... وإذ طلعت تباشير الصبح ، سقطت على الأرض لجثة هامدة من شدة الإعياء

وحين فتحت عينى كانت الشمس فى متوع النهار ، وكان رأسى مثقلا بالصداع .. فأحسست بحاجة شديدة إلى استنشاق الهواء النقى

ألقيت بنفسى إلى الشارع..وقصدت إلى حديقة تجاور البيت الذى أقطنه ... كان البستانيون هنا منهمكين فى رى الحديقة .. وكان ثمة على بعد قليل ينهض تمثال شامخ

اقتربت من التمثال وقرأت على أحد جوانب قاعدته هذه الكتابة :

« بطل بلاد الأحرار الأول »

ملت إلى أحد البستانيين وسألته عن اسم الحديقة وعن هوية البطل

— هل أنت غريب عن هذه البلاد ؟

— نعم ! .. جئت حديثا !

— يطلق على هذا المكان حديقة الحرية ... وذلك التمثال يمثل أول وطنى رفع لواء الحرية ضد الاستبداد .. فبلادنا تعبده وتقدسه

* * *

٣٩٠٣٤

وفى هذه الأثناء كان الناس قد أخذوا يتوافدون على المكان زمرا زمرا ... ولم تمر سوى هنيهة حتى عقدت اجتماعات عديدة أيضا فى مختلف أنحاء الحديقة

اقتربت من أحد هذه الاجتماعات .. فرأيت فتى يافعا يلقى خطابا حماسيا مؤثرا ... أصغيت إليه فاذا هو ينتقد الحكومة ، ويحمل عليها حملة شعواء لأنها تقاعست عن تنفيذ برنامجها بحذافيره ، وتركت عددا من الوطنيين فى الشوارع لا يجدون لأنفسهم عملا .. ولأن الإحصاءات الأخيرة دلت على وجود اثنين فى كل مائة أميين بين سكان المملكة ، وذلك يعد عارا كبيرا وصمة لا تمحى من جبين البلاد الحرة

اقتربت من جماعة ثانية ... فشاهدت رجلا فى منتصف العمر ، ضعيف البنية ، يتبسط فى شرح النقائص التى يلاحظها على الجيل الجديد ، ويؤاخذهم بشدة على انغماسهم فى المادية ، وانصرافهم عن المثل العليا ، وإغفالهم أمر الصلات الإنسانية والوطنية الرفيعة ، ويرى أن هذه حالة ستؤدى بهم لا محالة إلى أن تكون آثارهم هزيلة عديمة الحياة ، ورؤوسهم فارغة جوفاء ، وسجاياهم منحلة سائرة نحو التلاشى والاضمحلال

وإذ كان الخطيب يبدى مخاوفه الشديدة من مغبة الأمر ، كان لا يجد دواء لمداواة الوضع سوى المبادرة إلى إحداث تغيير شامل سريع فى نظم التعليم وأهدافه وخططه التى تسير عليها الدولة فى تنشئة الشبان وإعداد الجيل المقبل

أما فى الزمرة الثالثة فكان الخطيب سيدة بارعة الجمال تتحدث عن حقوق المرأة السياسية

وفهمت من أقوال السيدة الخطيبة أن النساء فى بلاد الأحرار يملكن نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجال ، ولا يضن عليهن بسوى منصب رئاسة البلاد فقط

وقد كانت الخطيبة تشير إلى هذه الناحية فى انتقاداتها وتقول :

— « كيف يسوغ أن يضن بهذا المنصب على المرأة ، ثم لا يضن به على الابن الذى تلده ؟

إنهم يحدثوننا عن الخواص الفيزيولوجية .. وكأن الرجال جميعا فى منجاة عن النقائص الفيزيولوجية

اذهبوا إلى البيمارستانات ، إلى السجون ... ادرسوا إحصاءات الجرائم ، فلا أظن النتيجة ستكون بجانب الرجال

إن هذه المخاوف ليست سوى أعذار تافهة ، لا تخرج عن كونها بقايا أسلحة فاسدة استعملها الرجل منذ قديم الزمان لضمان استمرار سيطرته على النساء وبقاء استبداده بشؤونهن .. ولكن المرأة سوف تقضى على هذه البقية الباقية أيضا كما قضت من قبل على القيود الأصيلة نفسها وحطمتها إلى الأبد ، وذلك بفضل كفاحها المستمر ونضالها الدائم ، وجهادها الذى لا يفتر ولا ينى

أجل سوف يعلم الرجال أن هذا اللجأ الأخير الذى يأوون إليه ، يجب أن تفتح أبوابه على مصاريعها أمام النساء نزولا عندما يقضى به الشرف والكرامة ... وأن وجود أقل تفاوت فى الحقوق بين الأفراد فى بلاد الأحرار ليس إلا وصمة عار فى جبين الحرية نفسها . وسوف تمحو المرأة هذه الشائبة مهما طالت بها الأيام أو بعدت أمامها الشقة ... »

* * *

كانت هنالك جماعات أخرى أيضا .. غير أننى كنت قد أحسست بالتعب ... فجلست فوق أحد الكراسى ، وشرعت أفكر فى جميع هذه المشاهد التى مرت أمامى ولم أكن قد رأيتها أو سمعت بها من قبل

وكان من أشد ما أثار عجبى أسلوب الخطباء ولهجتهم فى أثناء الكلام .. فقد كانوا يحصرون انتقاداتهم فى دائرة الوقائع والحوادث ، ويعنون عناية كبيرة بأن لا يظهر على حديثهم أى أثر للتذبذب أو الشكوك أو التردد ، مسبغين عليه ثوبا من عفة اللسان والوقار ، متنكبين عن استعمال أية كلمة نابية فيها حرج لعاطفة الشخص الذى يتصدون لانتقاده أو مس لكرامة من يشنون الحملات عليه ...

وقد تراءى لى فى الوقت نفسه من المعانى المتجلية فى عيون المستمعين ، وإمارات الجد اللائحة على وجوههم ، أنهم يستسيغون هذا النوع من النقد ويرتاحون له ويؤثرونه على سواه ، ويجدونه أضمن للفائدة وأبقى

وقد ذكرنى — بغير إرادة منى — ما شاهدته هنا من الصور الجديدة ، ما فى بلادى من أساليب النقد وفنون النقاش بالهول الإسفاف الشنيع والتهور الجامح ! .. وبالهول السباب

والشتائم المقذعة ! .. أقوال مضطربة لا رابط بينها ، إشارات غامضة ، إيماءات مغلقة مستهجنة .. ولطالما حدث أن السامعين والقارئين سدوا آذانهم ، وأغمضوا عيونهم تقززاً واستنكارا ، ثم هبوا جميعاً يطالبون بوضع حد لمثل هـذا الجو الموبوء الخانق ، فظهرت قوة طاغية كمت أفواه المتكلمين وعصبت عيون الشاخصين معاً بشكل محكم ، حتى عاد الناس فى هـذه المرة يشعرون بالاختناق من الصمت والظلام

آه ! ما أعظم كارثة الإفراط والتفريط ! لقد اقتنعت الآن أن الحرية لا يمكن أن تنال بمجرد الرغبة فيها ، أو المطالبة بتحقيقها ... إن على الإنسان أن يربى شخصيته ، ويخلق من نفسه سيداً قبل كل شىء ...

— أجل ! أجل ! على الإنسان أن يكون سيداً !

— إلى من تتحدث ياعزيزى ؟

استدرت قليلا . فوجدت أحد الضيوف الإخوان جالسا إلى جانبى ، يرمقنى بنظرات التعجب والحنان وأنا أحادث طيفى الماثل أمامى . .

فقلت معتذراً :

— كنت غارقاً فى التفكير وأنا أقارن بين ما شاهدته اليوم وما وقع لى بالأمس فبدرت تلك الكلمات منى دون وعى . .

فابتسم ابتسامة رقيقة ثم قال :

— لا تحزن ! هذه مرحلة قد تخطاها كل واحد منا . .

— إذن أنتم هنا منذ وقت طويل . .

— أجل !

— أرجو أن تخبرونى : هل تقصد هذه الاجتماعات هنـا كل يوم ؟

— كل يوم على وجـه التقريب . . وتلك الساحة أشبـه بمدرسـة شعبية عامة يستطيع أى مواطن أن يطلع فيهـا على كل مايعنيه أمره من شؤون بلاده :

— يالها من عادة حسنة !

* * *

حضر الأساتذه فى اليوم التالى ثانية فقلت مخاطباً أحدهم :

— تنص المادة العاشرة على أن التساند دين واجب الأداء ، فما معنى ذلك ؟

— أجل ! إن وجود التساند والمؤازرة شرط أساسى فى بلاد الأحرار ... انظر إلى الأقطار غير الحرة تجد فيها الأفراد والأسر كلا مستقلا بنفسه عن غيره ، وليس بين ظهرانيهم من الصلات والروابط إلا النزر القليل . . ذلك لأن سيف الاستبداد المصلت على رؤوس هؤلاء لا يفسح فى المجال لهم بالتآزر والتآلف وتـكوين جبهة واحدة وكيان واحد . .

فالشرط الأساسى فى هذه الممالك التفرق والتخاذل ووقوف « المواطن » موقف الأجنبى من أخيه المواطن وعـدم اهتمام بعضهم ببعض ...

وكما أنه من الميسور جدا سحق أفراد مجتمع كهذا وإفناؤه ، كذلك من السهولة بمكان ... أن يلعب المرء كما يشاء بهذا المجتمع نفسه كما لو كان خرقة بالية عديمة الدم والحياة ...

أما فى بلاد الأحرار ، فالشرط الأول هو الاتحاد والإيثار والإلفة التامة بين الأفراد والاهتمام بما يحدث ويقع للمواطنين ... والـكل هنا كحلقات الشبكة تتأثر من العطب الذى يصيب أى واحدة منها ...

وشؤون المجتمع ذاته لا تعتدل ولا تستقيم إلا إذا نجا أفراده جميعاً مما حاق بهم من الأخطار وأصابهم من الألم والاضطراب

هنا يتحتم على كل فرد أن يكفل بصيانة حقوق غيره وشرفه وكرامته . . وليس فى معجم البلاد أقوال من قبيل : « إذا مت ظمآنا فـلا نزل القطر » « عش لنفسك » « هـل أنا الذى أستطيع إصلاح العالم ؟ »

— آه أيها الأستاذ ! إنى مصغ إليـكم بكل كيانى وبكل لذة وشغف . . ولـكن وا أسفاه . . إن جميـع العـادات التى ألفتها والتقاليـد التى جريت عليها لهى على طرفى نقيض مما تفضلتم على بشرحه وإيضاحه ... ليت شعرى كيف أستطيع أن أغـير مابنفسى ... إلهى ! ما أصعب أن يكون الإنسان حراً ...

— نعم يابنى ؟ ليست الحرية سهلة سائغة ... والعبودية أسهل منها ... فبينما العبد يسلم زمامه إلى غيره ليقوده كما يريد ويهوى نجد الحر مكلفا بالتفـكير فى غيره ...

إن كل مواطن هنا مكلف بحب الغير ، ومعنى حب الغير

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٤ —

لقد ساعد جوته شلر فى أموره المعاشية حتى قبل معرفته به وصداقته له، وذلك بتقديمه وترشيحه لخدمة ولاية (وايمر) وتوظيفه فى أكاديمية بمرتب معين. وقد أدت هذه المساعدة التى جاءت لا على اعتبار عون؛ بل على اعتبار خدمة متقابلة إلى نتائج ذات أهميه دائمة. وقد ارتفع شلر إلى أوج عظمة الفن وهو مطمئن إلى عطف ورعاية ونصح صديق واحد بين مئات الأعداء. وهكذا — اعتماداً على هذا التأييد من قبل صديقه — استمر شلر فى تقدمه ونجاحه غير ملتفت يسرة أو يمنة، وكانت أيامه مخصصة جميعها لتأدية واجبه الأقدس

وقلما نجد إنساناً يمكن أن يساعد الآخر مثل هذه المساعدة وأن يفيده مثل هذه الفائدة، لأننا تعودنا — كما هو الحال فى الواقع — أن يكون الإحسان مبتذلا فيه الذلة والفجيعة وقلة الذوق، لأن منشآتنا التى تقوم بمثل هذه الأعمال الخيرية هى مؤسسات تافهة ومضرة ولو أنها تتحصن بأسماء وألقاب. وأكثر من هذا إذا تفضل أحد أصدقائنا بمديد العون إلينا بإخلاص واهتمام، فهو لن يعمل على تفهم مشاكلنا ومعرفة احتياجاتنا الحقيقية حتى يمكننا من السير قدماً فى طريقنا، بل نراه على العكس من ذلك يصير ببساطة غريبة، ويريدنا أن نغير اتجاهنا ونتبع سبيله الذى اختاره لنفسه، وبذلك يجعل أمر إصلاحنا غير ممكن لأننا لا ولن نقدر على ذلك. وهكذا فالناس كل بعيد عن الآخر، وليس لأحد أن يساعده جاره، بل أن ينتبه من جاره كى يأمن شره ويتوقى خطره ويتقى شواظ ناره وهو أمر صعب التحقيق

لقد تحدثنا سابقاً عن حماس شلر التام للأدب واعتبرنا ذلك وحده فضيلة توجته مدى الحياة. وأوضح دليل على حميته وغيرته للوصول إلى هذا الهدف فى كل أدوار حياته، هو مواظبته على هذا المسعى حتى أواخر حياته، بالرغم من إصابته بمرض عضال هد حيله وزعزع أركان قوته. ولم يتجل نبل سجيته فى أية مرحلة من تاريخه، كما تجلت فى هذه المرحلة — مرحلة المرض — فقد برزت البطولة غير المنظورة وهى فى عنفوانها عندما كان العدو الأسود يمزقه من الداخل، ولكنه كان قادراً على إبعاده بعض الشئ. وعندنا شواهد طبية على أن الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته لم تخل لحظة واحدة من الألم الممض. على أنه مع كل ذلك لم يتشك قط ولم يتضجر ابداً. نلاحظ ذلك فى مراسلته مع

هو أن يتحمل المرء فى سبيل غيره المتاعب والمشاق.. وبهذه الوسيلة وحدها يستطيع المواطن أن يصون نفسه وغيره معا فى وقت واحد

وحيث أنك قد سلكت طريقاً آخر حتى اليوم، فقد فتشت دائما عن منافعك فى خارج المجتمع، ولم تفكر إلا فى نفسك ... وقد أدى بك ذلك إلى أنك زدت ضعفاً على ضعف وانحطاطاً على انحطاط وعشت حياة كلها قلق واضطراب..

أما وقد اعتزمت الآن أن تصبح حرا، فإنه يتحتم عليك أن تسعى لتهذيب نفسك وتتفقه فى قوانين بلاد الأحرار وتعمل بمقتضاها ...

يجب عليك أن لا تبقى فى معزل عن الاهتمام بمصير المجتمع الذى أنت أحد أفراده، بل عليك الالتفات إليه والحفل بحقوقه، ورعاية مصالحه وشرفه وكرامته، والتفكير فى شؤون فقرائه وأطفاله، والانتساب إلى الجمعيات الخيرية التى تعنى ببذل المساعدة والمعونة لهؤلاء وبالدفاع عن حقوقهم وبتعميم التعليم بينهم وغير ذلك من الأمور التى تكفل للجميع سعادتهم وهناءهم

وعليك أن تعلم أيضا أنه ليس فى هذه فرد واحد لا يتصل بمواطنيه الآخرين بأكثر من ست روابط وطنية واجتماعية فى وقت واحد، وهذا هو السبب فى أن مس الواحد منهم قيد شعرة يثير روابط الجميع، فيتحرك الكل وكأنهم شخص واحد ...

— ياله من مجتمع سعيد!

«يتبع» أحمد مصطفى الخطيب

جوته ، فنراه بشوشياً مشغولا ونادراً ما كان يتكلم عن أدوائه وأوصابه، وإذا ماتكلم عنهافبلغة شخص ثالث كأنه يعتز بأيامه التى بقيت فى حوزته . على أننا نستطيع أن نقول إن أعظم أعماله الشعرية تعود إلى هذه الفترة ؛ خصوصا إذا تذكرنا كم وكم من أضراب روسو من الأدباء والشعراء السطحيين [1] الذين نحلوا وذابوا أسى ، على الرغم من المواهب التى أوتوها — لأنهم أصيبوا بأمراض عصبية انتهت بكثير منهم إما إلى الجنون وإما إلى التعاسة المهلكة ، على أن شلر — وهو فى مثل هذه الأوضاع نفسها — كتب أعظم تأملاته وأحسن رواياته من (ولنشتاين) إلى (وليم تيل)

يقال إن هذه المحن لا يمكن تحملها إلا بالاعتماد على ركيزة الدين وحده ، ونحن نقول إن شلر كان له دينه الخاص . . وكان متعبدا وناسكا . . ولذا فهو لم يحتج فى آلامه الأرضية إلى دعامة سماوية تسنده ، بل اقتصر على الدعامة المثالية فى تحمل أوصابه فى مثل هذا العالم البائس المريض

هل لنا أن نتكلم عن سعادته ؟ وا أسفاه ماذا يعنى سمو العبقرية غير معدة قوية وشهية ممتازة ! . . أو لا تعنى حتى كلمة روح معنى المعدة فى بعض اللهجات السكالفونية ؟ أليس الجلوس فى راحة والتمتع بالمشهيات والروائح العطرية والاستمتاع بالماضى والحاضر والمستقبل والإخلاد إلى الأحلام واليقظة بين الفينة والأخرى ما يدل على الطمأنينة والسرور والحياة الهانئة والبهجة الدائمة والسعادة الكلية

إن الأمر بالنسبة إلى العبقرى المريض لا يتعدى كما يقول شلر (عالمه الذهنى المثالى الداخلى الذى ينخره الداء التباطئ ويستنزف جماله ويعصف به عصفا شديدا ، فلا يبقى منه إلا اليأس والقنوط والمرارة وإلا الحرمان الذى يلازمه حتى النهاية المرعبة) ولم يكتف شلر بهذا بل نراه يستطرد فى ذلك فيقول (الويل لمن تضطرب إرادته وتخور عزيمته وتنحنى رقبته أمام نير هذا العدو الجديد ! لأن البطالة والخيال المشوش يسيطر عليه وتطلق سراح ألوف الشياطين لتضايقه وتعذبه حتى تجننه. واأسفاه ! إن عبودية الجزائر [2] تعتبر حرية إذا قيست إلى الآلام التى يعانيها العبقرى المريض الذى انهد قلبه ورزح تحت كابوس بالآلام . فسكنه الطينى يصبح سجنا مظلما كما تصبح أعصابه منازل للقرف والعذاب، وروحه موئلا للعزلة السوداوية ، ويظل فريسة لأشباح القنوط ، ويندو متحجرا من جراء ازدياد الألم ، محكوما عليه بالموت فى قيد الحياة وبالشعور بالوجود الأليم ، لا حول له ولا قوة ولا حتى شعور بها ، ومن المفزع أن يضع الموت أو فقدان الوعى التام حدا لمثل هذه التعاسة [3]) ومهما تكن الحالة مثيرة فعلينا أن ننظر إليها نظرة عطف لا نظرة استخفاف وتجرد . وعلى كل حال نقول إنه من العار على العبقرى أن يتشكى . أليس فى نفسه نور من السماء ليست عروش الأرض ببهائها إلا ظلاما بالقياس إليه والمقارنة به ؟ والرأس الذى يلبس مثل هذا التاج يأبى أن يرقد بقلق . إذا كان هذا النور السماوى هو الذى أعان سيمون السورى [4] على أن يصمد فى أعلى عمود التعذيب دون أن يتزحزح إيمانه قيد أنملة ، فكم بالأحرى أن يكون الأمر كذلك إذا كان هـــذا النور مباشرا ووضيئا صافيا وخالصا من كل شائبة ؟ وإلا فدع حكيم العصر يتألم من الأوصاب والرزايا التافهة فى صبر وأناة ؛ أو يعترف بأن المتعصبين القدامى كانوا أصدق منه تعبدا وأصفى سريرة وأرهف إحساسا . وقد يحدث بين الحين والآخر أن يعرض فى بعض المجالس الأدبية والنوادى الثقافية حديث السعادة ، فينسى السادة المتناقشون شرابهم ليتكلموا فى السعادة وعما إذا كانت هى الغاية الرئيسية من حياة الإنسان ، وأغلبهم يؤيد رأى بوب القائل بأن السعادة هى غرض وجودنا وهدفه ، ولكن المعارضة لا تكتفى بهذا بل تريد أن تفهم لماذا تكون الطبقة الجاهلة أسعد حالا من الصفوة المختارة . ومع ذلك فنحن لا نريد أن نستبدل أما كنناابهم؛ أليس مكتوبا أن زيادة المعرفة زيادة فى الحزن ؟ أليس مكتوبا قولهم تعلموا الحكمة واستزيدوا من العرفان لأن فى

(١) هذا رأى الكاتب الكبير وليس لنا إلا أن ننقله بأمانة المترجم

(٢) هى بلاد الجزائر المعروفة وقد كانت آنئذ مسرحا لسوق النخاسة

(٣) حياة شلر ص ٨٥

(٤) شهيد من شهداء المسيحية الأول

هذا بداية الخير ؟ فإذا كان تعليمكم صحيحا فلماذا نشقى فى النضال بكل قوتنا إذا لم يكن ذلك فى سبيل الحصول على السعادة والنجاة من الآلام والأوصاب ؟

وهكذا تظل السعادة بين الأخذ والرد بين هؤلاء المناطقة من دون الوصول إلى نتيجة قطعية مقنعة، وهذا ما يجعلنا مضطرين إلى تركها على ما هى عليه من ارتباك وتخبط . ولكن هناك بعض النفوس الجدية التى لا تعتبر الحقيقة لهوا ولعبا بل (ماهية) الحياة. وهم لا يعتبرون الأشياء الظاهرية الجامدة إلا اعتبارا تافهـا ، بل يهمهم قبل كل شئ (النداء الداخلى) هذا النداء الذى إذا توقف فلن يفيده حتى استحسان الملايين من الناس . فإذا ما عثر هؤلاء على الحق الذى يبحثون للاهتداء إليه بكل تشوق وبكل قلق سعوا إليه جاهدين بغض النظر عن الخير والشر وأصبح الهـدف الذى يسعى إليه الإنسان

إن أصل هذه القضية ناشئ — كما هـو الحال فى كثير من القضايا تحت الشمس — من الاضطراب اللغـوى ، فإذا كانت السعادة تعنى اليسر فى العيش ، فمن حق كل شئ أن يسعى لتحقيق مثل هذا اليسر ، ومن جهة أخرى ، فإذا عنينا بالسعادة والإحساسات السارة ، كما هو رأى الكثيرين من النـاس ، فعندئذ يظهر عندنا شك فى القضية من الأساس . أما إذا تبصرنا بدقة فى الحقيقة القائلة بأن فى الإنسان شيئا أرفع من حب السرور ، بأى معنى كان هذا السرور ، فإننا نجد أن المعلمين والمبشرين كانوا يعيرون هذه المسألة ما تستحقه من التفات بالغ منـذ بداية نشوء العالم ، وسيستمر ذلك إلى نهايته ، إن كانت له نهاية . وطبيعى ألا يخلو عصرنا الحاضر من الأشخاص الذين يصرون على هذه الحقيقة ويؤكدونها . وماذا يفعل القارئ بهذه الجملة الصغيرة من (رسائل شلر الجمالية) وهى تخص تلك المسألة القديمـة ومسألة تحسين الأنواع ؟ انظر إليه كيف يعالجها بهذا الأسلوب الطريف إذ يقول « إن أول المكاسب التى أحرزها البشر فى مملكة الروح هو الخوف والقلق ، وهما نتيجتان من نتائج التعقل وليس الإحساس ؛ ولكن العقل أخطأ فى هدفه كما أخطأ فى طريقة التطبيق . وثمار هذه الشجرة بالذات هى السعادة سواء كان ذلك بالنسبة لليوم العابر أو لكل الحياة ، وهذا لن يزيدهم ذرة من الاحترام مدى الأبد . فاستمرار الوجود اللانهائى والسعادة لفرض الوجود والسعادة بحد ذاتها يخصان الشهية وحدها، وهى عبارة عن كفاح الحيوانية التائقة إلى الخلود . وهكذا بدون أن يحرز هذا الإنسان أى شئ لإكمال رجولته الذهنية نتيجة هـذا المجهود العقلى ، نراه يخسر حيوانيته السعيدة ، فيفقد الحاضر فى محاولته اليائسة لكسب المستقبل اللامحدود الذى لم يقصد لذاته بل الذى قصد هو الحاضر إليه بذاته (٥)

والظاهرة الوحيـدة التى يتميز بها عصرنا هذا هو السعى فى سبيل الخير الحسى والسرور الشخصى فى أى شكل كان ، وهى الغرض الذى يسيطر على عمل الإنسان وواجبه ، وإذا كان فى قطيع الإنسانية عبيد للشهوة والشهية من أمثال أبيقور ، فإن هذه الإنسانية لن تعدم بعض الرجال ذوى الرسائل العليا لتحقيق القيمة الروحية للانسان ، وأن هذه القيمة ليست ميزاناً تقاس فيه الحوافز المختلفة؛ بل إن الروح شئ حى ذو قوة وحرية وهى تقوم بخدمة الحق والفضيلة والخير . ولكن الأوضاع فى الظروف الحاضرة تقاس بمقياس أقرب ما يكون إلى التعقل والرزانة . فمن جهة نرى أن الطريق الهـادى الذى يقوم بتعبيده كثير من الأخلاقيين ، ومن جهة أخرى نرى الاضطراب سائدا فى صفوف الجماهير فى هذا السجن — الذى ندعوه بسجن الحياة — وزعماء هذه الجماهير يجعلون من المنفعة إله هـذه الأيام ، والبنتاميون (٦) يمثلون المجلس الروحانى الأعلى لهذه الطائفة التى ديدنها السعى لملء بطونها وحسب ، وبالرغم من أننا لا نملك موهبة التنبؤ ، إلا أننا يمكن أن نقول إن هذه النار التى تتأجج فى صدور الكثيرين من الناس ذوى النفوس المخلصة ستنتهى بمعركة حامية الوطيس حاسمة المصير ، ومحور هذه المعركة سـيكون بين العقل والمادة؛ ولكننا فى هذا الذى نقوله خرجنا عن سواء السبيل..وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى إذا سمح لنا الوقت بذلك

السلام صلة — يوسف عبد المسيح ثروت

---

(٥) الرسائل الجمالية لشلر ص ٢٤٥

(٦) هم أتباع العالم الاقتصادى الانجليزى بنتام

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

تلك المآثم ، ما تزال ثقالها ... تمشى الوئيد[١] بها المطايا الطلح[٢]

أخذوا السلاح ، وقد أغار لأخذهم ... جند (بآيات الكتاب) مسلح

فيهم من الأنصار كل مشيع ... يمضى إذا نكص اليراع الزمح[٣]

كانوا على عهد مضى ، فاته ... لإلهم عهد أبر وأسمح[٤]

(سعد) يهيب بهم و (سعد) قائم ... تحت اللواء بسيفه يتوشح[٥]

ما أصدق (المقداد) حين يقولها ... حرى ، وبعض القول نار تلفح[٦]

إنا وراءك يا (محمد) نبتغى ... ما الله يعطى المتقين ، ويمنح

لسنا بقوم أخيك (موسى) إذ أبوا ... إلا القعود ، وسبة ما تضرح[٧]

هذا (على) فى اللواء و(مصعب) ... والنصر فى عطفيهما يترنح[٨]

حملا لوائيه ، فلو صدح الهدى ... فى مشهد جلل ، لأقبل يصدح

هذا (رسول الله) من يك مؤمنا ... فإليه ، أن طريده لا يفلح

(١) المشى فى بطء

(٢) طلحت المطايا أعيت

(٣) اليراع الجبان والزمح الضعيف

(٤) خرج الأنصار فى هذه الغزوة لأول مرة لأنهم حين بايعوا النبي بالعقبة قالوا له : إنا براء من ضمانك -- أى مناصرتك ، إلا أن تكون فى دارنا ، فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود : يا رسول الله إمض لما أمرك الله ، فنحن معك ، لسنا نقول لك ماقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك إلى آخر ما قال

(٥) الأول سعد بن عبادة ، كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج وقد لدغته — رضى الله عنه — حية فتخلف ، قال النبي لئن كان لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصا ، ثم ضرب له بسهمه وآجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه تقلد به

(٦) لفحته النار أحرقته

(٧) ضرح الشئ دفعه ونحاه

(٨) عقد النبى صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه رايتان سوداوان إحداهما مع على ابن أبى طالب ، والثانية مع سعد بن معاذ ، وقبل الحباب بن المنذر ، ولبس النبى درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب)

الموت فى يده ، وعند لوائه ... ريح الجنان لمن دنا يستروح[٩]

إن علك الماء العدو[١٠] فقد همى ... سيل جرى شؤبوبه يتبطح[١١]

هى دعوة (الهادى الأمين) ونفحة ... ممن يسوق الغيث فيما ينفح

مكر (الحباب[١٢]) بهم فنور ماءهم ... والمكر فى بعض المواطن أنجح

نبىء (عمير[١٣]) سراة قومك إنهم ... زعموا المزاعم ، والحقائق أروح

نبئهم الخبر اليقين ، وصف لهم ... بأس الألى جمعوا لهم وتبجحوا

واذكر سميك[١٤] إذ يقول (محمد) ... إرجع (عمير) فدمعه يتسجح

أذن (النبى) له فأشرق وجهه ... ولقد يرى وهو الأحم الأكفح[١٥]

بطل من الفتيان ، يحمل فى الوغى ... ما يحمل البطل الضليع فيرزح[١٦]

قل يا(حكيم[١٧]) فما(بعتبة) ريبة ... مولى العشيرة للمهم يرشح

(٩) استروح الشئ تشممه

(١٠) سبق المشركون المسلمين الى الماء ، فلقى الأولون عناء ، ودعا النبى فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش ، وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام

(١١) تبطح السيل اتسع فى البطحاء وسال عريضا

(١٢) الحباب بن المنذر ، أشار على النبى أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل ، وأمر بالقلب فغورت ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشا شديدا ، ووهنت قواهم

(١٣) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش يرى كم عدد المسلمين ، فجال بفرسه حول المعسكر وعاد يقول : يامعشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون ؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن يقبلوا الى أهليهم ، زرق العيون ، كأنهم الحصى تحت الحجف ، ليس لهم منعة إلا سيوفهم

(١٤) عمير بن أبى وقاص ، أخو سعد بن أبى وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة ، فأمر النبى برده لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال

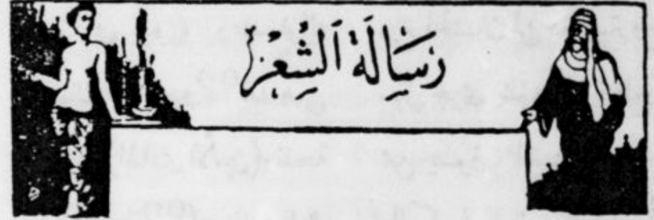
(١٥) الأحم والأكفح ، كلاهما بمعنى الأسود

(١٦) الضليع القوى الشديد الأضلاع ، والرازح الهالك هزالا

(١٧) حكيم بن خزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال : ياأبا الوليد ، انك كبير قريش وسيدها المطاع ، هل لك أن تذكر بخير الى آخر الدهر ؟ فقال وما ذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس ، وعليك أن تحمل دم الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد ، فى سرية ابن جحش ، وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم ، فانك ذو مال كثير ، وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول : يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى ، وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضئ ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى ، وقولوا جبن عتبة !

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم



فرحة الشعر فى موكب التحرير

للأستاذ علي متولى صلاح

دعوا الشعر فى أفراحه يترنم ... فقد عاش دهراً فى الأسى يتألم
طوته يد كانت على الناس نقمة ... وكانت جحيما لا يبر ويرحم
وكانت على الأحرار فى مصر محنة ... تبدد من أنفاسهم وتكمم
ففى كل ما خور سلام ونعمة ... وفى كل دار للأعزة مأتم
وكل أبى راسف فى إساره ... تقيده الأغلال والنار والدم
وكل مهين العرض .. ملق بعرضه ... على قدم الطاغى .. يغنم ويكرم
وهانت خلال البر ، وارتفع الخنا ... وراجت لركب الشر سوق وأسهم
خلائق من وادى الضلال معينها ... ومن نفثة الشيطان تسقى وتلهم..

***

سقى الله يوماً كان فى مصر فيصلا ... يحف بجنبيه رضاً وتبسم
أطل على مصر فأشرق ثغرها ... وقد ظل دهراً ثغرها يتجهم
وألقى برأس البغى فى اليم .. قائلا ... مهادك هذا .. والمصير جهنم
وزلزل ما أرسى الطغاة وهيأوا ... ودمر ما كانوا أعدوا وقدموا
فطاحوا وطاحت شاهقات أثيمة ... وراحوا .. وراحت خلفهم تتهدم

***

وهبت على الوادى الكريم نسائم ... تسوق إليه المكرمات وتنعم
أظلت ضفاف النيل منها برحمة ... أفاء لها الحيرى .. وفى ظلها ارتموا
تساووا فما فيهم مسود وسيد ... وعزوا فما فيهم سراة وخدم
وذلت أنوف كان صعباً قيادها ... ولانت خدود كان فيها تورم

***

فسيرى إذن يامصر فى موكب العلا ... ولا تتوانى ... إن دهرك يبسم
خذى بسبيل الجد وامضى لمنزل ... أرائكه يا مصر شهب وأنجم
تهيأت الأسباب للمجد كله ... ولم يبق دون المجد إلا التقدم
عمادك فتيان أسود ضراغم ... فعالهمو نار .. وأقوالهم دم ...

علي متولي صلاح

وثبة الجيش

للأستاذ عبد العزيز مطر

من ذلك البطل المغــوار يتبعه
جيش من النجب الأبطال جرار ؟
من ذلك الحر ؟ قد قضت مضاجعه !
إذ قيل ليس بوادى النيل أحرار !!
من قال للظلم (قف من أنت ؟) يقمعه
فاهتز من خشية المقــدام جبار !!
من فجر النور إذ عزت مطالعه ؟!
من حطم القيد إذ للقيد أنصار ؟!
هذا هو السيف ، أيدى الله تشرعه
على الطغــاة ، وسيف الله بتار !
هــذا نجيب ، لواء الله ، يرفعه
يعلى به الحق ، إن الحق قهــار

***

فى مطلع الفجر هب الليث محتدما ... غضبان ، يزأر فى النوام أن يثبوا
هانت كرامتكم ، ضاعت مهابتكم ... فالعرض منتهك ، والمال منتهب
أرواحكم أزهقت من بغى شرذمة ... لا تعرف الحكم إلا أنه سلب
جاءوا بأسلحة للجيش فاسدة ... ترتد ضاربة قلب الألى ضربوا
زادت مفاسدهم ، فاضت مساوئهم ... طالت علينا السنون السود والنوب

***

كانت مقالته فى الأفق سارية ... وجنده النجب الأبطال قد وثبوا
فسددوا ضربة للظلم قاصمة ... ترنح الظلم منها وهو ينتحب
فلن ترى الأرض إقطاعا ومفسدة ... لن يسكب الدمع فيها مرهق تعب
لن ينهب الزرع منها متخم جشع ... يرضى هواه ليردى غيره السغب
فثورة العدل والإنصاف منطقها ... لا يحرم الخير من يمسسهم النصب

***

تقبل الغرب بالإعجاب ثورتنا ... واستبشر الشرق بل تاهت بها العرب
ولن أصور ما بالنيل من طرب ... فكل شئ به قد هزه الطرب

عبد العزيز مطر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

حقوق المؤلفين

أثار الأستاذ الدكتور طه حسين في مقاله بالأهرام في الأسبوع الماضي موضوع حقوق المؤلفين ، وبين أوجه الصراع بين المؤلف والناشر

ولاشك أن الذين عانوا طرفا من هذا الصراع ، يذكرون مدى الجهد الذي تكبدوه من معاملة الناشرين ، أو على الأصح مع بعض الناشرين

فالمؤلف محتاج إلى أن يجد من أدبه مورداً ييسر له الحياة كما تيسر لرجال الصحافة والموسيقى والغناء ..

والمؤلف ، إلى ذلك هو أقل زملائه من رجال الفكر والفن مكانا ، فلم يعد الآن للأدب الرفيع وللانتاج الخصيب مكان مرموق بعد أن غلبت الألوان الصحفية والمكشوفة والخفيفة ، وارتفعت أجورها وتقديراتها ، حتى أصبح من غير المعقول أن يعيش أديب من سن قلمه

وإني لأذكر كلمة قالها لي المرحوم الدكتور زكي مبارك سنة ١٩٣٥ وكنت عولت على أن أنقطع للأدب .. قال « إن أديباما في مصر لا يستطيع أن يعيش من قلمه ، ولو كان طه حسين أو الزيات . وإن كل أديب مهما كان من القوة أو الشهرة محتاج إلى عمل آخر إلى جوار أدبه يعيش به ، وهو إما أن يكون الصحافة أو التدريس »

والحق أن أديبا من الأدباء لم يستطع بالأدب وحده أن يكون قويا من الناحية المادية بحيث يستطيع أن ينصرف بالأدب عن غيره ، أو يقتصر عليه

لقد استطاعت الصحافة أن تضع الأدب في الدرجة الثانية منها ، وأن تغلب عليه السياسة وطرائف الأخبار والصور ، ثم جاءت الإذاعة بألوانها المختلفة ، التي تقصد إلى الترفيه والتسلية ، قبل الثقافة والتوجيه ، فأحلت الأدب درجة أخرى فأصبح في الدرجة الثالثة ..

وجاء اليوم الذي أصبح الأدب فيه غذاء فئة قليلة من الصفوة المختارة التي تحبه ، لأنه فن رفيع ، أولئك الذين يتسع وقتهم له..

وكذلك العلم اليوم ، وكذلك كل فنون التأليف — ماعدا التأليف المدرسي والجامعي — قراءه قلة ، ومن ثم فقد حق أن يكون هناك قانون يحفظ لهؤلاء العلماء والأدباء حقوقهم ، ويرد عنهم طغيان الناشر الذي قلما يكون عالما بتلك الكنوز التي توضع بين يديه لإخراجها للناس ، وهو لا يقدرها من هذه الناحية أبداً وإنما يقدر مدى إعجاب القراء لها ، فهو يتخير منها الأنواع التي يراها صالحة للتجارة فحسب

ومن قبل، مات أدباء، فلم يجد أهلوهم ولاأبناؤهم من ورائهم شيئا .. كانت أسماء هؤلاء الأدباء تملأ ما بين المشرق والمغرب ، وكانت مؤلفاتهم المتعددة في كل الأيدي ، ومع ذلك فلم يكن من وراء هذه المؤلفات مال كثير أو قليل يمكن أن يجده أبناء هذا الأديب . لقد باع المؤلف الضخم الاسم ، الفقير ، حق مؤلفاته للناشرين لقاء مبالغ تافهة قليلة كسب الناشر عشرات أضعافها بل لا أغلو إذا قلت مئات الأضعاف

وقد أشار الدكتور طه حسين إلى المؤتمر الذي عقد في جنيف في أغسطس الماضي ، ليضع حق المؤلف في صورة اتفاق دولي وإن كانت مصر لن تستطيع أن تشترك في هذا الاتفاق الدولي ، إلا إذا أصدرت قوانين حماية المؤلف في مصر أولا .. وهناك قانون تنظيم حق المؤلف في مجلس الشيوخ ، وهناك آخر في مجلس النواب ، ناما منذ أمد في العهد البائد . وفي إشراقة العهد الجديد الذي يضع الأسس الصالحة لغد أفضل ، نرجو أن يتحقق للمؤلف وضعا كريما يمكنه من أن يتفرغ للانتاج ، ويتجرد للعمل الخالد الباقي

بدء الموسم الأدبي

من الأسئلة التي ترددها دوائر الأدب : هل العام الدراسي هو عام الإنتاج الأدبي ، أم العكس هو الصحيح ؟ وهو أن موسم

الأدب يبدأ عندما تنتهى الدراسة . والحق أن الصيف لم يكن حتى الآن — فى مصر — موسما أدبيا ، فلابد أن يكون بدء الموسم الدراسى ، وإقبال الخريف ، هو علامة الفصل الذى تنشط فيه دوائر الأدب والفن .. وبعد قليل ستحفل صفحات الجرائد بباب « محاضرات اليوم »

ونحن نتوقع أن يكون الموسم هذا العام خصبا ، وأن أصوات المفكرين ستتداعى إلى الإصلاح والإنشاء والبحث ، فى حرية وقوة وطلاقة ، وقد أظلها العهد الجديد بعد أن رفع من كرامة « الإنسانية » .. هذه الكرامة التى سيظهر أثرها فى انطباعات نفوس الأدباء والمفكرين ، ثم فى إنتاجهم !

أدب الثورة

ولن يتأخر طويلا أدب الثورة .. فلا شك أن الحرية والكرامة .. التى هى طابع العهد الجديد ستعطى للمفكر مشاعر جديدة .. ستملأ نفسه بالقوة . إن كل مشروع ، وكل إنتاج ، وكل عمل صالح يدرس الآن بعناية ، وتتلقفه أيد أمينة ، ونفوس مليئة بالحيوية .. تريد أن تنشر الضياء على كل مرفق من مرافق الحياة .. فما بالك بقلب الحياة : الأدب والفكر

لقد انتقلت مصر فى لحظات من الهزل البغيض إلى الجد الصارم ! هذا طابع العهد .. وهو طابع العهد

العمل ، الوقت ، المشاريع ، الإصلاح ، الغربلة ، التنقية !

سوف تختفى من النماذج الإنسانية صورة « المتوا كل » و « اللص » و « الخطاف » و « الأثيم »

وسوف تختفى « المرأة » الجاسوسة ، أو المسيطرة على الزعماء

وسوف تختفى صورة « الخادم » الذى يملك من السلطان أكثر ما يملك الوزير !

ستكون النماذج الإنسانية الجديدة ، قوية ، حية ، عليها سيماء النقاء والطهر ، ستكون أهداف الأدب الجديد عالية ، فى سبيل الوطن والحق والمثل العليا

لقد خلفت مصر وراءها روح الجمود ، واليأس ، والحقد ، والصراع على المطامع ، وبدأت صفحة جديدة من الوحدة ، والتعالى عن الرغبات الشخصية ، وسيمتد هذا الأثر ليس إلى الأدب والفكر وحده ، ولكن .. إلى المسرح ، والصحافة ، والإذاعة ، والنحت والموسيقى ، ونحن نرى البواكير هذه الأيام فى مسرحيات جديدة قد اختفت منها تلك الغرائز المهدهدة ، والمناورات السخيفة ، والنزوات الطائشة ، ونرى قصائد وأغانى فيها روح الثورة ..

ونأمل أن نرى على الأيام فنا أقوى .. يتجه إلى السماء !

الأدب فى سوريا

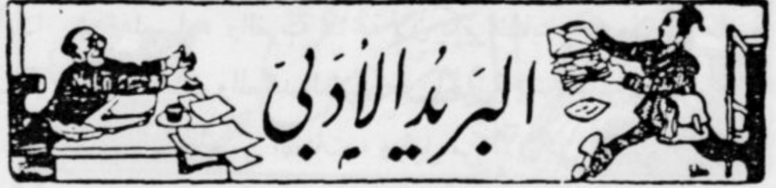
فى مجلة « الوعى » .. هذه المجلة الأدبية الإسلامية الأنيقة ، فى عددها الجديد الذى صدر هذا الأسبوع كلمة عن الأدب فى سوريا بمناسبة العهد الجديد ، رأيت أن أنقلها تسجيلا لأثر العهد الجديد هناك ، فقد كتب الأستاذ زكى المحاسنى يقول « فى سورية الحاضرة ، أدباء وشعراء وأهل نقد ، وفنون ، بعضهم جامعيون ، وبعضهم مدرسون ، وبعضهم من أهل المجمع العلمى السورى ، ويعدون من أهل الصحافة أو الوظائف ، وفيهم أشياخ وشبان ، وبعض نسوة وفتيات ، ويغلب على شيوخ هذا الأدب التوحد والتفرد والتحيز ، وليسوا كثيرا ، فهم أفراد معدودون ، لكل منهم مذهب فى الحياة الخاصة والعامة ، غير أنهم يتجهون « لأدب الشباب » إذ يؤثرون أن يكون « أدب الشباب » قويا نزاعا إلى اللغة الحرة والبيان الراق

من أولئك الشيوخ شعراء ، لم يستطع شعرهم بعد شوقى وحافظ ومطران أن يحلق فى أجواء هؤلاء الخالدين . أما أهل النثر منهم فمنطوون على أنفسهم ينفس الواحد منهم عن أدبه بين السنة والسنة بمقال ، ولم ينشطوا إلا قليلا إلى نشر المؤلفات النافعة ، ولكن أولئك الجدد المنطلقين من قيود الماضى ، وهم رعيل الكهول والشباب يأخذون فى «بناء» أدب سورى جديد يرجى نفعه ، وإن لهم لنزعات نحو أدب الشعب قد تكون صالحة لزماننا هذا أكثر من صلاح أدب الأبراج العاجية » اه

إن سوريا هى الأخرى قد انتقلت إلى الجد الصارم وكذلك لبنان

ولذا فنحن نتوقع للأدب العربى جميعا فجرا جديدا

أنور الجندى



« الله وردى »

حضرة الأستاذ رئيس تحرير مجلة « الرسالة »

قرأت فى الرسالة الغراء ما كتبه الأستاذ عبد اللطيف محمود الصعيدى عن (ميشيل الله وردى) ناظم (وحى البردة) ويقول الأستاذ عبد السلام إن (اسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين) .

وعائلة الله وردى هى عائلة أرمنية مسيحية كاثوليكية لها صلة قريبة بعائلة المرحوم يعقوب أرتين باشا ابن المرحوم أرتين بك الذى كان من وزراء محمد على الكبير

علمت ذلك من المرحومة كريمة أرتين باشا عندما أرادت أن توقف أملاكها قبل وفاتها، إذ استدعتنى ذات يوم وطلبت منى أن أتولى تحرير مشروع عقد الوقف وطلبت النص فيه على تعيين حصة لإحدى السيدات سمتها باسم (الله وردى) فسألتها ومن هى هذه السيدة ؟ فقالت إنها سيدة مقيمة فى باريس ومن ذوى قرابة والدتها (بنت عمة أو بنت خالة) على ما أذكر . فهل هذا الشاعر ميشيل الله (وردى) ينتسب إلى هذه العائلة ؟ الله أعلم فليسأل !

عزيز خانكى

إلى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

عندى سؤال تحيرنى الإجابة عنه ، وقد رأيت أن أعرضه على صفحات الرسالة لعل الأستاذ الدكتور الأهوانى أو أحد زملائه من أساتذة علم النفس يتفضلون بالإجابة عنه فى وقت سريع

وخلاصة ما أود أن أقوله : أننى مدرس أديب ، أقرأ جيدا ، وأكتب جيدا ، معبرا عن خواطرى فى دقة ووضوح ، وقد أخذت أشعر منذ عام بحدث غريب يقطع على متعة القراءة ؛ فما أكاد أطالع بضع صفحات من كتاب أو صحيفة ، حتى يأخذنى النوم ويقع الكتاب من يدى، مع ما أشعر به من وضوح المعنى المقروء والتمتع به تمتعا زائدا ، صباحا كان ذلك أو مساء . فمن يرشدنى إلى التخلص من هذا النوم المفاجئ ، مع أنى أنام يوميا مدة طويلة تناسب سنى ، وتطابق الوجهة الصحية . أرجو أن تحمل لى الرسالة ردا سريعا فى وقت قريب

(متألم)

عتاب

نشر صديقنا الشاعر الأستاذ كمال نشأت مقطوعة جميلة بعنوان « حياة جديدة » بمجلة الأديب اللبنانية عدد أكتوبر لم نستسغ منها قوله :

أمشى وفى عينى (آلام المسيح على الصليب)

فان الله يقول « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » يا أخى :

نحن مسلمون فى بلد مسلم ! والفن ينبع من المجتمع، ورسالته حتما للمجتمع ، وليس الفن للفن كما يزعمون ...

عبد المنعم أبو سيف

رد ونقد

خطأ أحد الباحثين استعمال « تعاهدنا على تحقيق أهدافنا » وأقول إن الاستعمال صحيح وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى المصباح المنير : الغرض الهدف الذى يرمى إليه ، وتقول غرضه كذا على التشبيه أى مرماه الذى يقصده اه

وجاء فى لسان العرب : الغرض هو الهدف الذى ينصب فيرمى . . . وغرضه كذا أى حاجته وبغيته ، وفهمت غرضك أى قصدك اه

وجاء فى مستدرك شرح القاموس : ويقال : غرضه كذا أي حاجته وبغيته

قال شيخنا : قد كثر حتى تجوزوا به عن الفائدة المقصودة من الشىء وهو حقيقة عرفية بعد الشيوع لكونه مقصدا وقبل الشيوع استعارة أو مجاز مرسل اه

وجاء فى أساس البلاغة : ومن المجاز فلان هدف لهذا الأمر وغرض له اه

من هذا يتبين للقراء أنه لا فرق بين الهدف والغرض فى جميع المعانى الحقيقية والمجازية ، وأنت تقول : حققت غرضى أو مطلبى ، وتحققت أغراضنا أو مطالبنا ، وقد أجاز الكاتب الفاضل استعمال « تعاهدنا على تحقيق مطالبنا » فإذا كان هناك فرق بينهما فليبينه

وقد خطأ استعمال « يهدف إلى كذا » وأقول إنه أنه صحيح أيضا كأصله السابق لأن المعنى يتجه ويقصد ويدخل ويسرع إليه كما يتجه السهم أو القذوف إلى هدفه

وأرشدنا الأستاذ إلى الاستعمال الصحيح الوارد فى اللغة ؟ ! وهو (استهدفه) ولم أجد استهدفه متعديا فى جميع المراجع التى بين يدى . . .

علي حسن هلالي

(الرسالة) أقر المجمع اللغوى هذا الاستعمال

جناية الحزبية على الأدب

إن الحزبية البغيضة فى مصر شر كلها ، بل هى مزيج مركب من شرور لا حصر لها . وحسب مصر من شرورها أنها مزقت الوحدة ، وفرقت الكلمة ، وأصابت روابط الأخوة والمودة بالوهن ، وبذرت فى النفوس بذور الإحن والفرقة والبغضاء ، وفى الصدور بذور الحقد والعداوة والشحناء ، وغرست فى تربة مصر الأنانية الممتزجة بالجهل ، والمهاترة المشوبة بالتوتر

أما جناية الحزبية البغيضة على الأدب فهى أجل من أن توصف ؛ فالشباب هو التربة الصالحة للأدب والبيئة التى يجب أن تهيأ له ، ومن أين لمصر الشباب الذى يتجه فى حياته نحو الأدب ، والحزبية البغيضة المشوهة لم تدع له فرصة للاشتغال به ، ولسلوك نهجه ، وللاغتراف من منهله

وقد كان من الممكن للأدب أن يكسب أنصارا من طلبة الجامعات العلمية وهم أجدر بنصرته ، ولكن الحزبية البغيضة تسللت داخل أسوار الجامعة ولم تدع قليلا ولا كثيرا إلا ساقته فى موكبها ، وضمته إلى شيعتها ، اللهم إلا النادر الذى لا يعتد به ، والذى لا حكم له بجانب الكثرة الساحقة ، التى اتخذت من الحزبية البغيضة مهنة تمتهنها ، وحرفة تحترفها ، وأصبحت لا تقدم لمصر إلا المهاترة والمناوشة والثرثرة على ضوء التعصب للأحزاب والزعماء ، وعلى حساب مصر المنكوبة فى شبابها وهم عصبها وعدتها وأملها فى المستقبل القريب والبعيد

نعتقد أن حركة الجيش تعتبر نهاية للحزبية البغيضة القائمة على غير مبادئ أو أهداف ، والتى يجب أن تكون اليوم فى ساعات الاحتضار الأخيرة ، لتلفظ أنفاسها غير مأسوف عليها ، والفرصة سانحة لأن يكفر شبابنا — ولا سيما طلبة الجامعات والمعاهد العلمية — بالحزبية البغيضة ، ويودعها بألذع ما تستحقه من اللعنات ، ويقبل من الآن على الأدب ، وينضم إلى شيعته ، فما عاشت دولة بغير أدب ، وما وصلت دولة إلى نهاية المجد إلا بالأدب !

وها نحن أولاء فى الانتظار ..

نفيسه الشيخ

لقد دالت دولتهم

لو حاول الإنسان أن يحصى الأمثلة على جحود الإقطاعيين واستهتارهم لأعجزه الحصر.. وحسبنا أن نسوق اليوم قصة إقطاعى بلغ به الاستهتار حد الكفر — والعياذ بالله — وتلك نقمة الغنى تدفع بصاحبها أحيانا إلى حد الجنون ، أو الكفر . . وكلاهما لا يرضاه إنسان لنفسه !

فقد سمعت أن إقطاعيا كان يدعو إليه فلاحا من فلاحيه ، ويأمره أن يدعو الله أن يهبه بقرة . . ثم يسأله الإقطاعى الأحمق فى تهكم :

هل وهبك الله البقرة ! ؟ إذن أنا أهبك البقرة . . فيدعوه الفلاح فيأمر له بالبقرة !

هـذا منتهى الإجرام فى حق الخالق العظيم ، الذى بسط له فى الرزق ، إلى حد أنساه حق النعمة ، يذكرنا بما قاله « موسى عليه السلام » عن فرعون وقومه :

«ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم »

ويذكرنا بوصف القرآن الكريم :

« ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين »

وبعد . . لقد دالت دولة الإقطاع ، كما دالت من قبلها دول أقامت عروشها على الظلم والطغيان ، فتلك مسا كنهم لم تسكن من بعدهم ... وتلك قصودهم خاوية على عروشها . . ينعق على أطلالها البوم ... فاعتبروا يا أولى الأبصار

عيسى متولي



الكذبة

للقصصى الروسى بانتليمون رومانوف

كانت الغرفة مبعثرة الأثاث ؛ وكان هو جالسا إلى مكتب قد انتثرت عليه الصحف والكتب فى غير نظام ولا ترتيب ، وكان ممسكا بيده غطاء محبرة قد كان رفعه عنها بحركة غير إرادية ، وبصره مثبت فى نقطة أمامه يحدق فيها

وكان من عادته أن يجد صاحبته بانتظاره مشتاقة فى صبر ، ولكنه لم يجدها على عادتها فى الدار ... لقد قالت له فتاة الجيران إن « ماريا سيرجيفانا » خرجت بغير أن تترك وراءها خبرا

وكانت هذه هى المرة الأولى التى لم تنتظره فيها منذ أن تعارفا حتى اليوم. لقد كان أخبرها بالتلفون أنه ربما استطاع لقياها اليوم ساعة واحدة ، ولكنه استطاع أن يتحرر بغتة طوال هذا المساء ، إذ كانت زوجه قد خرجت لزيارة بعض الأصدقاء

ومضت الساعة الحادية عشرة وتلتها الثانية عشرة وهو مازال منتظرا . وأخيرا أزفت الساعة الأولى ولما تأت ! وكان كلما طال انتظاره تشتد به الرغبة فى البقاء حتى تعود فيعرف أين كانت

وأخيرا وقبيل الساعة الثانية دق جرس الباب ففتح لها فطرق أذنيه وقع أقدامها ؛ وما هى إلا أن فتحت الباب ودخلت فلم يكن له متسع من وقت يصلح به هيئة وجهه للقياها

كان الثلج قد غطى كمى معطفها وكتفيه ، وكان خداها قد توردا من لفح الرياح المحملة بالثلج ، وعيناها السوداوان مشرقتين بوميض من الغضب والهياج . كان أول ماابتدرته به من الكلام قولها :

— أهلا بك ، أنت هنا ؟

وكان فى صوتها نغمة فرح ودهش يشبه التكلف . ثم استأنفت قائلة :

— ولكنك قلت إنك لن تستطيع المجئ !

وكانت تقول ذلك وهى تلقى على الغرفة نظرة فاحصة ، فأجابها :

— كلا ، لقدقلت إنى ربما جئت ولكنى لم أكن واثقا تماما من هذا . قال هذا وهو يعيد غطاء الدواة إليها ، ثم قام فمشى حتى جاء فوقف قبالة صاحبته

— إنك على حق ، غير أنك قلت إنك إن جئت فلن تظل أكثر من ساعة

— حسبت أن لقاء ساعة عندك تفضل الخروج مساء ... إلى حيث لا أدرى

فأجابته بسرعة قائلة :

— « أوه ... إنما كنت ذهبت إلى الملهى » ، ونزعت قبعتها فنفضت الثلج الذى كان يغطيها على البساط . ثم إنها بدأت تزيل الثلج الذى كان قد تراكم على كمى معطفها فى أناة ظاهرة واعتناء . فهز صاحبها كتفيه وبدأ يعينها على خلع ملابس الخروج التى كانت ارتدتها محتفظا بصمته ، ذلك الصمت الذى كثيرا ما يشاهد فى مناظر الشجار والمنازعات ، ولم يخف ذلك منه على صاحبته ولكنها اعتصمت بالصمت العميق مثله ، غير أنها بعد أن ألقت عليه نظرة جانبية بدا لها أن تغير وضعها — فجأة — فقالت تكلمه فى صوت لطيف :

— أجائز أنك لا تصدقنى ؟ واقتربت من حبيبها بجو تشم فيه رائحة الهواء الطلق البليل الذى كانت فيه منذ برهة قصيرة ، فوضعت يديها — ولم يكن ليخفى عليه جمالها — على كتفيه ،

غير أنه أحس ثانية أن هذا التبدل السريع من وضعها الأول إلى هذا الوضع الأخير اللطيف مما تقسر عليه نفسها ، إنه متكلف أيضا ! ثم قالت له :

— وفى استطاعتى أن أعدد لك كل حركاتى هذا المساء : كان أحد أصدقائى ومعه خطيبته ينويان الذهاب إلى الملهى ، وكانت

عندها بطاقة دخول زائدة فاستدعياني معهما إلى الذهاب ففعلت ، وذلك كل شيء تم

— فجيئك من الملهى إذا فى هذه الساعة ؟

— نعم

ثم رفعت يديها عن كتفيه — وما كان قد مسها — وذهبت إلى مرآة الصوان كأنها تريد أن تصلح شعرها ، ولكن عينيها عادتا إلى ما كانتا عليه من النظر إلى الغرفة نظرة عجلى فعل العائد إلى داره يجد فيه ضيفا غير منتظر ليطمئن على أنه ليس فى المكان بعض ما لا يجب أن تقع عليه عين ضيفه من أشياء :

وكان هو يلحظها أثناء ذلك من طرف خفى ويتتبعها فى كل ما تصنع ، أما هى فكانت تخفى شعورها بمراقبته هذه وتدقيقه وتتظاهر بهيئة من ناله تعب أو مسه جهد ، بينما كانت تمشط شعرها وتعيده إلى نظامه أمام المرآة

... لقد بدا له من الغريب أن تكون لشخص تصحبه إلى الملهى خطيبته بطاقة دخول زائدة !

... قالت : « وقد خاب ارتقابى مقدمك عند المساء تماما » ، ثم جلست على كرسى كبير بقرب المكتب قبالة صاحبها واسترسلت قائلة :

« ... فوقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم ... ألم تر هذه الرواية من قبل ؟ »

ومع أن الرجل كان مازال واقفا فى مكانه ، وعلى وجهه سيماء من يستمع إلى كذبة مدبرة حازمة صادرة من شخص كانت له بصحة ما يقول ثقة قوية — منذ قليل من الزمان فقط — مع هذا ، فإنها استمرت تتم حديثها وكأنها غير شاعرة بحالته الغريبة التى كان فيها

قالت : « وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع ؛ وكان الممثلون يقومون بأدوارهم وما فى نفوسهم شوق إليها ، وكان أحسن ما هنالك فتاة ممثلة جودت فى دور لها متوسط »

وهنالك أدار صاحبها عينيه نحوها وقال لها :

— إنه ليس ثمة سبب يدعونى إلى الشك فى أمر ذهابك إلى الملهى

فردت عليه قائلة : « عزيزى ، إن شئت أريتك البطاقة » ، وفتحت حقيبة يدها وأخرجت له البطاقة بدون بحث ولا عناء ، بل كان فى حركتها أثر الاطمئنان . فأخذ الورقة المطوية منها بحركة آلية ثم أردف قائلا :

— إنى لا أدرى ما هذا الذى حدث بالضبط ولكنى لحظت من زمن يسير أن علاقاتنا قد طرأت عليها شائبة من الخداع

— وماذا تعنى بالخداع ؟

وكانت جالسة على كرسيها . فرفعت مرفقيها علامة السؤال والاستغراب

فأجابها : « لا أدرى تماما ولكن هنالك شيئا مما أقول . على أنى أطلب منك شيئاً واحداً ، ذلك ألا تضطرى الواحد منا إلى الكذب على الآخر . لقد كان بيننا عاطفة ود قوية ، وفى أمثال هذه العواطف التى بيننا لا يستحسن الكذب أبدا . فلا تحدثينى الليلة بشىء ، ودعى ذلك إلى الغد . خابرينى بالتلفون وإذ ذاك تستطيعين التحدث بكل شىء . إن كلا منا حر مطلق التصرف فى نفسه ، فإن لم يبق بيننا « حب » فلا حرج ولا بأس . . لنفترق

ثم وضع قبعته على رأسه مهتاجاً وارتدى (سترته) وخرج دون أن يودعها

. . كان يسير إلى داره مستعيدا فى ذهنه حركاتها وصوتها فبدا له كل ذلك صورة من مكر وخداع بغيضة ! لقد كانت تحدثه عن الملهى حديث المضيف إلى زائر طرقه ، وذلك فعل المرأة حين تريد كذبا ، وكانت تتحدث عن الملهى حديثا عاما مبهما بالطريقة التى يتكلم بها المرء عن حوادث قدم عليها العهد ، وكان عليها — إلى هذا — أن تبتدع كذبة تأخير الرواية ساعة عن ميعادها المعين لتبرر تأخرها عن موعد انتهاء أوقات الملاهى عادة !

أما البطاقة .. فمن يدرى ؟ لعلها ابتاعتها .. وهى تستطيع ذلك . بل ربما دخلت الملهى حقا وشاهدت الفصل الأول .. ثم .. ؟

غير أن فكرة — آخر الأمر — اعترضته فوقف تحت مصباح الشارع وأخرج من جيبه البطاقة التى كان قد وضعها فى جيبه بغير شعور منه

فلما أن فتح البطاقة الصغيرة الخضراء ليتبين التاريخ عليهـا وجد أنها قديمة ، مؤرخة بتاريخ أول الشهر ، وهم اليوم فى الثامن عشر منه ! فيالها من كذبة دنيئة !

كان أول ما دار بخلده أن يمزق قمامة الورق البغيضة تلك.. غير أنه أعادها إلى جيبه ثانية لسبب خاص ..

إنها حقا كذبة إنسان صفيق الوجه ! فيالها من زلة ! إنها كفيلة بأن تخجل الإنسان من نفسه ..

ولما وصل إلى بيته لم يجد فى شبابيك طابقه أنوارا ! كأن زوجه لما تعد ، وكان ذلك له خيراً ، فنى استطاعته أن يزعم — الآن — لها أنه كان فى الدار طوال المساء فقضاها أمسية وحيدة على مضض منه .. غير أن ضوءاً بدا فى غرفة النوم — بغتة — لقد سبقته زوجه إلى الدار ! منذ خمس دقائق فقط !

فصعد إلى الطابق السادس بسكون مفكرا فيما عسى أن ينتحل من الأعذار ؛ ثم تسلل إلى الردهة فى ارتقاب وحذر فى حين أن زوجته كانت خارجة من غرفة النوم مسرعة وهى تشد وسطها بحزام فستانها البيتى ، فلما وقع نظرها عليه ابتدرته سائلة فى استغراب :

— ماذا حصل أيها العزيز فأخرك ؟ لقد ظللت فى الدار طول المساء هذا ، ذهبت إلى بعض الجيران ، وكان عندهم أقاربهم فلبثت عندهم ساعة ثم عدت وفى أملى أن أقضى هذا المساء معك فأجابها :

— غير أنى كنت أحسب أنك ستكونين خارج البيت الليـلة ، وذلك الذى دعانى إلى الذهاب إلى الملهى ! فإن ذلك ولا شك خير من بقائى فى الدار وحدى !

— ولـكن لماذا أراك متأخرا للآن ؟

— أوه .. إنك تعرفين كيف يسير هؤلاء فى أعمالهم .. لقد وقعت بعض أخطاء أخرت الرواية عن موعد بدئها ساعة ، فضاق المتفرجون بذلك ذرعا ، وعلت أصواتهم وسمع تصفيقهم !

ثم أخرج تلك الورقة المطوية وألقاها على الطاولة بحركة تدل على تعبه ، ثم استطرد قائلا :

« وكانت الرواية غاية فى السخف ، مملة ، بينة التكلف والتصنع فى كل شئ من مظاهرها . وخير ما كان فى الرواية كلها فتاة ممثلة أجادت فى دور لهـا متوسط ، ولو دريت أنك ستكونين فى الدار الليلة ، إذا لتركت الرواية بعد فصلها الأول !

ف . س



العدد ١٠٠٩ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٣٥

الرواية

تعـــــــــــــــود



و

الرسالة

تتجـــــــــــــــدد



في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، وفخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1009

Le Caire 3 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة العشرون — العدد ١٠٠٩ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ صفر سنة ١٣٧٢ — ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٢

عدونا الاول: الرجل الابيض

للأستاذ سيد قطب

في أمريكا يتحدثون عن « الرجل الأبيض » كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إله . ويتحدثون عن « الملونين » من أمثالنا المصريين والعرب عامة كما لو كانوا يتحدثون عن نصف إنسان !

فالذين يعتقدون أن الأمريكان يمكن أن يكونوا معنا ضد الاستعمار الأوربي هم قوم إما مغفلون أو مخادعون ، يشتغلون طابورا خامسا للاستعمار الأمريكي المنتظر لبلاد الشرق الأوسط !

إن مصالح الاستعمار الأمريكي قد تختلف أحيانا مع مصالح الاستعمار الأوربي . ولكن هذا ليس معناه أن يكونوا في صف استقلالنا وحريتنا. إنما معناه أن يحاولوا زحزحة أقدام الأوربيين ليضعوا هم أقدامهم فوق رقابنا . وفي الغالب هم يجدون حلا لخلافاتهم مع الاستعمار الأوربي على حسابنا

إن الرجل الأبيض هو عدونا الأول . سواء كان في أوربا أو كان في أمريكا .. وهذا ما يجب أن نحسب حسابه . ونجعله حجر الزاوية في سياستنا الخارجية ، وفي تربيتنا القومية كذلك

إن أبناءنا في المدارس يجب أن تربى مشاعرهم وتفتح أذهانهم على مظالم الرجل الأبيض وحقارة الرجل الأبيض . وجشع الرجل الأبيض . ويجب أن تكون أهداف التربية عندنا هي التخلص من نفوذ الرجل الأبيض . لا سياسيا فحسب ، ولا اقتصاديا فحسب ، ولكن اجتماعيا وشعوريا وفكريا كذلك

ولكن الذي نفعله هو عكس هذا على خط مستقيم .. عندنا في وزارة المعارف عبيد للرجل الأبيض . عبيد يعبدون هذا الرجل كعبادة الله . بل إنهم ليلحدون في الله ولا يلحدون في أوربا أو أمريكا . سرا أو علانية !

وعندنا في معاهد التربية التي تخرج المدرسين ، فتؤثر بذلك في عقلية أجيال بعد أجيال .. عندنا فتات آدمي ينظر إلى الرجل الأبيض نظرة التقديس ، ويطبع مشاعر الطلبة الذين سيصبحون مدرسين بطابع الإعجاب والقداسة لأولئك المستعمرين القذرين ، الذين يحتقروننا ويهينون كرامتنا ، فنتلقى ذلك منهم بالشكر والثناء

وهذه جناية قومية ، وجناية إنسانية . . جناية قومية لأن الرجل الأبيض يستغلنا ويستغل أوطاننا استغلالا شنيعا ، ومن واجبنا أن نعبئ أعصابنا ومشاعرنا ضده ، لنسترد حقوقنا المسلوبة . وجناية إنسانية لأننا بتمجيدنا للأوربي والأمريكي إنما نمجد مثالا مشوها للانسان ، ونقيم تمثالا للجشع والطمع

والسلب والنهب والاحتيال . ثم نضع تحت أقدامه أكاليل المدح والثناء !

أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة جريدة مصرية صباحية يتحدث كاتبها فيها عن مأساة تونس مع فرنسا فيقول مخاطبا لرئيس الدولة الفرنسية :

« أما إذا كان يقصد شق الطرق وإنشاء السكك الحديدية ، وتشييد الأبنية وزيادة الرخاء الاقتصادى .. فلعله يعرف أن هذا كله تم لفائدة المستعمرين من الفرنسيين . أما أهل البلاد الأصليون فيعيشون كالغرباء . لا يزالون جهالا حفاة عراة . وقد ساومت أمريكا على أرض مراكش ، فأعطت أمريكا امتياز إقامة المطارات والاستحكامات الحربية على الشاطئ فى مقابل أن تنصرها أمريكا ، وتمهد لها السبيل لتنفيذ سياستها »

ولكن الكاتب يقول مع هذا عن فرنسا إنها « البلاد التى علمت الدنيا مبادئ الحرية والإخاء والمساواة » !

وهذا هو الاستعمار الروحى ، الذى يقيد مشاعرنا حتى ونحن ثائرون على الاستعمار السياسى !

هذا هو الاستعمار الروحى الذى ينطق الكاتب بهذه الخرافة حتى وهو يستعرض تاريخ فرنسا الأسود ، ومساومات أمريكا الاستغلالية

هذا هو الاستعمار الذى بثته فى أرواحنا المدرسة المصرية التى تنفذ أهداف الاستعمار إلى اللحظة الحاضرة . بل يقوم على رأسها وزير كان من عباد إنجلترا ، ثم أضحى من عباد أمريكا ومعه معاهد تربية تتعبد أمريكا من دون الله فى الأرض !

هذا هو الاستعمار الذى بثه فى أرواحنا كتاب خانوا أماناتهم للوطن ، وخانوا أماناتهم للانسانية ، فوقفوا أقلامهم طويلا على تمجيد فرنسا . ومع ذلك فإن بعضنا لا يزال يهتف لهم ، ويعدهم روادا للفكر فى الشرق !

إننى أفهم أن تهتف لهم فرنسا ، أو أن تهتف لهم إنجلترا ، أو أن تهتف لهم أمريكا .. أما أن نهتف لهم نحن العرب فهذا هو الهوان البشع ، الذى لا يقدم عليه فرد وله كرامة !

إن مكان هؤلاء اليوم كان ينبغى أن يكون مكان الجواسيس والخونة والطابور الخامس ، لا مكان التمجيد والتقدير والاحترام

كل رجل غمس قلمه ليمجد فرنسا أو تمجد إنجلترا أو يمجد أمريكا .. هو رجل منخوب الروح ، مستعمر القلب ، لا يؤتمن على النهضة القومية ، ولا يجوز أن يكون له مكان فى حياة هذه البلاد بعد نهضتها

إننى لا أكاد أتصور أن هنالك إنسانا له مشاعر الإنسان ، يرى « الرجل الأبيض » يدوس بأقدامه على أعناقنا فى كل مكان ثم يجد نفسه قادرا على تمجيد هذا الرجل ، أو حتى مصادقته . إننى أشك فى آدمية هؤلاء الكتاب ، وهؤلاء الوزراء ، وهؤلاء الأساتذة . نعم أشك فى آدميتهم لأن أول مميزات الإنسان أن يحس بكرامة الإنسان

أفهم أن تكون هنالك ظروف اضطرارية تلجئنا إلى تبادل التمثيل السياسى والقنصلى ، وإلى المبادلات التجارية والصلات الاقتصادية مع هؤلاء المستعمرين القذرين . أما أن نتبادل العواطف والمشاعر ، وأما أن نتحدث عن المآثر والمفاخر ، وأما أن نفتح قلوبنا وصدورنا .. فدون هذا ويعجز خيالى عن تصور المهانة ، وتصور الذلة ، وتصور المسخ الشعورى الذى يصيب الفطرة البشرية ، فيهوى بها إلى ذلك الدرك السحيق من الهوان

من الذى يسمع عن وحشية الفرنسيين فى الشمال الإفريقى ثم لا يمزق كل ماهو فرنسى ، إن لم يكن بيديه وقدميه ، فعلى الأقل بمشاعره وقلمه ولسانه ؟

من الذى لا يحتقر أمريكا ويحتقر معها آدمية الأمريكان وهو يجد المعدات الأمريكية والدولارات الأمريكية تشد أزر الاستعمار الأوربى فى كل مكان .. لقاء مساومات اقتصادية أو استراتيجية أو عسكرية ؟

من الذى يملك أن يقف على الحياد فى معركة الحرية بين الاستعمار الغربى وبين البشرية كلها فى مشارق الأرض ومغاربها .

ثم لا يكتفي بموقف الحياد بل يمد يده بالمصافحة والمحالفة لهذا الاستعمار القذر، الذي تلعنه الأرض والسماء؟

إن الاستعمار لا يغلبنا اليوم بالحديد والنار. ولكنه يغلبنا قبل كل شيء بالرجال الذين استعمرت أرواحهم وأفكارهم، يغلبنا بهذا السوس الذي تركه الاستعمار في وزارة المعارف، وفي الصحف، والكتب؛ يغلبنا بهذه الأقلام التي تغمس في مداد الذل والهوان الروحي لتكتب عن أمجاد فرنسا، وأمجاد بريطانيا، وأمجاد أمريكا

ولن نستطيع التغلب على هذا الاستعمار، إلا إذا حطمناه في مشاعرنا، وحطمنا معه الأجهزة التي تسحق إيماننا بأنفسنا. هذه الأجهزة الممثلة في وزارة المعارف ومعاهد التربية، والأقلام الخائنة الممسوخة التي سبحت يوما وما تزال تسبح بحمد فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا

وأنا لا أطمع في الجيل الذي شاخ أن يصنع شيئا. هذا جيل قد انتهى. جيل منخوب مهما بدا كالطود الشامخ. جيل مزيف لأنه لا يؤمن بنفسه، ولا يأنف من تقبيل الأرجل التي تركل قومه ووطنه وإنسانيته أيضا. جيل لا بأس أن تكرمه فرنسا، وأن تكرمه إنجلترا، وأن تكرمه أمريكا؛ لأنه يعمل لحسابها ويؤدي لها خدمات، لا يؤديها جيش مسلح كامل

كلا! لست أطمع في هذا الجيل الذي شاخ. إنما أنا أطمع في جيل الشباب المتحرر. الذي يحترم رجولته، ويحترم قوميته، ويحترم إنسانيته..

أطمع في جيل الشباب أن يخرس كل صوت يرتفع في مدرسة أو معهد أو كلية بتمجيد الرجل الأبيض، الذي خان أمانة الإنسانية

أطمع في جيل الشباب أن يحطم كل قلم ينغمس في مداد الذل والعار، ليمجدوا الرجل الأبيض الذي يدوس أعناقنا بحذائه

أطمع في جيل الشباب أن يحتقر كل رجل يصادق الرجل الأبيض، طائعا مختارا، بدون ضرورة ملجئة تحتمها الأوضاع الدبلوماسية!

ويوم ننفض الاستعمار على هذا النحو من أرواحنا وعقولنا..

يوم تغلي دماؤنا بالحقد المقدس على كل ما هو أوربي أو أمريكي..

يوم نسحق تحت أقدامنا كل من يربطنا بعجلة الاستعمار..

عندئذ فقط سننال استقلالنا كاملا؛ لأننا ننال الاستقلال من داخلنا: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». «سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا»...

سيد قطب

١ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

يخيل إلى أن أكثرنا يميل إلى بحث المسائل الدولية بعقلية قانونية . وأصالة الرأى فى معالجة السياسة الدولية تقتضى عدم التقيد بالنظرة القانونية فى تحليل حاضر أو مستقبل مشكلة من المشاكل الدولية . فالقانون الدولى نظام فكرى مرن مطاط يتحمل ألف تفسير وتفسير وألف مخرج ومخرج . والقانون الدولى فلسفة سياسية جوهرها الغموض وعمادها الدبلوماسية المرنة، وأبرز دعائمها اجتهاد لبق ذخيرته عناصر متشبعة من التحليل الدقيق للعوامل السياسية والاقتصادية والفكرية الطارئة، والتيارات الهادئة أو العاصفة التى تعترى حاضر قضية من قضايا الساعة ، والأهواء والنزعات وخفايا الأمور التى تكتنف هذه التيارات وتوجهها إلى هدف معين . وكل هذه الحقائق على قسط كبير من التعقيد والتشابك يقصر جوهر القانون الدولى ودساتيره المدونة عن تنفيذه وشرحه وتطبيق حرفية ذلك القانون عليه .

ولذلك فإن من غير الصواب أن نعالج المسائل الدولية على ضوء القانون الدولى وحده ، بل علينا أن نذهب أبعد من ذلك ونؤكد مع كثير من المراقبين للسياسة الدولية بأن الحصافة تقتضى أن وضع القانون الدولى فى زاوية بعيدة من مائدة البحث ، حتى إذا انتهينا من تحليل مسألة من المسائل الدولية على ضوء السياسة العملية والتيارات المعقدة المتشابكة (الاقتصادية والعسكرية والعاطفية والتاريخية) التى تكتنفها ، جلبنا القانون الدولى (أو بالأحرى هذا التراث من النماذج والسوابق والشروع والتعليقات التى تؤلف مايسمى القانون الدولى) وطلينا الصيغة النهائية لاجتهادنا فى السياسة العملية بطلاء قانونى قشرته حساسة مطاطة تفسح المجال للكر والفكر وللتعديل والتنقيح

ومثل هذه الحصافة توفر لصناع السياسة وللمعقبين على السلوك السياسى مرونة يستطيعون معها أن يقبلوا على معالجة حدث من حوادث الساعة فى عقل حذر واجتهاد فطن لا يضيره أن يرفض أو أن يساوم على منفعة عاجلة فى سبيل نصر مرتقب ، أوأن يقبل مايبدو أنه قبول نهائى ، بينما هو يضمر هدفا همه المصلحة الجوهرية الآجلة للمسؤولية التى يتولاها صناع السياسة بالنيابة عن الأمة التى انتدبوا لتسيير شؤونها وخدمة مصالحها العامة

وقد يقرأ بعضنا فى ثنايا هذه السطور دعوة إلى الخداع وضرب من الغش ولكن الخديعة والغش أن تكتم عن الناس الحقائق . والحقائق فى السلوك السياسى تؤكد أن جوهر هذا السلوك صراع حاد قد يكون طابعه الصدق مرة والمراوغة مرة أخرى، واللباقة آنا والتهديد والوعيد آونة أخرى ، ومثل هذا الصراع يفترض الخديعة والغش فإذا اعتصم فريق بالصدق وحسن النية والمثالية المجردة وهو عالم بأن الفريق الآخر يتسلح بغير الصدق والمثالية والنية الصادقة فالفريق الأول يخدع نفسه ويضر بالأمانة القومية التى وكلته الأمة بالدفاع عنها وبصيانتها عن عبث العابثين

والدبلوماسية (وهى تعريف لهذا الاجتهاد الذى يحاول به صناع السياسة أن يصونوا الأمانة القومية التى وكلهم الشعب بها) جزء لا يتجزأ من سياسة السلم والحرب . والحد بين السلم والحرب خطر نظرى لا وجود له إلا فى مخيلة الناس . وقد قال حكماء العرب الأقدمون « الحرب خدعة » فإذا فسرنا هذه الحكمة تفسيرا صحيحا فإن لنا أن نعتبر أن « السياسة خدعة » كذلك ، والعبرة فى الحكم والأمثال أن تتجاوز المتعة العقلية وأن تطبق على جوهر السلوك الإنسانى

* * *

وبعد فإن موضوع البحث هو مسألة (الدفاع عن الشرق الأوسط) وهى مسألة لها وضعية فريدة فوق أنها قضية خطيرة — فريدة لأنها مكتنفة بتيارات وعوامل على غاية من التعقد والتشابك، وخطيرة لأنها تمس صميم الأمانة القومية التى يهتم بها كل مواطن عربى ويحمل لواء الدفاع عنها قادة الرأى وأولو الأمر من صناع السياسة فى بلدان العرب. وعلى ذلك فإن الحديث عن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط هو الحديث عن أبرز مايعترض حاضر السياسة العربية من أحداث طارئة لا تقتصر على الأوضاع الداخلية للدول

العربية فحسب ؛ بل تتصل اتصالا مباشرا بمستقبل الكيان العربي بأسره كمجموعة إقليمية و كدول منفردة ، كما تمس مستقبل هذا الثعلب اليهودي الذي يكمن في عقر دارنا ومستقبل العلاقات التي تربط دول الجامعة العربية بالعالم الخارجي — في الشرق والغرب

* * *

والحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط يختلف باختلاف الجهة التي يصدر عنها الحديث، فالعرب تنظر إليه نظرة خاصة ، وتركيا تنظر إليه نظرة أخرى، وللبريطانيين فيه اجتهاد منفرد، وللأمريكان رأى خاص ، وللفرنسيين كذلك تفسير معين ، وموقف إسرائيل منه يختلف عن هؤلاء جميعا

ولكن المحافل العامة إجمالا حين تتناول مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط تفكر في أمور معينة تشترك فيها جميع الأوساط المعنية بالأمر

هذه الأمور هي : —

(١) — المركز الاستراتيجي للشرق العربي في خطط الدفاع عن الميدان الأوروبي — كلا المعسكرين الروسي والغربي ، وهذه الاستراتيجية تشمل قناة السويس والمطارات الجوية الصالحة لخطط حلفاء الغرب وما قد يفكر فيه الروس من خطط عسكرية مماثلة

(٢) — الثروة البترولية في هذا الشرق وأهميتها لعصب الجهاز الحربي لأي من المعسكرين المتطاحنين

(٣) — كون الشرق العربي نقطة القفز إلى القارة الإفريقية التي لها في مستقبل الاقتصاد الأوروبي والأمريكي مكانة بارزة

(٤) — أهمية الشواطىء الشرقية للجزيرة العربية وخليج العجم في الخطط البحرية لأساطيل الحلفاء في المحيط الهندي وفي الرغبة القديمة الكامنة في روسيا للوصول إلى منافذ مائية إلى هذه البحار الآسيوية وإلى البحر الأبيض المتوسط

وقد كثر الحديث عن هذه الأمور — أو عن بعضها — لدرجة أصبحت معالجتها من قبيل الكلام المعاد ، وأصبح تحليل أوضاعها من قبيل الابتذال في الاجتهاد الفكري

ولكن الواقع أن معالجة الناس لهذه الأمور — وفي الشرق العربي خاصة — كانت ولا تزال مشوبة بطابع السطحية والنظرة الركنية التي لا ترى الحقائق إلا من جنب واحد ، وهذا شيء طبيعي مبعثه العوامل القومية العنيفة التي تتفاعل في تفكير العرب هذه الأيام ؛ وقصور الصحافة العربية وألسنة الرأي العام عن الأسباب في معالجة الشؤون الدولية عامة والناحية العربية في الشؤون الدولية على وجه الخصوص — معالجة دقيقة مسهبة

وكل مايطمع كاتب هذه السطور لتسجيله هنا هو جمع أكبر قسط مستطاع من الآراء والتعليقات والتصريحات وما تنطوي عليه سياسة بعض الدول (المعنية بشؤون الشرق الأوسط) من مادة فكرية خاصة بموضوع الدفاع عن الشرق الأوسط ، وتنسيق هذه المادة بحيث تعين الباحث في هذا الموضوع على تكوين فكرة شاملة عنه تكون ذخيرة نافعة للذين يهمهم التدقيق في مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط على ضوء المصلحة الجوهرية للحكومات والشعوب العربية ؛ وعلى ضوء البرامج التي وضعها كلا المعسكرين المتخاصمين — السوفييتي والغربي —لا كتساب الشرق الأوسط إلى الحظيرة

وإن من الطبيعي أن يتسرب إلى معالجة هذا الموضوع الآراء الشخصية التي يحملها كاتب هذه السطور ، فمهما تعمد الكاتب التجرد في تحليله لمسألة من المسائل فلا مفر له من أن يبث في ثنايا السطور أطرافا من تفكيره الخاص

والعذر الصحيح الذي يبرر لكاتب هذه السطور إقدامه على دراسة مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط كونه قد شغل بهذا الموضوع وتتبعه بدقة في مراحله العديدة ، وحاول أن يلم بخفاياه وظواهره، وأن يجمع أكبر عدد ممكن من الوثائق، وأن يزن مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط بميزان التحليل القارن لمسائل الدفاع عن مناطق جغرافية أخرى كالحلف الأطلنطي والجيش الأوروبي وميثاق الدفاع عن الباسفيكي والتحالف الروسي — الصيني في الشرق الأقصى ومكانة الشرق الأوسط في كلا المعسكرين السوفييتي والغربي

وعلى ضوء هذا التمهيد فلنشرع في استعراض هذا الموضوع في شيء من الإطالة

(للكلام صلة) نيويورك **عمر حليق**

١ – الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هذه الحكومة الرشيدة التي جاد بهـا الدهر وهو الضنين بأمثالها ، هـذه الحكومة التي ثارت ونهضت لتصرع البغى وتقضى على الفساد ، وخطت فى ذلك الخطوات الواسعة السريعة ، جدير بها أن تسرع الخطى إلى مفسدتين استشرى داؤهما وكاد يقضى على البقية من الخلق والدين ، هاتان المفسدتان هما : الخمر والميسر

«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» (البقرة ٢١٩)

«إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » (المائدة ٩٠)

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر » (المائدة ٩١)

فهذه الآيات الكريمة التى تقرن الخمر بالميسر ، وتجمع بينهما فى شرورهما وآثامهما ، وخضوعهما للشيطان وقوى الإفساد ، هذه الآيات لا ريب أنها ستجد من أولى الأمر فينا آذانا صاغية ، وإصغاء واعيا لأمر الله وأحكام دينه

وقد بادرت حكومتنا فاتجهت فى سبيل سن العقوبات الرادعة لمدخنى « الحشيشة » والاتجار بها ، وليست الخمر والميسر بأقل فى أضرارها المادية والخلقية والصحية والاجتماعية والسياسية من « الحشيشة » . فعلى موائد الشراب والقمار تضيع الأمـوال ، وتفسد الأخلاق ، وتعتل الأبدان ، وتتحلل الروابط الاجتماعية ، ويتسلل العدو إلينا فيما بين ذلك غانما رابحا . وقد قرأنا فى أثناء ثورة الشعب الأخيـرة أن الأموال التى تتدفق من المصريين إلى خزائن الدول الأجنبية ثمنـا للخمور يزيد على خمسة ملايين من الجنيهات فى كل عام

حقا إن الدولة قد حظرت لعب الميسر على موظفيها ، ولـكن موظفيها ليسوا كل شئ فى الدولة ، فإن الميسر يتخذ صورا شتى صغيرة فى مقاهى القرية والمدينة ، ويبتز أموال الفقراء الـكادحين ، ويوقع العداوة والبغضاء إيقاعا يترجم فيما بعد بالقتل وسفك الدماء وارتكاب كثير من جرائم السرقة والسطو والاغتصاب ، فأولى بالحكومة أن تعمم تحريمه فتقطع بذلك دابر أجناس شتى من جرائم الأخلاق وجرائم النفوس

هـذه الرغبة الاجتماعية لدعاة الإصلاح فى هذا البلد هى التى أوحت إلى أن أكتب هـذا البحث الدينى التاريخى ، الأدبى اللغوى ، الذى رأيت حوله ظلاما أردت تبديده ، ورأيت أن لدى كثير من الأدباء رغبة فى تجليته وإظهار أسراره ، فإن قليلا من الباحثين هم الذين تعرضوا للكلام على الميسر ، ومن هؤلاء القلة :

١ — برهان الدين البقاعى ، المتوفى سنة ٨٨٥ كتب فى تفسيره المسمى (نظم الدرر ، فى تناسب الآى والسور) فصلا كبيرا ممتعـا ، وقد أفرده المستشرق السويدى (لندبرج) : Cont. c. de landeberg الذى كان يسمى نفسه «عمر السويدى» وطبعه فى مجموعة (طرف عربية) فى ليدن ١٣٠٣ وسماه (لعب العرب بالميسر فى الجاهلية الأولى) وتشتمل الطرفة الأولى على أربعة مؤلفات عدد صفحاتها ١٩١ وفيها هذه الرسالة ، ورسالة أخرى هى « رسالة التنبيه ، على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا . والثالثة « نشوة الارتياح » للسيد مرتضى الزبيدى . والرابعة « ديوان أبى محجن الثقفى » رواية أبى هلال العسكرى

٢ — السيد مرتضى الزبيدى ، شارح القاموس ، المتوفى سنة ١٢٠٥ ، ألف فى ذلك رسالة سماها « نشوة الارتياح ، فى بيان حقيقة الميسر والقداح » ضمنها شرح عبارات البقاعى ، مع إيضاح ما أغفله

٣ — العلامة السيد محمود شكرى الآلوسى ، كتب فصلا مسهبا فى الجزء الثالث من كتابه (بلوغ الأرب) . وقد صنف فى ذلك أيضا كتابا سماه « المسفر ، عن الميسر » وهو مخطوط لم يتسن لى أن أطلع عليه

٤ — ابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ كتب فصولا لغوية فى الميسر والأزلام ، فى المخصص (١٣ : ٢٠ — ٢٣)

٥ — وهو أهم أثر تاريخى يعتمد عليه ، لقدم عهده وجلال

مؤلفه ، وهو كتاب (الميسر والقداح) لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) الذى نشره الأستاذ المحقق السيد محب الدين الخطيب ، الذى أدين له بفضل اتجاهى إلى جهاد النشر العلمى ، حفظه الله وأبقاه

وترجع أهمية هـذا الأثر التاريخى إلى الطريقة العلمية التى نهجها ابن قتيبة ، وهو استقراء الآثار العربية الأدبيـة ، لاستخلاص هذا البحث النادر ، على قلة ما وصل إلينا من تلك الآثار التى يذكر فيها الميسر ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة مخاطبا من كلفه تأليف الكتاب :

«وقد كلفت رحمك الله شططا ، وحاولت عسيرا، لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام ، فلم يبق عند الأعراب إلا النبذ منه اليسير ، وعند علمائنا إلا ما أدى إليه الشعر القديم ، من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر ، أو روايات تحفظ ، والشعر يضيق بالأوزان والقوافى عما يتسع له الكلام المنثور . على أنى لم أجد فى أشعارهم شيئا فى جـلالته عندهم وعظيم نفعه ، هو أقل منه ، إنما يعرض فى شعر المكثرين من ذكره البيتان والثلاثة ، وأكثرهم يضرب عنه صفحا . وليس ذلك مذهبهم فى وصف الإبل والخيل والحمير ، والنعام والظباء والقطا ، والفلوات والحشرات . ولم أجد فيهم أحـداً ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده . ولو جمعت مافى شعر أحدهما من ذكره لم تجده بعشر ما فيه من وصف حمار أو بعير [1] »

فمن هذا يتضح مقدار الجهد الذى بذله ابن قتيبة ، وكشف به الدستور الذى كان يتبعه العرب فى الجاهلية فى لعب الميسر

على أن ابن قتيبة كتب هذا البحث بلغة معاصريه ، وقارب منهجهـم الذى لا يسوده النظام الكامل ، ويشيع فيـه الاستطراد والحشو

وإنى لمحاول هنا أن أبسط البيان فى هـذا بلغة معاصرة ، وبأسلوب أحسبه منظما ، راجعا فى ذلك إلى شتى المصادر التى تعين فى هذا البحث الشاق الوعر ، وبالله التوفيق

لفظ الميسر ومدلوله

لا ريب أن عرب الجاهلية كانوا يطلقون لفظة الميسر غالبا على المقامرة بالأقداح لاقتسـام الجزور بطريقة خاصة نذكرها فيا بعد ، وهو ما يعبر عنه أبو حيان فى تفسيره [2] بأنه « قمار أهل الجاهلية »

فالميسر على هذا مصدر ميمى ، كالمرجع من رجع ، والموعد من وعد

ويطلقون الميسر أيضا على الجزور نفسه ، فهو اسم موضع من اليسر ، بفتح الياء ، واليسر : التجزئة ، ولذلك سموا الجازر ياسرا لأنه ييسر اللحم ويجزئه

قال ابن قتيبة : « هذا الأصل فى الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح المتقامرين على الجزور : ياسرون ، لأنهم أيضا جازرون ، إذ كانوا سبباً لذلك ، وكان الجزور إنما يقع بضربهم ، والجازر يفصل اللحم لهم بأمرهم . وكل من يأمر بشئ ففعل فهو الفاعل له وإن لم يتوله بيده [3] » . فالإطلاق الأول إطلاق مجازى ، والإطلاق الثانى هو الإطلاق الحقيقى

وقد ذهب مقاتل إلى أن اشتقاق « الميسر » من اليسر ، لأنه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة ، من غير كد ولا تعب [4]

وقال الواحدى : إنه من قولهم يسر لى هـذا الشئ ييسر يسرا وميسرا ، إذا وجب [5]

وقال أبو حيان فى تفسيره : إن السهام التى يقتسم بها يقال لها أيضا « ميسر » وذلك للمجاورة [6] . والوجه فيا ذكره أبو حيان أن يقال إن مجازها من أنها آلة للميسر

على أن الإســـلام فيا بعد أطلق « الميسر » على جميع ضروب القمار

(١) اقرن بهذا النص ما ذكره ابن سيده فى المخصص (١٢ : ٢٠) من قوله : « قال أبو عبيد : سـألت الأعراب عن أسمـاء القداح ، فلم يعرفوا منها غير المنيح ، ولم يعرفوا كيف يعملون فى الميسر » !! وأضف إلى ذلك أيضا ما قاله الأصمعى فى تجزئة الجزور إلى ثمانية وعشرين جزءا وسيأتى فى الـكلام على « الجزار » ومن هـذه كلها تفهم الصعوبة والغموض الذى كان مخيما على معرفة العلماء بحقيقة الميسر

(٢) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

(٣) الميسر والقداح ٣٥

(٤) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٥) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٦) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

١ – روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم [٧] » . فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب « النرد » ضربا شبيها بميسر العرب في اقتسام الجزور . والكعبة في هذا الحديث هي الفص من فصوص النرد ، يقال له « كعب » و « كعبة » أيضا

٢ – وفي الحديث أيضا أنه « كان يكره الضرب بالكعاب [٨] »

٣ – وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء : « كل شئ فيه خطر – وهو ما يأخذه الغالب في النضال والرهان ونحوهما – فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز [٩] »

ولا يزال اللعب بالجوز ونحوه من البندق والفول السوداني وقصب السكر متعارفا بين صبياننا إلى هذا العهد ، يزاولون ذلك بطرق مختلفة

فالتابعون والفقهاء قد ألحقوا بميسر الجاهلية كل ما يمت إليه بسبب من مختلف ضروب القمار ، قاسوا هذا بذاك [١٠] ، ولم يستثنوا من ذلك شيئا إلا السبق في الخف والحافر . قال الفخر الرازي : « أما السبق في الخف والحافر فبالاتفاق ليس من الميسر ، وشرحه مذكور في كتاب السبق والرمي من كتب الفقه »

وأما الشطرنج والنرد ونحوها فكراهتهما لما فيهما من شبهة القمار . قال الفخر : « قال الشافعي : إذا خلا الشطرنج عن الرهان ، واللسان عن الطغيان ، والصلاة عن النسيان ، لم يكن حراما » . قال : « وهو خارج عن الميسر ، لأن الميسر ما يوجب دفع المال أو أخذ مال ، وهذا ليس كذلك فلا يكون قمارا ولا ميسرا »

وقال مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، فمنه النرد والشطرنج والملاهي كلها . وميسر القمار وهو ما يتخاطر الناس عليه [١١]

(٧) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)

(٨) لسان العرب (كعب)

(٩) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)

(١٠) في الخزانة (٢ : ٢٠٧) نقلا عن الزجاج في تفسيره : « إجماع العلماء أن القمار كله حرام ، وإنما ذكر الميسر من دونه – يعني أنه ذكر في الكتاب – وجعل كله حراما قياسا على الميسر ، والميسر إنما كان قمارا في الجزر خاصة »

(١١) تفسير أبي حيان (٢ : ١٥٧)

وقال ابن قتيبة [١٢] بعد أن ذكر الميسر الذي حرمه الله في الكتاب ، وهو ضرب القداح على أجزاء الجزور قمارا : « ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه ، لأنه يضرب عليها بفصين كما يضرب على الجزور بالقداح ، ولأنهما قمار كما أن الميسر قمار ، ولا يقال للشطرنج ميسر ولا من الميسر ، لأنها فارقت تلك الصفة وتلك الهيئة إنما هي رفق واحتيال »

ويفهم من هذا النص إما أن لعبة الشطرنج في عصر ابن قتيبة لم تكن مجالا للمقامرة ، أو خفي على علمه أن لاعبيها كانوا يقامرون عليها ، ولكن معرفته بأن النرد كان مجالا للمقامرة يرجح أن الشطرنج لم تتخذ في عصره موضعا للمقامرة

وكان القوم ينفرون من الشطرنج ولاعبيها نفورا شديدا . روى الراغب الأصفهاني [١٣] أن أهل المدينة كانوا إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه . وذلك لما كانوا ينظرون إليه من نقص دينه ، ولأنهم كانوا يزعمون أن الشطرنج « إحدى الضرتين » ، وذلك لما يشغل صاحبه شغلا عن أهله وبنيه

لفظ القمار ومعناه

والقمار لفظ أعم من الميسر ، إذ يطلق على جميع أنواع المراهنة . يقال : قامره مقامرة وقمارا ، إذا راهنه ؛ وقمره قمرا ، إذا غلبه في ذلك . وفي حديث أبي هريرة [١٤] : « من قال تعال أقامرك فليتصدق بقدر ما أراد أن يجعله خطرا في القمار » . ويقال تقمر الصياد الظباء والطير بالليل ، إذا صادها في ضوء القمر فتقمر أبصارها في ضوئه ، أي تعشى وتتحير فتصاد . والتقمر : الاختداع . فمرجع القمار إنما هو إلى الخداع . وكذلك يفعل لاعب القمار ، فإنه يحاول اختداع صاحبه لتكون له الغلبة عليه

لفظ الأزلام ومعناه

والأزلام جمع زلم بالتحريك وبضم ففتح . والزلم ، والسهم ، والقدح بالكسر مترادفة المعاني ، تدل كلها على قطعة من غصن

(١٢) الميسر والقداح ٣٦

(١٣) محاضرات الراغب (١ : ٣٤٦)

(١٤) اللسان (قمر)

مسواة مشذبة

وأكثر ما يستعملون « الزلم » فى « الاستقسام » ، وهو ما سنفرد له قولا خاصا . وأكثر ما يستعملون « السهم » فى سهم القوس الذى يرمى به ، وأكثر ما يستعمل القدح فى قداح الميسر التى تجال لقسمة الجزور ، وكل من هذه الألفاظ الثلاثة ينوب عن الآخر فى الاستعمال

زمانه الميسر

لم يكن الميسر عند العرب لهوا يلهون به ، ولعبة يلعبونها ، إنما كان نظاما اجتماعيا دعتهم إليه ظروفهم الاجتماعية ، وساقتهم إليه طباعهم البدوية ، فالباعث الحقيقى عليه كان «الكرم» وكان التباهى بالكرم ، وهذا الأخير هو الذى أظهر الدين كراهته فيما بعد ، كرهه الدين وكره معه أيضا ما كان يصحب هذا الصنيع من نزاع وجدال وخصومة فى سبيل الظفر بأوفى نصيب ، هـذا إلى ما يقارنه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر

ومن بواعثه أيضا إعانة الفقراء فيما بينهم ، إذ كان الفائز منهم بنصيب لا يتناول منه شيئا ، بل يلقيه إلى المحتاجين والمعوزين من ذويه ، ليسد أرماقهم

قال أبو حيان (١٥) : « وأيهم خرج له نصيب واسى به الفقراء ، ولا يأكل منه شيئا ، ويفتخرون بذلك » . ثم قال : « وربما قامروا لأنفسهم » أى إن ذلك أمر نادر

والحاجة والعوز — وهما المتطلبان للكرم والجود — إنما يشتدان فى وقت الشتاء عند العرب ، وذلك عندما تجدب البلاد وتقشعر الأرض ، ويتعذر القوت على طالبه ، وحينما يكلب الزمان وتضن البلاد بخيراتها ، والنوق بألبانها

وليس فى طوقك أن تتصور حال البؤس وشظف العيش الذى يتعرض له الأعراب فى باديتهم فى ذلك الزمان ، ومقـدار الحاجة الملحة التى كانت تنزل على الأرامل والأيتام فى تلك المجدبة والمسغبة

فالوقت الطبيعى للميسر عند العرب هو فصل الشتاء ، وهم يختارون الليل فى ذلك الفصل ، لأن الليل وقت طروق الضيف ، وحين اشتداد البرد ، فيوقدون النار ليهتدى بهـا الضيف ، وليستطيعوا أن يزاولوا هذا العمل فى يسر

وكان الرجل من العرب يخشى الصيف ، أن يحضر الصيف ولم يكن صنع لنفسه فى شتائه مفخرة تذكر له حين تذكر المفاخر ، فهو يخشى أن يعير فى الصيف بنكوصه عن المشاركة فى هذا الجهد الاجتماعى ، وإمساك يده عن مساعدة القبيلة

إذا يسروا لم يورث اليسر بينهم
فوا حش ينعى ذكرها بالمصايف (١٦)

وذلك أنهم يخصبون فى الصيف فيتذاكرون ما كان من الناس فى الشتاء ، فيعير كل امرئ بسوء فعله (١٧)

وقد سجل الشعر العربى أن الميسر يكون فى الشتاء ، فقال الأعشى :

المطعمو الضيف إذا ما شتوا والجاعلو القوت على الياسر

وقال متمم بن نويرة :

ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

البرم : الذى لايدخل معهم فى القداح ، ويسمونه أيضا « المزال » (١٨) . وإذا كان الرجل كذلك لم يدخل اللحم بيته إلا بأن يهديه نساء الحى إلى امرأته

وقال طرفة :

وهم أيسار لقمان إذا أغلت الشتوة أبداء الجزر

.. الأبداء : جمع بده ، وهو النصيب من الجزور

وقال عنترة :

ربذ يداه بالقداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم

وقال لبيد :

وبيض على النيران فى كل شتوة سراة العشاء يزجرون المسابلا

قال ابن قتيبة (١٩) : يريد أنهم يضربون بالقداح فيصيحون بها ويزجرونها إذا ضربوا ، كما يفعل القامرون بالنرد

للبحث بقية

عبد السلام محمد هارون

---

(١٥) تفسير أبى حيان (٢ : ١٠٥) ، ومثله الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠) ، وفى الخزانة (٢ : ١٧٧) : « وكان الغـالب يفرق ما أخذه على الفقراء »

(١٦) المرئش فى المفضلية ٥٠ طبع المعارف

(١٧) الميسر والقداح ١٠٧

(١٨) اللسان (عزل)

(١٩) الميسر والقداح ٥١

في توديع الرئيس ترومان

تمثال البيت الأبيض

للدكتور علي شرف الدين

في البيت الأبيض — حيث يقيم الرئيس ترومان — أبدع ما أخرج الفن الحديث من معجزاته الروائع ، فيما يرى الناظر من التماثيل القائمة في مداخل القصر وحدائقه ، وفي أبهائه وتحت شرفاته . طراز جديد من فن المثالة الحديثة ، يكاد يسبق هذه الآيات الخالدة التي حفظها لنا التاريخ عن أيدي الإغريق . وإذا كانوا يقولون إن الفن الإغريقي قد سبق الطبيعة ، وكأنه في سبقه لها ، وبجاوزه لصورها ، يقيم لها مثالا يتحدث إليها في صمت : بأنه كان يجب أن تكون على غراره — فإن تماثيل البيت الأبيض لا توحي بهذا إلى النفس فقط ، ولكن كل واحد منها ينطق مفصحاً عما يريد ، حتى ليرن صدى صوته في الأذن ، وحتى لتكاد أسارير وجهه تأخذ بين الفينة والأخرى مسحة جديدة تعبر عن عواطفه ، وحتى ليكاد الرائي يسمع خفقات قلبه بين ضلوعه الصخرية الجامدة

وهم يقولون إن الرئيس ترومان كثير النظر إلى هذه التماثيل طويل الوقوف إلى جانبها ، وإنه — على أن السياسة تأخذ حياته من أقطارها — له لحظات يخلو فيها إلى الفن ، حيث تسبح نفسه في عالم الخيال ساعة من نهار ، وإن انغمست بقية يومها في متاعب الدولار

ولعل أبلغ هذه التماثيل أثراً في نفس الرئيس ترومان ، هو تمثال الوطن ، وهو يتألف من صخرة طبيعية قد اتخذ المثال من جانبيها الممتدين في انحناء درجاً يصعد يمنة ويسرة ، حيث يلتقيان عند سطح مستو ينهض فيه تمثال أم حنون ، تستقبل أطفالها عند الغروب ، وهم يصعدون إليها في جانبي الدرج متدافعين متعثرين ، ولكن جباههم على تعثرهم تتجه نحو الأم دائما ، بينما تمد الأم يديها نحو الجانبين جميعا ، لا يلهيها أحدهما عن الآخر ، في إقبال كله العطف والرحمة والوفاء

قالوا إن الرئيس ترومان قد ألف الوقوف إلى جانب تمثال الوطن ، وإن جواره للتمثال أمر لا مفر منه في حياته اليومية ، لأنه تمثال الوطن — مع أنه يقع خلف البيت الأبيض وفي جانبه الذي تكاد أبوابه تغلق طول العام — هو طريق وحيد يدلف منه المار إلى ربوة صناعية تحتشد فيها مواكب من الزهر النادر ، تآزر فيها جمال الطبيعة مع ألوان التطعيم الصناعي ، يختلف إليها الرئيس من حين لآخر ، ينشد عندها نشاط نفسه وإشراقها ، كلما أرهقتها مظالم الحضارة

ولكن المتصلين بالرئيس ترومان قد رأوا منه ما أثار الدهشة في نفوسهم . فقد أخذ وقوفه إلى جانب التمثال يقصر عن ذي قبل ، ولم يعد سكونه إليه يحفه هذا الحلم الجميل يشيع في أقطار نفسه ، ثم يستحيل في جبهته وعارضه ضياء مشرقاً . لم يعد سكون الأحلام والطيوف، ولكنه ذهول عميق تكتسي فيه صفحة وجهه فنوناً من الألوان تضطرب دائما بين الشحوب والسواد .

ولم يمض غير يسير من الزمن حتى هجر الرئيس تمثال الوطن ، ولم يعد يختلف إلى هذه الربوة من النوار ، يصطنع فيها ما يصطنعه الفنانون وأصحاب العاطفة ، حين يقرأون كتاب الوجود في المروج والزهر . وللرئيس مع تمثال الوطن ما نسميه مجرى العادة المكبوتة — إذا صح هذا التعبير — لا يكاد يتجه نحوه عن غير قصد ، حتى يدور على عقبه في حركة عصبية لا تخلو من ألم ، والتفاتة مفاجئة لا تخلو من حزن ، وسرعان ما يجري في تضاعيف وجهه سحابة ليست هي الألم والحزن ، ولكنها شيء أمر من الألم والحزن : هي التمرد الذي لا يخلو من خوف ، وهي محاولة النسيان تصرخ في جوانبها المغالطة ، يضطرب فيها الرئيس أشد الاضطراب وأعنفه وقد خذله النسيان كلما مر بتمثال الوطن

ويؤرخ المراقبون لحياة الرئيس اليومية هذه الحركة التي لا تخلو من حزن مرير يخالطه الألم والخوف واليأس جميعا بعام سنة ١٩٤٨ بعيد خروج العرب من فلسطين عنوة ، بأمر الرئيس ترومان وتدبيره ، ويقولون إنه غالب شعوره في أول الأمر بفنون من رباطة الجأش المصنوعة ، وضروب من الجمود

لا تجديه فتيلا ، ومع أن الرئيس ترومان معروف بإصرار مرهق مبعثه الجمود ، ومشهور بجمود طبيعى مبعثه الإصرار سواء فى الحق أو الباطل ... فإن جموده الطبيعى قد خانه فى موقفه مع التمثال ، فلا تكاد عينه تقع عليه حتى تمضى فى أعصابه هزات عنيفة هى هذه الصواعق المهلكة من الحزن والألم والخوف جميعا ، وحتى تمضى بنفسه خواطر صارخة قاتلة ، تحمل فى بروقها شريطا متصل النكبات على نفسه الإنسانية ، فيما يتمثل له فى الجوع والعرى والبرد والفقر ...

ولو أن ما تحمل الذكرى إلى نفس الرئيس ترومان كان مقصوراً على الفقر والعرى والجوع والبرد ، لهان أمرها وغالب ضميره بشئ من الجمود هو فيه طبيعى ، واستطاع أن ينسى إنسانيته فى ساعات الذكرى ، لأن الفقر والعرى والجوع والبرد هى محن مادية مهما بلغ أثرها ، تصيب الجسم فتسبغ عليه النعمة والرقة ، أو تذيقه الشقاء والألم . مصابه ليس إذن ماديا ، ولكنه مصاب روحى يتجاوز هذه الكلمات اليسيرة فيما نسميه الظلم والنعرة والطغيان . مصابه أنه أوضح للخليقة ، وكتب بيده فى سجل التاريخ ، أنه رجل لا يدرك ما معنى الوطن ، ولا يستطيع أن يحس هذه الروابط المقدسة الحبيبة بين الإنسان ووطنه ، على سهولة إدراكها ، ويسر الشعور بها — حتى عند الحيوان — لأنها من أوليات الشعور

أما لك أيها الرئيس منزل بالريف ، ورثته عن (أبوك) مثلا ، متواضع أشد التواضع ، حتى ما تحب أن تستقبل فيه ضيفك ، ولكنه على تواضعه ، وعدم أهليته لاستقبال الضيف تحب أن تراه من آن لآخر ؟ فتهجر البيت الأبيض ، وما أقامت لك فيه أمريكا من مجد مغصوب زائف ، إلى حيث هذا المنزل المتواضع ، حيث تحس فى قربك منه برد الراحة ، برد إلى نفسك الشفاء والعافية ، وقد أثقلتها مظالم الحضارة ، وحيث تشعر بجمال الصدق والبقاء على الوفاء فى موطن هجرته إلى خير منه ، فما تغير عليك إذ فارقته ، ولا تنكر إذ هجرته ، ولكنه ظل صادقا فى استقباله لك ، وفيا مخلصا يحمل إلى قلبك خير الذكريات حتى أصبح جزءا من حياتك ، أو هو الحياة نفسها فى أسمى معانيها الروحية

لقد سمعت أن الدكتور فاضل الجمالى معنى أشد العناية بعرب فلسطين الذين طردهم ترومان عنوة من ديارهم قبيل الانتخابات (النظيفة) التى أعطته مكانه فى البيت الأبيض . لقد عرض عليهم ترحيب البلاد العربية بقدومهم ، وأنهم منها ومن صدور أبنائها فى المكان الرحب الكريم ، فماذا كان جوابهم ؟ لقد أجابوا : لا نريد بغير وطننا بديلا . ليس هناك جواب أصدق وأروع من جوابهم : « لا نريد بغير وطننا بديلا » . وإنى أؤكد — وهم العرب الخلص — لو كانوا قد نشأوا فى سيبيريا وفى أصقاع الشمال الباردة ، ما ألهتهم عروبتهم الخالصة عن نسيان وطنهم فى سيبيريا ذات البرد القاتل ، ولكان جوابهم : نحن عرب ، ولكننا لا نريد بغير وطننا بديلا

إن الشعوبية أو العصبية الجنسية لها أواصرها القوية ، وروابطها المقدسة ، ولكن روابط الأوطان تظل أبداً أقوى وآكد ، لأن روابط الشعوبية تقوم على الدم واللغة وطراز الحياة ، وهى فى جملتها روابط روحية بحتة فى جملتها وتفصيلها ، إنها الروابط الرفافة ذات الإشراق بين الوطن وقلوب بنيه ، تضئ وتضئ ، وتلطف وتلطف ، حتى تسبق فى ضيائها ولطفها خواطر المتصوفة ، وأروع ما فيها أنها قد تكون روابط ذكريات كلها دموع وشجن ، ولكنها مع هذا حبيبة إلى النفس ، وهى سلوتها فى حياة تزدحم بالشرور والآلام ، ولكن من أين للرئيس ترومان أن يدرك هذه الروحيات ؟

قل لى أيها الرئيس : ماذا يستطيع عرب فلسطين الذين أخرجتهم عنوة من وطنهم أن يصنعوا إذا أرادوا دعوة فيصل لزيارة وطنهم كما دعوته أنت لزيارة وطنك ؟ ماذا يستطيعون أن يصنعوا وهم أحق منك بهذه الدعوة لأسباب كلها الصدق والوفاء : لأنه عربى مثلهم ، ولأنه سيد شعب ، وسليل بيت ، وأثر نبوة . فهم حين يدعونه إنما يقيمون دعوتهم على دعائم كلها المودة والصدق الخالص الصريح . وأغلب الظن أنك ما دعوته إلا بعد أن أمسكت بقلم الحاسب الذى يعتمد على الأرقام والأعداد من يدرى ؟ لعلك قد خرجت من هذه (الحسبة) بنتيجة خاطئة ، فتوهمت أنها قد تعطيك (جالونا) من بترول العراق !

من سوء حظ العرب أن يموت روزفلت ، وقد نهضوا

لاسترداد حقوقهم . لقد كان روزفلت رجلا جهيد الجسم ، ضخم الأعطاف ، بعيد المناكب ، ومثل هذا الجسم الكريم هو صورة لكرم النفس وسخائها وتأثرها ، وهو إذا جاع أو برد كان إحساسه بالجوع والبرد أسرع وأبعد من غيره من الأجسام الضنينة ، لأن الشعور بالحاجة فى الجسم الكريم السخى أكثر منه فى الجسم البخيل بأصله ، الجائع بطبعه . والرئيس ترومان له جسم ككل الأجسام ، ولكنه ضنين بخيل . وهو فى بخله وضنه ليس على استعداد لأن يحس الجوع والبرد — فضلا عن أن يحس الحزن لفقد الوطن — لأنه جسم جائع من قبل أن يناله الجوع ، بارد من قبل أن يصيبه البرد . ومهما بلغ الجوع والبرد من الشدة فلن يكون لهما أثر ملحوظ فى جسم ينقصه الشبع ، ونفس ما عرفت الوفاء ، وماذا يصيب الفقر من الفقير ؟

عقب تولى الرئيس ترومان سأله كثير من الصحفيين : « أما يفكر الرئيس فى أن تقبل الولايات المتحدة استقبال بضعة آلاف من يهود أوروبا ؟ » — وكان ذلك قبل أن ينفذ نيته التى بيتها للعرب — وكان جواب الرئيس : « أنه لا يفكر الآن فى تغيير قوانين البلاد ... »

إنه لا يفكر فى تغيير قوانين بلاده الموضوعة ، فهو يحترمها ولا يأذن بالهجرة إليها على ثروتها واتساعها . ولكنه يفكر فى إخراج الناس من أوطانهم لقاء أصوات الناخبين من اليهود !

حين تولى الرئيس ترومان ذكرت بعض الصحف حديثا لكاتب يصف فيه الرئيس الجديد بهدوء الأعصاب ، ورباطة الجأش ، وقد بالغ الكاتب فى وصفه حتى قال : إنك لو ضربته بقبضة يدك فى أرنبة أنفه على حين غفلة منه ما تحرك هدب عينيه .. » وقد تكون قوة الأعصاب محمودة فى الرجال عند الحوادث التى تصيبهم ، أما الرباطة والهدوء فى كوارث ينسجون لغيرهم حوادثها ، ويعقدون فيها المؤامرات فليس ذلك مما قصد إليه الكاتب ، لأن فرقا واضحاً بين الرباطة والقسوة ، وبين الهدوء والجمود ، وبين قوة الأعصاب والبلادة ، وإذا كانت السياسة تقوم على الخدعة والمناورة ، فليست (الثعلبة) من معانيها فى أى قاموس إنسانى، يصطنعها الأقوياء للسرقة والسطو ، فإن كانت السرقة عنوة وفى النهار الضاحى من معانيها ، فهى ليست السياسة إذن ، ولكنها صناعة الوحل ، وإن سماها الظالمون « حق المهنة »

قالوا إن جماعة من خلصاء ترومان سألوا وألحفوا فى السؤال : « مابال الرئيس لم يتقدم فى الانتخاب الحاضر لرئاسة الجمهوريات المتحدة ؟ » وظل الرئيس ساكتا لا يجيب ، مع إلحافهم وكثرة سؤالهم ، وظل الجواب مجهولا ، حتى عند الخاصة من خلصاء ترومان ، حتى أبصره خدم البيت الأبيض فى لحظات خاطفة ، يهرع إلى تمثال الوطن ، يطيل النظر فيه ، وتجرى فى لسانه مناجاة خافقة مضطربة ، يتهدج فى خلالها صوت جريح مخنوق :

« يسألوننى : لماذا لم أتقدم فى الانتخاب الحاضر لرئاسة الدول المتحدة ؟

لأننى لم أعد أحب أن أكون رئيساً فى انتخاب ملوث ، أشترى فيه أصوات الناخبين بأوطان الناس »

« باريس » على شرف الدين

أدب التاريخ
أو التاريخ الشعرى

للأستاذ خليل رشيد

ليس الغرض من مقالنا بيان فضل التاريخ وما يحدثه من أثر طيب بتربية الذوق الأدبى . إنما غرضنا الحديث عن فن أدب التاريخ أو كما يسميه صديقنا المرحوم النقدى عضو مجلس التميز الشرعى ببغداد ، بضبط التاريخ بالأحرف

وسأقدم إليك لوحة فنية من مبدعات هذا الفن الخالد بخلود التاريخ ، وقد أضفت إليها ريشة الفنان بُرد الفن ولبوسه ، وأسبغ عليها قلم المؤرخ أبدع روائعه . وسأقدم لك جهبذاً من جهابذة هذا الفن وغريداً تغنى على فن الشعر ، وصدح فى رياض الأدب منذ نصف قرن أو تزيد قليلا ، هو الحاج مجيد [1] المشهور بالعطار نور الله مرقده

والحاج مجيد سريع النكتة ، حاضر البديهة ، شاعر بما يريد أن يقول ، يغذى شعره عصارة فكره ودم قلبه . عميق الفكرة ، متين القول ، سلس الأسلوب ، فإذا حلق فى سماء الفكر خرت التواريخ أمامه صاغرة ليختار الجيد الجميل منها ، ويرجع بغنيمة الظافر المنتصر ، وقد ضمن التاريخ نكتة أدبية رائعة ، تبهرك إعجابا بعظمة الفكر وسرعة الخاطر . فى شعره جزالة القديم ورقة الحديث ، وفيه دقة المعنى وروعة التصوير . وليس هذا النوع من الأدب سهل المأخذ ، بل هو صعب جموح ، يخضع لقواعد ونظم قدلا يخضع لها غير أدب التاريخ من الفنون الأدبية الأخرى

منها : [2] ما يحسب فى التاريخ على الطريقة المألوفة فى علم الخط لا مايكتبه المؤرخ حسب رأيه ، فالمعتل بالياء سواء كان اسما كموسى ، أو فعلا كرمى ، أو حرفا كإلى لا يحسب آخره فى التاريخ ألفاً ، وإنما يحسب ياء ، فالأول كقول أحد الفضلاء فى تاريخ وفاة أحد العلماء الأعلام :

مضى الحسين الذى مجسد من ... نور علوم من عالم الذر
قدس مثوى منه حوى علماً ... مقدس النفس طيب الذكر
أوصافه عطرت فأنشقتنا ... منهن تاريخه شذى العطر

والثانى كقول عبد الغفار الأخرس ، يؤرخ وفاة السيد عبد الرحمن النقيب وفيه الشاهد للثالث أيضا :

يوم به قيل أرخ ... مضى إلى ربه النقيب

سنة ١٢٩١ هـ

وفى الثالث : قول عبد الباقى العمرى ، يؤرخ تعيين المشير رشيد الحوزكلى لبغداد :

بشرى لبغداد فقد أرخوا ... إلى رشيد أب قطر العراق

سنة ١٢٦٩ هـ

وقد أهمل المد فى آب .. والصحيح عدم إهمالها

ومنها : اختلافهم فى بعض مايكتب ، كالتاء التى تكون فى الوقف هاء ، كفاطمة . والهمزة الواقعة فى آخر الكلمة ، كهمزة ، جاء . وداء . ورجاء . وأمثالها . . والألف من لفظ الجلالة ، والألف التى يوضع لها علامة المد

أما التاء التى تكون فى الوقف هاء ، فقد عدها جماعة من الأدباء هاء ، والصحيح أنها متى تحركت كانت تاء . وتعد بأربعمائة؛ وإذا وقف عليها كانت هاء وعدت بخمسة ، وكذلك الهمزة من جاء وأمثالها ، عددها واحد عند الحساب كأختها الألف كما فى قول عبد الباقى العمرى يؤرخ دار العلامة الألوسى صاحب تفسير

(١) حدثنا عنه الدكتور البصير . فى كتابه نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٠٨ فقال : أما العطار الحاج مجيد . فكان متوقد الذهن . سريع الخاطر إلى درجة مدهشة . ولا سيما فى التاريخ بالشعر . وكان شديد التمسك بالدين . حسن الإلمام بالعربية . بديع الخط . كما أنه كان محترما عند الجمهور احتراماً غير قليل

وذكره صديقنا فضيلة الأستاذ صادق بحر العلوم . قاضى الشرع الشريف لمدينة العمارة . بمجموعه الرائق فقال : الحاج مجيد بن محمد بن أيبك الشهير بالعطار . بغدادى الأصل . على المنشأ والسكن . كان مولده ببغداد . فى شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٢ هـ . ونشأ فى الحلة وبها نال مانال من أدب وكمال . وفى سنة ١٣٣٤ هـ انتقل بأهله إلى ناحية الكوفة من قضاء النجف الأشرف . وكنت أجتمع به كثيرا . وأكتب من بنات أفكاره ما يمليها على بنفسه . فلم أر من يضاهيه فى سرعة البديهة وقوة الشعر

وقال فضيلة الأستاذ المرحوم النقدى فى كتابه ضبط التاريخ بالأحرف ص ١٢ ماهذا نصه . . وقد برع هذا الفاضل فى التاريخ نظما ونثرا . حتى كان يؤرخ الواقعة فى لحظة واحدة من غير كد ولا تعب اهـ . . .

(٢) القواعد مأخوذة عن ضبط التاريخ بالأحرف للنقدى

روح المعانى

بنورك ياشهاب الدين أرخ أضاء مقامك المحمود حسنا

سنة ١٢٥٢ هـ

أما الألف الساكنة مع واو الجماعة فإنها تحسب لأنها تكتب . . . وكذلك واو عمرو ، وأما الألف التى على الهاء من هذا فإنها تحسب أيضا لأنها تكتب منفصلة من الذال ومتصلة ، والانفصال خط الأكثر ، والاتصال خط المصحف ، وكذلك الألف التى يبدأ بها لفظ الجلالة . . أما المد فقد استقر الرأى أنه مع احتياج الكلمة إليه ، فى الاستقلال يحسب ، وإذا استقلت الكلمة بدونه وأمنت اللبس فلا يحسب ، فالأول كالمد فى آل . فإن الكلمة لا تستقل بدونه لأنها تلتبس بأل وأمثالها . . وأما المد فى آب ومنه قول الشيرزى فى وفات الخليعى :

بشره بالخير واعذر من يؤرخه فللخليعى لما آب أفنان

سنة ١١٢٧ هـ

والثانى كالمد فى لفظ الجلالة ، فإن الكلمة لا تلتبس بغيرها ، لشهرتها واختصاصها . . وأما المد الواقع فى آخر الكلمة الدال على معنى مقصود . كهاء وتاء وباء وأشباهها فهو يحسب عندالجميع

ومنها : إفراز مادة التاريخ بلفظة: أرخ أو يؤرخ أو أرخت أو أرخوا وأمثالها ، أو ما يفيد معنى هذه الألفاظ .. ومثل ذلك كقول بعضهم فى تذهيب قبة الإمام على عليه السلام :

ياطالبا عام إبداء البناء لها أرخ تجلى لكم نور على نور

سنة ١١٥٥ هـ

وقول الشيخ حسن الشامى فى ولاية حسن باشا لمصر :

ولسان الحال يؤرخه كملت مصر بجمال حسن

سنة ١٠١٤ هـ

وقول العمرى عبد الباقى يؤرخ وفاة العلامة شهاب الدين الآلوسى صاحب روح المعانى :

حور الجنان به حفت مؤرخة جنات روح المعانى قبر محمود

سنة ١٨٢٠ هـ

وربما تزيد مادة التاريخ أو تنقص ، فيجوز الإكمال أو التنقيص بنكتة أدبية .. فالأول كقول بعضهم فى تعمير مسجد صاحب الجواهر :

تم بأقصى اليمين تاريخه شيد على أسس التقى ركنه

سنة ١٣٥١ هـ

أشار بأقصى اليمين إلى إضافة خمسين، وفيه النكتة الأدبية.. والثانى كقول بعضهم أيضا فى تزيين قبة الإمام على عليه السلام بأمر أحمد خان النواب :

فأنخ والق عصاك وادع مؤرخا للخير وفق أحمد النواب

سنة ١١٩٨ هـ

إشارة إلى إلقاء واحد من المجموع وهى نكتة أدبية لطيفة

وقد تفنن الأدباء فى هـذا الفن . فمنهم من نظم القصيد وجعل كل شطر من شطراتها تاريخا كما فعل النحلاوى بمدح الشيخ عبد الغنى النابلسى . . ومنهم من جعل معجم كل شطر منها تاريخا كما فعل عبد الباقى العمرى فى مولد حفيده وسماها الجوهرة . . ومنهم من جعل من معجم كل بيت ومهمله تاريخا كما فعل الشيخ ناصيف اليازجى . . كما عرفنا عليه أستاذنا الجليل أحمدحسن الزيات فى كتابه تاريخ الأدب العربى ص ٤٥٨ فقال : (و شعره على طول معالجته له ، وقوة طبعه فيه ، أشبه بشعر الحريرى وأضرابه ، وبخاصة تلك القصائد التى تكلف فيها التاريخ الشعرى ، فقد غالى فى ذلك وأسرف ، حتى كان يضمن البيتين ثمانيــة وعشرين تاريخا ، أو ينظم القصيدة ، فيلزم فى كل شطر من شطراتها تاريخا ، كقصيدته فى تهنئة إبراهيم باشا فى فتح مكة)

تعجبنى لباقة الأستاذ الزيات ولفتته الأدبية فى تعريف الأدباء وتحليل نتاجهم الأدبى . هو كصيدلى بارع ، يزن الدواء بمقدار . .

لنعد لمجرى الحديث عن أديبنا الحاج مجيد ، فهو أديب عرفته الأوساط الأدبية فى القرن التاسع عشر بالعبقرية والنبوغ وسعة الفكر والخيال والدين ، ويكاد رحمه الله يختص بأدب التاريخ ، وهذه الملكة الفنية عنده من السهولة بمكان . وقد حدثنى عنه صديق الأستاذ اليعقوبى ، عميد جمعية الرابطة الأدبية

فى النجف ، أحاديث من الغرابة بمكان ، بحيث يؤرخ فى بيت واحد من الشعر تواريخ عدة ، لا يستطيعها غيره من الأدباء ، وغير من أرشدنا إليه الأستاذ الزيات :

عاش شاعرنا ، وقضى با كورة شبابه والشىء الكثير من شيخوخته بين الزاغ والدباغ ، وما تتطلبه مهنة العطارة وتقتضيه ، كى يحصل على قوته ويوفر لأهله الخبز الحر الذى يستسيغه ويستطيبه من كده وكدحه . وهو من المؤمنين بحكمة المثل القائل : من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره . . وكان رحمه الله مثالا صادقا من أمثلة المسلم الصحيح ، ذا نسك ودين ، كما ينبىء بذلك قوله :

ما شاقنى قرب الحمام وإنما أشتاق قرب الواحد المنان
لأشم ريح العفو عند لقائه وأذوق طعم حلاوة الإحسان

وقوله مناجيا ربه :

أمحصلا مافى الصدور بموقف لا عذر فيه لنا عن العصيان
أتقيم فينا العدل يحكم وحده وأمرتنا بالعدل والإحسان

ومن ظريف ماروى عنه رحمه الله أن شاعرا مكثرا استحسن بيتين لشاعرنا فشطرهما . فصار البيتان والتشطير أربعة أبيات ، ثم شطر الأربعة الأبيات فصارت ثمانية ، ثم شطر هذه أيضا فصارت ستة عشر بيتاً ، ثم شطر الستةعشر بيتاً ، فصارت اثنين وثلاثين بيتا ، كتبها وقدمها إلى صاحبنا العطار

فلما رآها نظر إليه وقال ، صديقى الشيخ ! أتسكب أربع قرب من الماء على قدح صغير من عصير الليمون ؟ فعل الله بك وفعل ! . . .

ولسنا الآن بصدد هذا كله ، وإنما نحن بصدد الحديث عن أدب التاريخ . . وإليك بعض أعاجيب هذا الشيخ فى هذا الباب : هذان بيتان أرخ فيهما زواج السيد أحمد بن السيد مرزا القزوينى ، محتوية على ثمانية وعشرين تاريخا وهى :

أكرم بخزان علم أم وارده منكم لزاخر بحر مد آمله
زفت إلى القمر الأسنى بداركم شمس لوار وزان البشر حامله

وهذان بيتان آخران ، أرخ فيهما مقام الإمام على عليه السلام فى الحلة ، على نفقة العلامة السيد محمد القزوينى ره ، وهى :

يباب مقام الصهر مرتقباً نحا أخو طلب بالبر من علم برا
مقام برب البيت فى منبر الدعا أبو قاسم جر الثنا عمها أجرا

١٣١٦ هـ

والتواريخ هذه . على النمط التالى : (٢)

(١) صدر الأول (٢) عجزه (٣) صدر الثانى (٤) عجزه (٥) مهمل البيت الأول . (٦) معجمه (٧) مهمل صدر الأول مع معجم عجزه (٨) معجم صدر الأول مع مهمل عجزه (٩) مهمل البيت الثانى (١٠) معجمه (١١) مهمل صدره مع معجم عجزه (١٢) معجم صدره مع مهمل عجزه (١٣) مهمل الصدرين (١٤) معجم الصدرين (١٥) مهمل صدر الأول مع معجم صدر الثانى (١٦) معجم صدر الأول مع مهمل صدر الثانى (١٧) مهمل العجزين . . . (١٨) معجم العجزين (١٩) مهمل عجز الأول مع معجم عجز الثانى (٢٠) معجم عجز الأول مع مهمل عجز الثانى (٢١) مهمل صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٢) معجم صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٣) مهمل صدر الأول مع معجم عجز الثانى (٢٤) معجم صدر الأول مع مهمل عجز الثانى (٢٥) مهمل عجز الأول مع مهمل صدر الثانى (٢٦) معجم عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٧) مهمل عجز الأول مع معجم صدر الثانى (٢٨) معجم عجز الأول مع مهمل صدر الثانى

فجعل كل شطر برمته تاريخا ، والحروف المعجمة من كل شطرين تاريخا ، ومثلها الحروف المهملة ؛ فيتجمع من ذاك ستة عشر تاريخا ، وكذلك المعجمة مع المهملة ، والمهملة مع المعجمة ، فيتجمع اثناعشر تاريخا. فيكون المجموع ثمانية وعشرين تاريخا..

ونحن نكتفى بهذا القدر من هذا البحث، وعن هذا الشاعر، لقلة المصادر الموجودة لدينا عنه ، وقلة من كتب عنه ، وأظن فى بحثنا هذا الكفاية ببعض الشىء عن هذا البحث وعن هذا الشاعر، وأخذ الفكرة عنه ، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق

العمارة — العراق خليل رشيد

(٢) عن المجموع الرائف المخطوط . لبحر العلوم :

تركيـــا - ٢

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« حققوا للشعوب حريتها فإن قلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار » غلادستون

موطن نزال

تشغل تركيا مكانا يمتاز بأهمية موقعه الدولى.. فهى تضع قدما فى آسيا وتضع قدمها الأخرى فى أوربا وتتحكم فى الملاحة بين البحرين الأبيض والأسود

وقد كانت أرضها ميدان النزال بين الفرس واليونان فى التاريخ القديم ، وموطن الصراع بين المسلمين والروم فى العصور الوسطى، وكانت طريق الصليبيين إلى الشرق أثناء الحروب الصليبية، وهى الحروب التى شنها الغرب على الشرق وانتهت بانتصار الشرق وخذلان الغرب

وفى العصور الحديثة كانت تركيا وما تزال ميدان صراع دولى عرف فى التاريخ باسم المسألة الشرقية

المسألة الشرقية

فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى نزل الأتراك العثمانيون فى آسيا الصغرى وأسسوا دولتهم التى بدأت صغيرة ثم أخذت تنمو وتتسع حتى شملت آسيا الصغرى، ثم عبروا البحر إلى أوربا ونزلوا بشبه جزيرة البلقان واستولوا على القسطنطينية عام ١٤٥٣ واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة

واستمر الأتراك فى فتوحاتهم ففتحوا بلاد الشام والعراق وفلسطين وبلاد العرب ومصر وشمال أفريقيا ؛ وفى أوربا استمر جندهم فى فتحهم حتى قرعوا أبواب مدينة فينا عاصمة الإمبراطورية النمسوية

فى ذلك الوقت لم تكن هناك مسألة شرقية وإنما كان يوجد ما يمكن أن يسمى بالمسألة الغربية . ما هو مصير غرب أوربا أمام الزحف التركى وما الذى سيؤول إليه أمر غرب أوربا فى حاله استمرار انتصار الأتراك ؟ ؟

لكن الأتراك ردوا عن فينا ثم مالبثوا أن استقروا فى البلاد الشاسعة التى فتحوها وأصابهم الترف ونزل بهم الوهن وتجلى ضعفهم شديدا شنيعا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وظهرت المسألة الشرقية واتخذت مكانا بارزا فى التاريخ الحديث

وكانت روسيا أكبر عدو لتركيا : ذلك أن روسيا نهضت على يد بطرس الأكبر وبدأت تحتل مكانا بارزا فى التاريخ منذ أوائل القرن الثامن عشر . وكانت روسيا تريد الوصول إلى البحرين الأسود والأبيض وكان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا ، ومن أجل هذا قامت الحروب بين الدولتين ووضعت روسيا يدها على شواطئ البحر الأسود الشمالية والشرقية

لكن روسيا كانت ترنو دائما إلى الوصول إلى القسطنطينية وهذا هو محور سياستها، ويتجلى لنا واضحا جليا فى جميع حوادث التاريخ منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم

وقد ساعد روسيا على تنفيذ سياستها أن تركيا لم تعمل على إدماج رعايا البلقان فى رعاياها ؛ بل تركت لهم حريتهم الدينية وحكومتهم الذاتية ولغتهم القومية واكتفت منهم بما قدموا لها من جزية وضرائب

واستغلت روسيا الروابط الدينية والجنسية التى تربطها بسكان البلقان، وعملت دائما على خلق المتاعب فى وجه السلطان، وسارعت إلى نصرة الثائرين بقواتها وأملت على تركيا شروط الصلح لفائدتها

وكانت النمسا العدوة الثانية لتركيا، فقد اقتطع الأتراك جانبا كبيرا من أملاكها فى البلقان وفى الدانوب ، ولما ضعفت تركيا عملت النمسا على استرداد ممتلكاتها ونجحت فى ذلك إلى حد كبير فى القرن الثامن عشر

أما فرنسا — وكانت عدوة للنمسا — فقد أقامت علاقات ودية مع تركيا منذ القرن السادس عشر

ولكن إنجلترا فى القرن الثامن عشر كانت تجد فى روسيا حليفا طبيعيا ؛ فقد كانت روسيا سوقا هامة للتجارة الإنجليزية ؛ وكانت إنجلترا ترى أنها بحاجة إلى صديق وحليف ليعاونها ضد عدوتها التقليدية إذ ذاك وهى فرنسا

لكن حملة نابليون على مصر نبهت إنجلترا إلى الخطر المحدق

بها من جراء مطامع روسيا، فقد كانت روسيا تطمع فى الاستيلاء على القسطنطينيـة والوصول إلى البحر الأبيض وكان ذلك خطرا يهدد مصالح إنجلترا فى الشرق . ثم إن الروسيا كانت تستطيع الوصول برا إلى الهند

وهكذا وجدت إنجلترا فى مطامع روسيا خطرا عليها ومن ثم وقفت بجانب تركيا وأخذت تعمل على المحافظة عليها ولـكنها لم تر بأسا من اقتطاع كثير من أملاكها فى الوقت المناسب

ويتجلى اهتمام إنجلترا بمصير تركيا فى وقوفها بجانبهـا هى وفرنسا أثنـاء حرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ وهى الحرب التى شنتها روسيا على تركيا وانتهت بانتصار إنجلترا وفرنسا وتركيا عليها وكان سببها مطامع روسيا فى تركيا

فى ١٨٤٤ زار قيصر روسيا نقولا الأول إنجلترا وتحدث مع لورد أبردين وزير خارجيتها حديثا عبر به عن سياسة روسيا إزاء تركيا : «إن تركيا رجل مريض يحتضر ويخشى أن يموت فجأة وحينئذ يحدث خلاف بين الدول حول تقسيم تركيا ولذلك فمن الأجدر أن تتخذ الدولتان إنجلترا وروسيا الأهبة لمواجهة الموقف وخير لهما أن يتفقا على تقسيم لإملاك تركيا » وقد كرر القيصر حديثه هذا مرة أخرى مع سفير بريطانيا فى روسيا ١٨٥٣ وكان ذلك من أهم الأسباب التى دعت إنجلترا إلى الدخول فى حرب القرم ضد روسيا ، فقد كان بلمرستون رئيس وزراء إنجلترا يؤمن بأن مايقال كل يوم من أن تركيا رجل مريض يحتضر كلام فارغ لا يؤبه له ؛ وأنها لو أعطيت وقتا كافيا بدون قلاقل أو متاعب لاستطاعت أن تصلح من شأنها وأن تستعيد مجدها كدولة قوية لها وزنها فى السياسة الدولية

وفى معاهدة باريس ١٨٥٦ أعطيت تركيا الفرصة الملائمـة وحرم على روسيا أن تنشئ قواعد حربية على شواطئ البحر الأسود إذ أن يكون لها فيه أسطول حربى وأعلن حياد البحر الأسـود

لـكن تركيا لم تقم بالإصلاح المطلوب ولم تنزل شعـوب البلقان عن مطالبها القومية فقد كانت تريد الاستقلال عن تركيا . وكانت الدول تخشى أنه فى حالة استقلال هذه الدول : رومانيـا والصرب والجبل الأسود وبلغاريا.. أن تقع فى يد روسيا

ولـكن غلادستون زعيم الأحرار فى إنجلترا صرح قائلا :

« حققوا للشعوب حرياتها فإن قـلوب الأحرار خير حصن ضد الطغيان والاستبداد والاستعمار »

وفى ١٨٧٦ ثارت شعوب البلقان ضد تركيا وتقدمت روسيا لساعدتها وهزمت تركيا ووقف الجند الروس أمام القسطنطينية.. وهنا تقدمت إنجلترا وأمرت أسطولهـا بدخول مياه البسفور ومقاومة الروس إذا دخلوا القسطنطينية، وأمام تهديد إنجلترا وقفت روسيا ووقعت مع السلطان معاهدة سان ستفانو ١٨٧٨ . لـكن إنجلترا لم توافق عليها ودعت الدول إلى عقـد مؤتمر دولى لبحث المشكلة ؛ وقـد اجتمع المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ ووقعت الدول معاهدة برلين وبها تحقق استقلال رومانيا والجبل الأسود والصرب وأعطيت بلغاريا حكومة ذاتية وأخذت روسيـا قارص وباطوم واستولت إنجلترا على جزيرة قبرص وبعدها بسنوات احتلت مصر . وتحقق لإنجلترا ما تبغيـه من إبعاد روسيا عن القسطنطينية

وتتجلى أهمية القسطنطينية فى نظر روسيا فى الحديث الذى دار بين القيصر إسكندر الأول ونابليون الأكبر إمبراطور فرنسا، وكان نابليون يطمع فى صداقة القيصر ليتمكن من هزيمة عدوته اللدودة إنجلترا

قال القيصر « القسطنطينية هى مفتاح بيتى ويجب أن يكون فى حوزتى »

فرد نابليون « القسطنطينية ! من المستحيل.. إن هذا معناه تـكوين إمبراطورية عالمية »

وهكـذا لم يستطع القيصر والإمبراطور الاتفاق بشأن القسطنطينية، وكان ذلك من أهم أسباب اختلافهما وانضمام روسيا إلى إنجلترا ضد نابليون مما كان له أكبر الأثر فى القضـاء على نابليون . وهكذا نرى أن المسألة الشرقية كانت عاملا كبيرا فى سقوط نابليون وفى تحويل مجرى التاريخ

وفى ١٩٣٩ عقدت روسيا مع هتلر ميثاق عدم اعتداء، ممـا كان له أكبر الأثر فى نشوب الحرب العالمية الثانيـة ، وفى اعتقادى أنه لولا هذا الميثاق لما نشبت الحرب

اطمأن هتلر إلى روسيا وقام يحارب ، وأحرز جنده النصر

شـلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٥ —

فى تصورنا لشلر كإنسان له أخلاقه الرفيعة ، لا يمكن لوصفنا — على أى حال — إلا أن ينتقص من كمال حيـاته ، لأن أقلامنا تعجز عن وصفها الوصف اللائق بها . لقد نال هذا الرجل ما يأمله بصورة عجيبة . وحياته — على الأقل — من مرحلة رجولته لم تزل حتى الآن غير مشوشة وذات أسـلوب واضح . وقد أخفى انتصاره الـكامل عنا عظم النضال الذى خاضه ببسـالة نادرة . يمكننا — إجمالا — الاعتراف بأن سلوكه لم يكن عظيما بمقدار قداسته وربما لا يصفه شئ مثل وصفنا إياه بالراهب ، بما يمتاز به اللقب من سمو روحى ونقاء وعزلة ، على أن هذا الوصف لا ينطبق على مظهره الخارجى فى شئ . لقد استحوذ على طبيعته حماس منقطع النظير وفى هذا تكمن قوته وفى هذا يتضح الواجب الذى عاهد نفسه على أدائه ، وقد عاش فى سبيل هذا

لم تقم الميول الاجتماعية بأى دور فعال فى حياته ، وكان زوج وأب فهو دائما حنون ومخلص ولطيف ولـكن نادرا ما كانت تؤثر فيه الأشـياء الخارجية تأثيرا يشبه فى شئ العاطفة العارمة . فهو لم يمتلك من الحرارة والحب المستعر والتحبب مثلا ما كان يمتاز به معاصره الاسكوتلندى (برنز) ، وفى الحقيقة فإن اتجاهه وأمله كانا مصوبين نحو المثل الأعلى لا لـما هو واقعى أرضى . وكانت سعادته العظمى لا تعنى فى شئ بالشرف الظاهرى أو الأبهة أو اللهو أو التسلية الاجتماعية أو حتى الصداقة نفسها.. بل كان همه الأكبر منحصرا فى مملكة الشعر ومدينة العقل الفضلى حيث الحياة النبيلة الحقة . وكذا الحال مع عاداته فإنها كانت أميل إلى العزلة لأن شغله الشاغل وسروره البـالغ لم يتعديا نطاق التأمل الصامت ، يقول أحد شراحه : (إن عـدم تساهله مع الذين يقاطمونه ويعيقون أعمـاله هو الذى اضطره إلى اللجوء إلى الدراسة ليلا ، على ما فى هذا العمل المؤذى من إغراء ومن تعب . وقد شرع بهذه الممارسة فى (درسدن) ولم يتركها قطعاً بعد ذلك . وقد كانت تسليته الوحيدة هى العزلة ، فكانت سواحل نهر (الإبلب) ملجأه المحبب صباحاً ، وكان هناك يتجول فى وحدته بين الـكروم والمروج والخمايل الجميلة تاركا ذهنه يسرح فى الخيـال العذب ، أو متأملا فى مواضع الفتنة من الطبيعة الساحرة أو منغمساً فى دراساته التى كانت تشغله دائما وأبداً ، أو كان يرى جالساً فى بعض الأحيان فى الجندول الطافى على صفحة النهر الناصعة ، وكان يسره كثيراً أن يكون هناك عندما كانت العواصف تهدر والرياح تزمجر حتى يجد لنفسه المضطربة راحة فى اضطراب الطبيعة ! وكان الخطر يعير شيئاً من السحر لوضعيته ، وكان يشعر بالانسجام التام بالمنظر الثائر ، عندما كانت العاصفة تجتاح السماء ، وكانت الغابات تردد صوت هذا الاجتياح ، كما أن النهر كان يشارك السماء فى هذه الثورة الجامحة فيهتز ملتويا بتأثيرها ، وترتطم أمواجه بعضها بالبعض الآخر فتحدث ضجيجا هائلا .

وفى هذه الأثناء اشترى له حديقة فى ضواحى (ينا) بالقرب من دار (ويسلهوفت) التى كانت مركز إدارة مجـلة (الـكيمانيه ليتراتور زايتنغ) وهى المجلة الذائعة الصيت فى ذلك الوقت ، وإذا

فى كل مكان ، وسرعان ما سجدت أوربا تحت أقدامه واحتل البلقان ، وهنا تقدمت روسيا تطلب أن تعطى ميناء على البحر الأبيض ، ولـكن هتلر رفض ، فانضمت روسيا إلى إنجلترا ، وكانت الدولة الأوربية الوحيدة التى بقيت صامدة أمام هتلر وإلى أمريكا . وكان انضمام روسيا إلى إنجلترا وأمريكا أكبر أسباب هزيمة هتلر وسقوط دولته

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، وانقسم حلفاء الأمس إلى كتلتين متعاديتين : إحداهما شرقية وهى روسيا ، والأخرى غربية وتضم إنجلترا وأمريكا وفرنسا

ومن الطبيعى أن تنضم تركيا إلى الدول الغربية ، فهى تعلم أن روسيا لم ولن تتخلى عن مطامعها فى أراضيها ، ولعل فى انضمامها إلى المعسكر الغربى ما يحفظ كيانها ويبقى على سلامتها

أبو الفتوح عطيفة

نظرنا إلى المكان فى سوق (ينا) فهو يقع فى الجنوب الغربى من المدينة بين (انكليكاتر) و (وينوثور) فى الممر الضيق حيث يجرى فرع من نهر (نوترابانخ) حول المدينة

بنى شلر بيتاً من طابق واحد فى قمة المرتفع الذى يشرف على منظر غاية فى الجمال فى وادى (ســال) بما يحيط به من غابات الشربين . وكان هذا المكان مسكنه الحبيب إليه أثناء ساعات كتابته؛ وأكثر مؤلفاته التى دبجها يراعه فى ذلك الوقت كتبت هنا . وكذلك الحال فى الشتاء فإنه كان يعيش بعيدا عن ضجيج الناس وجلبتهم وذلك فى دار آل (كرسـباغ) خارج خندق المدينة . وكان عند جلوسه بالقرب من المنضدة يحتفظ دائما بقهوته الجاهزة أو الشوكولاته ، وغالباً ما كان يقتنى قنينة من شراب الراين أو الشامبانيا لينعش نفسه المتعبة ، وكثيراً ما كان الجيران يسمعونه وهو ينشد بعض الأناشيد العذبة فى هدأة الليل . وكل من استغل فرصة مراقبته فى مثل هذه الأحوال — وكان ذلك فى غاية البساطة — بسبب المرتفعات الواقعة مقابل حديقته من الجانب الآخر من الوادى — كان يمكن أن يراه متكلما مرة بصوت عال أو ماشياً بسرعة جيئة وذهاباً فى غرفته أو رامياً نفسه على كرسيه ليكتب ثم يراه يقف ليشرب من القنينة التى بجانبه . وكان يظل بجانب منضدته شتاء إلى الساعة الرابعة أو حتى الخامسة صباحاً ، أما فى الصيف فكان يسهر إلى الثالثة فقط . ومن ثم يذهب إلى الفراش ليستيقظ فى التاسعة أو العاشرة

ويقول الشارح مستطرداً «وكانت حياته فى وايمر تشبه حياته السالفة فى رينا » وكان شغله الشاغل هـو الدراسة والكتابة . وكان يتسلى فى محيط عائلته ، حيث كان يترك لنفسه حرية التمتع بمسرات الحياة ومباهجها بصراحة مع قليل من أصدقائه الخلص . وقد جمع هؤلاء الأصدقاء فى ناد وجعل من هـذا النادى مكانا للمتعة والتسلية البريئتين . وكان مع ذلك يحب النزهة المنفردة فى منتزهات وايمر وكان يرى غالبا متجولا بين الخمائل والأروقة المرمرية البديعة ، وبيده دفتر ملاحظات وهو يسير ببطء أو يقف هادئا متأملا ، وأما إذا رأى أحدا فيمرق مسرعا إلى طريق آخر لئلا تنقطع سلسلة أحلامه وتأملاته ، وكان ملجأه المحبوب هو الطريق الصخرى الكثيف الظلال المؤدى إلى بيت (رومش) وكان هذا البيت محل نزهة الدوق وقد بنى بإرشاد جوته ، وكان يجلس هناك بجانب الصخور الشامخة المظللة بأشجار السرو والبقس وأمامه الأيك المعشوشبة على مقربة من جدول صغير يتدفق ماؤه فى قناة مبلطة ملساء حيث توجد بعض أشعار جوته منحوتة على لوح أسمر من الحجر مثبت فى الصخر [1]) . ولو أن هذه العزلة قللت من أهمية سلوكه الشخصى إلا أنها دلت على فضيلة كبرى من فضائله ، ألا وهى التجرد من ترهات الحياة وابتعاده من مباذلها ، فالإنسان لا يولد إلا ويجد أمامه مجالا من الرغبات العالية الطموحة ، ولا يكون الانتصار عليها كاملا خصوصا لإنسان مثل شلر . فوجد أن واجبه يقتضيه أن يساير مثل ذلك المسلك من الحياة ، أعنى بذلك مسلك العزلة ، وقد جاهد بكل ما يملك من قوة وبأس على تأدية مثل هذا الواجب على أحسن صورة بعد أن اكتشفه لنفسه ، ولم يكن مصدر هذه العزلة ابتعاده عن مصالح الناس بل لاهتمامه بهم ، ويمكننا من بعض الإشارات والعلامات أن ندرك بأن واجب الشاعر بالنسبة لشلر فيما يخص الإنسانية هو أعظم قدرا وأكبر قيمة وأعلى دلالة من واجبه الشخصى تجاه نفسه ، ومع ذلك ، فقد تبين لديه بأنه كان يرمى (بمواهبه فى الماء لينتظرها فى وقت آخر) . وعندما تضمحل ضوضاء الغزاة والمشعوذين والمصلحين السياسيين تظهر الحكمة العلوية التى كانت كامنة فيه وتبقى بين الناس ليعترف بفضلها وتقدر قيمتها حق قدرها ، وعليه ولو أنه مات إلا روحه الخالدة لا تزال حية طافحة بالقوة والجلال . وقد حدثنا الكثيرون عنه فقالوا (إنه كان رقيقا شفافا بشوشا عطوفا لأقصى درجة ، ولم تستحوذ عليه رغبة أشد من رغبة إسعاد الناس أجمعين) ولم يكن فى إمكان أى شخص آخر أن يتحمل ما تحمله شلر فى سبيل أداء واجبه ، فقد كان هذا الواجب أغنيته فى المساء وصلاته فى الصباح .. لقد عاش ومات فى سبيله مضحياً — كما يقول جوته — بحياته فى سبيل تصوير الحياة

« للكلام صلة » **يوسف عبد المسيح ثروت**

(١) حياة شلر

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

نصح الرجال فردهم عن نصحه ... نشوان يملأه الغرور فيطفح (١)
رب اسقه بيد (النبي) منية ... بعذابك الأوفى تشاب وتجدح (٢)
إيه (أباجهل) نصرت بفارس (٣) ... يلقى المنية منه أغلب شيح (٤)
أرداه (حمزة) عند حوض (محمد) ... فانظر أتقدم أم تحيد وتكفح (٥)
رام الورود، فما انثنى حتى ارتوى ... من حوض مهجته المنايا القمح (٦)

جد البلاء، وهب إعصار الردى ... يرمى بأبطال الوغى ويطوح
نظر (النبي) فضج يدعو ربه ... لاهم نصرك، إننا لك نكدح
تلك العصابة، ما لدينك غيرها ... إن شد عاد (٧) أو أغار مجلح (٨)
لولا تقيم بناءه وتحوطه ... لعفا كما تعفو الطلول وتمصح (٩)
لاهم أن تهلك، فما لك عابد ... يغدو على الغراء، أو يتروح (١٠)
جاشت حميته، وقام خليله (١١) ... دون العريش يذود عنه وينضح (١٢)
وتغولت (١٣) صدر القتال فأقبلا ... والأرض من حوليهما تترجح (١٤)
فى غمرة ضمن الحفاظ لقاحها ... فالحرب تسدح بالكماة وتردح (١٥)
استبق نفسك يا (أبا بكر) وقف ... أن ضج من دمك الزكى مصيح (١٦)
أعرض عن ابنك إن موتك للذى ... حمل الحياة إلى الشعوب لمترح (١٧)

(١) هو أبو جهل، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه، فغضب، وأفسد على الناس نصحه قائلا: انه يخاف على ابنه (يعنى أبا حذيفة) فإنه كان مع النبي، وبعث إلى عامر بن الحضرمى يقول: هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس، فاطلب أنت بدم أخيك، فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ: واعمراه! واعمراه. فثارت النفوس، وأخفق المسعى.

رآى النبي عتبة، وهو يطوف على جمله ينصح الناس، فقال صلى الله عليه وسلم: إن يكن فى أحد من القوم خير، ففى صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا

كانت سرية عبد الله بن جحش المذكورة آنفا فى آخر يوم من رجب، وقيل فى أول يوم من شعبان على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة، وكان رضى الله عنه من السابقين إلى الإسلام، قال سعد بن أبى وقاص: بعثنا صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال: لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش، فبعث علينا عبد الله بن جحش، وسماه أمير المؤمنين، فهو أول من حمل هذا اللقب، وموضع هذه الغزوة نخلة (بين مكة والطائف) قتل المسلمون فيها وأسروا، واستاقوا عير قريش تحمل الزبيب والجلود للتجارة، فكانت أول غنيمة فى الإسلام، وكان القتل أول قتل فى نصرة الإسلام، وذلك لما فعله كرز بن جابر الفهرى، وقال النبي عند رجوع السرية: ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام — وتحدث كفار قريش بذلك فأنزل الله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله وكفر به، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أشد من القتل) — وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش: —

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول (محمد) ... وكفر به، والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد

كان المسلمون ثمانية رجال، وقيل اثنى عشر فى هذه الغزوة

(٢) تجدح بمعنى تخلط

(٣) هو الأسود المخزومى بن عبد الأسد كان شرسا سيء الخلق، قال، أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، ثم أقبل، فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعا، ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق فى يمينه فقتله حمزة فى الحوض، وهو أول = قتيل من المشركين فى بدر، قيل إنه أول من يأخذ كتابه بشماله، وإن أخاه عبد الله المخزومى زوج أم سلمة رضى الله عنهما، أول من يأخذ كتابه بيمينه

(٤) الشيح المقاتل، والجاد فى الأمر

(٥) كفح بمعنى جبن

(٦) يقال إبل قمح أى رافعة الرؤوس غاضة العيون، وهذا إذا ارتوت من الماء

(٧) شد عليه حمل

(٨) جلح على الشىء أقدم عليه، وصمم، والسبع على القوم حمل عليهم

(٩) مصحت الدار اندرست وامحى أثرها

(١٠) تروح سار فى الرواح، أى العشى، وفى البيت والثلاثة التى قبله اشارة الى قول النبي لما اشتد الأمر على المسلمين (اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، وقيل فى الأرض)

(١١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه

(١٢) توسل سعد بن معاذ الى النبي أن يبنى له عريشا على تل يشرف منه على المعركة فقبل، وكان معه فى العريش أبو بكر متأهبا شاهرا سيفه، فلما التحم القتال جاء سعد بن معاذ وجماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم — وينضح يدافع

(١٣) تلونت

(١٤) تهتز أو تتذبذب

(١٥) يقال سدحت المرأة وردحت إذا أكثرت من النسل، وتبنت

(١٦) كان عبد الرحمن بن أبى بكر فى صفوف المشركين فطلب المبارزة وكان شجاعا فاتكا، فأراد الصديق أن يبارزه، فمنعه الرسول الكريم وقال: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعى وبصرى (أسلم عبد الرحمن فى هدنة الحديبية، وأسلم أبو قحافة عام الفتح الأعظم رضى الله عنهما

(١٧) المترح المحزن

صلى عليه الله حين يقولها   والحرب تعصف والفوارس تكلح
الله ، لا ولد أحب ولا أب   منه ، فأين المنتآى والمترح؟ [١٨]
أفما رأيت (أبا عبيدة) ثائرا   وأبوه فى يده يتل ويسطح؟ [١٩]
بطل تخطر ، أم تخطر مصعب [٢٠]
صلب القرا [٢١] ضخم السنام مكبح ؟ [٢٢]
أرأيت إذ هزم (النبى) جموعهم   فكأنما هزم البغاث المضرح [٢٣]
هى حفنة للمشركين من الحصى   خف الوقور لها وطاش المرجح [٢٤]
مثل الثميلة [٢٥] من مجاجة نافث   وكأنما هى صيب يتبذح [٢٦]
الله أرسل فى السحاب كتيبة   تهفو كما هفت البروق اللمح [٢٧]
تهوى مجلجلة [٢٨] تلهب أعين   منها وتقذف بالعواصف أجنح [٢٩]

(١٨) المنتآى محل البعد ، والمترح مفعل من نزح اذا بعد

(١٩) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه ، وكان من المشركين ، ليقتله ، فأعرض عنه وفيه أنزلت (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) الآية ويتل يصرع

(٢٠) المصعب الفحل ، ومن الجمال مالم يركب ولم يمسه حبل

(٢١) شديد الظهر

(٢٢) مكبح شامخ والبيت فى صفة أبى عبيدة

(٢٣) البغاث ضعاف الطير ، والمضرح الصقر الطويل الذيل

(٢٤) أخذ النبى صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى ورمى بها المشركين ، فلم يبق رجل منهم إلا امتلأت عينه فانهزموا (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقاتل هو وأبو بكر قتالا شديدا فلما انهزموا جعل معهم شاهرا سيفه وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر) والمرجح الحليم

(٢٥) الثميلة البقية

(٢٦) تبذح السحاب مطر

(٢٧) البيت وما بعده فى نزول الملائكة لما التحم القتال وعج النبى والمسلمون بالدعاء ونزلت الملائكة (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) واستيقظ صلى الله عليه وسلم من نومه فقال وهو يبتسم : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل على ثناياه النقع ، وعن الإمام على قال : هبت ريح شديدة يوم بدر ، مارأيت مثلها قط ، ثم جاءت أخرى كذلك ، ثم جاءت أخرى كذلك ، فكانت الأولى جبريل : نزل فى ألف من الملائكة أمام النبى ، وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف عن يمينه ، وكانت الثالثة إسرافيل ، نزل فى ألف عن ميسرته صلى الله عليه وسلم ، قال رجلان من بنى غفار : رأينا سحابة يوم بدر سمعنا فيها حمحمة الخيل وقائلا يقول : أقدم حيزوم ، فرس جبريل على رواية ، وسحابة اخرى فيها رجال وسلاح

(٢٨) من جلجل السحاب إذا رعد

(٢٩) جمع جناح

للخيل حمحمة تراع لهولها   صيد الفوارس، والعتاق القرح [٣٠]
(حيزوم [٣١]) أقدم ، إنما هى كرة   عجلى ، تجاذبك العنان فتمرح
(جبريل) يضرب، والملائك حوله   صف ترص به الصفوف وترضح [٣٢]
تلك الحصون المانعات بمثلها   تذرى المعاقل والحصون وتذرح [٣٣]
للقوم فى أعناقهم وبنانهم   نار تريك الداء كيف يبرح [٣٤]
جفت جذور الجاهلية ، والقوى   هذا النبات الناضر المترشح [٣٥]
طفق الثرى من حولها لما ارتوى   من ذوب مهجتها يجف ويبلح [٣٦]
ومن الدم المسفوح رجس موبق [٣٧]   ومطهر يلد الحياة ويلقح

بنبع

(٣٠) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع

(٣١) فرس جبريل

(٣٢) تكسر

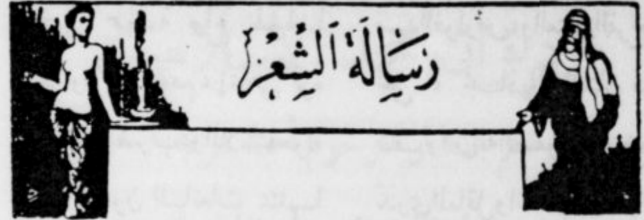
(٣٣) تذرى وتذرح بمعنى

(٣٤) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان)

(٣٥) استرشح النبات طال

(٣٦) ييبس

(٣٧) مهلك



نشيد

الاتحاد — النظام — العمل

للأستاذ علي متولي صلاح

مصر هذا عهدك الزاهي فسيري لا تبالي أي صعب في المسير
كل صعب صار سهلا لينا وغدا كل شديد هينا
فانهضي في عهدك الزاهي وباهي واجعي كل دعاء في الشفاه
محق الظلم فشكراً يا إلهي

مصر هي لاتحاد وعمل ونظام ... تبلغي كل الأمل
وكفى يا مصر تفريقا كفى وعفا الله عن الماضي عفا
فانهضي في عهدك الزاهي وباهي واجعي كل دعاء في الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهي

أنت يا مصر من الساعة حره لن تضامي بعدها يا مصر مره
قد تحررت من القوم الطغاة وتجاوزت عهود الظلمات
فانهضي في عهدك الزاهي وباهي واجعي كل دعاء في الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهي

لو دعا الداعي لبذل وفداء قسماً أبذل روحي والدماء
أي شيء هو أغلى من بلادي هي داري وعتادي ومهادي
فانهضي في عهدك الزاهي وباهي واجعي كل دعاء في الشفاه
محق الظلم فشكرا يا إلهي

علي متولي صلاح

ثورة ضمير

للشاعر محيي الدين فارس

فرغت كأسي . فمن يملأ بالأحلام كأسي
وسجا الكون وثارت من لهيب الشوق نفسي
وطوتني في شعاب الليل إطراقة بؤس
وأنا زورق أحلام ، وأشواق ، وعرس !
في يد الأمواج ، والإعصار كم يضحي ويمسي !

إن أكن أسكرت بالألحان أسماع الوجود
وتغنيت مع الأطيار في الصبح الوليد
وسكبت الفن لحناً في مزامير الخلود
فأنا قلب شقي مل من أسر القيود
في صحارى العمر والنسيان . في دنيا العبيد !

غربت شمس ولم أبصر سوى ليل توالى
وتلاشى الحلم من أفق خيالاتي وزالا
وأنا في عالم النسيان أستاف الزوالا
ريشة في ثورة الأنواء لم تدرك مجالا
لفها الإعصار في أجنحة الليل وغالا

عذبتني في شعاب الوهم ألحان شكاتي
كم يثير الليل أشباح هموم طاغيات !
وخبت شعلة آمالي ، وجفت صبواتي
وتهاوت ... من سمواتي طيور الأمنيات !
لم يعد قلبي خفاقا بأحلام الحياة !

حدقت في صمتي الخالد أبصار الليالي
وجرت خلف نعوش العمر أسراب ظلال
لم أعد أبصر في دنياي أطياف الجمال
كل شيء هامد كالموت في كهف الليالي
كم قصور شدتها للفن من وهم خيالي

واسني ياليل ، يانبع خيالاتي وشعري
واسني ياليل ، هل تدرك مايحمل صدري
أنا كالبحر شقي عشت في مد وجزر
أنا طير قصت الدنيا جناحيه بغدر
لست أدري فيم أبكي . . وأغني لست أدري

إن أكن أذنبت في الدنيا فغفرانك ربي
جئت أبكي بدموعي ناشدا إخفاء ذنبي !
ناسكا في معبد الإيمان . . هيمان كصب
طهرت نفسي صلاة . . نضرت صحراء قلبي
فارحم اللهم نفسا عذبت في كل درب !

محيي الدين فارس السوداني

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مهرجان الشعر

دعت اللجنة الثقافية بجمعية الشبان المسيحيين بالقاهرة إلى مهرجان للشعر في يوم الجيش عقد بدار الجمعية مساء الجمعة ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٢ . وقد قدمه الأستاذ خالد الجرنوسي ، وعقب عليه الأستاذ كامل أبو العينين ، وكانت ضيفة الشرف فيه السيدة أمينة السعيد

إلى هنا ليس لنا اعتراض على أي شيء ؛ غير أن الذي لوحظ أن جميع الشعراء الذين قدموا في المهرجان كانوا من الأسماء الجديدة . . وكان في الاستطاعة دعوة شعراء آخرين معروفين للاشتراك في هذا المهرجان ، ولا ندري هل المسؤول عن ذلك جمعية الشبان نفسها ، أم الأستاذ خالد الجرنوسي . .

لا اعتراض لنا أيضاً على الشعراء الجدد ، فنحن ندعو إلى إعزاز الأدب الجديد ، وفتح المجال أمام أصحابه ليأخذوا مكانهم ليتسابقوا إلى الغاية . . ولكنني أعتقد موقناً أن قصر المجال على طائفة دون طائفة ، لابد أن يكون له سبب يبرره . .

لماذا لم نسمع في هذا المهرجان محمود حسن إسماعيل أو عبد الغني حسن أو علي الجملاطي أو قاسم مظهر أو العوضي الوكيل ، أو علي متولي صلاح أو غيرهم وغيرهم

وفي الميدان النسوي . . لماذا اقتصر على الآنسة روحية القليني ؟ إنني مع الأسف لم أقرأ للآنسة الشاعرة . . وأرجو أن أقرأ لها في وقت قريب ؛ ولكنني أسأل لماذا لم يدع إلى ندوة الشعر أمثال : جميلة العلايلي أو أماني فريد ، أو غيرهما من الشاعرات . .

. . وإني لأتساءل ، لماذا اكتفى الأستاذ خالد الجرنوسي بالإشراف ، ولم يقدم شعره . . ولم يلق قصيدة من قصائده العصماء في هذه المناسبة !

إن مهرجان الشعر في يوم الخميس عمل أدبي مشكور ، وهو نافذة من نوافذ الشعور ، أعطت هؤلاء الشعراء الشبان فرصة التعبير عن مشاعرهم في هذه المناسبات الفذة . .

. . ولكنها كانت تكون أعظم أثراً وأبعد قوة في محيط الأدب لو أمكن أن تنفذ على نطاق واسع ، وفي جو أكثر استعداداً وأخصب إنتاجاً . . وإنا لنرجو أن تعاود جمعية الشبان المسيحية الكرة ، وأن توسع نطاق الدعوة حتى نسمع قصائد أخرى ، وإنا لنرجو أن يشترك فيها شعراء وشاعرات من الأسماء اللامعة المعروفة !

حول تطهير الأدب

أرسل إلى الأستاذ عبد اللطيف فايد الخطاب التالي :

« في هذه الآونة التي تتنفس فيها البلاد من شر ما جثم على صدرها في العهود الغابرة ، تمتد يد التطهير المباركة إلى كل مرفق من مرافق الدولة لتغسله من الأدران التي علقت به حتى يغدو نظيفاً ، يؤدي واجبه بدقة وأمانة

. . أرى مرفق الأدب قد وضع في زاوية مهملة ، وقد أغفله الأدباء ولم ينظروا إليه نظرة تعيد شامخ مجده !

وأنت تعلم يا سيدي أن الدخلاء على الأدب كثيرون ، احترفوا الإمساك بالقلم ، وهم لا يعرفون كيف يضمونه بين أناملهم ويوجهونه التوجيه الصحيح الذي يرسم العبارات في استقامة ونضوج ، واتخذوا من بعض الصحف والأوراق الرخيصة ميداناً يعرضون فيه عملتهم الزائفة

وقد راجت هذه العملة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . . وأقبل عليها طلاب المدارس والمعاهد والجامعات وكثيرون من أبناء الشعب ، فتغذوا بلبانها ، وأصبحت عماداً لهم في الإنشاء والتعبير !

وإنك لتجد الحسرة والألم يغمران قلبك ونفسك وكيانك كله حينما تفتش عن روح أدبي بالمعنى القيم في المحيط التعليمي ! لأنك سوف لا تعثر إلا على أشخاص يصفون الكلمات في غير تناسق ، ويختلقون عبارات ميتة خالية من الحياة ، مما صير الذوق الفني في خطر !

ولولا البقية الباقية من السلف الصالح والشبيبة المتوثبة ممن تفتحت عيونهم وعقولهم ، لأصبحت سوق الأدب فى انهيار تام

أليس من واجب علماء القلم ، وشيوخ الأدب ، وحملة المشاعل ، أن يجعلوا من أنفسهم قوامين على التراث الذى امتدت إليه يد العبث والضياع ! »

***

هذه كلمات تفيض بالإيمان والحماسة ، وتكشف عن روح أدبية خالصة ، نحن ننشدها فى شبابنا الجديد فى العهد الجديد

وها أنت ترى يا صديق أن « الرسالة » تواصل رسالتها ، وتحتمل فى سبيلها كل عنت .. وأنت ترى الناس وقد تحولوا عن الأدب الرفيع إلا قلة من أصحاب الذوق الرفيع ، ومع ذلك فإن « الرسالة » قد أعلنت أنها ستزداد قوة فى الأيام القريبة على أداء رسالتها التى آمن بها صاحبها أصدق إيمان ، وجرد نفسه له خالصا مخلصا لا يبتغى إلا رضوان الله . .

إن الأدب الرفيع سيخلد ويعيش ويبقى .. وكل هذه التفاهات المزخرفة ، والفقاعات الملونة التى تعجب بعض ذوى الأهواء .. ستموت وتنطوى .. وتذهب أدراج الرياح .. فلا تضيق ياصاحبى إذا لم يعجبك أمر الناس . وإنا لنعتقد وقد اعتدلت الموازين فى الحياة السياسية والاجتماعية .. أن تعتدل قريبا موازين الأدب ، وقد غلبت نزعة الجد على أمور الحياة ، فلابد أن يستجيب الأدب لها

عود إلى الشعر المنثور

تفضل أخى الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم فأرسل إلى كتابه « فى الضباب » مع كلمة قال فيها « إنه وقف طويلا أمام كلمتى عن الشعر المنثور »

وقد كتب صديق كتابه هذا سنة ١٩٤١ .. أى منذ اثنى عشر عاما

كان أيامها فى سن الحب والهوى .. تلك السن التى تتفق مع هذا اللون من الأدب ، أما اليوم فإننا نراه وقد تحول عن هـذا اللون

وكل شاب من الأدباء أحب هذا اللون يوما كان السن وكانت العاطفة ، وكانت عوامل متعددة تدفعه إلى أن يقرأه ، أو يعبر عن مشاعره بأسلوبه

.. الضباب .. والظلال .. والأضواء الخافتة .. تلك هى مظاهر الحياة فى سن الشباب ، وهى مظاهر الأدب أيضا ، وفى هذا المعنى اقرأ للأستاذ إبراهيم فى كتابه :

.. وفى عينيك رأيت الأسى والمرح

.. ورأيت اليأس والأمل

.. ورأيت الحيرة والاطمئنان

هذه صورة النفس فى سن الشباب الباكر ، عندما تتراءى الصور ولا تثبت ، وتتبدى الأحلام كالخيال البعيد !

إن رأيى يا سيد إبراهيم فى الشعر المنثور ، هو أننا فى عصر نهضة .. عصر بناء .. عصر الأعمال الضخمة .. عصر الجد الجاد ؛ كل منا يستطيع أن يحمل حجرا كبيرا ليضعه فى هـذا البناء الضخم

أما الشعر المنثور فإنه لون من ألوان (الطرافة) يأتى بعد الجد الصارم ، ومن ألوان (الترف) يأتى بعد الحاجة الماسة ، ومن فنون « المتعة » يأتى بعد المتعة الفردية

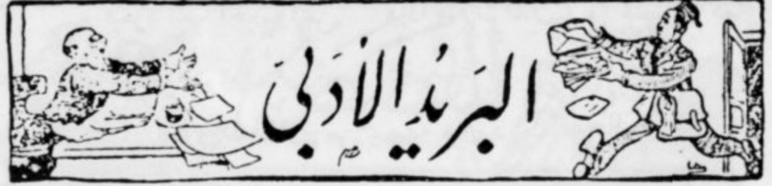
فأنا لا أحب أن نعود إليه ونحن على أبواب حياة جديدة . وما أقوله عن مصر أقوله عن سوريا ولبنان وبلاد النهضة جميعا

هذا فضلا عن أننى عرضت لشعر شاعرة .. أنثى ؛ إن من حقها أن تصور مشاعرها ، ولكن ليس من حقها أن تطلعنا على صفحة مثيرة .. ما أحراها أن تكون صفحة خاصة بها ، إن شاءت أن تنظر لها من حين إلى حين

إن الأدب اليوم لا يؤمن بمذهب الفن للفن .. ذلك هوس كان يقول به بعض ذوى الشذوذ من الكتاب .. وكانوا يصدرون فى هذا الرأى عن هوى صارخ . فما أحرانا وقد أخذت أوربا اليوم تعيد النظر فى مذاهبها الأدبية ، وفى قواعد الحضارة ذاتها أن ننكر ما يتنافى مع طابعنا فى الشرق .. ولاسيما فى أدب المرأة

إن أوربا اليوم لم تعد تؤمن بمبدإ الفن للفن ، ولن تجد كاتبا واحدا يوافق عليه إلا إذا كان من أنصار سارتر ! وهو من هو فى عالم الفاحشة والضلال ، وإنى لأشكر لأخى الأديب هديته ، وأتمنى أن أقرأ له كثيرا .. فى غير مجال الشعر المنثور

أنور الجندى



حديث لا يستدل به

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (الأهرام ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٢) : « فى سنن أبى داود من حديث عائشة أن أختها أسماء دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق ، فأعرض عنها وقال : يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا . وأشار إلى وجهه وكفه »

قال الحافظ المنذرى : هذا حديث منقطع وخالد بن دريك لم يدرك عائشة . وقال القرطبى : فيه انقطاع . وقال الكوثرى : فى سنده سعيد بن بشر وهو ضعيف ، وفيه أيضا عنعنة بعض المدلسين . ولو صح لكان ترك عائشة العمل به علة قادحة تمنع من الأخذ به عند جمهور السلف ، لأنه صح عنها تفسير (الأدناء) فى الآية الكريمة ، بإبداء عين واحدة وستر سائر الوجه ، كما صح مثل ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبيدة السلمانى — وارث علوم على بن أبى طالب وابن مسعود ، والذى كان يخضع لعلمه وفهمه مثل القاضى شريح الذى استمر على قضاء الكوفة ستين سنة من عهد عمر — رضى الله عنهم . . وبقول عبيدة هذا أخذ جمهور السلف

واحتج الأستاذ الأكبر بحديث فى تفسير بن جرير . وليس كل خبر فى تفسير الطبرى بصحيح . فمن المقرر أن المؤلفين السالفين إذا رووا خبرا وذكروا رجاله سقطت التبعة عنهم بذكر رواته . وعلى العلماء نقد رجاله والاحتجاج به إذا سلموا من الجرح، وطرحه ومنع الأخذ به إذا لم يسلموا من ذلك

محمد محمد الجبرى

جلوب والجيش العربى وحرب فلسطين

اطلعت على كلمة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصرى المنشورة فى البريد الأدبى عدد ١٠٠٥ من الرسالة الغراء ، وبما أنى أعتبر نفسى من جنود العرب الأحرار الذين شهد معركة فلسطين واطلعوا على مؤامرات جلوب ، فإننى أرى من واجبى أن ألبى نداء الأستاذ الناصرى وأعلق على كلمته بالكلمة التالية :

دأب الجنرال جلوب على الإدلاء بتصريحات عسكرية إلى المراسلين الأجانب فقط ، وذلك لتضليل الرأى العالمى وطمس الحقيقة عن أعين الغرب . ولطالما زعم وافترى أن الجيش العربى كان قليل العدد ضعيف العدة ، مع أن الجيش كان عشرة آلاف مقاتل ، يتلكون من الأسلحة والذخائر ما يزيد على ما كان بحيازة الجيش اليهودى بأسره . والجنرال جلوب كقطب كبير من أقطاب الاستعمار فى العالم العربى لا يجرؤ على ذكر العوامل التى دفعته إلى رفع علم الهجوم والسير فى طليعة الجيش العربى عندما زحف على الرطبة وبغداد وطعن الجيش العراقى من الخلف عام ١٩٤١ ، فى حين أنه قبع فى قيادته بعمان وأحجم حتى عن زيارة جبهات القتال فى معركة فلسطين إلا بعد انتهاء الحرب وتوقيع الهدنة المشؤومة ، ثم لا نسمع منه أبدا أى تعليق على الخسائر التى منى بها الجيش العربى الذى — بحسب ادعائه — تحمل العبء وحده ، مع أن الحقيقة الثابتة أن ٦٠ ٪ من خسائر الجيش العربى وقعت فى منطقة القدس التى كان لى شرف إدارة الحرب فيها بكتيبة واحدة بغير إرادة جلوب ، مما أدى إلى انتصارنا على اليهود وحماية القدسات الإسلامية والمسيحية ، فى حين أن بقية كتائب الجيش كلها لم تخسر سوى ٤٠ ٪ من الإصابات ، والسبب واضح جلى ، وهو أن قادتها كانوا من الضباط الإنجليز الذين نفذوا أوامر جلوب ولم يشتركوا بكتائبهم فى حرب جدية فى أية معركة

أما المدفعية التى يتحدث عنها جلوب فى تصريحه ، فقد كانت قوية فعالة فى الجيش العربى ، ولم يكن لدى اليهود مدفع واحد حتى وقوع الهدنة الأولى ؛ غير أن هذه المدفعية كانت تحت قيادة مساعده (لاش) الذى حال دون اشتراكها معنا فى المعركة لاحتلال المناطق اليهودية من القدس الجديدة ، مما أدى إلى استنجادى باللواء مصطفى راغب قائد الجيش العراقى فى فلسطين فزارنى فى قيادتى بالقدس فى ٨ / ٨ / ١٩٤٨ ، ووعد بتزويدى بالمدفعية اللازمة مع لواء مشاة كامل لاحتلال القدس الجديدة ، ولكنه لم يتمكن — لأسباب سياسية — من تحقيق وعده . .

فاستقال وعاد إلى العراق

ويتناسى جلوب مؤامراته التى كان يدبرها وينفذها (ميجر لوكث) ضد الجيش المصرى فى منطقة بيت لحم والخليل ، وخطته الجهنمية للقضاء على القوات المصرية فى الفالوجة . إن لهـذا القطب الاستعمارى الحق فى أن ينفذ أوامر حكومته الصادرة إليه من لندن ، ولـكن الشئ العجيب حقا أن يخرج فى عمان من يدافع عن جلوب ويحتفظ به سيداً للأردن حتى يومنا هذا ، وأن نجد فى الدول العربية الحرة زعماء يرضون عن الحالة فى عمان ، وخاصة فى الجيش العربى ، بعد كل الذى وقع بسببه من كوارث فى الماضى القريب !

عبد الله التل
حاكم القدس سابقاً

وعود الأمس . . ووعود اليوم

كم من وعود وعدها الفلاح فى ماضى السنين ، ولم يتحقق منها كثير ولا قليل !

كان نوابه يعدونه بمختلف الإصلاحات ، ليظفروا بصوته ، حتى إذا أخذوا مكانهم تحت قبة البرلمان لم يروه .. ولم يراهم !

وكانت الحـكومات المتعاقبة ، والوزارات المتتابعة ، تعده بالـكثير ... فلطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على رفع مستوى المعيشة فى القرى ، والنهوض بالفلاح

ولطالما سمع أن الحـكومة ستعمل على تعميم مياه الشرب النقية فى القرى ... وأن الحـكومة ستعمل على تخفيف أعباء الضرائب عن كواهل الفلاحين !

وانقضت السنون والفلاح هو الفلاح .. والقرية هى القرية ! الفلاح هو الفلاح ، يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها

والقرية هى القرية ، أهملت مرافقها ، وعاشت عيشة البؤس والحرمان

وإذا بكل تلك الوعود وعود عرقوب !!

هذا فى العهد البائد ، أما فى العهد الجديد فقد أفاق الفلاح على دعوة الحرية ، فإذا بالحال غير الحال ، وإذا بأرضه تعود إليه ، فيعود معها الخير واليمن . . وإذا بالملاك الذين كانوا يمتصون دمه يهوون من فوق عروشهم أذلة صاغرين !

لقد وجد الفلاح من ينصفه ، ويرد إليه حقه المسلوب .. فما أبعد الفرق بين وعود اليوم ووعود الأمس ، التى لم تكن إلا كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا !

عيسى متولى

تعقيب

فى « البريد الأدبى » للرسالة الغراء فى العـدد (١٠٠٥) كتب صديقنا الشاعر البغدادى الأستاذ عبد القادر رشيـد الناصرى كلمة يخطئ فيها لفظة « جرجر » فى بيت الشاعر الأديب الفيتورى فى قوله :

(نجرجر) خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا

ويشير إلى أن اللفظة تومئ إلى غير المعنى الذى أراده الأستاذ الفيتورى وهو الجذب والسحب ؛ وإنما هى بمعنى الهدير يردده الفحل أو البعير .. الخ

وأقول : من المعلوم فى نشوء اللغة وتطورهـا أن المفردات نشأت على هجاء واحد — أى على حرفين — محاكاة للطبيعة أوله متحرك وثانيه ساكن ثم جاء المضاعف الثلاثى والرباعى . وأنت تقول « صر » محاكاة لصوت صرار الليل . ولما كان الحرف الأخير على الوقف — أى ساكنا — لا يستبينه السامع بعد أو قرب ؛ قلت : صر بتحريك الساكن الثانى فى الأصل . ولما أردت أن تفهم السامع أن الصرار كان يكرر صوته ويرجعه ويردده مرة بعد مرة قلت : صرصر فأسكنت الراء الأولى على الأصل وضاعفت

وعليه فلفظة « جرجر » فى أصلها صحيحة على المعنى الذى أراده الشاعر وهو الجذب والسحب أو بمعنى أصح الجر المتكرر المتثاقل الطويل المبعدة

ويقول الأستاذ الناقد فى قول الفيتورى :

لقد عدنا . أجل عدنا . . ولـكن عودة (المقصور)

« وقد فتشت القواميس فلم أجد معنى لـكلمة (المقصور) ، فما معناها يا أستاذ ؟ »



كل لنفسه

للقصصى الكبير اسكندر دوماس « الأب »

كان بقرية فولى (١) منذ سنوات فلاح فقير يدعى « جيوم مونا »

وكان هناك دب يسطو على بستانه كل ليلة فيصطفى من شجر الكمثرى الذها طعما وأكثرها عصيرا رغم أن هذا الحيوان يستسيغ كل شئ، فمن يشك إذن فى أن هذا الحيوان له من حاسة الذوق ما للانسان وإلا لما اختار هذا الصنف من الكمثرى التى أغرم بها ذلك الفلاح الذى ظن بادئ الأمر أن ذلك من فعل الأطفال الذين يسطون على بستانه مما جعله يحشو غدارته بحبات كبيرة من ملح الطعام وينتظر هؤلاء الفتية

وعند الساعة الحادية عشرة تقريبا سمع زئيرا يدوى فى الجبل فقال لنفسه « آه . إن دبا غير بعيد »

وبعد عشر دقائق دوى عواء آخر قوى وقريب حتى ظن جيوم أنه لن يستطيع الرجوع أدراجه فانبسط على الأرض وليس لديه أمل إلا أن تكون الكمثرى هى مقصد الدب لا هو !

(١) فولى : قرية بفرنسا

وظهر الدب فجأة فى ركن الحديقة وتقدم نحو شجرة الكمثرى مارا على بعد عشر خطوات من جيوم ثم قفز على الشجرة فانت من ثقله فروعها وأخذ يلتهم الثمار بشره حتى أنه لو زار هذه الشجرة مرتين أخريين لكانت الثالثة عبثا !

ولما بشم الدب هبط من الشجرة ببطء كأنه يأسف لفارقها وعاد أدراجه مارا بصاحبنا (الصياد) الذى لم تكن غدارته المحشوة ملحا لتغنى عنه فتيلا

استغرق كل هذا حوالى الساعة ولكنها كانت طويلة جدا على الصياد كأنها عام فى حين أنها مرت على الدب كأنها لحظة

ومع هذا فقد كان الرجل شجاعا إذ أنه همس والدب يعود أدراجه « حسن ، اذهب . ولكن هذالن يمر هكذا بل سترى »

وفى اليوم التالى مر أحد الجيران فوجد جيوم منهمكا فى قطع أسنان مذراة حديدية فقال له :

— ماذا تفعل ؟

— أتسلى

فأخذ الجار قطع الحديد وقلبها فى يده وأخذ يفكر برهة ثم أردف :

— لو كنت صريحا يا جيوم لاعترفت لى بأن هذه الشظايا إنما تعدها لاختراق جلد أقوى من العنز البرى

— ربما

فاستطرد فرنسوا (وهذا اسم ذلك الجار)

— أنت تعلم أننى نعم الفتى ، فلو شئت أن يكون الدب لنا سويا ، فإن اثنين خير من واحد

— المسألة تتوقف على الظروف

قال ذلك جيوم واستمر فى قطع القطعة الثالثة

— سأترك الجلد لك وحدك ولن نقتسم سوى الجائزة (٢) واللحم

— إنى أفضل الكل

— ولكنك لن تستطيع أن تمنعنى من أن أقتفى أثر الدب فى الجبل ومن أن أكمن له فى الطريق

(٢) الجائزة : فى بعض البلاد تعطى الحكومة جائزة لمن يقتل حيوانا ضاريا

وأقول : الأمر لا يحتاج إلى تفتيش فى معجم ، لأن (القضور) أصله (القهور) . وأنا أعجب كيف قرأتها على الحرف وقرأها الأستاذ الناصرى فى الرسالة نفسها على التحريف

والقهور : المغلوب على أمره ، ولا شك أن الذى يجرجر التاريخ أشلاء وأكفانا ، لاشك أنه يعود عودة القهور ، وإن كان العود هنا غير أحمد !

وبعد فإلى شاعر العراق الرقيق أبعث بالتحية الخالصة من مصر الناهضة ، وأرجو له دوام السداد والتوفيق

عدنان

— أنت حر

وانتهى جيوم من عمله وعمد إلى إعداد مقدار مضاعف من البارود

فقال فرنسوا :

— كأنك ذاهب إلى ساحة القتال

فلم يجب جيوم بل قال :

— ثلاث قطع من الحديد فيها ضمان أقوى من قطعة من الرصاص

ولكن ذلك يشوه الجلد

— إنما فيها الموت الزؤام

— ومتى تذهب للعمل ؟

— غدا تعلم

— مرة أخرى ... ألا توافق ؟

— كلا

— أنذرك بأني سأقتفي أثره

— هذا لا يضيرني

— لنا سويا ؟ ... قل !

— كل لنفسه ،

— إلى اللقاء يا جيوم

— أتمنى لك أسعد الظروف

فانصرف الجار وهو يرى جيوم يحشو غدارته بالبارود وقطع الحديد

وفي المساء وهو مار بالمنزل رأى جيوم جالسا على أحد المقاعد بالقرب من الباب وهو يدخن غليونه بهدوء . فذهب إليه ثانية وقال :

— لست آسفا ولا مكتئبا . لقد وجدت آثار ذلك الحيوان فلم أعد في حاجة إليك مطلقا . ومع ذلك فقد جئت أعرض عليك أن يكون لنا سوياً

فقال جيوم بلهجة المصمم :

— كل لنفسه

لم يستطع فرانسوا أن يعلم ماذا فعل جيوم بعد ذلك في تلك الليلة . ولكن امرأة هذا رأته في الساعة العاشرة والنصف يحمل غدارته وقد طوى تحت إبطه كيسا رمادياً ، ولكنها لم تجرؤ أن تسأله إلى أين يذهب لأنه كان من الرجال الذين لا يفضون إلى نسائهم بشيء

وأما فرنسوا من جهته فقد عثر حقيقة على الأثر الذي انتهى به إلى حديقة جيوم ، ولما لم يكن له حق في أن يكمن على إحدى أشجار الحديقة فقد أخذ مكانه في غابة تقع بين منتصف سفح الجبل وحديقة جيوم

ولما كانت الليلة قمراء فقد رأى فرانسوا جيوم وهو يخرج من بابه الخلفي ، ثم تقدم حتى إحدى الصخور الرمادية التي تدحرجت من الجبل ، وكانت تبعد عن شجرة الكمثرى عشرين خطوة ، ثم وقف وأدار طرفه ليرى ما إذا كان هناك من يراه ثم تناول الكيس ووقف بداخله بحيث لم يدع من جسمه خارجه إلا رأسه وذراعيه . وارتكز على الصخرة فأصبح من غير المستطاع تمييزه عنه نظراً لاتحاد لون الصخر والكيس وثبات جيوم في موضعه

مر من الساعة ربعها في انتظار الدب ، وأخيراً أعلن مجيئه زئير متتابع وبعد خمس دقائق رآه فرانسوا

لم يأخذ ذلك الحيوان طريقه العادي الذي سلكه بالأمس إما لدهائه وإما لأنه أحس بالصياد الآخر . وبدلا من أن يأتي عن شمال جيوم ارتسم لنفسه طريقا منحنياً وأتى عن يمينه بحيث لا يمكن أن يصل إليه سلاح فرانسوا ، ولكن على بعد خطوات من غدارة جيوم الذي ظل ساكنا حتى ليظن أنه لم ير ذلك الحيوان وهو يمر قريبا منه كأنه يتحداه . ويظهر أن الدب لم يشعر بعدوه إذ أن الريح كانت متجهة منه إليه ولذا استمر في طريقه نحو الشجرة

ولم يكد يرتكز على رجليه الخلفيتين وقد حوط بهما الأماميتين ودفع بصدره إلى الأمام استعدادا للتقفز حتى دوى في الوادي صوت هائل وسرى في الفضاء بارق من نار أعقبه أنين جرح مميت

انقلب الدب راجعا مارا على بعد خطوات من جيوم دون أن يراه فقد أدخل ذراعيه ورأسه داخل الكيس فاستتر في الصخر من جديد

كان هذا المنظر على مرأى من الجار الذى ركع على ركبتيه ويده اليسرى ، قابضا باليمنى على غدارته وقد اصفر لونه وهو يكتم أنفاسه وتمنى فى ذلك الوقت لو كان نائما فى سريره بعيدا عن هذا الموقف

كانت مفاجأة سيئة لفرانسوا حين رأى الدب الجريح بعد أن دار دورة طويلة قد أخذ سبيله عن يمينه حتى أسلم نفسه لبارئه ، وتحقق من غدارته ليتأكد أنها محشوة . كان الدب على بعد خمسين خطوة يئن من الألم ويقف ليدور برأسه فيعض على موضع الجرح ثم يتابع السير حتى صار على بعد ثلاثين خطوة

ولكنه وقف فجأة وتنسم الريح التى تأتى من جهة القرية وزأر زئيرا مرعبا ثم قفز داخل البستان

— خذ حذرك يا جيوم ! احترس !

تفوه بها فرانسوا وهو يتبع الدب وقد نسى كل شئ إلا صديقه لأنه اعتقد تماما أنه لن ينجو من الدب إذا لم يكن قد استطاع أن يحشو غدارته من جديد؛ ولكنه لم يكد يخطو خطوة واحدة حتى سمع صرخة ولكنها كانت صرخة آدمية ، صرخة رعب ، بل صرخة النزع الأخير . ثم تلتها صرخة استجمع فيها صاحبها كل ما بقى فيه من قوة ومن رجاء فى الله :

« أدركونى ! » لم يعقب ذلك أى صوت ولا تأوه

لم ينكص فرانسوا على عقبيه ؛ بل تقدم حتى اقترب من مصدر الصوت ، فتبين له بوضوح ذلك الحيوان الهائل منكبا على جيوم يمزقه بمخالبه

كان فرانسوا على بعد أربع خطوات منهما ولكن الدب كان ثائرا على عدوه لدرجة أنه لم يكترث لغيره . لم يجرؤ فرانسوا أن يطلق غدارته خوف أن تقتل جيوم إن كان لم يزل حيا . فالتقط حجرا وقذف به الدب

فالتفت الدب نحو عدوه الجديد . لقد كانا متقاربين جدا ، حتى أن الدب انحنى إلى الوراء استعدادا للمهاجمة ؛ ولكن بحركة آلية ضغط فرانسوا على الزناد فخرج الطلق النارى وانقلب الدب على ظهره لأن الرصاصة قد اخترقت صدره وكسرت عموده الفقرى

تركه فرانسوا يتخبط فى دمائه وأسرع إلى جيوم ، فلم يجده بشرا ولاجثة ؛ بل وجده عظاما ولحما ممزقا قد التهم الدب رأسه بأكمله تقريبا

رأى فرانسوا الأنوار تتحرك وراء النوافذ فعلم أن كثيرا من فلاحى القرية قد استيقظوا فأخذ ينادى ويستغيث ويحدد المكان الذى هو فيه

نخف إليه بعض الفلاحين بأسلحتهم وما لبثت القرية أن تجمعت بتمامها فى حديقة جيوم ، وكانت امرأته من بين الحاضرين

وقد كان المنظر رهيبا مرعبا إذ أخذ كل الحاضرين يبكون كالأطفال

اكتتب أهالى المنطقة بأكملها لأرملة جيوم بمبلغ سبعمائة فرنك ، وتنازل لها فرانسوا عن الجائزة وباع لحسابها جلد الدب ولحمه

وأخيرا اقتنع الجميع بوجوب التعاون والتآزر !

ع . م

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشاً)

آلامُ فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف «جوته» الألمانى

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٣٧

الرواية

تعــــــود

و

الرسالة

تتجـــــــدد

في نوفمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب، وحسن اختيار، ودقة ترجمة، وفخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى، فى الشكل، والموضوع، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1010

Le Caire 10 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نصيب قريتي من الثورة

قريتي الصغيرة الفقيرة هي إحدى القرى الخمسين التابعة لمركز طلخا ؛ ومركز طلخا هو أوحد المراكز جميعا في غش النظام الإقطاعي وفجوره . كل ما تملك فلاحه من أرضه أمتار ينام فوقها وهوحي ، وأشبار يرقد تحتها وهوميت . أماملاكه فهم آل طوسون ، وآل البدراوي ، ومحمد علي ، ووحيد يسري ، وسرسق ، ووزارة الأوقاف ! لذلك كانت جملة الأرض التي نزعها قانون الإصلاح الزراعي من كبار ملاكه ، ليوزعها على صغار زراعه ، اثنين وثلاثين ألف فدان في السنة الأولى من سني التوزيع الخمس ! وهذا الرقم الأولى الضخم يشعرك ولا شك بالحياة الأليمة التي كان يحياها أولئك البائسون التعسون في ظلال الأسرة العلوية الكريمة !

كانوا يعملون العام كله دائبين ليل نهار ، لا تختلف امرأة عن رجل ، ولا يتخلف صغير عن كبير ، ولا تفترق ماشية عن آلة . حتى إذا آتت الأرض الطيبة أكلها فحصدوا القمح ، وضموا الرز ، وجمعوا القطن ، وقطعوا الذرة ، ذهب أولئك كله إلى المالك المرهوب ، إما عينا في مخازنه ، وإما نقدا في خزائنه ! أستغفر الله ! لقد تدرك الرحمة أحيانا قلب الباشا أو الأمير ، فيترك للفلاح أو للأجير ، أرغفة من الذرة يتبلغ بها كل يوم ، وجلبابا من القطن يرتديه طول السنة ، وأرطالا من اللحم يتذوقها كل عيد ! أما نصيبه من ثمن قطنه ورزه ، فيقول له ناظر البدراوي : أخذناه لأن أباك أو جدك كان مدينا لنا في الماضي ! ويقول له مفتش طوسون : حجزناه لأن إجارتك ربما تخسر في المستقبل ! فإذا هم بأن يشكو ، حجز الناظر ماشيته عن الغيط ، ومحصوله عن البيت . وإذا جرؤ على أن يحتج ، أمر المفتش (مأمور البوليس) أن يعتقله أياما ليسلمه إلى جنوده فيصبحوه بالعصا ، ويمسوه بالكرباج !

في قرية من قرى هذا المركز البائس نشأت ؛ وفي غمرة هذا البؤس الذي لا حد له ولا حيلة فيه رأيت الباشا كيف يطغى وينسى الله ، والمفتش كيف يبغي وينسى العدل ، والفلاح كيف يذل وينسى الحرية ، والأجير كيف يهون وينسى الحياة !

وفي (وحي الرسالة) في مجلداته الثلاثة وصفت مآسي هذه الأمة من الناس ، وهذه القرية من القرى ، وصفا كان مداده الدمع ، وكانت كلماته الأنين ! فإذا عرفت أمرهم على الوجه الذي عرفته ، وأدركت حالهم من الوصف الذي وصفته ، تبينت في جلاء ويسر نصيبهم من نهضة الجيش . لقد كانوا أذلاء فعزوا ؛ وكانوا أرقاء فسادوا ؛ وكانوا أجراء فملكوا . ثم كانوا أداة إنتاج لغيرهم فأصبحوا عامل استغلال لأنفسهم ؛ وكانوا رعايا الباشا كالدواب فأصبحوا رعايا الدولة كالناس ! وجملة أمرهم أن الله انتقم لحرمانهم من الحارم ، وداول الأيام بينهم وبين الظالم ، فكانت البؤسى لمن بغى ، وكانت النعمى لمن صبر !

احمد حسن الزيات

الإسلام فى موكب الإصلاح

توحيـــــد الزى

للأستاذ محمد عبد الله السمان

حين وثب الجيش المصرى الباسل وثبته المباركة ، رجونا الله عز وجل أن يهب للشعب فقها فى عقليته ، حتى يهضم معانيها ويساير خطواتها ، فتؤتى أكلها ، وتقدم للوطن من ثمراتهـا الطيبات ما ينهض به ، ويعلى كلمته ، ويرفع قدره

ولقد أتاحت وثبة الجيش المباركة فرصة طيبة للاصلاح حتى يقوم على أسس ثابتة ؛ ومهدت للنهضة حتى ترتكز على أصول مستقرة ، وكان يحدوها الأمل فى أن تجد الفقهاء من المصلحين حتى يضعوا أسس الإصلاح ، والفقهاء من المشرعين حتى يضعوا أصول النهضة ؛ ولـكن يظهر أن الفقهاء من المصلحين يضنون بفقههم على مصر ، والفقهاء من المشرعين يدخرون فقههم لبـلد غير مصر ؛ أو أن الفقهاء من المصلحين والمشرعين لم يزل اليأس الذى أورثهم إياه العهد البائد يجثم على صدورهم ، فآثروا الدعة على النشاط ، والازوراء على النهوض ، وتركوا الميدان خاليا إلا من شراذم تصنع الثرثرة فى توافه المسائل ، والجلبة فى سفساف الأمور ، والرغاء فى كل ما من شأنه أن يثير الجدل والمراء !

ولعل فى مهزلة « توحيد الزى » التى تمثل اليوم على المسرح دليلا على ما قدمت . فأى معنى لأن يرتفع سعرها وتروج سوقها فى وقت لا حاجة لنا بها ، ونحن فى مستهل عهـد جديد مشرق نريده جدا لا هزلا ، وحقا لا عبثا ، ونرجوه مقوضا أركان العهد البائد وماحيا آثاره ، ومحققا لآمال الشعب وأمانى الوطن ! أى معنى لأن يرتفع سعر المهزلة وتروج سوقها اليوم ، وهى لا تعود على البلد بذرة واحدة من الخير ؟ إنها لا تدفع جوعا عن بطون أعياها الجوع ، ولا تستر أجسادا أضناها العرى ، ولا تهـدئ نفوسا أثقلها الفقر ، وأنهكها الشتاء ، وأفزعها الحرمان !

البلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الإنعاش الاقتصادى حتى تهدأ النفوس ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى كثير من نواحى الإصلاح حتى تستقر الأوضاع ، والبلد ما زال فى مسيس الحاجة إلى الخطوات العمرانية حتى تستقيم الأمور. وشعب هذا البلد فى شدة الحاجة إلى بعثه من جديد ، وخلقه خلقا آخر حتى يكون جديرا ببلد يبغى الإصلاح فى شتى صوره ، ويبغى النهضة فى أكمل منازلها ، ويبغى الرفعة فى أسمى درجاتها ، وليس البلد فى حاجة إلى توحيد الزى ، ومعظم الشعب يجهد فى سبيـل الحصول على رقعة تغطى سوءته ، وتستر عورته ، وتدفع عنه رزايا الشتاء !

كان الأجدر بهذه الشرذمة الداعية إلى توحيد الزى أن تتجه اتجاها يمس الإصلاح الحقيقى فى صميمه . وما أكثر نواحى الإصلاح التى يحتاجها البلد اليوم ويحن إليها ويهيم بهـا ، حتى لا تضيع جهودها سدى ، وتضيع أوقاتها فى غير جدوى ، وتتبخر همما فى سماء النقاش الممل ، والجدل المتعب . كان الأجدر بهـا أن تتجه نحو إصلاح القرية حتى تليق بسكنى الآدميين ، أونحو إصلاح الفلاح حتى يليق بالآدمية التى أكرمها الله تبارك وتعالى ، أو نحو إصلاح العامل حتى يثمر الثمرة المرجوة فى العهد الجديد ، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو إصلاح المجتمع فتهب له أوقاتها ، وتجود عليه بجهودها حتى ينهض فتنهض مصر بجانبه ، وحتى يسعد فيسعد الشعب فى ظلاله

لتذهب هذه الشرذمة إلى الريف لترى بأعينها من المآسى ما تشيب من أجلها النواصى ، ولتذهب إلى بلاد الصعيد لتقف بنفسها على الآلام التى تحطم الأعصاب وتهز القلوب ، لتذهب إلى القرى لترى كيف يعيش الفلاحون هناك فى حظائر تزاحمهم عليها مواشيهم ، وكيف يأكلون طعاما تزاحمهم عليه كلابهم ، وكيف يحيون بعد هذا حياة لا وزن لهـا إلا فى دنيا التعاسة والشقاء .. لتذهب هذه الشرذمة إلى أية جهة من هذه الجهات ، لتوقن بأن جهادها فى بدعتها هذه عبث ، وبأن أوقاتها فى سبيلها لهو ، وبأن حملتها لتحقيق هدفها ضرب من ضروب التسلية التى لا تليق بهذا الفجر الجديد

إن هذه المهزلة خلقت جوا من الجدل كنا فى غنى عنه ، فقد ولدت (القبعة) وجعلت منهـا مشكلة معضلة ، أثارت

مواكب التزمت والجمود الراكدة التي تعودت أن تتحرك فى التوافه والسفاسف ، لتثبت وجودها وتؤكد بقاءها فى مسرح الحياة . ولو أنها ثارت باسم عقليتها وأفكارها لما لقينا لهـا بالا ولما حسبنا لثرثرتها وضوضائها حسابا ؛ لأن ثورتها مصيرها إلى التلاشى ، وثرثرتها وضوضاءها مصيرها إلى التبخر ، ولـكنها تحرص على أن تثور باسم الإسلام ، وكأن الإسلام آمن من كل جانب فهى تخشى عليه القبعة ، وعزيز فى كل ناحية فهى تخاف عليه انتشارها ، ولو فقهت مواكب الجمود هذه لناقشت المهزلة قبل أن تعرض بالإسلام وتزج به ، وتصوره للشرذمة الداعية إلى توحيد الزى كمنهج إصلاحى ، بصورة مشوهة تجعل منه عقبة فى سبيل كل إصلاح . فإذا كان توحيد الزى وسيلة من وسائل الإصلاح فالإسلام يؤيده ويؤازره ويباركه ويدعو له، لأن الإسلام لم يحتم على الناس زيا خاصا ، ولا يتحكم فى أزيائهم ؛ بل يتركها لتطورات الزمن واختلاف البيئات ، فقد كان الرسول صلوات الله عليه يلبس القميص والجبة والقباء والحلة والبردة وما إلى ذلك . وكان يلبس العمامة وتحتها القلنسوة ، والقلنسوة بغير عمامة ، والعمامة بغير قلنسوة ، ولبس العمامة الخضراء والبيضاء والسوداء ، ولبس الصوف والقطن والـكتان ، وكان هديه فى هـذا أن يلبس الإنسان ما تيسر له . .

تثور مواكب الجمود على القبعة لأنها من أزياء الـكفار . . ومن تشبه بقوم فهو منهم .. ولا بد أنها لا تفقه أن رسول الله (ص) ارتدى « مستقة » —وهى نوع من الثياب— أهداها له ملك الروم ، وأنه (ص) ارتدى «القباطى» وهى نوع من الثياب أيضا كان يصنعه أقباط مصر . فانظر كيف تؤول حديثه الشريف تأويلا فاسدا ، وتفسره تفسيرا يتفق مع جمودها وجهلها وتزمتها

والإسلام لا يعيب على المسلمين أن يتبعوا سنن من سبقهم إلى الإصلاح ، ولـكنه يعيب عليهم أن يقفوا إزاء الإصلاح موثوق الأكتاف ، أو يقفوا فى طريقه عقبة كأداء . والإسلام مرة أخرى لا يتحكم فى الأزياء ولا يزج بنفسه فيها ، لأن الأزياء مرتبطة بتطورات الزمن وأمزجة الشعوب ، وهو أيسر من أن يعوق تطور الزمن ، وأسمى من أن يحجر على أمزجة الشعوب

وبعد .. فنحن مضطرون إلى أن نهمس فى آذان دعاة مهزلة توحيد الزى حتى يعلموا إلى أى واد هم مسوقون . وليدركوا أن العهد الذى كان يشجع إشغال الرأى العام بسفساف الأمور قد انقرض إلى غير رجعة ، وأن الوعى الجديد لن يسمح بعد اليوم بأن يستغل استغلالا سيئا يشينه ويشين البلد معه ، وخير لها أن تعلو بهمتها إلى ما يفيد الوطن والمجتمع ، من أن تبعثر جهودها لتتلاشى فى مهب الريح ؛ ومضطرون أيضا إلى أن نهمس فى آذان مواكب الجمود حتى تفيق من جمودها ، وتعلم أن الإسلام ليس سلعة رخيصة تلقى بها فى كل سوق ، وليس مطية هينة تحترف فوقها الدجل والشعوذة ، وتصطنع الجدل والثرثرة ؛ لأن الإسلام أكرم على الله وعلى المسلمين من أن يكون شيئا من هذا أو ذاك

وخير للاسلام أن يرسم خطط الإصلاح ، ويضع أسس النهضة ، ويشرع نظم الاستقرار ، من أن يزج به فى توافه الأمور وصغائرها !

محمد عبد الله السمان

٢ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

سياسة توازن القوى

تشهد السياسة الدولية اليوم بعثاجديدا لمبدإ «توازن القوى» وهو مبدأ دبلوماسي قديم اتبعته الدول الكبرى في القرن الثامن عشر وحققت به فترة هدوء نسبي في العلاقات الدولية تختلف عن الفترة التي مر بها القرن العشرون بحروبه وثوراته ومشاكله العويصة التي تفوق حروب القرون السالفة ومشاكلها في العدد والخطورة

ومبدأ «توازن القوى» كان ولا يزال علما على أسوإ ما في الدبلوماسية الدولية من قساوة وانتهازية . ففي ظل هـذا المبدإ استطاعت الدول الكبرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن تتقاسم النفوذ وأن توطد لنفسها فترة هدوء نسبي ساعدها على إخضاع الشعوب المستضعفة في آسيا وإفريقيا وأميركا الجنوبية واستغلالها استغلالا سياسيا واقتصاديا الاستعمار علم عليه

ويبدو أن موجات التحرر والانطلاق التي جاءت نتيجة لازدياد الوعي السياسي والفكري الذي اجتاح العالم في أوائل القرن العشرين – هذه الموجات استطاعت أن تزعزع أركان مبدإ «توازن القوى» وأن تفصم عرى هذا التواطؤ الذي هيمن على سياسة الدول الكبرى التي كانت تتكتل في مجموعات سياسية وعسكرية لتتقسم النفوذ في الميدان الدولي وتظل كل كتلة رقيبة على مطامع الأخرى لئلا يضيع على أي منها جزء من هذا النفوذ سواء في الدبلوماسية الدوليـة أم في مجال الاستعمار والتوسع الاقتصادي

ولما وقعت الواقعة وانفكت عرى هذا التكتل وخرجت روسيا القيصرية والإمبراطورية الإسبانية من ميدان التنافس واختـل ميزان القوى الدوليـة بـين الدول الكبرى وطمحت ألمانيـا القيصرية أولا والهتلرية بعد ذلك لأن تنافس الكتلة الإنجلو فرنسية في مجال السيادة الدبلوماسية على العالم الحر وعلى العالم المستعبد ؛ أخذت العلاقات الدولية تمر في طور السياسة الانفرادية التي تحاول فيها كل دولة أن تحقق لنفسها أكبر قسط من النفوذ على حساب أي دولة أخرى ولو كانت هذه الدولة تشاركها الأهداف وتشاطرها مبدأ الاستعمار وتجاريها في السلوك التجاري والأيديولوجية السياسية

وفي المرتين اللتين حاولت فيهما الكتلة – الإنجلو فرنسية أن تقضي على النفوذ الألماني كانت عوامل الشقاق بين الإنكليز والفرنسيين تلعب دورا هاما في توجيه السياسة العالمية . وقد برز هذا الشرق في أعقاب الحرب العالمية على أشده في قضية سوريا ولبنـان وفي مستقبل المستعمرات الإيطاليـة السابقة التي كانت سياسة بريطانيا إزاءها تختلف إلى حد بعيد عن سياسة الفرنسيين

ولما أن دخل الاتحاد السوفييتي دخول العملاق إلى المجتمع الدولي في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة أخذت العلاقات الدولية تمر في طور جديد كان مشجعا على إحياء مبـدإ سياسة توازن القوى وبعثها من جديد . فالأيديولوجية السوفييتية وإن كانت لا تنص على مبدإ توازن القوى إلا أنها تحتوي على مبادئ أبعد من هذا المبدإ – مبادئ تؤكد بأن لا مجال للوطن الشيوعي الأم (وهو الاتحاد السوفييتي) إذا أراد أن يعيش سالما معززا إلا إذا تم تحويل العالم بأسره إلى النظام الشيوعي

ومهما حاولنـا أن نعلل الأسباب الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية التي دعت إلى ازدياد التوتر بين روسيـا السوفييتيه وحلفاء الغرب في عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة فلا سبيل إلى الإنكار بأن مبـدأ التوسع الشيوعي يستند إلى هـذه النقطة الجوهرية في تعاليم ماركس وشرح لينين وستالين عليها – هذه النقطة هي ضمان السلامة والاستقرار للاتحاد السوفييتي بتوطيد الشيوعية في العالم بأسره على أن يتم ذلك بالتدريج . وفعلا لم يجد الاتحاد السوفييتي صعوبة في السعي لتحويل المناطق الجغرافية المجاورة له إلى حصون شيوعية كما تشهد بذلك مجموعة الدول الشيوعية في شرق أوربا وفي البلقان وفي الشرق الأقصى (في الصين وكوريا الشمالية ومنغوليا والتبت) . وبذلك استطاع الاتحاد السوفييتي إيجاد

كتلة سياسية شديدة البأس والحول لا يواجهها فى المجتمع الدولى كتلة مماثلة فى القوة والنفوذ

وكانت هذه الوضعية فى حد ذاتها بعثا لمبدإ « توازن القوى » الذى أغرم به ساسة القرنين الثامن والتاسع عشر — وسواء جاء ميلاد هذه الكتلة الشيوعية الجديدة عفوا أم كان أمرا مدبرا فالذى يعنينا منه أنه استدعى ميلاد كتلة دولية قوية الدعائم شديدة الحول لها فى ميزان القوى العالمية اعتبار هام

وهنا يجب أن نستذكر بأن العائلة الدولية فى المراحل النهائية فى الحرب العالمية الأخيرة وجدت نفسها موجوعة الضمير مثخنة الجراح مثقلة بالأعباء الإنسانية والاقتصادية والسياسية والمشاكل العاطفية والفكرية التى تعترى المجتمع الإنسانى فى أعقاب الحروب الكبرى . ولذلك ساد تفكير صناع السياسة والحرب فى الدول الكبرى والصغرى على السواء اتجاه جديد يحاول أن يوطد دعائم السلم فى عالم ما بعد الحرب الثانية على أساس التكتل الجماعى — تكتلا حاولت عصبة الأمم المتحدة أن تحققه فى عالم مابعد الحرب الأولى إلا أنها فشلت، وذلك لأن أفكار الدول وقلوبها لم تكن مهيأة بعد لهذه التجربة فى العمل المشترك والثقة المتبادلة فى تنسيق العلاقات الدولية على أساس الضمان المشترك وتسيير دفة الشؤون العالمية على بوصلة القانون الدولى كما عبر عنه دستور عصبة الأمم المنحلة ولوائح أعمالها الداخلية

وقال الناس إن ويلات الحرب العالمية الأخيرة ومشاكلها كانت أعظم وأعقد من الذيول التى جاءت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وإن هذه الويلات والمشاكل تقتضى إعادة التجربة التى فشلت فى عصبة الأمم المنحلة . ومن ثم ولدت فكرة هيئة الأمم المتحدة ووضع ميثاقها ولوائحها الداخلية على أساس جديد حاول أن يتفادى العقبات التى كانت تعترض دستور عصبة الأمم المنحلة وإجراءاتها الداخلية

ولقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن القصور الذى صاحب أعمال الأمم المتحدة فى المجال السياسى وعن المساوئ التى نتجت عن نشاطها مساوئ أصاب العرب منها طرف خطير فى مأساة فلسطين، ولكن هذه المساوئ لم تقض قضاء مبرما على مكانة الأمم المتحدة فى العلاقات الدولية ، ولا تزال لهذه الهيئة أهمية قصوى فى تسيير الشؤون الدولية خيرا أم شرا . والمهم أن لا نحكم على هيئة الأمم المتحدة بصلاح البقاء أم بعدمه .. إنما المهم أن ندرك نواحى الضعف فى الدوافع التى تستند هذه الهيئة إليها

ويطيب لى فى هذه المرحلة من البحث أن أستنجد بطبيب اجتماعى كبير جمع بين الثقافتين الشيوعية والغربية واستطاع أن يعالج السياسة الدولية من زاوية فريدة فى هدوء العالم وثقته وترفعه عن الدجل والتهريج . هذا العالم هو البرفسور برميتيف سوركون [1] أحد أقطاب الحركة السوفييتية سابقا ورئيس دائرة العلوم الاجتماعية الآن فى جامعة هارفارد كبرى جامعات الولايات المتحدة الأمريكية

قال البرفسور سوروكن — يجب أن لا ننظر إلى الأمم المتحدة كمحكمة عليا للقانون الدولى ، وهى نظرة يخطئ كثير من الناس فى اللجوء إليها عند معالجة أعمال الأمم المتحدة وما ينتج عنها من ذيول . فلا ميثاق الأمم المتحدة ولا الدول الأعضاء تعتبر هيئة الأمم محكمة استئناف للعلاقات الدولية وذلك إلى حد ما من اختصاص محكمة العدل العليا فى لاهاى

إنما هيئة الأمم حلقة للدبلوماسية المفتوحة وهى نمط جديد للمفاوضات الدولية التى كانت فى الماضى تجرى بعيدة عن رقابة الصحفيين وعدسات المصورين وأشرطة السينما وعيون الزوار فى قاعات الاجتماع . ومع أن هيئة الأمم لا تقيد الدول الأعضاء بقراراتها وتوصياتها إلا أن فى القصور عن تنفيذ هذه التوصيات والقرارات مسئولية أدبية تؤثر خيرا أو شرا فى انطباقات الرأى العام العالمى عن سلوك الدول الأعضاء وأهمية ذلك فى تقرير سمعتها

---

(١) يعتبر برميتيف سوروكن من أقطاب الفكر الاجتماعى المعاصر . وهو روسى المولد عالمى الثقافة . اشتغل بالتدريس فى جامعات روسيا القيصرية ثم التحق بالحزب الشيوعى وتوصل الى مكانة سياسية بارزة فى العهد السوفييتى فكان أبرز أعوان كارينسكى رئيس وزراء روسيا السوفييتية قبل رئاسة ستالين وعضوا فى البرلمان السوفييتى ثم انشق على الشيوعيين الروس لاختلافه فى تفسير الماركسية مع ستالين وحكم عليه بالإعدام ولم ينقذه سوى تلاميذه العديدين ومن بينهم عدد من كبار القوم فى العهد الشيوعى وأبعد عن روسيا القيصرية وجاء الى الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٢٣ واشتغل بالتدريس وبرز اسمه كأحد دعائم علم الاجتماع المعاصر . هو يتولى الآن رئاسة دائرة العلوم الاجتماعية فى جامعة هارفارد الأمريكية الشهيرة . وله حوالى ٥٠ مؤلف كتبها فى مختلف اللغات التى يجيدها إجادة تامة

الدولية على أساس هذا السلوك وما يستتبع ذلك من علو أو انخفاض فى المكانة المالية للدول وأثر ذلك على نفوذها فى السياسة الدولية وثقة الناس بها فى المعدات الدولية والاتفاقيات التجارية وما إلى ذلك من أوجه النشاط الدولى . ففنلندة مثلا بلد ضعيف الحول لا قيمة له من حيث الأهمية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية . إلا أنه بلد عرف بتقيده بالالتزامات الدولية (سواء داخل المؤسسات العالمية أم خارجها) وترتب عن ذلك أن حظيت فنلندة بسمعة رفيعة فى المجتمع الدولى أكسبها مكانة فريدة فى الجو السياسى من حيث أنها استطاعت أن تحفظ رأسها عاليا فوق الماء رغم أن التيارات القوية تهب عليه من كل طرف - من جارها الاتحاد السوفييتى ومن مغريات مشروع مارشال ودول حلف الأطلنطى ووضعية السياسة الأوروبية والدولية إجمالا . وقد نتج كذلك عن السمعة التى تحظى بها فنلنده أن استطاعت ضمان التبادل التجارى القديم مع الشرق والغرب فى فترة تتوتر فيها العلاقات التجارية توترا شديدا

ولكن هيئة الأمم المتحدة قصرت حتى فى أن تحتفظ بهذه الناحية من أهميتها الدولية — هذه الناحية هى اعتبار جزء كبير من الرأى العام العالمى أن الأمم المتحدة هى « المحكمة العليا للضمير الإنسانى »

فهيئة الأمم مؤلفة من مندوبين يمثلون دولا . وهذا التمثيل يفرض على المندوب أن لا يقيس قضية من القضايا بضميره الخاص أو باجتهاده الشخصى ، وإنما عليه أن يتقيد باعتبارات قومية محضة تفرضها عليه المقومات السياسية والاقتصادية والعاطفية وأسس السلوك السياسى الذى تتميز به الدول على بعضها . وهذه الاعتبارات إما أن تكون إطاراً فكريا يستمد منه المندوب الوحى على معالجة قضية من القضايا فى حظيرة الأمم المتحدة بالنفى أم بالإيجاب أم بالامتناع عن التصويت ، وإما أن تكون فى شكل تعليمات ترسلها إليه حكومته فى ساعات الفصل وتقيده بشكل قد يوافق ضميره واجتهاده وقد لا يوافق . ويجب أن لا تفسر هذه الإشارة على أنها حط من خلق المندوبين أو انتقاد لأشخاصهم . فالواقع أن من الصعب إن لم يكن من المستحيل على المندوب أن يفرض شخصيته الفردية على الطابع السياسى الذى يلائمه ويهيمن عليه بوصفه ممثلا لحكومة سلوكها السياسى مقيد بعوامل عديدة ومعقدة، وعقدها ناجمة عن شذوذ السياسة وتطور الأوضاع وتسيار الحوادث

ولما كان جوهر السلوك فى حظيرة الأمم المتحدة على ما هو عليه من التعقد والتناقض فقد كان من الطبيعى أن يتطاحن فى هذا السلوك اتجاهان :

أحدهما يتوخى التقيد بميثاق الأمم المتحدة والمبادئ والأهداف القويمة التى يخدمها ويجعل بذلك هيئة الأمم « محكمة عليا للضمير الإنسانى » . والآخر سعى الدول الأعضاء لتوجيه الأمم المتحدة توجيها يتمشى مع المصلحة الفردية لكل دولة — أو لمجموعة من الدول تتوافق وتتناسق فيها هذه المصالح . وقد ساد الاتجاه الأول فى مستهل عهد الأمم المتحدة فساد « الضمير الإنسانى » فى قضية سوريا ولبنان وفى سعى الاتحاد السوفييتى لقلب الحكم فى إيران بتحويل القطاع الشمالى فى أذربيجان الإيرانية إلى دولة منفصلة عن الدولة الإيرانية المركزية

وما لبث الاتجاه الثانى أن أثبت وجوده قويا فعالا فطوح « بالضمير الإنسانى » وتكتلت الدول ذوات المصالح المشتركة وباع بعض المندوبين والدول الذين يمثلونها ضمائرهم فاتخذوا من القرارات ما يخالف أبسط مبادئ العدالة و « الضمير الإنسانى » كما تشهد بذلك مأساة فلسطين

ولا يزال هذا الاتجاه الثانى سائدا إلى الآن — بعد أن مر فى مرحلة هامة جعلت القول الفصل للكتل الدولية لا للدول الأفراد — وهذا التكتل هو فى الواقع بعث لمبدإ « توازن القوى » الذى أشرنا إليه فى مستهل هذا البحث

فلا غرابة إذن أن يصرح المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى افتتاح الدورة الثانية لمجلس الحلف الأطلنطى . « أن الدول الغربية لم تكن راغبة فى الاندفاع فى التسلح (بعد الحرب العالمية الأخيرة) إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك لتحفظ ميزان القوى فى حاضر العالم[٢] »

(٢) من خطاب المستر إيدن فى دورة مجلس الحلف الأطلنطى الثانية المنعقدة فى روما بتاريخ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ عن محضر جلسات الدورة

توازن القوى فى هيئة الأمم

جوهر ميثاق الأمم المتحدة هو ضمان التعاون الدولى لصيانة السلم وهو بمعنى آخر اللجوء إلى مبدإ الدفاع المشترك ضد من وما يخل بأمن العالم وسلامته ، فهذا الجوهر إذن على طرف النقيض مع مبدإ « توازن القوى » وقد وجدنا كيف اندفعت الوفود فى هيئة الأمم فى اتجاه التكتل ومعالجة المشاكل والقضايا وصياغة التوصيات والقرارات على ضوء المصلحة المشتركة للدول المتكتلة

وكان من الطبيعى أن يزداد التوتر بين التكتل السياسية داخل هيئة الأمم عاكسا بذلك تيار الحوادث والمشاكل وازدياد التوتر بين المعسكرات السياسية المتطاحنة خارج حظيرة الأمم المتحدة

ولا تسألن من هو الملوم عن ميلاد هذا التوتر — هل هو سوء نية الرأسمالية الأمريكية إزاء الدعوة الشيوعية أم هو طبيعة تعاليم الماركسية وسعيها من وراء الستار — عن طريق الجماعات الشيوعية المنظمة فى كل بلد، فقد تفاعلت فى تيار العلاقات الدولية فى سنوات مابعد الحرب عوامل عديدة أدت إلى نمو سياسة التكتل داخل هيئة الأمم

ووجد كلا الطرفين فى مستهل عهد الأمم المتحدة أن لهذا التكتل أثمانا وشروطا لا تتوفر فى بعض الحالات الهامة . فهيئة الأمم ليست منظمة رأسمالية ولا هى مؤسسة شيوعية . ورغم أن القول الفصل فى أعمالها ونشاطها مقيد باتجاهات الدول الكبرى صاحبة القول الفصل وحق النقض (الفيتو) فى مجلس الأمن ؛ إلا أن للدول الصغرى أكثرية عددية كفيلة بأن تعاكس (الفيتو) وتشاكس الدول الكبرى فى نفوذها فى صياغة القرارات ووضع التوصيات وفى التصويت عليها

وحاضر السلوك السياسى اليوم فى هيئة الأمم المتحدة يشهد بأن الحالات التى استطاعت فيها الدول أن تظفر بأكثرية الأصوات على مشروع من المشروعات أو قرار من القرارات..هذه الحالات جاءت نتيجة لمساومة مستمرة مع وفود الدول الصغرى — إما فى أروقة هيئة الأمم أوعن طريق البعثات الدبلوماسية فى عواصم الدول وعروشها

ولما كان للكتلة الأنجلوسكسونية نفوذ تقليدى دبلوماسى واقتصادى ، فى كثير من عواصم العالم — نفوذ يفوق نفوذ الاتحاد السوفييتى — فقد كان من المتوقع أن ترجح كفته الكتلة الأنجلوسكسونية على الكتلة السوفييتية

وحشرت الوفود الشيوعية فى ركن ضيق من أركان هيئة الأمم فازداد صراخها واشتد وعيدها وأخذت تعد العدة لمواجهة الموقف بوسائل جديدة بعضها ينفذ داخل هيئة الأمم والبعض الآخر خارجها

ونشطت موسكو فأعادت فى عام ١٩٤٧ تأسيس قيادة الحركة الشيوعية العالمية (الكومنترن) بعد أن كان قد وضع على الرف مؤقتا فى سنوات الحرب العالمية الأخيرة ووضعت لهذه القيادة خططا جديدة وأطلق عليها كذلك اسم جديد هو (الكومنفورم) ووجهت موسكو نشاطها توجيها عمليا ، والعقلية الشيوعية عملية إلى أبعد حد ، فعززت روسيا سيطرتها على شرقى أوروبا ودبرت انقلابا سياسيا ناجحا فى تشيكوسلوفاكيا وأولت الميدان الصينى اعتبارا خاصا حتى تحقق للشيوعيين الصينيين السيطرة على هذه القارة الصينية الواسعة الأرجاء

وفى حين أن الكتلة السوفييتية فى هيئة الأمم كانت ولا تزال ضعيفة الحول بالمقارنة إلى الكتلة الأنجلوسكسونية أصبحت موسكو بعد انقلاب تشيكوسلوفاكيا وتوطيد النظام الشيوعى فى الصين زعيمة لكتلة تتساوى فى القوة والنفوذ العالمى مع الكتلة التى تتزعمها واشنطون

ومرة أخرى عاد ميزان القوى الدولية إلى نوع من التعادل وأخذت أكثر الدول الصغرى فى آسيا وإفريقيا تعاند شيئا فشيئا فى الانسياق مع الكتلة الأنجلوسكسونية ومجاراتها فى القرارات والتوصيات الخاصة ببعض القضايا الخطرة التى تشغل بها هيئة الأمم وأصبحت المساومة مع الدول الآسيوية فى هيئة الأمم أشد صعوبة مما كانت عليه فى السابق وساد تفكير هذه الدول اتجاه «الحياد»

(للكلام صلة)

نيويورك — عمر حليق

٢ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الجزور:

١ — إذا كان للميسر موضوع كما يقولون، فهو «الجزور». والجزور يقع على الذكر والأنثى من الإبل، ولكنهم أكثر ما ينحرون النوق [١]

٢ — وليست كل ناقة ولا كل بعير بصالح للميسر، وإنما كانوا يتخيرون أسمنها وأنفسها وأعزها عليهم، فكأنما ألهموا من وراء الغيب «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون». وفى ذلك قول لبيد:

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها

يقول: رب جزور تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائى لنحرها بتلك المغالق المتشابهة، وهى سهام الميسر يشبه بعضها بعضا. وأراد بها هنا سهام القرعة يقرع بها بين إبله أيها ينحر لندمائه. فهو يدعو بتلك السهام لنحر ناقة عاقر أو أخرى مطفل. وإنما ذكر «العاقر» لأنها أسمن وأحمل للشحم، و«المطفل» لنفاستها عليهم وعزتها [٢]

٣ — وكان إذا أرادوا أن ييسروا ابتاعوا ناقة بثمن مسمى يضمنونه لصاحبها، ولم يدفعوا ذلك الثمن حتى يضربوا بالقداح عليها فيعلموا على من يجب الثمن [٣]

وسيأتى فيما بعد أن الثمن يدفعه من خابت سهامهم متضامنين فى ذلك بحسب أنصبتهم لو فازوا

٤ — وكانوا قبل أن يضربوا بالقداح يجعلون بينهم عدلا يأخذ من كل امرئ منهم رهنا بما يلزمه من نصيب قدحه إن خاب، مقدرا كل الاحتمالات التى يتعرض لها الغارمون، ويسمون هذا العمل «التأريب»، وهو التشديد فى الخطر [٤]

وأحيانا يتغالى اليامرون فيجعلون مكان أعشار الناقة أعدادا من الإبل، كأن يجعلوا موضوع الميسر عشراً من النوق لا ناقة واحدة يقسمونها عشرة أجزاء. وكذلك إذا أرادوا أن يضربوا على أكثر من هذا العدد جعلوا مكان العشر من أعشار الجزور بعيرين، ومكان عشرين أربعة، ومكان ثلاثة الأعشار ستة، فإن زادوا على ذلك فعلى هذا السبيل [٥]

٦ — وهناك ميسر آخر غريب، ذكره طائفة من العلماء، وهو أن يكون موضوع الميسر إنسانا. وقد أنشدوا فى ذلك قول سحيم بن وثيل الرياحى:

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ألم تعلموا أنى ابن فارس زهدم

أى ألم تعلموا أنى ابن صاحب الفرس المسمى «زهدم»

قال صاحب اللسان [٦]: «كان قد وقع عليه سباء فضرب عليه بالسهام. وقوله: ييسروننى، هو من الميسر، أى يجزئوننى ويقتسموننى»

وهذا تفسير ساذج، ومن الصعب أن يتصوره عاقل إلا أن يريدوا اقتسام رقه وعبوديته فيما بينهم، كما يكون العبد ملكا لعدة أشخاص يملك كل منهم شقصا منه. ونجد ابن سيده [٧] يفسر البيت تفسيرا أشنع من تفسير صاحب اللسان إذ يقول: «وييسروننى من الميسر، أى يجتزروننى ويقتسموننى» وهو لا ريب تفسير خاطئ

وقد فسره ابن قتيبة [٨] تفسيرا عاقلا بقوله: «فمن روى: ييسروننى، أراد: يقتسموننى ويجعلوننى أجزاء، أحسبه أراد فداءه، لأنهم إذا أخذوا فداءه فقسموه فكأنهم اقتسموا نفسه. ومن رواه يأسروننى جعله من الأسر»

الجزار

ويسمونه «القدار»، على وزن همام. ولذلك القدار خبرة

(١) اللسان (جزر ٤: ٢٠)
(٢) بلوغ الأرب (٣: ٥٤ — ٥٥)
(٣) الميسر والقداح ١٠٢
(٤) الميسر والقداح ٤٦: ١ — ٤٧
(٥) الميسر والقداح ١٢٣، ١٢٧
(٦) اللسان (يسر)
(٧) المخصص (١٢: ٢٠)
(٨) فى الميسر والقداح ٣٤

خاصة بتقسيم الجزور ، فهو يقسمها عشرة أقسام :

فإحدى الوركين جزء ، والورك الأخرى جزء [٩] ، والعجز جزء ، والكاهل جزء ، والزور — وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين جزء ، والملحاء — وهو وسط الظهر بين الكاهل والعجز — جزء ، والكتفان جزء ، والذراعان جزء ، وإحدى الفخذين جزء ، والأخرى جزء

ويبقى بعد ذلك « الطفاطف » ، وهى أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع ، و « فقر الرقبة » ، فتقسم وتفرق على تلك الأجزاء بالسواء ، فإن بقى عظم أو نصفه بعد القسم فذلك الريم ، وكانوا يجعلون ذلك الريم للجازر ، فإن بخلوا به ولم يجعلوه له كان ذلك مسبة لمن لم يجعله

وأما نصيب بائع الناقة فهو الأطراف والرأس غالبا

وذهب الأصمعى فى ذلك مذهبا غريبا ، أنهم كانوا يجزئون الجزور على ثمانية وعشرين جزءا ، ذهب فى ذلك إلى حظوظ القداح ، وهى ثمانية وعشرون ، للفذ حظ ، وللتوأم حظان ، وللرقيب ثلاثة ، وللحلس أربعة ، وللنافس خمسة ، وللمسبل ستة ، وللمعلى سبعة ، فجميع هذه ثمانية وعشرون

قال ابن قتيبة [١٠] : « ولو كان الأمر على ما قال الأصمعى لم يكن هنا قامر ولا مقمور ، ولا فوز ولا خيبة ، لأنه إذا خرج لكل امرئ قدح من هذه فأخذ حظ القدح أخذوا جميعا تلك الأجزاء على ما اختار كل واحد منهم لنفسه ، فما معنى إجالة القداح ؟ وأين الفوز والغرم ؟ ومن القامر والمقمور ؟ »

عدد الأيسار

والأيسار : المتقامرون ، واحدهم « يسر » بالتحريك

وكان الحد الأقصى للأيسار أن يكون سبعة ، على عدد قداح الميسر ، لا يتجاوز عددهم ذلك ، وليس لهم حد أدنى يقفون عنده . فإذا كان عددهم سبعة قالوا : قد توحدت القداح ، أى أخذ كل رجل قدحا ، وإنما يكون ذلك فى المجاعات الشديدة وغلاء اللحم ، فيحتاج الأمر فى التكافل إلى هذا العدد الكبير

وإذا نقص عدد الأيسار عن السبعة فلا بد أن ينبرى واحد منهم أو أكثر ويأخذ أكثر من قدح واحد ويتأهب للمقامرة ، ويسمون ذلك الآخذ « متمم الأيسار » . وهم يعدون ذلك التتميم مفخرة وفضيلة . قال النابغة :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما [١١]

قداح الميسر

١ — يقال للواحد من قداح الميسر قدح ، بالكسر ، وسهم وزلم ، وقلم . وأكثرها استعمالا فى ذلك هو « القدح »

٢ — والقداح : عيدان تتخذ من النبع ، وهو شجر تصنع منه القسى والسهام ، ينبت فى قلة الجبل ، معروف بالمتانة واللين

٣ — تنحت هذه العيدان وتملس وتجعل سواء فى الطول ، وإنما تختلف فى العلامات والوسوم

٤ — وهى صغيرة القدر ، قال ابن قتيبة : « وتسميتهم لها بالحظاء دليل على أنها كصغار النبل »

٥ — ولهذه القداح رأس صغير ، قال ابن قتيبة : « ووجدت الشعر يدل على أن له رأسا أحسبه ناقصا عن مقدار جسمه ، حديد الطرف » ، واستشهد لذلك بقول الراعى :

بدا عائدا صعلا ينوء بصدره إلى الفوز من كف المفيض الموب

والصعل : الصغير الرأس ، ولذلك قيل للظليم ، وهو الذكر من النعام : « وصعل » ، لدقة رأسه

٦ — ولونه أصفر ، لأنه من نبع وماشا كله ، ولأنه أيضا قد يقدم فيصفر كما تصفر القوس العتيقة

٧ — ويصفونه بالاعوجاج والأود ، دلالة على كرم عوده ولينه

٨ — وكثيرا ما يكون ذا سفاسق ، أى طرائق وخطوطا مستقيمة أو منحنية تكون فى لون العود ، كما تكون فى الخلنج وأعواد السروج وأشباه ذلك

٩ — وهو مدور أملس كالسهم

١٠ — ويصفونه بالحنين والرنين إذا ضرب به ، وذلك لرزانته وسلامة عوده من القوادح والسوس ، فإذا ضرب به حن

---

(٩) الوركان ما فوق الفخذين كالكتفين فوق العضدين

(١٠) الميسر والقداح ١٢٠ . وانظر أيضا تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

(١١) هذا صواب انشاد البيت بفتح همزة « أنى » ، ومن رواه بكسرها فقد أخطأ الصواب . وذلك لأن قبله كما فى ديوان النابغة ٧٠ :

ينبئك ذو عرضهم عنى وعالمهم وليس جاهل شئ مثل من علما

ورن كما يطن الصفر والحديد

هـذا ما أمكن الإمام ابن قتيبة أن يستخرجه من الشعر العربى لينقل إلينا ذلك الوصف الدقيق لقداح الميسر

عدد القداح وأسماؤها

هذه القداح التى مضى وصفها فى الفصل السابق ليست كلها على نمط واحد ، بل هى نوعان :

النوع الأول : القداح ذوات الحظ ، وعددها سبعة ، وهذا العدد يقابل الحد الأقصى لعدد المتقامرين

النوع الثانى : القداح التى لا حظ لها ، وعددها ثلاثة

قداح الحظ

١ — الفذ ، وله حظ واحد

٢ — التوأم ، وله حظان اثنان

٣ — الرقيب ، وله ثلاثة حظوظ

٤ — الحلس ، وله أربعة حظوظ

٥ — النافس ، وله خمسة حظوظ

٦ — المسبل ، ويسمى أيضاً المصفح ، وله ستة حظوظ

٧ — المعلى ، وله سبعة حظوظ

وهذه السهام السبعة متشابهة الأجسام ، لا يمتاز بعضها عن بعض إلا بعدد الفروض ، أى الحزوز التى تحز فيها لتبين قدرها . فللفذ حز واحد ، وللتوأم حزان اثنان ، وللرقيب ثلاثة .. وهكذا

وربما كانت هذه العلامات بالنار ، يسمونها بالوسم والوسمين والوسوم ، بدلا من تلك الحزوز [١٢]

وقد نظم أبو الحسن على بن محمد الهمدانى أسماء سهام الحظ فى قوله [١٣] :

يلى الفذ منهـا توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهـذه الـ ـسهام التى دارت عليها المجالس

وأنشد الراغب الأصفهانى [١٤] أبياتا نسبها لعروة بن الورد ، يذكر فيها أسماء القداح الفائزة ، وأراها من مصنوع الشعر ومولده ، وهى :

أنت بالمعلى عند أول سـورة وبالمسبل التالى وبالحلس والتوم [١٥]
وجاءت بفذ والضريب يليهمـا وبالنافس المعلوب فى الرأس والقدم [١٦]
فراح بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرم المرء الكريم إذا اجترم
وأنت منيح باليدين متى تعد تعد صاغراً لا مال نال ولا غرم

وهذه الأبيات المهلهلة لم ترد فى ديوان عروة ، وليست من شعره بسبب ، وهى أشبه ما يكون بشعر ابن مالك فى ألفية النحو ، أو بشعر أبى الحسن على بن محمد الهمدانى الذى سبق الإنشاد له ، كما أن ما فيها من الخطأ الفنى ينطق ببطلان نسبتها إليه ، فإن هذه القداح لا تمكن أن تخرج جميعا فى ميسر واحد ، كما سيأتى القول عن الكلام على (مجلس الميسر)

وكان العرب فى بعض الأحايين يستعيرون قدحا ميمونا ، أى قدح كان من السبعة ذوات الحظوظ ، قد جرب من قبل فوجد سريع الخروج فى الميسر ، يستعيرونه من غيرهم ويجعلونه فى قداحهم بدلا من آخر مثله ، تيمنا به وبما يجلبه من الظفر ، ويسمون ذلك القدح « المنيح [١٧] » ، وهو غير المنيح الذى سيأتى ذكره فى القداح التى لا حظ لها

وكانوا يأخذون من هذه القداح على قدر احتمالهم ، فأقلهم حالا هو آخذ « الفذ » ، لأنه إن ربح غنم حظا واحدا وإن خاب غرم حظا ، ويليه فى القدرة آخذ « التوأم » ، إن فاز فاز بحظين ، وإن خاب غرم حظين ، وأقدرهم وأعلاهم شرفا هو صاحب « المعلى » لأنه إن خاب غرم سبعة حظوظ فاحتملها

القداح التى لا حظ لها

وهناك قداح لا حظ لها ، وهى بحجم قداح الحظ ، ولكنها مجردة من السمات والعلامات ، تجعل مع قداح الحظ ليكثر بها العدد ، ولتؤمن بها حيلة الضارب فتختلط عليه فلا يجد إلى الميل

(١٢) الميسر والقداح ٧٥
(١٣) بلوغ الأرب (٣ : ٥٨)
(١٤) محاضرات الراغب (١ : ٢٤٤)
(١٥) أراد « التوأم » . وهو القدح الثانى من قداح الميسر
(١٦) المعلوب : الذى به العلب . وهو الحز وأثر الضرب . والجمع علوب
(١٧) الميسر والقداح

العزوف عن القراءة

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

سألنى « متألم » على صفحات الرسالة ، فقال إنه مدرس أديب يتذوق القراءة ، ويهوى الاطلاع ، ولكنه أصيب منذ عام بداء يقطع عليه سبيل هذه اللذة العقلية ، وهو « النوم » حين يشرع فى مطالعة كتاب أو صحيفة

وقد فرحت بهذا السؤال ، لأنى وجدت شخصا يحب القراءة ويجد فى الاطلاع لذة ، وقد طال العهد — فى الزمن السابق — بمن كانوا يلتمسون اللذة فى المتع الرخيصة المبتذلة . ومقياس رقى الأمم أخذ أهلها بالأدب الرفيع ، والإقبال على ارتشاف العلم ، ودوام النظر فى صفحات الكتب ، والاستماع إلى حلقات الدرس والمحاضرة ، مما لم يكن معهودا فى العهد السابق ، أو مألوفا فى سياسة الملك السابق ، بل كان العهد عهد إسفاف ، تنتشر فيه الخلاعة والتهتك ، ويقبل الناس مع ملكهم على الإثم والفجور

وآية ذلك هذه الصحافة الصفراء التى كان همها أن تطلع على القراء بالسيرة المفضوحة ، وأخبار « الطبقة الراقية » فى حلبات الرقص وميادين السباق وموائد الميسر وعلى شواطئ البحار ، مع عرض صورهن فى ثياب تكشف عن الفتنة وتبتعد عن الحشمة . وأصبحت عناية الصحف والمجلات نشر الصور للممثلات وهن شبه عاريات ، وتسابقت جميعا فى هذا المضمار تنشد اجتذاب الشباب بالفتنة ، واستهواء الشيوخ بالخلاعة ، وتوجيه العواطف وجهة دنيئة ، والتلاعب بالغرائز الجنسية تبعثها وتثيرها من مكامنها . فأصبح القارئ العفيف كأنه راهب انقطع فى الصحراء ، أو سابح ضد تيار الماء

وكان التيار جارفا يحمل المجتمع نحو الأغلال والفساد ، ويبتعد به عن الجد والوقار . فإذا أخذ أحدنا بسبيل الجد والمثالية شعر كأنه غريب عن المجتمع الذى يعيش فيه . ولعل عزوف « المتألم » عن القراءة راجع إلى شعوره بالانفصال عن الجماعة حين يقبل على القراءة والاطلاع

قد يقول قائل : ولكن صاحب السؤال يحتاط للأمر ويقرر أنه يهوى القراءة ويشتاقها ويرغب فيها ، فكيف تزعم أنه غير راغب فيها ، وأن ميله إلى النوم دليل على صدوفه عنها ؟

ونقول فى الجواب عن هذا الاعتراض إن النفس الإنسانية أمرها شديد العجب ، فهى تبدى خلاف ما تبطن ، وتصدر عنها أفعال تباين ما يشعر به صاحبها . فهل نصدق الأعمال ونكذب المشاعر ، أو نصدق المشاعر ونكذب الأعمال ؟

واعلم أن اتجاه المحدثين فى علم النفس هو الأخذ « بالسلوك »

مع أحد سبيلا ، وليكون ذلك أنفى للتهمة وأبعد من المحاباة [18]

وتسمى هذه القداح «الأغفال» : جمع غفل ، بالضم ، وأصله فى الدواب مالا سمة له ، ومن الأرضين مالا علم فيها

وهذه القداح ثلاثة فى أصح الأقوال :

١ — الوغد

٢ — السفيح

٣ — المنيح

وقد نظم أسماءها بعضهم فى قوله [19] :

لى فى الدنيا سهام ليس فيهن ربيح
وأساميهن وغد وسفيح ومنيح

وقيل : وهذا قول شاذ — : إن عددها أربعة [20] :

١ — المصدر

٢ — المضعف

٣ — المنيح

٤ — السفيح

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

---

(١٨) قال ابن قتيبة تعليقا على هذا : « وبلغنى أن المتقامرين بالنرد إذا أحسوا من الرجل إلمام النفس على الوجه الذى يريده بالرفق — وهو ما يسمى فى عصرنا هذا فى مصر بالفرص — ألقوا مع الفصين فصا ثالثا أو فصين ليس عليهما رقوم . أو حصيات . ليأمنوا الحيلة » فلأمر ما اتخذ العرب هذه القداح مع قداح الحظ

(١٩) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٢٠) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

والأعمال الظاهرة ، وليس لهم شأن بما يجرى داخل النفس من ظواهر شعورية . وهناك مدرسة كبيرة على رأسها الأمريكان ، ويتبعها بعض العلماء فى أوربا ، تبحث فى علم النفس بغير الشعور . ونحن إلى هذا الاتجاه أميل ، فنتقدم العمل ولا نقبل الشعور ، ونصدق السلوك ونفسر به النزعات الباطنة

وعلى هـذا الأساس يسهل علينا تفسير هذه الظاهرة التى يذكرها صاحبنا ، فهو يمسك بالكتاب ولا يكاد يقرأ منه بضع صفحات حتى تأخذه سنة من النوم . هذا هو الواقع المشاهـد الذى لا سبيل إلى إنكاره . فما العلة فى ذلك ؟

وسوف نبين العلة الصحيحة بعد أن نستبعد ما يذكره عن مشاعره الباطنة ، من أنه يتمتع بما يقرأ تمتعا زائدا . فهذا الشعور غير صادق ، بل هـو تمويه من النفس . فلا يستقيم أن تكون المتعة حقيقية ثم ينصرف عنها نائما ، بل العكس هو الصحيح

والنوم عند القراءة دليل لا يخطئ على عدم الرغبة فيها . وقد يعبر الإنسان تعبيرا آخر يفصح عن هذا الصدوف ، كأن ينسى الموضع الذى ترك فيه الكتاب ، أو ينسى اسمه وموضوعه ، أو يجد فى عينيه تعبا ، وقد يصاب أحدنا بظهور « الذبابة الطائرة » وهى نقطة سوداء تعاكس الرؤيا ، وهذا إنذار بالتعب من القراءة ، وفى بعض الأحيان يصاب الشخص بعمى تام ، فلا يبصر شيئا ، لا لعلة فى العين ، بل لشدة الإجهاد العقلى فى القراءة والرغبـة اللاشعورية فى الابتعاد عنها

الحق أن القراءة ليست شيئا فى طبيعة البشر ، فقد ركب الله العين فى الإنسان ليبصر بها الأشياء الخارجية فيعرفها فى المناظر من جمال هو الذى يبعث المتعة فى جوانب النفس

والأصل فى التفاهم بين الناس السمع لا البصر ، ولذلك قيل الإنسان حيوان ناطق . فالألفاظ التى يتألف منها الكلام تنتقل من الفم إلى الأذن ، ويتم عند ذلك الإدراك ويحصل العلم . حتى إذا أخـذ الإنسان يتحضر عرف التدوين والكتابة ، وسجل الألفاظ المنطوقة فى رموز مكتوبة رسمها رسما . واتسعت الكتابة مع الرقى ، وكثرت الكتب ، وأصبحت مرجع الناس فى تحصيل العلوم ، مع أن الأصل أن يستمد المرء العلم سماعا ويتلقاه من أفواه العلماء . ولعلك عندئذ تعلم لماذا امتنع سقراط عن التدوين ، ولماذا كان يلقى دروسه إلقاء

الكتب — وقاك الله شرها — فيها منافع وفيها مضار . فمن منافعها أنها تلخص لك أفكار العلماء الذين أفنوا أعمارهم فى بلوغها فى حيز ضيق ، تستطيع أن تحصله فى ساعات قليلة . ومن منافعها أن العلم ينتقل إليك فى دارك فتطلع على آرائه وأنت مضطجع ، بدلا من شد الرحال إليه . ومن منافعها أنها صديق تأنس إليـه وقت الشدة فيفرج همـك ويسرى عنك ويبعث فى نفسك المتعة حتى إذا سئمته ألقيته جانبا

ومن مضارها أنها كالجثة الهامدة لا حياة فيها ، لأن حياة الأفكار فى حياة قائلها ، ولذلك كان الاستماع إلى حديث العالم أمتع للنفس وأرسخ فى الذهن

ومن مضارهـا الذهاب بقوة البصر ، لأن التحـديق فى الحروف السوداء المكتوبة ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم ، وعاما بعد عام ، يجهد العين ويضعفها

وكل قارئ تمر به فترات من الضيق فيســأم الاطلاع فى وجوه الكتب ، ويصدف عنها ، ولا علاج لذلك إلا تركها مدة من الزمن ، والترويح عن النفس بقراءة « كتاب الطبيعـة » . وهذا شئ قل أن يفعله القراء فى الشرق ، نعنى الخروج إلى الحدائق العامة والتأمل فى مباهج الطبيعة . وكان عادة أرسطو أن يلقى دروسه فى بستان وهو يجوس خلال ممـاشيه ، ولذلك سمى أتباعه بالمشائين

* * *

فلا تتألم أيها السائل لأنك تنام عند القراءة ، واسترح قليلا ، وخذ العلم من المجالس ومن أفواه العلماء ومن قراءة كتاب الطبيعة

أما النوم الذى تشكو منه ، فإن لم يكن لعلة جسمانية وضعف طارئ ، فهو رد فعل طبيعى لإرغام نفسك على ما لا تحب وتشتهى

والابتعاد عن الأشياء غير المرغوب فيها يتخذ أشكالا مختلفة ، فشخص يلقى الكتاب من يده ، وآخر يمزقه ، وثالث يبيعـه . أعرف ناسا كثيرين حين ضاقوا بالقراءة باعوا مكتباتهم التى اقتنوها على مر الزمان ، فلما ذهبت فترة السأم والملال ندموا على ما فعلوا

فى افتتاح العام الدراسى

المعلم فى عهد التحرير

للأستاذ محمد رجب البيومى

أشرق على مصر فجر جديد يبعث الضوء والأمل ، ويطرد الظلام واليأس ، وقد أحس كل مصرى أنه بدأ يعيش لوطنه ونفسه ، بعد أن كان يعيش غريبا لغيره ، فأخذ يفكر فى مهمته ، ويبحث عن خير مصر ، ويعمل على رفعتها بين الأمم بعد أن تمهدت الصعاب ، واستوى السبيل الواضح أمام السائرين

والمعلم ذو رسالة سامية فى أمته ، فهو الذى يخط سطور المستقبل ، ويبنى صرح الحياة ، إذ يتعهد النشء بالتربية والصقل والتقويم ، ويبعث فى رجال الغد قوة عاتية تحطم الأغلال والسدود ، ويخلق فيهم يقظة واعية تتفهم الأمور وتدرك الأسباب ، وقد حرص على أن يقوم بمهمته الشاقة فى دأب وكفاح ، دون أن تعوقه المدافع والحوائل ، ليرضى ضميره المتيقظ فى أحنائه ، ويقضى حياته مثلوج الصدر ، هانئ البال

وقد وفق المعلم فى أداء رسالته إلى حد كبير ، ففى العهد الماضى حينما كان الظلام الدامس يرين على الآفاق فى كل مكان ، فالصحف مكممة الأفواه ، لا تسطر غير ما يرضى الباطل ويغضب الحق ، والألسنة المخلصة معقولة حبيسة ، تحاول النطق فلا تستطيع ، والأحرار فى كل ناحية يلاقون من البلاء والعنت ما يوهى العزائم ، ويفت فى الأعضاء ، !! حينما كان ذلك كله ، كان المعلم يجد فى ميدانه متسعا فسيحا لإيضاح الحق وإزهاق الباطل ، فهو يتحدث إلى تلاميذه كما يتحدث الوالد إلى أسرته ، كاشفا مايرتكبه الآثمون من ضروب الخيانة والرشوة والطغيان ، وقد يضطر إلى التلميح حينما يخشى المغبة المخيفة ، ولكنه لا ينى عن أداء رسالته المخلصة لوطنه وأمته ودينه ، لذلك كان التلاميذ فى كل مدرسة من مدارس القطر أول من هتفوا بسقوط فاروق وهو فى شوكته وسلطانه وجنده ، بل إنهم حاصروا قصوره ، وأسمعوه من السباب والتهكم ما أقض مضجعه ، وشرد النوم عن

وقد لا تنصرف الصورة فى إبعاد القراءة إلى الكتاب ، بل إلى الشخص ، فيشعر بالفتور ، أو التثاؤب ، أو الرغبة فى النوم ، أو ينام فعلا

ولكن الدخول فى النوم يحتاج إلى تفسير آخر يضاف إلى العزوف الباطنى اللاشعورى عند القراءة . ذلك أن كثيرا من الناس يعتادون القراءة وهم مستلقون على ظهورهم كأنهم نائمون ، ليكون الوضع بالنسبة إليهم مريحا ، وهذا الوضع بالذات يهيئ إلى النوم . ولذلك ينبغى على مثل هؤلاء إذا أرادوا التخلص من النوم أن يتخذوا لأنفسهم عادة أخرى وهى الجلوس فى هيئة جادة ، ويحسن إلى جانب ذلك ألا يخلعوا الملابس الرسمية التى يخرجون فيها ، وألا يلبسوا ملابس البيت . هذا إلى أن النظر فى حروف الكتاب مع وضع الرأس إلى الخلف فى حالة أن يكون القارئ مضطجعا يتعب العين ويجهدها ، فيكون مثل هذا الشخص مثل الوسيط الذى ينوم تنويما مغناطيسيا فلابد من تغيير الهيئة

وفى بعض الأحيان لابد من تغيير المكان ، كالخروج من حجرة إلى أخرى ، أو الخروج من الدار إلى الحديقة ، أو الخروج من حديقة الدار إلى خارج البيت

وقد يعالج الإنسان نفسه بأن ينتقل من كتاب إلى آخر ، إذ من شأن النفس أن تسأم الطعام الواحد

وقد يكون الكتاب ثقيلا مملا يبعث كاتبه السأم إلى النفس؛ ومثل هذه الكتب إذا قسر المرء نفسه على قراءتها هى التى تجلب النوم

فعليك باختيار النوع من القراءات الذى لايدفعك إلى النوم ، ولا تقبل على الاطلاع الشاق الجاد إلا حين تكون فى يقظة تامة وصحة جيدة

أحمد فؤاد الأهوانى

عينيه ؛ وبذلك أتيح للمعلم أن يخلق جيلا واعيا يعرف الخائن والمخلص، ويميز الطيب من الخبيث

ولقد اجتهد النفاق الآثم فى تزييف الحقائق، وتشويه الوقائع، فامتلأت الكتب المدرسية بالثناء الكاذب على الأسرة العلوية ، وجعلت كل طاغية فاسق من أبنائها الفجرة ملاكا طاهرا ، يراقب ربه ، ويعمل جاهدا لرفعة وطنه ودينه ، وتعاونت معها الصحف والمجلات فى رفعة أناس لا يستحقون غير الضعة والهوان ، فكانت الجرائد اليومية تظهر مكدسة بصورهم الضخمة ، ومتخمة بالأكاذيب الفاضحة تختلق اختلاقا ، عن مروءتهم وفضائلهم فى كل ذكرى تمر ، أو مناسبة تحين ، أجل ! كانت الكتب المدرسية ، والصحافة الخادعة تقوم بجهودها الفاشل فى هذا المضمار ، والمعلم من وراء ذلك كله يقف بين تلاميذه ليدحض الأكاذيب المنمقة ، ويميط اللثام عن الحقائق الفاضحة ، حتى سطع الحق فى الأذهان وضيئا لامعا ، وعرف كل مصرى تاريخ بلاده ، كما كان ، لا كما أريد له أن يكون ، وأمامك الثورة العرابية ، مثال صدق لما نقول ، فقد تواطأت الأقلام الآثمة ، على إبراز زعيمها المجاهد فى صورة المتهور الجاهل ، الذى لا يقدر العواقب ، ولا يتبصر الأمور ، واجتهدت الصحافة المتملقة فى إخفاء كل مقال يكشف وجه الحق فى هذه الثورة الشعبية المجيدة ، فإذا حانت مناسبة ملحة للحديث عنها وجدت ضروبا بشعة من التلفيق والتضليل ، ورغم ذلك كله فقد استطاع المعلم أن ينشئ أجيالا متعاقبة تهيم بعرابى الخالد ، وترى فيه رمز البطولة والتضحية والإيمان ، وجاءت حركة الجيش المباركة فأتاحت لهذه العواطف المشبوبة نحوه أن تجد متنفسا على الأوراق ، وبين أمواج الأثير ، فانطلقت الأقلام فى الصحف ، وانبعثت الأصوات فى الإذاعة ، تهتف بذكرى عرابى الخالد ، وترتفع به إلى أوج البطولة والتقديس

لقد أدى المعلم واجبه فى العهد البائد المنصرم ، وبقى عليه فى عهد التحرير واجب شاق مرير ، فهو مطالب بأن ينشئ الأجيال القادمة على حب الحرية والعزة والاستقلال ، ومكلف بأن يحمى الأذهان الغضة مما يغيم فى سمائها من الأباطيل ، إذ أن حركة الجيش المباركة تصطدم فى وثوبها بمن يروجون الإشاعات المغرضة ، ويرجفون بالمفتريات الخادعة ، فقد دأبت الرأسمالية الحاقدة على نشر السموم فى كل مكان ، وانحاز إليها فريق من ذوى الأغراض الخبيثة كالمحتكرين من التجار ، والمطرودين عن مناصبهم اللامعة لما علق بهم من الشبه ، والمآثم ، وهؤلاء وأشباههم يتأوهون فى مضاجعهم حسرة على ما انتهوا إليه من مذلة وهوان ، ويحاولون الثأر فلا يجدون غير الإشاعات والمفتريات ، وإن من المؤسف اللاذع أن يجدوا آذانا تسمع ، ونفوسا تصدق ! ولو لم يكن ذلك ، ما استطاع إقطاعى آثم فى مغاغة ، أن يقود شرذمة من الجهلة والرعاع ، ليعلن عصيانه وطغيانه على رؤوس الأشهاد ، وما اندفع عامل أبله فى كفر الدوار إلى قيادة عصابة تحطم المصانع وتحرق المنسوجات ، ولو عقل هؤلاء الجهلة من الطغام لعلموا أن حركة الجيش لم تبعث من مرقدها إلا لتمهد لهم سبيل الكرامة والسعادة والثراء ، ومن هنا كان واجب المعلم خطيرا شاقا فهو مطالب — فوق واجبه التعليمي — بإزالة الشبه والمفتريات ، ولن يقول قائل إنه يتدخل بذلك فى السياسة ، وهى محظورة على التلاميذ ، إذ أن السياسة الحزبية التى تقوم على الأشخاص وتغفل المبادئ ، هى المحظورة الممنوعة ، أما السياسة القومية التى تسعى لخير الوطن واستقلاله ، فلن يستطيع عاقل أن يحرمها على الطلاب ، ولاسيما أن كل أسرة من أسر الوطن العزيزة تبعث بأفرادها إلى المدارس والمعاهد ، فإذا عرف التلميذ من معلمه وجه الحق فيما يدور على مسرح السياسة المصرية استطاع أن يقنع أهله وذويه بما يقوم به العهد الجديد من إصلاح ، فيقطع السبيل على الشائعات المغرضة ، ويأمن الوطن ما يهدده من الزلزلة والانشقاق

إن دراسة الأحداث الجارية من سياسية واجتماعية ، تأخذ نصيبها الأوفر فى مدارس الغرب ومعاهده ، ولكنها لا تجد فى مصر من ينظر إليها نظرة جدية ، بل يكتفى فى بعض المدارس المصرية ، بكتابة موجز يومى لأهم الأنباء السياسية ، على سبورة توضع فى الفناء ، وأكثر المدارس لا تلتفت إلى ذلك ، وتراه عبثا لا يفيد التلاميذ فى شئ !! وهذا خطأ يجب أن يلتفت إليه ، فالأحداث السياسية هى التى تؤلف تاريخ الدولة ، ويترتب عليها مستقبل البلاد ، ولن تكون غير حلقات مشتبكة من سلسلة الحياة ، فالمدرس حين يوجه إليها اهتمامه إنما يبصر الأذهان بما

يمثل فى الوطن من أدوار . وقد يقول قائل إن اشتغال المعلم والطالب بالأحداث الجارية فى مجتمعه يحول دون أداء الرسالة الثقافية التى تضطلع بها المدرسة ، إذ أنها ستزاحم المواد الأخرى من رياضة وعلوم ولغات ، وقد تكون سببا فعالا فى هبوط المستوى العلمى هبوطا لا تحمد عقباه ، ونحن نقول إن دراسة الأحداث الجارية فى الدولة ، والعالم أيضا ، لا يكون بتخصيص أوقات خاصة تقتطع اقتطاعا ، من اليوم المدرسى للتلميذ ، ولكن مدرسى المواد العلمية يقومون بهذا الواجب فى دروسهم المختلفة دون أن يشعر التلاميذ أنهم قد انتقلوا من موضوع لموضوع ؛ فمدرس التعبير مثلا يستطيع أن يجعل مواضيعه الإنشائية تدور حول الإصلاحات الهامة التى تشغل الأذهان ، كتحديد الملكية الزراعية ، ومحاربة الغلاء وتعمير الصحراء ، وتأميم الطب ، وتشجيع الإنتاج القومى ، وإلغاء الرتب والألقاب ، وعلى المعلم أن يفسح لتلاميذه مجال النقاش بالحصة الشفوية فى جو من الحرية والإخلاص ، كما يستطيع أن يعقب على كل رأى بما يعن له من توجيه وتصحيح ، وبدراسة هذه الموضوعات الهامة يلم الطلاب بمشاكل مجتمعهم وأحداثه الهامة ، ويتقبلون ما يدور من الإصلاح بنفس راضية ، وصدر منشرح ، بل يصبحون من دعاته وحملة لوائه فى كل مكان

ولقد كنا فى العهد البائد ندرس التربية الوطنية دراسة مضحكة فنكتفى بالمذكرات الموجزة عن البرلمان والدستور والملك ومجالس القرى والمديريات ، تاركين للطلاب أن يستظهروا ما يدونونه من القشور الجافة دون أن يتشبعوا بالروح الديمقراطية الصحيحة التى يجب أن تغمر البلاد ، وكان من المؤسف أن يحفظ الطلاب فيما يحفظون أن الأمة مصدر السلطات ، ويرون بعد ذلك ما نعرفه من تزييف الانتخابات وتمزيق الدستور ، والعبث بالحريات ، كان ذلك فى العهد البائد ولكنه لن يكون فى عهد سطعت فيه أضواء الحرية ، وعرف كل مواطن حقوقه وواجباته ، وأصبح المعلم ملزما بدراسة التربية الوطنية دراسة تخلق النفوس ، وتعرض الواجبات ، وتقدس الحرية والعدل والمساواة ، وتجعل كل تلميذ يشعر بكرامته الإنسانية ، وينشد لوطنه الحرية والاستقلال

لقد لاحظ بعض الباحثين ما يشيع لدى شبابنا المثقف من جهل بالأحداث الجارية ، خارجية وداخلية ، حتى أصبحنا نواجه مشكلة دقيقة ، اصطلح الكتاب على تسميتها بمشكلة « أمية المتعلمين » فأنت ترى الشاب الجامعى يحمل مؤهلا عاليا ، فتظنه يلم بما يلم به المثقف عادة من حوادث العالم وشؤونه فى وقت كثرت فيه الصحف وتنوعت الإذاعات ، ولكنك تناقشه فى أمر ذائع فلا تظفر بشىء مما فطن ، فترجع باللائمة على الدراسة الجافة التى عكف عليها ، فى مدرسته وجامعته ، ونحن لا نريد أن نستمر على هذا النهج المعوج فننشىء شبابا غلف العقول والقلوب ، بل لا بد أن نعيد دراسة المناهج من جديد ، فنضم إلى كل مادة ما يخلع عليها الجدة والطرافة ويجرى فى شرايينها دماء الحياة ، نريد أن نبتعد عن التوافه الحقيرة التى لا تفيد الطالب فى شىء غير ازدحام الذاكرة بكل مشوه بال ، نريد أن نبعد عن التاريخ أرقام الميلاد والوفاة لبعض الإمعات من السلاطين والوزراء ، نريد أن ندرس الوثبات الاجتماعية والسياسية للشعوب ونغفل مآكل الملوك ، وهدايا الأفراد ، وتحف الخلفاء ، نريد أن نبتعد عن الشكلية الضيقة فى تدريس الجغرافيا التقليدية ، فلا نقف بها عند الحاصلات والمناخ والتضاريس ، بل ننتهز ما يجد من الأحداث الخارجة ، فنكشف عن أسبابها ثم نتطرق إلى الدولة التى كانت مسرحا لهذه الحوادث ، فنتحدث عن مقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وفى ذلك من التشويق ما يبعث الرغبة ويولد الاهتمام ، ولن يقف المنهج الرسمى عقبة معترضة ، إذ لا يتعذر على الوزارة إيجاد منهج مرن يدرس الدول الهامة ذوات السيطرة والتأثير فى شتى البقاع

إن المعلم يستقبل مع تلاميذه عهدا نظيفا طاهرا ، ترفرف عليه ألوية الحرية والعدالة والمساواة ، فعليه أن يبذل جهده الجهيد فى إنارة الأذهان ، وتقويم النفوس ، والتشبع بمبادىء الأخلاق ، وبذلك يخلع عن وطنه نير العبودية والهوان ، ويحقق رسالة مصر الخالدة فى موكب الحضارة والعمران

(أبو تيج) **محمود رجب البيومي**

سليمان العبسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

خلنى أصهر الحياة نشيدا   وأذيب الوجود فى إيمانى
ربما مزقت أناشيدى الحمـ   راء بعض القيود عن أوطانى
أنا لو أستطيع أرسلت أنغا   مى شواظا من مارج ودخان

أهكذا تنصرم الأيام كاللمحة الخاطفة ؟ أحقا تسع سنين قد مضت على لقائنا الأول ؟ تالله لكأن ذلك كان بالأمس.. ولئن استطاع أن يفرق الزمان شملنا فهو أعجز من أن يهزم الذكريات .. ذكريات تلك اللحظات الحالمات .. وهل هن من حلم الحياة إلا يقظة العمر !

يا لحظة النشوان لا تعبرى   ما أنت إلا عمرى السرمدى

***

فى صالة الاستراحة فى دار المعلمين العالية ببغداد كانت عيون الطلاب منجذبة إلى فتى جالس وحده ، كانوا يحدقون النظر به ثم يتهامسون فيما بينهم حتى رابنى أمره ، فسألتهم ماشأنه ؟ فقالوا — وملؤهم الإعجاب — هذا فتى نابغة من لاجئى (الإسكندرونة) رحمها الله ، وهو شاعر جبار ، فزاد اهتمامى به ، وتأملته فإذا شاب هزيل الجسم ، كليل البصر ، يضع على عينيه منظارا لا يلائم شبابه الغض . ونظرت إلى عينيه فبدتا أول وهلة زجاجتين زرقاوين خابيتين لا تعرفان الاستقرار ، فلما أنعمت النظر لمحت من ورائهما بريقا عميقا لم تستطع النظارة ولا قصر النظر إطفاءه

ذلكم هو سليمان العبسى شاعر الشباب الرقيق وشاعر الفتوة العربية بحق ، ذلكم سليمان الذى صهرته عواطفه وأذابته مآسى هذا الوطن المتلاحقة ، سليمان الذى يقول :

ألقيت فى الإعصار روحى   وسقيت من قلبى جروحى
أنا لست أغنيـة الهوى   بل صرخـة الأمل الذبيح

والذى يقول :

أنا لو أننى خلقت جماداً   كنت أولى قذائف البركان

وبعد فعسير على أيها القارئ العزيز أن أنقد شعر سليمان نقداً علميا منظماً لأنى لا أستطيع أن أجرد حديثى من عاطفتى وأى عاطفة هى ! لقد مزجتنا الآلام ووحدت سيرنا الآمال وعشنا بضع سنين نحيا حياة واحدة تحمل فى صميمها من حاضرنا شكوى مشتركة وتطل بنا على المستقبل من منظار واحد

ومجمل ما يجب ذكره أن أقول إنابتنا مقت الأقوال ونود لو بالأعمال اعتضنا عنها أو كما يقول سليمان فى مقدمة ديوانه (مازلت أوثر أن أحيا على أن أسجل) فكانت حياته شعرا وكان شعره هذه الحياة الفنية الفتية الغنية بحب الوطنين (القلب) وطننا الأصغر (والأمة العربية) وطننا الأكبر ، وهو لا يرى الأول إلا صورة مصغرة من الثانى ، وهى ممهدة له ومغذية .. ولهذا فأنت لا تفتأ تجد فى ديوانه انتقالا رائعا من الغزل إلى الحماسة ، تفسره لك هذه العقيدة النبيلة ، اسمعه يقول فى موشحه (لمن أذوب ألحانى) :

لو كنت حرا لأسكرت الوجود على
أنغام حبى ... وأفنيت الصبا قبلا ...
أستسمح الحسن ، بل أستغفر الغزلا
ماذا ؟ أأرقص فوق النعش قد حملا
جثمان شعبى فيه ، ضاحكا ، جذلا ؟
أأستحيل كغيرى نحوه خشبا ؟
وأسخط الله ، والتاريخ ، والعربا !

***

لى من هواك .. جناح سوف أقتحم
برج النضال به ، والهول يحتدم ...
هذى (القيود) التى حولى ستنحطم
لا قدس للحب فى أرضى ولا حرم
ما نقلت فوقها (مستعمراً) قدم ..
قولى لمن تنكر (الذوبان) ما ارتكبا ..
هل تأمن النمر المطعون أن يثبا ؟

***

وبعد أن يقول من موشحه (جنة الفن) فى أسمهان :

يؤثر الفن لو نسينا (المكانا)
واختصرنا ... بقبلتين (الزمانا)
ما وهبنا الشباب ؛ والعنفوانا
لنداوى جراحنا ، وأسـانا
لن ترانى يا قلب أشكو سنانا

خضبته كف الهوى بوريدى
لن يرانى اللهيب غير وقود ...

اسمعه بعد ذلك يقول :

حرقة أنت فى فؤاد الغناء
أن تنامى عن الكؤوس الظماء
قبل أن تشهدى مع الصحراء
يوم عرس الحرية الزهراء
قبل أن تصدحى بلحن (الجلاء)

وتهزى به رفات الجدود
يوم تمشى على حطام القيود

***

وليس أصدق فى تمثيل فكرته هذه وشدة تعلقه بها واعتزازه بها من وصيته فى نشيده لشبله (معن) ، وهل أشد إخلاصا من صيحة الكبد بضعة منها ؟

وعدا . . . إذا عبق الجما ل ورفت الغيد الحسان !
وتموجت شعـل الشبا ب وصاح فيها العنفوان
ولويت أعطـاف الحنين فطار من يدك العنان
فاشرب على نخب (الحيا ة) فإن ظامئها جبان
وأحب ملء الروح منـ طلقا .. وللحذر الهوان

***

وإذا تفجرت الحقود .. وزمجر البلد المهان
ورأيت أرضك ها هنا (ناب) وثمة (أفعوان)
وتكلم الأحرار فالآفا ق نار أو دخان
فاخضب طريقك باللهيـ ب وأنت فى يده سنان

***

ذلكم سليمان : قلب ناضر مملوء بالحب والجمال ، وشباب ثائر تتقاذفه الآلام والآمال ، فهو بين يأس (أو شبه يأس) لولا جلال التاريخ ووقدة العزيمة لذهب بالأمل ، وأمل لولا عزة الماضى وعمق جذوره لخبت جذوته واستحال رمادا ، وروح قرارته خضم مائج لا يستقر ، وكيف يستقر وفتوة الشباب تذكيه ونكبات الضاد تمر به إعصاراً أهوج !

وهو من بعد إن سار سددت خطاه حماسة الشباب وحرارة الحياة، وهو إن تكلم نطق الحب ، حب تلكم الحياة الفتية المتدفقة المتألقة فى كلامه، فما الحياة وما الحب إلا للوطنين القلب والضاد، وحسبه فى هذين الغرضين — وقد أسراه — أن يتنقل بين أفنان لا حدود لرياضها ، وأن يضرب فى لج لا ساحل لعبابه : الحب والبطولة — يا أخى القارئ — وقد أهدى إليهما ديوانه لأنه استوحاه منهما — الحب والبطولة حسب الشباب شبابا فهما الحياة بأجل وأوسع وأقوى معانيها ؛ وهل الفن إلا تعبير حساس عن الحياة ؟

(لمحة هزت نشيدى فانطلق — رعشة حيناً وحيناً زلزله)

والحياة الخالدة هى أمنية كل حى فان وفقدانها سر شقاء الخيام.. ولكن سليمان خلد نفسه فى خالدين . . وهل أروع من أن يخلد الإنسان ذاته فى وطنه الصغير (القلب) وفى وطنه الأكبر (أمتـه) ؟ وهل أحر لوعة من أن يشكو الإنسان مصيبته فى أحدهما إلى الآخر ؟

عروس الشعر . . .. ما انفسح الخيال
على دنيا . . . هى السحر الحلال
ولا نديت على الظمأ الرمال
ولا غنى فم . . . لولا الجمال
قصيد الكون أنت . . . وما إخال

ربابا فى يمين الآلهات
يصاغ بها لرقته مثال

عروس الشعر معذرة القصيد
إذا ما جن فى وترى نشيدى
تمرد أن ينام ... على (القيود)

فراح يهز أجفان « العبيد »
ليفتحها على ذل السجود ...
فإذ شــعبى موات فى موات
وإذ وطنى : همــود فى همــود

وهو فى هذين المضمارين قد أرضى جميع نقاد الفن وإن لم يتعمد ذلك لأنه لم ينصت إلا إلى أوتار قلبه ، أرضى فى حبه أرباب الفن للفن كما أرضى معارضيهم فى سمو توجيهه (وحربة) أوتاره

أنا ما نظمت الشعر بل ذوبت رنات القيــود
وعصفت. إذهتف الهوى. ناراً على شــفة الجليد

***

فأما الحب ، وأما دفقات الشباب ؛ وأما خفقات الفؤاد ، فما أعرف شابا أديبا مثل سليمان أحسن نجواهن فسحر ، وغنى بألحانهن فأطرب وأسكر ، وهل الحياة إلا الحب ؟

هى الدنيا ، وهل فيها — إذا لم نهو — ما يسبى
إذا رضى الغرام عليــك فأمن جانب الرب

***

وهل عمر الشبـاب إلا : —

عمر الورد قصير ... فلندع
كل ما فى الروض يغرق فى المراح
ليس فى ثغر الأقاحى متسع
لسوى القبـلة من ثغر الأقاح

وإن هذا الغناء وإن شابهت أنغامه أنغام الخيام إلا أنها أشد اتصالا بينبوع الحياة ، وليس وراء مرحها وإغراقها فى اللذة جمرات يأس ، بل هى نقية صافية لأنها من معين الخلود :

علمتنى طرق السما • فجن شــعرى بالسماء
وهتفت بى — والأرض تجذب ناظرى : — إلى العلاء
فهوت على قدمى ، خلف السحب ، أشبـاح الفنـاء
وإذا الخلود ... على فمى كأس تفجر بالغناء ...

***

لا تحذرى ... لم يحطمناسوى الحذر
لا تحسبى غير لقيانا من العمر ...
ألقى بروحك فى أرجوحة القدر
وعانقينى على إطلالة القمر ...

***

أنقل على شرفات الخلد أقـدامى
وأسكر المـلأ الأعلى بأنغامى ...

***

لا تأسفى للدجى إما تربه فنى
فى تمتمات النشاوى مصرع الزمن
دعى هواجس هذا الـكون فى كفن
يخلو لهن ذوو (الآراء) والفطن
واستنشدينى فقـد باتت تعـذبنى
أنشودة لم أتمها ولا عجبــا
صدرى يضيق بألحانى وإن رحبا ..

إذن فلينهل من هذا الـكوثر قبل أن يفقده ، وليمنع منه أحيانا ليشعر بألم الحرمان فما هذا الألم إلا صورة من اللذة الخالدة ..

أقفلت أنفاسى على جمرة لفاحة ... تلهب ماتلهب
ورحت أستعذب آلامها والألم الخلاق يستعذب

***

فى غد تخبو رؤانا الزاهيه لم لا نشعلها قبل الغد ؟
فى غد .. تمضى الأمانى الحاليه والأغانى بددا فى بدد

***

سنبسم للجراح على الجراح
ونسقيهن ألحــان المراح
ويحملنا الشباب بلا جنــاح
إلى أحلامنــا الخضر الفساح
إلى دنيا منضرة النواحى ...
هنــاك إذا افترشت النيرات
غفوت على أغاريدى وراحى

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

شـلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٦ —

إننا نجد شلر فى تصادمه مع مواطنيه المثل الأعلى فى سمو الخلق، وهذا السمو هو الرابطة الوحيدة التى كانت تشده بمجتمع زمانه، وقد أظهر كل النبل مع أعدائه وأصدقائه على حد سواء. على أنه لم يدخل قط فى مجادلات وترهات عصره. وبالرغم من مشاهدته وأسفه على إسفاف الأدب فى زمنه لم يشهد حربا مكشوفة عليه، وإنما نراه يلمح إلى ذلك عن بعد كما هى الحال فى كتابات (ملتون) ولذا نراه لا يتطرق إلا إلى أسماء عدد قليل من معاصريه، لأنه لم يقصد الناس فى هجومه وإنما كان يقصد الأفكار المعوجة والآراء الفجة. وفى كتابه (دراسة عن برغر) — هذا الكتاب الذى أسهب الناس فى الحديث عنه وعلقوا عليه شتى التعليقات، والذى أنزل أشد الضربات فى الشاعر المسكين (برغر). إلا أن شلر لم يقصد منه إثارة أى عداء ضد برغر — بل على العكس حاول أن يظهر فيه احترامه لفن الشاعر وتجربة لفهمه، لأنه لم يعن بالمنازعة مع برغر أو أى شخص آخر كما لم يقصد إلى كسب رضا الجمهور، وقد كان حائزا عليه بدرجة عالية لأنه لم يقدر هذا الرضا. وقد قال فى هذا المعنى فى فقرة جليلة يعرفها القراء الإنجليز « إن الفنان فى الحقيقة هو ابن عصره، ولكن وا رحمتاه له إن هو أصبح تلميذ هذا الفكر، فخير له لو اختطفته يد إحدى الآلهة وهو لا يزال رضيعا من حضن أمه لتربيه فى عصر آخر أحسن فيشب ويبلغ مبلغ الرجال تحت سماء الإغريق القصية، وحالما يدرك هذا المبلغ فله أن يرجع إلى بلاده غريبا فى سيمائه ليس ليسرها بوجوده، بل ليطهرها كأحد أبناء أغاممنون الرعبين » . وعلى كل، فشلر لم يكن عنده أثر من آثار الغرور أو حتى الكبرياء، لأن شعوره الذاتى المتواضع كان أهم ميزة من ميزات عبقريته التى كانت ضمنية غير ظاهرة عليه، فلم يكن للمقت أو للغضب محل فى نفسه اللهم إلا ضد الخرافات والإسفاف، وعنده تصبح الكراهية شيئا مقدسا، كما أن الزهو العاتى لم يكن له أثر فى نظرته، أما تجهمه فكان يشبه تجهم أبولو الذى كان يقضى على الأفعى بنظرة واحدة من نظراته [1]. وبكلمة أخرى يمكننا أن نقول فى شلر ما نقوله فى أفراد قلائل من أى قطر كان: لقد كان خادما من خدام معبد الحق وقد قام بمثل هذا الواجب خير قيام، وليكن هذا ذكرى لنا على الدوام فى عصرنا هذا، وهذه الذكرى وحدها كافية للاشادة به. ولقد اتفق سلوك شلر العقلى مع سلوكه الأخلاقى اتفاقا دائما؛ فكان بسيطا فى عظمة، ساميا فى عدم تكبر، تقيا فى عدم إسفاف، غيورا فى عدم حسد. وكانت الحساسية النبيلة والمشاركة المخلصة مع الطبيعة فى جميع تقلباتها تنعشه وتبعث فيه ميت الرجاء؛ إلا أن ذلك لم يكن مدعما بقابلية إبداعية. ولكن الطبيعة بما فيها من معنى وجمال كانت محدودة بصور قليلة لدى بصيرته، وكان اهتمامه يتركز فى نوع خاص من الصور، هى أقرب إلى العاطفة القاسية الشجية، وهذا ما كان يمكنه أن يمثله خير تمثيل كشاعر وكمفكر. ويمكننا أن نقول: إن موسيقاه كانت موسيقى سماوية حقة، ولكن فى نغمات رتيبة غير متنوعة وفى إيقاع بسيط، ولكن الانسجام فى الترتيل مفقود فيها. ولا نكران بأن شلر فى أيامه الأخيرة، على الأقل، أدرك أسلوبا شعريا باهرا صافيا فى المجالى الخالدة من الفن، ولكن هذه الموهبة ظلت جزئية، لأنها كانت نتاجا لبعض قابلياته المكدودة أكثر من كونها نتاجا ذاتيا لطبيعته الكلية، فعلى قمة المحرقة يوجد لهيب أبيض ولكن المواد ليست كلها ملتهبة إذا لم نقل غير مشتعلة. لا بل يظهر لنا أن الشعر إجمالا لم يكن موهبته الرئيسة، كأن عبقريته كانت منهمكة فى التأملات الفلسفية والبيانية أكثر من الشعر. وإلى النهاية كانت هنالك خشونة فيه مما جعل عدم انصهاره فى بودقة الشعر أمرا لا مفر منه. وهكذا لم تكن عبقريته قيثارة (بولية) تعزف عليها الرياح كما تشاء لتصنع لحنا حرا، بل آلة موسيقية علمية إذا ما عزفت عزفا فنيا أنتجت نغمات بديعة ولو بصورة محدودة. ومن المحتمل أن جزءا يسيرا من مواهبه انكشف لنا، لأننا يجب أن نعلم بأنه لم

(١) حياة شلر

يحظ بما حظى به إلا بعد جهد جهيد وتعب شديد ، وأنه استدعى إلى العالم الآخر وهو لما يبلغ منتصف العمر . وعلى كل حال ، فنحن على قدر ما نجد فيه من المواهب مجبرون على الاعتراف بأن أهم هذه المواهب كان هذا الإدراك العميق الدقيق الذى نجده فى كل مؤلفاته . لقد كان لديه خيال ذهنى واسع الأفق وقابلية فلسفية إدراكية عميقة ، ومع ذلك فإن البساطة وعدم الشمول ظاهران فى كل هذا

وكان شلر ينظر إلى الأعالى بدلا من أن يحدق فيما حوله . وكان يهتم اهتماما خاصا بالأمور الفلسفية البعيدة والتأملات الفنية وقيمة الإنسان ومصيره . ولم يعن بمصالح الإنسان وأعماله الآنية . ومع ذلك فهذه الأخيرة — كما تظهر لنا — ذات قيمة لا محدودة ، لأن أبسط مظهر من مظاهر الطبيعة ، وخصوصا الطبيعة الحية ، ما هو إلا نموذج ومطلع [٢] من مطالع الروح غير المرئية التى تعمل فى الطبيعة . وليس من شئ تافه فى الكون ، بل إن أصغر شئ يمكن أن يعتبر نافذة للنظر من خلالها إلى اللامحدود . ولم ينظر شلر كمفكر وكشاعر أكثر من نظرة عابرة إلى مثل هذه الأشياء ، سواء كان ذلك فى مناقشته أو فى عرضه للطبيعة وتصوره لها . فالشئ العادى ظل عاديا بالنسبة إليه ، وإذا نظر إليه نظرة مثالية فذلك بصورة ميكانيكية ليس للوحى فيها أى مكان ، وليس عن طريق التطلع الفلسفى الشعرى ، هذا الطريق الذى يفتح مجاهل الجمال فى كل صفة من صفاته ، بل عن طريق استنتاج هذه الصفات بانتقاء ما هو وضاء بارز منها وترك الباقى تذروه الرياح

وفى هذا يختلف شلر اختلافا بينا عن الشعراء العظام وخصوصا عن معاصره العظيم جوته ، وهذه العظمة الفكرية — على ما هى عليه من قيمة وأهمية — عظمة بسيطة تسحر البصر لأول وهلة ولكنها لا تلبث أن تفقد الكثير من جلالها . فليس النظر إلى المجردات العلوية صعبا بمقدار الصعوبة التى نواجهها فى النظر بعطف إلى مشاكلنا الآنية ، والحكيم هو من يرشدنا ويساعدنا فى أمور حياتنا اليومية ، وقد يجوز أن يكون حكيما كذلك من يرشدنا للنظر إلى الحقائق القديمة نظرة أكاديمية شكلية ، ولكننا نريد أن نرى الحكمة فى أشكالها المكشوفة البينة ، لأننا قد نجد فى الأمثال كثيرا من الحكمة الواقعية أكثر مما نجد فى النظم الفلسفية والمدارس الأدبية . فكتاباته المبكرة وكل كتاباته تقريبا تمتاز بهذا الترف الأرستقراطى وهذا الزهو المجرد . فهو إما أن يكون تجريديا أو نظاميا فى تأملاته أو تراه متعلقا ببعض الأفكار المعترف بها ، غير عابئ بالنظر إلى ما يحيط به أو بالنظر إلى نهر الحياة المتعدد الألوان ، وإذا نظر إلى ذلك فمن خلال كوة ضيقة . ففلسفته فى التاريخ تستند على اعتبار كمال الإنسان نتيجة من نتائج التنظيمات الاجتماعية والمؤسسات الدينية ، يستبين ذلك فى شعره ، فهو يدور فى نطاق الأمور القديمة المعروفة من أمثال جنون الحب ، والعظمة العاطفية ، والحماسة فى الدفاع عن الحرية وما شابه . نجد ذلك فى كتابه (دون كارلوس) ، هذا الكتاب الذى يمكن اعتباره مرحلة انتقال ونقطة تحول بين فترتين من حياته : المبكرة والمتأخرة ، وفى هذا الكتاب نجد البطلة المحبوبة (بوزا) تظهر محلقة فى الأجواء ، مضيئة صافية نقية وباردة وجافة كالمنارة البحرية . وقد عرف شلر نفسه بأن العظمة لا تكمن هنا . وبجهد لا كلل فيه ولا ملل تمكن شلر من التخفيف من غلواء تحليقه وتوسيع رقعة منطقته الأرضية بالهبوط إليها ، وقد حدث ذلك بنجاح منقطع النظير ، كما تشهد بذلك أشعاره وأكبر دليل على ذلك قصيدته (نشيد الأجراس) ، وهى قصيدة عظيمة بلغت مبلغ الإعجاز فى بلاغتها وفى عرضها . أما مأساته (وليم تيل) . وهى آخر مؤلفاته — فهى فى أسلوبها وروحها من أحسن ما كتب فى الدراما . أما قصوره الوحيد — كما قلنا سابقا — فهو عدم تنازله واختلاطه بالمجتمع ، ومما له علاقة وثقى بهذا القصور سببا ونتيجة ، هو فقدانه لروح المزح والملاطفة ، هذه الروح التى تعبر عن المشاعر العامة ، فينظمها الشعراء شعرا عذبا مستساغا ، فالشاعر المازح يرى الحياة العامة وحتى الوضيعة منها بمنظار المرح والحب ، لأن كل شئ موجود له سحره الخاص

للكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

(٢) مطلع اصطلاح صوفى وهو يعنى الانكشاف الروحى لإنسان عابر من قبل واجب الوجود

ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

تابع غزوة بدر

أودى (بعتبة[1]) و (الوليد[2]) و (شيبة[3])
و (أمية[4]) القدر الذى لا يبرح[5]

وهوى (أبو جهل[6]) و (نوفل[7]) وارعوى
بعد اللجـاج (الفاحش المتوقح)[8]

---

(١) عتبة بن ربيعة ، برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار ، فقال : إنما أريد أكفائى من قريش ، ونادى منادهم : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا ، فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي الله عنهم ، فقتل على الوليد ، وقتل حمزة عتبة ، وتبادل عبيدة وشيبة ضربتين أثرتافيهما ، فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة ، ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل ، وكانت الضربة فى ركبته ، فأفرشه النبي قدمه الشريفة فوضع خده عليها ، وقال له صلى الله عليه وسلم (أشهد أنك شهيد) قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حيا ليعلم أينا أحق منه بقوله :

ونسلمـه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال : —

فإن يقطعوا رجلى فانى مسلم أرجى به عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه لباسا من الإسلام غطى المساويا

مات رضى الله عنه من هذه الضربة ، فهو من شهداء بدر

(٢) هو الوليد بن عتبة

(٣) شيبة بن ربيعة

(٤) أمية بن خلف قتله بلال ، وإلى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات : —

أرنى يديك أفيهما (لأمية) ورد من الموت الذعاف مثمل
للسيف سيف الله أهول موقعا من صخرة تاقى ، وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظبي تحت العجاجة ، والرماح الذبل

(٥) لا يدفع

(٦) ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود ثم جاء برأســه إلى النبي فحمد الله ، وجاء أنه سجد خمس سجدات شـكرا ، وفي رواية صلى ركعتين وقال : الحمد لله الذى أعز الإســلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(٧) نوفل بن خويلد . قال على : أنا قتلته ، فكبر النبي وقال : الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه ، فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش ، اليوم يوم الرفعة والعلا ، فقال النبي : اللهم اكفنى نوفل ابن خويلد ، وإنما قال على أنا قتلته ، جوابا لقول النبي : من له علم =

لما رآى (الغازى المظفر) رأسه
أهوى يكبر ساجدا ويسبح[9]

فى جلده من رجز ربك آية
عجب تفسر للبيب وتشرح[10]

تلك السطور السود ضم كتابها
أبهى وأجمل ما يرى المتصفح

إن لم يغيب فى جهنم بعدهـا
فلمن ســواه فى جهنم يصرح ؟

أدركت حقك يا (بلال) فبوركت
يدك التى تركت (أمية) يشبح[11]

واف المطار ووال يا (ابن رواحة)
زجل الحمام ، إذا يطير ويسجح[12]

هذا (ابن حارثة) يطوف مبشرا
بالنصر يخزى الـكافرين ويفضح

لـما تردد فى البلاد صدا كما
أمست قلوب المسلمين تروح

فـكأن كلا معرس ، وكأنمـا
منه ومنك مهنئ ومرفح[13]

قل يا (أبا سفيان[14]) غير ملوح
فالنصر يخطب ، والسيوف تصرح

بيض على بلق ، تساقط حولها
سود مـذممة تساف وترمح[15]

ذهبوا ، وأخلفهم رجاء زلزلوا
فيه ، فزال كما يزول الضحضح[16]

أكذاك تختلف الزروع ، فناضر
ضافى الظلال ، وذابل يتصوح ؟

القوم غاظهم الصحيح ، فزيفوا
ومن الأمور مزيف ومصحح

خطأ الزمان فشا ، فلذ بصوابه
وانظر كتاب الخلق كيف ينقح ؟

جاء (الإمام العبقرى) يقيمها
سـنناً مبينة لمن يستوضح

= بنوفل بن خويلد ؟

(٨) المراد أبو جهل لعنه الله ، وهو المسمى فرعون هـذه الأمة على لسان الرسول الـكريم

(٩) لما جئ برأسـه الى النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله ، وفى رواية أنه سجد خمس سجدات شـكراً ، وجاء أنه صلى ركعتين وقال الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده

(١٠) وجدت فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار السياط ، شبيهة بسمة النار ، وهذا من ضرب الملائكة

(١١) هو أمية بن خلف ، وقد سبقت الإشارة إلى قصته ، ويشبح يشق ويفعل به كالجلد المشبوح ونحوه

(١٢) لما فتح الله على المسلمين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيراً لأهل العالية ، وهو موضع قريب من المدينة ، وزيد ابن حارثة بشيراً الأهل السافلة ، سجحت الحمامة بمعنى سجعت

(١٣) أعرس الرجل بأهله بنى عليها ، ورفحه قال له : بالرفاء والبنين

(١٤) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، لما قدم على أهل مكة بعد وقعة بدر ، سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم إلى ، عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، فغضب أبو لهب

(١٥) تضرب بالسيوف وتطعن بالرماح

(١٦) الضحضح السراب

صدى الوقعة فى مكة

لما ترامت أبناء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيرا ، وحزن المشركون حزنا شديدا ، فأقيمت المآتم ، وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان بن الحارث بن هشام ، وقد تقدم ذكره فى الملحمة الحائية ، فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رآى وقال : لقينا رجالا بيضا ، على خيل بلق ، قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك والله الملائكة ، فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ، ثم احتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة لبابة عمودا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب سيده ؟ فولى ذليلا ، ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال ثم مات :

وضح اليقين لمن يرى أو يسمع ... ولقلما تجدى الظنون وتنفع
النصر حق ، والنبى صادق ... والويل للمغرور ، ماذا يصنع ؟
إخشع (أبا لهب) فإن تك ذا عمى ... لجبال مكة ، والأباطح خشع
(مولى رسول الله) يضرب ماجنى ... ذنبا ، ولم يك كاذبا بتشيع
هى يا (أبا لهب) كتائب ربه ... نزلت ، تذل الكافرين وتقمع
أخذت (لبابة[17]) للضعيف بحقه ... ومضى الجزاء ، فأنت عان موجع
وشفته منك بضربة ما أقلعت ... حتى رمتك بعلة ما تقلع[18]
قالت بغيت عليه ، واستضعفته ... أن غاب (سيده) وعز المفزع
ما (بالعمود) ولا برأسك ريبة ... إن النوى بمثل ذلك يردع
حييت (أم الفضل) تلك فضيلة ... فيها لك الشرف الأعز الأمنع
الله أهلكه بداء ماله ... شاف ، ولا فيه لآس مطمع
تمضى البشائر جولا ، وتجول فى ... دمه السموم ، فجلده يتمزع
أمسى المكاثر بالرجال مبغضا ... يجفى على قرب المزار ويقطع
أكلته صاعقة العمود ، وإنما ... أكلته سبع[19] بعد ذلك جوع
هم غادروه ثلاثة فى داره ... لا الدار تلفظه ، ولا هو ينزع[20]
تتجنب الأيدى غوائل دائه ... فيدع بالخشب الطوال ويدفع
رجموه ، لوكره السفاهة فارعوى ... ما ساء مهلكه ، وهال المصرع
ما أكثر الباكين ملء جفونهم ... للجمع بالبيض البواتر يصدع
جز النساء شعورهن ، وغودرت ... للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروه العويل على أسى ... و(البيت) يشهد و(الحطيم) يرجع
والمسلمون بنعمة من ربهم ... فيها لكل موحد مستمتع
الله أكبر ، لا مرد لحكمه ... هو ربنا ، وإليه منا المرجع

(١٧) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وكانت من السابقات إلى الإسلام

(١٨) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها ، وتخاف عدواها أشد الخوف فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات

(١٩) الليالى السبع التى مات بعدها

(٢٠) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى داروه

يتبع

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

. . . والمسرح أيضاً

ما تزال « البندقية » تتصدر الحركة الأدبية والفكرية والفنية في هذه الأيام فهي بعد أن فضت مؤتمر الفنانين الذي عقد في شهر سبتمبر الماضي ، جمعت مؤتمر المعهد الدولي للمسرح خلال الشهر المنصرم ، واشتركت فيه ١٦ دولة أوربية وآسيوية وأمريكية .

وعنى المؤتمر بعلاج المشكلات والعقبات التي تقف دون تقدم الفن المسرحي ، على أساس مطالبة الدولة بمساعدة مالية دون أن تفرض رقابتها سواء من الناحية السياسية والفكرية والفنية ، كما نظر المؤتمر في ضرورة مقاومة الاستقلال الذي يقوم بين الوسطاء بين المسرح والجمهور ، وصون حقوق المخرجين والفنيين الذين يقومون بإعداد المسرح وترتيبه

وبينا كان هذا المؤتمر منعقداً في البندقية ، انعقد في باريس اجتماع اليونسكو لدراسة « حق الإنسان في المساهمة في الحياة الثقافية » بعد أن عهد إلى مجموعة من المربين بدراسة هذه المشكلة وإيجاد حل إيجابي لها

حق الأديب في الحياة الكريمة

في هذا الوقت الذي توقع فيه اتفاقية حقوق المؤلفين في البندقية ، تدور في الصحف العربية معركة ، مشتركة ، لا أدرى كيف تلاقت الأفكار حولها دون سابق ارتباط

ففي صحيفة « العمل » التي تصدر في لبنان مقال بعنوان « الموهوبون » يقول فيه كاتبه الأستاذ راجي الراعي :

« منذ خلق الأدب والفن والأديب والفنان مظلوم محروم ، ونحن نعلم أن الآلام هي القيثارة التي تحمل أوتار الأديب ، والدواة التي يغمس فيها قلمه ، والعرائس التي تأتيه بالروائع ، وأن بين الرعشات والتنهدات والعبرات والجراحات تهبط الآيات الخالدات ، فلا نريد أن نخرجه من دنياه ، ولكننا نريد له جواً فسيحاً مريحاً يتسع لجناحه ، وبيتاً يملكه وفيه القليل الذي لا بد منه ليلد الكثير الذي يتمخض به خياله ، وحديقة ينتشق فيها الورود ليأتيك بورود . ونريد له ما يبتاع به الضمادة والرداء ، وما تتطلبه المعدة القاهرة التي لا تعرف الهدنة والعياء . وما يقيه قيظ الصيف وزمهرير الشتاء . . شر الظلم هذا الذي يعانيه صاحب الوحي والقلم ، ولقد حان لنا أن نرفع الموهوب إلى المكانة التي تليق به وأن نريحه من الأنبار التي تدميه ... »

الرصافي أحد الضحايا

وفي نفس الوقت تنشر جريدة « النبأ » في العراق مقالا للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري يقول

« أرأيت كيف يعيش الرصافي ؟ ! »

أشك بأنه مات من سوء التغذية ! وأنه كان لا يجد بعض الأحايين ثمن الدواء الذي يقرره له أصدقاؤه الأطباء !

أهكذا يجب أن يعيش العباقرة لمجرد أنهم شعراء بينما غيرهم من الجهلة واللصوص يسكنون القصور الفارهة والبيوت الشامخة

قد تقول ... لم لم يجار السلطات الحاكمة ليعيش برفاه ، وهنا بيت القصيد وعلة العلل . الرصافي كرجل وكشاعر في زمن وصل فيه الظلم الاجتماعي إلى التدهور ، وليس من العدالة أن لا يدخل في حلبة السياسة ليذب عن المظلومين وينافح عن المنكوبين من أبناء الشعب ، ولو أنه ترك السياسة في سبيل العيش الرغيد والمنصب الرفيع كان مجرماً بحق رسالته التي كافح من أجلها راضياً صابراً رغم بؤسه وجوعه وعذابه

وإذا اشتغل الشاعر بالسياسة وكان ضد الحكومة والسلطة الحاكمة ، والرجال الذين بيدهم الأمر والحل والربط ، فيجب أن يموت جوعاً لأنه لا يمشي في ركابهم »

الألم العبقري ليس ألم الجوع

وفي عدد آخر من جريدة « النبأ » يقول الكاتب « إن الأديب والشاعر لا تمكنه أن يبدع ويخلق وينتج ما هو خالد وجدير بالبقاء ما لم يتنعم على الأقل بمباهج الدنيا لأنني أختلف مع الذين

يقولون إن الجوع يخلق ، ولا أدرى كيف يمكن الإنسان الجائع أن يفكر تفكيرا صحيحا ، إذا كانت معدته خاوية ! وأظن أن شوقى عندما قال :

تفردت بالألم العبقرى وأنبغ ما فى الحياة الألم

لم يك يقصد بالألم العبقرى ألم الجوع

ومعنى هذا أن القضية واحدة ، ومتصلة ، ولكنها قضية الشرق كله ، وأعتقد أن الذى أثار هذا الحديث فى مختلف صحف البلاد العربية هو ما ذكره الدكتور طه حسين فى كلمة فى مؤتمر البندقية عن حق الأديب فى الحياة

ألوان . . .

من أخبار هذا الأسبوع الأدبية الإفراج عن كتاب « المعذبون فى الأرض » وقد سعدت بلقاء الأستاذ العميد مساء الخميس ، وحضر الاجتماع كاتبين من كتاب الشباب

وقد تحدث الدكتور مع أحدهما عن رأيه فى أسلوب الشباب الأدبى ، معلقا على كتاب من الكتب ... فقال إنه يكره جدا للشباب هذا الاتجاه نحو العامية فيما يكتبون ، وإن فى اللغة الفصيحة ما تمكن الكاتب من أن يبلغ نفوس القراء إذا كان يريد الحديث إلى أدنى طبقاتهم وأقلها ثقافة

وذكر فى هذا المجال عبارة الفيلسوف اليونانى القديم « قبل كل شئ يجب أن تتكلم اليونانية »

وجاء ذكر الأستاذ محمد السباعى فقال العميد إنه ممن استفدت منهم حقيقة ، وممن لهم الفضل الأول فى إعطائى صورة عن الأدب الإنجليزى ، وإن أول شئ قرأته عن سبنسر كان عن طريق ترجمة السباعى .. وأضاف الدكتور أن من خير ما أعجبه من إنتاج السباعى كتاب « الصور »

ومما يذكر فى هذا المجال أن مكتبة المعارف قد أخرجت للعميد كتابا جديدا ضخما اختار له اسم « ألوان » ... وهو خلاصة حية لفنون الأدب العالمى المعاصر « وألوانه »

بين الرافعى وشوقى

أشار الأستاذ « كمال النجمى » فى كلمة له فى « الجمهور المصرى » عن خصومات شوقى بين الرافعى والعقاد وجلة رأيه فى هذا أن الرافعى غير رأيه فى شوقى ، وأن العقاد ظل مصرا على رأيه فيه إلى النهاية .. وهذا الرأى بعد أن تبين للأستاذ النجمى ، أن ما كتبه الأستاذ شفيق منصور عن الكتاب « الذى لم يصدر » عن شوقى ، كان مجرد مداعبة للكاتب بمناسبة ذكرى أمير الشعراء

ومما يذكر فى هذا المجال أن الرافعى قال فى كلمته التى نشرها المقتطف بعد وفاة شوقى إن السر فى عبقرية شوقى أنه لم يكن « مصريا » .. وقد أزعجت هذه العبارة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى ففتح بابا أسبوعيا فى جريدة البلاغ عنوانه « مصر الشاعرة » ظل يختار فيه كل أسبوع لمحات من قصائد الشعراء المصريين طوال العصور الماضية تعزيزا لهجومه على رأى المرحوم الأستاذ الرافعى

ومن الذين غيروا رأيهم فى « شوقى » الدكتور هيكل .. فبعد أن كتب مقدمة الشوقيات كتب فصولا فى السياسة فى مهاجمة شوقى

حول الأدب النسوى

أرسلت إلى الكاتبة (ل . س) قصائد من الشعر المنثور ترغب فى نشرها فى الرسالة . . . وقد هاجمت الرأى الذى أعلنته فى إحدى المقالات السالفة عن « الأدب النسوى »

تقول : أدهشنى ياسيدى أنك تتجنى على المرأة بغير شفقة ناسيا أو متناسيا تلك القطعة النثرية الرائعة التى كتبتها « ابنة الشاطئ » والتى مطلعها

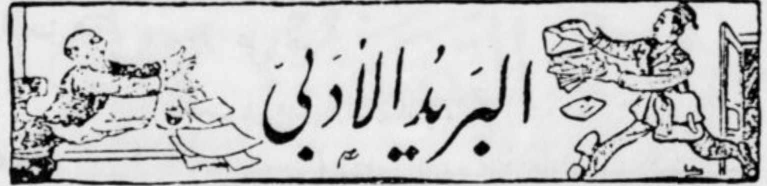
«شاقنى أن أرفع إليك نجواى...وقدفصلتنى عنك قطعة من الزمان..»

. . والحق أننى لا أعرف أن للسيدة الدكتورة بنت الشاطئ شعراً منثوراً .. أما أننى أتجنى على المرأة . . فلا وألف مرة لا

أنا على ثقة بأن « الأدب النسوى » لم يكتب بعد ، وأن كل مايكتب الآن ماهو إلا لمحات عامة ، لم تأخذ بعد الصورة النهائية الواضحة . . الجديرة بأن يطلق عليها هذا الاسم

صحيح أننى أقرأ هذه الأيام لأسماء جديدة :

. . . الزهرة ، الزهراء ، نعمات أحمد فؤاد ، نفيسة الشيخ ،



قيس بن ذريح أم قيس بن الملوح ؟

منذ أيام كنت أقرأ فى كتاب « أبحاث ومقالات » للأستاذ أحمد الشايب الذى صدر سنة ١٩٤٦ ، فوجدت فى مقاله السادس عن الغزل فى تاريخ الأدب العربى صفحة ٢٨٣ قصيدة :

تكاد بلاد الله يا أم مالك — بما رحبت يوما على تضيق « للمجنون » كما نسبها الأستاذ الفاضل فى كتابه ، ووجدت أن هذه القصيدة مازالت عالقة بذهنى ورأيت أننى كنت قد نقلتها عن « الأغانى » لأبى الفرج . فرجعت إليها وتحققت أنها لقيس ابن ذريح لا لقيس العامرى والتى من أبياتها ما يثبت صحة نسبها إليه :

سلى هل قلانى من عشير صحبته … وهل ذم رحلى فى الزمان رفيق
تكاد بلاد الله يا أم معمر … بما رحبت يوما على تضيق
تكذبنى بالود لبنى وليتها … تكلف منى مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أننى … لكم والهدايا المشعرات صديق
أزود سوام الطرف عنك وهل لها … إلى أحد إلا إليك طريق
تتوق إليك النفس ثم أردها … حياء ومثلى بالحياء حقيق
فإنى وإن حاولت صرمى وهجرتى … عليك من احداث الردى لشفيق

إلى آخر القصيدة. ولست أقصد من وراء هذا أننى أشك فى قيمة مقالات الأستاذ وإنما أود التحقق من صحة نسب هذه القصيدة بالذات مع خالص اعتذارى للأستاذ أحمد الشايب.. فالرجا التفضل بالشرح والتوضيح

ل . م

ولكنى لا زلت أرى هذه البراعم ماتزال فى طريق النضوج ، ولا يمكن الحكم عليها

قائمة سوداء

.. أما قصيدة الشعر المنثور « قائمة سوداء » التى تفضلت السيدة بإرسالها إلى فإن فى روحها معانى لامعة حية ، تدل على نفسية مجربة خبيرة ، قاست من الحياة وعانت ... فما المانع أن تصاغ هذه التجربة النفسية فى قصة . إنها إذن تكون غاية فى القوة والروعة ، ولن تتردد الرسالة فى نشرها

وإنى لأرجو أن تتفضل الكاتبة (ل . م) بأن ترسل إلى عنوانها لأرد على المسائل التى سألتنى عنها ردا خاصا لها ، فهو مما لا ينشر على صفحات مجلة الرسالة . ولها تحياتى وإعجابى

أنور الجندى

أوامر مهملة

إن الشعب الذى لا يستجيب لنزعات الإصلاح بل يتمرد عليها ، ولا يتمشى مع خطوات النهضة بل يسخر منها ، هو شعب لا يستحق الحياة ، ولا يصلح للعيش الكريم الذى يليق بالشعوب الكريمة

والأوامر التى تصدرها الدولة عادة تكون فى صالح الشعب ، فكان أحرى بالشعب أن يستجيب لها ويرحب بها وينفذها بدقة ، وأجدر به أن يجعل من نفسه حارسا لها من العبث والاستخفاف بها ، وقد كان العهد البائد رزءا ثقيلا على عبء الشعب المصرى ، جعله لا يلقى لأوامر الحكومة بالا حتى ولو كانت فى خدمته أو صالحه ، أما وقد انقرض العهد البائد إلى غير رجعة ، فالواجب على الشعب أن يفتح أعينه من جديد ليدرك فى أى عهد يعيش ، وليدرك أن العهد الجديد يتطلب شعبا جديدا يتعاون مع نزعات الإصلاح ويتمشى مع خطواته

وأعتقد أنه من أهم الخطوات الإصلاحية إيجاد شعب قوى يتمتع بصحة جيدة ، وعافية وافية، ولن يتيسر وجود هذا الشعب إلا إذا كان للأوامر الصحية لديه ترحيب وتقدير ، لا سخرية واستخفاف

وإليك مثلا واحداً لأمر واحد من الأوامر الصحية المهملة فى هذا البلد ، وهو أمر نلمسه جميعا صباحا ومساء وفى معظم أوقات اليوم ، فأنت حين تركب « تراما » أو سيارة عامة لا بد أن تقع عيناك على لافتة بارزة وواضحة للجميع كتب عليها « البصق والتدخين ممنوعان بأمر وزارة الصحة » كل منا قرأها مرارا وتكرارا ، ولكن هل هناك اهتمام لهذا الأمر ؟ كلا وألف كلا .. إن الركاب ولاسيما الطبقة المثقفة — ويا للأسف — يصرون على تدخين لفائف التبغ داخل المركبات العامة ويكاد

الدخان المتصاعد منها يطمس أحرف اللافتة ، ويصرون على البصق وهم يرمقون اللافتة بنظرات تنم عن السخرية والاستخفاف !

هذا مثل واحد للأوامر المهملة ، وأعتقد أنه لا يكفى أن تدون الأوامر فى لافتات إذا لم يكن وراءها قوانين قاسية تؤدب المخالفين ، وإلا فلن يكون مصيرها إلا الإهمال والاستخفاف !

نفيسة الشيخ

مهرجان الشعر

تحدث الأستــاذ أنور الجندى فى العــدد « ١٠٠٩ » من الرسالة الزاهرة عن مهرجان الشعر الذى دعت إليه جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة ، احتفالا بيوم الجيش .. وقد استوقفتنى أشياء عديدة فى حديثه ، إحداها أنه كان يود أن يسمع قصيدة عصماء من الأستاذ خالد الجرنوسى .. وهذا القول يدل على أن الأستاذ الجندى لم يشهد المهرجان ؛ لأن الأستاذ الجرنوسى ألقى فعــلا إحدى قصائده ؛ اللهم إلا إذا كان الأستاذ الجندى لا يرى فيها أنها قصيدة عصماء ! ؟

ويعجب الأستاذ الفاضل من أن الذين تحــدثوا كانوا من الشعراء الجدد ، ثم يتحدث عنهم بكثير من العطف ، أعتقد أنا ، ويعتقدون معى أنهم فى غنى عنه

وأرى أنه من الطبيعى أن يتحدث الشعراء الشبان ، لأنهم يمثلون — أصدق تمثيل — تطور العقلية الأدبيــة فى مصر ، ولأنهم أحسوا أكثر من غيرهم آلام وطنهم المـكبل ، فاهتزت عواطفهم ووجداناتهم الجائشة ، معبرة عن انفعالاتها ، وأيضا لأن أقلامهم الفنية لم تلوث بمداد الذلة والابتهال إلى الطغاة

وأخيرا أحب أن أقول للأستاذ أنور الجنــدى ، إنه من اللاحظ على كتاباته بصفة عامة .. أنه يصدر أحكاما سريعة ، دون أن يتعمق فهم المؤثرات المختلفة التى توجه التيارات الأدبية ، وتحدد ألوانها .. لاحظت ذلك فى حديثه عن الشعر المنثور ، وعما يسميه مذهب الفن للفن ، وفى حديثه عن الشعراء الجدد ، وغير الجدد ، وفى طريقة تناوله وفهمه للأدب المعاصر ..

محمد فوزى العنتيل

رد على نقد

طالعت فى عدد الرسالة الغراء رقم (١٠٠٥) القصيدة العصماء (وحى البردة) للشاعر المبدع الأستاذ ميشيل الله ويردى ، مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية ، وقد تناقلتها صحف كثيرة وقرظتها أجمل تقريظ ، ثم قرأت فى العدد (١٠٠٧) من الرسالة نقدا للسيد عبد اللطيف محمود الصعيدى يتعلق بكلمات فى القصيدة يظهر أن معانيها خفيت عليه فظنها حشواً ، مع أنه لا يعقل أن يلجأ إلى الحشو شاعر فحل كصاحب هذه القصيدة . ولعل للسيد الصعيدى بعض العذر لأن القصيدة نشرت بدون شكل كما أنه جاء فيها بعض أخطاء مطبعية ، فإيضاحا للحقيقة ونفعا لمن يمكن أن تخفى عليه معانيها الجلية رأيت أن أرد على نقد السيد الصعيدى مستنداً إلى قواعــد اللغة وأحدث المعاجم كالبستان والمحيط وأقرب الموارد

أولا — ليس الوسم بمعنى الوسامة ، بل هو مصدر وسم الشئ أى طبعه بطابعه ، أما الأرم فهو العلم ، ومن معانيها العلامة والأثر ، وأرم الشئ أرما ، شده وضم بعضه إلى بعض ، كضرب ضربا ، أو بفتح الراء كطلب طلبا ، ومنه الأرومة التى تضم الجذوع ، وتستعار فى الحسب ، والمعنى فى الحالين أن الاتحاد الفـكرى أهم من الشكلى

ثانيا — السلم بفتح اللام بمعنى السلام ، محيط ص ٩٨٨ ، وقــد وردت هذه الـكلمة فى قصائد كثيرة ولا مجال لإيراد الشواهـــــد

ثالثا — ليست (يكمد) بتشديد الدال بمعنى يستحب ، بل بمعنى كمد الشئ أى تغير لونه ، على وزن افعل مثل اربد واصفر الخ . والمعاجم لا تذكر الأفعال المزيدة إذا لم تغير الزيادة معناها ، ولا سبيل لنقد كلمة تجيزها القاعدة والذوق السليم

رابعا — اللدم خطأ مطبعى ، وصحتها (السدم) بتشديد السين المفتوحة وكسر الدال ، وهو الشديد العشق وقول الشاعر (ليس دعى الحب كالسدم) من الناحية المنوية كمعنى قول المتنبى (ليس التـكحل فى العينين كالـكحل) من الناحية المادية

خامسا — الحسم بضمتين الأطباء (البستان ص ٥١٣) وهى جمع حسوم أى الذى يقطع فى الأمر ويتممه على أحسن وجه ،



أرملة

عن الفرنسية

كان ذلك فى أوان الصيد فى قصر بانفيل ، والخريف مطير حزين ، والأوراق المنتثرة ذابلة محمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ، بل تعطن فى السكك بمدارج العجلات تحت شآبيب الذيم الهطالة

وكانت الغابة وهى جرداء إلا قليلا تشبه الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان الدوح العالى يصفقته وابل المطر شملتك رائحة مخمة وهبوه ماء من العشب المخضل والأرض المبتلة

والصيادون حناة الظهور يدبون تحت هذا الفيض الهتون ، والكلاب محزونة ذيولها مرسلة ، وشعرها ملتصق بآطالها ، والغانيات الصائدات فى أثواب الصوف المفصلة لاصقة مشربة بالبلل ، وهم كل مساء يؤوبون من الصيد أنضاء جسم وعقل أجمعين

وفى البهو الكبير بعد العشاء يجتمعون إلى لعبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة . وللريح فى الخارج هبات مدوية تدفع فى مصاريع الشبابيك المغلقة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق الأبراج فإذاهى من دوران كالخذروف المدوم

فأرادوا أن يسمروا بالحكايات كما تروى فى الكتب ، ولكن الله لم يفتح على واحد منهم بابتداع حكاية مسلية . ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم بالبنادق وتقتيلهم للأرانب ، وجعلت الغانيات يكددن أذهانهن ويتمصين فى ثناياها فلا يجدن خيالا كخيال شهر زاد يسعفهن بحكاية من أمثال حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث . وكانت إحدى الغانيات تعبث خالية البال بيد عمتها العجوز ، وهى عانس لم تتزوج ، فلحظت خاتما صغيرا من شعرات شقراء طالما وقع ناظرها عليه من غير أن تفكر لحظة فيه

فسألتها وهى تديره فى إصبعها بلطف : « ألا قلت لنا يا عمتى ما هذا الخاتم ؟ لكأنه شعر غلام يافع ... » فاحمار وجه العانس ثم اصفار ، وأجابت بصوت متهدج : « إن الأمر محزن جدا ، محزن جدا ، حتى لست أحب الكلام عنه . وكل مافى حياتى من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت فى غرارة الشباب وتقشد ، وما زالت تلوعنى الذكرى حتى ليغلبنى البكاء كلما خطرت فى نفسى »

فتلهفوا إلى سماع الخبر ، وأبت العمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت فى آخر الأمر :

« كثيرا ما سمعتمونى أتحدث عن أسرة سانتيز ، وقد انقرضت اليوم جميعا ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الأخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شعرات الأخير ، وكان فى الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريبا ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا معشرا عجيبا من المجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن مجانين ظرفاء ، مجانين غرام . فهم جميعا — أبا

ويطرد وزن فعل بضمتين فى جمع فعول

سادسا — الجسم بضمتين الأمور العظام ، (البستان ص ٣٦١) وهى جمع جسيم ، كقضيب وقضب بضمتين

سابعا — الرم بضم الراء المشددة ، الجوارى الكيسات ، وهى جمع رامة ، وقد ظنها الناقد بكسر الراء فكتب ما كتب دون أن يعود إلى المعاجم ، والمعنى أن النساء على ما فيهن من كياسة وظرف ، كن يعشن كالجوارى والإماء قبل عهد الرسول (ص) فلما اشترع حقوقهن كان أول من نادى بهذه المأثرة الاجتماعية ، ونصيحتى إلى السيد الصعيدى أن يعيد قراءة هذه الدرة النفيسة بعد استبدال عدسة منظاره بعدسة ناصعة ، فالإنصاف واجب فى مثل هذه الحال ، والسلام

دمشق حمدي بابل

عن جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبحات وإلى التفانى وفرط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين فى بعض النفوس . وشتان فى الطبيعة والمزاج بين أهـل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد فى أوساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عشق كعشق بنى سانتيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سيماهم . فكلهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جعدة وعيناه واسعتان ينفذ شعاعهما فى نفسك فيبلبلك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لذلك سببا

وكان جد الغلام — الذى رأيتم فى إصبعى تذكاره الوحيـد — له مغامرات عدة ومبارزات وسبى واستباحة للحريم . وقـد هام بعدها وهو فى نحو الخامسة والستين بابنة مؤاجر ضياعه . وإنى لأذكرها . وكانت شقراء شاحبـة اللون ، حسنة السمت والشارة ، تتـكلم متئدة وفى صوتها لين وترطيب ، ونظرتها حلوة غاية فى الحلاوة كأنها نظرة العذراء فى صور الرسامين . فأخـذها السيد الـكهل عنـده ، وسرعان ماأصبح متيما بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنه المقيمتان فى القصر يجدان الأمر طبيعيا لطول ماقر الحب فى تقاليد الأسرة . فالموضوع مادام محوره العشق فليس فيه ماتنـكرانه وتتعجبـان منه . وإذا دار الحـديث أمامهما عن هوى قامت الموانع دون قضاء لباناته ، أو عاشقين فسد مابينهما ، أووقائع الانتقام من الخيانة أونقض العهد قالتا معاً فى لهجة شجية : « له الله ! أو (لها الله) لشد ماقد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا المبلغ ! » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهمـا لترقان لمـآسى الحب ، ولا تنقمان قط على أصحابهـا ولو أجرموا

إلا أنه فى ذات خريف كان بين المدعوين للصيد شاب فى عنفوان الشباب ، هو المسيو دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسيو سانتيز هادئا كأن لم يحدث شئ . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشنوقا بمرقد الـكلاب وهى حوله

وقد مات ابنه مثل هذه الميتة فى فندق بباريس فى أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثرخيانة إحدى مغنيات الأوبرا له . وترك بعده ولدا فى الثانية عشرة وأرملة هى أخت أبى . وجاءت السيدة ومعها الصغير للمقام عندنا بأرضنا فى بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعا

ولايسعكم أن تتصوروا كيف كان هذا الصغير سانتيز مدهشا باكر النضوج قبـل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميـع صفات أسلافه من رقـة عاطفة وسبحات نفس جائشة قـد اجتمعت فيه ونزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالما ، يتمشى وحيدا ساعات كاملة فى ممشى رحيب بين أشجار الدردار الممتدة من القصر إلى الغابة . وكنت أرقب من نافذتى هذا الصبى الرقيق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويداه خلف ظهره مطرقا إلى الأرض ، وأحيانا يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان فى سنه

وكثيرا ما كان يدعونى للخروج بعد العشاء فى الليـالى المقمرة قائلا : « هلمى يا ابنة الخالة نحلم . . » فنمضى سويا إلى الروض . وكان يتوقف فجأة فى الفجوات بين تفاريج الشجر ، حيث تطفو تلك الهبوة البيضاء مثل نديف القطن يبطن بهـا القمر فجوات الغاب . ويقول لى وهو يشد على يدى : « انظرى إلى هذا ، انظرى إلى هذا ! ولـكنك لا تفهميننى ؛ إنى لأحس ذلك . لو أنك تفهميننى لـكنـا سعداء . لابد من الحب لمن شاء المعرفة » . وكنت أضحك وأقبله ، أقبل هذا الصبى الذى يحبنى مستهلـكا فى حبى . وكان أيضا بعد العشاء كثيرا ما يجلس على ركبتى أمى قائلا لها : « إيه يا خالة ، قصى علينا شيئا من قصص الحب » فتحكى له أمى على سبيل الدعابة أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لآبائه من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منهـا الألوف بعد الألوف من صحيحه ومفتراة . إن هؤلاء القوم قد أضاعتهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم تملـكهم العزة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به

وكان الصغير يهتز لهذه الحـكايات : لطيفها وفظيعها ، وكان فى بعض الأحيان يدق بيديه مرددا : « وأنا أيضا ، وإنى لأعلم بالحب منهم جميعا » . ثم جعل يتحبب إلى متنزلا فى استحياء وحنان عميق كانا مثارا للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان فى كل صباح يقطف لى جنى الزهر ، وفى كل مساء قبل صعودى إلى مقصورتى يلثم يدى هامسا : « أنا أهواك ! »

لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . وما زلت على هذا نادمة باكية لا يرقأ لي دمع . وإني لفي التكفير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بعده عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيبة الترملة ، أجل أنا له ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصبياني بل كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب ذات الدلال ، وكأني إلى جنب رجل ألاعبه وأخاتله . لقد فتنت هذا الغلام ودلهته بحبي . وكان الأمر عندي لعباً ومعابثة ، وعند أمي وأمه تسلية وترويحا . لقد كانت سنه اثنتي عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان يأخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذري ! فكنت أقبله ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق إليه وأقرئها أمي وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ، كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقدا أن صلتنا الغرامية كانت سرا مكتوماً ، وكيف لا وهو يعتد نفسه رجلا والأمر في عرفه الجد كل الجد . وقد غاب عنا أنه من بني سانتيز

ودامت الحال على هذا المنوال عاماً أو قرابة عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خر جاثياً عند قدمي ولثم حاشية ثوبي في اندفاع المهتاج مردداً : « أنا أهواك ، أهواك ، أنا ميت في هواك . وإذا خنتني في يوم من الأيام ، أسامعة أنت — إذا هجرتني إلى سواي فإني صانع مثلما صنع أبي ... » وأردف في صوت عميق يقشعر له البدن : « أنت عليمة بما صنع ! »

ولما وجمت ولم أحر جوابا نهض وشب على أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه طولا — ودعاني باسمي ، إسمي الأول ، « جنفييف ! » بنغمة حلوة جميلة رقيقة شملتني منها قشعريرة سرت من فرعي إلى أخمص قدمي

فنمنمت : « لنرجع ، لنرجع إلى الدار » . فلم ينبس بكلمة وسار في إثري ، فلما هممنا بصعود درج السلم استوقفني قائلا : « أتعرفين ؟ إذا هجرتني فإني قاتل نفسي »

فعلمت هذه المرة أنني تماديت حيث لا يجب التمادي وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات يوم يعتب على أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث المزاح وأصغر من جد الحب . وإني في الانتظار » . وحسبتني بهذا قد أبرأت ذمتي

وفي الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية ! فلما عاد في الصيف التالي كنت مخطوبة . فأدرك الأمر في الحال ، والتزم مدى ثمانية أيام هيئة المفكر الغارق في التفكير . فأهمني ذلك وساورني منه قلق شديد

وفي صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نومي فوقعت عيناي على رقعة صغيرة مدسوسة من تحت الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد هجرتني ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت على نفسي بالموت . وإني لأحب ألا يعثر بي أحد غيرك ، فتعالى إلى الروض في نفس الموضع الذي قلت لك فيه أني أهواك وتطلعي في الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسرعت بارتداء ثيابي وهرولت على عجل أجري وأجري وأكاد أتساقط إعياء إلى المكان المعين . وإذا قبعته الصغيرة المدرسية ملقاة على الأرض في الوحل . فقد كانت الليلة مطيرة . ورفعت طرفي فأبصرت شيئاً معلقاً يترجح بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدري بعد ذلك ماصنعت . لقد صرخت أول الأمر ولا ريب ، ولعلني سقطت بعدها مغشيا علي ، ثم عدوت هائمة على وجهي إلى القصر . وثبت إلى الرشد في فراشي وأمي إلى جانبي تخيل إلي أني رأيت مارأيت كله في هذيان حلم فظيع . فنمنمت: « وهو ، هو ، جونتران ؟ » فلم يجبني أحد . إنها الحقيقة

ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة طويلة من شعره الأشقر . وهذي ... هذي ... هي ... »

ومدت العانس يدها الراجفة بحركة القانط المقطوع الرجاء وأخرجت منديلها ومخطت مرات ومسحت عينيها الدامعتين واستأنفت تقول : « ونقضت الخطوبة دون إبداء سبب ... وبقيت ... العمر كله أرملة ... أرملة ... هذا الصبي ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها وبكت طويلا بدموع الذكرى

ولما انصرف المدعوون إلى حجراتهم للرقاد، مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى أن رقة الوجدان إلى هذا الحد بلاء وشر بلاء !

ع . ص

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *

* كل امرئ يأتى عليه حين من *

* دهره يظن فيه أن آلام *

* فرتر إنما كتبت *

* له خاصة *

(الطبعة الثامنة)

(الثمن ٢٥ قرشاً)

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف * جوته * الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٣٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرواية

تعـــــود

و

الرسالة

تتجـــــدد

في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1011

Le Caire 17 — 11 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ صفر سنة ١٣٧٢ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

يا لجراحات الوطن الاسلامى!

للأستاذ سيد قطب

تمثل فرنسا على مسرح الشمال الإفريقى فى هذه الأيام أبشع مآسى « الرجل الأبيض » حتى إذا تحركت الكتلة العربية الآسيوية لتحول بين فرنسا وبعض شناعاتها فى هذه الرقعة من الأرض، وقف موسيو روبير شومان وزير الخارجية الفرنسية ينذر وزير الخارجية الأمريكية بأن فرنسا سترفض التصديق على معاهدة الصلح الألمانية وتوقيع ميثاق الدفاع عن غرب أوربا، كما ستنسحب من حلف الأطلنطى إذا أيدت الولايات المتحدة التونسيين والمراكشيين فى الأمم المتحدة

وحق لفرنسا أن تهدد أمريكا. فهى تعلم أن أمريكا غير جادة فى نصرة قضية تونس ومراكش، ولكنها تضحك على ذقون العرب والمسلمين حين تتظاهر بتأييدهم فى قضاياهم ضد الاستعمار الأوربى. ولو كانت جادة لوجدت الوسيلة، فإن فرنسا وإنجلترا تعيشان عالة على أمريكا. ولو أمسكت عنهما المدد لأفلستا. فهى تملك إذن أن تصنع شيئا لو أرادت، ولكنها لا تريد

واللعبة الأمريكية فى موقفها هذا مكشوفة .. إنها تدع فرنسا تهدد وتخضع لهذا التهديد الوهمى، الذى ما كانت فرنسا لتتقدم عليه لو أنها تعلم أن أمريكا صادقة النية. كذلك تستخدم دول أمريكا اللاتينية للغرض نفسه فتوحى إليها أن تعارض أى نص قاطع يؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال. ليكون ذلك تكأة لأمريكا فى التراجع!

وقد صرح رئيس الوفد الإندونيسى بأن أعضاء الكتلة العربية الآسيوية التى تعمل لوضع مشروع قرار بتشكيل لجنة معظم أعضائها منهم، قد تخلوا عن الفكرة الأولى التى تقتضى بأن يتضمن مشروع القرار فقرة تؤكد حقوق التونسيين والمراكشيين فى الاستقلال وذلك خشية عدم تأييد دول أمريكا اللاتينية للقرار، إذا قدم متضمنا هذه الفقرة ...

ووراء هذا كله أمريكا. فقد صرح مستر فيليب جيسوب رئيس الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم بأن الولايات المتحدة تحاول إقناع الكتلة العربية الآسيوية بعدم التطرف فى عداء فرنسا وأنه « سعيد » لأن أعضاء هذه الكتلة قد بدأوا يتراجعون عن موقف التطرف الشديد فى عدائهم لفرنسا! وقال كذلك: إن الولايات المتحدة تريد أن يكون مشروع القرار الذى سيقدم إلى الأمم المتحدة معتدلا بحيث يقتصر على مطالبة الفريقين باستئناف المفاوضات!

هذه هى المأساة التى تمثل فى هذه الأيام على مسرح هيئة الأمم بمعرفة أمريكا والاستعمار الأوربى. ومع ذلك فنحن ببلاهة منقطعة النظير نقف لننتظر العون الأمريكى الذى يخلصنا من

الاستعمار الأوربى !

إننا ننسى أن العالم الأوربى والعالم الأمريكى يقفان صفا واحدا بإزاء العالم الإسلامى . والروح الصليبية القديمة هى هى ما تزال . إننا ننسى هـذا لأن فينـا منغفلين كثيرين ومغرضين كثيرين يضللوننا ، وينشرون دعاية مغرضة عن رغبـة أمريكا فى إنصاف الشعوب المستعبدة ، ومساعـدة الشعوب المتأخرة . . ومع أننـا ذقنا الويل من أمريكا فى فلسطين ، فإن أجهزة الدعاية الأمريكية تعمل . و« جمعية الفلاح » تظهر فى الميدان ، وتقوم بواجبها !

إن جراحات العالم الإسلامى تنبض بالدم فى كل مكان وأمريكا واقفة تتفرج . بل تساعـد المستعمر الأوربى القذر . ومع هـذا توجد صحف ويوجد ناس . ناس مصريون ومسلمون ، يتسمون أحمد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . . يتحدثون عن تمثال الحرية فى ميناء نيويورك ، وعن فرنسا أم الحرية !

وأحيانا يسألك بعض المتخاذلين أو بعض المدسوسين : وماذا عليك أن نصنع ونحن ضعفاء ؟

ماذا نصنع ؟ إذا لم نستطع أن نحطم الـكف التى تمتد إلينا بالسوء ، فلا يجوز أن نقبلها . ونحن نقبل الـكف التى تصفعنا !

إذا لم نستطع أن نصنع شيئا ، فلنحتفظ على الأقل بأحقادنا المقدسة ، ولنورثها أبناءنا ، فقد يكونون فى ظروف تمكنهم من رد الجميل للرجل الأبيض !

إن الرجل الأبيض يدوسنا بقدميه ، بينما نحن نحدث أولادنا فى المدارس عن حضارته ومبادئه العالية ومثله السامية !

إننا نغرس فى نفوس أبنائنا عاطفة الإعجاب والاحترام للسيد الذى يدوس كرامتنا ويستعبدنا !

فلنحاول أن نغرس بذور الـكراهيـة والحقد والانتقام فى نفوس الملايين من أبنائنا . ولنعلمهم منذ نعومة أظفارهم أن الرجل الأبيض هو عدو البشرية وأن عليهم أن يحطموه فى أول فرصة تعرض . ولـكن واثقين أن الاستعمار الغربى سيرتجف حين يرانا نبذر هذه البذور

إن هذا الاستعمار هو الذى حاول أن يغرس فى نفوسنا حبه واحترامه . فلما خشى اليوم أن نستيقظ اخترع حكاية « اليونسكو » ودعا هذا « اليونسكو » إلى حذف كل ما يثير الأحقاد القوميـة فى دراسة التاريخ . وذلك باسم الإنسانية والإخاء البشرى !

وهذه لعبة استعمارية جديدة يجب أن نتنبه إليها . إننا إذا اتبعنـا تعاليم اليونسكو فسنخدر كل شعور قومى ناهض . ولن يستفيد من هذا التخدير سوى الاستعمار . وهذا ماتقصد إليه هيئة اليونسكو !

إن أوربا وأمريكا دول مستعمرة . فماذا عليها من حذف كل ما يثير الأحقاد القومية فى دراسة التاريخ ؟ إنها تكسب بهذا ولا تخسر شيئا . أما نحن فإن الاستعمار يخنقنـا . فإذا لم ننبه شعور الحقد عليه فقد خسرنا السلاح الأول وخسرنا المعركة كلها . .

ومع هـذا فإن عنـدنا مصريين مسلمين يتسمون : أحمـد ، وحسين ، وحسن ، وعلى . . يعملون فى مصر باسم «اليونسكو» وينشرون الأضاليل ، ويخدعون أمتهم ، ويحاولون تنويمها باسم الإخاء الإنسانى !

إن جراحات الوطن الإسلامى دامية فى كل مكان ، فلا أقل من أن نحتفـظ بالـكراهية والحقد لمن يدميهـا . أما مبادئ اليونسكو الجميـلة فنحن على استعداد لاعتناقها يوم يتقلص ظل الاستعمار الأسود عن أوطاننا الدامية الجريحة

لقد عرفنا نحن مبادئ الإخاء الإنسانى قبل اليونسكو بأربعة عشر قرنا . عرفناها وطبقناها ، على أنفسنا وعلى سـوانا . ولم نجعلها خدعة ولا فخا ، كما يجعلها الرجل الأبيض . فهذه المبادئ ليست جديدة علينا . ولـكن ديننا الذى جاء بها مبكرا جـدا ، علمنـا كذلك أن نقاتل من يعتدى علينا ، وألا نأمن له ولا نستنيم ، وأن لا نسالم أحدا يعتدى على شبر واحد من الوطن الإسلامى ، أو يناهض العقيدة الإسلامية ويؤذى معتنقيها

« إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »

والرجل الأبيض — سواء كان ذلك فى أوربا أو أمريـكا أو روسيا — يقاتلنا فى الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر على إخراجنا . ومع هذا يوجد ناس مسلمون يتسمون : أحمـد ، وحسين ، وحسن ، وعلى ... يوالونهم ، ويروجون دعاياتهم ، ويمكنون لهم فى رقابنا . ثم يحاولون أخيرا أن يخدروا أحقادنا

بمناسبة الذكرى الثالثة

على طه وبيرون

للأستاذ أنور المعداوى

هكذا [1] كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين . لقد كانت تلك الحياة فى رأيه أو رأى شعوره هذرا وتفاهات ، لأنها قد خلت مما يبهج القلب ويؤنس الروح وغدت وهى دموع وزفرات ؛ وجوهر شخصيته كما قلنا لك أنه لم يخلق للقيود وإنما خلق للحرية ، ولم يخلق للدموع وإنما خلق للبسمات .. وما كان أشبهه بالشاعر الإنجليزى « بيرون » فى هذه الناحية النفسية أو فى هذا المجال ؛ لقد كانت الفكرة السائدة عند بعض كتاب التراجم عن هذا الشاعر هى هذه الفكرة المنحرفة حين يقولون : « لقد كانت طبيعة بيرون الحقة أنه إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وأنه إذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وأنه قد ظل على هذا الحال طوال

(١) فصل من الفصول الجديدة فى كتاب أعده المؤلف للطبع ، عن حياة الشاعر وشعره .. أما بداية الحديث هنا فتعلقة بنهاية الفصل السابق حيث ورد هذان البيتان من قصيدة فى « بحيرة كومو » :

شاعر النيل طف بهـا غنها كل مبتكر
الثـلاثون قـد مضت فى التفاهات والهذر !

القدسة . حتى هذه الأحقاد التى يجب أن نورثها أبناءنا على الأقل مع العار الذى سنورثهم إياه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامى تدمى فى كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئا

إن فرنسا تمزق جسم الوطن الإسلامى فى تونس والجزائر ومراكش ، وإنجلترا تقوم بدورها فى مواضع أخرى ، وأمريكا من خلفهما تبدو تارة وتتوارى .. هذا ما يجب أن نذكره صباح مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكرة وعشيا

سيد قطب

حياته فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأجدرها بالخلود ! »

ولقد صححنا تلك الفكرة المنحرفة فى الصفحة الثالثة والأربعين من كتابنا « نمـاذج فنية » ، حيث ورد فى معرض السؤال هذا الجواب : « هذه الفكرة تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . إن الألم فى حياة الشاعر الإنجليزى لم يكن ألما بالمعنى المفهوم عند الشاعر الألمانى ، ولكنه كان لونا من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هذا التحرر كانت تنبعث أغانيه حلوة عميقة صادقة . لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحـوا والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة ساخطة ، ثائرة ، تشكو هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء !

من هذه الكلمات الوجيزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . يقول بيرون : لقد هببت من نومى ذات صباح فألفيتنى مشهورا يتردد اسمى على كل لسان . قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى الناشرين فدفعوا به إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! لقد جادت قريحته الوثابة بهـذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به العباب إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة .. الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيرا ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحـانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلد هارولد » ! إن الطبائع الفنية معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج

فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه أو يسطع إذا ما انتقل من حال إلى حال ! »

فى هذه الناحية النفسية تتفق طبيعة شاعرنا المصرى وطبيعة الشاعر الإنجليزى على التحقيق .. كلاهما سخط على الألم كل السخط ، وعشق اللذة كل المشق ، ووزن أيام الحياة بما فيها من متعة الحس والنفس حيث تقوم الحياة فى رأيه بكل عيد من أعياد الشعور .. تتفق الطبيعتان هنا ويلتقى المزاجان ، ولكن خط السير نحو الغاية المنشودة يختلف عند على طه عنه عند بيرون ، تبعا لاختلاف البيئة والنشأة وأثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية ! لقد كانت المرأة مثلا تشغل حيزا كبيرا من حياة الشاعرين وفنيهما على حد سواء . ولقد طاف كلاهما بالجسد الأنثوى ذلك الطواف الذى يطالعك من شعره فى صورته القوية العارمة ، حتى ليخيل إليك أن مفاتن هذا الجسد كانت هى الكوى الشعورية التى نفذ منها إلى تذوق الحياة .. كان شعورها نحو المرأة هو هذا الشعور ، ولكن شتان فى الإعجاب بها بين نظرة ونظرة وفى الوصول إلى حقيقتها بين طريق وطريق !

لقد انحدر بيرون من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناء عن آباء ، حتى لقد خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة وانحراف النشأة .. كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، ثم لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الفتى الجميل المدلل الذى لا يمد عينيه أبدا إلى الأمام ؛ الفتى الذى لا يتحرج عند جموح الشباب وسطوة الغريزة من أن يحطم فى سبيل شهواته كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! كان إذا ماتردى فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد عشاق هذا الفن ومريدوه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة إلى رجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الشريرة الجامحة فى شخص « أوجستا » أخته من أبيه ! ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » وهى القصة الشعرية التى تصور طبيعة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو حقيقة الهوى الآثم بين «أوجستا» و «بيرون» كما نقلتها إلينا أصدق الأخبار والروايات .. صحيح أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك ؟ يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور !

ولم يكن على طه فى علاقته بالمرأة أو فى نظرته إلى الجسد الأنثوى من هذا الطراز . لقد كان طرازا آخر بلا مراء ، أوصورة أخرى ستعرف على التحقيق ألوانها النفسية فيما يلى هذا الفصل من دراسة تحليلية (٢) .. إن هذا المثال المستخلص من حياة الشاعر الإنجليزى ، قد قصد به الإشارة إلى اختلاف خط السير عند الشاعرين تبعا لاختلاف البيئة والنشأة كما قلت ، أو تبعا لاختلاف أثر الوراثة فى تكوين الشخصية الإنسانية . وتبقى بعد ذلك نقطة الالتقاء بين على طه وبيرون فى زاوية واحدة تحددها المشابهة بين طبيعتين ؛ تلك المشابهة التى تضع بين أيدينا المفتاح الحقيقى لجوهر الشخصيتين فى لقاء الحياة ، وهو أن كليهما لم يخلق للألم وإنما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وإنما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيد وإنما خلق للتحليق شأن كل طائر طليق ؟

ولقد عاش على طه فترة من حياته فى ذلك الجو الرومانسى الذى تلوذ فيه النفس بالوحدة وتأوى إلى العزلة وتستشعر قسوة الاغتراب ، وتلك الفترة التى عاشها شاعرنا كانت فى حساب الزمن نصف ماقدر له من أيام الحياة.. ولقد مرت على بيرون من ذلك الجو الرومانسى لحظات ؛ لحظات وإن كانت عابرة إلا أنها عكست على بعض فنه خصائص ذلك الجو كما تبرزها فى الأعم الأغلب أشعار الرومانسيين . لقد عرف على طه فى حياته تلك الرومانسية الوجودية التى استحالت فى شعره الأول إلى رومانسية فنية وكذلك عرفها بيرون ، ولكنهما على اتفاقهما فى هذه

(٢) هذه الدراسة التحليلية المطولة خص بها المؤلف مجلة « الآداب » اللبنانية التى ستصدر فى الغد القريب عن « دار العلم للملايين »

الظاهرة يختلفان فى التعرض لها والتأثر بها بعض الاختــلاف ، سواء أكان ذلك فى مجال الشعور أم فى معرض التعبير .. وهنا كما كان هناك ، يلتقى الشاعران فى الغاية ولـكنهما يفترقان فى خط السير نحو هذه الغاية حيث يمضى كل منهما فى طريق !

ارجع فى باب « الدراســة الفنية » لشعر على طه إلى قصيدة « الله والشاعر » ، لترى أننا قد سجلنا حول تلك القصيدة هذه الـكلمات : « هذه الواقعية النفسية الوجودية التى تسير فيها لفتة الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هى التى تطالعنا من قصيدة « الله والشاعر » .. وهى واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الـكبرى المتبادلة تبادلا كونيا بين الله والإنسان ، وهى حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة فى قرار الذهن البشرى منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنسانى يفكر فى واقع هذا السير الطويل فى طريق الحياة ، ويناقش علة وجـوده وغاية بقائه وما بعد فنائه ، هناك حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلا فى عالمى الثواب والعقاب .. ونقول الجزاء الحق أو غير الحق ، مادامت هناك صيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لايملك أمام القوة العليا شيئا من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ، وإنما هو يدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويسير فيسير ، وأنه تبعا لهذه القدرة المسلوبة والحرية المفقودة لاينبغى أن يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفصح عنه هذه الصيحة التى تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر ، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيرا من أمر نفســه ومن أمر دنياه ، فهو قابض على الزمام لا يفلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لاينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لايحيد عنها إلا بمحض هواه ؛ فهو مخير تركت له الحرية فإذا أساء فهمها فعليه أن يتقبل ماأعد لهمن جزاء ، وأنه لجزاء يتسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحـاب الصيحتين الخالدتين فإن مكانه هناك مع الفريق الأول .. هو معهم فى اتفاق النظرة واتجـاه الفكرة ولـكنه يفترق عنهم فى احتفاظه بإيمانه الذى لاتودى به كل تلك العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الـكبرى من زاويتين : الأولى ليــدافع عن الـكيان الإنسـانى أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدما فى دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذى يعرض المقدمات عرضا شعريا ترتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيها الفـكر . والثانية ليعبر عن حريته البالغة وحـيرة القافلة الإنسانية وهى تتخبط فى صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل فى رحاب الواحة الإلهية ، فرارا من وطأة القيظ ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة ، وبين الأنين والحنين ، وبين العذاب المهذب والخضوع العميق .. وهو آخر الأمر معذب لا يدرى أين يستقر ولا إلى أى وجهة تمضى به قدماه : خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ؛ ولـكنه فى غمرة تلك التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لايشك أبدا فى رحمة الله » !

هذه الأفـكار والمشاعر التى طاف حولها عقل شاعرنا وقلبه هى فى حقيقتها أثر من آثار ذلك الجو الرومانسى الذى عاش فيه ؛ وهى نتيجة مباشرة لظروف الوحـدة النفسية والعزلة الروحية والانفراد الذاتى كما نعهدها فى حياة الرومانسيين ، هناك حيث يدفع الإنسان دفعا إلى إطالة التأمل فيما حوله من حقائق الـكون وغاية الوجود ومصير الركب الإنسانى بعد انتهاء الحياة ؛ ومثل هذا التأمل لا بد أن يفضى بصـاحبه آخر الأمر إلى التعرض لموقفه وموقف الإنسـانية جمعاء إزاء الخالق العظيم . هكذا فعل على طه فى قصيدة « الله والشاعر » وهكذا فعل بيرون فى مسرحية « قابيل » .. إن شخصية قابيل فى تلك المسرحيـة الشعرية ما هى إلا إحدى شخصيات بيرون التى كان يصور معالمها بصدق وأصالة ، ليعبر بها عن حالة خاصة من حالات نفسه وهى معرضة لهزات الوجود ! اتفاق والتقاء ، ولـكن خط السير هنا مختلف كما قلت بعض الاختلاف عن خط السير هناك ، لأن هذه الشخصية « البيرونية » فى مسرحية « قابيل » ثائرة على الخالق ســاخطة على القدر متمردة على السماء ، تريد أن تبرئ الإنسـان من كل شر وفساد عرفتهما الأرض ، محاولة أن ترد

كليهما إلى تلك القوة العليا التى تسيطر على الكون وتوجهه إلى مصير معلوم . تحاول هذا ثم تدفعها الثورة العاصفة والعصيان الجامح إلى حد التخيل بأنها « إبليس جديد » ، جاء لينتقم للانسانية المظلومة من خالقها الذى لاتلقى منه غير الظلم والعذاب .. وهى بعد ذلك تنتظر على يديه ألوانا من الحساب والعقاب !

ثورة عند بيرون ينقصها التهذيب ويعوزها التبصر وتتشح بثوب التجديف ، وحيرة عند على طه لا تبلغ هـذا المدى من الهوس والتنكر والاندفاع ، لأنها حيرة لا تنتهى بصاحبها إلى التمرد ورفع راية العصيان ، وإنما تنتهى به إلى راحـة نفسية مصدرها الخضوع والإذعان !

ولقد قلنا فى سياق الحديث عن قصيدة « الله والشاعر » إن تلك القصيدة تمثل الواقعية النفسية خير تمثيل ، فـكيف يتفق هذا مع القول بأنها من نتاج ذلك الجو الرومانسى الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشبـاب ؟ كيف تجتمع « واقعيـة » و « رومانسية » فى أثر واحد من آثار الفن دون أن يكون هناك شئ من التعارض والتناقض والشذوذ ، مصدره أن موازين النقد فى أدب الغرب قد وضعت حدودا فنية « فاصلة » بين هـذين اللونين من ألوان الأدب ؟ سؤال مقصود لأن الجواب عنه كذلك مقصود ، ومن وراء السؤال والجواب نهدف إلى الـكشف عن حقيقة المشكلة كما ينطق بها الواقع الملموس !

هل قرأت « آلام فرتر » لجيته ، و « رفائيل » للامرتين ، و « رينيه » لشاتوبريان ، و « أدولف » لـكونستان ؟ هـذه القصص الأربع يضمها النقاد فى « خانة » القصة الرومانسية وهم يقسمون ألوان الأدب ومذاهبه تبعا لما يتسم به هذا الأدب من خصائص ومميزات ، يردونها عادة إلى شتى العوامل النفسية التى طبع بها العصر وتركت آثارها فى كتابه ، بعد اتفاقهم على أن الأدب نتـاج مجتمعه وثمرة بيئته ومرآة جيله التى تنعكس على صفحتها معالم ذلك الجيل . وتبعا لهذا التقسيم الفنى الذى انتهى إليه النقد عرف النـاس أن هناك أدبا رومانسيا وآخر واقعيا فى عرف التسمية المذهبية ، وإن لم يستطع النقد فى « واقع الأمر » أن يفصل فصلا تاما بين خصائص كل لون من ألوان الأدب وهو فى خانته الفنية . . لم يستطع النقد أن يوفق إلى تلك التفرقة الـكاملة لأنه نسى أن بيئة الأدب فى عصر من العصور لا يمكن أن تكون « خالصة » لطابع نفسى بعينه ، يلقى ظله الخاص على وجه ذلك الأدب دون أن يفسح مكانا لظل سـواه ! لو فطنت موازين النقد إلى تلك الحقيقة لما وجدت بدا من التعديل فى وضع الحدود الأخيرة للمصطلحات الفنية وتقدير خط السير لاتجاهات الأدب تقديرا نهائيا لا رجعة فيه ! إنك قد تقرأ قصة تمثل اتجاها رومانسيا فى عرف النقاد وهى لا تخلو فى بعض مواقفها من اتجاه واقعى هنا أو هناك ، ثم لا تجد فى هذا شيئا من الغرابة إذا ما وضعت نصب عينيك هذه الحقيقة المادية ، وهى أن عصرا من العصور ينتج فنـا من فنون الأدب ، لا يمكن أن يتسم بسمة شعورية واحدة تترك آثارها التعبيرية الواحدة التى تندرج فى جملتها تحت عنوان ! هل نريد بذلك أن نلغى تلك المصطلحات الفنية التى اتفق عليها نقاد الأدب محددين بها اتجاهاته ومراميه ؟ كلا .. وإنما نريد أن نصحح وضعا هو على التحقيق يحتاج إلى تصحيح ، عندما نقرر مطمئنين أن تلك التحديدات المذهبية يعوزها شئ من التعديل ، عماده أننا إذا قلنا عن طابع عصر من العصور إنه رومانسى فيجب أن يفهم أننا نعنى الطابع الغالب لا الطابع العام ، ونقصد المظهر البارز لا المظهر الشامل ، ونشير إلى السمات الرئيسية لا السمات الـكلية ؛ وفى ضوء هذا التحديد يجب أن ينظر إلى ما كتبناه عن « طابع العصر » الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشباب !

ونعود مرة أخرى إلى تلك القصص الرومانسية الأربع فى ضوء هـذا التحديد ؛ نعود إليها لنقرر أنها توضع أيضا فى خانة الواقعية دون أن يكون هناك شئ من التناقض والشذوذ . . هى « رومانسية » إذا نسبت إلى الجو النفسى القاتم الذى كتبت فيه ، أو إلى الخصائص الفنية التى اصطلح عليها النقاد . وهى «واقعية» إذا نسبت إلى واقع الحيـاة التى كان يحياها أصحابها فى ذلك الحين ؛ الحياة الذاتية التى تسجل حقيقتهم الإنسانية والتى قد

تنطبق على غيرهم من الناس . أليس هذا هو واقعهم النفسى فى فترة من فترات العمر سجلتها فى تلك القصص سطور وكمات ؟ هو كذلك بلا جدال ، وإنه لواقع عصر فى صورته الغالبة لا فى صورته العامة تبعا لما سبق من تحديد .. وفى هذا كله ما يفسر لك انتفاء التناقض فى الجمع بين كلتين : هما الواقعيــة النفسية والرومانسية الوجودية !

وفى معرض المقارنة بين شاعرنا المصرى والشاعر الإنجليزى نقدم هــذا السؤال : هــل تأثر على طه فى شعره بذلك الاتجاه الرومانسى الذى نلمحه عند بعض الشعراء الغربيين ومن بينهم بيرون ؟ سؤال مقصود أيضا لأن الجواب المنتظر عنه مقصود ؛ حين نفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة والصفحة التى تليها من الجزء الثالث من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين فنجد هذه الكلمات : « ومن الكتاب من يقول إن شاعرنا تأثر بأبى العلاء ثم يضيق بهذا التأثر . ولست أدرى أتأثر شاعرنا بأبى العلاء حقا أم تأثر ببيرون أم تأثر بهما جميعا وبقوم آخرين غيرهما أم لم يتأثر بأحد، وإنما لقى من لقى من الشعراء مصادفة وعلى غير قصد ولا عمد . وأحس أنا فى قصيدة أخرى أسماها « غرفة الشاعر » روحا « لموسيه » ، ولكنى لا أدرى أهو روح الذى قرأ فتأثر أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا فلق موسيه فى هذا كله أو فى بعضه . ولست أتردد فى الرضا عن هــذه القصيدة والحب لها والإعجاب بها . ولست أكره أن تشاركنى فى هــذا الرضا وأن تشاطرنى هــذا الحب والإعجاب ، فاقرأ معى هــذه القصيدة وقف معى عنــد بعض أبياتها وقفات قصارا . . . هذه الصور المتتابعة المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حــد ما عن المألوف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد فى غرفة يضطرب فيها نور ضئيل شاحب ، وتفنى فيها بقايا الجذوة فى الموقد ، وكل هذا يألفه الغربيون ، وهو يذكر بموسيــه تذكيرا قويا . وبعض النــاس يعيب شاعرنا « بتغريب » الشعر ، أما أنا فأحمد له هــذا النوع وأراه تشريفا للشعر العربى ورياضة للذوق الشرقى وللغة العربية على أن يسيغا مالم يتعودا أن يسيغاه من قبل . وإذا كان لى أن آخذ الشاعر بشئ فهو ماقدمته من أن الأمر يختلط فى شعره على القارئ فلا يدرى ألقى زملاءه الغربيين والشرقيين مصادفة أم عن تعمد وسعى » !

إن السؤال مقصود هنا لأن اسم الشاعر الإنجليزى بيرون قد ورد فى سيــاق الحديث الذى دار به الدكتور حول قصيدة « الله والشاعر » ، أما آثار بيرون الفنيــة التى لا « يدرى » الدكتورهل لقيه فيها شاعرنا المصرى مصادفة أم عن تعمدوسعى! أما تلك الآثار فلم يشر إليها بكلمة واحــدة تفصح عن حقيقتها حين يطلب إلى الدارسين مثل هذا الإفصاح . . ولا ندرى نحن هل كان يقصد مسرحية « قابيل » التى ذكرناها عند المقارنة بين الشاعرين أم كان يطلق القول إطلاقا بغير تحديد ! إن غاية مايقال هنا أننا قد تعرضنا لقصيدة على طه ومسرحية بيرون ، وانتهينا إلى أنهما متفقتان فى الهدف ولكنهما تفترقان فى خط السير حتى ليــذهب كل من الشاعرين فى طريق . وما أبعد الشقة بينهما فى حساب النقد الذى يلمس الفارق بين فكرتين قد اختلفت حولهما القيم الشعورية والتعبيرية !

لقد أدار الدكتور المفتاح مرة أخرى فى ثقب الباب ولم يفتح ؛ أما ذلك المفتاح فلم يكن غير تلك العبارة التى ساقها وهو يفترض وجود شئ من التجاوب الفنى بين على طه وموسيه . . ترى أهو روح الذى قرأ فتأثر ، أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا ، فلق موسيه فى هــذا كله أو فى بعضه ؟ إن الدكتور هنــا أيضا لا « يدرى » ولا يستطيع أن يقطع برأى لأنه لا يملك الدليــل . . والدليل الذى يعوز الدارسين كما قلنا ونحن نتحدث عن هــذه القصيدة فى باب الدراسة المذهبية مرجعه إلى عدم الإحاطة بظروف الحياة التى تنتج الفن ، وتضع بين أيديهم أداة الربط بين شخصية الكاتب وما كتب أو بين شخصية الشاعر وما نظم وتحول بينهم وبين السؤال الذى يبقى بلا جواب ! لو رجع الدكتور إلى حياة شاعرنا فيما قبل الثلاثين كما استعرضناها فى الفصلين السابقين ، لأدرك أن الشعور بالحزن فى « غرفة الشاعر » أو الشعور بالحيرة

فى « الله والشاعر » كان طبيعيا لا أثر فيه للتقليد والمحاكاة ، وأن ذلك الروح الذى أحسه فى هاتين القصيدتين كان روح الشاعر الذى يحير فى صدق فالتقى فى حيرته عن غير قصد مع بيرون ، وتألم فى صدق فالتقى فى ألمه عن غير عمد مع موسيه

. . إن التشابه بين إنتاج الرومانسيين أمر لا غرابة فيه ولا موضع للدهشة وافتراض الفروض ، لأن الأجـواء النفسية التى حلقوا فيها بالشاعر وجالوا بالخواطر كانت متشابهة أو كان التوافق بينها جد قريب ؛ ومن هنا لا يجوز لنا أن نسأل عن تلك العلاقات التأثرية بين أصحاب الآثار الرومانسية ، إلا إذا استطعنا أن نثبت وجـود شئ من تلك العلاقات بين جيتـه فى « آلام فرتر » ولا مرتين فى « رفائيـل » ، وكونستان فى « أدولف » ، وشاتوبريان فى « رينيه » !

ولقد قلنا إن مشكلة التفـكير الإنسانى فى المصير وما يتعلق بها من بحث حول « شرعية » الثواب والعقاب مشكلة قديمة ، ومما لا شك فيه أنها قدسبقت بقدمها أفكار هؤلاء الذين تعرض لهم الدكتور فى حديثه وخص منهم بالذكر شاعرين هما بيرون وأبو العلاء . . وإذن فلا مبرر للتساؤل عما إذا كان على طه قـد تأثر بهذين الشاعرين فى قصيدة « الله والشاعر » لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى سؤال !

إن المشكلة قديمة وجديدة فى وقت واحـد لأنهـا مشكلة الأمس واليوم والغد القريب والبعيد ، مادامت هناك فترات قلق تمر بحياة الإنسانية المفـكرة الشاعرة وتدفعها إلى إطالة التفـكير فيما وراء هذه الحياة . . هل نحن مسيرون ؟ هل نحن مخيرون ؟ هل نحن أصحاب إرادة فيما نقدم عليه من عمل أم أننا مجرد أدوات بين يدى قوة خفية توجهها كيف تشاء ؟ أسئلة تعرضت لها الأجيال الماضية وتتعرض لها الأجيال الحاضرة وسوف تتعرض لها الأجيال المقبلة مابقى هناك فـكر يبحث فى المصير ومايرتبط به من جزاء ! وإذن فلا عجب إذا ما التقت أفـكار الشعراء الثلاثة حول هـذا المعنى الـكبير فى بعض ما خلفوا من آثار أدبيـة ؛ آثار تتفق فى جوهر المشكلة ولـكنها تفترق فى صب التجربة الشعورية فى القالب الفنى تبعا لاختلاف المعدن النفسى وما يقترن به من تفاوت فى معـدن التعبير . . . إنه اتفاق فى جوهر المشكلة كما قلنـا وعامل الإثارة واحد لا اختلاف عليـه ، ونعنى به القلق الذى يهز النفوس والعقول ويدفعها دفعـا إلى محاولة الغوص فى أعماق المجهول . قلق عند بيرون وقلق عند على طه وقلق عند أبى العلاء ، ولـكن مصدر هذه الظاهرة النفسية يختلف عند الشاعر الأول عنه عند الشاعرين الأخيرين ، حين تفسره عند بيرون بأنه فراغ الحيـاة من العطف وحده وحين تفسره عند صاحبيه بأنه فراغ الحياة من العطف والعاطفة .. لقد عاش بيرون فى مجتمع حرم فيه عطف الناس فثار حينا على الله والناس ، وعاش أبو العلاء كل حيـاته وهو محروم من نعمة الشعور بالعطف الإنسانى وبالعاطفة الأنثوية ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى على طه ولـكن فى فترة محدودة من فترات الحياة ، ومثل هذا الحرمان كفيل بأن يهز سكينة النفوس والعقول !

أنور المعداوى

٣ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

العوامل الاقتصادية فى سياسة توازن القوى

ألمت بالوضع الدولى إبان بعث سياسة توازن القوى عوامل اقتصادية هامة وللاقتصاد فى توجيه السياسة العالمية شأن كبير

ففى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ أخذ الاقتصاد الأمريكى خاصة والاقتصاد الأوروبى (خارج الاتحاد السوفييتى) يمر فى نكسات وضائقات اقتصادية لعينة . ففى أمريكا كان الاقتصاد القومى فى سنوات الحرب قد توسع بصورة هائلة . فازداد عدد المصانع وتضاعف إنتاجها إلى أرقام فلكية وأصبحت مقدرة السوق الأمريكى على استهلاك المنتجات الأمريكية محدودة مقيدة والسوق الأمريكى هو المستهلك الرئيسى للانتاج الأمريكى

وكانت الوضعية الاقتصادية فى شعوب أوروبا الغربية مزعزعة بسبب الخراب الواسع الذى ألم بذلك الجزء من العالم من جراء الحرب العالمية الأخيرة

وفى آسيا وأمريكا اللاتينية أخذ الوعى الاقتصادى يزداد نموا ويدفع الحكومات والشعوب لأن تلجأ إلى سياسة الاستكفاء الذاتى لتتفادى عودة الاستعمار بألوانه العديدة الاقتصادية والسياسية ، ولذلك أصبحت مقدرة الشعوب الآسيوية واللاتينيه على استهلاك المنتجات الأجنبية محدودة مقيدة ، وذلك لأن الميزان التجارى فى دول آسيا وأمريكا اللاتينية يعتمد على تصدير المواد الخام إلى الدول الصناعية فى أوروبا وأمريكا الشمالية ليحصل مقابلها على عملة أجنبية تعينه على استيراد السلع والمنتجات الصناعية وأصناف التبادل التجارى الأخرى . فإذا أصيب النشاط الصناعى فى أوروبا وأمريكا الشمالية بنكسة فإن حاجته من المواد الخام ستتضاءل ، ومن ثم يتضاءل مورد الدول المصدرة للمواد الخام (ومعظمها فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية) ، والاقتصاد الدولى الحر حلقة متشابكة الأطراف إذا وهن بعض أجزائها تعرض الكل إلى الوهن

ولم تكن النكسة الاقتصادية العالمية مقصورة على أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية — وبالتالى على آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — بل إنها شملت الاتحاد السوفييتى نفسه ومنطقة النفوذ السوفييتى كذلك . ومثال ذلك سعى روسيا للسيطرة على الاتحاد اليوغسلافى وسعى يوغسلافيا للتحرر من هذه السيطرة وما أدى هذا الصراع إلى قطيعة سياسية تامة بين البلدين

إلا أن أخطار الضائقات الاقتصادية العالمية تختلف باختلاف المناطق والشعوب والنظم الاقتصادية والاجتماعية التى يعيش عليها الشعوب والحكومات

ففى ظل الحكم المطلق — خصوصا إذا كانت التعاليم الاشتراكية وفلسفة الاقتصاد المنظم ديدنه يسهل على الدولة أن تضبط التيارات الاقتصادية العاصفة وإن كان ذلك على حساب الحرية الفردية للكثرة الساحقة من الشعب

وفى البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى تكون أضرار الضائقات الاقتصادية مقصورة إلى حد بعيد على برامج الإنشاء والتعمير ، فاقتصاديات هذه البلدان اقتصاديات غير معقدة ، ومستوى المعيشة بها زهيد على مستوى ضئيل ، ومهما ألمت أضرار النكسات الاقتصادية العالمية بهذه البلدان فإنها لن تؤثر إلا تأثيرا محدودا فى مستوى المعيشة ، ولما كان هذا المستوى ضئيلا ممعنا فى الضآلة فإن هذا التأثير لن يزيده ضآلة ، فليس فى ذلك المستوى بعد مجال للتضاؤل ، وإذا استثنينا حالات المجاعات والقحط فى بلدان كالهند والصين مثلا فإن معظم المجتمعات الزراعية (كالمجتمعات الآسيوية مثلا) تستطيع فى فترات الضائقة الاقتصادية العالمية أن تحتفظ برؤوسها عائمة فوق الماء

أما وضعية المجتمعات فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية

خلال النكسات والضائقات الاقتصادية الشاملة فإنها تكون معرضة لأخطار جسيمة

ففي إبان النكسة الاقتصادية الخطيرة التي ألمت بالولايات المتحدة الشمالية وبأوروبا الغربية في أعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان على الدول والشعوب هناك أن تختار واحدا من احتمالات معينة لصيانة نفسها من الفوضى الاقتصادية والإفلاس التام

وأحد هذه الاحتمالات أن تسرع الدولة فتسن التشريعات وتطبق رقابة شديدة على الإنتاج الصناعي والنشاط الاقتصادي بأسره، وأن تحدد الإنتاج وتعين الأسعار وتقيد التصدير والاستيراد بشكل يحول الدولة الديمقراطية إلى نظام اشتراكي لأولى الحكم فيه سلطة واسعة قد تتسع فتصبح نوعا من الحكم المطلق. وهذا ماحاولت حكومة العمال في بريطانيا تطبيقه فلم تفلح طويلا بسبب طبيعة السلوك السياسي للشعب البريطاني وتأصل الوعي الديمقراطي فيه، وبسبب تعقد المشاكل الاقتصادية في بريطانيا بشكل لا يسمح بتطبيق برامج الاقتصاد المنظم والاحتفاظ بالحرية الديمقراطية في آن واحد

وثاني هذه الاحتمالات تخفيض مستوى المعيشة بين السكان بتخفيض الدخل القومي للعامل ولصاحب العمل والرجوع بألوان الحضارة المادية القهقرى ووضع حد للتقدم الآلي وتوجيه الشعب نحو التقشف والتخلي عن أسباب الترف والمتعة التي أصبحت جزءا أساسيا من طبيعة المعاش الذي يعيش عليه الناس في العالم الغربي إجمالا وفي الولايات المتحدة على وجه العموم. وقد استطاعت بريطانيا أن تطبق جزءا من هذا الاحتمال فيما يتعلق بمسألة الدخل القومي ومسألة التقشف إلا أن حكومة العمال البريطانية فشلت في ذلك لأن السياسة الاقتصادية التي اتبعتها في بريطانيا كانت تواجه عقبات جسيمة بعضها راسخ في صميم الوضع الاقتصادي البريطاني والبعض الآخر ناتج عن المنافسة الشديدة التي لقيتها بريطانيا في أسواقها التجارية التقليدية سواء جاءت هذه المنافسة من أمريكا أم من سياسة الاستقلال الاقتصادي والاستكفاء الذاتي التي أخذت تتبعها البلدان الآسيوية والإفريقية واللاتينية التي كانت فيما مضى منطقة نفوذ اقتصادي لبريطانيا

أضف إلى ذلك كله أن أي دعوة إلى تخفيض مستوى المعيشة سيتطور إلى سلاح في يد الحركة الشيوعية التي تتخذ تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية دلالة على فشل النظم الديمقراطية «الأوروبية والأمريكية»

وثالث هذه الاحتمالات تجديد الحروب الاستعمارية وقيام الدول الصناعية الكبرى بغزو البلدان المتخلفة والسيطرة على الأسواق التجارية الرابحة في الشرق والغرب، وهذا الاحتمال بعيد المنال نظراً ليقظة الشعوب وتيقظ القوميات وحيوية التحرر من الاستعمار في كل مكان

ورابع هذه الاحتمالات أن تتكتل الدول الصناعية الكبرى تكتلا اقتصاديا تاما شاملا وتوزع فيما بينها الأسواق العالمية توزيعا يستند إلى اتفاقات ثابتة بين الدول المتكتلة، وقد نجح الاتحاد السوفييتي إلى حد بعيد في سياسة التكتل الاقتصادي في منطقة نفوذه في أوروبا الشرقية والبلقان والبلطيق وبعد ذلك في الصين وآسيا الوسطى — منغوليا وسينكيانغ

أما دول أوروبا الغربية فقد وجدت نفسها لا تستطيع أن تجهر بهذه الرغبة لأسباب عديدة منها تفوق أمريكا الصناعي الهائل على بريطانيا وفرنسا وخسارة هولندة لجزر الهند الغربية (إندونيسيا)، فمصانع أوروبا الغربية القديمة المنهوكة لعب أطفال بالقياس إلى المؤسسات الصناعية الأمريكية، وجودة الإنتاج الأمريكي وتنوعه وورونقة إعلاناته شئ لم تعرف الصناعات الأوروبية في بلادها له مثيلا. ومقارنة السيارات الأمريكية بالسيارات البريطانية والفرنسية مثل على ما نحاول به شرحه هنا

ولذلك فلم يكن لدى الصناعة الأوروبية ما تستند إليه لتساوم أمريكا على اقتسام الأسواق العالمية — هذا فضلا عن أن الأمريكي تاجر لا يرحم، والمنافسة هي عماد النشاط الاقتصادي في أمريكا وعموذج راسخ في السلوك الأمريكي رسوخ عادات الأكل والشرب والنوم

ويبدو أن الاحتمال الأخير (وهو توزيع الأسواق العالمية) قد صادف هوى في نفوس الأمريكان ولكنهم احتاطوا له بشكل

دقيق بحيث يوفر لهم حصة الأسد فى أية مساومة يقومون بها مع دول أوروبا الغربية

وفعلا شهدت السنوات الأخيرة توسعا اقتصاديا أمريكيا جم النشاط ولكنه فى أغلب الحالات على حساب دول أوروبا الغربية وعلى الأخص بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا ، وقدساعد أمريكا على هذا التوسع الاقتصادى كونها مسيطرة على مقدرات ألمانيا واليابان وهما عنصران هامان فى ميدان التنافس التجارى الدولى

وفى الشرق الأقصى حلت أمريكا محل اليابان وهولنده فى سوق إندونيسيا والفلبين ومحل بريطانيا إلى حد ما فى أسواق الملايو وأصبحت المشترية الرئيسية للمطاط والقصدير هناك

وفى الشرق الأوسط قصة التوسع الأمريكى فى البترول معروفة للجميع ، وكان من المقدر لبريطانيا أن تحقق هذا التوسع لنفسها لولا قوة المنافسة الأمريكية والظروف الأخرى التى صاحبت الوضع الاقتصادى فى عالم ما بعد الحرب فى بريطانيا

وفى أمريكا اللاتينية تلاشى تدريجا نفوذ بريطانيا التجارى هناك بعد أن تلاشى قبله نفوذ ألمانيا وأصبحت هذه القارة منطقة نفوذ تجارى وسياسى للولايات المتحدة الأمريكية

وفى شمالى إفريقيا العربية توطد للأمريكان نفوذ اقتصادى طويل عريض بلغ من الأهمية بحيث اضطرت فرنسا أن تخاصم أمريكا عليه أمام محكمة العدل العليا (١)

وفى أواسط إفريقيا تسرب رأس المال الأمريكى إلى مستعمرات بلجيكا الغنية بالمعادن الثمينة ومنها معدن الأورانيوم الصالح لإنتاج الطاقة الذرية

واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بفضل هذا النشاط الاقتصادى الواسع أن تدفع مؤقتا عن نفسها أخطار النكسة الاقتصادية الأخيرة التى ألمت بالاقتصاد الأمريكى فى أعوام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ١٩٤٩

وكان لا بد لهذا التوسع الاقتصادى الهائل من أن يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية مسؤوليات سياسية ودبلوماسية من النوع الدقيق والخطير

ومع أن فكرة التكتل الاقتصادى بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين دول أوروبا الغربية لم تتبلور فى شكل قانونى (سرى أو علنى) إلا أن انسياق الأموال الأمريكية الخاصة والنشاط الاقتصادى الأمريكى إلى مناطق النفوذ البريطانى والفرنسى والهولندى والبلجيكى قد فرض على أمريكا مسؤولية فعلية فى صيانة النظم السياسية التى تعيش عليها هذه الدول الأوروبية . أضف إلى ذلك صيانة أوروبا الغربية من أخطار الانقلابات الشيوعية سيضمن لأمريكا حلفاء أوفياء يكونون سندا للمبادئ والأيديولوجية السياسية التى يعيش عليها المجتمع الأمريكى ؛ ففى تعزيز النظم الديمقراطية لدول أوروبا الغربية تعمير لأسواق تجارية حسنة تستهلك من الإنتاج الأمريكى أضعاف ما تستهلكه البلدان المتخلفة التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى كبلدان آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية — فهذه البلدان المتخلفة هى على العموم مصدرة للمواد الخام وليست مستهلكة إلا كجزء محدود من المنتجات الأمريكية الجاهزة

ومن هذه الصورة الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية الشاملة تكونت فكرة المساعدات الأمريكية المالية للدول الأوروبية التى عرفت بمشروع مارشال (٢)

والخير أن تفكر مليا فى مشروع مارشال لأن صلته بتطور فكرة الدفاع المشترك وحلف الأطلنطى ومسألة الدفاع عن الشرق الأوسط صلة وثيقة

مشروع مارشال

يقول البرفسور جون وليامز أحد كبار الاقتصاديين (فى البلدان التى لم يكتمل بعد نموها الاقتصادى فى آسيا وإفريقيا

(١) — رفعت فرنسا فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ قضية أمام محكمة العدل العليا الدولية أتهمت فيها حكومات الولايات المتحدة الأمريكية بفرض حماية اقتصادية على مراكش

(٢) — الجنرال جورج مارشال وزير خارجية الولايات المتحدة الذى كان أول من أعلن ميلاد هذه الفكرة رسميا من خطاب له فى حفلة توزيع الإجازات الدراسية فى جامعة هارفرد الأمريكية الشهيرة . ثم صبغ إعلانه فى الكنغرس الأمريكى فى (قانون التعاون الاقتصادى الأوروبى) إبريل سنة ١٩٤٨

الأمريكان ورئيس الجمعية الاقتصادية الأمريكية ومستشار البنك الأمريكى المركزى ومندوب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى عدة مؤتمرات دولية : إن الهدف الرئيسى لمشروع مارشال هو تنفيذ برنامج على لاستثمار رؤوس الأموال . وهدف هذا المشروع ليس فقط بناء ما دمرته الحرب فى أوروبا وإنما زيادة الإنتاج والنشاط الاقتصادى فى أوروبا الغربية والشمالية بحيث تتمكن دولها من أن تحفظ الميزان التجارى مستقيما . وهذا يعنى مساعدة دول أوروبا الموالية للولايات المتحدة الأمريكية على زيادة الدخل الحقيقى للفرد وللدول الأوروبية ، وهذه الزيادة تشجع الفرد والحكومات هناك على مضاعفة استهلاكها للمنتجات والسلع وتوفر للشعب والدول فرصة لادخار رأس المال اللازم للاستثمار فى الاقتصاد المحلى (فى الدول الأوروبية) وفى الاقتصاد الأجنبى وأمريكا اللاتينية) [٣]

وهذه الأهداف تتمشى مع الصورة التى رسمناها عن الوضعية الاقتصادية فى أمريكا وأوروبا وبقية أجزاء العالم (خارج الاتحاد السوفييتى) وهى صورة تشير إلى اختمار فكرة التكتل الاقتصادى بين الدول الصناعية الكبرى تحفظ للأمريكان حصة الأسد وتساعد الدول الأوروبية على ملاقاة نكساتها الاقتصادية مستعينة بزميلة كبرى هى الولايات المتحدة الأمريكية

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت أكثر الناس حماسة لمشروع مارشال ، بل الواقع أن فرنسا كانت أول من نال مساعدات مالية سخية من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك فى عهد ليون بلوم اليهودى رئيس وزراء فرنسا فى السنوات الأوائل التى أعقبت الحرب العالمية الثانية

ومن الطبيعى أن تتحمس فرنسا لهذا المشروع ، ففرنسا هى الدولة الوحيدة من دول أوروبا الغربية التى رفضت اتباع أى احتمال من الاحتمالات العديدة التى واجهتها دول أوروبا الغربية فى عالم ما بعد الحرب ، فهى لم تقتد ببريطانيا فتنفذ لونا من برنامج الاقتصاد الاشتراكى المتدل ، ولم تتبع سياسة التقشف والمراقبة الدقيقة التى فرضتها بريطانيا بالاستمرار فى استغلال الأسواق المتوفرة لها فى المستعمرات الفرنسية — ولفرنسا اليوم ممتلكات خارجية تفوق ما لأى دولة استعمارية أخرى

ولتعلق بأذهاننا هذه الحقيقة — وهى حماس فرنسا الشديد لمشروع مارشال وما استتبع هذا الحماس من نشاط فرنسى لتنفيذ الحلف الأطلنطى والاتحاد الأوروبى للنقد ، ومشروع مارشال ، ومشروع بليفان للجيش الأوربى كما سنأتى على استعراضه فيما بعد

وهنا يجدر بالباحث أن يفسر حماس أمريكا لمشروع مارشال ولفكرة المساعدات المالية للدول الخارجية إجمالا . وهذا التفسير لا يكون إلا بالتعرف على الفلسفة الاقتصادية النظرية والعملية التى يعيش عليها الشعب الأمريكى . وهى فلسفة «جورج مينارد كينز» الاقتصادية منذ عام ١٩٣٠ حتى الآن

(البحث صلة) نيويورك **عمر حليق**

(٣) — راجع بحثين مسهبين للبرفسور وبلايميز فى مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية عددى ابريل سنة ١٩٥٠ ويوليو سنة ١٩٥٢ عن مشروع مارشال

---

٣ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الخريطة:

وتسمى أيضاً « الربابة » بكسر الراء ، وهى وعاء من الجلد مثل كنانة سهام الرمى ، توضع فيها القداح . وهى واسعة ليمكن استدارة القداح فيها واستعراضها ، ولها فم ضيق بقدر أن يخرج منها قدحان أو ثلاثة[1] ، أو بعبارة أصح يمكن أن يضيق ويوسع بخيط يشد فيه ، بحيث لا يسمح فى حالة التضييق لخروج أكثر من ثلاثة أقداح

الحرضة

بضم الحاء ، ويسمى أيضا « المجيل » و « المفيض » و « الضارب » ، وهو الرجل المكلف بتقليب السهام فى الخريطة ثم دفعها من فم الخريطة . وكانوا يلفون يده بقطعة من جراب ، لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محاباة . ويشدون عينيه بعصابة ليحولوا بينه وبين رؤية القداح[2]

والحرضة هو الذى يستل السهم بعد أن يبرز وينشز ، ويسلمه للرقيب دون أن يراه

ولا يكون الحرضة إلا ساقطا برما ، يدعونه بذلك لرذالته وسقوطه

قال أبو الهيثم[3] : الحرضة : الرجل الذى لا يشترى اللحم ولا يأكله بثمن إلا أن يجده عند غيره

الرقيب

ويسمى أيضا « رابئ الضرباء[4] » . ويختار فى العادة من الأمناء الموثوق بهم من الرجال ، وواضح أن مهمته هى مراقبة « الحرضة » وإدارة رحى الميسر . ويكون مجلس الرقيب خلف الحرضة ، ليتمكن من مراقبته . وهو الذى تسلم إليه السهام بعد خروجها ليعلم من صاحبها وليعلن اسمه حينما يفوز ، كما أنه يرد السهام الأغفال إن خرجت مرة ويعيدها إلى الربابة ، ويأمر الحرضة بجلجلة الأقداح وإفاضتها حتى يخرج سهم آخر من قداح الحظ

وإفاضة الأقداح : أن يدفعها دفعة واحدة إلى الأمام ليخرج منها قدح أو أكثر

مجلس الميسر

هو نادى القوم يجتمعون فيه فى ليل الشتاء ، وقد أوقدوا نارا وأحضروا جزورهم ونحرها الجازر وقسمها عشرة أجزاء ، بعد أن ترك لصاحب الجزور « الثنيان » وهو ما استثنى لنفسه من الرأس والأطراف فى غالب الأمر ، وبعد أن حفظ لنفسه « الريم » ، كما سبق القول عند الكلام على الجزار

١ — ويحضر الحرضة ومعه الخريطة والقداح ، وحينئذ يتبارى رءوس القوم وأشرافهم فى أخذ القداح، فأعلاهم قدرا هو من يأخذ « المعلى » ذا الحظوظ السبعة ، وأقلهم شأنا هو صاحب « الفذ » الذى له حظ واحد

وذلك أن نظام الميسر مبنى على قاعدة الغنم بالغرم ، أى أن من يتعرض لأخذ أكبر السهام حظا يكون لديه استعداد أن يغرم أكبر الغرم حينما يخيب حظه ، إذ أن الغرم يتناسب تناسبا مطردا مع الغنم . وأما صاحب الفذ فهو إن فاز بحظ واحد ، وإن خاب تحمل مغرم حظ واحد

٢ — وبعد أن يختار القوم سهامهم ويسجلها عليهم الرقيب[5] توضع هذه السهام ذوات الحظ فى الخريطة ومعها السهام الأغفال الثلاثة التى لا حظ لها

٣ — ويؤتى بالحرضة ، وهو المكلف بإجالة القداح فى الخريطة ، ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يده ، ويسمى ذلك الثوب « المجول » . وإنما يجعل ذلك الثوب على يده ليغشى

(١) الميسر والقداح ١٣٢
(٢) الميسر والقداح ١٣٠
(٣) اللسان (حرض)
(٤) الضرباء : جمع ضريب ، وهو ضارب القداح الموكل بها . والرابئ والربيئة هو الرقيب

(٥) وأحيانا يختار الياسر اسما لقدحه غير الاسم المتداول ، تدليلا له . كأن يسميه « المربوع » أو « المدار » . مع احتفاظه باسمه الأصلى . الميسر والقداح ٥٦ — ٥٧

بصره فلا يعرف قدح زيد دون عمرو . هذا بعد أن تلف يده بقطعة من جراب ، مبالغة فى الحيطة . وأحيانا يعصبون عينيه ويلفون يده . وتعصب الخريطة على يدى الحرضة

٤ — ويجلس خلفه الرقيب وقد استدار الأيسار حوله ، ومن خلفهم جمهور النظارة يشهدون ما يكون من ذلك ، وفى هـذا الجمهور طائفة الفقراء ، الذين يحملون بؤسهم فى جهد وإعنات ، تدور أعينهم فوق كومات اللحم ، وتشرئب أعناقهم وأسماعهم نحو الحرضة والرقيب

٥ — وبعد أن يكتمل المجلس يصـدر الرقيب أمره إلى الحرضة أن يجيل القداح وأن يجلجلها فى الخريطة ، فيفعل ذلك مرارا ، فإذا فعل أمره أن يفيض القداح ، أى أن يدفعها إلى فم الخريطة

٦ — وحينئذ يبرز أحد القداح فيستله الحرضة ، وهو إن كان غير معصوب العين لم ينظر إليه فى هذه الحالة ، ثم يناوله الرقيب ، وتحدث عندئذ ضجة من الرقيب يعلن فيها اسم الفائز ، يصيح بأعلى صوته : هـذا قدح فلان ، أو فاز قدح فلان . ذكر ذلك الخليل فى تفسير قول أبى ذؤيب :

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

— فإذا فاز أحدهم أخذ نصيبه واعتزل القوم فأفاض الباقون على بقية الجزور ، فإن شاء ذلك الفائز أن يعود بقدحه سـألهم ذلك ، فإن أحبوا إجابته أجابوه وردوا قدحه معهم واستؤنفت الإفاضة . ويعد هذا العمل مكرمة لصاحبه الفائز الذى يأبى أن يظفر ذلك الظفر السهل ، ويأبى إلا أن يعرض نفسه للغرم الذى جانبه فى أول الأمر

ويسمون هذا العمل « التثنية » ، وهو الذى عبر عنه النابغة الذبيانى بتثنى الأيادى فى قوله :

أنى أتمم أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادى وأكسو الجفنة الأدما(١)

٨ — وإذا ظهر سهم من السهام الأغفال أمر الرقيب الحرضة بإعادته فى الخريطة ، ومعاودة الجلجلة والإفاضة حتى يظهر سهم ذو حظ

ولا يكف الحرضة والرقيب عن هـذا العمل حتى يكون مجموع أنصباء السهام الخارجة عشرة أنصباء على الأقل

الغنم والغرم

ليس نظام الغنم والغرم فى الميسر نظاما ساذجا ، بل هو نظام محـكم يدل على ما كان يتمتع به أسلافنا العرب من ذهن وقاد ، وفكر ناضج

وإليك بعض النماذج من أقضية الميسر ، وأحكام العرب فى مغانمها ومغارمها ، وسأعيد هنا ذكر قائمة المغانم والمغارم ليسهل لك عرض تطبيق الأحكام عليها :

ا — صاحب الفـذ ، ونصيبه فى الغنم والغرم (١)
ب — « التوأم ، » » » » (٢)
ج — « الرقيب ، » » » » (٣)
د — « الحلس ، » » » » (٤)
هـ — « النافس ، » » » » (٥)
و — « المسبل ، » » » » (٦)
ز — « المعلى ، » » » » (٧)

(القضية الأولى)

خرج قدح (ا) ثم قدح (ب) ثم قدح (ج) ثم قدح (د) ومجموع أنصباء هذه القداح عشرة ، وبذلك يكون الميسر قد تم فكل واحد من أصحابها يأخذ نصيبه ، فيأخذ (ا) عشرا ، و(ب) عشرين ، و (ج) ثلاثة أعشار ، (د) أربعة أعشار ، ويعتزل كل منهم الميسر غانما ، ويبقى الثلاثة النارمون الذين يضمنون ثمن الجزور ، وهم (هـ) ، و (و) ، و (ز) . ولنفترض أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فتفرض عليهم بالتناسب العددى ، أى بنسبة ٥ : ٦ : ٧ فيغرم (هـ) ٢٠ دينارا ، و (و) ٢٤ دينارا ، و(ز) ٢٨ دينارا

(القضية الثانية)

خرج (ب) و (ج) و (هـ) فائزين ومجموع حظوظهم ٢ ، ٣ ، ٥ أى عشرة حظوظ ، وبذلك تم الميسر ، فيأخذ كل منهم نصيبه ويعتزل ، ويبقى الغرم على (ا) ، (د) ، (و) ، (ز) ونسبة مغارمهم ١ : ٤ : ٦ : ٧

ولنفترض أيضا أن ثمن الجزور ٧٢ دينارا ، فيغرم (ا) ٤ ، (د) ١٦ دينارا ، (و) ٢٤ دينارا ، (ز) ٢٨ دينارا

(١) الميسر والقداح ١٥٢

(القضية الثالثة)

خرج فى أول الإفاضة قدح صاحب (المعلى)، ونصيبه ٧ فاستولى عليه واعتزل، ثم خرج قدح صاحب (المسبل) وحظه ٦ مع أنه لم يبق من أجزاء الجزور بعد المعلى إلا ٣ تتمة العشرة، فيأخذ صاحب المسبل الثلاثة الأجزاء الباقية بعد نصيب صاحب المعلى، ويغرم له القوم الذين لم تخرج سهامهم ثمن ثلاثة أعشار الجزور، استكمالا لحظه، وتكون غرامتهم فى ذلك متناسبة مع نسبة أنصبائهم فى الغنم لو غنموا

ويغرم القوم الخائبون أيضا ثمن الجزور، متناسبة غرامتهم مع نسبة أنصبائهم أيضا

وهذا الحكم السهل فى أمثال هذه القضية الأخيرة، هو الذى ذكره ابن قتيبة. وإنما يلجأون إليه ويرتضونه إذا لم يمكنهم نحر جزور ثانية

فإذا أمكنهم نحر جزور ثانية فإنهم ينتظرون بسائر القداح لا يخرجون منها شيئا بعد أن ظفر صاحب المعلى، لأنه إن خرج المسبل لم يجد له حظا كاملا، لأن حظه ستة أجزاء، مع أن الباقى من الأجزاء ثلاثة

وحينئذ يقفون الإخراج ويعدون جميع الأيسار خائبين، إلا صاحب المعلى، ويلزمونهم الغرم فى الجزور الأولى بحسب أنصبائهم من جهة، ثم يخلقون لهم جميعا فرصة فى جزور أخرى، فينحرونها ويجزئونها أعشارا، ثم يضربون عليها بالقداح، فإن خرج (المسبل) أخذ صاحبه ستة أجزاء: ثلاثة منها هى الباقية من الجزور الأولى، وثلاثة من الجزور الثانية. فإن استوى ثمن الجزورين كان صاحب المسبل كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا لأنه غرم ستا وغنم ستا، فتعادل ماله وما عليه

وبقى من الجزور الثانية بعد المسبل سبعة أجزاء، تضرب عليها سائر القداح، فإن خرج (النافس) أخذ صاحبه خمسة أجزاء من السبعة الباقية، فبقى جزءان

وفى هذه الحالة بقى قدح حظه أكبر من الجزءين، وهو (الحلس)، وله أربعة أجزاء، فيعدون صاحبه خائبا فى الجزور الثانية يلزمه الغرم فيها بمقدار حظه متضامنا مع سائر الخائبين، فيتيحون له الفرصة فى نحر جزور ثالثة، فإن خرج غنم أربعة أجزاء: اثنان من الثانية، واثنان من الثالثة. فإن استوى ثمن الجزورين كان كأنه لم يغرم شيئا ولم يغنم شيئا

وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء، يضرب عليها بالقداح من بقى حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور، وحتى لا يحتاجوا إلى نحر جزور أخرى، استكمالا النصيب متوقع لأحدهم

***

هذا هو الدستور الذى سنه العرب لنظام الميسر، وهو كما ترى وليد طباعهم وعاداتهم، ووليد حاجتهم البدوية

ولا ريب أن «الميسر» كان نافعا للعرب، كان نافعا لذوى الحاجة منهم، لأن العرب فى أكثر ما يقامرون إنما يعنون بذلك نفع الفقراء، والتوسيع على المحتاجين المعوزين، وقل أن يطعم الايسار من لحم الميسر، وإنما كانوا يفرقونه فى البائسين. زد إلى ذلك ما كان يحدثه الميسر من رواج فى سوق الإبل وبيعها وشرائها

ذكر الواقدى أن الواحد منهم ربما قمر فى المجلس الواحد مائة بعير، فيحصل له مال من غير كد وتعب، ثم يصرفه إلى المحتاجين فيكتسب منه المدح والثناء(٧)

ولا ريب أيضا أن الميسر كان ضارا للعرب، فهو أكل مال بالباطل، وهو كان يدعو المقامرين كثيرا إلى السرقة واغتصاب الأموال والنفوس، للحصول على فوز رخيص فى ذلك المضمار، وهو كان مجلبة عظيمة للمداوات والحزازات بينهم، التى تثيرها المنافسة وحب الذات. وكانت مجالس الميسر مجالا فسيحا للمنازعات والمهاترات، وميدانا خصبا للهجاء والشتم والإقذاع. هذا إلى ما يكون من إنفاق زمانهم فى سخاء ظاهر، فيما يشغلهم عن غيره من جلائل الأمور، والسعى لاكتساب الرزق من شريف الأبواب

ومفاسد الميسر فى عصرنا الحاضر واضحة وضوحا بينا، مهلكة إهلاكا للنفوس والضمائر، قاضية على هناءة الأسرة وترابط الجماعة

وصدق الله العظيم إذ يقول: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»، وإذ يقول: «وإثمهما

(٧) الفخر الرازى (٢ : ٢٢١)

أكبر من نفعهما »

وقد أتى الإسلام فى ذلك بعلاج ناجع ، علاج يجتث البؤس من أصله ، ويقتلعه من أرومته ، هو نظام « الزكاة » تؤخذ من الغنى فى رضاً من دينه ، وتعطى للفقير فى كرامة من نفسه

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم » . « وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

للكلام بقية — عبد السلام محمد هارون

محنة الأدب فى مصر

للأستاذ منصور جاب الله

إن محنة الأدب فى مصر إنما تتجلى فى هذه الضائقة التى يكابدها الأدباء ، والأدباء المصريون بوجه خاص ، فلقد أتى على مصر حين من الدهر كانت فيه ملتحداً لأدباء العروبة وملاذاً للناطقين بالضاد فى سائر الأقطار

ولقد أينعت شجرة الأدب فى مصر ، وتشابكت أغصانها وتهدلت أفنانها ورفت ظلالها حتى كادت تسع الناس جميعاً ، ثم إذا بهذه الشجرة الفينانة تذوى أغصانها وتتزايل ظلالها فإذا نحن من الأدب فى صحراء جرداء !

ومنذ بضعة عشر عاماً سألنا شيخاً من شيوخ الأدب هو المرحوم السيد مصطفى صادق الرافعى عن سبب تمسكه « بوظيفته » الصغيرة فى محكمة طنطا ، وقلنا له : هلا احترفت الأدب وحده ؟ إذن لجنيت من ورائه الذهب النضار ! وضحك الأديب العظيم وهو يقول : هيهات ذهب ما هنالك … لو اقتصر عملى على الأدب وحده إذن لمت جوعاً ، ولما كان لى هذا الاسم المدوى الذى يطالعك فى الصحف صباح مساء !

ولقد حسبنا الأستاذ الرافعى يومها جانحاً إلى المغالاة ، أو مائلاً إلى ناحية المزاح حتى قام على ما يقول من صميم الواقع شهيد وبصرنا بأدباء من الفحول قصروا جهدهم على الأدب فكان الجوع لهم مشرباً وأداما

وقلنا مرة لشيخنا الأستاذ عبد العزيز البشرى — رحمه الله — وهو فى أوج شهرته ومجده : إن أمهات الصحف تتراكض خلفك تستكتبك المقال بكذا وكيت ، وعملك الحكومى يحول بينك وبين كثير من وجوه الرأى التى قد لا تأمن حين إبدائها جوانب الزلل ، فإذا أنت تنحيت عن المنصب الحكومى ، أمنت ما كنت تخاف ، وأقبلت عليك جميع الصحف مشتاقة تجرر أذيالها

وأطال الشيخ البشرى الصمت ثم أقبل على يقول فى مرارة : يابنى إن الصحافة إنما تقبل على لأننى فى غنى عنها ، فإذا ما احتجت إليها فسوف تزور عنى ازوراراً وتنفر منى نفاراً . إن الصحافة — مثلها مثل الدنيا — تقبل على من لا يريدها ، وتطوى كشحاً عن مريدها !

ووالله لقد صدق صديقنا البشرى فيما قال ! وإن كاتب هذه السطور لم يتعظ بنصح الخريت المجرب فوقع فى المحظور ودفع الثمن باهظاً غاليا

وتحرير الخبر أننى حين كنت (موظفاً) حكومياً استكتبتنى صحيفتان كانت لهما مكانة وكان لهما قراء ، وكان الأجر الذى أتقاضاه منهما مجتمعتين يفوق أجرى من (الوظيفة) فطوع لى ذلك أن أهجر العمل الحكومى — بإغراء من إحدى الصحيفتين — فهل يعرف القارئ ماذا حدث بعد ذلك ؟

أدركت الجريدة الأولى أنه لم يعد لى عمل حكومى ، وأن ظهرى أصبح غير مسنود ، فحملتنى على ترك العمل بها ، ولم آس على ذلك كثيراً فقد كان الأجر الذى آخذه من الصحيفة الأخرى كافياً ، بيد أنه لم يمض على هجرى الصحيفة الأولى إلا بضعة أشهر حتى بدا للجريدة الأخرى أن تستغنى عن « خدمتى » وكذلك أصبحت فارغاً من العمل فى فترة لا تبلغ العام منذ أن استقلت من الوظيفة الحكومية . وأدركت عندئذ مبلغ نصيحة الشيخ عبد العزيز البشرى من الصدق ، وأن الصحافة بالنسبة للأديب إنما هى كالدنيا بالنسبة لرجل الدنيا

وأتلفت اليوم حوالى فأرى جهابذة الأدب أقلامهم معطلة وكان ينبغى أن يغترفوا الذهب من الإناء الذى يضيق دونهم

ويتسع لصعاليك الصحافة على حد تعبير المرحوم الأستاذ مصطفى الرافعى ، أو هلافيت الصحافة بتعبير الأستاذ العقاد !

ولو كان للأدباء حظ ، أو لو كان للأدب ذاته كيان مادى لاعتمد على هذا الكيان أمثال العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم فإن الأدب الصحيح كان خليقا أن يحمل على متنه هذا الثالوث العظيم ، فلا يحتاج الأول لأن يكون عضوا فى الشيوخ ولا يحتاج الثانى لأن يكون وزيرا ولا يحتاج الأخير لأن يكون مديرا لدار الكتب ،

إن الأدب لم يستطع أن يحمل هؤلاء الأدباء الأفذاذ فى سفينته الجارية ، بله أدباء الدرجة الثانية ، وأدباء الطبقة الثالثة ومن دونهم

والصحافة الآن هى الوسيلة لنشر الأدب ، ذلك لأن الجريدة اليومية أو المجلة الأسبوعية تكون عادة فى متناول العامة لرخص ثمنها ، وليس كذلك الكتاب الذى لا يتداوله فى العادة إلا خاصة المتأدبين ، ولكن الصحافة جنت على الأدب ، أو جنت على « فنيته » كما قال الرافعى ، فلم يعد الأديب هو الذى يوجه القارئ كما كان الأمر من قبل ، وإنما صار القارئ أو صاحب الصحيفة هو الذى يوجه الكاتب الأديب ، فقد أمست الصحف مثل حوانيت البدالين والبزازين ، يقبل عليها « الزبائن » بمقدار ما فيها من تزويقات ومظاهر خلابة لا غناء فيها ولا طائل من ورائها ، ذلك لأن قارئ اليوم لا يحب الدسم ولا الطعام المركز ، وإنما هو يقنع بالشطائر الخفيفة وإن كان ضررها على الصحة بلينا ، ونقصد بالصحة صحة العقل والذهن ، ذلك لأن جيل هذه الأيام إنما يعنى بصحة الأجسام ويطرح صحة العقول !

وكذلك انحطت الصحافة بالأدب ، والأديب الناجح هو الذى يجارى الجمهور ويتملق غرائزه ، فإذا عدمت الجريدة هذا النوع من الأدباء فإنها لا تعدم (المخبر) الذى يجئ كل يوم بأبشع أحداث الجنايات ، وأطرف أخبار الطلاق

وإنى لأذكر أن أديبا نابها انتسب إلى إحدى الصحف ، وسمعت أحد الملقنين يقول : إنه لا يصلح لهذا العمل ، فتساءلت لماذا ؟ فقيل لى : لأنه أديب — كذا والله ! — فهتفت : ياقوم أفيكون المقتضى مانعا ؟ ولقد كان الأمر كذلك فى الواقع ، فلم تمض إلا بضعة أشهر حتى استغنت الصحيفة عن الأديب المشهور واستعاضت عنه بشاب أمى لا يحسن القراءة والكتابة ولكنه إخصائى فى أنباء الفضائح والتشهير والتشنيع !

ومنذ أشهر اتصل بى أن أديبا لامع الاسم موفور الكرامة سوف يعين رئيسا لتحرير إحدى الجرائد ، فاستبعدت الخبر قياسا على ما علمته من التضاد بين الأدب والصحافة . وصح حدسى ، فإن أديبنا سئل فى ذلك فأجاب ونعم ما أجاب « إن الصحيفة التى أكون رئيسا لتحريرها لم تخلق بعد » ذلك لأن الصحافة لا تبغى أن يديرها الأدباء ، وإنما تريد أن يكون الأدباء تبعا لها . وصدق حدسى مرة أخرى حين اختارت هذه الجريدة لرياسة تحريرها صعلوكا من صعاليك الصحافة !

***

أما بعد ، فإن الأدب فى مصر يعانى اليوم محنة بالغة الشدة . ولست فى هذا متشائما ، ولا أحب أن يشيع الشؤم ، وإنما أريد أن أبصر رعاة العهد الجديد المجيد بحال الأدب الذى هو عماد كل أمة ، فالأدب هو ضرام الثورة وشعارها ، ولو بقيت سوق الأدب على كسادها ، وانصرف الأدباء عن غشيانها ، فقل على الأمة العفاء ثم العفاء !

منصور جاب الله

ذكرى الشاعر

صـــالح على شرنوبي

للأستاذ محمد صبرى على سليم

كان لزاما على أن أكتب هذه الكلمات بعد أن صرنا على بعد عام من مصرع شاعرنا الشاب صالح على شرنوبى .. فنى مثل هذه الأيام من عام مضى ، صعدت روح صالح إلى بارئها إثر حادث أليم

... كان صالح رحمه الله شاعرا مرهف الحس ، مشبوب العاطفة ، قوى الإحساس ، ولقد عرفته طالبا بالقسم الثانوى بمعهد طنطا — وإن لم أره — وكنت حينئذ طالبا بالقسم الابتدائى فى نفس المعهد . عرفته من قصائده الحماسية التى كان يطالعنا بها فى مجلة « الفكر الجديد » وكان يصدرها فى ذلك الوقت الأستاذ حلمى المنياوى . وذات يوم بحثت عن المجلة فلم أجدها ، ولما تساءلت عن احتجابها علمت أن الرقابة صادرتها لأنها نشرت قصيدة ثائرة لصالح . وبعد ذلك بأيام توقفت المجلة عن الصدور ، لأن ولاة الأمور وقتذاك زعموا أنها تحض على المبادئ الهدامة . . وظللت بعد ذلك أقرأ لصالح فى مختلف الجرائد والمجلات ، وكان إعجابى به يزداد كلما قرأت له . . ذلك لأنه لم يكن شاعرا كبقية الشعراء ، بل كان له مذهب خاص فى الشعر . استمع إليه فى قصيدة « أختى » حينما يصور لك حياة أخته البلهاء التى جنت عليها الأقدار فحرمتها نعمة الإدراك :

وتقول أمى حين تلقاك يا ليت قلبى ما عناك
أوليت مهدك كان مثواك
لك فى بنات الحى أتراب عرسانهن لهن أحباب
فأقول والمقـدور غلاب
قد خانك أنت الحظ يا أختى

فهل رأيت شاعرا بلغ فى دقة التصوير والتعبير مابلغه صالح ؟ لقد كان ذات ليلة فى نقابة السينمائيين ، ونظر حواليه فرأى امرأة فى خريف العمر تجلس وحدها مطرقة مفكرة . ولما سأل عنها قيل إنها كانت فى ربيع عمرها تلعب بقلوب الرجال ، أما اليوم فليس فيها ما يسر العيون . وراقبها صالح مدة ، ثم كتب قصيدته « أطلال راقصة » التى يقول فى مطلعها :

أطرق أطرق فقد ضمك اللير ل وألقى عليك ثوب ظلامه

إلى أن يقول :

لم يعد فيك ما يسر العيونا فاعذرى العابثات والعابثينا
وإذا أيقظت شجونك حورا وأوحت بقبحك الشامتينـا
فاسخرى من جمالهـا وصباها واحقريهـا بكثرة العاشقينا
أوعظيهـا فرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينـا

وفى قصيدته « أشواق الربيع » تراه يخاطب تلك المجهولة ويسألها أن تعود إليه ، فهو غريب القلب والدار فيهتف :

تعالى يا ابنة الأحلام يا مجهولة الذات
تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتى
تعالى نجمع الماضى الذى راح إلى الآتى
تعالى يا غراما تاه فى دنيا الصبابات
تعالى طهرى بالحب آثامى وأوزارى
تعالى فأنا وحدى غريب القلب والدار
طريدا مثل أحلامى شريدا مثل أفكارى

ويلح عليها أن تسرع بالعودة إليه ، فقد يخنقهما الترب ولم يتمتعا بالحياة ، فيكرر هتافه :

تعالى نخلق الحب فقد يخلقنا الحب
فقد يخنقنا الترب ولم نعشق ولم نصب

وتراه ينظر إلى الناس يأكل بعضهم بعضا ، ويلغ بعضهم فى دم بعض ، فيشمئز ويتألم ويثور ، وتتمثل ثورته فى قوله من قصيدة « السراب الخالد » :

وحوالى من بنى الطين أشباه قطيع مشرد فى يفاع
دعهم ماؤهم وراعيهم الذئب وأعراضهم سفوح المراعى

ويحزنه من بنى الطين أنهم لا يحسون الجمال ولا يتذوقون الحسن فيقول :

كلما رن مزهر أو شدا شاد أعاروه ميت الأسماع
ألهذا القطيع أنفق أيامى وتفنينى الليالى الحزينه

سليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

هذا البلبل الصداح فى جنائن الهوى يشدو تارة ويشكو طورا ، ولكنه فى كلتا الحالين لا يستطيع إلا أن (يغنى)

ألتلك الأيام أسحق عمرى وأغنى ألحانى المفتونه

وهو يذكر بالخير جميع الناس ، حتى أولئك الذين التفوا حوله يوم أن ابتسمت له الحياة ، فأخلص لهم ، ثم تنكروا له وانفضوا من حوله عندما تنكرت له ، فهو متسامح أبدا لا يعرف قلبه البغضاء ، يتجلى ذلك فى قوله :

أيها الراحلون عنى رويدا   فمن الهجر ما يكون حراما
كنت يوما وكنتمو ثم شئتم   ما أرانى قبل الختام الختاما
لم يعد لى من حبكم غير أحلام صداها يشتت الأحلاما
ذكريات أبكى لها وأغنى   وهى لى بعدكم هوى وندامى
سوف أحيا لكم فإن مت يوما   فاحفظونى فقد حفظت الزماما

فبوركت يا صالح إنك فنان ملهم ..

لقد عشت مخلصا لفنك كل الإخلاص ، وفيا له كل الوفاء .. فى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الكريمة التى ما حملت فى جنباتها حقدا لإنسان..ويا دولة القريض العزاء

أخى .. عزيز على أن أكتب فى يوم ذكراك ، وقد كنت أود أن أكتب فى يوم زفافك ولكن .. ولكن هكذا شاءت الأقدار .. على أن مما يعزينى أن شعرك سيظل خالدا على ممر الأيام ، ينير الطريق للمدلجين الحائرين

أخى .. طبت فى مثواك ، وسقى الله ثراك ، وسلام عليك فى الخالدين

محمد صبرى على سليم

ألحان الحياة ، وما الحياة إن لم تكن نشوة حب ، وخفقة قلب ، أو لوعة تبعثها اللهفة إلى تلك النشوة ، والحنين إلى ذلك الخفقان ؟

أنا أهوى الألحان نبض حياة
ودموعاً ... طروبة العبرات ..
وجراحاً . . . تلف بالبسمات
لا نواحا ميتا . . . على أموات
لا عيوناً تسيل فوق الرفات
أنا أهوى على رنينك عودى
أن أحس اختلاجة الجلمود

***

ولو شئت أن أطوف بك فى رياض هذا الهوى — رغم صغر حجم الديوان — لطال بنا المطاف ولتحيرت والله أين أقف بك ، ولكن حسبنا هذه الباقة ففيها من الشذى والحسن مايدلك على نضارة رفيقاتها وجمالهن . ولقد رأيت معى كيف نسقها صاحبها وكيف رسم فيها من (الحضرى) العف صورة لأنبل العواطف وأرقها وأعنفها وأوسعها حتى لكأن الكون كله محب وحبيب ...

وهذه سمة الشاعر العبقرى الذى يتصل فى وجدانه بأرحب ما فى العالم ويحلق بخياله إلى أعلى ما فى السموات ، ينهل من معين جمالها ويرشف من خمر سنائها ويبادلها حبا بحب ، فيسكب عليها من فؤاده ما ينطق الجامد منها حتى لكأن هذا الوجود كله قلب ينبض وكبد تهفو وعاطفة تتأجج ، وهو يجيد تصوير الطبيعة ولكن لا بالألفاظ الجوفاء والصور الجامدة وإنما هى فى ريشته إنسان يحس ويحب ، ويسعد ويتألم .. وستخلد الطبيعة وستخلد معها صورها الرائعة هذه ..

أنشد معى هذه الأبيات :

الصخرة الغرقى بأحلامها   تحس مثلى وحدة قاتله
هذى خطانا لم يزل وقعها   وشوشة فى سمعها ماثله
تسألنى الصخرة ياطفلتى   عنك وترتد معى ذاهله

***

ألم نكن نرسو على شطها   طفلين مثل النغم الشارد

في قبلة حالمة إن أضع وإن تضيعي فعلى ساعدي
تبارك الحب فكم أرعشت يمناه ..قلب الحجر الجامد . .

***

واسمعه يرثي العندليب ويشكو مع الروض فقدانه . .

الوردة الحمراء... ياطائري تشكو إلى الأنسام أشواقها
عاشت على ترجيعك الساحر قد فتحت للنور أحداقها
تلك شظايا قلبك الشاعر تخضب بالحمرة أوراقها
على دم المبدع والثائر تركز أوراد الربى ساقها

***

سلها أتحلو رقصة أو يطيب بعدك لحن للهوى والنسيب ؟
ستهمس الوردة : أين الحبيب ويهتف الغصن وما من مجيب..
ماضر لو غنيت حتى المغيب ياشاعر الأطيار ياعندليب ؟

***

كنت إذا ما الفجر لف الظلام بالشفق الوردي . . فوق الربى
رقرقت في سمع الزهور النيام من اللحون .. المعجب المطربا
فاستيقظ الوجد، وأج الغرام في كل قلب نابض بالصبا
أين الأغاريد وأين الهيام إني أرى روض الهوى مجدبا

***

أعد إلى هذا الوجود الكئيب بنغمة ، رد الشباب القشيب
ماحطمت لغز الوجود الرهيب إلا يد الفنان ، ياعندليب
ماضر لو غنيت حتى المغيب ؟

هذا هو حب سليمان ، وهذا هو غزله . نفس مرهفة الشعور ، وعواطف كريمة يصوغها بأرق أسلوب وأمتنه ، وذلك من الصعوبة بمكان ! إذ لا تكاد تتيسر هذه السلاسة وهذه العذوبة في هذه القوة إلا للقليل من كبار الشعراء ...

وأما المعاني والصور الفنية والتجارب النفسية فما إخالك إلا معي في الإعجاب بهذا الخيال الخلاق الذي صورها فأحسن تصورها . ولكأنه والله حين يستعمل الكلمة يخلق لها معنى جديدا أخاذا ، يزيده روعة هذا الجرس الوسيقي الساحر ، وهو بحق من أكثر الأدباء سيطرة على اللغة وقدرة على التلاعب بالألفاظ ، حتى لكأن اللغة — كما يعبرون — قد أسلمته قيادها فلحنها أنغاماً طروبة أفتن ما تكون في (موشحاته) المرقصة التي انفرد بها وحقق للأندلسيين ما كانوا يرنون إليه . . . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد في ما عرضنا الكفاية . ولنختتم حديثنا عن هذا (الغرض) بهاتين الصورتين القريبتين البعيدتين لندرك كيف تمر الحقائق الجانحة بخيال الشاعر فيخرجها حية ناضرة مفعمة بالحرارة ، مترعة بالظرافة الخفيفة الفطرية التي لم تستطع تلكم العواطف الصاخبة رغم تأججها ، أن تخفي حلاوتها ومرحها : —

أين حقل مائج الزهر طروب نتخطاه وقد مال الغروب ؟
ونسيم الريف مغناج لعوب يلمس الغيات لمساً فتذوب !
طفرت بين الشجيرات القلوب

وانبرت تملي على الزهر كتابا من سرور . . وهو يفتر جوابا

***

حسناء .. إن تبعدي عني فما غربا صوت طروب ، وثغر باسم ، وصبا
وخفة من فؤادي .. خلتها لعبا حتى إذا أفهمتني أختها السببا
أيقنت أن الذي غالبته غلبا !؟

***

وأما المضمار الواسع الثاني ، والذي استأثر بأكثر اهتمام شاعرنا الفتى فهو مضمار البطولة ، مضمار الوطنية المشبوبة

صبي صغير ، يرتع ويلعب على ساحل الأبيض المتوسط ، تدغدغه الأمواج ، وتداعبه النسمات ، ثم لا يلبث فجأة أن يجد الغاصب المتعسف ينهب وطنه ، ويستأثر بملاعب صباه ، ويشرد أهله ويسلبهم أملاكهم . . ويتشرد هذا الصبي مع المتشردين .. ويترك وطنه مع اللاجئين .. وفي فؤاده نار .. وفي عينيه دمعة أبت عليها حرارة الزفير أن تسيل .. هذا الصبي الملتاع يشب وتشب معه مآسي وطنه فهو أينما تلفت فعلى لواء مسلوب أو وطن موطوء ، وهو أين ألقى بطرفه — فعلى نصل تغذيه (صلة) رقطاء

ليت شعري بعد هذا كيف تخبو هذه الشعلة في فؤاده وكيف يلطف هذا السعير في عروقه ؟ لقد صهرته النكبات وأذابته النوائب ، وصاغته الأعاصير نشيدا عاصفا ولحنا ملتهبا ، يهتف بالضاد ليله ونهاره ، ولا يعرف مللا . . ولا يكاد يشغله عن مآسيه فيه مؤاس حتى ولو كان حبيبه ومالك قلبه

هذا هواى . ولن أفنى به شغفا	مهما استبد ومهما رق دمى عصفا
قد كان حسبي . . لولا أن لى هدفا	عاهدت يوما عليه النبل والشرفا
حسناء . . قد سارت الدنيا وقد وقفا . .
شعبي تمزقه (أطماعهم) شعبا . .	فهل تلومين ذا روح إذا غضبا ؟

***

فا هو إلا زفرة موتور يريد الانتقام والإيثار ، وهو لو حبسها لأصلته سعيرا : —

ما أردت القريض ، إن هى إلا	عاصفات جنت على قيثارى
ثورة . . لو حبست عودى عنها	حطمت أضلعى مع الأوتار . .

***

وأين لليأس فى هذا القلب الثائر مكان ؟ وهو كلما اشتدت به الزعازع فحسبه أن يلقى نظرة على الماضى وأن ينصت إلى دمه المنق ليتفجر بركانا يكتسح اليأس ويضيء أملا . .

لفتة باخيال . . نستلهم الماضى	ونسكر على صدى التذكار
لفتة نشهد (الجزيرة) نشوى	من سلاف الرسالة المعطار

***

أنفضى الموت . . أنت أخصب من أن
تقفرى من مواكب الأحرار . . .
وافتحى للصباح جفنك يا صحراء . .
هــذى زماجر « الثــوار » . . .
سيعود الوجود يوما إلى الرشد	على صوت لجك الهــدار . . .

***

وسيظل يهزج حتى تتحرك الصحراء وينتفض الرمل : —

وأهزج ياصحراء حتى تحركى	وحتى تهز الليل أنشودتى البكر
كفى ألما أن تحمل القيد أمة	ولا يشتكى سوط العذاب بها حر
قوافل تمضى من مهازيل أمتى	يسيرها ناب ، ويحدوبها ظفر . .
يمر بنا التاريخ غضبان ساخرا !	ويمضى بنوه خاطفين ، وننجر
قوافل من بيض العبيد كأنما	على روحهم قفل ، وفى سمعهم وقر
إذا أنت ناشدت المروءة فيهمو	تملكهم من طيفك الرعب والذعر

***

ســأهزج يا صحراء ولتمض صيحتى
إلى كل رمس بات يرقبه الحشر . . .
أيغمض كف الموت جفنى وليس فى
بلادى شبــر لم نحرره أو متر ؟

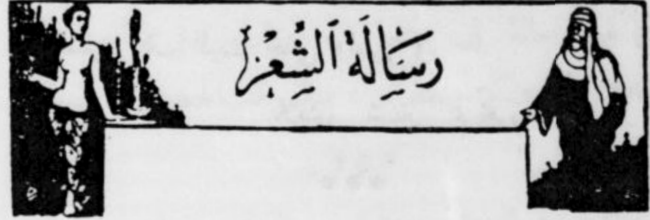
***

وأى لوعة مشبوبة فى هذا البيت الأخير ؟ ولكنها ما إن تشتكى حتى يهدهدها الأمل ويطمئنها الشباب :

شباب يغذيهم هوى ، وعقيدة	ويجمعهم هم ، ويخفزهم ثأر
لنا المجد ، إن ترقد عيون حماته	فمن دم أحفاد الحماة له مهر
إذا لم نعش للرائعات من العلى	فلا خط فى سفر الحياة لنا سطر
أرى وطن الأحرار قد طال ليله . .
غدا يشرق الصبحان : ألبعث والفجر

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى



شعب يتحرر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مرت على تحريرك الأيام   وغدا تمر بذكرك الأعوام
يا أيها الوطن العزيز تحررت   بالجيش فيك مواكب وزحام
كانوا على ظلم الطريق جماعة   قد هدها الإعياء والإظلام
يتخبطون على ظلام دامس   لم تتضح فى ليله أعلام
مشت المظالم فيه وهى كثيفة   وسرى الفساد إليه وهو قتام
واندك من صرح الفضائل حائط   وانهد من أركانهن دعام
وجرت أمور بالبلاد عظيمة   ومشت خطوب بالبلاد جسام
ضاقت بأحرار النفوس صدورهم   وتحطمت بعدادها الأقلام
فالهجس حتى فى الضمير محرم   والهمس حتى بالشفاه حرام ..

وبدا الصباح على البطاح مضوئا   فانجاب منه عن البلاد ظلام
هى آية لله وهى رعاية   قدسية قد حفها الإكرام
هى ثورة بيضاء لم يهرق دم   فيها ولم تسكب بها آثام
تركت بناء البغى وهو مصدع   دكت قواعده فليس يقام
دهمته وهو يظن أن مناله   فوق الظنون فماله استسلام
أرخت له الأيام فى طغيانه   يا ويل من أرخت له الأيام
ظن الحوادث عنه نائمة ولم   يعلم بأن الله ليس ينام
وبنى على الإفساد حائط ملكه   هل للبناء على الفساد دوام ؟ ؟

يا مطلع التحرير وجهك ضاحك   والصبح مؤتلق به بسام
بك أنقذ الله البلاد فلم يعد   فى حكمها ظلم ولا إجرام
تمشى العدالة فيك وهى حقيقة   ويسود فيك الحق وهو قوام
ومضى بموكبك الفساد وعهده   وتحطمت بقيامك الأصنام
وعنت وجوه الظالمين لواحد   تعنو الجباه له وتحنى الهام
الله جل جلاله متجبر   والحاكمون بأمرهم أقزام ...

ولى زمان الطامعين ولم يعد   يا مصر للأقطاع فيك زمام
لا عاد عهد لم تكن تجرى به   بالعدل أرزاق ولا أقسام
قد أتخمت فيه بطون جماعة   مصوا دماء الكادحين وناموا
رقدوا على شهواتهم وتنبهوا   فكأن ذلك كله أحلام
أعمتهم الشهوات عن أقدارهم   فهم الأناس وغيرهم أنعام
يا أيها النوام فى غفلاتهم   الجيش قام فأوقظ النوام
واعشوشب الأمل الجديب وأخصبت   أرض بها قعد الطغاة وقاموا
وتفتحت آمال شعب مثلما   يتفتح النوار والأكمام
وتصححت أوضاع جيل ناهض   جارت على آبائه الأحكام
وبدت على الوطن المريض نضارة   من بعد ما فعلت به الأسقام
تمشى الكرامة فيه وهى عزيزة   ويرد فيه لأهله الإكرام

يا عهد تحرير البلاد وطهرها   منا إليك تحية وسلام !
لك فى الضمير مكانة مرموقة   لك فى النفوس رعاية وذمام
عهد تميزه الفعال فلم يعد   فيه لتزويق الكلام مقام
يزدان بالتنفيذ فى أفعاله   ويشده التصميم والإقدام
قل الكلام به ، وخير حكومة   ماقل فيها بالوعود كلام
مشت الخطى فيه سراعا مثلما   تمضى إلى غاياتهن سهام
بوركت من جيش تبارك خطوه   وتحركت برجاله أعلام
قاموا على أعقاب ليل هادئ   والحاكمون الظالمون نيام ...
غضبوا فضج الكون من غضب لهم   واهتزت الأفلاك والأجرام
وتهدمت للظالمين منازل   وتقوضت للمفسدين خيام

وجلا الصباح الكون أعظم جلوة   وعلا النشيد كأنه أنغام !
والجيش سباق إلى أهدافه   متحرر برجاله مقدام
فيه الشباب الملهمون كأنهم   يحدوهمو فى الثورة الإلهام
خطواتهم يصغى الزمان لوقعها   ويسجل التاريخ والأهرام !

يا جيش مصر ويا محرر نيلها   لك فى النفوس الحب والإعظام
أنقذت مصر من الفساد فلم يعد   فيها لدولات الفساد قيام ...

محمد عبد الغنى حسن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الأدب الرمزي

يزور مصر الآن السيد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء الجزائر . وقد اجتمعنا به فى ندوة الشورى مع طائفة من الشخصيات العربية والمصرية منها السيد الفضيل الورتلانى والكولونيل عبد الله التل والسيد الوزانى الزعيم المراكشى والأستاذ الشافعى اللبان والسيد محمد على الطاهر صاحب الشورى ودار الحديث حول ما تقوم به جمعية علماء الجزائر من نشاط فى سبيل نشر العلم والثقافة بالوسائل الشعبية فى الجزائر ، وقال السيد الإبراهيمى إن هناك ٤٠٠ مدرس هم مجندون لتثقيف الشعب ، وإنهم أشبه بالعباد المتجردين فى سبيل أداء هذا الواجب المقدس

ومما يذكر أن جمعية العلماء التى أنشأها السيد عبد الحميد ابن باديس وخلفه على قيادتها السيد الإبراهيمى بعد وفاته ، هى إحدى الدعامات الضخمة القوية التى أفزعت الاستعمار الفرنسى فى شمال إفريقيا وأقضت مضجعه

فقد عملت هذه « الحركة » منذ فجر نشأتها على مقاومة البدع التى انتشرت فى المغرب وأعان عليها الاستعمار ، ودعت إلى العودة إلى الإسلام فى منابعه الأولى ؛ ووقفت للطرق الصوفية بالمرصاد على أساس أنها مصدر الشر والستار الذى يخفى خلفه الاستعمار ويتخذ منه سبيله إلى تفسير بعض الآيات القرآنية التى تدعو إلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر تفسيرا خاطئا

ولقد تطرق الحديث إلى « الوسائل » التى يستطيع بها رجال جمعية العلماء إعلان آرائهم دون أن يقف الاستعمار فى وجههم ، فقال لنا السيد البشير الإبراهيمى إن الأدب الرمزى هو الوسيلة الوحيدة لهذا ، وإنه قد ابتدع لونا من فنون الأدب هو «سجع الكهان » . . . استطاع عن طريقه أن يفصح عن كثير من آرائه الجريئة الحرة فى الكثير من المسائل والأشخاص . وكانت جريدة البصائر التى تصدر فى الجزائر ميدانا لهذا اللون الجميل من الأدب

وقد روى لنا أكثر من أرجوزة من هذا السجع ، صور فيها رأيه من كثير من القضايا العربية والإسلامية ما كان من المستطاع الإشارة إليها عن طريق الكتابة العادية

وليس من شك أن اللغة العربية كانت خلال حياتها الطويلة ظهيرا لأصحاب الآراء الحرة فى إذاعة آرائهم وتسجيلها عن طريق الأدب الرمزى فى الأوقات التى كان يحال فيها بين الأحرار وبين إعلان آرائهم عن طريق الكتابة الصريحة . .

وليس قصائد اللزوميات التى أنشأها المعرى ، وليست رسالة الغفران والفصول والغايات جميعها إلا من هذا الأدب ، وقد كان صاحبها لا يستطيع أن يقول للناس كل شئ فى صراحة فكان يضمن شعره هذه المعانى ويدعها ليفهمها من يفهمها على الوجه الذى يريد

وليس كتاب البخلاء وغيره من آثار الجاحظ إلا « أدبا رمزيا » قصد به الجاحظ إلى تصوير بعض الشخصيات التى كانت تعيش فى عصره ، ولم يكن يستطيع أن يجهر بهجائها وإعلان الخصومة لها فوجد فى هذا الأدب الرمزى منفذا إلى الحديث عنها

وقد اتخذ هذا الأسلوب من الأدب الرمزى كثيرون من الكتاب فى عصرنا الحديث فى مقدمتهم الدكتور طه حسين . وهو يقول فى مقدمة كتابه « المعذبون فى الأرض » الذى صدر أخيراً

« هذا الأدب الجديد الذى أنشأته حكومات الطغيان إنشاء حين اضطرت الكتاب إلى العدول عن الصراحة إلى فنون من التعريض والتلميح . ومن الإشارة والرمز ، حتى استقل هذا الأدب بنفسه وتنافس القراء عليه تنافسا شديداً ، وجعلوا يقرأون ويؤولون ، ويناقش بعضهم بعضا فى التأويل والتحليل واستخراج المعانى الواضحة من الإشارات الغامضة . وانظر إلى ما نشر صاحب هذا الكتاب من جنة الشوك وجنة الحيوان ، ومرآة

الضمير الحديث ، وأحلام شهر زاد فلن ترى إلا رمزاً لمظاهر كنا نبغضها ولا نستطيع أن نتحدث عنها فى صراحة أثناء تلك الأيام السود : فكنا نؤثر الغموض على الوضوح ، والرمز والألغاز على التصريح ، والإشارة والتلميح على تسمية الأشياء بأسمائها ، وكانت حكومات ذلك العهد ورقابتها تقرأ فلا تفهم فتخلى بين الكتاب وما يكتبون ، وتخلى بين القراء وما يذاع فيهم من ذلك الأدب الجديد »

اللهجات العربية

ومما دار من حديث فى ندوة « الشورى » ما أثاره الأستاذ الشافعى اللبان من أنه كان خلال فترة الصيف فى جينيف لا يفهم كثيرا اللهجات العربية المغربية ، ومما قاله فى هذا أنه استمع إلى بعض أهالى المغرب وهم يتحدثون ، فوجد أنه لا يستطيع أن يفهم منهم كثيراً مع أنهم يتكلمون باللغة العربية وكان يسأل فى هذا السيدين الوزانى والفضيل

وقد أجاب الأستاذ الفضيل على هذا بأن فى اللغة العربية كلها حوالى ١٥٠ كلمة هى التى تحول دون فهم أهالى البلاد العربية بعضهم بعضا وهى ليست كلمات عربية بالطبع ، وإنما هى كلمات عامية أو لهجات

وبينما يعتبر المغربيون أنفسهم يتكلمون اللغة العربية الخالصة ، لا يجد المصريون والذين هم فى مثل ثقافة الأستاذ الشافعى اللبان قدرة على فهم الكثير من أحاديث أهل المغرب ، ومثل هذه المشكلة تقع بالنسبة للمغربى والشامى أو بين المصرى والعراق

ومما قاله السيد الفضيل الورتلانى : أنه أحصى أثناء إقامته فى بيروت حوالى ٦٠ كلمة (لبنانية — سورية) هى الحائل بين فهم المغاربة للهجات الشوام . وكذلك فى لغة المغاربة حوالى ٤٠ كلمة ؛ فلو أن كتابا وضع فى بيان هذه الكلمات وشرحها والتقريب بين المتشابه منها فى اللهجات المختلفة لأمكن تضييق شقة هذا الخلاف اللغوى ولأصبح العراق مفهوما فى المغرب والمغربى مفهوما فى مصر

محمد فريد « المؤرخ »

فى الأسبوع الماضى ، كان موعد ذكرى محمد فريد « قديس الوطنية المصرية » كما أطلق عليه ذلك الأستاذ عبد الرحمن الرافعى المؤرخ الكبير ، وفريد خليق حقا بهذا اللقب فقد ضحى فى سبيل بلاده بكل شئ وكان علما خالدا على التضحية فى تاريخ مصر والشرق جميعا

.. ولكن « محمد فريد » يدخل فى هذه الصفحة أيضا من باب الأدب ، فقد كان كاتبا من أعلام الكتابة والبيان ، ومؤرخا غاية فى القوة والتثبت والوضوح وهى أبرز علامات الكاتب الناضج والمؤرخ المنصف

حدثنى أول أمس الأستاذ محمد على الطاهر المجاهد العربى وصاحب الشورى ، وقد رأيت معه كتابا ضخما يعنى بتجليده ، وتغليفه ويبذل فى ذلك جهدا كبيرا ؛ فلما سألته عنه قال هذا كتاب قرأته فى خلال ثلاثين عاما ، مرتين.. وأنا أقرأه اليوم للمرة الثالثة

قرأته سنة ١٩٢٢ فى طبعته الأولى وسنة ١٩٣٥ فى طبعته الثانية وأنا اليوم أقرأ طبعته الثالثة ، إنه كتاب الدولة العثمانية الذى ألفه قديس الوطنية المصرية محمد فريد وهو من أوفى الكتب التاريخية فى هذا الباب

وذهب الأستاذ الطاهر يصور الكتاب ومؤلفه فى صورة رائعة حية ، تدل على مدى تقديره لهما

وإذا ذهبنا اليوم نسأل عن محمد فريد فى محيط الحياة المصرية لم نجد له أثرا ! فها هى ذكراه تمر ، لم يكتب فيها إلا فصل واحد فى جريدة اللواء الجديد

وإذا أخذنا ننظر إلى مجموعة التماثيل المنثورة فى أنحاء القاهرة لم نجد بينها مع الأسف تمثالا لهذا الزعيم الوطنى ، بينما نجد تماثيل لآخرين كانوا ولا شك أقل منه وطنية وبطولة وتضحية

وإنا لنرجو فى هذا العهد الجديد أن يتاح لهؤلاء الأبطال أن يستردوا ما فقدوه خلال عهود الظلم القديمة ... من مكانة هم جديرون بها وخليقون أن يوضعوا فيها بعد أن اعتدلت الموازين

أنور الجندى



ضيف كريم

يزور القاهرة اليوم الكاتب العالم الخطيب شيخ علماء الجزائر ورئيس تحرير البصائر الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي وهو في طريقه إلى أقطار الشرق الإسلامي ليلقى رجاله ويدرس أحواله . وقد تفضل الأستاذ فزار إدارة الرسالة فأنسنا بلقائه ونعمنا بحديثه . والرجل أحد الآحاد الباقين الذين يكتبون لغتهم بأسلوب رصين ، ويبرزون فكرتهم في صورة أنيقة . وهو عميد جمعية العلماء الجزائريين وطريقتهم إلى الإصلاح والجهاد بما أوتي من صدق إيمان وقوة بيان ووفرة علم . ولولا هذه الجمعية لفتنت الجزائر عن دينها ولغتها ووطنها ، فهي في جانب والاستعمار في جانب ، والجانبان يتنازعان الأمة الجزائرية كل إلى جهته . وليس بين المتنازعين تكافؤ في المادة والوسيلة . فإذا قبضنا أيدينا عن مؤازرة هذه الجمعية ساعدنا المستعمرين على أن ينصّروا المسلمين ويبربروا العرب . ولعل الأستاذ الفاضل يكتب كلمة عن هذه الجمعية في الرسالة ؛ فإن أكثر الناس عنها شيئا

إلى الأستاذ رئيس التحرير

قرأت في نشوة « نصيب قريتي من الثورة » وكنت من قبل قد قرأت في وحي الرسالة نصيبكم من الإصلاح ، ففي « وصف مآسي قريتكم من القرى ، وأمتكم من الناس، وصفا مداده الدمع وكلماته الأنين » وإن فيما حفزتم به المستنيم على اليقظة ، والمتواكل على العمل، والجازع على الصبر، والقلق على الاطمئنان ، إن في كل ذلك وفي غير ذلك من آثار قلمكم — لخيوطا من سدى الثورة ولحمتها

ولئن لم تر العين اليوم من الثورة غير جملتها فإن نسيجها كان بأيد مختلفة قدرلها أن تأتلف ، وفي المأمول أن لا تعود فتختلف، ومن ثم كانت ثورة الجيش ثورة الأمة وكان لكل ذي نفس حساسة فيها نصيب

ولئن كنا في البداية من ثورة ، نصيبكم فيها المساهمة في إعزاز الذليل وسيادة الرقيق وتمليك الأجير ، فأحر بكم أن تدأبوا — وقد حثثتم على الدأب — ولا تحرموا الرسالة في بعض أسابيعها من بسمات في مكان سوابق الدمع . وضحكات في موضع سوالف الأنين

لقد كان لانقطاعكم أحيانا عن الكتابة عذره العاذر فليس بالمغري وصف المفاسد والمخازي، وليس بالمشجع إيقاظ النيام. ولقد وعدتم مع بداية النهضة بتجديد الرسالة في الشكل والموضوع والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذي بدأته مصر في الثقافة والحضارة ، كما وعدتم بعودة الرواية أقوى مما كانت عليه — جمال أسلوب — وحسن اختيار — فهل ينطوي تحت هذا الوعد استمراركم على موالاتها بما ينتظره القارئ منكم . وما يرجوه لكم من صحة وعافية

وبعد فلغيركم يقال

علام أقول السيف يثقل عاتقي إذا أنا لم أنزل إذا الحرب شبت

أما أنتم فقد شبت الحرب وأنتم في ميدانها صائلين جائلين معقودا لكم لواء من ألويتها

وما انتهت بعد المعارك ومعاذ الله أن نرى ولو في خلال أسبوع من بين أسابيع من ينجو برأس طمرة ولجام — ولو أن رأسه رميت بأشقر مزبد »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاسكندرية **أحمد عوضه**

(الرسالة) أشكر للسيد الفاضل جميل رأيه وحسن توجيهه ، وأدعو الله على أن يعينني على تنفيذ ما أراد ، وتحقيق ما أمل

ضبة — جبة

علق كاتب حذر — في العدد ١٠٠٧ الصادر في ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ من مجلة (الرسالة) النيرة على علمين من أعلام الأمكنة في بلاد العرب وردا في مقالي عن كتاب (معجم مااستعجم) . يطلق أحدهما على بلدة واقعة في شمال الحجاز على بحر (القلزم) باسم (البحر الأحمر) والثاني منهل من أعرف مناهل نجد بين بلدتي حائل والجوف (دومة الجندل) في الرمل المعروف قديما برمل (عالج) . فقال ذلك الكاتب الذي لم يشأ ذكر اسمه الصحيح

١ — (ضبطت قرية « ظبا » بالظاء والصواب — كما أعتقد — أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء)

وأقول الصواب أن تكتب بصيغة ثالثة مخالفة للصيغتين المذكورتين — هي « ضبة » بضاد فباء فهاء . قال ياقوت الحموى في معجم البلدان ج ٥ ص ٤٢٤ الطبعة المصرية : ضبة بلفظ واحدة الضباب إما الحيوان وإما الضباب — اسم أرض وقيل قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام وبحذائها قرية يقال لها (بدا) وهي قرية يعقوب النبي عليه السلام بها نهر جار بينهما سبعون ميلا ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف عليه السلام بمصر — انتهى كلام الحموى . وضبة القرية هي المقصودة وكل الأوصاف التي ذكرها الحموى تنطبق عليها فهي — ١ — قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام — ٢ — و (بدا) بفتح الباء والدال المخففة (وقد ضبطت في تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٣ ج ١ بتشديد الدال خطأ) لا تزال معروفة باسمها هذا بقرب ضبة وبقربها أيضا (شغب) قرية المحدث المعروف محمد ابن مسلم بن شهاب الزهري — أول من دون الحديث النبوي — وفيهما يقول كثير الشاعر :

وأنت التي حببت (شغبا) إلى (بدا)
إلى وأوطاني بلاد سواهما
حللت بهذا حلة بعد حلة
بهذا فطاب الواديان كلاهما

وفي الواديين مياه كثيرة وزروع . وقد كنت أثناء إقامتي في (ضبة) أسمع أهلها ينطقونها بالظاء لا بالضاد ويقولون إن اسمها القديم وادي الظباء فكتبت في مجلة (المنهل) أصوب كتابة الاسم بالظاء بدل الضاد وكتبتها في كلمتي عن معجم البكري بها — ولكنني بعد أن اطلعت على كلام الحموى ظهر لي خطآن اثنان — بل ثلاثة — أحدها ماذهبت إليه من كتابتها بالظاء وثانيها : كتابتها بالألف بدل الهاء ، وثالثها : ضبط ياقوت لها بالتشديد كما يفهم من كلامه — والصواب في رأيي التخفيف مع ضم الضاد (ضبة) وكذا ينطقها أهل نجد إلا أنهم يسكنون الحرف الأول كعادتهم في كثير من أوائل حروف الأسماء

٢ — وحاول الكاتب أن يخطئ استعمال كلمة (جبة) اسم المنهل المذكور — لملتين أبداهما — ١ — سماعه من قبيلة الشرارات كلمة (الجوبة) — ٢ — حكمه بعدم جواز أن تكون مؤنث (الجب) . وفات حضرة المصحح المخطئ أن قبيلة الشرارات لا تسكن تلك الناحية وأنها تقصد بكلمة الجوبة — هي وغيرها من قبائل العرب — الأرض المنخفضة الواسعة أيا كانت ، وفاته أيضا — الرجوع إلى معاجم اللغة والأمكنة — ولو رجع إليها لوجد اسم (جبة) يطلق على هذا المنهل وعلى عدة مواضع في العراق وفي الشام وغيرها (انظر هذه المادة في القاموس المحيط وهو من أسهل القواميس تناولا وأكثرها تداولا — مثلا) وأما الحكم بعدم جواز تأنيث (الجب) فأمر خارج عن موضوعنا — وهو — في حد ذاته — لم يصادف المحل ولم يستوف الشروط فصار باطلا — كما يقول السادة الفقهاء . وبعد فللرسالة الزاهرة يد بيضاء لما تنشره من كتابات لا تخلو من فائدة ولحضرات القراء تحية طيبة

محمد الجاسر

حول البوصيري

مجلة (الرسالة) هي مجلة العرب جماء — يجد فيها كل باحث ومحقق وعالم وأديب ميدانا واسعا لنشر ما يمتع ويفيد القراء . وإذن فليأذن لنا الأستاذ الكبير الزيات بأن نعلق على ما جاء في العدد ١٠٠٧ منها حول البوصيري بهذه الكلمة المجملة التي لا نريد بها إلا بيان الحق المجرد من كل غرض

قال القاضي الفاضل السيد علي الطنطاوي كلمة الحق حينما قال إن شرك المشركين الأولين أقل من شرك بعض المسلمين المتأخرين — لأن أولئك يدعون الله في الشدة — وهؤلاء يدعون غيره فيها؛ والدعاء من أنواع العبادة التي خلق الله الخلق ليصرفوها خاصة له (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) . ولكن الحق لا يرضى كل أحد فالأستاذ عبد السلام النجاريري أن قول البوصيري

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

جائز ولا يتناقض مع شيء من أمور الدين بدليل حديث الشفاعة — وللأستاذ المحترم أن يعتقد ما شاء ولكن ليس له أن

يرمى طائفة من المسلمين بما هم منه براء ! فهو يقول (إن الطنطاوى تابع فى تكفيره البوصيرى محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد) فالإمام المجدد ابن عبد الوهاب — رحمه الله — وحنابلة أهل نجد بل كل المسلمين — لا يكفرون إلا من اتصف بالكفر — ولم يثبت عن واحد منهم تكفير البوصيرى . وغاية ما يقولون به ويعتقدونه هو :

(١) أن البوصيرى دعا الرسول والرسول ميت ، ودعاء الأموات شرك (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)

(٢) لا ينكر أحد من المسلمين شفاعة الرسول (ص) تلك الشفاعة التى أوضحها الله سبحانه فى القرآن الكريم وبينها الرسول (ص) (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟) (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) . وقال (ص) مجيبا لسائل سأله من أحق الناس بشفاعتك ؟ فقال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه ... فالإذن والرضا من الله وإخلاص العبادة له لا بد منها فى الشفاعة

(٣) تكفير المعين لا يجوز إلا من ارتكب شيئا من المكفرات وأصر على ارتكابها بعد إيضاح الحق له ومات على ذلك، وكل مسلم يبرأ إلى الله من أن يصف البوصيرى بهذا الوصف — إذ لا يمكن الجزم بخاتمته . وليكن حسن ختام كلمتنا هذه تحية — من ربى نجد مضمخة بأريج شيحه وعراره للأستاذين الجليلين الطنطاوى والنجار — وشكرا عطرا للقائمين على هذه المجلة الغراء

عبد الرحمن بن رويشد



مجنون ...

للكاتب الفرنسى جى دى موباسان

أبى مس من جنون ؟ أم أن مابى فيض من غيرة فحسب ؟ لست أدرى من أمر مابى شيئاً ، ولكننى أكابد مر العذاب ، ومض الألم . لقد اجترمت يداى إثم طيش ، طيش أهوج مجنون ، إنه هذا لحق. ولكن ألا تكفى هذه الغيرة الرابية المبهورة، وذاك الحب الثائر الخائن الملعون، وهذا الألم الباهظ المقوت — ألا يكفى كل هذا لأن نأتى إثماً من الأمر وسخفا دون أن ينزع منا إلى هذا السخف أو ذاك الإثم عقل أو فؤاد ؟

أواه ! إنى لآسى وآلم ... وآلم من عذاب دائم حاد مفرط . لقد أحببت تلك المرأة حبا سليطاً طاغياً . ولكن أكان حبها حقا ؟ أعلقتها ؟ كلا ثم كلا ! لقد ملكت على حسى ، وحالت بينى وبين نفسى ... أسرت وصرعت ، فكنت فى يدها — وما أزال — دمية . كنت ملك النظرة الخاطفة ، واللحظ الرهيف ؛ أسير الغلالة والقد الدقيق ؛ عبد التبسم والشفاه ... وكنت ألهث إذا ما تسلط على هيكلها وتآمر ... ولكنها هى ، صاحبة كل هذا ، وكائنة هذا الجسد ، أمقتها وأحترها وألعنها . فقد كانت كدرة غادرة ، وكانت دنسة ماكرة ، وكانت محط الفساد ومهبط السوء . إنها الحيوان فاسد مثير تخلى عن الروح فتخلت عنه ولم تعد بعد فيه ؛ ولم يعد يسير عقله كما يسير نسيم منعش متطلق .. إنها البهيم الآدمى ، بل هى أحط من هذا وأقذر . إنها ردغة مستوحلة . هى آية من آيات الجمال البض الغريض سكنت دار الخزى والعار

كان اتصالنا فى أول الأمر غريباً جميلا . وكان يقتلنى — بين ذراعيها المفتوحتين أبداً — جنون الرغبة الملحة العاتية . وعيناها كانتا تفغران فى كأنما ألهب حلقى العطش . كانتا سنجابيتين حين الظهيرة ، مشوبتين بخضرة وقت دلوك الشمس ، وكانتا زرقاوين إبان الشروق . ليس بى مس من جنون ، فإنى لأقسم أن كان لعينيها هاته الألوان الثلاثة . فهما فى أحايين الحب زرقاوان ثاقبتان ، يتوسطهما إنسانان كبيران مضطربان ، وشفتاها تهلصهما رعدة محمومة ، فلربما انفجرتا عن طرف لسان ريق أحمر يتحرك كلسان الأفعوان، وجفناها الغضيضان الناعسان تترعهما فى وناء وهينة ، فتكشف عن نظرة مضطرمة وارية ، كانت تزيدنى جنوناً . وكنت أحتدم غيظاً إذا ما رأيت نظرتها هذه لدى العناق ، وأرجف حنقاً ورغبة أن أقتل هذا الحيوان الذى تلحف الضرورة فى بقائه

وكان فرعى يهتز لوقع خطاها وهى تتخطر فى حجرتى ؛ وكان قلبي يثب لحفيف ثوبها إذ تأخـذ فى خلع ثيابها فتدع ثوباً يقع ، وتخرج منه عارية مخجلة ، وكنت أحس من ريح غلالتها اللاصقة انحلالا رخيا يسرى فى أعضائى وأطرافى جميعاً ...

وشعرت بأنها ملتنى فجأة واجتوتنى . إذ رأيت ذلك فى عينيها يوماً حين أصبحنا ، فقد كان من دأبى أن أحنو عليها كل صباح أرقب نظراتها الأولى . . . وكنت أنتظر — وصـدرى يدور به الحنق ويحرجه الكره والاحتقار معاً — أنتظر مترقباً نظرات ذلك البهيم النائم الذى يهيمن على فأنا له عبد ذليل ، ولـكن ما تكاد تبدو لعينى حدقتاها الشاحبتان كليلتين سقيمتين إثر الأحضان الأخيرة ، حتى تتقد حواسى ويضطرم كيانى . فكأنما نار تلهبنى فتستنزف كل عزمى وقواى ، ولـكنها حين ذلك اليوم طالعتنى بنظرة مختلفة حزينة بائسة لا ترجو من العالم شيئاً

آه ! حقا رأيت ذلك وعلمته ، ولقد شعرت به للتو وفهمته ، إذ انتهى كل شئ ؛ انتهى كل ما ترجو إلى الأبد ، وعندى على ذلك الدليل يقوم فى كل ساعة وأخرى ؟

فإذا ما عانقتها صدفت عنى قائلة : « هلا تركتنى إذن ؟ » أو قبلتها فتقول : « إنك لبغيض ! » أو تقول : « أفلن أجلس حيناً وادعة ؟ ! »

حين ذلك غرت ، ولـكن كما يغير الـكلاب ... أثارت ما أثارت من ارتياب وكتمان وحيلة . علمت حقا أنها ما عزفت عنى إلا لتفسح مجالا لآخر تذكى عواطفه وتلهب حواسه . . .

غرت غيرة هادرة طائشة مجنونة ، ولـكنى لم أكن مجنونا . كلا ! حقيقة كلا ! وانتظرت ، آه ! ثم حنوت عليها ولم يخب ظنى ولم تخدعنى عيناها إذ ظلتا باردتين مثقلتين ، وقد تقول حينذاك : « إن الرجال لتؤذينى وتسئمنى » ، وكان ذلك حقا

غدوت حينئذ غيوراً منها نفسها ، ومن عزوفها ونفورها ؛ غيوراً من فراغ لياليها ووحدتها ؛ غيوراً من حركاتها وإشاراتها ، ومن عقلها الذى أستشعر دائما عاره ؛ غيوراً من كل ماأتوهم وأحدس وأرى . وقـد تلقانى صبح ليلة من ليالينـا المضطرمة ، بنظرة رضية ناعمة ، كأنما خالطت روحها شهوة فحركت من رغباتها . . . حينئذ يحتدم قلبى حنقاً فتختنق أنفاسى فى صدرى المتحرج ، وتصرخ رغبة فى نفسى أن أخنقها ، وأهشم عظمها تحت ركبتى ، وأنشب فى جيدها أظفارى ، حتى تقر بمخازيها المخلة وتفضح أسرار فؤادها المرذول

أبى مس من جنون ؟

— كلا !

فهأنذا قد انتعشت فى إحدى الليالى وانتشيت واستشعرت إحساساً جديداً يخالطها ، وكنت واثقاً من هذا تمام الثقة ؛ فقد كانت تتمتم كما تفعل بعد العنـاق عادة ، ونظراتهـا توقدت واضطرمت وذراعاها قد شاع فيهما الدفء والحيـا ، واضطرب كيانها أجمع إذ تتحكم فيه الرغبة الثائرة الجموح . وضاعت منـه روائح خفية مسكرة ، هى روائح الحب الذى صرع الفؤاد وأعمى البصيرة

وتغابيت ، ولـكن أحاط بها انتباهى كالشرك ، ومع ذلك فما كشف لى منها عن شئ

وتربثت أسبوعاً ، فشهراً ، ففصلا . والآن رأيت جهومتها قد زالت وتدفقت فيها حميا مبهمة ، ثم استراحت إلى حياة قوامها عناق ، وعمدتها قبل

وفى لحظه وامضة أدركت ! فما بى مس من جنون ! وإنى لأقسم أن ليس بى مس من جنون !

كيف أقص ذلك عليك ؟ كيف فهمت ؟ كيف أبين لك الشئ المبهم الممقوت ؟ !

إليك ما نبهنى إلى كل شئ : فى تلك الليلة التى حدثتك عنها كانت عائدة من نزهة على صهوة جواد فسقطت عنه . وقد جلست ليلتئذ أمامى فى مقعد وثير متوردة الوجنتين ، مخمشة العينين ، مرضوضة الساقين ، صدرها يعلو ويهبط مثل أمواج المحيط . لقد أدركت كل شئ حين رأيتها . إنها تحب ! ولم أستطع أن أخادع نفسى !

حينذاك فقدت شعورى وكرهت أن أنظر إليها . فتحولت إلى النافذة وهنـاك بصرت بخادم يقود جواداً من عنـانه يشبو ويثب . .. أما هى فقد نظرت الجواد الفتى الشـابى ، وأتبعتـه بصرها حتى غاب فاستلقت وغفت . . .

وطفقت أبحث طول الليل فى ذلك . وخيل إلى أننى أوغل

فى غموض ما كنت أتوقعه من قبل . ومن زعم أنه عجم عود النساء الأعوج ، وسبر رغباتهن المتضاربة ؟ ومن ادعى أنه فهم تقلباتهن الغادرة ورغباتهن السافلة ؟

***

كانت تخرج صباح كل يوم على صهوة الجواد إلى الغاب والسهول ، ثم تعود لاغبة مكدودة فى كل مرة ، كما تفعل عادة بعد أن تسكت عنها نوبة من الحب الطائش . الآن قد فهمت ، فغدوت غيورا من الجواد النهد الكريم ، واجدا على النسيم العاشق إذ يحتضنها بينا تنطلق فى شوط سريع أهوج ؛ وغدوت حاقدا على أوراق الشجر إذ تقبل أذنيها عرضا ، حاسدا لأشعة الشمس إذ تلثم جبينها من بين الغصون ، ولذلك السرج إذ يحملها ويلمس فخذيها البضتين

كان هذا كل ما يسرها ويغويها ، ويطلق أسارير محياها ويغريها ، وكان هذا كل ما يكدها ويضنيها ، فتلقانى متعبة لاغبة إلى حد الإغماء ...

وأزمعت الانتقام لنفسى . وكنت أتلطف معها فى الخطاب متلطفا مدللا ، وكنت أمد إليها يدى لتعتمد عليها حين تقفز عن صهوة الجواد بعد أشواطها الهوجاء المضنية . وكان الجواد يرمقنى ثم يفحص الأرض صبوة وفتوة . وكانت تدلله وتربت على كتفه ، أو تحتضن أنفه اللاهث . ولا تنسى أن تمسح على رأسه وأصداغ فه المزبد . وكان ريحها العطر يضوع من جسد تصيب منه عرق أعرف أريجه وسط الليل . وكان هذا العطر يختلط فى أنفى بريح الجواد الأصهب

وطفقت أتحين الفرصة وأتربص الدوائر . لقد كانت تسير كل صباح فى أحراج من السدر توغل فى الغاب ... ففى يوم غدوت مع الفجر ، وفى يدى حبل متين الفتل ، وفى صدارى مسدسان محشوان ، كأنى ذاهب إلى مبارزة

وعدوت نحو الطريق التى تحب ، وربطت الحبل فى جذعى شجرتين متقابلتين ، ثم تعقبتها فى الأحراج

وكثيرا ما خبرت الأرض بسمعى . والآن سمعت وقعا رتيبا من بعيد . وبصرت بشىء من بين الأغصان يسبح فى الهواء سبحا . آه ! ... لم أخدع فقد كان هو الجواد النهد الأصيل . وأما هى فقد كانت نشوى من فرط السعادة محمرة الوجنتين . وتبدلت نظرات عينيها فهى الآن طروب لعوب ، وتطلقت أعصابها من الهم واستراحت إلى تلك القسوة المنعزلة

ولما أن كبا الحصان بمقدمه تهشمت عظامه ، وطرح بفتاتى بعيداً فلقفتها بين ذراعى القويتين حينذاك على حمل ثور سمين . وبعد أن وضعتها على الأرض فى هينة ورفق دنوت منه « هو » وقد كان يحملق فينا حينذاك ويحاول أن ينهشنى ، فأطلقت عليه الرصاص فى الأذن فخر صريعا يتشحط فى دمائه الثرة وقتلته . . . كما يقتل الغريم !

ولكنى أنا نفسى سقطت على الأرض ووجهى قد أدمته جلدتا سوط كان فى يدها . ولما أن تأهبت لأن تلهبنى بالثالثة أفرغت فى جوفها الرصاصة الأخرى . .

نخبرنى بربك أكان مابى مسا من جنون ؟ !

س . م

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا .

وهي تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٤١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرواية

تعـــــــود



و

الرسالة

تتجــــــــدد



في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأته مصر في الثقافة والحضارة

20 me année No 1012

Le Caire 24 — 11 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الاسلام في موكب الاصلاح

دولة الألقـــاب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

كانت الألقاب الملغاة دولة داخل مصر ، لها سلطانها وصولجانها ، ولها جلالها ونفوذها ، ولها كلمتها المسموعة ، وإرادتها التي لاترد ، ولكنها كانت دولة هزيلة لم يقم العقلاء لها وزنا ، ولم يلق الحكماء لها بالا

وكان الملك العربيد — الذى ألغى لقبه من الوجود قبل أن تلغى دولة الألقاب — يجعل منها دمية يلهو بها ، ويشغل بها الطبقة المترفة من هواة الألقاب الجوفاء ، وغواة المظاهر الكاذبة ، وأشياع الفوضى والعربدة ، ليتخذ الجميع منها ستارا يحجب مخازيهم ، وحصانة تدفع عنهم سيف العدالة وسلطان القانون ، ومطية للاستغلال المقوت على حساب الشعب المكدود . وكان لهذه الدولة الهزيلة سماسرة يعرضونها فى الأسواق ، ويساومون عليها طلاب الغرور وعشاقه من أثرياء الحرب المفتونين ، وأرباب العصبيات الفاجرة ، وغيرهم ممن يجيدون استغلال الألقاب ، وتكييف سلطانها ونفوذها

لقد لبثت دولة الألقاب فى مصر عمرا طويلا ، دعمت خلاله صرح الفروق بين شعب واحد ، تقله أرض واحدة ، وتظله سماء واحدة . وثبتت دعائم الطبقات فى وطن واحد ، لا ينتسب إليه زائف ، ولا ينتمى إليه دخيل ؛ وبذرت بذور الفوضى بين أرجاء الكنانة حتى أثمرت الأحقاد فى الأفئدة ، والعداوة فى النفوس ، والبغضاء فى الصدور ، وبثت جراثيم الهمجية حتى أنتجت الجرائم فى شتى صورها ، والشرور فى مختلف ألوانها

ولقد جاء إلغاء دولة الألقاب فى مصر خطوة إصلاحية لها قدرها . وأعتقد أنها ليست بأقل قدرا من خطوة تحديد الملكية ، فإذا كان تحديد الملكية خطوة مادية فى سبيل توازن الطبقات ، فإن إلغاء الألقاب خطوة أدبية فى سبيل المساواة الأدبية ، التى لا غنى عنها لشعب يبغى حياة أدبية كريمة ، وأعتقد أن تفاوت الطبقات المادى لم يكن إلا ثمرة من ثمرات دولة الألقاب ، ففى ظلها استغل أشياعها موارد البلد وخيراته ، وسخروا الدولة بأسرها لحسابهم ، حتى تكدس الثراء لديهم تكدسا أتخمت منه خزائنهم فعمدوا إلى الأرض يبتاعونها بأبخس الأثمان وأبهظ الأسعار ، حتى أوشكت جميعها أن تكون ملكا لعصاباتهم ، فيتحكمون فى أرزاق الشعب وأقواته ، لولا أن الله سلم

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول : إن هذه الخطوة المباركة ، خطوة إصلاحية محضة يرحب بها الإسلام لأنها أصل من أصوله ، وهل يوجد من ينكر على الإسلام أنه لم يقم بناءه إلا على دعامة المساواة المطلقة ؛ وأنت حين تتدبر أول آية نزلت من كتاب الله تجدها لم تهمل قاعدة المساواة ، ففيها وضح أن الناس جميعا

متساوون ، إذ أنهم خلقوا جميعا من مادة واحدة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . . » ونزلت بعد هذه الآية آيات لا حصر لها ، مؤكدة هذه القاعدة ، وذلك حين تشير إلى أن الناس جميعا مخلوقون من نفس واحدة ، أو من ذكر وأنثى وما إلى ذلك : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة.. » « يأيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى »

والإسلام الذى أقام بناءه على قاعدة المساواة ، لا يمكن أن يقر هذه الألقاب ، أو يعترف بها كمقياس لتقدير ذويها ، ودليل على استحقاقهم للتقدير ، لأن للاسلام مقياسا واحدا لإخلاص المخلص ، وإنتاج المنتج ، ومثابرة المثابر ، واجتهاد المجتهد ، وهو: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. »

ولا يمكن أن يقر الإسلام هذه الألقاب ، وهى التى تميز بعضا من الناس على البعض الآخر ، وتملأ أنوف أصحابها تكبرا وغرورا وصلفا ، بل إن الإسلام ، وقاعدته المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، لم يشأ أن يلقب إنسانا — كائنا من كان — بأى لقب يميزه على غيره ، وقد يقول قائل : لقد كانت هناك ألقابا مثل : أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، والأمير ، ونحن نقول له : إن هذه ليست ألقابا بالمعنى الذى نراه ، إذ أنها ألقاب عائدة على مناصب أصحابها لا على أشخاصهم ، كما نسمى رئيس الوزارة ، والوزير ، والمدير ، والمأمور ومن إليهم ، وهذه ليست بالألقاب التى نرمى إليها

إن الله تعالى اختار رسله من خير البشر ، ليقوموا بمهمات شاقة مضنية وهى الرسالات ، ومع هذا فلم يمنحوا لقبا واحدا يميزهم على سائر البشر ، اللهم إلا الأسماء التى تشير إلى مناصبهم كرسل أو أنبياء ، ولقد أفاض القرآن الكريم بذكر أسماء الرسل مجردة من الألقاب ، لتأكيد قاعدة الإسلام التى قام عليها وهى المساواة : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. — محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. — ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . . — قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك . . — وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين — وما تلك بيمينك ياموسى ؟ — ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض .. — يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى .. — يا يحيى خذ الكتاب بقوة ... — إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ... »

والرسول (ص) عنى كل العناية بهذه القاعدة — قاعدة المساواة — فطالما صاح فى آذان صناديد قريش ، منبت العصبية الجامحة والمنجهية الكاذبة ، والغرور الممقوت : « كلكم لآدم وآدم من تراب — الناس سواسية كأسنان المشط »

بل لقد كان رسول الله (ص) يكافح الغرور فى النفوس ، فكره أن يسمى الإنسان اسما يهب له الغرور والكبرياء ، حتى لا يهوى من غير أن يشعر ، قال أبو هريرة فى حديث رواه البخارى : إن زينب [1] كان اسمها برة [2] فقيل تزكى نفسها ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينب » وقد روى البخارى أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخنع [3] الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك »

وبعد — فلقد جاء إلغاء الألقاب خطوة موفقة فى سبيل الإصلاح الاجتماعى الذى له خطره وله قدره ، فحطمت الفوارق ، ومحت دولة الطبقات ، وأذكت فى نفوس الشعب نخوة الاعتزاز بقدره ، وبقى أن تتم الخطوة بالإتيان على فلول دولة الألقاب ، من الإمارة والنبالة والسمو ، فهى أولى بالإلغاء من الباشوية والبكوية وما إليهما ، وأجدر بأن تمحى محوا لا أثر بعده ، فقد كانت أسس الفساد ، وأصل الشقاء ، فى بلد أحسن إليها فقابلت إحسانه بالإساءة ، وفضله بالنكران !

محمد عبد الله السمان

(١) زينب بنت جحش أم المؤمنين
(٢) برة بفتح الباء من البر بكسرها وهو الوفاء
(٣) أخنع : أذل

٤ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

جوهر السلوك الاقتصادى فى أمريكا

عندما ألمت بالعالم أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد، وعانى العالم من شرها ماعانى، كانت نفسية الشعب الأمريكى ودوافعه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية غير مهيئة لقبول هذه الصدمة العنيفة. وكتب الأدب والاجتماع وإحصاءات الاقتصاد وصحف التاريخ مليئة بأوصاف الهزة العنيفة التى أصابت المجتمع الأمريكى من جراء هذه الأزمة العالمية الخانقة

وهيأت الأقدار للولايات المتحدة الأمريكية – رجلان: رجل يفكر وآخر ينفذ، وانطوى تحت لوائهما المتطوعون من الاقتصاديين ورجال الأعمال والكتاب والمثقفون والجهلة –. والمجتمع الأمريكى بأسره. ورغم أن أزمة سنة ١٩٢٩ وما بعد زعزعت كيان الاقتصاد الأمريكى زعزعة عنيفة؛ إلا أنها لم تقوضه، ويولى كثير من المراقبين لتلك الفترة والمعقبين عليها الفضل للمستر فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وللبرفسور جون مينارد كينز الاقتصادى البريطانى الذى استوحى روزفلت من نظرياته الاقتصادية برنامج «العهد الجديد» الذى طبقه روزفلت على الاقتصاد الأمريكى القومى فى سنوات ١٩٢٩ – ١٩٤٠ والذى هو اليوم دستور السياسة الاقتصاديه للشعب وللحكومة الأمريكية

والمجال هنا لايسمح بالانزلاق إلى بحث النظريات الاقتصادية، ولكن وصفا قصيرا لعقلية «كينز» تلق ضوءا نافعا على فلسفته الاقتصادية وعلى جوهر السلوك الاقتصادى للحكومة وللاقتصاد القومى فى الولايات المتحدة الأمريكية

قال مترجم حديث [1] لهذا الاقتصادى الشهير «إن كينز لا يرى الأمور فى حالها الراهنة، وكان همه أن يثبت الفكرة التى يحملها لتخدم هذه الحالة الراهنة ولا يجد ضيرا فى أن ينفى ما أثبته فى حالة سابقة أو أن ينشط غدا لينفى ما أثبته اليوم. وكان يستجمع الجهد والنشاط والمنطق والدهاء والحصافة ليثبت فكرته عن الحالة الراهنة، وأن يعتبر الماضى والمستقبل نواقه لا قيمة لها، ومن ثم فإن أفكاره عن الحقائق والأوضاع كانت وليدة الساعة وعلى ذلك فإنها – أى الأفكار – فى تطور مستمر لا يتقيد بالأمس ولا يعبأ بالمستقبل البعيد

ويخيل إلى هذا الوصف لشخصية البرفسور كينز البريطانى وصف واقعى مطابق للعقلية الأمريكية فى نشاطها الاقتصادى والسياسى كذلك. فلا غرابة أن تتصل أسباب التلمذة العقلية والتعاون العملى بين رئيس جمهورية الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت وبين هذا العالم «الاقتصادى البريطانى»

شغل كينز فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بمعالجة المشاكل الاقتصادية الناتجة عن هزيمة ألمانيا القيصرية، وطال تفكيره وتدريسه لفنون الاقتصاد النظرى والتطبيق، وخرج بنتيجة مستحدثة فحواها أن شر المساوئ الاقتصادية هو فى خطأ النظام النقى المعمول به فى العالم المتمدن؛ أو على الأقل فى الدول التجارية والصناعية الكبرى صاحبة القول الفصل فى تسيار الاقتصاد العالمى

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة وبريطانيا موطن كينز تعانى أزمة بطالة وضائقة اقتصادية لعينة. ووجد كينز أن تقيد النقد المتبادل، أى الجنيه الإسترلينى فى بريطانيا وأنواع العملة الأخرى فى بقية أقطار العالم – تقيد النقد بأسعار الذهب شئ يخنق التجارة الدولية ويزيد من ضائقة العالم الاقتصادى

ولم يقل كينز بالقضاء على معدن الذهب كأساس للنقد الرصين، بل إنه دعا إلى تحرير النقد من استعباد معدن الذهب وجعل الذهب ملكا دستوريا للعملة الصعبة – كملك بريطانيا سلطته صورية أكثر منها فعلية

وقال «كينز» إن الذهب معدن واحد من المعادن الثمينة وصنف واحد من أصناف الإنتاج الثمين؛ فهنالك مواد أثمن منه فى

(١) – حياة جون مينارد كينز. نيويورك سنة ١٩٥١

خدمة الناس والتجارة الدولية ، وإن من الجنون أن نربط أسعار كل شيء بسعر معدن الذهب — وهو معدن إنتاجه محدود والحصول عليه صعب شاق ، وإن من غير الإنصاف أن نقيد النشاط الاقتصادى لشعب ماله إمكانيات واسعة فى كثير من المواد الصالحة والإنتاج النافع لمجرد أن هذا الشعب لا يملك حصة وافية من معدن الذهب ، فهذا التقييد مسؤول عن انتشار البطالة وانقطاع رزق الناس وتفشى الفوضى الاقتصادية بين الشعوب التى لا يتوفر لها معدن الذهب ؛ بينما يتوفر لها إنتاج اقتصادى قيمته الفعلية تعادل قيمة الذهب إن لم تفقه

وبمثل هذا المنطق نشر « كينز » هجومه على معدن الذهب كأساس للنقد الثابت الرصين ، متهما إياه بأنه « من مخلفات العهود الإقطاعية المتوحشة » ودهش الناس لآراء هذا العالم الشهير ! وكانوا بين شاك فى اتزانه العقلى وبين منتظر لميلاد فلسفة عملية جديدة للسياسة النقدية

ثم سرعان ما نشر كينز فى سنة ١٩٣٠ تفاصيل مشروعه لاستبدال معدن الذهب بشيء آخر يصون النقد ويثبته على أساس محترم مضمون ، وشرح هذه الفكرة الجديدة فى « بحث عن المال (٢) » فى أهم الكتب فى علم الاقتصاد الحديث

وفى نهاية استعراض دقيق ممتع عن النقد والشؤون المالية — والحديث عن المال ممتع فى جميع المناسبات — اقترح « كينز » إنشاء سلطة نقدية دولية تتحكم فى تقدير أسعار الذهب بحيث لا يصبح هذا المعدن الأصفر متحكما فى رقاب النقد المحلى لكل دولة ولكل شعب ، واقترح صاحبنا أن تقوم هذه السلطة الدولية التى تضم جميع الدول الراغبة فى الانضمام بتنسيق أسعار العملة لكل دولة ، وتحديد أسعار المواد الأولية وما إلى ذلك من أوجه الشؤون المالية التى يهتم بها أهل الاختصاص

وأشار كينز كذلك أن يكون من أبرز « أهداف سلطة النقد الدولية » بعد تنسيق أسعار النقد فى كل دولة تشجيع استثمار الأموال الحكومية والخاصة فى داخل البلد وفى البلدان الخارجية ضمن ترتيبات وإجراءات معينة تحددها سلطة النقد الدولية هذه بالتشاور مع الدول والهيئات المعنية بالأمر

وأخذت بريطانيا بمشورة كينز فتخلت فى سنة ١٩٣١ عن اعتبار القيمة التقليدية لمعدن الذهب أساسا للجنيه الاسترليني

ثم أغرم رئيس الجمهورية الأمريكية فرانكلين روزفلت فى ذلك الحين بآراء كينز واقتبس منها جزءا كبيرا وطبعه على سياسة أمريكا المالية فى داخل الولايات وفى خارجها

وفى كلتا الحالتين — فى بريطانيا وفى أمريكا — كانت مشورة كينز وآراؤه عاملا قويا فى الإفراج عن ضائقات البلدين فى الشؤون المالية والاقتصادية إجمالا

وجدير بنا أن نستذكر بأن عقلية « كينز » كما وصفها كاتب سيرته وسجلناها فى مستهل هذا الفصل — هذه العقلية كان همها معالجة حالة راهنة غير مقيدة بأحداث الأمس ولا مترقبة خفايا الغد

وهنا سر إغرام الأمريكان بنظريات « كينز » وعودتهم إليها بين آونة وأخرى كلما استعصى عليهم إشكال عاجل بينما تعمد البريطانيون — أهل كينز ومواطنوه — تجاهل جزء كبير من مشورته ونظرياته . فالعقلية البريطانية تحتسب الأمور ولا ترى فى الحالة الراهنة كل شيء ! بينما يميل الأمريكان إلى معالجة مشاكل الساعة بالمسكنات وحبات الإسبرين والأقراص الكيماوية المنومـة

وتطورت فكرة « كينز » عن النقد فأصبحت برنامجا تطبيقيا عمليا . فقد شغل هذا العالم فى سنوات الحرب باستثناء المشاكل الاقتصادية والنقدية العويصة التى تأتى عادة فى أعقاب الحروب ، وخرج من تحليله لمستقبل الاقتصاد العالمى ببرنامج « لاتحاد دولى للقضية النقدية » على أساس عالمى . ونشر هذا البرنامج فى عام ١٩٤٣ عندما كانت رحى الحرب لا زالت دائرة . وهدف هذا البرنامج تنسيق المعاملات النقدية على أساس عزم الدول جميعها على ضمانة هذا التنسيق ضمانة رسمية ، وأن تقوم هذه الدول فى نفس الوقت على توسيع تبادلها ونشاطها الاقتصادى والتجارى على أفسح مجال ممكن . فهذه الضمانة النقدية وهذا التوسيع الاقتصادى سيجعل نقد الدولة مستندا إلى نشاطها التجارى والاقتصادى لا إلى سعر الذهب فحسب

واقترح « كينز » فى برنامجه عن « الاتحاد الدولى للتصفية

(٢) ج . م . كينز « المعاهدات النقدية » سنة ١٩٣٠

النقدية » أن يقوم الاتحاد بجمع أكبر عدد ممكن من الضمانات النقدية للدول الأعضاء، وأن يوضع هذا المبلغ المجموع تحت تصرف الدول الأعضاء تقترض منه إذا شاءت بقدر ما يراه الاتحاد ضروريا لها وبنسبة متمشية مع حصة الدولة فى ميزانيـة الاتحاد ، على أن يقوم الاتحاد باتباع سياسة سمحة تعين الدول فى الحصول على النقـد العزيز حتى لو كان الميزان التجارى لهذه الدولة تعترضه بعض النكبات

واقترح على الاتحاد كذلك أن يشجع الاستدانة والإقراض بين الدول الأعضاء على أساس المسؤولية الحكومية المتبادلة . أما تحديد أسعـار النقد لأى دولة فأمر لا لزوم له فى برنامج هـذا الاتحاد ، ويترك أمر هذا التحديد للتطورات ولمدى النشاط الاقتصادى فى تلك الدولة على أن يكون ذلك خاضعا لرقابة دولية نزيهة

ووافقت بريطانيا فورا على هذا البرنامج . ولـكن الولايات المتحدة الأمريكيـة تقاعست أول الأمر عن قبوله بحـذافيره ، وادعى الامريكان أن هذا البرنامج يفرض على أمريكا دفع أكبر حصة من ميزانية الاتحاد ، فالحصص فى الاتحاد تتناسب مع سعة النشاط الاقتصادى فى الدول المشتركة فيـه . ولما كانت أمريكا أعظم بلدان العالم نشاطا فى المجال الاقتصادى فإن حصتها فى الدفع لميزانية الاتحاد ستكون أكبر حصة . ورأى الأمريكان فضلا عن ذلك أن اشتراك جميع الدول فى هـذا الاتحاد ودفعهم نقدا محليا (دعائمه غير ثابتة فى كثير من الدول) ثم تخويلهم سحب القروض من الاتحاد بالعملة التى يشاؤونها (ومعظمهم راغب فى اقتراض الدولارات الأمريكية) — هذا التخويل يشجع الدول الهزيلة الـكسولة فى النشاط الاقتصادى على الاقتراض فى غـير وعى وحساب ، ويـكون ذلك الاقتراض على حساب الدول الصناعية الفنية الـكبرى وفى طليعتها أمريكا

ولم يرفض الأمريكان فـكرة «الاتحاد الدولى للتصفية النقدية» وإنما اقترحوا تعديلات جوهرية عليها . وفى مؤتمر « بريتون وودز » الذى عقد فى الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقـاب الحرب العالمية الأخيرة مباشرة أقنع الأمريكان المستر « كينز » (الذى كان من أبرز المشرفين على هذا المؤتمر) بتعديلاتهم — أقنعهم كينز ببعض نظرياته التى كانت موضوع جدل ، ونجح الأمريكان فى ذلك المؤتمر بتقييد عملية الاستدانة والإقراض للدول الأعضاء التى تنضم إلى الاتحاد النقدى الدولى . وغضب « كينز » لهذه القيود الشديدة التى وضعها الأمريكان على برنامجهم العالمى ولـكنه رضى بها وكان من نتـائج هـذا الرضى أن استطاعت (بريطانيا التى كان المستر كينز يمثلها فى مؤتمر بريتون وودز) فى الحصول على أول قرض وهبات سخية من الدولارات الأمريكية [٣]

وذهب الأمريكان إلى أبعـد من ذلك ، فلما تبلورت فـكرة الاتحـاد الدولى للتصفية النقـدية فى مؤتمر « بريتون وودز » « وتأسس صندوق النقد الدولى التابع لهيئة الأمم المتحدة » بعد المؤتمر بقليل أصرت الحـكومة الأمريكية أن يكون لها إدارة هذا الصندوق مع أنه أصبح وكالة فنية خاصة تابعة لهيئة الأمم . وعارض « كينز » فى ذلك وقال بما أن للأمريكان تحفظات شديدة فى هذا البرنامج فإن إدارتهم لصندوق النقد الدولى (الذى وكل بتنفيذ البرنامج) ستؤثر تأثيرا شديدا فى مستقبل الفائدة المطلوبة من هذا الصندوق الدولى . ولـكن الحـكومة الأمريكية أصرت على أنها إذا كانت ستدفع أكبر حصة فى هذا الصندوق فإن من حقها أن تفرض النغم الذى يطيب لها عزفه [٤] . وانزعج كينز من هذا ووجد فى إصرار الأمريكان على إدارة هذا الصندوق الهام رغبة الحـكومة الأمريكية فى أن تفرض رقابة شديدة على الأوضاع النقدية فى جميع الدول الأعضاء

وسلم « كينز » للأمريكان واكتفى بتحـذير المسؤولين عن وخيم العواقب ، ثم عكف على التأمل فى وضعية العالم الاقتصادية فى عالم ما بعد الحرب ونشر ذلك فى سفر اقتصادى نفيس هى آراؤه العلمية [٥]

وخرج كينز من تأمله العميق وخبرته العملية والتطبيقية الواسعة بنتائج اقتصادية عظيمة الخطورة فى التعرف عليها اليوم لبعض دقائق السلوك الاقتصادى (والسياسى) للأمريـكان حكومة وشعبا

(٣) باعتراف المستر هربرت فيس المستشار الاقتصادى لوزارة الخارجية الأمريكيـة فى مقالة له عن هذا الموضوع فى مجـلة « الشـؤون الخارجيـة الأمريكية » عدد يوليو ١٩٥٢

(٤) نفس المرجع السابق

(٥) « النظرية العامة للعمل والفائدة والمال »

وكان هم « كينز » أن يضع العلاج للمساوئ التي تكتنف الاقتصاد الحر الذي تعيش عليه الدول الاقتصادية الكبرى في أمريكا الشمالية وبريطانيا ، وأن يثبت بأن تنبؤات كارل ماركس الشيوعي عن إفلاس النظم الرأسمالية هي تنبؤات خاطئة لو تيسر لهذا الاقتصاد الحر أن يتبع أساليب مستحدثة في نشاطه الاقتصادي وسياسته المالية والتجارية

وقد وجد كينز أن عهد الاستعمار المباشر قد انتهى وأن السياسة الاقتصادية الصائبة تقتضي جعل حرية التبادل النقدي أساسا للرخاء الاقتصادي بدل أن تكون السيطرة الاستعمارية على الأسواق التجارية هي عماد الرخاء في البلدان الصناعية الكبرى كأمريكا وبريطانيا ، فحرية التبادل النقدي كفيلة بأن تضمن استقرارا للأوضاع الاقتصادية وإصلاحا للمساوئ السياسية والاجتماعية التي ترافقها

وكان الفكر الاقتصادي والتقليدي المعمول به في بريطانيا وأمريكا يؤكد بأن النظام الرأسمالي كفيل بأن يصون نفسه إذا استطاع أن يحقق العمالة الكاملة . فإذا توفر العمل لجميع الأيدي العاملة تولدت حلقة اقتصادية سليمة . فالعمل المستمر يحقق دخلا مستمرا للناس ويزيد الإنتاج ويتوفر الدخل يزداد استهلاك المنتجات ، أما استقرار أجور الأيدي العامله وأسعار المنتجات المستهلكة فسيتوقف على طبيعة المنافسة الحرة في الاقتصاد الحر وعلى مدى إدراك الناس لفضائل الادخار والاستثمار والإقبال على رفع مستوى معيشتهم وترك النقد المتداول جاريا في مجرى سليم

وتعمق كينز في هذه النظرية الاقتصادية القويمة على ضوء الأضرار الواسعة التي جلبتها الحرب على اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى وعلى مصانعها وموارد إنتاجها ، وعلى ضوء التقلبات السياسية والاجتماعية التي ألمت بجزء واسع من آسيا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا (إلى حدما) وهو جزء كان فيما مضى أجزاء من إمبراطوريات استعمارية واسعة . وخرج كينز بعدهذا التعمق بنتيجة مخالفة لهذه النظرية الاقتصادية القديمة فوجد :

(١) أن العمالة الكاملة ليست أساس كل شيء ، في استطاعة الدول أن تعيش على اقتصاد سليم إذا توفر فيها الاتزان — عمالة معتدلة لا هي بالكاملة ولا هي بطالة متفشية

(٢) يجب على الدول الصناعية الكبرى التي تعيش على الاقتصاد الحر أن تدرك من أن النكسات الاقتصادية الخطيرة التي تصيبها بين آن وآخر — ليست عوارض تأتي وتزول — بل إن من الممكن لهذه النكسات أن تتطور فتولد إفلاسا تاما لهذه الدول

ويهمنا هنا أن نتعرف على موقف الأمريكان من نظرية « كينز » الجديدة ؛ فقد استمر « كينز » يدخل تعديلات وإصلاحات على نظريته مما لا مجال لذكره هنا ، وكان لا يجبن عن أن يناقض نفسه في رأي كان قد قرره سابقا ثم وجد أنه يخالف الحقائق التي اكتشفها الآن . فهذه المرونة وجدت قبولا حسنا لدى العقلية الأمريكية التي وجدناها طاقة لا تتقيد بحدث مضى ولا تترقب خفايا الغد البعيد

فقد وجد الأمريكان أن كينز يعطي أهمية فائقة للاستهلاك الفعال في النشاط الاقتصادي . فقال إن علة القلق الاقتصادي الذي يعتري النظم الرأسمالية هو في الاستعمال الخاطئ للدخل . والدخل على أنواع : دخل ينفق ودخل يدخر ودخل يستثمر في المشاريع المربحة . وأمر كينز ضرورة الاهتمام الرئيسي بالنوعين الأخيرين من أنواع الدخل وهما الدخل المدخر والدخل المستثمر في المشاريع المربحة . وقال إن ثروة الشعوب لا تقدر بقيمة ما تملكه من مال مدخر بل بكمية الاستهلاك الفعال المستمر الناتج عن سياسة الاستثمار النافع الواسع النطاق

وحذر كينز الدول الرأسمالية الكبرى بأنها يجب أن تتبع النصائح التالية إذا شاءت لنفسها البقاء عزيزة سالمة

(١) يجب أن تسرع في تنفيذ الأساليب المستحدثة على ضوء التطورات الاقتصادية والسياسية الجديدة وإلا فإن على النظام الرأسمالي السلام

(٢) إذا ظل الدخل قاصرا عن استهلاك المنتجات التي تنتجها الصناعة والزراعة وسائر ألوان النشاط الاقتصادي فإن عجلة الحياة الاقتصادية ستتوقف؛ فالدول الصناعية الكبرى بما لها من تفوق واستعداد فني حديث ستظل تنتج إنتاجا هائلا قد لا يقوى استهلاكه الشعبي في تلك الدول بسبب التفاوت بين مبلغ الدخل الفردي وبين كمية الإنتاج الهائلة وبسبب اكتفاء الناس بحاجات

٤ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هل بقى الميسر فى الإسلام

كان لأهل الجاهلية كثير من العادات والنظم الشنيعة التى جاء الإسلام من بعد ونص على تحريمها ، ونهى عن مزاولتها ومن ذلك وأد البنات وما كان فيه من شناعة قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق . ومنها نكاح المقت ، وهو نكاح زوجة الأب . ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومن ذلك شن الحروب فيما بينهم للسلب والنهب ، ومنها الميسر ، والاستقسام بالأزلام ، وشرب الخمر ، وكثير غيرها من عادات الجاهلية

وقد قضى الإسلام على معظم هذه المفاسد قضاء مبرما ، فلم نسمع بأن شيئا منها حدث فى الإسلام إلا ما كان من شرب الخمر ، فإن غلبتها لضعاف النفوس من المسلمين كانت غلبة متصلة الحلقات ، لم يسلم عصر ولم يسلم بلد ممن كان يشرب الخمر ويحد فيها ، ويلقى حزاء الشارب

ولكننا لم نسمع ولم نقرأ أن قوما من المسلمين اجتمعوا لمزاولة الميسر الجاهلى على نحو ما كان يصنع العرب قديما ، فلم تكد تظهر شمس الإسلام على ذلك الباطل حتى أزهقته وقضت عليه قضاء ، ومحت معالمه ، حتى تعذر على بعض الرواة القريبى العهد بالجاهلية أن يعرف حقيقته أو يظهر على كنهه ، وحتى وجدنا إماما كبيرا من أئمة العربية — وهو الأصمعى — يخطئ فى ذلك خطأ ظاهرا ، كما أسلفنا القول فى المقال الأول

وحرم الإسلام القمار — وهو ضروب شبيهة بالميسر الجاهلى كما قدمنا — ولكن القمار ظل إلى عصرنا هذا يقترفه الآثمون فى صور شتى ، ولعل أفشى صوره وأظهرها اليوم هو (لعب

معينة تجعل لاستهلاك الفرد حدا لا مزيد عليه . ولكى تتفادى الدول الصناعية الكبرى وقوف عجلة الحياة الاقتصادية فإن عليها أن تشجع سياسة الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة للفرد وللمؤسسات المالية والصناعية — فهذا الاستثمار سيزيد من الدخل الفردى والدخل القومى ويشجع بالتالى على زيادة الاستهلاك ويوفر لعجلة الحياة الاقتصادية (الصناعية والزراعية) أن تتابع سيرها فى أمن وسلامة

وللاستثمار أوجه عديدة : منها استثمار محلى نافع وخصوصا فى الدول التى لها إمكانيات واسعة فى الموارد الطبيعية والصناعية كأمريكا مثلا ، واستثمار فى المشاريع المربحة فى البلدان الخارجية

(وجدير بالذكر أن الاقتصاد المنظم فى الدول الشيوعية والاشتراكية إلى حدما ؛ يفرض على عجلة الاقتصاد خطوط السير ويحاول أن يقيد الإنتاج الصناعى والزراعى بحيث يتعادل الإنتاج مع مقدرة الناس على الاستهلاك والشراء . وهذا التقييد يكون عادة على حساب حرية النشاط الاقتصادى ويأتى عن طريق مركزية حكومية صارمة تضع للنشاط الاقتصادى برامج لخمس أو لعشر سنوات أو لأكثر من ذلك أو أقل)

ولما كان النظام الاقتصادى الحر فى الولايات المتحدة الأمريكية ينفر من المركزية الحكومية فى التقييد والتوجيه الصارم ؛ لذلك ولما كان شبح أزمة ١٩٢٩ الاقتصاديه يتراءى للأمريكان من بعيد فى عالم مابعد الحرب العالمية الأخيرة ، وجدت نظرية الاستثمار — استثمار الأموال المدخرة أو الأموال الفائضة — التى جاء بها كينز — مكانا عزيزا فى تفكير الأمريكان حكومة وشعبا

وعلى ضوء هذه الحقائق يجدر بنا أن ننظر إلى « مشروع مارشال » وما استتبعه من خطوات أمريكية أخرى « كمشروع النقطة الرابعة » « ومشروع الضمان المتبادل » وبقية النواحى فى سياسة أمريكا الخارجية فى مجالها الاقتصادى والدبلوماسى والعسكرى — بما فيها الدفاع عن الشرق الأوسط

وقبل أن نستعرض ذلك دعنا نتعرف على أهمية العنصر الأيديولوجى على المبادئ والعقائد والأسس العاطفية التى تكمن وراء فكرة الدفاع المشترك التى يبشر بها الأمريكان

نيويورك
عمر حليق

الورق) الذى صار إما دوليا يلتقى عليه المصرى والأوربى والآسيوى والأمريكى فى يسر ، وصارت قوانينه عرفاً عاما بين المتقامرين على شتى أجناسهم وبلدانهم

الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام فهو طلب القسم ، أى ما يقسم للانسان ويقدر . والأزلام : جمع زلم ، بضم ففتح ، أو بالتحريك ، وهو القدح ، بكسر القاف ، أو السهم من سهام الاستقسام

والأزلام ذكرت فى كتاب الله مرتين :

أولاهما قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق [١] »

والأخرى قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه [٢] »

وقد اختلف المفسرون فى هذه الأزلام ، هل هى أزلام الميسر وقداحه ، أم هى أزلام أخرى معينة ؟ والراجح المعتمد أن المراد بالأزلام فى الكتاب العزيز ضرب آخر من القداح يستعمل فى أغراض أخرى غير الميسر ، سنبسط القول فيما يلى . ويرجح ذلك :

١ — أنها ذكرت فى الآية الأولى بعد « النصب » فهناك علاقة بين هذه الأزلام وبين الأنصاب

٢ — وفى الآية الثانية ذكر الميسر ، ثم ذكرت الأنصاب ثم الأزلام ، ولو كانت الأزلام والاستقسام بها شيئا هو الميسر لما ذكرت فى الآية مرة ثانية ، أو لذكرت بعد الأزلام مباشرة على طريق الترادف أو نحوه

٣ — قال الأزهرى [٣] : « وقد قال المؤرج وجماعة من أهل اللغة إن الأزلام قداح الميسر » . قال : « وهو وهم »

(١) الآية ٣ من سورة المائدة
(٢) الآية ٩٠ من سورة المائدة
(٣) اللسان (قسم)

٤ — وقال الفخر الرازى [٤] : « قال المؤرج وكثير من أهل اللغة : الاستقسام هنا هو الميسر المنهى عنه ، والأزلام قداح الميسر . والقول الأول اختيار الجمهور » . يعنى بذلك طلب معرفة الخير والشر بوساطة ضرب القداح

٥ — ومما يؤيد أن المراد بالأزلام فى القرآن غير أزلام الميسر ما روى أبو الدرداء [٥] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » . فالاستقسام فى هذا الحديث مقرون بالتكهن والتطير . وهذا يدل على أنها أزلام الاستخبار والاحتكام لا أزلام الميسر

٦ — وجاء فى اللسان [٦] رواية عن الأزهرى : « ومعنى قوله عز وجل : وأن تستقسموا بالأزلام ، أى تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم . ومما يبين ذلك : أن الأزلام التى كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر ما روى عن عبد الرحمن بن مالك المدلجى ، وهو ابن أخى سراقة بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول :

جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون لنا فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما . قال : فبينا أنا جالس فى مجلس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم فقام على رءوسنا فقال : يا سراقة ، إنى رأيت آنفا أسودة بالساحل [٧] لا أراها إلا محمدا وأصحابه . قال : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بغاة [٨] . قال : ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت جاريتى أن تخرج لى فرسى وتحبسها من وراء أكمة ، ثم أخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخفضت عالية الرمح وخططت برمحى فى الأرض حتى أتيت فرسى فركبتها ورفعتها

(٤) تفسيره (٣ : ٣٥٧)
(٥) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)
(٦) مادة (قسم) .
(٧) أسودة : جمع سواد الشخص
(٨) يريد بذلك أن يصرفه عما هو بسبيله

تقرب بى [٩] حتى رأيت أسودتهما ، فلما دنوت منهم حيث أسمعهم الصوت عثرت بى فرسى ، فخررت عنها وأوهيت بيدى إلى كنانتى فأخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضيرهم أملا ؟ فخرج الذى أكره : أن لا أضيرهم . فعصيت الأزلام وركبت فرسى فرفعتها تقرب بى حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى وخررت عنها . قال : ففعلت ذلك ثلاث مرات إلى أن ساخت يدا فرسى فى الأرض »

قال الأزهرى : « فهذا الحديث يبين لك أن الأزلام قداح الأمر والنهى ، لا قداح الميسر »

الأزلام فى الشعر العربى

١ — وقد نطق الشعر الجاهلى بأزلام الاستقسام ، إذ يقول طرفة [١٠] :

ففعلنا ذلكم زمنا ثم دانى بيننا حكمه
أخذ الأزلام مقتسما فأتى أغواها زلمه
عند أنصاب لها زفر فى صعيد جمة أدمه

دانى ، أى قارب . ويعنى بالحكم الفلاق بن شهاب السعدى ، أنفذه النعمان الأكبر ليصلح بين بكر وتغلب فأصلح بينهم محتكما فى ذلك إلى الأزلام . والزفر من العطايا : الكثيرة [١١] . يعنى بها ما يهدى إلى الأنصاب من قرابين . وعنى بالأدم جلود ما ينحر عندها من الإبل ونحوها

٢ — ونطق الشعر الإسلامى بذلك الاستقسام . قال الحطيئة [١٢] يمدح أبا موسى الأشعرى :

لم يزجر الطير أن مرت بهسنحا ولا يفيض على قسم بأزلام

يريد أنه لا يتطير من السانح والبارح ، ولكنه يمضى متوكلا على الله عز وجل ، ولا يستقسم بالأزلام كما كانت تفعل الجاهلية

وقال آخر [١٣] :

هم المجيرون والمغبوط جارهم فى الجاهلية إذ يستأمر الزلم

٣ — ونلمح فى الشعر العباسى أيضا وميضا من الإشارة إلى الأزلام أو قداح الاستقسام فيما رواه أبو الفرج [١٤] من القصة التالية ، عن محمد وهيب الشاعر قال :

لما ولى الحسن بن رجاء بن أبى الضحاك قلت فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على وأبا سعد المخزومى وأبا تمام الطائى فاستحسنوا الشعر وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى يلقى بها الملوك فخرجت إلى الجبل ، فلما صرت إلى همذان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر فاستحسن منه قولى :

أجارتنا إن التعفف باليأس وصبرا على استدرار دنيا بإبساس
حريان ألا يقذيا بمذلة كريما وألا يحوجاه إلى الناس
أجارتنا إن (القداح) كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

فأمر حاجبه بإضافتى . فأقمت بحضرته كلما وصلت إليه لم أنصرف إلا بحملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرف الصيف ، فقال له : يا محمد ، إن الشتاء عندنا علج فأعد يوما للوداع فأنشدنى الثلاثة الأبيات ، فقد فهمت الشعر كله . فلما أنشدته :

أجارتنا إن (القداح) كواذب
وأكثر أسباب النجاح مع الياس

قال صدقت فلم يزل يستعيدنى هذا البيت وأنا أعيده عليه ، ثم قال عدوا أبيات القصيدة فأعطوه لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت اثنين وسبعين بيتا ، فأمر لى باثنين وسبعين ألف درهم

للبحث صلة

عبد السلام محمد هارون

(٩) التقريب : ضرب من العدو والجرى
(١٠) ديوان طرافة ١٨ طبع قازان
(١١) القاموس (زفر)
(١٢) اللسان (زلم) والبيت ساقط من ديوان الحطيئة ولكن شرحه مثبت فيه . وقال السكرى شارحه : « ويروى : « ولا يفاض لمقسم بأزلام » والأول أجود »
(١٣) الميسر والقداح ٤٠
(١٤) الأغانى ١٧ : ١٤٢

تاريخنا العربى

دعوة إلى دراسته وإعادة كتابته من جديد

بمناسبة المؤتمر الثقافى للادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية المنعقد فى عمان

للأستاذ كامل السوافيرى

نشرت مجلة الرسالة الزاهرة فى العدد ٩٩٥ البيان الذى أذاعته الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عن سعيها لخلق جيل عربى يعتز بقوميته العربية ويقدس تراثه المجيد ، وتحقق الإدارة من أن علم التاريخ هو أهم الوسائل التى تحقق هذه الأهداف، ودعوتها إلى تأليف لجنة من الخبراء فى التاريخ لوضع قواعد عامة ، يسترشد بها فى تأليف كتب التاريخ المدرسية فى البلاد العربية وتقرير مناهج موحدة فى هذه المادة فى مرحلتى التعليم الابتدائى والثانوى

واتجاه الإدارة الثقافية هذا الاتجاه القوى أمر محمود الأثر جليل الخطر ، إن يكن لنا اعتراض عليه فهو تأخره حتى اليوم .

وإننا إذ نتمنى للادارة الثقافية ، وللجنة الخبراء فى التاريخ المنبثقة عن الإدارة التوفيق فى مهمتها ، نرجو ألا يقتصر الأمر على بحث توحيد المناهج التاريخية فى الأقطار العربية ؛ بل يتجاوز ذلك إلى النظرة الفاحصة والدراسة الشاملة الدقيقة للكتب التاريخية المنبثة فى المكتبة العربية

ولست أعدو الواقع إذا قلت إن تاريخ العرب لم يجد منهم العناية اللائقة به ، والدراسة المنظمة لأحداثه ووقائعه ، وتنقيته من الرواسب التى علقت به منذ عصر تدوين العلوم . والتبعة فى هذا واقعة على كواهل أعلام الفكر وأقطاب البيان فى الأمة العربية

ولسنا نريد أن نرجع إلى الوراء لنغوص فى أعماق الماضى البعيد ونوضح الخلط الذى وقع فيه المؤرخون حين تحدثوا عن العرب فى الجاهلية وما وقعوا فيه عند الحديث عن هذه الفترة من أخطاء ؛ ولكنا نقصر كلمتنا على التاريخ العربى بعد أن بزغ الإسلام على الجزيرة العربية وأرسل نوره الوهاج إلى آفاق المعمورة فبدد ظلامها ، وأضاء جوانبها . مستعرضين المراحل التى مر بها تدوين ذلك العلم وما وجه إلى طرق تدوينه وجمع أخباره من نقد وما أبدى عليه من ملاحظات . لقد مر تدوين التاريخ بعد الإسلام أو على وجه التحديد فى أوائل العصر العباسى الأول بمرحلتين : الأولى تدوين الأحداث حسب الترتيب الزمنى الذى لها ، وربطها بالسنين وروايتها بطريقة السلسلة ؛ وممن سار على هذه الطريقة المؤرخ المشهور ابن جرير الطبرى . حاكاه فيها خلفه العظيم ابن الأثير بعد أن أسقط سلاسل الرواة . ومن قبلهما ابن إسحق والواقدى.. الأول فى السيرة والثانى فى الفتوح . والمرحلة الثانية هى التدوين على غرار الأسر أو الدول والأشخاص كتاريخ الخليفة عمر بن الخطاب أو الدولة الأموية أو الطولونية حيث يترجم المؤرخ للخليفة أو الحاكم ويستعرض ما حدث فى عهده من الأحداث ، وقد يتطرف إلى ذكر بند عن حالة البلاد المجاورة فى ذلك العهد . ومن الذين ساروا على هذه الطريقة كل المؤرخين الذين كتبوا عن الأمم والأشخاص والبلدان كابن طيفور صاحب تاريخ بغداد ويوسف ابن الداية والكندى والعتبى وغيرهم .

وفى هاتين المرحلتين لوحظ على تدوين التاريخ أن الأخبار كانت تروى فى المرحلة الأولى على علاتها دون بحث أو تمحيص . وفى الثانية يسقط منها ما لا يرضى الأسرة الحاكمة أو الدولة أو الخليفة . ولوحظ أيضا أن التدوين فى المرحلتين لم يعد النواحى السياسية والحوادث التاريخية المرتبطة بحروب الخليفة مع غيره أو المتعلقة بشخصه ؛ حتى ليكاد القارئ يظن أن تاريخ الأمة العربية كان جملته حياة ولاة وخلفاء، ووحدة منازعات ومخاصمات، لا تاريخ أمة ولا حضارة شعب . ويبدو ذلك جليا فى استعراض المؤرخين للأحداث السياسية الجارية فى أزمانهم وإبرازهم ما يتصل منها بالقادة والخلفاء ، وإهمالهم النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للشعب . ومما لا ريب فيه أن التاريخ ليس هو الجانب السياسى

المحض للأمة ، ولـكنه الوحدة القائمة على تفاعل الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وقد ظل هذا التشويش يسود تدوين التاريخ إلى أن ظهر الفيلسوف الاجتماعى المؤرخ العلامة ابن خلدون فى القرن الثامن وألف مقدمته فألقى أضواء متألقة على تدوين التاريخ ، ولم يفته أن يطلع على المراجع التاريخية التى ألفت فى العهود السابقة لعهده وما نقله المؤرخون من الأخبار التى لاسند لها من الحقيقة فهاجمهم وأنكر عليهم تخبطهم ورسم لهم الطريقة المثلى وأبرز المطاعن المأخوذة على بعضهم إذ قال : وإن كان فى كتب المسعودى والواقدى من المطعن والمغمز وهو معروف عند الأثبات ومشهور بين الحفظة والثقات (١)

وكان أهم ما أخذه ابن خلدون على المؤرخين القدامى اعتمادهم فى الأخبار على مجرد النقل دون تحـكيم أصول العادة وطبيعة العمران ومبادئ الاجتماع .

إن الأخبار إذا اعتمد فيهـا على مجرد النقل ولم تحـكم أصول العادة وقواعد السياسـة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الإنسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط فى الحـكايات والوقائع لاعتمادهم فيهـا على مجرد النقل غثا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحـكمة والوقوف على طبائع الـكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط (٢) ومع أننـا لا نوافق ابن خلدون فى كل ما جاء فى مقدمته وخصوصاً فى تحامله على العرب نرى أن طريقته فى تدوين التاريخ كما جاءت فى المقدمة هى الطريقة العلمية . ويغلب على ظننا أنه كتبها بعد أن انتهى من تأليف كتابه لأنه لم يجر على المنهج الذى رسمه لنفسه فيها .

ولا نريد أن نضرب الأمثال على تخبط المؤرخين القدامى فى الحوادث فقد سرد ابن خلدون عدداً منها وناقشها مناقشة علمية ، ولـكنا نورد حادثين على سبيل التمثيل لا الحصر يؤيدان ما ذهبنا إليه ؛ هما : فتك المنصور بأبى مسلم الخرسانى وتنكيل الرشيد بالبرامكة وفيهما يتضح التخبط فى تعدد الأسباب واختلاف الآراء

وهناك ناحية أخرى لها أهميتها البالغة وهى الشعوبية المدمرة التى أطلت برأسـها فى العصر الأموى ثم استعمل خطرها فى العصر العبـاسى فلم تترك خليفة من الخلفـاء العرب أو قائداً من عظام قوادهم إلا حاولت أن تغض من قدره وتحط من شـأنه باختلاق الأكاذيب وابتداع الأقاويل التى لاظل لها من الحقيقة . لذلك أرى أن تمتد رسالة اللجنة المؤلفة لتوحيد مناهج التاريخ إلى النظرة الفـاحصة فى تاريخ الأمة العربية والعمل على إعادة كتابته من جديد . ولا بأس من أن تمهل اللجنة حتى تفرغ من مهمة توحيد مناهج التاريخ المدرسية

وعلى الإدارة الثقـافية وأعلام الفـكر فى دنيا العروبة أن يوجهوا عنـايتهم إلى التراث العربى المجيد المبعثر فى شتى المراجع ومختلف المصـادر تختلط فيه الحقائق بالأساطير ، ويختلف ، فيه مؤرخو العرب مع مؤرخى الأفرنج ، ويوجه إليه المستشرقون غمزات النقد والتجريح ، فينقوه من الشـوائب ويصفوه من الرواسب ويخرجوه إخراجا جديداً فى إطار جميل تبرز فيه جوانب العظمة وأمجـاد الماضى ومناهل العلم وألوان الحضارة مع توجيه النظر إلى المآثر الغر والأيام الخالدة فى تاريخ العرب والإسـلام التى تهز المشاعر وتحرك العواطف ، ليقف العربى والمسلم على مجد أمته حين اتسعت رقعتهـا وترامت أطرافها فضمت معظم أجزاء آسيا وإفريقيا وجزر بحر الروم ثم وثبت على أوربا فأنشأت حضارة فى الأندلس استضاءت بنورها د ول أوربا وظلت تدرس فى جامعات الغرب حتى عصور متأخرة . ويبقى بعد ذلك أن نقرر أننا لا نريد أن يفهم القراء من دعوتنا هذه مفاخرة العرب لغيرهم من الأمم بالماضى أو الاعتزاز بعظام نخرة وقبور دارسة؛ بل نهدف إلى أن يطلع الشباب العربى والإسـلامى على الماضى ليربط العرب والمسـلمون بين ماضيهم وحاضرهم فيستلهموا من المـاضى العزة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤ طبع بيروت

(٢) ص ٨ نفس المصدر

هل كان النبي يعلم الغيب ؟

للأستاذ أحمد محمد جمال

هل كان النبى محمد عليه السلام يعلم « الغيب » كليا ، ومطلقا ، ودائما ؟

أما أنا : فأقول : لا . وإنما كان يعلم « الغيب » بإيحاء الله له — متى شاء — فى أزمنة ، وأمكنة ، وقضايا محدودة غير مطلقة . وليس الحجاب مكشوفا له دائما ، بحيث يرى « غيب » ملكوت السموات والأرض ، ويعلم كل ما حدث أمس ، وكل مايحدث بعده . . وإن لم يرها

ولكن الأستاذ ناصر سعد — من العراق — كتب فى مجلة الرسالة الغراء (العدد — ٩٩٨) مقالا يجزم فيه بقوله : « إن النبى — ولاشك — كان يعلم الغيب فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ، ويعرف حقائق أسرار الكون . . . ولا مجال لتكذيب هذا الأمر اليوم ، بعد أن أقر علم النفس الحديث قراءة الأفكار وإحضار الأرواح ومحادثتها » الخ .

وذهب الكاتب الفاضل يضرب الأمثال على مازعم فذكر :

(١) إخبار النبى عليه السلام لعمار بن ياسر « إنما تقتلك الفئة الباغية »

(٢) تحديثه بأشقى رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه

(٣) تحديثه عمير بن وهب بما جاء من أجله إلى المدينة ، وهو ما تآمر عليه هو وصفوان بن أمية ، فى الحجر باليمامة ، من اغتياله عليه السلام

(٤) إخباره لعمه العباس يوم أسر فى واقعة بدر ، بما خبأه عند أم الفضل بمكة من مال

(٥) ماحدث به سلمان الفارسى أثناء حفر الخندق ، عندما لمعت برقات ثلاث تحت معوله — عليه السلام — الذى كان يضرب به صخرة اعترضت الخندق ، فقال عن الأولى إنها بشارة فتح اليمن ، والثانية فتح الشام والمغرب ، والثالثة فتح المشرق . . وقد صحت هذه البشريات ، فتمت هذه الفتوح

(٦) حديثه عن العاصفة التى هبت فى طريقه إلى غزوة بنى المصطلق ، بأنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا رفاعة بن زيد اليهودى قد هلك فى ذلك اليوم . .

(٧) قصة حاطب بن أبى بلتعة ، وعلم النبى بالمرأة التى حملها حاطب رسالة إلى مشركى قريش ينبئهم فيها بتقدم النبى إليهم

(٨) إخباره لوفد أهل جرش — باليمن — بما أصاب قومهم من تقتيل صرد بن عبد الله لهم

إلى غير ذلك من حوادث — ذكرها الكاتب أم لم يذكرها — مما اتخذها أدلة على علم النبى « بالغيب » ، وهى — إن كثرت أوقلت — لاتغنى فى تقوية مازعم ، ولا تكفى لتصحيح ما ادعاه

وأول ما نريد نقضه من قواعد زعمه ما زين له من الاحتجاج بما أقره علم النفس الحديث من « قراءة الأفكار » و « إحضار الأرواح ومحادثتها »

فليس ما كان يوحى إلى النبى عليه السلام من « غيوب » محدودة معدودة من قبيل قراءة الأفكار ، وإحضار الأرواح . وإلا فما الفرق بينه وبين الناس العاديين الذين يحترفون هذين العلمين أو الوهمين — على الصحيح — ؟

إن الحجة يجب أن تكون من جنس المحتج عليه . وعلم النبى ببعض « الغيوب » كان وحياً إلهيا ، لا أكثر ولا أقل —

والبطولة ويعلموا أنهم ليسوا أقل شأناً من أعظم الأمم المعاصرة ، ومثل هذا الشعور إذا نفذ إلى مسارب النفس ملأها ثقة وطمأنينة ، وحفزها للوثوب والنهوض ، ولدى الأمة العربية اليوم من الوسائل ما يمكنها من أن تنهض بحاضرها على ضوء ماضيها المجيد

كامل السوافيري

وهذان العلمان أو الوهمان ليسا كذلك بلا مراء . ثم إن علم النبي ببعض « الغيوب » لا يصححه لدينا أو يصوبه ويؤكده لنا شيء من هذه التجارب والمعارف الحديثة ؛ وإنما نؤمن به ، كما نؤمن بالقرآن الذي يذكر لنا أن محمداً عليه السلام أوتى معجزات عديدة، كما أوتى النبيون من قبله معجزات أيضاً . ولا نزيد

وعلمه — عليه السلام — ببعض الغيوب ، من بعض هذه المعجزات

وهذا « القرآن » الذي نؤمن به ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونؤمن بما ذكره عن معجزات الأنبياء جميعا — يذكر في آيات صريحة فصيحة مكررة مؤكدة : أن النبي عليه السلام كان لا يعلم الغيب كليا ، ومطلقا ، ودائما

— « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » من سورة النمل

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . . » من سورة الأعراف

— « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدرى مايفعل بى ولا بكم . . » من سورة الأحقاف

— « قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ، ولاأعلم الغيب . . » من سورة الأنعام

أجل لو كان النبي عليه السلام يعلم الغيب كله ، لاستكثر من الخير ، ولما مسه سوء أعدائه ومكائدهم ، ولاتخذ من كل أذى حمى ، وحسب لكل هزيمة فى المعارك التى هزم فيها المسلمون حساباً ، ولما أسف على كفر من كفر ، وما حزن على مسارعة من يسارع إلى الكفر ، أوعلى قول من يقولون له لست مرسلا . . أو من يطلبون منه مطالب الإعجاز والإعنات ، لأن من يعلم ما سيحدث له لا يبالى به إذا حدث ، لأن نفسه قد استقرت على تلقيه واستقباله . .

ولكن النبي — كما يذكر القرآن فى عدة مواضع — كان يأسف وكان يحاول أن يبخع نفسه، وكان يضيق صدره، بما يفاجأ به من أحداث

وبعد فما كان همى أن أقرر ما قررت من عدم علم النبي بالغيب مطلقا ، فى ردى على من زعم هذا العلم . فذلك واضح فى القرآن والسنة ، ولكن همى أن أفرق بين علم النبي ببعض الغيوب ، وبين قراءة الأفكار وإحضار الأرواح وغيرهما من تجارب العصر الحديث ، التى لم تصل بعد إلى درجة اليقين ، أو التى لا تعد علما بالغيب — بالمعنى الصحيح — وإنما تعتبر من قبيل التفهم والتفرس واشتداد قوتهما عند بعض الأذكياء من الناس

وهمى كذلك ألا يتخذ بعض المحترفين ما زعمه الكاتب حجة لهم فيما يحترفون من قراءة أفكار ، وإحضار أرواح . .

وشتان بين معجزات الأنبياء ، وترهات الأدعياء

مكة المكرمة **أحمد محمد جمال**

خاطرة

نداء الفلاح ...

للاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

يا صباح النور !

أشرقت على طلعتك ، وكنت غريقا فى ظلام الحيرة ! تائها فى متاهات الظلم ! يا صباح النور !

فى مشرقك إشراق الأمل بقلبى ؛ فقد عشت طويلا أرى أشباحا تجمع الغيم على عينى ، وتحول بين وضاءتك وبينى !

يا صباح الخير !

كنت مخفقا فى حياتى ، ولكنك خفقت بأضوائك نخفق فؤادى لسنا سنائك ! فيك — يا صباح الخير — نور الحياة ، وشرف المبدإ!

كانت الحبات تساقط على جبينى ؛ فتلمع فى وهج الشمس ؛ ثم تروى أرضى الطيبة وتخرج اللؤلؤ الذى أرقبه من بعد ، لأعد حبات الحصى !

***

يا صباح النور !

طال ليلى ، وزاد ويلى ، واستحب استعبادى حتى ذهب رشادى !

أخرس اللسان بعد أن أسكتته الحاجة ، وذل الجنان بعد أن أخضعته الشراهة ، وانحنى الرأس على الفأس لكن بقيت الكرامة !

يا صباح النور !

زعم السادة خلود السيادة ؛ فورمت أنوفهم ، وانتفخت أوداجهم ، وطغت أهواؤهم ، حتى جئت بالأمر الجلل الذى جدع الأنوف ، وقدمت الوعيد الذى قطع الوريد ، وأرهبت الشيطان فتناثرت الأهواء !

يا صباح النور !

كنت أجمع الخير من حقلى لأطعم إخوتى الذين يرقبون نتاجى ، لكن تأبى خليقة الجشع إلا أن تضن أو تمن ، والأرض الطيبة ضاحكة ساخرة !

يا صباح النور !

كنت أتطلع إلى مطلع الشمس ! وأرى أشعتها تبا كرنى بالتحية ؛ فأخفض الجناح ، لأن الخالق قد أودع فيها سر النماء

وكنت أتسمع إلى زقاء الديك الذى يردد تسابيحه فى مشرق اليوم الجديد فأسبح القادر الذى أودع هذا المخلوق تلك القدرة الفائقة !

***

يا صباح النور !

لقد تطلعت فى مولدك إلى بهاء الحياة بعد أن رسمت فى الأفق أشعة الحرية ، والعدل ، والمساواة !

وصحوت على زأرة الأسد التى أرهبت الذئاب ، فذهبت على ظهور الملق والخداع والرياء ، لتظهر العطف على الحملان !

يا صباح النور !

لم تعد سحب تغطى هذه الأشعة الوضيئة ؛ فأثر القلوب لتزول عتمتها وتذهب أحقادها ، وتتألف وحدتها !

***

يا صباح النور !

عشت قانعا فلن أخرج عن قناعتى ، بل أعطى لذى الحق حقه ، غير أنى لا أخفض رأسى لغير فأسى !

يا صباح النور !

أنت أمل مترقب ، بعد يأس مخضع ، فأشرق على الوادى ليرى فيك سر السعادة ، وجمال الحياة !

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

شــلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٧ —

اعتبر المزاح فى الشعر أول دليل من دلائل عذوبته ولطفه وخفته . والذى يعوزه هذا ، ولو كان يمتلك جميع المواهب الأخرى ، يمتلك نصف ذهن لأن نظره لا يفارق الأشياء العلوية ليرى الأشياء الدنيوية المحيطة له . وينفرد شلر من بين جميع الشعراء العباقرة بمثل هذا القصور . لأنك لن تجد فى كل كتاباته دليلا واحداً على هذه الروح ولا حتى محاولة فى هذا الاتجاه . لأن طبيعته نفسها خالية من ذلك . وكانت مشاعره جدية لدرجة لا تسمح لنفسها باتخاذ أى أسلوب فيه أى نوع من المرح أو المزاح . وهكذا لا يمكن الكشف عن أى نوع من الهزل أو الكاريكاتور أو السخرية . هذه الأشياء التى هى جوهر المزاح — فى أى شئ كتبه شلر . فمؤلفاته مفعمة بالجد المكدود ولذا يعتبر أرصن كاتب . ولكننا مع ذلك نجد فى بعض بحوثه النقدية وخصوصاً كتابه (الرسائل الجمالية) ما يدعى (بالنازع الرياضى) وهو يعتبر أعلى هدف فى ثقافة الإنسان . وهذا يدل دلالة بينة على أنه عرف معنى الهزل وأهميته بالنسبة إلى فكره ، ولو أن ذلك كان غريباً عنه وبعيداً منه ... ومع ذلك فهو لم يدرك هذه الذروة التى رآها بكل هذا الوضوح والجلاء . فالروح الرياضية ظلت معه مجرد نظرية إلى الأخير . وباستثناء كتابه (ولنشتاين لارغر) — الذى يظهر فيه الهزل باهتاً ضحلا — فإن محاولاته فى هذا الخصوص — على قلتها — كانت ثقيلة جامدة . وميزاته فى كل شئ كتبه لا تعدو الشدة الصارمة والغيرة الحماسية الجدية ، والفخامة البعيدة عن الرشاقة ، بينما نرى الخفة والروح الرياضية معدومة فيه تماماً . لقد كانت عنده فطنة ولكن هذه الفطنة لم تكن أهم مواهبه . وربما يرجع ذلك إلى إخلاصه واستقامته فى استخدام فطنته ، وانصبابه على تبين العلائق العميقة بين الأشياء بدلا من ملاحظة تصادماتها الوقتية . زد على ذلك أنه كان يقصد (الإثبات) لا (النفى) — أى أنه كان يعتبر ما هو موجود أنه أحسن ما هو موجود — وفى النفى وحده يظهر عامل الفطنة الهازلة . لقد وضعنا هذه الملاحظات للاشارة إلى حدود عظمة شلر والفرع الذى اختص به . وهذا لا يعنى نكران حقيقة هذه العظمة . أما شعوره بالحقيقة تأملا وعملا وإدراكه البهيج العميق للطبيعة والانسجام الحى الذى بواسطته يتمكن من تصور ما هو جليل وعظيم فى الطبيعة ، فأمور يعرفها كل من قرأ كتبه ، وعليه فليس من حاجة لتذكيرهم بها . وهو يعد فى طليعة الشعراء الذين كتبوا فى البطولات التراجيدية الشجية ، إذا لم يكن أعظمهم إطلاقاً . وهناك أمام دارسى شلر الثابرين جهاد شاق قبل التعرف على آرائه ، لأن الكنوز الخفية من الفكر والشعور لم تزل مغطاة بغطاء النسيان . وهناك نغمة فى بعض كتبه الأخيرة فيها لحن العوالم العليا مجسداً فى الفن . وعليه فليست النواقص الطبيعية والعرضية التى عرضناها فى عبقريته ، بمانعة من اعتباره من أعاظم الشعراء ، وهذا ليس غريباً فى شئ لأن كثيراً من الشعراء العظام كانت لديهم هذه الهنات . ولنضرب لذلك مثلا ، ملتون ، فهو يقاسمه فى كثير من معايبه ، لأنه كان يركن إلى الجزالة فى اللفظ والفخامة فى الأداء ، ويتطلع إلى الأعلى وإلى كل شئ جدى ، أما ما يخص شؤون الحياة الأرضية فتراه قاصراً فى فهمها وإدراكها . وهو كذلك ليس لديه من المزاح إلا القليل . وأسلوبه خشن فى الهجاء مع توكيد على السخرية والتهكم وابتعاد من المرح والروح الرياضية اللعوب . أما من الناحية الإيجابية فهناك تشابه أكبر بين هاتين الشخصيتين ، ولو أن شلر عاش فى ظروف أخرى ، ولم يمتلك تلك القوة الروحية العنيفة ولا تلك القابلية الضخمة ، ولكنه كان يشبه ملتون فى شدته وتركيزه على ما هو سام فى الطبيعة والفن . وقد عشق — كل على طريقته الخاصة — ذلك السناء السماوى — وعبده عبادة قلبية صادقة . ولكن طبيعة شلر يعوزها الانسجام الفنى الذى امتاز به ملتون . وقد عرف ملتون بعمقه وعذوبة موسيقاه المترابطة . ومع ذلك ، فعند شلر شئ من القوة النقية المتفجرة

والنغمات العذبة التى تشبه فى جـلالها وعمقها ونخامتها نغمات ملتون الخالدة

امتاز شلر فى العالم كمؤلف دراماتيكى ، وغالبا ما نشعر بأن القدر وليس الميل الطبيعى هو الذى قاده فى هذا الاتجاه ، لأن موهبته كانت غنائية (lyrical) أو بطولية (Epical) أكثر مما كانت دراماتيكية . لقد عاش منطويا على نفسه ، وهذا ما جعل عمله فى تصوير العالم الخارجى أمراً صعباً . لا بل إن كثيراً من شعره — كأشرنا من قبل — هو خطابى أكثر مما هو شعرى . ومع ذلك ، فالنار النقية الوهاجة ظلت مستعرة فى أعماق روحه ، هـذه النار التى لا تجد متنفساً إلا فى الشعر . أما بقية سجيته فكانت أميل إلى الصرامة العادية ، مما جعل تطور قابليته الشعرية أمراً فى غاية الصعوبة والإجهاد . فهذا العنصر المسيطر النقى لم يكن يتطور التطور المطلوب ، لأنه كان كالنهر البطئ الجريان فى وسط صخور نائتة كبيرة . لقد تكلمنا كثيراً عن حمية شلر غير المجزأة فى التثقيف الذاتى وفى التقـدم الذى انجزه بالرغم من الصعوبات التى تخطاها . يتجلى لنا ذلك بكل وضوح إذا نحن قارنا بين مؤلفاته المبـكرة والمتـأخرة . وبهذه الواسطة سنقدم لقرائنا الذين لم يتعرفوا على شـلر فكرة واضحة عن شخصيته الشعرية ، لأن الوصف وحده غـير مجد فى ذلك . دعنا نأخذ (اللصوص) لأنها أول إنتاجه ، هذا الإنتاج الذى يدعوه شلر (بالعملاق الذى ولد فى التزاوج غـير الطبيعى بين العبقرية والعبودية) ؛ ولا شك أن النار المتأججة فى هـذه القطعة حتى فى الفقرات المنفصلة . وللمنظر الآتى معجبون حتى فى ترجمتنا الإنجليزية العادية المائعة وهى المنظر الثانى فى الفصل الثالث

« اللصوص »

منظر ريف على الدانوب

اللصوص مجتمعون فى المرتفع تحت الأشجار الوارفة ؛ الخيل ترعى فى سفح التل

مور : لا أقدر على السير أكثر (يرمى بنفسه على الأرض) . إن أطرافى تؤلمنى وكأنها سحقت سحقاً . إن لسانى لا فح من العطش (يتسلل شفارر خلسة) . أرجو أن تجلبوا لى قليلا من الماء من الساقية ؛ ولـكنكم متعبون حتى الموت .

شفارز : وكذلك الخمر موجودة فى الأدنان

مور : أنظر ما أجمل موسم القطاف ! إن الأشجار تتكسر تحت أثقالها التى تنوء بها . والأمل فى الـكروم كبير

كرم : إن السنة سنة خير

مور : أتظن ذلك ؟ وإذن فمتاعب الإنسان فى هـذا العالم ستجازى . ومع ذلك فقد تدهمنا عاصفة برد فتدمر كل شئ

شفارز : هذا محتمل تماماً . قد يدمر كل ذلك قبل الحصاد بساعتين

مور : وهكذا أقول أنا . سيتدمر كل شئ . لماذا ينجح الإنسان . فيما يتعلمه من النملة ، بينما هو يفشل فيما يجعله شبيهاً بالآلهة ؟ أهذا الهدف الحق من مصيره ؟

شفارز : أنا لا أعلم ذلك

مور : لقد قلت حسناً ، وأجدت عملا ، إذ أنك لم تحاول أن تعرف ذلك ! — أخى — لقد نظرت إلى النـاس وإلى مخاوفهم التافهة ومشاريعهم العظيمة وخططهم الآلهية ومشاغلهم الوضيعة ومسابقاتهم المدهشة لإدراك السعادة ؛ فمنهم من يعتمد على عدو حصانه ، ومنهم من يعتمد على دابته ، ومنهم من يعتمد على قدميه ، وفلك الحظ دائر بسرعة جنونية ، ومثل هـذا الفلك يقرر مصير كثير منهم . وكل يسعى لا هثاً للحصول على الجائزة ، ولـكن البطاقات كلهـا فاشلة . إنها ، يا أخى ، مأساة تستنزل الدمع الدامى ولو أنها تستثير الضحك

شفارز : أن غروب الشمس رائع جدا

مور : (متوارياً عن الأنظار) وهكذا يموت البطل ليعبد

كرم : يظهر إن هذا أثارك

مور : عندما كنت صبيا ، كانت فكرتى الحبيبة أن أعيش كذلك وأموت كذلك (بألم دفين) لقد كانت فكرة صبى وحسب

كرم : آمل أن يكون ذلك حقا !

مور (ينزل قبعته على وجهه) يوم كنا ولا تسل كيف كنا ، دعونى . وحيدا ، أيها الرفاق

شفارز : مور ! مور ! ماذا ؟ يالشيطان ! كيف تغير لونه !

كرم : ها ! ماذا يؤلمه ؟ أهو مريض ؟

مور : مرت أيام لم أكن أستطيع أن أنام فيها إذا أنا نسيت صلاة المساء ...

كرم : هل أنت مجنون ؟ هل تترك مثل هـذه التخيلات والوساوس لتهذبك من جديد ! ؟

مور : (يضع رأسه على صدر كرم) أخى ! أخى !

كرم : تعال ! لا تكن طفلا ، أستعطفك بالله ...

مور : آه لو كنت طفلا ! آه لو كنت وحيداً !

كرم : بوه ! بوه !

شفارز : مرحى . تطلع إلى المنظر البديع والسماء الجميل

مور : نعم أيها الأصدقاء ، إن هذا العالم بديع حقا

شفارز : نعم ، هذا حق

مور : إن هذه الأرض رائعة

كرم : حقا ، حقا ، وهو كذلك

مور : (مستلقياً على ظهره) ولـكنى بشع الخلقة فى هذا العالم الجميل وغريب الشكل فى هذه الأرض الرائعة

كرم : دعنا من ذلك

مور : سذاجتى ! سذاجتى ! أنظر ، إلى الأشياء كيف تضحى تحت أشعة الربيع الهادئة : لم يجب على أن أتنشق عذاب الجحيم من مسارب مسرات الحيـاة ؟ والناس كلهم مسرورن تربطهم رابطة السلام ؛ والعالم عائلة واحدة ترعاها عين الأب الحدب فى الأعالى ، ولـكنه ليس أبى ! وأنا وحدى طريد شريد ، وبعيد عن مجتمع الأخيار ، ليس لى ولد يلغ باسمى ، وليس لى أمل فى نظرة واهنة . ممن أحب ، ولا رجاء فى عناق صديق حميم . أنا محاط بالقتلة ، والأفاعى تفح حولى ، أنا مندفع إلى خليج الفناء على تيار الإثم المتدفق

شفارز : (إلى الآخرين) ما هذا ؟ لم أره هكذا قبلا أبدا

مور : (بحزن مثير) آه ، لو كان فى إمكانى الرجوع إلى بطن أمى ! — آه ، لو ولدت متسولا ! كلا ! أيتها السماء أنا لا أجرؤ أن أصلى كى أكون واحدا من العمال حتى أعمل طول نهارى . أعمل حتى يتفطر صدغى دما ، لأشترى لنفسى راحة نوم ظهيرة واحدة . وعزاء دمعة واحدة

كرم : (إلى الآخرين) صبرا لحظة واحدة ، لأن النوبة عابرة

مور : لقد فات الزمان الذى كنت أتمـكن من البكاء فيه . آه على أيام السلام ، يا قلمة والدى ، أيتها الوديان الخضراء ! واها على مناظر طفولتى ! ألا تعودين إلى مرة أخرى بتأوهاتك المسكرة العاطرة لتهدئ روع قلبى المستعر . اندبى معى أيتها الطبيعة . إن هذه الأيام لن تعود مطلقا لتطفئ النار المشتعلة فى صدرى . إنها ذهبت ! ذهبت ! ولن ترجع

« أو خذ مثلا مناجاة مور فى موضوع الانتحار ، فى غابة فى منتصف الليل بين اللصوص الراقدين »

(يترك القيثارة جانبا ، ويسير صعودا ونزولا فى تفكير عميق)

للـكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

ســـليمان العبسى
فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

تتمة

ليس بإمكان النفس المطمئنة أن تستريح والزمن يمضى سريعا ، والجديدان كل يوم فى شان ، فما بالك بالشاب العربى الجريح ، الذى ينتظر بحماس نافد الصبر يوماً يمسح بعزته ذلة كلومه فلا تزيده الأيام إلا كلوما . . . والذى يترقب ، فارغ الصبر نشيد الحرية والنجاة فلا يسمع إلا نشيد الوهن والخيبة والهزيمة . . . ويل لهذا التعس المفؤود . . . إذا هو أغمض عينيه هزمت عنهما الرقاد ذكريات المآسى ، وإن هو منحهما فلا يلمح فيهما إلا ما يحز قلبه وينكأ جراحه

أين ألقيت ناظرى نملى نصل   مميت يحتل صدر بلادى

***

وطن الضاد . . ياشهيد الأفاعى   كل يوم جريمة واعتداء . .

ويل لهذا الشاعر المسكين . . ما الذى بمقدوره أن يفعله لهذا الوطن المسكين ...

ما الذى يستطيع إنقاذه منـ   ـك قصيد ودمعة خرساء ؟

إنه لا يملك إلا نفسه وإلا هذه الأمانى . . فلتهب رفافة ندية تروى هذا القفر تارة ، ولتعصف ملتهبة منتقمة تارة أخرى . .

أ إذا ذبت كالندى لأروى   كل شبر من قفرنا الظمآن ؟
أ إذا ما أفنيت فى ميعة العمر   انتفاضاً على الأذى ، والهوان ؟
أ إذا ما أحرقت روحى لأهدى   بسناها مسالك الأظعان ؟
هل يعود الربيع والطير ياروض   هنىء وتغدو الحياة مل الجنان؟

***

ليتنى كنت فى يمين الليالى   خنجراً . . ما لشفرتيه ارتواء !
ليتنى فى صميم كل فؤاد   أضمر الغدر . . طعنة نجلاء !

***

ولكنها لا تزال أمنيات ... على أنها لو عاشت فى خيال شاعر غير عربى لحققها له زعماؤه ، فلنسأل زعماء العرب ، وهذا نصف قرن يصولون فيه ويجولون . . لنسألهم هل استطاعوا أن يحققوها ؟ أم فرطوا فيها وساعدوا على فقدانها ؟ ويل لأكثرهم من سخرية التاريخ ! وويل لهم من حساب هذه الأمة إذا انفجر بركانها . . آه يافلسطين

أوليت أمرك خادعين يمزقونك كيف شاؤوا . .
هم داؤك الفتاك لا البؤس الملح .. ولا الشقاء . .
بدمارك افترشوا النعيم وماج حولهم الثراء . .
بدم الجياع . . ودمعهم شيدت قصورهم الوضاء..
مهلا . . سينهتك الستار إذا تكلمت الدماء . .

***

ماذا ؟ أترتقبين خيراً من « جنانك » أو فلاحا !
يكفيك إغضاء على البلوى . . ويكفينا جراحا . .
عرفوا القيادة «منصباً» يعلى ..وتضليلا صراحا . .
وتجارة يتقاسمون بها دم الشعب المباحا . .
فى صدرهم . . يا أمتى — إن تشهرى يوماً سلاحا

***

قالوا : فلسطين فقلنا : دونها وخز القتاد . .
شرف العروبة لن يكون على الأذى سلس القياد
أسمعت أبواق « العبيد » تصم آذان الجهاد ؟
وتهز بالخطب الشداد   دعائم السبع الشداد؟
وتصيح ناذرة دماها   للمعارك والجلاد
أين الجهاد ؟ وأين أبواق البطولة . . يابلادى. .
لفظت فلسطين الحياة « ومجرموك » على الحياد
أو لم يزالوا « يلتهمون » على الخيانة والفساد ؟ . .
أعلمت أين ممزقوك ومسلموك لكل عادى ؟

***

أجل ... هؤلاء الزعماء هم الذين مزقوا البلاد ، وأضاعوا فلسطين .. كما أضاعوا من قبلها لواء « الإسكندرونة » وإذا لم يزاحوا فستصبح البلاد العربية و «فى كل زاوية فلسطين مدنسة التراب » وإذا لم يحاسبوا

فـ : خل اللواء فإنهم لن يخجلوا   أن يجعلوا كل البـــلاد لواء

يا لهذا المسكين ... ويا لرفاقه الشبان المساكين ... ويا لهذه البلاد المسكينة ... أفلا تكفيها مخالب الغاشم المستعمر ليتعاون الزعماء على تمزيقها ؟ مهلا أمتي مهلا .. فالنهاية لن تطول

ضمدي أمتي جراحك وامضى لك يوما ... مع (الجناة) لقاء
سيوافيك من خلال المنايا والأعاصير ... فجرك الوضاء ..

* * *

ويا وطني :

قل « لصهيون » : دون أحلامك السو
داء عض الشجا ، ولسع القتاد
لم تهن - مثلما ظننت - على الصياد يوما فريسة « الصياد »
لا يغرنك الهدوء على الغا ب وتطمعك هجعة الآساد
يعلم الناهلون من دمنا المهـ دور أن الثارات بالمرصاد

* * *

ويا شباب العرب :

قولوا « لسيدة البحار »الموج و«ظلها»من حا كمينها
قولوا لها : ليس الخضم كما أرادته ... سكونا
إنى لألمح خلف صمت الموج إعصاراً دفينا
وزعازعاً ... قد تحطم الـ ربان يوماً والسفينا
إنى لألمح فى العبا ب تمرداً ... لا بل جنونا

* * *

ويا وطني لا تخدعنك الفرحة البتراء .. ولا يغرنك الاستقلال إذا لم يكن شاملا ولم تتم فيه الوحدة : —

أبلغ الشام وهى مانحة الأفـ راح نشوى من فجرها المتهادى
وأغانى « الجلاء » تلعب بالعو د كما تشتهى ، وبالعواد
لم يحن بعد موعد العرس (فيحاء) ولا جر عاطر الأبراد ...
لا تقيمى الأعياد فالفرحة (البتراء) شوك فى جبهة الأعياد ...
أتنفضين عن لجيعتك الطر ف أبيقى (الأسير) من غير فادى ؟
أفتنسيننا ؟ ولم ننس يوماً أننا نذر فكرة ، واعتقاد ؟
أتنامين عن (ضحيتك) البكر أهذا عهد الكرى والرقاد ؟
وطنى كل بقعة يتجلى فوق غبرائها محيا (الضاد)

* * *

هذا هو العربى الصميم ، وهذه هى الوطنية الصادقة التى إذا غشى عليها اليأس قبست من التاريخ الحى فى أعماقها ما يجلو الدجى ويزيح الظلام

أرأيت أحر من هذا الفؤاد ؟ أسمعت أروع من هذا الزئير ؟ هذا هو سليمان . . شعلة متأججة بالوطنية ، وشباب يتدفق حماسة ، وروح مرهف تدميه هذه المآسى والنكبات وفكر وقاد يرى ويدرك ، وخيال خلاق يتصور ويصور ، ولسان ماض أتته اللغة منقادة طيعة فصاغ بها تلك الآلام أناشيد دامية تهز الموتى ، وأنطق بها تلك الفواجع زفرات مشبوبة تلسع الجماد . . ثم مضى يستوحى التاريخ العربى المجيد أسياده ويوقظ من نام كتابه ، حتى ماج ديوانه بالعباقرة والأبطال ، وزخر بالبناة الخالدين والقادة المراد . . . بعثهم فى أروع صورة ، وأنطقهم بأبلغ لسان :

لا تلمنى إذا بكيت على الما ضى ؛ على عزتى ، على عنفوانى
أنا أحيي التاريخ فى كل ومضى من خيالى ، وخفقة من جنانى

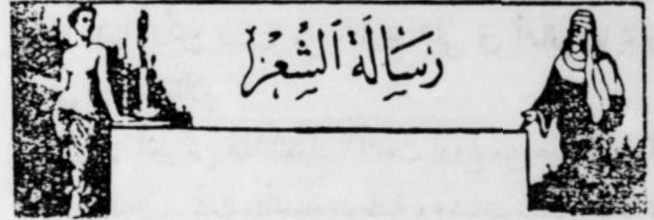
ثم عاد يصور أقزام هذا العصر تصويراً دقيقاً شفافا أظهر ما أسن فى قرارتهم ، وبين ما احتقن فى أعماقهم من خور وطمع ، وجشع وجبن ، ثم عرج على الشعب المخدر يوقظه ويصور له هول مآسيه وجمال ماضيه تصويراً يستفز الجماد ويلهب الجليد

أتلمست نفساً أحر من هذا النفس ؟ وزفرة أطول من هذه الزفرة ؟ إنها الأمة حاضرها وماضيها . . لقد انصهرت فى عواطفه فصاغها آلاما وآمالا . . وسيظل يسقى من هذا المعين الذى فى فؤاده ، والذى لا ينضب . . وهل تنضب الأمة العربية إيحاء ؟

أما إنى — علم الله — لم أسمع مثل هذه الملحمة ، ولم تهزنى مثل تلكم الأناشيد .. وبقدر ما أنا معجب بها وبصاحبها أتألم له ولها . . وأتمنى لو تحققت آمالها لتتحقق آماله ليخف الألم ، وليسكرنا سليمان بأناشيد الشباب المرحة الخالدة : —

شعل الحب والصبا والرغاب ..
لست حرا . . لتعصفى بشبابى ...
إهدئى الآن . . واقذفى بركابى
فى الأعاصير ، فى لهاة العباب
أنا لو حقق الزمان طلابى ...
عشت وقفاً على العيون السود وأذبت الحياة فى عنقود ...

أحمد الفخرى



قصر شمبرون ..!

للشاعر الكبير عزيز أباظة

في صيف العام الماضي زار الشاعر الكبير عزيز أباظة قصر شمبرون بمدينة فينا عاصمة النمسا ، ذلكم القصر الذي كتب فيه تاريخ النمسا ، والذي شهد أروع أمجادها وأجل أحداثها ، وقد طاف الشاعر بغرف ملوكها ومقاصيرهم ، هؤلاء الملوك الذين حكموا أكثر من خمسمائة سنة ، ثم زالت دولتهم ، وانطوت أيامهم على صحوة الشعوب ..

اضطربت هـذه الخواطر في نفس الشاعر الكبير ، وأثار مشاعره الطغيان الذي كان مضروبا على وطنه

وقد نظم الشاعر هذه القصيدة في العام الماضي ، وهو يتوقع لمصر نفس المصير الذي كتب على النمسا ، ثم ظلت القصيدة حبيسة عهد كريه طوته حركة الجيش الباسل ، حتى أذن الله لها أن تجد سبيلها إلى الناس

* * *

قال حادي القطار ، هذي فينّا فنشطنا من أسرنا وهبطنا

واحتوتنا سيارة تنهب الأرض فقلت اخطري الهوينى الهوينى

إنما تسبحين في سموة التاريخ رفت هنا جمـالا وفنـا

خصها الله بالرواء فمـا تبصر إلا حسنا ينـاغم حسنا

روعة إن شهدتها وهي يقظى وفتون إن جئتهـا وهي وسنى

* * *

ما لهـا جهمة المعارف حسرى أدلال الصدود قبل الوصال ؟!

ومن الغيد ، من ترى وهي غضبى آية من سماحـة وجمـال

أين ثغر يفتر عن ألق الخلـد وهدب يخفي جنون الليـالي ؟!

أين عزف كأنه من لحون الله طهر الأهزاج والأرمال ؟!

ما لفينانها ذوى ؟ ما لشمس آذنت عند صحوة بزوال ؟!

أين حور كأنهن اللآلي إن أطاقت صيد القلوب اللآلي ؟!

أين ليل ينهل صبحا فما يماز إلا ببهجة الأطفال ؟!

أ كلت فتنة الليـالي الليـالي فامحت كالرؤى الـعذاب الخوالي

* * *

ووقفنا في «شمبرون» فهاج النفس ذكرى الأقيال من « شمبرونا »

غرف خر فوق أعتابهـا الدهر وإن فض سـترها المكنونا

ومقاصير شب فيها ، وشاب المجد ضخم الأسـناد حتى بلينا

نسق من قياصر ، لم يروع بدخيـل ، ولم يقل هجينا

عترة الكابرين من (هبسبرج) أين هم في الـكواكب الآفلينا ؟!

قال لي رائدي الذي يحفظ القول ويزهى به على الزائرينـا

هـذه حجرة الذي اعتبد الدهر وثل العروش « نابليونا »

واصطفاها ابنه ، فأينع فانهـار فأودى فيها ذليلا سـجينا

ومضى في الذي يدير من القول ولم يلفني سميعاً أذينـا

* * *

ملت عنه إلى منـاجاة نفسي أي دنيا هـذي ، وأي مقادر

هتكت حرمة الملوك ، ودكت برحاها الطحون تاج القيـاصر

وطوتهم صرعى ، كما ينطوي الليل وطاحت بعـادل وبجـائر

أفهج الزمان هذا ؟ يشيد الصرح كالطود فوق أنقـاض آخر ؟!

أم هفا الناس للجديد من الحكم ، فخاضوا له فجاج المخاطر ؟!

ظلم الناس ، ليس كل جديد بشهي الجنى ، ولا كل دائر

إن حـكم الملوك ، إن كان عدلا وعزوفاً عن الهوى والـكبائر

والتماسـاً لطاعة الله في الناس ، بيث الشورى ، ودعم المنـابر

واحتفاء بهم ، وعطفا عليهم في جدا صابر ، ورحمة قادر

واقتضاء من المياسير للمحروم حتى يأتيهـم غـير صـاغر

وانتصافا من الجبار للضعفى فلا يصطلون نار الجبـــار

فهو ضرب من حـكم أربعة الأشـياخ تسمى به الدنا وتفاخر

* * *

قال لي رائدي ، أتسمع ؟ قلت السمع ملآن ، والجهود قواصر

عزيز أباظة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

استهل نادى الاتحاد الثقافى موسم محاضراته هـذا العام ، بمحاضرة لعميد الأدب العربى الدكتور طـه حسين عن مهمة الأديب فى مصر

وقد غصت حجرات النادى وشرفاته وأبهائه بجمهرة كبيره من الزوار والوافدين وكبار الشخصيات

وكان فى مقدمة هؤلاء السيدة كريمة السعيد وبعض فضليات المربيات والأساتذة محمـد صلاح الدين وحسين هيكل وأحمد زكى وكامل كيلانى وسعيد العريان وأنور أحمد

وكان الدكتور محمـد عوض محمد يشرف على النظام العـام بروحه اللطيفة ومداعباته البارعة

وتحدث الدكتور ساعة كاملة ... فعرض موضوعه فى لباقة وبراعة .. واستطاع أن يخرج لنا صورة حية لهذا الموضوع الدقيق تناولت جوانبه الفياضة بالعرض الدفيق

تحدث عن الأديب العربى القديم : أيام الجاحظ والمعرى ... وتحـدث عن الأديب الحديث فى الشرق والأديب الحـديث فى الغرب .. وعرض لمؤتمر البندقية

وصور مسئولية الأديب الإجماعية فى هذا الزمن ، وكيف أنه لا يستطيع أن يجمع بينه وبين عمل آخر . ذلك لأن الأدب الآن يتطلب جهدا جبارا ، ويتطلب من الأديب ألا يشرك به ، وأن يتجرد له ، يقرأ ويدرس ويستقصى..ويلم بكل جديد من الآراء؛ وهو إذا قصر فى هذا ، عجز أن يجرى فى ركب الحضارة

وقال إن الدولة ملزمة بأن توفر للأديب أسباب الحياة حتى يستطيع أن ينتج

ثم عرض لحرية الأديب فقال إن الأديب لا يستطيع أن ينتج إلا إذا أحس بأنه حر فى أن يكتب ما يوحى به ضميره وتهجس به نفسه . وأنه مسئول كعضو من أعضاء المجتمع عما يذيع بين الناس وعليه تبعة ما يكتب

ومن تبعاته أن يوجه وأن يهدى إلى الخير والحق والجمال

وعليه ألا ينزل إلى الناس ولا يرضى أهواءهم ، وإنما عليه أن يرفعهم إليه وأن ينقلهم من الحياة العامة التى يحبونها إلى حياة فكرية ممتازة

وصور عميد الأدب أثر الصحافة والسينما والإذاعة بالنسبة للأدب والكتاب المطبوع وقال إن الأدب قد تحرر من سلطان الملوك والأمراء . وأنه لن يقبل بحال أن يعود إلى هذه العبودية

وعرض لقضية « أدباء الشباب » فكان غاية فى الإنصاف . وطـالب بضرورة تهيئة الوسائل الكفيلة بإعانتهم على الإنتـاج والتبريز

وقد أولى هو هذا الموضوع مقالا من مقالاته فى الأهرام ، كما بدا فى هذا الأسبوع ينقد إنتاج الأدباء الشباب ، وقد تناول قصـة « إلى راحلة » ليوسف السباعى . وهى ظاهرة جـديرة بالتسجيل لعميد الأدب

ولم يكن الدكتور طه حسين فى محاضرته جافا ، ولا متكلفا ، بل كان شعبيـا منطلقا ، وكان لا يترك مناسبة دون أن يدخـل عنصر الفكاهة اللطيفة الممتازة ، فى حديثه ، ومرتين أثار عاصفة من الضحـك . عنـدما عرض للأدباء الذين يعملون فى المصـالح الحكوميـة ومعاملة رؤسائهم لهم ، فى تعنت وصلف . وعنـدما أشار إلى أن كل أديب من شأنه أن يذهب إلى السينما لأن أهـله يفرضون عليه هـذا الذهاب . ولذا لا يستطيع أن يتخلف ليقرأ كتابا من الكتب مثـلا ! وأثار الدكتور عاصفـة من التصفيق الحاد عنـدما عرض لتحرر الأدب من سلطان المـلوك والأمراء ، وعندما صور الحياة الأدبية التى يمكن أن تستقبلهـا مصر فى ظل العهد الجديد

نقابة الأدباء

وكان الدكتور طه حسين قد اجتمع بأعضاء نادى القصة فى الأسبوع الماضى ، هـذا النادى الذى يخرج الكتـاب الذهبى الشهرى ... وقد تحدث الدكتور فى هذا الاجتماع عن مشروعه

الذى يوشك أن يتقدم به إلى الجهات الرسمية لإنشاء نقابة للأدباء ترعى إنتاجهم وحياتهم ومستقبلهم وتهيئ لهم حياة كريمة على أن تكون موارد هذه النقابة بعض حصص على المؤلفات القديمة والمؤلفات الحديثة

ولا شك أننا فى حاجة إلى أن نقرأ تفصيلات وافية عن هذا المشروع فهو يهم جميع الأدباء الآن، وبخاصة الذين يعملون فى الوظائف الحكومية، والذين قد يخيرون بين العمل الأدبى، أو العمل الصحفى، وبين وظائفهم الحكومية

فعسى أن يتفضل الدكتور العميد بنشر تفاصيل هذا المشروع

النشاط الثقافى

افتتحت فى هذا الاسبوع ندوة الجامعة الأمريكية بمحاضرة للرئيس السابق على ماهر عن « فلسفة الثورة المصرية الجديدة » كما افتتح النشاط الثقافى لنادى ضباط الجيش بمحاضرة للدكتور مصطفى الحفناوى المحامى عن قناة السويس

كما استجابت جمعية الشبان المسيحيين لملاحظة الرسالة فعقدت مهرجانا شعريا عن أهداف الثورة ودعت إليه بعض الشعراء الذين وردت أسماؤهم فى باب « الأدب والفن »

وقد علمت أن شباب القراء الذين دعوا إلى الندوة الأولى قد ظنوا على أثر كلمتى التى طالبت فيها بدعوة القدامى من الشعراء أن هذا انتقاص لحقهم، وما أردت هذا، ولكنى رجوت التنويع وربط الأواصر، وضم الكفايات المختلفة، وأحببت أن تنمحى تلك النزعات القديمة التى كان يحرص أصحابها على دعوة فريق من الشعراء، متجاهلين العناصر الأخرى

وإذا اتجهنا نحو المسرح أو السينما لاحظنا سمة « فن الثورة » أيضا. فهناك فيلم مصطفى كامل ومسرحيات نزاهة الحكم، ونهاية الأندلس وغيرها. وهكذا أخذت روح الثورة الجديدة تبرز فى الإنتاج الثقافى بصفة عامة

هل عندنا شعراء أو شاعرات:

لفت نظرى فى مجلة « القلم الجديد » التى يصدرها فى عمان الأديب الكاتب السيد عيسى الناعورى مقالا للدكتور زكى أبو شادى عن « أبو القاسم الشابى » تحدث فيه الشاعر المهاجر عن الشاعر الذى ودع الحياة وهو فى ريق الشباب

واهتززت فعلا عندما وقع نظرى على مفتتح قصيدته « صلوات فى هيكل الحب »

.. هذا المطلع الذى ما قرأته مرة إلا أحسست بأن الشابى كان يعيش فى غير دنيانا.. وأنه لا يصدر عن نفس يمكن أن تكتب لها الحياة الطويلة..

« عذبة أنت كالطفولة، كالأحلام، كاللحن، كالصباح الجديد »
« كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء، كالورد، كابتسام الوليد »

وعجبت كيف لا نجد مثل هذا الشعر اليوم عند شعرائنا الشباب، هذا الصدق، هذه الحيوية الفياضة، التى تدل على أن الشابى عاش تجربة شعورية كاملة، كان مزيجا من الصدق والوفاء.. وكانت غاية فى السمو والنقاء

وبينما أقلب صفحات المجلة، وقع بصرى على شعر آخر، كتبته الشاعرة العراقية نازك الملائكة

.. ولفت هذا الشعر نظرى أيضا.. لقد قرأت شعراً لأكثر من شاعرة عندنا هنا فى مصر... ولكنى لم أحس وقدة الحياة فيه كما أحسستها فى شعر نازك الملائكة أو فدوى طوقان..

فلماذا تنقص شاعراتنا هذه « الأنوثة » والحيوية..
أعتقد أن السبب واحد، وأن النقص مصدره واحد فى شباب القراء والشابات

إن شعراءنا وشاعراتنا — إن صح أن عندنا شاعرات — يتكلفون ويتكلفن، إنهم لا يعيشون الحياة الصادقة، التى تمنح الوحى الصادق أو تمد بالإلهام!

وهذه لمحة من شعر نازك الملائكة

استرحنا.. كشف اللغز ومات المبهم
وتلاشت حرقة الأحلام فى لون العيون
استرحنا.. هدأ الشوق ووراه السكون
استرحنا نحن وارتاح الزمان الفهم
وغدا ينهزم الماضى بعيداً
وترى أعيننا شيئا جديداً

ولا زلت أحس بأننا لم ننشأ الأدب النسوى بعد. ولا



آن لهذا الشعب أن يفهم

تأليف الأستاذ عبد المغنى سعيد
للأستاذ أحمد عوض

هذا الكتاب من بواكير التأليف بعد النهضة الكبرى، فهو يهدف إلى مراميها وتتمثل فيه طبيعتها. هو مثلها شعور طال كبته ثم تدفق فجأة عند أول فرصة لتدفقه كما ينفجر البركان عند ما تقترب متفجراته الحبيسة من طبقة أرضية ضعيفة

ولقد تسبق التفجر إرهاصات منبهة به كما سبقت النهضة أزمات حادة، وكما تلجلج هذا الكتاب فحاول الخروج قبل أن تخرجه المطبعة على الصورة التي أخرجته بها الآن. فى سنة ١٩٤٢ حاول مؤلفه السيد عبد المغنى سعيد أن ينفس عن شعوره الجياش وأن يخرج جانبا من الكتاب باسم « تيارات الانحلال وتيارات الحرب فى مصر »، وحاول إذ ذاك أن يوضح خفايا فترة الانحلال، ويحلل اتجاهات الإصلاح، ويرسم المحاولات الارتجالية التى كادت تتمثل إذ ذاك فى الأحزاب، وأن ينبه إلى ماشابها من خطأ، وما يصيب البلاد من ضرر لو لم يفسح للثورة الفكرية المحبوسة فى الصدر مجال للظهور

لقد بدت هذه المحاولة، ولكن لم يكن الوقت قد آن لنشوب الثورة فى مصر. ولا لصدور التعبير عنها بمثل هذا المؤلف، فلم يفلت مشروع كتابه من مقص الرقيب

واضطر إلى انتزاع أجزاء منه وتقسيم فكرته، بعد تهذيبها على فصول نشرت فى الصحف، ولكن ذلك لم يكفه، فأعد من كتابه نسخا معدودة على الآلة الكاتبة، بعد أن أعاد كتابة ما نشر وزاد فيه من التوسع فى الصراحة

لكن هذه الفورة لم تكن لترضيه، ولم يكن فى الإمكان نشر الذى يرضى، فهرب النسخة الكاملة من معتقله فى المنيا

وهكذا كانت الثورة نفسها تحاول الظهور ثم يحول دون ظهورها ما حال دون ظهور الكتاب وأمثاله من رقابة، إذ تشبهها بشىء فبقشرة الأرض الغليظة فوق ثورة محبوسة فى صدر بركان

وحدثت الثورة وظهر الكتاب (آن لهذا الشعب أن يفهم)؛ هذه فى شهر يوليو سنة ٥٢، وهذا فى شهر سبتمبر سنة ٥٢، ولكن تأليفه كما تقدم يسبق صدوره بكثير

وليس الكتاب تاريخا للثورة ولا شرحا لمبادئها؛ ولكنه صورة منها. هو انفعالات قوية فى اتزان. ثائرة ثورة العقل المقتنع لا الشعور الصاخب

لم ينسج على منوال الكتب التاريخية ولا الأدبية. ولكن المنطق الذى يسوده منطق الثورة، منطق هذه الثورة بالذات، لا أية ثورة أخرى؛ ففيه حكمتها ورصانتها، فيه صفوة التجاريب التى أنضجت مصر فى ألوف السنين

تترسم فيه خطى النهضة فى محاولتها الفرار من محبس الكبت، بادئة بالمظهر العسكرى فى عهد محمد على، ثم بالمظهر الأدبى من خطابة وكتابة، ثم بالمظهر القانونى من جدل ونقاش ومفاوضة إلى أن تتبلور فتجمع كل الخصائص والمزايا، وتتحرر من كل وجوه النقص، فتقذف بالحواجز التى رقت وشفت ثم تدفعت فتهاوت

فى أسلوب السيد عبد المغنى كما فى أسلوب النهضة، أثر من تلك الأساليب؛ غير أنه كالنهضة سيد لما يستخدمه من وسائل التعبير

الشعر النسوى بالطبع!

وإذا كنا نحن اليوم فى مطلع نهضة جديدة، فإننا نحب من الشعراء أن يكونوا روح هذه النهضة.. نريد ذلك الشعر الذى نحس أن الحب فيه يصعد إلى السماء.. ويرف مع الملائكة!

نريد تلك الروح النقية الصافية الخالصة التى لا تشوبها الفاحشة والمجون!

فمتى نرى هذا الشعر! عندها يحق لهؤلاء وأولئك أن يقولوا إنهم شعراء!

أنور الجندى

ليست عسكريته وسيلة عامة لنابة خاصة . وليست لهجة استنهاضه دعاية للنوم فى أجفان طفل يراد إيقاظه . وليست قانونيته مغالطة يقصد بها إخضاع الحق لمنطق تشريعى

ولكن عسكريته صراحة ، ودعوته الوطنية فكرية تذاوبت فيها العاطفة ، فهى إقناع بجر الإرادة لا وخز يهيج الشعور . وليست قانونيته جدلا ولكنها حكم

(آن لهذا الشعب أن يفهم) والذى آن له أن يفهمه هو ما احتواه الكتاب من صورة للثورة يحدد أهدافها ، لا مشيرا إليها عن بعد ولكن متجها نحوها

فلمن شاء أن ينتقل إلى أهداف الثورة أن يقرأ هذا الكتاب ليخلص من أثر الماضى عليه من جدل لا يراد به الإقناع ، واهتياج لا يراد به الاستقرار ، واضطراب لا يقصد به إلى الهدوء هو ثورة ولكنها منطقية ، وهو منطق ولكنه ثائر

أحمد عوضه

مستقبل الإسلام

تأليف الأستاذ محمد عبد القادر العماوى

للأستاذ عبد السميع المصرى

هذا هو الكتاب الثانى الذى يتحدث فيه الأستاذ محمد عبد القادر العماوى عن إمكانيات الدين الحنيف. أما كتابه الأول الذى أصدره فى العام الماضى فكان عنوانه (هذا هو الإسلام) ولقد تحدث الأستاذ العماوى فى (مستقبل الإسلام) طويلا عن أسباب الجمود الذى أصاب الدين خلال عصور التاريخ، والعوامل التى أدت إلى ذلك؛ كما تحدث عن تطور الأديان وقارن بين العقيدة فى مختلف الأديان مقارنة مبنية على أسس من العلم والتاريخ، وبين كيف أن الإسلام نظام عالمى مرن متطور وفق حاجات الزمان والمكان، وما كان له أن يصل إلى هذه النتيجة قبل أن يعرج على نشأة الفرق الإسلامية والعوامل التى أثرت فى تاريخها وأسباب ما رميت به من تعصب أعمى أودى بالكثير من جمال تعاليم بعضها والأسباب الخفية لنشوء معظم الفرق الإسلامية

ثم يخلص من كل هذا البحث التاريخى العلمى إلى النتائج الطبيعية له وأثره فى الإسلام ووجوده كقوة عالمية ثالثة وإمكانيات هذه القوة ومستقبلها بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين تتنازعان اليوم ، لكنه فى هذا المكان من الكتاب وقد جمله خاتمته يختصر القول اختصارا ويجمله إجمالا ويكتفى بالتلميح دون التصريح وهو لب الكتاب وأس موضوعه.. وكأنى به يخشى الإفصاح عما فى نفسه أو يتهيب الرقيب والحسيب ويخشى مغبة آرائه الحرة ، ويقينى لو أن الأستاذ العماوى تأخر فى إصدار كتابه أياماً لكان له شأن غير الشأن ولأجرى القلم بما يشاء، وأفاض فيما يريد ، ولعله فاعل ذلك فى الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى

ومن أمثلة هذا الاختصار المخل ما جاء فى الصفحة ٢٠٩ من قوله (لكن الإسلام لم يكتف بذلك وإنما يريد أن يقضى فى صراحة وقوة على ميكروب النظام الطبقى الذى ينشأ عادة من سوء التوزيع الاقتصادى للدولة فيوجب ضرورة التوازن فى دخل الأفراد وبذلك يقضى على كل العوامل التى ينشأ فى ظلها الربا والاحتكار)

هذا كلام جميل يحتاج إلى كثير من التفصيل ويحتاج إلى أن يبين لنا الأستاذ العماوى الوسائل العملية التى لا تتعارض مع روح التشريع الإسلامى وتحقق هذه الأهداف الجليلة ؛ ويكون بذلك قد أدى خدمة لله وللوطن . وفى مكان آخر (ص ٢١٣) يعرض الأستاذ المؤلف لنظام الإسلام فى صورة أشد غموضا وإبهاما فيقول ... (إننا لا نحب أن نخدع أنفسنا فنتمسك بالقشور عن اللباب فإذا كنا حقيقة نحرص على بلوغ ما رسمه الإسلام للعالم من غايات فالسبيل إلى ذلك الانتقاض عن هذه النظم التى تسيطر على حياة العالم وما يتحمله من أساس العدالة ومن نظام فى الحكم والسياسة والاجتماع لا يبتعد كثيرا عما شرعه الإسلام للعالم) وكان بودى لو أن المؤلف أوضح لنا النظام الذى يراه موفقا بين ما شرعه الإسلام والنظم الغربية القائمة ؛ أو ما يحقق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولا يتعارض مع روح الإسلام ولا روح العصر ! أما ترك الأمر للحدس والتخمين فلا يتفق والطريق العلمى الذى أخذ المؤلف به نفسه

والكتاب بعد ذلك مجهود قيم وخطوة جريئة موفقة من الأستاذ العماوى نرجو أن تتبعها خطوات إن شاء الله

عبد السميع المصرى



الدراسات العليا لكلية اللغة العربية

ليس هناك شك فى أن الدراسات العليا لا غنى عنها للحياة الدراسية فى مختلف الكليات ، ذلك أنها تخلق طبقة من المفكرين والباحثين والعلماء نحن فى حاجة ملحة إليهم ، وبخاصة فى هذا العهد الجديد الذى يعتبر التجديد من أهم خصائصه ومقوماته

وموضوع الدراسات العليا شائك أو هكذا أخذ ودرس على أنه من الصعوبة بحيث لا ينبغى له أن يمر بسهولة ولا يرى النور إلا بعد تمحيص وبحث من نوع جديد

لقد مرت هذه الدراسات بأدوار مختلفة ، واصطدمت بآراء متضاربة ، وأخيرا قدر لها أن تخرج إلى عالم الحياة ، كان ذلك فى العام الماضى ، وأسرع « الخريجون » فقدموا أوراقهم إلى قسم الدراسات العليا بالكلية ، واطمأنوا إلى أنه ستتاح لهم دراسات عليا تقوم على أسس جديدة صالحة تتمشى مع روح العصر ، وتحذو حذو مثيلاتها فى الجامعات

ولكن لأمر ما ، أو لأمور كثيرة ، لا أدرى ! أجل افتتاح هذه الدراسات ، ووضع مشروعها على الرف كما يقولون إلى أجل غير مسمى ؛ وهكذا يصل التهاون بصوالح الطلاب ومقتضيات التعليم الجامعى إلى هذا الحد المقيت

ونحن هنا لا نريد أن نتناول موضوع الدراسات العليا الذى قدر له أن يقبر فى مهده — لا نريد أن نتناوله بالنقد والتشريح ، فالكلام فيه لا داعى إليه ، وربما نضطر إليه فى وقت قريب

والذى نريده من أولى الأمر أن يكون هدفهم صالح الأزهر دون أن يسمحوا للرغبات الشخصية بأن تثبت وجودها فى هذا الميدان الذى يتطلب صفاء القلوب وإخلاص النيات ، نريد دراسات عليا تكون صورة مماثلة لما يتبع فى الجامعات المصرية ، ويلتحق بها كل طالب تتوفر لديه الشروط المرسومة من حيث التقدير العام فى السنة الرابعة

ولا يفوتنى هنا أن أقرر حقيقة واضحة ، فالدراسات العليا تعتبر حقا لطلبة الكليات ، ومن الواجب على كل إنسان ألا يتغاضى عن حقه ، لذا كتبت كلمتى هذه أطالب بتحقيق رغبة هى الحق الصراح ، فلن يحمد لإنسان أن يعقد لسانه فلا ينطق بما يراه حقا ؛ ومما يبشر بالخير أن العهد الجديد يحتم علينا أن نعرف حقوقنا وواجباتنا ، وبذلك نكون جنودا مخلصين للحركة المباركة

ويضطرنى الاستطراد إلى أن أذهب بعيدا فأدعو أولى الأمر إلى أن يعملوا على إلحاق أبناء كلية اللغة العربية بالدراسات العليا فى كليات الآداب المصرية ، ولنعتبر هذه الخطوة بعثات داخلية يستعاض بها مؤقتا عن البعثات الخارجية

وحرصا على مستقبل أبناء كلية اللغة أرى لزاما على أن أشير إلى وجوب تذليل الصعوبات التى تحول دون انتساب طلبة الكلية إلى معهد اللغات الشرقية ، ماداموا يدرسون هذه اللغات فى كليتهم وإلا فلا فائدة ترجى منها

وبعد فهذا إيجاز وتركيز لبعض الرغبات التى نأمل أن تتحقق فى أسرع وقت فى ظل العهد الجديد إن شاء الله ، ولنا عودة .

أزهرى عجوز

بدعة اليوم الكامل

لا زال وزير المعارف مصرا على اليوم الدراسى الكامل ، برغم ثورة الرأى العام على هذا الاتجاه المعتل ، وفى مقدمته المسؤولون عن سير الدراسة من المعلمين والمعلمات

ولو كان لهذا الاتجاه حسنة واحدة لاحترمنا إصرار الوزير الذى أصبح غير قابل للتغيير ، ومستحيلا عليه التخاذل والتقهقر ، وقد يرى الوزير نفسه لهذا النظام حسنات كثيرة ، ولكنه لا يجد من يقره عليها ، اللهم إلا شرذمة من بطانته وحاشيته ، لأنه لا رأى لها مع أى وزير ، فمهمتها قاصرة على التصديق والتأمين ليس إلا

يقـول وزير المعارف : إنه يهدف من وراء هـذا النظام إلى إلصاق التلميذ بالمدرسة حتى ينجذب إليها ، ويصقل بين جدرانها وينشأ التنشئة الصالحة فوق تربتها ، ويهدف أيضا من وراء هذا النظام إلى إيجاد فسحة كبيرة ليستجم خلالها الطالب ، ويتخلص من الإرهاق الذى كان يعانيه من جراء تـكديس الدروس دفعة واحدة دون راحة أو استجام

أما إلصاق التلميـذ بالمدرسة ، ودفعه إلى الاجتذاب إليهـا وصقله بين جدرانها ، وتنشئته التنشئة الصالحة فوق تربتها ، فهو من الخيال الرائع المحكم ، إذ ليست المدارس فى مصر مهيئة ولا مستعدة لتحقيق هذا الخيال الرائع المحكم ، فهل فى مدارس مصر حدائق غناء يستجم الطلاب بين أشجارها ؟ وهل فى مدارس مصر من المسليات الكافية لجذب التلاميذ إليها ؟ يستطيع الوزير الهمام أن يجيب عن هذين السؤالين بسهولة ، ولاسيا وأنه قد زار مدارس الأقاليم التى هى أقرب إلى الأكواخ والقبور

أما الفسحة الـكبيرة التى أطالت حياة اليوم الدراسى ، فإن الطلبـة يقتطعون منها خمس دقائق فحسب ، يتناولون خلالهـا « السندوتش » من الباعـة المتجولين ، أما الباقى منهـا ، فإن البعض منهم يجرى خـلالها فى الفنـاء ، والبعض الآخر يفترش الأرض ليرمق بعينيه الجدران والأبواب !

لنعمـد إلى خلق المدرسـة المصرية خلقا آخر ، ولنقلب أوضاعها من جـديد ، ولنهيئها حتى تصبح مستعدة لاستقبـال الطالب يوما كاملا ، وليكن بعد ذلك الإكرام والتقدير لهـذا الاتجاه — أما أن نحتم على الطالب أن يظل من مطلع الشمس إلى مغربها بين جدران أربعة ، فلن يكون إلا من قبيل العنـاد ، والعناد — كما يقول الرسول عليه السلام — كاد أن يكون كفرا

نفيسة الشيخ

إلى الاستاذ على الطنطاوى

ياسيدى لى بنات طالبات أجهدت نفسى فى سد ما بينهن وبين الفساد فلم أتركهن للمجتمع النحل ، والملهى الرخيص ، والـكتاب الداعر

ولـكن فساد المجتمع مالبث أن نفذ إلى « برضا » من جهاز الراد ومن رفيقة المدرسة ، ومن مثيرات الطريق

. . وبدأت أنـكر من بناتى ومن أوضاعهن ماينـكر الرجل الغيور من بنات العصر وأوضاعهن وإن لم يصل الأمر إلى هذا الحد الـكريه

وحاولت أن أقوم ما اعوج وأصلح مافسد بالمنطق الواضح والحجة البينة فـكان رأيهن مع رأيى ولـكن بقيت عواطفهن منفصلة عن هذا الرأى متصلة بالفساد المستشرى إلى أن شاء الله لى الرحمة ولهن الستر فاتصل ما بينهن وبين رسالة « الزيات » جزاه الله عنا كل خير . وفى الرسالة لقينك يا أستاذ فقرأن لك معجبات أول الأمر ثم متأثرات

لقد استطعت يا أستـاذ بأدبك البارع ، وروحك القوى ماعجزت عنه أنا ، استطعت أن تنفذ إلى ماوراء الفكر ، إلى أعماق الشعور فتـكونهن تـكوينا وجدانيـا جديدا وإذا هن فى طريق جديد نهايته — إن شاء الله — التقاء الفـكر والشعور على الفضيلة والخير

وقد قلت كتابتك فى الرسالة أخيرا وتركت ذلك النوع من القصص الذى كان يقطع مابيننا وبين هذه الدنيا ليضعنا فى دنيـا ثانية لا سبيل إلى وصفها

فهل لك يا أستاذ أن تتابع الـكتابة وفى هذا الصنف من القصص خاصة.. إنك لودريت كم تبنى به من نفوس وكم تجنح به من همم وكم تنقذ به أرواحا من الإسفاف لقبلت أن تحمل فى سبيله أقسى المشقات

القاهرة

أب غيور

هى مسألة خلافية

قال الأستـاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (فى الأهرام ٢٧ — ٠١ — ١٩٥٢) بعد أن أورد حـديثين ضعيفين فى إباحة الوجه واليدين : ومعنى هذا أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تظهر لغير محارمها إلا بمثل ما تـكون عليـه فى صلاتهـا ، هذا هو الدين

وقال الإمام القرطبى فى تفسيره (ج ١٢ ص ٢٣٧) : أجمع



السفينة السوداء

عن الإنجليزية

كانت تحب الأطفال حبا ملك عليها قلبها فلم تر صغيراً إلا وجدت من نفسها دافعا قويا إلى حمله بين يديها ومداعبته ، وكانت تعلو ثغرها عند ذلك ابتسامة مؤلمة

وكانت « لينا » على الرغم من سعادتها الزوجية لما بينها وبين قرينها من الحب المتبادل تشعر بأنها تعسة لأنها لم ترزق قط مولوداً يملأ منزلها مرحاً وسروراً . وكانت تتمنى لو أنها فقيرة معدمة تتوسد التراب وتأكل خبز الصدقات على أن يكون بجانبها طفل ينظر إليها نظرة أحن من نظرات الملائكة

وكانت تفكر فى ذلك تفكيرا يستغرق الساعات الطوال ولحظها فى هذه الأثناء معقود بنقطة لا تتغير من أرجاء الغرفة .

المسلمون على أن المرأة كلها عورة إلا وجهها ويديها فإنهم اختلفوا فيها وقال فى تفسيره سورة النور : ثم استثنى مايظهر من الزينة ، واختلف النـاس فى قدر ذلك ، قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بأن لا تبدى وأن تجتهد فى الإخفاء لكل ماهو زينة ، ووقع الاستثناء ، فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو إصلاح شأن ونحو ذلك

محمود مصطفى علبية

عطارد

يصدر أول ديسمبر العدد الأول من مجلة « عطارد » التى يصدرها لفيف من الشباب المثقف ويشترك فيها الأستاذ أنور الجندى . وستكون شاملة لفصول حارة جريئة من السياسة والأدب والاجتماع

ولقد يحسبها من رآها على هذه الحال تمثالا لولا أن لونها الدائم التبدل يدل على أنها مستغرقة فى التفكير . لكنها كانت حريصة على ألا يطلع زوجها على اشتغال بالها وعلى وجهة تفكيرها ، فهى أمامه تضحك وتلعب وتقترح النزه والتلهى وتزعم أنها سعيدة . وكانت تدعى أنها لا تميل إلى النسل ولا تبالى أن تقضى بقية العمر كما هى الآن

ولقد كان صواحبها يقلن لها فى السنوات الأولى من الزواج إنهـا سترزق الأبناء فى الوقت المناسب . وكانت تعلل نفسهـا بذلك . ولـكن لـما انقضى العام بعد العام وكاد يجف عودها ولم يثمر دب فى نفسها دبيب اليأس وظلت فى وحدتها تعانى ألمهـا الخفى . وكانت فى بعض الأحيان تأنس بالوحدة لتستمتع بلذة هذا الألم . ولـكنها فى أحيان أخرى تهرب إلى الضجيج والزحام من آلام الوحدة وكان ملجؤها الأول فى الحالات الأخيرة فى الحفلات الراقصة ففيها لا يسمع القلب مناجاة نفسه

وكان زوجها يسر من مرافقتها إلى تلك الحفلات لأنه يحب أن يراها سعيدة . وكانت تقدر له هذا الشعور نحوها وتتمنى لو تستطيع أن تخلى له قلبها من كل حب لولا أن حب النسل كان مالئا فراغ هذا القلب

والأطفال إن لم يوجدوا فهم معان . ولابد لتعلق القلب أن يكون بشئ ملموس . ولا بد لـكل إنسان من تعليق قلبه بإنسان أو بشئ آخر . ولـكن « لينا » كانت ترى حولها من الرجال بلداء وما يحيط بها من الأشياء لا يطاق . فبعد أن جالت جولة فى ميدان الطراد انتهى بها المطاف إلى حب نفسها ، وأخذت تعامل نفسها كأنها تعامل طفلا مدللا فهى تهدى إلى نفسها الهدايا من الجواهر إلى الأزاهير

وكانت تجلس الساعات الطوال أمام المرآة تبـادل وجههـا النظرات ، وتقبل صفحة المرآة حيث يرتسم ثغرها . وبودهـا لو تستطيع تقبيل خدها فى المرآة . وكانت تنـاجى نفسها بأعذب الكلمات وتفزع عندما تسمع بعض الأصوات ، ثم تفكر فى أيام الدراسـة وفى الأشهر الأولى من عهـد الزواج فتحس بحاجة قوية للبكاء

وكانت نتيجة هذا التطور فى عهود حبها أنها رأت جسامة

لفروق بين طفولتها اللاهية وبين شبابها الحزين ، فبدأت نفسها المشوقة تخاف من نفسها العاشقة

وبدأت كذلك تشعر أنها بعد ازدواج نفسها صارت أكثر وحدة وأشد وحشة ، ولجأت من حب نفسها إلى حب زوجها فوجدت فيه ذلك المهذب الذى لا ينسى واجبه والذى يفهمها حق الفهم ويعطف عليها أبلغ العطف

ولكنه بعد مدة لم يعد يستطيع التفرغ لها فقد كان محامياً واشتغل أخيراً بالسياسة وسعى لترشيح نفسه للعضوية فى مجلس النواب . وكان لذلك كثيراً ما يتخلف عن منزله أسبوعاً أو أسبوعين . وكان الزوجان فى ذلك الوقت يقيمان فى مغنى صيفى مجاور للبحر ؛ وقد أنست الزوجة بالسكنى فى هذا المكان طلباً للوحدة فيه وفراراً مما تشعر به فى المدينة من الإغراء ، وكان الهواء الخالص فى ذلك المصيف يهدئ من أعصابها ، ولكن مشغول البال بخاطر واحد لا يمكن أن يستريح سواء أقام فى جوار البحر أو فى ذروة الجبل

وكان لا يزورها فى هذا المغنى إنسان ولا تزور إنساناً ، ولولا زوجها الذى يأتى بين فترات انقطاعه لكانت من هذا المسكن فى وحدة كاملة

واعتادت أن تقضى أوقاتها فى هذه الوحدة جالسة فى حديقة المنزل وفى يدها كتاب تمر بنظرها فوق سطوره ولا تقرأ شيئاً منه أو ماشية فى الأدغال المجاورة تقطع الوقت الذى لا تشعر بمروره أو جالسة شاردة الذهن فى خواطرها وأمانيها . وكانت ترى بين حين وحين سفينة سوداء فيها صياد شاب تتمنى أن يكون الابن الذى ترزقه مخلوقاً على مثاله . وكانت تطرب إلى الصوت الذى يحدثه مجدافه فى الماء ، لكنها إلى جانب هذا الطرب كانت تشعر بشئ من الخوف وتسرع بالعودة إلى منزلها كأنما رؤية هذا الصياد الفرد تضيع عليها سرور الوحدة

وكانت كثيرا ما تفكر فى معيشته فتقول : إن صياداً وزوجته لا يكاد رزقهما المحدود يكفيهما ؛ ولكن إذا كان بينهما ابن صغير فقطعة من الخبز عندهما ألذ من مأدبة ، والكوخ الضيق أرحب بهما من ملكوت السماء ... ثم تذكر حظها وتتنهد . وكانت فى كل ليل يتلو رؤية الصياد تصاب بالأرق وتشتد عليها وطأة الهم حتى تكاد تلقى بكل أثاث المنزل من النافذة فى البحر لتكون حياتها بسيطة كحياة الصيادين . وكانت تشعر فى هذا الحين كأن إنساناً ينتظرها أو أنها على موعد؛ فهى لذلك تترقب وهى لا تعرف مدى ترقبها ، ولا من هو الطيف الذى تنعكس أحلامها عليه

وكان شعورها جليا صريحا فهى تدرك كنهه وإن كانت تجهل سببه . وكانت تدرك أن ذلك الإنسان الذى يصوره لها الشعور مرتبط بها من عهد بعيد وأنها قضت كل هذا العمر فى انتظاره

وكانت فى ساعات وحدتها تخاطبه بأعذب الجمل وأرقها ، وتخال أنها تسمع من فمه السحر الحلال . وأى ضرر فى التمادى فى حبه ؟ أليس شخصا خفيا تحبها سرا فما يشعر بحبه إنسان ؟

وسواء قضت ليلها ناعسة الطرف ، أو مؤرقة ، فقد كانت تقوم فى الصباح مبكرة ، فتسقى أزاهير الحديقة ، وتتعهد أحاديث النبت منها كأنه مولود جديد . وتهش إلى الفراش الطائر . ثم تجلس فى الظلال بين الألوان الزاهية ، والروائح العطرة ...

وفى يوم من هذه الأيام ، سمعت طلقة عيار نارى . ثم وقع تحت قدمها عصفور مصاب بهذه الطلقة . ففزعت ووقفت فى مكانها ، وقد امتقع لونها ... وبعد لحظة جرى نحوها كلب من كلاب الصيد فاختطف العصفور وظهر على الأثر ذلك الصياد صاحب السفينة السوداء . فلما رآها رفع قبعته محيياً ، وهم بأن ينطق بكلمات الاعتذار ... ولكن ألفاظه اختنقت! ... فنظرت إليه نظرة طويلة دون أن تتحرك . ومشى نحوها الشاب وقال : « إننى آسف يا سيدتى ! لأنى ما كنت أحسب هذا المغنى معموراً وقد كنت أصطاد فى الأدغال المجاورة فأصابت طلقتى طائرا هنا ، ولولا اعتقادى أن المكان خال لما دخلته . ولو كنت أستطيع عقاب نفسى على إزعاجك لعاقبتها ... »

فلم تجبه « لينا » ! ولكنها أشارت إلى باب الحديقة ... فأحنى الرجل رأسه ومشى نحو الباب ! فلما وصل إليه التفت مرة وأحنى رأسه

وكانت فى هذه الأثناء قد عادت إلى الجلوس ، وتظاهرت بأنها تقرأ ، ولكن نظرها لم يرتفع عن الصياد ، وقد أعجبها صوته الرخيم الذى لم تسمع مثله قبل الآن ، والذى دلت عذوبته

على انسجامه مع حسن منظره

وكانت توازن بين هذا المنظر وبين الرجل الذى تتوهمه وتشعر بأنها مرتبطة به من سالف السنين فلا تجد فى الموازنة إلا انطباقا ؛ فخرجت من الباب الذى خرج منه باحثة عنه وقضت فى البحث طول النهار فلم تجده وكانت تسائل نفسها : هل يعود ؟ وتجيب عن هذا السؤال بأنه لا يمكن أن يعود بعد طردها إياه عندما طلب إليها العفو . وكانت تخجل كلما فكرت فى لقائه مرة أخرى لشعورها بأنها ستلقاه ، وستعتذر إليه لأنه ليس غريبا عنها ولأن لقاءه كان هو الموعد المنتظر

وفيما هى تفكر على هذا النحو إذ سمعت صوت مجدافيه فى الماء وهو يمر بسفينته أمام المغنى فأطلت من النافذة ورأته يقف لحظة لينظر إلى الحديقة ، وأحست بأن ألسنة تصيح فى قلبها بصوت مفرح : « هذا هو ! هذا هو ! »

ووقع نظره عليها فحدق فيها ، وكأنه هو الآخر كان يحلم بها مثل حلمها به . وكان يشعر بضعة مكانته وسمو مكانها فلم يجرؤ على مطالبتها بأن تحبه ولكنه تشجع فطلب إليها أن تصفح عنه

وجرت بينهما جمل قصيرة يسمع الناس مثلها كل يوم ولكن «لينا» تبينت فى لهجة هذه الكلمات حبا خالصاً وهوى مشبوباً ، ونسيت فى هذه اللحظة كل الماضى بل نسيت الحاضر أيضاً

وسكت كلاهما ، ولكن نظراتهما كانت أبلغ فى الخطاب من كل بيان . وقرأت فى عينيه تضرعه فى الاعتذار فقالت : « لقد عفوت عنك »

ثم ذهبت بعد ذلك منهوكة القوى فألقت نفسها على السرير

وبعد تلك الليلة كانت السفينة السوداء تأتى كل يوم إلى المنزل فتنزل لينا لاستقبال الصياد فى الحديقة وتترك يدها البيضاء بين كفيه وثغره يقبلها كيف يشاء . ولم تعده بشئ آخر ولكنها سمحت له بأن يؤمل أنه قد يجوز فى المستقبل أن . . .

وفى أحد الأيام وصل الزوج بعد غيبة طويلة . وكان مهتاجاً مشغول القلب والذهن لأن الوزراء سيزورونه فى المساء فى معناه وسيكون للوليمة التى سيقيمها لهم شأن عظيم يدنو به من مجلس النواب

وجرى الاستعداد للحفلة على ساق وقدم . وأضيئت المصابيح على شاطئ البحر وعلى جوانب الحديقة . وجاء الوزراء واشتركت لينا فى الجزء الأول من الحفلة . . . فلما دب دبيب الخمر فى بدنها وأبدان الزوار غادرت المغنى إلى الشاطئ وركبت فى السفينة السوداء مع الصياد للتنزه ساعة أو بعض ساعة تاركة زوجها والزوار . . .

ولما عادت إلى المنزل كانت أضواء الحفلة قد خمدت وأوشك الصباح أن يبزغ . وكان الزوج نائما يحلم بأنه صار عضوا فى البرلمان

فنامت لينا وهى تحلم بالسفينة السوداء وبمولود جميل ستضعه بعد تسعة أشهر

ع . د

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

المجلد الأول

المجلد الثاني

المجلد الثالث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبعت طبعا أنيقا على ورق صقيل ، وقد بلغت عدد صفحات كل منها خمسمائة صفحة ونيفا

وهي تطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me annee No 1013

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — أول ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فى ظلال مولد الرسول

تفسير آيـــــة

للأستاذ سيد قطب

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات . وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس . ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولـكن اختلفوا ، فنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولـكن الله يفعل ما يريد »

« تلك الرسل » .. لا هؤلاء الرسل . . إنهم جماعة خاصة ، ذات طبيعة خاصة . ثم يجئ التفضيل والتفاضل فى دائرة هـذه الجماعة ، أو هذه الطبيعة

فا الرسالة ؟ ما طبيعتها ؟ كيف تتم ؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا وبماذا ؟

أسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب ! إن حسى ليفعم بمشاعر ومعانى لا أجد لها كفاء من العبارات . ولـكن لابد من تقريب المشاعر والمعانى بالعبارات !

إن لهذا الوجود سننا أصيلة ، يشير إليها هذا القرآن فيقول : « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » هذه السنن هى القوانين الـكونية التى أودعها الله الوجود ، ليسير على وفقها ، ويتحرك بموجبها ، ويعمل بمقتضاها

والإنسان يكشف عن أطراف من هذه القوانين ، كلما ارتقى فى سلم المعرفة ، يكشف عنها — أو يكشف له عنها — بمقدار يناسب علمه المحدود ، المستمد من الملاحظة والتجربة ، وهما وسيلتان جزئيتان فى طبيعتهما ؛ ولـكنهما تقودان أحيانا إلى أطراف من القوانين الـكلية ، فى آماد متطاولة من الزمان . ثم يظل هـذا الـكشف جزئيا لأن سر التناسق بين تلك القوانين كلها ، الناموس الأزلى الخالد الذى بين القوانين جميعا ، ذلك السر يظل خافيا لا تهتدى إليه الملاحظة الجزئية ، ولا التجربة الجزئية مهما طالت الآماد

هنا يجئ دور الرسالة . دور الطبيعة الخاصة التى آتاها الله الاستعداد اللدنى لتتجاوب فى أعماقها — بطريقة ما نزال نجهل ماهيتها وإن كنا ندرك آثارها — مع ذلك الناموس الخالد الذى يسير الـكون كله على هداه .. هذه الطبيعة الخاصة هى التى تتلقى الوحى ، فتطيق تلقيه ، لأنها مهيأة لاستقباله . إنها تتلقى الإشارة الإلهية التى يتلقاها هذا الوجود ، لأنهـا متصلة اتصالا مباشرا بناموس الوجود .. كيف تتلقى هذه الإشارة ، وبأى جهاز تستقبلها ؟ نحن فى حاجة — لـكى نجيب — أن تكون لنا نحن هذه الطبيعة التى يهبها الله من يشاء من عباده . و « الله أعلم حيث يجعل رسالته »

***

كل الرسل أدركوا حقيقة « التوحيد » . وكلهم بعثوا بها . ذلك أن إيقاع الناموس الواحد فى حسهم كله هداهم إلى مصدره الواحد الذى لا يتعدد — وإلا لتعدد الناموس وتعدد إيقاعه فى حسهم ، وهم المتصلون اتصالا مباشرا بالناموس الـكونى فى أعماقهم — وكان هذا الإدراك فى فجر البشرية ، قبل أن تنمو

المرنة الخارجية ، وقبل أن تتكشف بعض القوانين الكونية .. وكلهم دعا إلى عبادة الله الواحد ، لأن هـذا المنطق الفطرى ، الناشئ من إيقاع الناموس الواحد ، فى الفترة الواصلة ، المتصلة بناموس الكون الواحد

ويوما بعد يوم تكشفت أطراف من قانون الوحدة الأزلى الخالد فى نظام الوجود . . وحدة التكوين ، ووحدة الحركة ، وأخيرا — فى هذه الأيام — وحدة « الذبذبات » لكل أنواع الذرات التى يتألف منهـا الكون المعروف .. لقد تكشف أن الذرة — وهى طاقة — هى أساس تكوين جميع القوى والأجسام ، ثم تكشف أن عدد « الذبذبات » الكهربائية واحد فى جميع الذرات .. إنه طرف من قانون الوحدة يتكشف بمقدار ما تطيق الملاحظة والتجربة أن تبلغ . . أما الطبائع الخاصة الموهوبة فقد أدركت القانون كله فى لمحة ، لأنها تتلقى إيقاعه وتطيق وحدها تلقيـه

إنهم لم يجمعوا الأمثلة والشواهد على تلك الوحدة عن طريق التجارب العلمية ؛ ولكنهم وهبوا جهاز استقبال كامل مباشر ، فاستقبلوا إيقاع الناموس الواحد استقبالا داخليا مباشرا ، فأدركوا إدراكا مباشرا أن الإيقاع الواحد لابد منبعث عن ناموس واحد ، عن مصدر واحد . . واليوم تنبئ وحدة عدد الذبذبات الصادرة من جميع الذرات التى تلقتها أجهزة العلم الحديثة وسجلتها ... تنبئ عن أن ذلك الجهاز اللدنى فى تلك الطبائع الخاصة الموهوبة ، كان أسبق ، وكان أدق ، وكان أشمل وأكمل ؛ لأنه أدرك ماوراء وحدة الإيقاع ، من وحدة المصدر ، ووحدة القدرة ، ووحدة المشيئة

ترى قد بلغت شيئا فى تصوير تلك المشاعر والمعانى ، التى تفعم حسى تجاه الرسالة ؟ أرجو . وإلا فليكتف القراء مثلى بتلك المشاعر والمعانى !

* * *

و « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » .. والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرسـول . كأن يكون رسول أمة ، أو جيل ، أو أجيال ، أو جميع الأجيال . كما يتعلق بالميزات التى يوهبها لشخصه أو لأمته . أو بطبيعة الرسالة ذاتها ومدى شمولها لجوانب الحياة الكونية والإنسانية

وقد ذكر النص هنا مثالين فى موسى وعيسى ؛ وأشار إشارة عامة إلى سواهما : «منهم من كلم الله — ورفع بعضهم درجات — وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس »

ولم يذكر محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى صدر الأمثلة ، لأن الخطاب موجه إليه ، وهذا إخبار له عن غيره من الرسل فقد سبق هذه الآية قوله تعالى :

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين »

وحين ننظر إلى مقامات الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — من ناحية الاستعداد لإدراك الوحدة الكبرى ، ومن ناحية شمول الرسالة لكل جوانبها ، ومن ناحية محيطها وامتدادها نجد محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى القمة العليا . فالإسلام هو أكمل تصوير لتلك الوحدة : وحدة الخالق الذى ليس كمثله أحد ، ووحدة الإرادة التى يصدر عنها الوجود كله بكلمة : « كن » . ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ، ووحدة الناموس الذى يحكم هـذا الوجود ، ووحدة الحيـاة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق ، ووحـدة البشرية من آدم إلى آخر أبنائه فى الأرض ، ووحدة الدين الصادر من الإله الواحد إلى البشرية الواحدة ، ووحدة الرسل المبلغين لهذه الدعوة ، ووحدة المؤمنين الذين لبوا دعوة الدعاة ، ووحدة النفس البشرية جسما وعقلا وروحا ، غريزة وميلا وشوقا ، ووحدة العمل والعبادة ما دام كلاهما متجها إلى الله ، ووحدة الدنيـا والآخرة دارى العمل والجزاء

ومحمد — صلى الله عليه وسـلم — هو الذى أطاقت روحه التجاوب المطلق مع الوحدة الكبرى ، كما أطاق عقله تصور هذه الوحدة وتمثلها

كذلك هو الرسول الذى أرسـل إلى البشر كافة ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والذى اعتمدت رسالته على الإدراك الإنسانى الواعى دون ضغط حتى من معجزة مادية قاهرة ، ليعلن بذلك عهد الرشد الإنسانى

ومن ثم كان هو خاتم الرسل ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات ، وهـذا ما يعنينى أن أبرزه هنا ، تفسيرا لانقطاع الوحى بعده . فلقد ارتسمت للبشرية فى رسالته تلك الوحدة الكبرى ، وأعلن

البقية على صفحة ١٣٥٧

من أحاديث الإذاعة

أيها الإنسان.. اعرف نفسك

للأستاذ على الطنطاوى

إنكم تسمعون كل يوم أحاديث فى الجد وفى الهزل ، وفى الخير وفى الشر . أحاديث تدعو إلى الوطنية ، وأحاديث تسمو بالخلق ، وأحاديث فيها متعة وفيها تسلية ؛ ولـكن حديثى الليلة أهم من هذه الأحاديث كلها ، لا لأنى أنا كاتبه ، أعوذ بالله من رذيلة الغرور ، بل لأنه أمس الموضوعات بكم ، وأقربها إليـكم ، ولأنه دعوة لـكم لتعرفوا أنفسـكم

لا تضحكوا يا سادة ولا تظنوا أنى أهزل ، ولا تقولوا : ومن منا لا يعرف نفسه ؟ فإنه كان مكتوبا على باب معبد أثينة كلمة سقراط : « أيها الإنسان اعرف نفسك » ومن يوم سقراط إلى هذه الأيام ، لم يوجد فى الناس (إلا الأقل الأقل منهم) من عرف نفسه !

ومتى تعرف نفسك يا أخى ، وأنت من حين تصبح إلى حين تنام مشغول عنها بحديث أو عمل أو لهو أو كتاب ؟

ومتى تعرف نفسك وأنت لا تحاول أن تخلو بها ساعة كل يوم تفكر فيها لا يشغلك عنها تجارة ولا علم ولا متاع ؟

ومتى . . وأنت أبدا تفكر فى الناس كلهم إلا نفسك . . وتحدثهم جميعا إلا إياها ؟

***

تقول « أنا » فهل خطر على بالك مرة واحدة أن تسأل : « ما أنا » ؟ هل جسمى هو (أنا) ؟ هل أنا هـذه الجوارح والأعضاء ؟

إن الجسم قد ينقص بعاهة أو مرض ، فتبتر ساق ، أو تقطع يد ، ولـكن (أنا) لا يصيبنى بذلك نقصان !

فما (أنا) ؟

ولقد كنت يوما طفلا ثم صرت شابا ، وكنت شابا فصرت كهلا ، فهل خطر على بالك أن تسأل : هل هذا الشاب هو ذلك الطفل ؟ وكيف ؟ وما جسمى بجسمه ، ولا عقلى بعقله ، ولا يدى هذه يده الصغيرة . فأين ذهبت تلك اليد . ومن أين جاءت هـذه ؟

وإذا كانا شخصين مختلفين فأيهما أنا ؟ هل أنا ذلك الطفل الذى مات ولم يبق فى من جسده ولا فكره بقية ؟ أم أنا الـكهل الذى يلقى هذا الحديث ؟ أم أنا الشيخ الذى سيأتى على أثره بجسمه الوانى وذهنه الـكليل ؟ ما أنا ؟

وتقول : « حدثت نفسى ، ونفسى حدثتنى » فهل فكرت مرة ، ما أنت ؟ وما نفسك ؟ وما الحد بينهما . وكيف تحدثك أو تحدثها ؟

وتسمع الصباح جرس الساعة يدعوك إلى القيام — فقـد حان الموعد ، فتحس من داخلك داعيا يدعوك إلى النهوض ، فإذا ذهبت تنهض ناداك منك مناد أن تريث قليلا واستمتـع بدفء الفراش ، ولذة المنام — ويتجاذبك الداعيان : داعى القيام وداعى المنام . فهل فكرت ما هذا ؟ وما ذاك ؟ وما أنت بينهما ؟ وما الذى يزين لك المعصية ومن يصور لك لذتها ، ويحرك إليها ؟ وما الذى ينفرك منها ، ويبعدك عنها ؟ يقولون : إنه النفس وإنه العقل . فهل فكرت يوما ما النفس الأمارة بالسوء ، وما العقل الرادع عنه ؟ وما أنت ؟

وتثور بك الشهوة ، حتى ترى الدنيا كلها مخدع الحبيب ، والحياة كلها متعة الجسد ، وتتمنى أمانى لو أعطيها شيطان لارتجف من فظاعتها الشيطان ، ثم تهدأ شهوتك فلا ترى أقبح من هذه الأمانى ، ولا أسخف من ذلك الوصال !

ويعصف بنفسك الغضب حتى ترى اللذة فى الأذى ، والمتعة بالانتقام . وتغدو كأن سبعا حل فيك ، فسارت إنسانيتك وحشية .. ثم يسكت عنك الغضب ، فتجد الألم فيما كنت تراه لذة ، والندم على ما كنت تتمناه

وتقرأ كتابا فى السيرة، أو تتلو قصة، أو تنشد قصيدة، فتحس كأن قد سكن قلبك ملك فطرت بغير جناح إلى عالم كله خير وجمال، ثم تدع الكتاب، فلا تجد فى نفسك ولا فى الوجود أثارة من ذلك العالم

فهل تساءلت مرة ما أنا من هؤلاء؟ هل أنا ذلك الإنسان الشهوان الذى يستبيح فى لذته كل محرم ويأتى كل قبيح؟ أم ذلك الإنسان البطاش الذى يشرب دم أخيه الإنسان، ويتندى بعذابه ويسعد بشقائه؟ أم ذلك الإنسان السامى الذى يحلق فى سماء الطهر بلا جناح؟ أسبع أنا أم شيطان أم ملك؟

***

أتحسب أنك واحد وأنك معروف. وأنت جماعة فى واحد وأنت عالم مجهول. كشفت مجاهل البلاد، وعرفت أطباق الجو، ولا تزال أنت مخفيا، لم يظهر على أسرارك أحد. فهل حاولت مرة أن تدخل إلى نفسك فتكشف مجاهلها؟

نفسك عالم عجيب، يتبدل كل لحظة ويتغير، ولا يستقر على حال: تحب المرء فتراه ملكا، ثم تكرهه فتبصره شيطانا، وما ملكا كان قط ولا شيطانا، وما تبدل، ولكن تبدلت حالة نفسك. وتكون فى مسرة فترى الدنيا ضاحكة، حتى أنك لو كنت مصوراً لملأت صورتها على لوحتك بزاهى الألوان، ثم تراها وأنت فى كدر، باكية قد غرقت فى سواد الحداد. وما ضحكت الدنيا قط ولا بكت، ولكن كنت أنت الضاحك الباكى

فما هذا التحول فيك؟ وأى أحكامك على الدنيا أصدق؛ وأى نظريك أصح؟ وإذا أصابك إمساك فنالك منه صداع، ساءت عندك الحياة، وامحى جمال الرياض، وطمس بهاء الشمس، واسود بياض القمر، وملأت الدنيا فلسفة شؤم إن كنت فليسوفا، وحشوت الأسماع شعر بؤس إن كنت شاعرا. فإذا زال ما بك بقدح من زيت الخروع، ذهب التشاؤم فى الفلسفة، والبؤس فى الشعر. فما فلسفتك يا أيها الإنسان وما شعرك إن كان مصدرهما قد قدح من زيت الخروع؟

وتكون وانيا، واهى الجسم، لا تستطيع حراكا، فإذا حاق بك خطر، أو هبط عليك فرح. وثبت كأن قد نشطت من عقال، وعدوت عدو النزال، فأين كانت هذه القوة كامنة فيك؟ هل خطر على بالك أن تبحث عن هذه القوة فتحسن استغلالها؟ هل تساءلت مرة عندما تغضب أو تفرح فتعمل الأفاعيل — كيف استطعت أن تفعلها؟

إن النفس يا أخى كالنهر الجارى؛ لا تثبت قطرة منه فى مكانها، ولا تبقى لحظة على حالها، تذهب ويجىء غيرها، تدفعها التى هى وراءها، وتدفع هى التى أمامها. فى كل لحظة يموت فيك واحد ويولد واحد، وأنت الكل؛ أنت الذى مات وأنت الذى ولد، فابتغ لنفسك الكمال أبدا، واصعد بها إلى الأعالى، واستولدها دائما مولودا أصلح وأحسن، ولا تقل لشىء لا أستطيعه فإنك لا تزال كالغصن الطرى، لأن النفس لا تيبس أبدا، ولا تجمد على حال، ولو تباعدت النقلة، وتباينت الأحوال.. إنك تتعود السهر حتى ما تتصور إمكان تعجيل النام، فما هى إلا أن تبكر النام ليالى حتى تتعوده فتعجب كيف كنت تستطيع السهر! وتدمن الخمرة حتى ما تظن أنك تصبر عنها، فما هى إلا أن تدعها حتى تألف تركها، وتعجب كيف كنت تشربها. وتحب المرأة حتى ما ترى لك حياة إلا بها، فما هى إلا أن تسلوها حتى تعجب كيف كنت تحبها. فلا تقل لحالة أنت فيها، لا أستطيع تركها، فإنك فى سفر دائم، وكل حالة لك محطة على الطريق، لا تنزل فيها حتى ترحل عنها

***

فيا أخى. اعرف نفسك، واخل بها، وغص على أسرارها. وتساءل أبدا: ما النفس؟ وما العقل؟ وما الحياة؟ وما العمر؟ وإلى أين المسير؟

ولا تنس أن من عرف نفسه عرف ربه، وعرف الحياة، وعرف اللذة الحق التى لا تعدلها لذة. وأن أكبر عقاب عاقب به الله من نسوا الله أنه أنساهم أنفسهم!

علي الطنطاوي

٥ – على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

١ – الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

ضرورة التعرف على جوهر السلوك السوفييتى

المنطق الرئيسى الذى تلجأ إليه الحكومتان الأمريكية والبريطانية ومعها بقية الحلف الأطلنطى لإقناع الدول والشعوب العربية بالتعاون معهما فى نظام للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط يستند إلى خطر تعتقد دول الحلف الأطلنطى أنه كامن فى مطامع روسيا السوفييتية للتوسع فى الشرق الأوسط ورابض فى صميم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية (والسياسية كذلك) التى تعيش عليها شعوب الشرق العربى وبعض الشعوب الإسلامية المجاورة

وفى اعتقاد كاتب هذه السطور أن من أهم الأمور التى يجب أن يشغل بها صناع السياسة والمصلحون الاقتصاديون والاجتماعيون فى الشرق العربى هو محاولة التعرف على دقائق السلوك السياسى والفكرى للشيوعية العالمية ممثلة فى مركزية الاتحاد السوفييتى وفى الحركات الشيوعية المحلية فى مختلف البقاع – حركات تدين لموسكو بالولاء وتستوحى منها الإرشاد والتوجيه

فإن أبرز مافى هذه الاتجاهات السياسية والفكرية فى حاضر الشرق إجمالا والعالم العربى على وجه الخصوص هى البلبلة السياسية والفكرية التى تعترى القادة والمواطنين حين يحاولوا مخلصين صادقين فى تحديد موقفهم السياسى ومبادئهم الاقتصادية والاجتماعية إزاء التنافس الحاد الذى يشهده الشرق العربى (بل العالم بأسره) بين المعسكرين المتطاحنين الشيوعى وحلف الأطلنطى

ولقد وجد الشرق العربى نفسه ملما بكثير من دقائق السلوك البريطانى والأمريكى والفرنسى وهؤلاء هم دعامة المعسكر الغربى وذلك بفضل هذه التجارير التاسية المرة التى تكشفت عن ألوان الثقافة الغربية التى تجد سبيلها إلى الثقافة العربيـة وعن الحاكم بالمحكوم والتاجر بالمشترى والقوى بالضعيف سواء فى استعمار بريطانيا السابق لأجزاء هامة من عالم العرب أم صهيونية أمريكا ومصالحها الاقتصادية والدبلوماسية أم فى استرقاق الفرنسيين لعرب المغرب الأحرار

ولكن يندر أن تلمس فى تجارب العرب السياسيـة أو الاقتصادية أو الثقافية احتكاكا مباشرا مع الروس توفر للمواطنين العرب وزعمائهم السياسيين فرصا نافعة تعرفوا فيهـا على دقائق السلوك الروسى على ماعرفوه من سلوك الأمريكان والأوربيين فى تجاربهم الطويلة معهم

وإن من غير الصواب أن نحلل الفكر والسلوك لروسيا السوفييتية على ضوء موجات الدعاية أو بما نلمسه من سلوك العناصر الشيوعية المحلية التى تدين بالولاء لموسكو ، فللفكر السوفييتى خصائص فريدة زرعت ونمت وشبت فى طبيعة المجتمع الروسى ، وإن ما يصدر إلى الخارج من هذه الخصائص السوفييتية عن طريق الحركات الشيوعية خارج الاتحاد السوفييتى لا يتعدى نماذج مصطنعة اختيرت لتلائم وضعا إقليميا معينا ، وهذه النماذج تختلف باختلاف الأوضاع الإقليمية وباختلاف الشعوب التى يجرى فيها النشاط الشيوعى . فالبضاعة التى تروجها الشيوعية المحلية فى الشرق العربى مثلا تختلف عن النماذج التى يروجها الشيوعيون فى إيطاليا أو فرنسا مثلا . وكل هذه النماذج ليس صورة صادقة لحقيقة الأهداف التى تطمح موسكو لتنفيذها فى المراحل النهائية

والمهم أن ندرك أن الوضع الجغرافى والمركزى الدولى للعالم العربى يفرض علينا يقظة حساسة لمراقبة دقائق السلوك السياسى والفكرى لكلا المعسكرين المتطاحنين السوفييتى والغربى . ولما كانت علاقتنا السياسية والثقافية مع المعسكر الغربى متواصلة مستمرة توفر لنا وسيلة طيبة للتعرف على تفكير هـذا المعسكر ونواياه وأهدافه وسلوكه ، وحيث أن صلتنا الفكرية والسياسية بالاتحاد السوفييتى بعيدة متقطعة ؛ فإن المصلحة الجوهرية لكياننا

القومى تفرض علينا سبر غور هذا اللغز السوفييتى خصوصا وأن فى العالم العربى أوساطا واعية ذات مكانة ونفوذ تؤمن بأن كثيرا من مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتبطة « بالورقة الغامضة » التى يحملها الاتحاد السوفييتى إزاء الشرق الأوسط فى هذه المقامرة السياسية والعسكرية التى يلعبها المجتمع الدولى فى هذه الأيام

وبعد فإن كاتب هذه السطور لن يحاول فى هذا البحث أن يقارن بين أهداف الطرفين (الروس وحلفاء الغرب) وسلوكهما، ولن يطمح فى أن يربط قضايا العالم العربى بهذا أو ذاك . وإنما هى محاولة للتعرف على بعض الحقائق الجوهرية للفكر والسلوك الروسى فى إطاره العام ، فلعل فى هذه المحاولة نفعا للمواطن العربى الذى يقف بين حجرى الرحى ومقدراته العامة والخاصة فى يديه يحاول أن يجد الخلاص من هذا المأزق المحرج الذى فرضه عليه صراع فكرى وسياسى واقتصادى بين كتلتين سياسيتين تتنافسان اليوم على السيادة الدولية

***

ليس المهم فى هذا النوع من البحث أن يحلل الكاتب المبادئ الفكرية (الأيديولوجيه) التى تستند إليها الدعوة الشيوعية السوفييتية بقدر ما يهمه أن يتعرف على الأساليب التى تتميز بها السياسة السوفييتية عند قيامها بتنفيذ هذه المبادئ فى روسيا نفسها وفى العالم الخارجى

فالاقتناع بالعقائد والنظم الفكرية (شيوعية كانت أم غير شيوعية) أصبح اليوم أمرا ثانويا إزاء سياسة توازن القوى التى تشوب سلوك المعسكرين الكبيرين الروسى والغربى . فقد أصبح كلا الطرفين أميل إلى توطيد نفوذه فى المناطق الحساسة (كمنطقة الشرق العربى) فى أساليب تبتعد فى كثير من الحالات عن جوهر المبادئ والمعتقدات الفكرية التى تستند إليها نظم الحكم فى كل من الاتحاد السوفييتى ودول حلف الأطلنطى. فالعالم اليوم فى حالة حرب « باردة » وحالات الحرب تستلزم خدعة فى السلوك ومناورة فى أساليب الكر والفر الدبلوماسى . وعلى ذلك فإن حاضر الوضع الدولى يتطلب اهتماما بدقائق هذا السلوك أكثر من اهتمامه بالمعالجات المنطقية لجوهر النظم الفكرية والسياسية التى تبشر بها الدول الكبرى التى لها القول الفصل فى مصير السلم والحرب

ولقد أشرنا فى فترة سابقة إلى أن الشعوب العربية قد اختبرت عن كثب كيف أن سياسة الدول الديمقراطية الغربية فى العالم العربى لا تتمشى فى كثير من الحالات مع المبادئ الديمقراطية التى يستند إليها الفكر الغربى وأنظمة الحكم القائمة فى أوربا وأمريكا. فمأساة فلسطين علم على ذلك وتراث الاستعمار الغربى فى دنيا العرب مثل حى من أمثلة هذا التناقض بين العقائد والسلوك

أفليس من الصواب إذن أن نسعى لمعرفة ألوان التناقض بين العقيدة الشيوعية السوفييتية وبين سلوكها السياسى مع العالم الخارجى ، ونحن فى منطقة حساسة يتوقف كيانها السياسى وبقاؤها على خارطة الأرض على ما يتمخض عنه صراع الدول الكبرى المتنافسة . ألم يصرح الجنرال أيزنهاور كبير القادة العسكريين فى دول الحلف الأطلنطى بأن الشرق الأوسط هو أهم ميدان عسكرى فى خارطة العالم العسكرية (١)

وبعد فإن التعرف على دقائق السلوك يتطلب معرفة بخصائص العقلية السوفييتية . ويجب أن نميز بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية ؛ فالأولى إطار فكرى يعيش على تراث ماركس ولينين — وستالين وهو تراث راسخ فى ثقافة رجال الحكم وصناع السياسة الذين يسيطرون على مقدرات روسيا اليوم . والثانية عقلية « شعبية » تراثها الثقافة الروسية التقليدية والمقومات التاريخية والأدبية والعاطفية وطبيعة المناخ والإقليم وسائر ألوان النشاط الإنسانى التى تتميز بها الشعوب من بعضها . ولاشك أن هناك تشابكا بين العقلية السوفييتية وبين العقلية الروسية بحكم أن رجال الحكم المسؤولين عن روسيا اليوم هم من صلب الشعب الروسى . وهذا التشابك بين العقليتين ينقطع فى كثير من الحالات والأحداث الخطيرة الهامة . فى عقول البلاشفة السوفييتيين طبقات كثيفة من فلسفة ماركس ولينين وستالين والمدارس الفكرية المنبثقة عنها ترقد فوق تراثهم ومقوماتهم الخلقية الروسية التى ورثوها بحكم كونهم من إنتاج الشعب الروسى ، ولكن

(١) — فى خطاب له أمام مجلس الحلف الأطلنطى فى دورته المنعقدة فى روما فى شتاء سنة ١٩٥١

هذه الطبقات الكثيفة جامدة متحجرة تنفرد فى التأثير بسلوك رجال الحكم السوفييتى بصورة قد تتناقض فى بعض الحالات مع طبيعة العقلية والمقومات الخلقية للشعب الروسى . وليس هذا التناقض بشىء جديد فى سلوك الأفراد والجماعات ؛ فالبريطانى فى بلده إنسان يختلف فى عقليته وسلوكه عن مواطنه الذى يتولى حكما فى مستعمرة أو ينفذ سياسة معينة درب نفسه على تنفيذها مسلحا بثقافة استعمارية خاصة، فرجال السلك الخارجى البريطانى مثلا حين ينتدبون للخدمة فى المستعمرات والمحميات والانتدابات يمرون فى تدريب خاص فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة لندن مثلا ، وما أكثر ماخلته هذا التدريب من سلوك شائن بعيد عن أوصاف العقلية البريطانية التقليدية

وبمثل هذا المقياس يجب أن نوازن بين رجال الحكم السوفييتى فى موسكو وبين المواطنين الروس من غير رجال الحكم والإدارة . فنصف رجال الحكم بأن لهم عقلية سوفييتية (والسوفييت كلمة اشتقت بعد توطد الحكم الشيوعى فى روسيا)

ولنعرج الآن بعد هذه المقدمة على صلب البحث ونحاول أن نتعرف على بعض خصائص السلوك السوفييتى وعقلية الذين يوجهونه

نيويورك للكلام بقية عمر حليق

---

٥ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

لماذا استقسم العرب بالأزلام ؟

كان العرب فى الجاهلية على حيرة من أمرهم : أديان شتى ، وقبائل شتى ؛ لا نظام لهم يجتمعون عليه، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها ، ويقفون عند الحدود التى ترسمها ، والقوانين التى تضعها فتكون موضع التنفيذ . والصحراء التى يضطربون فيها فتنتالهم حينا وتبسط عليهم جناح الأمن حينا ، وكذلك حال الفزع التى كانت تصاحبهم من أشباح الحرب والثارات التى تصبحهم وتمسيهم ، وتفاجئهم فى ساعة من ليل أو ساعة من نهار . وكذلك حالتهم المعيشية التى تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع النائل أحيانا لاضطراب الحياة الاقتصادية . وكثرة حوادث القتل والاغتيال التى يتعذر عليهم إصدار حكم فيها . كل أولئك جعلهم فى حيرة من أمرهم ، وألقى عليهم ظلا ممتدا قاتما من التردد والحيرة ، والشك والاضطراب . فكان لابد لهم مما يذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة ، فلجأوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئا من الروح والطمأنينة وإن صارت عليهم حربا فيما بعد ذلك . لجأوا إلى التفاؤل والطيرة فحكموا الطير والحيوان فى أمورهم ، أيقدمون أم يحجمون . وتفاءلوا بالأصوات والكلمات يلتمسون فيها المعنى الذى يبسطهم فيمضون فيما هم بسبيله ، والمعنى الذى يقبضهم فيرتدون إلى حيث الأمن والسلامة

قال الجاحظ[١] : ويدل على أنهم يشتقون من اسم الشىء الذى يعاينون ويسمعون قول سوار بن المضرب :

تغنى الطائران ببين ليلى على غصنين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير دانى

فاشتق كما ترى الاغتراب من (الغرب) والبينونة من (البان)

وقال جران العود :

جرى يوم رحنا بالجمال نزفها عقاب وشحاج من البين يبرح

فأما العقاب فهى منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح

فلم يجد فى العقاب إلا العقوبة ، ووجد فى الغراب معنى الغربة واستخبروا الجماد ، فكانوا يضربون بالحصى ليحكم بينهم فى أمرهم ، يطيعون حكمه وهو الجماد الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئا

كان يفعل ذلك دهماء العرب ذوو النفوس اللينة الضعيفة

ويذكرون أن النابغة الذبيانى كان من أولئك . زعم الأصمعى[٢] أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زبان من تلك الغزوة غانما سالما قال :

تخبر طيره فيها زياد لتخبره وما فيها خبير[٣]

---

(١) الحيوان (٤ : ٤٤٠)

(٢) الحيوان (٤ : ٤٤٧)

(٣) زياد : اسم النابغة الذبيانى . ومما يجدر ذكره أن العرب يعدون (الجراد) من الطير

أقام كأن لقمان بن عاد   أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طـــير إلا   على متطير وهو الثبور

والبيت الثانى من هذه الأبيات يدلنا على مقدار إيمان بعض العرب بالطيرة ، وخضوعهم التام لسلطانها كما أن البيت الرابع يدلنا على نظرة العقلاء منهم إلى الطيرة ، وأنها من صميم الاتفاق لا غير . وكان زبان من دهاة العرب وساداتهم

وممن كان لا يرى الطيرة شيئا المرقش من بنى سدوس ، إذ يقول :

إنى غدوت وكنت لا   أغـدو على واق وحاتم
فإذا الأشــــائم كالأيا   من والأيامن كالأشـائم
فـكذاك لا خـير ولا   شر على أحـد بدائم

فالعرب فى جاهليتهم كانوا يضطرون إلى ذلك ليجتلبوا قوة العزيمة فيما ضعفت عزيمتهم فيه ، وليقطعوا الشك قطعا بذلك الحكم الحاسم الذى يخضعون له خضوعا كاملا

١ — فكان العربى إذا أراد السفر والنقلة من موضعه استقسم بالأزلام ، فنى السفر مخاطر كثيرة ، مخاطر الطريق أن يضل به أو تتعرض له فى جنباته السباع ، أو تطيح به العاصفة الهوجاء ، ومخاطر الرحلة التى يمتطيها فقد تهلك راحلته فتنتبذ به مشقة السفر . وتحدثه نفسه بعد ذلك ، أيئوب سالما غانما ، أم يغتاله الهلاك وتطويه الخيبة ، فلا بد له أن يقوى عزمه باستشارة الأزلام فهى التى تأمره ، وهى التى تنهاه

٢ — وكان العربى إذا ابتغى تجارة وليست التجارة أمراً هينا عند العرب ، فلا بد للتجارة فى أغلب الأمر من رحلة إلى شرق البلاد أو غربها ، أو شمالها أو جنوبها ، وفى ذلك التعرض للسلب والنهب والعداوات القبلية . فهو قبل أن يضع رجله فى غرز ناقته يستفتى الأزلام لتبشره بالفوز وتؤيد رأيه فى القيام بهذه الرحلة ، أو لترده عما عسى أن يكون قد كمن له فى ثنيات الطريق من مخاوف وأخطار

٣ — وكان العرب يلقون بالا كبيرا إلى الأنساب ، يتحرجون أن يدخل الأجنبى فى أنسابهم ، مبالغة منهم فى حصانة القبيلة وتماسكها ، فإذا شكوا فى نسب مولود أو رجل فليست لهم وسيلة تذهب عنهم ذلك الشك إلا أن يحتكموا إلى الأزلام لتخبرهم بصحة نسبه أو بطلان ذلك

٤ — وكانوا إذا خرجوا فى حرب عرجـوا قبل ذلك على أمين الأزلام ليكشف لهم بأزلامه عما يخبئ الغيب لهم من فوز وغنيمة ، أو خيبة وإخفاق فيمضون أو يرتدون

٥ — وإذا حصل بينهم (مدارأة) أى خلاف وخصومة ، فإن الحكم فيها هو الأزلام[٤]

٦ — وإذا أرادوا استنباط المياه وأرادوا أن يحفروا بئرا ضربوا بالقداح يستأمرونها فى ذلك[٥]

٧ — وكذلك الأمر إذا عزم أحدهم على زواج ، أو على ختان ولده ، أو على بناء قبته ، وسائر شؤون الحياة التى يطرأ عليه فيها الشك والاضطراب[٦]

أزلام الاستقسام

وأزلام الاستقسام هذه شبيهة بقداح الميسر ، فهى عيدان تسوى مثل ما تسوى عيدان قداح الميسر . وإنما سميت هذه القداح بالأزلام لأنها زلت ، أى سويت . ويقـال : رجل مزلم وامرأة مزلمة ، إذا كان خفيفا قليل العلائق . ويقال : قدح مزلم ، وزلم إذا ظرف وأجيـد قده وصنعه . وما أحسن ما زلم سهمه ، أى سواه . ويقال لقوائم البقر أزلام ، شبهت بالقداح للطافتها[٧]

وقد أسلفنا القول أن قداح الميسر تحز فيها حزوز ، أو توسم بوسوم تميز بعضها عن بعض . ولـكن أزلام الاستقسام كانت تعلم بعلامات أخر تتفق مع الغرض الذى أعدت له ، وذلك بكتابة خاصة تسجل عليها ، كما سيأتى

ويختلف الرواة فى عدد هـذه الأزلام فيبلغون بها الثمانية عدا . كتب على واحد منها : (أمرنى ربى) ، وعلى واحد منها : (نهانى ربى) وعلى واحد : (منكم) ، وعلى واحد : (من غيركم) وعلى واحد : (ملصق) وعلى واحد : (العقل) أى الدية . ويضمون إلى هذه الستة قدحا غفلا لم يكتب عليه شئ ، فإن خرج الغفل مرة أعيد الضرب إلى أن يخرج غيره من القداح

---

(٤) المحبر لابن حبيب ، بتحقيق الدكتوره ايلزه ص ٣٣٢
(٥) تفسير أبى حيان (٣: ٤٢٥) والسيرة لابن هشام ٩٧ طبع جوتنجن
(٦) المحبر ، وتفسير أبى حيان ، وتفسير الفخر (٣ : ٣٥٧) ، والميسر والقداح ٣٩ — ٤٠
(٧) الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

وذكر ابن حبيب فى المحبر[٨] أنه قد كتب على أحدها (افعل) وعلى الثانى (لا تفعل) وعلى الثالث (نعم) وعلى الرابع (لا) وعلى الخامس (خير) وعلى السادس (شر) وعلى السابع (بطئ) وعلى الثامن (سريع) . وذكر أيضا أنه كتب على بعضها (صريح) وعلى الآخر (ملصق) . كما ذكر أن قداح (المدارأة) التى سبق الكلام عليها كانت بيضاء ليس فيها شئ . وذكر أيضا أنه كان للحضر والسفر سهمان فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : « اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان » . فيرضى بما خرج له

وذكر ابن الكلبى[٩] عند الكلام على « هبل » : « وكان فى جوف الكعبة ، قدامه سبعة أقدح مكتوب فى أولها (صريح) والآخر (ملصق) فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فإن خرج (صريح) ألحقوه ، وإن خرج (ملصق) دفعوه . وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، وثلاثة لم تفسر لى على ما كانت . فإذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه »

قال : « وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله » وسنذكر هذا الأمر بتفصيل عند الكلام على العامل الدينى

وذكر أيضا فى الكلام على ذى الخلصة[١٠] : « وكانت له ثلاثة أقدح : الآمر ، والناهى ، والمتربص »

وقال ابن هشام[١١] : « وكانت عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) — أى الدية — إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به فى القداح فإن خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ، وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به .

(٨) المحبر ص ٣٣٢
(٩) فى الأصنام ص ٢٨ وعنه نقل ياقوت فى (هبل)
(١٠) الأصنام ٤٧ ونقل عنه ياقوت فى (الخلصة)
(١١) السيرة ٩٧ جوتنجن

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو ينكحوا منكحا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل »

وقال الجاحظ[١٢] : (واستعملوا فى القداح الآمر ، والناهى ، والمتربص . وهن غير قداح الأيسار)

وفى صبح الأعشى[١٣] : (افعل ، لا تفعل ، نعم ، لا ، خذ ، سر ، سريع) . وقال : (وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق[١٤] سمى كل منهما سهما وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له)

واختلاف الروايات فى ذلك يدلنا على أن العرب ما كانوا يلتزمون فى صناعة الأزلام نهجا معينا يقسرون عليه أنفسهم ، وإنما كان لكل كاهن من كهانهم ، ولكل حكم من حكامهم طريقة خاصة فيما يكتب على أزلامه من الإشارات ، كما يدل على أن لكل قضية من قضايا الاستفتاء أزلاما خاصة بها تناسبها وتنهض لها

للكلام صلة

عبد السلام محمد هارون

(١٢) الحيوان (٣ : ٤٤)
(١٣) صبح الأعشى (١ : ٤٠٢)
(١٤) هذا ما سماه ابن حبيب (المدارأة) ، كما سبق

٣ – تركيــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مؤتمر برلين ١٨٧٨

لا أستطيع أن أتحدث عن تركيا دون أن أشير إلى أهمية مؤتمر برلين وأثره فى تاريخ تركيا وفى السياسة الدولية العالمية فإن هذا المؤتمر يعتبر مفترق الطرق فى السياسة الأوربيـة الحديثة بل وفى السياسة العالمية

وقبل أن أتحـدث عن هـذا المؤتمر يحسن بى أن أصف الظروف الدولية التى أدت إلى انعقاده

فى ١٨٧٥ قامت الثورة ضد الحـكم التركى ومظالمه فى ولايتى البوسنة والهرسك ، وسرعان ما اشتعلت نيران الثورة فى جميع أنحاء البلقان فى بلناريا وفى الصرب وفى الجبل الأسـود وفى رومانيا ، وقام القتال بين الأتراك وبين شعوب البلقان

وإذا عطست شعوب البلقان اضطربت أوربا فإن شبه الجزيرة هذه تعتبر مخزن البارود فى أوربا ، ولذا سرعان ماتدخلت الدول : تقدم الـكونت أندراس وزير النمسا باقتراحات لإنهـاء الثورة قبلها السلطان ورفضها الثوار ، وعقدت الدول مؤتمر القسطنطينية ١٨٧٧ لحل المشكلة، ولـكن السلطان فاجأ الدول فأعلن الدستور وبمقتضـاه أصبح أمر الحـكم متروكا للشعوب ، وأعلن أن الدول بمقتضى معاهدة باريس ١٨٥٦ لا يحق لها أن تتدخل فى شؤون تركيا الداخلية ، وانفض المؤتمر ولـكن الثورة زادت اشتعالا

وأخيرا جاءت الروسيا لمساعدة شعوب البلقان ولتحقيق مآربها ، فأعلنت الحرب على تركيا ١٨٧٧ وتقدمت جيوشها حتى وقفت على أبواب القسطنطينية فى يناير ١٨٧٨ ، وحينئـذ طلب السلطان الصلح وأمرت إنجلترا أسطولها فى الوقت نفسه بالتقدم إلى مياه القسطنطينيـة وبضرب الروس إذا حـدثتهم أنفسهم بدخول القسطنطينية

وأمام الهزيمة اضطر السلطان أن يقبل ما عرضته عليه روسيا وأن يوقع معاهدة سان ستفانو فى مارس ١٨٧٨ وبمقتضى هذه المعاهـدة تقرر أن تستقل رومانيا والصرب والجبل الأسود استقلالا تاما وأن تمنح البوسنة والهرسك استقلالا إداريا وأن تأخذ الروسيا باطوم وقارص وإرزن وأن تنشأ بلناريا العظمى التى كانت حدودها تمتد من البحر الأسود إلى بحر إيجة ومنه إلى البحر الأبيض . وكان مفروضا أن بلناريا العظمى هذه ستقع تحت حماية روسيا وبذلك يتحقق الحلم الروسى وهو الوصول إلى البحر الأبيض

لـكن الدول وخاصة إنجلترا ثارت ضـد هذه المعاهدة التى تضع البلقان تحت حماية روسيا وطلبت عرض المعاهدة على مؤتمر يعرض فى برلين

وقد اجتمع هذا المؤتمر فى برلين فى يوليو ١٨٧٨ تحت رئاسة بسمارك منشئ ألمانيا الحديثة ورئيس وزرائها إذ ذاك وكبير دهاة الساسة وقطب السياسة الدولية حتى إن الفترة من ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تسمى بعصر بسمارك . وقد عبر بسمارك عن السياسة التى انتهجها بقوله (لقد كنت سمسارا شريفا) . صحيح أن ألمانيا لم تأخذ لنفسها شيئا ولـكنها أعطت ومنعت وأرضت وأغضبت فأثارت الشحناء والبغضاء وأقامت الصداقات مما جعل هذا المؤتمر بحق مفترق الطرق فى السياسة الدولية

أخذت النمسا البوسنة والهرسك فرضيت وتوطدت صداقتها مع ألمانيا لأن المداد النمساوى كان أغلى من الدم الروسى ، وغضبت الروسيا وكان ذلك تمهيدا لانسحابها من تحالفها مع النمسا وألمانيا وقيام التحالف بينها وبين فرنسا ثم إنجلترا فيما بعد

وأما إنجلترا فقد حققت ما كانت ترنو إليـه إذ قضى المؤتمر على بلناريا العظمى فأعيدت مقدونيا إلى تركيـا وبذلك حرمت بلناريا من شواطئ على بحر إيجة والبحر الأبيض ، وجعلت بلناريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالا داخليا وجعل الروملى الشرق إمارة يحكمها وال مسيحى فوافق السلطان على تعيينه . وأخذت إنجلترا جزيرة قبرص ورضيت وعاد رئيس وزرائها دزرائيلى إلى بلاده يقول (لقد حققت السـلام وجئت بصلح مشرف)

وجدير بى أن أذكر أنه فى ذلك التاريخ لم يكن هناك مايدعو إنجلترا إلى أن تعادى ألمانيا ، ولـكن ظهور مطامع ألمانيا

الاستعمارية فيما بعد هو الذى أدى إلى قيام العداء بينهما ؛ وهو الذى محا العداوة التقليدية بين فرنسا وإنجلترا وأدى إلى قيام الصداقة بينهما ، تلك الصداقة التى تجلت فى وقوف جيوشهما جنبا إلى جنب فى الحربين العالميتين الأولى والثانية

وأما فرنسا فقد كانت جريحة كسيرة إثر هزيمتها فى حرب السبعين وانتصار ألمانيا عليها واحتلالها لبلادها، ولذلك لم يكن لها نصيب يذكر فقد كان المؤتمر تحت رئاسة بسمارك عدوها الأكبر وقد كان بسمارك يعمل دائما على عزلة فرنسا ويحاول جاهدا ألا تجد لنفسها أصدقاء ؛ وكان يؤمن بأن فرنسا لن تجرؤ على الوقوف فى وجه ألمانيا طالما كانت وحيدة لا حليف لها

على أن سخط روسيا على ألمانيا بسبب موقفها منها فى المؤتمر كان الدافع الأول إلى أن تمد روسيا يدها إلى فرنسا ١٨٩٣ وقد انضمت إليهما إنجلترا ١٩٠٧

وأما إيطاليا فقد غضبت لأن فرنسا استولت على تونس ١٨٨٢ وكانت إيطاليا تطمع فيها وبذلك انضمت إيطاليا إلى ألمانيا والنمسا ، وهكذا انقسمت أوربا إلى معسكرين : إنجلترا وفرنسا والروسيا فى جانب ، وألمانيا والنمسا وإيطاليا فى جانب آخر

والصرب غضبت لأن النمسا انتزعت منها ولايتى البوسنة والهرسك وهى تعتبرها جزءا منها وبذلك انضمت إلى جانب فرنسا والروسيا وإنجلترا ، ولقد كان اغتيال طالبين صربيين لولى عهد النمسا فى ٢٨ يونية ١٩٠٤ سبب قيام الحرب العالمية الأولى

وتركيا غضبت على أصدقائها لأن هؤلاء الأصدقاء كانوا فى الواقع أعداء ، وكانت مصالحهم سبب صداقتهم ، وكان أهم هؤلاء الأصدقاء إنجلترا وفرنسا . أما إنجلترا فقد أخذت قبرص ١٨٧٨ واحتلت مصر ١٨٨٢، وأما فرنسا فقد استولت على تونس١٨٨٢

وكان مسلك إنجلترا وفرنسا هذا سببا فى إغضاب تركيا مما دفعها إلى أن تتجه شطر ألمانيا ، وكانت ألمانيا قد بدأت تغير من سياستها وتعمل على اتخاذ مناطق نفوذ لها فرحبت بصداقة تركيا وعملت على مد يد المعونة إليها وشرعت فى ربط تركيا بألمانيا وإنشاء سكة حديد برلين — بغداد مما أثار مخاوف إنجلترا

وقد وقفت تركيا بجانب ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، أما إيطاليا فبرغم أنها كانت حليفة لألمانيا وقفت على الحياد فى أول الحرب، حتى إذا تجلى لها أن كفة الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) راجحة نكثت بعهدها ونقضت سابق تحالفها وانضمت إلى الحلفاء ١٩١٥

وقد بذل الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٨ جهودا جبارة فى الدفاع عن بلادهم وأنزلوا بالإنجليز خسائر فادحة فى موقعة غاليبولى ١٩١٦ وردوهم عن بلادهم ، وكذلك قضوا على عدة حملات بعثت بها إنجلترا إلى العراق ، ولكن تلك الجهود لم تؤثر فى نتيجة الحرب فسرعان ما سقطت العراق وفشلت حملة فلسطين ومصر وتقدم الجنرال ألنبى فاحتل فلسطين ١٩١٧ وتقدمت قواته فاحتلت سوريا ١٩١٨ وساءت حالة تركيا فاضطرت إلى قبول الهدنة فى ٣١ أكتوبر ١٩١٨ ، واحتلت إنجلترا القسطنطينية وقلاع الدردنيل والمواقع الحربية الهامة ، ونزل الفرنسيون والسنغاليون باستنبول واحتل الإيطاليون (بيرا) وخطوط السكك الحديدية . وهكذا أصبحت تركيا تحت سيطرة الحلفاء

وفى ١٠ أغسطس ١٩٢٠ أرغم مندوبو حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر وبها فقدت تركيا العراق ومصر وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وتراقيا فى أوربا

وهكذا كانت معاهدة برلين ١٨٧٨ معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى أوربا ، وكانت معاهدة سيفر معاهدة انحلال الإمبراطورية العثمانية فى آسيا وإفريقيا

بل أكثر من هذا لقد أصبحت تركيا ذاتها موضع إذلال محتليها وكانت الشعوب الصغيرة التى طالما خضعت لحكمها تطمع فى تقسيمها والاستيلاء على أراضيها . أما كيف تخلصت تركيا من متاعبها وكيف انتصرت على قاهريها فذلك ما سنفصله فى فى حديث قادم إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

من سير الخالدين

حياة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من إتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ١ —

عهد الطفولة

لم يعش المازنى طفولته ، أو هو جازها مسرعاً ، بأسرع مما يجوزها الأطفال فى مثل سنه . وكأنما كانت طفولته ، فى قصرها واقتضابها ، أشبه بالحلم الجميل بددته صحوة مفاجئة وروعه نذير غير منتظر . فقد بكرت عليه الحياة بأحزانها وآلامها ، وحملته فى ذلك العمر الغض تبعاتها التى تؤخرها عن غيره عادة إلى ما بعد مرحلة الشبيبة والنضج

قضى أبوه وهو بعد طفل فى التاسعة . فأرادت أمه أن يكون عليه معتمدها بعد أبيه — وكان أكبر ابنيها وإن لم يكن أكبر إخوته — وصارت تعامله كأنه رب الأسرة وسيد البيت ، وأخذت توطنه على احترام النفس واحتمال العبء ومواجهة الحياة . وقد وسعها ذلك فقد كانت رزاناً حصيفة عاقلة ، « صارمة الجد ، حادة قاطعة كالسيف ، غالبة كالقدر » أو كما أوجز هووصفها حين قال عنها إنها كانت « رجلا » . ووسع الفتى الناشئ يومذاك أن يفهم عن أمه .. ويوم سمعها تقول له فى شئ من الصرامة المنتصبة يخالطها فرط الحنو :

« إسمع يا إبراهيم ! إنك لم تجاوز العاشرة ، ولكنى أحب لك أن تعد نفسك من الآن ، رجلنا . . فتسلك سلوك الرجال لا الأطفال »

فى ذلك اليوم ، أو فى تلك اللحظة منه ، قطع الطفولة كلها وثبا

* * *

(*) من كتاب عن « المازنى الأديب الساخر » تحت الطبع

كان مولد المازنى بالقاهرة (١٨٩٠) فى أحد الأحياء الوطنية التى ظلت ، إلى عهد قريب ، محتفظة بطابعها القديم . وفى القاهرة درج المازنى ثم شب ثم جاوز الشباب إلى الرجولة فالكهولة . ولعل هذا سر تعصبه لها وإيثاره إياها . ولقد عدها بلدته وإن لم تكن بلدة آبائه وأجداده الذين كانوا يستوطنون بلدة « كوم مازن» من أعمال تلا بمديرية المنوفية

ويذكر المازنى أن ولادته كانت فى دار لزوج عمته ، وإن كانت مشاعاً لمن شاء أن يتخذها سكنا من ذوى قرابته . وقد خصصت بعض « المناظر » — وهى الغرف الواسعة — التى تقع على جانبى الفناء من تلك الدار ، مكتباً يستقبل فيه أبوه موكليه من أصحاب الدعاوى والأقضية ، وكان أزهرى الثقافة فاشتغل زمنا بتدريس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية ، ثم هجر التدريس واحترف المحاماة إلى آخر أيامه . وكان على الحالين مبسوط الرزق موفور الدخل ، ولكنه كان كذلك متخرق اليد بالنفقة والعطاء ، مسرافاً فى تحقيق رغائبه وتلبية أهوائه ، ولعله لهذا السبب كان مزواجا يكثر من البناء بالتركيات على الخصوص. وكانت طبيعة عمله فى المحاماة تقتضيه أن يلم بالقسطنطينية بين حين وحين ، فكان كلما سافر إليها عاد منها بزوجة جديدة ، لا يلبث أن يعود بها أدراجه إلى بلدها فيسرحها بإحسان ويبنى بسواها . على أنه كان ، فيما عدا ذلك ، حليما طويل البال قليل الكلام ساكن الطائر . ولعله استفاد مزية الأناة والحلم من كثرة ماراض نفسه على احتمال ما كان يتعرض له ، من الجفوة والمتبة ، من أبيه الشيخ أو من زوجته الشابة المصرية أم أولاده ، كلما استجد عليها إحدى تركياته الحسان

وكان ، كما هو المعهود فى أصحاب هذا الطبع ، قليل الاستقرار فهو لا ينفك يتنقل بأهله من دار إلى دار . وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع المازنى الطفل أن يحتفظ فى ذاكرته بالصورة الغالبة على تلك الدور . وأبقى ما بقى منها منظر الفناء الرحيب الذى كان صفة مشتركة بينها ، والذى كان على هيئة الصحن تقعى فى وسطه أحيانا شجرة جميز عتيقة عظيمة كثيفة الغصون ، وربما قامت

فى موضعها نافورة ماء تروى الحديقة الترامية الأطراف من حولها

وقد قضى المازنى سنى الطفولة الباكرة فى بيت من بيوت المماليك — وكانت تعرف ببيوت « الغز » — فى درب الجماميز، ويصفه المازنى فيقول « كان البيت عجيب الطراز ، له بوابة ضخمة تصلح أن تكون لقلعة ، ومع ذلك لا تغلق فى ليل أو نهار ، ثم مدخل طويل ضيق على جانبيه الغرف وهى أبداً موصدة الأبواب والمرء لا يستطيع فى النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة ، وكنا نضع مصباحاً ولكنه لم يكن يضئ شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ويزيده وقعا فى النفوس »

وكان الصبيان من لداته وأترابه يقضون أيامهم فى اللعب البرئ ، فيجتمعون فى فناء إحدى الدور ، أو يخرجون إلى الطريق — أو (الحارة) كما يسمونها — يصرفون نهارهم كله فيما يتعلقون به من فنون اللهو . وكان المازنى الطفل أشوقهم إلى اللعب وأرغبهم فيه وأجزلهم حظا منه ، وقد تميز من بينهم بحب للدعابة وميل إلى الفكاهة . وكانت فيه دفعة وجرأة تغريانه بالتقحم والمنامرة وطلب الشجار أو (جر الشكل) كما يقول ، وإن كان مع ذلك ضعيفا نحيفا ، ولقد اعتاض من ضعفه سعة الحيلة والدهاء ، فصارت له بفضله منزلة بين لداته الصبيان

على أنه لم يكد يهنأ بهذه الرغبة الطبيعية فيه أو يأخذ بحظه منها ؛ فقد كان يدفع دونها ويحلأ عنها ، فلا يهم باللعب مرة إلا زجره أهله ونهوه عنه كأنما كان يقترف منكراً ويقارب معصية ، حتى لخيل إليه — وهو يدير عينه فى تلك الأيام — أن وظيفة الآباء والأمهات (كانت صرف الأبناء عن النظر والتفكير ، وإلزامهم الجمود ونهيهم عن كل حركة جسيمة أو عقلية)

ولا غرابة بعد ذلك أن تضيق نفس الطفل بالبيت وبالحياة فيه ، وأن يراه أشبه بالجحيم . فهو لا يكاد يقبل إلى الدنيا ، غريبا عنها مأخوذا بجدتها مشوقاً إلى معرفتها ؛ يحفزه إلى ذلك نفسه المتفتحة وطبعه المتوثب ؛ حتى يطالبه الكبار بأن يكون له ، هو الطفل الغرير ، « عقل الكبار واتزانهم وفهمهم »

وربما بدا عصيا على التصديق أن تكون هذه نظرة الطفل إلى البيت فى ذلك العهد . ولكن الأمر لا يتعاصى على التحقيق ، إذا عرفنا أن المازنى نشأ فى بيت من بيوت الورع والتقوى ، فأبوه وجده من علماء الأزهر ، وقد طرقت مسامع الطفل الناشئ آنذاك عبارات الثناء على جده من أفواه تلاميذه وعرف منهم منزلة مرعية للشيخ . وكذلك كان هذا البيت ببنيانه فضلا عن سكانه ؛ فكان يقوم فى فنائه مصلى أو مسجد صغير « عامر أبداً بالمصلين ليلا ونهارا » ، ويختلف إليه المريدون والأتباع يعقدون حلقات الذكر التى كانت تمس قلب الطفل الصغير وتملك عليه نفسه ، فينغم إليهم ، ويأتى بمثل ما يأتونه من صوت وحركة فكانت نشأته أقرب إلى النشأة الدينية التى يغلب عليها المحافظة والتوقر ومجافاة ما عساه يكون مظنة شك أو مدعاة ريبة ، مع التشدد فى التقاليد المرعية والعرف السائد ، والذهاب فى ذلك كله إلى حد المغالاة والإسراف . ومن طرائف ما لقيه الطفل فى هذه النشأة ، أنه درج يسمع عن شخصين فى البيت ولا يراهما أبدا ؛ « وإن كان ذكرهما على لسانى أبى وأمى ؛ وهما « الست » و « الأفندى » ، فأبى يقول للخادمة مثلا ، قولى كذا أو كذا « للست » ، ويتحدث فى أوقات شتى ولا سيما حين يكون معه رجال من أقربائنا عن هذه « الست » . وأمى لا تفتأ تقول ، « الأفندى » قال أو « الأفندى » أتى أو « الأفندى » خرج . فأعجب أين هما ؟ ولماذا لا أراهما ؟ وأصعد إلى السطح باحثا عنهما فلا أجدهما ، وأدخل كل غرفة فلا أهتدى إلى أثرهما ، وأنزل إلى فناء الدار فلا ألتقى بهما . أين ينامان يا ترى ؟ ماذا يأكلان ؟ ألا يظهران أبدا ؟ » ... وظل يجهل شخصيهما حتى قدر لهذا اللغز أن يحل على يد جده الذى قال له « لقد أخطأوا معك يا بنى ، وكان حقهم أن يدلوك »

ونحسبنا فى غنى عن القول بأن هذين الشخصين لم يكونا أحداً غير أمه وأبيه ، يذكر كل منهما الآخر ، ويتحدث عنهما الآخرون ، فعلا يعدى فى الإشارة إليهما عن تينك الصفتين ، وكانت النتيجة هى ذلك الازدواج الساذج فى وهم الطفل الصغير

***

وعلى هذه الحال ، دفعوا بالطفل ، وهو لم يعد الخامسة ، إلى كتاب من كتاتيب القاهرة لذلك العهد ، على مقربة من الدار .. ويقول المازنى « ويصبح الصباح فأحمل إلى الكتاب حملا ، وهناك توضع قدماى فى « الفلقة » ويهوى عليها « سيدنا » — فقيه الكتاب — بالجريدة أو « المقرعة » أو يكل ذلك إلى مساعده « العريف » ، وبهذا يبدأ النهار .. »

على أن عهده بالكتاب لم يطل . فقد أصرت أمه على المدرسة وألحقته — عن طريق إحدى معارفها — بمدرسة للبنات . ولم يلبث أن هرب منها — أو من قسوة ناظرها — إلى مدرسة أخرى كانت تقع وقتذاك فى شارع تحت الربع — أو فى درب سعادة — وعلم أبوه بذلك فنقله إلى مدرسة « القرشوللى » فى شارع محمد على ، على مقربة من القلعة . وبقى بها هذه المرة حتى أدى الامتحان فى آخر العام ، ومع ذلك فقد أبى الناظر أن ينقله إلى فرقة أعلى لصغر سنه ، ولعله بقى بهذه المدرسة عاماً آخر ، استقر بعده فى المدرسة القربية

ويقول المازنى « كنت أعود عصر كل يوم إلى البيت ، فأرمى كتبى وكراساتى وأخرج إلى الشارع لألعب مع أقرانى ، فأزجر عن اللعب ، فأصعد وأطل على اللاعبين من الشرفة ، وبى حسرة ولهفة . وأسمعهم يصفوننى بالعقل والهدوء ، فألعن العقل وأذم الهدوء »

وقد كان فى حياة أبيه لا يعدم الوسيلة إلى اللعب والاحتيال له بما يدخل فى وسعه ؛ فقد كانت على أبيه جرأة لا يجدها على سواه . فلما مات أبوه وهو يشرف على التاسعة أرادت أمه أن تصرفه عن اللعب وأن تنأى به عنه ، وألقت إليه فيما يشبه الإيحاء أن يعد نفسه — قبل الأوان — رب الأسرة ورجلها وواحدها ، وأعدت من ناحيتها للأمر عدته ، فكان إذا انتهى العام الدراسى وحل الصيف ، بعثت بابنها إلى كتاب فى الأزهر ليحفظ القرآن فلا يجد الطفل للعبه من الوقت إلا الهين اليسير

ولقد كان المازنى خليقاً أن يستوفى حظ طفولته من رغد العيش وخلو البال وعدم الاشتغال بأمر نفسه فضلا عن أمور غيره ، لولا أن الأقدار كانت تهيئ له أمراً ، فكتبت عليه أن يحمل فى تلك السن المتقدمة أعباء الرجال المسئولين ، بما أوحى إليه اليتم من ضرورة الاعتماد على النفس والكدح فى سبيل ما ينتظره منه أهله فى المستقبل . نعم ، لم يكن الطفل ملتزماً مطالب العيش لمن خلفهم أبوه بعده ، وإنما كان عليه أن يعرف أن عهد الطفولة ، أو عهد اللعب ، قد مضى ، وأن يقسر نفسه على غير ما تتهيأ له طاقتها فى سنه . وعندما فرغت البقية الباقية من مال أبيه ، وقد كفل ذلك سرف أخيه الأكبر ؛ كان عليه أن يوطن نفسه على الفقر وأن يستمد له .. ولقد عرف المازنى الفقر فى ذلك العهد من حياته ، وخبره عن كثب ، وامتحن به ، حتى وصفه بأنه أستاذه ، ولكنه كان يلتى على دروسه كما تهوى العصا على أم الرأس ! »

محمد محمود حمدان

كرامة الأخيار

للأستاذ محمد منصور خضر

لله در هؤلاء العلماء الأخيار الذين أكرموا العلم فأكرمهم الله وجعل لهم منزلة تتصاغر دونها منزلة الملوك ، وفروا إلى الله فحفظوا حدوده ولم يرضوا بالظلم لأن الراضي بالظلم كالظالم في الإثم — وهذا أمر قل من يتنبه إليه في هذا الزمان — فلا بد من إظهار الغضب والسخط على الظالم حتى يشهد له بذلك الخلق فيكون ذلك حجة له يوم القيامة وهو مالم نسمع به من العلماء في عصرنا . وهاك أيها القارئ بعض أخبار العلماء الذين نصحوا لله ورسوله (فحفظهم وأعلى ذكرهم) :

كان الإمام مالك رضي الله عنه يقول : لما أرسل إلى أبو جعفر المنصور دخلت عليه فرأيت النطع بين يديه والسيوف مسلولة وهو يعاتب ابن طاووس على أمور ثم قال له : ناولني الدواة فأبى ؛ فقال له مامنعك ؟ قال خشيت أن أكون شريكا لك فيما تكتب. قال : فضممت ثيابي مخافة أن يصيبني دمه ثم قال له : اذهب إلى حال سبيلك . فلم أزل أعرف ذلك لابن طاووس !

هذا وقد طلب أبو جعفر المنصور أيضا صحبة ابن أبي ذئب فقال له بشرط أن تقبل نصحي. فقال له أبو جعفر نعم فصحبه . فقال له أبو جعفر يوما : ماتقول في ؟ فقال له : لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية.. فتغير وجه أبي جعفر فولى عن ابن أبي ذئب ولم يطق صحبته

ومن ذلك أن هشام بن عبد الملك كان بمكة وطلب الاجتماع بطاووس اليماني فلم يجبه طاووس إلى ذلك. فعمل عليه الحيلة حتى اجتمع به. فلما دخل عليه طاووس لم يسلم عليه بسلام الخلفاء وإنما قال: السلام عليك ياهشام ! كيف حالك ؟ وخلع نعليه بحاشية البساط وجلس بجانبه. فغضب هشام لذلك حتى هم بقتله. فقال له الوزير أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله عز وجل . فقال هشام ما الذي حملك على ماصنعت؟ فقال وماذا صنعت؟ فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تجلس بين يدي ولم تقبل يدي ولم تقل السلام عليك يا أمير المؤمنين كما يقول غيرك، وسميتني باسمي ولم تكنني. فقال طاووس : أما مافعلت من خلع نعلي بجانب بساطك فإني أفعل ذلك كل يوم خمس مرات بين يدي الله في بيته فلا يعاقبني ولا يغضب علي . وأما عدم تقبيلي يدك فإني سمعت علي بن أبي طالب ينهى عن تقبيل يد الملوك إلا من عدل، وأنت لم يصح عندي عدلك. وأما عدم قولي لك يا أمير المؤمنين حين سلمت عليك فليس كل المسلمين راضين بإمرتك عليهم فخشيت أن أقع في الكذب . وأما أني لم أكنك فإن الله سبحانه وتعالى قد كنى أبا لهب لكونه عدوه ، ونادى أصفياءه بأسمائهم المجردة لكونهم أحباءه ، فقال يا داود يا يحيى ياعيسى. وأما جلوسي بجانبك فإنما فعلته اختبارا لعقلك فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول يختبر عقل الأمير بجلوس آحاد الناس بجانبه فإن غضب فهو متكبر من أهل النار . فأخذت هشاما الرعدة وخرج طاووس من عنده بغير استئذان فلم يعد إليه :

ويقال إن عبد الملك بن مروان خطب يوما بالكوفة فقام إليه رجل من آل سمعان فقال مهلا ياأمير المؤمنين؛ أقض لصاحبي هذا بحقه ثم اخطب. فقال وما ذاك ؟ فقال إن الناس قالوا له مايخلص ظلامتك من عبد الملك إلا فلان فجئت به إليك لأنظر عدلك الذي كنت تعدنا به قبل أن تتولى هذه المظالم . فطال بينه وبينه الكلام فقال له الرجل : ياأمير المؤمنين إنكم تأمرون ولاتأتمرون، وتنهون ولاتنتهون، وتعظون ولاتتعظون ، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا فكيف ينصح غيره من غش نفسه ! وإن قلت خذوا الحكمة حيث وجدتموها واقبلوا العظة ممن سمعتموها فعلام قلدناكم أزمة أمورنا وحكمناكم في دمائنا وأموالنا ! أو ماتعلمون أن منا من هو أعرف منكم بصنوف اللغات وأحكم بوجوه العظات؟ فإن كانت الأمانة قد عجزت عن إقامة العدل فيها فخلوا سبيلها وأطلقوا عقالها يبتدرها أهلها الذين قاتلتموهم في البلاد وشتتم شملهم بكل واد . أما والله لئن بقيت في يدكم إلى بلوغ الغاية واستيفاء المدة لتضمحل حقوق الله تعالى وحقوق العباد ! فقال له وكيف ذلك ؟ فقال لأن من كلمكم في حقه زجر ومن سكت عن حقه قهر! فلاقوله مسموع، ولاظلامه مرفوع ولامن جار عليه مردوع، وبينك وبين رعيتك مقام تذوب فيه الجبال حيث ملكك هناك خامل وعزك زائل وناصرك خاذل

والحاكم عليك عادل. فأكب عبد الملك على وجهه يبكي ثم قال له: فما حاجتك؟ فقال عامل لك بالسماوة ظلمني وليله لهو ونهاره لغو ونظره زهو، فكتب إليه بإعطائه ظلامته ثم عزله!

وحكى الكلبي عن رجل من بني أمية قال: حضرت معاوية ابن أبي سفيان في خلافته وقد أذن للناس إذنا عاما فدخلت عليه امرأة وقد رفعت لثامها عن وجه كالقمر الذي شرب من ماء البرد ومعها جاريتان لها فخطبت للقوم خطبة بهت لها كل من هناك ثم قالت: وكان من قدر الله تعالى أنك قربت زيادا واتخذته أخا وجعلت له في آل سفيان نسبا ثم وليته على رقاب العباد فسفك الدماء بغير حلها ولاحقها، وينتهك المحارم بغير مراقبة فيها، ويرتكب من المعاصي أعظمها! لا يرجو لله وقارا ولا يظن أن له ميعاداً وغدا يعرض عمله في صحيفتك وتوقف على ما اجترم بين يدي ربك، فماذا تقول لربك يا معاوية غدا وقد مضى من عمرك أكثره وبقي أيسره وشره؟ فقال لها من أنت؟ فقالت امرأة من بني ذكوان وثب زياد المدعى أنه من بني سفيان على وراثتي من أبي وأمي فقبضها ظلما وحال بيني وبين ضيعتي وممسكة رمقي؛ فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزيادا إلى الله تعالى وأن تظل ظلامتي عنده وعندك، فالمنصف لي منكما الحكم العدل.. فبهت معاوية منها وصار يتعجب من فصاحتها ثم قال: مازياد لعنه الله مع من بنشر مساوينا، ثم قال لكاتبه اكتب إلى زياد أن يرد لها ضيعتها ويؤدي إليها حقها

وحكى أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالي عند الله؟ قال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال: «إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم» قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال قريب من المحسنين، ثم قال سليمان: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟ قال أهل البر والتقوى، قال: فأي الأعمال أفضل؟ قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال: فأي الكلام أسمع؟ قال قول الحق عند من تخاف وترجو، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها. قال فأي الناس أخسر؟ قال رجل حط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره

فهكذا كان دخول أهل العلم على الملوك وهم بحق علماء الآخرة. فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص، ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، ويأخذون الهدايا المنوعة ويباهون الناس بها لأنها هدية ملكية ولم يراقبوا الله فيهم فلم يعظوهم أو يخوفوهم من عذاب الله ومقته. ثم يكون بعد ذلك زوال الملك والعذاب الشديد يوم القيامة

شطانوف **محمد منصور خضر**

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل

ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تتمة

مور : من فوضنى بهذا ؟ — إن الظلام مخيم على كل مكان ، متاهات شائكة ، لا منفذ ، ولا نجم هاد ، يا ليتنى تخلصت من هذا النفس ، وكل شئ منته كمهزلة مؤسفة ، ولكن مامصدرهذا العطش الشديد للسعادة ! ما مصدر فكرة الكمال الذى لا يمكن التوصل إليه ! وهذا الاستمرار فى وضع الخطط الفاشلة ، إذا كان إلضغط الطفيف على هذا الشئ التافه (ممسكا المسدس) يجعل من الحكيم والأحمق ، والجبان والشجاع ، وعزيز النفس وذليلها سواسية كأسنان المشط ، وإذا كان الانسجام الإلهى موجودا فى الطبيعة غير العاقلة ، فلم هذا النشاز فى الطبيعة العاقلة [1] ؟ — كلا ! كلا إن هناك شيئا خلف كل هذا ، لأننى لم أعرف العادة مطلقا إلى الآن . أتعتقدون بأننى سأرتجف بأرواح الذين أهلكتهم ! ؟ لا لن أرتجف (يرتجف بعنف) — فأنينكم الخافت الميت ووجوهكم المختنقة السوداء ، وجروحكم الفاغرة المرعبة ما هى إلا حلقات فى سلسلة القدر ، ومصيرها فى النهاية يتوقف على ألاعيبى الصبيانية وعلى نزوات مربيانى ومعلمى ، وعلى مزاج والدى (مرتجا من الرعب) لماذا جعلنى بريلوس مجلا نحاسيا لأشوى الإنسانية المسكينة فى معدتى الملتهبة ؟ (محدقاً فى المسدس) آلآن يمكن ربط الزمان والخلود فى لحظة واحدة ! — أيها المفتاح الرعب الذى يغلق خلفى سجن الحياة ، ويفتح قدامى مسكن الليل الخالد — آه ، قل لى ! قل لى — إلى أين — إلى أين ستقودنى ؟ أ إلى الأرض الغريبة التى لم يعد منها إنسان . أنظر ، إن الرجولة تنهار أمام هذه الصورة ويستسلم الإنسان لهذا المنظر المروع ، والوهم الذى هو مسخ الشعور النزق يلعب بنا بصورة غريبة . كلا ! كلا ليس من شأن الرجل أن يتأرجح ويخور فى ساعة الحرج . كن من تشاء ، إننى أحتفظ بذاتى معى . أنا جنتى وأنا نارى . وإذا أردت أن ترسلنى وحيداً فريداً شريدا طريداً إلى ركن مشتعل من أركان الكون . هذا الركن الذى أقصيته عن ناظريك ، هذا المكان الوحش المظلم والصحراء المخيفة التى لا حراك فيها ليصبح ذلك كل ما آمله وإلى الأبد . إنى سأعمر هذا القفر الصامت بهواجس ، وسأتخذ من الخلود مجالا للكشف عن سورة البلاء اللانهائى

أو أنك ستقودنى من ولادة لأخرى ، ومناظر أخرى للألم الفجع قدماً إلى الفناء . أليس فى مكنتى قطع أسباب الحياة كما أقطعها هنا والآن ؟ هل لى أن أموت فى سبيل حياة تعسة ؟ هل سأمنح الشقاء نصراً على ؟ — كلا — إننى سأحتمل هذه الحياة (يرمى بالمسدس بعيداً) ولتثلم التعاسة نفسها على صخرة كبريائى . إننى سأسير محتملا إياها [2]

* * *

وفى مؤلفه (عذراء أورليانس) [3] نجد تالبوت ، ذلك المحارب القديم ، الأشهب ، الملحد ، الذى لا يقهر ؛ وهو يمر مفكرا بأرض العدم ، مستهزئا حتى بالقدر الواقف له بالمرصاد ، وهذا المنظر هو المنظر السادس من الفصل الثالث و (فى زحام المعركة)

(يتغير المنظر فيصبح فسحة منبسطة محاطة بالأشجار . وفى أثناء عزف الموسيقى يرى الجنود وهم يهربون من ساحة القتال) تالبوت ، متكئا على فاستولف ، يرافقه بعض الجنود . يقبل ليونيل بعدئذ بسرعة

تالبوت : ضعنى هنا ، تحت هذه الشجرة ، واعمدوا إلى المعركة : أسرعوا أنا لا أريد مساعدة كى أموت

(يدخل ليونيل) فاستولف ياليوم الشؤم ! أنظر ، ليونيل ، ماذا ينتظرك ، إن قائدنا الجريح يموت

ليونيل : لا سمح الله : آه يا تالبوت الجليل ، إن هذا ليس وقت الموت ، لا تستسلم للموت ، واجبر الطبيعة المترددة بقوة روحها حتى لا تفارقك الحياة

---

(١) يقصد بالطبيعة العاقلة الجنس البشرى

(٢) الفصل الرابع المنظر السادس

(٣) هى جان دارك القديسة المشهورة

تالبوت : عبثاً : إن يوم القضاء قد حم ، هذا القضاء الذى يسوى جبروت فرنسا بالرغام . وعبثاً ما ضحيت بأعز شئ لدى للصمود فى هذا التصادم الضارى وفى هذه المعركة اليائسة . لقد أصابت فى الصاعقة مقتلا فتحطمت . وها أنى منطجع لا قومة لى بعد الآن . لقد خسرنا (ريمز) ، فأسرعوا لإنقاذ باريس

ليونيل : إن باريس بيد الدوفان ، وقد وصلتنا الآن الأنباء السيئة بأنها استسلمت

تالبوت : (يمزق ضماداته) وإذن تدفقى يا سواقى الحياة ، إن هذه الشمس أصبحت ممقوتة لدى

ليونيل : فاستولف ! انقلوه إلى المؤخرة : إن هـذا الموقع يمكن أن يصمد لحظات أخرى ، إن الخبثاء الجبناء يتراجعون ، لقد أقبلت الساحرة التى لا تقاوم ، يحيط بها الدمار والخراب

تالبوت : أيها الجندى ، إنك تنتصر وأنا أستسلم ؛ إن الآلهة أنفسهم ضعاف أمام البلادة والخرق ، وأنت يا آلهة العقل ، يا ابنة الإله الأكبر ، يا مؤسسة نظام الكون ، وقائدة النجوم ، من أنت إذا كنت مربوطة بذيل الحصان الأخرق ، حصان الخرافة ، إنك ستندفعين بعيونك المفتحة وصراخك المدوى إلى الهـوة السحيقة مع ذلك الحيوان السكير ؟ ملعون من يربط مصيره بمصير العظماء والأشراف والمبجلين ، إن هذا العالم ملك سلطان أحمق

ليونيل : آه ، إن الموت قريب ! ففكر فى إلهك وصل ، ولو أن القدر هو الذى نصر الشجعان على أمثالنا المناوير لما اهتممنا قيد أنملة ، ولـكن إن تسحقنا مثل هذه الأضحوكة الوضيعة (٤) فأمر لا يستحق منا كل هذا التعب وكل هذه المخاطر

ليونيل : (يمسك بذراعـه) وداعا ، تالبوت ! سأبكيك بمل ء دموعى إذا بقيت حيا بعد انتهاء المعركة . ولـكن القـدر يدعونى الآن إلى ساحة المعركة ... وداعا ! إلى الملتقى وراء الشاطئ غير المنظور ، وداعا مبتورا لصداقة طويلة وليـكن الله معك (يخرج)

تالبوت : إن كل شئ سينتهى آجلا ، وسأسلم إلى الأرض وإلى الشمس الأبدية هذه الذرات الفانية التى امتزجت ، إن خيرا أو شرا ، لتـكوننى . أما تالبوت الجبار الذى ملأ صيته العالم فلن يبقى منه إلا كومة من التراب السافى . وهكذا يقبل الإنسان إلى نهايته ، وكل نضالنا فى الحياة هو معرفتنا أنها عدم فى عدم ، وما علينا إلا أن نسخر من هذه الصورة الجوفاء التى كثيرا ما نفشناها وعبدناها (٥)

— الفصل الرابع —

(يدخل شارل ، برغندى ، دونوا ، دو شاتيل ، والجنود)

برغندى : لقد نسف الخندق

دونوا : مرحى ! إن المعركة فى صالحنا

شارل : (ملتفتاً إلى تالبوت) من هذا الذى يودع النهار بمثل هذا الوداع الحزين المـكبوت ، فمظهره يدل على أنه إنسان اعتيادى ، إذهبوا فساعدوه ، إن كانت المساعدة جدية

(جنود من حاشية الدوفين يتقدمون إلى الأمام)

فاستولف : إلى الوراء ، إبتعدوا لا تقتربوا من الراحل البطل ، الذى كنتم تخشون التقرب منه فى الحياة

برغندى : ماذا أرى ؟ تالبوت الجليل متخبطا فى دمه

(يذهب برغندى إليه ، تالبوت ينظر إليه فى تمعن وتفرس ويموت)

فاستولف : ابتعد يابرغندى . لا تقلق آخر لحظة من حياة البطل بمنظر خائن

***

وقلما نجد فى هذا الـكتاب تلك (الـكلمات النارية القوية) كما يدعوها الألمان كالتى نجدها غالبا فى (اللصوص) لأن الهياج البركانى قد خف ، فبدلا من الحمم والدخان والشظايا المتطايرة نجد أشعة الشمس والعالم الزاهى . وهناك أمثلة مثيرة على هذا التبدل اللطيف فى مناظر كثيرة من مؤلفه (وولنشتاين) وكل كتبه الدراماتيـكية التى أعقبت ذلك ، وخصوصا فى (وليم تيل) التى هى آخرها . وهذ التغير يمـكن العثور عليه فى الـكيان الشعرى فى كل هذه المؤلفات ، هذه المؤلفات التى تعتبر قصائد كاملة ، وكان أملنا أن نوفيها حقها فى الشرح ، ولـكن ضيق المجال منعنا من ذلك

وأملنا كبير فى القراء المتمكنين والشراح المعنيين بأن يلتفتوا

(٤) يقصد بذلك جان دارك

(٥) تنقل هذا الـكلام بأمانة شأننا فى ذلك شأن كل ماتنقله ، ولسان حالنا يقول (ناقل الـكفر ليس بكافر)

إلى هــذا . وأهم المؤلفات الشعرية التى نظمها شــلر هى (ليدر وبركلوش) و (رترتو غنبرغ) و (نضال التنيرة) و (الغواص) و (كراكى — بيكى) وكلها تمتاز بالروح الإغريقية الصميمة كأنها نفحة عطرية من نفحات قيثارة أخيلوس العبقة ، أو كأنها أغان ملائـكية [٦]

— فلسفة وعقيدة السكونية —

أما موهبة شلر الفلسفية وما توصل إليه فى هذا المجال الحيوى فأمر يحتاج إلى كثير من الجدل وكثير من التفكير ، وهذا مالن نطرقه الآن بإسهاب. وقدسبق أن أشرنا إلى أنه كان يمتاز بقابليتين: فلسفية وشعرية . وكان تفـكيره معروفاً بهاتين الصفتين ، وكان عقله قويا ، نفاذا ، نظاميا ومدرسيا أكثر منه بدهيا ، وكان هذا الميل واضحا فى جميع البحوث التى عالجها وفى أسلوب معالجته لها . وقــد أثرت فلسفة التسامى Transcendentalism التى ظهرت فى عصره فيه تأثيرا كبيرا : وقد درس باعتناء زائد منهج (عمانوئيل كانت) الفلسفى ، ويظهر أنه لم يعترف به وحسب ، بل إنه اعتنق تعاليمه الرئيسية ، ولـكنه مع ذلك صاغها بأسلوبه الخاص لدرجة أنهـا أصبحت فلسفته الخاصة وخرجت عن كونهـا فلسفة (كانت) . وكثير ممن لا يعرفونه معرفة حقيقية يعتقدون بأن هذه التأملات لم تنفعه فى شئ . ولـكن شلر كان راضيا كل الرضى بفلسفته التى اعتنقها بعد أن صرف فى ذلك جهدا شاقا . وفى هذه الفلسفة — التى انسجمت مع شعره — تمكين لقوته الفطرية والخلقية . يقول شلر بخصوص ذلك مايلى : (أنا لا أنتظر من أعداء هذه الفلسفة الجديدة شيئا من التسامح ، كالذى أظهروه تجاه الفلسفات الأخرى ، التى لم يعرفوا عنها شيئا كما أنهم لم يعرفوا هذه ! لأن فلسفة كانت — فى قضاياها الإنسانية — لا تحتمل أى تسامح ، وهى تحمل صفة جـدية لا تفسح مجالا لأية تسوية . وهذا — فى نظرى — يشرفها لأنهـا لا تحتمل العبث بالحق . إن هذه الفلسفة لا تناقش بمجرد هز الرأس . فى حقل البحث الصريح الواضح الذى يمكن التوصل إليه تبنى هذه الفلسفة منهجها — فهى لا تتظلل بأى ظل — ولا تبحث عن أية تحفظات تتستر بهـا ، وهى تحب أن تعامل كما تعـامل هى جيرانها ، وهذا يجعلنا نغتفر لها عـدم اعتدادها بغير البراهين . ولن أخشى من التفـكير فى أن قانون التغيير — الذى يأتى على كل شئ — إلهى سيسرى على هذه الفلسفة أيضا ، وسينال منها منالا شديداً ، إلا أنه سيحافظ على جوهرها ، لأن النوع البشرى منذ بزوغ شمس العقل اعترف بمثل هذه المبادئ الأولية وعمل بها [٧]

إن انجازات شلر الفلسفية تخص قضايا الفن والأدب بصورة رئيسية ، وهى لا تخلو من نظرات مهمة فى مجالى التأمل : لا بل إن الفن نفسه — كما تصوره — يستند على أساس متين من مصالح الإنسان وهو بنفسه (أى الفن) يتضمن تسوية انسجامية بين هــذه المصالح . لقد أخـذنا على أنفسنا من مدة أن نقدم إلى قرائنا خلاصة (الرسائل الجمالية) ، هذه النتف المتماسكة العميقة من الجدول الذى قلما نجد مثيلا لها ، وبهذه الواسطة نتمكن من دراسة الصفة البارزة لشلر كفيلسوف ، وفى الوقت نفسه فالفقرتان القصيرتان الآتيتان ستقدمان دليلا على وجهة نظره فى جميع القضايا الفلسفية بدون الاحتياج إلى أى تفسير أو إيضاح . ليتكلم شلر فى هاتين الفقرتين عن (وليم مايستر) و (اعترافات القديس الجميل) التى تحتل الـكتاب السادس من ذلك المؤلف فيقول : (إن الانتقــال من الأديان البدائيــة إلى الديانة المسيحية بتجربة الخطيئة مفهوم بصورة جيدة — إننى فى الواقع — أجد فى النظام المسيحى أصول الفـكرة السامية ، ولـكن الصور المشوهة المختلفة لهذا النظام فى الحياة الواقعية ، تجعل هذه الفكرة مؤذية ووضيعة، لأنها تمثل تمثيلا سيئا الفـكرة الأصيلة التى تبناها واضع المسيحية الأولى . وإذا أنت درست الصفة البارزة فى المسيحية تجد أن مايميزها عن الأديان التوحيدية الأخرى هو قضاؤها على (القانون) والتوكيد الـكانتى [٨] ، وبدلا من ذلك تسمى المسيحية لتحقيق الميول الحرة ، وهكذا تراها فى شكلها الفنى تمثل الجمال الخلق أو تمجيد ماهو مقدس ، ولهذا المعنى يمكننا أن نعتبرها الدين الجمالى الوحيــد (البعيد عن التشريعات السياسيــة والأنظمه الدنيوية)

(٦) المراسلات . ج (١)

(٧) التوكيد على الواجب والتقيد به

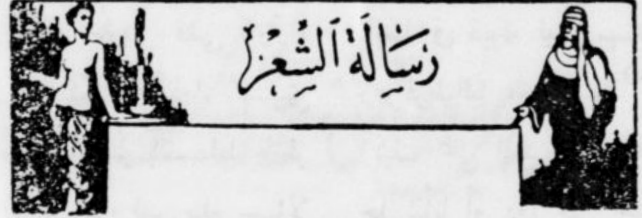
(٨) المراسلات ج (٢)

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير نجاح هذا الدين فى الطبائع النسوية (والدليل الواضح على ذلك هو أن أول مبشر بهذا الدين كانت امرأة : هى مريم المجدلية ، التى نسج المسيحيون حولها هالة من القداسة ووضعوها فى منزلة الأصفياء والأولياء المختارين من قبل السيد المسيح) . ويقول شلر مستطردا (ولكن بصورة جدية ، وهل يمكنك أن تجد إنسانا متثقفا بدون أن يلتجئ فى ساعاته الحرجة إلى الفلسفة ؟ أما أنا فإننى مقتنع تماما ، بأنه إن وجد إنسان من هذا النوع فهو مجبر على مسايرة الاتجاه الجمالى ، لأن المزاج الجمالى لا يحتاج إلى الاقتناع الذى هو وليد التأمل والتفكير، ولا يحتاج إلى العقل المجرد إلا متى اصطدمت الإحساسات الطبيعية بالقانون الأخلاقى . والطبيعة الشاعرية السليمة لا تحتاج إلى مثل هذا القانون الصلب ، أو حتى حقوق الإنسان أو الميتافيزيقية السياسية كما تدعوها أنت (يقصد جوته) ، ويمكنك أن تضيف إلى ذلك أيضا ، بأن هذه الطبيعة لا تحتاج إلى الآلهة ولا إلى الخلود ، وما هذه النقاط الثلاث (وهى الآلهة والخلود والقانون الأخلاقى) التى تدور حولها كل المناقشات والتأملات الفلسفية بأكثر من تسلية لمثل هذه الطبيعة الشاعرية وهى لهذا السبب ليست أموراً ضرورية مطلقا)

وهذه الفقرة الأخيرة غريبة فى مدلولها ، لأنها إن كانت صحيحة فهى تعتبر طبيعة شلر بالذات (طبيعة شاعرية غير سليمة) لأننا نجد هذة النقط الثلاث بارزة فى مؤلفاته وبحوثه — وقبل أن ننهى موضوعنا هذا علينا ألا ننسى ملاحظة لها علاقة وثيقة بموضوعنا ، وهذه الملاحظة تتلخص فى السؤال الملح الذى يوجهه كل من درس الآداب الألمانية وهو: أيهما أشعر جوته أو شلر؟ ولنا إذا سمح لنا أن نقول : إن هذا السؤال تافه وغير ذى موضوع لسببين : فأولا أن شلر وجوته يختلفان فى مواهبهما اختلافا كليا سواء كان ذلك فى مساعيهما أو فى المجالات الثقافية العامة . ثانيا : إذا كان السؤال يعنى — على العموم — المفاضلة بينهما فى عظم الشأن وأهمية كل منهما بالنسبة للأدب الألمانى أو الآداب العالمية ، فجواب هذا السؤال واضح كل الوضوح وهو لا يحتاج إلى تفسير مسهب ، ولو وضعنا هذا السؤال أمام شلر الحيى الخجول لانتفض متعجبا من ذلك

ولم يعرف أحد خيرا منه بأن جوته ولد شاعراً ، بينما هو أصبح كذلك بتأثير المحيط (والفرق شاسع بين الطبع والتطبع) . فكما كان الأول بدهيا بروحه وانطباعاته وإيقاعه الجميل ، كان الثانى مدرسيا ، وعامل التكلف بين نغماته . زد على ذلك بأن جوته عاش حتى أكمل رسالته الشعرية بعد أن صقلت موهبته وتهذبت ألفاظه حتى بلغت مبلغ الكمال فى الإيقاع الموسيقى وفى الأداء الشاعرى ، بينما نرى الثانى تخطفه يد المنون وهو لم يزل غض الإهاب شابا فى روعة الرجولة وازدهارها : ولهذا السبب أثر بالغ فى تقصيره عن اللحاق بجوته وعذره واضح جلى

يوسف عبد المسيح ثروت



رباعيات

للدكتور عبد الوهاب عزام

لا يبالى الأخيار فى هذه الأر ض بباغ ومفتر وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقا بين هذى الآفات نحو الخلود

***

علماء الزمان فى درجات لا من العلم بل من الأموال
إنما هــذه الوظائف أثمان بهـا قومت قدور الرجال

***

قد تهاوى إلى الحضيض رجال وخزوا يوم حوسبوا بالظواهر
ليت شعرى فما يكون رجال ؟ ما يكونون «يوم تبلى السرائر»

***

ينفضح الناس حين يكشف سر عن عيوب وخلفه أستار
كيف لو تكشف القلوب عن الخبء وتبلى الغيوب والأسرار

***

فى جهاد الحيـاة خسر وربح وصروف ما بين سعد ونحس
لـكن الشهم من يقول بحق «صنت نفسى عما يدنس نفسى»
قلت: ماذا الهيام فى شهوات ؟ قيل : هذى حياتنا فى الصميم
قلت : زيدوا حياة عقل وروح إن صدقتم ، إلى حياة الجسوم

***

كلمات بقين لى من صديق من دموع تألفت وشجون
لهف نفسى يبقى الحنين على الطرس وتفنى القلوب ذات الحنين

***

زهرات قطفن منذ سنينا ناضرات عواطر قد بقينا
لم تزدها الأيام إلا ازدهـارا وغصون قطفن منها بكينا

***

ذلك الخط ناضر كالزهور لم يغير شـذاه مر الدهور
يملأ الأذن والفؤاد حديثا أين أين الصديق رب السطور

***

قال نسر محلق لأخـيه : أى سر فى خلقة الإنسان
ملأ البر والبحار فسادا ثم وافى مدمرا فى العنان

عبد الوهاب عزام

من الشعر الوطنى

بين عهدين

للأستاذ محمد عثمان الصمدى

صار هزل الأمور فى مصر جدا رب هيء لها سدادا ورشدا
لم تزل تعرك النوائب حتى جعل الله للنوائب حــدا
قيض الله للظلوم رجالا صدقوا مصر أن فى مصر جندا
يا لها لحظة تذبذبت الأقدار فيها بالقوم نحسا وسعدا
لم تكن غير جولة إثر أخرى جد فيها النضال أخذا وردا
ثم أجلت عن خلعه خلع نير لم يجد حاملوه من ذاك بدا
لا تظنوا به الظنون وقولوا : ظالم مهدوا له فاستبدا
كم أراد الخنا إليهم فألفى كل شىء كما أراد معدا
وكم استلهموا فنون هواه حسبة عنده ودينا يؤدى
طالما قربوا القرابين زلفى منه واستنفدوا التسابيح حمدا
ما يبالون حين يدنون منه نضب النيل أم جرى النيل شهدا
ليت قوما مصوا الدماء عناهم أن يصح الجريح عرقاً وجلدا
شد ما استنزفوا الدماء وأبقوا بعدها فى الفؤاد جرحا ممدا[1]
أهـدروا قوة البلاد فأرضوا سيدين المحتل والمستبدا
ليس يعنيهمو من الشعب إلا أن يسوسوه سادة وعبدى
جعلوه صفين يرقب كل بأخيه ريب الزمان الأشدا
بئس ما أذكوا العداوة فيه بين منفيه والخصام الألدا
ويمينا لم يؤثروا الحكم إلا ليفيدوا جاها ومالا ومجدا
واسألوا الشعب كم أباحوا حماه واستخفوا به عقوقا وجحدا

(١) الجرح الممد الذى ينضح بالمدة

سلبوه قوام كل حـــياة   كيف يحيا وما عن الخبز معدى
ولعمرى ما أعوز الخـبز شـــعبا
وهو يرجو التحرير إلا وأكدى (٢)

أى ولاة الأمور فيما بلونا   كم وأدتم من النوابغ وأدا
ما غناء النبوغ إن ظل يسعى   ناشـــدا قوته دؤوبا مجدا
وإذا استأثر المعاش بجهدى   كله فالخمول لا شك أجدى
أى شعب يا قوم حقق مسعى   فى المعالى ولم يكن مستعدا
إن أقوى الشعوب فى الأرض شعب
عاش عيش الـــكريم فرداً ففرداً

لم يفرق أبنـاءه حاكموه   وفق ما يشتهون مولى وعبدا
وليقل لى المرتاب ماذا استردوا   من حقوق أحرى بأن تستردا
أم تراهم أجلوا عن النيل رهطا   كم جهدنا أن يطردوا منه طردا
ودع الغاصبين يا صاح وانظر   كيف عاثوا فى الحكم حلا وعقدا
يبتنون الدعام حتى إذا ما   لم ترقهم أنحوا عليهن هـدا
آية الرأى عندهم أن يدوروا   حيث دار الدخيل جورا وقصدا
ما لقطب داروا عليه زمانا   لم يدع برهة ولم يخل عهـدا
نزلوا عند أمره واســـتمدوا   منه عونا هيهات أن يستمدا
وهو فيما يدور يمنى ويسرى   لم يرغ غير وكده ذاك وكدا (٣)
قد تواصوا بالبغى حتى حسبنا   أن نص الدستور ينميه بندا
فتراهم يجرون جرى المذاكى   فى المخازى حشدا يسابق حشدا
ليت من يستدر ضرعا حراما   كلأ الشاة مشفقا أن تندا
أخمدوا جذوة النفوس فبعدا   لألاء القوام بالأمر بعـدا
واستذلوا السواد بالبؤس حتى   بايعوهم أن ينفد العمر كدا

* * *

أيهذا اللواء إياك نعنى   قد وجدنا فيك اللواء المفدى
إنما أنت يا نجيب شعـــاع   تجتويه العيون إن كن رمـدا
أى زعيم البلاد نحن انضوينا   تحت ظل اللواء لله جنـدا
أنت أنت الزعيم ما دمت تسعى   هكذا فى البلاد لم تأل جهـدا
قد نبذت الإقطاع فانبذ بنيه   لا تدع والدا ولا تبق ولدا (٤)

(٢) أكدى أى خاب وأخفق

(٣) لم يرغ لم يحاول

(٤) الولد جمع ولد

يا له ماردا قضى وتراه   نابضا فى ذيوله ليس يهـدا
فى شرايينه ذماء سـيبقى   رغم فرط البلى مغيظا مغدا (٥)
وسم العصر بالتسـلط فانظر   كيف تخلى المد مما أعـدا
وأرى المرء ليس يبلغ سـؤلا   جل شأنا أو دق حتى يجدا
وبحسب الراقين أن قد أعدوا   رقيـة تصرع الطواغيت لدا

* * *

ساسة النيل إن بالنيل شوقا   لزوال الفساد عنه ووجـدا
فسد الأمر كله فى حمانا   ليت شعرى هل يعقب الجزر مدا
وثب الجيش حيث توعد مصر   حقها فى المعاش خفضا ورغدا
فقوانين ماتنى إثر أخرى   تعد الخفض أو تنى فيه وعدا
ولعل القانون ليس بمجد   وحده فى البلاد مالم تعدا (٦)
فأعدوا الحمى لما سوف يلقى   بعد حين يمرد على الوعى مردا (٧)
إن أعصى الأشياء مافى السجايا   من عناد أدى بها حيث أدى

* * *

صار هزل الأمور فى مصر جدا   رب هيئ لها سدادا ورشـدا
واجنب الشعب أن يضل هداه   واجمل الجيش واقفا منه ردا

محمد عثمان الصمدي

(٥) الذماء بقية الحياة . والمغد المنتفخ غضبا وكبرا

(٦) تعد من الإعداد

(٧) يمرد يتدرب ويتمرن

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

الموسم الثقافي

ومرة أخرى يفتتح « طه حسين » الموسم الثقافي لنادى الخريجين المصرى بمحاضرة عن « الثقافة الوطنية ، والثقافة العالمية »

ولنا قبل أن نلخص المحاضرة عتاب على نادى الخريجين الذى يرأسه الدكتور العميد ، لأنه لم يوفر للعدد الضخم الذى حضر ليسمع « طه حسين » الأماكن .. وإذا كان النادى لا يتسع ، فقد كان فى الإمكان أن يختار أى قاعة من القاعات الواسعة : نقابة الصحفيين ، أو يورت ، أو الشبان المسلمين . .

لقد ذهبنا قبل موعد المحاضرة بنصف ساعة فلم نجد مكانا واضطررنا أن نقف فى تلك الطرقة العتيقة محشورين على وجه غاية فى القسوة ، فترة تزيد على ساعة ونصف ساعة ..

وبعد . فهل أستطيع أن أرسم خطوطا عامة لهذه المحاضرة الممتعة ؟ أرجو . .

تحدث الدكتور عن الثقافة ، وقال إنها ليست شيئا يمكن تحديده ، وإنها وسيلة من وسائل التقارب بين الناس والأجناس ، وإنها الأداة الوحيدة لمنع الحرب ونشر السلم . .

رسم العميد صورة للمثقف فى العصر القديم ، قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وكيف كان الشاعر يسعى من باديته إلى الحاضرة ، يحمل قصيدة يمتدح بها الخليفة أو الأمير ، فإذا وصل إلى الحاضرة أعجبته ورضى عنها فاستقر بها طويلا .. وأفاد من اتصاله بالناس فى خلال رحلته الطويلة وفى خلال مقامه فى الحاضرة ، فإذا عاد بعد ذلك إلى البادية ، عاد ومعه ثقافة واسعة جديدة ..

وقال الدكتور طه حسين إنه ليس هناك ثقافة وطنية وثقافة عالمية ، وإن التفريق بينهما خطأ واضح ، إذ أن الثقافة عالمية قطعا ، وإنه لا سبيل لأمة الآن أن تعيش منفصلة عن غيرها ، ولا أن يعيش شعب على ثقافته الوطنية وحدها . . وإنه لو عاش المصريون على الثقافة العربية وحدها ، لعاشوا بعيدا جدا عن الحياة الحاضرة

وليست مصر وحدها هى التى تستطيع أن تتخلف عن الثقافة العالمية ، بل إن الأدب الفرنسى والأدباء الفرنسيين ، لا يستطيعون أن يقولوا إنهم عاشوا دون أن يقرأوا الأدب الإنجليزى أو الألمانى أو الروسى أو اليونانى . . وكذلك الشأن فى الآداب الأخرى

وعاد الدكتور بعد ذلك فقال : غير أن الأدب فى كل وطن يصور البيئة وروحها ، ذلك أن الثقافة بالرغم من عالميتها فإنها تتأقلم وتتبلور فى صور النفوس التى تكتبها . .

ورسم الدكتور صورة المثقف ، فقال إنه ليس ذلك الذى يحفظ النصوص ويلقيها فى كل مناسبة أو غير مناسبة ، إنما هو القادر على أن يهضم كل ما يقرأ من فنون الأدب والثقافة ، ويحولها فى كيانه إلى قوة توجه وتصنع فنونا جديدة

وقال إن المثقف فى عصرنا الحديث لا يستطيع أن يعد نفسه مثقفا ، إلا إذا ألم إلماما وافيا بكل الآثار التى تنتجها القرائح فى عصره . . وأن يواصل دائما هذه القراءة ، ويدأب على الدرس الدائم !

وفى نهاية المحاضرة تحدث « طه حسين » عن التعليم ، وهاجم الرأى القائل بالتحفظ فى إذاعته وتيسيره للناس جميعا ، وحمل على نظرية التعليم للتوظف ، هذه النظرية التى قامت فى العهد البائد ويجب أن يقضى عليها العهد الجديد ، واستقبل المستمعون حملته هذه بالإعجاب والتصفيق . .

ومع الأسف فإن الصحف اليومية لم تذكر شيئا عن هذه العاصفة الضخمة التى أثارها عميد الأدب !

الأدب النسوى والشعر المنثور

فى رسالة مطولة وردت إلينا من الكاتبة الثائرة «ليلى مسلم»

تقول : « إن حملتك على الأدب النسوى يا سيدى قاسية ، إنك تنكر أن هناك أدبا نسويا ، وقد رددت هذا أ كثر من مرة وقلت إنه ليس هناك شاعرات ..

ووقفت من الشعرِ المنثور الذى كتبته «هند سلامة» موقف المعارضة .. لست أدرى إن كان ذلك منصبا على اللون الأدبى نفسه أم على المعانى التى تضمنها الشعر.. إننى أرسل إليك طى هذا بعض القصائد والقصص وأنا متحدية وواثقة من أنك ستغير رأيك فى الأدب النسوى والشعر المنثور

إن هناك كاتبات يا سيدى يكتبن لأنفسهن ، ويعشن فى برجهن العاجى ليقرأن .. ويكتبن .. إنهن — وأنا منهن — يعرفن أن الصحف لا تعرف غير الوجوه ، ولا تعرف غير اللواتى يتصلن بهذا الكاتب أو ذاك

أما أولئك اللائى ينتجن فى صمت ، فهن لا يردن أن يعرفهن أحد .. غير أنه عز على أن تقول إنه ليس هناك أدب نسوى ، ولذلك أرسلت لك هذه الصورة من كتاباتى »

والحق أننى أعجبت بهذه الرسالة لأن كاتبتها مركزة الأسلوب، ولأن القطع التى أرسلتها إلى توحى بالثقة بأننا سنطالع فجر الأدب النسوى الجديد . . سنطالعه على يد أمثال ليلى مسلم . . وغيرها من الشابات المجددات ، اللواتى لم تتألق أسماؤهن بعد . . وأسارع فأعرض قطعة من شعر « ليلى مسلم » المنثور :

بينى وبينك . . خفى مجهول

سمه عبادة ، أو سمه حنينا

سمه ما شئت مما تعرفه وحدك ، ويخفى على من دونك

إنه موجود ، باق لا يزول

يسرى نجاة فى بدنى فيرتجف له . .

ثم يدب على أرضى .. فأقف فى ثبات

.. أقف أمامك ، وقفة موسى عند الطور الأمين

ويجرى بينك وبينى عتاب . . حار

وتنتصر أنت ، وأتوارى أنا خجلا ..

ويحزنك أمرى . .

فتبعث إلى ..

تبعث إلى من ذلك الينبوع الذى لا يجف ، ينبوعك !

وترطب جفاف روحى بآياتك الحسان

ولـكننى من فرط خجلى لا أستجيب . .

فتنتظرنى قليلا .. ولا تهجرنى . .

وتفتش عنى فى كل مكان . .

فلا تترفع عن ارتياده ، مهما كان ، لتهمس فى أذنى : عودى يا ضالة !

عندك المؤمنون الأبرار .. راكعين ، ساجدين

.. ولـكنك لا تلبث أن تجيب دعوة الداعى .. إذ دعاك

.. فأنا أدعوك ..

* * *

وحق على أن أنشر هذا الشعر المنثور .. فهو غاية فى السمو والنقاء ..

إنه يرسم صورة لنفس « صوفية » تحلق وتصعد فى السماء . فارق بعيد بين هـذا اللون « الروحى » ، وبين ذلك اللون « النفسى » الذى عارضناه ، وإن كنا نحتفظ برأينا فى الشعر المنثور بصفة عامة

« هند سلامة » تصور الحياة وتغوص فى معالمها . . وتجرى فى تيارها . « وليلى مسلم » تسمو وتتحرر ، وتتجه إلى الله ، وترسم النفس الإنسانية وهى تتعالى وتندفع إلى الخلود

وبعد فكلمة أهمس بها فى أذن كاتبتنا الثائرة .. نحن ننزه أقلامنا عن الغرض من وراء النقد ، ونجدنا على استعداد لأن نغير رأينا فى الأدب النسوى ، إذا برزت فنون من الأدب جديدة يمكن أن تملأ هذا الفراغ

إننا ياسيدتى ننحنى للأدب الرفيع .. ونحيى الروح الجديد .. و « الرسالة » ياسيدتى لا تعرف الوجوه ، ولـكنها تعرف الفن الخالص .. فقدمى إليها إنتاجك ، وسترين أنها تحفل به ما دام متسقا مع مستواها وروحها

أنور الجندى



اقتراح بانشاء «مجمع فكرى» بمناسبة إنشاء وزارة الإرشاد

لعل أمة من الأمم سواء فى التاريخ القديم أو الحديث لم تكن أحوج من مصر فى يومها الحاضر إلى التوجيه والإرشاد القوميين — وليس ازدياد حاجتها لذلك نتيجة عيب أو نقص. ولكن لكثرة ما توارثته من عناصر الحضارة واختلافها الشديد مع كثرتها فى الوسائل والغايات؛ ولأنها وهى وسط بين أمم مختلفة المذاهب متباينة المشارب قد تشعبت فيها وجوه الرأى فى حديثها مع تباينها بحكم اختلاف الوراثات لهذا التشعب واستعدادها لمرونتها إلى الأخذ من كل شئ بطرف

فى مصر لا يزال أثر من وجوه النظر التركية إلى جانب آثار عميقة من التقاليد العربية وأخرى من العادات الفرعونية. وهى فى اليوم الحاضر ملتقى ثقافات غربية متنوعة العناصر، وأخرى شرقية مختلفة الأصول. وبعض هذا وذاك قد تلقته من الآباء والأمهات والمصلحين، والبعض مدسوس عليها من المستعمرين والناصبين والحكام الطاغين

وفى مصر دوامة من آراء وأحاسيس ومشاعر، ولقد بذلت فى العصور الأخيرة محاولات تلقائية لا نقول من الزعماء ولكن دفع إليها الزعماء من إحساس باطن فى الأمة إلى وجوب توحيد الهدف وتوحيد الوسائل إليه. ولقد استجاب إلى هذا الإحساس من أصاخوا إلى صوته فى الضمائر أو سمعوه من أعالى المنابر أو من آثار الأقلام والمحابر. ولكن الاستجابة لم تكن شاملة ولا كاملة لانتشار الأمية ولأن الزعماء كانوا أحرص على الظهور بشخصياتهم منهم على بث المبادئ فى البيئة

صيحة النهضة الحاضرة بالاتحاد والنظام والعمل إنما بدأت بما يجب البدء به نتيجة إحساس عميق بالافتقار إليه. وما احتاجت مصر إلى هذه الصرخة المدوية إلا لتعدد آثار الثقافات. واختلاف ألوان الحضارات، وإن شئنا الإنصاف فلتعدد ألوان المطامع واختلاف آثار المظالم أيضا

أدبنا العربى تراث عظيم الضخامة ولئن لم يرتو منه الكل بسبب انتشار الأمية فلقد تأثر به الكل كما تتأثر الأرض بالمياه الجوفية. وفيه من المتناقضات لطول عهده ولأنه وإن كان أدب لغة واحدة فهو جماع آداب لأمم مختلفة فى عصور متباينة تحت ظروف لا تكاد تتشابه. ولم ينقد هذا الأدب الطويل العريض نقدا مميزا

وأدب الأمم الأخرى المعاصرة نشأ فى عهد أقرب وفى بيئات أكثر اندماجا وظروف أكثر تشابها فلم تحتج كحاجتنا إلى التوجيه والإرشاد

وابتعدت الأمم الأخرى فى عصورها القريبة عن محنة الاستعمار وتعدد المستعمرين واختلاف آثارهم — كل ذلك كون لكل دولة شخصية أكثر تماسكا وأكبر استقلالا. وتلك مزية فيهم والمزية كما يقولون لا تقتضى الأفضلية؛ ففينا مقابل هذا مزايا من عمق الإيمان. ومن الصبر والاطمئنان. ومن المرونة والاستعداد للتطور. ولكننا بما لنا وعلينا فى حاجة أكبر إلى إلغاء أهداف وإلغاء وسائل. والتخلى عن آراء وهجر عادات ومحاربة تقاليد. والاندماج بعد ذلك فى موكب واحد نحو هدف واحد

ذلك كان إحساس الأمة الذى عبرت عنه بصيحتها فى فجر نهضتها إذ تهتف قلوبها على ألسنة قادتها بالاتحاد والنظام والعمل

ولقد كان إنشاء وزارة جديدة للدعوة والإرشاد وسيلة لتحقيق هذا الاتحاد، لكنه ليس بمأمون مع ذلك أن تتشعب وتتفرع وتنداح وتنساح فكرة تبدو اليوم موحدة وتجرى عليها سنة الخلق من توالد وتكاثر

وليست الوزارات بالعمل الذى ينشأ من أجل ليلة وضحاها، وإنما هى للغد البعيد وما يليه. وضمانا للتوحيد فى كل ما تقدم مما اختلف على طول العصور يجمل أن توضح البرامج الواسعة النطاق — ما كان منها صالحا للتنفيذ اليوم وما كان منها منتظرا للآمال والغايات البعيدة

وسبيل ذلك التأليف بين رجال الفكر الدارسين ورجال الفن الحساسين. ونحسب هذا لا يكفل إلا بإنشاء الأكاديمية المصرية التى طال انتظارها (مجمع فكرى)

ومجمع اللغة العربية والمجمع العلمى لم يكونا إلا خطوتين فى سبيل هذه الغاية. ووزارة الإرشاد خطوة ثالثة. وإنما ينظم هذه الخطوات مجمع من رجال الفكر يكون كل رجاله من المؤلفين والدارسين فهؤلاء أكفل لحياة الوزارة الجديدة من مديرين ووكلاء وموظفين. إن يكونوا اليوم بحكم جدة النهضة من لامس

أغراضها فإنهم فى الغد لن يكونوا إلا موظفين كسائر الموظفين

نحن ندعو إلى مجمع من مجامع الخالدين ليكون على رأس المصالح التى ضمتها الوزارة الجديدة

(الإسكندرية) أحمد عوضه

الأزهر . . والثورة

لقد أحدثت الثورة المباركة انقلابا خطيرا فى كل مرافق الدولة ، وخطت خطوات موفقة فى سبيل الإصلاح . وقطعت شوطا بعيدا فى سبيل التطهير وقطع دابر المفسدين ، وكان لهذا الانقلاب الخطير أثر فى نفوس الشعب كافة ، وما دامت الثورة قد أحدثت هذا الانقلاب العظيم فالنا نرى الأزهر لا يزال متمسكا بجموده ، متشبثا بالماضى العقيم ؟ إن الأزهر يحتاج إلى انقلاب عام شامل فى كل ناحية من نواحيه وفى كل شأن من شئونه

أجل : فإن الكتب الأزهرية التى ألفت فى عهود غابرة وبأسلوب عقيم — لا يتفق مع عقول الطلاب — لا زالت هى التى تدرس إلى اليوم ، وإنها لمحشوة بالأساليب المعقدة والمسائل التافهة ، ومع ذلك فهى بعيدة كل البعد عن حياتنا العامة . . فالطالب الأزهرى يقضى زهرة شبابه بين هذه الكتب البالية ثم يخرج بعد أن نبت الشيب فى رأسه ليرى الحياة حوله لا تتفق وهذا الجمود الذى يتصف به الأزهر ، إن الحياة تسير والنظم تتغير والأساليب البالية تزول، وذلك حسب سنة التطور ولكن التطور لم يدخل الأزهر بعد ، لذلك يحتم الأزهر على الطالب الذى يريد الالتحاق به أن يكون حافظا للقرآن كله ، وقد كان هذا الشرط يجوز ويكون مقبولا منذ ربع قرن مضى .. أما الآن وقد انتشرت المدارس الابتدائية فى كل قرية فلم يعد هذا الشرط مقبولا أبدا ، وغير ذلك يجب أن تدرس إحدى اللغات الأجنبية فى معاهد الأزهر ، ويجب أن يوحد زى الطلبة فورا ، فقد أصبحت مسألة الزى هذه مهزلة المهازل ! فهناك من يرتدى الزى الأزهرى ومن يرتدى الزى الأفرنجى ومن يكتنى بالجلباب أو (البيجاما) . كل هذه أمور من شأنها أن تحتل المكان الأول من اهتمام المسئولين فى الأزهر، وذلك حتى يتجاوب الأزهر مع روح العهد الجديد، وهى أمور كلها تجيش فى نفس كل طالب أزهرى وتعتمل فى صدره وتخالج وجدانه من آن لآخر أردت أن أضعها نصب أعين ولاة الأمور فى الأزهر على سبيل الذكرى . فالذكرى تنفع المؤمنين

محمود حمدى زفزوف

حضرة

قرأت كلمة لأحد الباحثين قال فيها إن (حضرة) بمعناها الحالى كلمة تركية دخيلة وهذا ليس صحيحا وإليك النصوص اللغوية :

جاء فى شرح القاموس ما نصه : حضرة الرجل قربه وفناؤه ، وفى حديث عمرو بن سلمة الجرمى (كنا بحضرة ماء) أى عنده ، وكلمته بحضرة فلان أى بمشهد منه ، قال شيخنا وأصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور كما صرحوا به ثم تجوزوا به تجوزاً مشهورا إلى مكان الحضور نفسه ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس كقول الكتاب أهل الترسل والإنشاء . الحضرة العالية تأمر بكذا ، والمقام ونحوه — وهو اصطلاح أهل الترسل كما أشار إليه الشهاب فى مواضع من شرح الشفاء ا ه

وجاء فى (صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٩٨) فى مبحث الألقاب :

الثامن : الحضرة والمراد بها اللقب … وهى من الألقاب القديمة التى كانت تستعمل فى مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية وتستعمل الآن فى المكاتبات الصادرة من الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك ويقال فيها الحضرة الشريفة العالية والحضرة الكريمة العالية والحضرة العلية بحسب ما تقتضيه الحال الخ . . وكثير من كتاب الزمان يظنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضى شهاب الدين ابن فضل الله وليس كذلك . . الخ . وجاء فى « محيط المحيط » والمولدون (المحدثون والمتأخرون) يستعملون الجناب لأكابر الناس بمعنى الحضرة فيقولون : ننهى إلى جنابك مثلا أى نلقى كلامنا بين يديك وذلك فى الأصل؛ ثم توسعوا حتى جعلوا الجناب لغواً يراد به مجرد التعظيم، فيقولون هذا غلام جنابك أى غلامك اه.

من هذا يتبين أن (حضرة) عربية صحيحة ولكنها تطورت ، والاستعمالات المجازية صحيحة بل فصيحة

على حسن هلالى

بالمجمع اللغوى



الزوجة الحسناء

للكاتب النمسوى هيرمان بار

... ولاقيت صديقى بول دوران بعد غياب طويل فاندفعت إليه فى شوق قائلا : « كيف حالك ياعزيزى ؟ لقد احتجبت عنا طويلا ، أفتزوجت حقا ؟ لم يكن ليضطرب فى خيال واحد من رفاقك أنك تتزوج فتتنزل عن بعض مافيك من عبث ومرح ولكن المرأة ... المرأة يابول ! »

وابتسم بول فى رقة وأخذ بذراعى يجرنى إليه؛ أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه صحابته المجون والعبث ؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان أن يثق به !

وتناول سيكارة فى هدوء ووقار ، وحدجته بطرف عينى فآلمنى أن أرى فيه الرزانة والسكون ! لا ضير ، فهو زوج ! ثم ... ثم قلت : « لقد أبدلت طبعا بطبع يابول بعد أن تزوجت ... تزوجت من فتاة جميلة » فترك ذراعى فى غضب وهو يقول : « دع عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بينى وبينك ! » وأزعجنى حديثه فاندفعت أسأل : « ماذا ، ماذا ياصديق ؟ »

قال : « حقا ، إنها حسناء فاتنة ... ولعمرى إن البلاء فى الزوجة الحسناء ، فأنا أدفع الثمن غاليا ! نعم إننى أحبها ولكن أتعلم مايثقل زوج المرأة الحسناء ؟ إذا غاب عنك هذا فلا تتحدث عن شئ بعده . إن الزواج من حسناء يتطلب صبراً كصبر أيوب ثم يصفر صفيرا مزعجا وفى وجهه العبوس والتجهم ؛ وخيل إلى أننى سموت إلى الغاية متى يريد فقلت : « أفرأيت يابول ، أن خطاياك تنحدر إليك من صبب ! هذا هو الجزاء ! إن الغيرة تكاد تعصف بك » ونظر إلى فى دهشة وهو يقول : « يا للغباء ! أى غيرة ؟ فيم تفكر ؟ وأسفت على أن رميته بتهمة هو منها براء ، فقلت : « أفلا تستشعر الغيرة ؟ » قال : « لا . لا . إن الزوجة الحسناء هى خير ما يتمنى المرء ما لم يستعبده جمالها » قلت : « لقد قصر عقلى عن أن أستشف ماتريد » قال : « سأضرب لك الأمثال لأكشف لك عن بعض ماعمى عليك »

وبدا لى أنه ينفس عن كربته حين ينشر على عينى أمره ، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه، فتملق بصرى به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشعلها وهو يقول :

إن النشوة التى سيطرت على — يوم زواجنا — كادت تستلبنى عقلى . لقد انطلقت إلى ميونيخ برفقة زوجتى ، وخيالى يصور لى أننا نستطيع أن نجول فى أنحاء المدينة فى لذة وسعادة ؛ نزور معا بعض أصدقائى ثم نطير إلى مروج بافاريا ننعم بالخلوة ، ونقتطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة فى ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب فى ناظريها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لا شئ ! إننى أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكننى أرى فى الناس غلظة وجفاء ! » وحدثتنى نفسى : « يالله ! لاريب أن فى سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هى فى حديثها : « حقا ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب فى الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنسانا واحدا يرفع بصره فيحدق فى الآخر . هذه هى الغلظة التى رأيتها فيهم »

أفرأيت يا صديقى ؟ لقد زلت زوجتى ، فهى تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهى لا تجد بغيتها فى ميونيخ . لعلك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد فيما أقص عليك متعة وسلوة

وفى الصباح التالى انطلقت أجلس فى ندى مكسمليان أنتظر زوجتى لأصحبها إلى المعرض . لقد تركتها فى الفندق ترتدى ملابسها وتتزين . ولبثت طويلا أنتظرها . ودقت الساعة عشرا وأنا جالس إلى نضد أردد بصرى بين المارة وأحدق فى دار الأوبرا وهى قبالتى ؛ وابتدأ الناس يتصدعون عن المكان والنادل متكئون إلى الجدار فى كسل وفتور . وخلا المكان إلا من شرذمة من الطلبة يتحسون الجعة ويلعبون ؛ وهدأ المكان إلا من بعض كلمات تنفرج عنها شفاه الطلبة بين الحين والحين ؛ وبذر الانتظار فى نفسى غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رفيفا جميلا ، حسناء جذابة ، فاتنة خلابة ، تسير الهوينى فى خيلاء وصعر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى فى أناة وتؤدة ، وحين صارت بإزاء الطلبة

تركت مظلتها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألتها عن بعض ماتحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعر سؤالى التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك فى الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبعث فى النفس الضيق والملل .. خير لنا أن نتنحى عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضدا إلىجوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسيا هزت الآخر فانتثر ماعليه من صحف فتناولتها والطلبة فىلهوهم ما ينظرون . واستقر بنا المقام فسألتها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعنى إلى المعرض ؛ غير أنها قالت فى تؤدة وهى تضع نظارتها على عينيها : « خبرنى ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملا سوى شرب الجعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسى السوء وأكفكف بين سطورها نزوة تضطرب فى قلبى ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رأيها فىسهولة ، فاندفعت تتحدث إلى : « يالتعس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يبذلون آخر فلس فى جيوبهم فى سبيل أبنائهم وهم يبددون المال فى المقاهى ! أين العلم وعصا المعلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصرى فى سطور الصحيفة فى إغضاء وإهمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! ياعجبا ! إنهم كحمالى المحطة ! »

وتأجج الغضب فى رأسى وأنا أهدئ من ثورتى خشية أن ينثلم شرفى فى هذا الندى ، ثم قلت فى هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبعث فى نفسك الضيق والضجر ، وأنا لا أجد بدا من أن ننطلق إلى شليرسى بعد ساعتين ، فهو مكان هادئ جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسى » ثم رجعنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقى ... وبلغنا شليرسى عند الساعة الرابعة ، فألفيت صديقى لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعا إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تتراءى أمامها البحيرة وما حولها من مباهج . وأضنى التعب زوجتى — أجاتا — فانطرحت فى فراشها فى سبات عميق ، أما أنا فقد انطلقت على دراجتى أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هى فى الحديقة ، وفى يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الريفيين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتنى روعة المكان فأحببت أن أقضى بعض وقتى هناك ؛ واندفعت إليها وهى جالسة فى ثوبها الأبيض الحريرى الجميل ، يتأرج العطر منها عبقا طيبا ؛ غير أنه لم يلتفت إليه أحد ، ووقفت بإزائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتى ؟ » فحدجتنى بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هى شليرسى ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذنى » قلت : « إنه هادئ ... والبحيرة ... »

فقاطعتنى « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادى الجميل ... » فقاطعتنى ثانية : « والوادى الجميل غير صحى » قلت : « والجبال ... » فقاطعتنى مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلى فى ازدراء وهى تقول : « والطعام ردئ الطهى والجعة البافارية تملأ الجسم شحما ، وأنا لا أريد أن أبدو عبلة كالفلاحات . إننى أبتغى حياة هادئة . لقد كان من الخير لى أن أسجن فى دير ولا أتزوج من رجل لا يحبنى » قلت : « لا بأس ، سنرحل إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا » ، واضطرب قلبى ، وانتفض فؤادى ، واستولى على الأسى والحزن ، فأنا لا أطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر فى مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أفعل وأجاتا ما تهدأ ولا تطمئن . لا ريب فهى تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار فى كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يعجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سبيلا . تلك حقيقة مروعة ، فخير للانسان ألا يتزوج من حسناء !

وفى الصباح التالى بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادى ، إلى الغابة أمتع نظرى وأشيعها جميعاً بنظرات الوداع ، فنظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع فى خيالى . أما هى ... هى أجاتا فما تزال فى مخدعها تنعم بالنوم الهادئ . إننى أتعشق هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولمع فى خاطرى رأى ، انفجرت له شفتاى عن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعدو فى لهفة إلى صديقى دريتشر ،

وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهليــة فى بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضا شــاب فيه المرح والطرب والفكاهة والرأى النافذ والقريحة الوقادة ... وهو صديق فيه الإخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إننى أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلنى فيه . إنك تعرف كل إنسان فى هذه الناحية ، أفتستطيع أن تمدنى بشاب أنيق وسيم ليمثل دور عاشق ؟ » قال فى دهشة « ليمثل ماذا ؟ » قلت « ليمثل دور عاشق . إننى أريده يجلس ويحدق ... يحدق فى زوجتى ساعة من نهار . إن زوجتى قد اعتادت هذا النوع من الغزل فهى تفزع من كل مكان تفتقد فيه بغيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات فى اليوم ثمناً لجلوســه فى الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة فى زوجتى ، وأدفع له ثمن شرابه » قال : « لا ضير ، لا ضــير ... ! » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفعل غير أنى لا أستطيع أن أستغنى عن واحد من زملائى ، ولــكن ... آه ، نعم ، إن فى الفرقة عاملا شابا فيه الأناقة والظرف و ... دع عنك هــذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفى المساء نبتدئ العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقى . ولــكن أفتظمئن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يعنيك أنت ؟ إن المرأة لا تعنى بنظرات من يتعشقها بقدر ما تعنى بنظراتها هى ؛ وسترى ... »

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت أجاثا وحدها فى الحديقة ... وجاء العــامل فى ثوب أنيق ... جاء ينفذ أمر سيده فى براعة وإتقان ... ورجعت أحدثهــا : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقنى أن نسافر على قطار الساعة العــاشرة صباحاً » قالت فى لهفة : « ماذا ؟ ماذا تعنى ؟ أفلا تستطيع أن تستقر فى مكان ؟ إننى أميل إلى هذا المــكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلا : « ولــكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمــال فيها » قلت : « والجبــال من حولها » قالت « لاضير ، فأنشد الهواء العليل فى أعاليها . سنبقى هنا حيناً من الدهر فما يرضينى أن نضطرب فى أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غاليا . ولا ريب أن أجاثا لن ترضى بهذا المــكان بديلا ...

ك . ح

تفسير آية

بقية المنشور على صفحة ١٣٣٠

الناموس الخالد الذى لا يتبدل ولا يتحول . ومن ثم لم تعد إلا التفصيلات والتطبيقات ، التى يستقل بهــا العقل البشرى ، ولا تحتاج إلى رسالة إلهية أخرى

***

وبعد فلقد اقتتل أتباع « تلك الرســل » ولم يغن توحد طبيعتهم ، وتوحد طبيعة الرسالة التى تجمعهم ، عن اختلاف أتباعهم من بعدهم : حتى ليقتتلون من خلاف !

« ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولــكن اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ، ولــكن الله يفعل ما يريد »

ولــكن هذا الاختلاف لم يقع مخالفا للمشيئة الإلهية ؛ بل وقع وفق سنته المقررة ، ومشيئته المقدرة

إن اختلاف الطبائع والمشاعر والأفكار سنة من سنن الخالق لتنويع الخلق — مع وحدة الأصل والنشأ — وما كان الله ليجعل عباده جميعا نسخا مكررة ، كأنما طبعت على ورق « الــكربون » !

لا بد إذن لتكون للحياة قيمتها ، وليكون الاختلاف والتقابل وسيلة للتكامل والتنوع ، أن يكون هنالك اختلاف فى الطباع والمشاعر والأفكار . ومتى وجد الاختلاف على هــذا النحو فإنه يستتبع نتائجه ؛ وإحدى نتائجه الاقتتال ، الذى وقع بين أتباع الرسل .. فهو إذن وفق المشيئة ، بمعنى أنه جار على السنة

« ولو شــاء الله ما اقتتلوا » لو شــاء أن يجعل التماثل هو الناموس لا التنوع ، لما وقع الاختلاف ، ولما وقع الاقتتال

« ولــكن الله يفعل ما يريد » .. ولقد أراد أن تجرى السنة بما جرت ؛ فوقع فى الــكون ما يقتضيه جريان السنة فى طريقها المرســوم ، وفق المشيئة الــكبرى ، لتحقيق حكمة خاصة تجرى بها هذه المشيئة

سيد قطب

الرواية

تعـــــــــود



و

الرسالة

تتجـــــــــدد



في أول ديسمبر

تعود (الرواية) وهى مجلة القصص الرفيع ، أقوى مما كانت عليه جمال أسلوب ، وحسن اختيار ، ودقة ترجمة ، ونخامة مظهر

وفى ينـــاير

تتجدد (الرسالة) وهى مجلة الأدب العالى ، فى الشكل ، والموضوع ، والتحرير والحجم لتساير العهد الجديد الذى بدأه مصر في الثقافة والحضارة

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٤٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

20 me année No 1014

Le Caire 8 — 12 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٤ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

القرآن والدستور

نشرت إحدى الصحف ذات يوم أن بعضا من علماء الأزهر قد اجتمعوا ليستنبطوا مما شرع الله في الإسلام قوانين تحكم بها الدولة. فصادف هـذا الخبر هوى في نفوس قوم، ونفـورا في نفوس آخرين؛ وهتف أتباع هؤلاء في بعض الحفلات قائلين: القرآن دستورنا! وردعليهم أتباع أولئك هاتفين: الدستور قرآننا! واستطار النبأ في أجواء الأرض ففزع أصحاب الأموال في أوربا، واستراب رجال الأعمال في أمريكا، وقال مرضى الهوى أو الجهل منهـم: نـكسة الداء، ووثبة إلى الوراء! فلم يسع السياسيين إلا أن ينتفوا من هذا الخبر، ولا الأزهريين إلا أن يبرأوا من هذه التهمة!

أمر عجيب! أإلى هـذا الحد بلغ جهل الجهال بحكم القرآن فيصورونه هولة يفزّعون بها الناس حتى أهله؟ إن كانوا من الذين يؤمنون بأنه من وحي الله فالله سبحانه لم ينسخه ولم يُنسه، ولم يأت بخير منه أو مثله. وإن كانوا من الذين يزعمون أنه من وضع الإنسان فماذا يخشون منه وقد جربوه؟ لقد حكم الدنيا القديمة وهي همجية وفوضى، يتولاها الهوى، ويقودها الضلال، ويسوسها الجهل؛ فردها من الشرود المهلك، وأقامها على الطريق المؤدي؛ وأذاقها رغاء العيش المطمئن، وكفل لها من الحرية والعدالة والمساواة والكرامة ما كفل بعضه الدستور. وما الدستور؟ أليس هو في حقيقته وجوهره معنى من معاني القرآن ينبثق عنه كما ينبثق الشعاع عن الشمس؟

أعطوا الدستور ذوي الرأي من الراسخين في علوم الدين أمثال عبد المجيد سليم ومحمود شلتوت تجدوا قرآنا كأول ما أنزل الله. وأعطوا القرآن أولي الرأي من المتضلعين من علوم القانون أمثال عبـد الرزاق السنهوري وعبد الحميد بدوي تجدوه دستورا كآخر ما وضع الناس

أما القرآن الذي تخشونه فليس قرآن الله، إنما هو قرآن مسيخ فسره جهال العلماء على قدر ما في عقولهم من قصور وزيغ، وما في نقولهم من خطأ وحشو؛ فضيقوا سعته، وحددوا شموله، وعوقوا تقدمه، وزيفوا صحيحه، وشابوا صريحه، ووقفوا به عند عصر معين، فلا يقبلون إلا قوله، ولا يجيزون إلا فعله، ولا يعلمون أن عموم الرسالة المحمدية يقتضي أن تساير الزمن وتجاري الطبيعة، حتى لا ينقطع ما بينها وبين ركب الحياة

وأما الدستور الذي تنكرونه، فهو الدستور المهين العاجز الذي يرضى أن تقوم باسمه دكتاتورية حزب، وأن يقضي على حكمه طغيان ملك؛ ثم لا يأنف أن يفسره عابث على هواه، وأن يطبقه فاجر على مشيئته. فإذا لم يكن للدستور سند من روح الله يجعل الخروج عليه مروقا من الدين وفسوقا عن الإيمان، وإذا لم يكن للدستور حام من إرادة الشعب يعصمه من جور الحاكم وبغي السلطان، كان ضرره أكبر من نفعه، وعدمه خيرا من وجوده

آمنوا بالقرآن تجدوا الدستور الحق، وآمنوا بالدستور الحق تؤمنوا القرآن!

احمد حسن الزيات

على هامش الدفاع عن الشرق الأوسط

٢ـ الصراع العقائدى وعلاقته بفكرة الدفاع عن الشرق الأوسط

للدكتور عمر حليق

هل لروسيا مطامع استعمارية

لعل أولى مايجب أن نتساءل عنه ونحن فى صدد الحديث عن الدفاع عن الشرق الأوسط ما إذا كان للاتحاد السوفييتى مطامع «استعمارية» توسعية فى العالم الخارجى؛ أم أن الخوف من عدوان المعسكر الغربى هو الذى يدفع روسيا إلى احتلال بعض المناطق فى شرق أوربا إحتلالا مباشرا وقيام الحركة الشيوعية فى الدول المجاورة كما حدث فى الصين وتشيكسلوفاكيا واليونان ؟

هذا سؤال اختلف فى تحديد الجواب الصائب عنه دراسات المعنيين بالشؤون الروسية والملقين السياسيين وأخصاء علم النفس الاجتماعى وتقارير البعثات الدبلوماسية الأجنبية القيمة فى موسكو — وكل هذه مواد استند إليها كاتب هذه السطور فى هذا البحث

فالمستر جورج كنان سفير أمريكا فى موسكو حاليا وأحد كبار الخبراء الأمريكان فى الشؤون الروسية يعتقد بأن ما لجأت إليه موسكو فى عالم ما بعد الحرب من توسع شمل شرق أوربا وتسرب إلى الصين فاكتسحها وبنى له وكرا فى فرنسا وإيطاليا وغيرها — هذا التوسع ما هو إلا مغامرة سياسية استنبطتها العقلية السوفييتية ورجال الحكم السوفييت فى موسكو لخوفهم من أن يتركوا حدود الاتحاد السوفييتى معرضة لنفوذ الدول الرأسمالية التى يعتقد السوفييت بأنهـا لا بد من أن تشن على الاتحاد السوفييتى حربا تقوض النظام الشيوعى القائم فى روسيا . ومن رأى هذا الخبير الأمريكى كذلك أن الشعب الروسى (على نقيض رجال الحكم السوفييت) لا يرغب فى توسع إقليمى [1]

ومن ثم اقترح المستر كنان على حكومته لكى تضع حداً لهذا التوسع السوفييتى بأن تنشئ قواعد عسكرية قوية على حدود البلاد السوفييتية وتعزز دعائم الاستقرار الموالية لأمريكا فى الدول المجاورة للاتحاد السوفييتى كتركيا واليونان ، ومحاربة الأوكار الشيوعية القوية فى فرنسا وإيطاليـا وغيرها من الدول المعرضة لانتشار الشيوعية . ثم كان مشروع مارشال لمعونة الدول الحليفة لأمريكا ، ومن ثم تمت بسرعة فائقة إقامة القواعـد العسكرية الأمريكية فى شرق الجزيرة العربية وفى مطار الملاحة فى ليبيا والقواعـد الهامة الأخرى فى شمالى إفريقيـا العربية ؛ وبذلك يثبت الأمريكان لرجال الحكم السوفييتى بأنهم لن يهنوا أمام أى حركة توسعية سوفييتية جديدة وإنما يقاومونها بالسلاح (كما حدث فى كوريا) لعل رجال الحكم فى موسكو يعدلون عن مغامرتهم السياسية

ولما كان المستر كنان ومن يشاركه فى الرأى من خبراء الشؤون الروسية فى أمريكا وبريطانيا مؤمنين بأن الشعب الروسى لا يرغب فى توسع إقليمى فقد اقترح السفير على حكومته بأن تخصص الأموال اللازمة لبث الدعاية فى روسيا نفسها وفى المناطق الشيوعية الأخرى ضد رجال الحكم السوفييت فى مغامرتهم التوسعية هذه . وأخذت الحكومة الأمريكية بهذا الاقتراح وخصصت فى الميزانية العسكرية الأمريكية لعام ١٩٥١ مبلغ ١٠٠ مليون دولار لهذه الغاية . وقد احتجت روسيا على هذا وعرضت الموضوع على الجمعية العامة لهيئة الأمم فى دورة سنة ١٩٥١

والفريق الآخر من خبراء الشؤون الروسية فى المعسكر الغربى يعتقدون بأن التوسع السوفييتى فى أوربا الشرقية وفى الصين وفى سائر بقاع العالم ليس وليد العقلية السوفييتية فحسب؛ بل إنه وليد العقلية الروسية الشعبية الكامنة تحت الطبقة الماركسية الكثيفة التى تشبع بها صناع السياسة فى موسكو . وهذه العقلية الروسية هى الآن كما كانت فى أزمنة التـاريخ الروسى السابقة فى عهود القيـاصرة والحكام التتر والمغوليين راغبة فى التوسع الإقليمى

(١) — كتاب الدبلوماسية الأمريكية . تأليف جورج كنان طبعة سنة ١٩٥١

خارج حدودها ، لا لأنها تخاف العناصر المعادية لها فى العالم الخارجى فحسب ؛ بل لأن التوسع الإقليمى غريزة فى العقل الروسى. فهذا التوسع إذن من الخصائص الثقافية للخلق الروسى وليس وليد النظام الشيوعى السوفييتى القائم الآن فى روسيا

ومن الطريف أن نستعرض التحليلات التى يستشهد بها أصحاب الرأى من خبراء الشؤون الروسية

الشخصية الروسية

ويقول هؤلاء (٢) بأن الشخصية الروسية منطوية على نفسها عاطفية تتضارب فيها الأزمات الروحية وفيها نزعة إلى الجدل الغامض والرغبة فى الراحة والطمأنينة التامة. ومرجع ذلك إلى النكبات التى حلت بالشعب الروسى تحت سيطرة القياصرة (وقبلهم تجولند وجنكيزخان) وجبروتهم وعبوديتهم واسترقاقهم لأفراد الشعب الروسى . فهذه النكبات قد أوجدت فى الشخصية الروسية رغبة ملحة فى الاستقرار والطمأنينة ، وأولدفيها حبا عميقا للوطن الروسى ، وأذكى فى الروس قومية عنيفة لا تتوانى عن الموت فى سبيل الدفاع عن الوطن وصيانة حدوده من أطماع الخصوم . وهذه الرغبة فى توطيد الاستقرار والطمأنينة والدفاع عن الوطن الروسى تتطور فى حالات معينة بتأثير الأحداث السياسية فتميل إلى التوسع على حدود الوطن الروسى كوسيلة لضمانته وحراسته. ومن الصعب على العقلية التى من هذا القبيل أن تحدد المدى الجغرافى الذى ينتهى عنده توسعها الإقليمى خارج الوطن الروسى . وأصحاب هذا الرأى من خبراء الثقافة والتاريخ وعلم النفس الاجتماعى يعتقدون بأن الفلاح الروسى واسع الخيال — وخياله مستمد من هذه السهول الشاسعة الواسعة التى تهيمن على جزء كبير من الوطن الروسى — من حدود فنلنده إلى مياه بحر الصين — سهول لا نهاية لها يتصور العقل الروسى أن فى نهايتها أسرارا رهيبة ، فمن السهول الآسيوية — خففت جحافل التتر والمغول ، ومن السهول الأوربية شن نابليون وهتلر غزواتهما . وكم شط الخيال بالشخصية الروسية فدفعها إلى الرغبة الملحة فى سبر غور هذه المجاهل البعيدة واكتشاف أسرارها ؛ ولكن طبيعة المعاش وقساوة المقادير وصعوبة المواصلات لم تحقق فى معظم الحالات للشخصية الروسية هذا الحلم . فإذا عادت إلى الحياة الواقعية ثارت على هذه الأسرار ثورة الناقم ؛ فإذا ناداها منادى الحرب ضد هذه الأسرار الغامضة — ضد هؤلاء الأعداء الذين يكمنون وراء الأفق البعيد ويضمرون للوطن الروسى شرا — لبت الشخصية الروسية النداء فى حماس مندفع تشهد له بطولة الجندى الروسى فى ميادين القتال

والأدب الروسى ملئ بوصف هذه السهول والأسرار الغامضة الرهيبة التى تكمن فى أفقها البعيد ، ففى إنتاج « ترجنيف » الأدبى مادة غزيرة عن هذا وأوصاف متعددة له

كتب « ترجنيف » إلى مدام فيادون فى عام ١٨٥٠ يقول :

« دعى روسيا بسهولها المترامية الأطراف الهادئة الساكنة الصامتة صموت أبى الهول تنتظره فإنها ستبتلعنى فيما بعد . وإنى لأرى نظراتها القاسية العميقة تحدق بى فى حدة كما لو كانت عيونها من الصخر الأصم »

والواقع أن هذه العيون القاسية التى تخيلها « ترجنيف » تحدث فيه فى عمق وقساوة ليست إلا هذا الأفق البعيد الذى يهيمن على السهول الروسية الشاسعة التى لا نهاية لها — نهاية غامضة محاطة بالأسرار لم تقو الشخصية الروسية ممثلة فى الفلاح ورجل الشارع أن تقهرها ، ولذلك تولدت فى هذه الشخصية خصائص اندفاعية قاسية تستميت فى الصراع (العسكرى والسياسى) لتفرج عن الشخصية الروسية هذه الأزمة النفسية التى تنتابها بين حين وآخر من الحوادث والملمات . ومن هنا يفسر علماء النفس الاجتماعى تقبل العقلية الروسية للمبدإ الفوضوى (النهلستى) فهذه الكلمة من اشتقاق المفكر الروسى المعروف نيقولاى شرنيشيفسكى الذى وصف للشعب الروسى فى كتابه « ما الذى يجب عمله « فردوسا » « فوضويا » تنعدم فيه المسؤولية ويسود الرخاء والحرية التامة ، فلا يشتغل فيه امرؤ إلا بمحض مشيئته ، وينعم فيه الفلاح براحة تامة يستطيع معها أن يسترخى مرتاحا وبجانبه قدح النبيذ ويداعبه النسيم الهادئ الرقيق فلا يعبأ بالأحداث الطارئة والقيود الثقيلة التى يتقيد بها المجتمع التقليدى للأفراد والجماعات . (٣) وهذا الوصف كما ترى تعبير يلائم كثيرا

(٢) — ومنهم « روبرت باين » تفكير العقلية الروسية

(٣) — من كتاب ماذا يجب عمله لنيقولا شرنيشيفسكى

مقومات الشخصية الروسية ورغبتها فى الراحة والاستقرار والطمأنينة وتجنب النكبات التى حاقت بها من غزوات التتر والمغول إلى طغيان القياصرة ومذابح نابليون وهتلر

وحين تعتقد الشخصية الروسية بأن هذا الفردوس لا يتحقق إلا إذا أمن شر ما وراء هذا الستار البعيد الذى يحد أفق السهول الشاسعة ، تنفعل فيتولد فيها عند الحاجة جماح عنيف ورغبة ملحة فى اختراق هذا الستار ، ومن ثم فليس من حرج على الشخصية الروسية أن تتقبل فكرة التوسع سواء تحت قيادة القياصرة أم بزعامة ستالين

ولقد سبق الثورة الشيوعية التى استولت على الحكم فى روسيا عام ١٩١٧ ميلاد الحركة النهلستية التى برزت قوية ذات بأس فى عام ١٨٧٠ والتى يعتقد بعض مؤرخى الحركة السوفيتية بأن البلشفيك قد تأثروا بها . فقد اعترف لينين فيلسوف الشيوعية السوفييتيه بدينه الفكرى لبعض تعاليم (ناشايف) زعيم الحركة النهلستية التى من مبادئها التحلل من القيم الأخلاقية واعتناق مبدإ « الغاية تبرر الواسطة »

وعلى ذلك فإن طابع الصراع المسلح والحروب الروسية (الداخلية والتوسعية) ملىء بالعنف والتدمير الساحق . والتاريخ الروسى يسجل مذابح أهلكت فيها الأنفس بالآلاف ودمرت بها قطاعات بأكملها . فلا غرابة أن يقول الشاعر الروسى ألكسندر بلوك فى عنفوان الصراع السوفيتى الدامى للسيطرة على الحكم فى روسيا « إن ما نواجهه اليوم من مذابح ليس إلا صورة جديدة لمنظر قديم »

وحين نمى إلى « إيفان الخيف » إبان هجومه على (لننوغرود) بأن هذه المدينة تتفاوض سرا مع أعدائه ، لم ينتظر ليتحقق من صدق هذا التفاوض ؛ بل أسرع فضرب ضربته القاسية فأهلك ٦٠ ألف نسمة قتلا وحرقا وتنكيلا ، ولما تبين له خطأ حسابه لم يعتذر ولم يساوم ضحيته ، وتقبلت العقلية الروسية هذه الفظاعة على أنها أمر لا مفر منه وجزء من السلوك الروسى الذى لا يرحم فى الملمات

ويمثل هذه السلبية تقبلت العقلية الروسية فظائع الخان التترى الذى زحف من شبه جزيرة القرم متعقبا « إيفان الخيف » إلى موسكو فلم تسلم هذه المدينة القاسية إلا بعد أن أهلك الخان التترى نصف مليون من أهلها

وسلبية العقلية الروسية إزاء القساوة والعنف لا تقتصر على الصراع الداخلى والحروب الأهلية . فالتاريخ يسجل على نابليون قساوة رهيبة فى حملته الروسية ، وعلى جحافل هتلر فظاعة أهلكت النسل فى أكرانيا وروسيا البيضاء ، ومع ذلك فلم تجد العقلية الروسية وسلبيتها إزاء الأحداث الدامية غرابة فى أن تعود إلى مصادقة الألمان كما تدل على ذلك سياسة روسيا السوفييتية اليوم الداعية إلى الوحدة الألمانية . وسبب ذلك أن فى طبيعة الروس كثيرا من المرونة والانتهازية تتلون حسب الحاجة فتتلاءم مع الظروف والمناسبات

وثمة أمر آخر يتصل بسلوك العقلية الروسية إزاء العالم الخارجى ؛ فإذا كنت متفقا مع أصحاب الرأى القائل بأن العقلية الروسية مدفوعة فى رغبتها بالتوسع واختراق الستار القائم فى أطراف الأفق البعيد — مدفوعة بالخوف مما يكمن وراء هذا الستار من أعداء شداد — إذا كنت على وفاق مع أصحاب هذا الرأى فإنك لن تنتظر من العقلية الروسية (والسوفييتية أيضا) — وهى ماهى عليه من مقومات خلقية — أن تكتفى بالتحصن على حدودها الطبيعية وتقبل الالتزامات الدولية والمعاهدات القانونية مع العالم الخارجى على أنه ضمان لهذا التحصن

ويقول لك أصحاب هذا الرأى بأن من الصعب على العقلية الروسية أن تتحصن فى حدودها الجغرافية وتترك العالم الخارجى وشأنه . فالرغبة فى التوسع ليست مدفوعة بنزعة استعمارية كامنة فى العقل الروسى بقدر ما هى تلبية لشعور عميق بالخوف مما وراء الأفق . فذكريات الحروب النابوليونية والهتلرية فى روسيا الأوربية ، وفظاعة الحروب المغولية اليابانية فى روسيا الآسيوية لا تزال حية فى التفكير الروسى شعبيا كان أم سوفييتيا

ومما لاريب فيه أن استعداد روسيا السوفييتية اليوم عسكريا قد بلغ من القوة والمهارة بحيث يضمن الحدود الروسية الجغرافية إذا قيست الحروب بمقاييس الدفاع لا بمقاييس الهجوم . وامتلاك روسيا للقنابل الذرية وتفوقها فى السلاح الجوى والغواصات على

خصومها فى المعسكر الغربى لم يمنع عن العقلية الروسية (والسوفييتية) الخوف من هذا الخصم المخيف الذى يجثم وراء الأفق البعيد بقنابله الذرية يضرب بها موسكو والمدن الروسية فيعيد إلى الذاكرة تاريخ الغزوات النابوليونية والهتلرية والمغولية. ومن الطريف أن الوفد الروسى فى هيئة الأمم المتحدة يرفض باستمرار أن يبحث مشاريع خفض التسلح ومراقبة القنبلة الذرية قبل أن يأخذ وعدا قاطعا بتحطيم القنابل الذرية الموجودة حاليا لدى الدول الكبرى قبل الشروع فى التفاوض على مشاريع خفض التسلح ومراقبة الإنتاج الذرى؛ فهذا الإصرار مدفوع بهذه الخاصة — خاصة الخوف مما يكمن فى الأفق البعيد — التى هى جزء من مقومات الخلق الروسى القومى

وثقة الروس فى المعاهدات الدولية ثقة ضعيفة. فالواقع أن جوهر الخلاف بين المعسكرين المتطاحنين السوفييتى وحلف الأطلنطى هو أزمة فى الثقة، فلا الروس واثقون من أن خصومهم سيتقيدون بالمعاهدات الدولية فيحترمون حدود الوطن السوفييتى ومنطقة نفوذه، ولا الأمريكان واثقون من أن الحكومة السوفييتية تحترم المواثيق العالمية وتعكف عن التوسع الإقليمى والسياسى والفكرى فى آسيا وأوربا

ولعل الأمريكان صادقون حين يعرضون فى هيئة الأمم المتحدة على الروس مشاريعهم لخفض التسلح ومراقبة القنابل الذرية وحل الخصومات السياسية بين الدول عن طريق المفاوضة السلمية واحترام الحدود الجغرافية والمواثيق الدولية وما يوفره القانون الدولى من معاول لصيانة السلم وإبعاد شر الحروب بواسطة الأمم المتحدة أو عن طريق المعاهدات الثنائية والمتعددة الأطراف، وذلك لأن الأمريكان قد عاشوا فى عزلة عن العالم الخارجى طوال تاريخهم القصير فلم يسبق أن اعتدى عليهم عدو قاس كنابليون وهتلر وتيمورلنك. فحروب الأمريكان كانت حروبا خارجية فى ميادين تفصلها عن أمريكا قارات ومحيطات

ولكن من الصعب على العقلية الروسية والأوربية إجمالا أن تمد يدها إلى الخصوم بمثل هذا الصفاء، وأن تأخذ المعاهدات الدولية لصيانة السلم فى طيبة قلب وثقة تامة. فقد مر بالشعوب الأوربية (روسية وغير روسية) أحداث خرقت فيها العهود وأصيبت هذه الشعوب من جراء ذلك بالأحداث والويلات والكوارث

فلا غرابة إذن أن نلمس اتجاها ملحوظا بين دول أوربا الغربية فى مخالفة الأمريكان فى سياستهم نحو الاتحاد السوفييتى. فحين قدمت موسكو فى الآونة الأخيرة عروضا جديدة لحلفاء الغرب لتسوية المشكلة الألمانية وتفادى إحياء البأس العسكرى الألمانى. وجدت هذه العروض الروسية صدى حسنا فى أوربا الغربية بينما أصر الأمريكان على رفض هذه العروض الروسية. فذكريات الحربين العالميتين الأخيرتين والحروب الأوربية السابقة لا تزال تؤثر فى عقلية الرجل الأوربى فتجعله أميل إلى مساومة الروس منه إلى الدخول معهم فى حرب طاحنة. أما الأمريكى فلا يزال فى باطنه « انعزاليا » يعتقد بأنه مستطيع أن يربح أى حرب جديدة يشترك فيها دون أن يجعل الوطن الأمريكى ميدانا. ومن ثم نستطيع أن نفسر حماس الأمريكان لإنشاء القواعد العسكرية فى أوربا وآسيا وإفريقيا وبذل المال والجهد لتقوية الجيوش الأوربية الحليفة وتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط وإعادة البأس العسكرى لليابان على احتساب أن اليابان خصم تقليدى للاتحاد السوفييتى

نيويورك — للكلام بقية — عمر حليق

من سير الخالدين

حيـــــاة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٢ —

بداية الشوط

انتقل المازنى إلى مرحلة جديدة ، أو منتظمة ، فى الدراسة عندما دخل المدرسة « القربية » على مقربة من داره . وكانت على عهده كما يصفها :

« مثلما ضمت سبيل من صنوف الخلق وفدا

أو كيوم الحشر ، أو وقفة عرفات على الأقل » . وكان ناظرها جاراً وصديقاً لأبيه . فأفادته هذه الصداقة اهتمام الناظر به ورعايته لشأنه ، كما أنزلته بين أترابه التلاميذ منزلة مرموقة ، فجعلوه رسولا بينهم وبين الناظر يتصلون به إلى إجابة مطالبهم وتحقيق رغائبهم .

وكان الطفل أعلم بموطن الضعف فى نفس ناظره ، فما كان يأتيه من ناحية صداقته لأبيه وكفى ، بل يتحرى فى مخاطبته أن ينعته دائماً بلقب « البكوية » ، وكان حديث عهد به ، فلا يقصده مرة ويكرر على سمعه هذا اللقب مرات ، حتى يرتد مطيب الخاطر مقضى الرغبة مستجاب الرجاء .

ويذكر المازنى أنه كانت فى هذا الناظر سذاجة عجيبة ، وأنه كان جاهلا وإن تظاهر بالعلم بكل شىء . ومن نوادره التى يرويها أنه دخل يوماً إحدى الفرق وكان الدرس درس ترجمة . . «وكان المعلم غائباً ، ولم يكن هو يعرف ذلك وإن كان فيما يزعم إداريا حاذقاً . ولكنه سمع ضجتنا العالية فسأل فقيل له إن هذه الفرقة ليس فيها معلم ، فلم ينتدب غيره بل جاء هو إلينا بنفسه ــ وبطوله وعرضه ــ وسألنا « مالكم يا أولاد ؟ » قلنا « ياسعادة البك المعلم غائب » . قال « الدرس إيه ؟ » قلنا « ترجمة ياسعادة البك » . فانشرح صدره واغتبط وأيقن أنه سيظل يسمع منا مايسره فقال « طيب ، وإيه يعنى ؟ » . فقلنا ياسعادة البك لم نفهم الدرس السابق ياسعادة البك » . فسأل عن هذا الدرس السابق الذى استعصى علينا فقلنا له إنه كان يحاول أن يعلمنا النفى فى اللغتين العربية والإنجليزية ولكننا لم نفهم عنه . فأعرب لنا بعبارات صريحة عن دهشته وتعجبه لوزارة المعارف التى تعين مدرسين لايحسنون تفهيم التلاميذ ، وأكد لنا أنه يعطف علينا لأننا نؤدى للوزارة أجور التعليم كاملة ولا نتعلم مع ذلك شيئاً . ثم قال إن المسألة بسيطة وإن النفى سهل جدا وإن أدواته فى اللغة العربية معروفة وهى « لا ولم ولن الخ » والأمثلة سهلة ومعروفة ، وشرع يسوق الأمثلة فلما بلغ « لم » قال « مثلا . . لم كتب . لم ضرب . لم ذهب » فانفجرنا ضاحكين ولنا العذر . فلما سكنت العاصفة بعض السكون قال يوبخنا ويزجرنا ويعظنا « تضحكون ؟ إسكون .. إسكون » فلم يبق منا طفل على مقعده من شدة الضحك . ولم يسكتنا الخوف منه ، وإنما أسكتنا الألم الذى صرنا نحسه فى بطوننا من الضحك الطويل » .

ومن معلميه فى هذه المدرسة شيخ كانوا يسمونه فيما بينهم « الأسد » وكان قاسياً غليظ الكبد سريع الغضب ، ومن لوازمه « خيزرانة » قصيرة يدسها فى طيات ثيابه . . « وقد أطعمنيها مراراً كثيرة ، وذاقتها كفاى وذراعاى وساقاى وظهرى وعرفت طعومها كلها بالخبرة الطويلة والتجربة المعتادة » .

وإلى هذه المدرسة ، أو إلى معلم الخط فيها ، يعزو المازنى رداءة خطه ، وحكاية ذلك مانرويه هنا عنه .

« كان الشيخ الذى يعلمنا الخط وحشاً ، أعنى أنه لم يكن وحشاً حقيقيا ، وإنما كان وحشاً آدميا غليظ القلب منحوس الضربة ، وكان بناء المدرسة عتيقا متداعيا ، والأبواب ذات مصراع واحد ، وكانت إذا فتحت تسند بالحجارة . فكان هذا الشيخ لايعاقب التلاميذ إلا بشىء واحد . يضع الواحد راحته على المكتب ، ويجىء الشيخ بحجر الباب ويدق به عقل الأصابع . وكان هذا عقابه الوحيد على رداءة الخط ، وعلى كل خطأ أو ذنب يرتكب . فكيف يرجى ممن تدق أصابعهم بالحجارة أن يحسنوا الخط ويجيدوا الكتابة ؟ فهذا سبب أن خطى ردىء » .

وأتم الطفل دراسته الابتدائية . وجاء أخوه الأكبر إلى أمه يشير عليها بأن تكتفى من تعليمه بهذا القدر . على أنها أبت ذلك وأصرت على إبائها حين ألح عليها ، حتى أنذرها ذلك الأخ أنه مانع عنهما بعد ذلك معونته وقابض يده . ولعل هذه الحادثة قد زادت المازنى الطفل شعوراً بوطأة الفقر وحنقاً عليه ، ودفعته إلى بذل الجهد فى سبيل تحقيق رغبة أمه فى أن يتم تعليمه إلى نهايته . وكانت الأيام قد أنضجته وتقدمت به فساعده ذلك على أن يصمد لتجارب الحياة وأن يستوعب جيداً دروسها القاسية

ودخل المازنى المدرسة الخديوية وهو على أعتاب الشباب . ولعل هذه الفترة ـ فترة الدراسة الثانوية ـ كانت بداية التكوين الحقيقى للرجل الذى صاره من بعد . ولعلها كذلك كانت بداية ميله إلى القراءة والأدب ، فما كانت الدراسة الابتدائية لتسمح بإظهار مثل هذا الميل ، فضلا عن أن سنه لم تكن تهيؤه قبل ذلك للقراءة الواسعة أو الصبر عليها

ولا يشير المازنى كثيراً إلى فترة دراسته الثانوية فيما كتب عن ذكريات طفولته وصباه ، فلعلها قد تقضت فى الجد الصرف من ناحية مشقة التحصيل ، وفى محنة قاسية من شظف الرزق والعيشة . على أنه يحدثنا أنه فى أخريات هذه الفترة ـ وكان قد بلغ السادسة عشرة ـ اعترضت الحمى طريقه وألحت وطأتها عليه ، وقضى طيلة صيف ذلك العام وهو يعانى وقدتها . ويقول « فى إحدى الليالى ثقلت على وطأة المرض جدا ، حتى جزعت أمى على ما أخبرتنى بعد ذلك ، وكادت توقن أنى هامة اليوم أو الغد ، لولا أن الأم لا تفقد أملها . وكنا فى بيت كل غرفة فيه تصلح أن تكون ساحة أو ملعباً ، وكانت نوافذ الحجرة التى أرقد فيها تطل على فناء البيت وفيه شجرة جميز عظيمة ، تصل أغصانها الذاهبة فى الهواء إلى النوافذ ، وكنا نضع قلل الماء على أحد هذه الشبابيك لتبرد ، فحدث أن مدت أمى يدها إلى قلة تريد أن تشرب ، ففلتت القلة من بين أصابعها وهوت إلى أرض الفناء ففزعت أمى واضطربت جدا ، وكبر فى ظنها أن هذا نذير بموتى ، وخطر لها أن تنحدر إلى الفناء فى فحمة الليل لترى أسلمت القلة أم تحطمت . . ومن العجائب أن القلة لم يصبها سوء ، ولعل ذلك لأنها وقعت على أرض رخوة طرية كثيرة البلل تحت ظل الشجرة . وقد حدثتنى أمى بعد ذلك وهى تروى لى هذه القصة أنها بكت وأنها عجزت عن القيام ، فظلت قاعدة على الأرض غير عابئة بالبلل ، والرطوبة والوحل ، وفى يدها القلة ، والدموع تنهمر من عينيها ؛ دموع الأمل والاستبشار . وقضت ساعة فيما تحس ، ثم نهضت فصعدت ، ودنت منى وأنا نائم ، ولمست وجهى بكفها ، مترفقة محاذرة ، مخافة أن توقظنى ، فإذا أنا أتصبب عرقاً ، وإذا بثيابى كلها ـ كما قالت ـ عصرة . وأصبحت وقد ذهبت عنى وقدة الحمى وأخذت أتماثل »

ويتحدث المازنى عن الفرق بين الدراستين الابتدائية والثانوية فيقول : « إن التعليم الثانوى كان انتقالا بأدق المعانى ، فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزيا ـ الناظر والمدرسون والتعليم ـ ماعدا اللغة العربية ، ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ، ولكننا كنا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان ـ لا أدرى لماذا ؟ ـ وكان المفتش الأول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من أعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلا طيباً ووقوراً مهيبا ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك ، بل نراه أمراً طبيعيا جدا . وأعتقد أن منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من أهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فإنى أرانى إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين ألتقى بواحد منهم وإن كنت لم أستفد منهم شيئاً يستحق الذكر » .

وللمازنى مع الشيخ حمزة فتح الله حادثة طريفة لا تخلو من دلالة . وكان يؤدى الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية ، والشيخ رئيس لجان اللغة العربية . وندع المازنى يروى بقلمه قصته مع الشيخ :

« لما جاء دورى اتفق أنه كان موجوداً ، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سألنى ماذا أحفظ؟ وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرأت خطبة قصيرة للنبى صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى وألهمنى الله أن أقول إنى أحفظ خطبة للنبى ، ففرح الشيخ جدا وخلع حذاءه وصاح « **قل ياشاطر ، قل ياشاطر فتح الله عليك** » وسترنى الله فلم أخطىء ، واكتفى الشيخ بهذا وأعفانى من النحو والصرف والإعراب » .

وقد التقى المازنى بالشيخ مرة أخرى . وكان اللقاء فى هذه المرة

٦ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

العامل الدينى :

كان « هبل » أعظم صنم لقريش فى مكة ، وكان مكانه فى جوف الكعبة ، وفيه يقول ابن الكلبى (١) : « وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر ، على صورة الإنسان ، مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب » . وهو الذى قال له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد :

أعل هبل !

— أى أعل دينك — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الله أعلى وأجل ! !

عند هذا الصنم الجليل القدر لديهم كانت توضع « الأزلام » ، ويقوم الكهان أو السدنة بإجالتها وإفاضتها لمن يريد الاستقسام ، إعظاما للأمر الذى يبغونه ، فهم يختارون موضع القضاء فى أقدس مكان لهم ، وإعظاما للحكم الذى يرتضونه ، فإن الذى حكم به هو سادن الكعبة ، أو أحد كهانهم

فكانوا يذهبون إلى « هبل » ، ومعهم (مائة درهم) و (جزور) ، ويعطونها لصاحب القداح الذى يضرب بها (٢) ، ثم يقربون صاحبهم الذى يريدون الحكم فى نسبه إن أرادوا ، ثم يقولون : « يا إلهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ! » ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ! فيجيل القداح ويفيضها ، فإن خرج (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج (ملصق) كان على منزلته ، لا نسب له ولا حلف

وإن استشاروه فى أمر يقتضى (نعم) أو (لا) فخرج (نعم) عملوا به ، وإن خرج (لا) أخروا الأمر عاماً كاملا ثم أتوا مرة

(١) الأصنام ص ٢٨

(٢) قال أبو حيان فى تفسيره : « والمائة للضارب بالقداح ، والجزور ينحر ويؤكل »

عاصفاً ، تجلى فيه غضب الشيخ الحليم وتحفز الطالب الطلعة . ولا بأس أن نوردهنا حديث ذلك اللقاء وإن كنا نسبق بذلك ترتيب الحوادث قليلا ؛ فقد كان المازنى يومذاك فى آخر عهده بمدرسة المعلمين ، وكان يؤدى الامتحان النهائى للتخرج ، وكانت لجنة الامتحان الشفوى فى اللغة العربية برياسة الشيخ حمزة ومن أعضائها الشيخ عبد العزيز شاويش والأستاذ عاطف بركات . .

« فقال أحد إخوانى بعد خروجه من الامتحان أن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب أن يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحواً ولا صرفاً فى المدرسة لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب . فأيقنا بالفشل وجاء دورى فدخلت وأنا واثق من الرسوب وجلست أمامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون فقرأت . ولا أزال أذكر فاتحة الكلام وهى « إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها » إلى آخره ، فقال ضع الكتاب فوضعته . فسألنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدى وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليها الفعل « اعتدى » مثل «اعتديا» للماضى المثنى و « اعتديا » للأمر ، فسألنى لماذا كان الماضى بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سببا وقلت إنه لاسبب هناك سوى أن العرب نطقوا بها هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال ولكن لهذا سببا . قلت إن اللغة سبقت النحو والصرف ، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإن هذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه ، وحدثت نفسى أنه خير لى وأكرم أن أسقط بخناقة من أن تكون علة سقوطى الجهل . وأصررت على رأيى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا أن المرحوم الشيخ شاويش تدارك الأمر ، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة وقال « العصر وجب يامولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « إى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى » .

للكلام بقية

محمد محمود حمدان

أخرى يستقسمون بالأزلام [٣]

بهذا العامل الديني ، وبهذا الشعور الروحي الوثني استقسم عبد المطلب بن هاشم مرتين :

١ — في حفر بئر زمزم [٤] ، حينما أمر في منامه عدة مرات بحفرها ، وقام ليقضي ما كتب عليه في منامه ، فحفر في البئر — ولم يكن له من الولد حينئذ إلا الحارث بن عبد المطلب — فلما تمادى به الحفر وجد فيما حفر غزالين من ذهب خالص ، ووجد أسيافا قلعية وأدراعا ، فقالت له قريش : يا عبد المطلب ، لنا معك في هذا شرك وحق !! قال : لا ، ولـكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم ، نضرب عليهـا بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعل للـكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولـكم قدحين ، فمن خرج له قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت ! فجعل قدحين (أصفرين) للـكعبة ، وقدحين (أسودين) لعبـد المطلب ، وقدحين (أبيضين) لقريش [٥] ، ثم أعطوا تلك القداح لصاحب القداح التي يضرب بها عند « هبل » ، فضربها على الغزالين فخرج (الأصفران) فكانا من نصيب الـكعبة ، ثم ضربها أخرى على الأسياف والدروع فخرج (الأسودان) فكانا من نصيب عبد المطلب ، وتخلف قدحـا قريش لم يظفرا بشيء . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للـكعبة ، وضرب في البـاب الغزالين من ذهب ، فأرضى بذلك نفسه وشعوره الديني العميق ، وحسم الخلاف بينه وبين قومه بما حكم به « هبل » ، وهو الذي لا يرد له قضاء !!

٢ — والمرة الثانية حينما نذر حين لقي من قريش مالقي عند حفر بئر زمزم واستخفافهم به لقلة ولده [٦] : لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الـكعبة !! فلمـا توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني . ففعلوا ثم أتوه ، فدخل بهـم على « هبل » في جوف الـكعبة ، وكان منصوبا على بئر يجمع فيها ما يهدى إلى الـكعبة . فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند « هبل » يدعو الله جاهـدا ، ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على (عبد الله) وهو أعز ولده عليه ، فأخـذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إسـاف ونائلة [٧] ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، وكذلك قام بنوه ، فقالوا : والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه ! لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟!

وكان أن لجئوا إلى عرافة في « خيبر » يسألونهـا في ذلك ، فقالت : كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل . قالت ، فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقـد رضي ربكم ونجا صاحبكم !

فرجعوا إلى مكة ، وضربوا بالقداح بين عبـد الله وبين عشر من الإبل ، فخرج القدح على (عبد الله) ! فزادوا عشرا وضربوا ، ثم زادوا عشرا وعشرا حتى بلغت مائة ، فضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ! فضربوا ثلاث مرات توثيقا للأمر ، كل ذلك يخرج القدح على الإبل المائة . فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا يمنع

فهاتان الحادثتان تدلان على مقدار خضوع سـادة العرب وأشرافها لحـكم الأزلام ، ومبلغ اضطرارهم وتقديسهم لأحكامها

تقديس الأزلام

وبلغ من تقديسهم للأزلام أنهم جعلوا في البيت الحرام صورة لإبراهيم عليه السلام ، وفي يده الأزلام التي يستقسم بها [٨]

(٣) السيرة ٩٧ — ٩٨ جوتنجن

(٤) السيرة ٩١ — ٩٧

(٥) هذا دليل آخر على أن أزلام الاستقسام لم تكن ذات نمط واحد ، أو نظام واحد

(٦) سبق القول أنه لم يكن له من ولده عند حفر زمزم إلا ولد واحد ، هو الحارث

(٧) إساف ونائلة : صنمان كان بمكة ، جعل أحـدهما بلصق البيت والآخر بزمزم ، وكان ينحر عندهما ، وكانت الجاهلية تتمسح بهما . ياقوت

(٨) انظر السيرة ٨٢١

وفى حديث فتح مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت فرأى إبراهيم وإسماعيل بأيديهما الأزلام(٩)

قال ابن هشام (١٠) : « وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ؟ ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست »

وفى مسند أحمد (١١) برقم ٣٠٩٣ عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فى أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله ! أما والله لقد علموا ما اقتسما بها قط »

الأزلام فى التاريخ الدينى القديم

نص القرآن الكريم على حادثين اثنين كان للأزلام فيهما نصيب ، ولكنها لم تكن على ما كانت عليه عند العرب من التقديس الوثنى ، بل كانت بمثابة القرعة التى سيأتى الكلام عليها :

الحادث الأول أشار إليه الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » آل عمران ٤٤

والحادث الثانى أشار إليه قصة يونس : « فساهم فكان من المدحضين » . الصافات ١٤١

١ — أما الأول فهو ما كان من أمر زكرياء عليه السلام . روى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار أبناء هارون — وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة — فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ! فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وكانت بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل وملوكهم ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها ، عندى خالتها . قالوا : لا حتى نقترع عليها . فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر الأردن فألقوا فيه (أقلامهم) ، فارتفع قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها

واختلف المفسرون فى هذه الأقلام فقال بعضهم : هى أقلام الكتابة كانوا يكتبون بها التوراة ، فاختاروها للقرعة تبركا بها

وقال بعضهم : الأقلام هنا الأزلام ، وهى القداح

وقال أبو مسلم : كانت الأمم يكتبون أسماءهم على سهام عند المنازعة ، فمن خرج له السهم سلم له الأمر . وهو شبيه بأمر القداح التى يتقاسم بها الجزور(١٢)

وقال ابن قتيبة(١٣) : وكانوا تشاحوا فى كفالتها ، فضربوا بالقداح ، وهى الأقلام ، فخرج قدح زكريا فكفلها

٢ — وأما الثانى فما كان من أمر السفينة التى ركب فيها يونس عليه السلام فرارا من قومه ، حين ذهب مغاضبا ، فلما أبعدت السفينة فى البحر ويونس فيها ركدت ، فقال أهلها : إن فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع . فأخذوا لكل منهم سهما على أن من طفا سهمه فهو ، ومن غرق سهمه فليس إياه . فطفا سهم يونس ، ففعلوا ذلك ثلاثا تقع القرعة عليه ، فأجمعوا على أن يطرحوه ، فألقى بنفسه فالتقمه الحوت(١٤)

وقصة يونس هذه — وتسمية كتب العهد القديم يونان — مذكورة بتفصيل فى سفر « يونان » ، جاء فى الإصحاح الأول :

« فقام يونان ليهرب إلى « ترشيش » من وجه الرب ، فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش ، فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب . فأرسل الرب ريحا شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر . فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه وطرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم . وأما يونان فكان قد نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا. فجاء إليه رئيس النوتية وقال له : مالك نائما . قم اصرخ إلى إلهك

(٩) اللسان (قسم)

(١٠) السيرة ٨٢١ — ٨٢٢

(١١) الجزء الخامس بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر . وانظر أيضا رقم ٣٤٥٥ من المسند

(١٢) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٤٢ ، ٤٥٨ — ٤٥٩) وكذا تفسير الزمخشرى (١ : ١٤٣)

(١٣) الميسر والقداح ٣٨

(١٤) تفسير أبى حيان (٢ : ٤٥٩)

عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك . وقال بعضهم لبعض : هلم نلقى قرعا لنعرف بسبب من هـذه البلية . فألقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان . فقالوا له : أخبرنا بسبب من هـذه المصيبة علينـا . ما هو عملك ومن أين أتيت ؟ ما هى أرضك ومن أى شعب أنت ؟ فقال لهم : أنا عبرانى وأنا خائف من الرب إله السماء الذى صنع البر والبحر . فخاف الرجال خوفا عظيما وقالوا له : ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنـا . لأن البحر كان يزداد اضطرابا . فقال لهم : خـذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأننى عالم أنه بسببى هـذا النواء العظيم عليـكم » .. « ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه ، فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا : وأما الرب فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان ، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال »

وبعد أن يسرد سفر (يونان) صلوات (يونان) فى جوف الحوت يقول : « وأمر الرب الحوت فقذف يونان إلى البر »

فهاتان القصتان على ما فيهما من حمل المفسرين الأقلام فيهما والمساهمة على معنى أزلام الجاهلية ، لا ريب أن ما فيهما من صنيع هو بعيد كل البعد عن صنيع أهل الجاهلية فيما كانوا يحملون لتلك الأزلام من قداسة ومن شرائط دينية وتقاليد خاصة ، وإنما هاتان ضرب من (القرعة) لا يزيدان عن تلك شـيئا ولا ينقصان شيئا

والنص الذى سقته من سـفر يونان مؤيدا أنها قرعة بعيدة عن الاستقسام الوثنى

التمرد على الأزلام

وقد بدت ظاهرة من ظواهر التمرد على تلك الأحكام الدينية فيما رواها ابن الـكلبى [١٥] من أن امرأ القيس بن حجر أقبل يريد الغارة على بنى أسد ، فمر بذى الخلصة — وكان صنما بتبالة [١٦] — وكانت العرب جميعا تعظمه ، وكانت له ثلاثة أقداح : الآمر ، والناهى ، والمتربص . فاستقسم عنده ثلاث مرات فخرج (الناهى) فكسر القداح وضرب بها وجه الصنم وقال : « عضضت ب... أبيك ! لو كان أبوك قتل ما عوقتنى ! »

ثم قال فى ذلك :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم غزا بنى أسد فظفر بهم

قال ابن الـكلبى : « فلم يستقسم عنـده بشئ حتى جاء الله بالإسلام ، فكان امرؤ القيس أول من أخفره »

(للبحث بقية) **عبد السلام محمد هارون**

(١٥) فى كتاب الأصنام ص ٤٧ وعنه ياقوت فى معجم البلدان (الخلصة)

(١٦) تبالة : واد مجاور لوادى بيشة ، من أرض تهامة فى طريق اليمن وفى صحيح الأخبار للعلامة محمد بن بليهد (١ : ٦٨) : وتبالة باقية بهـذا الاسم إلى يومنا هـذا على شـاطئ بيشة الشمالى » . وقال ابن حبيب فى المحبر ٣١٧ عند الـكلام على ذى الخلصـة : « وهو اليوم بيت قصار فيما أخبرت » . وقال المبرد فيما نقله عنه ياقوت : « موضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات »

المسلمون

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن من ألزم اللوازم للمسلمين — كأمة فى مجموعهم — صحيفة تنطق بلسانهم ، وتعبر عن مشاعرهم وعواطفهم ، وتدعو إلى مبادئهم وتوضح أهدافهم ، وترسم الطريق إلى الخلاص من آلامهم ، وتحمل بصدق وعزيمة رسالتهم إلى الدنيا مشرقها ومغربها ..

أجل ! إن المسلمين — كأمة فى مجموعهم — فى أمس الحاجة إلى هذه الصحيفة التى تبعث الشعوب الإسلامية المبعثرة الممزقة من مرقدها ، فتربط بينها برباط وثيق من الأخوة الصادقة ، والتى تثير خواطرها ، وتستفز هممها ، حتى تزيح عن أعناقها أرباق العبودية والمسكنة ، وعن كواهلها أعباء المذلة والهوان ، والتى تعرض الإسلام من جديد ، ديناخالصا ، وإسلاما مصفى ، لادخن فيه ولا دخل

وقد أدرك حاجة المسلمين إلى صحيفة تنطق بلسانهم ، الحكيم الثائر « جمال الدين الأفغانى » وصنوه « الإمام محمد عبده » فأخرجا إلى الوجود « مجلة العروة الوثقى » . وكانت تنشر فى باريس حيث كان المجاهدان قد اتخذاها وطنا ثانيا لهما ، أو اتخذها الاستعمار منفى لهما ؛ ولم يقدر لهذه المجلة الثائرة الملتهبة أن تعمر طويلا ، بعد أن لاقت ما لاقت من عنت الاستعمار واضطهاده .

ثم قام بعدها بهذه المهمة الدقيقة الثقيلة تلميذها « السيد محمد رشيد رضا » . فأخرج إلى الوجود مرة ثانية مجلة « المنار » سار بها على نهج سلفيه الصالحين ، فكانت بحق شعلة متقدة ، وجذوة ملتهبة ، واستطاعت أن تلفت إليها أنظار المسلمين فى كل بقعة إسلامية . كانت سياسية متطرفة تحمل على الاستعمار الأجنبى فى أية أرض إسلامية ، وتناهض حكومات الشعوب المسلمة الإقطاعية ، منددة بها ، ومنذرة إياها بأوخم العواقب ، ولقد توقف ظهورها بعد أن لحق صاحبها ومنشئها بالرفيق الأعلى وإن كان جهادها ظل متواصلا بما تركته من أثر فعال فى نفوس الأغيار من المسلمين ، وبما تركته مجلداتها الضخمة من آثار علمية ستبقى خالدة ما خلدت السموات والأرض إن شاء الله تعالى

ثم مرت فترة طويلة حرم المسلمون خلالها لسانهم الناطق ، حتى أخرج لهم الشهيد الأعزل « حسن البنا » مجلة «الشهاب» فكانت شهابا يضئ ويحرق ، يضئ السبيل نحو الحياة الصحيحة التى تليق بالشعوب المسلمة ، ويحرق الطواغيت التى تعترض هذه السبيل ، وما أن ظهرت هذه المجلة حتى تلقتها الأيدى المسلمة فى كل مكان ، وحرص على أذخارها الشبيبة المثقفة والطليعة الناضجة ، ولقد اتجه منشئها — رحمه الله — حين أراد إصدارها إلى أن يتولى تحرير موضوعاتها المبرزون المسلمون من كل قطر إسلامى ، لتكون صدى لدعوته الجامعة التى لا تعترف بالمركزية بين الشعوب الإسلامية ، ولم يعمر « الشهاب » أيضا طويلا ، فتوارى عن الأعين ، حين اختبرت دعوة الإخوان بمحنة قاسية ، خرجوا منها وهم أرسخ عقيدة وأثبت إيمانا

ثم بدأ الفراغ يتخذ أفقا أوسع من جديد ، وحرم المسلمون للمرة الرابعة صحيفتهم ، ولم يطل حرمانهم فى هذه المرة ، إذ برز فى الميدان الأستاذ « سعيد رمضان » ليملأ الفراغ بمجلته « المسلمون » ولتنهج منهج الشهاب وتنسج على منواله ، وتكون امتدادا لمنهجه ، والأستاذ سعيد رمضان شاب فى نضرة الشباب ، مثقف بالثقافتين المدنية والدينية ، فقد تخرج فى كلية الحقوق ، كما تخرج فى جامعة حسن البنا الدينية وأكرم بها من جامعة ، ويعتبر خليفة حسن البنا الأول فى الخطابة والإلمام بدقائق المسائل والمعانى الإسلامية الحية

طاف الأستاذ سعيد رمضان بجميع البلاد الإسلامية بلدا بلدا ، ومعظم الممالك الغربية ، وأعانه على هذا تنفيه عن مصر خلال محنة الإخوان ، فقد أصدرت الحكومة وقتذاك الأمر باعتقاله ، وهو يطوف بالبلاد العربية داعيا إلى الله تعالى ، واستطاع أن يصل إلى الباكستان خشية أن تستجيب الحكومات العربية إلى رجاء الحكومة المصرية فتسلمه إليها ، وفى الباكستان نال

مكانة مرموقة فى ميدان السياسة الإسلامية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد أن انجلت المحنة وتلاشت السحب

ومما لا ريب فيه أن الأستاذ سعيد رمضان أفاد خبرة واسعة من جولته التى استغرقت بضع سنين ، فقد اتصل بالشعوب الإسلامية كلها ، وتعرف على آلامها وآمالها ، ودرس وناقش قضاياها ، وألم إلماما دقيقا بشؤونها وأحوالها ، ووقف على الكثير من أسرارها وخفايا أمورها ، كما اتصل بزعماء المسلمين ، وسبر أغوارهم ، وخبر جهادهم ومطامعهم ، فإذا أضفت إلى خبرته هذه تمكنه من دعوة الإخوان المسلمين ، وإسهامه بنصيب ملموس وجهد مشكور فى مجلة الشهاب ، أيقنت بأنه جدير كل الجدارة بأن يخرج للمسلمين مجلته « المسلمون »

لقد مضى على « المسلمون » عام ، وها هى ذى قد بدأت منذ أيام عامها الثانى ، وأمسكنا القلم طيلة العام الماضى والأول من حياتها حتى تكمله ، فنستطيع أن نحكم لها أو عليها ، غاضين الطرف عن الأخوة التى تربطنا بصاحبها ومؤسسها ، لأن النقد البرئ الخالص يجب أن ينسى حياله كل عاطفة ، ويهمل كل محسوبية

اتضح لنا أن « للمسلمون » هدفين : الأول تقديم زاد إسلامى مصفى ، من موارد موثوق بها ، وثقافة إسلامية عذبة مطمأن إليها ، وتاريخ صادق معتمد لا زيف ولا شائبة فيه . والهدف الآخر احتضان قضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها ، وتحليل آلامها وأوجاعها . أما الهدف الأول فقد وفقت فيه توفيقا كاملا نغبط عليه ، وأما الهدف الآخر فلم تزل تسير نحو تحقيقه بخطى وئيدة ، وكان المنتظر أن توفق « المسلمون » التوفيق الكامل فى الهدف الآخر . وفى حقائب الأستاذ سيد رمضان من المواد والمعلومات التى جمعها من جولته ، ماتضيق عن استيعابها الأسفار الضخام ، وقد سبق أن ناقشته هذا النقص فأبدى من الأعذار ما أعتقد اليوم زوال أسبابها ، وفى العدد الأول من السنة الثانية لمسنا عناية ملموسة بالأوطان الإسلامية وقضايا شعوبها ، نرجو أن تزداد فى المستقبل إن شاء الله تعالى

وفى المجلة موضوعات يمكن الاستغناء عنها مؤقتا ، لأن حالة المسلمين لا تستدعى هذه البحوث الجدلية التى لا صلة لها بحاجتهم ، وهم أحوج ما يكونون إلى المعانى الجديدة الحية ، التى تضيء أذهانهم ، وتثقف أفكارهم ، وتنمى ملكات التفكير فيهم ، وتصون عقائدهم مما شابها من الدخل ، وكتابها من المبرزين المعدودين فى الشرق الإسلامى والحمد لله

وبعد فيمكننا أن نقول — غير محابين — إن مجلة « المسلمون » قد ملأت الفراغ الذى تركته العروة الوثقى والمنار والشهاب ، وإن الداعية الكبير الأستاذ سعيد رمضان جدير بأن يكون ربانها ، ليقطع بها المراحل ، فتصل إلى الشعوب المسلمة على اختلافها ، لأنها غذاءها الطيب الشهى ، ولسانها المعبر عن مشاعرها وعواطفها

محمد عبد الله السمان

---

٤ – تركيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

طاغية

وعدت القراء في نهاية المقال السابق أن أحدثهم عن الحركة المجيدة التي أنقذت تركيا من الحرج الذي كانت فيه ١٩٢٠ ومن الأزمات والنكبات التي حلت بها في ذلك التاريخ ، ولكني أرى لزاما على أن أشير إلى العوامل الداخلية التي كانت سبب تلك الكوارث بعد أن تحدثت عن أسبابها الخارجية ، وبذلك نضع أمام القراء صورة انحلال تركيا الداخلية والخارجية ثم بعد ذلك نتحدث عن الحركة الكمالية أو حركة الإنقاذ

كانت أوربا تتحدث جميعا منذ القرن الثامن عشر عن قرب انحلال تركيا ، وأكثر من هذا قامت بعض الدول بمفاوضات بقصد تقسيم تركة تركيا . والواقع أن ضعف تركيا كان يرجع إلى عوامل متعددة منها ماهو داخلي ومنها ماهو خارجي

ولعل من أهم العوامل الداخلية كثرة الشعوب والأجناس التي كانت تركيا تحكمها ، فقد كانت تحكم إمبراطورية واسعة يسكنها البلغاريون واليونانيون والصربيون والجبليون والرومانيون والسوريون والعراقيون والمصريون والعرب والمغاربة وغيرهم ، وكانت هذه الشعوب تختلف في الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد ، وتختلف أيضا عن الدولة الحاكمة في تلك النواحي الأمر وذلك ماجعل الإمبراطورية العثمانية معرضة للانحلال بمجرد ضعفها

وكان أهم أسباب ضعف تركيا فساد الحكم التركي في تركيا ذاتها وفي أملاكها ، فقد كان الخليفة أو السلطان رأس الدولة موطن الفساد والانحلال وسبب السوء والضعف

صحيح أن بعض المحاولات للاصلاح قد قامت فعلا ولكنها فشلت..أولا لأن الدول كانت حريصة على أن تظل تركيا ضعيفة منحلة تستطيع الدول أن تقتطع لنفسها من أملاكها ماتشاء حين تحين الظروف أو تواتي المناسبات. وثانيا لأن العقلية الرجعية كانت تسيطر على الخلفاء الأتراك وحشيتهم ووزرائهم مما جعل هذه الحركات الإصلاحية عديمة القيمة

وتناهت الأمور إلى السلطان عبد الحميد ١٨٧٦ الذي تولى العرش على أكتاف الأحرار من أبناء حزب تركيا الفتاة الذي كان يتزعمه مدحت (باشا) وقد كانت الحياة النيابية أهم أماني مدحت الذي كان يرى أن الحياة الدستورية الصحيحة هي السبيل الوحيد لإنقاذ تركيا

وقد كانت تركيا إذ ذاك في موقف لاتحسد عليه ، فالشعوب البلقانية ثائرة والدول تتدخل لإنهاء الموقف فوجد السلطان عبد الحميد أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هي إصدار الدستور فهو كفيل بإسكات الأحرار من الأتراك والثوار من رعاياهم ؛ بل أكثر من هذا إنه سيقضى على محاولات الدول للتدخل في شؤون تركيا

أصدر عبد الحميد الدستور ١٨٧٧ ولكنه كان غير مؤمن به ولذلك لم يلبث طويلا أن قضى عليه فحل البرلمان ونفى مدحت « ذلك المجرم الذي احتل الناس وساقهم في طريق الغواية » وشتت أنصاره وأتباعه وأصبحت تركيا سجنا للأحرار من الرجال

وأقام عبد الحميد من نفسه طاغية جبارا يتحكم في الرقاب وينشر الظلم والذل والاستعباد وملأ الحكومة برجال لا أخلاق لهم ولا مبدأ ولا عهد ولا دين ، غايتهم الوحيدة الإثراء وجمع المال بأي طريق « هذا هو العهد الذي كان فيه المال والثروة غرض الحياة الأعلى ، وما كان ذلك الغرض يستدعي سوى أن يتبرأ الإنسان من قومه ويتجرد من شخصيته ويضحي ابنه رأمه وأخته وأصحابه وذمته وكل العواطف الوطنية والمبادئ البشرية»

وحتى لا تتسرب بذور الحرية إلى تركيا منع عبد الحميد الأتراك من السفر إلى الخارج وشدد الرقابة على الصحف والكتب ومنع الصحف التي تصدر في أوربا من دخول تركيا ؛ وانتشرت الجواسيس ورافبوا الناس وانتهكوا حرمة المنازل وعاش الأتراك تحت نير هذا العسف ثلاثين عاما

ومنع الأئمة والخطباء في المساجد من ذكر الأحاديث أو الآيات التي تحط من قدر الطغاة والتي تذكر الظالمين بسوء العاقبة ، وكان حديث الجمعة الثابت « إن الله جميل يحب الجمال » أما الأحاديث التي تشير إلى العدل أو تذكر الوالي بمسؤوليته نحو رعيته فكانت ممنوعة منعا باتا

وكشأن الملوك الطغاة المفسدين كان قصر عبد الحميد يعج

بالنساء والجوارى . ويذكر المؤرخون الأجانب أن عبد الحميد حين ولى العرش وعد بأن يقضى على تقاليد الخلفاء الذميمة ومنها الإكثار من النساء فى قصورهم كما وعد بأنه سيقتصر على زوجة واحدة ولكن لم يمض عام واحد حتى كان عدد الحريم بالقصر السلطانى قد بلغ تسمائة !

ومدحت (باشا) زعيم الأحرار نفى إلى الطائف حيث قضى بقية حياته على الفجل والماء ! إلى أن مات شهيدا فى سبيل الحرية

وكان الطاغية ضعيفا أمام الأجانب وللوقوف فى وجههم عمد إلى إذكاء روح الجامعة الإسلامية وكان يهدد الأجانب بمحاولة إثارة المسلمين ضدهم وكان التهديد سلاحه الأول والتسليم سلاحه الأخير

ثورة يوليو ١٩٠٨

حين عطل عبد الحميد الدستور ١٨٧٨ ونكل بالأحرار هاجر كثيرون منهم إلى الخارج . وفى ١٨٩١ اجتمعوا فى جنيف وأسسوا جمعية الاتحاد والترقى وظل هؤلاء الأحرار يعملون على قلب حكومة الطاغية التى أنزلت بالبلاد المصائب وذاقت على يد الأجانب الذل والهوان

وفى ديسمبر ١٩٠٧ قرر هؤلاء الأحرار بدء العمل وتقرر أن تكون مقدونيا مركز الحركة

وعمد أعضاء الجمعية إلى نشر دعوتهم فى صفوف الجيش فانضم أغلب رجاله إليهم وحدد يوم ٣ يولية ١٩٠٨ لإعلان الثورة على يد أركان الحركة أمثال نيازى (بك) وأنور (بك) وصلاح (بك) أولئك الفدائيون الذين حملوا أرواحهم فى أيديهم وخرجوا إلى البلاد لهدم كيان الظلم ومحو آثاره

ووصلت أنباء الحركة إلى السلطان فانزعج وأمر أحد رجاله شريف (باشا) بسحق الثورة ولكن الثوار قضوا على تلك المحاولة . واستنجد السلطان بقوات من الأناضول ولكنها سحقت أيضا وبدأت البلاد تسقط تباعا فى يد الثائرين . وأنذر الثوار السلطان بوجوب إعلان الدستور فورا وأسقط فى يد الثعلب الماكر عبد الحيد واضطر إلى إعلان الدستور وتأليف حكومة دستورية ، ولام مستشاريه على أخطاء الماضى ومظالمه ثم ألغى الجاسوسية وأعلن ترحيبه باستقبال زعماء الثوار فعاد أنور

ونيازى على رأس قواتهما إلى سالونيك واستقبلتهم هناك جموع حاشدة متحمسة من اليونانيين والأتراك واطمأن الجميع إلى أن عهد الإرهاب قد زال !

وتدفقت جموع من المنفيين السياسيين الأتراك فى تركيا وانضم أكثرهم إلى الضباط الشبان واشتركوا فى جمعية الاتحاد والترقى ثم هرعوا إلى القسطنطينية ينشدون الظفر بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم !

لكن الدول لم تدع الفرصة : فالنمسا أعلنت ضم البوسنة والهرسك إليها نهائيا ، وبلغاريا أعلنت استقلالها ، وقامت الثورات فى ألبانيا وفى بلاد العرب

ونشط أعوان السلطان والرجعيون فرشوا بالمال جنود القسطنطينية فقتلوا ضباطهم وأعلنوا ولاءهم لدين الإسلام ! وللسلطان ظل الله فى أرضه وخليفة الرسول !

لكن الاتحاديين تقدموا من سالونيك وقضوا على تلك الحركة الرجعية وعزلوا عبد الحميد وسجنوه فى سالونيك وتولى السلطان محمد الخامس

لكن نهضة تركيا لم تكن ترضى الدول ولذلك عمدت إلى تحقيق أطماعها فيها ، فإيطاليا استولت على طرابلس ١٩١١ ، وفى البلقان قامت الدول البلقانية ضد تركيا واستطاعت جيوشها أن تنزل بجيوش تركيا الهزائم واضطرت إلى طلب الصلح

لكن شعوب البلقان المتحالفة ضد تركيا وهى بلغاريا والصرب والجبل الأسود واليونان لم تلبث أن انقسمت على نفسها وقامت الحرب بينها ؛ فانتهز الأتراك الفرصة واسترجعوا بعض أراضيهم فى شرق ووسط تراقيا بقيادة أنور (بك) فخلص هذا النصر شرف العثمانيين

ولم يمض عام حتى اشتعلت نار الحرب العظمى ووقفت تركيا بجانب ألمانيا . وكانت نتيجة الحرب وبالا على تركيا ففقدت أملاكها واحتل الإنجليز والفرنسيون والإيطاليون عاصمتها ، وأشرفوا على مرافقها ونزل اليونانيون بأرض الأناضول يطمعون أن تكون تلك البقعة الخصيبة حول أزمير ملكا لهم

وسط تلك الأزمة الخانقة جاء مصطفى كمال لإنقاذ تركيا

أبو الفتوح عطيفة

نــكسة فى دار العلوم !

للأستاذ الطاهر أحمد مكى

كان المستشرقون أول من عنى بالبحث فى اللغـة العربيـة وأخواتها من اللغات السامية فى مطلع العصر الحديث ، دراسة منتجة مثمرة ، تعتمد على العقل والفـكر والاستنباط ، وتتخذ مادة درسها من الـكتب والآثار والمقارنة ، ومن ثم بدأ علماؤهم يجوبون الأقطار العربية وما اتصل بهـا قديما من أمم ، وذهب كثيرون منهم شهداء العلم ، اغتالهم الجهال ، أو أضناهم العمل ، أو أفناهم المرض ، أو فتـكت بهم الأوبئة !

وقد انتهت هذه البحوث إلى أن اللغات السامية نشأت من أصل واحد [1] ، ثم تنوعت بفعل البيئة أو تطورت بعامل الزمن فنشأ ما بينها من تفاوت لايمس أصولها ، ولا يقطع ما بينها من رحم ، وأن على الباحث فى واحدة منها ، أن يستهدى أخواتها الأخريات

فلمـا تقدمت الحياة العقلية فى مصر ، رأى الذين يهمهم أمر الثقافة العربية ، أن مجال التقدم والابتكار فيها ، والـكشف عن كنوزها ، وتبيان غامضها ، مازال ضيقا ، وأن الشرق فى تفهمه لآثاره عالة على الغرب ، يتابع خطواته ، ويتلمس طرائفه ، ويتلقى ما انتهى إليه من نتائج قضايا مسلمة !

وكان واضحا أن نقطة الضعف فى التفـكير العربى المعاصر ، أن الذين يتصدون للبحث فى شتى أنواع المعارف القديمة ، يجهلون اللغة العربية ولا يلمون بدقائقها ، مما ينتج عنه سوء فهم لتلك الثقافات ، أو خطأ فى الإلمام بقضاياها ، وكان مخجلا أن يدرس التاريخ الإسلامى أو يؤلف فيه من لايعرف أصول اللغة وتاريخها ومادته جلها نصوص لغوية وأدبية ، أو يتصدى للفلسفة الإسلامية شارحا أو مؤرخا ، وهو يجهل التطور الذى أصاب اللغة ، فجعل للفظ معناه حين يكون فى القاموس مغايرا لمعناه إذا ورد فى أساليب الفلاسفة ، فـكان الخلط والاضطراب والتعثر ، ملحوظا لـكل من يطالع النتاج المعاصر فى الفلسفة أو التاريخ أو الشريعة ، وغيرها من التراث العربى القديم ، إذا استثنينا القليل !

ولم يكن هذا الخلط وقفا على الثقافة التى تبعد عن اللغة قليلا أو كثيرا ، بل امتد أثره حتى إلى اللغة نفسها ، ذلك أن تقدم الإنسانية وسع من إمكانيات الدارسين والمؤلفين ، وانتشار الطباعة والتخصص جعل مهمتهم سهلة لينة ، وتقدم منهاج البحث العلمى والاستعانة بالمقارنة جعل من الممكن ملء الفجوات التى تبدو بين معالم الثقافة القديمة ، والاهتداء إلى الأصول المجهولة ، والتى كانت تعترض القدماء ، فيعللونها بالفرض ، أو يصلونها بالخيال ، أو ينحرفون بها إلى الخرافة !

ومسايرة لهذا المنطق ، بدا أن دارس العربية لـكى يستفيد منها ويتبين حقائقها ، وينير قضاياها ، عليه أن يـكون عارفا ما استطاع بأخواتها من الفصائل السامية ، كالعبرية والسريانية واليمنية القديمة والحبشية ، وما جاورها من لغات أخرى ، كالفارسية والأوربية والتركية ، فى حدود القدرة والتخصص .

روعى هذا النهج عندما أنشئت كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة ، ودعا إليه الدكتور طه حسين دار العلوم العليا فى حرارة وقوة عام ١٩٣٥ ، عارضا عليها أن تضم إلى الجامعة ، على أن تحتفظ باسمها التاريخى المجيد ، لتـكون معهدا للغة العربية واللغات الشرقية ، ولم يقف بدعوته عنـد هذا الحد ، بل اقترح أن تبدأ العناية بهذه اللغات من التعليم الثانوى ، لمن يريدون أن يتخصصوا فيها ، لـكى تـكون دراستهم منتجة مثمرة .

ولم يتح لدعوة الدكتور طه حسين أن تجد سميعا إذ ذاك ، فطواها على مضض وإن لم ييأس منها ، ومضى يهيئ لها الأذهان حتى اختمرت ، وأذن لها أن تؤتى أكلها عام ١٩٤٦ ، حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، لتنتفع بالنهج الجامعى وحريته ، ولتأخذ فى ركب الحضارة وجهة جديدة ، توائم التطور الثقافى الذى انتهى إليه العالم ومصر عقب الحرب العالمية الأخيرة .

أجل ، كانت دار العلوم المدرسة قد أدت رسالتها فى تنقية الفصحى من أوشاب العاميـة ، وتحرير الألسنة من اللـكنـة الأعجمية ، وفى إعداد المدرس الصالح لأدائها ، والـكتاب الطيب الملائم للقراءة ، وفى تطوير اللغة لتصبح مرآة ناصـعة ، تنعكس

---

(١) توصل إلى هذا الرأى العلامة ابن حزم الأندلسى ، فقال فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » : « إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرية والعربية التى هى لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مسالك أهلها » ثم تابع كلامه فى تعليل رائع ، مما يعد معه بحق واضع علم « فقه اللغة » الحديث ، ثم تلاه بعد ذلك ، علماء اليهود الذين ورثوا الحضارة العربية فى الأندلس ، ولـكن الظلام الذى عم إسبانيا عقب إجلاء العرب عنها أوقف تقدم هذه البحوث ، حتى بعثت فى منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرقين .

عليها مظاهر الرقى المتعددة ، وتتسع ألفاظها للتعبير عن أسمى المشاعر والأفكار . ... وبقى الشق الآخر من الرسالة ، وهو البحث والتقصى والعكوف على القديم لدرسه ونقده وتمييزه ، وتتبع مساربه ومجاريه ، بعد أن هيئت الوسائل وأكملت الأداة !

ومن ثم شفع ضمها إلى الجامعة إفساح المجال فيها للدراسات السامية والشرقية على الخيار بين واحدة منهما ، وأحس الطلاب أن شيئا جديدا من الثقافة بدأ يأخذ طريقه إلى أذهانهم ، ليساعدهم فى تفهم كثير من المشكلات ، كانت تبدو أمامهم معقدة غير واضحة ، وكانت هذه العلوم أداة ليصبح عندنا نحو مقارن يرفع الستر عن قصة النحو العربى ، متى نشأت ، وكيف ، وعلى يد من ؟ ... ولأى المؤثرات تعرضت . وقل الأمر نفسه عن البلاغة وفقه اللغة ، وعن الأدب أيضا .

ولكن البلاغة والنحو والصرف وفقه اللغة والأدب ، ليست هى كل التراث الإسلامى ، فهناك الفلسفة ، وهناك التاريخ ، وهناك الشريعة ، وما يتصل بهذه العلوم أو يتفرع عنها ، وهى علوم محور التبريز فيها أن يكون الدارس لها عارفا باللغة العربية أولا . ولسد هذا الفراغ وتهيئة المجال أمام الراغبين فى هذا النوع من الثقافة الإسلامية ، رؤى أن تتولاه دار العلوم تبعا ، لتحرير بحثه ومادته من سلطان المستشرقين بعد أن ظل وقفا عليهم ، مع الانتفاع بنهجهم ومذهبهم فى التقعيد والاستنتاج ، على أن يتخصص الطلاب فى واحدة منهما ؛ لتكون إفادتهم كاملة ، فكانت شعب التاريخ والفلسفة والشريعة ، بجوار الثقافة العربية الأخرى . ولتثبيت هذا المعنى فى أذهان الطلاب وتقويته ، وليأخذ صبغته القانونية ، رؤى أن تكون براءتهم إذا تخرجوا « الليسانس فى اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية » .

* * *

ومضى الركب فى طريقه ...

ثم أذيع أن عميد كلية دار العلوم الأستاذ إبراهيم اللبان ، دعا مجلس جامعة القاهرة ، إلى تدعيم « معهد اللغات الشرقية » التابع لكلية الآداب ، بجعله مستقلا على أن يكون للدراسات الشرقية كلها ، أدبا ولغة ، تاريخا وحضارة ، واستبشر الطلاب والدارسون من وراء دعوته خيرا حين تلقفوها من أفواه الصحف ولكن ... سرعان ما أعجلتهم الحقيقة ، فأخبتت فيهم الأمل ، وأغاضت البشرى ، ذلك أن العميد سبب دعوته ، بأن مفتشى اللغة العربية فى وزارة المعارف ، يشكون ضعف خريجى دار العلوم الكاية فى النحو والصرف ، وعزا ذلك إلى مزاحمة اللغات السامية والشرقية فدعا إلى إلغائهما ، بل وارتأى الاحاجة إلى دراسة التاريخ والفلسفة أيضا ففكر فى استبعادهما !

لن أرفع عن زملائى وأندادى تهمة الضعف ، فنحن ، مازلنا طلابا رغم التخرج . ولن نزعم لأنفسنا العلم أبدا ، فنحن فى أول الطريق ومن سار على الدرب وصل . ولن نقول للعميد إن التدريس لتلاميذ الابتدائى والثانوى لايحتاج إلى مزيد علم ، ولا يصلح مقياسا لقوة أو ضعف ، وإن المسائل موضع الخلاف لاتعدو « همزة الوصل والقطع » والإعجام ، واختلاف النظرة إلى الكلمة الواحدة ، حين تكون العامية خفيفة سهلة ، ومثيلتها العربية ثقيلة موحشة ... لن نقول له إن المدارس اليوم تموج بأناس حظهم من الثقافة متواضع ، وجهدهم فى التحصيل ضعيف ، ونظرتهم إلى التعليم مادية ، وإيمانهم بالرسالة معدوم ، وإن خريجى دار العلوم وسط هذه الأخلاط ، قلة لايسمع لها صوت ، ومواهب لايترك لها مجال !

لن نقول له شيئا من ذلك كله ، لأن رسالة دار العلوم الجامعية يأتى فيها التدريس تبعا لا أصالة كما يقول الأصوليون ، وإنما رسالتها أن تنير للطالب الطريق ... طريق الكشف عن مجاهل الحضارة والثقافة ، ثم تقول له سر على بركة الله ، ليكتشف ويتأمل ويقنن ، مشكورا أخطأ أم أصاب ، ونحن جد سعداء ، لأن دار العلوم الجامعية أمسكتنا أكثر من مشعل . وأنارت أمام عقولنا أكثر من طريق !

لقد جارينا العميد فيما ارتآه من أننا ضعفاء فى النحو ، لاتقريراً للواقع بل إسهاما فى حل المشكلة ، فليسمح لنا أن نخالفه أشد المخالفة ، فى أن مبعث ذلك هو اللغات السامية أو الشرقية أو التاريخ أو الشريعة ، أو تزاحم مختلف المواد ، ذلك أن واحدا من هذه العلوم ، ليس جديدا فى تقريره ، وإن تطور فى مناهجه ، وأن محاضرات اللغة فى نحوها وأدبها وفقهها لم تنزل عن المستوى الذى أنشئت عليه منذ أن كانت دار العلوم ، بل إن منها ما استحدث كالأدب المقارن ، أو خص بعناية فى الوقت والدرس والمنهج كفقه اللغة ، وإن الذين يطاولنا بهم فى النحو من أساتذتنا فى الدار وخارجها ، كان نصيبهم من الدراسات السامية مضاعفا ، فدرسوا العبرية والسريانية ، على حين يدرس طلاب

اليوم الأولى وحدها ، ولم يمنعهم ذلك ، إن لم يدفعهم ، إلى أن يبرزوا فى الميدان ، وأن يسدوا إلى الفصحى خدمات جلى !

لقد توسعت دار العلوم فى دراسة هذه المواد ، ولكن هذا التوسع لم يكن على حساب اللغة أو قواعدها ، وإنما كان على حساب علوم دست على الدوار لدوافع استعمارية ، كان على حساب الطبيعة والكيمياء والهيئة والصحة والرسم والحساب والجبر والهندسة والجغرافيا ، والأشغال اليدوية (! !) وهى علوم كان مؤسفا ومخجلا أن تدرس فى معهد عال يعد المتخصصين فى اللغة العربية ، وأن يشغل بها الطلاب ، على حين أن مكانهافى المرحلتين الابتدائية والثانوية ! . ويستطيع العميد أن يراجع برامج دار العلوم منذ عام ١٨٧٢ حتى اليوم ، فلن يجد حيفا من اللغة أو علما عدا عليها

حتى ولو جاريناه فى دعوته ونظرته لدار العلوم ، وتفهمه لرسالتها على أنها تزويد المدارس بعدد صالح من المعلمين « فإن معلم اللغة العربية محتاج أشد الحاجة إلى أن يكون قادرا على أن يفهم الصلة بين مادة اللغة العربية وأصولها السامية الأولى ، فيجب أن يدرس اللغات السامية درسا حسنا ، وأن يتقن بعض اللغات الأجنبية الحديثة ، وبعض اللغات الشرقية الإسلامية الحية ، فى شئ من التنويع والتخيير بين هذه المواد »[٢] ، « فدراسة اللغات السامية دراسة قران ، أصبحت الآن ضرورية لكل من يريد أن يلم بتاريخ اللغة العربية إلماما يشمل نشأتها وعوامل انتشارها ، واللغات التى أثرت فيها وتأثرت بها ، ولكل من يريد أن يدرس فقه اللغة عامة ، وفقه اللغة العربية بوجه خاص ، دراسة علمية دقيقة . إن طالب دار العلوم فى حاجة إلى التزود بمعلومات كافية عن بعض اللغات السامية التى لها علاقة وثيقة باللغة العربية ، أسوة بما هو متبع فى أوربا ، حيث تدرس اللغتان الإغريقية واللاتينية لاتصال اللغات الأوربية الحديثة بهما »[٣]

* * *

لقد استقبلت دار العلوم حياتها الجامعية من سبع سنوات مزهوة بماضيها ، مؤملة فى غدها ، مقدرة لرسالتها ، وكان اندماجها فى الحياة الجامعية موضع فخار وإجلال ، وتطورها السريع موضع تقدير وإكبار ، رعت الأفذاذ من أبنائها فاستردتهم معيدين ، وأرسلت بهم وراء البحار دارسين وباحثين ، وهيأت لهم من حياتهم العلمية رشدا ...

ثم ، ماذا أقول ! ... إن الحسرات لترعى قلبى ، وإن الحزن ليغشى جوانحى ، ويكاد الألم يقتلع من عقلى ذكريات علمية عزيزة عليه ، لأن الكلية التى شهدتها زاهرة ناضرة ، واختزنت لها فى حنايا نفسى أروع الذكريات وأنبلها ، نكصت على عقبيها ، فتراجعت القهقرى ، لتنطوى على نفسها بعيدا عن الحياة والناس ، وأخشى أن يفوتها الركب ...

لم يعد للنابهين من أبنائها فيها نصيب ، فتوقفت عن تعيين المعيدين ، وكل جريمتهم أنهم صغار السن شباب ، وتوقفت عن إرسال البعثات ، لأن سياسة « ليس فى الإمكان أحسن مما كان » عادت تطل برأسها من جديد !

ثم أسلمت مكتبتها ، مكتبة أعرق كلية تدرس العربية فى الشرق — وللجامعة مكتبة — وبها كثير من النفائس والذخائر ، إلى أمين كل مؤهلاته أنه يحمل الشهادة الابتدائية ، وفى بقية الكليات الأخرى ، تنال المكتبة أعظم رعاية وأبلغ اهتمام ، ويشترط فى أمينها من المؤهلات مايشترط فى هيئة التدريس

* * *

وبعد ... إنى أناشد الذين فى دار العلوم — وأنا أعرف من هم علما وفضلا — ضمائرهم وعقولهم ، أناشد فيهم تاريخ دار العلوم وحاضرها وغدها ... إذا لم تستطيعوا السير إلى الأمام فلا ترتدوا

لا تنقصوا مواد الدراسة ، بل زيدوها إذا أحببتم ، أنشئوا معهد الدراسات الشرقية ، لكن لا تمسوا هذه الدراسة فى دار العلوم ، خرجوا شبانا يدرسون ويفهمون ، أصحاب ثقافة منوعة تسمو بهم عن المحلية ، وتحلق بهم فى أجواء عالية فسيحة ، أيان توجهوهم يأتوا بخير كثير ...

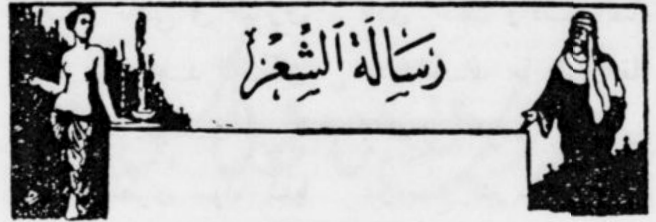
إنى أناشدكم بكل مقدساتها ، ألا تعودوا بها « مصنعا » للمدرسين من جديد !

الطاهر احمد مكى

---

(٢) دكتور طه حسين . مستقبل الثقافة فى مصر ص ٣٨٨ طبعة سنة ١٩٣٨

(٣) من تقرير للأستاذ حامد عبد القادر أستاذ اللغات السامية والشرقية وفقه اللغة سابقا بدار العلوم ، ومدير اللغة العربية بوزارة المعارف الآن ، والدكتور إبراهيم أنيس أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم الآن وقد كتباه فى ٤ / ٦ / ١٩٤٦



الرؤيا الصادقة

بمناسبة الذكرى النبوية

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

من لحر بات يشكو الوصبا ... زافراً أنفاسه كاللهب ؟
هاجت «الذكرى» شجاه فصبا ... وانثنى يندب حظ العرب
رب ليل بت موصول الأنين ... يتنزى شجني مضطرما
باكيا مجد الشموس الأولين ... وزماناً بالمعالى معلما
أمة عزت بدنيا وبدين ... كيف ذلت واستحالت أمما ؟!
شامها ما سام أقوام « سبا » ... فى الليالى زمن ذو ريب
مثلما تعصف ريح بدبى ... عصف الظلم بها فى الحقب

صحت لما ضقت ذرعا بالشجا ... أرقب الليل برقراق الدموع :
أيها الليل ! أما فيك رجا ؟ ... أو ما للصبح من بعد طلوع ؟
ثم أغفيت على هم رجا ... بفؤادى وأنا معى جزوع
فعرانى مثل أحلام الصبا ... طائف فى النوم قد طوف بى
هز أشواق إليه طربا ... ليته فى الصحو يحيي طربى

وتنورت مع الفجر سنا ... طبق الشرق وجاز المغربا
أطلعته البيد منها موهنا ... مشرقا بين « حراء »و «قبا»
ساطعاً يغمر آفاق الدنا ... باهر الحسن يروع الغيهبا
فاض يهدى فى طريق موكبا ... يتلألا فى الفلا كالشهب
سالت البيد به مصطخبا ... جائشاً فوق وهاد وربى

تارة يعلو أهاضيب الصخور ... لا يبالى ما يلاقى من صعاب
ويخوض الرمل حيناً كالبحور ... مثلما تمخر فلك فى عباب
كلما جد وأضنته الوعور ... يمتلى عزماً شديداً واصطخاب
وإذا رامت رجال مطلبا ... ذللت كل عصى منصب
وإذا استحلى هواها مأربا ... وجدت لذتها فى النصب

لجب راع فؤاد الملكوت ... وثنى الشمس إليه والقمر
لم تشاهد مثله فى العظموت ... هذه الدنيا ، ولم تسمع خبر
كربت من ذعرها منه تموت ... قبل أن يأخذه منها النظر
راعها حتى إذا ما اقتربا ... فرعى أحوالها فى حدب
وجدت أنبل قوم رغبا ... ينشد الخير كريم الرغب

سار يطوى الأرض خفاق اللواء ... كلما مر بقوم عظما
وهو فى كل صباح ومساء ... يفتح المدن ويهدى الأمما
كاد لما ضاقت الأرض الفضاء ... يبتغى بالفتح آفاق السما
وإذا حل بواد أخصبا ... منبتاً أزكى نبات طيب
أمرعت منه البرايا أدبا ... وحياة حرة المضطرب

وتبينت فتى صلت الجبين ... لامع الغرة يجلى من بعيد
حف بالبيض بأيدى الدارعين ... فوق جرد تحتها الأرض تميد
قلت : من ذا ؟ قيل لى : ليث العرين
قلت : من تعنون ؟ قالوا : ابن الوليد
قلت:والأبطال راعت بالظبا ؟ ... قيل لى : صحب النبى العربى
قلت : ما يبغون ؟ قالوا : أربا ... جل عن قصد الهوى والغلب

صاح كالضيغم : ياخيل اهذبى ... ورمى الشرق بلحظ أشوس
قال : هيا ، أبلغينى أربى ... أربى تطهير « بيت القدس »
فاستطارت فى الفضاء الأرحب ... تنهب الأرض لعز أقعس
واستطارت فى فؤادى لهبا ... لهفة للمشهد المستغرب
ثم شيعت بطرفى الموكبا ... وبنفسى منه كل العجب

قلت للنفس ، وفى النفس جراح ... كلما ذكرتها نضت دما
وخيول الله تعدو فى البطاح ... ، بين عينى ، تعض اللجما
فوقها كالقدر العاتى المتاح ... كل جبار علا مستلئما :
أنظرى يا نفس هذا العجبا ... أترين القوم أصحاب النبى ؟
كيف لابست زماناً غربا ؟ ... كيف عادت سالفات الحقب ؟

وعلا التأذين فى الفجر الرهيب ... موقظاً تهداره كل نؤوم
فتيقظت وفى قلبى وجيب ... كحبيس الطير فى كف ظلوم
مطبقاً عينى على الحلم العجيب ... بالتذاذ أتمنى لو يدوم
خلتنى يقظان حتى أكذبا ... حاضر أبصرته عن كثب
صحت لما بان لى منقلبا : ... إن هذا أسوأ المنقلب !

حاضر أقبح به من حاضر ... وثبت فيه على الأسد القرود
قد تجلى عن خؤون غادر ... دغل النيات جياش الحقود

أخضع العرب لحكم جائر   قد قضى أن يستنيموا لليهود
لعب اليوم بهم ما لعبا   ولكم جد يرى فى اللعب
شقهم لا دولا بل عصبا   ثم أشقاهم بحرب العصب !

فيم هاجت بينكم « حرب البسوس »
يا معيدى نكبة « الأندلس » ؟
أعلى الميراث أحقاد النفوس ؟   أم على تسليمه المختلس ؟
أم بقايا من رمال وضروس   هيجت من شهوات الأنفس ؟
إخجلوا يا قوم صرتم عجبا   فى الدنا ، بل لعنة فى الكتب
ما أضعتم وطناً ، بل حسبا   أين من يحمى لرد الحسب ؟

أمة قد أنسيت أوطارها   فأدارت فى المناحات الكئوس
وأثارت للهوى أوتارها   والأعادى فى مغانيها تجوس !
فمتى ترحض عنها عارها ؟   ومتى تعبس فى يوم عبوس ؟
إنما يلعب حر غلبا   لا حريب مبتلى بالنوب
أو عزيز سيم خسفا فأبى   لا الذى أضحى وطىء الركب

لا تلمها ، إنما خذلانها   جره التضليل من قوادها
جار عن نهج الهدى ركبانها   إذ جروا فوق خطا روادها
كل من تبصره يختانها   لا يبين الصدق فى إرشادها
فى سبيل المال .. من قد كتبا   جاذب الساسة حبل الكذب
وانثنى الشاعر عما وجبا   ومضى ينعت بنت العنب

يا شباب العرب فى شتى البلاد   لست أختص شآماً أو عراق
إن لى فيكم وإن عم الفساد   أملا أن تحطموا عنها الوثاق
إن جرح العرب محتاج ضماد   ضمدوه بدم منكم يراق
وأعيدوا الوطن المغتصبا   بالمواضى من يد المغتصب
تبعات الملك شتى أربا   سوف تلقى للشباب النجب

أذكروا — بالله — مجد الفاتحين   واصنعوه مثلما قد صنعا
لا تنفروا ، مالكم غير « الأمين »   أسوة فيما نهى أو شرعا
كل جد فى جديد الحاضرين   لم يغب عن شرعه فيما وعى
اقرأوا دستوره المنتخبا   تجدوه زاخراً بالنخب
هو روح وحياة وهبا   صادق الإيمان أسمى الرتب

نسخت آيته فى العالمين   آية الشمس بآفاق السماء
وتحدى ما بنى فى الغابرين   عادى الملك وآفت الفناء
وتعالى فوق مجد المالكين   مجده الخالد ما دام البقاء
لو وراء الخلد ملك أو نبا   لاحتوى محموده من كثب
كذب المطرى سواه كذبا   غير مدح التبر مدح الترب

أيها المبعوث بالأمر العظيم   جل بارى النور ! ماذا أطلعا ؟
جئت والدنيا يغشيها السديم   فأنرت الشرق والغرب معا
طلعت شمسك .. لكن فى الحلوم   وتسامت عن كسوف مطلعا
كم أزاحت عن عقول سحبا   جللتها من ظلام الريب
وجلتها فى الأعالى شهبا   هاتكات للدجى والحجب

أنت من علم أمثال « عمر »   يتحدى بالفتوح الدولتين
أنت من أطلع أبطال السير   مثلما تبدى السماء النيرين
أنت من أحيا الأعاريب الغرر   وبهم أحييت أهل المشرقين
ثم مالوا عنك ميلا ، فنبا   عزهم ، واستهدفوا للنوب
وأقلوا فى الحياة الكربا   وهوان العيش فى المرعى الوبى

يا رسول الله خير المرسلين   يا منيل العرب غايات الفخار
قم تأمل حالهم فى العالمين   كيف بعد العز ذلوا فى الإسار
هدموا ما شدت من دنيا ودين   فقضى الله عليهم بالبوار
أركضوا الأهواء فيهم خببا   ورموا وحدتهم بالشجن
كل من تلقاه ينحو مذهبا   ويحهم ! لم يتركوا من مذهب

صدعت بيضتهم أشقى الأمم   وهمو لاهون .. كل بهواه
جدعت منهم خياشيم الشمم   وبغى بعض على بعض وتاه
هل سبيل النجح إيقاظ النقم   عمه الجاهل شر من عماه !
ليتهم قد أججوها الهيدبى   للعدا لا لابن أم وأب
ويحهم ! قد بلغ السيل الزبى   غير ذى رفق ، وهم فى حرب

يا نياماً ضيعوا ما ورثوا   ضيعوا عهد العلى والشرف !
أفما آن لكم أن تبعثوا   سيرة الهادى ومجد السلف
إن « أهل الكهف » قبل انبعثوا   من رقاد طال تحت السدف
وأعادوا فى الحياة الدأبا   ومنال المجد رهن الدأب
فاستفيقوا وأثيروا العربا   طال يا قوم رقاد العرب !

بغداد   محمد بهجة الأثرى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

صدرت « الرواية » .. بعد أن احتجبت عن قرائها طويلا ، صدرت قوية كالعهد بها من قبل ، فتحتل مكانها فى ميدان القصة الرفيعة والأدب الممتاز

عادت الرواية بعد أن ا كتسح ميدان الأدب ، ذلك اللون الفاتر الضعيف الركيك ، الذى يهدهد الغرائز ، ويحرك الألوان القاتمة فى النفوس ، عادت لترد للأدب الرفيع مكانتـه ، وللفن الخالص كرامته

أسبوع النبى

كان ميلاد النبى .. هذا العام قويا حيا .. غاية القوة والحياة فقد جاء فى الوقت الذى تستقبل فيه مصر حياة كريمة نقية تتمثل فيها صورة البطولة والقوة والحرية

وقد أقيمت فى كل مكان أحفال الذكرى ، وكان للأدب فيها مكانه المرموق .. كان الشعر والنثر هـذا الأسبوع ملونا منوعا ، يصور حياة الرسول الكريم ، وجهاده وكفاحه ، تمثل ذلك فى القصائد المختلفة التى نشرتها الصحف وأذاعتها الإذاعة ، وألقيت فى الهيئات والجمعيات التى احتفلت بالذكرى .. وفى المقالات ، وفى القصص ، وفى المسرحيات

كانت الأقلام التى تعمل فى ميدان الأدب والفن كلها تعمل لذكرى الرسول ... وتصور تلك الشخصية الضخمة التى أضاءت الكون وأفاضت عليه نور الإسلام وهدته إلى التوحيد الخالص

وإن كان لنـا أن نقول شيئا فى هذا المجال فهو أننا لا زلنا نطمع أن يتخلص شعراؤنا من القيود التقليدية التى خيمت على الشعر زمنا طويلا خلال العهد الماضى . وأن هذه النفسيات الشاعرة تستطيع أن تتجدد على أفق واسع

ندوة الشبان المسلمين

وكانت ندوة الشبان المسلمين من أضخم هذه المهرجانات فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : الغزالى ، ومخيمر ، وشعلان ، والعوضى ، والمنشاوى ، والنهامى ، والماحى ، وحمام ، والماديين ، وجبر ، وقاسم

وألقيت قصائد كان أغلبها فى مولد الرسول

ولا شـك أن اشتراك هـذا العدد الضخم من الشعراء الناضجين الذين عرفوا بالماضى الحافل فى ميدانهم كان من أقوى الأعمـال الأدبية التى كللت بالنجاح وكانت تأييدا لدعوة الرسالة التى طالبت بذلك من قبل

وقـد علق على الندوة وعقب على قصائد الشعراء الدكتور إبراهيم سـلامة أستاذ النقد بكليـة دار العلوم . استمر الدكتور سـلامة يتحدث حوالى الساعتين ونصف السـاعـة ، وكانت له طرائف حلوة فى التعليق على الشعراء منها قوله :

شعراء المناسبات كحمالى القطارات لا يعملون إلا عندما يصل القطار

مصطفى حمام هذا الشاعر الذى لم أفهمه ، الشاعر الذى يتألم ويرسل زفراته وأناته من شفاه تبتسم . إنه كالرجل الأجرب الذى يجد اللذة فى أن يحك جلده

ولم يدع شاعرا من هؤلاء الشعراء دون أن يبـدي رأيه فى شعره بصراحة تامة . ومن القصائد الرائعة التى لقيت الاستحسان قصائد مخيمر والمنشاوى والنهامى

فلسفة التكريم

فى حفـل التكريم الذى أقيم للأستـاذ الفضيل الورتلانى المجاهد الجزائرى هذا الأسبوع ، فى فندق سميراميس ، تحـدث المحتفى به بعد انتهاء كلمات التكريم التى وجهت إليه فقال :

« إن حفلات التكريم فى ذاتها ليست إلا مظهرا من مظاهر التعبير عن البطولة فى ذاتها وتصوير معالمها . وإن الأمر فى هذا أشبـه بالمعركة التى يقوم بها الجيش حين يقوم بأعمـال التمرين والتجارب . ففى هذه الحالة يتخير المهاجمون هدفا محددا ، ولو كان ورقة ، تصبح فى نظرهم ولها صفة الهدف الحقيقى ثم يأخذون فى

مهاجمتها . وكذلك فعلتم أنتم حين جملتموني هذا الهدف الوهمي لتصوروا ملامح البطولة كما تحبون أن تتمثل في الأفراد ؟

الأدب لا يطلب النجدة

كنا قد نشرنا بعض ما فاضت به الصحف في العراق ولبنان من حق الأديب

وقد قرأنا في جريدة النبأ رأيا جزئيا في هذا المعنى في كلمة عنوانها « الأدب لا يطلب النجدة » جاء فيها « أن الأدب أجل من أن يطلب النجدة ؛ فهو يفرض نفسه فرضا ويخلق له متتبعين إذا قدم لهم وجبات ممتعة فلا يطعمون العدس في كل وجبة

.. ليس للأديب أن يجأر بالشكوى وهو قابع في صومعته فارضا نفسه غير مسؤول إلا إذا أنجد ، فأين البضاعة المعروضة ليصح الطلب ؟

إن الأدباء عنـدنا هم من الشعور بضعف واقعهم بحيث يستترون ثم يروحون ينمون على الجمهور ذوقه وتقصيره

لم ينكب الأدب إلا الأدب نفسه ، فمع قلة البضاعة أضحى البعض قراصنة يستولون عنوة على مال الناس بوسـائل شتى ضاربين خير الأمثلة للنشالين

حوشوا من هذا الحقل هذه الطفيليات فإن الأدب يحتضر . لقـد أفزعنا أن نطالع بعض آثار أدبائنا فإذا هم ومحطة الإذاعـة سواء بسواء »

والقضية التي يعرضها الـكاتب هي قضية الأدب في كل مكان . على الأديب أن ينطلق في الحياة فلا يقبع في برجه العاجي ليكتب للنـاس من خياله . إن الأدب الواقعي هو الذي ينبع من آلام النـاس وآمالهم ورغباتهم وأهدافهم . إن بعض الأدباء الذين أحسوا بأن أسماءهم قد لمعت ، نسوا ماضيهم ، وتبلد نشاطهم ، وفترت حيويتهم ومن ثم جاءت آثارهم الجديدة غاية في الضعف

ذكرى شكيب أرسلان ومحمود سامي البارودي

تقع في هـذا الأسبوع ذكرى رجلين من كبار الرجال في الشرق ... هما شكيب أرسلان وسامي البارودي . لقد ترك كل منهما من ورائه ذكرا مرفوعا وأثرا قويا في عالمي الأدب والسياسة

أما شكيب أرسلان فقد عاش حياته مهاجرا . كان مظهرا من مظـاهر الشرق الحية في الغرب ، وكان منارا لـكل شرقي في قلب أوربا . وما من مجاهد أو زعيم أو زائر قصد إلى هنـاك إلا وأحس بمدى الأثر الضخم الذي يفيضه على الشرقيين هناك

وكانت الصحف لا تني تنشر له الفصول الضافية في الأدب والاجتماع والسياسـة ، وهو الذي علق على كتاب حاضر العـالم الإسلامي فأضاف إلى ذلك السفر الصغير فصولا عن حياة المسلمين في مصر والمغرب والعراق وسوريا والهند وإندونيسيا .. غاية في القوة والوضوح ؛ تعد بحق مرجعا من أوفى المراجع لمن يريد أن يكتب عن قضايا البلاد العربية والإسلامية

ولم يقف جهد شكيب أرسلان عند التاريخ والسياسة ؛ بل كتب عن العرب في الأندلس كتابا مستفيض الصفحـات في تصوير الحضارة الإسلامية في ذلك الفردوس المفقود

وكتب شكيب أرسلان كتابين في الأدب والتراجم غاية في القوة هما كتاباه عن شوقي وعن رشيد رضا

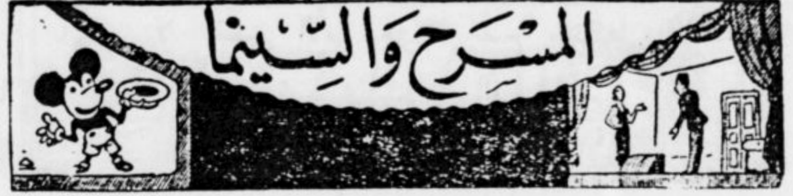
ويتميز إنتاج شكيب أرسلان بالإسهاب والوضوح والجزالة والتدفق وبيانه غاية في القوة ، لأنه يصدر عن قلب يخفق بحب الشرق والإسلام والعروبة ، قلب المجاهد الذي عاش مهاجرا ، تتمثـل له في كل لحظة تلك المعالم الحية ، التي يعيش فيهـا أهله وإخوانه وبني وطنـه ، وتلك الآلام التي يقاسونهـا في ذلك الـكفاح المرير مع المستعمر والغاصب والمستبد

***

أما محمود سامي البارودي ، فهو ذلك الشاعر الذي نقل الشعر العربي من مدرسة إلى مدرسة . ونقل الوطنية المصرية من وضع إلى وضـع . فهو على رأس الفريق الذي حرر الشعر العربي من قيوده التقليدية وفتح له باب التجديد الذي جرى فيه من بعد

وكان من بين الفريق الذي وقف في وجه الظلم والطغيان ، ظلم الحاكم المستبد وطغيان الاستعمار الغاشم ، فـكان أحد أولئك المجاهدين الذين حملوا لواء الثورة العرابية

وقضى محمود سبعة عشر عاما من عمره في جزيرة سيلان منفيا ومبعدا عن وطنه الذي أحبه ، قضاها أيضا في جهاد ، فهـو لم يلبث أن دعا أهل سيلان إلى الإسلام وعمل حثيثا على نشر دعوته فيهم



مسرحية

غروب الأندلس

تأليف الشاعر الكبير عزيز أباظة

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

لايستطيع أديب أن يعبر عن آلام الشعب التي تهز كيانه، وأن يصور آماله التي تهفو إليها نفوس أفراده إلا إذا كان يحس إحساسهم ويشعر شعورهم فيضطرب بين ضلوعه ما يختلج فى حنايا صدورهم، ويعتمل فى أطواء قلبه ما يجول فى خبايا أفئدتهم، على أن يسعفه إلهام لاينضب معينه، وفن مبدع تتحلب أفاويقه، ولسان مطواع يأخذ الألباب بسحر بيانه. فإذا رزق غزارة العقل وحنكة الدهر وتجارب الأيام جلى ما يريد أدبا أدبا تستعذبه الفطر السليمة كما تستعذب الهيم سلسبيل الماء، وتطرب له الجماعة كما يطرب السامرون لرنين الوتر فى هدأة الليل وخفقة السحر، وتصغى إليه كل أذن واعية كما يصغى الشوق إلى نغمات المطرب ورنة الغريد. وإن الكلمة البليغة لاتمل ترددها الأفواه، والبيت الرقيق لاتسأم من تكراره الأسماع

لقد سقت هذه المقدمة بمناسبة ما قدمه الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة للمسرح فى تلك الأيام.. ألا وهو مسرحيته الشعرية « غروب الأندلس »

وإذا كان الأستاذ قد أتحف المسرح بمسرحيات قيس ولبنى، والناصر، والعباسة، وشجرة الدر، فإن مسرحية غروب الأندلس التى تعرض الآن فى دار الأوبرا تعد أقوى ما ألف وأبدع ما نظم من حيث عمقها وبحثها وراء الأسباب التى تنهار من أجلها الشعوب، ومن حيث حكمها وما فيها من توجيهات يجب أن يأخذ بها من يريد للأمم حياة كريمة وصونا من الأفول والزوال

ولعمرى إن مأساة العرب فى الأندلس لتذهب النفس عليها حسرات، وتنسكب الدموع أسى وحزنا على ذلك المصير الذى أرداها فيه ما كان عليه زعماؤها وأمراؤها من تطاحن وتنازع وتفرق كلمة وانغماس فى الملاذ والشهوات، والاستعانة بالأجنبى الطامع لقهر الأهل وذوى القربى

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة وهو يستوحى التاريخ يتمثل حال مصر فى عهودها البائدة، عالما بأسرارها مطلعا على خباياها لما له من خبرة ومنزلة، فتغلى مراجل غضبه ويثور الغيظ فى قلبه فيسكبه شعرا تلمس فيه حرارة التأثر مما رأى وبلاغة التأثير فيمن يسمع ويروى

ويذكر المؤلف فى مقدمة المسرحية أنه نظمها قبل أن يبعث الله لمصر ٢٣ يوليو روحا طاهرا وثابا فى جيشها الكريم فيتداركها من السقوط فى هوة لايدرك لها قرار. وما من شك أنه قد أضاف إليها شيئا قل أو كثر بعد هذا البعث الذى نشر مصر على أيدى

ثم عاد إلى مصر فلم يلبث أن فقد بصره وأمضى الأيام الباقية من عمره منقبض النفس مطويا حزينا

وهو أول من أنشأ فن « رثاء الزوجة » فى الأدب العربى الحديث، فلم يكن هذا اللون معروفا أو مقبولا من قبل حتى جاء محمود سامى البارودى فكتب قصيدته فى رثاء زوجته، ثم جاء بعد ذلك عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى فمضيا فى هذا الطريق

ويلتقى شكيب أرسلان وسامى البارودى فى ذلك المعنى الذى تحمله النفس المهاجرة لأمد طويل، فقد قضى كل منهما صدر حياته فى المنفى، فلما عادا لم يلبثا طويلا

وإذا كان تاريخ أبطال الثورة العرابية لم يكتب حتى الآن لأن الظلم والغبن كان يحيط بتاريخ الأحرار من الرجال، فقد حق اليوم أن يكتب عن هؤلاء الرجال الذين كتبوا فى مصر الحديثة صفحة الحرية، فما بالك وقد كتب محمود سامى البارودى صفحتين فى الأدب والسياسة جديرتين بالخلود

أنور الجندى

أبنائها الأخيار

كم شقيت مصر فى عهودها البائدة وتعثرت فى خطاها إلى المجد فلم يقلها من عثرتها أولئك المهيمنون عليها، ولم ينهضوها من كبوتها مخافة أن تحرمهم مما انغمسوا فيه من ترف السفهاء وشره الجبناء؛ وأراد الله أن يعجل نهايتهم فجعل فى آذانهم وقرا فانكبوا يخضمون ويلغون لاتنغص عليهم لذاذاتهم هذه الأنات المكتومة والزفرات المحمومة. وزادهم الله ضلالا فجعل على أبصارهم غشاوة أعمتهم عن رؤية النذر والنظرات الصاعقة المتوعدة، وأملى لهم فساق لهم عبيدا بمينونهم على اقتراف آثامهم واجتراح كبائرهم فكانت الأقلام الحرة تقصفها القوة الغاشمة، والعزمات الأبية تكبلها القوانين الظالمة، والأفواه الناطقة تقفلها الأيدى الملطخة بدماء الأبرياء. ويا ويل الأمة المغلوبة على أمرها المنهوكة القوى بسبب ما يمتصه رؤساؤها من دماء أبنائها وهم يتطاحنون على السلطة ويتنافسون على بلوغ المناصب بكل الوسائل، فيكيد بعضهم لبعض، ولا يرضى هذا أن يجيء الخير على يدى ذلك، ويضيع أحدهم خيرا محققا فى سبيل ماسيكون فى بطنه يوم القيامة نارا تتلظى وفى الدنيا سبة وخزيا، لكنه حريص على المنصب ولو كان يكتنفه الصغار وتحيط به الذلة والمسكنة. ومن حول الأمة أعداء طامعون فى تمزيقها حريصون على استعبادها عاملون على توسيع شقة الخلاف بين أفرادها الذين تفرقوا شيعا وراء المتزعمين الضالين.

إن مسرحية غروب الأندلس ويصدقها التاريخ تعرض لكل هذا فى حبكة فنية وتسلسل متماسك وبيان أخاذ، ولن تقلب صفحة من المسرحية وأنت تقرأ، ولن تمر لحظات وهى تمثل إلا رأيت وسمعت حكمة بليغة تقع على مافى نفسك موقع البلسم الناجع على الجراح الأليمة فلا تملك إلا أن تمنحها التقدير والإعجاب

ولا تسكت المسرحية عن التعرض للمعاهدات التى يعقدها القوى مع الضعيف، وآثارها الوخيمة، وذلك التخريج والتأويل الذى يفسره صاحب القوة كما يشاء

الأمر للأقوى يؤوله كما شاءت له الأطماع والأهداف

ولا يغفل عن الطرق الملتوية التى يسلكونها اكتسابا للوقت وهم يمدون حبال الآمال وخيوط الأمانى الواهية فيسوق على لسان الحبر وزير فردينان وهو يخاطب إيزابلا

لا تقطعى الأمر حتى تصح منا العزيمه
والخير أن تستمر المفاوضات العقيمه
تظل تلهى فتوهى عرى الأمور الجسيمه

ولم يفت الشاعر أن يصور لنا هذه النفسية الوضيعة بطريقة مرحة وهى تداهن وترائى وتغير آراءها وتتلون، زاعمة أن ذلك هو السياسة الرشيدة والله يعلم أنها الخسة والصغار. فالمسرحية تمثل لك ذلك فى شخصية أبى القاسم وزير العرب فى الأندلس أيام غروبها

حتى الزواج بالفرنج ومساوئ الضرائر قد وجد له نصيبا فى المسرحية وكان له فى الغروب تأثير

وبين هذا العبوس والظلام، وفى وسط هذه المحن والآلام، لا ينسى الشاعر فى مسرحيته ذلك الحب ورقته، ورأى النساء فى الدلال الذى قد يبعد الحبيب وقد يجره مطواعا وبين الاستجابة التى قد تدنيه أو تنئيه

إن هذه المسرحية مسوقة لتكون عظة للشرق وعبرة، ولا خير فيمن لا يتعظ بماضيه، فإن الشرق فى الواقع لم يصب بالكوارث ولم تتحيفه الخطوب تحيف المقراض، ولم يصبح نهبا مقسوما ولقمة سائغة لا تشجى عند ابتلاعها حلقوما ولا تغص حلقا إلا لتفرق كلمته. ويا ليت أعداءه حسبوا أهله جميعا فهابوهم، بل عرفوا أنهم شتى وأن بأسهم بينهم شديد

وإذا كنت قد ذكرت لك طرفا مما فى المسرحية فإن مافاتنى ذكره كثير. ولم أرد أن أسوق لك نماذج عديدة من حكمها الغوالى ماذلك إلا لكى ترى وتسمع بنفسك، وعلى كل شيخ وشاب أن يعمل على رؤية المسرحية فهى للشيوخ زاجر وواعظ يدعوهم إلى أن يتركوا خلافاتهم أو يدفنوا أنفسهم حتى لا يضروا أوطانهم. وهى للشبان حافز ودافع يدعوهم إلى أن يجعلوا أنفسهم للوطن جنة وعدة تقيه السوء وتحميه من كيد الكائدين، ولا ينساقوا وراء الدجالين والمتزعمين المضللين. فإلى الأستاذ الكبير والشاعر المبدع عزيز أباظة أبعث تحية الإعجاب بهذه المسرحية، راجيا أن يقدم للمسرح مثلها أخوات

عبد الستار أحمد فراج



إلى هالة

للدكتور عبد الوهاب عزام ابنة تدعى هالة وهي صغرى بناته . وقد رافقت هالة أباها إلى جدة حين كان وزير مصر المفوض لدى الدولة السعودية العربية ، ثم رافقته في سفره إلى كراتشي حين عين سفيرا لمصر في باكستان . وكانت تقدم القهوة إلى أبيها في ليالي رمضان ، وتحرص على أن تصنعها بنفسها وتقدمها وتأبى أن يشاركها أحد . ثم تجلس إلى أبيها بعد العشاء ، فيحدثها حديث شيخ الأرانب ، وهو حديث طويل بدأ في جدة ، واستمر في كراتشي ولم ينته . وكان يملي عليها الحديث في كراتشي فتكتبه ثم تصور بعض مناظر الحديث تصويرا دقيقا ؛ فصورت الأرانب وهي قائمة للصلاة ، وصورا أخرى .

وسافر الدكتور عبد الوهاب عزام إلى كراتشي في هذه المرة وحده ، وبقيت هالة في مصر ، فأرسل إليها شوقه وحنانه الأبوي بهذه الأبيات :

أهالة إن شط المزار فإنني إليك ، على نأي الديار ، قريب
حديثك عندي ، والخيال يطيف بي ، له في خيالي جيئة وذهوب
ولكنني والحق أشتاق قهوة يضوع شذاها في يديك ، تطيب
تزفينها بعد الطعام محرماً لغيرك فيها شركة ونصيب
وأشتاق من شيخ الأرانب مجلساً أحدث فيه والخيال خصيب
وخطك ما أمليه تسطير حاذق وضحكك منه ، والحديث عجيب (١)
وتصوير ما سطرت تصوير حاذق يزيد بياني روعة ويجيب
لأذكر صفا للأرانب قائماً يصلي منيبا ، من رآه ينيب
يكاد من الإتقان يسجد خاشعا ويسمع منه في الخشوع وجيب
وجمعاً دعاه للصلاة مؤذن وأحسن فيه قارئ وخطيب
فليتك عندي كي أتم حديثها وذلك تحديث إلى حبيب

كراتشي : **عبد الوهاب عزام**

(١) ويجوز أن يكون هذا الشطر : وضحكك منه ، والكريم طروب

شونبرون لا شمبرون

قرأت قصيدة الشاعر الكبير عزيز أباظة وليسمح لي حضرته أن أوجه نظره إلى غلطتين :

الأولى — غلطة في اسم قصر « شمبرون » إذ صحة الاسم « شونبرون » وهو القصر الذي اعتقل فيه ابن نابليون بعدما هزمت جيوش الحلفاء وعدد جنودها ٠٠٠ و ٣٠٠ الجيش الفرنسي الذي كان تحت إمرة نابليون نفسه وعدد جنوده ٠٠٠ و ٥٠ في واقعة واترلو المشهورة في ١٨ يونية سنة ١٨١٥ وفي أثرها تنازل نابليون عن العرش في ٢٣ يونية سنة ١٨١٥ ثم سلم نفسه إلى إنجلترا ، والحكومة الإنجليزية نفته إلى جزيرة سانت هيلانة وبقي في المنفى إلى أن توفي في ٥ مايو سنة ١٨٢١ وعمره ٥١ سنة

أما ابنه — وكان عمره أربع سنوات وبضعة شهور — فقد أطلق عليه أبوه عقب ولادته لقب ملك روما ؛ إلا أن ماري لويز لما تزوجت بعد نفي زوجها إلى جزيرة سانت هيلانة سمته أمير بارم ؛ ثم سلمته إلى أبيها فرانسوا الثاني إمبراطور النمسا فسماه دوق دي رايشستاج ؛ ولكن فرنسا آثرت أن يبقى له لقبه الأصلي الذي تلقاه عن أبيه وهو ملك روما. وكان الحلفاء أرادوا تنصيبه ملكا على بلاد اليونان أو على بلاد بولونيا ، إلا أن البرنس مترينك كبير وزراء إمبراطورية النمسا اعتقله في قصر شونبرون وبقي معتقلا إلى أن توفاه الله في ٢٢ يولية سنة ١٨٣٢

وقد زرت هذا القصر قبل قيام الحرب العالمية الأولى ورأيت من آثاره التاريخية سرير ابن نابليون وهو السرير الذي قدمته بلدية باريس هدية إلى الإمبراطور نابليون عقب ولادة ابنه في ٢٠ مارس سنة ١٨١١

الثانية — غلطة لغوية في قوله (واحتوتنا سيارة تنهب الأرض) وكلمة « تنهب الأرض » غير صحيحة والصحيح تنتهب الأرض

عزيز خانكي

١ — لمن هذا الشعر

أخبرني صديقي القصاص الموصلي الأديب جلال الخياط —

وهو يعرف ولعى بجمع شعر شوقى وتتبع آثاره — أنه قرأ فى كتاب لا يذكر اسمه الآن هذين البيتين منسوبين إلى شوقى مع القصة التالية :

فى عهد الخديو عباس حصلت جفوة بين الأمير وشاعره ؛ وبعد توسط الوزراء قابل شوقى الخديو فى مقره الرسمى وكان بينهما عتاب فارتجل شوقى البيتين التاليين :

أليس من العز المنيع أن ترى أمير القوافى فى ركابك جاثيا
فوالله لولا العرش الذى أنت ربه لما زعزعتنى قوة من مكانيا [1]

واستدل الأديب الموصلى بقوله « أمير القوافى » أنها لأبى على ، أما أنا فلم أقرأها فى مكان ؛ فهل هى لأمير الشعراء أم لغيره ؟ هذا ما أحب أن يتفضل عنى به القراء الكرام

٢ — عودة الرواية

قرأت الإعلان الذى نشر مؤخراً بمجلة «الرسالة» عن عودة مجلة «الرواية» إلى الظهور لقراء العربية فغمرتنى نشوة من الفرح. وكيف لا يفرح مثلى وقد كانت خير موسوعة للقصص العربية الموضوعة والعالمية المترجمة . ومن عرف أن أستاذنا الجليل الزيات صاحب البيان الساحر والقلم الشاعر سيقدمها إلى قرائه المعجبين يدرك كيف ستكون، وليس لى إلا أن أمد يدى مصافحاً ومهنئاً ذاته العظيمة وقراءه الأعزاء بهذه البشرى السارة فإلى الأمام ياصاحب (دفاع عن البلاغة)

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

(١) أورد لى صديقى صدر البيت على هذه الصورة وهو غير مستقيم وقد حاولت اصلاحه بهذه الصورة (فوالله لولا العرش إذ أنت ربه)

رد ونقد

خطأ بعضهم استعمال (نعاه ينعيه) واستشهد بقول الشاعر :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك (ينعانا) الغراب الأسود

وأقول إنه ورد فى بعض المؤلفات القديمة فقد جاء فى (حياة الحيوان) فى الكلام على (البوم) ما نصه : ورأيت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره ، فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتنى به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو :

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى أكون أول من (ينعيك) مرغوم

ثم إن الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله لا تذهب بى إليه . فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به . فلما مثل بين يدى المأمون أعلمه الخادم بما كتب، فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا ، فقال ياأمير المؤمنين إنه لن يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأوانى والأمتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى، وإنى يا أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه، أو ما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر؟ قال وما قال الشاعر ؟ قال :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب وإحسان تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون أعطه يا غلام ألف دينار ثم قال له هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله »

وجاء فى (نور الأبصار) فى الكلام على (مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين) ما نصه : لما قتل الحسين رضى الله عنه جاء غراب فتمرغ فى دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين ابن على رضى الله عنهما وهى الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدا وأنشأت تقول :

نعق الغراب فقلت من (تنعيه) ويحك يا غراب
قال الإمام فقلت من قال الموفق للصواب

الخ ... فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضى الله عنه انتهى

أما الشاهد فلا أعرفه وأخشى أن يكون محرفا عن بيت النابغة وهو :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود



كرد على

للقصصى الروسى بوشكين

« كرد على » بلغارى بمولده . وهذا اللقب فى اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف ماهو أصل الاسم الذى يتسمى به بطل هذه القصة فقد أطلق عليه لقب « كرد على » وعرف به وأصبح شخصية مخوفة مرعبة فى أنحاء « مولدافيا » لكثرة مايرتكبه من العدوان

ولما أعلن إسكندر أبسلانتى الثورة وأخذ فى حشد المتطوعة جمع له كرد على أصحابه القدامى من قطاع الطرق ومن على شاكلتهم وكان هؤلاء لايدركون حقيقة السبب فى نشوب الثورة ؛ فقد كان مثيرها يبغى من ورائها تحرير اليونان . ولكنهم كانوا يرون فى الحصول على الثروة من أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب أية ثورة

وكان إسكندر أبسلانتى شجاعاً، ولكن لم يتوافر لديه من الصفات ما يكفى لتنفيذ المهمة التى اضطلع بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

وبعد الموقعة التى أفنى فيها زهرة الشباب اليونانى أشار عليه يوردا كى ألبيوتى بالتخلف . وتولى هو مكانه . وهرب أبسلانتى إلى حدود النمسا ثم أرسل لعناته إلى الشعب الذى كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة جبناء سفلة

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجبن هلكوا تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر بروث وهم يدافعون دفاع المستميت جيشا يربو عدده على عشرة أمثال عددهم

وكان كرد على فى فرقة جورج كانتا كوزين الذى يصح أن يقال عنه ماقيل عن أبسلانتى

وفى الليلة التى حدثت فيها موقعة أسكولانا استأذن كانتا كوزين السلطات الرسمية ، وتخلف عن فرقته منضما إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ، ولكن كرد على وسفيانوس وكانتاجونى وغيرهم لم يكونوا بحاجة إلى قائد

والبيت قبل علاجه من عيب (الإقواء) هكذا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا　　وبذاك خبرنا الغراب الأسود

انظر قصة البيت فى الأغانى وغيره

على حسن هلالى
بالمجمع اللغوى

أين كنا . . وكيف أصبحنا ؟ ! . .

كنا سادرين فى ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها ، وقد تحالفت علينا العلل الاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية . فأصبحنا نعيش فى النور ، تظللنا الحرية بلوائها الجديد ، وظلها الوارف المديد ! ...

كنا نعيش فى مجتمع أنهكته العلل ، ودب فيه الفساد ، وتغلغل فى كل مرافقه وأركانه ، وتحكمت فى مصيره طائفة صرفتها مصالحها الشخصية عن مصالح الوطن ، فأصبحنا نعيش فى مجتمع صححت أوضاعه ، وعولجت أدواؤه !

كنا أمة تفرقت كلمتها ، وتعددت أحزابها ، كل حزب بما لديهم فرحون . . يكيد بعضنا لبعض . . فضعفت قوتنا ، وتبعثرت جهودنا ، وضربت الفوضى علينا أطنابها ، وقعد الكثيرون عن العمل الجدى المثمر ... فأصبحنا أمة صهرتها الأحداث ، فجعلت منها كتلة واحدة ، يحدوها هدف واحد ، وتسعى إلى غاية واحدة ، شعارها « الاتحاد والنظام والعمل » !

كنا نعيش بلا أمل .. فأصبحنا نعيش والأمل يملأ قلوبنا ، والإيمان يعمر صدورنا ..

فأين كنا بالأمس ؟! وكيف أصبحنا اليوم ؟!

إنها رحمة الله الواسعة أدركتنا ، فانتشلتنا من وهدتنا ... ونعمته الكبرى أظلتنا ... فلنتحدث بنعمته ... ولنسأله المزيد من رحمته !

عيسى متولى

ولم توصف موقعة أسكولانا على مايظهر بالوصف الذى تستحقه فتخيل سبعمائة رجل من الألبان واليونان والبلغار وحثالات كل الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون الحرب ... تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف فارس من فرسان الجيش التركى العظيم عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها مدفعان قل فى الفرقة من يعرف كيف يستعملان . وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولـكنهم فى تشبث وعناد أرادوا أن نـكون نحن البـادئين

وكان قائدنا بحمد الله لم يسمع قط صوت رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص فى الهواء نفر سمعه ، ونفد صبره ، وتقدم جيشنا متوعـدا الجيش التركى بثباته ثم ارتبك فلم يعرف ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجرى فجرى على شاطئ النهر وجرى وراءه جيشه . وفى أثره كتلة الجيش التركى

وكان هـذا القائد الذى هدد جيش الترك بإصبعه يدعى خونشفسكى ولا أعرف ماذا صار إليه أمره

وفى اليوم التالى هاجم الأتراك الثوار وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا المدافع ، بل استعملوا السلاح الأبيض ، فـكنت ترى الرمح فى يد كل جنـدى . ولم يكن الأتراك قد استعملوا الرماح من قبل . وكانت رماحهم روسية سلبوها من جنودنا فى موقعـة سابقة . جرح كرد على فى تلك الموقعة ، وقتل سفيانوس . وكان كانتا جونى عظيم الجسم فأصابته حربة فى بطنه فاستل سيفه بإحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح العدو

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت مولدافيا من الثوار إلا ستمائة ألبانى تشردوا فى أنحاء بسارابيا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصلون على القوت فإنهم كانوا شاكرين حماية روسيا وكانوا يرون جلوسا فى المقاهى الصغيرة فى بسارابيا التركية الروسية وعلى أفواههم أقـداح القهوة . وقد أخذت الرثاثة تبـدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم الحمراء . ولـكن طرابيشهم الحمر المطويلة ذات الزر الطويل كانت لا تزال مائلة إلى أحد الجانبين . وكانت الخناجر والمسدسات لا تزال على مناطقهم ، ولـكن أحدا لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال أن يتصور إنسـان أن هؤلاء البائسين بقية من ثوار مولدافيا زمـلاء كرد على وأن كرد على نفسه كان بينهم

على أن الباشا التركى علم بهذه الحقيقة وطلب إلى السلطات الروسية عملا بالمعاهدات أن تسلمهم إليه فاعتقلتهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر ماضيه وقال :

« ولـكننى منذ عبرت نهر بروث على أثر الموقعة لم أمد يدى على أى إنسان ، وقد يكون الأتراك وأهل مولدافيـا محقين فى عداوتهم إياى لأنى كنت أقطع الطريق عليهم ، ولـكننى ضيف على الروس فلماذا يسلموننى إلى أعدائى ؟ »

وبعد هذا القـول لزم الصمت وانتظر فى هـدوء ماتقضى به الأقدار فى شأنه . ولم يطل أمد انتظاره فإن السلطات لاتنظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف التى يلقيها عليهم الـكتاب والشعراء لانصرافهم إلى الجانب الروائى من حياتهم . ومن أجل ذلك سيق كرد على مكبلا بالحديد إلى السجن فـكان يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الـكتفين عظيم القوة عليه علائم الخشونة ، وفى نظراته زهو وسكينة

ودخل غرفته فى السجن موظف تركى أحمر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوباً عسكريا قدسقطت منه ثلاثة أزرار . وفى وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم فى ذلك الوجه مقام الأنف . وكان فى يده أوراق أخذ يتـلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصغى إليه باهتمام

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح فى خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جاسى ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتمتم فى صوت يتهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيراً عظيما ؛ وعرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنيناً أزعج الموظف فتقهقر ثم صدع السجين بالأمر فاستسلم للجنود الذين حملوه إلى عربة جرت به فى الطريق

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكرى : « ما الذى قاله لك كرد على ؟ » فأجاب وهو يبتسم : « لقد طلب إلى أن أعنى بزوجته وبابنه اللذين يعيشان غير بعيد فى مدينة كيليا وهى من

قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيهما الجماهير بسببه والجماهير حمقى

ووصل كرد على إلى مدينة جاسى فحوكم أمام الباشا فحكم بإعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه فى السجن إلى أن يحين الموعد

وتولى حراسته فى السجن سبعة أتراك هم فى صميم أنفسهم لا يختلفون شيئا عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونه ويصغون فى دهشة ولذة إلى ما يقصه عليهم من الأحاديث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفى يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الإخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يفر مما قدر عليه ، فسأتركـكم ولكنى أريد أن أترك لكم أثرا تذكروننى به »

أرهف الأتراك آذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الإخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق فى منسر ميخالاكى . ودفنا بالقرب من هذه المدينة آنية مملوءة بالمال . ثم منعتنا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهى لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا وعيهم ، وكان السؤال الوحيد الذى يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآنية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

قادهم من مكان إلى مكان فمشوا مسافة طويلة . وأخيرا وقف أمام صخرة عظيمة وقال : هنا تحت هذه

وقف الأتراك يتدبرون . ولما استقر رأيهم أخرج أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول الصخرة . وبقى ثلاثة منهم فى الحراسة . وجلس كرد على فوق الصخرة ينظر ويترقب ؛ ثم قال بعد مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أى نوع من الناس أنتم ؟ حتى حفر الأرض لا تستطيعونه ؟ إننى كنت أفرغ من عملكم هذا فى دقيقتين . حلوا وثاقى وأعطونى خنجراً

ففكر الأتراك ثم قالوا ؛ أى ضرر فى إجابته إلى ما يطلب ؟ نحن سبعة . فلنحل وثاقه ولنعطه خنجراً

وما أغرب الشعور الذى شعر به عند ذلك ! لقد تناول الخنجر وأخذ يحفر . وفى أثناء عمله أغمد الخنجر فى صدر أحدهم وتركه فى صدره واختطف من منطقة الصاب مسدسين

وما يزال كرد على إلى اليوم يقطع الطريق بالقرب من جاسى وقد كتب منذ أيام إلى حاكم المدينة يطلب إليه أن يترك فى مكان عينه خمسة آلاف ليقى ، متوعداً بأنه إن لم يرسلها فهو ميت لا محالة وقد أرسل إليه هذا المبلغ

وهذا هو كرد على

ع . د

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٤٧

مجلة الرسالة للعلوم والفنون

20 me année No 1015

Le Caire 15 — 12 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٧٢ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فرنسا أم الحرية !

للأستاذ سيد قطب

هذه هى فرنسا .. أم الحرية .. كما يقول العبيد الكثيرون المنتشرون فى مصر والشرق العربى !

هذه هى فرنسا بلا تزويق ولا تنميق . فرنسا كما هى بدون هالات مزورة ولا دعايات براقة . فرنسا كما تصفها أعمالها ، لا كما تصفها الأقلام الخائنة ، والألسنة الخادعة ، أقلام العبيد ، وألسنة العبيد ، المنتشرين فى مصر والشرق العربى !

هذه هى فرنسا .. عصابة من قطاع الطرق .. عصابة متبربرة متوحشة ، تترصد للزعماء السياسيين فتقتلهم غيلة وغدرا ، وتمثل بجثثهم فى نذالة وخسة .. ثم تقف لتتبجح على ملإ من الدنيا كلها ، لأن هذه الجرائم مسألة داخلية لا يجوز أن يسألها أحد عنها !

هذه هى فرنسا تقف كاللبؤة ، فمها يقطر من دم الزعيم البطل « فرحات حشاد » ، والدنيا كلها ترقبها وهى تلغ فى الدم ولكنها لا تخجل ، لأن فرنسا « الحرة ! » قد ضيعت دم الحياء ، وهى تلغ فى دم الشهداء !

هذه هى فرنسا التى تهجد بذكراها ، وسبح بحمدها وصلى ، رجال ممن يقال عنهم أو عن بعضهم إنهم من قادة الفكر

ومنذ قرن وربع قرن ؛ وفرنسا تمثل مسرحيتها الوحشية هذه على مسرح الشمال الإفريقى ، منذ احتلالها للجزائر فى عام ١٨٣٠ . وفى خلال تمثيل هذه المسرحية البشعة كان العبيد ينشدون نشيدهم الدائم باسم فرنسا . فرنسا حامية الحرية

وفرنسا تكرم هؤلاء العبيد الذين يخدعون شعوبهم ، ويخونون أوطانهم ، ويخدرون جماهيرهم ، ويمسحون عن فم فرنسا القذر آثار الدماء . . ومن العجيب أننا نحن أيضا كنا نكرمهم كما كرمتهم فرنسا ؛ ونرفع أقدارهم كما رفعتها فرنسا ، ونهيئ لهم المناصب والمراكز ، التى تمكنهم من خدمة أمهم فرنسا !

ونبحث اليوم عن هؤلاء العبيد . من قادة الفكر ، نبحث عنهم ليقولوا كلمة واحدة عن الجريمة الوحشية الجديدة ، فلا نجد لهم أثرا . لا يثور ضمير واحد منهم فيقول كلمة . ولا يرتعش قلب واحد منهم أمام الجثة المشوهة المعالم . جثة البطل الذى جبنت فرنسا عن مواجهته ، فقتلته غيلة وغدرا !

***

إن جريمة فرنسا الجديدة هى جريمة الضمير الغربى كله ففرنسا لا ترتكب جرائمها إلا وهى مسنودة الظهر بالمعسكر الغربى . لا ترتكبها إلا وهى تستند إلى إنجلترا وإلى أمريكا

إن الضمير الغربى كله ، بكل ما فيه من وحشية عميقة الجذور . ، ليتمثل بوضوح فى تلك الجريمة . إنها جريمة الديمقراطية ، جريمة « العالم الحر » . جريمة الحضارة التى يدعونا العبيد الكثيرون المنتشرون فى مصر والشرق العربى ، من قادة الفكر

أن نترك عقائدنا وتقاليدنا وتاريخنا وأمجادنا ، ألنلهث وراءها ، كيما نرتقي ونتحضر ، ونلحق بركب العالم المتحضر ! العالم الذي يقتل الزعماء الوطنيين غيلة وغدرا ، ويمثل بجثثهم في نذالة وخسة !

إن هذا الضمير الذي أوحى لفرنسا بأن تقتل الزعيم التونسي وتمثل بجثته ، لهوذات الضمير الذي أوحى إلى إنجلترا أن تلقي بالجرحى من الفدائيين في القنال ، إلى الكلاب المتوحشة لتنهشهم وهم بعد أحياء ، لا يملكون دفعها عن أجسادهم لأنهم جرحى

وهو ذاته الضمير الذي شاهدته بعيني في أمريكا . والبيض يتجمعون على شاب زنجي بمفرده ، ليضربوه ويركلوه ويدهسوه بكعوب نعالهم حتى يخلطوا عظمه بلحمه ، في الطريق العام ، والبوليس لا يحضر أبدا إلا بعد إتمام الجريمة وتفرق الجماهير المتوحشة الهائجة كوحوش الغابة

إنه هو ضمير العالم المتحضر . العالم الذي تسبح بحمده أقلام خائنة ، وألسنة خادعة . ومن بين هذه الأقلام أقلام قادة الفكر ، ونحن ببلاهة منقطعة النظير نصفق للخونة ونهتف للخادعين، ونرفعهم مكانا عليا .. ونهيئ لهم المناصب والمراكز التي يتمكنون بها من تنفيذ جريمة الخداع والخيانة !

* * *

ولدينا في مصر والشرق من عبيد فرنسا من يقولون لنا : لا تكتبوا هكذا ، لئلا نخسر صداقة فرنسا . ونحن ـ كمصريين ـ لا بد أن نلاحظ مصالحنا القومية ، وألا نندفع مع حماسة العاطفة !

إلى هؤلاء العبيد أوجه سؤالي : متى كانت فرنسا صديقتنا ؟ متى وقفت في صفنا مرة واحدة في التاريخ كله ؟ وفي أي مظهر من المظاهر تمثلت لنا صداقة فرنسا ؟

فرنسا هي التي قادت الحملات الصليبية على الشرق العربي منذ تسعة قرون ، وكانت جيوشها الصليبية أشد جيوش الصليبيين ضراوة وإجراما وفتكا

وفرنسا هي التي خانت مصر في قناة السويس ، فاستغفلت « محمد سعيد » والى مصر نطبق من « الماكرونة » بواسطة دبلسبس المحتال الذي تحتفظ مصر بتمثاله على مدخل قناة السويس إلى هذه اللحظة . وسرقت ملكية القناة من مصر ، وقد أنشأتها في أرضها بمالها وعمالها ونصيبها من الربح ، وحقها في الإشراف . وهي تعمل اليوم جاهدة لإتمام سرقة القناة في نهاية مدة الامتياز بوسائل شتى

وفرنسا هي التي خانت عرابي ، ومهدت للاحتلال الإنجليزي؛ ومعركة التل الكبير ما كانت لتتم لولا خيانة ديلسبس لعرابي . وما كانت الجيوش الإنجليزية بقادرة على هزيمة مصر في معارك تقع من الغرب في الدلتا . ولكن الخيانة الفرنسية قد آتت ثمارها وما زلنا نملك هذه الثمرة المرة حتى يومنا هذا

وفرنسا هي التي قاومت كل المقاومة إلغاء الامتيازات في مؤتمر مونتريه وعرقلت جهود مصر في إزالة آثارها النهائية . وكانت تعض على هذه الامتيازات بعنف ، فلا تدعها تفلت إلا بعد معارك حامية في المؤتمر لا نزال نذكرها

وفرنسا هي التي وقفت تسند إنجلترا بعنف في مجلس الأمن ضدنا . وكان لسان مندوبها في المجلس هو أقسى الألسنة علينا . وقد تجاوز حد الجدل السياسي إلى الوقاحة والسباب والتهكم . وهذه محاضر مجلس الأمن بخصوص قضية مصر القومية الكبرى تشهد بمدى « صداقة » فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب ثقافتنا وكتبنا وصحافتنا في الشمال الإفريقي كله . ولقد عجز الدكتور طه حسين وهو في وزارة المعارف — وهو أصدق أصدقاء فرنسا — أن يفتتح معهدا لمصر في الجزائر . أو حتى في طنجة التي تحكم دوليا بسبب تعصب الصديقتة الكبرى فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب جلاء الجيوش الإنجليزية الآن عن مصر ، وتكافح كل حركات التحرير — لا في الشرق العربي وحده ، بل كذلك في جميع أطراف الدنيا — ومع هذا كله فإن فرنسا هي حامية الحرية الكبرى !

هذه هي صفحة « صداقة فرنسا » فأي سطر فيها هو الذي نخشى أن نشوهه أو أن نطمسه . ومتى وأين وكيف كانت هذه الصداقة التي نخشى عليها ؟ !

* * *

وبعد فإن الكلمات لم تعد تجدي .. إنه لا بد من إجراء

يتخذه كل بلد عربي – بل كل بلد إسلامي – لكفاح فرنسا . وكفاح العالم الاستعماري الذي يسندها

وأول إجراء في نظري يجب أن يتخذ هو إقصاء المسبحين بحمد هذا العالم من حياتنا الفكرية والشعورية . إن لم يمكن إقصاؤهم من حياتنا السياسية والاقتصادية . لأن قوى الاستعمار تسندهم ، وتمكن لهم في وظائف الدولة وفي الأسواق ودوائر الأعمال

إنه لا بد أن نتحرر فكريا وشعوريا من عبادة «العالم الحر» . العالم المتحضر ، العالم الذي يغتال الزعماء ويمثل بجثثهم في نذالة . والذي يلقي بالجرحى إلى الكلاب المتوحشة لتنهشها . والذي يتجمع كالوحوش الهائجة على شاب ملون فلا يتركه حتى والدماء الغزيرة تتفجر من فمه وأنفه ورأسه

وحين تتحرر مشاعرنا من عبادة هذا العالم المتعفن . وحين تتجمع أحقادنا المقدسة ضد هذا العالم ، حين نمسي ونصبح وهذه الأحقاد المقدسة تغلي في عروقنا .. حينئذ سنعرف كيف نتخلص من العبودية . إن عبودية الضمير هي التي تخضعنا . فلنتحرر منها أولا ، ولنخرس كل صوت ، ولنكسر كل قلم يحدثنا حديث العبيد . العبيد الكثيرين المنتشرين في مصر والعالم العربي

سيد قطب

الإسلام دين الفطرة والحرية

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

رحم الله الأستاذ عبد العزيز جاويش فقد أمضى عمره مكافحا دون وطنه ودون دينه . وخرج من الدنيا كما خرج المجاهدون أمثاله من غير نسب ولا جاه ولا مال . وحسبه من مجد الدنيا وزخرفها أن يذكره الناس من بعده بكل خير وجمال ومعروف ، وأن يبعثوا إليه في مثواه الأخير بتحيات عاطرة خارجة عن حدود المادة وحدود الضرورة ، إنما هي تحية روح إلى روح ، جزاء ماقدم للدين والوطن من نفسه وماله ونشاطه

لم تكن حياة هذا البطل المجاهد سهلة ولا ميسرة ، وهو لم يرد أن يقنع في حياته هذه بما ييسر لكثير من الناس ، فيرضى به ، ويقبل عليه ، ولا يرى بأسا في الركون إليه ولو إلى حين ، فيكفي نفسه مشقة الجهد والبذل والدءوب . بل أرادها حياة واسعة في مجال واسع ، حتى يستشعر لذتها وبهجتها ، كما ضرب هنا وهناك في فجاج الأرض وأقطار المعمورة ، وكما جرد قلمه منافحا عن وطنه الذي ذل تحت أقدام المستعمرين . وكما سود الصحائف في تبيان أهداف دينه وأغراض الدعوة الإسلامية المباركة

وما كان الإنجليز ليرضوا عن هذا الوطني الحر والتدين عميق الإيمان ، فطاردوه من مكان إلى مكان . وكانوا وراء كل محاولة لإيذائه أو إعناته أو إخراجه من وطنه مصر . ولذلك لم يكد يستقر به المقام في هذه البلاد . فكان دائما يضطر إلى الاضطراب في بقاع أخرى من العالم ، يجاهد فيها في سبيل وطنه ودينه ما أتيحت له الأسباب والوسائل ، فإذا ماسنحت فرصة لرجوعه إلى الديار مرة أخرى ، رجع غير محس ضجرا ولا خوفا ولا ضعفا ، واستأنف جهاده الذي لاينقطع إن في مصر وإن في غيرها ، وعاد إلى التحرير والكتابة في الصحف التي كانت ترحب بما يكتب وتفسح له في صفحاتها مكانا محمودا

وقد رأس عبد العزيز جاويش تحرير (اللواء) بعد مصطفى كامل ، وأخرج مجلة (الهداية) لإفهام المسلمين أسرار القرآن وهو في مصر ، ولما أبعد إلى تركيا أعاد إصدار هذه المجلة ، وأصدر مجلة (الهلال العثماني) ومجلة (الحق يعلو)

وقد حوكم أكثر من مرة بسبب مقالاته الوطنية اللاذعة في اللواء ، كمقاله (دنشواى أخرى في السودان) ، وكمقاله (ذكرى دنشواى) ، وكمقدمته لكتاب (وطنيتي) الذي وضعه على الغاياتي

واشتغل بعض الوقت بالتعليم . وتولى منصب المفتش الأول للغة العربية . وكان أستاذا للعربية بجامعة أكسفورد . وعين مراقبا عاما للتعليم الأولي وأدخل عليه إصلاحات كثيرة ، ووضع أساس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأعاد إصلاح كلية

صلاح الدين بالقدس الشريف وعهد إليه بإدارتها

وأسهم فى جميع التبرعات وإرسال الأسلحة وتهريب القواد الأتراك إلى طرابلس لمقاومة الغزو الإيطالى . وحين أعدت قوة من الجيش التركى فى سنة ١٩١٥ لتخليص مصر من الاحتلال الإنجليزى اشترك فيها

وإذا ضاقت به مصر خرج إلى تركية أو ألمانية أو سويسرة وأصدر مجلة (العالم الإسلامى) الوطنية فى تركية . وأصدر مجلة فى سويسرة ومجلة فى ألمانيا .

من هذا ترى أن الرجل كان شعلة من النشاط الدافق . وكان نشاطه متنوعا فحينا يكتب فى الصحف . وحينا يصدر المجلات بلغات مختلفة . وحينا يجمع التبرعات ويسهم فى تحرير الوطن الإسلامى من الغزو الأجنبى . وحينا يصلح برامج التعليم ويشرف على بعض فروعه ونواحيه . وحينا يكتب محررا وطنه صابا لعناته على المستعمرين وأعوانهم . وحينا يكتب مدافعا عن الإسلام شارحا دعوته مبددا للشبهات التى يثيرها أعداؤه . وهو حينا فى مصر . وحينا آخر فى تركية أو ألمانية أو سويسرة أو إنجلترة وكان يوجه كل هذا النشاط إلى الخير ، لا يألو فى ذلك جهدا ، ولا يرى بابا إلا طرقه ، غير طامع فى منصب أو مال أو جاه

وفى الحق أن الأستاذ عبد العزيز جاويش كان من الأبطال المجاهدين ، الذين أخلصوا لله وللوطن من غير أن يعلنوا عن أنفسهم وجهادهم ، ومن غير أن يطلبوا على مافعلوا أجرا ولا جزاء ، حتى تخطاهم إلى الظفر والفوز كل مهرج دعى أفاق

وكتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) الذى ألفه الأستاذ عبد العزيز جاويش يتفق وطبيعة مؤلفه المكافحة . فالمؤلف لم يرض بالذل ولا بالاستعمار ولا بالخنوع ، ولم يرض بالقيود التى تعوق الإنسان عن أداء رسالته التى تؤهله لها فطرته ، فهب مناديا بالتحرر من الاستعمار والجهل والطواغيت . والكتاب كذلك لم يرض بالظلم الواقع على الإسلام ، ولا بالدعاوى الفارغة التى يتهم بها زورا ، ولا بالتقليد الذى حد من قدرة المسلمين وجعلهم آلات من غير وعى ولا إدراك ، فكان هو الآخر صوتا ناطقا بما للإسلام من حق مجحود ، وبما له من ميزات سامية تحمل

الناس فى رفق على العدل والإنصاف والحرية والكرامة

ولكى نفهم قيمة هذا الكتاب ، وهو كتاب قيم لامراء ، يجب أن نعرف أن الفترة التى كتب فيها هى الفترة التى كان الاستعمار يطرق بمطرقته الآثمة كل معاقل الحرية والأمان والنور فى مصر . كان يحاول أن يشككنا فى قدرتنا ، وفى اقتصادياتنا ، وفى علمنا ، وفى ديننا ، وفى معنوياتنا التى نستند إليها فى الظروف العصيبة والمحن الملمة . وكان هذا ، ليخلو له وجه البلد ، فيصنع مايشاء ، ويوجهه إلى حيث يريد . وكان يتابعه فى ذلك كثير من أبناء الوطن من المسلمين وغيرهم . وكان هو يعتمد على هؤلاء المشايعين له فى تحقيق أغراضه وإذلال البلاد وإهانتها ، ممثلا ذلك فى زعمائها الأحرار ، ودينها ، وأخلاقها ، ومواردها كلها . وفى ذلك الحين شن المستعمرون والمبشرون والمقلدون من المسلمين على الإسلام حربا واسعة . واتهموه بكثير من الاتهامات الباطلة ، فألقوا فى قلوب المسلمين وعقولهم أن الإسلام لم يعد يصلح أساسا لحياة أمة حرية بالتقدير والاحترام . ولم يكن المسلمون الأكفاء ليرضيهم هذا التجديف فوقفوا له واعترضوا طريقه . وقفوا فى وجه الاستعمار ، وفى وجه المبشرين ، وفى وجه المقلدين من أبناء الإسلام ، وفى وجه الجهل بشؤون الدين وشؤون الحياة عامة

قيل إن الإسلام انتشر بالسيف ولم ينتشر بالحجة والاقتناع ، وقيل إن الإسلام أباح للمسلم أن يعمد إلى الطلاق ليتخلص من زوجته دون قيد ولا شرط . وقيل إن الإسلام رضى عن الرق وأباحه . وقيل إن نبى الإسلام لم يكن إنسانا سويا حين تزوج كثيراً من النساء ، وحين زوج امرأة زيد بعد طلاقها . وهذه كلها موضوعات دار حولها البحث ، وعرضها كتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) عرضا مفيدا ، وأبان عن وجهة الإسلام فى هذا كله ، وأظهر الناس على حقائق الأمور فيما يتعلق بعدل الإسلام وإنصافه وحكمته ومراعاته صالح الأفراد والجماعات فى كل قوانينه وأصوله ، فلم يكن دينا إباحيا ولا ظالما ولا قاهرا بالسيف ولا غابنا الإنسان حقه وحريته .

وإذا كان للصليبيين والاستعماريين عذر فيما يدعون ، فإنه لاعذر للمسلمين الذين طمس الجهل والغرور على عيونهم وبصائرهم ،

والذين يجرون وراء الأوربيين متابعين لهم فيما يرون من رأى ويصطنعون من مذهب. وقد جدف علماء المسلمين كثيرا فى تفسير القرآن، وفى تأويل الحديث، وفى الفهم عن موارد الإسلام النقية، حتى كانوا — من حيث يعلمون أو لا يعلمون — عونا لأعداء الدين، بل كانوا أشد إيذاء له وتكديراً لصفوه، فاتخذت أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام لا حجة له « إن النقائص التى مثلت بالإسلام فى أعين غير أهله، إنما نشأت من اعتبار أعمال الخلف الصالح، ميزانا لتقدير قوانين الشرع ونواميسه، فمن قائل بسد باب الاجتهاد، ومن إمام أو خليفة قضت عليه أغراضه البهيمية أن ينتهك حرمات الله، ثم يحارب الله فينسب إليه ماليس من دينه فى شىء، ومن عالم اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فأفتى بما يطابق أهواء ملك أو أمير تذرعا إلى الزلفى منه، ومن أحمق أرعن لم يرض من اليسر مارضى الله لعباده فشط بالناس واعتسف بهم، حتى ضاقت نفوسهم، وأيقنوا بالعجز عن احتمال تكاليف الدين فانقطعوا عنه ظانين بالدين الظنون »

والدعوة الإسلامية دعوة تهذيبية اجتماعية إصلاحية. ولكن كثيرا من المسلمين لم يرموا إلى هذه الغاية فى تفسيرهم القرآن الكريم، ففسروه على وجوه مختلفة، لا على هذا الوجه الذى يؤدى إلى غايته الرفيعة. منهم من فسره تفسيرا علميا فلسفيا مستوحيا الحقائق العلمية والنظريات الفلسفية. ومنهم من حشاه بالإسرائيليات التى لا تغنى كثيرا ولا قليلا. ومنهم من عنى بالنكات البلاغية والفوائد النحوية. ومنهم من جعل للقرآن ظاهرا وباطنا، فالظاهر للعوام، والباطن للخواص، مع أنه قرآن عربى صريح واضح. ومنهم من أول بعض الآيات تأويلا سيئا يصرفها عن غرضها الذى سيقت له إلى أغراض أخرى ليست من الإسلام فى شىء

هذه الجهود المختلفة فى تفسير القرآن، لم تكن على بصيرة من هدف الدعوة الإسلامية، ولم تكن تستقى من منابع الإسلام الصافية، ولذلك ضلت الطريق السوى فى خدمة الإسلام والمسلمين ولو أنفق المسلمون جهودهم فى الاستنارة البصيرة، والاجتهاد القويم، وشرح أهداف الإسلام كما رسمها القرآن والحديث، لما كانت هذه الدعاوى المزورة التى يقصد بها الإزراء على الإسلام وعلى نبيه وعلى مبادئه وغاياته

إن الإسلام يجل الحرية. ذلك لأن أنسامها تنفس عن الصدور والعقول والأفئدة، وترقى بالإنسانية مصعدة فى مدارج الكمال، وتضفى على أعمال الإنسان وأقواله وأفكاره وشاح الشخصية الأصيلة. وقد بسط الأستاذ عبد العزيز جاويش موقف الإسلام من الحرية بسطا رائعا لا يخلو من تعمق وفهم لأسرار الشريعة الغراء. وهو يستدعيك إلى التسليم بما يقول حتى فيما يرى من رأى يخالف لرأى جمهور العلماء. وهذا الخلاف نفسه يجعلك تؤمن بأن الرجل نقى السريرة لا يرمى إلا إلى عزة الإسلام والمسلمين

لم يقصر الإسلام فى ذات الحرية، بل دعا إليها، وجعلها أساسا لبناء المجتمعات وصيانة الأفراد، وأنحى على المقلدين باللوم العنيف، وراح يجأر بالدعوة إلى التفكر والتدبر، دون مشايعة لرأى موروث أو فكرة بذاتها، وقرر أن الذين لا يستخدمون أبصارهم ومسامعهم وقلوبهم فيما خلقت له هم كالأنعام بل أضل « ألهم قلوب لا يفقهون بها، أم لهم أعين لا يبصرون بها، أم لهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون » « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وأكثر من هذا أن الإسلام لم ير الإكراه فى العقيدة، بل ترك الحرية لكل إنسان يختار من العقائد والمبادئ ما يشاء « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

وإذا كان لا إكراه فى الدين، ولا إكراه على اتباع عقيدة معينة، فلم أباح المسلمون قتل المرتد؟ ولم شنوا هذه الحروب فى صدر الإسلام على الذين شقوا عصا الطاعة وكفروا بالدين أو ببعض مبادئه؟ وهنا نجد الأستاذ عبد العزيز جاويش يجيب فى صراحة تامة أن المرتد نوعان: نوع ارتد عن الإسلام أو ببعض مبادئه من غير أن يعلن حربا أو يساند عدوا أو يدل على عورة فى الجبهة الإسلامية، وهذا لا يجوز قتله، لأن آيات القرآن الكريم لم تشرع حكما يجوز أن نؤاخذهم على أساسه، بل إن الإسلام يرى عدم الإكراه فى العقيدة ولا على اتباع فكرة بعينها ولو كان هو هذه العقيدة أو تلك الفكرة. ونوع ارتد عن الدين، وصار حربا

عليه ، وأعان الـكفار على المسلمين، ودل على مواطن الضعف فيهم وهذا يقتل ويحارب ، لأن الشرائع المنزلة والوضعية قبل الإسلام وبعده أباحت قتل المحارب واتخذته عـدوا . أما الذى حدث على عهد الخليفة أبى بكر ، من قتل المرتدين ولو لم يحاربوا ، فرجع ذلك إلى أن الإسلام كان فى أول عهده ضعيفـا يخشى الانتقاض عليه والإيقاع به ، ولذلك قتل كل خارج عليه بعد أن اعتنقه ، حتى يأمن على نفسه فى أول أمره

وقد حمل الإسلام الزنادقة على حكم المرتدين. فالزنادقة قتلوا فى أول الأمر زمن على بن أبى طالب ، لأن الإسلام كان يخشى الدسائس ، وكان يعمل على أن يؤمن حياته وحياة أتباعه فى هذه الفترة الأولى من حياته . أما بعد أن آمن ، وقوى ، واشتد ، ولم يعد يخشى المكائد ولا الانتقاض ، فلا يجوز أن يقتل الزنديق ، كما لا يجوز أن يقتل المرتد ، وإن كانا ينصحان ويستتابان أبدا ، عملا بمبدإ الحرية الذى أقره الإسلام وحماه ودعاه إليه

والإسلام لا يخشى العلوم المختلفة ولا المعارف الـكونيـة . وهو الذى وسع فلسفة اليونان وحكمة الهنود ومعارف الفرس . ودفع المسلم إلى استقبال العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، عن المسلمين وعن غيرهم ، لأن العلم الصحيح لا وطن له ، ولأن العلم الصحيح من الحقائق الـكونية التى لا تبدل ، ولأن الحرية أصل كريم فى الحياة الإسلامية « لذلك كان شأن القرآن إزاء العلوم ، وقد كان من موسوعاتها العلوم العقليات من الرياضية والطبيعيات وما وراء الطبيعة ، فهو الذى قام بالدعوة إليها ، والترغيب فى البحث عن دقائقها وأسرارهـا ، وهو الذى ببركته وجد بين المؤمنين آلاف من أمثال : الـكندى ، ومحمد بن موسى الخوارزمى ، ويحيى ابن أبى منصور ، والعباس بن سعيـد الجوهرى وأحمد بن كثير الفرغانى ، وجعفر بن محمد البلخى ، ونصير الدين الطوسى ، وثابت ابن قرة ، وعمر الخيام ، وابن سينا ، وابن رشد ، وأبى الحسن ابن الهيثم ، وأشبـاه هؤلاء من فطاحل العلوم الرياضية والطبيعية والأثقال والموسيقى وغيرها »

لم يكن الإسلام إلا دينا حرا ، يرعى العقل ويحترمه ، ولا يميل إلى إلزام أحد شيئا . فهو واسع العلوم المختلفة والفلسفات المتباينة ، وهو لا يقتل المرتد المسالم ولا الزنديق الذى يهـادنه . وهو ندد بالمقلدين ودعا إلى التفكر والتدبر وإلى العلم الصحيح والنظر السليم. وأنت تعلم أن الـكفار فى أول العهد بالدعوة المحمدية قد طلبوا من النبى — على سبيل التحدى والتعجيز والمشاقـة — معجزات كونية ، كأن يأتى بالله والملائكة قبيلا ، وكأن يرقى فى السماء ولن يؤمنوا لرقيه حتى ينزل عليه كتاب يشهد بصدقه ورسالتـه ، وكأن يكون له بيت من زخرف وجنات من نخيل وعنب قد فجرت الأنهار خلالها تفجيرا . وأنت تعلم أن النبى لم يجبهم إلى هـذا ، لأنهم يعجزونه ، ولأنهم لن يؤمنوا مهما أتوا من المعجزات ، ولأن الإسلام لا يريد أن يكبتهم ويحملهم على اعتناقه والإيمـان به ، إذ هو دين الحرية والاختيار الخالص . ولـكن كيف يكون ظهور المعجزة إلزاما وحملا للمشركين على الإسلام ؟

الحقيقة التى جرت عليها السنة الإلهية فى الأمم السابقة ، أن الأمة من الأمم إذا طلبت معجزة وحققت لهـا هذه المعجزة ، ولم تؤمن بها وتنزل على مقتضاها ، عجل الله لها الخسف والعـذاب والإبادة . ومعنى هذا أن الأمة كانت بمنطوق المعجزة ومفهومهـا تحمل النـاس على الإيمان برسالة الرسول الذى ظهرت على يديه ، وإلا فالعقـاب والإهلاك . أما الإسلام ، فلأنه دين الحرية الذى لا إلزام فيه ولا حمل ، ولأن المعجزة الـكونية كان يتبعها الإيمان أو العذاب — فلم يستجب إلى ماطلبه المشركون من هذه المعجزات الـكونية ، حتى لا يكون ثمة حمل على الإيمان به ولا إلزام للمشركين أن يتبعوه

هل لنا أن نعرف وجوه الجمال فى هذا الدين التى كثر ما أغضينا عنها ! وهل لنا أن نعرف المجاهدين الأبرار الذين أنفقوا أعمارهم وحيـوبتهم فى سبيل الدين والوطن ! وهل آن أن ترجع الحقوق المهضومة إلى أصحابهـا فيتسنموا الذروة اللائقة بهم ! إن الدين قد أساء إليه أبناؤه المرتزقون ، وإن الوطن قد غلب على أمره بفعل المهرجين أدعيـاء الوطنية ، وها نحن أولاء الآن فى عهد بوادر الـكرامة والعدل والحرية ، وما أظن هـذا العهد يحرم المخلصين جزاءهم ، ويجحدهم فضلهم ، بل يرفعهم إلى مكانهم فى الخالدين — الأحياء منهم والأموات سواء

محمود عبد العزيز محرم

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٣ —

بداية الشوط

انتهى المازنى من مرحلة الدراسة الثانوية . وبقى عليه أن يختار لنفسه الاتجاه الذى يؤثره فى المرحلة النهائية . وقد اختار مدرسة الطب ، لأنها كانت المجال الذى آثره غير واحد من ذوى قرابته ، ولأن « مصروفاتها المدرسية » كانت مما يدخل فى طوقه ، « . . ولكن ناظرها الدكتور كيتنج رمى لى بأوراق فى الشارع ، لأنى يوم الكشف الطبى دخلت قاعة التشريح فرأيت جثة منتفخة تفوح منها رائحة نتن خبيث ، فدار رأسى وأغمى على »

وطرق باب مدرسة الحقوق وهى أقرب إلى ملكاته ، وكانت نفقاتها كذلك مما يقدر عليه . على أنه لم يكد يتقدم إليها حتى ضوعفت « مصروفاتها » فارتد عنها حائراً لا يعرف إلى أين يصير

وكان القدر ينسج بعض خيوط هذه الحياة المضطربة ، حياة المازنى ، حين أعلن فى ذلك العام افتتاح مدرسة المعلمين العليا . وعرف المازنى أن التعليم فيها بالمجان ، وأن مدة الدراسة سنتان ، بل إنها ، فوق ذلك ، تمنح تلاميذها مكافآت شهرية يسيرة ولكن لا بأس بها فى ذلك الحين . واجتذبت المازنى كل هذه المزايا إلى المدرسة ، فألقى فيها بنفسه ، على كره ، بعد أن ردته الطب والحقوق

وفى مدرسة المعلمين لم تكن مواد الدراسة كثيرة ولا البرامج طويلة ، ولا تخصص فيها

ويقول الأستاذ العقاد « كان الطالب فى تلك المدرسة يستعد لتدريس الرياضة والجغرافية أو التاريخ فى الوقت الواحد . . فأوحت سليقة الأدب إلى هذا الطالب الجديد على المدرسة أن يهدى أساتذتها إلى التفرقة بين ملكات العلوم وملكات الآداب ، فقد أضرب عن تعليم الرياضة ، بل أضرب — كما قال لى — عن فهمها ومذاكرتها . وذهب مع زملائه مرة فى زيارة من زيارات التدريب التى تمتحن فيها خبرة المعلم الناشىء بصناعته ، فكان زملاؤه يختارون درساً فى الحساب أو درساً فى الجبر أو درساً فى تقويم البلدان ، وأبى هو إلا أن يختار لدرسه أبياتاً من الشعر العربى ، يشرحها على طريقته ، ويتكلم عن ناظمها ، ويبين فى سياق شرحها مزايا الشعر العربى بالقياس إلى أشعار الأمم الأخرى »

واستطاع طلبة الدفعة الأولى بالمدرسة — وكانوا سبعة وعشرين طالباً ليس إلا ، أصغرهم سنا صاحبنا المازنى — أن يقفوا أوقات فراغهم ، فى المدرسة ، على المطالعة الخاصة . وكانت لهم فى الأسبوع ثمانى ساعات لا يتلقون فيها أى درس . ووجدوا الحث والتوجيه والتشجيع من الناظر والأساتذة . ويقول المازنى عن ناظر المدرسة الإنجليزى لذلك العهد ، الدكتور دلينى ، أنه كان عالماً واسع الاطلاع ، « فكان إذا رآنى أستعير كتاباً من مكتبة المدرسة يعدنى بأنه يعيرنى كتابا من عنده فى موضوعه . وينجز وعده ، ثم يتركنى أياماً ، حتى إذا لقينى مصادفة فى فترة من فترات الاستراحة بين الدروس ، أقبل على وراح يحدثنى عن الكتابين ، دون أن يسألنى عنهما ، أو عما قرأت منهما ، ثم يمضى عنى . فكان هذا يضطرنى إلى العكوف على الكتب وكانت هذه إحدى وسائله لتشجيعنا على القراءة والاطلاع »

ومن المحامد التى تذكر لمدرسة المعلمين ، ولناظرها الدكتور دلينى على التخصيص ، أنه كان أول من ثنى عنان الاهتمام فى نفوس تلاميذه نحو طائفة من أدباء الإنجليز ونقادهم من أمثال ماكولى وكارليل وهازلت ولى هنت . فشاعت كتبهم بين ناشئة ذلك الجيل وساعدت على تنوير الأذهان وتحويلها إلى معنى الأدب الصحيح

ولا ريب أن ما لمسه المازنى من هذه الروح قد شحذ فيه موهبته الأدبية ، فأقبل على الدرس والقراءة والتحصيل ، وحفزه الجو

الذى كان يضطرب فيه وتمتلئ بهوائه كلتا رئتيه ، إلى المثابرة والتوفر على ثمار القرائح فى شتى الآداب . وكان من زملائه فى المدرسة من له مثل ميله إلى الأدب والكتابة فاتصل بهم ، وعرف منهم فى ذلك الحين الطالبين محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى ، وكان كلاهما واسع الاطلاع على الأدبين العربى والإنجليزى . وقد أخرج شكرى الجزء الأول من ديوانه وهو بعد طالب بالسنة الأولى وكان له فى الوسط الأدبى ضجة كما كان السباعى يكتب فى « الجريدة » . . وكان هذا بمثابة الدافع والحافز للمازنى ، فعالج الكتابة والشعر ، وبدأ ينشر فى الصحف منذ عام ١٩٠٧ . وتوثقت الصلة بينه وبين شكرى ، أو كما يقول « فصار أستاذى وهو زميلى ، وكان ينقصنى التوجيه فتولاه شكرى »

ووسع المازنى ، وهو طالب بعد ، أن يقتنى حاجته من الكتب .. « وكان موظفو مكتبة « ديمر » يعرفوننى ويأتمنوننى لكثرة ما اشترى منهم ، وهو فى كل شهر فوق الكفاية لشهور . ومع ذلك غافلتهم وسرقت طبعة جيب لروايات شكسبير ! وإن كانت عندى مجموعة كاملة منها بشروحها وتفاسيرها ! »

وكان كما يقول كثير الغياب عن المدرسة ؛ « لأنى كنت أسهر إلى الصباح أقرأ وأحاول أن أفهم ، ثم أنام فأتخلف . فدعانى ناظر المدرسة ، المرحوم إسماعيل حسنين باشا — عليه ألف رحمة — وقال لى يابنى إنك « حمار » فى العلوم الرياضية ، وأنا أخشى عليك الرسوب ، ولا ألومك على التخلف مادام هذا عندك ، فخذ إجازة خمسة عشر يوماً ، واقرأ ما شئت ، ثم واظب بعد ذلك على الحضور »

وظل هذا نهمه بالقراءة التقصية العميقة وعكوفه على الكتب ومنها الجاف العويص مثل « أصل الأنواع » لدارون . ولم يصرفه تخرجه واشتغاله بالتدريس عما كان فيه

ويروى المازنى أنه اتفق يوماً أن كان فى مقهى فيما يعرف الآن بميدان الإسماعيلية ، « .. وكان معى كتاب الشاعر على مائدة الإفطار لويندل هولمز ، وكنت أقرأ فيه . فمر أستاذى فى الأدب الإنجليزى ، فنهضت لتحيته ، فقال لى بعد كلام ، لقد أصبحت موظفاً وأكبر ظنى أنك انصرفت عن القراءة والاطلاع ، فأريته الكتاب فربت على كتفى وقال ، هذا ما أرجو ، أن تظل تقرأ وتقرأ ولا تشبع ، وأن تحرص دائماً على أن تضيف عقولا إلى عقلك »

ولعل الإنصاف يقتضينا أن نزيد هنا كلة حق . فقبل أربعين سنة ، لم يكن يتيسر لطلاب الأدب فى مصر سبيل القراءة الأدبية كما تتيسر لطلاب اليوم . فقد كانت أمهات الكتب العربية — فى الأغلب — لا تزال مخطوطة فى دور الكتب العامة أو المكتبات الخاصة ، وكان ما طبع منها فى مصر أو الشام ، على ضآلته ، حافلا بالنقص والتشويه والتصحيف . وقد بلا المازنى معاناة هذه الكتب فى عهد الطلب ، وراض نفسه على الجد والتشدد ومصابرة الجهد فى سبيل الوصول إلى غايته وإشباع رغبته

ونسوق هنا قصته مع كتاب « الأغانى » وكان من أول ما اقتنى من الكتب ، وكانت نسخته التى وقعت له من طبعة ناقصة مشحونة بالخطأ والتصحيف فى كثير من مواضعها . فعمد إلى أجزائه يفكها « ملازم » وجعل يحملها معه ملزمة ملزمة إلى دار الكتب ويراجع النصوص نصا نصا ، وبيتاً بيتاً ، ويدون التصحيح أو التكملات على ورق أبيض أعده لذلك ، وصار يلصق الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، وهكذا إلى آخر الكتاب بأجزائه التى تربو على العشرين

ومثل ذلك قصته مع ديوان « الشريف الرضى » — والشريف أول من اتجه إليهم المازنى وآثرهم بميله من شعراء العربية — فقد وقعت له نسخة من مطبوعة الهند ، ويقول المازنى إنه لم يسلم فيها بيت واحد من التحريف والتشويه حتى أعياه فهم الديوان وكاد اليأس أن يصرفه عنه . على أنه أقبل عليه يعالج تصحيحه ، وقضى فى ذلك قرابة عامين ، يوفق حيناً ويخفق أحيانا . حتى عثر فى النهاية على نسخة من طبعة بيروت — وهى أسلم وأصح فى مواضع — فاستراح إليها

أما قصته مع ديوان « ابن الرومى » فهى أعجب . ذلك أن الديوان بقى مخطوطا منسيا يكاد لا يذكره أحد ، حتى التفت إليه أساتذة المذهب الجديد . فشرع المازنى فى نقله عن إحدى نسختيه — وصادف أنها كانت أردأهما خطا وأكثرهما غموضا — ثم عكف عليه سنوات طويلات المدد ، يعالجه بالضبط والتصحيح

٧ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الأزلام المدنية

لم يكن نظام الاستقسام بالأزلام نظاما موحدا يظله ظل الوثنية ، بل كان إلى جانب هـذا النظام الديني نظام آخر مدنى يلمحه الباحث من ثنايا أخبار العرب

١ — جاء فى اللسان[1] تعليقا على قول سراقة : « فأخرجت الأزلام[2] » ، قال : « وهى القداح التى كانت فى الجاهلية ، كان الرجل منهم يضعها فى وعاء له فإذا أراد سفرا أو رواحا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما ، فإن خرج الأمر مضى لشأنه ، وإن خرج النهى كف عنه ولم يفعله »

٢ — وجاء فيه أيضا : « وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما فى قرابه ، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »

٣ — وقال أبو حيان[3] : « وأزلام العرب ثلاثة أنواع : أحدها الثلاثة التى يتخذها كل إنسان لنفسه ، فى أحدها (افعل) وفى الآخر (لا تفعل) ، والثالث غفل ، فيجعلها فى خريطة ، فإذا أراد فعل شئ أدخل يده فى الخريطة منسابة وائتمر بما خرج له من الآ ر أو الناهى . وإن خرج الغفل أعاد الضرب

ثم ذكر النوع الثانى ، وهى القداح السبعة التى كانت عند « هبل » ، والنوع الثالث وهى قداح الميسر

علة تحريم الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام بها على الوجه الدينى المتقدم فلم يختلف العلماء فى تحريمه وأنه فسق ، لأنهم كانوا يلجأون إلى الأنصاب وبيوت الأصنـام ، وكانوا يظنون أنها هى التى تخرج لهم فى القدح ما يمتثلونه[4]

قال الزمخشرى[5] : « فإن قلت : لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا ؟ قلت : لأنه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب ، وقال : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ، واعتقاد أن إليه طريقا إلى استنباطه . وقوله أمرنى ربى ونهانى ربى افتراء على الله ، وما يدريه أنه أمره أو نهاه . والكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وإن كان أراد بالرب الصنم — فقد روى أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم — فأمره ظاهر »

وأما الاستقسام بهـا على الوجه الآخر الذى لا تدخل فيه الأصنام ولا تستشار الكهان فأمر اختلف فيه العلماء ، كما اختلفوا فى طلب معرفة الغيب بأى وسيلة من الوسائل[6]

قال الآلوسى[7] : « واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة

(١) لسان العرب مادة (زلم)

(٢) أنظر ما سبق فى المقال الرابع (١٠١٢ ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩)

(٣) فى تفسيره (٣ : ٤٢٤)

(٤) الميسر والقداح ٤١

(٥) الكشاف (١ : ٢٤٤)

(٦) أنظر تفصيل ذلك فى الفخر الرازى (٣ : ٣٥٧)

(٧) بلوغ الأرب (٣ : ١٦٨)

ورد الحرف والمصحف وما أكثره . وأغرى بحفظه حتى كاد أن يأتى عليه

تلك كانت ، فى حياة المازنى ، بداية الشوط وفاتحة الكتاب . . وهى بـداية لم تكن تبعث كثيرا على الأمل أو تغرى بالثقة والاطمئنان ، فقد كانت فى جملتها تجربة قاسيـة من تلك التجارب التى تمتحن بها معادن الرجال ؛ اتسمت ، كما رأينا ، بالعسر والجهد والكفاح ، وزادها وطأة على وطأتها ما كان يحتدم بنفس المازنى الشاب من إرادة الحياة وقوة الإحساس بها ، وما كان يرد عليها من عواطف ومشاعر لم تكن لتجد سبيلهـا إلى الاستعلان بله الانطلاق. ولقد كان صبر المازنى على هذه التجربة القاسية وصموده لها إحـدى عجائب بنيته المستدقة التى كانت تزيدها مشقة العمل وبهاظة العبء — فى كافة مراحل العمر — فرط جلد ومصابرة واحتمال ... وكأنما كانت الآلام والأعبـاء نصيب المازنى المقدور فى الحياة ، وكأنما كان مهيأ لها بطبيعته وتكوينه منذ صباه

(يتبع) محمود محمد حمدان

التفاؤل ، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفأل »

القرعة

بضم القاف ، واشتقاقها من القرع بمعنى الضرب . قال ابن فارس[٨] : « والإقراع والقارعة هي المساهمة ، وسميت بذلك لأنها شيء كأنه يضرب »

والقرعة قديمة عند العرب ، ولهاطرق شتى[٩] :

١ — فعن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ الخواتيم فيضعها في كمه ، فمن أخرج أولا فهو القارع

٢ — وقال أبو داود : قلت لأبي عبد الله[١٠] في القرعة : يكتبون رقاعا ؟ قال : إن شاءوا رقاعا ، وإن شاءوا خواتيمهم

٣ — وعن الأثرم[١١] ، قلت لأبي عبدالله : كيف القرعة ؟ فقال : سعيد بن جبير يقول بالخواتيم أقرع بين اثنين في ثوب ، فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا . قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحدا . قلت لأبي عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعا وتجعل في طين . قال : وهذا أيضا . وقيل لأبي عبد الله : إن الناس يقولون : القرعة هكذا ، يضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها . فأنكرها وقال : ليست هكذا .

٤ وجاء في صحيح البخاري (في حديث الإفك) ، عن عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه » . قالت عائشة : « فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب »

٣ — وعقد البخاري في صحيحه بابا سماه (باب الاستهام في الأذان) ، قال فيه : « ويذكر أن قوما اختلفوا في الأذان ، فأقرع بينهم سعد »

قال ابن حجر[١٢] : « قال الخطابي وغيره : قيل له الاستهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشيء ، فمن خرج سهمه غلب »

وكان من خبر هذا الأذان الذي حدثت فيه القرعة ، ما رواه البيهقي[١٣] عن ابن شبرمة قال: «تشاجر الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد فأقرع بينهم » . وكان المسلمون في الصدر الأول يعدون الأذان أمرا خطيرا يسمون إليه ، ويحفظون في ذلك ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم[١٤] : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا ، والمراد بالنداء في هذا الحديث هو الأذان

وروى الطبري في تاريخه[١٥] حادث هذا الأذان رواية عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق قال : « اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتى الصلاة ، وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ، فخرج سهم رجل فأذن» . وسعد هذا هو سعد بن أبي وقاص

٤ — وقال ابن سيرين[١٦] حين بلغه أن عمر بن عبد العزيز أقرع بين الفطم[١٧] : « ما كنت أرى هذا إلا من الاستقسام بالأزلام . »

فأنت ترى أن القرعة تمت بسبب إلى الاستقسام بالأزلام ، ولكنها لا تمت إليه بسبب الحرمة ، إلا أن يترتب عليها ضياع حق مشروع ، أو تطاول إلى معرفة الغيب وادعائه . أما إذا جعلت وسيلة لفض نزاع ، أو تخل عن مسئولية المحاباة والإيثار ، أو لاستملاك البراءة عن الميول الشخصية ، فلا ريب أنها في تلك الحال تكون أمرا مستحسنا

القرعة في الكتب الدينية القديمة

قد مر من طرق القرعة ما كان من أمر زكرياء ويونس عليهما السلام ، وكان في الآيتين الكريمتين اللتين وردتا بشأنهما حجة من حجج الأئمة الأربعة في تجويز القرعة بناء على القاعدة التي

(٨) في مقاييس اللغة (٥ : ٧٢)
(٩) أنظر الطرق الحكمية لابن القيم ص ٢٦٥ وما بعدها
(١٠) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، روى عنه من أصحاب الحديث البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، تهذيب التهذيب
(١١) أبو بكر الأثرم البصري ، واسمه حكيم ، أحد تلامذ أحمد ترجم له في تهذيب التهذيب
(١٢) في فتح الباري (٢ : ٩٧)
(١٣) السنن الكبرى (١ : ٤٢٩)
(١٤) رواه البخاري في باب الأذان
(١٥) ليلة القادسية في حوادث سنة ١٤
(١٦) الميسر والقداح ٤٠ — ٤١
(١٧) جمع فطيم ، وهو من بفصل عن الرضاع

تقول : « شرع من قبلنا شرع لنا »

وكانت القرعة عند الإسرائيليين بمثابة استدعاء للأمر الإلهي فى القضايا التى تعرض لهم . جاء فى سفر الأمثال (١٦ : ٣٣) : « القرعة تلقى فى الحضن ومن الرب حكمها » . وهذه الكلمة تسجل أيضا صورة من صور مزاولة القرعة التى تلقى بها القرعة فى أحضان المتقارعين

فكان الإسرائيليون يلجأون إلى استفتاء القرعة فى كثير من القضايا

١ — منها تبيين المذنب والمخطئ إذا اختلفوا فيه : « فقال شاول : ألقوا بينى وبين يوناثان ابنى . فأخذ يوناثان » . صموئيل الأول (١٤ : ٤٢)

٢ — وتقسيم البلاد المقدسة بين الأسباط : « إنما بالقرعة تقسم الأرض . حسب أسماء أسباط آبائهم . يملكون حسب القرعة . يقسم نصيبهم بين كثير وقليل » . العدد (٢٦ : ٥٥ ، ٥٦) . وانظر أيضا سفر يشوع الإصحاحات ١٣ — ١٨

٣ — وفى مزاولة الواجبات الدينية جاء فى الإصحاح الأول من إنجيل لوقا عن الكلام على زكريا : « فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر »

٤ — واختيار الحيوان للذبيحة المقدسة : « ويلقى هارون على التيسين قرعتين : قرعة للرب وقرعة لعزازيل . ويقرب هارون التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة » لاويين (١٦ : ٨ — ٩)

وقد استعملها أيضا (أعداء) الإسرائيليين ، جاء فى سفر (أستير) أن هامان الوزير أراد أن يهلك اليهود ، فكان يصطنع القرعة لكى يعرف الوقت المناسب للفتك بهم فى جميع أقطار الأرض : « فى الشهر الأول أى شهر نيسان فى السنة الثانية عشرة للملك أحشو يروش كانوا يلقون (فورا) أى قرعة أمام هامان من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر إلى الثانى عشر ، أى شهر أذار » وقد استمرت هذه القرعة سنة كاملة . ولكن هامان أخفق فى سعيه لدى الملك ، وذلك بالجهود المضادة التى بذلها أستير ومردخاى اليهوديان ، اللذين تمكنا من إحفاظ الملك على وزيره حتى صلبه فى اليوم الثالث عشر من شهر أذار ، فاتخذ اليهود يومى ١٤ ، ١٥ من هذا الشهر عيدا سموه « عيد الفوريم » جمع (فورا) وهى القرعة التى كان يصطنعها هامان لتعيين موعد الإبادة

واستعملها المسيحيون ايضا :

١ — فيها انتخب متياس : « ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولا » أعمال (١ : ٢٦)

٢ — واقتسمت ثياب المسيح عليه السلام « اقتسموا ثيابه مقترعين عليها » إنجيل متى (٢٧ : ٣٥) ومرقس (١٥ : ٢٤) ولوقا (٢٣ : ٢٤) والمزامير (٢٢ : ١٨)

للبحث بقية

عبد السلام محمد هارون

دموع البطل!

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« شاهدت صورة للرئيس اللواء محمد نجيب يبكى متأثراً حين جاءته أم تحمل طفلها الصغير فوق ذراعيها ومن حولها أبناؤها الثلاثة تشكو له ما تعانى من حزن ومايقاسى أطفالها من بؤس فأوحت إلى بهذا المقال »

لا تموت الدموع إلا فى عيون الجلادين القساة ، والظالمين العتاة الذين يرتكبون جرائمهم الكافرة من غير أن يخفق لهم قلب أو يثور وجدان ، أو يستيقظ ضمير ... فهم كالوحوش الضارية تعدو على الفريسة وتمزقها بأنيابها الحادة غير عابئة بالأنات والآهات ... وهكذا كان الطاغية وأعوانه من السفاحين والإقطاعيين يرون الشعب التعس يكدح فى سبيل اللقمة ، ثم لاينال أدنى الغذاء ، ولا يظفر بأقل الكساء ، ولا يجد ثمن الدواء ؛ وهم فى لهوهم ومجونهم غارقون ، وفى أودية اللذة والضلال هائمون، يرون بأعينهم الأطفال الذين شردهم بغيهم ، والصغار الذين يتمهم ظلمهم ، والنساء اللواتى ترملن على أيديهم . يرون كل هذا فلا ينبض فيهم عرق بحنان ، ولا تجود لهم كف بإحسان ، ولا تبض عيونهم الجاحدة المتكبرة بقطرة من دمع ، وما يرونه من مشاهد البؤس فى الكبار والصغار والشيوخ والنساء يبكى الصخر الأصم ... ولكنها القلوب التى تتضاءل أمامها الأحجار ، ويتعلم الصخر منها دروس القسوة والجمود ، (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ...)

هذه صورة الأمس المظلم المقيت ، الذى ذهب بخزى الطغاة وعارهم ، أما اليوم فقد أذن الله الرحمن الرحيم لهذا الشعب الصابر أن يقطف ثمرة الصبر التى أينعت ، وأن يستظل بفئ الحرية التى بسقت وأزهرت ، والتى رواها بدمه ، وغذاها بتعبه ، وصانها بروحه ، فخرج من صفوف الشعب القائد النجيب ؛ فكان لمصر المنقذ المخلص ، والحاكم العادل ، والحارس الأمين ، والبطل الحبيب ، فالتف حوله الشعب المظلوم يشكو إليه مالقى من عنت وأذى ، كما يجتمع الأبناء حول أبيهم يبثونه ما بنفوسهم من جراح وآلام ... فلم يترفع الرئيس عنهم ، ولم يشمخ بأنفه كبراً عليهم ، ولم يعتصم بحصن أو يتوارى فى قصر ، بل مشى بينهم فرحاً بهم وفرحين به ، يسمع إلى مايقولون ، ويحقق مايأملون ، ويلبى مايطلبون ، باسم الثغر ، ثابت العزم ، راسخ المبدإ! ... يأتيه المظلوم الصادق فيرفع عنه ظلامته ، ويلوذ به الشيخ العاجز فيخفف من مصابه ... وتجيئه هذه الأم المحزونة ومن حولها أبناؤها ، وعلى وجوههم علائم البؤس ، وفى صدورهم لذعة اليتيم ، لأن من كان يطعمهم من جوع ، ويكسوهم من عرى قدمات ... وتركهم صغاراً حيارى يعانون قسوة الأيام ، ولوعة الحرمان ... فيذكر الرئيس البطل أن البلاء قد أعدته ليكون أباً لهؤلاء اليتامى ولكل يتيم فى مصر فقير ... فلا يملك قلبه من البكاء ، ولا يقوى على حبس الدموع فى عينيه !

وكيف لا يبكى ؟ وهو الأب الرحيم لهذا الشعب الذى أجاعه ظالموه وأذله حاكموه ، وسرقه حرامه الأشداء ، وروعه طغاته الأقوياء ... بل إنه ليبكى ويسكب الدموع ... دموع الحزن العميق والفرح الغامر ... لأن الله قد اختاره ليمسح مابالقلوب من أحزان ، ويطهر ما بالنفوس من أدران ، ويداوى ما تركه الماضى من علل وأسقام ... وقد أعانه الله فحطم (هبل) البغى والضلال ، وسحق أعوانه وعابديه ، فهو يذرف دموع الفرح لما حقق لأمته وبلاده من حياة حرة كريمة ... فإذا رجع من المعركة الظافرة إلى الشعب رأى ماخلفه فيه المقهورون من مآثم ، وما تركوه من مظالم ، وشاهد فصولا من البؤس حية لايقوى على خلقها الخيال ... فتثور فيه العاطفة الصادقة ، ويشيع فى أوصاله التأثر العميق ، ويخفق قلبه الكبير بالعطف والحنان ... فيبكى ويذرف الدمع السخين !

رعاك الله أيها البطل

إن هذه الدموع التى تنبع من قلبك الطاهر ، وثيقة الرحمة والإخلاص ، وبرهان البطولة والإيمان ، وهى — لعمرى — قصيدة لا يحسنها إلا من وهبه الله قلب ملاك وروح شاعر ، ولها فى القلوب فعل السحر ... ويدرك معناها من خبر هذا الضرب من الشعر !

عمر عودة الخطيب

الكتاب ولوازمهم

للأستاذ محمد فرحات عمر

دعاني إلى كتابة هذا المقال أمران طالما أثارا من دهشتي وعجبي :
أولهما ما راعني من التزام أكثر كتابنا بعض عبارات لا يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بديلا

وثانيهما مدى دلالة هذه اللوازم على شخصيات ملتزميها ، بحيث يمكن أن تكون عنوانا لها ومرشدا عليها ، ونبراسا مضيئا يكشف لنا عن أغوارها ، وعما يختلج في لواعجها من مشاعر وميول

وأول مايصادفنا من هؤلاء الكتاب هو الدكتور طه حسين ؛ فمن لوازمه قوله دائما « مهما يكن من شئ » و« ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ، هذا إلى جانب استعماله للمفعول المطلق استعمالا ظاهرا يثير الانتباه ويدعو إلى الالتفات ! وهذه اللوازم إن كانت جديرة بالاهتمام فهي من حيث أنها عنوان أمين لكيانه النفسي ومسبار صادق لسبر أغوار هذه الميول وتعقب أسباب هذه الأهواء التي ضربت بجذورها في أعماق هذه النفس الكبيرة . فبديا نعلم أن الدكتور طه قد فقد بصره إبان طفولته ، فلا غرو أن تولد عن هذا فيما أسماه آدلر Addler بمركب النقص الذي كان حافزا له على اصطناع أسلوب تعويض من شأنه أن يحقق تكامله الشخصي كفرد سوى

ويجمل بنا كي ينجلي الأمر أمام القارئ أن نأخذ في بسط معنى « المركب » وفي التعريف بمعنى « النقص » بنهاية الإيجاز ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . أما المركب فنعني به مجموعة العواطف التي تندس في العقل الكامن فتوحي إلينا باتجاهات خاصة وتملى علينا سلوكا معينا قد يستعصى علينا تعليله ونحار في فهم أسبابه فقال فرويد Freud بمركب أوديب وقال آدلر addler بمركب النقص معتمدا في هذا على نظريته الغائية في حب السيطرة . . والذي يعنينا هو مركب النقص الذي يتولد عادة في أيام الطفولة حين يشعر الطفل بضعفه إزاء المحيط الخارجي ، وقد يطول به الأمد إلى أيام الشباب ولكنه لا يجنح إلى الظهور ولا يحمى وطيسه عند الفرد إلا في حالة نقص طبيعي ظاهر والمصاب به يشعر بقصوره ، ومن ثم يدأب على أن يخلق من نقصه كمالا وذلك في نطاق الظروف المواتية والأحوال الموائمة وعلى قدر الذكاء الموروث . وهذا السلوك التعويضي قد تترتب عليه نتائج بعيدة المدى تدعونا إلى العجب والإعجاب معا . ومن سمات المصاب به أن يكون كثير التهكم على الناس ، عابثا بهم ، ساخرا منهم . ومن شواهدي على ذلك ما نراه من برنارد شو وأبي العلاء مثلا . على أن المصاب به قد لا يجحد العبقرية كائنة ما كانت في أي شخص ، ولا يفكر بالعظمة حتى يخر لها ساجدا ، وكأنه حين يصل القمة في إيمانه بالغير يكون قد وصل الذروة في إيمانه بنفسه . فلقد كان شو على تهكمه اللاذع بالناس ، وسخريته المقذعة منهم ، شديد الاحترام للنبوغ ، فلقد أبدى تواضعا غير معهود فيه حين قابل غاندي وقال له أقدم لك نفسي أنا المهاتما الصغير . كذلك أبدى احتراما فائقا حين جمعته الظروف بأينشتين . وعلى هذا الحال كان أبو العلاء المعري على عبثه بالناس معجبا بالمتنبي إلى حد التقديس !

ومن الأمارات التي تهدينا أيضا إلى التعرف على شخصية الرجل الذي تنطوي نفسه على هذا المركب تكلفه السلوك وتصنعه له تصنعا ظاهرا يدعو إلى العطف والإشفاق

والمحلل لشخصية عميد أدبنا العربي يعرف عن كثب مقدار تغلغل هذا المركب في نفسيته ، وإلى أي حد كان حافزا له على المثابرة والكفاح حتى تألق نجمه وأصبحت له هذه المكانة المرموقة . فالسخرية من الغير هي مسلاته . . . وعبادة العبقرية أو على الأصح عبادة نفسه بطريق غير مباشر ، أطيب الأمور إلى نفسه ، فما أظن إعجابه بأبي العلاء وإشادته بذكره وتعصبه له ، إلا إعجابا بنفسه وإشادة بذكره . وأنا أذكر على سبيل المثال هذه المناقشة التي قامت بينه وبين أحد نواب الوفد في قاعة البرلمان والتي ختمها الدكتور طه بقوله « إن طه حسين

هو اللغة العربية »

ومن ثم فلا غرو أن كان لسان حاله يردد « مهمـا يـكن من شئ » و « ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ثم لا يلبث بعد ذلك إلا ريثما يستعمل المفعول المطلق استعمالا ظاهرا كأنه يرمى إلى توكيد ما ردده من قبل . فـكل هذه اللوازم تدل على أنه قد طرح عن نفسه كل يأس ، وخلع عليها كل فضل فوطدها على العمل وعقد عزمه على الشد من أزرها مهما كانت الظروف والملابسات

والآن ننتقل إلى كاتب آخر هو الأستاذ الـكبير عباس محمود العقاد.. ولـكاتبنا لوازم عديدة يعنينا منها هنا كلمة لا مراء وكلمة «مليحة» يعنى أن فلانة جميلة! فبهاتين اللازمتين يمكننا أن نهتدى إلى «مفتاح» شخصية الـكاتب الـكبير فبديا الأستاذ العقاد رجل عاطفى إلى أبعد ما يتصور المرء ، فإذا صادق تحمس فى صداقته إلى حد أن يرفع صديقه إلى مصاف العظماء ، وإذا سخط على أحد أو غضب منه أنزله أحط مرتبة وأسفل درك . فـكلنا يذكر أيام خروجه على الوفد وأى حملة حملها عليه وأى تجريح وتقريع صبهما على رأس الوفد ورئيسه . هذا مثل حى من عداوته ، أما صداقته فأنا أذكر على سبيل المثال رواية طريفة :

كنت يوما بمجلسه وتجاذبنا أطراف الحديث فى السياسة حتى انتهى بنا المطاف إلى الـكلام عن شخصية المرحوم محمـود فهمى النقراشى فما كان من الأستاذ إلا أن بادرنا بقوله « إن النقراشى فى رأيى لا يقل إطلاقا عن المهاتما غاندى إن لم يزد » لقد قال الأستاذ قولا عظيما لا أظن أحدا يوافقه عليه ؛ ولـكن هذا هو إذا صادق فطوبى لصديقه ، كما أنه لو عادى فويل لعدوه . ومن كانت هذه حاله فهو إنما ينظر إلى قيم الأشياء بوجهة نظر ذاتية subjective لا بوجهة نظر موضوعية objective فهو يقومها بمقتضى هواه وبحسب ما يشتهى . ومن كان دأبه هذه النظرة فهو رجل شديد الإيمان بنفسه عظيم الاعتداد بشخصه ! وعلى ذلك فلا عجب أن لازمت الأستاذ العقاد كلمة مثل « لامراء » سداها الحسم ولحمتها القطع! بل العجب كل العجب ألا تلازمه مثل هذه « اللازمة »

وليس مما يشين الرجل أو يقلل من قدره أن يقال عنه إنه معتـد بنفسه ، فإن هذا لعمرى شيمة كل رجل عظيم لم يعرف قدره ولم يلق تـكريما من أهل عصره ، بل على العكس قد يلقى حسدا وجحودا وبهتانا عظيما . فالأستاذ العقاد على الرغم من أنه أكثر كتابنا ثقافة وأوسعهم اطلاعا وأقواهم حجة وأرصنهم عقلا وأنظمهم فـكرا ما زال أنصاره قلة وأعـداؤه كثرة دون ما سبب سوى الهوى المغرض المستبد بنفوس الـكثيرين من الناس

ثانيا : يبدو الأستاذ العقاد فى كثير من الأحايين متمسكا بالتقاليد الموروثة متعصبا لها ، أو بالأحرى فيه حنين دائم إلى الماضى ، فما زالت بعض تعاليم التربية التى تلقاها فى فجر حياته تتحكم فى كثير من تصرفاته وفى تحديد طرائق تفكيره ، فهو مثلا لا يوافق على مساواة المرأة بالرجل على النحو الذى ينادى به كثير من أنصارها الآن ، وله أدلة على ماذهب إليه عديدة ، بعضها فسيولوجى وبعضها سيكلوجى وبعضها الآخر سوسيولوجى.. وسواء قويت هذه الأدلة أم وهنت ، فإن هذا لا يعنينا فى شئ ؛ إنما الذى يعنينا هو اتجاه الرأى فى ذاته . وزد على هذا أن للأستاذ زيا تقليديا خاصا لا يكاد يتأثر بموجات «الموضة» وتياراتها فهو لا يبغى عنه حولا ولا يريد به بديلا .

ثم فضلا عن هذا كله فإن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية فى شخصه تغلغلا لم تزلزله كثرة قراءاته لأفـكار الغربيين والتى لولاها لما أخرج لنا كتابه عن الفلسفـة القرآنية وسلسلة العبقريات والديمقراطيات فى الإسلام ... أقول إن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية فيه إلى هذا الحد لينهض دليلا كافيا على أنه ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى . وإذا كان ذلك كذلك وكان الأستاذ العقاد ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى ، فـلا عجب أن تظل على لسانه بعض الـكلمات التى تتميز بها اللهجة الصعيدية ، ولا غرو أن يمتد هذا إلى لغة الـكتابة . ومن ثم فإن كلمة فلانة « مليحة » التى رددها مرارا على الأخص فى قصة سارة هى لازمة لها مغزاها ، ولا يمكن أن تمر على القارئ دون أن تثير انتباهه وتدعوه إلى الالتفات

بعد هذا يصادفنا المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فلقد كانت له — رحمه الله — لازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، ألا وهى كلمة بسيط ومشتقاتها ، فيقول « هذا أمر بسيط » و « أمور بسيطة » « والرد عليه غاية فى البساطة » وعلى الرغم من أن هذه الكلمة لا تؤدى المعنى المراد لغويا وإنما هى ترجمة غير دقيقة لكلمة simple فقد لاقت هوى فى نفس كاتبنا، وربما كان هذا لأن الأستاذ المازنى كان رجلا بسيطا فى نفسه بعيدا عن التعقيد الذى انطوت عليه نفوس أهل زماننا ، وربما كان هذا أيضا لأن الأستاذ المازنى كان ينظر إلى الحياة ببساطة منقطعة النظير . أذكر له مقالا كتبه فى أخبار اليوم جاء فيه ما معناه : إن الصحافة ليست هى باب رزقه الوحيد فإنه فى مقدوره أن ينقطع عنها غير نادم ويعتزلها غير آسف فإنه يملك سيارة يستطيع فى يوم وليلة أن تصير « تكسى » كما أنه يستطيع أن يفتتح حانوتا للمرطبات وهو ضمين بأنه سيكسب من الكوكا كولا وحدها قدر ما يقتضيه من صاحبة الجلالة الصحافة . إن فكرة هذا المقال تدلنا على أنه كان ينظر إلى الدنيا على أنها يسر فى أحرج مواقفها ، وأشد أزماتها . وكذلك كان رحمه الله بسيطا فى حياته الفكرية ، فأبغض شئ عنده هو قراءة الفلسفة كما صرح بهذا فى كتابه قبض الريح ، وقال ما معناه إنه لا يفهمها ولا يهضمها ولا يرى طائلا ما تحتها . ثم لقد كان أسلوبه نموذجا للسهل الممتنع ، كنت أقرأ له فيهيأ لى لأول وهلة أنى بصدد كلام دارج ، ولكنى لا ألبث إلا أن أرجع عن ظنى وأقول فى نفسى ويحك يا فلان لقد ظلمت الرجل . . . والواقع ما ظلمت إلا نفسى ...

إن المازنى كان بسيطا ، فى جميع وجوه حياته ، ولقد كانت هذه اللازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، رحمه الله لقد كان عظيما فى بساطته

يقابلنا بعد هذا كاتب له طابعه الفكرى الخاص هو الأستاذ سلامة موسى وثقافة كاتبنا تكاد تكون غربية بحتة، وهو يرى أن مهمته الكتابية تنصب على صبغ الفكر الشرقى بالروح الغربية ، وهو كثير التنبيه إلى هذا ! ولذا كانت عبارته المأثورة التى يلتزمها وهى « مما هو ذو مغزى » خير ما تعبر عن التنبيه إلى نياته وما استقرت عليه أفكاره . إن الأستاذ صاحب رسالة يرنو إلى تحقيقها ، إنه يرى وجوب هجر التراث العربى والأخذ بتلابيب الثقافة الأوربية وحدها . هذا هو مغزى كل كتاباته على اختلافها ؛ وهو يريد من القراء الالتفات إلى هذا المغزى.. فلا مناص إذن من التنبيه بعبارته التقليدية كلما اقتضت الحاجة ذلك

هذه لوازم بعض كتابنا الكبار ، ولقد شاهدنا مما سبق كيف أن هذه اللوازم لم يكن وجودها اتفاقا وصدفة ، بل هى ترجع إلى أساس مكين فى نفوس أصحابها ... حقا إن الأسلوب هو الشخصية ... أو قل إن اللوازم من الشخصية

محمد فرحات عمر

من الشعراء والأدباء الشباب فى العراق

كاظم جـــــواد

للأستاذ خالص عزمي

فى مطلع عام ١٩٢٨ ولد شاعرنا من أب عربي ينحدر من قبيلة عربية تسمى « آل عارض » تقطن المنطقة الجنوبية من العراق فى أطراف مدينة السماوة، وقد أبلت البلاء الحسن فى الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ : ولد شاعرنا فى تلك المنطقة التى تكثر فيها المياه وتحيط بها المزروعات من كل مكان ، وجعلت فيها قدرة الله ألوانا من السحر البديع والجمال الأخاذ . فشب وهو يحب الجمال وترعرع وهو ينظر إلى الطبيعة الفاتنة نظرة البشر والبهجة فانطبقت هذه الصورة فى مخيلته حتى تأثر بها كل التأثر فى قصائده ومقتطفاته

وفى جو تسوده التقاليد القبلية والعادات العربية العريقة نما ونمت معه العزة ، والكرامة والصراحة ، وطيبة القلب ، والخلق القويم ، لم يعرف المداجاة ، ولم يمارس النفاق ، فشب وهو كامل الرجولة يتمتع بالمزايا النادرة التى يجب أن يتمتع بها كل رجل

وفى نفس ذلك الجنوب الهادئ الوديع ، القوى الجبار راح شاعرنا يتلقى علومه الأولية فدخل المدارس الابتدائية ثم المتوسطة والثانوية ، ثم نزح بعدها إلى مدينة العلم والمعرفة « بغداد » حيث راح يكمل دراسته العالية ، فدخل كلية الحقوق العراقية وفى خلال أوقات فراغه كان يقبل على مختلف العلوم والفنون ينهل منها ماشاء الله له أن ينهل ، ولم يكتف بكل ما قرأ ودرس وتعلم ، بل دخل مدرسة دينية مسائية الدروس قرأ فيها أصول الفقه وفلسفة الدين وألفية « ابن مالك » و « البديع » و « البيان » و « أصول النحو » و « العروض » .... الخ من الكتب الدقيقة . وبقى على حاله تلك حتى تخرج فى كلية الحقوق هذا العام وحصل على « الليسانس »

وكان خلال فترة دراسته يتابع نشر قصائده فى مختلف الصحف العراقية والعربية وكانت مجلة « الثقافة » الغراء الميدان الواسع لشاعرية كاظم، فقد نشر فيها أغلب قصائده وأروع مقتطفاته التى كتبت له مجد الشباب الواعى

كنت أجلس إليه ذات مرة وهو شارد الفكر فوجدت الفرصة سانحة لكى أوجه له بعض الأسئلة التى كنت أود معرفتها منه فقلت : — ماهى أول قصيدة لكم . قال : (لقاء) . قلت ألا تود أن تسمعنى منها شيئا : فأنشد يقول وأنا أسجل بعض أبياتها

أطلت كوكبا وضاء يسمو فوق آفاق
دنت كالعابد الهيمان من محراب أشواق
أطلت بسمة سكرى على مرآة إطراق
كئيب ظامئ للحب تذكو نار أعماق
منى نفسى ، سجين الأمس هل حطمت أطواق
بلاماض ، أريد العمر يحلو بعد إخفاق
حياتى بعدما نثرت رياح الندر أوراق
ربيع سال من عينيك واستلقى بأحداقى

***

وقفت أمامها خجلا وطرفى حائر شحب
وأنفاسى مولولة على شفتى تصطخب
فؤادى كاد من لهف إلى أحضانها يثب
جريحا والهوى جرح بعيد الغور منشعب
سفحت الآه فانتفضت تسائل هل لها سبب
أخاف ، أخاف من أمل إذا مابحت يحتجب .

قلت بمن تأثرت من الشعراء : قال تأثرت كثيرا (بالمتنبى) من الشعراء الاقدمين و (بأبى ريشة) من الشعراء المحدثين . قلت ومن الأدباء . قال (بأبى حيان التوحيدى) من القدامى ، وبجبران . وطه حسين . والزيات . ونعيمة . وزكى نجيب محمود . من المحدثين

قلت : هل لك ديوان مطبوع . قال إلى الآن لم أطبعه وإن كان قد جهز للطبع حاليا وأسميته « من أغانى الحرية » وهو مجموع القصائد والمقتطفات الشعرية التى قلتها فى مناسبات كثيرة وأغلبها منشور فى الصحف العربية . وتلك القصائد تدور فى موضوعين : منها فى الجمال والوجدان والحب . ومنها فى القومية العربية والوطنيات ، وقد تأثرت جدا بالحركة المصرية الأخيرة فقدمت

للعالم العربي تسع قصائد فى وصف شعورى نحو إخواننا المصريين وهم يكافحون كفاح الأبطال لنيل الحرية وإليك بعض ماقلت فى قصيدتى « إعزفى يارياح »

مات ضوء النهار واحلولك الأفق الدمى بحشرجات ذكاء
شرق الليل بالجراح وغصت ربوات « للقتال » بالشهداء
ومجارى الدماء أذكى محانيها عناق الأشلاء للأشلاء
فإذا (النيل) والضحايا حواليه صلاة مسحورة الأصداء

إلى أن يقول :

إعزفى يارياح ماأحقر العمر إذا آل غمغمات رثاء
إعزفى فالظلام ولى ولكن أين فجر البطولة السمحاء
أين قيثارة الحياة يموج الوعى فيها مزمجر الأصداء
أين من ومأة الصباح أراجيز كفاح صخابة الأجواء
فوراء الدى ، وإن زحف الفجر بقايا غمامة دكناء
هالها ، هالها ، شموخ أمانينا على كل ذروة شماء
فعدت بغيها الأثيم فيامصر اجرسيها (بوحدة وجلاء)

وإليك فى قصيدتى (المصرى الجديد) :

طلعت على دجى الطاغى صبوحا يبارك فجرك الوطن الجريحا
دعاك لمجده فنهضت تعلو كفرخ النسر تحتقر السفوحا
وفى شفتيك تصطخب الأغانى يجن إلى الكفاح هوى جموحا
نداء ماوءاه النيل حتى كساه الموج من لهب مسوحا

إلى أن يقول :

إذا (السودان) كان لمصر روحا فقد كانت له مذ كان روحا

قرأت ما أنشدنى « الجواد » مرة وأخرى ثم قرأت ماسجل فى ديوانه فى باب الوطنيات فوجدتنى أمام شاعر يتدفق وطنية تهزه الأعمال الخوالد فى ميدان الكفاح فينشد وينشد حتى يكل منه النفس ، هذا الشاعر الشاب سبق عصره كثيرا ، فقدم للعالم العربى قصائد فى الوطنية والوجدان مالم يقدمه شاعر فى هذه الأيام ! لنقرأ للقارئ الكريم هذا المقطع الرائع من ملحمته الكبرى التى تقع فى ألف بيت من الشعر وهو يصف فيها مصرع البطل العربى الشهيد « عبد القادر الحسينى » فى معركة القسطل فى الحرب الفلسطينية الأخيرة إذ يقول منها فى وصف سقوط (الحسينى) مضرجا بدمائه على الرمال الدكناء ، فيمثله أروع تمثيل ويقدم للقارئ بذلك صورة مجلوة المعانى زاخرة بالمواطف تدل على تمكن الشاعر من دقة التعبير ، قال فى المقطع الرابع :

من ترى ذلك المطل ؟ أفجر ، أم شهاب على أديم صباح
يتملى الأجيال ملحمة حمراء كالنور فى الضحى ... الوضاح
حملته عرائس الوحى للنجم شهيدا على أعف جناح
بعده ، بعده ، ترنحت الأرض وضجت حناجر ، فى الساح
تزفر الرعد فالجوانب أصداء تخطت ... على أنين الجراح
كوثوب الأمواج ، والبحر داو صفعت جبهة الخطوب الطلاح
تنحر البغى فالرنين المدمى . كالأعاصير هائج فى النواحى
ياشهيداً على الرمال تسجى ... أدمعت بعده جفون الكفاح
ياشهيداً كأنه الشفق المخنوب ينساب فى أصيل الجراح
ياشهيداً نأى وخلف للثوار جرحا فى مأتم الأرواح
مأتم الذكريات والفارس الملم فى السوح كالضياء الصراح
كانفلاق الشروق . كاللهب الثائر . كالجمر . كالدم النضاح
صبغ الأفق بالسناء وبالوهج ودمى هيا كل الأشباح
فإذا الليل فى جوائله السود عروس تتوج كالمصباح
تنثر الضوء يابسا فعليها ... جمدت دمعة العلى المستباح

هذا هو المقطع الرائع من القصيدة الدامية التى خرجت من القلب وكتبها العقل وسجلها للخلود العاطفة، نعم هذا مقطع من تلك القصيدة التى أحدثت ضجة كبرى فى ميدان الأدب العراقى عندما نشرها الأستاذ (كاظم) فى جريدة اليقظة البغدادية وقد عدها بعضهم بأنها الوسام الخالد الذى علقه الشاعر على صور البطل (الحسينى)

فى هذه القصيدة بالذات لمس (القارئ الكريم) انبعاثات روحية علوية وانطلاقات شعورية وصوراً رفيعة النفس عميقة الفكرة صورت فى روح متألمة حزينة

ثم هنا نقدم للشاعر صورة أخرى هزت عاطفته حينا كثيراً فجعلت منه شاعر الحب والجمال — كما يسمونه فى بغداد — نقدم هذه الصورة وهى ملونة بلون الإحساس الرهيف والإخلاص العميق . هذه الصورة هى بعض الأبيات فى قصيدته العاطفية ندرجها للقارئ : —

عبرت على دربى خطاها وتناولت قلبى يداها

في الليل في بيـداء وهمي في صحاري العمر ناهـا
في هوة اليأس البهيم وعى من الدنيا أذاها
طلعت فشب به الشباب وأج في دمه لظاهـا
عزراء سلت من مآقي النور فأتلقت مناهـا
يكسو محياها العفاف أشعة ورؤى وجاهـا
وكنجمة الليل الوليد هفا على أفقي ضياهـا
منحته كالطفل اليتيم حنانها وحبته فاهـا
قد أرضعته هوى الحياة فراح لايهوى سواهـا
ياطالما أهوى تلاوين البكور شذى سناهـا
وروى إلى الأطيار أغنية مجنحة لقاهـا
وأذاب في الأوتار أحلام العرائس في صباها
هو بسمة الحب البرئ يفئ في شفتي رؤاهـا
حتى إذا بالأمس أجنحة الهوى بلغت ذراها
رزئته بالذهب الحقـير وماله إلا جواهـا
فهوى على السفح الجديب منى تضرجها دماهـا
فكأنه لم يملك الدنيـا إذا وهبت رضاهـا
واضيعة الأمل الشرود إذا رنا فسفحت آهـا
خفتت شموع الذكريات وجف في عيني ضحاهـا

* * *

ستظل ترقبني مع الناي المكسر مقلتاها
وهناك في وادي الدموع لعل آلامي تراهـا
هيهات لن أنسى هواها السمح لن أنسى هواهـا

والقصيدة طويلة النفس فيها من التعابير الوجدانية أسماها، فيها من العاطفة الزاخرة بالإخلاص والحب والتفاني أروعها.

والأستاذ الجواد: بعد كل هذا: فنان يلمس الحياة بما ألهمه الله القدير من فكر ثاقب وعقلية طموحة عالة، تدفع صاحبها إلى أرفع مكانة

ولعل الكثيرين من الشعراء يعرفون أن (الجواد) شـاب خلق من نفسه إنساناً يعرف معاني الحياة، ويقيس الناس بمقاييس العقل الواعي، ولعلهم يعرفون في شاعرنا أنه قومي من الطراز الأول يتفانى في سبيل عروبته إلى أقصى مدى وهذا ماجعله محبوباً من جماعته محترماً منهم يقدرونه كل التقدير.

وأخيراً نود أن نقدم (للقارئ) بعض نماذج من شعره الوجداني، والوطني، والإخواني الذي امتاز كثيراً:

من ملحمة العربي التائه وتقع في ألف بيت من الشعر: —

جشرجات الكئيب ... يا آهة الفن، وياحسرة شجت بدمائه
رب جرح تناهشته كروب تنقذ الشعب قطرة من دمائه
أيها الشاعر اللهيف إلى النور بزوغاً، فالصبح من سجرائه
شعبك الأخرس الشقي ذليل سادر في ضلاله وعمائه
كافر يلعن الحيـاة ويبقى مستكيناً لذله واصطلائه
عابس يحصد السنين شقاء ويماري الأساة عن أدوائه
يتمشى الفناء في جسمه الناحل، والموت صار من أسمائه
بانشيداً في حومة المجد يرقى مشمخرا على ذرى عليائه
بانشيداً بدونه شرف الشعب مهان يذوق سم شقائه
بانشيداً كأنه نغم الخلد تهاوى إلى رؤى عذرائه
فكرة أنت كالطلاسم ظلت فهي سر الإله في أنبيائه

وفي قصيدة له عنوانها «الهارب» نقدم هذه الأبيات التي فيها انطلاقات روحية فلسفية تدل على الفترة التي انغمر فيها شاعرنا في كتب الدين والفلسفة ينهل منها كثيراً يقول في تلك القصيـدة:

عذراء، إني ذاهب فاهدني هل نحن إلا من صدى حكمته
الله لا أنت، ولا من عتا ولا أنا ننال من قدرته
كل على الأرض إلى غاية ونتهي، نسمو على خلقته
الليـل لن يفتح أبوابه لو لم يطل الفجر من كوته
سبحانه، سبحان ذاك الذي فجر نبع الحب من جنته
نشرب منه الأمل المشتهى ونأ كل الزقوم من سدرته
لا كان عهد الحب إن لم تكن عين النوى ترعاك في غيبته

هذا هو «كاظم جواد» شاعر الحب والجمال، الشاب الذي أحرق من أعصابه بخوراً في سبيل عقيدته وأهدافه في الحيـاة.

بغداد: الأعظمية — خالص عزمي

في موكب النهضة

كتابان

للأستاذ علي العماري

يخطئ الذين يظنون أن الحياة المصرية تحتاج إلى التجديد من ناحيتيها السياسية والاجتماعية فحسب، ويرون أن الجمود والتأخر والبطء كانت تلازم هاتين الناحيتين، ولا غير؛ فالحق الذي لا سبيل إلى المراء فيه أن الحياة المصرية أصابها الركود والجمود في كل نواحيها، وإن كانت نسبة هذا الجمود وهذا الركود في ناحية أقوى وأظهر منها في أخرى، ولذلك فإن النهضة والبعث والتجديد يجب أن تمس كل نواحي الحياة مسا رفيقا أو عنيفا على حسب ما تحتمله طاقة الأمة

وإلا فهل في مصر وفي العالم العربي من الفاقهين المخلصين لدينهم ولغتهم من يجهل مدى الجمود الذي يسيطر على الدراسات العربية والشرعية ؟

فكما أننا كنا في حاجة ماسة إلى من يجدد لنا حياتنا السياسية، وحياتنا الاجتماعية، كذلك نحن في أمس الحاجة إلى من يجدد لنا حياتنا العلمية، وبخاصة في الناحيتين اللغوية والشرعية

والذين لا يتعبدون بدراسة الكتب القديمة، ولا يعتقدون أن الله جعل علم اللغة وعلم الشريعة وقفا على الأقدمين، ويؤمنون أشد الإيمان بأن أنفه كلة في العربية هذه التي يتناقلها الخلف عن السلف: « ما ترك الأول للآخر شيئا » هؤلاء يعتقدون أن حاجتنا إلى تجديد هذه الدراسات، وصوغها صياغة جديدة لا تقل — في ميزان النهضة — عن حاجتنا إلى تجديد سياسة الأمة وحالنها الاجتماعية

وقد يطول الحديث ويتشعب لو أخذت أبين ما في هذه الدراسات من جمود، ولو بالإشارة العابرة، فلذلك سأقصر حديثي عن الدراسات العربية، بل عن كتابين اثنين من هذه الكتب العربية التي نتعبد بدراستها في مصر وفي غير مصر من الأقطار العربية. وكم كنت أود أن لم ييسر الله لصاحبي هذين الكتابين في تأليفهما، فإن الخطر الذي دخل على العربية منهما لا يقل عن الخطر الذي أصاب الحياة المصرية من تحكم رجال الأقطاع والطبقة الحاكمة

أما أول هذين الكتابين فألفية ابن مالك. أقول هذا وأنا على يقين من أن آلافا من الناس سيفتحون أفواههم، وستجحظ عيونهم تعجبا، ودهشة، ولكن الذي يؤثر الحق لا يبالي

وضع ابن مالك ألفيته في النحو في القرن السابع الهجري، ومنذ ذلك التاريخ وعلماء النحو يتخذون هذه الألفية كعبة يطوفون حولها، يضعون لها الشروح، ويضعون على الشروح الحواشي، ثم يتفضلون بالتقارير يستدركون بها على ما في هذه الحواشي، وبعضهم يؤلف في إعراب الألفية، وأكثر هذه الكتب وضع في عصر الضعف الأدبي، ففيها ماشئت من تعقيد والتواء، ومن تعليلات تافهة لا تستند إلى منطق معقول. وقد أضر عكوف العلماء بهذه الصورة على هذا الكتاب، فوقف الاجتهاد في النحو، وأصبحت غاية المتعلمين أن يفهموا تلك العبارات الملتوية، وأن يحسنوا الجدل في تخريجها وتصحيحها. وربما كان هذا معقولا ومقبولا في تلك العصور التي ركدت فيها ريح العلم، وعمها الانحطاط في كل نواحيها، ولكنه غير معقول ولا مقبول في هذا العصر الذي يمتاز بالسرعة، ويتطلب المحافظة على الوقت ويضيق به أن يضيع في فهم عبارات لا جدوى من فهمها — إن فهمت — وكم تكون الكارثة أطم لو ظللنا على هذه الحال مع هذه النهضة المباركة، فنحن نقف والقافلة تسير، وويل للمتخلف

لا تزال الآثار التي يوحي بها تقديس هذه الكتب مسيطرة على أفكارنا وعلى آرائنا وعلى تقديراتنا وعلى مناهجنا، فنحن نجيز الطالب ونمنحه شهادة دراسية يكافح بها في الحياة لأنه حفظ شرح ابن عقيل، أو شرح الأشموني على الألفية. ونحن نشيد بعلم العالم لأنه لا تغيب عنه كبيرة ولا صغيرة من هذا الكتاب أوذاك، ونحن نسأل عن فلان فيقال لنا إنه عالم جليل، ونسأل عن علمه الجليل فيقال لنا إنه أقدر الناس على فهم الكتب الأزهرية، وتخريج عباراتها، وتعجب أشد العجب حين تذهب إلى هذا العالم الجليل فلا يختلف في نظرك عن الكتاب الأصم في شيء، فأنت تستطيع

أن تستغنى بالكتاب عن ملاقاته والاستماع إليه ، تسأله فيدلك على موضع الجواب من الكتاب ، وإذا تخلل الجواب بيت من الشعر ، أو حكمة مأثورة لم يزد فى تعريفك بهما على موضع الشاهد منهما ، أما المعنى الأدبى للبيت أو للحكمة ، فيشرحه لك شرحا عاميا كما لو سألت جاهلا لم يطلع على شىء من كتب النحو

وهذه الأمثلة السخيفة التى تطالعك فى كل صفحة ، وتؤذى سمعك وإحساسك فى كل حين ، هى هى منذ أن وضع النحو واضعوه ! أما الشواهد فهى فى الأغلب الأعم من الشعر الركيك المتهافت ، وقد ورط القدماء فى هذا ما كانوا يعتقدونه خطأ من قولهم « البحث فى المثال ليس من دأب المحققين »

ولو كنا — حقا — نريد أن نساير النهضة ، لطرحنا هذه المؤلفات جانبا ، وكتبنا النحو العربى من جديد ، وكتبناه بأسلوب واضح أدبى ، ولتركنا الأمثلة جملة وتفصيلا ، واعتمدنا على الشواهد الفصيحة من القرآن والحديث ، والشعر والنثر ، وليس من المنطق السليم أن نعهد بهذا التجديد إلى أولئك الذين تحجرت عقولهم على القديم ، وأصبحوا لا يؤمنون إلا به ، لأنهم لا يحسنون غيره ، وهذه الحكمة البسيطة الساذجة هى التى تهدينا فى هذا السبيل (إنك لن تجتنى من الشوك العنب) . بل يجب أن نعهد بهذا العمل إلى العلماء الأدباء الذين تعمقوا فى دراسة النحو العربى ولهم مع ذلك ذوق أدبى جميل ، فهؤلاء هم ضالتنا .

أما ثانى الكتابين ، فهو « تلخيص » المفتاح للخطيب القزوينى ، وما قلته عن ألفية ابن مالك هو نفسه الذى يقال عن التلخيص ، مع فارق واحد ، هو أن الأمر مع هذا التلخيص أدهى وأمر ، ذلك أنه فى علوم البلاغة ، وهذه العلوم أمس بالبيان العربى من علم النحو ، فربما لا يروعنا أن نجد العلماء والمتعلمين فى النحو لا يتذوقون الأساليب البيانية العالية ، ولا يحسنون أن يأتوا بشىء منها قل أو كثر ، ولكنه يؤسفنا أشد الأسف أن نجد الدارسين للبلاغة أبعد الناس عن تذوق البليغ من القول

والتلخيص كالألفية منذ وضع وهو قطب رحا البلاغة ، يدور حوله ، وتستهدى بضوئه مع ما فى شروحه الكثيرة من خلط وخبط ، وضعف وتفكك ، فهى مملوءة بالمباحث الكلامية ، والمباحث المنطقية ، والمباحث الفلسفية ، ونصيب الذوق الأدبى منها أقل من القليل .

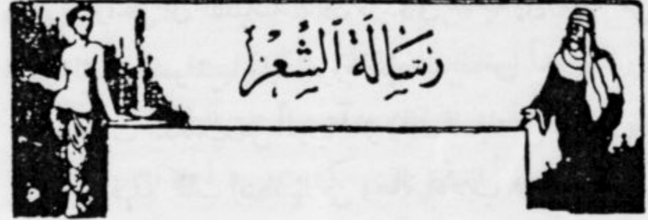
ومع ذلك فهى التى يعتمد عليها دارسو البلاغة العربية جل الاعتماد ، وما ظهر من الكتب الحديثة ليس إلا صورة من تلك الكتب ، وإن زادت عليها شيئا من الشواهد والتمارين ، لكن الطريقة القديمة والأمثلة القديمة والشواهد القديمة هى هى ، ومن عجيب الأمر أن بعض الشراح القدماء يعيبون بعض هذا المنهج ، ولكنهم يسلكونه ، وأشد من ذلك عجبا أن يسلكه المحدثون . هذا سعد الدين التفتازانى ، وهو صاحب القدح المعلى فى الكتابة عن التخليص ، وأبيه (المفتاح) يقوا . عائبا طريقة السكاكى فى حشد كثير من التقسيمات فى باب التشبيه ، يقول : « واعلم أن أمثال هذه التقسيمات التى لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوتة ، قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج ، من السكاكى باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلله در الإمام عبد القاهر ، وإحاطته بأسرار كلام العرب ، وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد فى هذا المقام على الكثير من أمثلة أنواع التشبيهات ، وتحقيق اللطائف المودعة فيها » . وما يقال عن التقسيمات فى التشبيه يقال عن كثير من التفريعات فى علوم البلاغة الثلاثة

إننى دافعت هنا فى مجلة الرسالة الغراء ، منذ سنوات عن البلاغة العربية ، وهأنذا الآن أدعو إلى نبذ هذه الكتب منها ، وليس — فى الحق — أى تناقض بين الموقفين ، فقد كنت هناك أدافع عن البلاغة كعلم عربى ألف فيه عبد القاهر والزمخشرى ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والآمدى ، والجرجانى عبد العزيز ، وأبو هلال العسكرى ، وأنا هنا أضرب المعول فى هذه الكتب التى نهجت منهج السكاكى والخطيب فجعلت البلاغة جدلا لفظيا عقيما

وقد يتساءل متسائل ، أو تعجبك هذه الكتب التى وضعها المحدثون ، والتى تعنى بالشواهد الفصيحة ؟ والجواب : لا . فإنها كتب جوفاء لا غناء فيها . والذى أريده أن تدرس البلاغة العربية القديمة فى كتبها ذات الأسلوب العالى والتفكير المستقيم ثم تكتب بلغة أدبية عالية ، ويزاد فيها أو ينتقص منها ، ولكن لا تخلو كتابتها من هذه اللمحات القوية التى دونها العلماء السابقون

كما أريد أن يضطلع الأزهر بهذه المهمة فإن رجاله أقدر الناس على تجديد القديم تجديداً نافعاً مفيداً ؛ وأن يخفي من الدراسات المدرسية هذه الكتب التي عمت الشكوى فيها ، والتي لا فائدة منها في الحقيقة إلا ضياع أوقات الطلاب سدى ، وإلا إفساد أذواقهم ، وحين تتغير الحال في الأزهر ، سيترسم خطاه كل المعاهد العلمية في العالم العربي التي تقلده الآن فيما يقدم لأبنائه من طعام لا يسمن ولا يغني من جوع

علي العماري



نفحة نبوية

محمد ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أي سحر هفا فرنم عودي ... وشدا مرقمي وغنى قصيدي ؟
وأحال الدجى ينابيع نور ... ضاحكات عن ثغر غيداء رود
ومحى غمرة الأسى والرزايا ... وأثار الأفراح بعد هجود
أي سحر ندى الحياة وألوى ... بالأماني مؤطرات القدود
فالربيع الضحوك يقفز في السهل ، ويحبو على سفوح النجود
والنسيم المفهاف يعثر بالور ... د ويهفو كقلب صب عميد
فرحة عمت الوجود ، وعيد ... راقص النور فاتن التغريد

***

يا ربى الخلد ألهميني شعراً ... فاتن الجرس رائع الترديد
وامنحيني كما منحت هتوفاً ... ترسل الشدو للضياء البديد
أنا في ليلة الهدى فاستجيبي ... واسكبي العطر في ثنايا نشيدي
أنا في مولد المتوج بالنور ... وفي غمرة الفخار العتيد
منقذ العرب من ضلالات دين ... لم يكن غير شقوة وقيود
عرب ألقت الجهالة سداً ... بين أفكارهم وبين الكبود
فأطاعوا هوى النفوس وضلوا ... بين أربابهم ضلال « الوليد »
كل يوم لهم إله جديد ... نحتوه من الصفا الجلمود
كم تمنوا الرشاد منه ولكن ... هو لو يعلمون غير رشيد
أو يرجى من الحجارة خير ... يا لنكرانهم ويا للجحود!
كيف شكوا بمبدع الكون والكون لسان يفوه بالتوحيد

***

أرسل الله للعوالم نورا ... أنقذ العرب من دياجي الجمود
أرشد الجاهلين بعد ضلال ... وأنار العقول بعد خمود
واستفز الشعور منهم فهبوا ... من خرافات جهلهم والرقود
حطموا قيدهم وثاروا أباة ... يسمعون الدنى زئير الأسود
ملأوا البيد بالفوارس حتى ... سئمت منهمو رمال البيد
والصحاري مهاد كل كمي ... عشق الموت في ظلال البنود

***

بوركت « يثرب » وبورك بيت ... هل فيه هلال عصر جديد
نحن لولا « محمد » وهداه ... لبقينا ننوء تحت القيود
هاشمي به النبوة تمت ... بعد « عيسى » وأشرقت بالسعود
ضحك الكون مذ أطل عليه ... وله همت الدنى بالسجود
والسموات أسفرت والروابي ... بسمت كالعروس في يوم عيد
« سدرة المنتهى نعيم وأفياء ... وأغرودة على أملود »
قل لمن ينكر النبوة مهلا ... إن رأى الضليل غير سديد
أو يحتاج عاقل لشهود ... وكلام الإله خير شهود

***

يا نبي الهدى أتيتك أشكو ... من حماقات عالم منكود
أشعلوا الحرب عنوة وأثاروا ... كل شعب منعم وسعيد
قتلوا الأبرياء في كل صقع ... وأراقوا الدما بكل صعيد
شردوا اللائذات من غضب القتل وراعوا أطفالها في المهود
قوة المال قومت كل وغد ... فطغى في الدنى بفضل النقود

***

هذه الحرب قد أقامت فروقاً ... جددت بين سيد ومسود
ضجت الأرض والسموات منها ... فمتى ينجلي دخان الوقود
ومتى يغمر الهدوء البرايا ... ويرف السلام فوق الوجود

بغداد ... عبد القادر رشيد الناصري

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

طه حسين بين الأدب والسياسة

فى خطاب من الأديب عبـد اللطيف فايد يقول « كتب الأستاذ محمود عبد المنعم مراد فى جريدة المصرى فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٢ بعنوان « فى الأدب والحياة » تعرض فيه لمؤلفات الدكتور حسين فوزى ، وقد دفعه مديح المؤلفات وصاحبها إلى اتهام الدكتور طه حسين بما هو منه برىء . إذ قال فى معرض الحديث مخاطبا الدكتور حسين فوزى « أصدقاؤك الذين احترفوا الأدب وزاولوا السياسة ، وجعلوا الأدب وسيلة لتلهية الفارغين ليزيدوا كتبهم انتشاراً ، كما اضطروا إلى مداراة الحـــاكمين والمحـكومين ليصلوا إلى كراسى الحكم . ومن هؤلاء صديقك الذى أهديت إليه كتابك الجديد الدكتور طه حسين »

وإن القارئ ليقف أمام هذا الاتهام وقد استولى عليه العجب من كل جانب ، لأنه إن جاز هذا على بعض الأدباء ، فلن يجوز على أستاذنا العميد ، وأدب العميد ليس فى حاجة إلى التعريف فنقول للـكاتب الفاضل إن الدكتور طه حسين لم يجعل الأدب وسيلة لتلهية الفارغين كى يضمن لـكتبه الذيوع والانتشار

وأينما قرأت له وجدت الإيمان بالفـكرة ، والأدب الرفيع الذى يستعصى العثور على مثله .

ثم أعود فأسأل الأستاذ مراد ألم يقرأ الأيام ومستقبـل الثقافة وحديث الأربعاء وعلى هامش السيرة والوعد الحق وغيرها مما تفخر به المـكتبة العربية من مؤلفات العميد ، وهل كانت هذه الـكتب وسيلة لتلهية الفارغين ! !

وأود أن أقول للـكاتب إن الدكتور طه حسين لم يصل إلى كرسى الوزارة عن طريق التملق ومداراة الحاكمين والمحـكومين.. لأننا لم نعثر على أديب شق طريقه بكفاحه وجهاده وإنتاجه حتى وصل مرتبة سامية كالدكتور طه . ثم ماعيب الأديب إذا اشتغل بالسياسة وحافظ على مبادئ أدبه ولم يجعل منها طريقا للاثراء والغنى . والحق أن السـياسة كانت دائماً فى حاجة إلى جبهة من الأدباء ليهذبوا حواشيها وليسخروها لإسعاد الناس

فليبحث الـكاتب عن أديب آخر زاول السياسة حتى صار

وبعد فهذه كلمات اقتطفتها من رسالة الأديب عن طه حسين وليس لى بعد ذلك أن أقول شيئا ، فطه حسين كاتب وهب نفسه للأدب خالصا مجرداً ، وقد عاش لفنه مجاهداً ، باذلا من أعصابه ودمه وروحه

وكان فى كل وقت المناضـل المكافح ، الذى يحارب الظلم والطغيان . ويكفى أن يكون طه حسين قد اختير من بين ١٥٠ عظيما فى العالم ، كأعظم شخصية فى الشرق ، ويكفى أن نقدم هذا للأستاذ مراد . .

والحق أننى لست أدرى ماهو وجه الشبه بين طه حسين وحسين فوزى ممـا يدعو إلى أن يقحم الأستاذ مراد الدكتور العميد عند الحديث عن مؤلفات حسين فوزى ؟

والعجيب أن أقرأ هذا فى الوقت الذى أستمع فيه إلى حوار مع طلبة إحدى الجامعات فى راديو الشرق الأدنى وقد أخذ المذيع يسأل الطلبة عن الـكتب التى يقرأونها فأجاب ٨ من عشرة منهم بأنهم يقرأون كتب طه حسين ...

هل يكتب تاريخ مصر من جديد . .

كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان فى الأهرام يصف المحاولات المنظمة التى قام بها الطغاة والمستبدون ، لتحريف تاريخ مصر فقال « لقد بدأت هذه المحاولات المنظمة ، لطمس معالم تاريخ مصر الحديث فى وقت مبكر ، عصر محمد على ذاته ، فطورد الجبرتى مؤرخ العصر ، وطورد مؤلفه وشوه وبترت منه صحف مما يتعلق بأعمال محمد على وتصرفاته . ومن خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر وحياة الأمة المصرية لم يصدر مؤلف شامل رصين تعرض فيه الحوادث والصور على حقيقتها ، ويعرض فيه حكم الطغاة وأهواؤهم وأخطاؤهم بأسلوب نزيه حق ، وتعرض فيه حياة الشعب المصرى وآلامه وكفاحه وجلده فى نفس الصور الأليمة المؤثرة التى كان يحياها ، ذلك لأن الطغاه كانوا دائما بالمرصاد لمن يحاول أن يجلو الحقائق النزهة ، وأن يجعل من تاريخ الأمة شيئا يذكر إلى جانب سيرهم »

وأنا أستميح المؤرخ الكبير الأستاذ عنان القول بأن مؤرخا واحداً استطاع أن يكتب تاريخ مصر في حرية وجرأة وقوة بعد « الجبرتي » ذلك هو عبد الرحمن الرافعي

إن من يقرأ الفصل الذي كتبه عن « أحمد فؤاد » في الجزء الثاني من كتاب « في أعقاب الثورة » يعرف كيف استطاع الرافعي أن يقول رأيه في صراحة كمؤرخ في هذا الملك ، في وقت كان الطغيان فيه قد بلغ حده ومداه ، وقد احتمل الرافعي في سبيل ذلك عنتا كثيرا ولم يعبأ بذلك فقد كان مؤمنا بما يقول

وبعد فنحن نرجو أن يكتب الأستاذ عنان تاريخ مصر من جديد بعد أن أمضى هذا الوقت الطويل دون أن يكتب شيئا عن مصر الحديثة

حياة المازني

... وهذه صور جديدة من الوفاء لكتاب مصر العباقرة الذين ذهبوا ، أذكر اليوم كيف حملت « الرسالة » عبء الوفاء للرافعي ، عندما كتب سعيد العريان حياة الرافعي . وظل يتلقى السهام من كل مكان

.. كنت أعلم أن الأستاذ محمد محمود حمدان قد كتب قصة المازني بعد وفاته ، وكان قد أعد هذه الفصول لتكون كتابا ، ولكن ظروفا حالت دون نشرها ، حتى أتيح لها أن تطالع قراء الرسالة . في نفس المكان الذي طالعتهم فصول حياة الرافعي

وقد كان المازني أحد كتاب الرسالة وأحد دعائم الأدب العربي المعاصر

القصصي العالمي

كتبت إلى الآنسة «ليلى مسلم» تقول « في صحف فرنسا الأدبية هذا الأسبوع أن لجنة مكونة من أندريه موروا وفرنسوا مورياك قد اختارت ١٢ قصة من بين ١٢٣ قصة لنشرها في مجموعة خاصة هي :

أدولف ، الأحمر والأسود ، الخيبة المزدوجة ، الأب جوريو ، مدام بوفاري ، دومنيك ، البلياد ، الطفل ، جرمنيال ، التلميذ ، سارق الأدب ، في الطريق

وهي لكونستان ، واستندال ، ومريمي ، وبلزاك وزولا ، وبورجيه وغيرهم

وطلبت الآنسة « ليلى » أن تترجم مجلة الرواية هذه القصص لتقدمها إلى قراء العربية في نفس الوقت الذي تقدم فيه إلى قراء الفرنسية »

ونحن بدورنا نرفع هذه الرغبة إلى صاحب الرواية

والفن

شهدت القاهرة فيلم « مصطفى كامل » ... هذا البطل الوطني الأول .. وبقي أن نشهد أفلاما عن محمد فريد وعمر مكرم ومحمد كريم وحسن البنا ... إن مثل هذه القصص هي زاد روحي غاية في القوة للمصريين في هذا العصر الجديد، الذي يعيش فيه الناس على الحقائق الوطنية وعلى المعاني الروحية الخالصة

لقد عاشت مصر طويلا ، تشهد قصصا كلها التهريج والإثم والهوان ، ويجب أن ينتهي هذا ، مع العهد الظلم الذي انتهى . . إن المصريين الآن يستقبلون عهدا جديدا ، .. جديدا في كل شيء ، وعليهم أن يستقبلوا معه أدبا جديدا وفنا جديدا . . أدب القوة وفن القوة ، الأدب والفن المطبوع على الحرية والحيوية والسمو والنشيد الوطني ، بجري الحديث هذه الأيام حول تغييره . . وهو اتجاه محمود ، إننا نريد أن نحس أننا في عهد جديد ، في كل شيء ، ولا نريد أن نسمع هذا الصوت الذي اتصل يوما بالطاغية ... المطرود !

ميدان جديد

دعت السفارة الباكستانية إلى مسابقة شعرية في موضوعات أربعة

أولا : الإسلام وحدة عالية

ثانيا : رسالة الباكستان

ثالثا : محمد بن القاسم

رابعا : محمد إقبال

ولا شك أنه ميدان جديد يفتح المجال أمام شعرائنا للحديث عن الإسلام والحضارة والتاريخ ، ونحن في أشد الحاجة من الناحية الثقافية لأن يقتحم شعراؤنا هذه الميادين الخالدة من الإنتاج بعد أن تعثرت خطواتنا طويلا في أدب المناسبات والشعر التقليدي

أنور الجندي



أين الأدب المصري القديم

إن المطلع على الآداب القديمة على اختلاف مصادرها يجد كل أمة من الأمم غنية بتراثها الأدبي من شعر ونثر تستطيع به أن تتعرف إلى ملامح المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها — سواء كانت هذه الأمم ذات نصيب من الحضارة كالرومان والإغريق، أو كانت تغلب عليها البداوة كالأمة العربية

فإذا ماذهبت لتبحث عن نصيب القدماء المصريين من ذلك لم تستطع أن تعثر على ما يشفي غلتك

فلن تجد ناشئا من ناشئة الأدب يعرف شاعرا مصريا قديما كما يعرف «هوميروس» وإلياذته في الأدب الإغريقي أو «فرجيل» في الأدب الروماني

فإلى أي شيء نرد هذا ؟ أنرده إلى أنه ليس لقدماء المصريين أدب. وهذا غير معقول؛ لأنه لا يمكن أن تحيا أمة بلا أدب يترجم عن مشاعرها ويصور نوازعها . أم أن ذلك الأدب بلغ من التفاهة والعجز حدا لا يستطيع معه أن يتخطى سدود الزمن

هذا ما نرجو أن يكشف عنه المختصون مشكورين

محمد ابراهيم الجيوشي

حول الأدب والفن في أسبوع

تولى الأستاذ أنور الجندي تحرير باب « الأدب والفن في أسبوع » فانتظرنا التجديد والتطور الكبير لهذا الباب

ولكن يظهر أن الأستاذ أنور لا يعطي هـــذا الباب من العناية ما يستحقه

فقد كتب هذا الأسبوع تحت عنوان «ندوة الشباب المسلمين» في معرض الحديث عن المهرجانات التي أقيمت احتفالا بمولد الرسول يقول :

« فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : الغزالي ، ونخيمر ، وشملان ، والعوضي ، والمنشاوي ، والتهامي ، والماحي، وحمام ، والعادين ، وجبر ، وقاسم

وأريد أن أسأل الأستاذ أنور بعد ذلك هل كان حاضرا تلك الندوة ؟ يقينا لا! بدليل أنه لا نخيمر ولا شملان ولا أحد العادين تكلم إطلاقا في تلك الندوة

ومن الغريب أن الأستاذ غالي بعد ذلك قائلا « وعن القصائد التي لقيت الاستحسان قصائد نخيمر والمنشاوي والتهامي» مع أن نخيمر لم يتكلم مطلقا كما قلت

أرجو من الأستاذ أنور أن يعطي هـذه النواحي بعض الاهتمام كي يخرج لنا شيئا يصح أن يقرأ فيفيد لا أن يعلق ويستنتج مقتصرا بذلك على الأسماء الواردة في بطاقة الدعوة

محمود نجيب الربيعي الجهني

الباكستان أو باكستان

من غرائب هذا العهد الأخير أن قد أخذ يتزلزل فيه ما كان ثابتا متوطداً منذ القدم من قواعد النحو والبلاغة . فعادت بعض مسائل النحو مما كانت تجمع عليه العرب وتتخذ فيه مذهباً واحدا في العصور الماضية كأنف من الشمع في أيدي الكتاب، يلوونه ويعبثون به كيف يشاؤون . هذا يميله إلى اليمين ، وذلك يعطفه نحو اليسار ، ثم يأتي الواحد فيتيامن به تارة ويتياسر به أخرى . من تلكم المسائل مسئلة إدخال الألف واللام على الأعلام الأعجمية . فقد أصبحنا نرى أخيرا أن الكتاب والأدباء من الناطقين بالضاد يكادون لا يتفقون على مذهب فيها بعينه عند تعرضهم لذكر بعض الأعلام الأعجمية التي قد ظهرت حديثا بظهور مسمياتها إلى حيز الوجود ، ومن تلك الأعلام اسم دولتنا الناشئة : باكستان

إنا لم نزل — ولا نزال — نقرأ كلمة (باكستان) ونتتبعها فيما يكتبه الكتاب والأدباء في مختلف المجلات والجرائد العربية ، فلم نر من أمرها إلا عجبا !

في جريدة أسبوعية سيارة في القطر الجزائري ، يستعمل نائب مدير الجريدة كلمة (باكستان) فيعرفها بالألف واللام ، فيقول : (ولا نزال فن يتنقل في ربوع الباكستان) . وأما مدير الجريدة المفضال وصاحب امتيازها المسئول فلا يكتب اسم وطننا — أينما كتب — إلا مجرداً منهما وممنوعا من الصرف ، فيقول : (وانفصلت باكستان)و(وسكان البنغال وهي باكستان الشرقية) ، و (لأن باكستان هي الأول في البرنامج ...)

وفى الرسالة الغراء يتفضل الأستاذ أبو الفتوح عطيفة فيتناول القطر الباكستانى ببحثه الممتع فى سلسلة بحوثه عن جميع الأقطار

ولكنه لا يرضى أن يجعل لكلمة (باكستان) شكلا واحداً معيناً فى جميع المواضع من مقالاته تفادياً — على ما نظن — من سآمة القراء منه، فتارة يسبغ عليها جبة فضفاضة من الألف واللام، وأخرى يجردها حتى تتنفس فى الهواء الطلق وتستجم من تعب الجبة

هذه بعض الشواهد على ماقلنا آنفا . فنسأل إخواننا الكتاب والأدباء الأفاضل : لماذا هذا التشتت والاختلاف فى مسألة كانت أحرى أن تكون موضع اتفاق للجميع !

أما مانعلم فى هذه المسألة فهو أنه من الثابت المحقق — أولا — أن باكستان من الأعلام الأعجمية التى تمنع من الصرف أو التنوين وذلك على قاعدة النحو القائلة بأن العلم يمنع من التنوين أو الصرف

(١) إذا كان أعجميا غير ثلاثى ساكن الوسط

(٢) إذا كان مركباً مزجيا غير مختوم بكلمة ويه

وباكستان ولا شك علم أعجمى غير ثلاثى ساكن الوسط ، كما أنها مركب تركيب المزج من (باك) و (استان) ومعنى الأول الطاهر ، ومعنى الثانى الأرض أو البقعة ، ومعنى المركب البقعة الطاهرة . و المعلوم من عادة العرب أنها لا تعرف بالألف واللام — فى أغلب الأحوال — الأعلام الأعجمية التى تمتنع من الصرف ، مثل لندن ونيويورك وأمريكا وآسيا وليفربول وبتروغراد ودبشليم وبيدبا ... بل ترسلها مجردة منهما . وأما ماكان ينصرف من تلك الأعلام الأعجمية لكونه ثلاثيا ساكن الوسط، فالعرب تارة تحليه بالألف واللام كالصين والهند، وأخرى ترسله عاطلا كنوح وشيث ، والأمر كله يقف على سماع القوم

هذا من جهة قواعد النحو . والذى قد استخرجناه من كتابات اللغويين المحققين والكتاب المتحفظين — حفظهم الله — فى هذا العصر ، أمثال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مصر ، والأستاذ محمد البشير الإبراهيمى فى الجزائر ، والأستاذ مسعود الندوى فى باكستان ، فهو أن كلمة (باكستان) قد أغناها الله عن التنوين وعن الألف واللام . ولا بد أن يكون عليه أساتذة العراق والشام ممن لم نطلع على استعمال (باكستان) فى كتاباتهم

ذلك ما عندنا فى هذا الباب ، ويا حبذا لو يتفضل أحد أساطين النحو والبلاغة فى بلاد العروبة فيأتى بحكم قاطع فى هذه المسئلة ، حتى لا تبقى باكستان موضع خلاف ونقاش بين الكتاب والأدباء من الناطقين بالضاد ، وهى دولة ناشئة ميمونة ينبغى أن تأتى مؤلفة بين الجميع !

بهاول بور — باكستان

محمد كاظم سباق

١ — من تاريخ الفقه الإسلامي

يقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف (فى ١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : ولهذا عنى بتدوين الفقه فدون محمد بن الحسن كتب ظاهر الرواية ، ودون سحنون المدونة فى فقه مالك ، وأملى الشافعى فقهه فى كتاب الأم ، وجمع ابن قدامة فقه أحمد فى كتابه المغنى

أقول : إن ابن قدامة صاحب المغنى توفى سنة ٦٢٠ فالصواب أن الذى جمع فقه الإمام أحمد هو أبو بكر الخلال المتوفى سنة ٣١١ ففى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٢ ص ٣٦١) : أنفق عمره فى جمع مذهب أحمد وتصنيفه ، وله كتاب الجامع — لعلوم الإمام أحمد — وهو كبير جليل القدار . وفى طبقات الحنابلة لابن الفراء : رحل إلى أقاصى البلاد فى جمع مسائل أحمد .. وسبق إلى مالم يسبق إليه سابق ولم يلحقه بعده لاحق . وقال الخطيب : جمع علوم أحمد ... ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع لذلك منه . وقال الكوثرى . بلغ ما سجله من مسائل أحمد أربعين مجلداً

٢ — من تاريخ الفقه

يقول الدكتور أحمد أمين (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) ومما امتاز به (الشافعى) اهتداؤه إلى علم الأصول ووضعه له ثم استنباط الأحكام على وفقه مما لم يصل إليه إمام آخر . ولذلك كان مذهبه أكثر المذاهب انطباقا على المنطق بعكس الأئمة الآخرين فإنهم كانوا يعتمدون على فهمهم لآيات الأحكام وأحاديثها وكان الاستنباط كالملكات فى نفوسهم

وقال ابن العماد فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج



الـــدم

للكاتب الفرنسي إميل زولا

ها أنت ذى لا زلت بين أشعة الشمس وأرج الأزهار . ألم تسأمى هـذا الربيع المستمر يا نينون ؟ دعيني إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة الكثيرة الهول ، فإن النفس متى ملت طول النشوة قد تسكن إلى صوت الأهوال

— ١ —

فى اليوم الذى انتصر فيه الجند أخذ أربعة منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التف من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث الموتى

وكانت ألسنة اللهب التى يشوون طعامهم عليه تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم ظلالا ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار ، وحتى أن الناظر كان يلمح فى قلب الظلام جثث القتلى وهى نائمة جاحظة العيون

أما رفاقنا فكانوا فرحين يضحكون فى جوف الليل غير شاعرين بتلك العيون المحملقة فيهم . ولعل لهم عذراً من هول ما رأوا فى يومهم الدابر ، ومن الهول الذى ينتظرهم فى الغد . فأخذوا يحتفلون بتلك الساعات القليلة التى جاد بها عليهم حسن الحظ غافلين عن ظلام الليل وظلام الموت وأجنحتها التى تحلق فوق هذا الميدان فتهز سكوت الفضاء

ولما انتهوا من طعامهم تاقت نفس أحدهم إلى الغناء واسمه « جنوص » ولكن نبرات صوته كانت تمزق غشاء الهواء القاتم الحزين ، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفتيه امتزجت بالصدى فكانت كتنهد عميق . وعند ذلك شق حجاب الظلام صرخة مزعجة دوت فى الفضاء فاضطرب حتى أنه كلف رفيقه « إلبرج » ليذهب ويرى فلعل إحدى الجثث عادت إليها الحياة . وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذه معه ورفاقه يشيمونه بعيونهم لحظة على قدر ما يسمح به امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحنى من بعيد يسائل الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم اختفى

وبينما هم سكوت صاح جنوص بزميله الثانى « كليريان » أن يذهب فى أثره خوفاً عليه من الذئاب

وهكذا اختفى هذا أيضا فى الظلام

أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار ارتديا معطفيهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار وقد أشرفت على الانطفاء . وما كادا يغمضان أجفانهما حتى سمعا تلك الصرخة من جديد وكأنها تمر من فوق رأسيهما حتى أن فيلم انتصب فزعا واتجه إلى تلك الجهة التى اختفى عندها رفيقاه

وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبح الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة السوداء التى كانت تدوى بحشرجة الموتى . وعندئذ ألقى فى النار بعض الحشائش اليابسة لعل اشتعالها يبدد شيئا من ذلك الرعب الذى تملكه

ولقد أخذت ألسنة اللهب ترتفع أخيرا حمراء كالدم فأضاءت

ا ص ٣٠١) : قال ابن الفرات فى تاريخه : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة . وقال : الكوثرى (فى سيرة أبى يوسف القاضى ص ٣٣) : قال طلحة الشاهد : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة ، كما حدث بذلك الخطيب البغدادى . فأوليته فى وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة لا تنافى أولية الشافعى فى وضع الكتب فى أصول الشافعى ، بل صنيع الشافعى فى مناقشة من تقدمه فى مسائل الأصول فى كتبه من أجلى الأدلة على أن أوليته هى بالنظر إلى مذهبه فقط . ويقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : (أصول الفقه دون فيه أبو يوسف ولم يصل إلينا مادونه ، ودون فيه الإمام الشافعى رسالته وهى أول مدون فى أصول الفقه بين أيدينا) . ولا يتسع المجال هنا لبسط قواعد الاستنباط وأصوله عند الإمام النعمان وغيره من الأئمة

محمد شعبى

الأرض على مسافة مستديرة واسعة كان يخيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من فوقها ، وكأن أصابع خفية كانت تحرك جثث القتلى

على أن القمر أخذ بعد ذلك يظهر قرصه عند الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال التي كان الليل يخفيها في جوفه وكانت الصحراء جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منطرحة تحت أكفان من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه فقد فكر في الصعود فوق رابية هناك وهو يسائل نفسه : لم لا تنتصب من مكانها أشباح أولئك الموتى وقد أخذت تحملق فيه . وهكذا أخذ جودها أيضا يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه . وبينما هو في مكانه جامد شعر بحرارة تدب في قدمه اليسرى فانحنى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا رقيقا من الدم يعلو وينحدر بين الحصى ، ولجريانه خرير ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى تحت أشعة القمر ليعود ثانية إلى الظلام ، فكان كالثعبان الملطخ يبقع سود تتتابع كالحلقات بخفة وبلا انتهاء . وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمردت أجفانه فلم يستطع إطباقها من هول ما رأى . أما السلسال فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى نهير ثم إلى سيل يسمع له وهو يجرى صوت أصم وقد أخذ يقذف على جانبيه زبدا أحمر ، وأخيرا استحال إلى نهر واسع يكتسح أمامه هذه الجثث

ولكن كيف خرج كل هذا الدم الغزير من جروح أولئك الموتى حتى غمرهم ؟ وعلى كل حال فقد اضطر جنوص إلى التراجع أمام تلك اللجة الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد ، كأنما تلك المسافة المترامية الأطراف قد استحالت إلى بحيرة واسعة ، حتى خطر له أن يفر لولا أنه وجد نفسه فجأة عند كوم من الصخور وأمواج الدم ترتطم بفخذيه ، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه تلدنه كلما أبصرت به في طريقها ، وكأن كل جرح من جراحها فم يزدريه ويسخر من رعبه . أما البحر الزاخر فكان يعلو ويعلو حتى بلغ صدره ، وعندئذ استجمع ما في نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر الحزين الباهت ينظر كيف يبتلع هذا البحر أشعته كلما انعكست فيه ، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من فوهة هوة سحيقة

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد إلبرج فأيقظ جنوص وكان قد ضل السبيل في الأحراج فغلبه النوم أيضاً عند شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال : رأيت كأن العالم لايزال في طفولته والسماء تبتسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو ، حتى أن شجرة البلوط العالية عندنا لاتعد بجانبها شيئاً . والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها العريضة التي لايحصيها عد ؛ والحياة تجرى صافية في شرايين الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الأشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور

وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يجثو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتمجده هي أيضاً بأريج الأزهار وتغريد الأطيار

كنت أراها زاهية خصبة تفيض بخيراتها من غير مانصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسوجوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهيئ كل أسباب الحياة لخليقته

كان الإنسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوى من أنهارها ، وينام إذا دجا الليل تحت أشجارها حامداً الله ؛ وقد عافت عيناه مرأى الدم ، فظل طاهراً ، ورفعته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوئام سائدا بين الناس ، والسلام خافقة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتحرك أجنحتها فزعا من خوف ، ولا كان البغي يدفع أحدا إلى الالتجاء للغابات والأحراج ، كل له حصة من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعتها المحبة

ولقد خيل إلى وأنا أمشي بين الناس أنني أصبحت أطهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدري يستنشق طويلا نسيم تلك السماء البليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويداً رويداً في الفضاء

وبينما كانت هذه الأحلام تهزني انتقل خاطري إلى غابة فوقع بصري

على رجلين يقطعان طريقاً ضيقاً تعانقت من فوقه غصون الأشجار، وكان أصغرهما متقدماً على رفيقه ووجهه يفيض بالاطمئنان، ونظراته تداعب كل سنبلة تقع عليها عينه، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفتيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ

أما زميله فكان صامتاً يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملؤها الحقد، وهو يتعثر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتفي أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعاً من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفاها تحت ثوبه، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الإنسان صديقاً حميماً طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد آذنت الشمس بالمغيب، والفتى مسرع وهو يبصر من بعيد خطاً لطيفاً أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية المساء ترسلها الشمس للطبيعية. أما صاحبه فظنه يتهرب منه، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك المسكين فهشمته

ولقد صادفت أول نقطة من دمه بعض الحشائش فنفضتها عنها إلى الأرض مرتاعة فامتصتها هذه وهي لا تقل ارتياعاً منها؛ وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقتها حيث طفح الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زبد خالطه دم

وما كاد القتيل يصرخ من ألم الضربة حتى تشتت الخلائق هولا، وأخذت تهيم على وجوهها فى الأرض، وأقوياؤها فى مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم. وعندئذ أيقنت أن الكون قد بدأ فيه نذر الاضطراب والانحلال

وهكذا استعرضت عيناى مناظر هذا الاعتداء المطرد، فكان الباشق يهوى على القبرة، وهذه على الذبابة، والذبابة على جروح القتلى؛ فلم يترك الفزع أحداً من الدودة إلى الأسد كأنما قد استحالت الخليقة إلى عقرب أخذت تعض ذنبها بفمها فغابت فى ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك انتابت الطبيعة هزة طويلة كسرت خط ذلك الأفق الصافى، وشوهت جمال الشفق بما اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف الأمواج وهزيم الرياح من خلال الأشجار وقد التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة أوراقها

— ٣ —

وما كاد البرج ينتهى من حديثه حتى ظهر كليربان وهو يقول: لست أدرى إذا كان ما سأقصه عليكم حلماً أو حقيقة، لأن ما رأيت فى نومى يكاد يكون حقيقة، ولأن الحقيقة من بعده تكاد تكون حلما

رأيت كأننى فى طريق يشق المسكونة على جانبيه المدن والأمم تقطعه مثلى، وهو مكسو ببلاط أسود انعقد فوقه دم كانت قدماى تنزلقان من فوق

أما الناس فقد كان الآباء منهم يقتلون بناتهن ليكون من دمائهن قربان لله، فكانت تلك الرؤوس الفتية الجميلة تحز تحت مداهم وقد هرب لونها على أثر هذه القبلة التى كانت شفة الموت تضمها عند أعناقهن

وفى مكان آخر كان العذارى يصن عفافهن بالانتحار جاعلات من القبور الكفن لبكورتهن.

وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى العشيقات تفيض أرواحهن تحت قبلات المحبين، هذه تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطئ وعيناها تنظران إلى روحها وهى تصعد حاملة معها مهجتها، وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدى

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سئموا الحياة وملوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم النعيم فى عالم آخر

أينما كنت أذهب كان أثر أقدام الملوك مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القانى... فمنهم من كان يمشى على دم أخيه، ومنهم من كان يسير على دم شعبه، فتترك أقدامهم من خلفها أحرفاً ناطقة: هنا مر ملك!

أما القساوسة فكانوا يخفون السيوف فى مطاوى أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تعلن الحروب باسم الإنسانية وباسم الله.

كان العالم كله غلا بخمرة البطش، يضرب كل منهم أخاه

سيف ذى حدين ، والأرض عطشى تكرع من الدم ولا ترتوى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تباشير الصباح ، ولكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد لم يكن غير أمر للمتفرقين من الجند بالاجتماع تحت علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتعدوا وهم يرسلون إلى موقدهم نظرة وداع أخيرة . غير أنهم لمحوا رفيقهم الباقى مقبلا وقدماه معفرتان بالتراب فاستوقفهم يقص عليهم ماراه:

قال : إننى أجهل من أين أتيت لأنى كنت أعدو عدوا وكأن الأشجار لجزعها تعدو مثلى حتى غلب على سلطان النوم فنمت حيث رأيت نفسى فوق تل منفرد وقد كادت قدماى تحترقان من حرارة الشمس

وبينما أنا أثب من صخرة إلى أخرى لمحت رجلا صاعدا نحوى وعلى رأسه تاج من الشوك وعلى كتفيه معطف ثقيل والعرق يتصبب من وجهه فى حمرة الدم ، وكانت حرارة الشمس قد أثرت فى قدمى فأخذت فى الصعود حيث أنتظره تحت كل شجرة فوق التل ، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل صليبا ففرحت إذ ده ملكا

ولكن جنودا كانت تجد فى أثره وهم يهددونه بحرابهم ، حتى إذا ما أدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة ودموعه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة صفراء تنم عن مبلغ ما حل به من الحزن

هالنى هذا المشهد ولكننى رأيت الرجل عظيما فى موته فتأكد لى أنه غير ملك . ولذلك أشفقت عليه وأما أصيح بهم : اطعنوه فى قلبه حتى لايطول عذابه . وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت تنوح ونبرات صوتها تصل إلى مسمعى فتصورها لى عذراء لم تملك نفسها من البكاء وكأنها تقول :

« مالى أرى الدم قد صبغ اللهيب والفضاء والأشجار ؟ وما لساق تغوصان من تحتى فى الرمل القانى ، وما لجناحى حين لمسا هذه الأغصان صبغتهما الحمرة ؟

لقد صادفت فى طريقى رجلا صالحاً فتبعته حتى إذا اغتسلت فى المنبع خرجت وثوبى طاهر نقى ولذلك كنت أقول لريشى : قر عيناً فإنك فوق كتفى هذا الرجل لن تحمل هماً ولن تدنسك آثام . أما اليوم فقد أصبح نشيدى :

نوحى ياحمامة وابكى ثوبك الذى لطخه دم من انحدث حماك بين ثدييه . إنه جاء ليصون لك بياض ثوبك ولكنه تحت حكم أولئك القساة بلل ريشك بندى جروحه

هأنذى أنوح على ثوبى الملطخ فأين أجد أخاك أيها المسيح ليفتح لى طرف ثوبه فأحتمى فيه ؟ ومن ذا الذى يغسل بعد الآن ريشى الذى صبغه دمك ؟ »

وكأن المصلوب كان يستمع لنواح تلك الحمامة وريح الموت تحرك جفنيه ، وسكراته تلوى شفتيه ؛ غير أن نظراته اتجهت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف العتاب . ثم صرخ صرخة مالت عنده رأسه إلى صدره فذعرت الحمامة وفرت ، وقد اغبر وجه السماء واهتزت الأرض ، ثم أخذت تبتعد حتى اختفت فى ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت الطبيعة باسمة من خلال ضباب الصباح ، وقد اختفت زوابع الليل فعاد للسماء صفاؤها ، وعادت للأشجار نضرتها ؛ ولكن الطريق كانت لاتزال تكسو جانبيها الأشواك ، ولا تزال ساكنة فى فجواتها الزواحف التى كانت تقف فى طريق سيرى بالأمس . نعم إن دم المسيح جرى فى شرايين الأرض القديمة من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى

على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من بعيد فصاح جنوص فى رفاقه قائلا :

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة ؟ لقد أزعجتكم تلك الأشباح فى نومكم كما أزعجتنى مثلكم ساعات طويلة . إن لى الآن ثلاثين سنة لم أقضها فى غير قتل بنى جنسى حتى سئمت نفسى . وإننى أعرف أن هنالك أراضى واسعة فى حاجة إلى سواعد ومحاريث ، فهلا ترون أن نتذوق بعد ذلك طعم الخبز الذى يخرج من كدنا ؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعا : نعم

ثم أخذوا يهيئون حفرة يدفنون فيها سلاحهم وبعد أن اغتسلوا فى النهر اختفوا بين ثنايا الطريق

م . خ

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٤٩

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون

20 me annee No 1016 — Le Caire 22 — 12 —1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

سيفا العروبة يلتقيان

فى الأسبوع الماضى ، وفى حاضرة النيل ، التقى سيفا العروبة نجيب وأديب ، فالتقى طريق بطريق ، واجتمع شقيق بشقيق ، واتصلت نهضة بنهضة !

ولعمرى ما افترقت القاهرة عن دمشق منذ جمعتهما العروبة ، ولا بَعُد النيل عن بردى منذ قربهما الإسلام ، ولا انقطع المصرى عن السورى منذ وصلهما الجوار . فالشعبان بحكم الطبيعة والواقع شعب واحد ، مزجتهما المجاورة والمصاهرة ، وخلطتهما المتاجرة والمهاجرة ، حتى اتحدت النية والوجهة والغاية والأمل ، فزالت الحدود ، وارتفعت الحواجز ، واتصلت الأسباب ، ووشجت القرابة ؛ فلم يتدابر إلا حاكموهما ، ولم يتناكر إلا دخيل ودخيل . ثم أجرتهما الأقدار فى عنان واحد ، فكابدا من فسوق الرؤساء وفجور الزعماء ما أقنطهما من صلاح الأمر واستقامة الحال ؛ فرضيا بالدون واستسلما للهون ، وكاد العدو المشترك الذى يترصد الغفلة ويتسقط العثرة ، يظن أن ملك العرب إلى انهيار ، وأن ملك اليهود إلى استقرار ، لولا أن الله الذى وعد المؤمنين العاملين أن يستخلفهم فى الأرض ، وأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، قد ادخر لكل متاهة هاديا ، ولكل مَفسدة مصلحا ، فجعل ولاية الأمر فى هذا الوقت الذى انهار فيه البناء ، واستشرت الأدواء ، وتحللت العقد ، لأصحاب السيف ، وهم قوم مختارون صناعتهم الدفاع ، ووسيلتهم القوة ، وطبيعتهم النظام ، وخلقهم الطاعة ، ومبدأهم التضحية . عاهدوا الوطن وضمنوا له من أنفسهم الوفاء ، أن يستعدوا ليأمن ، ويجاهدوا ليستقل ، ويموتوا ليحيا . فإذا انصرفت الشعوب اليوم عن رجال السياسة إلى رجال القيادة ، فإنما ينصرفون عن الكلام إلى العمل ، وعن الضعف إلى القوة ، وعن الانحلال إلى التماسك ، وعن الغش إلى النصيحة ، وعن الفوضى إلى النظام ، وعن المطامع الخسيسة إلى المطالب الرفيعة ، وعن قوم يعبدون الفسولة ليكونوا بها آلهة ، إلى قوم يمجدون البطولة ليكونوا لها ضحايا . وإن فى السياسة الجديدة العملية التى ينفذها العسكريون هنا وهناك من غير وعود تعطى ، ولا عهود تؤخذ ، لسخرية أليمة من تلك الخطب الطوال الثقال التى كان يلقيها رئيس الحكومة باسم رئيس الدولة فى افتتاح البرلمان ، فيجعجع بها جعجعة الرحا التى تطحن القرون : تسمع ما يصدعك ، ثم لا ترى ما يفيدك !

وإن فى اجتماع القائدين العظيمين فى قيادة الجيش التى لا تقبل الرياء ، وتفاوضهما بلغة الجيش التى لا تعرف السجع ، لقضاء على ذبذبة السياسة العربية التى عالجت بها الأمور حتى الأمس ، وعلى ثرثرة الجامعة العربية التى تعيش عليها حتى اليوم !

احمد حسن الزيات

إحياء المقومات الدينية

للأستاذ عبد العزيز محمد التركى

لقد اشتهر الشرق منذ القدم بأنه منبت كل دين، ومنبع كل عقيدة. منه انبعثت التعاليم الدينية، وانتشرت فى مختلف أرجاء العالم، ومنه انبثقت العقائد الروحية، واستقرت فى قلوب شتى الشعوب. وإن تاريخ الحضارات يشهد بأن الذى بعث الطاقة الحيوية فى نفوس الشرقيين للخلق والابتكار فى جميع ميادين الحياة من علم وفن ومدنية، هى البواعث الدينية التى تضع قوانين حياتهم الاجتماعية، وتنظم وسائلهم الاقتصادية، وتسن نظمهم الدنيوية. ولم تخالف مصر الفرعونية الشرق فى روحيته، ولم يتخلف قدماء المصريين عن الإيمان العميق بالدين، ولم تهمل الحضارة الفرعونية فى اتخاذ الحوافز الدينية محركا فعالا لنهضتها الخالقة

لقد قال هيرودوت عن المصريين إنهم شعب تقى ورع، يخاف الله. ولم يبعد هيرودوت عن الحقيقة حينما تلتمس فى قدماء المصريين تلك النزعات الدينية السامية، إذ أن تاريخهم الطويل وتراثهم الحضارى الضخم يعطينا من الأدلة ما يغنينا عن شهادته. لقد لعبت عقيدة البعث الدور الأول فى بناء حضارة الفراعنة، إذ أن إيمان المصريين بحياة أخرى بعد الموت، حصر همهم فى الاستعداد لهذه الحياة. وتحت تأثير هذه العقيدة الدينية نشأت العلوم والفنون، وتحت رعاية رجال الدين تقدمت حتى بلغت حدا من الكمال لا يدانيه إلا ما تمتاز به الحضارة المعاصرة من رقى وتقدم.

آمن قدماء المصريين بعودة الإنسان إلى الحياة مرة أخرى، ولكن عقيدتهم تشترط لإمكان تمتع الإنسان بهذه الحياة الثانية: أن يبقى الجسد سليما لا يعتريه التلف، لأن الروح لا ترجع إلى جسد فاسد؛ وإن نال البلى من الجسد فإن الروح مصيرها الهلاك والفناء. فحرص قدماء المصريين على المحافظة على جثث الموتى حرصا على الخلود. ولقد كان هذا الحرص من أقوى البواعث الدينية التى ساعدت على وضع أسس حضارة تبز ذكراها جميع الحضارات القديمة، فلا نعجب إذا نشأت الحضارة الفرعونية مع بناء المقابر، وتطورت مع تطورها. وكانت أولى المحاولات التى استعان بها قدماء المصريين على المحافظة على الموتى، هى دفن الميت فى حفرة بسيطة تردم بالتراب والرمال، ولكن هذه الطريقة لم تصن الجسد. فلما قويت عقيدة البعث فى النفوس وازداد تأثيرها فى العقول، أظهروا احتراما أعظم للموتى، فوضعوا فروع الأشجار على هيئة صندوق خشبى داخل القبر، كما دفنوا مع الميت بعض أنواع الطعام التى كانوا يظنون أن الروح تطعم منها، ولكن سريعا ما كان يتآكل الخشب، ويعترى الجثث الانحلال، مما دفع قدماء المصريين إلى ابتكار صنع الطوب اللبن، وشيدوا منه القبور والمصاطب. فلولا رغبة قدماء المصريين فى صيانة جثث الموتى ما عرفوا صناعة الطوب اللبن، أو لتأخرت صناعته بعض الأجيال، ولا شاع بناء مختلف المبانى من منازل وغيرها من هذا الطوب. ولكن الطوب اللبن ليس من المتانة بحيث يقوى للصمود حتى يوم البعث، فاستبدل به الأحجار الجيرية التى استخدمت فى بناء المصاطب. وأحدث بناء المصاطب من الأحجار الجيرية ثورة خطيرة فى فن البناء، ساعدت على ظهور بعض العلوم الرياضية من حساب وهندسة، وضح أثرها فى إقامة الأهرام التى يحتاج تشييدها إلى مهارة معمارية تستعين بالفن الهندسى، وتستند إلى عمليات حسابية دقيقة. وهكذا كان الحافز الدينى لحفظ الموتى من التلف من أهم البواعث التى عملت على تقدم فن المعمار، ووجهت اهتمام المصريين إلى وضع أسس علمى الحساب والهندسة

ولم تقف عناية الفراعنة بالموتى عند حد بناء مقابر متينة تحميها، وإنما امتدت هذه العناية كذلك إلى الجثث نفسها، واجتهدوا فى سبيل الوصول إلى عقاقير تحفظها من الفساد، فاكتشفوا التحنيط معجزة العلم الفرعونى. ولقد أتاحت عمليات التحنيط من نزع المخ وفتح الجنب وإخراج الأحشاء وغسل البطن بعقاقير خاصة ثم خياطة الفتح، فرص دراسة جسد الإنسان، ومعرفة كثير من أجزائه ووظائفها، والإقدام على إجراء كثير من العمليات الجراحية المتنوعة، كما هيأت الظروف لفحص خواص بعض النباتات العلاجية لإعداد العقاقير وتركيب الأدوية التى تدفع عن الإنسان المرض. وعلى هذا النحو حثت عقيدة خلود الروح على اكتشاف فن التحنيط الذى مهد إلى

تقدم الطب وفن الجراحة فى عهد الفراعنة تقدما فاق تقدم جميع الشعوب التى عاشت فى العصور القديمة

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات لم يطمئن قدماء المصريين كل الاطمئنان إلى متانة المقابر ، أو يثقوا كل الثقة فى مهارتهم فى التحنيط ، واعتقدوا أن جثث الموتى ما زالت عرضة للتلف ، فاستعانوا بآلهتهم ، وطلبوا منها العون والمساعدة لتحفظ أجسادهم من البلى الذى يهدد أرواحهم بالفناء ، فكانت تتلى بعض الأدعية التى تدفع عن الميت الأشرار . ولما أخذت هذه الأدعية فى الازدياد والتكاثر بمرور الزمن خاف الكهنة عليها من النسيان ، فدعت الحاجة إلى تدوينها ؛ فاخترعت الكتابة الهيرغليفية وهى كتابة رمزية تستخدم الصور فى التعبير ، وسرعان ما استعان بها المصريون فى حماية الموتى ، فدونت على جدران المقابر والأهرام أدعية وطلاسم ظن أنها تحفظ الموتى ، وتحول المآكل والمشارب المرسومة إلى حقائق ، كما وضع فى توابيت الموتى لفائف من ورق البردى تحوى تعاويذ تحفظ الروح من الأخطار ، وتقيها أشرار القبر

فالرغبة الأكيدة فى بقاء الجسد سليما دعت إلى اختراع الكتابة التى سرعان ما عم استخدامها فى الوثائق العامة والتجارية ، ثم نشأت كتابات أخرى أكثر منها اختزالا ، خرجت من مصر ، وانتشرت فى بقاع العالم المتمدن فى ذلك الوقت . ولما احتاجت الكتابة إلى ورق اخترعت صناعة الورق وتقدمت على أيدى المصريين حتى أصبحت سلعة مربحة وهامة ، تباع فى الأسواق الخارجية . أما الكتابة على جدران المقابر فتتطلب مهارة فى الرسم والنقش والتصوير ، لأن الكتابة الهيرغليفية المقدسة ، تعتمد على صور شتى الحيوانات والنباتات ومختلف الأشياء ، فكان الحافز الدينى دافعا ملهما عمل على تقدم فن الرسم والنقش والتصوير ، وبرع المصريون فيه براعة يسرت رسم الخطوط وعودت المخيلة على تصور الكائنات الحية ، ودربت القدرات على التعبير الصادق لحياة هذه الكائنات وحركاتها ، ومرنتها على الاستعانة بالألوان الزيتية التى تظهر الصور على أنها حقائق حية ، حتى خيل لقدماء المصريين أن يستغنوا عن وضع المآكل والمشارب والحاجات التى ظن أنها تلزم الميت ، واكتفوا برسم صور حية لهذه الحاجات ، اعتقادا بأن قراءة الروح للعبارات السحرية المدونة على الجدران ، تحول هذه الصور إلى حقائق ، فأنتج المصريون الشئ الكثير من روائع الفن

وزيادة فى الحرص وإمعانا فى الاحتياط عمد قدماء المصريين إلى وضع تماثيل كثيرة للموتى فى المقابر ، حتى إذا ما لحق الجثة أى عطب ، حلت الروح فى التمثال فيبعث الإنسان من جديد إلى الحياة الثانية . ولكن التمثال عرضة للكسر ، ولذلك وضعت تماثيل عديدة لنفس الميت ، حتى إذا ما انكسر تمثال حلت الروح فى آخر . وإلى هذا الاعتقاد يرجع الفضل فى وجود ذلك العدد الضخم من التماثيل المصرية القديمة التى بلغ بعضها حد الإتقان الفنى ، مما جعلها تعتبر أجل أمثلة النحت فى العالم ، لأنها تتوخى بساطة وإنسانية عبر عنها فى يسر ورشاقة . وفن النحت يحتاج إلى أحجار ومعادن ، فجد الفراعنة فى سبيل استخراج هذه الأحجار والمعادن من المحاجر والمناجم التى نظم استغلالها ، وأصبحت تشغل كثيرا من الأيدى العاملة ، وتدر على خزانة الدولة مالا وفيرا

لقد كانت عقيدة البعث الباعث الأول على وضع أسس كثير من العلوم والفنون والآداب . ولقد كانت الديانة الفرعونية تقدم الحوافز والأفكار التى هيأت وضع أصول العلوم الرياضية ، ومهدت السبيل لتقدم الطب وفن الجراحة ، وساعدت على رقى فن البناء وفن الرسم والنقش والتصوير ، وفن النحت ، وأدت إلى اختراع الكتابة وظهور الآداب الدينية ، ودفعت إلى اكتشاف صناعة الورق وتنظيم استغلال المحاجر والمناجم . فكان لهذا الباعث الدينى الفضل الأول فى قيام الحضارة الفرعونية ، بل كان السبب الوحيد فى اطراد نموها وتطورها ، وظلت هذه الحضارة محافظة على كيانها آخذة فى الرقى والتقدم ، ما دامت تستوحى عقيدة البعث ، وتستلهم الإيمان بخلود الروح ، ولكنها اضمحلت حين بدأت تخبو العقائد الدينية فى النفوس ، وأصبح لا سلطان لها على القلوب

***

ويؤمن المصريون بدين جمع شمل العرب ، ووحد قبائلهم ، وكون منهم دولة ، حفزها للخروج من شبه الجزيرة العربية فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فاستطاع العرب على قلة عددهم وعددهم من

أن يدكوا أمما عريقة في المدنية ، وأن يهزموا شعوبا ظلت قرونا تسيطر على العالم ، وذلك لأن الدوافع الدينية ملكت قلوبهم ، وغرس الإسلام في نفوسهم روح الاستشهاد ، فبذلوها رخيصة حبا في نصرة دين خاتم الأنبياء ، وبغية الفوز بالجنة يوم نبعث أجمعين

وظلت أفئدة المسلمين تطوف بالقرآن الكريم سابحة في ملكوت آياته البينات ، تحرص عليها حرصها على أعز ما تملك . فلم يتوانوا في تدوين القرآن ، ولم يفرطوا في العناية بلغته ، فكانت اللغة العربية اللغة الرسمية في جميع أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وسارعوا بوضع قواعد النحو العربي بضبط قراءة القرآن وفهم معانيه. ولما انشغل علماء اللغة بإظهار ما في القرآن من إعجاز بلاغي ألفت الكتب في البلاغة العربية ، ولما شغفت العقول بالتعمق فيما أورده القرآن من تعاليم وأفكار وأسرار انكبت على تفسيره ، ولما صادف المفسرون قصصا وأخباراً وردت في القرآن رغبوا في تحديد زمن وقوعها ومعرفة ظروفها وأسبابها ، مما دعا إلى ظهور كتب تتناول هذه القصص والأخبار ، فمهدت لقيام علم التاريخ ، وأخذت موضوعات التاريخ تتسع عندما اهتم المسلمون بتتبع السيرة النبوية وسلوك الخلفاء الراشدين . فكان الحرص على القرآن الكريم من أولى البواعث الدينية التي حضت على خلق جو ثقافي أوجد كثيرا من العلوم مثل النحو والبلاغة والتفسير والتاريخ

ولم يكن الإسلام مجرد عقيدة دينية تلزم من يعتنقها أداء ما تفرضه عليه من عبادات ، بل كان محور الحياة الاجتماعية ، فاستمدت منه التشريعات التي تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وسن المسلمون القوانين التي أسست علم الفقه وأصوله ، وبذلك بعث قرآن الإسلام نهضة فكرية دربت الأذهان على استغلال العلم واستنباط القوانين ، حتى إذا ما أخذت الحركات الناهضة للاسلام تشتد في هجومها ، وتتذرع بالمنطق ، وتطعن تعاليمه بالفلسفة ، وتناقش معجزاته مناقشة عقلية ، قام بالرد على هذه الحملات طائفة من العلماء ساهموا بما أتوا به من حجج لدحض ما ألصق بالإسلام من افتراء بوضع أصول علم الكلام الذي ما وجد إلا ليدافع عن معتقدات الإسلام ، وتسلح في دفاعه بسلاح أعدائه ؛ أي الفلسفة والمنطق ، فانتشرت الدراسات الفلسفية بين المسلمين ونبغ فيهم فلاسفة حملوا شعلة العلم والثقافة إلى أن استلمها منهم الغربيون ..

ولم يقف أثر الإسلام في الحياة الثقافية عند النواحي الأدبية والاجتماعية ، بل تعداه إلى العلوم الرياضية خصوصا الحساب . ذلك العلم الذي يحتاج إليه خبراء التوريث في مهام عملهم ، لأن كل من يشتغل بعلم الفرائض الذي يحدد نسبة ميراث كل فرد حسب الشريعة الإسلامية يجب أن يجيد مختلف عمليات الحساب ، ولذلك وجب على الجميع تعلمه فتوفر المسلمون على دراسته ، فعرفوا الأرقام العربية البسيطة السهلة المتداولة بيننا الآن ، وأخذها الغرب عنهم ، وترك أرقامه الرومانية المعقدة الصعبة ، ففتحت الأرقام العربية آفاقا جديدة لعلم الحساب . ولقد أدى تعلق المسلمين ببحث العمليات الحسابية إلى الاهتداء إلى « الصفر » الذي كان له أهمية كبرى في مستقبل العلوم الرياضية . وكذلك قاد اهتمام المسلمين بالحساب إلى اكتشاف علم الجبر وبذلك مهدوا السبل لتقدم العلوم الرياضية فيما بعد حين بدأت نهضة الغرب الحديثة

إن الإسلام كان على الدوام يعاون العلوم التي تخدمه ، ولم يوجه المسلمون أية عناية جدية لعلم من العلوم إلا إذا كان يدعم أحكام الإسلام . وكذلك لم يعاون الإسلام فنا من الفنون إلا إذا هدف إلى نشر تعاليمه . وما اهتم المسلمون ببعض الفنون إلا لأنها تحقق فرائض دينهم ، وتهيئ السبل لأداء عباداته . وإن لم يكن للعرب قبل الإسلام فن يذكر ، إلا أنه لم يكد يحس المسلمون بحاجتهم إلى أماكن لإقامة فريضة الصلاة حتى بدأ يبزغ الفن الإسلامي في الوجود ، وأخذ يترعرع في رحاب المساجد بيوت الله ، فبعد أن كانت المساجد الأولى مجرد أبنية بسيطة أعدت للصلاة والوعظ ؛ سرعان ما تطور الفن المعماري الإسلامي ، وأصبح من بين المسلمين فنانون مهرة ، أقاموا كثيرا من المساجد والأبنية الدينية كالمدارس والتكايا ذات المصلى ! معبرين فيها عن أفكار هندسية تنم عن بصيرة فنية حاذقة . لقد شيدت معظم المساجد على نظام تقليدي أوحاه الإسلام ، فأصبح كل مسجد يشتمل على منبر ومحراب وصحن وإيوان وقباب ومئذنة ، وكلها تقريبا من إبداع القريحة الإسلامية الفنية

ولما توخى المسلمون في بناء المساجد أن تكون فخمة رائعة مهيبة ، لتدل على ما في الإسلام من عظمة وقوة ، زينت جدران

المساجد بنقوش وزخارف، فبرع المسلمون فى الحفر على الأحجار وفى رسم الزخارف خصوصا الزخارف الهندسية، وفى نقش الآيات القرآنية بخطوط جميلة خلابة تظهر فن الخط العربى

وهكذا أخذت ترتقى شتى العلوم والفنون التى كان لها علاقة وثيقة بالإسلام والقرآن، عندما كانت العقيدة الدينية قوية فى النفوس، بينما خبا نور الإيمان، فضعف الوازع الدينى وهزل الحماس للاسلام، وتدهورت جميع العلوم والفنون التى بعثها واحتضنها حتى بلغت مرتبة ممتازة من الكمال، مما أدى فى النهاية إلى انحطاط الحياة الثقافية، واضطراب أحوال المسلمين، لأن سر قوة المسلمين تكمن دائما فى العمل على قوة الإسلام

* * *

نحن المصريين أحفاد الفراعنة الذين أنبتت عقيدة البعث مشاعرهم الدينية، وأمدت عقولهم بطاقات خارقة لم تتوان فى ابتكار مجد حضارى يجد العلماء لذة فائقة فى التنقيب عنه. ونحن المصريين نؤمن بدين الإسلام باعث حضارة العرب وخالقها، وحملت الشعوب الإسلامية مصر لواء الإسلام وارتضت زعامتها الدينية والثقافية. فنحن المصريين إذاً ورثة الفراعنة وحماة الإسلام، انصهرت فى نفوسنا ديانات روحية تثير الوجدان، وتنشط العقل؛ فلقد حفزت عقيدة الخلود على تأسيس حضارة برعت فى العلوم والفنون، وحض الإسلام على تكوين إمبراطورية فسيحة الأرجاء تدين بتعاليمه، ودعا إلى قيام حضارة جدت فى خلق كثير من العلوم والفنون. فالمشاعر الدينية والعواطف الروحية تلعب على الدوام دورا هاما فى تطور حياتنا الثقافية. ولقد سبق أن أخبرنا التاريخ بأنه ما من فترة ضعف فيها الوازع الدينى فى نفوس قدماء المصريين، وخبا نور الإسلام فى قلوب المسلمين، إلا اضمحل الفكر؛ وتأخرت الحضارة، وتفككت أوصال البلاد، وتدهورت أحوالها، وتعرضت للغزو الأجنبى

ألا يوحى كل ذلك بأننا لا نملك أن نقيم حضارة تخرجنا مما نحن فيه من تخلف فكرى ما لم نفزع إلى دوافعنا الدينيه نستنهض بها هممنا، ونحث عقولنا على الخلق والابتكار، وما لم نسع من أجل إحياء مقوماتنا الروحية إحياء يحرك أذهاننا الخاملة، ويلهم نفوسنا، ويساعدنا على إظهار ما نملك من نبوغ قد يسوقنا إلى اكتساب مهارات ترفع من شأننا فى خضم الحضارة الحديثة، لأن حيوية الجو الدينى الذى يجب أن تعيش فيه عقولنا يدعها تحس بأنها تعيش فى بيئة ترتاح إليها، وتشعر بأنها تسكن فى بيت تألفه ويألفها، فتنساب وتنطلق، لا يعوقها عائق، وتأخذ فى الإبداع دون تعثر. ولكن إذا مات الجو الدينى الذى يجب أن تتربى فيه عقولنا، وخرب البيت الذى تعودت أن تنشأ نفوسنا بين جنباته مات الباعث الذى يوحى إلى عقولنا بما تخلق، وخربت نفوسنا فتفقد انطلاقها وانسيابها، وتظل حبيسة الجمود والركود، فتشل المواهب وتعطل القدرات. وإذا ما طال أمد الركود، فقد يؤدى فى النهاية إلى ضرب من الجدب العقلى، يشعرنا على الدوام بنقص يغرس فينا ميلا للأخذ من الغير. وبدل أن نعتمد على استعداداتنا ومهارتنا نركن إلى طلب عون ممن صقلت استعداداته، وبرعت مهارته، وبدلا من أن نستوحى مقوماتنا النفسية نتكالب على ثقافة من نظن أنهم بلغوا الكمال فى كل ما تناولوه من علوم وفنون، وفى هذا انتحار فكرى ما بعده انتحار، لأن الفكر المستضعف قد يتولاه الخمول، ويقعده الكسل عن أى إنتاج. وقد يعجزه الشعور بالنقص فى آخر الأمر عن النهوض، ويربطه بعجلة ذلك الفكر الغريب عنه بتهافته النهم على مايتساقط من موائده الشهية من فتات لا تغنى ولا نشبع، لأنه ارتضى العبودية الفكرية، ولم يحاول أن يبحث عن الطرق والوسائل التى تحرر روحه من أغلالها، وتحطم القيود التى تحول دون انبثاق مواهبه وشحذ استعداداته

عبد العزيز محمد التركى

من سير الخالدين

حياة المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٤ —

فى التدريس

نال المازنى إجازة التدريس من مدرسة المعلمين العليا (١٩٠٩) وهو إذ ذاك شاب فى التاسعة عشرة لم يطرّ شاربه ، فكان يستعجل مظاهر الرجولة فى نفسه . . « فأحلق وجهى ثلاث مرات فى اليوم لعل ذلك يعجل بإنبات الشعر ، فقد اشتهيت أن يكون لى شارب مفتول وخدان كأنما سقيا عصير البرسيم ! »

وكان من أوائل المتخرجين فعينته الوزارة مدرساً للترجمة بالمدرسة السعيدية ، ومنها نقل إلى المدرسة الخديوية . وكلفته الوزارة فى ذلك الحين تدريس مبادئ اللغة العربية للأساتذة الإنجليز بمدارسها فترجم لهم فصولا من كتاب « كليلة ودمنة » غير معتمد فى ذلك على الترجمة الإنجليزية كما يقول الأستاذ العقاد .

ولم يلبث أن وقعت بينه وبين وكيل المعارف جفوة نقل على أثرها إلى مدرسة دار العلوم . وكان هذا النقل فى ظاهره «ترقية» وإن لم يكن كذلك فى حقيقته ، لأن مهمته فيها كانت تدريس مبادئ الإنجليزية لطلبة دار العلوم . ولم يسترح المازنى إلى هذا التكليف فكان من الأسباب التى حملته على ترك وزارة المعارف بعد ذلك بقليل .

ولا شك أن تلك الجفوة تدلنا على ما كان يعتصم به المازنى من الإباء والضن بالكرامة فى وسط شاع فيه التزلف والرياء . وقد كان المستشار الإنجليزى « دنلوب » فى ذلك الحين رب الوزارة والحاكم بأمره فيها ، فلم يكن كبير أو صغير إلا ويرهب صولته ويتقى غضبه . ولكن المازنى لم ير فيه مايرهب أو يخيف حين دعى يوماً لمقابلته ليسأله المستشار رأيه فى بعض المدرسين الإنجليز . وتفصيل ذلك مارويه عنه :

« اتفق يوماً — فى آخر عهدى بالتعليم فى وزارة المعارف — أن قصدت إلى مدرسة دار العلوم ، وكنت معلماً بها ، فألفيت ناظرها — وهو مصرى — على بابها ، فاستقبلنى بالاحتجاج على تأخرى ، فاستغربت وبينت له أنه لايزال على موعد دروسى نصف ساعة . فصاح « من قال إننا نريد منك اليوم دروساً ؟ إن جناب المستشار يطلبك ! وقد بعثت إليك رسولا فكيف لم تعلم ؟ » فطمأنته وطيبت خاطره وقلت « إنى سأذهب إلى الوزارة بعد الفراغ من دروسى » . فكأنما ألقيت على النار حطباً ، فقد جعل يصيح على الباب وأمام المارة — « ياخبر أسود ! وجناب المستشار ينتظرك حتى تفرغ ! هل تريد أن تخرب بيوتنا ؟ رح إليه حالا ! الآن ! » . فركبنى عفريت الشباب المتمرد ، وكنت أكره هذا الناظر ولا أحترمه فأبيت أن أذهب إلا إذا أعطانى أمراً كتابيا بإعفائى من التدريس فى ذلك اليوم . وقصدت إلى الوزارة فإذا على رأس السلم طائفة من كبار الموظفين المصريين فجعلوا يشيرون إلى كالمجانين ويأمروننى أن أجرى . وكيف بالله كان يستطيع أن يجرى من كسرت ساقه ولم يبرح بيته إلا منذ أسبوع ؟ . . وقابلت المستشار ومعه كبار الإنجليز وسألنى عما أراد فجاوبته ، وانصرفت وأنا أستغرب وأتساءل عن ذلك الغول الذى يرعب كل هؤلاء الرجال أين هو ؟ ولاحظت وأنا منصرف أن رؤوساً أو وجوهاً تطل من الأبواب المواربة ، ولا شك أنه أذهلهم أن يروا مدرساً صغيراً يدعى لمقابلة المستشار »

ولم يكن هذا الشعور من المازنى تكلفاً للعظمة أو تظاهراً بالاستخفاف ، ولكنها طبيعته التى تملك عليه أمره فى كل كبيرة وصغيرة . وكاد يستقيل من الوزارة حين بدا له أنها تنظر إلى المعلم نظرتها إلى طوائف « الموظفين » وأنها لاتقدر رسالته تقديرها الصحيح . ويروى أنه مرض يوماً « . . فطلبت إجازة ، وأبطأ الطبيب وشفيت قبل أن يحضر ، فطالبتنى الوزارة بتقديم شهادة طبية تثبت أنى كنت مريضاً ، فكتبت إليها أنه لم يعالجنى طبيب فعادت تطالبنى بالشهادة الطبية ، فكتبت أنبهها إلى أنها ، فى الواقع ، تكلفنى أن أحمل طبيباً على التزوير . وكثرت المكاتبات العقيمة فسئمت ؛ فكتبت إليها أنى معلم ، وقد كان المسيح عليه السلام يدعى المعلم ، وكان أرسطو يسمى المعلم الأول ، وأنى مؤتمن

على عقول مائتي تلميذ وزيادة ، فيجب على الأقل أن أعد صادقا وإلا فإنني أوثر أن أستقيل من وزارة تنظر إلى المعلم هذه النظرة»

وقد كان المازنى كما ذكرنا مدرس ترجمة . فحدث عند نقله إلى المدرسة الخديوية أن اختارت الوزارة لتدريسه مادة الحساب . وبين المازنى والحساب ، والرياضيات عامة ، عداء قديم ونفور طبيعى لايخفيه ، أوكما يقول هو « لاأكتم القارئ أنى أخيب خلق الله فى الحساب » . . فلابد إذن من تفادى هذه الورطة ! ولكن كيف السبيل ؟

يقول المازنى وهو يروى هذه القصة فى كتابه الساخر « رحلة الحجاز » :

« . . . اعترضت واحتججت ، فما أجدى عنى اعتراضى شيئاً، فقصدت إلى ناظر المدرسة ــ وكان إنجليزيا ــ وقلت له : إن وزارة معارفنا تعتقد أن كل امرئ يصلح لكل شئ ؛ ولكنى أعرف من نفسى أنى لاأصلح لتعليم الرياضة عامة والحساب خاصة ، وأصارحك أنى لاأصدق أن واحداً فى واحد يساوى واحداً ، هذا ، كما يقول شاعر عربى ، كلام له خبئ معناه ليست لنا عقول. وقد تكون أولا تكون لنا عقول ؛ هذه مسألة خلافية ندعها الآن ، ولكن المحقق عندى أن العلوم الرياضية وفى جملتها هذا الحساب لاتدخل فى دائرة عقلى ، فهل لك فى عونى على ما أريده ؟ فضحك وقال : وما تبغى ؟

قلت : تعفينى من التدريس للفرق العليا ؛ وتقنع بأن تكل إلى تلاميذ الفرقة الأولى ، أعنى الحاصلين على الشهادة الابتدائية فى هذا العام ليتسنى لى أن أحفظ الدرس أولا فأولا ، ثم ألقيه عليهم ، فنتعلم معاً ، وفى خلال ذلك تبذل وساطتك لتردنى مدرس ترجمة كما كنت .

فسرته صراحتى ووعدنى خيراً . وشرعت فى العمل ، وكنت أحفظ الدرس جيداً وأراجع زملائى ثم أدخل على التلاميذ وألقنهم ماحفظت ، وقد وفقنى الله فى الهندسة والجبر ، أما الحساب فأعوذ بالله منه ! ! كنت أخطئ فى كل مسألة أطرحها على التلاميذ ، ولم أكن أكتمهم أنى أجهل منهم وأن الذنب للوزارة وليس لى ، وأن الوزارة هى المسئولة عن خلطى وتخبطى ، وأنصف التلاميذ فأقول إنهم قبلوا عذرى واغتفروا لى ضعفى وجفونى بعطفهم ولم يبخلوا على بإيضاح مايشكل على وبهدايتى إلى الصواب حين أضل ، وكنا أحياناً — إذا استعصى عليهم إفهامى طريقة الحل — نقضى بضع دقائق فى ندب سوء حظى وحظهم ، وربما قال الواحد منهم وقد فاضت نفسه بالعطف على والمرثية لى : كيف ترتكب الوزارة مثل هذا الخطأ الشنيع فتعهد إلى تدريس العلم إلى جاهل به ؟

ولم ينقذنى إلا مفتش إنجليزى جاء على عادته ليشرف على سير الدراسة ، فعلمت أنه مع الناظر فى غرفته ، وكانت مجاورة للغرفة التى أنا فيها ، فأوصيت الخادم أو الفراش كما يسمونه — بأن يدعوه إلى ، حين يخرج ، وفتحت الباب على مصراعيه فلما دخل على رحبت به واحتفيت بمقدمه وسرت به إلى مقعدى ومكتبى ؛ وهناك سلمته كراسة التحضير وكراسة الأسماء ، وإصبع الطباشير وممسحة السبورة ، وقلت له : التلاميذ أمامك ، ومعك كراساتى وأدواتى ، فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وخرجت، فجرى ورائى وأدركنى أمام غرفة الناظر وقال : إن هذا جنون . فعد إلى فرقتك . فقلت : جنون ؟ وهل كنت تنتظر أن أظل عاقلا ؟ لقد صارحتكم مائة مرة بأنى حمار ؛ فماذا تريدون ؟ إن لى ذمة ، وذمتى لاتقبل أن أضيع على التلاميذ المساكين سنة من أعمارهم . قال : ولكنى أؤكدت لك أننا لانجد مدرساً للرياضة فيحل محلك . فانتظر حتى نجد واحداً ثم نعيدك إلى الترجمة . فقلت : كلا ! تتولى أنت التدريس حتى تجدوا المدرس ، وأنا مستعد أن أقوم عنك بمهمة التفتيش . فضحك ، وضحك الناظر وكان قد خرج على صوتنا ، ولا أطيل : أقنعانى بالعودة إلى فرقتى على ألا يطول عذابى إلا أياماً معدودات ، وقد كان » .

***

واتفق فى عام ١٩١٥ أن أصدر المازنى كتاباً فى نقد « شعر حافظ » وكان يمثل فى رأيه المذهب القديم . وهو مجموع مقالات كتبها قبل ذلك بعامين ونشر بعضها فى مجلة « عكاظ » ثم جمع متفرقها وطبعها . وظهر الكتاب وكان له دويه . فلم يكن أحد فى ذلك الحين ليجرؤ على نقد حافظ وهو آمن. وكان أحمد حشمت « باشا » وزيراً للمعارف وصديقاً لحافظ ، فساءه النقد ، واضطهد المازنى — وهو مدرس — وأوصى به الرؤساء شرا . وغضب

المازنى لكرامته فاستقال .

ويحدثنا المازنى أنه راجع نفسه وندم يومه على الاستقالة ، وساورته المخاوف وأدركه الجزع من أن تضيق الدنيا به ، وكانت الحرب على أشدها والغلاء ضارب أطنابه . وأرق ليله ، فوجد أمه بجانبه لتقول له « لاعليك يابنى . لقد تعلمت كل ما يمكن أن تتعلمه هنا . فما خير ذلك إذا عجزت عن الانتفاع به فى الحياة ؟ ولماذا لانستطيع أن تعمل إلا فى الحكومة ؟ لقد كنت أنا مستعدة أن أعمل بيدى فى سبيل تربيتك ، فكن أنت مستعدا أن تعمل حتى بيديك إذا احتاج الأمر ؛ وثق أنك لن تخيب فإنى داعية لك راضية عنك . قم فنم وتوكل على الله ! »

ثم كان أن دعاه الشيخ عبد العزيز جاويش للعمل بمدرسته « الإعدادية الثانوية » واختار له مادة التاريخ . ومن زملائه فى هذا المدرسة الأساتذة العقاد والزيات وأحمد زكى .

وقد كان المازنى مدرسا ناجحاً ، وكان مابينه وبين تلاميذه عامراً قائماً على التوقير والتقدير ، إذ كانوا شبانا وكان هو كذلك لايكبرهم إلاقليلا . والتقارب فى السن أدعى إلى التجاوب وحسن الأخذ والتلقى . وكان نمطاً جديداً فى الأساتذة لا عهد للتلاميذ بمثله . ولم يكن اعتماده فى تحضير الدروس وإعدادها على الكتب المقررة أو الموضوعة ، بل كان يعتمد على موهبته الشخصية ومحصوله الخاص . وكان الأثر الذى خلفه فى نفوس تلاميذه قويا موحياً ، فدلتهم طريقته الفريدة فى ذلك الحين على حقيقة مدرسهم وأى أستاذ عظيم هو . وفى الحادثة التالية التى يرويها الأستاذ عبدالرحمن صدق — وهو من تلامذة المازنى فى المدرسة الخديوية لذلك العهد مايقوم دليلا على ماكان للأستاذ الشاب من مكانة فى نفوس تلاميذه لم يكونوا يعرفونها لأساتذة الطراز القديم

يقول الأستاذ صدق : « فى ذات يوم دخل علينا — على غير علم منا — فى درس ترجمة أستاذ غير أستاذنا . ومما زاد فى غرابة أمره أنه كان على نقيضه ، فهو شاب من أهل جيلنا لا يكبرنا إلا قليلا . وهو قصير القامة نحيل غير جسيم . ثم إنه لا تركب أنفه نظارة غليظة العوينات كصاحبنا . وهو لايتهادى فى مشيته إلى المنصة ، بل قد مشى إليها مشية غير متكلفة ، تخطى متزنة لا سريعة ولا متئدة . وها هو ذا يستقبلنا بوجه مخروط ترين على وسامته صفرة نعرفها فى أنفسنا قبيل الامتحان من معاناة الدرس وطول السهر . وها هو ذا يطالع جمعنا من غير تخصيص ولاتحديق ، بناظرين نفاذين وقادين ، فيهما عمق وحزن من غير وحشة وانقباض

وقامت فى الصفوف المتأخرة كمألوف العادة هينمة ولغط ، وهب تلاميذ الصف الأول للتحية واقفين ، ونهض الذين من بعدهم بعض النهوض متثاقلين ، وظل الأخيرون قعودا متجاهلين ولكن الأستاذ لم يفارقه سكونه الترفع الحزين ، وكان فوق منصته العالية كأنما يستوى فى نظرته العابرة ونفسه الكبيرة الشاملة ، أهل الطاعة وأهل المعصية ، ثم أجمل التحية فى غير استكراه ولا زلفى

ودق الأستاذ الشاب فى لطف على المنضدة . وبادرنا دون أن يرفع صوته : أخرجوا كتاب أدبيات اللغة العربية . فاستولت علينا دهشة وتملكنا العجب ، فللترجمة كان الدرس لا للأدب ! وقبل أن ينقضى عجبنا ونفيق من غاشية ذهولنا ، أومأ الأستاذ إلى أحدنا ، وطلب إليه فى غير احتفال أن يفتح الكتاب على أية صفحة وأن يجهر بتلاوتها علينا . ثم توجه إلينا بالدعوة إلى مراجعتها والشروع على الفور فى ترجمتها . ولا تسل عما دخل على نفوسنا من هذا الارتجال . إنها — على طول الفترة — أول مرة يجرى فيها درس الترجمة على خلاف الخطة . وليت الأمر وقف عند هذا القدر . بل بلغت الجرأة بأستاذ الترجمة المحدث أنه لم يأخذ لدرسها أدنى أهبة ، ثم كان من ذهابه إلى غاية المدى أنه لم يكن له شأن حتى فى اختيار القطعة

فى هذه اللحظة ، لو أن متسمعا تسمع لقلوبنا الصغيرة لألفاها جميعا تنبض بلحن واحد : يا للعظمة ! يا للعظمة !

واسترقنا النظر إلى الأستاذ الشاب القصير النحيل ، فإذا هو غيره قبل تلك اللحظة . إنه ملء عيوننا روعة ، وملء صدورنا هيبة !

ولم يحدث خلال السنوات العشر التى أنفقها المازنى فى التدريس ، أن احتاج إلى أن يعاقب تلميذا أو يوبخه أو يقول له كلمة نابية . وكان لقرب عهده بالتلمذة وسابق تجربته وخبرته بشقاوة التلاميذ ، أعرف بما يقابل به الرغبة الطبيعية فى هذه

الشقاوة ، ومما يدل على تلك المقدرة عنده هذه الحادثة التي يرويها

« اتفق يوما أن دخلت الفصل فإذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفا والجو حارا جدا ، فضاعف الحر شعوري بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وأدركت أنها هي المادة التي كنا ونحن تلاميذ نضعها في الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسي إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثي نفسي فإنها تغثي نفوسهم معي أيضا . فحالهم ليس خيرا من حالي ، والإحساس التعب الذي أعانيه ليس قاصرا على ولا أنا منفرد به ، وإنهم لأغبياء إذ أشركوا أنفسهم معي وقد أرادوا أن يفردوني بهذه المحنة . والفوز في هذه الحالة خليق أن يكون لمن هو أقدر على الصبر والاحتمال . فتجاهلت الأمر وصرت أغلق النوافذ واحدة بعد الأخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان . فصبرت وتشددت ودعوت الله في سرى أن يقويني على الاحتمال ، ومضيت في الدرس بنشاط وهمة لأشغل نفسي عما أعاني من كرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت أرى في وجوههم أمارات الجهد الذي يكابدونه من التجلد مثلي فأسر وأغتبط وأزداد نشاطا في الدرس وإغضاء عمن يرفعون أصابعهم ليستأذنوا في الكلام ، فقد كنت أعرف أنهم إنما يريدون أن يستأذنوا في فتح النوافذ عسى أن تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذه الحال نصف ساعة كادت أرواحنا فيها تزهق ورأيت أن الطاقة الإنسانية لا يسعها أكثر من ذلك ، وأن التلاميذ خليقون أن يتمردوا إذا أصررت على عنادي المكتوم واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسألت صاحبها عما يريد ، فقال إنه يريد أن يفتح النافذة لأن الحر شديد . قلت افتحها . وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعا واستأنفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال ما لا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائي ثلاثة أو أربعة من التلاميذ ولحقوا بي . وقال لي واحد منهم إنهم يأسفون لما حصل وأن الأمر كان مقصودا به غيري ، وأنهم يطلبون الصفح ، فسررت ولكني تجاهلت وسألتهم عما يعنون . قالوا : الرائحة الكريهة التي كانت في الفصل . قلت : رائحة .. أي رائحة ؟ إنني مزكوم ولهذا لم أشم شيئا فلا محل لاعتذاركم . ومضيت عنهم »

ويروى الأستاذ العقاد عن تلاميذ المدرسة الإعدادية أنهم كانوا يسمون المازني فيما بينهم باسم (تيمورلنك) ، ويقول الأستاذ الكبير إن سر البراعة في هذه التسمية ، هي أنه كان يدرس التاريخ ، وأنه كسميه صغير الجسم مصاب بإحدى قدميه ، وأنه مسيطر على التلاميذ قلما يحتاج إلى معاقبة أحد منهم لخروجه على نظام الحصة ، لأنه كان مهيبا بينهم قديرا على أخذهم بمهابتهم إياه قبل خوفهم من عقابه ، فجمعوا كل ذلك في اسم تيمورلنك أحسن جمع مستطاع

وفي عام ١٩١٨ تولى المازني أمر مدرسة ثانوية ، فاستغنى في إدارتها عن كثير من الأوامر والنواهي ، وعن دق (الجرس) في مواعيده ، ورفض أن يستعمل في مدرسته (الدفاتر) الوزارية العديدة التي تستعملها المدارس ، كذلك ألغى العقوبات بكافة أنواعها ، فقد كان رأيه أن المدرس الذي يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لمهنة التدريس ، وكانت المدرسة تحت إشراف وزارة المعارف ، فحدث خلاف بينه وبينها بسبب هذه (الإداريات) ؛ هو يراها تافهة لا غناء فيها ولا نفع وراءها ، وتراها الوزارة من اللازم اللازب لحفظ النظام

ولعل هذا الخلاف لم ينته بغير ترك المازني للمدرسة أو إغلاقها في أخريات ذلك العام ، وانتقاله إلى ميدان غير ميدان التعليم

لماذا هجر المازني التدريس ؟

لعل ذلك كان زهدا فيه ورغبة عنه بعد عشر من السنين الولاء هي خلاصة العمر وصفوة الشباب . على أن المحقق أنه رآه أبعد عن طبيعته وأدعى إلى تعطيل مواهبه ، وأنه لا يلتقي بالأدب في ملتقى واحد ، وكان يرى — كما يقول — أن الوقت الذي ينفقه في التعليم كان الأدب أولى به ، أو هو مقتطع من حق الأدب ، وأن التعليم لا يصله بالحياة الصلة اللازمة لفهمها . وكان يرى كذلك أن أدبه في تلك الفترة نظري بحت أو هو الأدب الذي يعتمد على الكتب ولا يستمد من الحياة إلا قليلا ، فخرج في الأغلب دراسات قوامها القراءة دون التجربة

وسبب آخر من أسباب ترك التعليم . فقد أخذت نذر الثورة المصرية (١٩١٩) تتجمع في الأفق ، وتأججت في المصريين

بنديتو كروتشه

١٨٦٦ — ١٩٥٢

للأستاذ جمال مرسى بدر

فى العشرين من نوفبر سنة ١٩٥٢ وفى مدينة نابولى الرابضة على خليجها مضرب المثل فى جمال الطبيعة ، انتقل من الفانية إلى الباقية رجل من بقية الفلاسفة العظام ورواد الفكر الإنسانى وحملة مشعل الحقيقة — ذاك هو بنديتو كروتشه أكبر فيلسوف أنجبته إيطاليا منذ زمن بعيد ، وأحد القلائل المشهود لهم فى عصرنا ببعد الأثر فى توجيه الفكر الحديث

ولد بنديتو كروتشه فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٦ فى بسكا سيرولى بمقاطعة أكويلا ، ثم نزحت عائلته إلى نابولى حيث بدأ « بنديتو » تعلمه فى إحدى مدارس الكاثوليك شأنه شأن أغلب فتيان وطنه

وفى سنة ١٨٨٣ نكب بنديتو كروتشه وهو فى صدر شبابه بأبويه جميعا فى زلزال من تلك الزلازل التى لا تجهلها مدينة نابولى فغادرها إلى روما حيث عاش فى كنف عم له . ودخل الجامعة ليدرس الحقوق ثم تحول عنها إلى الآداب ولكنه على أية حال لم يكمل دراسته الجامعية إذ لم يلبث أن عاد إلى نابولى بعد سنوات ثلاث من إقامته فى روما

وفى نابولى عكف كروتشه سنين طويلة على دراسته الخاصة فى التاريخ والأدب والسياسة والاقتصاد والاجتماع وتفاعلت ثمار هذه الدراسات فى ذلك العقل الممتاز حتى أخرج صاحبه أول أثر فلسفى له فى سنة ١٩٨٣ وهو مجموعة مقالات فى « طبيعة التاريخ » وفى « مذاهب النقد الفنى »

ولقد كان للدراسات الاقتصادية فى تفكير كروتشه شأن كبير وانعكست عقليته الاقتصادية على كثير مما كتب وإن كان موضوعه غير متصل بالاقتصاد ، ولقد بدأ اهتمام كروتشه بالدراسات الاقتصادية فى شبابه الباكر إذ عكف على ما كان يشغل العالم آنئذ (ولا يزال شغله) من مذاهب اقتصادية متضاربة وأخرج فيما بين سنتى ١٨٩٦ — ١٩٠٠ دراسات فى نواح من المذهب الماركسى

أما اهتمامه بالنقد الفنى الذى كتب فيه واحداً من أوائل آثاره فقد تجلى فى نشره منذ سنة ١٩٠٣ مجلته « النقد » la critica التى تولت عرض أبدع أعمال الأدباء الإيطاليين ونقدها نقداً فنيا مذهبيا حقبة طويلة من الزمن بحيث أصبحت مجموعاتها مرجعاً لاغنى عنه لكل من يدرس الأدب الإيطالى الحديث

ولم تتخلف عن أعمال كروتشه وكتاباته نتيجتها الطبيعية فذاع صيته فى الأوساط الأدبية والعلمية . ولم يلبث هذا الشاب الذى غادر جامعة روما قبل أن يتم دراسته أن أصبح قبلة أنظار جامعات إيطاليا التى تسابقت إلى عرض كراسى الأستاذية عليه ! غير أنه رفضها جميعا مفضلا الاستغراق فى دراساته الحرة وبحثه المستقل الذى ينشر على الناس نتائجه فى كتبه وفى رسائله فتقع من أذهانهم ونفوسهم موقع الإكبار حيناً وموقع الإنكار حيناً آخر لغرابة ما كان يدلى به من آراء

روح الوطنية وجمعت كلمتهم على القيام بها وتأريث شعلتها فى وجه الاحتلال . وهى روح خبرها المازنى عن كثب فى هيئة مدرسته من مدرسين وتلاميذ ، وممن كان يلقاهم فى الطريق — بين البيت والمدرسة — من أبناء الشعب وخاصة فى الأحياء الوطنية . فأعدته هذه الروح وتجاوب نداؤها الخفى بين جنبيه ، وعرف أن قد آن له النزول إلى المعمعة وخوض النهار ، وأن الفرصة قد سنحت لتحقيق نيته القديمة على ترك التعليم ، فأغلق المدرسة واتجه صوب الصحافة ليخدم الثورة بقلمه

ولعله إلى جانب ذلك ، قد دار بنفسه خاطر التأسى بالذين سبقوه من زملائه إلى التفرغ لرسالة الأدب مضحين فى سبيلها وظائفهم الحكومية ، وكانت على ذلك العهد غاية مطمح الشبان ؛ وكان المذهب الجديد والتمهيد له مما يحتاجون معه إلى توحيد الخطة وتجنيد الجهود . فلم يكد يحين الوقت للبدء فى إعلانه والدعوة إليه ، حتى شمر المازنى عن ساعديه ، وحمل — كما يقول — فأسه ومعوله ومجرفته ولحق بأصحابه

ينبع محمد محمود حمدان

ولئن تسابقت الجامعات الإيطالية لتظفر بكروتشه أستاذاً بها فإن الجامعات الأجنبية قد تسابقت إلى تكريمه بإسباغ ألقاب الشرف العلمية عليه، وأول ماناله من ذلك لقب دكتور فخرى فى الفلسفة من جامعة فريبورج الألمانية

على أن كروتشه لم يعدم نصيبه من المناصب العامة فى بلده إذ عين فى سنة ١٩١٠ عضواً بمجلس الشيوخ ثم عين وزيراً للمعارف فى وزارة جيوليتى فيما بين سنتى ١٩٢٠، ١٩٢١ . فلما جاء العهد الفاشستى ابتعد كروتشه عن الحياة العامة لعدم توافق آرائه واتجاهات ذلك العهد وما كان يقوم عليه من فلسفة سياسية

ولقد أثمر تفرغ فيلسوفنا للبحث والدرس والتأليف ثماراً طيبة؛ إذ بلغت مجموعة آثاره المطبوعة سنة ١٩٢٦ عشرين مجلداً عدا ما كتبه بعد ذلك التاريخ وهو شئ كثير؛ إذ أنه لم ينقطع عن الدراسة والكتابة إلى أن أدركته الوفاة

وكان لكثير من آراء كروتشه الجريئة وأفكاره المبتكرة صدى بعيد وآثار بعضها حملة من الانتقاد والهجوم صمد لها كروتشه ودخل مع معارضيه فى محاولات طويلة تولاها بجنان قوى ويراع سوى

وقد اعتبر كروتشه عند الكثيرين من أتباع هيجل ووصفت فلسفته بأنها «هيجلية»؛ غير أن أغلب الباحثين اليوم — ومنهم الأستاذ جون ألكسندر سميث أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد — يخطئون هذا الرأى ويعتبرون كروتشه صاحب فلسفة خاصة تأثر فيها بكتابات اثنين من مواطنيه هما دى سانكتيس، وفيكو من كتاب القرن الثامن عشر

وإنه لم يجاوز نطاق مقال واحد الإلمام بجميع نواحى كروتشه والإحاطة بفلسفته التى قسمها إلى أقسام أربعة : فلسفة الجمال، والمنطق، وفلسفة السلوك (الاقتصاد والأخلاق) ، وفلسفة التاريخ [1] وهو يراها فى مجموعها وحدة لا تنفصم، وتشمل كافة مظاهر الوجود الإنسانى

ولكن لا أقل من أن نلم فى هذه العجالة بشئ من آراء كروتشه فى فلسفة الجمال . ولعل اقتصارنا على جانب واحد من جوانب هذه الفلسفة الخصبة (فلسفة كروتشه) أكثر فائدة من مرورنا على عجل بكل جوانبها فى حدود مايقتضيه المقام من إيجاز

بسط كروتشه مذهبه فى فلسفة الجمال فى كتابه الذى ظهر سنة ١٩٠٢ (وطبع بعد ذلك طبعات عديدة وترجم إلى أكثر من لغة أوربية) ثم فى كتابات متفرقة أهمها المجموعة التى نشرت بعنوان « مقالات جديدة فى فلسفة الجمال » (بارى سنة ١٩٢٦)

ليس كروتشه من أنصار فكرة المثل الأفلاطونية، وهو لا يرى الفن كما كان يراه أفلاطون محاولة لتقليد مثال الجمال الذى تحسه النفوس من بعيد مجردا عن موضوعاته وتسعى عن طريق الفن بمختلف صوره إلى الوصول إلى شئ من ذلك المثال، فكروتشه يرى أن الجمال — أو الفن — هو وموضوعاته شئ واحد، فهو من النادين بالوحدة بين الجمال وبين موضوعه أو بين الفن وبين العمل الفنى

يقول كروتشه إن الأفكار القبلية à piori كفكرة الجمال أو الفن ليست موجودة فى ذاتها وإنما هى موجودة فى الموضوعات المتعددة التى تتجلى فيها، والجمال أو الفن ليس مثالا بعيدا عن الإدراك تعجب به النفوس فى ذاته! وإنما هو نفسه الأشياء الجميلة أو الأعمال الفنية التى يخطئها الحصر والتى وجدت وتوجد وستوجد فى هذا العالم المتغير

ومن هذه الوحدة بين الجمال وموضوعاته وبين الفن والأعمال الفنية يخرج كروتشه بتجديد مهمة فلسفة الجمال لا على أنها (كما كان مسلما) تعريف الفن تعريفا يسمح بمعرفة قوانين الجمال الأزلية التى تحكم كل مظاهره، وإنما على أنها محاولة دائمة لتنظيم وتبويب مظاهر الجمال الفنى التى تتعدد وتتسع على مر الزمن، فهى بهذا الوصف علم متجدد نام دائما أبدا

والعمل الفنى عند كروتشه ليس هو الشكل المادى الذى يتجلى فيه ذلك العمل للناس ويبقى فيه على الدهر كالألفاظ فى

---

(١) ضمن كروتشه فلسفته مجلدات أربعة نشرها تحت عنوان مجموعى « فلسفة الروح » le filosfia della spirits وقد ظهرت بالترتيب التالى

فلسفة الجمال Estetica : سنة ١٩٠٢
المنطق logica سنة ١٩٠٥
فلسفة السلوك la filosfia della pratica سنة ١٩٠٨
نظرية التاريخ Teoria della storiografia سنة ١٩١٦

الشعر وكالخطوط والألوان فى التصوير ، وإنما العمل الفنى عنـده هو الحالة النفسية أو الانفعال النفسى لدى الفنان المبـدع ولدى غيره ممن يتذوق ما أبدعه الفنان . وعلى هـذا يقول كروتشه إن الأشياء الجميلة والأعمال الفنية غير موجودة فى ذاتهـا وإنما هى موجودة فى نفوس المبدعين والمتذوقين

وإذ يتنبه كروتشـة إلى ما فى القول بأن الأشياء الجميـلة والأعمال الفنية غير موجودة فى ذاتها من تناقض ظاهرى ؛ يلجأ إلى علم الاقتصاد ليضرب مثلا يقرب المسألة من الأذهان فيقول : إن الاقتصاد لايعرف للشئ فى ذاته قيمة ، وإنما القيمة هى وليدة العرض والطلب وليست وليدة صفات طبيعية فى ذات الأشيـاء . وإذن فالاقتصادى الذى يبحث عن القيمة على هدى الصفات الذاتية للشئ يرتـكب نفس الخطأ الذى يقع فيه من يبحث عن الجمال فى المظاهر المادية التى تبدو فيها الأشياء الجميلة أو الأعمال الفنية

ومن هذه التفرقة بين الأشكال المادية التى تتجلى فيها الأعمال الفنية وبين العمل الفنى فى ذاته يخرج كروتشه بمبدإ وحدة الفن ؛ فهو يرى أن التمييز بين الفنون المختلفة إنما هو تمييز غير جوهرى مرجعه إلى الشكل المادى الذى تبدو فيه آثار مختلف الفنون كالأصوات فى الموسيقى والألفاظ فى الشعر والألوان فى التصوير ، أما فى الجوهر فالفنون المختلفة التى جرى العرف على التمييز بينها تربطها وحدة قوية ، لأن العمـل الفنى لايتوجه إلى الحواس التى ترى أو تسمع ، وإنمـا يتوجه إلى النفس البشرية فى عمومهـا ، وتأثيره فى تلك النفس واحد وإن اختلفت الاشكال المادية التى تبدو فيها آثار الفنون . ومن ثم فإن كروتشه لايقر من يرون لـكل فن من الفنون الجميلة قواعد استاتيقية خاصة به ، ويرى أن فلسفة الجمال ينبغى أن تشمل بذات القواعد الفنون كلها لأنهـا فى حقيقتها فن واحد

هذا وإن عملية الإبداع الفنى قد نالت من اهتمام كروتشه جانباً كبيراً ؛ ولا غرو فهى من أهم المشا كل التى يتناولها الباحثون فى الفن والجمال ، وفى صـدد الـكلام عن الإبداع الفنى يشـير كروتشه إلى التفرقة المعتادة بين الإلهام والتعبير ، ويرى فيها ذات المشـكلة التى تتجلى فى نواح أخرى من الفلسفة كما فى مسـألة الباطن والظاهر ومسألة العقل والمادة ومسألة الروح والجسم ومسألة الإرادة والفعل

ومشكلة الإلهام والتعبير — منظوراً إليها على هذا الوضع — هى عند كروتشه مشكلة لاتقبل الحل ؛ لأن التفرقة المبدئيـة بين باطن وظاهر أو عقل ومادة أو إلهام وتعبير من شأنها أن تحول دون النفاذ من نطاق إحدى الفكرتين إلى نطاق الأخرى ، ذلك أن مانسميه « الروح » — مثلا — لايمـكن أن نتصوره إلا حالا فى جسم ، ومانسميه الإرادة لانعرفه إلا متمثلا فى أفعال — وهكذا ؛ فإن الثنائية لاتؤدى عند فيلسوفنا إلا إلى أحد أمرين : فإما القول بعدم الإدراك ، وإما نفى المعرفة أو اللاأدرية

وإذا كانت المشكلة على هذا الوضع غير قابلة للحل فلا يشك كروتشه فى أن وضعها ذلك الوضع خطأ ينبغى تصحيحه ؛ وتصحيحه هو فى القول بوحدة الإلهام والتعبير . فالإلهام لايمـكن أن نتعرفه إلا إذا ظهر فى صورة تعبيرية ، فهو والتعبير إذن شئ واحد، ولا إلهام إذن من غير تعبير . وهنا يسخر كروتشه ممن يدعى أن لديه أفكاراً لايستطيع أن يعبر عنها ، أو أن فى ذهنه لوحة لايستطيع أن يرسمها ، وينـكر على هذا وذاك وجود مايزعمانه من إلهام

يبنى كروتشه مبدأ وحدة الإلهام والتعبير على نفى الثنائية . وليست المسافة بين نفى الثنائية وبين القول بوحدة الوجود بالمسافة الـكبيرة عند كروتشه ، فهو يرى أن فلسفة الجمال تساهم بمبدإ وحدة الإلهام والتعبير فى بناء المبدإ الأكبر مبدإ وحدة الوجود . وعنده أن إبداع قصيدة من الشعر ينطوى على اللغز الأعظم الذى ينطوى عليه إبداع هذا الـكون الـكبير

وبعد، فهذه لمحات من آراء بنديتو كروتشه فى فلسفة الجمال ، لانزعم لها أنها أحاطت بهـذا الجانب من فلسفته كما ينبغى أن تـكون الإحاطة ، ولـكن إذا تيسر لهذه اللمحات أن تلفت القارئ العربى إلى هذا المفـكر العظيم الذى لم ينل فى بلادنا قسطه العادل من ذيوع الصيت فذلك حسبها وكفى

الإسكندرية — جمال مرسى بدر

٨ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

(تتمة)

ضروب من القرعة المعاصرة

١ — وكانت القرعة إلى عهد قريب تطلق على اختيار الرجال للجندية ، وكانت إدارة التجنيد لجيشنا المصرى تسمى (إدارة القرعة) ، ولا تزال هذه التسمية غالبة لم تمح التسمية القديمة ، وبسؤالى لبعض كبار رجال الجيش أجاب بأن ذلك لا يعدو أن يكون مجازا فى التسمية ، وأنه لم تكن ثمة قرعة بالمعنى الحقيقى ، وإنما هى اختيار بحت وترشيح للصلاحية كان فيما مضى مبنيا على قواعد ساذجة ، ثم أضحى اليوم مقيدا بشروط دقيقة لابد من توافرها فى أفراد الجيش النظامى

٢ — ومن وسائل القرعة أن تقطع أوراق متساوية القدر والنوع واللون ، ثم يعطى كل واحد من المتقارعين واحدة منها فيكتب فيها اسمه ، ثم تطوى كلها على غرار واحد ، فإما أن تجعل مربعة ، وإما أن تلف لفا أسطوانيا ، بحيث لا يبدو من إحداها ما يدل على صاحبها ، ثم تلقى فى وعاء ، وقد يكون ذلك الوعاء قلنسوة أحد المتقارعين ، ثم تجلجل كما تجلجل القداح ، ثم تخرج إحداها ؛ فمن خرجت باسمه فهو الفائز

٣ — ومن وسائل القرعة فى بدء الألعاب الرياضية أن يختار كل واحد من الفريقين أحد وجهى الدرهم : الصورة أو الكتابة ، ثم يلقى الحكم هذا الدرهم فأى الوجهين ظهر حكم لصاحبه أن يكون هو البادئ باللعب

هذه هى أشهر ضروب القرعة المعاصرة فى مصر اليوم ، ولا ريب أن هناك ضروبا أخرى منها يزاولها أقوام آخرون فى شتى بلاد الله ، كل يجرى على مذهبه وطريقته فى ذلك

الاستخارة

ومما يلحق بالاستقسام لطلب الغيب ، أو للتفاؤل واستشارة قوى الغيب للاقدام والإحجام ما أطلق عليه المتأخرون لفظ « الاستخارة »

ولفظ « الاستخارة عربى أصيل . قال ابن الأثير فى النهاية : « والاستخارة : طلب الخيرة فى الشئ ، وهو استفعال منه ، يقال : استخر الله يخر لك » . وفى الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى كل شى » . وفيه أيضا دعاء الاستخارة ، وهو « اللهم خر لى » ، أى اختر لى خير الأمرين ، واجعل لى الخيرة فيه

ولا ريب أن معنى هذه الاستخارة أن يستلهم المستخير الله ليهديه إلى خير النجدين ، ويأخذ بيده إلى أقوم الطريقين . وليس فى هذه الاستخارة لجوء إلى غير الله ، وليس فيها توسل بغيره لمعرفة الخير . ولم يؤثر عن السلف الصالح استخارة بغير معنى دعاء الله عز وجل أن يوفق للخير

ولكن هذه التسمية أطلقت فيما بعد على ضروب من الاستشارة أشهرها :

١ — استخارة المصحف ، بأن يفتح المستخير المصحف ليرى فيه ما يدله على الإقدام أو الإحجام ، أو ليستبشر به أو يبتئس بقراءة أول ما يظهر له منه عند الفتح

ويسجل التاريخ خبرا معزوا إلى الوليد بن عبد الملك — وكان فيما يذكر المؤرخون صاحب فسق وفجور — فيزعمون[1] أنه أخذ المصحف يوما وفتحه ، فأول ما طلع له « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » . فقال : أتوعدنى ؟! ثم علقه ولا زال يضربه بالنشاب حتى خرقه ومزقه ، وهو ينشد :

أتوعد كل جبار عنيد ... فهأنذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقنى الوليد

ومع شك بعض المؤرخين فى هذه الرواية فإنها لا تدل بيقين أنه فتح المصحف ليستخير به أو يستقسم ، فليس فى نصها ما يقطع بذلك أو يرجحه

ولما يجدر ذكره أن « الاستفتاح » فى الآية الكريمة لا يمت بسبب إلى « فتح المصحف » بل المراد بالاستفتاح فى الآية هو طلب النصرة . وفى الحديث : « أنه كان يستفتح بصعاليك

(١) النجوم الزاهرة (١ : ٢٩٨ — ٢٩٩) فى حوادث سنة ١٢٦

المهاجرين » ، أى يستنصر بهم . أو المراد به طلب القضاء ، كما فى قوله تعالى : « فافتح بيني وبينهم فتحا » ، أى احكم حكما

٢ — ومن ضروب الاستخارة استعمال « المسبحة » ، بأن يجرى المستخير يده على حبات المسبحة ثم يقف بأصابع إحدى يديه عند واحدة منها ، ثم يحرك أصابع اليد الأخرى من حيث وقف إلى رأس المسبحة ويقرأ على حباتها بالتوالى (الله . محمد . على . أبو بكر . أبو جهل) فحيث انتهى العد إلى رأس المسبحة كان ما تشير به الاستخارة ، فخير الحظوظ أن ينتهى العد إلى الكلمة الأولى ثم التى تليها إلى (أبى بكر) ، ولكنها إذا وقفت عند أبى جهل كان فى ذلك الشر المستطير والأخذ الوبيل

***

هذا هو الميسر وأشباهه ، وتلك هى الأزلام وأشباهها ، بسطت القول فيهما وأردت بذلك فيما أردت أن أذكر تأصيل « الميسر » وأنه داء صاحب البشرية منذ عهد طويل ، وأن أقول إن الوقت قد حان للقضاء عليه فى هذه العهود الجديدة التى تحاول أن تهزم الشر والفساد ، وأن تنصر الأخلاق الفاضلة والمثل العليا

وأما بعد فإن القول ليس بحاجة إلى أن يعاد ، وأن يقال إن الميسر هو الشر الغالب فيما كنا نرى من تهافت بعض أصحاب السلطان فيما مضى على اغتصاب الأموال واحتجان الحقوق ، والتسلل إلى اقتناص الأبيض والأصفر من ثنايا الرشوة ومكامن الاستغلال الدنىء . فلنقض عليه ولنعلم أننا نبنى بذلك صرحا عاليا سامقا من صروح الاستقامة ، ونهدم بذلك جبارا ماردا من جبارة الفساد والطغيان

« إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا »

منهج البحث

المقال الأول (٢) :

مقدمة — لفظ الميسر ومدلوله — لفظ القمار ومعناه — لفظ الأزلام ومعناه — زمان الميسر

المقال الثانى :

الجزور — الجزار — عدد الأيسار — قداح الميسر — عدد القداح وأسماؤها — قداح الحظ — القداح التى لا حظ لها

المقال الثالث :

الخريطة — الحرضة — الرقيب — مجلس الميسر — الغنم والغرم — قضايا الميسر — ما فى الميسر من الضرر والنفع

المقال الرابع :

هل بقى الميسر فى الإسلام — الاستقسام بالأزلام — الأزلام فى الشعر العربى

المقال الخامس :

لماذا استقسم العرب بالأزلام — أزلام الاستقسام

المقال السادس :

العامل الدينى — تقديس الأزلام — الأزلام فى التاريخ الدينى القديم — التمرد على الأزلام

المقال السابع

الأزلام المدنية — علة تحريم الاستقسام بالأزلام — القرعة — القرعة فى الكتب الدينية القديمة

المقال الثامن :

ضروب من القرعة المعاصرة — الاستخارة

مراجع البحث

الأصنام ، لابن الكلبى ، طبع دار الكتب — الأغانى ، لأبى الفرج ، طبع الساسى — إنجيل لوقا ومتى ومرقس — بلوغ العرب للآلوسى ، الطبعة الثانية — تاريخ الطبرى ، طبع الحسينية — تفسير أبى حيان — تفسير الفخر الرازى — الحيوان للجاحظ ، بتحقيقنا — خزانة الأدب ، للبغدادى ، طبع بولاق — ديوان الحطيئة ، طبع التقدم — ديوان طرفة . طبع قازان — ديوان النابغة . من مجموع خمسة دواوين — سفر يشوع — سفر يونان — السنن الكبرى للبيهقى . حيدر أباد ١٣٤٤ — السيرة . لابن هشام . طبع جوتنجن — صبح الأعشى . للقلقشندى . دار الكتب — صحيح الأخبار . لمحمد بن بليهد . الطبعة الأولى — صحيح البخارى — الطرق الحكمية . لابن القيم . طبع المؤيد ١٣١٧ — فتح البارى . لابن حجر . طبع بولاق — الكشاف للزمخشرى . طبع البهية — لسان العرب . لابن منظور — محاضرات الراغب الأصفهانى . طبع الشرفية — المحبر . لابن حبيب . تحقيق الدكتورة إيلزه — المخصص . لابن سيده . طبع بولاق — مسند أحمد . بتحقيق أحمد شاكر — معجم البلدان . طبع الخانجى — المفضليات . طبع دار المعارف — مقاييس اللغة . بتحقيقنا — الميسر والقداح . لابن قتيبة . طبع السلفية — النجوم الزاهرة . لابن تغرى بردى . دار الكتب — النهاية لابن الأثير . طبع العثمانية

عبد السلام محمد هارون

(٢) نشر بهذه المجلة فى العدد ١٠٠٩

رد على مقال

العدالة الاجتماعية فى الاسلام

للاستاذ محمد رجب البيومى

كنت أقرأ فى مجلة الثقافة الغراء فصولا مختلفة فى قواعد النقد الأدبى ومذاهبه للأستاذ عزالدين إسماعيل ، فألمح أضواء التوفيق فيما أطالع ، وأتصور أن الكاتب سيخطو بالنقد الأدبى خطوة موفقة حين ينتقل من القواعد المذهبية إلى التطبيق ، ولكنى شعرت بمرارة لاذعة حين قرأت ما كتبه بالعدد الأخير من مجلة الثقافة خاصا بنقد كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، فقد قضى على كل أمل كنت أرجوه منه

وكتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام كتاب مرموق فى المكتبة العربية وقد ظهر منذ سنوات ، كما تعددت طبعاته المرة بعد المرة ، فمن يحاول أن ينقده اليوم فلا بد أن يقدم للقارئ مآخذ هامة ظهرت لديه بعد القراءة الطويلة ، والتمحيص الدقيق ، وكنت أنتظر ذلك من الناقد الفاضل ولكن الريح قد أتت بما لا يشتهى الملاح

بدأ الأستاذ نقده الثائر بقوله « ويجدر بى قبل أن أطيف بالقارئ فى أرجاء هذا الكتاب أن أنبهه إلى خدعة كبارة ، وهالة باطلة نسجها الإمحال فى وقت من الأوقات عن شخصية المؤلف ، فأخذ مكانه بين الرعيل الثانى من المفكرين فى مصر الحديثة ، وإن أظهر ما تتسم به مؤلفات الأستاذ سيد قطب هو الضحالة والصحافية ، وصياغة أفكار الآخرين من جديد »

فالناقد الفاضل يعلن صراحة أن كتاب العدالة قد شق طريقه إلى الرواج لظهوره فى وقت ممحل جديب ، توقف فيه التيار الأدبى عن سيره المتواصل ، وهذا قول باطل ، إذ أن السنوات الأخيرة قد قذفت إلى المطبعة عشرات الكتب الإسلامية والأدبية لعشرات من أفاضل المؤلفين ، ولم ينفرد كتاب العدالة بالظهور ، ليقال إنه لقى مالا يستأهله من الرواج والذيوع ، كما يحدد الناقد الفاضل مكانة الأستاذ قطب فيضعه فى الرعيل الثانى من المفكرين فى مصر الحديثة ، وقد كان الأستاذ قطب من الرعيل الثانى فعلا قبل أن يبدأ سيله الزاخر فى السنوات الأخيرة بكتاب العدالة وما تبعه من المؤلفات ، أما الآن فلا ينكر عليه منصف مكانه المنفوس فى الرعيل الأول من الكتاب . وليس هذا بكثير على كاتب مجاهد دفع عن زملائه معرة الجبن والخمول ، فمهد للثورة الأخيرة بقلمه ، واندفع سنوات متلاحقة يحارب الفساد فى الصحف الحرة النزيهة كالدعوة واللواء والرسالة والاشتراكية وروز اليوسف ، حتى ليجوز أن نشبه موقفه من النهضة الأخيرة بموقف فولتير من الثورة الفرنسية . ولكن الأستاذ عزالدين يقسم الأدباء إلى درجات متفاوتة ثم يعز من يشاء ويذل من يشاء دون عدالة وإنصاف

وهذه السرعة الحميدة الخصيبة فى الإنتاج كانت سيئة شنيعة لدى الناقد الغيور ، فجعلته يحكم على إنتاج قطب بالضحالة والصحافية ، ثم يزيد فيزعم أنه يسرق أفكار الآخرين . وإذا أعوزه الدليل على ذلك ، تعدى كتاب العدالة الذى أرهق نفسه فى نقده ، واندفع يقول :

وإن شئت فارجع إلى كتابه « النقد الأدبى أصوله ومناهجه » وهنا تستطيع أن تدرك تماما أن الكاتب أعاد أفكار أبر كرمبى وتشارلتن ، ولانسون التى سبق أن ترجمت إلى العربية فإذا بحثت عن جديد يختص به المؤلف أعياك البحث دون جدوى

والكتابان اللذان خدعنا بهما للمؤلف ، وخيل إلينا أن فيهما من الأصالة ماينفى عنه تلك الصفة ، وهما التصوير الفنى للقرآن ، ومشاهد القيامة فى القرآن ، هذان الكتابان ، بكل أسف ليس فيهما من أصالة الفكرة شئ ؛ فقد تلقف الأستاذ سيد قطب أصل الفكرة من الأستاذ العقاد وراح يضخمها حتى ظفر من هذه الضخامة بقدر يملأ كتابا » ! !

ونحن ننقل هـذا الكلام لنسجل على الناقد غفلته ، فكتاب النقد الأدبى لايعيبه إطلاقا — على فرض التسليم بما ذكره الناقد — أن يفيض بآراء أبر كرمبى وتشارلتن ولانسون ، إذ أن الناقد المعاصر لابد أن يحيط بالثقافة الغربية فى موضوعه ، وإذا ظهر فى النقد الأدبى كتاب يخلو من الإشارة إليها فى صفحاته

فقد سقطت قيمته الأدبية دون نزاع ، والناقد الجرئ يتعمد أن يغفل فى كلامه حقيقة هامة ، فالأستاذ قطب لم ينقل آراء هؤلاء النقاد إلا ليطبق عليها الآثار العربية من شعر ونثر ، وقد فاض كتابه الجليل بالموازنة والتحليل ، وهنا تتجلى ميزة قطب الأصيلة فهو باحث تطبيق يزن الأثر الفنى بميزانه الدقيق ، وليس كمن يحشد لنا القواعد الذهبية فى النقد الغربى من كل مكان ، فإذا أراد تطبيقها على الأدب العربى اضطرب مقياسه، واختلج ميزانه ، وغمره التلجلج والبهر والارتباك ! !

وقد ادعى الأستاذ عز الدين أن كتابى التصوير الفنى فى القرآن ، ومشاهد القيامة مأخوذان من الأستاذ العقاد ، ولماذا ؟ وأين الدليل ؟ لأن العقاد قـــد كتب مقالة تشير إلى فكرتهما الأصيلة ! فتلقف قطب الفكرة ! وملأ بها كتابين كبيرين ! وهـذا يذكرنى بما يقوله بعض النـاس فى معرض الفكاهة والتندر ، من أن أوربا لم تخترع الطائرة ، وليس لها أى فضل فى اكتشافها على الإطلاق ، إذ أن الجوهرى وعباس بن فرناس قدما بالطيران فى يوم من الأيام ، ثم أخذ الغرب الفكرة وادعاها لنفسه دون أن يقوم بمجهود ! ! وهكذا أخذ قطب مقالة الأستاذ العقاد فأفرغ فكرتها الموجزة فى كتابين كبيرين، فيا للسطو الشنيع والجريمة النكراء ! !

ثم ماذا ؟ لقد لجأ الكاتب بعد هذه المقدمة إلى نقد كتاب العـدالة ، فأدهشنى أن يعمـد إلى التشويه دون أن يحـترم عقول القراء ؛ فهـو حين يدلل على ضحالة قطب يزعم أنه استشهد بقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ليبين أن الإسلام لايعادى العلم كغيره من الأديان . وهذا غير صحيح ؛ إذ أن قطبا يعرض بعض الخصائص الحية فى الدين الإسلامى ، فيذكر أنه لايعادى العلم ، ولا يكره العلماء ، وأنه لايعتمد على الخوارق والمعجزات ، ولا يقوم على الغيبيات فى صميمه بل يقوم على المشاهدة والتأمل والنظر فى الكون . ثم يذكر النصوص الدالة على ذلك من القرآن ، ويعقب عليها بقوله : وذلك طبيعى فى دين يربط التقوى بالعلم ، ويجعل العلم سبيلا إلى معرفة الله وخشيته « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فليت شعرى كيف يكون الاستشهاد بالآية بعد ذلك دليلا على أن الإسلام لايعادى العلماء ؟ وأين تكون الضحالة إذن ؟ أهى عند الكاتب المظلوم ، أم لدى الناقد الممتاز ؟

والمثال الثانى الذى استشهد به الناقد فى مضمار الضحالة أعجب وأغرب من سابقه ! فهو يزعم أن المؤلف يعالج المسائل الكبرى فى تاريخ الإسلام ببساطة عجيبة ، « حتى ليردها إلى محض الصدفة ، ولا يكلف نفسه التغلغل فى العوامل الاجتماعية والتيارات النفسية التى تعمل بقوة فى مد الإسلام وجزره » ، يقول الناقد ذلك ، وتنتظر منه أن يدلك على مأخذ هام عرض له فلا تجد غير مايضحك ويدهش ؟ فقد استنفد الأستاذ قطب عشرات الصفحات فى إيضاح حقيقة الإسلام فى عصر الرسول وخلفائه الراشدين ؛ وأسهب فى دراسة دعائمه الراسخة فى الحرية والعدالة والمساواة، ثم عرض إلى الحكم الأموى فأوضح مادار على مسرحه من مآس دامية لاترجع إلى طبيعة الإسلام بل هيأت لها المصادفة التعسة ! أجل لقد فعل الأستاذ قطب ذلك وتدرج مع قارئه فى التاريخ تدرجا منطقيا ، ولـكن كلمة المصادفة هذه لاتعجب الناقد، فيغفل جميع ماتقدمها من تمهيد ، وما أعقبها من استنتاج ليخرج بدعوى عريضة جوفاء لن تجد من يطمئن إليها فى كثير أو قليل !

والمؤلم المدهش أن الأستاذ عز الدين لايفهم هدف الكتاب المنقود ورسالته فهو يحتم على مؤلفه أن يسهب فى شرح البيعة لعلى ، وأن يفيد من التحليل الرائع الذى كتبه العقاد فى عبقرية الإمام ، وإننى لأجدنى مضطرا أن أنبه الناقد إلى أن كتاب العدالة ليس كتاب تاريخ تراجع فيه مسائل البيعة والخلافة ؛ فتذكر فيه مزايا على كرم الله وجهه ومثالب معاوية الخلقية ، ولـكنه يحتاج إلى التاريخ بالقدر الذى يسعف بالحجة وينهض بالدليل ، فـكيف يفرض الناقد على المؤلف أن يندفع إلى استطراد متكلف لايعنيه

ويخيل إلى أن الناقد الألمعى لايعرف شيئا عن الروح الإسلامية التى تغمر العالم الإسلامى الآن ، فقد نسى المسلمون قومياتهم الضيقة وجعلوا الإسلام وطنهم الأول ، وقامت جمعيات الإخوان المسلمين فى شتى عواصم الممالك الاسلامية بمجهودها الناجح فى هذا المضمار . والناقد الطلعة يجهل ذلك قطعا ، فيتساءل عن الشخصية المصرية فى

القرنين الأول والثاني من الهجرة وعن الشخصية المصرية الحديثة ، وعن الشخصية الهندية أيضا (كذا) ! كأن باكستان لم تشرق شمسها على الآفاق ، ثم يتدرع بالنطق التاريخي الموهوم فيسأل عن سر الحملة التي توهمنا بأننا نتكبنا الإسلام في حياتنا ورحنا نقتبس من هؤلاء وهؤلاء ! أي والله ، إنما توهمنا فقط أننا تنكبنا الإسلام ؟ ! وإذا كان الناقد لايعتقد مع الواهمين بأننا تنكبنا الاسلام عدة قرون ، فلماذا يتحدث الآن عنه ؟

وقد أخذ الأستاذ عز الدين يتحدث عن الصحافية التي تتمثل في جميع مؤلفات قطب ، وعن مصادره الثانوية التي لاتصل إلى المراجع الأولى بحال ، وأنت تسأل عن المصادر الثانوية هذه ، فتجدها تتمثل في الكتب الحديثة مهما بلغت في الدقة والتمحيص! كأن كل مؤلف حديث لايجوز أن يرجع إليه ألبتة !! وهذا رأى نسمعه لأول مرة ، ونكتفي بتسجيله دون التعقيب عليه . فإذا سألت الناقد عن مظاهر الصحافية كما يفهمها وجدتها تتمثل فيما سماه بالأساليب الخطابية ، والعبارات الطنانة !! مما لا يصلح في كتاب يستهدف إلى البحث العلمي السليم . وأحب أن ألفت الناقد إلى أن كتاب العدالة — فوق منزلته العلمية — ذو رسالة عملية ، فقد ألفه كاتبه ليحدث انقلابا شعوريا عاصفا . وليطر بالنفوس الذليلة إلى آفاق العزة والكرامة في أوج الاسلام ، وكتاب كهذا يجب أن يخاطب الوجدان والشعور ، ويتغلغل إلى الخواطر والمسارب ، وكان في طوق مؤلفه أن ينحو به المنحى العلمي الهادئ ، ولكنه مصلح ثائر يحطم السدود ، ويقتحم الحواجز . وكتب الثورة جميعها سماوية وبشرية ، غربية وشرقية تخاطب العقل والشعور معا ، ولا يعيبها أن تلمس لها النقائص تلمسا ، فيقال إن المؤلف يثبت الفكرة قبل أن يبحثها ، إذ أن تقديم الفكرة لايحول دون مناقشتها ، ودفع مايقف أمامها من الشبه المضادة ، وإلا فستكون قليلة الجدوى فاقدة التأثير

وقد عمد الناقد المغرض إلى المغالطة والتضليل فيما لاسبيل إلى دحضه فهو يقول « ولعل من صور اضطراب البحث في يد الكاتب أن تجده يقف بك أمام المشكلة في جوهرها ثم إذا به يحيلك على ماسيأتي حتى إذا مضيت قليلا فقد نسيت المشكلة ونسيت ما كان مفروضا أن يأتي لأنك تدخل في شيء آخر جديد

يقف المؤلف في ص ١٩ ليضع هذه المشكلة الجوهرية ؟ هل مازال في الإسلام عناصر صالحة للتطبيق في العصر الحديث ؟ ثم يقول « هذا سؤال في الصميم » ولذلك لن يكون من المستطاع الإجابة الوافية عنه في هذا الموضوع فسنجيب عنه تفصيلا وتطبيقا فيما بعد « حتى إذا بلغت ص « ٢١٦ » وجدت إجابة باهتة »

والحق الذي لايعتري فيه إنسان أن صحيفة ٢١٦ ليست وحدها هي الإجابة المطلوبة ، بل إن الكتاب بجميع صفحاته إجابة مقنعة تدور حول هذا السؤال ؛ بل من أجله قد كتب المؤلف كتابه من ألفه إلى يائه . ولن أعمد إلى تلخيص مواضيع الكتاب فيطول بي الحديث في غير طائل ، ولكني أحيل الناقد إلى الفهرس فقط ! وأعلن أسفي لناقد فاضل يعمد إلى هدم كتاب واضح دون أن يفهم مراميه ! ولم يستطع الأستاذ عز الدين أن يخفي عن القراء ماتفيض به نفسه من التحامل المغرض والثورة على صاحب الكتاب، فهو يقرر فقدان الأصالة لدى المؤلف في كتابه لشيء واحد ؛ هذا الشيء هو أن المؤلف قد نقل عشر صفحات عن أربعة مؤلفات وقد أثبتها متفرقة في مواضع شتى من كتابه ، وأسند كل نص إلى قائله ومكانه ؟ فيكون استشهاده بهذه النصوص المنقولة المسندة ، دليلا قويا على فقدان الأصالة ! مع أن صفحات الكتاب تستشرف إلى الثلثمائة ، وكان في طوق كاتبه أن يرجع إلى المصادر القديمة دون أن يشير إلى من نقل عنهم من المحدثين ، ودون أن يؤاخذ في شيء ، ولكنه تجمل بالإنصاف والتقدير فكان جزاؤه أن يتهم بفقدان الأصالة ، وقلة الابتكار

لقد أسرف الأستاذ عز الدين إسماعيل في تجنيه دون مبرر يدعوه إلى ذلك ، وقد دفعني الإخلاص للحق وحده أن أعقب على حديثه راجيا أن يتعود الإنصاف في آرائه المقبلة

محمد رجب البيومي

الأدب الأردى
والثقـــافة الباكستانيـــة

للأستاذ مسعود الندوى

اطلعت على كلمة للدكتور عمر حليق عن الاتجاهات الحديثة فى الثقافة الأردية ، الصادرة فى العدد ١٠٠٤ من الرسالة الزاهرة ، فاستوقفتنى منها أمور أحببت أن ألفت إليها نظر الكاتب وأصحح بذلك ما وقع فى كلمته من الأخطاء . والذى يظهر من المقال أن حضرة الدكتور لا يعرف اللغة الأردية ، ولم يطلع على روائع الأدب الأردى مباشرة ؛ وله بعض العذر فى ذلك . أما الذين تكرموا بتزويده بالمعلومات الخاطئة ، فليس لهم عذر ؛ اللهم إلا أن يكونوا من طلاب الأدب ، وإنما اضطروا إلى القيام بهذا الواجب بصفتهم الرسمية . ومهما يكن الأمر ، فإن الواجب يحدونى أن أشفع تلك المقالة بكلمة موجزة من عندى ، عسى أن يتقبلها الدكتور الفاضل بقبول حسن

إن أول ما استوقفنى من كلمة الدكتور ، هو الفرق بين الأدب الأردى قبل الاستقلال وبعده ، والدعوى بابتعاده عن تقليد الغرب ، والعدول عن اتباع تيارات الثقافة الغربية بعد الحصول على باكستان . ولكن من دواعى الأسف أن الأمر ليس كذلك ؛ بل الحق أن الأدب الأردى الحديث أخذ فى الانحطاط بعد الاستقلال ، وشرع الكتاب الجدد فى تقليد الأدب الغربى واتباع معالمه من غير أن يبتكروا شيئا . وأكبر شاهد على ذلك ذيوع المجلات الخليعة الداعرة فى السنين الخمس الفارطة وكثرة انتشارها وقلة المجلات الراقية المحتشمة . والمجلات الأدبية أيضا يستولى على معظمها الشيوعيون الذين يسمون أنفسهم « تقدميين » (Progressive) ، والذين جل همهم أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا . وقد رفع أمر بعض أئمة الكفر والضلال منهم — أمثال سعادت حسين منسوط والكاتبة عصمت بغتائى — إلى المحكمة وعوقبوا بغرامات زهيدة ما زادتهم إلا شرا وتماديا فى الغى . وهناك قسم ثالث — وهم لا يكادون يتجاوزون عدد الأنامل — يريدون أن يخدموا الأدب للأدب وحده ، ولا ينحازون إلى دعاة الفحشاء والخلاعة . وعلى رأسهم الأستاذ بشير أحمد صاحب مجلة (همايون) الشهرية ، الذى كان وزيراً مفوضاً لباكستان فى تركية منذ عهد قريب

ولا يحسبن القارئ أن دعاة الإسلام والمستمسكين بالفضيلة والأخلاق ساكتون أمام هذه الدعوات الخليعة التى تروجها المجلات الداعرة وتساعد عليها محطات الإذاعة بأغانيها المستهترة المبتذلة ؛ لا يحسبن أحد كذلك ، فإن المستمسكين بالفضيلة المتزين بالآداب الإسلامية واقفون لهم بالمرصاد ، مقاومون لهم بالحجة ، مقارعون النبع بالنبع . فقد ظهرت فى السنين الخمس الماضية طبقة من الأدباء الإسلاميين والشعراء الداعين إلى رصانة الأخلاق والمحافظة على الآداب الإسلامية والشرقية ، ينشرون أفكارهم ونتاج قرائحهم فى مجلات وصحف لهم خاصة ، ولها انتشار فى البلاد لا بأس به ، ربما يفوق مجلات الشيوعيين من انتشار ورواج . والذين على رأس هذه الحركة ، هم الشاعر المبدع ماهر القادرى ، الذى يعد أكبر شاعر فى باكستان بلا نزاع ؛ والأديب نعيم الصديقى الذى ملك مشاعر الشباب بمحاضراته ومقالاته وقصائده الرنانة السائرة وغيرها . والشاعر ماهر ، على ذلك ، يعد حجة فى اللغة الأردية ، وهو يحرر مجلة (فاران) الشهرية التى تصدر فى العاصمة . أما الأديب نعيم الصديقى ، فهو أيضا يشرف على تحرير مجلة شهرية راقيـة (جراغ راه — سراج الطريق) ، تصدر فى العاصمة نفسها . — هذا وجملة القول أن النزاع شديد عندنا اليوم بين الأدب الشيوعى والأدب الإسلامى ، ولكل منهما مجلات وصحف وندوات وحفلات وأشياع

هذه واحدة . والثانية أن الدكتور ذكر اللغة البنجابية المحلية وما لها من تأثير فى « تطعيم » الأدب الأردى . والحال أن « البنجابية » لهجة محلية ، لم يكن لها من صبغة أدبية تذكر . وأهل (بنجاب) هم الذين يحملون اليوم لواء الأدب الأردى ويدافعون عن حوزته ؛ حينما تنكرت للغة الأردية الأرض

-- النهد — التى نبتت فيها وازدهرت وأتت من كل زوج بهيج ، ولا يكاد يقبل عليها ويتلقاها بالقبول سكان (بنغال) الذين يعتزون بلغتهم البنغاليه المحلية المنحصرة فى حدود مقاطعة بنغال ؛ بل يريدون أن تكون لغة رسمية كالأردية . وغير خاف على اللبيب الفطن ما فى هذا الاقتراح من بذر الشقاق والتفرق

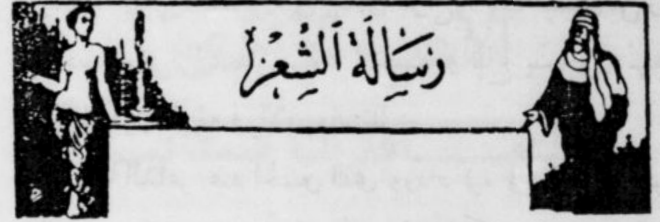
نعم ، فى سكان مقاطعة الحدود الشمالية الغربية عصبية شديدة للغتهم المحلية (بشتو) ؛ ولكنها لغة محلية فى طورها البدائى . ولولا تعصب أفغانستان لها واتخاذها منها لغة قومية بدل الفارسية لما كان لها شأن يذكر . ونحن واثقون من أن أولى الرأى والفكر من إخواننا سكان الحدود ، لايزالون باذلين الجهد المستطاع فى تعميم اللغة الأردية ونشرها فى مدنهم وقراهم ، حتى تعم اللغة الأردية سائر مدنهم وقراهم ويرفرف عليها لواؤها

وقد ذكر الدكتور حليق الكاتب (السيد محمد إكرام) بجانب « أساتذة النقد وجهابذة الحل والعقد » كالأستاذ المحقق السيد سليمان الندوى والدكتور عبد الحق — الذى يلقب بـ « بابا أردو » — والحال أن محمد إكرام لم يكن من شأنه أن يبدأ ويعاد فى ذكره فى مثل هذا المقام . وجل مزيته التى يتمتع بها أنه يتبوأ منصباً عالياً فى الحكومة المركزية ، وله مصنفات يمكن أن تعد فى الطبقة الثانية من المصنفات الأردية . أقول يمكن أن تعد ، فإنى قد قرأتها وأعرف قيمتها عن خبرة وعلم . ومعظم النقاد لايقيمون لمؤلفاته وزناً . أما إنشاؤه بالأردية فما لاشك فيه أنه ركيك بارد ، لايجعله حتى فى عداد الطبقة الثالثة من كتاب الأردية . ثم خلط الكاتب « الاتجاهات فى الأدب البنغالى » بالاتجاهات فى الأدب الأردى . فالأدب البنغالى ، متشبع فى جملته بالروح الوثنى ، كما كان للهنادك الوثنيين من سلطة أدبية ونفوذ ثقافى منذ قرن كامل . نعم ! قد كان للشاعر الثائر القاضى نذر الإسلام — الذى سماه الدكتور نصر الإسلام — يد عظيمة فى تحرير الأدب البنغالى من أسار الصبغة الوثنية وتطعيمه بالأدب الفارسى والأردى ، وكذلك للأستاذ الكبير محمد إكرم خان ، يد بالغة وجهود مشكورة فى إطلاق سراح الأدب البنغالى من رق الأدب الوثنى الهندكى . وله تلاميذ وأتباع ينتهجون نهجه ويسلكون طريقه فى الأدب البنغالى .

أما الشاعر عبد الحسين الذى ورد ذكره فى مقال الدكتور الفاضل ، فلم نسمع به أصلا ، اللهم إلا أن يكون من شعراء اللغة البنغالية الذين لم تلمع أسماؤهم فى هذه الناحية من القطر

هذه كلمة موجزة أردت أن أشفع بها مقالة الدكتور عمر حليق قياما بالواجب وتعاونا على تبيين الحق والصواب . وللدكتور الفاضل تقديرى وتحياتى

مسعود الندوي



ضموا الـكتائب وارفعوا الأعلاما

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

ضموا الـكتائب ، وارفعوا الأعلاما ... وامضوا إلى مجد الحياة كراما
اليوم فاض النور من قلب الدجى ... فجرا تـلألأ زاهيا بسـاما
كان البشير بأن مصر تحررت ... من قيدها ، وتوثبت إقداما
لما دعا الداعى « نجيب » بلاده ... لبى الدعاء ، وأيقـظ النواما
ومضى يقود الجيش فى طلب العلا ... قدما ، فـكان مظفرا مقداما
هـدم الضلال قوائما ودعائمـا ... بئس الضلال قوائما ودعامـا
وأتى إلى الظلم الركين ، فهزه ... هزا ، فصار على يديه حطاما
الله أكبر ! قد شهدت حقيقة ... غراء كنت أظنها أوهاما :
رأس الطغاة المفسدين وعونهم ... كانت نهاية أمره استسلاما !
الملك لله الذى يهب العـلا ... لمن استحق العز والإكراما
ومن ابتغى ذل الشعوب وظلمها ... فقد استحق الذل حيث أقاما

* * *

يامصر : هذا يوم سعدك ، فاسعدى ... فى ظـله ، واستقبلى الأياما
يا مصر : هذا يوم مجدك ، فاصعدى ... فى المجد ، واتخذى ذراه مقاما
يا مصر : هذا يوم نصرك ، فافرحى ... بالنصر يقبل نعمـة وسـلاما
واستقبلى العهد الجديد بهمة ... لا تعرف التعويق والإحجاما
فلقد مضى العهد البغيض بظلمه ... وظلامه ، وإلى الجحيم ترامى
وغدا تـكون حياتنا أنشودة ... أنغامها ... أنعم بها أنغاما !
وغدا يكون الخير ملء سهولنا ... ويفيـض حتى يغمر الآكاما
وغدا سيشبع من يبيت على الطوى ... وسيكتسى من يلبس الإعداما
ويصح من كان الشقاء لجسمه ... سقما ، وكان لنفسه أسقاما
ويعز بالعهد الجديد معاشر ... هانوا ، فكانوا فى الورى أيتاما
وينام مقرور الجفون معذب ... ظل السهاد حليفه أعواما
وغدا ينال الشعب كل حقوقه ... فيعيش متسع الرجاء هماما
فى ظل دستور البلاد وعونها ... فى الرأى ، إن جرت الأمور جساما

* * *

إيه نجيب ! وأنت ملء قلوبنا ... حبا ، وملء نفوسنا إعظاما
هـذى تحية شاعر متحرر ... لم يمتـدح فى شعره الأصناما
أكرمت شعرى أن يكون مطية ... للظالمين ، وإن غدوا حـكاما
وجعلت نفسى فوق أهواء الألى ... ملأوا البلاد مظالما وظلاما
حكموا بغير الشرع فى البلد الذى ... جعل المشرع دينه الإسلاما !
هل كان هذا الحـكم إلا موئلا ... للمجرمين ؟ ألم يكن إجراما ؟
كم شاعر شهد الحقائق جهرة ... ثم التوى عن وجهها وتعامى !
حسبى إذا مارست شعرا صادقا ... أن أبتغى من مثلك الإلهاما
أنا إن مدحتك لا أزيدك رفعة ... إنى بمدحك فى الورى أتسامى
وإذا وصفتك جل وصفك عن مدى ... قلمى ، فوصفك يعجز الأقلاما
يكفيك صنعك رفعة ونباهة ... كالشمس يكفى ضوءها إعلاما
متواضع . تجد التواضع حلية ... جم الحياء ، ترى الحياء وساما
متحصـن بالله تحسـن آيه ... فهما ، وتتقن دينه أحكاما
أخلاقك النور المصفى رقة ... لـكن عزائمك اللهيب ضراما
وإذا نطقت ففى لسانك عفة ... لا تعرف الإيذاء والإيلاما
وإذا أتيت الأمر كنت وراءه ... عزما ، وكنت أمامه إقداما
وأراك فى ليل الحوادث كوكبا ... وأراك فى غمراتها ضرغاما
ولقد تـكون الغصن أخضر يانعا ... ولقد تـكون الصارم الصمصاما

* * *

يا قائد الجيش المظفر كن له ... فى كل أمر قدوة وإماما
هو عز مصر ومجدها وملاذها ... فى الروع ، إن رام العدو مراما
فأعد له أيامه ، وانهض به ... حتى تخر له الحصون ركاما
واسلم لمصر ، وإنها أم العلا ... والمجد ... مذ كان الزمان غلاما

إبراهيم محمد نجا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مؤتمر للأدب

يزور القاهرة هذا الأسبوع الكاتب السورى الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة « الحديث » التى تصدر فى حلب

كما حضر من بين أعضاء الوفد المرافق للزعيم السورى الكبير العقيد « أديب الشيشكلى » الكاتب المعروف الأستاذ « قدرى قلعجى »

وقد كان من الأمانى الغالية ألا تحول المشاغل المختلفة لضيفى مصر دون التقائهما بأدباء مصر . فإن فى مثل هذا اللقاء كسبا كبيرا للأدب العربى

وإنى لأتساءل لماذا لا يكون للأدباء « لجنة أدبية » شعبية على غرار اللجنة السياسية فى الجامعة العربية

ولماذا لا يعقد مؤتمر أدبى عام من أدباء الشرق ، مرة كل عام فى القاهرة أو بغداد أو دمشق يستمر أسبوعا أو أسبوعين ويضم أدباء العرب فى هذه البلاد ، ليتفاهموا على كثير من المسائل والمشاكل التى تهم الأدباء ، بخاصة فى هذا الوقت الذى تعقدت فيه الحياة الأدبية واحتاجت إلى دراسة وبحث

فالأدب يقاسى فى هذه الأيام الكثير من المتاعب والعقبات فى سبيل أداء رسالته ، بعد أن شغل الناس عنه بالصحافة وما تقدمه الصحافة من زاد قليل قد يكون فى بعض الأحيان رخيصا وقد يكون تافها

ولا شك أن مشكلة التقاء الصحافة بالأدب فى هذا العصر من أعقد المشاكل التى يجب أن يواجهها الأدباء

وفى مصر مجلة الرسالة والثقافة والكتاب ، وفى سوريا مجلة الحديث وفى لبنان مجلة الأديب وفى الأردن مجلة القلم الجديد ، وكل هذه مجلات تقوم على الأدب الخالص وترفع مستواها عن الأساليب الصحفية والألوان السريعة أو الرخيصة ، وهى ولا شك تقاسى من جراء ذلك الكثير من المتاعب ، ولا تستطيع أن تنهض وحدها بالعبء على الوجه الذى يرضى الأدب ويرضى القائمين عليها

ولا شك أن الدولة مسئولة عن الأدب كمسئوليتها عن التعليم والثقافة أو كجزء من التعليم والثقافة ، ولذلك فإن لهذه المجلات الأدبية وهؤلاء الأدباء الحق فى حياة كريمة ، ولن يتاح لهم ذلك إلا إذا قامت الدولة برعاية الأدب ، وإنشاء رابطة جديدة بين الكاتب والناشر من ناحية ، وبين الأديب وفنه من ناحية أخرى . . تكون بعيدة عن كل عوامل الاستغلال

فالأديب يجب أن يخلص للأدب ويتجرد له ، ولذلك فهو يجب أن يطمئن على معيشته وحياته أولا . فإذا توافر له هذا استطاع أن ينتج وأن يصل إلى حد بعيد فى الإجادة وبذلك يكسب الأدب كثيرا

والأديب مضطر إذا هو التجأ إلى الصحافة أو إلى التدريس أو إلى الوظيفة ليعيش منها ، ثم يخلص بعض وقته للأدب …

نحن لا نطالب برعاية الدولة على الأساليب المعروفة بأن تشرف الدولة على الأدب أو تفرض سلطانها عليه أو تجعله مصلحة من مصالحها أو مرفقا من مرافقها .. وإنما نحب أن تبذل له المال حتى ينمو وحتى يقوى

إن البلاد العربية الآن تواجه نهضة قوية فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة .. وبقى أن تواجه مثل هذه النهضة فى ميدان الفكر والأدب والفن الرفيع

.. إن الذين يعملون فى ميدان السينما أو المسرح أو غيرهما من ألوان التسلية يعيشون فى مستوى مادى رفيع ، على عكس الذين يعملون فى ميدان الأدب والفكر

ويكفى أن تبقى هذه الكلمة القاسية « إن الأدب ليس موردا للرزق فى مصر ولا يمكن الاعتماد عليه وحده » لتصور

الحكمة البائدة « أدركته حرفة الأدب » ...

وبينما الصحافة تقفز قفزات واسـعة ، ويصل أصحابها والقائمون عليها والمشتغلون بهـا إلى كل مكان مرموق .. يظل الأدباء فى المؤخرة . ويعيشون على فتات موائد الصحافة أو موائد المسرح والسينما

أسوق هـذا بمناسبة زيارة الأديبين السوريين إلى مصر ، وأطالب الأدباء بعقد دورة سنوية لمؤتمر أدبى وفكرى عام لبحث هذه المسائل ودراستها أشبه بمؤتمر البندقية

مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ومن الأمثلة القاسـية على ضعف الروح الأدبية « مجلة » مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد حصلت على العدد الأخـير من هذه المجلة ، وهو الصـادر فى ١٩٥١ فوجدته يحوى الموضوعات والخطب والـكلمات التى ألقيت فى المجمع عن سنة ١٩٤٦ ومعنى هذا أن دراسـات وموضوعات متعددة عن أكثر من خمس سنوات لا تزال بعيدة عن النور ، ولن يستفيد منها أحد إلا بعد سنوات وسنوات إذا ظلت الحال على هذا المنوال . وقد علمت أن السبب الذى يعوق هذه المجلة عن الصدور هو عجز مطبعة بولاق عن طبعها وطبع أعمال المجمع على الجملة لانشغالها بطبع الـكتب المدرسية والأوراق الرسمية ومحاضر البرلمان . فعسى أن تعمل وزارة المعارف على أن يكون للمجمع اللغوى مطبعة خاصة تطبع معاجمه ومحاضره ومجلته

الموسوعة العربية

من أنباء هذا الأسبوع أن اللجنة الثقافية للجامعة العربية المكونة من الأساتذة شفيق غربال وأحمد أمين وبديع شريف وخير الدين الزركلى قد اجتمعت وقررت وضع موسوعة عربية تتضمن اسماء العلماء العرب فى الآداب والعلوم والاجتماع والرياضة

ونحن فى الواقع فى أشد الحاجة إلى « الموسوعات » فى هذا العهد الذى يسرت فيه الدول الغربية وسائل التثقيف والمراجعة ، فأعدت أنواعا مختلفة من الموسوعات ، بحيث لا يحتاج الباحث أو الـكاتب أو القارئ إلى طويل وقت ليتمكن من الـكشف عن لفظ أو بلد أو معرفة علم من الأعلام

وقصة الموسوعة العربية فى مصر قديمة جدا ، وقد كان أول من أعدها فى العصر الجديد الأستاذ فريد وجدى وقد مضى على ذلك ربع قرن ... أصبحت « دائرة معـارف القرن العشرين » بعدها غير صالحة لعصرنا الذى تتغير المعلومات والآراء والأبحاث العلمية والأدبية فيه وتتحول من عام إلى عام !

.. أما دائرة المعارف الإسلامية فقد حال ضعف الموارد المادية دون إتمامها مع الأسف الشديد

وتمكن الأستاذ « أحمد عطية الله » بجهده الفردى أن يخرج دائرة المعارف الحديثة لتـكون فى متناول القـارئ السريع ، أو الباحث المتعجل . وقـد علمت أنه يعد موسوعة أخرى من نفس النوع تمـكن لمن يريد الإلمام بموضوع ما أن يحصل على رغبته على نطاق واسع

وإذا كان من الواجب أن تشجع الدولة هذه الجهود الفردية وتوليها عنايتها ، فإن الجيل الجديد يطلب مراجع أوفى وأكثر عناية وتنوعا

وقد حدثنى الأستاذ عطية الله أنه يعد موسوعة تاريخية عن عظماء مصر من « مينا » إلى اليوم ، وأنه قد اشتغل بإعدادها منذ أكثر من عشرين عاما ولم يتمها بعد

وإلى جوار هذا نحن فى حاجة إلى موسوعات أخرى عن أعلام العالم .. وفى حاجة إلى موسوعات عن البلاد والمدن والمواقع الحربية والانقلابات والثورات والأحداث

وإننا وإن كنا نشك فى أن الجهود الرسمية تستطيع أن تحقق ما نرجو ، فاننا نرجو أن يتاح لجهود اللجنة الثقافية بالجامعـة العربية النجاح المأمول

بين الأدب والسينما

كان الدكتور محمد حسين هيكل من بين الـكتاب المجددين فى خلال النهضة الأدبية الأولى التى أنشأتها مجلة السياسة ١٩٢٣ بالاشتراك مع طه حسين والمازنى وغيرها

ولا ينكر المؤرخ أنه وضع أول قصة مطولة فى الأدب العربى الحديث وهى قصة «زينب» التى عدها المستشرقون محاولة طيبة وبداية موفقة لهذا الفن الجديد فى مصر

ثم تعددت الألوان القصصية واتسع نطاقها وكتب المازنى « إبراهيم الكاتب » و « إبراهيم الثانى » وترجم الزيات « رفائيل » « وآلام فرتر »

ثم ظهر اللون الإسلامى فى « على هامش السيرة » لطه حسين والحوار فى « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم

وبين الفترة التى كتبت فيها زينب ١٩١٧ و ١٩٥٢ مراحل تطورت فيها القصة من لون إلى لون . ونشأت القصة المسرحية والسينمائية وغيرها

وتطور الدكتور هيكل نفسه فانتقل من النقد الأدبى إلى «التأريخ» فكتب حياة محمد والصديق والفاروق وفى منزل الوحى وغيرها .. ثم انتقل مرة أخرى إلى الحياة السياسية الخالصة

وظل الأمر كذلك حتى فوجئ الناس بقصة « زينب » تعرض على الستار الفضى هذه الأيام

وظن الكثيرون وكنت منهم ، أن الدكتور هيكل قد تناول قصته عندما طلبت للسينما فأعدها إعدادا جديدا ، وواءم بينها وبين تطور الأدب والفن والقصة والزمن ، وجعلها قريبة إلى متناول الناس ، وكان هذا ولا شك معقولا ، فإن الدكتور هيكل يجب أن يضن بمكانته الأدبية على أن تكون موضع النقد الشديد حين يقدم قصة ، كتبت سنة ١٩١٧ للسينما سنة ١٩٥٢ . وهى خالية من الحبكة ومن العقدة ومن كل فنون القصة الحديثة

ونحن نعلم أن قصة زينب كتبت للقراءة ، لا للتمثيل ولا للسينما ، ولذلك فقد كان إقحامها على هذا الوجه ، ودون أن يحاول الدكتور أن يجعلها فى مستوى الفن الذى يعيش فيه الناس الآن.. كان موضع الهمس فى الدوائر الأدبية المختلفة

ولم يكن يضير الدكتور هيكل شيئا أن يكون الأديب والناقد والمؤرخ.. وألا يكون الكاتب السينمائى على الإطلاق !

تحرير خبر

تلقيت نصح الأديب محمود بخيت بكل تقدير وأرجو أن أكون عند حسن ظنه فأدخل الكثير من التجديد على باب الأدب والفن ابتداء من أول يناير فى نهضة الرسالة الجديدة بإذن الله

أما بالنسبة لما ذكره الأديب ، فإنى قد تناولت أسبوع (الرسول) بصفة عامة سواء ما كان منه فى ندوة الشبان المسلمين أو الصحف أو الإذاعة ، ولم أقصر اشتراك مخيمر وشعلان والعادين على الندوة وحدها ، فقد اشتركا فى الذكرى سواء بنشر قصائدهم فى الصحف أو إلقائها فى الإذاعة

وكذلك فيما يتعلق بالقصائد التى لقيت الاستحسان فقد كنت أقصد أن قصائد مخيمر والمنشاوى والتهامى فى مجموع ما أذيع وألقى فى المناسبة على وجه العموم

أنور الجندى



الأدب المصرى القديم

اطلعت فى البريد الأدبى بعدد الرسالة الأخير على مسألة ضياع الأدب المصرى القديم التى أثارها الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم الجيوشى متسائلا عن ذلك الضياع مع بقاء آداب أمم قديمة أخرى — كالإغريق والرومان — خالدة على الدهر

ولئن لم أكن من « المختصين » الذين عناهم حضرة الكاتب بسؤاله فإن هذا السؤال قد أثار فى ذهنى فكرة اعتنقتها عن اقتناع من زمن بعيد نتيجة التدبر فى أمر الدعوة الفرعونية التى نادى بها البعض .. ولعل فى هذه الفكرة تفسيراً لتلك الظاهرة الجديرة بالالتفات

ذلك أن شعب مصر فى حاضره وفى ماضيه غير المغرق فى البعد قد أصبح مبتوت الصلة بالقدماء المصريين ، إذ لم ينتقل إليه من حضارتهم شئ لا فى دين ولا فى لغة ولا فى ثقافة بحيث يصح تشبيهه — مع الفارق — بساكن جديد حل بيتاً هجره ساكنه القديم !

فشعب مصر العربى — سواء منه ماقدمها فى الهجرات العربية المتعددة، وماصهرته البوتقة العربية فأصبح عربيا — لاتربطه بالقدماء المصريين رابطة حضارية ذات بال .

وهذا بخلاف الحال عند الإغريق والرومان ، إذ أن الحضارة الغربية الحديثة ليست إلا امتداداً لحضارة الإغريق والرومان التى هى الأصل الأهم للحضارة الحديثة .

لهذا لم يكن عجيبا أن يحيا هوميروس وأن يحيا فرجيل عبر الأزمنة .. لأن الشعوب التى ظل الأدب اليونانى والأدب الرومانى حيين بينها هى وارثة حضارة اليونان والرومان.. فهذان الأدبان هما ثمرتان لحضارة تلقتها تلك الشعوب وعاشت فيها وبها — مع التطور والتقدم اللذين لابد منهما لأنهما سنة السكون .

ولهذا السبب عينه لم يكن من العجيب أن يضيع الأدب المصرى القديم لأن الأدب صورة منعكسة عن الحضارة، ومادامت حضارة الفراعنة لم تجد لها امتداداً عند الشعوب اللاحقة لها فلا عجب أن يضيع أدبهم ولا يبقى منه على الزمن شئ إلا فى المتاحف ودور الآثار

هذا ماعن لى إبداؤه فى هذا الموضوع وعسى أن يكون فيه بعض التفسير لما تساءل عنه حضرة الكاتب الفاضل

جمال مرسى بدر

مع دولة الألقاب

لقد ضحك الناس كثيراً حين علموا أن أحد الباشوات السابقين قد نهر رجال الجيش الذين ذهبوا لاعتقاله فى منزله بشارع الهرم قائلا لهم : إننى باشا ولا يمكن القبض على ، وأنا لاأعترف بقانون إلغاء الألقاب ولا بكلامكم الفارغ ... ضحك الناس يومها كثيراً . ولو علموا أن مجلس القاهرة البلدى (الموقر) سيظل مصرا على عدم اعترافه بقانون إلغاء الألقاب لتأنوا فى ضحكهم على الباشا السابق العنيد ، والتمسوا له عذرا ، ورحموا عناده بعض الرحمة

لابد أن مجلس القاهرة البلدى قد سمع بأن هناك حركة مباركة قام بها الجيش المصرى الباسل ، فطوحت بالطاغية فاروق ، وقوضت عرشه الدكتاتورى ؛ وأدالت دولته الباغية ؛ وأنها قد محت آثاره البائدة وفى مقدمتها الألقاب البغيضة التى كان فاروق يستغلها أسوأ استغلال فى سبيل أهوائه ورغباته ومطامعه — لابد أن المجلس البلدى الموقر قد سمع بهذا كله. إذن فلماذا يصر على أن يظل معترفا بدولة الألقاب ، فى اللافتات التى كتبت عليها أسماء الشوارع والميادين ، فنحن لازلنا نقرأ : ميدان سليمان باشا ، وميدان مصطفى كامل باشا ، وميدان سعد زغلول باشا ، كما لازلنا نقرأ : شارع نوبار باشا ، وشارع مريت باشا ، وشارع محمد بك فريد ، نقرأ هذا وذاك فنضحك مل ء أفواهنا من هذا المجلس الذى يضع رأسه فى الرمل مصرا على أن تظل دولة الألقاب فى دنيا الأموات بعد أن تلاشت فى دنيا الأحياء . . !

وإذا تركنا مجلس القاهرة البلدى حتى يخرج من رأسه الرمل، لا يمكن أن نهمل بعض ذوى الألقاب الذى عز عليه أن تتلاشى دولته ، فراح يحتفظ بلافتة منزله القديمة ذات اللقب المنحل ، ويحتفظ ببطاقاته القديمة أيضا ، مستعملا إياها بحكمة وحذر حتى

بتمد أجلها ويطال فى حياتها ، وكأنما حياته رهن بهذا اللقب الذى يعز عليه مفارقته . إن هذا البعض من ذوى الألقاب أشبه بمن رأى حلما لذيذاً ثم استيقظ فجأة ، فعز عليه أن يحرم هذه اللذة ، فراح يتصنع النوم من جديد لعله يعود إلى حلمه ، فهو جدير بأن نطلب له الرحمة . .

نفيسة الشيخ

لسنا وحدنا . . .

يعيب علينا الغربيون استعمالنا كلمة « معليهش » وأحب أن أقول إننا لسنا الأمة الوحيدة التى تستعمل هذه الكلمة ... فالفرنسيون مثلا يكثرون من عبارة مشابهة لها ، هى :

ca ne fait rien

كما أن الإنجليز يستعينون بعبارة أخرى لايخرج معناها عن معنى كلمة « معليهش » هى : never mind

ومن عجب أن الغربيين يسموننا بأننا قوم « معليشيون » .. ونسوا — أو تناسوا — أن أحاديثهم لاتخلو من عبارات لايخرج معناها عن معنى « معليهش » التى اختصرت من عبارة « ماعليه شئ » ! ..

وكل مانسجله على أنفسنا أننا نسرف فى هذه الكلمة إسرافا يبلغ أحيانا حد الاستهتار.. ولست حين أدفع عن استعمالها أقرها .. إنما أردت أن أرد عن قومى نقيصة هم منها براء ! ...

عيسى متولى

١ — خادم وخادمة

الخادمة : كلمة صحيحة لغة واستعمالا من قديم الزمان ، وقد انتشر فى هذه الأيام استعمال (خادم) بمعنى (الخادمة) وهذا الاستعمال وإن كان صحيحا إلا أن فيه تضليلا وتشويشا بدون مبرر وإيهاما بأن (الخادمة) خطأ أو لغة ضعيفة وليس كذلك لأنها الصفة الطبيعية الخاصة بالإناث ، واللغة موضوعة للتفاهم وليس من الحكمة أن نلجأ إلى استعمال الوصف المشترك (خادم) اعتمادا على فهم المراد من المقام وسياق الكلام ، فيجب تخصيص (الخادم) بالخدام و (الخادمة) بالخدامة ، والسلام على من اتبع الهدى

٢ — بدلة وبذلة

جاء فى شرح القاموس : وقول العامة البدلة بالفتح وإهمال الدال للثياب الجدد خطأ من وجوه ثلاثة ، والصواب بكسر الباء وإعجام الذال (بذلة) وأنه اسم للثياب الخلق (البالية أو المستعملة) فتأمل ذلك ا ﻫ

وأنا لا أوافقه فإن (البدلة) بفتح الباء وتسكين الدال المهملة لغة عربية صحيحة فإنها فى الأصل مصدر على وزن (فعلة) ثم استعملت اسما للمبدول ونظيرها البعثة بمعنى المبعوث أو المبعوثة وإليك الأدلة :

جاء فى (معيار اللغة) بدلت الثوب بغيره كنصر أخذته مكانه الخ . . وجاء فى (المصباح المنير) وبدلت الثوب بغيره من باب قتل الخ . فنحن ننظر إلى (البدلة) من ناحية التبديل والتغيير سواء كانت جديدة أو مستعملة لامن ناحية الابتذال والامتهان .

وأما (البذلة) بالذال المعجمة فإنها موضوعة للثياب البالية التى تبتذل وتمتهن فى الخدمة والعمل ويجب أن تظل هكذا للتفرقة بينهما .. وأنا أوافقه على أن وضعها للثياب الجدد خطأ ولكن لاأوافقه على أنها بكسر الباء فقط فقد جاء فى (معيار اللغة) البذلة كمعصمة وفتح الباء لغة ، وجاء فى (المصباح المنير) البذلة مثال سدرة (بكسر السين) ما يمتهن من الثياب فى الخدمة والفتح (فتح الباء) لغة قال ابن القوطية بذلت الثوب بذلة لم أصنه اﻫ وجمعهما بدل وبذل مثل (عنب) ونظيرها بدرة وبدر وسدرة وسدر

على حسن هلالى

(**الرسالة**) أقر مجمع فؤاد الأول كلمة (بدلة) من التبديل بمعنى حلة

تصحيح اسم شاعر

طالعت فى العدد ١٠١٠ من الرسالة الغراء تلك الكلمة الرائعة للأستاذ أحمد الفخرى عن ديوان « مع الفجر » لشاعر الحب والبطولة سليمان أحمد العيسى وليس « سليمان العبسى » كما جاء فى كلمة الأستاذ الفخرى

حلب محمد منلا غزيل



شجرة عيد الميلاد

للقصصي الروسي فيدور دستويفسكي

منذ أيام شاهدت عرساً ... ولكن لا ، فلن أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد ... لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها حبا شديداً ولكن حادثة شجرة عيد الميلاد أجمل ... ولا أعرف لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً ... ولكن هذا هو الذي حدث :

منذ خمسة أعوام كاملة دعاني إلى حفلة راقصة أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له قراباته ، وله ممارفه، وله أيضا دسائسه . وقد ظهر لي أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكي يجتمع الآباء والأمهات ويتحدثون فيما يهمهم بتلك النزاهة المعتادة

وكنت دخيلا في هذه الحفلة لأنه لم يكن لي بأحد شأن خاص . لذلك كان في استطاعتي أن أقضي هذه الحفلة بينهم وأنا بمعزل عن كل واحد منهم . وكان بين الجلوس واحد يشابهني في ذلك ، فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهي ، ولم يكن مظهره دالا على أنه ابن أسرة كبيرة أو أنه نبيل المولد . وهو طويل القامة نحيل جدا ، تبدو عليه علائم المبالغة في الجد والوقار . وهو شديد الأناقة في ملبسه ، ويظهر أنه لم يكن يميل إلى هذه الاجتماعات العائلية

ولما كدأدنو منه في الركن الذي هو جالس به حتى زايلت ابتسامة كانت مرتسمة على وجهه . وعلا وجهه العبوس . ولم يكن يعرف أحداً ممن بالحفلة غير صاحب المنزل ، وقد أبدى كل علامة على السأم والملالة وإن كان قد بقي إلى نهاية الحفلة وبه من الشجاعة ما بأي إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على ما تكره . وقد علمت فيما بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه كان يحمل خطاب توصية إلى مضيفنا ، فدعاه هذا من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفافة تبغ ولم يبدأ معه حديثا . ولعلهم كانوا ذوي فراسة فعرفوا الطائر في مسبحه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى الليل في فتل شاربيه . وكان شارباه جميلين ، ولكنهما كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما أولا ثم خلق هذا الرجل تابعاً لكي يفتلهما

وكان من المدعوين رجل آخر استرعى انتباهي ، ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فإن مجرد النظر إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه جوليان ماستا كوفتش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع الحفاوة والتكريم ، وأن مركز صاحب المنزل منه كمركز صاحب الشاربين الطويلين من صاحب المنزل . فقد كاد لا ينقطع سيل الفكاهات والطرائف التي يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجته . وهما كثيرا الالتفات إليه ، يدنوان منه ويحومان حوله ويستجمعان الضيوف لتقديمهم إليه . ولكنهما لا يقودانه ليقدماه إلى أي إنسان . وقد رأيت الدموع تترقرق في عيني صاحب المنزل وفي عيني زوجه لما قال جوليان ماستا كوفتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة . وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا الضيف فانصرفت إلى الأطفال أتسلى بملاحظاتهم ، وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة ، فهم شهادة بعناية أمهاتهم بهم . ثم تركت الغرفة بعد ذلك إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد ، فجلست في طرفها المجاور للمكان الزجاجي المعد لحفظ الأزهار في غير فصولها

وكنت لا أزال من مكاني هذا أراقب الأطفال ، والحق أن رؤيتهم تسحر

لجنة التحكيم في مسابقة إذاعة باكستان

نظمت الإذاعة العربية براديو باكستان مسابقة شعرية بين مستمعيها في البلاد العربية يمنح الفائزون فيها مكافأة مالية . وقد تألفت لجنة للتحكيم من ثلاثة من كبار رجال الأدب والشعراء المصريين هم الأساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن صدقي والدكتور إبراهيم ناجي

لقد كانوا يأبون محاكاة من أهم أكبر منهم على الرغم من الجهود التى كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم ، ولم تمض ساعة حتى نجح هؤلاء الأطفال فى تجريد شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفى كسر أكثر من نصف اللعب المعلقة فيها قبل أن يقتسموها بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود العينين مجعد الشعر ، وقد أصر فى عناد على تصويب بندقيته نحوى . وقد استرعى نظرى كثيراً ؛ ولكن أخته استرعت نظرى أكثر مما استرعاه . وهى فى عامها الحادى عشر ، ولا يقل جمالها عن جمال كيوبيد ، وتبدو عليها علائم الهـــدوء والتفكير . وعلى عينيها الواسعتين وسم الأحلام ، وقد أغضبها الأطفال لأمر ما فتركتهم وانسحبت إلى الغرفة التى كنت جالساً فيها فجلست فى ركن منها وفى يدها الدمية تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن أباها من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها صداقا قدرها ٣٠٠ ألف روبل

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعتهم يتحدثون بهذا وقع نظرى على جوليان ماستا كوفتش فوجدته واقفاً ينصت إليهم ويداه مشتبكتان خلف ظهره ، ورأسه مائل إلى الجانبين ، وكنت طول هذا الوقت أعجب من الذكاء الذى أبداه صاحب المنزل فى توزيع الهبات على الأطفال ، فالطفلة التى أعدلها أبوها مهرا كبيرا تهدى أحسن لعبة ، وسائر اللعب تقسم وفق مراكز الآباء فى الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعى لتقدم إليه هدية يبلغ من العمر عشرة أعوام ، وهو هزيل أحمر الشعر ضعيف البنية . وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور ولا رسوم . وهو ابن المربية ، وهى أرملة مسكينة . وشكل الطفل دال على الحزن ، وعليه كساء رث ، فتناول كتابه وانساب فى بطء بين الأطفال حاملى اللعب

وقد كان يود أن يبذل أى شئ ليلعب معهم ولكن كيف وليست له لعبة ؟

إننى من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليروا كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن لعب الأطفال كانت سحرا وفتنة فى نظر الطفل الأحمر الشعر . وشرع الأطفال يلعبون فأصر على أن يلاعبهم وعلى أن يناضل لو منعوه ؛ فابتسم وسار نحو واحد منهم فأقامه من مكانه وجلس بدله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا فى دائرة ولم يتركوا له مكانا

ولكن ذلك الطفل حمل عليه فلطمه لطمة قوية ، فلم يلبث أحمر الشعر أن رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنهته عن اللعب معهم فانسحب نحو الغرفة التى كنت جالسا بها مع الفتاة التى تقدم ذكرها . وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا فى إلباس الدمية ثوبها

ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد النعاس يدركنى وأنا جالس أنصت حينا إلى حديث الطفل أحمر الشعر ويشرد ذهنى حينا . وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوفتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التى أنا فيها عندما اشتد ضجيج الأطفال . ولم يغب عنى وأنا جالس أراقبه من الركن الذى أنا فيه أنه كان فى الفترة الأخيرة من الوقت يتحادث مع والدة الطفلة الجالسة معى فى الغرفة

وظل واقفا بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه — ثلاثمائة — أحد عشر — إثنا عشر عاما — خمسة أعوام — سعر أربعة فى المائة — خمسة أضعاف ، ستون وأربعمائة

ويظهر أن هذا الخبيث يعجبه الحساب على سعر أربعة فى المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخطانى نظره فلم يرنى ؛ ويظهر أن الحساب هو الذى أغفله عنى ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطرابا

وأخيرا تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف يمثل حالة المخطئ الذى يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وانحنى يقبلها وهو يبتسم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أنها صرخت عند تقبيله إياها صرخة فزع

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها : « ما الذى تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب » فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ » وأشار إلى ابن المربية ثم قال له : « يجب أن

تذهب إلى الغرفة الأخرى »

وظل الطفل صامتاً وهو ينظر محملقاً فى وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوفتش بنظره فى الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا معك ياعزيزتى ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدى » وقد قطبت حاجبيها وهى تجيب . قال : « دمية ؟ من أى شئ تصنع الدمى ؟ ! »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدى »

قال : «تصنع من الخرق» ثم نظر إلى الطفل وقال : «اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التى فيها الأطفال »

وكانت نظرته إلى الطفل فى هذه المرة نظرة قاسية ؛ فقطب الطفلان وتشبث كل منهما بالآخر وأبيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفض من صوته : «وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟» فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة — طيبة جدا طول الأسبوع» قال ذلك ثم عراه اضطراب شديد ونظر حوله فقال بصوت خافت يكاد لايسمع وبلهجة شديدة الدلالة على فقدان الصبر : «إذاجئت إلى منزلكم لزيارة أبيك فهل تحييننى ياعزيزتى ؟ »

وحاول أن يقبلها على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك بيدها كمن يريد أن يحميها وبكى بأعلى صوته كالمستجير فأثارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ؛ فاذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكى . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فانزعج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه انزعاجاً فترك يد الطفلة وتسلل إلى غرفة المائدة . وكى لايسترعى جوليان نظر أحد ممن بغرفة الجلوس تسلل هو أيضا إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الاحمرار فى مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه فى المرآة تكفى لإزعاجه . وكان سبب الاضطراب كله أن حسابه أضله فأوهمه أن الطفل عقبة فى سبيل الثروة التى تنتظره . نعم إنه الآن لايزال فى العاشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك .

وتتبعتهما بنظرى فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات ثعبان ، وأصبح صوته متسمما . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعه ، وكان جوليان يصيح به :

اخرج من هنا ! ما الذى تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ إذهب من هنا ياديم إلى أمثالك ! »

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانكمش ودخل تحت المنضدة فخار مطارده ثم أخرج منديله وفتله فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكمنه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخم الخدين تبدو عليه علائم التغذية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها حبات البندق وقد أحالته كراهيته (أو لعلها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض

ضحكت من أعماق قلبى فالتفت جوليان ولعله ذكر فى هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفى الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المنضدة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان فجمع منديله الذى كان مفتولا كالسوط وجعله تحت أنفه

ونظر صاحب المنزل إلى ثلاثتنا نظرة المرتاب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شؤون الدنيا قد انتهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكبير الأهمية أكثر ما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذى حدثتك عنه وأنا أعتمد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الذهن : « أهذا هو ؟ »

قال صاحب المنزل : « هو ابن المربية ، وهى فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان فى وسعك ... »

فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تعذرنى يافيليب ألكسيفنش فلا توجد محال خالية ، وفى قوائم المرشحين نحو عشرة أحق منه ... إننى آسف »

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »

قال جوليان « إنه شقى شرير . اخرج من هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟ اخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة على نفسه وأنا أيضا عاجز عن السيطرة على نفسى ، فضحكت فى وجهه ساخرا منه ، فالتفت إلى المضيف وسأله بصوت يكفى لبلوغ مسمعى عمن عسى أن أكون . وتهامس الرجلان وخرجا من الغرفة غير مباليين بى

واهتز جسمى من شدة الضحك وخرجت أيضا إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم محاطا بالآباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع سيدة قدمت إليه فى تلك اللحظة . وكانت تلك السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء للطفلة وثناء عليها ، فهو يتنقل من مدح جمالها إلى مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والأم تصغى إليه ولا تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض، والأب يبدى علامة لشكره ابتسامة عذبة .

وكان السرور شاملا فاشترك فيه كل إنسان حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على المتحدثين . وسمعت أم الطفلة وهى تتخير المنتقى من اللفظ فى مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمعته يقبل الدعوة فى تحمس لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء الغرفة مقلبين نظرهم بين والدة الفتاة وبين جوليان

وسألت جارى بصوت عال سمعه الجميع : « هل هو متزوج ؟ »

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لى جارى : « كلا » ولكن سؤالى وإن أجاب عنه سلباً قد أثار اهتمام الجميع

***

ومنذ عهد غير بعيد مررت بكنيسة فرأيت عند بابها جمعا كبيرا قد احتشد ليحضر حفلة عرس — وكان اليوم مكفهرا وقد بدأ المطر يتساقط . واخترقت الصفوف فدخلت فرأيت العريس بدينا مترهلا تبدو عليه علائم التغذية الدسمة . ورأيت رجلا قصيرا يروح ويغدو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر وهو لا يكف عن إصدار الاوامر

وأخيرا سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت فى وسط الزحام ، ورأيت جمالا عجيبا قد اكتسى بعلائم الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت أن عينيها حمراوان من أثر البكاء . وتحت مظهرى الجمال والحزن طهارة الطفولة التى كانت كأنها تضرع وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاما . ونظرت إلى العريس محققا مدققا فعرفت أنه جوليان ماستا كوفتش الذى لم أكن قد رأيته فى الأعوام الخمسة الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورحماك يا رب ولطفك !

رأيتها فوليت فرارا من باب الكنيسة على عجل وسمعت الناس يتحدثون عن غنى العروس وعن بائنتها البالغة ٥٠٠ ألف روبل

قلت فى نفسى : « لقد صدق حساب هذا اللعين » . وأسرعت فى مشيتى فرارا

ع . ١

مطبعة الرسالة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٩٠٥١

20 me année No 1017

Le Caire 29 — 12 —1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ — ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

ذكرى الأبطال

للأستاذ أنور المعداوى

« فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج ولى ثلاثة إطفال ولى أمى وأخواتى .. ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا أحرارا فى بلدهم ؛ فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات وإلى اللقاء إن مت أو عدت ! »

هذه كلمات تلقتها مصر يوما عن بطلها الشهيد ، وكنت واحدا من الذين عاشوا فى ظلالها السخية ، وشعروا شعورا عميقا بأنها لم تكن خاتمة رسالة وإنما كانت بداية تاريخ .. أقسم لقد بدأت مصر تاريخها الحقيق فى تلك اللحظة التى سجل فيها أحمد عصمت كلماته الخالدة ، وخر بعدها صريعا ليكتبها مرة أخرى بدمه !

إن طلاب الحرية لا يغمسون ريشتهم إلا فى دماء القلب ، لأنهم لا يكتبون عادة إلا بالمداد الأحمر .. ولقد آثر أحمد عصمت أن يكتب بهذا المداد ! آثر أن يكتب به لأنه لم يكن يسطر رسالة لأخيه وإنما كان يسطر رسالة لأمته .. وهكذا نكتب وثائق التحرير ونسطر رسائل الكفاح !

كلمات قليلة ولكنها كثيرة ، كثيرة جدا فى حساب الشعور .. وكلمات بسيطة ولكنها عميقة ؛ عميقة جدا فى حساب الفن ! إن البلغاء من أمثال أحمد عصمت لا يميلون أبدا إلى الثرثرة .. سطر واحد أو سطران أو ثلاثة ، تؤلف فى مجموعها كتابا ضخما يهدى إلى جيل من بعده أجيال ؛ أجيال ستقف حتما عند كل صفحة من صفحاته لتستنشق عطر الكرامة وتستروح أنسام الإباء !

لم يكن أحمد عصمت بحكم عمله أديبا ولا فنانا ، ولكنه كان ضابطا « طيارا » بشركة مصر للطيران .. ومع ذلك فقد أحال الحياة إلى فن ، وأحال الموت إلى فن ، وقدم لعشاق الفنون أروع الأمثال ! لقد كان « محلقا » فى حياته ، وكان «محلقا» فى مماته ، وكان « محلقا » فى كلماته .. والفن فى كل صورة من صوره ما هو إلا « تحليق » فى شتى الآفاق والأجواء .

لقد خرج البطل من بيته ذات صباح ؛ خرج ونصب عينيه هدف ، وملء قلبه أمل ، وفى قرارة نفسه عزم وإصرار .. لم ينس إن هناك أما هو بالنسبة إليها الملاذ الوحيد بعد الله ، وأن هناك زوجة ألقت بآمال العمر كلها بين يديه ، وأن هناك أطفالا لا يعرفون عن الحياة إلا أنها هنا بين أحضانه ، هناك هؤلاء حقا ولكنهم يعيشون غير أحرار .. إنه يريد أن يقدم للأم ما هو أبقى من الابن ، وإلى الزوجة ما هو أغلى من الزوج ، وإلى الأبناء ما هو أخلد من الآباء . إنه يريد أن يقدم إليهم الحرية ، وهذا هو المعنى الكبير الذى دارت حوله السطور الأخيرة فى رسالته ؛ تلك الرسالة التى سجلت نقطة البدء فى تاريخ أمة !

إن التاريخ سيروى يوما هذه القصة ؛ سيقول للناس إن أحمد

عصمت كان عائداً بسيارته بعد أن أدى رسالته ؛ بعد أن ذهب إلى المجاهدين على ضفاف القنال ليدفع إلى أيديهم بسلاح وذخيرة ، وعند نقطة التفتيش فى قرية « أبو حماد » اعترض طريقه عدد من الجنود الإنجليز ليفتشوه ! وتلفت البطل ليرى من حوله جمعاً من المصريين قد رفعوا الأيدى فوق الرءوس ، فى موقف يوحى بالضيم ويشعر بالهوان .. وثارت عزة البطل واحتج إباؤه ، وقدم إلى الضابط الإنجليزى وجنوده ما يكشف لهم عن حقيقة شخصيته ، شخصية الضابط المصرى الذى يستنكر التهجم على كرامة المصريين ! وانطلقت من فم الإنجليزى السفيه بضع عبارات وقحة ، خلاصتها أن المصريين أناس لا كرامة لهم .. وفى ومضة البرق كان مسدس أحمد عصمت يلقى على صدر الضابط الإنجليزى أبلغ الدروس ، ويسكت منه اللسان القذر ، ويخمد الصوت الأثيم ! وانهال الرصاص الغادر من كل صوب على البطل المصرى الباسل ، ولكنه قبل أن يودع الحياة ؛ كان قد أكد لخصومه أن كرامة مصر فوق الحياة !!

أحمد عصمت ومن قبله هؤلاء الأبطال : عادل غانم ، وعباس الأعسر ، وأحمد المنيسى ، وعمر شاهين ؛ طلاب الجامعة الذين عاشوا أطياف مجد وأرواح فداء .. لقد كان مقامهم فى الدنيا أشبه بمقام الورد : عمرهم من عمره ، ونضارتهم من نضارته ، وإن كان عطر ذكراهم أبقى على الزمن من عطر شذاه ! لقد ضحوا راضين بأيام الشباب ؛ بما فيها من أمل ، بما فيها من مثل ، بما فيها من أهل وأحباب .. أعذروهم فقد كانوا عشاق حرية : فى هواها كم عرفوا معنى الوجد ، وكم ذاقوا طعم السهد ، وكم جادوا بالدمع فلما أعرضت .. جادوا بالحياة !!

لقد كانوا فى الجامعة طلاباً ولكنهم كانوا على ضفاف القنال أساتذة .. أساتذة كفاح لم يفتحوا الكتب قبل أن يلقوا دروسهم على الناس ، وإنما فتحوا القلوب وحدها ليحيلوا الخفقات فيها إلى محاضرات ! وما كان أروع فهمهم للكرامة ، وما كان أعمق إدراكهم للحرية .. لقد قالوا لمصر كلهم وهم يسيرون إلى الأمام محددين لها معالم الطريق : إنه مرهق ما لم يستمن عليه بالصبر ، إنه طويل ما لم تختصر إليه رحلة العمر ، إنه مظلم ما لم تضىء جوانبه شعلة الإيمان ! قالوها ومضوا فى طريقهم إلى لقاء الله .. وقبل أن يلحق بهم أحمد عصمت كان قد أضاف إلى الدروس دروساً ، وإلى الكلمات كلمات : « فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج ولى ثلاثة أطفال ولى أمى وأخواتى ، ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا هم أحراراً فى بلادهم ، فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات » .. إن أحمد عصمت يوجه الخطاب هنا إلى كل من له أم يشفق عليها من الثكل ، وكل من له ابن يخشى عليه من اليتم ، وكل من له شريكة حياة يجزع من أن يتركها وحيدة فى الحياة ؛ وهذا هو دستور الكرام وإن شئت فقل إنها شريعة الأحرار !!

هناك ، على ضفاف القنال ، فى تلك البقعة المجاهدة ، سالت على رمال الصحراء دماء الأبطال .. ماتوا ، ولكنهم أثبتوا للدنيا أننا أحياء ! توقفوا ، ولكنهم أقنعوا العالم بأننا نسير ! سكتوا ، ولكنهم أسمعوا الزمن صوت الأباة !

إن التاريخ يجب أن ينحنى لهم فى خشوع ؛ يجب أن يفرد لهم من صفحاته أبرز مكان ؛ يجب أن يقدمهم إلى عصوره المقبلة على أنهم كانوا صورة ضمها أجمل إطار !!

أنور المعداوي

الإسلام فى موكب الإصلاح :

هذه المخازى ... !

للأستاذ محمد عبد الله السمان

قال محدثى : « إنكم يامعشر الكتاب الإسلاميين تتصايحون فى واد ، وتنفخون فى رماد ، وتجهدون أنفسكم ، وترهقون أقلامكم فى غير فائدة ، فأنتم تريدون الإصلاح بأداة ينقصها الإصلاح ، وترغبون فى السبق براحلة عرجاء ... تصرون على أن يتزعم الإسلام كل نهضة ، ويتقدم كل وثبة ، والإسلام لم يزل خليطا من الشوائب التى تسئ إليه ، ومزيجا من الفضائح التى تحط من قدره . . !

« ماهذه الطرق الصوفية البلهاء التى لازالت تغزو مصر : كفورها وقراها ومدنها ، حتى العاصمتين لاتتنازل عنهما : وتأبى أن ترحمهما . إنهـا دولة داخل الدولة ، عدتها الجهل المطبق ، وسلاحها الغباء الفاضح ، ووسيلتها الدجل والشعوذة ، ورعاياها السذج المغفلون ، وولاة أمورها المرتزقة المتلاعبون . أليس من العار أن تقوم هذه الدولة المزعومة باسم الإسلام لتنشر بين المسلمين الجهل ، وتحوطه بسياج من الدجل ، وتذود عنه بقوة من الحمق ؟ أليس من العار أن تسيطر هذه الدولة المزعومة فى مصر على الألوف المؤلفة من المسلمين الجهلة ، لتهب لهم إسلاما ممسوخا ، ودينا زائفا ، ولتجعل منهم آلات لاتفهم الإسلام إلا ركعات وسجدات يؤدونها ، وشهرا يصومونه ، وأورادا يداومون على تلاوتها ، ولايفهمون الدين إلا انقيادا أعمى للسادة المربين ، والأخيار العارفين ، ممن نصبتهم هذه الدولة المزعومة هداة مربين وهم أضل من الضلال ، وأجهل من الجهل ، وأضفت عليهم ألوانا من الألقاب ليكونوا فى نظر قطعان الماشية ذاتا مصونة يجب أن تقدس ، وملتمس بركة يجب أن يتقدم إليه ! ؟

أليس من العار أن تضم هذه الدولة المزعومة بين جناحيها جيشا جرارا من البطالة باسم الإسلام ، لايحترف إلا اصطناع اللحية ، وإتقان العامة ، وتحريك السبحة ، ولا يمتهن إلا التسول فى الموالد ، والتسكع حول الأضرحة ، والمزاحمة على حثالة النذور ، وفتات الصدقات . ولا يرجو من الحياة إلا مسجدا يضمه سحابة النهار ، وإفريزا يؤويه جنح الليل ، وجلبابا مرقعا يتوارى فيه ، ويستعين به على مفاجآت الجو وتقلباته ؟

. . أليس من العار أن تظل هذه الدولة المزعومة تشغل حيزا كبيرا من الفراغ ، وتسيطر على قدر وافر من الرأى العام لتشله وتعطله ، وتحوله عن مهام الأمور التى تتعلق بكرامة وطنه وبلاده ، وتزرع فى نفوسه عقيدة التخاذل والاستسلام والتواكل ، فتفهمه أن استعمار الوطن الإسلامى قضاء محتوم من الله ، والاعتراض عليه كفر ، والتبرم به إلحاد ، والنفور منه زندقة ؛ وتفهمه بأن جور الحكومات إرادة مقدسة من الله ، ومناهضته لؤم ، ومكافحته تمرد ، ومناوشته تنطع وحمق ؟

. . ثم ماهذه الأضرحة التى أضحت كعبة يحج إليها الجهلة من أطراف القطر ، يطوفون حولها ، ويتمسحون بنحاسها وقماشها ، ويتوسلون بها فى شفاء مرضاهم ، وقضاء حوائجهم ، ودفع الضرر عنهم ، وسوق الرزق إليهم ، وتترح إليها من كل فج جحافل النساء من البله ، لتتزوج العانس ، وتزف البكر ، وتلد العقيم ، وتحل عقدة البائس ، وتفرج كربة المنكوبة ، وترد لوعة الملهوفة ؟

لقد أصبحت هذه الأضرحة مسرحا للجهل بأجلى معانيه ، ومصنعا للخرافات التى لامثيل لها إلا فى عالم الأساطير ، ومعهدا لتكييف أساليب الدجل حتى تخدع العقول ، وتكييف أساليب الشعوذة حتى تضلل العقائد ؛ فهذا الضريح ساكنه من الأربعة المتصرفين فى مصاير الناس ، المسيطرين على ركب الحياة ؛ وذاك الضريح ساكنته هى صاحبة الشورى ، إليها ترجع الأمور كلها ، ومنها تصدر الأوامر جميعها ؛ وضريح العارف بالله هذا متخصص فى شفاء الأمراض المستعصية ، والأدواء المزمنة ، وترابه دواء للأعين الرمد ، وعلاج للأجساد البرص ؛ وضريح ولى الله ذاك ، متخصص فى جلب الأرزاق ودفع الأضرار ، وتحصين الأطفال من الأوجاع والأسقام ، والأرق والسهاد . . !

ثم ماهذه الموالد الصاخبة التى يتبع بعضها بعضا ، ويطل

عنها فى الجرائد ويدعى لها فى الأسواق ، وتتفضل وزارة الشؤون بالتصريح لها ، وتتكرم وزارة الداخلية بالمحافظة على الأمن والنظام خلال أيامها ، ويحرص قسم الوعظ والإرشاد على استغلالها ، ليعظ أقواما حصنوا بالجهل ، ويرشدجهالا حقنوا بمصل الخرافات ، ويصحح عقائد حمق ، اللجوء إلى الأضرحة أقدس عندهم من التوجه إلى الله ، والتسكع حولها أخف لديهم من السعى فى الأرض ؟

ماهذه الموالد الصاخبة التى يظل الواحد منها بضعة عشر يوما من مشرق الشمس إلى مطلع الفجر ، لاتسمع غير دق الطبول ، ونهيق المزامير ، وصياح الدراويش ، وغوغاء المهرجين ، ولا ترى غير أكداس مكدسة من الأفاكين المحتالين ، وحلقات للحواة المشعوذين ، وعصابات من أرباب الجرائم المختبئين داخل جلاليب من الرقاع المزركشة ، والمتوارين وراء العمائم الضخام ، واللحى المتدلية ، والسبح المشخشقة ، والأعين المكتحلة ، والحواجب المزججة ، والعبارات المسجوعة التى ينخدع بها سمع الجاهل ، وتنجذب إليها أذن الأبله ، والألفاظ الغامضة التى تثير تطفل الفارغين ، وتبلبل أفكار الأغبياء الساذجين ، ولا تسمع غير صخب يقلق الأسماع ، ويعكر الهدوء ، وصيحات الذاكرين الذين يحترفون ذكر الله بهزالأبدان ، ورقصات الأكتاف ، وانتفاضات الرؤوس ، لايشغلهم عنه الصلوات المكتوبة ، ولا الأقوات المطلوبة ، ولا تكاليف الحياة التى لايهرب منها سوى الضائع المهمل ، والكسول المتواكل . . ؟

لم هذه المخازى كلها اليوم ؟ فإذا كانت من قبل ضرورة يقتضى بقاءها رغبة الاستعمار حتى يضمن غفلة الشعب ، ورغبة الملك الطريد حتى يظل فى أمن من يقظته ، ورغبة الحكومات الجائرة حتى ترغمه على الذلة ، وتفرض عليه الضعة والمسكنة ، فأى معنى لبقاء هذه المخازى إلى اليوم لتكون وصمات عار فى جبين الإسلام ، وصفحات خزى فى تاريخ الشعب المسلم ، ونحن فى عهد جديد يتعقب الاستعمار حتى يرحل إلى غيررجعة ، ويضيق عليه حتى يتقلص ظله فيؤثر الانتحار على الحياة والجلاء على الاحتلال ، وفى ظلال وثبة مباركة تتطلب فى الشعب يقظة تسندها ، وتؤيدها من الرأى العام صحوة تؤازرها وتباركها ، ومن أين للشعب هذه اليقظة ، وللرأى العام هذه الصحوة ، وأحد جوانب الشعب معطل لاخير فيه ، وأحد أركان الرأى العام خائر لافائدة منه ؟ من أين لهما هذه الكلمة وتلك ، وهذه المخازى مازالت صامدة صمود الجبال أمام عواصف العهد الجديد ، وموجات الوثبة المباركة ؟ ومن أين للاسلام أن يقود النهضات ، وأن يسيطر على مواكب الإصلاح ، إذا كانت هذه المخازى لازالت دولتها تقوم داخل الدولة باسم الإسلام ، على رغم من استغاثته منها ، والتبرؤ من فضائحها ، وعلى رغم من صيحات المصلين من علماء الدين المعقولين ، والمثقفين من الأغيار المسلمين ... !

فهلا كان الأجدر بكم أن تخلصوا الإسلام مماعلق به من شوائب وتنظفوه مما ألصق به من أضاليل ، حتى إذا تقدمتم للاصلاح كانت أداتكم نظيفة سليمة ، وإذا رغبتم فى السبق كانت راحلتكم قوية صحيحة ؟ — أما إذا أصررتم على أن تتقدموا للاصلاح بأداة ينقصها الإصلاح ، وللسبق براحلة عرجاء ، فثقوا بأنكم ستظلون إلى الأبد تتصايحون فى واد ، وتنفخون فى رماد ... !! »

لقد ظللت خلال الحديث منكس الرأس غاض الطرف ، وعبارات محدثى تصل إلى قلبى شعاعات من الغيرة الممتزجة بالحسرة والألم ، ولم أشأ أن أقاطعه أو أجادله ، فلئن كنت أملك اللسان الذى أقاطع به حديثه ، فلم أكن أملك الحجة التى أجادل بها نقده ، وأعارض بها رأيه ، ولذلك آثرت الصمت والهدوء والإصغاء ، واكتفيت فى النهاية بأن رفعت طرفى إلى محدثى ... أن نعم !

محمد عبد الله السمان

الاسلام ونظام الحكم عندنا

للأستاذ منصور جاب الله

إن صح الحديث النبوى « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا » ولم يكن من وضع غلاة الشيعة ، فإن معناه أن الإسلام فى أصوله الأولى لا يعترف بالنظام الملكى الوراثى

ولم تكن الخلافة الراشدة فى أزهى عصورها نظاما جمهوريا ، ذلك لأن النظام الجمهورى من بدء نشأته محدود بميقات معلوم ، وما كانت الخلافة الإسلامية كذلك ، وإنما كانت نظاما قائما على البيعة الشاملة فى سائر الأمصار . وقيل إن الخليفة لم يكن يملك النزول عن البيعة ، حتى أن عثمان بن عفان أبى أن يدع أمر المسلمين يوم أحدق الثوار بداره ومنعوه الماء ، لأنه عد بيعة الأمة تكليفا من الله تعالى

فالخلافة إذن لم تكن ملكا وراثيا ولا كانت نظاما جمهوريا ، وإنما نذكرها اليوم لأننا نحب أن نستنير بهديها ونجرى على سننها ، ولا يقذفن فى الأذهان أننا نرمى إلى إعادة الخلافة بمعناها الشامل الواسع ، فما إلى ذلك من سبيل

وإنما نريد أن نتحدث فى صحيفة الأدب الرفيع ، وفى وجازة خاطفة عن نظام الحكم الصالح ، فنحن الآن فى غضون ثورة مباركة ونهضة تستهدف خير الشعب ومصلحة المجموع . والجمهور من المصريين على اطراح نظام الحكم الملكى بعد ما تبين فساده وسوء استغلال العاملين فيه لموارد الشعب واستنزاف دمائه لقضاء النزوات والبوائق واللبانات

هذا إذا غضضنا الطرف عن كراهية الشعب للأسرة المالكة القائمة ، إذ أصلها غير مصرى ، ومؤسسها الأول جاهل أمى ، والكثرة الكثيرة من أعضائها وأفرادها لا يشرفون الوطن الذى ينتسبون إليه ، بل إن مباذلهم ومتارفهم لهى معاول الهدم التى كادت تأتى على بنيان الكرامة الوطنية والعزة القومية فتجعله حصيدا كأن لم يغن بالأمس

فالشعب المصرى الذى فقد الثقة بالنظام الملكى على الإطلاق والذى فقد الاحترام للأسرة الحاكمة فى مصر ، لا يمكن أن يفرض عليه نظام ملكى وراثى إلا إذا سلك سبيل الإرغام . ونحن فى عصر ثورة بل فى زمن نهضة وليس للارغام علينا من سبيل

والكرام الكاتبون الذين يقترحون النظام الجمهورى على إطلاقه ، إنما يتجاهلون عوامل كثيرة ما كان يصح إغفالها بالنسبة لمحيطنا الاجتماعى والسياسى ؛ فمصر التى يعزها أبناؤها ويتمنون نجاحها وفلاحها ، حرام عليهم أن يعرضوها لمحنة انتخابات رياسة الجمهورية كل أربع سنين أو سبع على هذا النحو المتبع أو المبتدع فى البلدان ذات النظام الجمهورى العريق . ذلك لأننا ما برحنا نشفق من آثار الانتخابات النيابية التى كانت تنعقد بين الحين والحين ، والتى كانت تفعل الأفاعيل فى تمزيق الأواصر وقطع الروابط وتعطيل الأعمال وبذل الأموال

صحيح أن قوانين الانتخاب التى سوف يتمخض عنها عهد الثورة لا بد أن تجنبنا كثيرا من الخطأ الذى وقع فيما مضى ، فلا يكون ثمة غش ولا رشوة ولا تزييف ، بيد أن العوامل النفسية لا يتسنى القضاء عليها بسن التشريع أو فرض القانون ، فالنفس البشرية . لا تتغير ، والنافسات هى النافسات ، والمعارك هى المعارك . وكم من أسر كبيرة قطعت المداوة أرحامها وأضاعت الخصومة ثرواتها ، وهيهات أن يقضى القانون على ما ركب فى الطبائع الإنسانية من ألوان الانفعالات !

إذن ماذا يكون نظام الحكم عندنا بعد هذا الانقلاب المبارك ؟

إن الذى يتبادر إلى الأذهان أن النظام الجمهورى المألوف فى أوربا هو أقرب النظم إلى الوضع الذى اصطلحوا على تسميته بالنظام الديمقراطى الصحيح ، ولكن النظام الجمهورى بالنسبة لبلد مثل مصر يعد طفرة قد لا تكون محمودة العقبى ، ذلك لأن بلادنا حكمت منذ عهد محمد على حكماً دكتاتوريا طاغيا امتاز فى بعض الأحيان بمظهر دستورى خلاب ، وربما يكون من الأوفق أن نتخذ وضعاً بين الملكية والجمهورية ، ولنطلق على هذا الوضع نظام « رياسة الدولة » على أن يكون اختيار رئيس الدولة بالانتخاب المباشر ، أو بالبيعة على حد التعبير الإسلامى القديم ، وتكون رياسة الدولة مدة الحياة أو إلى أن يسىء « الرئيس » استخدام سلطته ، وعندئذ يعزله البرلمان أو يقيله الشعب، وفى كل

من سير الخالدين

حيـــاة المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

« قد شبت عن الطوق جدا . ولكنى ما زلت أمت إلى طفولتى بسبب قوى ، وما انفكت أخراى معقودة بأولاهـا » « المازنى »

— ٥ —

السكريوتة الطفل

كانت سنوات الشباب فى حياة المازنى فترة تجربة نفسية امتحن بها . ولقد طالت به هذه التجربة وخلفت نتائجها فى كيانه وسريرته ، وكان لها أثرها البعيد فيما عدل إليه من أسلوب الحياة ونهج التفكير

بدأت هذه التجربة النفسية مع مطلع الحرب الكبرى ، حين أصيب المازنى بعرج فى إحدى ساقيه ؛ « وما كنت سكران ولا وقعت من سطح ولا زلت بى قدم ، ولا شئ غير هذا مما يكسر العظام . ولكنما كانت زوجتى مريضة فأجريت لها عملية جراحية . وفى صباح اليوم التالى وقفت إلى سريرها وفى يمناى الدواء ممزوجا بالماء فى كوب من الزجاج ، وحاولت أن أرفعها بيسراى ، وكان السرير عاليا وأنا قصير القامة فشبت فسمعت شيئا يطق فظننت الكوب قد انكسر ، وتلفت أنظر فإذا هو فى كفى سليم ، فحاولت أن أدور على قدمى لأرى فإذا بساقى اليمنى تخذلنى ولا تحملنى فعلمت أن الصوت منها ، ثم تبينت بعد ذلك أن حق الحرقفة هو الذى انكسر ، وعولجت ثلاثة شهور ، ولكن العلاج كان فيه بعض الخطأ فانحرفت عظمة الساق عن استقامتها فقصرت عن أختها فكان هذا العرج »

عند ذاك تغيرت الدنيا فى عينيه ، وأدركته الشيخوخة فى عنفوان شبابه ، وغمرته — كما يقول — مرارة كان يخيل إليه أنه يحسها على لسانه ، وتملكته السوداء والتشاؤم ، البسمزم Pessim sm وأصيب من جراء ذلك بالنيراستينيا . ولقد كانت هذه الحادثة أقسى ما يمكن أن يمتحن به معدن شاب مستوفز نزعات الإحساس ، متعدد آفاق النفس ؛ يستقبل الحياة بذخيرة من أحلام المجد والسعادة فتستقبله بطعنة نجلاء من طعنات المحنة والبلاء . فلا جرم ينطوى المازنى على نفسه يعاقر الألم ويستمرئ الحرمان ، صادفا عن الدنيا والناس ومناعم الحياة . ولقد ظل سنوات يجاهد العقدة النفسية التى طرأت عليه من هذا العرج ويعالجها بالتهوين والتخفيف ، ولكن الحادثة كانت لا تفتأ تعاوده بذكراها الأليمة أو ذكراها المتجددة وهى بضعة منه لا تفارقه ، فلا يفيد معها التهوين والتخفيف

ثم كان مدى تلك التجربة ، أو تلك المحنة ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، حين عن له أن يترك التعليم ويلقى بنفسه إلى معترك الصحافة

أغلق المدرسة التى كان يديرها ، قبل أن تتصل أسبابه بالعمل الدائم فى الصحف ، وجاءت حوادث الثورة الوطنية وما قام فى أعقابها من الاضطراب وعدم الاستقرار فتركته فترة بغير عمل . وكانت النيراستينيا كأحد ما تكون . وأحس أنه خليق أن يفقد أعصابه وتلح عليه وطأة المرض إذ لم يركن إلى الراحة والاستجمام

حال لا يكون له سلطان الحكم المباشر ، وإنما يتولى ولا يحكم ليكون مظهرا من مظاهر هيبة الدولة ومجادتها ، شأنه فى ذلك شأن الملك فى إنجلترا أو رئيس الجمهورية فى فرنسا

ومعنى هذا أننا لا نريد نظام رياسة الدولة على النحو المتبع فى إسبانيا أو فى روسيا أو فى يوغسلافيا ، فنحن لا نبغيها دكتاتورية فاشية أو دكتاتورية شيوعية ، بل نريد نظاماً مستقرا ثابتاً يجنبنا الهزات الانتخابيه المترادفة ويحفظ كيان الدولة وهيبتها

وبعد فهذا رأى شخصى بحت أطالع به قراء « الرسالة » وعلى الكاتب وحده تقع تبعته . وإنا لنجد له مشابه فى صدر الدولة الإسلامية ، كما نجد له نظائر فى بعض الدول الأوربية الحديثة . وإنا لنعلم أن المسئولين ما برحوا يبحثون نظام الحكم المصرى فى المستقبل القريب والبعيد ، ولا ريب فى أنهم سوف يجعلون الآراء المتضاربة جميعا فى موضع الاهتمام والنظر

والله ولى التوفيق

منصور جاب الله

ومجانبة التفكير ، فسافر إلى الإسكندرية ، وفى مأموله أن يوفق بعد ذلك إلى عمل هناك

ويقول المازنى « لم أكد أستقر فى الإسكندرية حتى شعرت بحمى عصبية ، ثم اتفق أن وجدت مع صديق لى رواية روسية مترجمة إلى الإنجليزية فسألته عنها فأثنى عليها ، ولم أكن قد سمعت قبل ذلك باسم المؤلف فاشتهيت أن أقرأها واستعرتها منه . وكانت وصية الأطباء لى ألا أكد خاطرى أو أتعب رأسى بالقراءة أو الكتابة

« قرأت هذه الرواية فلم أكد أفرغ منها حتى رأيتنى قد انقلبت مخلوقا آخر : أعدتنى روح بطلها بقوتها وبجرأتها على الحياة ، وبالبساطة فى مواجهة ما يقع له فيها ، وباستقامة النظرة وسداد الاتجاه ، فشفيت واستغنيت عن الأطباء والعقاقير ، وما لبثت أن كررت إلى ميدان العمل وبى من النشاط والثقة ما يكفى فيلقا بأسره » .

تلك هى قصة سانين « sanine » لمؤلفها الروسى ميخائيل أرتزيباشيف [1] . وقد نقلها المازنى إلى العربية ونشرها باسم « ابن الطبيعة » (١٩٢٢) أداء لما لها من دين عليه

ومن قراءات المازنى فى الأدب الروسى فى ذلك الحين إلى جانب سانين ، قصة إيفان تورجنيف المشهورة « الآباء والأبناء fatheis and children وهى من أندر القصص فى بابها وأصدقها تصويرا للطبيعة الروسية فى بعض جوانبها ، وقد أصبح اسم بطلها بازاروف « Bazarov » علما على المذهب الفكرى والسياسى الذى ابتدعه تورجنيف ودعاه باسم النهلزم « nihilism » بمعنى الفوضوية أو العدمية

ويذكر الأستاذ العقاد ما كان لقصة سانين من الإيحاء والتأثير فى نفس المازنى فيقول « لست أنسى هزة وجدانه بأفاعيل سانين مع إنكاره لتلك الحيوانية اللاجوج التى مثله بها مؤلف القصة .. وأنه كان يردد بعض « لوازم » لسانين فى كلامه بعد قراءتها . ويقول العقاد « إن القصة الروسية من أقوى المؤثرات فى نزعته التى جنح إليها بقوته كلها فيما نسميه بفلسفة الحياة »

والحق أن المازنى كان أقرب ما يكون إلى خصائص أبطال القصة الروسية ، من طراز سانين وبازاروف ، الذين يواجهون الحياة بالاستخفاف وقلة المبالاة ، ويعيشون بالقدرية ويعولون على مفاجآت الغيب وحساب المجهول ، ويجمعون بين نقائض الطبائع الإنسانية ، فلا يزالون أبدا مترددين بين الروحانية والجسدية ، وبين الزهادة والطموح ، وبين الكلبية [2] المتهانفة والغرارة الساذجة . وقد عصمت المازنى بيئته المحافظة ونشأته الدينية من أن يتأثر بالناحية الدنيا فى تلك الخصائص الروسية ، ووسعه أن يأخذ عنها أشبه تلك الخصائص به وأقربها إلى طبعه ومنحاه ، وهى نزعة الاستخفاف وقلة المبالاة . فكانت هذه النزعة بعد سلاحه فى مواجهة ما تأزمت به نفسه من أحداث تلك التجربة ، وبقيت إلى آخر أيامه سلاحه فى مواجهة الحياة ، وبه غلبها ولم تغلبه

وكأن ما امتحنته به تلك التجربة — من الإصابة بالعرج ، ثم هجر التعليم والتعطل الذى أعقبه — كان من توفيقات المقادير التى تغم الحكمة فيها على الإنسان قبل أن تتبدى صفحتها من مستقرها فى عالم المجهول

كان المازنى قد أوفى على الثلاثين ، وشب عن الطوق جدا فيما يحس ، وارتفع ، كما يقول ، « عن كل حداثة ارتفاعا أجلسنى على ربوة الحياة حيث تنازع السحب الضياء » ، ووقف يستقبل الكهولة التى طرق بابها قبل أن تطرق بابه ، والتى تزود لها بزادين من عمل النشأة وعمل التجربة ؛ فليس أقرب إلى الكهولة وألصق بها ممن يحرم فى سنه وميعته قراه من الطفولة والشباب ؛ ومن يدركه بلاء التجارب وهو غر لا يفيد منها غير الجهد والعناء

وقد عرف القارئ كيف ودع المازنى طفولته قسرا وقطعها وثبا ، وكيف أكره نفسه على كبح عواطفها الساذجة وكبت نزعاتها البريئة فى غير رفق أو رحمة . ولا شك أنه ظل منطويا على هذا الشعور بالحرمان من أسعد فترات الحياة وأنضر عهودها حتى جر عليه هذا الانطواء أن أضاع شبابه فى بيداء السلبية ومهمه التشاؤم ومقارفة العزلة والتوحد وتلقى الحياة باحتفال

(١) ميخائيل ميخائيلوفتش أرتزيباشف mikhail mikhailofitch artsibashef ولد عام ١٨٧٨ ، وبدأ اتجاهه الفنى بالرسوم الهزلية (الكاريكاتير) ثم تحول إلى كتابة القصة الواقعية الكبيرة . واتهم بالثورة وسجن عام ١٩١٢ تعدو سانين أعظم أعماله القصصية وقد أخرجها وهو دون الثلاثين (١٩٠٧)

(٢) cynicism

الموسوس المرور

ثم كانت تلك التجربة النفسية وما طبعته عليه من مواجهة الحياة بالاستخفاف وقلة المبالاة ، وكانت معها المعجزة الكبرى فى حياة المازنى الذى كان يشرف على الكهولة يومذاك

أشرف على الكهولة ليجد نفسه من جديد أمام طفولته التى زايلته ، تعاوده بأخص خصائصها فى طابعها القديم ، وإن تكن قد عادت ناضجة واعية أشد تمرساً بالحياة وأكثر فهما وتجربة

وليس بالعسير تفسير هذا الارتداد أو هذه الرجعة إلى الطفولة ، ولا يحوجنا الأمر فيما نرى إلى استشارة علم النفس التحليلى أو تطبيق مناهجه ومقاييسه فيما كتب علماؤه المحدثون ، فهى ظاهرة طبيعية وليست حدثاً خارقا أو شذوذاً غير مألوف

... طفل أكرهته الحياة على أن يكبت فى نفسه كل إحساس بالطفولة — على فرط إحساسه بها — وأن يطرح عنه كل ما يمت إليها من دوافع ونزعات ، فاستقرت طفولته فى أعماقه مكبوتة أو مكرهة على الكبت ، تترقب المناسبة التى تطفر فيها من قرارها وتلبس إهابها السليب

وقد سنحت هذه المناسبة المرتقبة فى حياة المازنى بتصحيح النظرة إلى الحياة والنقلة من المبالاة والاحتفال إلى الاستخفاف وقلة الاكتراث ، فعاودت طفولته ظهورها وعادت سيرتها ، ولابست بنية الكهل المجرب فيه روح الطفل الغرير

***

صورتان جد مختلفتين : أولاهما صورة شاب يعارض الحياة معارضة الإدلال ، ويثور عليها لأنه يباليها ويحفلها غاية المبالاة والاحتفال، ويتراءى فى إهاب أقرب إلى الشيخوخة المنطوية لولا ما يتسم به من ثورة السخط والزراية على الحياة والأحياء

والثانية صورة كهل يصدر فى مطالبه ورغائبه وفى جده وهزله عن منازع هى منازع الطفولة فى صميمها ، بل تزيدها السن فرط غرارة واندفاع وحماس .. كهل يركب الحياة بالسخرية والاستخفاف ، ويسالمها غير مضطر أو مغلوب ! أو هو يتلع عن معارضتها لأنه قد ملأ يديه منها ، وكأنه يقول لها بلسان الحال إنى لا أحفلك ولا أباليك منذ الآن ، فسيان أن نلتقى على حرب أو سلام ، وعلى ود أو خصام ، فعلى هذا وذاك نحن ملتقيان !

وقد قابل المازنى بين هاتين الصورتين لذينك العهدين من حياته ، ولم يخف عن نفسه ، ولا عن الناس ، موقع هواه وموضع ميله منهما . ونحن نؤثر أن ننقل هنا معالم الصورتين كما خرجتا عنه ، مع تفسيره الذى ارتاح إليه فى تعليل رأيه ؛ فهو يقول :

« الكهولة والشباب عهدان مختلفان فى كل شئ ، ولك أن تقول إنهما يجعلان من الإنسان الواحد إنسانين متميزين ، لا يشبه أحدهما صاحبه ، لا فى المخبر ولا فى المظهر . فأنا فى كهولتى إنسان جديد من كل وجه ، لا يشبه ذلك الإنسان القديم الذى كان أيام الشباب ، فقد ذهب ذلك الإنسان إلى غير رجعة ، وذهب معه كل ما كان له من خصائص وصفات وسمات ومعارف ونزعات وآمال وآلام ومخاوف ومطامع وشهوات إلى آخر ذلك ، وحل محله هذا الكهل الذى يدلف إلى الشيخوخة

« ولك أن تقول أيضا إن الشباب والكهولة معنيان فى النفس . فإن منا من يخطئ معنى الشباب فى عهده المألوف ثم يجده فى غير أوانه . وهذا ما وقع لى ، فما عرفت طعم الشباب ، ولا ركبت به ما يركب الناس به ، لأنى امتحنت فى صدر حياتى وغضونة سنى بما تركنى أحس كأن الدهر كله عمرى . ودارت الأيام وكبرت ، وازددت بالدنيا وبالناس معرفة وبنفسى أيضا ، فإذا كل شئ يتغير ، التشاؤم انقلب تفاؤلا واستبشارا ، والضغن أصبح عطفاً ورقة قلب وحبا للحياة والناس ، وكنت أظننى لن يطول عمرى وأحمد الله على هذا وأسأله فى سرى أن يعجل بالراحة الكبرى وإن كنا لن ندرى بأنا فزناها ، فإذا بى واثق أنى سأكون من المعمرين جدا ، وإذا بى قد صرت أحرص الناس على حياتى ، بل إذا بى أشعر شعوراً قويا أنى رددت شابا ، وإن كان رأسى قد شاب ولم يبق فيه سواد ، وأذهلنى هذا الشعور المستغرق عن سنى التى لا تكف عن الارتفاع »

وإذا كان لنا أن نعقب على هذه المقابلة الصادقة بشئ ، فهو أن ذينك العهدين ، فى حياة المازنى وأدبه ، قريب من قريب ، وأن عهد الشباب والثورة ومعارضة الحياة كعهد الكهولة الطفلة المجربة ؛ قوة إحساس وفيض عاطفة وشعور

فلم يكن المازنى الشاب ليعارض الحياة أو يتنكر لها إلا وهو

التربية الروحية في مدارسنا

للأستاذ محمد علي جمعة الشايب

إنها لمأساة حقا أن نجد كثيراً من الضمائر والذمم فى حاجة ماسة إلى تطهير لا فرق فى ذلك بين هيئة أو جماعة ، أو عظيم أو حقير . هذا إلى كثير من النفوس والضمائر التى أبصرت أشعة التطهير فاختفت داخل قواقعها واتخذت منها كنا وستراً . ولعل يد العدالة ستمتد إليها فتخرجها صاغرة ذليلة من داخل تلك القواقع ؛ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون... إنها لمشكلة تدعو للأسف حقا وتدعو للعلاج السريع ، حتى يعافى مجتمعنا من هذا الوباء الخلقى الخبيث . وإن إعدام بذور الشوك خير من تقليم أغصانه بعد أن ينبت . ومن الواجب قبل أن نصف الدواء أن نضع أيدينا على أسباب الداء ، أو على الأقل على أهم أسبابه

إننا لو نظرنا إلى موظفى الدولة ورجالها لوجدناهم ثمرة من ثمرات المدرسة ، فإذا أحسسنا أن هذه الثمرة مرة المذاق ، فلا بد أن التربة التى نبتت فيها هذه الثمرة تربة غير صالحة ، وهذا هو الواقع فعلا فى مدارسنا ، فأنت لو نظرت إلى المدرسة فى ذلك العهد الذى نتنسم فيه شيئاً من الحرية لم تجد فى أساليب تربيتها ما يعين على تنشئة جيل صالح ، فما بالك بها منذ عشرات السنين أى فى العهد الذى ربت فيه أولئك الذين قادوا السفينة بنا إلى الهاوية ، وقد كان عهداً حبس عنه الاستعمار كل نسمة من نسمات الحرية والصلاح فى أية ناحية من نواحى الحياة ... وليس لنا بالمدرسة القديمة شأن ، فقد مضت وأفسدت ما أفسدت ، وهذه يد التطهير تحاول أن تصلح ما أفسدته المدرسة من قديم الأزمان . ولكن لنا الشأن كله بالمدرسة الحديثة — مدرسة اليوم — ويجب أن نمد إليها يدنا اليوم بالإصلاح قبل أن تمتد يد التطهير فى المستقبل إلى ما تأتى به من ثمرات ...

إن التربية فى مدارسنا اليوم لا يعنيها غير الهدف العلمى ، فهى تحرص على أن تضع فى يمين التلميذ ورقة بمثابة الجواز الذى يسمح له بأن يأكل عيشه فى شيء من السهولة واليسر ويضمن حياة راضية أحياناً ، أما التهذيب الروحى وتقويم الاعوجاج والالتواء وتعديل الغرائز والنزعات الفطرية وإعلاؤها بحيث تجعل صاحبها يستقيم مع المجتمع ولا يكون نشازاً فيه ، ويصبح عضواً فعالا فى أمته ، فهذا ما لا يدخل فى حساب التربية المدرسية عندنا... إن التربية عندنا مادية بحتة لا أثر فيها للروح ، مع أن المجتمع المدرسى الصاخب فرصة نادرة أمام المربين الروحيين لو أرادوا ، فالتربية الروحية تعتمد فى الغالب على مجتمع لكى تتمكن من نشر مبادئها ويمكن الوصول إلى أهدافها بسهولة . . . وقد يعتقد البعض أن دراسة الدين فى مدارسنا تربية روحية ، ولكن يؤسفنى أن أقول إن هذا وهم واهم ؛ فمدرسو الدين والتلاميذ يعرفون ما ننطوى عليه الحقيقة من ألم مرير ، وقد يكفى أن تعلم أن غالبية المدرسين يجرون أرجلهم جرا حينما يذهبون إلى حصة الدين ، وأن التلاميذ يودون لو أن المدرس انطلق بهم إلى ما يهمهم ويعنيهم من أحاديث الحياة العامة ووفر عليهم مؤونة الشرح والتدريس ، بل لقد شكا

متعلق الرجاء بها قوى الرغبة فيها . وما كان سخطه وثورته إلا دالة يدل بها الشباب على الحياة فلا تتجاوز التبسط فى المغاضبة أو العتاب إلى الحنق والتنديد والمجافاة

بلى . وذلك الشاب الذى كان قلبه ينبض أبدا بأشواق العاطفة وسورة الإحساس ، والذى لم تهدأ فيه حيوية الشباب قط ، لقد كان أقرب إلى الحياة وأعرف بها وأوفر نصيبا منها من كثيرين لا يدينون بسخطه ولا يحسون مثل قلقه وثورته

منذ ذلك العهد — عهد إيحاء سانين — لم يحى المازنى فى غير عالم الطفولة الخالدة . ولقد تقلبت به الحياة وتقلبت عليه التجارب فما كانت لتمر به إلا كما تمرق الأعاصير من بين قلل الأطواد الشامخة ثم تنكفئ عنه ، كما تنكفئ الموجة العتية عن الصخر الركين

فى عالم الطفولة الخالدة عاش المازنى أعوامه الثلاثين التى تقضت بين بدء عهده بالكهولة ووفاته ، فكانت خلاصة العمر وصفوته ولبابه ، وكأنما كان إيذان ذلك العهد بمثابة ميلاد جديد لأديبنا العظيم ، وإن سبق مجيئه إلى الدنيا قبل ذلك بأعوام طوال

محمد محمود حمدان

كثير من المدرسين من أن التلاميذ يجمعون له كثيراً من الأسئلة فى شتى النواحى المختلفة ليتحفوه بهـا فى حصـة الدين ، وشكا آخرون من أن التـلاميذ يتسللون لواذاً « ويزوغون » فى حصة الدين . أما الفريق الذى لم يشك فيعلم الله مبلغ ما يقاسيه من ألم وعناد فى سبيل الاحتفاظ بالنظام وضبط الفصل والترهيب مرة والترغيب أخرى حتى ينتهى ذلك الدرس . . . وليس مرد ذلك لشىء فى الدين نفسه — معاذ الله — ولا لشىء فى التلميذ ذاته كما يتوهم بعض المدرسين ، وما أظن أن المدرس يعتقد أنه هو مرد ذلك لأنه لا يحس هذه الظاهرة إلا فى درس الدين فحسب ، وإنما السبب راجع إلى الطريقة التى يدرس بهـا الدين وإلى المنزلة التى وضع فيها فى المنهج الدراسى ، فالدين دراسة نظرية بحتة لمجموعة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ودراسة لبعض الشخصيات الإسلامية الفذة ، وفى الغـالب لا تجد ارتباطاً بين هذه المواضيع وحاجات التلميذ النفسية أو المشاكل التى تهمه ، وهذا هو السر فى انصراف التلميذ عن الدرس إلى الأسئلة التى يضيق بها إخواننا المدرسون ، ولو ربطت مواضيع الدين بمشاكلنا القائمة بيننا الآن والمذاهب الاجتماعية التى هى موضع اهتمام الرأى العـام لـكان درس الدين حيا قويا ، ولوجد استجابة حارة من التلاميذ ، ولـكان ذلك تثبيتاً للتلاميذ وعصمة لهم من الزيغ

ولو تناولت دراسة الدين أمراضنا الخلقية وآفاتنـا الاجتماعية المتفشية ، ولو أتينا بالشخصيات الظاهرة عندنا وربطنا بينها وبين الشخصيات الإسلامية العظيمة ودرسنا هذه الشخصيات دراسة مقارنة ، أقول لو فعلنا ذلك لـكان ذلك أهدى طريقاً وأقوم سبيلا على أن وضع الدين فى المنهج المدرسى ذلك الوضع غير اللائق كفيل بأن يصرف عنه الاهتمام والعناية ، فجعل الدين مادة ليس فيها امتحان يجعلها عبثاً على أكتاف التلاميذ يعوقهم عن النهوض بواجباتهم المدرسية التى ينتظرهم فيها نجاح أو رسوب . ولقد كان من الممكن الاستغناء عن الامتحان فى الدين لو قومت طريقته وعدلت بحيث نضمن منها فائدة محققة للتلميذ ، أما والحالة هذه فلا بد من الامتحان وإن كان لا يكفى لإفادة التلميذ الفائدة المرجوة من دروس الدين ، ولـكنها فائدة على أى حال ، ولعل الوزارة قد تنبهت إلى ذلك فى هذا العام

بقى أننى لست أومن بالدراسة النظرية ، وإنمـا الذى أومن به الإيمان كله أن تكون الدراسة عملية ولا تأتى الناحية النظرية إلا كالشاهد أو الدليل ، وما دامت المدرسة تخرج للمجتمع ، فلماذا لا تكون المدرسة صورة من المجتمع ؟ لمـاذا لا تكون المدرسة نموذجا من المجتمع فى جميع نواحيه خيره وشره ؟ نستطيع أن نهيىء فى المدرسة الجو الذى تنزلق فيه الضمائر والذمم وتستشرى فيه الغرائز ، ونخلق من ذلك فرصة للتهذيب والتقويم وتعديل هذه الغرائز حتى تخرج المدرسة ذمماً نظيفة وضمائر بيضاء ناصعة وغرائز مصقولة مهذبة ، فمثلا التغذية فى المدارس نستطيع أن نجعلها بمثابة « وزارة التموين » فى المجتمع الخارجى فنمكن التلاميذ من تصريف أمور التغذية فى مدارسهم ، ثم ننظر ماذا يفعلون ، وإننى لواثق من أننا سنجد فرصة ذهبية للتربية الروحية العملية الحقة ، وسنجد فرصة ذهبية كذلك للكشف عن كثير من الذمم المعتلة والضمائر المريضة ، وسنتمكن من علاجها علاجا حاسما حتى تخرج على المجتمع نقية كالثلج . .

كذلك نستطيع أن نـكون من التلاميذ مجلسا للقضاء والفصل فى النزاع الذى ينشب بين تلاميذ المدرسة ، ويكون له حق فرض العقوبات اللازمة ، والغرامات المالية المناسبة وبالإشراف الدقيق نستطيع أن نلاحظ كثيرا من النزعات الفطرية الملتوية بين أعضاء هذا المجلس وسنتمكن من تقويمها . . كذلك يمـكن أن نـكون من تلاميذ المدرسة هيئة بوليسية للاشراف على المدرسة وتقصى أخلاق زملائهم والإرشاد عن عيوبهم لإصلاحها وتهذيبها ؛ إلى غير ذلك من الجمعيات والهيئات التى تتيح فرصا للتربية الروحية وتخلق مناسبات حية لدروس الدين . على أن بالمدرسة الآن جمعيات قائمة مثل جمعيات البر والإحسان والجمعيات الرياضية وجمعيات الدعوة والإرشاد ينبغى استغلالها لهذا الغرض

وبعد فمتى كانت التربية الروحية نظرية بحتة ؟ ألم يغلب الله جانب العمل فى العبادات وهى التربية الروحية فجعل الصلاة إلى جانب أنها ذكر ودعاء ؛ قياما وركوعا وسجودا ؟!

وكذلك الجانب العملى أوضح مايكون فى الحج والزكاة والصوم ، ولعلنا نلمس الجانب العملى فى تربية الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار والمهاجرين حين آخى بينهم فكان الأنصارى يقسم ماله وداره بل وأزواجه بينه وبين أخيه المهاجر ! هذا هو المنهج السليم الذى يجب أن تنتهجه التربية الروحية ... أما أن تـكون كلاماً يتلى فهذا ما أشك فى تسميته تربية

محمد على جمعة الشايب

خاطرة

نداء المال ...

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

ما للحياة قد مالت بآمالى ؟! وأين مالى ؟

لقد كنت معتزاً به حتى سميت « صاحب عزة » !

وكنت سعيداً فى جمعه ؛ فغدوت « صاحب سعادة » !

ترى : أنادتنى شقوة المحرومين لأبلو شقاءهم ؟

أم دعتنى بلوة المكروبين لأذوق بلاءهم ؟

حسبى يا زمان !

طالما طال عنقى ، وتطاول حمقى ؛ حتى نزل العنق بين كتفى وكاد يمحى من كيانى ، واسترخى الحمق فى بلاهة ردتنى إلى الحقيقة ، فعرفت ميزانى واتزانى !

كنت أزن المقادير على قدرك ، وأصطنع الجاه فى ظلك ، وأدعى الأصل العريق بأصالتك !

كانت النفلة تركب رأسى ؛ فأتغابى عن الحق ، وأصور الحياة متعات لاهية تملأ لهوات الأطماع !

ما حسبت أن السيادة فطرة الله فتغاليت وتعاليت ، حتى أرخصنى غلوى ، وهبط بى علوى ، وتبصرت حياتى فوجدتنى صفراً بلا آحاد ، بعد أن كنت واحداً يباهى بأصفار على يمينه !

***

يا مالى ! . . .

أناديك وقد طويت كشحك عنى ، كأنك ترد إلى «ضريبة» غرورى . وما جدواى من ندائك بعد أن كبا بى جدى ، وأخلفت الأيام عهدى ؟

يا مالى ! . . .

ليست فيك آمالى ؛ فقد علمت أن الآمال فى خزانة القلب ممثلة فى الرضا ، والقناعة ، والأمن ، والسلامة !

يا مالى ! . . .

كان الشيطان يغرنى ، ويغرر بى ، حتى تركنى فى مزجر الحسرة ؛ فرميت مرمى المهانة !

***

يا مالى ! . . .

ماذا دهانى حتى أعانى ما أعانى ؟

كنت أضع فى مجتمعى حدوداً حتى حددت حيانى ، وكنت أتخذ « بطانة » تبارك ركابى ، فتركت وحدى أقاسى عذابى ! أين ظلال الشخوص التى كانت تظل بشمى وغرورى ؟ وأين مغريات الطغيان لترى بأساتى ومصيرى ؟

***

يا مالى ! . . .

كانت أخيلتى مجنحة ، تحلق بى إلى عالم وهمى ؛ فحسبت الحياة كلها عرضاً يباع بك ، وكنت فى سبيلك أعرض عرضى ، لأحصل على مباغى نفسى الطموح ، وصرت معلقاً بخيوط أوهامى حتى سخرت منى الحياة !

كنت أناجيك « يا مالى » مناجاة التخليد ، فلم يقع فى تقديرى أن قدرى فى يد القدر ، حتى أعجزتنى المعجزة التى أخرست لسانى وألجمت جنانى !

***

يا مالى ! . . .

أمسترد على مجدى ؟ أم أن طول التحسر لا يجدى ؟

كنت أحسب الزمن يداعبنى بملهاة ضاحكة ، لكن تبين لى أن الأضحوكة قد تكون حكمة !

ما ظننت يوماً — يا مالى — أن المحروم المنكد العيش ، سيعتز بحياته ، ويكون صاحب « عزة » أصيلة عن عزتى الدخيلة !

ما حسبت أن مشقوق القدمين الكادح ، سيشق طريقه فى الحياة على عمل جليل ، ونظام متسق ، ووحدة متآلفة !

***

يا مالى ! . . .

لقد غيبتنى الأعجوبة فى غيبوبة المعجب ، وإنى لمسائل نفسى كيف استحالت أوضاع حياتى فى طرفة العين إلى ما أرى من

الجغرافية والسيادة العالمية

للاستاذ مصطفى بعيو الطرابلسى

لا يستطيع الإنسان فهم الحوادث التاريخية وتفسيرها على أصولها الحقيقية إلا إذا عرفنا العوامل الجغرافية التى لعبت دورها فى هذه الحوادث، فالتاريخ والجغرافية علمان لا ينفصلان وإن كان لكل منهما شخصيته الواضحة ، وما أشبه الحوادث التاريخية برواية تمثيلية قد بدأت منذ الخليقة وتعددت فصولها على مر الأيام. وكلما أقبلت الأعوام زاد عدد الممثلين وأشخاص البطولة فيها كل على قدر أهميته . وما أشبه هذا المسرح الذى تمثل عليه هذه الرواية بحوادثها ومغامراتها بالعالم الذى نعيش فيه . وإذا كنا لا نستطيع متابعة حوادث الرواية التمثيلية إلا إذا ألممنا بمسرحها ؛ فكذلك لا نستطيع فهم الحوادث التاريخية وتفسيرها على حقيقتها إلا إذا درسنا مسرحها وفهمنا هذه العوامل الجغرافية التى تحكمت فى هذه الحوادث وسيرتها فى هذا الاتجاه . لهذا كانت للعوامل الجغرافية الأهمية الأولى لدارسى الحوادث التاريخية ولكل من يحاول فهم التاريخ على حقيقته .

نظرة سريعة إلى الكرة الأرضية بنصفيها الشمالى والجنوبى نرى اليابس يسود النصف الشمالى إذ تشغله معظم القارات فى الوقت الذى تسود فيه المحيطات النصف الجنوبى؛ ولهذا كان النصف الشمالى أكثر سكاناً وبالتالى أكثر نشاطاً وإنتاجاً ، ولهذا كان أيضاً مهداً للحضارات الأولى التى خرجت للعالم ومنه خرجت طلائع المغامرين الذين اكتشفوا النصف الجنوبى ومهدوا لفتحه واستعماره ، وهكذا ساد النصف الشمالى النصف الجنوبى ، وهكذا تحكم اليابس فى الماء بفضل كثرة السكان وما يرتبط بهذه الميزة من نتائج لها تأثيرها الخاص .

ونحن أيضاً إذا نظرنا إلى خريطة العالم بنصفيها الغربى والشرقى وجدنا النصف الشرقى معظمه يابس تسوده أكبر مساحة من القارات فى الوقت الذى تسود فيه المياه معظم النصف الغربى . وهنا أيضاً نجد النصف الشرقى قد مثل فى النصف الغربى ما سبق أن رأيناه فى النصف الشمالى والنصف الجنوبى للكرة الأرضية ؛ فالأسباب واحدة والنتائج متشابهة .

وإذا نظرنا إلى العالم من زاوية أخرى وجدنا المناخ يبلغ أقصى برودته فى الأنحاء الشمالية والجهات الجنوبية ؛ أو بعبارة أخرى حول القطبين . لذا كانت هذه المناطق لا تساعد على قيام الحياة وبالتالى العمل على تقدمها ، فسكانها قليلو العدد فى كفاح مستمر لأن الطبيعة قاسية عليهم وتأبى أن تجود بما يوفر لهم الحياة . هم لا يفكرون إلا فى الحصول على القوت الضرورى الذى يمنع عنهم ألم الجوع والملبس الضرورى الذى يقيهم البرد! والمسكن اللازم لحياتهم ، فاتخذوا من شحوم بعض الحيوانات غذاءلهم ومن فرائها ملبساً . ليس لديهم الوقت الكافى للتفكير والانتقال بالإنسانية إلى حالة أكثر رقياً وتقدماً ، وهذا مانلاحظه فى جماعات الأسكيمو فى شمالى أمريكا وجماعات اللابس فى شمالى أوربا . وإذا نظرنا إلى العالم من هذه الزاوية وجدنا المناخ عند خط الاستواء حارا لا يطاق ولا سيما فى السهول الداخلية من القارات . وبقدر ما كانت الطبيعة قاسية فى أقصى الشمال كانت سخية فى هذه المنطقة الاستوائية ، فالغابات الكثيفة بأشجارها وحاصلاتها المتعددة متوفرة . وبقدر ما بثت الطبيعة من نشاط فى سكان الشمال ؛ بثت الخمول والكسل فى سكان خط الاستواء لسخاء الطبيعة ، فهم ليسوا فى حاجة للجد والنشاط للحصول على طعامهم

شجن محترق ، وألم لاذع ، وحسرة موجعة ؟ !

يامالى ! كنت مسحورا بك ، فى إخذة الحب ، حتى أخذت على غرة فلم يبق فى قلبى سوى نداء الأسى !

***

يا مالى ! .. لست مالى .. !

إليك الحرمان فأمتعه ، ودونك الشقاء فأسعده ! لم يبق لى غير خفض الجناح ، بعد أن جنحت زمانا فى آفاق بعيدة عن الإنسانية الفاضلة !

لقد كنت لى حلما ؛ فاذهب إلى من يرون فيك الحقيقة.. حقيقة المساواة فى شريعة العدلة !

بور سعيد أحمد عبد اللطيف بدر

وملبسهم ومسكنهم ، إذ وفرت لهم الطبيعة كل ذلك بالقدر الذى لا يتصوره الإنسان وبالقدر الذى يدفعهم إلى الإفساد وعدم شغل الذهن بالتفكير فى المستقبل وحاجاته . لذا عاشوا فى كسل وخمود عام كما عاش سكان الشمال فى جهد ونشاط مستمر دون أى راحة أو استجمام . ولهذا لا تنتظر أن يكون لسكان الجهات القطبية والاستوائية أى نوع من السيادة التاريخية ؛ فكل منهما مشغول بحالته الخاصة وكل منهما له ما يلهيه عن الانتباه لما يدور حوله من نزاع بين الأمم من أجل السيادة العالمية .

إذن فالوطن الأول للسيادة العالمية هو الجهات المعروفة بمناخها المعتدل الواقعة فى النصف الشمالى الشرقى من الكرة الأرضية . ففى هذه الجهات نشأت الشعوب القديمة ذات الحضارة والسيادة ومنها انتقلت إلى بقية العالم ؛ إذ لها من اعتدال مناخها مايدفعها إلى العمل للحصول على لوازم الحياة دون إجهاد أو إرهاق فوجدت لديها من الفراغ الضرورى ما دفعها إلى التفكير وشغل الذهن بما سار بالانسانية إلى الأمام ، ولها من موقعها الجغرافى ما ساعد على اتصال سكانها فى وقت لم تصل فيه المواصلات إلى ما هى عليه الآن ، وبذلك تم السير بالحضارة الانسانية من حسن إلى أحسن . فى هذه الجهات نشأت الحضارة المصرية والبابلية والأشورية والفينيقية والفارسية والهندية والصينية والإغريقية والرومانية والعربية .

وحتى هذه الحضارات التى سبق ذكرها لم تكن كلها من نوع واحد ، بل اختلفت فيما بينها من حيث الأصول والمميزات والنتائج ، ولا يصعب علينا فهم هذا الاختلاف إذا عرفنا العوامل الجغرافية التى لعبت دورها فى كل منها . فهذه مصر لولا النيل لكانت صحراء ولما كان لأهلها ذكر فى التاريخ . ولولا موقعها الجغرافى الفريد بإشرافها على العالم القديم وتحكمها فى طرق مواصلاته بسواحلها الشرقية والشمالية ما استفادت من غيرها ولا أفادت . وبقدر اتصالها بالعالم الخارجى كانت الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وجنادل النيل فى الجنوب والبحر فى الشمال خير واق لأهلها من الغزو والفتح فى الوقت الذى انصرفوا فيه إلى تكوين حضارتهم فنمت فى أمن ؛ حتى إذا ماشبت تعدت هذه الحدود إلى جيرانها وكونت أول إمبراطورية عرفها التاريخ أيام تحتمس ورمسيس .

وهناك فى أقصى الشرق من القارة الآسيوية نشأت الحضارة الصينية القديمة بعد أن اتخذت حوض يانج تسى مهداً لها ، وكان لها فى الهضاب الغربية خير حماية من خطر غزو القبائل إذا قلت الأمطار فى وسط آسيا ؛ وكان لها أيضاً فى مياه المحيط الهادى باتساعه ما يحميها من خطر الغزو البحرى . ولم تكن اليابان قد ظهرت كقوة بحرية تهدد الصين فى حياتها إلا فى العصر الحديث ، لذا عاش الصينيون فى أمن من الغزو الأجنبى ووجدوا فى خصوبة أرضهم وكثرة إنتاجها ما دفعهم إلى التأمل والتفكير والإنتاج فكانوا خير منتجين ، وكانت فلسفتهم وحكمهم صورة ناطقة بحياتهم الهادئة الوديعة ، حتى إذا شعروا بالخطر يتهددهم من الشمال الغربى وجدوا فى أحجار الهضاب المجاورة لهم خير معين لبناء سد لوقايتهم فأخرجوا لنا سورهم العظيم الذى اعتبر من عجائب التاريخ .

وفيما بين مصر والصين قامت حضارات أخرى .. فهناك فى الهند حيث سهول نهر الكنج ونهر السد بخصوبتها وحيث جبال الهيمالايا المعروفة بارتفاعها وصعوبة مسالكها وجد الأهالى فيها خير مساعد على حمايتهم من الغزو وبرودة الرياح الشمالية ؛ كما وجدوا فى مياه المحيط الهندى التى تحيط بشبه جزيرتهم مثل هذه الحماية ؛ فعاشوا فى أمن وسلام مع شىء من الجد والنشاط ، فأخرجوا لنا فلسفة خاصة كانت حلقة هامة فى طريق الأديان السماوية . ولكن كان لا بد أن تستهدف الهند للغزو والفتح كما استهدف غيرها ، وكان لابد لهذا الصندوق المقفل أن يفتح ويعرض ما فيه على العالم فيختار الأحسن ! ويشاء القدر أن تعجز هذه الجبال التى تحمى الهند من الشمال أمام حيل الانسان وتفكيره فتدخل جنود الإسكندر من ممراتها الشمالية الغربية كما دخلتها جنود الإسلام فيما بعد . وقدر للمسلمين أن يضعوا أساس إمبراطورية عظيمة كانت لهم فيها السيادة على الهند ، ولكن هذه السيادة التى دخلت من ممرات الشمال الغربى ضعفت أمام الاستعمار الأوربى الذى أخذ يطرق أبواب الهند الساحلية فتمت الغلبة أخيراً بعد نزاع بين القوى البرية والقوى البحرية ودخل الاستعمار الإنجليزى الهند بعد أن مهدت لذلك شركة الهند التجارية .

سيادة مصر والصين والهند وبابل وآشور كلها من نوع يمكن أن نطلق عليه « السيادة النهرية » لأن وجود الأنهار فى هذه البلاد كان العامل الأكبر فى نهضة أهلها وإن كان لكل منها طابع خاص حسب ما امتازت به من عوامل جغرافية أخرى. ولكننا هذه المرة أمام شعب آخر هو شعب الفينيقيين الذى شق لنفسه السيادة عن طريق البحر. فالبحر الأبيض المتوسط بموقعه يتوسط العالم القديم، وهو بحر داخلى يكاد يكون مغلقاً لذا كانت مياهه هادئة معظم فصول السنة لا نرى فيه ما نراه فى المحيطات و بعض البحار الأخرى من اضطراب وأمواج عالية. هو صالح للملاحة طول السنة لا تتجمد مياهه كبقية بعض البحار الأخرى. يمتاز بكثرة بحاره الداخلية المتفرعة منه وبكثرة أشباه الجزر والجزر حتى يندر أن يختفى اليابس عن نظر المسافرين فتتولد فى نفوس عابريه روح المغامرة والمخاطرة لشعورهم بالأمن فيه، ولذا كان خير مدرسة لتخريج خير الشعوب البحرية وكان فى مقدمة هذه الشعوب الشعب الفينيقى. وكان للفينيقيين من بيئتهم الجغرافية ما جعلهم أساتذة للبحرية، فبلادهم ذات سهل ساحلى ضيق تشرف عليه جبال عالية تفصلهم عما وراءهم من بلاد داخلية، ولذلك أعطوها ظهورهم واتجهوا بأنظارهم إلى البحر حيث الأفق الذى لا يحد وحيث تجد غريزة حب الاستطلاع مجالا لها فاندفعوا إلى البحر، بكان لهم من مميزاته التى سبق ذكرها ماجعلهم يتفوقون بعد أن أتقنوا فن الملاحة فطافوا بسواحل البحر الأبيض المتوسط وأنشأوا المحطات التجارية فيه وتاجروا بين أقطاره المختلفة. غير أنهم كانوا فى كل ذلك يتخذون من المياه الساحلية طريقا لهم ولم يعملوا على توفير الوقت باختصار المسافات شأن كل شئ فى بدايته، حتى إذا تخرج على أيديهم اليونان فاقوا أساتذتهم فى هذا المضمار وانتقلت إليهم السيادة البحرية لأنهم وجدوا فيها حياتهم فأتقنوها! ذلك أن بلاد اليونان شبه جزيرة جبلية تقل فيها السهول وتكثر بها الجبال والخلجان البحرية والجزر بشكل واضح، فاتخذوا من هذه الجزر والبيئة البحرية معاهد لتخريج ملاحين مهرة بعد أن تلقوا مبادئ هذا الفن على أساتذتهم الفينيقيين، وساعدهم هذا الفن على التغلب على ما فى بلادهم من فقر فاتخذوا من صيد السمك مهنة لكسب عيشهم كما اتخذ فريق منهم السفن وسيلة لنقلهم إلى البلاد الأخرى التى هاجروا إليها لضمان حياتهم فنشروا معهم فنهم وطابعهم الخاص فى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط؛ كما لجأ بعضهم إلى احتراف الجندية فكانوا جنوداً مرتزقة يحاربون فى صف من يضمن لهم الحياة. أما غالبيتهم فقد اتخذت القرصنة حرفة فسادوا البحر وتحكموا فى مسالكه. وهكذا عاش اليونان فى البحر وعن طريقه تملكوا زمام قوته. وكان لابد لهذه القوة البحرية أن تصطدم بالقوة البرية التى كانت هى الغالبة حتى ذلك الوقت، وكانت معركة سلاميس البحرية هى فصل الختام فى النزاع الذى قام بين الفرس واليونان، وكان لابد للفرس من الهزيمة لأنهم أساءوا اختيار ميدان الحرب وأعطوا الفرصة لليونان لإظهار سيادتهم البحرية

ظلت القوة البحرية صاحبة السيادة وظل اليونانيون أصحابها إلى أن ظهر فى هذا الميدان من نافسهم وانتزعها منهم. والحق أن الفينيقيين كما كانوا أساتذة للاغريق كان الإغريق أساتذة لغيرهم، فهم الذين وضعوا نواة نهضة روما التى سرعان ما ظهرت للوجود كقوة لها مكانتها الخاصة لما يحيط بها من ظروف جغرافية ساعدتها على توحيد إيطاليا بزعامتها، فتطلعت للخارج وكبر على نفسها أن تكون سجينة فى البحر الأبيض وهى التى تتوسطه وتتحكم فى حوضه ولها من سواحلها الطويلة ما يجعلها عرضة للخطر، وكان لابد لها من أن تتغلب على ماعداها من دول أخرى منافسة حتى تضمن حياتها، وسرعان ما تم لها الأمر وهزمت قرطاجة واستعمرتها، كما تغلبت فيما بعد على دولة البطالسة وملكت مصر. وهكذا أصبحت روما سيدة البحر الأبيض وحق لأهلها أن يقولوا « Mare Nostre » إلا أن روما فى هذه المرة استطاعت الجمع بين القوتين البرية والبحرية وكان لها فى سرعة انتقال جيوشها ما جعلها تتغلب على أى خطر تستهدف له؛ ولم تأت هذه السرعة إلا عن طريق مد الطرق والاهتمام بها ومازالت بقايا هذه الطرق المعروفه بالاسترادا موجودة فى كثير من البلاد التى قدر لها أن تكون ضمن الإمبراطورية الرومانية كما هى الحال فى الأجزاء الجنوبية الشرقية من إنجلترا. ولم ينبغ الإيطاليون فى فن مد الطرق صدفة بل كان لهم فى طبيعة بلادهم الجغرافية ما جعلهم سادة هذا الفن، ومازالت الشركات الإيطالية تحتل المكانة الأولى

فى رصف الطرق فى بلاد العالم حتى يومنا هذا . وبالنظر إلى شبه الجزيرة الإيطالية نجد روما تتوسط ساحلها الغربى وفى وسطها سلسلة من الجبال العالية تمتد من الشمال إلى الجنوب وتحف بها من على الجانبين سهول طويلة ؛ وقد وجد أهل روما فى هذه السهول وفى أحجار هذه الجبال ما ساعدهم على مد الطرق لربط أجزاء شبه الجزيرة ببعضها ، وهكذا جعلت الظروف الجغرافية إيطاليا المدرسة الأولى لفن مد الطرق ورصفها

ولنترك الإمبراطورية الرومانية وقد أخذت عوامل الضعف تتنازعها وهى فى مجموعها عوامل جغرافية يطول علينا شرحها . ولنتجه إلى الركن الجنوبى الشرقى من البحر الأبيض المتوسط حيث نرى موطناً لسيادة من نوع آخر هى السيادة الروحية ! فى هذه البقعة ظهرت الديانات السماوية جميعها من موسوية ومسيحية ومحمدية ، ولم تكن هذه البقعة صدفة موطناً لهذه الديانات ولم يمنحها الله سبحانه وتعالى هذه الميزة عبثاً ، بل كان ذلك لتوسط موقعها الجغرافى الذى ساعد رسل هذه العقائد وأتباعها على نشر رسالتهم خصوصا ولم تكن سهولة المواصلات فى ذلك الوقت قد وصلت إلى ماهى عليه الآن ، فالإنسان إذا أراد إضاءة حجرة وتوزيع نور مصباحه على أركانها بالتساوى ما عليه إلا أن يختار مكاناً وسطاً لوضع مصباحه فيها ! وهكذا فعل الله فى أرضه فكانت شبه الجزيرة العربية بأطرافها موطنا لهذه العقائد السماوية

زحف الإسلام من المدينة تسنده قوته البرية فاستطاع العرب التغلب على أعدائهم لأنهم أحسنوا اختيار ميدان القتال فكانت الغلبة لهم ! حتى إذا وصلوا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط وجدوا عدوهم قد فاقهم بسيادته البحرية فكان لا بد لهم من الاستعانة بالقوة البحرية لقهر أعدائهم . وقد ساعدتهم البيئة الجغرافية الجديدة على تحقيق هذه الأمنية فاتخذوا من موانى الشام وغيرها قواعد لأسطولهم الجديد حتى إذا كانت واقعة « ذات السوارى » البحرية فى عهد ثالث الخلفاء الراشدين كانت الغلبة لهم وكانت هذه الواقعة خاتمة السيادة البحرية للروم كما كانت موقعة « سلاميس » السابقة الذكر بداية السيادة البحرية لأسلافهم اليونان . وسرعان ما تفوق العرب فى الميدان البحرى واندفعوا فى هذا الطريق حتى تسمى البحر الأبيض المتوسط باسمهم ؛ ولم يقتصر نشاطهم على هذا البحر بل اتجهوا بسفنهم إلى البحار الدفيئة الجنوبية فكانت لهم فيها السيادة كذلك ! وماوصول الإسلام وانتشاره فى جزر الهند الشرقية إلا بقية من نشاط تجارهم الذين سادوا تلك البحار

هكذا لعب البحر الأبيض المتوسط دوره فى نهضة الشعوب وهكذا كان مدرسة لتخريج المغامرين الذين اندفعوا يستطلعون ماوراء أفقه ، فكان كشف طريق رأس الرجاء الصالح وكان كشف الأمريكتين وكان تحول آخر فى تاريخ الإنسانية بهذه الكشوف وكانت السيادة المحيطية بعد أن كانت السيادة للبحار . ذلك أن البحر الأبيض المتوسط أصبح لا يتمتع بما كان يتمتع به من مركز ممتاز بتوسطه بين العالم إذ انتقلت هذه الميزة إلى المحيط الأطلسى فأصبح له الدور الأول فى تاريخ الإنسانية ، وسرعان ماتبع ذلك انتقال السيادة من دول البحر الأبيض المتوسط إلى دول غربى أوربا التى كان لها بفضل موقعها ما دفعها إلى العالم الجديد واستغلاله ، وتشاء الجغرافية أن يصحب هذا التحول فى السيادة تحول آخر فى دعائمها ! إذ كانت سيادة دول البحر الأبيض سيادة تعتمد على الإنتاج الزراعى قبل كل شئ ! وإن وجدت بعض الصناعات فهى لا تتعدى استخراج الزيت وعصر العنب . أما الصناعة بالمعنى الذى نفهمه اليوم فكان ظهورها بظهور دول غربى أوربا وانتقال السيادة إليها . ذلك أن وفرة الفحم والحديد إلى جانب ما تتمتع به من موقع جغرافى بعد كشف العالم الجديد جعلها الميدان الأول للانتاج الصناعى فكان لها الصدارة بين دول العالم ، وكان لابد لهذه الدول أن تحصل على المواد الخام الزراعية اللازمة لصناعاتها وأن تجد الأسواق لتصريف ماتنتجه ، فتسابقت إلى الاستعمار مما أدى إلى التنافس بينها وقيام الحروب ، وماتاريخ دول غربى أوربا فى العصر الحديث إلا سلسلة من هذه الحوادث المتتالية . وكان لابد أن تكون الغلبة للدولة التى تعتنى بقوتها البحرية وتزيد من سرعة سفنها ، فظهرت عابرات المحيطات لقطع المسافات الطويلة بعد أن كانت البحرية لا تعرف إلا السفن الصغيرة والمراكب الشراعية ، وكانت بريطانيا فى مقدمة هذه الدول وكان لها فى موقعها الجغرافى ماجعلها تختط لنفسها سياسة معينة ! فهى متطرفة الموقع بالنسبة للقارة الأوربية لذلك لم تشترك فى المشا كل

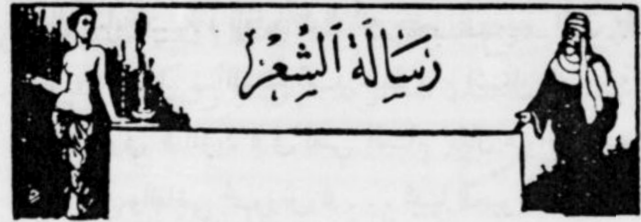
الخارجية إلا بالقدر الذى مس مصالحها ، ولما كانت هذه المصالح قد أخذت تتزايد بمرور الزمن وتتشابك كثر تدخلها فى السياسة العالمية

ولقد كان الموقع الجغرافى للجزر البريطانية المحور الأساسى لسياسة الإمبراطورية البريطانية الذى يمكن تلخيصه فى ضرورة المحافظة على التفوق البحرى وعدم السماح لأية قوة أخرى بالتفوق عليها فى هذه الناحية ! وهى كذلك بموقعها الجغرافى مدينة بانتشار النظام الديمقراطى بين سكانها ، فهى بعزلتها البحرية ليست فى حاجة إلى قوات عسكرية دائمة لحمايتها ، لذلك كانت السلطات الحاكمة تخشى القيام بأى تصرف استبدادى حتى لا تقوم الثورات فى وجهها فتعجز عن قمعها وتعرض حكمها للزوال . ولهذا كانت السلطات الحاكمة تتمشى مع رغبات الشعب وقد وصلت بهذه الطريقة إلى ما وصلت إليه من حياة ديمقراطية ، ولهذا أيضا احتفظت بريطانيا بسياسة التطوع فى سلك الجندية ولم تحاول اتباع النظام الإجبارى للجندية إلا فى الحرب العالمية الأولى حين أجبرتها الضرورة على ذلك وبعد أن ألحت عليها فرنسا ، حتى إذا انتهت الحرب عادت إلى نظامها القديم ولكنها عادت مرة أخرى إلى فرض الجندية الإجبارية فى الحرب العالمية الأخيرة حتى تجابه ما كانت تتطلبه الاستعدادات الحربية

وكان لابد أيضا وقد أصبح المحيط الأطلسى ميدانا للنشاط العالمى أن تسعى الدول وتتنافس فيما بينها لكسب الوقت حتى تروج صناعاتها وتتقدم تجارتها ، فأدخلت التحسينات على وسائل المواصلات البحرية وأوجدت أنواعا أخرى وكان على رأس ما اهتدت إليه فن الطيران واختراع الطائرات ، فبدأت القيادة الجوية تلعب دورها فى التاريخ بعد أن بلغت السيادة البحرية أوج عظمتها فى دول غربى أوربا ، وكان العالم الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية خير ميدان لهذه السيادة الجوية التى أثبتت وجودها فى الحرب العالمية الثانية كعامل فعال فى إحراز النصر . وبفضل ما أنتجته الولايات المتحدة الأمريكية من سلاح جوى واختراع للقنبلة الذرية استطاع الحلفاء إحراز النصر وأن يتنفسوا الصعداء بعد أن كاد الإجهاد يلحق بجنودهم لطول الكفاح وصمود العدو العنيد المستميت

هكذا كانت العوامل الجغرافية من توزيع لليابس والماء والحرارة والبرودة ووجود للأنهار والبحار والمحيطات والغلاف الجوى المعز الأول للسيادة العالمية والحوادث التاريخية وفى دراسة أثر هذه العوامل فى الإنسان دراسة للتاريخ البشرى على حقيقته ، ولهذا يحسن بنا أن نقسم العصور التاريخية ، على أساس العوامل الجغرافية التى كان لبعضها الأثر الواضح دون سواه فنقول مثلا : عصر اليابس وعصر الأنهار وعصر البحار وعصر المحيطات وعصر الهواء .. كما يقول المؤرخون : عصر ماقبل التاريخ والعصور التاريخية والعصور القديمة والعصور الوسطى والعصر الحديث والزمن المعاصر

مصطفى بعبو الطرابلسى



من وحى الشتاء

أين المفـــر ؟!

مهداة إلى اللاجئين

للأستاذ هارون هاشم رشيد

هتف الموت وهو ناب وظفر لا مفر ، .. من قبضتى لا مفر
وعوت تصرخ الرياح وهبت عصفات جوحـة لا تقر
والرعود الرعناء ملء فم الكو ن دوى على الفضاء وزأر
فإذا الرحمة استحالت بلاء وإذا الكون واجم ؟. مكفهر
وإذا الماء جامح يغمر الأر ض ويطغى جوحه المستمر
رب أم حنت على طفلها البكـ ر وضمته وهى خوف وذعر
ألصقته بصدرها خشية الموت وهل يدفع المنية صدر ؟!
وعجوز هوى الجدار عليها فإذا بيتها المهدم قبر .. !
ويتيم ... قضى أبوه شهيدا فهو من بعده دموع وقفر !
هدمت فوقه العواصف بيتا هو فى واقع الحقيقة جحر
وفتاة مكلومة القلب تبكى فقد خدر وما حواه الخدر
وصغار مشردين بلا أهل تراموا على الطريق ومروا
وكثيرين قد أفاقوا حيارى ما لهم ملجأ ولا مستقر
هتفوا بالسماء أن تحبس الغيـــث وهيهات أن يغيض بحر
ليت شعرى أين الذين رموهم فى جحيم من العذاب وفروا ؟!
أين من صوروا بيوتا من الطين وقالوا : هنا يطيب المقر !؟
هم مقيمون فى الديار نشاوى ونداماهمو حسان وخمر
ومئات من الجنيهات قالوا : هى أجر لما أتوه وشكر
وهم المجرمون قد جلبوا الشر وقالوا : بأن ذلك خير
نسل « جونبول » هؤلاء فمنهم غمر الظلم شرقنا والنكر
إنهم يضربون فى ظلمة الليل وقد مزق الدياجير فجر
الشعوب استفاقت اليوم يهدى خطوها للعلا والحق ثأر
فأسود فى أرض مصر تنادى أيها (مصر) درة الشرق مصر
سوف تلقى بالظالمين إلى البحـــر ويسمو بها إلى المجد نصر
أيها المسلمون قد جمح الباغى فنى سمعه عن الحق وقر
أنقذوا ، أنقذوا البقية منا فهنا الموت جاثم مستقر

غزة — هارون هاشم رشيد

سطور من دم

للأستاذ زهير مرزا

أى جرح يضوع عطرا وندا فالثرى مشرق الأديم مندى
والوجود المفجوع هلل تكبيـــرا ونادى الأمجاد وفدا فوفدا
والأهازيج عمت الأفق إلا شهقات .. لم تقو أخذا وردا
شرقت بالدم الذكى تلوى أفعوانا على الثرى يتبدى
خضب الأرض يكتب اليوم فيها أسطرا لن تبيد طمسا وفقدا
كل مالم يخط بالدم تمحو ه الليالى مهما تطاول عهدا

***

سائلوا السفح عن فتى يعربى كان ملء الزمان قلبا وقدا
يمم الأمس ساحة المجد شبلا وطوى بلقما وحزنا ونجدا
فى حناياه حفنة من شعور لم تطق أن ترى المسود عبدا
فاستعدت من « الشهادة » إيما نا .. ومن حقها المهدد أيدا
فزعت للجهاد سكرى كما يفـــزع لله مؤمن ثاب رشدا
ورأت فيه مدفنا هو أجدى من حياة جبينها يتندى
والذى أشرب الشهامة طفلا ليس يرضى بأن يعفر خدا ..

***

أزفت ساعة النضال .. وماج الجـــحفل البحر بالبطولات يحدى
وتوالى على النفوس صراع أكبر الدهر ما رأى وتبدى
مثلما عزت النفوس تراها تدفع الموت بالمناكب صدا
وتداريه ، حيلة ، وهى منه قاب قوسين .. والخديعة أجدى
وارتمى الشبل فى النهار وقد جر د سيفا يضئ وجها وزندا
وانثنى .. بين ناظريه بقايا بقع من دماء عز تصدى
وتراءى مبعثر الجهد جبـــارا يكاد القرضاب يضرب فردا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

التقيت في ندوة « الشورى » بالسيد عبد القادر المغربي وكيل المجمع العلمي في دمشق وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فقد جاء مصر لحضور دورة المجمع اللغوي ، الذي انعقـد يوم الاثنين الماضي ، وقد لقيت « المغربي » فتيا كأنما هو في الشباب وليس في سن التاسعة والثمانين ...

كانت ضحكاته وطريقته في الحديث ، ونظراته ، تنم عن نفس ما تزال شابة فتية ، فإذا ذكرنا أنه حضر إلى مصر لأول مرة عام ١٩٠٥ ليعمل مع الشيخ محمـد عبده ، ثم اشتغل بالصحافة ، وبدأ عمله في « المؤيد » في نفس العـام بمقال عنوانه « مصر ومراكش والقاضي شمهورش » . . . عجبنا للحيوية التي أفاضها الله على الرجل العلامة .. الذي يحضر إلى مصر بالطائرة . . .

وكالعهد بالذين يزورون ندوة « الشورى » ، وكلهم مشردون ومجاهدون ورجال كافحوا الظلم ، لقينا السيد عبد القادر المغربي ، الذي هاجم الاستبداد في فجر النهضة ، ووقف مع شكيب أرسلان وعبد العزيز جاويش يهاجم الملك حسين في جريدة الشرق . . في اتجاهه نحو انفصال الترك عن العرب

وقد حدثني السيد المغربي بأنه اضطر بعـد هجرته إلى مصر هربا من الظلم والاستبداد ، ثم بعد عودته على أثر إعلان الدستور العثماني وخلع عبد الحميد ، إلى أن يتحول من الإصلاح الديني إلى الإصلاح اللغوي

وفي هذا الصدد سمعت السيد البشير الإبراهيمي الزعيم الجزائري يتحدث إليـه فيقول إنه كان يلتهم كل ما يكتبه في اللغة ، وأنه ترك في الدراسات اللغوية أثراً ضخما ، ووصل إلى قمة التقدير حينما قال له : إن السطر من هذه الـكتابات يساوي مجلداً ...

والسيد عبد القادر المغربي هو حفيد البطل المجاهد «درغوس» الذي استشهد في الحرب العثمانية في موقعـة « مالطة » ودفن في ليبيا ، ويطلق على ضريحه هناك (طرغود رئيس) وقد هاجرت أسرته إلى الشام منذ ٢٥٠ سنة

وقد كتب السيد عبـد القادر المغربي في مجـلة البينات الجزء الأول سنة ١٩٠٧ فصلا مطولا عن برنامج الإصلاح الإسلامي ، ما يزال حتى اليوم مرجعاً للدعاة والعاملين في هذا الحقل

وقد شهد السيد المغربي خلال حياته الطويلة المبـاركة ، التي نسأل الله أن يمد فيها ، حلقات النهضة العربية والإسلامية منـذ فجرها على يد جمال الدين الأفغاني حتى الآن ، فهو لذلك من أقدر من يؤرخها ويصور زواياها المختلفة ، وقد طلبت إليـه ذلك غير أنني لقيته معرضاً عن هذا الاتجاه .

وقد اكتفى بتلك الرسالة القصيرة التي كتبها عن « جمال الدين الأفغاني » .. ونحن باسم المقدرين لأدبه وفـكره نعاود الرجاء في

فإذا أن يمنة من تردى ما لها يسرة فشتت حشدا
ضاع منه صوابه حين دوت زأرة الليث خر إذ ما تردى
وتلوى يجمع اليوم أحشا ء ليمضي أشد ما كان حقدا
غير أن اليد التي خلدته لم تخنه ، لـكن تداعت ،فأودى
حسبوه ما زال ينضح عزما من بقايا لما ترل تتحدى
أكبروا أن يخر فاقتحموا المو ت يفدونه وما كان يفدى
غير أن الأذى يجر أذاة والبطولات للبطولات أهدى

***

كفنوه بثوبه ودمـاه ثم عادوا بحفنة منـه تندى
وطووا جرحه على النصر والمجـــد .. وأعظم به على الدهر مجدا
ورأوا في مصيره (نقطة البد ء) فصاغوا من(الشهادة) مبدا
والذي شبع العقيدة والإيمـــان شيمه ، فالحفيرة أجدى
وانظر الناس تلق في كل جيل ملحدا صاغ من دياجيه لحـدا
قل لمن بات في الحياة وحيدا إن هذي الحيـاة تنبض رفدا
نقل الطرف في مفاتنها الغر ونُد حقدها ولا تبق نأدا
واشتر المجد بالدماء فإن أغـــلى فزده فقـد أنالك خلدا
كل ما لم يخط بالدم تمحو ه الليـالي مهما تطاول عهـدا

دمشق زهير ميرزا

أن يكتب تاريخ هذه النهضة بقلمه الرصين ، ولا يضنن على التاريخ بتسجيل مشاهدات معاصر قد تفيد كثيراً فى كتابة التاريخ . .

اتجاه الريح

أعجبنى تصوير الأستاذ « وديع فلسطين » للمفكر فى هذه الأيام حيث يقول فى جريدة الإنذار : « الأديب فى مصر محكوم عليه بالفاقة المبرحة حتى يهجر الأدب ، والصحفى الشريف فى مصر حتم عليه أن يشرب المر حتى يهجر الصحافة

والفكر فى مصر يبقى دائماً هدفا للريبة والشك حتى يتخلى عن تفكيره . والكاتب فى مصر يبيع أثاث داره قبل أن يطبع كتابا من كتبه ، والشاعر فى مصر بائس حتى يترك الشعر ، والثقافة فى مصر محنة لأن الناس عنها معرضون ، فتجارة الكتب إلى بوار ، والأدب السمين ليس له طلاب ، والناس لا تقرأ إلا قصص الجان ، ومغامرات الفرسان ، وفضائح الملك السابق ، وتخريف المخرفين والهازلين »

وتلك كلمات صادقة ، لأنها صادرة من قلب مأزوم . إن الأستاذ وديع صحفى وأديب ومثقف ، وقد عمل طويلا . . وكان كبير الأمل فى أنه يستطيع أن يخدم بلاده عن هذا الطريق ، غير أنه أحس بأن عليه أن يتخذ طريقاً آخر . ويبدو أنه مع الأسف الموجع قد ودع الصحافة والأدب بعد أن شعر بأنهما لا يكرمان المجاهد العامل إلى العمل فى الميدان الاقتصادى ...

تحول فى الاتجاه العام

الأستاذ إبراهيم المصرى كاتب موفق ، وهو أستاذنا منذ كان يكتب فى الصحيفة الأدبية فى البلاغ عام ١٩٣٠ ، وأذكر أنه أرسل إلىّ ذات مرة وكنت فى الريف يطلب إلىّ أن أرسل باسمه كل ما أريد نشره فى البلاغ

وفى مقاله الأسبوعى فى أخبار اليوم هذا الأسبوع عبارات قوية ، تصور مدى التحول الذى وصلنا إليه أخيراً بعد أن اجتزنا فترة الانتقال الطويلة المريرة

وخلاصة ما يقول الأستاذ إبراهيم المصرى :

أولا : أن التعصب الثقافى قد استفحل فى نفوسنا إلى حد أن أصبح تحقيق التفاهم بين عناصرنا المثقفة أمراً عسيراً شاقا

ثانياً : تضاربت الميول والأهواء بين من تلقوا العلم فى إنجلترا أو فرنسا أو أمريكا

ثالثاً : علينا أن نجعل ثقافتنا عالمية ، فنقدس الفكر نفسه ، لا الفكر الممثل فى ثقافة معينة ، وأن نقدس الفكر الحر لا الفكر المقيد بوجهات نظر خاصة

رابعاً : الأخذ بثقافة معينة ضرب من العبودية الفكرية سرعان ما تنتهى إلى عبودية سياسية واقتصادية

خامساً : علينا أن ننهل من شتى ثقافات العالم ، وعلينا أن ندرك أن ثقافة الهند والصين لا تقل عن ثقافة الفرنسيين والإنجليز

وهذا الذى يصوره الأستاذ إبراهيم المصرى هو لا شك « نقطة التحول » فى ثقافتنا الحديثة فى الشرق ، فقد انتهى الزمن الذى كنا نؤمن فيه بالثقافة الغربية ، أو الحضارة الغربية على أنها شىء مقدس . ولقد دب الشك فى قلوب القوامين على هذه الحضارة أنفسهم ، فلم يعد بد من أن نتحرر ونتحرز ، ونستخلص ونوازن ، وألا نتعصب لها ، وأن نأخذ منها ما يزيد كياننا الشرقى قوة ويدفعنا إلى الأمام ، ونحن متحررين ، لا مقيدون

الأدب السورى فى طريق النهضة

تحدث الأستاذ سامى الكيالى صاحب مجلة الحديث الحلبية فى الإذاعة المصرية عن الحركة الفكرية فى سوريا فقال : إن ما نشر حتى الآن من الإنتاج السورى قليل بالنسبة لما فى خزانات الكتب . وأضاف بأن المجمع العربى ، والمعهد الفرنسى للدراسات قد قاما بطبع عشرات الكتب الأدبية والتاريخية وبعض دواوين الشعر والمؤلفات المترجمة فى شتى الميادين من الأدب والتاريخ ، وأشار إلى أنه إذا كان الجانب الأدبى أغلب على الأدب فرجع ذلك إلى « أننا لا نزال فى بدء حركتنا الفكرية ولأنه ألصق بالنفس من سائر فروع العلم »

وعندما تناول أثر النزعات الأدبية الغربية فى الاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى السورى قال « لا نكران أن سوريا بعد أن ظلت فى غيبوبة تحت حكم العثمانيين قد استيقظت على ماضيها وهو ماض ملىء بالأمجاد ، وهى حريصة على ذلك التراث الضخم ، وراغبة أن تظل وثيقة الاتصال به وأن تستلهمه فى كثير من منازعها »

ثم أضاف قوله « وإن ذلك لم يمنعها من أن تلتفت إلى الغرب

وأن تأخذ عنه وأن تسير مسرعة الخطى فى ركابه »

وقال الأستاذ الكيالى « إن سوريا مأخوذة بحضارة القرن العشرين ، الحضارة التى ابتدعتها أوربا وصقلتها أمريكا ، وهى تعيش فى ظل ما ابتدعته ، تقرأ أدب الغرب وعلمه وفلسفته ، وتقبس منه ، وتتهذب بشتى مذاهبه ، ولكن الحضارة الغربية التى كانت تنزل منزلة القداسة من نفس السورى قد تزلزل إيمانه بها أو كاد ، وأخذ يكفر بقيمتها الروحية بعد ما شاهده من هدر الكثير من المبادئ والمثل العليا

وأضاف قوله « أن الأدباء السوريين يجارون مفكرى الغرب فى مناهجهم ، ويقبسون من علمهم ، وفنهم ، ولكنهم يحذرون كل الحذر من أن ينصهروا فى البوتقه الغربية ، وهم إذ يعالجون القضايا ، يعالجونها بروح إيجابية حذرة مشدودة إلى الماضى الذى أبدع الحضارة العربية

« وهم مع تطلعهم إلى المستقبل لا يقطعون صلتهم بالماضى ، بل لهم من الماضى هذا الحافز القوى ، ممثلا فى صور أولئك المغامرين الذين فتحوا الدنيا القديمة »

وأشار الأستاذ الكيالى إلى ظاهرة واضحة فى الحركة الفكرية فى سوريا وهى أنه لم تبدأ بعد المرحلة التى يستطيع فيها الأدب السورى أن يعطى كما يأخذ ، وأن إنتاج سوريا الأدبى لم يصدر بعد إلى الخارج ولم يترجم إلى لغة أجنبية ؛ ذلك لأنه — فى رأى الأستاذ الكيالى — لا يزال ضعيفا

وختم حديثه بقوله ... « إن الأدب السورى اليوم ينفض عن نفسه غبار السنين ويسير سيرا وئيدا ، ولا عليه أن يتعجل الزمن ، ولكن المهم أن يتسم بطابع الخلود ... ولن يطول الزمن قبل أن يعطى أعظم الثمرات »

هذه خطوط سريعة لمحاضرة الأستاذ الكيالى ، ونحن نرى أن الأستاذ كان متواضعا غاية التواضع ، فالأدب السورى بعيد الجذور فى تربة الأدب العربى الحديث ، هذا الأدب الذى بدأ فى المهجر على يد جبران والريحانى ونعيمه وغيرهم ... ثم مد جناحيه على سوريا ولبنان فى صور أولئك الكتاب النابهين الذين نقرأ لهم أمثال كرم ملحم كرم وألبير أديب وسامى الكيالى ومارون عبود ، وغيرهم وغيرهم

أمين الرافعى

يصادف موعد صدور الرسالة اليوم (٢٩ ديسمبر) ذكرى « أمين الرافعى » فحق على الرسالة أن تحيى هذا الكاتب العظيم الذى توفى فى هذا اليوم سنة ١٩٢٧ وترك من ورائه ذكراً يعبق بالعطر القدسى ، ويرسم صورة للبطولة المثالية فى ميدان الأدب والفكر والصحافة والسياسة

ولسنا الآن بصدد الحديث عن شمائل هذا الرجل العظيم ، الذى عاش مؤمنا بفكرته ، مجاهداً لها ، فى وقت كانت سحب الظلام تغمر كل مكان .. ولكننا نرجو فى هذه المناسبة أن يتفضل شقيقه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فيتيح لنا الفرصة للقيام بواجب الذكرى نحو الكاتب الكبير ، فهو وحده صاحب المفتاح الأول فى تخليد ذكرى شقيقه

رسالة الكاتبة مليحة

وصلتنى فى اللحظات الأخيرة ، رسالة مطولة من الكاتبة العراقية النابغة « مليحة » ... تتحدث فيها عن الأدب النسوى وتعارض رأى الكاتبة المصرية « ليلى مسلم » ... وأرجو أن أفصل القول فى الموضوعات التى عرضت لها كاتبة الرافدين فى العدد القادم ...

أنور الجندى



باكستان لاغير

قرأت فى عدد الرسالة (١٠١٥) كلمة قيمة للأديب الباكستانى محمد كاظم سباق. يذكر فيها أن الأدباء والكاتبين ليسوا على رأى واحد فى جواز تحلية كلمة « باكستان » بالألف واللام فيقال (الباكستان) أو امتناع هذه التحلية فيقال باكستان لا غير، وذكر أن قواعد النحو العربى تمنع صرف هذا الاسم للعلمية والعجمة، وبناء على هذا لا يجوز عربية أن يعرف بأل. ثم طلب فى ختام كلمته إلى أحد أساطين النحو فى بلاد العروبة أن يفصل فى هذه المسألة بحكم قاطع يرفع هذا الخلاف، حتى تكون باكستان محل وفاق لفظا، كما هى فى حقيقتها محل اتفاق وائتلاف. هذا ويسرنى أن أجيب الأديب الباكستانى عما طلب. فقد راجعت كتب النحو المعول عليها قديما وحديثا مثل شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، وشرح ابن يعيش على مفصل الزمخشرى، وشرح السيرافى على كتاب سيبويه وغيرها من كتب القواعد، فلم أجد أحدا من علماء العربية أجاز إدخال (أل) على مثل هذا العلم من الكلمات التى نطق بها العرب على لفظها الأعجمى. والمراد بالأعجمى ما خالف لغة العرب لا خصوص اللفظ الفارسى. سواء فى هذا أعلام النواحى وأعلام البلاد أو غيرها. من ذلك أزربيجان وخراسان وسجستان وجرجان وأصبهان وتركستان. فهذه الكلمات وأمثالها يمتنع تعريفها بالألف واللام لأنها معارف بالعلمية ولا يجتمع فى الكلمة معرفان. إذا تقرر هذا علمنا أن باكستان بدون أل هو الصواب ليس غير

عبد الحميد عنتر

النهلستية ليست الفوضى

جاء فى مقال الدكتور عمر حليق المنشور فى العدد ١٠١٤ من « الرسالة » الغراء ما يلى:

« ... ومن هنا يفسر علماء النفس الاجتماعى تقبل العقلية الروسية للمبدإ الفوضوى (النهلستى) ... »

أما أى الكلمتين أصح، الفوضى أم الفوضوى، فنترك البت فى ذلك للعلامة اللغوى الأستاذ أحمد حسن الزيات (١). ولكنى وددت أن ألفت نظر الدكتور إلى أن الفوضوى غير النهلستى. وما دمنا نبحث بحثاً علميا فينبغى ألا نخلط بين كلمتين، تكون كل منهما مذهبا سياسيا لوحده، كان له أنصاره ومشايعوه، وأعداؤه ومناهضوه

فكلمة فوضوى مأخوذة من المذهب المسمى فى اللغة الفرنسية Anarchie وقد عرفه قاموس لاروس بما ترجمته:

« نظام سياسى واجتماعى ينمو فيه الفرد بحرية، متحرراً من كل وصاية أو ولاية Tutelle حكومية؛ أو هى حالة شعب لا رئيس له، وحيث السلطة الحكومية مغلولة أو معطلة أو هو اضطراب وفوضى. »

وجاء فى هذا القاموس تعريفا لكلمة النهليستية Nihilisme ما ترجمته:

« إن الكلمة مأخوذة من Nihil اللاتينية التى تعنى التلاشى Rien والعدم وإلغاء كل شئ. وإنكار كل اعتقاد ... »

وكذلك ورد فى قصة الكاتب الروسى تورجنيف (الآباء والبنون) Peres et enfants، التى نقلتها إلى العربية والأستاذ ذا النون أيوب، شبه هذا التعريف، أنقله كما ورد فى النسخة الفرنسية ممزوجاً بالحوار:

Nihiliste, fit nicolas
Ce mot autant que j'en puis ju ger, vient du laiinnihil, qui veut dire rieu

وعرف كلمة Anarchisme أنها رأى أو نظرية الفوضويين Auarchistes فما رأى البحاثة الدكتور عمر حليق؟

أكرم فاضل

(١) (الرسالة) الاسم المقصور الرباعى الساكن الثانى كفوضى ينسب إليه بحذف الألف أو بقلبها واوا

طه حسين بين الأدب والسياسة:

قرأنا تحت عنوان « طه حسين بين الأدب والسياسة »

بالعدد الرقيم ١٠١٥ من الرسالة ما كتبه الأديب عبد اللطيف فايد معقبا على ما كتبه كاتب من الكتاب فى صحيفة المصرى مفتريا على الحقائق عن علم وعمد ، ثم تعليقكم كذلك وقد دافعتم عن الحق وأنصفتم مستحق الإنصاف .

وأرجو أن تسمحوا لى بأن أعلق على ما كتبه هذا الكاتب.

فأقول : إن هذا الكلام لم يكتب عن ايمان ولا اقتناع ؛ ولا هو كتب كذلك عن جهل ، بل كتبه عن علم وعمد بأنه يخالف الواقع وحقيقة الحال مخالفة صارخة ، بل إن هذا الكلام قد كتب عن هوى آثم . فالذى يتصدى للكتابة فى الصحف عن العلوم والفنون وعن الأدب والأدباء لا يمكن أن يجهل حقيقة طه حسين ولا أن يكون مقتنعا بمثل هذا الذى تضمنه المقال. وليس ذلك فى مصر فحسب بل فى الشرق كله . ولا تحسبنا مبالغين إذ نقول أنه ما من أديب أو ناقد اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها يجهل حقيقة طه حسين ويمكن أن ينساق الى ما انساق اليه الكاتب فيصف الأستاذ العميد بمثل ما وصفه الكاتب

ورأيى أن المقال كان جديرا بأن يهدر جملة ولا يعلق عليه ولا يشار إلى كاتبه برغم أنكم صححتم الأوضاع واعترفتم لصاحب الفضل بفضله وسجلتم صفحة فخار مجيدة لعميد الأدب ، فاعتقادنا الكاتب بمقاله أراد شيئا غير ماتضمنته عباراته من كلمات ومعان ، أراد به أن يشير معركة أدبية يكون هو بطلها ! ولا عليه أن يكون ذلك على حساب رجل ظاهر الفضل كريم عف القلم عف اللسان . وثمة نفوس تستهويها الغاية ولا تعبأ بالوسيلة

ألم يبلغ علم الكاتب أن طه حسين كان الكاتب المضطهد فى عصر الملكية وأنه كان يسافر إلى الخارج فيحال بينه وبين العودة إلى الوطن وتشترط فى سبيل عودته الشروط

ألم يبلغه أن طه حسين كان يكتب فى كبرى صحف مصر فتتدخل السراى ـ أو يتدخل أذنابها ـ ليحال بينه وبين هذه الكتابة ، وأن اللجان المختصة كان يقع اختيارها على كتبه لتقرأ أو تدرس فى المدارس أو تكون محل تقدير فيتدخل كذلك ليحال دون هذا الاختيار أو يحال دون تنفيذ القرار ؟

كان على الكاتب أن يتقى الله فى الناس . فطه حسين مثل يحتذى فى الإصرار على الحق والثبات على المبدإ والاعتزاز بالكرامة

ولعل من اليسير أن يعلم الناس ـ فما بالنا بالأدباء والنقاد والكتاب ـ أن انضمام الدكتور طه حسين إلى الوزارة الوفدية كان لها نصرا بل كان لها فخرا . وقد سعت إليه كل السعى وهو قد قبلها تحت تأثير فكرة واحدة هى تنفيذ السياسة التى يعتنقها فى التعليم ؛ وبرغم حرصه على تحقق فكرته ومنهاجه فإنه لم يسع إلى الوزارة أبدا . وقد كان بين أفراد قلائل لم يفسدهم الحكم ولا غير من طبعهم المنصب . وأخيرا لقد كان واحد اثنين أثنى على عملهما يوم أقيلت الوزارة الأستاذ الكبير الزيات .. والزيات كما يعلم الناس يزن ألفاظه بميزان غاية فى الدقة وغاية فى الحساسية وشهادته شهادة حق وعدل

وبعد فهذا هو طه حسين كما هو وكما يعلمه الناس .. فليبحث كاتب المقال عن شىء آخر يلفت به نظر الناس إليه

بالاسكندرية **محمود وصيف**

الوجبة قديما وحديثا

الوجبة عند العرب : الأكلة ونحوها كل يوم وليلة. يقولون : أكل وجبة إذا أكل مرة واحدة فى كل أربع وعشرين ساعة ولا يقولون أكل وجبتين أو ثلاث وجبات فى اليوم . وأما الآن فنستعمل الوجبة فى كل أكلة فى أى وقت من أوقات الفطور أو الغداء أو العشاء فيقولون تناول وجبتين أو ثلاث وجبات فى اليوم وتناول وجبة الفطور أو الغداء أو العشاء : وهذا الاستعمال صحيح وإن خالف الوضع العربى لأن العبرة بعلة التسمية ؛ ألا ترى أن العرب سموا الأكلة الواحدة فى كل أربع وعشرين ساعة وجبة لأنها قد وجبت أى حقت وثبتت ولزمت وحلت وجاء ميعادها وهم حددوه بيوم وليلة . ونحن سمينا الأكلة الواحدة كل

ست ساعات مثلا وجبة لما سبق فالعلة واحدة وهى الوجوب أى حلول الميعاد ، والخلاف محصور فى التحديد والتعيين وهذا لا يؤثر فى صحة الاستعمال . ألا ترى أن (الحاجب) قديما هو بواب الملك أوالخليفة وكان موظفا كبيرا له شأنه ، وهوالآن عبارة عن بواب لموظف كبير ، وهو معدود من الخدم والسعاة ! وعلة التسمية متوفرة وهى الحجابة والحراسة وإن تفاوتت اصطلاحا ولا معارضة فى الاصطلاح الحديث خصوصا إذا كان لا ينافى الاصطلاح القديم .

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي



هدية رأس السنة

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم الأديب سعد رضوان

تناول جاك دى رايندال عشاءه ثم صرف خادمتـه وجلس يحرر بعض الرسائل فقد كانت عادته دائما فى نهاية السنة المنصرفة أن يجلس وحيدا يكتب رسائل وهو يحلم متخيلا كل ما حدث له فى السنة الماضية ، فإذا ما تذكر صديقا خط له بضعة أسطر مهنئـا إياه بالعام الجـديد ، ولهذا جلس الآن إلى مكتبه ثم فتـح درجا وأخرج منه صورة لامرأة حدق فيها قليلا ثم قبلها ووضعها بجوار الورقة وشرع يكتب :

« عزيزتى إيرين :

لا شـك أنك تسلمت كتاب التهنئة الذى أرسلتـه إليك ولـكنى قد حبست نفسى فى هذا المساء لأخبرك ... »

وتوقفت الريشة عن الـكتابة وقام جاك ليسير جيئة وذهابا لقد حلت به فى العشرة أشهر الماضية مصيبة — ليست كمصائب الآخرين من المخاطرين أو المثلين أو المتشردين — ولـكنها امرأة أحبها واستولى عليها

وجاك ليس صغيرا برغم أنه يبدو شابا ، كما أنه ينظر إلى الحياة نظرة جدية مطلقة ، لهذا أخذ يزن غرامه ، كما كان يزن كل عام صداقاته القديمة والجديدة والأعمال التى مرت به وكذا الرجال الذين دخلوا حياته

لقد خبت جذوة غرامه الأولى ، ودقق مع نفسه كما يدقق التاجر عندما يضع حساباته فأخذ يسألها : ما هى ميوله نحوها . وحاول أن يخمن ما ستكون عليه فى المستقبل فوجد فى نفسه أثرا عظيما وعميقا هو مزيج من الرغبة والشكر ومن آلاف من العواطف الأخرى التى تأتى عند انتهاء الربيع

وأفاق على دق جرس الباب فتردد فى أن يفتح ، ثم قرر أن المرء فى عيد رأس السنة يجب عليه أن يدخل الطارق أيا كانت شخصيته ، لهذا أخذ شمعة واخترق الصالة ثم شد الترباس وأدار المفتاح ... فرأى حبيبته واقفة أمامه مستندة بيديها على الحائط وهى صفراء كالميتة فسألها :

« ماذا حدث ؟ »

فأجابت : هل أنت وحدك ؟

فقال : نعم !!

فقالت : ولا ؟

فقال : ولا خدم نعم !!

فقالت : ألست خارجا ؟

فقال : لا !

فدخلت الشقة كالمعتادة على الدخول فيها ثم اتجهت إلى قاعة الاستقبال حيث ألقت بنفسها على إحـدى الأرائك ، وغطت وجهها بيديها وانفجرت فى البكاء ، فركع بجانبها وحاول أن يرفع يديها من على وجهها ليرى عينيها وهو يقول ، « إيرين ، إيرين ، ما الذى حدث ؟ أتوسل إليك أن تخبرينى عما جرى ؟ »

فأجابت وهى تتشنج ، « لا أستطيع أن أظل هكذا »

ولم يفهم فسأل ، « كيف ؟ »

— نعم ، لا أستطيع أن أعيش هكذا .. فى المنزل . إنك لا تعلم .. إننى لم أخبرك .. إن هذا فظيع .. لا أستطيع أن أستمر .. لقد قاسيت كثيرا .. لقد ضربنى الآن ...

— من ؟ زوجك ؟

— نعم زوجى

— آه ...

ودهش كثيرا فلم يكن يظن أن زوجها وحش ، فهو رجل مجتمع ، من أحسن العائلات ، وهو رجل أندية ومن المترددين على سباق الخيل وعلى المسرح ، وهو معروف وله قدره فى كل مكان لأخلاقه الحسنة وبديهته الحاضرة وذكائه ولتقبله النقد بصدر رحب . هذا إلى جانب عنايته بزوجته واهتمامه برغباتها وبصحتها وملابسها وبكل ما يتعلق بها ، وهو يمنحها الحرية التى تطلبها ويرحب براينِدال باعتباره صديقا لزوجته ككل الأزواج المؤدبين.. إن راينِدال لم يكن يظن أن العواصف تدخل هذا المنزل لذا دهش كثيرا لهذا الحدث غير المتوقع وسأل « كيف حدث هذا ؟ أخبرينى ... »

وقصت إيرن عليه قصة طويلة .. قصة حياتها من يوم أن تزوجت . . وقصة الخلاف الذى بدأ بسيطا ثم اتسعت هوته مع الأيام فكثر شجارهما إلى أن انفصلا وإن لم يظهرا شيئا لأحد ، ثم تحول زوجها إلى وحش مجنون وهو الآن يغار عليها منه ، واليوم قد ضربها لأجل ذلك بعد شجار عنيف ...

وختمت قصتها مؤكدة ، « إننى لن أعود ، ويمكنك أن تفعل بى ما تريد »

وكان جاك قد جلس أمامها وقد تلاصقت ركبتاهما فأمسك يديها بيديه وقال : « يا عزيزتى ، يا صديقتى العزيزة ، إنك تقدمين على غلطة كبيرة.. إذا أردت أن تتركى زوجك فاجعليه هو المخطئ حتى يكون مركزك كامرأة لا غبار عليه فى المستقبل »

تحدقت إيرن فيه بعيون قلقة وهى تسأله : « وبماذا تنصحنى أن أفعل ؟ »

— اذهبى إلى منزلك حتى تحصلى على الانفصال أو الطلاق من زوجك

أليس فى نصيحتك هذه شئ من الجبن ؟

— كلا ، فهذا هو الطريق الطبيعى لأن لك اسما ومركزا وأصدقاء وأقارب يجب أن تحافظى عليهم

فقامت وقالت بحدة : « حسنا ، لقد انتهى كل شئ . انتهى .. انتهى »

ثم وضعت يديها على كتفى عشيقها ونظرت فى عينيه وهى تسأله : « هل تحبنى ؟ »

فأجاب : طبعا

فقالت له : أهذا صحيح

فقال : طبعا

فقالت : إذن أبقينى عندك

فصرخ : « كيف أبقيك ! فى بيتى ! هنا ! لابد أنك جننت ! ستضيعين إلى الأبد .. لقد جننت .. »

فقالت ببطء وبخشونة كمن يزن كلماته : « اسمع يا جاك ، لقد منعنى من رؤيتك ثانية ، كما لم أعد أستطع أن أستمر فى لعبة المقابلات السرية ، فإما أن تبقينى وإما أن تفقدنى »

فقال : فى هذه الحالة يا حبيبتى إيرن تطلقى وسأتزوجك

فقالت : نعم ستتزوجنى بعد سنتين على الأقل ، إن حبك لصبور

فقال لها : اسمعى ، فكرى مرة أخرى . إنك إذا عشت هنا فسيأخذك غدا لأنك زوجته والقانون معه

فقالت : إننى لم أسألك أن تبقينى هنا ياجاك ، إننى أريدك أن تأخذنى بعيدا فى أى مكان ، لقد ظننت أنك أحببتنى حبا كافيا لتفعل ذلك ، ولكنى أخطأت ... الوداع

واستدارت وأسرعت إلى الباب فأمسكها وهى على وشك الخروج وقال :

— اسمعى يا إيرن ...

فجاهدت ألا تسمع شيئا آخر ، وتمتمت وعينها مليئة بالدموع وقالت : « اتركنى .. اتركنى . ولكنه أجلسها بالقوة ، ثم ركع إلى جوارها وحاول بالنصح تارة وبالنقاش أخرى أن ينبهها إلى خطئها وإلى خطورة خطتها مستعملا كل طريقة ممكنة ليحملها على أن تترك هذا « الجنون » متوسلا إليها أن تستمع لنصحه ولكنها بقيت بكماء باردة

فلما انتهى قالت ، « هل أنت على استعداد لترکی اذهب

الآن ؟ .. لا تمسكنى فأنا لا أستطيع أن أقوم . »

فقال : اسمعى يا إيرين

فقالت : أتسمح فتتركنى

فقال : إيرين هل صممت على هذا ؟

فقالت : اتركنى أذهب

فقال : حسنا إبقى ... أنت تعلمين أنك هنا فى منزلك ، وغدا سنذهب بعيدا

فاصرت على أن يتركها تقوم وقالت فى نغمة خافتة ، « كلا لقد تأخرت ، فأنا لا أريد تضحية . »

فقال : إبقى ، لقدفعلت كل ما هو واجب على أن أفعل ، وقلت كل ما وجب على قوله ، فليس على أية مسئولية حيالك بعد ذلك وضميرى الآن مستريح ، وما عليك إلا أن تخبرينى برغباتك فأطيع

فجلست ثانية ونظرت إليه وسألته بهدوء ، « حسنا ، اشرح لى نفسك ... »

فقال : ماذا ؟ ماذا تريدين أن أشرح لك ؟

فقالت : كل شئ ، كل مافكرت فيه حتى غيرت رأيك هكذا وعلى أن أقرر بعد ذلك

فقال : إننى لم أفكر بتاتا ... إنما كان من واجبى أن أعرفك أن ما انتويت جنون .. فلما لم تحيدى عن رأيك رأيت أن أشاركك جنونك

فقالت : إنه ليس من الطبيعى أن يغير الإنسان رأيه هكذا سريعا

فقال : اسمعى ياعزيزتى ، ياصديقتى العزيزة ، إنها ليست مسألة تضحية ..ففى اليوم الذى عرفت فيه أننى أحبك قلت لنفسى — كما لا شك أن كل محب يجب أن يقول هذا لنفسه فى نفس الظروف — إن الرجل الذى يحب امرأة ويحاول أن يجعلها له عليه واجبات لا لنفسه فقط بل للمرأة التى يحبها ، وأنا أعنى بلاشك المرأة التى هى مثلك وليست المرأة السهلة ... إن للزوج فائدة اجتماعية وقانونية كبيرة ولكنه فى نظرى ليس له إلا فائدة روحية.. روحية بسيطة حينما ينظر المرء إلى الإحساس الذى أخذت هذه العلاقة مكانها على مقتضاه ... لهذا فإن المرأة المربوطة بهذا الحبل لا تحب زوجها ولا يمكنها أن تحبه ستقابل شخصا تحبه وتهبه نفسها ، فإذا احتل رجل أعزب مكانة العشيق فهذه العلاقة تتطلب تبعات كثيرة أعظم من دوبلة تتم أمام القس ، فإذا كان الاثنان شريفين فسوف يكون رباطهما أقوى وأمتن من ذلك الذى يعقد فى الكنيسة ... إن المرأة تضحى كل شئ ، وهى تعرف هذا ، فهى تعطى قلبها وجسمها وروحها وشرفها وحياتها لأنها تعرض نفسها للخطر من قتل زوجها لها ومن نبذ المجتمع إياها وما إلى ذلك مما يجعلها جديرة بالاحترام فى عين حبيبها الذى يجب عليه أن يعد العدة لمواجهة كل شئ يحدث ... وليس لدى شئ آخر أضيفه غير ماقلت ، لقد تكلمت أول الأمر كعاقل من واجبه تنبيهك ولكننى الآن رجل فقط .. رجل يحبك وينتظر أمرك.. »

وبحركة مغرية أغلقت له فمه بشفتيها ثم همست :

— ياحبيبى ، لم يكن هذا صحيحا ، فإن شيئا من ذلك لم يحدث وزوجى لم يشك فى شئ ولكننى أردت أن أعرف ماذا تفعل .. لقد أردت أن آخذ هدية رأس السنة ... هدية أخرى غير العقد الذى أرسلته إلى.. وهى حبك ، ولقد أعطيتنى إياه ، فشكرا ... وشكرا ... أوه ياربى ! ما أسعدنى !

سعد رضوان

فهرس الموضوعات للسنة العشرين من الرسالة

إعلان عن مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية

لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٣ — ١٩٥٤

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائزه لتشجيع الإنتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا — تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفرعين الآتيين على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل :

(ا) أحسن بحث مستوفى مبتكر يسير على المنهج العلمى الحديث فى أحد الموضوعين الآتيين :

عبد الله النديم ، أو محمود سامى البارودى من حيث حياة كل منهما وآثاره الأدبية وأثره فى عصره وفى الأدب العربى

(ب) مناهج النقد الأدبى فى كتاب العمدة لابن رشيق والموازنة بينها وبين مناهج النقد فى العصر الحديث .

ثانيا — تخصص لأدباء العربية عامة جائزة قدرها مائة جنيه لمن قام بتحقيق كتاب فى اللغة أو الأدب على نهج علمى .

ويشترط فى جميع هذه الموضوعات ألا يكون قد سبق نشرها أو تكون قد نشرت بين سنتى ١٩٤٨ — ١٩٥٣ .

وعلى المتسابقين أن يرسلوا إلى المجمع أربع نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول يناير سنة ١٩٥٤

للمتسابقين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة التقدم إليه ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة أخرى أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية

وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية بشارع قصر العينى ١١٠ القاهرة .

مطبعة الرسالة